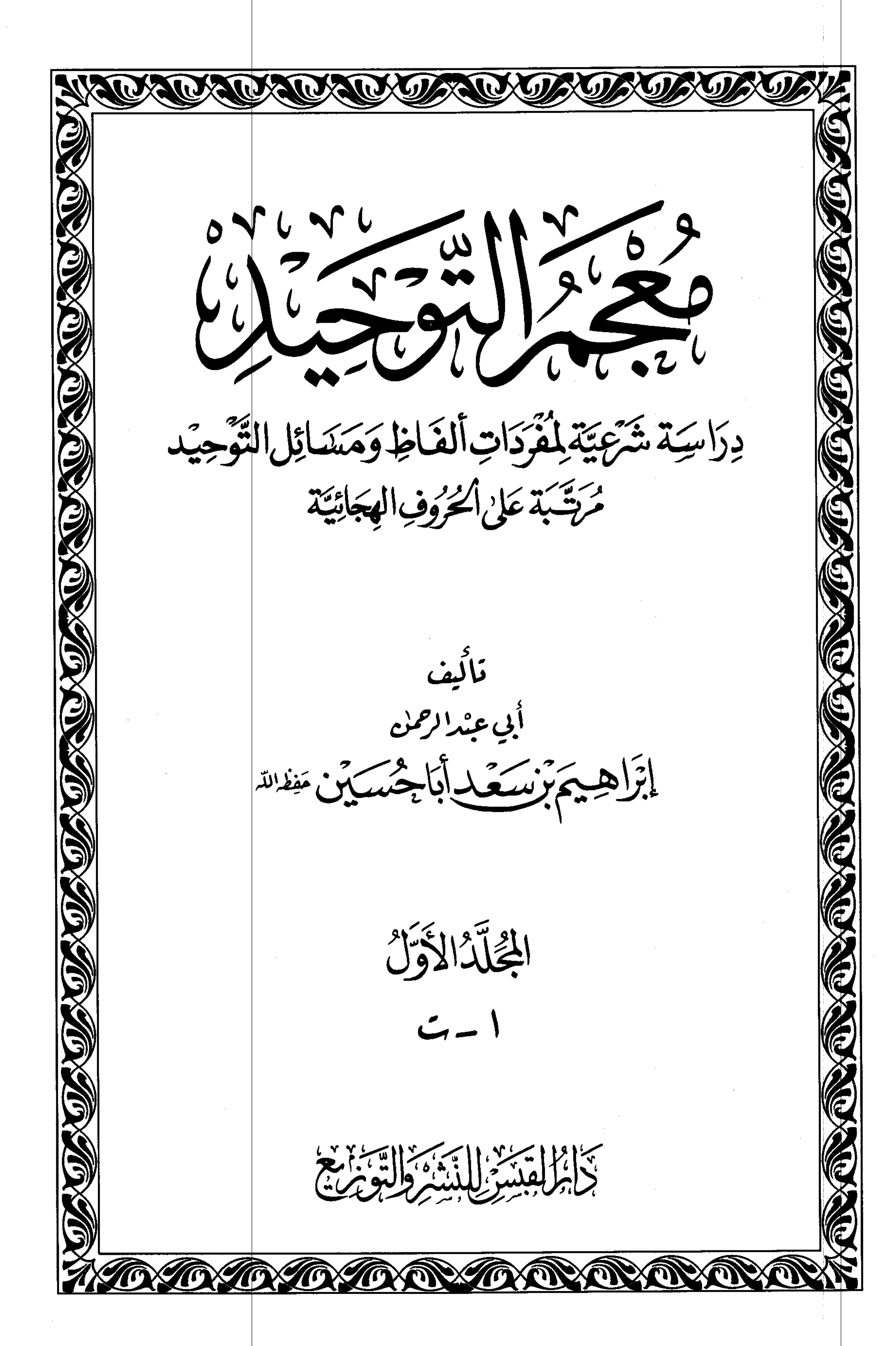


مُعجم التوحيد

دراسة شرعية لمفردات ألفاظ ومسائل التوحيد

مرتبة على الحروف الهجائية

تأليف

أبي عبد الرحمن

إبراهيم بن سعد أباحسين حفظه الله

المجلد الأول

ا ـ ت

دار القبس للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

بعثه الله تعالىٰ رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، ففتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأقام به الملةَ العوجاءَ، صلوات الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن التوحيد يحتاج لمعرفته أهل الأرض قاطبة، وأهل الملة الإسلامية خاصة، فهم أحوج إليه من غيث السماء، ومن نور الشمس الذي يذهب عنهم حنادس[١] الظلماء، فضرورتُهم إليه أعظمُ الضرورات، وحاجتُهم إليه مقدمة علىٰ جميع الحاجات، إذ لا حياة للقلوب، ولا سرور ولا لذةَ، ولا نعيمَ ولا أمانَ إلا بتحقيق لا إله إلا الله (التي ورّثها إمامُ الحنفاء لأتباعه إلىٰ يوم القيامة، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسست الملة ونُصبت القبلة وجُرِّدت سيوفُ الجهاد، وهي محض حق الله علىٰ جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرِّيَّة في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي النشور[٢] الذي لا تدخل الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلىٰ الله من لم يتعلق بسببه)، وهي (كلمة

---

(١) الحِندِس بكسر الحاء والدال: الليل الشديد الظلمة.

(٢) في مختار الصحاح: نشر الميِّتُ فهو: ناشر، عاش بعد الموت، ومنه يوم النشور، وأنشره الله تعالىٰ أحياه باب (ن ش ر).

الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها تنقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دارُ النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(١).

فأفضل ما شُغلت به الأوقات، وانقضت فيه الساعات توحيد رب العالمين الذي اختاره الله لأنبيائه واصطفى لتحقيقه سادةَ رسله وصفوةَ خلقه.

قال ابن عيينة ـ رحمه الله تعالى ـ: «ما أنعم الله على عبدٍ من العباد نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله. وإنَّ لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا»(٢).

وقال الإمام المقدسي ـ رحمه الله تعالى ـ: «فلو أن الإنسان عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه كان كأنه لم يعرف شيئاً»(٣).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ: «فلا يُزهَّد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يقع في ضده، وما هلك من هلك ممن يدَّعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه ومعرفته حق المعرفة، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة، لفظة»(٤).

فيا غافلاً عن حقيقة السعادة، دونك ما تسابق الأخيار في تحصيله، وما تنافس الأتقياء في تحقيقه حتى قال قائلهم: مساكين أهل الدنيا مضوا عنها وما حصلوا

---

(١) ما بين القوسين من كلام ابن القيم رحمه الله في كتاب الجواب الكافي ص١٣٨.

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب ص٥٢-٥٣.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص١٦٩.

(٤) شرح كشف الشبهات ١٠٨، ١٠٩. وللاستزادة من أقوال العلماء في هذا الباب انظر في هذا الكتاب باب (التوحيد وأقسامه).

أحسن ما فيها معرفة الله وتوحيده.

كَرِّرْ حديثَكَ لي عن بانةِ العلمِ فهو الشفاءُ لما ألقاهُ من ألَمِ
إن كان عن ناظِرِي قد غابَ حُسْنُكم فَذِكرُكم أبداً في خاطِري وفمِي

وهذا كتاب «معجم التوحيد»[1]، جمعت فيه ما يتعلق بتوحيد العبادة ومسائل الإيمان، وما يضاده من نواقض الإسلام، وأقسام الكفر، والشرك والنفاق، وما يتعلق به من أصول ومسائل ومصطلحات وتعريفات، مع بيان الغامض من المفردات، ووضع الفوائد والتقسيمات، مما قد يَشُق على الباحث العثور عليه سريعاً وقد اتسعت مسائل هذا الكتاب وتشعبت، وحاولتُ جاهداً أن أقربها وأُألّف بينها وبذلتُ ما في الوسع لأجل ذلك. وانصبَّ الاهتمام على الأصول من المسائل. وقد جعلت كتاب التوحيد للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله نواةً للعمل، فكل ما استحق بحثاً في مسائله أفردتُ له باباً مستقلاً، وأضفتُ أبواباً أخرى لها صلة بالتوحيد، وقام منهجي في ترتيب هذا الكتاب على الآتي:

١- تعريف لغوي: وهذا مصدره المعاجم المعروفة، ككتاب تهذيب اللغة للأزهري، والنهاية لابن الأثير، ومختار الصحاح، ولسان العرب، والمعجم الوسيط وأمثالها، وبعض الأبواب أو العناوين سيتضح المعنى منه من غير تعريف بالمعنى اللغوي، كباب (اتخاذ القبور مساجد)، فمثل هذا لا أذكر له تعريفاً لغوياً لوضوحه.

٢- تعريف شرعي أو اصطلاحي: وكان مصدره في الغالب التعريفات التي يعتمدها العلماء المحققون، كابنِ تَيمِيَّةَ، وابن القيم، وابن رجب، وابن كثير،

---

(١) ملاحظة: عنوان الكتاب يعبر عن جزء منه للاختصار، وإلا فسيطول العنوان حيث تضمن الكتاب معرفة ما يتبع التوحيد من الإيمان وأصوله ونواقضه، وما يلحق به من اعتقاد أهل السنة والجماعة وما يخالف ذلك كالبدعة... إلخ.

وسبب إيرادي لبعض هذه المسائل أهميتها، ولأن عدم الإيمان بها كفر بالله عز وجل.

وأسلافهم. ويلحق بهم أئمة الدعوة بدءاً بالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز والألباني وابن عثيمين رحمهم الله.

٣- الأدلة من الكتاب.

٤- الأدلة من السنة: والتزمت إيرادها من مصادرها الأصيلة مع عزو الحديث فإن كان عند البخاري أو مسلم فإنني أكتفي بالإحالة لهما أو لأحدهما، فإن كان عند غيرهما أشرت إلى ذلك. أما الأحاديث التي يذكرها عالِمٌ حال النقل عنه فإنني لم ألتزم تخريجها أو تحقيقها بل أوردها كما ذكرها من غير تغيير فيها.

٥- قول السلف[١] عملاً بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩-٦٠]، يقول الشيخ المعلمي رحمه الله: «ولا ريب أن الردّ إلى الله ورسوله بعد وفاته؛ إنما يحصل بالردّ إلى الكتاب والسنة، وأن تحكيمه بعد وفاته؛ إنما هو بتحكيم الكتاب والسنة.

ولا ريب أن من الرد إلى الكتاب: سؤال العلماء، كما أن الردّ إلى الرسول: اعتبار خلفائه وورثته من أهل العلم، قال الله ﷻ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وفي حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «العلماء خلفاء الأنبياء»[٢]، وله في السنن حديث فيه: «وأنّ العلماء ورثة الأنبياء...» الحديث[٣]. ولا ريب أن الأئمة المجتهدين من أولى من يدخل في ذلك»[٤].

علماً بأني إذا نقلت كلام أحد الأئمة فإني أضع كلامه بين قوسين، فإذا ذكر في كلامه حديثاً أو أثراً أو كلامَ عالِمٍ آخر جعلتُ علامةَ تنصيص ليتضح ذلك.

---

(١) انظر: معنى (السلف) في باب (أهل السنة والجماعة).

(٢) أخرجه البزار، ورجاله موثوقون كما في مجمع الزوائد (١/ ١٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٣)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٤) البناء على القبور للمعلمي ص٥، ٦.

ـ الحكمُ علىٰ المسألةِ وبيانُ حلِّها أوحرمتِها أو وجوبها وأثرِها علىٰ التوحيد.

ـ ذكر التقسيمات وإتباعها بفائدةٍ أو فوائد مَّما يحتاج إليه الباحث، وهذا الترتيب في الجملة وربما خالفت هذا المنهج في بعض المواطن لسبب يقتضي ذلك.

وقد حاولتُ الابتعاد عن التكرار قدر الإمكان مع صعوبة ذلك، فإذا رأيتَ أبواباً متشابهةً في الأسماءِ وظهر لك عدم الفرق بينهما فإن المسائل المندرجة تحتها تختلف عن غيرها، فمثلاً أبواب (الكفر) (التكفير) (العذر بالجهل) (الردة) بينها شَبَهٌ كبير من حيث المعنىٰ ولكن في باب (الكفر) ذكرت تعريفه وأنواعه، والفرق بين كفر الاعتقاد وكفر العمل وغير ذلك، أما باب (الردّة) فذكرت فيه أقسام الردة، وأن الكفر يكون بالقول وبالعمل وبالاعتقاد والترك والشك، وما يترتب علىٰ المرتد من آثار. وفي باب (التكفير) ذكرت النصوص الواردة في التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم، والتفريق بين الإطلاق والتعيين، ومعرفة موانع التكفير كالإكراه والخطأ والتأويل والعجز. أما باب (عارض الجهل) فذكرت فيه ضوابط العذر بالجهل ومعنيقيام الحجة، وأن عدمها مانعٌ من تكفير المعيَّن، كما أوضحتُ المراد من بلوغ الحجة وفهمها، وأن الجهل لا يكون فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وغير ذلك.

وقد ترِدُ المسألةُ في بابٍ فلا أتكلم عنها بل أحيل علىٰ باب آخر مشابه ذكرتُ فيه هذه المسألة بالتفصيل كمسألة (حكم الذهاب للكهان)؛ إذ يحتمل ذكرها في باب (العرَّاف) (الكاهن) (التنجيم)، ففصَّلتُ الكلام عنها في باب (الكهانة)، أما الأبواب الأخرىٰ فعِنْدَ ذكر هذه المسألة فإني أُحيل علىٰ الباب الذي فصّلتُ فيه.

أما الأبواب فقد رتبتها ترتيباً هجائياً مراعياً فيه شهرة اللفظ دون اعتبارٍ لأصل اشتقاقه، فلم ألتزم بما التزم به أصحاب المعاجم اللغوية؛ بل رتّبتُ الأبواب وفق لفظها المذكور في كتب أهل العلم وحسب ذكر العلماء لها، كما أهملتُ (أل)

التعريف فيما هو معرّف (بألْ) ومثال ذلك: باب (الاستعاذة) فإنك تبحث عنه في باب الهمزة ثم السين وهكذا، وتبحث عن باب (التوحيد) في الأبواب التي تبدأ بحرف التاء ثم الواو. وبعض الأبواب لا أستطيع إيرادها إلا بعبارتها أو مظهرها الشركي، كباب (ما شاء الله وشئت) (التنجيم)، (الإقامة في بلاد الكفار) وغيرها، وليعذرنا القارئ في التبويب؛ لأن المراد التقريب وسهولة الوصول إلى المفردات المتعلقة بالتوحيد، فأرجوا أن أكون قد سلكت المسلك المناسب في ذلك؛ تسهيلاً لوصول المعلومة إلى القارئ، وهذا محل اجتهاد مني، إن وفقت فيه فذلك فضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وقد دفعني إلى ترتيب هذا الكتاب على حروف المعجم حاجة بعض طلبة العلم والدعاة والخطباء والباحثين إلى الوصول بطرق يسيرة لأقوال العلماء والأئمة في مسائل التوحيد، مع اختصار الوقت والجهد في البحث عنها في أُمَّات الكتب؛ وذلك يخدم الباحث في العَزْوِ لأهل العلم وكتبهم.

وحاولت التزام ذكرَ المراجع كي يتسنَّى لمن أراد التفصيل العثور على مراجع المسائل.

فتجد تحت كل باب مراجع رُمز لها بعلامة نجمة(*) أذكر بعدها كتب السلف من الأصول المتقدمة والكتب المتأخرة، والتزمتُ بذكر مكان المسألة في الشروح المشهورة على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن ذلك: تيسير العزيز الحميد، فتح المجيد، حاشية ابن قاسم، القول المفيد، ثم فتاوى اللجنة، وفتاوى الشيخ ابن باز، وفتاوى الشيخ ابن عثيمين ـ رحمهم الله جميعاً ـ وأغلب المسائل المذكورة والتقسيمات الموجودة اعتمدتُ فيها على الكتب والمراجع المكتوبة في حاشية كل باب، وربما نقلتُ من هذه المراجع بالنص أو استفدت من النقل الموجود فيها مع الاكتفاء بالمرجع الأصل، كما استفدتُ من الحواشي أو الشروح

المخطوطة على كتاب التوحيد، وكذلك الكتب التي تناولت كتب التوحيد بالتحقيق، أو المؤلفات المعاصرة والرسائل الجامعية، أو المناهج الدراسية المعدة لهذا الشأن. وإذا طال النقل تصرفت فيه بما يخدم الكتاب مراعاةً للاختصار.

وقد توخَّيْتُ ذكرَ المراجع من الكتب المعتمدة والصافية، ولكن هناك من الكتب ما يُقَرَّرُ فيه مذهبُ الأشاعرة، أو يُوجد في أثنائه خلل في العقيدة فينبغي التنبيه إلى أن الإحالة إلى المراجع لا يعني التسليم بِما فيها والإذعان لها، وإنما يُؤخذ الصواب، ويترك ما عداه.

ولقد استفدتُ كثيراً من المشايخ والعلماء ـ حفظهم الله ـ سواء في الدروس العلمية والحلقات أو الاستفسار والاتصال، كما استفدت من الشيخ عبد الله ابن جبرين رحمه الله، في فهم بعض العبارات الموهِمَة وبيان الأحكام المجملة.

تنبيه:

ربما وجد الباحثُ أبواباً يظن أنها لا تَمُتّ إلى توحيد العبادة بصلة، ولكن فيها مباحث ومسائل متعلقة بالتوحيد، فلا تستعجل باللوم حتى تنظر في مسائل الباب ومباحثه، لا في عنوانه، ومن ذلك مثلا باب (جزيرة العرب) فقد يظن أن إدراجه غريب في كتاب كهذا، ولكن فيه مسائل توجب ذكره ضمن أبواب هذا الكتاب؛ إذ يتعلق به على سبيل المثال حديث: «إن الشيطان يئس أن يُعبد في جزيرة العرب». وحديث: «أخرجوا اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب». وحديث «لا يبقى فيها دينان». فنحتاج لفهم معنى «يئس الشيطان» وأقوال العلماء في ذلك، ونحتاج لتوضيح حكم وجود دين آخر في الجزيرة، وحكم استقدام الكفرة إلى هذه الجزيرة، وهذا لاشك أن له تعلقاً بالتوحيد وأقرب عنوان له هو: جزيرة العرب، ومن ذلك باب (الوقف) إذ هو من المسائل الفقهية، لكن له تعلُّق بالتوحيد من جهة حكم الوقف على بناء القبور، والوقف على إيقاد السُّرُج عليها، وما شابه ذلك.

وإذا كان الموضوع يناسبه أكثر من عنوان، فإني أضع جميع العناوين المناسبة، ويكون محل البحث تحت عنوان واحد ومثال ذلك باب (لا إله إلا الله) فإن له عناوين أخرىٰ مثل (كلمة التوحيد) (كلمة الإخلاص) (العروة الوثقىٰ) وما شابه ذلك، فأكتُبُ هذه العناوين في مكانها من المعجم مفردةً دون بحث، وأحيلُ علىٰ الأصل الذي اخترته لوجود المباحث فيه، وأذكرُ في السطر الذي يلي عنوان الباب الأبواب ذات الصلة.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن هناك أبواباً تكاد تكون متصلة مع بعضها صلة وثيقة، فأجعل لكل منها باباً مستقلاً، أوضِّحُ فيه المعنىٰ وأحيل في المسائل علىٰ الباب الأصل المختار، ومثال ذلك (الحُجُب) (الحُرُوز) (الرُّقَىٰ) (التمائم)، فإني أفسِّرُ معانيها وأذكر ما يتعلق بها بشيء من الاختصار، ثم أحيل في المسائل والأدلة علىٰ الباب الأصل وحيناً أجعلها كلها في باب واحد لشدة ترابطها مع بعضها، وأجعل لأفرادها عناوين خالية من البحوث وأحيل علىٰ الأصل ومثاله شروط (لا إله إلا الله).

وقد حاولتُ جاهداً أن استقصي جميع المباحث وأن أضع لكل مسألة تفاصيل العلماء وأقوالهم فيها، ولا أدَّعي أنني بلغت الغاية أو قاربتها، لكن جهد مقل أرجو به من الله الرضىٰ والقبول والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولقد ساهم في إخراج هذا الكتاب ومراجعته إخوة وأخوات لولا معرفتي لكراهيتهم ذكر أسمائهم لذكرتهم واحداً واحداً، فما كان هذا الكتاب ليخرج إلا بفضل من الله ثم بفضلهم. وإن كنا لا نملك ذكر أسمائهم، فإنا ندعو لهم: أن ييسرهم لليسرىٰ ويجنبهم العسرىٰ، وأن يزيدهم هدىٰ، ويجعل لهم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويجزيهم عنا خير الجزاء.

وأذكّر إخواني ممن يقرأ هذا الكتاب أو يطلع عليه أن يأخذ بما احتواه الكتاب، وليكن رائده في ذلك البحث عن الحق واتباع الدليل، فإن عثر علىٰ خطأ مني

فليصفح عن ذلك وليعاجلني بتنبيه ونصيحة ولا يظننَّ سوءاً بل يقل: زل القلم وسها الكاتب ولا يكن ممن قيل فيه:

فـإن رأوا هفـوةً طـاروا بهـا فرحـاً   مِنِّي وما علموا من صـالحٍ دفنـوا

وفي الختام أحمد الله على ما يسر وأشكره على ما مدَّنا به من توفيق وإعانة فله الحمد وله الشكر والثناء أولاً وأخيراً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه:

إبراهيم بن سعد أبا حسين
غفر الله له ولوالديه ولإخوته ولجميع المسلمين
ص – ب ٥١٣٦٠ - الرمز ١١٥٤٣
إيميل ism-0123@hotmail.com
تويتر @ismhbr

بسم الله الرحمن الرحيم

١- لا إله إلا الله*

الإلهُ: فعالِ بمعنى مألوه، وكُلُّ ما اتُّخِذ مَعبوداً إلهٌ عِنْدَ مُتَّخِذِه[١].

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى -: «فـ«الإلهُ» اسمُ صفةٍ لكُلِّ معبودٍ بحقٍّ أو باطل، ثم غُلِب على المعبُود بحقٍ وهو اللهُ تعالى، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبِّرُ الأُمُور»[٢].

فمعنى «الإلهُ» يتضمَّنُ فعلَ الخلقِ والرزقِ والإثابةِ والعقوبةِ، ولهذا انفرد الله

---

* سبب الابتداء بباب (لا إله إلا الله) لأنها الأصل الذي تدور عليه مسائل هذا الكتاب وأبوابه، وكل الكتاب شرحٌ لهذه الكلمة وتوضيحٌ لها وذكرٌ لأقسامها وتحذيرٌ مما يضادها.

انظر: التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٥١، ٦/ ٤٣، ٤٨، ٩/ ٢٤٠، ١٠/ ١٤٩، ٢٣/ ٢٩٦. شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١/ ٩٢. اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابنِ تَيمِيَّةَ ٢/ ٨٣٣. كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب. تيسير العزيز الحميد ص١٢٣،٧٥. فتح المجيد ص٦٥، ١٠٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١، ٥٤ . القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٥٨، ط٢-١/ ١٥٩ ومن المجموع ٩/ ٥١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٥، ١٦. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٧٩، ١٨٩. معارج القبول ١/ ٣٠٠، ٣٢٠. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ١٩٣. نور على الدرب ص٤٩ شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٥٦، ٥٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١، ٧٧، ٧/ ٣٠، ٣١/ ٣٢. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٢٦، ٣٢٨. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٥٩ منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني تأليف: محمد إسحاق كندو ص٩٩٥ وما بعدها. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د/ جمال بن أحمد ١/ ١٦٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٢. وانظر كتاب (الشهادتان) للشيخ عبد الله بن جبرين، وكتاب (لا إله إلا الله معناها ومكانتها) للشيخ صالح الفوزان. و(تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله) للجابري.

(١) القاموس المحيط مادة «أ ل ه».

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، ص١٠٦.

تعالىٰ باستحقاق العبادةِ وحده؛ لأنَّه المنفردُ بهذه الأفعالِ والصفاتِ.

فالإلهُ: هو المعبودُ المطاعُ الذي تألههُ القلوبُ، أي: تتجهُ لهُ وتقصدُه وتخضعُ له وتتعلقُ به خشيةً وإنابةً ومحبةً وخوفاً وتوكلاً عليه وإخلاصاً له تبارك وتعالىٰ.

قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «اللهُ ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين»[(١)].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله تعالىٰ -: «وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألُّه القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك لـه، فيجب إفرادُ الله تعالىٰ بها، كالدعاءِ والخوفِ والمحبةِ، والتوكلِ والإنابةِ، والتوبةِ، والذبحِ، والنذرِ، والسجودِ، وجميعِ أنواعِ العبادةِ فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العباداتِ لغيرِ اللهِ، فهُوَ مُشرِكٌ ولو نطق بـ «لا إله إلا الله»، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص»[(٢)].

فـ «لا إله إلا الله» معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله، وغير الله إن عبد فباطل[(٣)].

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤] وقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢،٣]، وقال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١/ ٢٢ وابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ١/ ٢٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٧٥.

(٣) انظر للاستزادة فتح المجيد ص٦٥ – ٦٩.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤]، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

* **الدليل من السنة**: عَنْ عُثْمَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال في الشهادتين: «لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما إلا دخلَ الجنةَ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[٣].

وعَنْ عُبَادَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ[٤] أَلْقَاهَا[٥] إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ»[٦].

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي: «فَقَالَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣٠).

(٤) قال في التيسير ص ٨٤: إنما سُمِّي عليه السلام كلمة الله لصدوره بكلمة «كن» بلا أب ا.هـ.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٣٠): خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عز وجل، فكان عيسى بإذن الله عز وجل. ا.هـ.

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨) واللفظ للبخاري.

أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُم إِنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وعَنْ عَمْرِو ابْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَخبرنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذاً حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سَجْفَ الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ قَالَ مَرَّةً: أُخْبِرُكُم بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ إِلا أَنْ تَتَّكِلُوا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَدْخُلْ النَّارَ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَقَالَ مَرَّةً: «دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»[٣]. وهو معنى قوله ﷺ في حديث عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[٤].

١- «لا إله إلا الله» أول واجب على المكلف:

قال العلامة عبدالعزيز الرشيد صاحب أحكام وفوائد في التنبيهات السنية: «هذه الكلمة هي أول واجب وأعظم واجب على الإطلاق كما في الصحيح من حديث ابن عَبَّاسٍ أن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٩٨٢٦). والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (١/ ١٦) وإسناده صحيح ورجاله رجال الشيخين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١٤٠) وابن حبان (٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٩٩)، (٦٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٥)،(١١٨٦) ومسلم (٣٣).

تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله»، وفي رواية: «إلىٰ أن يعبدوا الله»؛ فدل علىٰ أن التوحيد هو أول واجب علىٰ العباد، خلافاً لمن زعم أن أول واجب معرفة الله بالنظر أو القصد إلىٰ النظر أو الشك كما هي أقوال لأهل الكلام المذموم، فإن معرفة الله فطرية فطر الله عليها عباده، قال تعالىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] أي: أفي وجوده شك، فإن الفِطَر شاهدة بوجوده مجبولة علىٰ الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة كما قال ﷺ: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»[1].

٢- تفسيرات باطلة لـ «لا إله إلا الله»:

وإذا تبين أن معنىٰ لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهذا تفسير أهل السنة؛ فينبغي التنبيه إلىٰ أنها قد فُسّرت بتفسيرات باطلة، منها:

١ـ أن معنىٰ لا إله إلا الله: أي لا موجود إلا الله، وهذا تفسير أهل الاتحاد[2].

٢ـ أن معناها: أي لا معبود موجود إلا الله، وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه أن كل معبود عُبِد بحق أو باطل هو الله[3].

٣ـ أن معناها: أي لا خالق[4] إلا الله، أو لا رب إلا الله، ولو كان المعنىٰ كذلك لما حصل نزاع بين النبي ﷺ وكفار قريش، ولما حصل نزاع بين الرسل وأممهم؛ لأن الأمم يقرون بأنه لا خالق إلا الله، فليس هذا المعنىٰ فقط هو المراد منها.

---

(١) انظر: التنبيهات السنية علىٰ العقيدة الواسطية ص٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٥٩، ٢٨٧، ٢٨٨)، والشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص ١٥٩.

(٣) معارج القبول شرح سلم الأصول (٢/ ٤١٦).

(٤) وسبب تفسيرهم بـ (لا خالق إلا الله) أن الكلمة (إله) علىٰ وزن (فِعَال)، وفِعَال في اللغة تأتي بمعنىٰ (فاعل) وبمعنىٰ (مفعول).

حيث يثبت بها توحيد الربوبية فقط.

٤ـ وقيل معناها لا حاكمية إلا لله، وهذا أيضًا جزء من معناها وليس هو المقصود لأنه بهذا المعنى تفسير ناقص لا يكفي.

٥ـ ومنها أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، ولا مستغنٍ عمَّا سواه مفتقر إليه كل من عداه إلا الله، وهذا القول منسوب لبعض أئمة المتكلمين، قال شيخ الإسلام عمن قال: «إن الإلهية هي القدرة على الاختراع،فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون»[(١)] وهذا تفسير لكلمة التوحيد بشيء من أفعال الربوبية وهو وإن دلت عليه كلمة التوحيد بالتضمن فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، إلا أنه أغفل المعنى المقصود من هذه الكلمة وهو إثبات توحيد الألوهية وأنه لا يستحق العبادة إلا الله.

وإنما معنى هذه الكلمة باتفاق السلف الصالح: أنه لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥].

قال البقاعي: «لا إله إلا الله، أي: انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعا إذا كان الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صرف»[(٢)].

---

(١) التدمرية ١٧٨، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦، وانظر: التنبيهات السنية للرشيد ص٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٧٧.

٣- دلالة «لا إله إلا الله» على التوحيد:

قال عبدالعزيز الرشيد في التنبيهات: «وأما دلالتها على التوحيد فإنها دلت على أنواع التوحيد الثلاثة، فدلت على إثبات العبادة لله ونفيها عمن سواه، كما دلت أيضا على توحيد الربوبية، فإن العاجز لا يصلح إلها، ودلت على توحيد الأسماء والصفات فإن مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء بل هو عدمٌ محض كما قال بعض العلماء: المشَبِّه يعبد صنماً، والمعطِّل يعبد عدماً، والموحِّد يعبد إلهَ الأرض والسماء.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أُنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر»»[١].

٤- إعراب كلمة «لا إله إلا الله»:

«لا»: نافية للجنس تعمل عمل إن.

«إله»: اسم «لا» مبني على الفتح، وخبرها محذوف والتقدير «بحق».

«إلا»: أداة استثناء ملغاة.

«الله»: لفظ الجلالة مرفوع على البدلية.

٥- أركان «لا إله إلا الله»[٢]:

لا إله إلا الله لها ركنان:

* الركن الأول: النفي. * الركن الثاني: الإثبات.

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص٩.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٧٩.

والمراد بالنفي: نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات. فتنفي جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد غيره.

والمراد بالإثبات: إثبات الإلهية لله سبحانه، فهو الإله الحق المستحق للعبادة وما سواه من الآلهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

فـــائـــدة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «جملة «لا إله إلا الله» مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو: «لا إله» وأما الإثبات فهو: إلا الله. و«الله» لفظ الجلالة بدل من خبر لا المحذوف والتقدير: لا إله حق إلا الله وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة: حق؛ يتبين الجواب عن الإشكال التالي: وهو كيف يقال: لا إله إلا الله؛ مع أن هناك آلهة تُعبد من دون الله، وقد سماها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]، وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٧٣].

والجواب على هذا الإشكال: يتبين بتقدير الخبر في «لا إله إلا الله» فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، يدل لذلك قول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان:٣٠].

إذن فمعنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقية أي ألوهية باطلة»[1].

(١) فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٧.

٧- شروط الشهادتين[١]:

جاء عن إياس بن أبي تميمة قال: «شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغله، والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناس، يقولون: خير الناس، وشر الناس، قال: يا أبا فراس، كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني! وكم من شيخ مشرك أنت خير منه! ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله قال: إن معها شروطاً، فإياك وقذف المحصنة. قال: هل من توبة؟ قال: نعم»[٢].

وقال ابن رجب: «وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك. ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع. وهذا قول الحسن ووهب ابن منبه وهو الأظهر»[٣].

وقد نظم الشيخ حافظ الحكمي الشروط في الأبيات التالية:

وبشروط سبعةٍ قد قُيِّدت ... وفي نصوصِ الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلُها ... بالنُطقِ إلا حيث يستكملها
العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقيادُ فادرِ ما أقولُ
والصدقُ والإخلاصُ والمحبةُ ... وفَّقكَ اللهُ لما أحبَّه[٤]

ونظمها بعضهم بقوله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك مع ... محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها[٥]

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٤٦. فتح المجيد ص١١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧١.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٤ و ١/ ١٦٢.

(٣) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ٩، ١٠.

(٤) وقد شرحها رحمه الله في كتابه معارج القبول ٢/ ٤١٨، ٤٣٤.

(٥) ينظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ص٢٩.

وهذه الشروط مأخوذة بالاستقراء والتتبع للأدلة من الكتاب والسنة، وقد أضاف بعضهم إليها شرطا ثامناً ونظمه بقوله:

وزيـد ثامنُهـا الكفـرانُ منـك بمـا سوىٰ الإلهِ مـن الأنـدادِ قـد أُلِهـا

وأخذ هذا الشرط الأخير من قوله ﷺ في حديث أبي مالك عن أبيه: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»(١).

وذكره الشيخُ عبدُ الرحمن بنُ حسن في قُرَّةِ عُيونِ الموحِّدين فقال: «إن لا إله إلا الله قد قُيّدت في الكتاب والسنة بقيودٍ فقال منها:

العلمُ، واليقينُ، والإخلاصُ، والصدقُ، والمحبةُ، والقبولُ، والانقيادُ، والكفرُ بما يُعبَدُ من دونِ اللهِ»(٢).

وذكره الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ في «كتاب التَّوحيدِ» ثمَّ قال بعده: «وهذا من أعظم ما يبين معنىٰ لا إله إلا الله، فإنَّه لم يجعل التلفُّظَ بها عاصماً للدمِ والمالِ، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظِها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحدَه لا شريكَ له، بل لا يحرمُ مالُه ودمُه حتىٰ يُضيف إلىٰ ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ من دون اللهِ، فإن شكَّ أو توقف لم يحرُم مالُه ودمُه»(٣).

وبعضهم يجعل هذا الشرط ضمن أركان (لا إله إلا الله)، وقد تقدم في ذكر الأركان أن (لا إله) يبطل الشرك بجميع أنواعه ويوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله و(إلا الله) يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله ويوجب العمل بذلك ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] فقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ﴾ هو معنىٰ الركن الأول (لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

(٢) قرة عيون الموحدين ص٥٠، وقد مضىٰ بعضٌ من الأدلة في أول الباب.

(٣) مجموعة التوحيد ص٤٧، ٤٨.

إله) وقوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، هو معنى الركن الثاني (إلا الله). وكذلك قوله عن إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦،٢٧] فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ هو معنى النفي في الركن الأول. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

وعليه فإن شروطها مجملة ثمانية:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المنافي للكذب، المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلّت عليه والسرور بذلك.

السادس: الانقياد بحقوقها المنافي للترك: وهي الأعمال الواجبة إخلاصا لله وطلباً لمرضاته.

السابع: القبول المنافي للرد.

الثامن: الكفر بما سوى الله من الأنداد .

وسوف أتناول كُلَّ شرطٍ بشرحٍ يُبَيِّنُ المقصودَ:

أولاً: العلمُ بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك:

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: «والمراد العلم الحقيقي بمدلول الشهادتين وما تستلزمه كل منهما من العمل، وضد العلم الجهل، وهو الذي أوقع المشركين من هذه الأمة في مخالفة معناها، حيث جهلوا معنى الإله، ومدلول النفي والإثبات، وفاتهم أن القصد من هذه الكلمة معناها، وهو الذي خالفه المشركون العالمون بما تدل عليه، حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]

وقالوا: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص:٦]»[١].

وللتوضيح فإن قولهم: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً يتضمن شطرها الأول نفي العبادة عما سوى الله ﷻ، كما يتضمن شطرها الثاني إثباتها لـه ﷻ، فكما أن الحق جل وعز لا شريك له في ملكه وخلقه وتدبيره فإنه لا شريك لـه في عبادته. فلا بد من العلم بمعناها؛ لأن التلفظ بها دون معرفة معناها ومقتضاها لا ينفع صاحبها كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها، ودل على هذا الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وقولـه: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال البغوي: «أراد بشهادة الحق قول: لا إله إلا الله كلمة التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم»[٢].

وفي الصحيح عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله تعالى: «من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والإجماع»[٤].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل

(١) كتاب الشهادتان لابن جبرين ص٧٩.

(٢) تفسير البغوي معالم التنزيل ٧/ ٢٢٤.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦).

(٤) نقلاً عن التنبيهات السنية ص٨.

بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع»[(١)].

وقال رحمه الله: «ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمداً رسول الله ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول، وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم، ولم يفعل شيئاً من الشرك، فإنه لا يشك أحدٌ في عدم إسلامه، وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب «الدر الثمين في شرح المرشد المعين» من المالكية، ثم قال شارحه: «وهذا الذي أفتوا به جلي في غاية الجلاء، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان». انتهى. ولا ريب أن عُبَّاد القبور أشد من هذا؛ لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين»[(٢)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «العلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم، الذي أمر الله به ـ وهو العلم بتوحيد الله ـ فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائناً من كان، بل كلٌّ مضطرٌ إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه ـ لا إله إلا الله ـ أمور:

أحدها: بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله، وعظمته وجلاله، فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل، الذي له كل حمد ومجد، وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية؛ فإن ذلك يوجب تعلق القلب به، ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٧٤، فتح المجيد ص ٦٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٨١، ٨٢.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر، والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داعٍ إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير، أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً، ورأياً وصواباً وعلماً ـ وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون ـ قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه»[1].

ثانياً: اليقين[2]:

قال في لسان العرب: «اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر وهو نقيض الشك»[3]: وهو كمال العلم بها المنافي للشك[4] والريب.

* والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]

(١) تفسير ابن سعدي لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ من سورة محمد. آية ١٩.

(٢) انظر للاستزادة فتح الباري لابن رجب ١/ ١٤، ١٥، ١٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٦٧ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١٦٨.

(٣) لسان العرب (ي ق ن).

(٤) انظر للاستزادة باب (كفر الشك).

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا فأما المرتاب فهو من المنافقين.

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَني رَسُولُ اللهِ لا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وفي رواية قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَني رَسُولُ اللهِ لا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ»[٢].

وتقدم حديث أبي هريرة ﷺ: «فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[٣].

قال الشيخ حافظ الحكمي: «فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط»[٤].

وقد روي عن ابن مسعود ﷺ قال: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»[٥]. فاليقين شرط في صحة الإيمان وهو حقيقة العلم بأن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) فلا بد من انتفاء الشك وارتفاع الريب.

وقال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم: «باب لا يكفي مجرّد التلفظ بالشهادتين بل لا بد من استيقان القلب»[٦].

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: «من شروط ـ لا إله إلا الله ـ اليقين وضده

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) معارج القبول ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٥) ذكره البخاري تعليقاً كما في الفتح ١/ ٤٥، وقال الحافظ: «وصله الطبراني بسند صحيح وأبو نعيم في الحلية» ا.هـ

(٦) نقلها الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتابه فتح المجيد ص ٦٥، ثم قال: «هذه الترجمة تنبيهٌ على فساد مذهب المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان» ا.هـ

الشك والتوقف أو مجرد الظن والريب، والمعنى أن من أتى بالشهادتين فلابد أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله، من أحقية إلهية الله تعالى، وصحة نبوة محمد ﷺ، وبطلان إلهية غير الله بأي نوع من التأله وبطلان قول كل من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ، فإن شك في صحة معناها أو توقف في بطلان عبادة غير الله لم تنفعه هاتان الشهادتان»[1].

ثالثاً: الصدق: المنافي للكذب المانع من النفاق:

فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

* الدليل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠].

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار»[2].

قال الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله: «فأما من قالها بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنجيه، كما حكى الله عن المنافقين أنهم قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]»[3].

(١) كتاب الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما ص ٧٩.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨).

(٣) كتاب الشهادتان، معناهما وما تستلزمه كل منهما ص ٨٢.

قال الشيخ صالح الفوزان: «فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين بمدلولها»[(١)].

رابعاً: المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه:

وهذا بخلاف ما عليه المنافقون.

*الدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وثبت في الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذ أَنقَذَهُ اللهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[(٢)].

قوله: «ثلاث من كن فيه»...الخ. قال الحافظ النووي رحمه الله: «هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام.

قال العلماء رحمهم الله: «معنى حلاوة الإيمان» استلذاذ الطاعات وتحمُّل المشقات في رِضَى الله عز وجل ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عَرَض الدنيا، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسوله ﷺ».

قال القاضي رحمه الله: «هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً»؛ وذلك أنه لا تصح المحبة لله

(١) «لا إله إلا الله» معناها ومكانتها وفضلها ص ١٥.

(٢) أخرجه البخاري (٦)، (٢١)، (٦٠٤١)، (٦٩٤١). ومسلم (٤٣) واللفظ للبخاري.

ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهة الرجوع إلى الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح لـه صدره وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذي وجد حلاوته».. قال: «والحب في الله من ثمرات حب الله»»(١).

وقد أفردتُ باباً في: «محبة الله» فراجعه في هذا الكتاب.

خامساً: الانقياد المنافي للترك:

ويبينها الشيخ صالح الفوزان حفظه الله بقوله: «الانقياد: بأداء حقوقها، وهي: الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته، وهذا هو مقتضاها»(٢).

* **الدليل من الكتاب:** قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء:١٢٥]، وقولـه: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢] أي: بـ «لا إله إلا الله».

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥].

* **الدليل من السنة:** قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لما جِئْتَ بِهِ»(٣). وعَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ٢١٠ في شرح حديث رقم (٤٣).

(٢) «لا إله إلا الله، معناها ومكانتها وفضلها» ص ١٥.

(٣) البغوي شرح السنة ١/ ٢١٣ والخطيب في التاريخ ٤/ ٣٦٩ وابن أبي عاصم في السنة وضعفه بعضهم لتفرد نعيم بن حماد والمروزي به.

(٤) أخرجه البخاري (١٤)، (١٥) واللفظ له، ومسلم (٤٤)، وفي رواية لمسلم: «أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» (٤٤).

قال ابن رجب رحمه الله: «فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات»[١].

سادساً: القبول المنافي للرد:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وثبت عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[٢].

قال الشيخ عبد الله بن جبرين: «ومن شروط ـ لا إله إلا الله ـ القبول المنافي للرد، فإن هناك من يعلم معنى الشهادتين ويوقن بمدلولها ولكنه يردهما كبراً وحسداً، وهذه حالة علماء اليهود والنصارى، فقد شهدوا بإلهية الله وحده، وعرفوا محمداً ﷺ كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك لم يقبلوه ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩].

وهكذا كان المشركون يعرفون معنى لا إله إلا الله وصدق محمد ﷺ، ولكنهم يستكبرون عن قبوله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٦٤.
(٢) أخرجه البخاري (٧٩).

يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥] وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]»[١].

وفي تفسير آية الصافات يقول ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ بطريق الدعوة والتلقين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن القبول يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون يستكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها[٢] فهم لا يقبلونها كما قبلها المؤمنون الموحدون، ولم ينقادوا لما دلت عليه من أداء حقوقها، ويدخل في ذلك حالة عُبّاد القبور كما هو مشاهد اليوم، فإنهم يقولون (لا إله إلا الله) ومع ذلك لا يتركون عبادة القبور والذبح لها، فهم وإن تلفظوا بالشهادة إلا أنهم غير قابلين لها وغير ملتزمين بما دعت له.

* الفرق بين الانقياد والقبول:

قال الشيخ عبدالله بن جبرين في الفرق بينهما: «أن الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول إظهار صحة معنىٰ ذلك بالقول، ويلزم منهما جميعا الاتباع، ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله». ثم ذكر ـ حفظه الله ـ الأدلة علىٰ الانقياد من القرآن فقال: «فهذا هو الانقياد لله تعالىٰ بعبادته وحده، فأما الانقياد للنبي ﷺ بقبول سنته، واتباع ما جاء به والرضىٰ بحكمه، فقد ذكره الله تعالىٰ بقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] فاشترط في صحة إيمانهم أن يسلموا تسليماً لحكمه، أي ينقادوا ويذعنوا لما جاء به من ربه. وقد يكون القبول بالقلب والانقياد بالقلب والجوارح فلا انقياد إلا بالقول. وقد

(١) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص٨٠، ٨١.

(٢) ينظر فيما سبق تفسير البغوي ٧/ ٣٩، وتفسير ابن كثير ٧/ ١١، وروح المعاني ١٢/ ٨١.

يكون القبول بالقلب والانقياد بالقلب والجوارح فلا انقياد إلا بالقبول»[١].

سابعاً: الإخلاص المنافي للشرك:

وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك بأن لا يقصد بقولها طمعاً من مطامع الدنيا ولا رياء ولا سمعة؛ لما جاء في الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢].

وسوف يأتي لهذا مزيد بحث في (الإخلاص).

٨ - نواقض الشهادتين:

نواقض لا إله إلا الله كثيرة جداً، وقد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه باباً خاصاً سمَّوه باب الردة، وسيأتي الكلام عنها مفصلاً في بابي (الردة) و(نواقض الإسلام).

٩ - متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله؟:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في شرح حديث: «إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» قال رحمه الله: «اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث، وحديث أنس قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال: «يا معاذ»: قال لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا حرمه الله على النار»[٣]... ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريباً، وحديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ـ الحديث وفيه ـ فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير

(١) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ٨١، ٨٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

شاك فيُحجب عن الجنة»[١].

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ وغيره: «أن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها. كما جاءت مقيدة وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين».

فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة.

فمَنْ شهِدَ أن لا إله إلاَّ الله خالصاً من قلبِه دخَل الجنَّـةَ؛ لأنَّ الإخلاصَ هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: «لا إله إلا الله»، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه أن يُفتن عنها عِنْدَ الموت فيُحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليداً وعادة ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يُفتن عِنْدَ الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: «سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحالة مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذاً لا يبقى في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

قلبه إرادةٌ لما حرم الله ولا كراهيةٌ لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار وإن كانت لـه ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلا يُمحى كما يُمحى الليلُ بالنهار»(١).

١٠ - فضل لا إله إلا الله:

انظر باب (فضل التوحيد وأهميته).

١١ - آثار لا إله إلا الله(٢):

وهي أكثر من أن تحصر لكن أذكر منها:

١ ـ النجاة في الدنيا والآخرة وتوفر الأمن والطمأنينة.

٢- اجتماع الكلمة كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٣ ـ الاستخلاف في الأرض والتمكين ودليله قولـه تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

٤ ـ عصمة الدم والمال والعرض لقولـه ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها، وحسابه على الله»(٣).

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٨٧، ٨٨.

(٢) للاستزادة انظر كتاب الشيخ صالح الفوزان عن: «لا إله إلا الله معناها، مقتضاها، آثارها في الفرد والمجتمع) ص ٣٦-٤٢.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، (٢٩٤٦) ومسلم (٢٠) واللفظ للبخاري.

٢- أبا جـاد*

تعريفه: «أبا جاد» هي الحروف العربية: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ؛ وهذه إذا استخدمت مربوطة بسير النجوم وتُعُلِّمت لادِّعاء علم الغيب فإنها تحرم.

قال ابن عَبَّاسٍ في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرىٰ من فعل ذلك له عِنْدَ الله من خلاق»(١).

فقوله: «يكتبون أباجاد» أي يقطعون حروف (أبجد هوز ... الخ) ويتعلمونها لادعاء علم الغيب.

و قوله: «ينظرون في النجوم»: أي ويعتقدون أن لها تأثيراً في الحوادث الكونية من دون الله.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها»(٢).

وأثر ابن عَبَّاسٍ منصرفٌ لمن يبتغي بِتعلم «أباجاد» معرفة علم الغيبِ والنظر في النجوم علىٰ اعتقاد أن لها تأثيراً فيما يحدث في الأرض، فهذا كله يدخل في العرافة، ومن فعله فقد أضاع نصيبه من الله.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وتعلم «أباجاد» **ينقسم إلى قسمين:**

---

* شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي ١٢/ ١٨٣. الدين الخالص لصديق حسن خان القنوجي ٢/ ٣٤٠. تيسير العزيز الحميد ص٤١٨. فتح المجيد ص٣٤٠. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٠٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٦٥، ط٢-٢/ ٧٨ ومن المجموع ٩/ ٥٤٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٣١٩.

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٦، والبيهقي في السنن ٨/ ١٣٩.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٥٤٧.

الأول: تعلم مباح بأن نتعلمها لحسابِ الجمل[١]، وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به وما زال أناس يستعملونها، حتى العلماء يؤرخون بها، قال شيخنا عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله في تاريخ بناء المسجد الجامع القديم:

جُـــد بالرِّضَـــا واعـــطِ المُنـــى ... مـــن سَـــاعدوا في ذا البنـــا

تاريخـــه حيـــن انتهـــى ... قـــول المنيـــب اغفـــر لنـــا

والـــشهر في شـــوال يـــا ... رب تقبـــل سعينـــا

فقولـه: «اغفر لنا» لو عددناها حسب الجمل صارت ١٣٦٢هـ.

وقد اعتنى بها العلماء في العصور الوسطى، حتى في القصائد الفقهية والنحوية وغيرها.

ويؤرخون بها مواليد العلماء ووفياتهم، ولم يرد ابن عَبَّاسٍ هذا القسم.

الثاني: محرم، وهو كتابة «أبا جاد» كتابة مربوطة بسير النجوم وحركتها وطلوعها وغروبها وينظرون في النجوم، ليستدلوا بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث في الأرض، إما على سبيل العموم كالجدب والمرض والحرب، وما أشبه

---

(١) وحساب الجمل قائم على حروف الهجا في اللغة العربية ويسمى الأبجدية وهي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. ويقابل كل حرف منها رقم عربي حسب الجدول الآتي:

جدول حساب الجمل تقابله الأرقام							
ا	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
ج	٣	ي	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
هـ	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

ذلك، أو على سبيل الخصوص، كأن يقول لشخص:سيحدث لك مرض أو فقر أو سعادة أو نحس في هذا، وما أشبه ذلك، فهم يربطون هذه بهذه، وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع في الأرض»[١].

وصورة «أباجاد» المحرمة: أن يخبر المنجم عن طريق الجمل بالمغيبات، فيتوصل بعدد حروف بعض الألفاظ ويربطها بنتائج يدعي على أساسها خبر في المستقبل.

ويقول الشيخ صالح آل الشيخ: «وفي الواقع هو لا يتحصل على العلم الغيبي عن طريق خط، أو عن طريق فنجان، أو عن طريق النظر في البروج؛ وإنما يأتيه العلم عن طريق الجن، وهو يُظهِر هذه الأشياء حتى يحصل على المقصود كي يصدق الناس أنه لا يستخدم الجن، وأنه ولي من الأولياء»[٢].

حكم تعلم أبا جاد تقدم قول ابن عباس رضي الله عنهما: «**ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق**».

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «(ما له من خلاق) أي من حظ ونصيب؛ لأن فيه ادِّعاء لعلم الغيب وهو كفر»[٣]. ومثله في **ادعاء علم الغيب ما يسمى بالجفر**.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ظاهر كلام ابن عَبَّاسٍ أنه يرى كفرهم؛ لأن الذي ليس لـه نصيب عِنْدَ اللهِ هو الكافر إذ لا ينفى النصيب مطلقاً عن أحد من المؤمنين وإن كان لـه ذنوب عذب بقدر ذنوبه أو تجاوز الله عنها، ثم صار آخر أمره إلى نصيبه الذي يجده عِنْدَ اللهِ»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٤٧، ٥٤٨. وانظر القول المفيد ط١. ٢/ ٦٤.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٢٥.

(٣) من شرح الشيخ رحمه الله على كتاب التوحيد.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٤٨. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٦٤.

٣- اتخاذ القبور عيداً*

العيد لغة:

قال الليث: «العيد: كلُّ يومِ مَجمع؛ وسُميَ عيدا لأنهم قد اعتادوه... واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه»(١).

والعيد شرعاً: قال شيخ الإسلام: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع الجاهلية، فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات. وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقاً. وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً، فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: «إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً»، والاجتماع والأعمال كقول ابن عَبَّاسٍ: «شهدت العيد مع رسول الله ﷺ»، والمكان كقوله: «لا تتخذوا قبري عيداً».

وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب كقول النبي

---

* شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي ١٢/ ٥١٣ ـ ٥٢٥. أحكام القرآن القرطبي ٦/ ٣٦٨. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٥ ـ ٤٨٨. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤١٥. شفاء الصدور ص٦١،٦٠. تيسير العزيز الحميد ص٢٠٠ـ٣٥٢. فتح المجيد ص١٧٧ـ٢٩١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٠٥ ـ ١٧١. القول المفيد لابن عثيمين ط١ ـ ١/ ٤٥٧، ط٢ ـ ١/ ٣٠٥، ٤٩١، ٥٨٠ ومن المجموع ٩/ ٤٤٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٥٩ ـ ٣/ ٥٩٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٨٣. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٠٣، ٢٩٥، ٧/ ١٩٨، ٢٠٧. الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٣٦. شرح مسائل الجاهلية ص١٢٩. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٤٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٦. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٣٠.

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ١٣١.

ﷺ لأبي بكر: «دعهما يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً»»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والعيد ما يعتاد مجيئه وقصده: من مكان وزمان.

فأما الزمان، فكقوله ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى: عيدنا أهل الإسلام»[٢].

وأما المكان، فكما روى أبو داود في سننه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال: «أبها وثن من أوثان المشركين، أو عيد من أعيادهم؟» قالا: لا. قال: «فأوف بنذرك»[٣]. وكقوله: «لا تجعلوا قبري عيداً»[٤].

والعيد: مأخوذ من المعاودة، والاعتياد، فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وانتيابه للعبادة، أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر، جعلها الله تعالى عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيداً.

وكان للمشركين أعيادٌ زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام، وعرفة، ومنى والمشاعر. فاتخاذ القبور عيداً هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى عنه رسول الله ﷺ في سيد القبور، منبها به على غيره»[٥].

* الدليل من السنة: عن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرْجَةً كانت عِنْدَ قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا فإن

---

(١) نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢) أخرجه أبوداود (٢٤١٩)، وأحمد (١٧٥١٤)، والترمذي (٧٧٣) وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠).

(٥) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠، ١٩١.

تسليمكم يبْلُغُنِي أينما كنتم»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حيث كنتم»(٢).

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان، ثم إنه قرن ذلك بقوله: «ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً» أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور(٣)، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عِنْدَ القبور. عكس ما يفعله المشركون من النصارى وأشباههم... قال: وهذا أفضل التابعين من أهل بيته علي بن الحسين ﷺ، نهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاءَ عِنْدَ قبره ﷺ، واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي ﷺ. وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضُّلاَّل. وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته كره أن يقصد الرجل القبر إذا لم يكن يريد المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيداً... فانظر هذه السنة كيف أن مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط»(٤).

---

(١) أخرجه ضياء الدين المقدسي في المختارة (٤٢٨)وأبو يعلى في مسنده (٤٦٩) وابن أبي شيبة(١١٨١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠).

(٣) هذا هو المعنى الأول. والمعنى الثاني: لا تدفنوا فيها موتاكم، وكلا المعنيين حق ولا يرِدُ عليه دفن الرسول ﷺ في بيته فإنه خاص به وبصاحبيه؛ لأن النبي ﷺ كان دائما يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» خرجه مسلم في صحيحه (٢٣٨٩). وروى الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة». سنن الترمذي (٣٦٦٩)، وقال: هذا حديث غريب.

(٤) هذا الكلام نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذُه الإمامُ ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ١٩٢، ١٩٣.

❖ **مفاسد اتخاذ القبور عيداً:**

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «وبالجملة فهذا الذي يُفعل عِنْدَ هذه القبور بعينه الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله: «لا تتخذوا قبري عيداً».

فإن اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنى العيد، فينهى عن دِقِّ ذلك وجُلِّه؛ لأنه إذا سُوِّغَ فعلُ القليل من ذلك أدَّى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله فيعتقدون ذلك المبتَدَع سنةً أو واجباً، كما هو مشاهد، قال: ويدخل في هذا ما يفعل بمصر عِنْدَ قبر «نفيسة»[١] وغيرها وقبر الدينوري أيضاً، أو ما يفعل بالعراق عِنْدَ القبر الذي يقال إنه عِنْدَ قبر علي وقبر الحسين، وحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي، وقبر موسى بن جعفر، ومحمد بن علي الجواد ببغداد، وعِنْدَ قبر أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وما يُفعل عِنْدَ قبر أبي بريدة البسطامي، إلى قبور كثيرة في أكثر بلاد الإسلام لا يمكن حصرها، كما أنهم بنوا على كثير منها مساجد وبعضها مغصوب، كما بني على قبر أبي حنيفة والشافعي وغيرهما»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «ثم إن في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضبُ لأجله كلُّ مَنْ في قلبه وقارٌ لله تعالى، وغَيْرَة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك ولكن: ما لجرح بميتٍ إيلامُ.

فمن مفاسد اتخاذها أعياداً: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر

---

(١) وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث، وُلدت بمكة ونشأت بالمدينة ثم انتقلت إلى القاهرة فتوفيت بها سنة ٢٠٨ هـ. ويحصل عِنْدَ مشهدها بمصر ما لا يرضي الله ﷻ من البدع والمناكير. شذرات االذهب ٢/ ٢١.

(٢) شفاء الصدور ص ٦١ .وانظر: الاقتضاء ٢/ ٧٣١.

والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من أنواع الطلبات، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم»[(١)].

❖ **حكم زيارة قبر النبي ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج منه:**

تقدم النهي عن ذلك في قول رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «وكره مالك وغيره من أهل العلم[(٣)] لأهل المدينة، كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر، أو أراد سفراً ونحو ذلك، ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأما قصده دائماً للصلاة والسلام فما علمتُ أحداً رخَّص به؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيداً، مع أنه قد شرع لنا إذا دخلنا للمسجد أن نقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، كما نقول ذلك في آخر صلاتنا. قال: فخاف مالكٌ وغيره أن يكون فعل ذلك عند القبر كل ساعة نوعاً من اتخاذ القبر عيداً، وأيضاً فإن ذلك بدعة، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ يجيئون إلى المسجد كل يوم لعلمهم ﷺ بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه، وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، وما أحسن ما قال مالك: لن يصلح آخر هذه الأمة

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٣، ١٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢). وأحمد (٨٧٩٠). وفي قوله ﷺ: «فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدا» إغاثة اللهفان ١/ ١٩٢..

(٣) انظر: الشفا في حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/ ٧٩، الرد على الأخنائي ٢٤، ١٥٠-١٥١-١٥٦-٢١٧-٢١٨، كتاب أحكام الجنائز ص٢٦٥ برقم (٢٠٤٢).

إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله، وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه»(١).

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما يدخل في ذلك دخولا أوّلياً ما هو مشاهدٌ اليوم في المدينة المنورة، من قصد الناس دبر كل صلاة مكتوبة قبرَ النبي ﷺ للسلام عليه والدعاء عِنْدَه وبه، يرفعون أصواتهم لديه، حتى ليضجّ المسجد بهم، ولا سيما في موسم الحج، حتى لكأن ذلك من سنن الصلاة! بل إنهم ليحافظون عليه أكثر من محافظتهم على السنن... ولا أحد منهم ينكر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وواأسفا على غربة الدين وأهله، وفي مسجد النبي ﷺ الذي ينبغي أن يكون أبعد المساجد ـ بعد المسجد الحرام ـ عما يخالف شريعته عليه الصلاة والسلام»(٢).

والبدع التي يتعلق بها العامة عِنْدَ قبر النبي ﷺ كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- إطالة القيام عِنْدَ القبر النبوي للدعاء لنفسه مستقبلاً الحجرة(٣).
- استقبال القبر في الصلاة مع استدبار الكعبة(٤).
- الاستسقاء بالكشف عن قبر النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين(٥).

ومن البدع المتعلقة بقبر النبي ﷺ (شد الرحل لزيارة قبره) وقد بسطت الكلام عنه في باب (شد الرحال).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٧٥.

(٢) أحكام الجنائز ص٢٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٨٦. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٦ رقم ٢٣٥، وانظر بحث ذلك في باب الدعاء تحت عنوان: «هيئة الداعي عند قبر النبي ﷺ».

(٤) أحكام الجنائز الألباني ٢٦٥ رقم ٢١٧، وانظر تفصيل ذلك في الرد على البكري ١/ ٨٨.

(٥) أحكام الجنائز الألباني ٢٦٧ رقم ٢٣٨.

٤- اتخاذ القبور مساجد*

[البناء على القبور]

قال ابن حجر الهيثمي: «واتخاذ القبر مسجداً معناه الصلاة عليه أو إليه»[١].

وقال الصنعاني: «واتخاذ القبور مساجد أعم من أن يكون بمعنى الصلاة إليها أو بمعنى الصلاة عليها»[٢].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «قوله: «لعن الله اليهود والنصارى»... إلى آخره، لعنهم ﷺ على هذا الفعل بعينه، وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، أي: كنائس وبِيَع يتعبدون ويسجدون فيها لله، وإن لم يسموها مساجد، فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم. ومثل ذلك القباب والمشاهد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، فإنها هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم وإن لم

* التمهيد لابن عبد البر ١/ ٦٥. ٥/ ٤٣، ٢٣١. ٥/ ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٩، ٦/ ٣٨٣، ٣٨٤ الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ٥٧. المحلى بالآثار لابن حزم ٢/ ٣٤٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٧٩، ٣٨٠. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٩٢. مجموع الفتاوى ١/ ١٦٣، ٢٣٩، ٣٥٣، ٤/ ٥٢١، ٢٧/ ٣٣، ١٤٧، ١٨١، ٤٤٤. تفسير سورة الإخلاص ص١٩٢. الرد على البكري ٧١. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٤، ١٩٨. شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور لمرعي الحنبلي ص٤٠. أحكام الجنائز ص٤٨،٦٤، ٢٦٥. تيسير العزيز الحميد ص٣٢٦. فتح المجيد ص٢٦٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥٩. القول المفيد لابن عثيمين ط ١-١/ ٤٥٦. ط٢-١/ ٥١٨، ٥٢٠، ومن المجموع ٩/ ٤٥٦. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١٥٦ شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٢٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٩١. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٣٦. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٦٤٦، ١٦٣٥. التبرك د ناصر الجديع ص٣٣١، ٤١١. معجم البدع، رائد بن صبري بن أبي علفه ص ١٤٣، ١٤٤.

(١) الزواجر ١/ ١٢١.

(٢) سبل السلام ١/ ٢٤١.

يسمها من بناها مساجد. وفيه رد على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزا لهم عن غيرهم، فإذا كان النبي ﷺ لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء، فكيف بمن بناها على قبور غيرهم؟!»(١).

وفي حديث: «ألا وإن من كـان قبلكم كانوا يتخـذون القبور مساجد...»(٢) الحديث. قال الخلخالي: «وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم.

الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم، والتوجه إليها حالة الصلاة نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله، والمبالغة في تعظيم الأنبياء.

والأول: هو الشرك الجلي.

والثاني: الخفي، فلذلك استحقوا اللعن»(٣).

* الدليل من السنة: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ(٤) وَأُمُّ حَبِيبَةَ(٥) رضي الله عنهما أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «أُولَئِكِ إِذا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ». وفي الرواية الأخرى: «أُولَئِك شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَة»(٦).

وعن عائشة وعبد الله بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٢٤.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٢٨.

(٤) هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية رضي الله عنها.

(٥) هي: رملة بنت أبي سفيان القرشية الأموية رضي الله عنها.

(٦) أخرجه البخاري (٤٢٧)، (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٨).

خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد»[(٣)].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ وفي رواية ـ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٤)].

وعنه عن النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً[(٥)] لعن الله قوما اتخذوا قبور

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩). وقولها (أبرز قبره) أي كشف قبره ودفن خارج بيته. قال الألباني رحمه الله: «وسبب دفنه ﷺ في بيته هو سد الطريق على من عسى أن يبني عليه مسجداً». انظر تحذير الساجد ص ١١.

* فائدة: الرسول ﷺ دفن في بيته لحديث أبي بكر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لن يقبر نبي إلا حيث يموت». أخرجه أحمد في المسند (٢٧) والترمذي بلفظ آخر (١٠١٨) وضعفه، وضعفه ابن كثير في البداية ٥/٢٦٦. وكذلك فعل الصحابة حيث دفنوه في بيته لأنهم خشوا أن يتخذ قبره مسجداً. انظر للاستزادة حول قبر النبي ﷺ باب (اتخاذ القبور عيداً).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٤٤)، (٤١٤٣)، (٤٣٤٢). والطبراني (١٠٤١٣)، وابن حبان (٦٨٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

(٥) في رواية مالك في الموطأ (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) (٣٧٦). قال الشيخ سليمان ابن عبد الله في تيسير العزيز الحميد ص٣٤٠: «قد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ، فمنع الناس من الوصول إلى قبره لئلا يعبد استجابة لدعاء رسوله ﷺ كما قال ابن القيم:

فأجاب ربُّ العالمين دُعاءَهُ ** وأحاطه بثلاثةِ الجدرانِ)

أنبيائهم مساجد»[١].

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألاَ فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»[٢].

أقوال العلماء:

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «فقد نهى عنه في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله. والصلاة عِنْدَها من ذلك، وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يُتخذ مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»»[٣].

وقد جاءت الأحاديث في تحريم الصلاة إلى القبور.

فعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٥٢). والحميدي رقم (١٠٥٥) وصححه البزار وابن عبد البر كما في تنوير الحوالك ١/ ١٦ وشرح الزرقاني ١/ ٣٥١.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) الاقتضاء ٢/ ٦٦٨. وانظر: منهاج السنة ١/ ٤٧٥، ٢/ ٤٣٦.

(٤) أخرجه مسلم (٩٧٢).

وعن ابن عَبَّاسٍ مرفوعاً: «لا تصلوا إلىٰ قبر ولا تصلوا علىٰ قبر»[١]. وغيرها من الأحاديث.

فيدخل في المنع من اتخاذ القبور مساجد الصور الآتية:

١ ـ الصلاة علىٰ القبر أو عِنْدَه[٢].

٢ ـ الصلاة إلىٰ القبر.

٣ ـ بناء المسجد علىٰ القبر.

وتفصيل ذلك علىٰ ما يلي:

١. الصلاة عِنْدَ القبر:

وجاء صريح النهي في ذلك: ففي صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب ﷺ رأىٰ أنس بن مالك يصلي عِنْدَ قبر، فقال: «القبرَ، القبرَ ولم يأمره بالإعادة»[٣]. وهذا يدل علىٰ أنه كان من المستقر عِنْدَ الصحابة ﷺ، ما نهاهم عنه نبيهم ﷺ من الصلاة عِنْدَ القبر. وفعل أنس ﷺ لا يدل علىٰ اعتقاده جوازه؛ فإنه لم يره، أو لم يعلم أنه قبر، فلما نبهه عمر ﷺ تنبه. ويشهد لهذا ما أخرجه البيهقي في السنن عن أنس قال: «قمت يوماً أصلي وبين يدي قبر لا أشعر به فناداني عمر: «القبر، القبر» فظننت أنه يعني القمر فقال لي بعض من يليني إنما يعني القبر فتنحيت عنه»[٤].

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٠٥١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٤٤٤. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٨. أحكام الجنائز ص٦٤.

(٣) أخرجه البخاري معلقا كتاب الصلاة. باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية؟.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٤٣٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٨١)، وابن حجر في تغليق التعليق ٢/ ٢٢٨.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٢)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥)، وأحمد (١١٨١٠).

أما الصلاة علىٰ القبر فإنها أعظم شراً من الصلاة عِنْدَه. وفيه حديث ابن عَبَّاسٍ الآنف الذكر وفيه: «ولا تصلوا علىٰ قبر»(١).

وسيأتي مزيد تفصيل عن حكم العبادة عند القبر في باب «العبادة».

٢ ـ الصلاة إلى القبر:

لحديث أبي مرثد الغنوي: «لا تصلوا إلىٰ القبور»(٢).

قال المناوي: «أي مستقبلين إليها، لما فيه من التعظيم البالغ، لأنه من مرتبة المعبود، فجمع بين النهي عن الاستخفاف بالتعظيم والتعظيم البليغ»(٣).

وهذا النهي محمول علىٰ تحريم الصلاة إلىٰ القبر لظاهر النهي، وقد أبعد من قال إن المراد كراهة التنزيه قال النووي: كذا قال أصحابنا. ولو قيل بتحريمه لظاهر الحديث لم يبعد.

قال الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز: «ويؤخذ من الحديث النهي عن الصلاة في المقبرة. فهو مكروه كراهة تحريم. وينبغي أن يعلم أن التحريم المذكور إنما هو لمن لم يقصد بالاستقبال تعظيم القبور وإلا فهو شرك. قال الشيخ علي القاري في شرحه لهذا الحديث: ولو كان هذا التعظيم حقيقة للقبر ولصاحبه لكفر المعظم، فالتشبه به مكروه وينبغي أن يكون كراهة تحريم»(٤).

وقال القاضي البيضاوي: «لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة ويتوجهون في الصلاة نحوها فاتخذوها أوثانا لعنهم الله

---

(١) انظر للاستزادة التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٢٧٩، ٣٤٤ وكتاب عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص١٦٦.

(٢) مسلم (٩٧٢).

(٣) فيض القدير نقلا عن أحكام الجنائز ص٦٤.

(٤) أحكام الجنائز ص ٢١٠ ـ ٢١١. وانظر قول القاري في المرقاة ٢/ ٣٧٢.

ومنع المسلمين عن مثل ذلك ونهاهم عنه»[(١)]. أما من جعل القبر بينه وبين القبلة حال صلاته فإنه يمنع من ذلك؛ لأنه يفضي للغلو والتعظيم.

٣. بناء المسجد على القبر:

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر لأن النبي ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك» وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غيّر، إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا وإن كان المسجد بني بعد القبر، فإما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر، فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل، فإنه منهي عنه»[(٢)].

قال الهيتمي: «الكبيرة الثالثة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد ـ ثم ساق بعض الأحاديث المتقدمة وغيرها ـ فقال:... وعدُّ هذه من الكبائر وقَعَ في كلام بعض الشافعية، وكأنه أخذ ذلك مما ذكره من هذه الأحاديث، ووجهه واضح، لأنه لعن من فعل ذلك بقبور أنبيائه، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عِنْدَ الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: يحذر ما صنعوا. أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا. قال بعض الحنابلة: قصد الرجل الصلاة عِنْدَ القبر متبركا بها عين المحادة لله ورسوله، وابتداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها. وقال: فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عِنْدَها. واتخاذها مساجد. أو بناؤها عليها، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك، إذ لا

---

(١) انظر فيض القدير للمناوي وتحذير الساجد ص ٣٢ ـ ٣٣. وانظر لمسألة استقبال القبر في الصلاة مع استدبار الكعبة: الاقتضاء ص٢١٨.

(٢) الفتاوى ١/ ١٠٧. ٢/ ١٩٢. وانظر أقوال الأئمة الأربعة في ذلك في كتاب تحذير الساجد ص٤٨.

يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ لعن فاعله»[١].

* أحكام وفوائد:

١. حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر أو الصلاة بين القبور[٢]:

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «تُكره الصلاة في المقابر من غير خلاف أعلمه، وتحرم في مذهب الإمام أحمد ولا تصح في ظاهر المذهب، وعليه جمهور الحنابلة وبه يفتى لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»[٣]»[٤].

وقال الألباني رحمه الله: «وقد دل الحديث وما ذكر معه على كراهة الصلاة في المقبرة. وهي للتحريم لظاهر النهي في بعضها، وذهب بعض العلماء إلى بطلان الصلاة فيها لأن النهي يدل على فساد المنهي عنه. وهو قول ابن حزم، واختاره شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ، والشوكاني في نيل الأوطار[٥]. وروى ابنُ حَزْمٍ[٦] عن الإمام أحمد أنه قال: من صلى في مقبرة أو إلى قبر أعاد أبداً... قال الألباني بعد ذلك: ... ثم إن كراهة الصلاة في المقبرة تشمل كل مكان منها سواء كان القبر أمام المصلي أو خلفه أو عن يمينه، أو عن يساره. لأن النهي مطلق. ومن المقرر في علم الأصول أن المطلق يجري على إطلاقه حتى يأتي ما يقيده، ولم يرد هنا شيء من ذلك، وقد صرح بما ذكرنا بعض فقهاء

---

(١) الزواجر ١/ ١٢٠، ١٢١.

(٢) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٦٧، ٢٧٥. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٥٨، ٧٥٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٣٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر الجواب الباهر ص ٢٦.

(٥) نيل الأوطار ٢/ ١١٢.

(٦) المحلى ٤/ ٢٧ ـ ٢٨.

الحنفية وغيرهم كما يأتي، فقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ[١]: ولا تصح الصلاة في المقبرة ولا إليها، والنهي عن ذلك إنما هو سد لذريعة الشرك وذكر طائفة من أصحابنا أن القبر والقبرين لا يمنع من الصلاة، لأنه لا يتناول اسم المقبرة، وإنما المقبرة ثلاثة قبور فصاعدا. وليس في كلام أحمد وعامة أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم وتعليلهم واستدلالهم يوجب منع الصلاة عِنْدَ قبر واحد من القبور، وهو الصواب. والمقبرة كل ما قبر فيه، لا أنه جمع قبر. وقال أصحابنا: وكل ما دخل في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلىٰ فيه، فهذا يعين أن المنع يكون متناولا لحرمة القبر المنفرد وفنائه المضاف إليه. وذكر الآمدي وغيره أنه لا تجوز الصلاة فيه أي المسجد الذي قبلته إلىٰ القبر حتىٰ يكون بين الحائط وبين المقبرة حائل آخر. وذكر بعضهم: هذا منصوص أحمد»[٢].

وسوف يأتي زيادة إيضاح عن حكم الصلاة في المساجد المبنية علىٰ القبور في باب (الـمَشاهِد) تحت عنوان حكم الصلاة في المشاهد.

❖ **مسألة:**

استثني من ذلك الصلاة علىٰ الجنازة لفعل النبي ﷺ علىٰ المرأة السوداء. ومذهب بعض الفقهاء أنه يمتد إلىٰ شهر، لفعل النبي ﷺ حيث صلىٰ علىٰ قبر أم سعد بعد ما قدم من سفر وقد مضىٰ شهر[٣].

قال نافع مولىٰ ابن عمر: «صلينا علىٰ عائشة وأم سلمة وسط البقيع والإمام يومئذ أبو هريرة وحضر ذلك ابن عمر»[٤].

---

(١) الاختيارات العلمية ص ٣٥.

(٢) أحكام الجنائز ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) سنن الترمذي (١٠٣٧).

(٤) سنن البيهقي ٢/ ٤٣٥، مصنف عبدالرزاق ١/ ٤٠٧.

قال ابن المنذر: «وصلىٰ الحسن البصري في المقابر»[١].

والمقصود أنه صلىٰ علىٰ جنازة، فإنه قد روي عنه أنه أمر بهدم المساجد المبنية في المقابر.

٢. الحكمة في النهي عن الصلاة في المقبرة أو بين القبور:

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «والنهي عن ذلك إنما هو سَدٌّ لذريعة الشرك»[٢].

ونقل عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال شيخنا: وهذه العلة هي التي لأجلها نهىٰ الشارع عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم لكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعتقد صلاحه أقرب إلىٰ النفوس من الشرك بخشبة أو حجر؛ ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عِنْدَها ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عِنْدَها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد. كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهىٰ أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة. قال: «وأما إذا قصد الرجل الصلاة عِنْدَ القبور متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ أن الصلاة

---

(١) الأوسط لابن المنذر ٢/ ١٨٥.

(٢) الاختيارات العلمية ص ٢٥.

عِنْدَ القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد. فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عِنْدَها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه»[(١)].

وقال الأثرم: «إنما كُرهت الصلاة في المقبرة للتشبه بأهل الكتاب؛ لأنهم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»[(٢)].

وقال ابن القيم: «وأبلغ من هذا: أنه نهى عن الصلاة إلى القبر، فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة. فروى مسلم في صحيحه عن أبي مرثد الغنوي رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها» وفي هذا إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ وهو باطل من عدة أوجه:

* منها: أن الأحاديث كلها ليس فيها فرقٌ بين المقبرة الحديثة والمنبوشة، كما يقوله المعللون بالنجاسة.

* ومنها: أنه ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد. ومعلوم قطعا أن هذا ليس لأجل النجاسة. فإن ذلك لا يختص بقبور الأنبياء، ولأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، وليس للنجاسة عليها طريق البتة، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم، فهم في قبورهم طريّون»[(٣)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «بل العلة في ذلك الخوف على الأمة أن يقعوا فيما وقعت فيه اليهود والنصارى، وعباد اللات والعزى من الشرك، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٩.

(٣) انظر للاستزادة إغاثة اللهفان ١/ ١٨٦.

قطعا أن هذا ليس لأجل النجاسة، لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم فهم في قبورهم طريون.

وقد لعن النبي ﷺ متخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما هو لعن فاعله، لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعلها نصبا يوفض إليها المشركون كما هو الواقع، فهكذا اتخاذ المساجد عليها»[١].

وقال رحمه الله: «وممن علل بخوف الفتنة والشرك الشافعيُّ وأبو بكر الأثرم وأبو محمد المقدسي وشيخ الإسلام وغيرهم وهو الحق»[٢].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومعلوم أن من صلى عِنْدَ قبر فقد اتخذه مسجدا، ومن بنى عليه ليصلي فيه فقد اتخذه مسجداً، فالواجب أن تبعد القبور عن المساجد وألا يجعل فيها قبور امتثالاً لأمر الرسول ﷺ وحذرا من اللعنة التي صدرت من ربنا ﷻ لمن بنى المساجد على القبور، لأنه إذا صلى في مسجد فيه قبور قد يزين لـه الشيطان دعوة الميت، أو الاستغاثة به، أو الصلاة له، أو السجود لـه، فيقع في الشرك الأكبر، ولأن هذا من عمل اليهود والنصارى، فوجب أن نخالفهم وأن نبتعد عن طريقهم وعن عملهم السيئ والله ولي التوفيق»[٣].

٣. حكم الصلاة في الكنيسة[٤]:

تقدم حديث أم سلمة حين ذكرت لرسول الله الكنيسة بأرض الحبشة وما رأت فيها من الصور فقال رسول الله ﷺ: «أولئكِ إذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئكِ شرار الخلق عند الله»[٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٢٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٣٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص ٧٦٠ .

(٤) المحلى لابن حزم ٢/ ٣٩٩، ٣/ ١٠٠.

(٥) سبق تخريجه.

وبوب عليه البخاري: «باب الصلاة في البيعة، وقال عمر: إنا لا ندخل كنائسهم من أجل التماثيل التي فيها الصور. وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعةً فيها تماثيل»[(١)].

وقد رخص سفيان في الصلاة في البيعة إذا لم يكن فيها تماثيل، وكره مالك الصلاة في البيع والكنائس لنجاستها في أقدامهم ولما فيها من الصور، وقال:«لا ينزل بها إلا من ضرورة»[(٢)].

قال ابن رجب: «ورخص أكثر أصحابنا في دخول ما ليس فيه صورة منها، والصلاة فيها، وكرهه بعضهم، منهم: ابن عقيل[(٣)].

وحكى ابن المنذر وغيره الرخصة في الصلاة في البيعة التي فيها صور منهم أبو موسى، والحسن، والشعبي، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز[(٤)]، والراجح أنه لا بأس بالصلاة في الكنيسة لكن يحمل على ما روي عن عمر رضي الله عنه وهو ألا يكون فيها صور وتماثيل.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «ما بالنسبة للصلاة في الكنيسة فإن الصلاة تخالف صلاة أهل الكنيسة فلا يكون الإنسان متشبهاً بهذا العمل بخلاف الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، فإن الفعل واحد بنوعه وجنسه؛ ولهذا لو أراد إنسان أن يصلي في مكان يذبح فيه لغير الله لجاز ذلك لأنه ليس من نوع العبادة التي يفعلها المشركون في هذا المكان»[(٥)].

ولا يقال بكراهة الصلاة في الكنيسة لأنها محل الكفر.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب رقم (٥٤) انظر فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٣٦.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن رجب.

(٣) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٣٦.

(٤) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٤٣٧.

(٥) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٣٥. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٢٤٢.

قال ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «فإن قيل: تكره ـ أي الصلاة في الكنائس ـ لكونها محل كفر. قيل: الصلاة في محل الكفر بمنزلة فتح دار الكفر وجعلها دار إسلام وبمنزلة صلاة المسلمين في دار الحرب وقد أمر النبي ﷺ ثقيفاً أن يتخذوا مسجدهم موضع بيت اللات بعد هدم اللات»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله: «فإن قيل: لِمَ جعل محل اللات بالطائف مسجداً؟ قيل: لو ترك هذا المحل بهذه البلدة خشي أن يُفتتن به، فيرجع إلى جعله وثنا فجعلُه مسجداً والحالة هذه يُنسي ما كان يفعل فيه ويذهب به أثر الشرك فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المعارض»[(٢)].

أما حكم زيارة الكنيسة فالمنصوص عن أحمد في ذلك كراهة دخولها في مجامعهم وأعيادهم. وقال شيخ الإسلام: «وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فمنهيٌّ عنها، فمن زار مكاناً من هذه الأمكنة معتقداً أن زيارته مستحبة، والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل»[(٣)].

٥- احترام أسماء الله الحسنى *

[توحيد الأسماء والصفات]

---

(١) الرد على البكري ٥٧٠، ٥٧١.

(٢) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١٠٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤).

* تيسير العزيز الحميد ص٦٢٣. فتح المجيد ص٥٠٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١٦. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١٢، ٧٢. ط٢ - ٣/ ١٥. ومن المجموع ١٠/ ٨٤١. معارج القبول ١/ ٦٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٩٥.

٦- الإحداد على الزعماء والوجهاء

قال النووي رحمه الله: «الإحداد: من الحد وهو المنع؛ لأن المرأة تُمنع الزينة»(١) فهي تحد على زوجها إذا حزنت عليه ولبست ثياب الحزن وتركت الزينة(٢).

والمقصود هنا الكلام عما يفعله بعض الناس من الوقوف زمناً مع الصمت تحية للشهداء والوجهاء أو تشريفاً أو تكريماً لأرحامهم. انظر باب التعظيم.

٧- الإحسان*

الإحسان لغة: يقال أحسن إذا فعل ما هو حسن، وهو كل مبهج مرغوب فيه(٣).

قال الراغب: «والإحسان يُقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يُقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله»(٤).

يقال: حسَّن الشيءَ تحسيناً أي زيَّنه، وأحسن عمله إذا أتقنه وأتمه وأجاد صنعه(١).

---

(١) تحرير ألفاظ التنبيه ص٢٨٥.

(٢) ينظر: النهاية لابن الأثير ١/ ٣٥٢.

والمقصود هنا الكلام عن ما يفعله بعض الناس من الوقوف زمناً مع الصمت تحية للشهداء والوجهاء، أو تشريفاً أو تكريماً لأرواحهم. انظر: باب التعظيم.

* مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢٢. شرح النووي ١/ ١٥٨، مدارج السالكين ٢/ ٤٧٨، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٤. فتح الباري لابن رجب ١/ ٢١١. الفتح ١/ ١٤٧. حاشية الأصول الثلاثة ص ٦٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ٢١٤. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ١١٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ١٠٦. معارج القبول ٢/ ٣٣، ٢/ ٣٢٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٦٦٣. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٢١٦.

(٣) المفردات (ح س ن)، المعجم الوجيز (ح س ن).

(٤) المفردات (ح س ن).

والإحسان شرعاً: بيَّنه النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢].

قال الحافظ ابن رجب: «الإحسان هو: أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته؛ فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة»[٣].

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وقال عز من قائل: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠].

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزاً يَوْماً لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رجلٌ فقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ» قَالَ: مَا الإِسْلامُ؟ قَالَ: «الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا اللهُ» ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»[٤].

(١) مختار الصحاح (ح س ن)، المعجم الوجيز (ح س ن).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩).
(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٦.
(٤) أخرجه البخاري (٥٠) (٤٧٧٧) ومسلم (٩١).

أقوال العلماء:

قال النووي: «فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالىٰ في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلىٰ مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالىٰ مطلعاً عليه في سره وعلانيته»(١).

وقال الحافظ ابن رجب: «وقوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه ...» إلخ يشير إلىٰ أن العبد يعبد الله تعالىٰ علىٰ هذه الصفة وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة ﵁: «أن تخشى الله كأنك تراه» ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها، وقد وصى النبي ﷺ جماعة من الصحابة بهذه الوصية»(٢).

قال ابن القيم: «وهي لب الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منطوية فيها»(٣).

*** أحكام وفوائد:**

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدين يجمع هذه المسميات الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان كما في حديث جبريل حين جاء إلىٰ النبي ﷺ بحضرة أصحابه وسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، وبَيَّن النبي ﷺ كل واحد منها ثم قال: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»، فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة.

لكن هو درجات ثلاث: مسلم ثم مؤمن ثم محسن، فأولها الإسلام، وأوسطها

---

(١) شرح النووي ١/ ١٥٨.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٣.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤٥٩.

الإيمان، وأعلاها الإحسان»[١].

٢- ذكر ابن رجب رحمه الله أن للإحسان مقامين فقال:

(أحدهما: مقام الإخلاص: وهو أن يعمل العبدُ على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، وقُربه منه، فإذا استحضر العبدُ هذا في عمله، وعمل عليه، فهو مخلصٌ لله؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهدة: وهو أن يعمل العبدُ على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنوَّر القلبُ بالإيمان، وتنفُذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان.

وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهلُ هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر»[٢].

٣- بين الإسلام والإيمان والإحسان عموم وخصوص:

الإسلام والإيمان إذا ذُكر أحدهما مفرداً دخل فيه الآخر، فلا فرق بينهما حينئذ، وإذا ذُكرا جميعاً صار لكل واحد منهما معنىً يختلف عن الآخر، كما جاء ذلك في حديث جبريل حيث فرق بينهما ففسر الإسلام: بأعمال الجوارح وهي الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة، وفسر الإيمان: بأعمال القلب، وهي الأعمال الباطنة من تصديق القلب وإقراره ومعرفته بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما ما بين هذه الثلاثة من عموم وخصوص، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإحسان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإيمان، والإيمان أعم

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٠ بتصرف.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٩.

من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين»[١].

قال ابن قاسم رحمه الله: «وكل ما أطلق الإحسان، فإنه يدخل فيه الإيمان، والإسلام، فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر، أوسعها دائرة الإسلام، ثم يليها في السعة الإيمان، ثم أضيقها الإحسان، كدوائر، كل واحدة منها محيطة بالأخرى.

ومعلوم: أن من كان في دائرة الإحسان، فهو داخل في الإسلام والإيمان وإذا خرج عن الأولى، فهو داخل في الثانية، وهي دائرة الإيمان، وإذا خرج عنها فهو داخل في الثالثة. وهي دائرة الإسلام، ومن خرج عن هذه الدوائر الثلاث، فهو خارج إلى غضب الله وعقابه، وداخل في دوائر الشيطان، والعياذ بالله.

فظهر بالتمثيل بهذه الدوائر: صحة قول من قال، كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا محسناً، فلا يلزم من دخوله في الإسلام، أن يكون داخلا في الإحسان والإيمان، وليس المراد: أن من لم يكن في الإحسان، والإيمان، أن يكون كافراً، بل يكون مسلماً، ومعه من الإيمان ما يصحح إسلامه، لكن لا يكون مؤمناً الإيمان الكامل، الذي يستحق أن يثنى عليه به، فإنه لو كان مؤمناً الإيمان الكامل، لمنعه من المعاصي والمحرمات.

وقيل للنبي ﷺ: أعطيتهم وتركت فلاناً، وهو مؤمن. فقال: «أو مسلم».

وقال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» الحديث.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ١٠.

وقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه» فالنصوص ما نفت عنهم الإسلام، بل أثبتت لهم أحكام الإسلام من عصمة الدم، وإذا ماتوا، غُسّلوا وكُفّنوا وصُلّي عليهم. فأهل الإحسان، هم خواص أهل الإيمان، كما أن أهل الإيمان هم خواص، أهل الإسلام. فإن أهل الإحسان: كملوا عبادة الله، إلىٰ أن وصلوا إلىٰ حد المراقبة»[1].

ولمزيد من التفصيل انظر باب (الإسلام) فقد توسعت فيه في ذكر الفرق بين الإسلام والإيمان.

٨- الأحوال التي تجري على يد السحرة والكهان

[الكهانة ـ السحر]

ونقصد بذلك التفريق بين الكرامة والأحوال الشيطانية، وهذه الأخيرة ينخدع بها كثير ممن يستغيث بغير الله فيستنجد بالمقبور ويستغيث بالقبور كما ينخدع بها من يصدق الكهان والسحرة والمشعوذين.

والحال الشيطانية تكون علىٰ يد السحرة والكهان وأمثالهم من الفجرة[2] فهم أولياء الشيطان وجنوده وأنصاره.

وسوف نفصل ما أجملناه هنا عند الكلام عن الفرق بينها وبين الكرامة. انظر باب (الكرامة).

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص٦٥، ٦٦.

(٢) النبوات ص٤.

٩- الإخــلاص*

[لا إله إلا الله ـ الرياء]

الإخلاص في اللغة: التصفية والتنقية.

قال ابن فارس: «خَلَصَ: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد وهو: تنقية الشيء وتهذيبه»(١).

وقال الجوهري: «خَلَصَ الشيء بالفتح، يَخْلُصُ خُلُوصاً، أي: صار خالصًا، وخلَصَ إليه الشيء: وصل، وخَلَصْتُه من كذا تخليصاً، أي: نحيته فتخلص، وخلاصة السمن بالضم: ما خلص منه.

والإخلاص أيضًا في الطاعة: ترك الرياء. وخالصه في العشرة أي: صافاه وهذا الشيء خالصة لك، أي: خاصة»(٢).

ويسمى الفعل المخلص: إخلاصاً، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: ٦٦].

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣٥٨. شعب الإيمان للبيهقي ١٢/ ٢٤٠، ٢٤١. قواعد الأحكام للعز ابن عبد السلام١/ ١٢٣. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٣٥. التحفة العراقية ص٢٦، ٦٥. مختصر منهاج القاصدين ص ٣٩٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٦٠. مدارج السالكين ٢/ ٩٣. تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب. ذم الرياء. تحقيق د. محمد باكريم.غذاء الألباب ٢/ ٥٢٠. الدين الخالص لصديق حسن قنوجي ٢/ ٣٠٨. معارج القبول ١/ ٣١١. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص ١٧. نور على الدرب ص٣٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٩٨ ـ ٧/ ١١٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٩، ٧٢. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص١٥٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص١٥٨، ١٩٢. جهود علماء الحنفية في إيطال عقائد القبورية ١/ ١٧ الإخلاص حسين عوايشة.

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٨.

(٢) الصحاح ٣/ ١٠٣٧.

وخلوص اللبن ألاّ يكون فيه شوب من الفرث والدم[١].

الإخلاص في الشرع: تخليص العبادة وتصفيتها من شائبة الشرك والرياء.

قال الراغب الأصبهاني: «فحقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالىٰ»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الإخلاص هو التنقية، والمراد به هنا أن يقصد المرء وجه الله ﷻ والوصول إلىٰ دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا مَلَكاً مقرباً ولا نبياًمرسلاًقال الله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣]»[٣].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢،٣]. وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:١٤،١٥] وقال لـه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣].

* **الدليل من السنة:** عَنْ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٤].

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٨.

(٢) المفردات ص٢٩٣.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٣١.

(٤) أخرجه البخاري في أول صحيحه رقم (١) كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ومسلم رقم (١٩٠٧).

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالىٰ إلا ازددت به خيراً ودرجة ورفعة»[(١)].

وسُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء ويقاتل شجاعة ويقاتل حمية أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[(٢)].

قال ﷺ: «ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فُتحت له أبواب السماء حتىٰ تفضي إلىٰ العرش ما اجتنب الكبائر»[(٣)].

وأخبر الرسول ﷺ عن أول ثلاثة تُسعر بهم النار: «قارئ القرآن والمجاهر والمتصدق بماله» الذين فعلوا ذلك ليقال فلان قارئ فلان شجاع فلان متصدق ولم تكن أعمالهم خالصة لله[(٤)].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالىٰ: «أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[(٥)].

وفي الصحيح عنه ﷺ: «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم ولا إلىٰ صوركم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم»[(٦)].

* أقوال بعض السلف:

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه «من خلصت نيته كفاه الله تعالىٰ ما بينه وبين الناس».

---

(١) البخاري (٤٤٠٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٢) البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٣) قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

وقال بعضهم: «الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازيا سواه».

وقال مكحول: «ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١).

وقال أبو سليمان الداراني: «إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء»(٢).

*** أحكام وفوائد:**

١. حكم الإخلاص:

العمل لا يُقبل إلا بشرطين أساسيين:

* أحدهما: الإخلاص.

* الثاني: المتابعة.

فالإخلاص: هو أحد شرطي قبول العمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]. وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى

---

(١) قال شيخ الإسلام: «حكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوماً، فلم يتفجر شيء فذكرت ذلك لبعض العارفين. فقال لي: إنما أخلصت للحكمة ولم تخلص لله. ثم قال شيخ الإسلام: وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس لـه ومدحهم إياه أو غيره من المطالب قد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص وإرادة وجهه كان متناقضاً، لأن من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته والأول يُراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً أو عارفاً أو ذا حكمة، أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يُرد الله، بل جعل الله وسيلة إلى ذلك المطلوب الأدنى» درء تعارض العقل والنقل ٦/ ٦٦.

(٢) انظر هذه الأقوال في مدارج السالكين ٢/ ٩٣، ٩٤.

بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:١،٢].

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: «أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتىٰ يكون خالصاً صواباً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان علىٰ السنة»(١).

ويقول شيخ الإسلام: «وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان:

أحدهما: ألا نعبد إلا الله.

والثاني: ألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة.

وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله كما قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾»(٢).

وبهذا يتبين أن الإخلاص والمتابعة شرطان لصحة العمل وقبوله.

قال العز بن عبد السلام: «وكذلك إخلاص العبادة شرط في أولها»(٣).

وقال الزبيدي: «واعلم ـ وفقك الله تعالىٰ ـ أن الإخلاص شرط في سائر العبادات»(٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة»(٥).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٣٣٣.

(٣) قواعد الأحكام ص ١٧٦.

(٤) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١٠/ ٤٩.

(٥) فتح المجيد ص ٣٢٩.

٢. منزلة الإخلاص وفضله:

للإخلاص منزلةٌ عالية في الشرع، وجاءت الآيات والأحاديث والآثار بالحث عليه والترغيب فيه وبيان فضله، فهو للعمل بمنزلة الأساس للبنيان، وبمنزلة الروح للجسد، فكما أنه لا يستقر البناء ولا يتمكن من الانتفاع منه إلا بتقوية أساسه وتعاهده من أن يعتريه خلل فكذلك العمل بدون الإخلاص، وكما أن حياة البدن بالروح فحياة العمل وتحصيل ثمراته بمصاحبته وملازمته للإخلاص، وقد أوضح الله ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:١٠٩]، ولما كانت أعمال الكفار التي عملوها عارية من توحيد الله وإخلاص العمل له سبحانه جعل وجودها كعدمها فقال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣][١].

وقد ذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله: «أن الحسنة تعظم ويكثر ثوابها بزيادة الإيمان والإخلاص حتى تقابل جميع الذنوب»[٢].

ومن ثمرات الإخلاص: أنه يحرر العبد من عبودية غير الله فيكون عمله كله لله فينصرف عن كل مراد لنفسه أو للشيطان ويصبح همُّه إرضاء ربه.

قال ابن تيمية: «وإذا كان العبد مخلصاً لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر بعطفه أماله.

---

(١) انظر كتاب الإخلاص والإحسان، للشيخ عبدالمحسن العباد، ص٣-٤.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ١٥٦.

فتارة تجذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه عبداً له كان ذلك نقصاً وعيباً وذماً.

وتارة يجذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع هواه بغير هدى من الله.

ومن لم يكن مخلصاً لله عبداً له قد صار قلبه مستعبداً لربه وحده لا شريك له بحيث يكون هو أحب مما سواه، ويكون ذليلاً خاضعاً له وإلا استعبدته الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وكان من الغاوين إخوان الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه»[1].

ومن ثمرات الإخلاص: «نصر الأمة ورفع المنزلة في الآخرة والإنقاذ من الضلال في الدنيا وسبب لزيادة الهدى الناس ووضع القبول لـه في الأرض وتفريج كروب الدنيا وحسن الخاتمة واستجابة الدعاء وغير هذا كثير»[2].

١٠- أذى الرسول ﷺ أو عيبه*

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة:٦١].

وسوف يأتي الكلام عنه في باب (سب الرسول ﷺ).

---

(١) كتاب العبادة ص ٤٢، ٤٣.

(٢) الإخلاص، لحسين عوايشة، ص ٦٤.

* الفروق للقرافي ٣/ ٢٢. وانظر أيضاً: الموافقات للشاطبي ٢/ ٣٥٨، ٣٧٩، وقواعد الأحكام للعز ابن عبدالسلام ١/ ١١٧.

١١- إرادة الإنسان بعمله الدنيا*

[الريـــاء]

المراد من هذا الباب أن الإنسان أراد بعمله الذي شرع للآخرة طمع الدنيا كأن يجاهد من أجل المغنم أو يتعلم من أجل الرئاسة والوظيفة، أو يحج من أجل المال.

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

* **الدليل من السنة**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ[١] عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[٢]، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ[٣]، تعس

* تيسير العزيز الحميد ص٥٣٩. فتح المجيد ص٤٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٦٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٨-٣٩. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٤١، ط٢- ٢/ ٢٩٣ ومن المجموع ١٠/ ٧١٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٨٦. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٠٧، ٢٠٩.

(١) دعاء بالهلاك.

(٢) ثوب خز وصوف معلم. وهذه أمثلة لمن أراد عرض الدنيا وليست مُقتصرة على الأمور المذكورة في الحديث.

(٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله (وهذه حال من أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال. وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن منع سخط كما: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]. فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة، أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده، فهو عبده) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٤.

وَانتكَسَ(١)، وَإِذا شيكَ فَلا انتَقَشَ(٢)، طُوبَىٰ(٣) لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبيل اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(٤).

عن أبي كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسناء(٥) والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب»(٦).

وعن زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من كانت الدنيا همه فرَّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الدنيا الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»(٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي له العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»(٨).

* **أقوال السلف:**

عن علي ﷺ أنه ذكر فتناً في آخر الزمان فقال له عمر: متىٰ ذلك يا علي؟ قال: «إذا تُفقه لغير الدين، وتُعلّم العلم لغير العمل، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة»(٩).

---

(١) دعاء عليه بالخيبة. قال الطيبي: وفيه الترقي بالدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب علىٰ وجهه فإذا انتكس انقلب علىٰ رأسه بعد أن سقط (تيسير العزيز الحميد ص٥٤٣).

(٢) اذا أصابته شوكة فلا يقدر علىٰ انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش.

(٣) اسم الجنة وقيل هي شجرة فيها، وقيل العيش الطيب.

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٥) قال ابن الأثير: «أي بارتفاع المنزلة والقَدر عند الله تعالىٰ» النهاية ٢/ ٤١٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٣٩) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٤٠٥)، والحاكم (٤/ ٣١٨) وصححه.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥) واللفظ لـه، وأحمد (٢١٩٢٥)، والطبراني في الكبير (٤٨٩٠).

(٨) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣). ورواه الترمذي من حديث كعب بن مالك وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٢٦٥٤)، والطبراني في الكبير ١٩/ ١٩٩.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٦٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٦٧ .

وقال قتادة: «من كانت الدنيا همه ونيته وطُلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس لـه حسنة يُعطى بها جزاء. وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة»(١).

*** حكم إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا:**

قال ابن سعدي رحمه الله: «وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له في الآخرة من نصيب، وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمناً فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص وعمله ناقص لفقدان كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً ولكنه يأخذ على عمله جُعْلاً معلوماً يستعين به على العمل والدين كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له مُعيناً على قيام الدين؛ ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءاً كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة كما قد عرف تفاصيل ذلك، فهذا التفصيل يُبَيِّنُ لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها والله أعلم»(٢).

---

(١) ابن كثير ٢/ ٣٧٩.

(٢) القول السديد ص ١٠٩.

* أحكام وفوائد:

١. الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا وبين الرياء:

الذي يظهر أن فقه هذا الباب غير فقه باب الرياء.

فتعريف الرياء: هو تحسين العبادة في الظاهر أو إظهارها أو الإخبار عنها بقصد رؤية الناس وكسب الثناء منهم.

أما إرادة الإنسان بعمله الدنيا فقد أراد بعمله الديني المنفعة الدنيوية. فهما مختلفان، وقد أفرد الإمام محمد بن عبدالوهاب المجدد لكل منهما باباً مستقلاً في كتاب التوحيد.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإنسان يعمل رياءً يريد أن يُمدح في العبادة فيقال هو عابد ولا يريد النفع المادي، أما إذا أراد بعمله الدنيا فهو لا يريد أن يُمدح بعبادته ولا يريد المراءاة بل يعبد الله مخلصاً له ولكنه يريد شيئاً من الدنيا؛ كالمال، والمرتبة، والصحة في نفسه وأهله وولده وما أشبه ذلك فهو يريد بعمله نفعاً في الدنيا غافلاً عن ثواب الآخرة»[(١)].

٢. صور من إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

ذكر الشيخ ابن عثيمين صوراً من إرادة الإنسان بعمله الدنيا فقال:

«١ ـ أن يريد المال كمن أذّن ليأخذ راتب المؤذن أو حج ليأخذ المال.

٢ ـ أن يريد المرتبة كمن تعلم في كلية ليأخذ الشهادة فترتفع مرتبته

٣ ـ أن يريد دفع الأذى والأمراض والآفات عنه كمن تعبد لله كي يجزيه الله بهذا في الدنيا بمحبة الخلق له، ودفع السوء عنه وما أشبه ذلك.

٤ ـ أن يتعبد لله يريد صرف وجوه الناس إليه بالمحبة والتقدير وهناك أمثلة كثيرة»[(٢)].

---

(١) بتصرف من مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧١٨، ١/ ٩٨. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧١٩. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٤٣.

٣. الأعمال التي رتب عليها الشارع ثواباً دنيوياً:

ومثال ذلك قوله ﷺ: «من أحب أن يبسط لـه في رزقه وينسأ لـه في أثره فليصل رحمه»، وقوله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه» ونحو ذلك. فهذا إذا استحضر ثواب الآخرة وسعى لها ورغب إليها واستحضر ثواب الدنيا ولم يقتصر عليها بل كان قلبه معلقاً بالآخرة فلا بأس بذلك مع العلم بأن الأفضل استحضار ثواب الآخرة فقط؛ لأن الشارع إنما رتب الثواب الدنيوي لجواز قصده.

وإن لم يرتب الشارع لها ثواباً دنيوياً ولم يرغب فيه فقصد ثواب الدنيا محرم وشرك بالله وهذه المسائل كثيرة، وصورها لا يتأتى حصرها في مثل هذا، والأمر كما قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]»[(١)].

فينبغي للعبد أن يكون مخلصاً لله، مريداً بعمله وجه الله حتى يغنم الأجرين في الدارين؛ لأن من أراد الله والآخرة جمع الله له ثواب الدنيا والآخرة، ولا يلتفت إلى تحصيل الدنيا، وقد جاءت الأحاديث محذرة من ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء، عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[(٢)].

---

(١) الجواب الكافي ٢٠٠.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ قال رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات يقول له الرسول ﷺ: «لا شيء له». ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه»[1].

٤- بعض الناس عِنْدَما يتكلمون على فوائد العبادات يحولونها إلى فوائد دنيوية، فمثلاً يقولون في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب، وفي الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات، والمفروض ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل؛ لأن ذلك يؤدي إلى إضعاف الإخلاص والغفلة عن إرادة الآخرة، ولذلك بَيَّنَ اللهُ تعالى في كتابه عن حكمة الصوم مثلاً أنه سبب للتقوى، فالفوائد الدينية هي الأصل، والدنيوية ثانوية[2].

٥- سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله السؤال التالي: يتحرج بعض طلبة العلم الشرعي عِنْدَ قصدهم العلم والشهادة فكيف يتخلص طالب العلم من هذا الحرج؟

فأجاب بقوله: «يُجاب عن ذلك بأمور:

أحدها: أن لا يقصدوا بذلك الشهادة لذاتها، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخلق؛ لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات، والناس لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة وبذلك تكون النية سليمة.

الثاني: أن من أراد العلم قد لا يجده إلا في هذه الكليات فيدخل فيها بنية طلب العلم ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد.

---

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٢) والطبراني (٧٦٢٨)، قال الحافظ في الفتح: إسناده جيد ٦/ ٢٨، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء ٤/ ٣٨٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٠٨، ١٠/ ٧٢١، وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ٢٤٥.

الثالث: أن الإنسان إذا أراد بعمله الحسنيين حسنى الدنيا، وحسنى الآخرة فلا شيء عليه في ذلك لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢،٣] وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي»[١].

٦- بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن من طلب العلم أو غيره مما هو خير في نفسه لما فيه من المحبة له لا لله ولا لغيره من الشركاء فليس مذموماً بل قد يثاب بأنواع من الثواب، إما بزيادة فيها وفي أمثالها فيتنعم بذلك في الدنيا ولو كان فعل كل حسن لم يفعل لله مذموماً لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا؛ لأنها تكون سيئات، وقد يكون من فوائد ذلك وثوابه في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه وهذا معنى قول بعضهم: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله» وقول آخر: «طلبهم له نية». يعني نفس طلبهم حسن ينفعهم، وهذا قيل في العلم لأنه الدليل المرشد فإذا طلبه بالمحبة وحصَّله عرّفه الإخلاص، فالإخلاص لا يقع إلا بالعلم فلو كان طلبه لا يكون إلا بالإخلاص لزم الدور[٢].

٧- قال الألوسي في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥]: «وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما أن آية الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨] نسخت آية هود»[٣].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «نسختها أي: قيدتها وخصصتها، فإن السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخاً، وإلا فالآية محكمة»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) مستفاد من كتاب غذاء الألباب ٢/ ٥٢٠.

(٣) روح المعاني ٦/ ٢٢٦.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٥٣٩.

قال أنس بن مالك والحسن: «نزلت في اليهود والنصارىٰ»[١].

وقال غيرهم: «هذا في الكفار»[٢].

*** وهنا يرد إشكالان:**

الأول: دلالة الآية في الكفار الأصليين فكيف تذكر في حق المسلمين؟.

الثاني: أنها لو كانت في المسلمين لاقتضى تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار[٣].

ويجاب عن الإشكال الأول: بأن السلف ورد عنهم أيضاً أنهم أدخلوا أصنافاً من المسلمين في هذه الآية فقال مجاهد في تفسيرها: «هم أهل الرياء»[٤].

وقال البغوي: «نزلت في كل من عمل عملاً يريد به غير الله ﷻ»[٥].

وفي التيسير: «قال الضحاك: «من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوىٰ، عجل له ثواب عمله في الدنيا، واختاره الفراء»، قال ابن القيم: «وهذا القول أرجح». ومعنىٰ الآية علىٰ هذا: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها»[٦].

فهذه الآية وإن نزلت في الكفار فإن بعض المؤمنين اشتركوا معهم في وصفهم فأصبح الحكم واحداً، ومن هنا ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه الآية في باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية نزلت في الكفار ولكن لفظها يشمل كل من أراد الدنيا بعمله الصالح من غير الكفار وهي في حق المسلم

---

(١) ابن كثير ٤/ ٣١٠.

(٢) البغوي ٤/ ١٦٦، والطبري ١٥/ ٢٦٥.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد ص٥٤٠.

(٤) البغوي ٤/ ١٦٦، وابن كثير ٤/ ٣١٠.

(٥) البغوي ٤/ ١٦٥.

(٦) تيسير العزيز الحميد ٥٣٩.

لا تقتضي تخليده في النار، قال الإمام ابن القيم مجيباً عن هذا الإشكال: «إن الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها، وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل، لم يبق معه ما ينجيه. فإن كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها، بل أراد به الله والدار الآخرة، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل. ونجاة هذا الإيمان من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة. فالإيمان إيمانان:

إيمانٌ: يمنع دخول النار، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله وحده يبتغي بها وجهه وثوابه.

وإيمانٌ: يمنع الخلود في النار، فإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود. فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد»[1].

وقد سُئل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن معنى هذه الآية فأجاب بما ملخصه: «ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصاً لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظه أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة، والهرب من النار، فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عَبَّاسٍ.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أنها نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٠.

لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنم، فقد ذكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية. وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكتبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيراً، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء؛ لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره. وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»[(١)].

١٢- الاسترقاء

هو طلب الرقية. وسيأتي الكلام عنه في باب (الرقى).

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٠، ٥٤١.

١٣- الاستسقاء بالأنواء*

الاستسقاء لغة: طلب السقيا ومجيء المطر.

والنوء: سقوط نجم من النازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته(١). والنوء جمعه أنواء.

قال ابن الأثير: «ناء. يَنُوء نوءاً: أي نهض وطلع»(٢).

وفي قول الرسول ﷺ: «ولا نوء» يقول الإمام البغوي: «أراد به ما كانت العرب تنسب المطر إلى أنواء الكواكب الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر، وتقول: مطرنا بنوء كذا، فأبطل الشرع أن يكون بنوء النجم شيء إلا بإذن الله، كما أخبر الرسول ﷺ عن ربه ﷻ قال: «من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكواكب»»(٣).

وقال النووي: «وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٦/ ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩١. شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١٢/ ١٧٤. الاستذكار لابن عبد البر ٧/ ١٥٣، ١٥٩. تيسير العزيز الحميد ص٤٥٧. فتح المجيد ص٣٦٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٢٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ١١٥ط٢-٢/ ١٤١ ومن المجموع ١٠/ ٥٩٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٩٢. شرح مسائل الجاهلية ص١٣٣. معارج القبول ٢/ ٣١٣. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٧٨. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٧٢. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة ـ العلوي ص٢٧٥. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٨٢. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢١٣.

(١) الصحاح ١/ ٧٩.

(٢) النهاية ٥/ ١٢٢.

(٣) شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي: ١٢/ ١٧٤.

ناء النجم ينوء نوءا، أي سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع.

وبيان ذلك: أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته.

وكان أهل الجاهلية إذا كان عِنْدَ ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما، وقال الأصمعي: «إلى الطالع منهما»، قال أبو عبيد: «ولم أسمع أحدا ينسب النوء للسقوط إلا في هذا الموضع، ثم إن النجم نفسه قد يسمى نوءا تسمية للفاعل بالمصدر». وقال أبو إسحاق الزجّاج في بعض أماليه: «الساقطة في المغرب هي الأنواء والطالعة في المشرق هي البوارج»»[(١)].

قال ابن الأثير: «وإنما يسمى نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناءَ الطالعُ بالمشرق. وقيل: أراد بالنوء الغروب وهو من الأضداد»[(٢)].

قال أبو بكر الرازي: «وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. وقيل إلى الطالع منها لأنها في سلطانه»[(٣)].

والخلاصة أن الاستسقاء بالأنواء: يراد به نسبة الحوادث إليها نسبة إيجاد أو جعلها سببا لوجود الحوادث كالمطر والرياح والحر والبرد. والنسبة قد تكون إلى طلوع النجم أو غروبه على ما كانت الجاهلية تعتقده.

* **الدليل من الكتاب:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢][(٤)].

جاء عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٦٠ - ٦٣ بتصرف.

(٢) النهاية ٥/ ١٢٢.

(٣) مختار الصحاح باب (ن و ء) ٦٨٤.

(٤) وهذه الآية نزلت في الذين يقولون مطرنا بنوء كذا ولا ينسبونه إلى الله تعالى روي ذلك عن علي وقتادة والضحاك وهو قول جمهور المفسرين.

شكركم تقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا»[١].

* **الدليل من السنة**: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ صَلَّى بنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ[٢] فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[٣].

جاء في صحيح مسلم عن ابن عَبَّاسٍ قال: مطر الناس علىٰ عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥] حتىٰ بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢][٤].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوىٰ ولا هامة ولا نوء ولا صفر»[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ ليبيت القوم بالنعمة ثم يصبحون وأكثرهم كافرون يقولون مطرنا بنجم كذا وكذا»[٦].

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان»[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٥) وأحمد (٦٧٧).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلىٰ غير الله وكفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالىٰ هو الخالق للمطر المنزل له بدليل قوله في الحديث فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته إلىٰ آخره، فلو كان المراد هو الأكبر، لقال: أنزل علينا المطر نوء كذا، فأتىٰ بباء السببية ليدل علىٰ أنهم نسبوا وجود المطر إلىٰ ما اعتقدوه سبباً» تيسير العزيز الحميد ٤٦٣.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (٧١).

(٤) أخرجه مسلم (٧٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٢٠).

(٦) أخرجه أحمد (١٠٨١٣) والبيهقي ٣/ ٣٥٩.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٣) والسلسلة الصحيحة (١١٢٧).

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب[١]، والطعن في الأنساب[٢]، والاستسقاء بالنجوم والنياحة»[٣].

❖ **حكم الاستسقاء بالأنواء:**

ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: أن ينسب حصول الأمطار إلىٰ هذه الأنواء وهو من باب نسبة الفعل للكوكب وادعاء أنه هو الذي ينشئ السحاب ويأتي بالمطر وهذا كفر أكبر[٤] وكذلك من اعتقد أنها فاعلة له وحدها بما جعل الله فيها من القدرة علىٰ ذلك ثم تركها فهو كافر أيضاً؛ لأن الخلق والأمر لله وحده.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ما هو كفر بإجماع المسلمين وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة علىٰ تأثير الكواكب والروحانيات وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين»[٥].

الثاني: أن يعتقد أن هذه الأنواء سبباً والله هو الخالق الفاعل وهذا شرك أصغر لأن كل من اعتقد سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره فهو مشرك شركا أصغر[٦].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «نسبة المطر إلىٰ النوء تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

أولاً: نسبة إيجاد وهذا شرك أكبر.

ثانياً: نسبة سبب وهذه شرك أصغر.

---

(١) وذلك علىٰ وجه التكبر والرفعة.

(٢) الطعن: العيب والتنقص والنسب المقصود به أهل الإنسان وقرابته والمراد الوقوع فيه بالذم والعيب.

(٣) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٤) انظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١١٦ ومن المجموع ١٠/ ٥٩٧.

(٥) تيسير العزيز الحميد ٤٤٧.

(٦) انظر في ذلك: التمهيد ١٦/ ٢٨٦ وفتح الباري لابن رجب ٦/ ٣٣٧ والفتح لابن حجر ٢/ ٦٠٨ وشرح النووي ٢/ ٦٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١١٦ ومن المجموع ١٠/ ٥٩٨.

ثالثاً: نسبة وقت وهذه جائزة بأن يريد بقوله مطرنا بنوء كذا أي جاءنا المطر في هذا النوء أي في وقته.

ولهذا قال العلماء: يحرم أن يقول «مطرنا بنوء كذا»، ويجوز «مطرنا في نوء كذا»، وفرقوا بينهما أن «الباء» للسببية و «في» للظرفية ... والحاصل أن الأقرب المنع ولو قصد الظرفية، لكن إذا كان المتكلم لا يعرف من الباء إلا الظرفية مُطلقا، ولا يظن أنها تأتي سببية، فهذا جائز، ومع ذلك فالأولىٰ أن يُقال لهم: قولوا: في نوء كذا»[١].

وقال الشافعي: «من قال مطرنا بنوء كذا علىٰ معنىٰ مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفرا، وغيره من الكلام أحب إليّ منه»[٢].

قال في جامع الأصول: «وإنما غلّظ النبي ﷺ في أمر الأنواء؛ لأن العرب كانت تنسب المطر إليها. فأما من جعل المطر من فعل الله ﷻ وأراد بقوله: «مطرنا بنوء كذا». أي: في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني. فإن ذلك جائز»[٣] فهذه نسبة وقت جائزة.

قال ابن الأثير: «أي أن الله قد أجرىٰ العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات»[٤].

*** تنبيهات:**

الأول: التغييرات الجوية مثل الحر والبرد وهبوب الرياح حكمها حكم نزول المطر الحكم واحد يجري عليها الأقسام التي ذكرنا.

الثاني: قال الشيخ ابن عثيمين: «يذكر في بعض كتب التوقيت «وقل أن يخلف نوؤه» أو «هذا نوؤه صادق» وهذا لا يجوز، وهو الذي أنكره الله ﷻ علىٰ عباده، وهذا شرك أصغر»[٥].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦١٠، ٦١١. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ١٢٨.

(٢) انظر: الفتح ٢/ ٢٠٨. وانظر التيسير ٤٦٤.

(٣) جامع الأصول ٧/ ٦٣٩. وهو موجود في النهاية لابن الأثير ٥/ ١٢٢.

(٤) النهاية ٥/ ١٢٢.

(٥) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦١١. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ١٢٩.

١٤- الاستشفاع بالله على خلقه*

تعريفه لغة: استشفع استشفاعاً بالشيء أي جعله شافعاً له والاستشفاع مأخوذ من الشفاعة وهي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه.

* **الدليل من السنة:** عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ جُهِدَتْ الأَنْفُسُ وَضَاعَتْ الْعِيَالُ وَنُهِكَتْ الأَمْوَالُ وَهَلَكَتْ الأَنْعَامُ فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا» وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ[١].

* **أقوال العلماء:**

قال السعدي رحمه الله: «وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأناً من أن يتوسل به إلى خلقه. لأن رتبة المتوسَّل به غالبا دون رتبة المتوسَّل إليه. وذلك من سوء الأدب مع الله. فيتعين تركه. فإن الشفعاء لا يشفعون عِنْدَه إلا بإذنه»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الاستشفاع بالله على خلقه تنقص لله عز وجل لأنه جعل مرتبة الله أدنى من مرتبة المشفوع إليه. إذ لو كان أعلى مرتبة ما احتاج أن

---

* فتح المجيد ص٦٠٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٩٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٣/ ٢٦٩ ط٢- ٣/ ٣٣٨ ومن المجموع ١٠/ ١٠٩٤. الدين الخالص لصديق القنوجي ٢/ ١٧١.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧).

(٢) القول السديد ١٥٣.

يشفع عنده بل يأمره أمراً والله ﷻ لا يشفع لأحد من خلقه إلىٰ أحد لأنه أجل وأعظم من أن يكون شافعاً؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ ذلك علىٰ الأعرابي، وهذا وجه وضع هذا الباب في كتاب التوحيد»[1].

* فائـدة: الذي أنكره الرسول ﷺمن الأعرابي قوله: «نستشفع بالله عليك» ومعناها أي نجعله واسطة بيننا وبينك كأنه قال: نطلب من الله أن يتوسط لنا عِنْدَ الرسول ﷺ وهذا يقتضي أنه جعل مرتبة الله في مرتبة أدنىٰ من مرتبة الرسول ﷺ، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما قوله: «إنا نستشفع بك علىٰ الله» فمعناه صحيح أي نطلب منك أن تكون شافعاً لنا عِنْدَ الله فتدعو الله لنا.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصا به ﷺ، بل كل حي صالح يُرجىٰ أن يُستجاب له فلا بأس أن يُطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك»[2]. وأما الميت فإنه يشرع في حقه الدعاء لـه علىٰ جنازته وعلىٰ قبره وفي غير ذلك. وهذا هو الذي يشرع في حق الميت. وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة علىٰ النهي عنه والوعيد عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٩٤. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢٧٣، ٢٧٠.

(٢) أخرجه أبوداود في السنن (١٤٩٨)، والترمذي في الجامع (٣٥٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] فبين الله تعالىٰ أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة»[١].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «فإن قيل أليس قد قال النبي ﷺ: «من سأل بالله فأعطوه». وهذا دليل علىٰ جواز السؤال بالله؛ إذ لو لم يكن السؤال بالله جائزاً لم يكن إعطاء السائل واجباً؟

والجواب أن يقال: إن السؤال بالله لا يقتضي أن تكون مرتبة المسؤول به أدنىٰ من مرتبة المسؤول بخلاف الاستشفاع، بل يدل علىٰ أن مرتبة المسؤول بـه عظيمة بحيث إذا سئل به أعطي.

علىٰ أن بعض العلماء قال: «من سألكم بالله» أي: من سألكم سؤالا بمقتضىٰ شريعة الله فأعطوه، وليس المعنىٰ من قال: أسألك بالله.

والمعنىٰ الأول أصح، وقد ورد مثله في قول الملك: «أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن»»[٢].

---

(١) فتح المجيد ص٦٠٧، ٦٠٨.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٩٩. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٧٣.

١٥- الاستعاذة*

لغة: الالتجاء والاعتصام والتحرز وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلىٰ من يعصمك منه. والعياذ بالله لرفع المكروه واللياذ: لطلب المحبوب قال الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به فيما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره[1]

شرعاً: قال ابن كثير: «الاستعاذة هي الالتجاء إلىٰ الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير»[2].

وقال ابن القيم بعد أن أوضح معناها وأصل اشتقاقها: «وبعد فمعنىٰ الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلىٰ الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل لديه أمر لا تحيط به العبارة»[3] فالاستعاذة بالله عبادة لأنه وحده الذي يُحرِّزُ[4] عبده

* التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٤١ . ٢٣/ ٢٩٥. ٢٤/ ١٨٦ شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٥/ ١٥٥. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٨٨، ٧٩٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٨٩. مصنف عبد الرزاق ٥/ ٧٣، الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٩٢. تيسير العزيز الحميد ص٢١١. فتح المجيد ص١٨٧. حاشية التوحيد لابن قاسم ص ١١٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٥١ ط٢- ١/ ٣٢٣ ومن المجموع ٩/ ٢٤٤. شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٩. فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٠٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٦٢. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ١٩٠.

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ٢١١، حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ٤٢. ومجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٤٤، ٢٤٥، ١٠/ ٨٠٤. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢٥٢، والبيت للمتنبي.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢١١، وفتح المجيد ص ٢٩٥.

(٣) بدائع الفوائد٢/ ٢٠٠.

(٤) الحِرْز: الموضع الحصين يقال: هذا حِرْزٌ، ويسمىٰ: التعويذ من كذا وتحرّز منه أي توقاه انظر مختار الصحاح (ح ر ز).

من الشرور كلها فصرفها لله إيمان وتوحيد وصرفها لغيره شرك به سبحانه.

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

* **الدليل من السنة**: وعن خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيم قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[١].

ومن الأحاديث دعاء دخول المسجد: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[٢].

حكم الاستعاذة:

* العبادة يجب أن تكون لله وحده وصرفها لغير الله شرك، وهذه قاعدة يجب أن نستحضرها في جميع العبادات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك له فالعبادة متعلقة بألوهيته والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو، ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبي ولا غيره»[٣].

وقد أمر الله بصرف جميع أنوع العبادات له فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٧٤.

ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره»[١].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.

فمن صرف شيئاً منها لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾»[٢].

*** والاستعاذة بالمخلوق على قسمين:**

القسم الأول: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة بأصحاب القبور والموتى والغائبين أو الحجر أو الصنم فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «أما الاستعاذة بالمخلوق؛ ففيها تفصيل، فإن كان المخلوق لا يقدر عليه؛ فهي من الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيميه: «لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق عند أحد من الأئمة»[٣]، وهذا ليس على إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه

(١) تفسير ابن كثير لسورة البقرة، الآيتين: ٢٠-٢١.

(٢) ثلاثة الأصول مع الحاشية لابن قاسم، ص٣٤، ٣٥.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٩٧.

إلا الله؛ لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله؛ سوى الله»[١].

ويدخل في ذلك الاستعاذة بالجن قال ابن أبي العز الحنفي: «ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يعني الإنسي للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً: أي إثماً وطغياناً وخسراناً وشراً، وذلك أنهم قالوا: قد سدنا الجن والإنس فالجن تعاظم في أنفسها وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة. وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١، ٤٠]. فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم ضالون، وإنما ينزل عليهم الشياطين»[٢].

* **القسم الثاني**: الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر القادر.

قال ابن باز: فلا بأس به كما تقول لرجل: أعوذ بك من غلامك أو ابنك وهو مقتضى الأحاديث الواردة في صحيح مسلم لما ذكر النبي ﷺ الفتن قال: «فمن وجد من ذلك ملجأ فليعذ به»[٣]. وفي الصحيح عن جابر بن عبدالله أن امرأة من

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٤٩، ٢٥٠. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ٣٣٠.

(٢) شرح الطحاوية ص٤٥٣ تحقيق أحمد شاكر.

(٣) شرح الشيخ على كتاب التوحيد، شرح مسموع. والحديث أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ ونص الحديث هو: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ومن تشرف لها تتشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به» البخاري (٣٦٠١) ومسلم (٢٨٨٦).

بني مخزوم سرقت فأتي بها إلى النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «لو كانت فاطمة لقطعت يدها» فقطعت[١].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا هو مقتضى النظر، فإذا اعترضني قطاع طريق، فعذت بإنسان يستطيع أن يخلصني منهم، فلا شيء فيه.

لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأ؛ فهذا شرك؛ لأن هذا لا يكون إلا لله»[٢].

*** أحكام وفوائد:**

❖ الاستعاذة المشروعة والممنوعة خمسة أنواع:

فالأول والثاني: الاستعاذة بالله وبصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته فهذا أمر مطلوب رغَّب فيه الشارع.

الثالث: الاستعاذة بالحي الحاضر القادر وهذه جائزة.

الرابع: الاستعاذة بالأموات والغائبين فهذا شرك والعياذ بالله[٣].

الخامس: الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فإنه شرك والعياذ بالله.

* بعض العلماء قال: إن الاستعاذة عبادة خاصة بالله فلا يجوز صرفها للمخلوق مطلقاً. قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة»[٤]. وقد تقدم أن هذا ليس على إطلاقه، بل مرادهم مما لا يقدر عليه إلا الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٥٠. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ٢٥٧.

(٣) ينظر للاستزادة شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين من مجموع الفتاوى ٦/ ٥٩ - ٦٠.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٩٧.

وكذلك قال البخاري في خلق أفعال العباد[١]؛ ودليلهم أن الاستعاذة عبادة وذكر بعض العلماء الإجماع على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله [٢]، فإن كان المراد من كلامهم منع الاستعاذة بالمخلوق مطلقاً. فالصحيح ما تقدم من جواز الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه، أما ما ذكر من إجماع العلماء فمحمول على أن يفعل على وجه التعبد أو أن يكون المستعاذ منه لا يقدر على دفعه إلا الله، أو أن تكون الاستعاذة بأصحاب القبور ونحوه[٣]. ولكن يراعى ما يقوم في قلب العبد من الاضطرار لهذا المستعاذ به وتعلق قلبه به، قال الشيخ ابن عثيمين: «لكن تعليق القلب بالمخلوق لا شك أنه من الشرك، فإذا علقت قلبك ورجاءك وخوفك وجميع أمورك بشخص معين، وجعلته ملجأ؛ فهذا شرك، لأن هذا لا يكون إلا لله»[٤].

قال الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله -: «لكن هل مقصوده بقوله: «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله»[٥] شمول هذا الحكم على فاعله بالشرك، لكل أنواع الاستعاذة، ولو كان فيما يقدر عليه المخلوق؟ والجواب: أن هذا فيه تفصيل، فمن العلماء من يقول: الاستعاذة لا تصلح إلا بالله، وليس ثم استعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه؛ لأن الاستعاذة توجه القلب، واعتصامه، والتجاؤه، ورغبه، وهذه المعاني جميعاً لا تصلح إلا لله - جل وعلا -.

وقال آخرون: قد جاءت أدلة بأنه يستعاذ بالمخلوق فيما يقيدر عليه؛ لأن حقيقة الاستعاذة: طلب انكفاف الشر، وطلب العياذ، وهو: أن يستعيذ من شر أَحْدَقَ به،

---

(١) خلق أفعال العباد ص٨٩.

(٢) فتح المجيد ص١٨٨.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٤٩، ٢٥٠. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ٣٣٠. وانظر للاستزادة: الاقتضاء ٢/ ٧٩٧، ومجموع فتاوى ابنِ تَيمِيَّةَ ١/ ٣٣٦، وقرة عيون الموحدين ص٨١.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٥٠.

(٥) يقصد به الباب الثالث عشر من كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

وإذا كان كذلك: فقد يملك المخلوق شيئاً من ذلك، وعلى هذا فتكون الاستعاذة بغير الله شركاً أكبر، إذا كان ذلك المخلوق لا يقدر على أن يعيذ، أو طُلِبتْ منه الإعاذة فيمالا يقدر عليه إلا الله.

والذي يظهر أن المقام – كما سبق – فيه تفصيل، وهو: أن الاستعاذة فيها عمل ظاهر، وفيها عمل باطن، فالعمل الظاهر: أن يطلب العوذ، وأن يطلب العياذ، وهو أن يُعصم من هذا الشر، أو أن ينجو من هذا الشر، وفيها – أيضاً – عمل باطن وهو: توجه القلب وسكينته، واضطراره، وحاجته إلى هذا المستعاذ به، واعتصامه بهذا المستعاذ به، وتفويض أمر نجاته إليه.

فإذا كانت الاستعاذة تجمع هذين النوعين فيصح أن يُقال: إن الاستعاذة لا تصلح إلا بالله، لأن منهما ما هو عملي قلبي – كما تقدم – وهو – بالإجماع – لا يصلح التوجه به إلا لله. وإذا قصد بالاستعاذة العمل الظاهر – فقط – وهو طلب العياذ والملجأ، فيجوز أن يتوجه بها إلى المخلوق، وعلى هذا يحمل الدليل الوارد في جوازها»[(١)].

❖ حكم قول أعوذ بالله وبك أو ثم بك:

قال ابن عثيمين: «وقوله أعوذ بالله وبك هذا محرم؛ لأنه جمع بين الله والمخلوق بحرف يقتضي التسوية وهو الواو.

ويجوز «بالله ثم بك» لأن ثم تدل على الترتيب والتراخي.

فإن قيل: سبق أن من الشرك الاستعاذة بغير الله، وعلى هذا يكون قوله: «أعوذ بالله ثم بك» محرماً.

أجيب: أن الاستعاذة بمن يقدر على أن يعيذك جائزة، لقوله ﷺ في صحيح

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص١٦٩، ١٧٠..

مسلم وغيره: «من وجد ملجأ فليعذ به». لكن لو قال أعوذ بالله ثم بفلان وهو ميت فهذا شرك أكبر لأنه لا يقدر على أن يعيذك»[١].

* في الحديث قوله: «أعوذ بكلمات الله» وكلمات الله من صفاته فكلام الله صفة غير مخلوق فيستعاذ بالصفة كالاستعاذة بالأسماء ومثله «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك...»، ومثله حديث «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» فيجوز الاستعاذة بها كما يجوز القسم بها.

قال ابنُ تَيمِيَّةَ في كتاب الفرقان: «وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر هي التي كون بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته، وأما كلماته الدينية وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار»[٢].

وقال ابن باز: «الكلمات معناها: أي كلمات الله النافذة الكونية التي لا راد لها. وقال بعض السلف المراد بالكلمات: الشرعية وكلمات القرآن لأنها كلمات عظيمة شريفة وهي كلام الله وكل هذا حق وكلها وصف له سبحانه فكلامه الكوني نافذ وكلامه الشرعي أفضل الكلام»[٣].

* تجب إعاذة من استعاذ بالله تعظيماً له جل شأنه، وقد جاء في الحديث: «من استعاذكم بالله فأعيذوه» قال في عون المعبود: («من استعاذكم بالله» أي: طلب الإعاذة مستعيذاً بالله من ضرورة أو جائحة حلت به أو ظلم ناله أو تجاوز عن جناية (فأعيذوه) أي: أعينوه وأجيبوه فإن إغاثة الملهوف فرض)[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٠٤، ٨٠٥. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٣٣٣.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان ص١٥٠.

(٣) من شرح الشيخ على كتاب التوحيد.

(٤) عون المعبود ١٤/ ١٢، وانظر باب (السؤال بالله).

وقال في فتاوىٰ اللجنة: «هذا إذا كان المستعيذ لا يلزمه ما استعاذ منه، أما إن كان يلزمه ما استعاذ منه كالدين وحق الزوج والقصاص ونحو ذلك لم تجب إعاذته، والواجب عليه أداء الحق عليه إلا أن يسمح خصمه عن حقه، جمعاً بين الأدلة»[١].

❖ **الفرق بين الاستعاذة والدعاء:**

استعاذ واستغاث علىٰ وزن استفعل، ومادة استفعل تأتي في الغالب للطلب فمادة استعاذ واستغاث واستعان واستسقىٰ وما شابهها فيها دعاء لأنه طلب من الأدنىٰ للأعلىٰ. والدعاء من أنواع الطلب وهذا ظاهر في دلالة اللغة أما دلالة الشرع فالاستعاذة طلب العوذ وهو الدعاء المشتمل علىٰ ذلك والاستغاثة طلب الغوث وهو الدعاء المشتمل علىٰ ذلك فتبين أن الاستعاذة من أنواع الدعاء.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «كالدعاء فإن الاستعاذة من أنواعه»[٢].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: «فالاستعاذة والاستخارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب»[٣].

---

(١) فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٠٨.

(٢) التيسير ٢١٢.

(٣) الرد علىٰ البكري ٢٩٠.

١٦- الاستعانة*

تعريفه لغة: استعان أصلها من عون، والعونُ: المعاونةُ والمظاهرةُ يقال فلان عَوني: أي مُعِيني.

والاستعانةُ شرعاً: طلبُ العون(١)، والاستعانة بالله عبادة بل أجل العبادات وهي تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه.

قال شيخ الإسلام: «تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة:٥]»(٢).

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾.

* الدليل من السنة: عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا غُلامُ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ فَقَدْ رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الْكُتُبُ، فَلَوْ جَاءَتْ الأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عز وجل لَكَ لَمَا اسْتَطَاعَتْ وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ مَا اسْتَطَاعَتْ»(٣).

* أقوال العلماء: يقول شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «ولهذا أنكرنا على الشيخ يحي

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٢/ ٣٦، ٨٧، أحكام القرآن القرطبي ٤/ ١٧٩. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٧٥. تيسير العزيز الحميد ٢١٧. فتح المجيد ١٩٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١١٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٣/ ١٣٠، ط٢- ١/ ٣٣٥ ومن المجموع ١٠/ ٩٥٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٩٦. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ١٢٣٧. معارج القبول ١/ ٣٣٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٣٢٢ ـ ٢/ ١٧٨ ـ ٤/ ٥١. نور على الدرب لابن باز ص١٨٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٦٣.

(١) المفردات للراغب الأصفهاني، مجموع الفتاوى لابن تيمِيَّةَ ١/ ١٠٣.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٧٣، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٧٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٦٣) (٢٦٦٩) (٢٨٠٤).

الصرصري ما يقول في قصائده في مدح الرسول ﷺ من الاستغاثة به مثل قوله: بك أستغيث، وأستعين، وأستنجد ونحو ذلك. وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجاد الصالحين والمتشبهين بهم والاستعانة بهم أحياء وأمواتاً فإني أنكرت ذلك في مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة»[١].

وقال: رحمه الله: «فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك لـه، فالعبادة متعلقة بألوهيته، والاستعانة متعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبي ولا غيره»[٢].

❖ **حكم الاستعانة بالمخلوق:**

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها»[٣].

قال الشوكاني: «ولا خلاف أنه يجوز أن يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه»[٤].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصه: «الاستعانة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه جائزة»[٥]، «ويمكن الاستعانة بالأحياء من الناس في حدود الأسباب العادية ببذل مال أو شفاعة عِنْدَ ذي سلطان مثلاً، أو إنقاذ من مكروه ونحو ذلك من الوسائل التي هي من طاقة البشر حسب ما هو معتاد ومعروف بينهم، أما ما كان فوق قوى البشر من الأسباب غير العادية فليس ذلك إلى العباد بل هو إلى الله وحده لا شريك له»[٦]. وجاء فيها أيضاً: «فالاستعانة بغير الله فيما هو من

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٧٠،٧١.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٧٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٠٢، ١٠٣.

(٤) الدر النضيد ١٤.

(٥) فتاوى اللجنة ١/ ١٠٤.

(٦) فتاوى اللجنة ١/ ١٠٠.

اختصاص الله تعالى نوع من الشرك الأكبر الذي يخرج من فعله من ملة الإسلام وكذا الاستعانة بالأموات أو الاستعانة بالغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله إلا لمن تاب منه؛ لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم»(١).

وجاء أيضاً: «إن الاستعانة بالجن واللجوء إليهم في قضاء الحاجات من الإضرار بأحد أو نفعه شرك في العبادة؛ لأنه نوع من الاستمتاع بالجني بإجابته سؤاله وقضائه حوائجه في نظير استمتاع الجني بتعظيم الإنسي لـه ولجوئه إليه واستعانته به في تحقيق رغبته»(٢).

وجاء في موضع آخر من فتاوى اللجنة: «إن الاستعانة بالجن والملائكة والاستغاثة بهم لدفع ضر أو جلب نفع أو للتحصن من شر الجن شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام والعياذ بالله»(٣).

وقد لخص الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أحكام الاستعانة فقال: «هي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركا مخرجا عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر قادر عليه، فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ

---

(١) فتاوى اللجنة ١/ ١٠٣.

(٢) فتاوى اللجنة ١/ ٩٦.

(٣) فتاوى اللجنة ١/ ٧٥.

عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢] وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾. وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقا أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]»[١].

ضابط الاستعانة الشركية:

إذا كانت الاستعانة بالأموات أو الغائبين أو الأصنام ونحوها أو استعانة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر مخرج من الإسلام. قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا من الله»[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فالاستعانة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك في الإلهية والربوبية»[٣].

وقال الشوكاني: «وأما ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ فلا يستعان فيه إلا به ومنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»[٤].

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٨-٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٠٤.

(٣) بيان ما ألقاه إبليس ٨٨.

(٤) الدر النضيد ١٥.

١٧- الاستغاثة*

في اللغة: أغاثه إغاثة إذا أعانه ونصره(١).

والاستغاثة شرعاً: طلب الغوث وهو إزالة الشدة(٢)، أو: طلب العون في حالة الشدة والهلاك(٣).

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت:١٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف:٥] وقال تعالى: ﴿أَمَّن

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٧. الرد على البكري ص٥٧. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٩١، ٢/ ١٧٦، ٢٧٠. تيسير العزيز الحميد ص٢١٧. فتح المجيد ص١٩٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١١٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٦١ ط٢-١/ ٣٣٥. المجموع ٩/ ٢٥٣. معارج القبول ١/ ٣٣٥. نور على الدرب لابن باز ص٦٥. مجموع الفتاوى ابن باز ٣/ ٥٧٥، ٥٨٦. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٩٦، ٢٨ ـ ٧/ ٢٨، ٩٦. أحكام الجنائز ص٢٦٤. التبرك د ناصر الجديع ص٣٢٥. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٩٠. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٤٨٣، ٤٩٣، ١٠٤٧، ١٠٩٢، ١١١٥.

(١) المصباح المنير (غ و ث).

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١/ ١٠٣، تيسير العزيز الحميد ٢١٧، الدر النضيد ص ٩، وحاشية ثلاثة الأصول ص ٤٣.

(٣) انظر: تيسر العزيز الحميد ص ٢١٧.

﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢].

* الدليل من السنة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(١).

وعن عبادة بن الصامت قال: قال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي، إنما يستغاث بالله ﷻ»(٢).

* أقوال العلماء:

قال ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله عن الحديث السابق: «إنما أراد ألا يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله»(٣).

وقال أيضاً: «لكن ظاهر لفظ الحديث إن صح يقتضي أنه لم يكن قادراً على دفع ضرر ذلك المنافق، وأنه أمرهم أن يستغيثوا فيه بالله تعالى»(٤).

وقال أيضاً: «ولا يلزم تخطئة أبي بكر الصِّدِّيق، فإن الصِّدِّيقَ قد يعتقد عند النبي ﷺ في دفع ذلك المنافق بعضَ الأمور التي يقدر عليها البشر، فَبَيَّن لـه النبي ﷺ أنه ليس عنده في دفعه حيلة، بل يستغاث الله في أمره»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤).

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩، وعزاه إلى الطبراني في المعجم الكبير، قال الهيثمي في المجمع: «رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث»، وقال أيضاً: «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسمَّ وابن لهيعة». والحديث عند الإمام أحمد في المسند (٢٣٠٨٢) بلفظ: «لا يقام لي، إنما يقام لله تبارك وتعالى».
قال ابن تيمية: «هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه، بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة، ثم ذكر أن هذا الخبر من النوع الذي يصلح للاعتضاد. انظر تلخيص كتاب الاستغاثة ص١٥٣، كما أنه ـ أي ابن تيمية ـ احتج به في مواضع من فتاويه. انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٠١، ١١٠، ٣٠٣، ٣٢٩.

(٣) الرد على البكري ص٢٠٣، الفتاوى ١/ ١١٠.

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة، ص٢٠١.

(٥) تلخيص كتاب الاستغاثة، ص١٩٥.

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلىٰ التأدب مع الله في الألفاظ لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها إما بزجره أو تعزيره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلىٰ حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجناب التوحيد»(١).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «قوله لا يستغاث بي يحتمل أمرين:

الأول: أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله لأنه كان ممنوعاً من قتله؛ لأجل أن لا يتحدث بأن محمداً يقتل أصحابه فامتنع عن قتله.

الثاني: يحتمل ـ إن صح الخبر ـ أنه قاله سداً للذريعة وإن كان قادراً علىٰ التخلص منه حتىٰ لا تقــع منهم هذه الكلمة في أمور لا يقدر عليها»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قوله (إنه لا يستغاث بي) ظاهر هذه الجملة النفي مطلقاً، ويحتمل أن المراد لا يستغاث به في هذه القضية المعينة.

فعلىٰ الأولىٰ: يكون نفي الاستغاثة هنا من باب سد الذرائع والتأدب في اللفظ، وليس من باب الحكم بالعموم؛ لأن نفي الاستغاثة بالرسول ﷺ ليس علىٰ إطلاقه، بل تجوز الاستغاثة به فيما يقدر عليه»(٣).

حكم الاستغاثة:

الاستغاثة أخص أنواع العبادة، فإخلاصها لله إيمان وتوحيد، أما الاستغاثـة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك وكفر(٤).

وقد تقدم في باب الاستعاذة أن جميع أنوع العبادات لا تصرف لغير الله، فمن

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٤٣.

(٢) من دروس الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد.

(٣)مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٦٩. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٢٧٩.

(٤) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة ص٢٤٦، ٢٦٥، القول السديد ص٥١، ٥٢.

صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر. والاستغاثة من نوع الدعاء والطلب؛ لأن فيها طلب الغوث أي الدعاء المشتمل على ذلك فهي من أهم أنواع العبادات.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «فالاستغاثة المنفية نوعان:

أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقاً في كل شيء.

الثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، فليس لأحد أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله لا نبيا ولا غيره»[1].

وقال الشوكاني رحمه الله: «ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور ولايحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح وما أظنه يوجد فيه خلاف»[2].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «والاستغاثة الشركية التي أنكرناها هي ما يأتي بيانه؛ وهي الاستغاثة بالغائب أو الميت أو الحي الحاضر الذي لا يقدر، وأما الجائزة فهي طلب الحي الحاضر»[3].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الاستغاثة أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ[4] رحمه الله قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «اللهم أنجز لي

---

(١) كتاب الاستغاثة في الرد على البكري ص ٣٥٩. وانظر الفتاوى ١/ ٣٢٩.

(٢) الدر النضيد ص ٩.

(٣) شرح كشف الشبهات ص١١٩.

(٤) يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر ﷺ رداءه فألقاه على منكبه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله هذه الآية[1].

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفيا في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة»[2].

وعلى هذا فإن **الاستغاثة بالمخلوق على قسمين:**

الأول: الاستغاثة بالأموات والغائبين، أو الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله كالذي يستغيث عِنْدَ المرض أو خوف الغرق بالرسول أو البدوي فهذا شرك أكبر مخرج من الملة. قال الشيخ ابن قاسم: «وقد تبين من الآيات والأحاديث أن دعاء

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى ٦/ ٦٠، ٦١.

الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواعه»[١].

الثاني: الاستغاثة بالحي القادر الحاضر، وهي جائزة. وعليه يحمل قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: «وإذا طلبت من أحد غوثاً وهو قادر عليه فإنه يجب عليك تصحيحاً لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة؛ لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب، وهذا قادح في كمال التوحيد»[٢].

*** أحكام وفوائد:**

* وإذا علمت أن الاستغاثة بغير الله هي الشرك الأكبر تبين لك أن المستغيثين بالقبور والموتى كالمشركين لا تجوز الصلاة خلفهم؛ وقد سئل مفتي الديار الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم الصلاة خلف من يستغيث بغير الله فقال: «لا تجوز الصلاة خلف جميع المشركين ومنهم من يستغيث بغير الله ويطلبه المدد لأن الاستغاثة بغير الله من الأموات والأصنام والجن وغير ذلك من الشرك بالله سبحانه... وإذا لم تجد إماماً مسلماً تصلي خلفه جاز لك أن تصلي في بيتك»[٣].

وقالت اللجنة عمن يستغيث بغير الله: «هم مشركون شركاً أكبر يخرج من ملة الإسلام لا تجوز موالاتهم، كما لا تجوز موالاة الكفار، ولا تصح الصلاة خلفهم، ولا تجوز عشرتهم ولا الإقامة بين أظهرهم؛ إلا لمن يدعوهم إلى الحق على بينة ويرجو أن يستجيبوا له وأن تصلح حالهم دينياً على يديه وإلا وجب عليه هجرهم»[٤].

---

(١) حاشية ابن قاسم ص ١٧٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٥٣. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٢٦١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٥٨٦

(٤) فتاوى اللجنة ١/ ٥٢

- **الفرق بين الدعاء والاستغاثة:**

أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة هي الدعاء في حالة الشدائد، وكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، فالاستغاثة من الدعاء فكل مستغيث داعٍ وليس كل داعٍ مستغيث[١].

وتختلف الاستغاثة عن الاستعانة أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قالوا: والفرق بين المستغيث والداعي أن المستغيث ينادي بالغوث والداعي ينادي بالمدعو»[٣].

---

(١) انظر حاشية كتاب التوحيد ص١١٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٢١٧.

(٣) الرد على البكري ١/ ٤٢٠.

١٨- الاستغـفـار

أصل الغفر في اللغة: التغطية[١].

قال في المفردات: «الغفر إلباس ما يصونه من الدنس»[٢].

والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب[٣].

ويطلق الغفر على الستر ومنه المغفر وهي بيضة الحديد[٤]، والستر من الله معناه كما قال الخطابي: «أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهِرُهُ في عيونهم»[٥]. والألف والسين والتاء للطلب.

وفي الشرع: قال الراغب: «والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفِعال، وقولـه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط بل باللسان وبالفِعال، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفِعال[٦] فِعلُ الكذابين»[٧].

ومعنى الاستغفار: طلب محو الذنوب والتجاوز عنها وستر كل عيب بما يجب أن يستر به والوقاية من شره.

قال ابن الجوزي: «الاستغفار استفعال من طلب الغفران تغطية الذنب بالعفو

(١) النهاية لابن الأثير (غ ف ر).

(٢) المفردات (غ ف ر).

(٣) المفردات (غ ف ر).

(٤) المصباح المنير (غ ف ر).

(٥) شأن الدعاء ص٥٢.

(٦) أي من دون إقلاع عن الذنب.

(٧) المفردات (غ ف ر).

عنه»[١]، وسبب وضعها في هذا الكتاب لأنها من العبادات التي تصرف لله ولا تصرف لغيره.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩]، وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٦-١٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥].

* الدليل من السنة: عن أبي هُرَيْرَةَ ؓ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٢].

وعَنه ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[٣].

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي،

---

(١) نزهة الأعين والنواظر ص٨٩.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٤٩ .

يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

وفي صحيح البخاري عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذ بكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[2].

❖ الفرق بين الاستغفار والتوبة:

الاستغفار يذكر تارة مفرداً غير مقرون بالتوبة وتارة يذكر مقروناً بها ولها في كل حال معنى قال ابن القيم: «فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله. وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤ،. فدلالته عليه إما بالتضمن وإما باللزوم.

* **وحقيقتها**: وقاية شر الذنب، ومنه المغفر، لما يقي الرأس من الأذى. والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مِغفراً، ولا القَّبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ «المغفر» من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قولـه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فإن الله لا يعذب مستغفراً، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق ولهذا لا يمنع

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٣).

العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقايــة شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فها هنا ذنبان:

ذنب قد مضى: فالاستغفار منه: طلب وقاية شره.

وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله»[١].

وقال ابن رجب رحمه الله: «وكثيراً ما يقترن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح»[٢].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠٧).

١٩- الاستقامة*

قال في النهاية: «قام فُلان على الشيء إذا ثبتَ عليه... ومنه الحديث: «اسْتَقِيموا لقُريش ما اسْتقاموا لكم، فإن لم يفعلوا فضَعُوا سُيوفَكم على عَواتِقكم فأبيدُوا خَضْراءهُم» أي: دُومُوا لهم على الطاعة واثْبُتوا عليها، ما دامُوا على الدِّين وثبَتُوا على الإسلام. يقال: أقام واسْتقام، كما يقال: أجاب واسْتَجاب»[(١)].

وعن قتادة السدوسي رحمه الله قال: «الاستقامة أن تلبث على الإسلام والطريقة الصالحة ثم لا تمرق منها ولا تخالفها ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها»[(٢)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك»[(٣)].

وألف أبو العباس ابن تيمية كتاب الاستقامة وقال في أوله: «قاعدة في وجوب الاستقامة والاعتدال، ومتابعة الكتاب والسنة في باب أسماء الله، وصفاته، وتوحيده، بالقول والاعتقاد، وبيان اشتمال الكتاب والسنة على جميع الهدى وأن التفرق والضلال إنما حصل بترك بعضه...»[(٤)].

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

---

* الدين الخالص ٣/ ١٣٤، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٥٢٨، ٥٣٣.

(١) النهاية (ق و م).

(٢) الإبانة الكبرى (١/ ٣١٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٥١٠.

(٤) الاستقامة ص٣.

[فصلت: ٣٠] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف:١٣]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١٢٢].

* **الدليل من السنة:** عن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»(١).

قال ابن رجب: «قول سفيان بن عبد الله للنبي ﷺ: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك» طلب منه أن يعلمه كلاماً جامعاً لأمر الإسلام كافياً حتىٰ لا يحتاج بعده إلىٰ غيره، فقال له النبي ﷺ: «قل: آمنت بالله، ثم استقم»، وفي الروية الأخرىٰ: «قل: ربي الله، ثم استقم)»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن»(٣).

قال ابن رجب ﷺ: «فأصل الاستقامة استقامة القلب علىٰ التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلىٰ غيره، فمتىٰ استقام القلب علىٰ معرفة الله، وعلىٰ خشيته وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها علىٰ طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فُسِّر قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ

---

(١) رواه مسلم (٣٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٠٥.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٧٧).

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠] بإخلاص القصد لله وإرادته وحده لا شريك له.

وأعظم ما يُراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسانُ، فإنه ترجمان القلب والمعبِّر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة، وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه، وفي «مسند الإمام أحمد» عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». وفي «الترمذي» عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وموقوفاً: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»»[1].

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٥١١، ٥١٢.

٢٠- استقدام الكفار إلى جزيرة العرب

انظر باب (جزيرة العرب).

٢١- الاستقسام بالأزلام

انظر باب (الكهانة).

٢٢- الاستمداد

[الدعـــاء]

المدد: العون والنصر[١]. والمراد به هنا «طلب المدد»[٢]، والمستمِدُّ داعٍ يلجأ إلى من بيده المدد والمعونة، فلا يُدعى ويُطلب منه المدد إلا الله، ومن الشرك الأعظم أن يقال: (مدد يا حسين) (مدد يا محمد) (مدد يا صاحب القبر)، لأنه من دعاء الأموات والغائبين.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١]، وقال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

وقد ردَّ الشيخ عبد الرحمن بن حسـن على من ادَّعى جواز الاستمداد من

---

(١) النهاية ٤/ ٣٠٨.

(٢) مختار الصحاح (م د د).

الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فقال:

«الجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن الاستمداد بالأموات والغائبين هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الاستمداد عبادة، والعبادة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله وذلك أن الاستمداد نتيجة الاعتماد، والاعتماد هو معنى التوكل الذي هو من خصائص الإلهية وأجمعها لأعمال القلوب...

الوجه الثاني: أن مورد العبادة القلب واللسان والأركان، والمستمد لا يكون إلا داعياً، وراغباً، وراهباً، وخاشعاً ومتذللاً، ومستعيناً، فإن الاستمداد طلب المدد بالقلب، واللسان، والأركان ولا بد، وهذه الأعمال هي أنواع العبادة، فإذا كانت لله وحده، فقد ألهه العبد، فإذا صرف لغير الله تعالى صار مألوهاً له»[1].

(١) الدرر السنية (١١/ ٤١٣، ٤١٥).

٢٣- الاستهزاء*

[سب الرسول، سب الدين والرب، سب الصحابة]

تعريفه لغة: التهزء والهزؤ: السخرية، واستهزأ به سخر(١).

والمقصود هنا الكلام على التنقص أو الهزل أو اللعب أو السخرية أو الاستخفاف، إما بالله أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ، أو بالسنة الصحيحة التي يعتقد ثبوتها، أو الأحكام الشرعية.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

* **الدليل من السنة:** عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ: «أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عِنْدَ اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ، فقال له عوف بن مالك: كذبتَ، ولكنك منافق،

---

* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤٤٧، ٥/ ٤١٨، ٨/ ١٩٧. بدائع الفوائد ١/ ١٥٩. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٣٨. تيسير العزيز الحميد ص٦٢٧. فتح المجيد ص٥١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١٩. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٢٥ ط٢- ٣/ ٣٠ ومن المجموع ١٠/ ٨٥١. فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ١١، ١٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٤٦. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ٥٠٩، ٥٣٠، ٥٣٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٥٥، ١٥٩. القول المبين في حكم الاستهزاء بالمؤمنين للشيخ عبد السلام البرجس تقريظ فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، اللمع للتركماني ١/ ١٧٨، ١٧٩. ومن أراد زيادة التفصيل في الكلام عن موضوع الاستهزاء فإن مظانه كتب الفقه في باب الردة.

(١) لسان العرب (هـ ز ء).

لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلىٰ رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول لـه رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، ما يلتفت إليه وما يزيد عليه»[١].

* أقوال العلماء:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في جواب سؤال عن معنىٰ ما ذكره الفقهاء في باب حكم المرتد: «فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك ـ يعني ما قاله المنافقون في غزوة تبوك ـ وأما الفعل فمثل: مد الشفة، وإخراج اللسان، ورمز العين، مما يفعله كثير من الناس عِنْدَما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد»[٢].

وقال رحمه الله: «إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم في الله عز وجل بالكلام الفاحش عِنْدَ وقوع المصائب علىٰ وجه الجد وأنه لا يستحق هذا وأنه ليس بأكبر الناس ذنباً»[٣].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفي هذا الحديث من الفوائد أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به، وأشدها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له»[٤].

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١٠/ ١٧٢، ١٧٣).
(٢) الدرر السنية ١٠/ ١٢٥.
(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قسم الفتاوىٰ ص٥٨، ٦٠، ٦٢. وانظر الدرر السنية ١٠/ ١٢١.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص٦٣٣.

❖ **حكم الاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القرآن والرسول ﷺ:**

بيَّن العلماء أحوال المستهزئين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي: «لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة فإن التحقيق أخو الحق والعلم والهزل أخو الباطل والجهل»[(١)].

وقال شهاب الدين الألوسي: «واستدل بعضهم بالآية على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك»[(٢)].

وقال أبو بكر الجصاص بشأن هذه الآية: «فدل على استواء حكم الجاد والهازل في إظهار كلمة الكفر. ودل أيضاً على أن الاستهزاء بآيات الله أو بشيء من شرائع دينه كفر من فاعله»[(٣)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه ـ أي المذكورة في الآية ـ أشد من الكفر المجرد؛ لأن هذا كفر، وزيادة احتقار وازدراء»[(٤)].

وقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد فقال: «باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول»[(٥)].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩٧٦.

(٢) روح المعاني ٥/ ٣٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٤٢.

(٤) القول السديد ص١٢٧.

(٥) كتاب التوحيد ص ١٢٦ مع القول السديد.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «أي: إنه يكفر بذلك[١]، لاستخفافه بجانب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه، كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً»[٢].

وفي قولـه تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾[التوبة:٦٦]. الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك، بل يكفر، وعلى أن الشاك كافر باطل بطريق الأولى نبه عليه شيخ الإسلام[٣].

قال ابن عثيمين رحمه الله «والظاهر أن المراد من هزل بشيء فيه ذكر الله مثل الأحكام الشرعية، أو هزل بالقرآن أو هزل بالرسول ﷺ فيكون معطوفا على قوله بشيء»[٤].

وقد ذكره الشيخ أيضاً في نواقض الإسلام فقال الناقض السادس: «من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ومن هذا الباب: الاستهزاء بالعلم، وأهله، وعدم احترامهم لأجله»[٥].

حكم الاستهزاء بالدين:

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «الاستهزاء بالدين فيه تفصيل، فإن المستهزئ بالدين، أو السابَّ له، أو اللاعن له، قد يريد دين المُستَهزأ به، ولا يريد دين

---

(١) يقصد ما ذكر في الآية، وبوبه الإمام وهو ثلاثة: الله، القرآن، والرسول ﷺ.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٨.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٥١. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٥.

(٥) قرة عيون الموحدين ص٢١٧.

الإسلام أصلاً، فلا يرجع استهزاؤه إلى واحد من الثلاثة؛ فلهذا نقول: الكفر يكون أكبر إذا كان الاستهزاء بأحد الثلاثة التي ذكرنا ونصت عليها الآية، أو كان راجعاً إلى أحد الثلاثة.

أما إذا كان الاستهزاء بشيء خارج عن ذلك، فإنه يكون فيه تفصيل: فإن هزل بالدين، فيُنظر هل يريد دين الإسلام، أو يريد تدين فلان؟ ومثال ذلك: أن يأتي واحد من المسلمين ويستهزئ - مثلاً - بهيئة أحد الناس وهيئته يكون فيها التزام بالسنة، فهل يكون هذا مستهزئاً الاستهزاء الذي يخرجه من الملة؟ الجواب: لا؛ لأن هذا الاستهزاء راجع إلى تدين هذا المرء، وليس راجعاً إلى الدين أصلاً، فيُعرَّف بأن هذا سنة عن النبي ﷺ فإذا عَلِمَ أنه سنة، وأقرَّ بذلك، وأن النبي فعله ثم استهزأ، بمعنى: استنقص أو هزأ بالذي اتبع السنة مع علمه بأنها سنة وإقراره بصحة كونها سنة فهذا رجع إلى الاستهزاء بالرسول.

وكذلك الاستهزاء بكلمات قد يكون مرجعها إلى القرآن، وقد لا يكون مرجعها إلى القرآن فيكون فيه تفصيل، فالخلاصة - إذاً - أن الاستهزاء إذا كان بالله، أو بصفاته، أو بأسمائه، أو بالرسول عليه الصلاة والسلام، أو بالقرآن فإن هذا كفر، وإن كان الاستهزاء غير ذلك فينظر: إن كان راجعاً إلى أحد الثلاثة فهو كفر أكبر، وإن كان غير ذلك فإنه يكون محرماً ولا يكون كفراً أكبر»[1].

وهكذا القول في **حكم الاستهزاء بالمتمسك بالدين:**

فإن له حالتين:

الحالة الأولى: الاستهزاء بالمسلم لعيب خُلُقي، أو خَلقي مستقذر وذلك: كالاستهزاء بالطول والقصر، والعرج والعور، والعجلة والحماقة، والغضب والبلاهة وما شابه ذلك.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٨٢، ٤٨٣.

وهذا القسم حكمه التحريم؛ إذ هو كبيرة من كبائر الذنوب، التي حذر الله عباده المؤمنين من الوقوع فيها، ورتب على اقترافها عذابا أليما، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

فمن وقع في مثل هذا فإنما عليه الإقلاع، والتوبة النصوح، وعقد العزم على أن لا يعود[١].

الحالة الثانية: الاستهزاء بالمسلم لتمسكه بدين الإسلام وهذا كفر[٢].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من جملة أنواع الكفر لقول الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦] ويدخل في ذلك الاستهزاء بالتوحيد، أو بالصلاة، أو بالزكاة، أو الصيام، أو الحج، أو غير ذلك من أحكام الدين المتفق عليها.

أما الاستهزاء بمن يعفي لحيته أو يقصر ثيابه ويحذر الإسبال أو نحو ذلك من الأمور التي قد تخفى أحكامها جاهلاً، فهذا فيه تفصيل، والواجب الحذر من ذلك، ونصيحة من يعرف منه شيء من ذلك حتى يتوب إلى الله سبحانه ويلتزم بشرعه، ويحذر الاستهزاء بمن تمسّك بالشرع في ذلك، طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ وحذر من غضب الله وعقابه والردة عن دينه وهو لا يشعر»[٣].

---

(١) انظر في ذلك القول المبين، عبدالسلام بن برجس ص ٢٢.

(٢) ينظر فتاوى اللجنة ٢/ ٢٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص ٥٣٤.

وقال أيضاً رحمه الله: «من يستهزئ بالمسلمة أو المسلم من أجل تمسكه بالشريعة الإسلامية فهو كافر سواء أكان ذلك في احتجاب المسلمة احتجاباً شرعياً أم في غيره لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عِنْدَ اللقاء. فقال رجل: كذبت، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، فقال عبد الله ابن عمر: وأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦] فجعل استهزاءه بالمؤمنين استهزاء بالله وآياته ورسوله. وبالله التوفيق»[(١)].

وذكر العلامة ابن حجر الهيثمي عن بعض الأئمة الحنفية في كتاب ألّفه فيما يكون به المسلم مرتداً، ذكر في الفصل الأول وهو ما اتفق العلماء عليه من المكفرات:

«أو قال العلم الذي يتعلمونه أساطير وحكايات أو هذيان أو هباء أو تزوير، أو قال: إيش مجلس الوعظ؟ أو العلم لا يُثْرِد. أو وعظ على سبيل الاستهزاء، أو ضحك على وعظ العلم، أو قال لرجل صالح: كن ساكناً حتى لا نقع إلا وراء الجنة، أو قال: إيش هذا القبيح الذي خففت شاربك، أو قال: بئسما أخرجت السنة...».

ثم عقب عليه بقوله رحمه الله: «وما ذكره في إيش مجلس الوعظ...الخ إنما يتجه إن أراد الاستهزاء بالواعظ، وكذا إن أُطلِق على احتمال قوي فيه لظهور هذا اللفظ في الاستخفاف بمجلس الوعظ والعلم وما ذكره في الوعظ استهزاء، إنما يتجه إن أراد الاستهزاء بالواعظ، وكذا بالوعظ من حيث هو وعظ. أما لو أراد الاستهزاء

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص ٥٣٣.

بالواعظ أو بكلماته لا من حيث كونه واعظا، فلا يتجه الكفر حينئذ، وكذا قال في الضحك على الوعظ...»[(١)].

*** أحكام وفوائد:**

❖ حكم الجلوس مع المستهزئين:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

قال القرطبي: «فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرّضا بالكفر كفر؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾. فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية»[(٢)].

قال العلامة الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أي أنزل عليكم في الكتاب أنكم عِنْدَ هذا السماع للكفر والاستهزاء بآيات الله لا تقعدوا معهم ما داموا كذلك حتى يخوضوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بها، والذي أنزل الله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد كان جماعة من الداخلين في الإسلام يقعدون مع المشركين واليهود حال سخريتهم بالقرآن، واستهزائهم به؛ فنُهوا عن ذلك.

---

(١) الإعلام بقواطع الإسلام، من النسخة الملحقة بكتابه الزواجر ٣/ ٣٦٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤١٨.

وفي هذه الآية ـ باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر دون خصوص السبب ـ دليلٌ على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية»(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾: «هذا تعليل للنهي: أي إنكم إن قعدتم معهم تكونون مثلهم وشركاء لهم في الكفر، لأنكم أقررتموهم عليه، ورضيتموه لهم، ولا يجتمع الإيمان بالشيء وإقرار الكفر والاستهزاء به، ويؤخذ من الآية أن إقرار الكفر بالاختيار كفر، ويؤخذ منه أن إقرار المنكر والسكوت عليه منكر، وهذا منصوص عليه أيضاً، وأن إنكار الشيء يمنع فشوه بين من ينكرونه حتماً، فليعتبر بهذا أهل هذا الزمان، ويتأملوا كيف يمكن الجمع بين الكفر والإيمان، أو بين الطاعة والعصيان، فإن كثيرًا من الملحدين في البلاد المتفرنجة يخوضون في آيات الله، ويستهزئون بالدين، ويقرهم على ذلك ويسكت عليهم من لم يصل إلى درجة كفرهم، لضعف الإيمان والعياذ بالله تعالى»(٢).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومن يستهزئ بأهل الدين والمحافظين على الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه يعتبر مستهزئاً بالدين، فلا تجوز مجالسته ولا مصاحبته، بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه ومن صحبته، وهكذا من يخوض في مسائل الدين بالسخرية والاستهزاء يعتبر كافرا فلا تجوز صحبته ولا مجالسته بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه وحثه على التوبة النصوح»(٣).

---

(١) فتح القدير ٢/ ٧٩٤.

(٢) تفسير المنار ٥/ ٣٧٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص٥٣٢.

❖ **توبة المستهزئ:**

الصحيح من أقوال أهل العلم قبول توبة المستهزئ بالله إذا توفرت شروط التوبة. قال الشيخ ابن عثيمين: «لقولـه ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة:٦٦]، وهذا أمر قد وقع فإن من هؤلاء من عُفي عنه وهُديَ للإسلام وتاب، وتاب الله عليه، وهذا دليل للقول الراجح أن المستهزئ بالله تقبل توبته لكن لا بد من دليل بيّن على صدق توبته لأن كفره من أشد الكفر أو هو أشد الكفر، فليس مثل كفر الإعراض أو الجحد»[(١)].

* فائـــدة: في قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ﴾ قيل: إن الطائفة مخشي بن حُمير عفا الله عنه وتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم مقتله، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم مقتله ولا من قتله، ولا يدرى له عين ولا أثر. وقيل إن الطائفة زيد بن وديعة. والأول أشهر، ويحتمل أن الله عفا عنهما جميعاً[(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٥٦. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٣١.

(٢) أحكام القرآن ٨/ ١٩٦ وانظر تيسير العزيز الحميد ص٦٢٩. وأصلها عند ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ١٠/ ١٧٢.

٢٤- الإسلام*

الإسلام في اللغة:

قال الخطابي: «السَّلَم بفتح السين واللام: الاستسلام والإذعان كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء:٩٠] أي الانقياد، وهو مصدر يقع علىٰ الواحد والاثنين والجمع»(١).

وقال أبوبكر الرازي: «واستسلم أي انقاد»(٢).

والاستسلام لله: الذل والخضوع له.

وقال الإمام أبوبكر الإسماعيلي: «ومنهم من ذهب إلىٰ أن الإسلام مختص بالاستسلام لله والخضوع له والانقياد لحكمه فيما هو مؤمن به»(٣).

---

* التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٤٧، ١٦/ ١٦٠. الشريعة للآجري ٩٥، ٩٩، ١٠٤. الإبانة لابن بطة العكبري ٦٣٦. الجامع أحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ٤٩، ١٤/ ١٨٥. فتح الباري لابن رجب ١/ ٩٩، ١٢٥. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٠٣، ٤٢٦، ٤٣٨. معارج القبول ٢/ ٢٠. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ١٨٥. نور علىٰ الدرب ص٣٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ٤٥ ـ ٧/ ٢٣٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٤/ ٦٢٧. عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ص٤٧٣، ٤٧٥. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٦٩، ٤٦٢. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٢٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص١٣٧٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٣٠١. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٥٤. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٤٦. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٥٣ ـ ٦٣. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٢٢٣ ـ ٢٨٩. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص١٨٦. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٩٥.

(١) النهاية (س ل م).

(٢) مختار الصحاح (س ل م).

(٣) اعتقاد أئمة الحديث، ص٦٨.

وقال ابن جرير الطبري: «وكذلك الإسلام وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم، بمعنى: دخل في السلم، كما يقال أقحط القوم: إذا دخلوا في القحط، وأربعوا: إذا دخلوا في الربيع، فكذلك أسلموا: إذا دخلوا في السلم، وهو الانقياد بالخضوع، وترك الممانعة، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة لـه، وإقرارا الألسن والقلوب بالعبودية والذلة، وانقيادها لـه بالطاعة فيما أمر ونهي، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية»[1].

* **الإسلام فـي الشرع:**

قال قتادة: «الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تعريف الإسلام: «هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد لـه بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله»[3].

وقال الشيخ السعدي: «هو الانقياد لله وحده ظاهراً وباطناً بما شرعه على ألسنة رسله»[4].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «هو استسلام العبد لله ظاهراً وباطناً بفعل أوامره

---

(١) جامع البيان ٣/ ٢١٢.

(٢) جامع البيان ٣/ ٢١٢.

(٣) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص٤٦، ٤٧ شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٦٤.

(٤) تفسير ابن سعدي ص١٠٣.

واجتناب نواهيه فيشمل الدين كلّه»[١].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]).

* **الدليل من السنة:** روىٰ مسلم عن طَاوُس أَنَّ رَجُلا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَلا تَغْزُو فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الإِسْلامَ بُنِيَ عَلَىٰ خَمْسة شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»[٢].

* **أقوال العلماء:**

قال أبوالعالية: «الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته، لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإسلام الذي هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين فيستسلم لله وحده لا شريك له، ويكون سالماً له بحيث يكون متألهاً له غير متألهٍ لما سواه»[٤].

وقال رحمه الله: «وهو أن يجمع معنيَين: أحدهما الانقياد والاستسلام، والثاني إخلاص ذلك وإفراده»[٥].

وقال ابن رجب رحمه الله: «الإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد والطاعة»[٦].

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٩١ من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٤/ ٩١.

(٢) أخرجه مسلم (١٦). وفي رواية البخاري زيادة «وأن محمداً رسول الله» البخاري (٨).

(٣) جامع البيان ٣/ ٢١٢.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٢٣.

(٥) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٣٥.

(٦) تحقيق كلمة الإخلاص ص٤٠.

*** أحكام وفوائد:**

❖ العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام:

إن اسم الإيمان تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام. وتارة يذكر مقرونا

فمن أمثلة ذكره مقرونا بالإسلام قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥،٣٦] وقول جبريل عليه السلام في حديث عمر بن الخطاب: «ما الإسلام، وما الإيمان»[(١)].

ومن أمثلة ذكر الإيمان مفرداً قولـه تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وقوله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد:٧،٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(٣)].

ومن أمثلة ذكر الإسلام مفرداً قولـه تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، و مسلم (٣٥، ٥٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) عن أنس بن مالك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨].

والتفريق بين الإسلام والإيمان من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين السلف ـ رحمهم الله ـ ولهم فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنهما شيء واحد فلا فرق بين الإسلام والإيمان:

وممن قال بذلك:

الإمام البخاري حيث بوّب في صحيحه فقال: «باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام الإيمان والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، ثم قال: «جاء جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم» فجعل ذلك كله ديناً. وما بين النبي ﷺ لوفد عبد القيس من الإيمان وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]»(١).

قال ابن حجر: «تقدم أن المصنف يرى أن الإيمان والإسلام عبارة عن معنى واحد فلما كان ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما، وأن الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة أراد أن يرد ذلك بالتأويل إلي طريقته، قوله وبيان أي مع بيان الاعتقاد والعمل دين. وقوله وما بين أي مع ما بين للوفد أن الإيمان هو الاسم حيث فسره في قصتهم بما فسر به الإسلام هنا وقوله أي مع ما دلت عليه الآية أن الإسلام هو الدين، ودل عليه خبر أبي سفيان أن الإيمان هو الدين فاقتضى ذلك أن الإسلام والإيمان أمر واحد هذا محصل كلامه»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧).

(٢) فتح الباري ١/ ١١٤.

محمد بن نصر المروزي يرىٰ أن الإيمان هو الإسلام فيقول: «وقالت طائفة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله الله ديناً ارتضاه لعباده ودعاهم إليه»[(١)].

ونقل عنه شيخ الإسلام أنه قال: «وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان، وأنهما لا يفترقان ولا يتباينان»[(٢)].

الإمام الحافظ ابن منده حيث بوب لذلك في كتاب الإيمان فقال: «ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب والسنة أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنىٰ واحد»[(٣)].

وإلىٰ هذا الرأي يذهب ابن عبد البر حيث قال: «الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر أن الإيمان والإسلام سواء بدليل ما ذكرنا من كتاب الله ﷻ قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥،٣٦] وعلىٰ القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعية والمالكية وهو قول داود وأصحابه وأكثر أهل السنة والنظر المتبعين للسلف والأثر إلىٰ أن قال والصحيح عندنا ما ذكرت لك»[(٤)].

القول الثاني: إنهما شيئان متغايران مطلقاً سواء اجتمعا أو افترقا:

وقال به جماعة من السلف منهم:

---

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٥٢٩.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٣٦٥.

(٣) الإيمان لابن منده ١/ ٣٢١.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٥٠.

١ـ الإمام الزهري: حيث يرىٰ: «إن الإسلام الكلمة والإيمان العمل»[١].

ولبيان معنىٰ كلام الزهري رحمه الله أنقل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: «ولما كان كل من أتىٰ بالشهادتين صاراً مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارىٰ، تجري عليه أحكام الإسلام؛ كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه، فلهذا قال الزهري: الإسلام الكلمة، وعلىٰ ذلك وافقه أحمد وغيره، وحين وافقه لم يرد أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها، فإن الزهري أجلّ من أن يخفىٰ عليه ذلك»[٢].

٢ـ الإمام أحمد كما ذكره عنه عبد الملك الميموني قال: قلت: لأبي عبد الله تفرق بين الإيمان والإسلام قال: نعم[٣].

وقال ابنه صالح: «سئل أبي عن الإسلام والإيمان. فقال: قال ابن أبي ذئب: الإسلام القول والإيمان العمل فقيل ما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان»[٤].

قال ابن منده: «وقال بهذا القول جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن عباس والحسن ومحمد بن سيرين وهو مذهب جماعة من أئمة الآثار»[٥].

قال ابن عبد البر: «وقد ذهبت طائفة من أهل الحديث إلىٰ أن الإيمان والإسلام معنيان»[٦].

القول الثالث: أن الإسلام والإيمان إذا أطلق أحدهما مفرداً شمل الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله. وأما إذا قرن بينهما وذكرا معاً فعند

(١) الإيمان لابن منده ١/ ٣١١.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٤١٥.

(٣) السنة للخلال ٣/ ٦٠٤.

(٤) السنة للخلال ٣/ ٦٤٠

(٥) الإيمان لابن منده ١/ ٣١١ـ٣١٢.

(٦) التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٤٩.

ذلك يفترقان فيراد بالإسلام حينئذ الأعمال والأقوال الظاهرة ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... فإذا قيل إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح وليس أحدهما الآخر فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حيا إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر»[(١)].

وقال ابن رجب: «... فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌ على باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، هكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى آخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن» وتبعه عليه جماعة من

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٦٥، ٣٦٧.

العلماء من بعده، ويدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ فسَّر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبدالقيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل، وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عنبسة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان». قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت» قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: «الهجرة» قال: فما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء» قال: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد». فجعل النبي ﷺ الإيمانَ أفضلَ الإسلام وأدخل فيه الأعمال، وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول في مسألة الإيمان والإسلام هل هما واحد أو مختلفان فإن أهل السنة والحديث مختلفون في ذلك وصنفوا في ذلك تصانيف متعددة فمنهم من يدعي أن جمهور أهل السنة على أنهما شيء واحد منهم محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر، وقد روي هذا القول عن سفيان الثوري من رواية أيوب بن سويد الرملي عنه وأيوب فيه ضعف ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما كأبي بكر بن السمعاني وغيره وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف منهم قتادة وداود بن أبي هند وأبو جعفر الباقر والزهري وحماد بن زيد وابن مهدي وشريك وابن أبي ذئب وأحمد ابن حنبل وأبو خيثمة ويحيى بن معين وغيرهم على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما وكان الحسن وابن سيرين يقولان مسلم ويهابان مؤمن وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لـه وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمّى الله في

كتابه الإسلام ديناً، وفي حديث جبريل سمّى النبيُّ ﷺ الإسلامَ والإيمانَ والإحسانَ ديناً، وهذا أيضاً مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب وبالإسلام جنس العمل وفي المسند للإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان في القلب وهذا لأن الأعمال تظهر علانية والتصديق في القلب لا يظهر وكان النبي ﷺ يقول في دعائه إذا صلى على الميت اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان لأن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منه في الحياة.

فأما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب ومن هنا قال المحققون من العلماء كل مؤمن مسلم فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام وليس كل مسلم مؤمناً، فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً مع عمل جوارحه أعمال الإسلام فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان التام كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤] فلم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول ابن عباس وغيره بل كان إيمانهم ضعيفاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾»[1].

وبه تعرف معنى الجملة المشهورة في ذلك: أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٦، ٢٧ وانظر ما بعدها ص٢٨، ٢٩، ٣٠، حيث طلب فيها الشواهد المؤيدة لما قرره.

افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فمتى قرن الإسلام والإيمان كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والمراد بالإيمان ما يكون في القلب من التصديق وعمل القلب، وهذا يدل عليه حديث جبريل ﷺ عندما سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت ... الحديث[(١)].

وإن ذكر أحدهما شمل الآخر. وهو ما يدل عليه حديث وفد عبدالقيس حيث فسر الإيمان بما فسر به الإسلام في حديث جبريل حيث قال ﷺ لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس ...» الحديث[(٢)].

وقال ابن سعدي: «اعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام بهذه الأصول وإقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان وأثر من آثاره.

فحيث أطلق الإيمان دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما كان الإيمان اسما لما في القلب من الإقرار والتصديق والإسلام اسماً للأعمال الظاهرة»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٨) (٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

(٣) تفسير السعدي ١/ ١٤٤.

❖ **الإسلام بالمعنى العام والخاص:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا؟ وهو نزاع لفظي، فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمداً ﷺ المتضمن لشريعة القرآن ـ ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام، المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً من الأنبياء ـ فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكرالله عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل. قال الله تعالى عن إبرهيم: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة:١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى عليه السلام، والنصارى مسلمون في زمن عيسى عليه السلام، وأما حين بعث النبي محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين»[2].

❖ **الإسلام الكوني والشرعي:**

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر، وبرّ وفجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه

---

(١) التدمرية، ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ١٤.

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

الثاني: إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير»(١).

❖ **هل الجهاد من أركان الإسلام؟:**

عن يزيد بن بشر عن ابن عمر: قال: «بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». فقال له رجل: والجهاد في سبيل الله. قال ابن عمر: الجهاد حسن. هكذا حدثنا رسول الله ﷺ(٢).

قال الحافظ ابن رجب: «وفي حديث معاذ بن جبل: «إن رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد». وذروة سنامه: أعلىٰ شيء فيه، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بني عليها، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء ليس بفرض عين بخلاف هذه الأركان.

والثاني: أن الجهاد لا يستمر فعله إلىٰ آخر الدهر، بل إذا نزل عيسىٰ عليه السلام ولم يبق حينئذٍ ملةٌ إلا ملة الإسلام فحينئذ تضع الحرب أوزارها ويستغنىٰ عن الجهاد بخلاف هذه الأركان فإنها واجبة علىٰ المؤمنين إلىٰ أن يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك»(٣).

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٦/ ١٤، ٦٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٧٩٨).

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ١٥٢.

٢٥- الأصنام

انظر باب (الصنم).

٢٦- أصول الإيمان

الأصل: «هو ما يبنى عليه غيره»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤]»[(٢)].

«والعقيدة الإسلامية» أصولها: الإيمان، بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد دلّ على هذه الأصول كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول الله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ويقول في القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر:٤٩، ٥٠].

وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(٣)].

وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان:

---

(١) التعريفات للجرجاني، ص٤٥.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٣٧.

(٣) سبق تخريجه.

«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

ومن هنا يعلم أن أصول الإيمان ستة: الإيمان بالله، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقدر خيره وشره.

فهذه كما قال الشيخ عبدالرحمن القاسم: «أصول الإيمان التي تركب منها، والتي يزول بزوالها، ستة أركان، ويكون بزوال الواحد من تلك الستة، كافراً كفراً يخرج من الملة، وما عداها لا يزول بزواله؛ لكن منها ما يزول بزواله، كمال الإيمان الواجب، ومنها ما يزول بزواله، كمال الإيمان المندوب»[٢].

وقد أفردنا لكل أصل بابا لوحده والله المستعان.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم، ص٦١.

٢٧- الأصول الثلاثة

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته المشهورة الموسومة بثلاثة الأصول: «فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين معلقاً على ذلك: «وهذه الثلاثة يشير بها رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[(٢)].

* **الدليل من السنة:** حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح وسؤال القبر.

وفيه الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته[(٣)].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعَبْدُ إِذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَداً مِنْ الْجَنَّةِ» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لا دَرَيْتَ

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٣٧. وانظر للاستزادة: أبواب توحيد الربوبية، الدين.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٦/ ٣٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٧٣٣)، (١٨٧٣٤).

وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلا الثَّقَلَيْنِ»[١].

* **فائـــــدة:**

هذا المصطلح أطلقه الإمام محمد بن عبدالوهاب وأراد به هذا المعنى الذي في الحديث، وأطلقه غيره وأراد به معنى آخر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهذه الأصول الثلاثة: توحيد الله، والإيمان برسله، وباليوم الآخر هي أمور متلازمة... إلخ»[٢].

وقال العلامة محمد السفاريني في معرض كلامه عن الأصول الثلاثة التي عليها مدار الخلق والأمر والسعادة: «فالأصل الأول إثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه وهي القصص التي قصها الله تعالى على عباده والأمثال التي ضربها لهم. والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة وبيان ما يحبه ويكرهه. والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب»[٣].

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

(٢) ينظر مجموع الفاوى ٩، ٣٢، وللاستزادة ٢/ ٥٦، ١٩/ ٩٦.

(٣) لوامع الأنوار ٢/ ٦٤.

٢٨- أصول الدين *

تقدم تعريف الأصول في باب (أصول الإيمان) والمراد به هنا تقسيم الدين إلىٰ أصول وفروع، وهناك نصوص لعلماء أهل السنة يثبتون فيها هذا التقسيم.

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرح حديث معاذ في بعثته إلىٰ اليمن: «والبداءة في المطالبة بالشهادتين لأن ذلك أصل الدين الذي لا يصح شيء من فروعه إلا به»(١).

وقال أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله في الموافقات: «الشريعة كلها ترجع إلىٰ قول واحد في فروعها، وإن كثر الخلاف كما أنها في أصول كذلك»(٢).

وفي بيان معنىٰ الأصول يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول والدقيق مسائل فروع، فالعلم بوجوب الواجبات كمباني الإسلام الخمس وتحريم المحرمات الظاهرة والمتواترة كالعلم بأن الله علىٰ كل شيء قدير وبكل شيء عليم وأنه سميع بصير، وأن القرآن كلام الله ونحو ذلك من القضايا المتواترة ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المجمع عليها كفر، كما أن من جحد هذه كفر»(٣).

وقال أيضاً رحمه الله: «إذا عرف هذان النوعان، فمن الناس من يسمى العلم

---

* منهاج السنة ٥/ ٨٤-٩٥، مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٦، ٥٧، ٢٣/ ٣٤٦-٣٥٠، النبوات ص١٩٢، الصواعق المرسلة ٢/ ٦١٣، إعلام الموقعين ٤/ ٢١٨، معجم المناهي اللفظية، مادة (أصول وفروع)، تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلىٰ قشور ولباب لمحمد المقدم، دلائل الصواب في إبطال بدعة تقسيم الدين إلىٰ قشور ولباب لسليم الهلالي.

(١) إحكام الأحكام ٣/ ١٨٣.

(٢) الموافقات ٤/ ١١٨.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٦، ٥٧.

والاعتقاد والحكم والقول الخبري التابع علم الأصول، وأصول الدين أو علم الكلام أو الفقه الأكبر، ونحو ذلك من الأسماء المتقاربة وإن اختلفت فيها المقاصد والاصطلاحات، ويسمى النوع الآخر علم الفروع، وفروع الدين، وعلم الفقه والشريعة، ونحو ذلك من الأسماء وهذا اصطلاح كثير من المتفقهة والمتكلمة المتأخرين.

ومن الناس من يجعل أصول الدين اسماً لكل ما اتفقت فيه الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير، سواء كان علمياً أو عملياً سواء كان من القسم الأول أو الآخر؛ حتى يجعل عبادة الله وحده ومحبته وخشيته ونحو ذلك من أصول الدين، وقد يجعل بعض الأمور الاعتقادية الخبرية من فروعه ويجعل اسم الشريعة ينتظم العقائد والأعمال ونحو ذلك، وهذا اصطلاح غلب على أهل الحديث والتصوف، وعليه أئمة الفقهاء وطائفة من أهل الكلام»[١].

وأطلق بعض العلماء على العقيدة اسم «أصول الدين»[٢] وذلك أن ملة النبي ﷺ تنقسم إلى اعتقادات وعمليات، والمراد بالعمليات علم الشرائع والأحكام المتعلقة بكيفية العمل، كأحكام الصلاة والزكاة والبيوع وغيرها.

قال ابن أبي العز في مقدمة شرح الطحاوية: «أما بعد، فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبوحنيفة رحمه الله تعالى ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين (الفقه الأكبر) وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٣٤.

(٢) مثل الإبانة عن أصول الديانة لأبي حسن الأشعري ومسائل من أصول الديانات لأبي يعلي.

سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه..»[١].

وقال في الدرة المضية:

وبعــد فــاعلم أن كــل العلــــم كالفرع للتوحيـد فاسـمع نظمـي

لأنــه العلــم الــذي لا ينبغـــي لعـاقـــل لفهمـــه لم يبـــتغ[٢]

وهذا وإن كان مصطلحاً إلا أن هناك إشكالاً في **بعض الأقوال في التفريق بين الأصول والفروع**.

فمن قائل: إن مسائل الأصول هي العلمية الاعتقادية التي يُطلب فيها العلم والاعتقاد فقط، ومسائل الفروع هي العملية التي يُطلب فيها العمل وهذا مردود بأن المسائل العملية منها ما يكفر جاحده مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصيام رمضان، كما أن المسائل العلمية فيها ما لا يأثم المتنازعون عليه كتنازع الصحابة: هل رأىٰ محمدٌ ربَّه؟

ومن قائل: إن المسائل الاصولية هي ما كان عليها دليل قطعي والفرعية ما ليس عليها دليل قطعي وهذا الفرق خطأ أيضاً فقد كان علىٰ عهد النبي ﷺ طائفة أكلوا بعد طلوع الفجر حتىٰ يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولم يؤثمهم النبي ﷺ فضلاً عن تكفيرهم وخطؤهم قطعي.

ومن قائل: أن المسائل الأصولية هي المعلومة بالعقل والمسائل الفرعية هي المعلومة بالشرع قالوا: فالأول كمسائل الصفات والقدر، والثاني: كمسائل الشفاعة وخروج أهل الكبائر من النار وهذا مردود بأن الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل فالكافر من جعله الله ورسوله

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٥، ٦.

(٢) الدرة المضيّة مع شرحها لوامع الأنوار البهية ١/ ٥٥.

كافراً، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً[١].

وأما إذا استخدم هذا الاصطلاح كما يفعل المعتزلة حيث جعلوا الأصول الخمسة هي أصول الدين فإنه ينكر عليهم أشد الإنكار، وكذلك ينكر على الشيعة الذين جعلوا الإمامة من أهم أصول الدين.

وقد **رد شيخ الإسلام على من أدخل في أصول الدين ما ليس منه** فقال رحمه الله تعالى: «وإنما الغرض التنبيه على أن في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين.

وأما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين، وإن أدخله فيه، مثل المسائل والدلائل الفاسدة مثل نفي الصفات والقدر، ونحو ذلك من المسائل، ومثل الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأعراض التي هي صفات الأجسام القائمة بها إما الأكوان وإما غيرها»[٢].

وقال رحمه الله: «والسلف والأئمة الذين ذموا وبدعوا الكلام في الجوهر والجسم والعرض تضمن كلامهم ذم من يدخل المعاني التي يقصدها هؤلاء بهذه الألفاظ في أصول الدين»[٣].

وقال أيضاً: «ومن تدبر هذا رأى أهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعاً بآرائهم ليس فيها كتاب ولا سنة ثم يُكفِّرون من خالفهم فيما ابتدعوه، وهذا حال من كفر من الناس بما أثبتوه من الأسماء والصفات التي يسميها هو تركيباً وتجسيماً.. ونحو ذلك من الأقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة، ثم كفروا من خالفهم فيها، والخوارج الذين تأوّلوا آيات القرآن

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٥/ ٨٨-٩٢.

(٢) درء التعارض ١/ ٣٨، وانظر أيضاً مختصر الفتاوى المصرية ص٢٢٢.

(٣) درء التعارض ١/ ٢٤.

وكفَّروا من خالفهم فيها أحسن حالاً من هؤلاء، فإن أولئك علَّقوا الكفر بكلام ما أنزل الله به من سلطان»[(١)].

وقال أيضاً: «وهذا كما أن طائفة من أهل الكلام يسمى ما وضعه أصول الدين، وهذا مسمى عظيم، والمسمى به فيه من فساد الدين ما الله به عليم، فإذا أنكر أهل الحق والسنة ذلك، قال المبطل قد أنكروا أصول الدين، وهم لم ينكروا ما يستحق أن يسمى أصول الدين وإنما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين، وهي أسماء سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، فالدين ما شرعه الله ورسوله وقد بين أصوله وفروعه، ومن المحال أن يكون الرسول قد بيَّن فروع الدين دون أصوله كما قد بيَّنا هذا في غير هذا الموضع»[(٢)].

وقال أيضاً: «وقد تقدم التنبيه على منشأ الضلال في هذا السؤال وأمثاله وما في ذلك من العبارات المتشابهات المجملات المبتدعات سواء كان المحدَث هو اللفظ ودلالته، أو كان المحدث هو استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى، كلفظ «أصول الدين» حيث أدخل فيه كل قوم من المسائل والدلائل ما ظنوه هم من أصول دينهم، وإن لم يكن من أصول الدين الذي بعث الله به ورسله، وأنزل به كتبه»[(٣)].

وقال رحمه الله: «المعلوم أن أشرف مسائل المسلمين، وأهم المطالب في الدين ينبغي أن يكون ذكرها في كتاب الله تعالى أعظم من غيرها، وبيان الرسول لها أولى من بيان غيرها، والقرآن مملوء بذكر توحيد الله تعالى، وذكر أسمائه وصفاته وآياته وملائكته.. والفرائض بخلاف الإمامة.. ومعلوم أن القرآن لم يدل على هذا كما دل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٦.

(٣) درء التعارض ١/ ٧٣.

علىٰ سائر أصول الدين»[١].

❖ **حكم تقسيم الدين إلى لب وقشور:**

سُئل سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: هل يجوز أن يقول المكلف: «إن الشرع قشره علم الحقيقة لُبُّه» أم لا يجوز؟، فأجاب رحمه الله:

«لا يجوز التعبير علىٰ الشريعة بأنها قشر من كثرة ما فيها من المنافع والخير، وكيف يكون الأمر بالطاعة والإيمان قشراً، وأن العلم الملقب بعلم الحقيقة جزء ومن أجزاء علم الشريعة؟! ولا يُطلق مثل هذه الألقاب إلا غبيٌّ شقي قليل الأدب! ولو قيل لأحدهم: «إن كلام شيخك قشور» لأنكر ذلك غاية الإنكار ويُطلقُ لفظ القشور علىٰ الشريعة؟! وليست الشريعة إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فيُعَزَّر هذا الجاهل تغريراً يليق بمثل هذا الذنب»[٢].

وقال تقي الدين السبكي: «... وقولهم «من أهل القشور» إن أراد به ما الفقهاء عليه من العلم ومعرفة الأحكام؛ فليس من القشور، بل من اللب، ومن قال عليه: «إنه من القشور) استحق الأدب، والشريعة كلها لباب»[٣].

وليس المراد بهذا التقسيم أنه لا يُؤبه للفروع أو لا تأخذ حقها بالامتثال أو أن ينصب الاهتمام علىٰ الأصول فقط بحيث تهجر الفروع وإنما المراد أنها بالنسبة للأصول لا تبلغ مبلغها في الأهمية، فقد قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام علىٰ خمس...» فنبه علىٰ المباني العظام، والأصول والفروع كلها تسير في مساق واحد من الالتزام بها ووجوب الامتثال فهي داخلة تحت حكم الله وخطابه، ويقاس صلاح القلب وفساده بظهور انقياده لشرائع الإسلام.

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٢٣.

(٢) فتاوىٰ سلطان العلماء، ص٢٤، ٢٥.

(٣) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء، لابن القيم رحمه الله ص٢٥.

وليس المراد بالفروع أنها قشور يطرحها العبد وليست ذات فائدة، فهذا فيه غض من شأنها وتهوين لأمرها، وقد أنكر السلف على من هوَّن أمرها، أو قلل من شأنها ومن ذلك أن الإمام مالك رحمه الله سُئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: إنها مسألة خفيفة سهلة فغضب، وقال: ليس في العلم شيء خفيف أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]، فالعلم كله ثقيل وخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة[1].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن تقسيم الدين إلى قشور ولب، (مثل اللحية)؟.

فأجاب رحمه الله بقوله: «تقسيم الدين إلى قشور ولب، تقسيم خاطئ وباطل، فالدين كله لب، وكله نافع للعبد، وكله يقربه لله عز وجل، وكله يُثاب عليه المرء، وكله ينتفع به المرء، بزيادة إيمانه وإخباته لربه عز وجل حتى المسائل المتعلقة باللباس والهيئات وما أشبهها، كلها إذا فعلها الإنسان تقرباً على الله عز وجل واتباعاً لرسوله ﷺ فإنه يُثاب على ذلك، والقشور كما نعلم لا ينتفع بها بل ترمى، وليس في الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ما هذا شأنه، بل كل الشريعة الإسلامية لب ينتفع به المرء إذا أخلص النية لله، وأحسن في اتباعه رسول الله ﷺ وعلى الذين يروجون هذه المقالة، أن يفكروا في الأمر تفكيراً جدياً، حتى يعرفوا الحق والصواب، ثم عليهم أن يتبعوه، وأن يدعوا مثل هذه التعبيرات، صحيح أن الدين الإسلامي فيه أمور مهمة كبيرة عظيمة، كأركان الإسلام الخمسة، التي بينها الرسول ﷺ بقوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام». وفيه: أشياء دون ذلك، لكنه ليس فيه قشور لا ينتفع بها الإنسان، بل يرميها ويطرحها.

---

(١) أعلام الموقعين ٦/ ١٣٢ بتحقيق مشهور آل سلمان.

وأما بالنسبة لمسألة اللحية: فلا ريب أن إعفاءها عبادة؛ لأن النبي ﷺ أمر به وكل ما أمر به النبي ﷺ فهو عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، بامتثاله أمر نبيه ﷺ، بل إنها من هدي النبي ﷺ وسائر إخوانه المرسلين، كما قال الله تعالى عن هارون: أنه قال لموسى ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه:٩٤]، وثبت عن النبي ﷺ أن إعفاء اللحية من الفطرة التي فطر الناس عليها، فإعفاؤها من العبادة وليس من العادة، وليس من القشور كما يزعمه من يزعمه»[1].

وقال الشيخ بكر أبوزيد: «وقد أنحى المقبلي في «العلم الشامخ» على من قال: الخلاف في الفروع سهل، وما جرى مجرى ذلك مما تجده منتشراً اليوم، بل تحول إلى مقولة هزيلة بحيث أوردوا قولهم: هذا قشور وذلك لباب ويعنون بالقشور: المسائل الفقهية الدائرة في محيط الاستحباب، أو الكراهة، ونحو ذلك من أمور التحسينات والحاجيات، وهذا النبزُ إحياءٌ لما لدى المتصوفة، من تسميتهم أهل الفقه باسم: أهل القشور وأهل الرقص من الصوفية: أهل الحقيقة، فانظر كيف أن الأهواء يجر بعضها بعضاً.

وابن تيمية رحمه الله كثيراً ما يستعمل هذا التعبير، فمراده إذاً من إنكار التفريق ترتيب التكفير، وعليه: فإن المعيَّن لا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه»[2].

٢٩ - إضافة النعم لغير الله

انظر: باب (كفر النعمة).

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١٢٤، ١٢٥.

(٢) معجم المناهي اللفظية ص١٠١.

٣٠- الإطــراء *

[الغلو - التنطع]

الإطراء في اللغة: المدح، وقال الفيومي: «طريت فلاناً مدحته بأحسن ما فيه، وقيل: بالغت في مدحه وجازوت الحد»(١). وقال ابن الأثير: «الإطراء: المبالغة في المدح والإسراف بما ليس في الممدوح»(٢). وقال ابن حجر: «الإطراء: المدح بالباطل»(٣).

وفي الشرع: قال الإمام البغوي: «هو المبالغة في المدح والتعظيم والكذب فيه»(٤).

*** الدليل من السنة:** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فإِنَّمَا أَنَا عَبْده، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»(٥).

*** أقوال العلماء:**

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «وقوله: «إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله) أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي، كما غلت النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام، فادّعَوا فيه الإلهية، وإنما أنا عبدُ الله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا:

---

* تيسير العزيز الحميد ص٣١٤. فتح المجيد ص٢٥٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥١. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٣٧٤، ط٢- ١/ ٤٧٥ ومن المجموع ٩/ ٣٦٣. الدين الخالص حسن القنوجي ٢/ ٢٧٣، ٤/ ٤٥٦.

(١) المصباح المنير ص١٩٣.

(٢) جامع الأصول ٤/ ٩٧.

(٣) فتح الباري ٦/ ٥٦٥.

(٤) شرح السنة ١٣/ ٢٤٦.

(٥) البخاري (٣٤٤٥)، ومسلم (١٦٩١).

عبدُ الله ورسوله. فأبى المشركون إلا مخالفة أمره، وارتكاب نهيه، فعظّموه بما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غُلُّوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطولُ عدُّه، وصنَّفوا فيه المصنفات.

وقد ذكر شيخُ الإسلام عن بعض أهل زمانه: أنه جوَّز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كلِّ ما يُستغاث فيه بالله. وصنَّف في ذلك مصنفاً، ردَّه شيخ الإسلام، وردُّه موجودٌ بحمد الله»[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا النهي يحتمل انه مُنصَبّ على هذا التشبيه، وهو قوله: «كما أطرت النصارى ابن مريم)، حيث جعلوه إلهاً أو ابناً لله، وبهذا يوحي قول البوصيري:

دع مـا ادَّعتـه النـصارى في نبـيهم   واحكـم بمـا شـئت مـدحاً فيـه

أي دع ما قاله النصارى أن عيسى عليه السلام ابن الله أو ثالث ثلاثة والباقي املأ فمك في مدحه ولو بما لا يرضيه.

ويحتمل أنّ النهي عام؛ فيشمل ما يشابه غلو النصارى في عيسى بن مريم وما دونه، ويكون قوله (كما أطرت) لمطلق التشبيه لا للتشبيه المطلق؛ لأنَّ إطراء النصارى عيسى بن مريم سببه الغلو في هذا الرسول الكريم ﷺ حيث جعلوه ابناً لله وثالث ثلاثة، والدليل على أن المراد هذا قوله: «إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»»[٢].

وفي هذا الحديث النهي عن مدح النبي ﷺ المدح الزائد عن منزلته لأن الغلو قد يؤدي إلى الشرك بالله كما صار للنصارى.

(١) فتح المجيد، ص٢٥٤.

(٢) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٣٧٥.

٣١- اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام

قال ابنُ حَزْمٍ: «ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالىٰ من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا: من بلغ الغاية من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة، وغير ذلك، وحلت لـه المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك»[١].

* **حكمهم**: من اعتقد ذلك فهو كافر والعياذ بالله.

وقد حكىٰ القاضي عياض إجماع المسلمين علىٰ كفر بعض المتصوفة القائلين: «إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلىٰ إسقاطها، وإباحة كل شيء لهم، ورفع عهد الشرائع عنهم»[٢].

وفي معرض كلام شيخ الإسلام عن «اليقين» قال: «وقولـه: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] كقولك يأتيك ما توعد. فأما أن يظن أن المراد: اعبده حتىٰ يحصل لك إيقان. ثم لا عبادة عليك فهذا كفر باتفاق المسلمين»[٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «ويستدلُّ بها ـ أي الآية ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ ـ علىٰ تخطئة من ذهب من الملاحدة، إلىٰ أن المراد باليقين المعرفة فمتىٰ وصل أحدهم إلىٰ المعرفة سقط عنه التكليف عِنْدَهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم

---

(١) الفصل ٤/ ٢٢٦.

(٢) الشفاء ٢/ ١٠٧٤.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٤١٩، ٤٢٠ وانظر المجموع ٢٤/ ٣٣٩.

السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمنا»(١).

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى ؑ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه... ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله»(٢).

وقال ؒ: «ومن اعتقد أن لله رجالاً خواصاً لا يحتاجون إلى متابعة محمد ﷺ بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى... فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام»(٣).

وقال: «ومن ادَّعى أن له طريقاً إلى الله يوصله إلى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث بها رسوله، فإنه كافر يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه»(٤).

قال ابن القيم: «ومن ظن أن يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفراً، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وهذا تارة، فما يلقى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ويشهد له بالموافقة وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان»(٥).

قال في الإقناع: «ومن اعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لـه أو لغيره خروجاً عن اتباعه ﷺ وأخذ ما بعث به، أو

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢٢، وانظر ٢٧/ ٥٩، ٤/ ٣١٨.

(٣) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٤، ٤٣٥ باختصار.

(٤) المصدر السابق ١١/ ٦٠٧ وانظر ٣/ ٤٢٢، ٢٤/ ٣٣٩، ٢٧/ ٥٩.

(٥) إغاثة اللهفان ١/ ١٢٣.

قال أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو إن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعته، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ عليه السلام أو أن هدىً غير النبي خير من هديه فهو كافر»[١].

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الباب في نواقض الإسلام حيث قال: «التاسع: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه ﷺ، وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسىٰ عليهما السلام فهو كافر»[٢].

❖ **الرد على شبهة احتجاجهم بقصة الخضر:**

أورد شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ شبهة احتجاجهم بقصة الخضر في مواضع كثيرة من كتبه وفتاويه ورد عليها بما يأتي:

الأول: موسىٰ عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلىٰ الخضر، ولا كان علىٰ الخضر اتباعه، فإن موسىٰ كان مبعوثاً إلىٰ بني إسرائيل، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين الجن والإنس، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر: كإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ وجب عليهم اتباعه، فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً، ولهذا قال الخضر لموسىٰ: «أنا علىٰ علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه[٣]، وأنت علىٰ علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه» وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

---

(١) الإقناع مع شرحه كشاف القناع ٦/ ١٧١، وانظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب قسم الرسائل الشخصية ص ٦٨.

(٢) الرسائل الشخصية ٢١٤.

(٣) في هذا دليل علىٰ أن ما يفعله الخضر كان عن وحي من الله وليس مجرد خيال وتوهم وهذا لا يمكن أن يكون بعد بعثة محمد ﷺ لأحد من الناس إذ ببعثته ﷺ انقطع الوحي ومن ادعىٰ حصوله فقد كفر وانظر في ذلك الفكر الصوفي ص١٣٢.

الثاني: أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسىٰ، وموسىٰ لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك فلما بينها له وافقه علىٰ ذلك[١].

قال شارح الطحاوية: «وأما من يتعلق بقصة موسىٰ مع الخضر عليهما السلام، في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدُنِّي، الذي يدّعيه بعض من عُدِمَ التوفيق: فهو ملحد زنديق، فإن موسىٰ لم يكن مبعوثاً إلىٰ الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته. ولهذا قال له: أنت موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعم. ومحمد ﷺ مبعوث إلىٰ جميع الثقلين، ولو كان موسىٰ وعيسىٰ حيَّيْنِ لكانا من أتباعه. وإذا نزل عيسىٰ إلىٰ الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد، فمن ادعىٰ أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسىٰ، أو جوّز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه، وليشهد شهادةَ الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم، وأهل الاستقامة، وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلىٰ الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصِرَ عنها، وهو يَوَدُّ منها نظرةً؟! وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالىٰ حيث يقول: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾ [المدثر:٥٢] إلىٰ آخر السورة»[٢].

(١) انظر مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٤٢٢، ١١/ ٤٨، ٤٩، ١٠، ٦٠٧/ ٣١٨.

(٢) شرح الطحاوية لأبي العز، ص ٤٥٨ ط- أحمد شاكر.

٣٢- الاعتكاف عِندَ القبور والمشاهد*

العكف في اللغة: «الحبس والوقف والإقامة»[(١)].

قال النووي: «الاعتكاف: أصله الحبس واللبث والملازمة للشيء فسُمِّي الاعتكاف الشرعي لملازمته المسجد ولبثه فيه»[(٢)].

وفي الشرع: قال الحجاوي رحمه الله: «لزوم مسجد لطاعة الله تعالى»[(٣)].

وقال ابن هبيرة: «عبارة عن اللبث في المسجد بنية الاعتكاف»[(٤)].

ومذاهب الفقهاء اختلفت في مدة الاعتكاف، ففريق قال بتحديد أقل الاعتكاف، وفريق آخر قال بعدم تحديد أقله، وأنه يصح بما يطلق عليه لبث في المسجد، وأكثر أهل العلم على أنه غير محدد بمدة، فيجزئ فيه ما يسمى لبث كلبث ساعة ونحوها»[(٥)]. وهذا يهمنا في فهم صورة الاعتكاف الشركي، إذ المراد من الترجمة هنا التحذير من مشابهة المشركين في العكوف عِنْدَ الأصنام حيث

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٤٥ ـ ٨/ ٣٢٥. الاستذكار لابن عبد البر ١٠/ ٢٦٥، ٣٤٣. شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٦/ ٣٩١ ـ ٢/ ٧٣٩، ٨١٧، ٨١٩. الاقتضاء ٢/ ٧٣٩. تيسير العزيز الحميد ص١٨١. فتح المجيد ١٥٩، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٢. القول المفيد لابن عثيمين ط٢- ١/ ٢٥٩. نور على الدرب ص٣١٤. التبرك د ناصر الجديع ص٣٩٩، ٤٠٠.

(١) ينظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ص ١٠٧، والتعريفات للجرجاني ص ٤٧.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه ص١٣٠.

(٣) زاد المستقنع ص ٥٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/ ٢٥٥، وعرفه النووي بمثل ذلك. انظر المجموع شرح المهذب ٦/ ٥٠٤.

(٥) انظر المحلى ٥/ ٢٦٤، المغني ٣/ ٢١٠، والاعتكاف أحكامه وأهميته في حياة المسلم ص ٤٧، ٤٨ للدكتور أحمد الكبيسي.

يعكف القبوريون عِنْدَ القبور ويقيمون عِنْدها تعبداً لغير الله.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

* **الدليل من السنة:** «عن أبي واقد الليثي، أنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، قال: وكان للكفار سدرة يعكفون عندها، ويعلِّقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. قال: فمررنا بسدة خضراء عظيمة قال: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده، كما قال قوم موسىٰ: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إنها لسنن لتركبنَّ سُنن من كان قبلكم سنة سنة»»[1].

* **أقوال العلماء:**

قال في شفاء الصدور: «فالعكوف المجاورة عِنْدَ قبر نبي أو غير نبي أو مقام نبي أو غير نبي ليس هو من دين المسلمين بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر الله إذ قال لهم إبراهيم إمام الحنفاء: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فعكوف المؤمنين في المساجد وعكوف الجاهلين في المشاهد هو من جنس عكوف المشركين فإن المشركين يعكفون علىٰ ما يرجونه ويخافونه ويتخذونه شفعا إلىٰ الله قال: فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم لـه خالقاً ولا أن يساويه في صفاته بل كان يقرون بأن خالق السموات والأرض واحد.

كما أخبر الله تعالىٰ عنهم بقولـه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧] وقولـه: وكانوا يتخذون آلهتهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٢٤٢).

إخباراً عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٣]، ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] وهؤلاء العاكفون على القبور قد شابههم في الصورة المطلوب اجتنابها ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] قال ابن عَبَّاسٍ وغيره: يسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله ومع هذا يعبدون غيره، وهذا التوحيد لا يخلص بمجرده عن الشرك بل لا بد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا إياه والكمال أن لا يرجو ولا يخشى إلا إياه حقيقة ومجازاً»[١].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومن نوع هذا الشرك: الاعتكاف على قبور المشهورين بالنبوة، أو الصحبة، أو الولاية، وشد الرحال إلى زيارتها، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح، وبركته، ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك؛ فتارة يسألونه؛ وتارة يسألون الله عِنْدَه؛ وتارة يصلون ويدعون الله عِنْدَ قبره.

ولما كان هذا بدء الشرك، سد النبي ﷺ هذا الباب ففي الصحيحين، أنه قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً»[٢].

---

(١) شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور، أصدرته دار الإفتاء العامة بالمملكة العربية السعودية، ص٧٠، ٧١، وفي الغالب النقل فيه عن ابنِ تَيمِيَّةَ رحمه الله.

(٢) الدرر السنية ٢/ ٩. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٠٨. طريق الهجرتين لابن القيم ص٤١٢، ٤١٣. تفسير ابن كثير ٣/ ٩١. فتح القدير ٣/ ٢٩٦. أضواء البيان ٤/ ١٤٢. إرشاد الطالب إلى أهم المطالب لابن سحمان ص١٢، ١٣. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٣٤٤، ٣٤٦. ضوابط التكفير للقرني ص١٩٥، ٢٠١.

٣٣- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به

في اللغة: قال المناوي: «الإعراض: الإضراب عن الشيء وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة أي أخذت عرضا أي جانبا غير الجانب الذي هو فيه»[(١)].

قال في اللسان: «والإعراض عن الشيء: الصد عنه، وأعرض عنه: صد»[(٢)].

«والإعراض الصدود، أعرض عنه: صد ووَلَّى»[(٣)].

والمقصود بالإعراض: الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به. لا يبالي بالدين أصلاً، فلا يتعلم شيئاً من الدين ولا يوالي فيه ولا يعادي فيه، وهؤلاء لا يعلمون الحق كما قال الله جل وعلا: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤].

فجعل سبب عدم علمهم بالحق، لا لخفاء الحق في نفسه، ولكن لأنهم معرضون عن الديانة، وكذلك قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

فالإعراض المكفر هو الإعراض عن تعلُّم أصل الإيمان، أما إذا كان معه أصل الإيمان وأعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية فهذا ينقص الإيمان ولا ينفيه بالكلية[(٤)].

---

(١) التعاريف للمناوي ٢/ ٧٦.

(٢) لسان العرب (ع ر ض) ٧/ ١٨٢.

(٣) الإفصاح في اللغة ١/ ١٩٥، وانظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٣٠، مختار الصحاح ص٤٢٥.

(٤) الدرر السنية ١٠/ ٤٧٢، ٤٧٣، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٣١٥.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾: «أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها لـه ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها»[1].

حكمه: وهذا هو الناقض الأخير الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام رحمه الله في نواقض الإسلام العشرة فقال: «العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾»[2].

ولتوضيح هذا الأمر فقد بيَّن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك أنواع الردة ثم أردفها بتنبيهات فقال:

«التنبيه الثالث: ما يلزم منه لزوماً ظاهراً ويدل دلالة ظاهرة على عدم الإقرار بالشهادتين باطناً ولو أقرَّ بهما ظاهراً، وذلك يشمل أموراً منها:

الإعراض عن دين الإسلام، لا يتعلمه ولا يعمل به، ولا يبالي بما يترك من الواجبات، وما يأتي من المحرمات، ولا بما يجهل من الأحكام.

وينبغي أن يعلم أنَّ المكلف لا يخرج من كفر الإعراض ـ المستلزم لعدم إقراره ـ بفعل أي خصلة من خصال البر، وشعب الإيمان؛ فإن من هذه الخصال ما يشترك الناس في فعله ـ كافرهم ومؤمنهم ـ كإماطة الأذى عن الطريق، وبر

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٩٦.

(٢) الرسائل الشخصية من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس ص٢١٤.

الوالدين، وأداء الأمانة.

وإنما يتحقق عدم هذا الإعراض، والسلامةُ منه بفعل شيء من الواجبات التي تختص بها شريعة الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ ـ كالصلاة والزكاة والصيام والحج ـ إذا فعل شيئاً من ذلك إيماناً واحتساباً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله مع عدم شيء[1] من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ» اهـ[2].

وذكر ابن القيم ضابطاً للإعراض فقال رحمه الله: «وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدق ولا يكذب، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة»[3].

وقال في موضع آخر عن أنواع الكفر: «الثالث: كفر إعراض محض لا ينظر فيما جاء به الرسول، ولا يحبه، ولا يبغضه، ولا يواليه، ولا يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته»[4].

فتبيَّن أن المعرض لا يبالي أن يكون من أنصار الرسول، أو أن لا يكون من أنصار الرسول، أو أن يكون باحثاً عن الحق، أو أن لا يكون باحثاً عن الحق، أو أن يكون متبعا للدين، أو لا يكون متبعا للدين وهذا هو حاصل كلام ابن القيم فتجد أن المرء ليس عِنْدَه علم بالإسلام، ولا عِنْدَه علم بالرسالة، وليس من أهل الديانة أصلاً لأنه معرض عنها.

فالتوحيد ليس مجرد الإقرار ثم يترك العمل ويعرض عنه وعن أحكامه.

---

(١) قال الشيخ البراك: كذا وردت العبارة، ولعل المناسب للسياق: «مع عدم فعل شيء».

(٢) من مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢١، جواب في الإيمان ونواقضه للشيخ عبدالرحمن البراك ص٢٣-٢٤.

(٣) مدراج السالكين ١/ ٣٤٧.

(٤) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤، وانظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٧.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «فإذا قيل: التوحيد زين، والدين حق، إلا التكفير، والقتال، قيل: اعملوا بالتوحيد، ودين الرسول، ويرتفع حكم التكفير، والقتال، فإن كان حق التوحيد الإقرار به، والإعراض عن أحكامه، فضلا عن بغضه، ومعاداته، فهذا والله عين الكفر وصريحه؛ فمن أشكل عليه من ذلك شيء فليطالع سيرة محمد ﷺ، وأصحابه»[1].

ومن الآيات التي يناسِب ذكرها هنا: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء:٦١]، قال الإمام ابن القيم في معنى هذه الآية: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه والتسليم لما حكم به رضى واختيارا ومحبة فهذا حقيقة الإيمان وذلك الإعراض حقيقة النفاق ...»[2].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٤٧-٥١].

قال ابنُ حَزْمٍ عن هذه الآيات: «هذه الآيات محكمات لم تدع لأحد علقة يشغب بها، قد بين الله فيها صفة فعل أهل زماننا فإنهم يقولون: نحن المؤمنون بالله وبالرسول ونحن طائعون لهما، ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الإقرار

(١) الدرر السنية ٢/ ٥٦.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٥٣، وانظر تيسير العزيز الحميد ص٥٥٧.

فيخالفون ما وردهم عن الله ﷻ ورسولـه ﷺ، أولئك بنص حكم الله تعالىٰ ليسوا مؤمنين»[١].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبَيَّن الله سبحانه أن من تولىٰ عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن، وإن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلىٰ غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقض والسب ونحوه»[٢].

❖ **الفرق بين التولي والإعراض:**

قال أبو البـقاء الكفوي في الكليات: «الإعراض: أن تولي الشيء عرضك: أي جانبك ولا تقبل عليه، والتولي: الإعراض مطلقا، ولا يلزمه الإدبار... والإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب، قال بعضهم: المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك إلا أن المعرض أسوأ حالاً ... وغاية الذم الجمع بينهما»[٣].

وقال المناوي: «التولِّي: الإعراض المتكلف بما يفهمه التفعل ذكره الحرالي»[٤].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٩٢.

(٢) الصارم المسلول ص٣٩ دار الجيل، ٨١.

(٣) الكليات ٢٨.

(٤) التعاريف للمناوي ٢/ ٢١٦.

٣٤ـ أعمال القلوب*

هي ما تعلقت بعمل القلب وارتبطت به كالتوكل والمحبة والرغبة والرهبة والرجاء والخوف والإخلاص وتسمىٰ أيضاً عبادة قلبية[١].

قال الإمام أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «وإنما أعطىٰ الله كلَّ جارحة عملاً لم يُعطه الأخرىٰ، فعمل القلب: الاعتقاد، وعمل اللسان: القول، وعمل اليد: التناول، وعمل الرجل: المشي، وكلها يجمعها اسم العمل»[٢].

وقال ابن العربي رحمه الله: «فالعمل له محلان: أحدهما القلب، والآخر الجوارح وعلىٰ القلب أمران: أحدهما الاعتقاد، و الآخر الإخلاص»[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنافي للبغض والاستكبار»[٤].

وقال أيضاً: «وعمل القلب هو المحبة علىٰ سبيل الخضوع»[٥].

وقال أيضاً: «والأمر يستوجب الانقياد لـه والاستسلام، وهو عمل في القلب جِـماعه الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به»[٦].

---

* الصارم المسلول ص٤٥٩، ٥١٩، العقيدة الأصفهانية ص١٧٨، مدارج السالكين ٢/ ٢١٤، ٢٢٨، ٣٩٧، الصلاة لابن القيم ص٢٤، ٢٥، أعمال القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب سليمان الغصن، مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٢٤. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢٣١، ٢٣٢.

(١) انظر للاستزادة كتاب: التحفة العراقية لابنِ تَيمِيَّةَ ١٨.

(٢) كتاب الإيمان، ص٥٢.

(٣) قانون التأويل ص٣٨٠.

(٤) الاستقامة ٢/ ٣١٠.

(٥) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٤٠.

(٦) الصارم المسلول ص٥١٩.

وقال رحمه الله: «فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. ويقال لهذا: قول القلب. قال الجنيد بن محمد: «التوحيد: قول القلب، والتوكل: عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله: ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان، ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد إلا وهي القلب»»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك بل لابد فيه من عمل القلب وهو حبه لله ورسوله وانقيادة لدينه والتزامه طاعته ومتابعه رسوله وهذا خلاف من زعم أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره»[(٢)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «عمل القلب هو قصده واختياره ومحبته ورضاه وتصديقه»[(٣)].

❖ **ومن أعمال القلوب:**

اليقين: وهو أهمها وروحها،قال ابن القيم: «فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال القلوب التي هي من أعمال الجوارح وهو حقيقة الصديقية وهو

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٨٦، ١٨٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

(٣) الدرر السنية ١/ ٤٧٩.

قطب هذا الشأن الذي عليه مداره.

وروىٰ خالد بن يزيد عن السفيانين عن التميمي عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا ترضينَّ أحداً بسخط الله، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله، ولا تذمنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن ما رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره، وإن الله بعدله وقسطه جعل الرَّوْح والفرح في الرضىٰ واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[1]»[2].

الرضىٰ: قال ابن القيم رحمه الله: «إن الرضىٰ من أعمال القلوب نظير الجهاد من أعمال الجوارح فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان قال أبو الدرداء: ذروة سنام الإيمان الصبر للحكم والرضىٰ بالقدر»[3].

الصدق: قال ابن القيم: «ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق وأضدادها من الرياء والعجب والكبر والفخر والخيلاء والبطر والأشر والعجز والكسل والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب والله تعالىٰ يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ولا مفاسدها ومضارها بمثل الكذب»[4].

❖ العلاقة بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح:

قال ابن القيم رحمه الله: «إن لله على العبد عبوديتين: عبودية باطنة وعبودية ظاهرة،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٩٧.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢١٤.

(٤) الفوائد ص١٣٦.

فله على قلبه عبودية، وعلى لسانه وجوارحه عبودية فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه ولا يوجب له الثواب وقبول عمله فإن المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح والنية هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء والمقصود بالأمر والنهي فكيف يسقط واجبه ويعتبر واجب رعيته وجنده وأتباعه اللاتي، إنما شرعت واجباتها لأجله ولأجل صلاحه وهل هذا إلا عكس القضية وقلب الحقيقة والمقصود بالأعمال كلها ظاهرها وباطنها إنما صلاح القلب وكماله وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه وإلهه ومن تمام ذلك قيامه هو وجنده في حضرة معبوده وربه فإذا بعث جنوده ورعيته وتغيب هو عن الخدمة والعبودية فما أجدر تلك الخدمة بالرد والمقت وهذا مثل في غاية المطابقة وهل الأعمال الخالية عن عمل القلب إلا بمنزلة حركات العابثين وغايتها أن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب ولما رأى بعض أرباب القلوب طريقة هؤلاء انحرف عنها إلى أن صرفه همه إلى عبودية القلب وعطل عبودية الجوارح وقال المقصود قيام القلب بحقيقة الخدمة والجوارح تبع والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل هؤلاء لا التفات لهم إلى عبودية جوارحهم ففسدت عبودية قلوبهم وأولئك لا التفات لهم إلى عبودية قلوبهم ففسدت عبودية جوارحهم والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا له بحقيقة العبودية ظاهرا وباطنا وقدموا قلوبهم في الخدمة وجعلوا الأعضاء تبعا لها فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود وهذا هو حقيقة العبودية ومن المعلوم أن هذا هو مقصود الرب تعالى بإرساله رسله وإنزاله كتبه وشرعه وشرائعه فدعوى المدعي أن المقصود من هذه العبودية حاصل وإن لم يصحبها عبودية القلب من أبطل الدعاوي وأفسدها والله الموفق.

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها عَلِم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟.

وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت؛ ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب ومركب الإسلام الجوارح فهذه كلمات مختصرة في هذه المسألة لو بسطت لقام منها سفر ضخم وإنما أشير إليها إشارة»[1].

وقال في مدارج السالكين: «إن أعمال الجوارح تضاعف إلى حد معلوم محسوب وأما أعمال القلوب فلا ينتهي تضعيفها وذلك لأن أعمال الجوارح لها حد تنتهي إليه وتقف عِنْدَه فيكون جزاؤها بحسب حدها، وأما أعمال القلوب فهي دائرة متصلة وإن توارى شهود العبد لها.

مثاله: أن المحبة والرضى حال المحب الراضي لا تفارقه أصلاً، وإن توارى حكمها فصاحبها في مزيد متصل فمزيد المحب الراضي متصل بدوام هذه الحال له، فهو في مزيد ولو فترت جوارحه بل قد يكون مزيده في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل بما لا نسبة بينهما ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع. فإن أنكرت هذا فتأمل مزيد نائم بالله وقيام غافل عن الله،

(١) بدائع الفوائد ٣/ ١٩٢، ١٩٣ دار الكتاب العربي.

فالله سبحانه إنما ينظر إلىٰ القلوب والهمم والعزائم لا إلىٰ صور الأعمال»[١].

❖ **ومن أعمال القلوب وأعمال الجوارح:**

قال ابن القيم: «وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين لـه، والصبر علىٰ أوامره وعن نواهيه وعلىٰ أقداره والرضىٰ به وعنه، والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل لـه والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلىٰ الله من مستحبها وعمل الجوارح بدونها إما عدم المنفعة أو قليل المنفعة وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلىٰ الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلىٰ الخلق ونحو ذلك»[٢].

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٢٨.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٠١.

٣٥. الأعيـاد

انظر باب (عيد).

٣٦. الإقامة في بلاد الكفار *

[الولاء والبراء ـ الهجرة]

قال الشيخ ابن عثيمين: «الإقامة في بلاد الكفار خطرها عظيم على دين المسلم، و أخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فسّاقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان ـ والعياذ بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك»[1].

وقد جاء في الكتاب والسنة النهي عن التشبه بالكفار كما جاء النهي عن الأسباب الموصلة إلى التشبه بهم، فالإقامة في بلادهم سببٌ في التشبه بهم ظاهراً وباطناً؛ فأمرت الشريعة بالابتعاد عن منازل المشركين وجاء الوعيد في حق من ساكنهم وخالطهم وأقام في بلادهم.

---

* الدرر السنية ٨/ ١٦٢، ٤٥٩، ٤٨٤، ٩/ ٢٤٨، ٢٥٤. ١١/ ٣٣٨، ١٢/ ٤٠٥. المجموعة الكاملة للسعدي ٧/ ٦٩. شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٢، ١٣٩. نواقض الإيمان القولية والعملية لآل عبد اللطيف ص ٣٦٤. التجنس بجنسية دولة غير إسلامية لمحمد السبيل، بحث في مجلة المجمع الفقهي، العدد ٤ ص ١٥٦،٧ ١٥. السنن والآثار الواردة في النهي عن التشبه بالكفار ص٣٩٧، ٤٠١. وانظر للاستزادة مراجع الولاء والبراء.

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٣٢.

* الدليل من الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر علىٰ الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع»[١].

* الدليل من السنة: عن جرير بن عبدالله البجلي ﷺ أنه قال: يا رسول الله، بايعني واشترط، فقال رسول الله ﷺ: «تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين»[٢].

وقال ﷺ: «لا يَقْبَلُ اللهُ ﷻ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلاً أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ»[٣].

وعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ مرفوعاً: «أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: «لا تراءىٰ نارهما»[٤].

قال الخطابي: «في قولـه «لا تراءىٰ نارهما» ثلاثة أوجه:

أحدهما: معناه لا يستوي حكماهما، قاله بعض أهل العلم.

وقال بعضهم: معناه أن الله قد فرق بين داري الإسلام والكفر، فلا يجوز لمسلم أن يساكن الكفار في بلادهم حتىٰ إذا أوقدوا ناراً كان منهم بحيث يراها.

وفيه وجه ثالث ذكره بعض أهل اللغة قال: معناه لا يتسم بسمة المشرك ولا

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥١٤.

(٢) رواه النسائي.

(٣) أخرجه النسائي (٢٥٦٩)، وابن ماجه (٢٥٣٦)، وأحمد (٢٠٢٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) والترمذي (١٦٠٤).

يتشبه به في هديه وشكله. والعرب تقول: ما نار بعير؟ أي: ما سمته»[١].

وقال ابن الأثير: ««لا تراءى ناراهما». أي: يلزم المسلم ويجب عليه أن يُباعِد منزِلَه عن منزِلِ المشرك ولا ينزل بالموضع الذي إذا أوقِدت فيه نارُه تَلوُح وتظهرُ لنار المشرك إذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم»[٢].

وقال ابن القيم: «إن النار هي شعار القوم عند النزول وعلاماتهم وهي تدعوهم إليهم، والطارق يأنس بها، فإذا ألم بها جاور أهلها وسالمهم، فنار المشركين تدعو إلى الشيطان وإلى نار الآخرة، فإنها إنما توقد في معصية الله، ونار المؤمنين تدعو إلى الله وإلى طاعته وإعزاز دينه، فكيف تتفق الناران، وهذا شأنهما؟ وهذا من أفصح الكلام وأجزله، المشتمل على المعنى الكثير الجليل بأوجز عبارة»[٣].

❖ الفرق بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر:

انظر باب (الهجرة).

❖ أقوال العلماء في النهي عن الإقامة ببلاد الكفار:

للعلماء كلام في الإقامة ببلد الكفر سواء كانت بلد حرب أو بلد عهد، ويلحظ أن الحكم يختلف باختلاف الدار، كما يختلف باختلاف نية المقيم وقدرته على إظهار دينه[٤].

يقول ابن رشد: «فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على من أسلم ببلد الحرب أن يهاجر، ويلحق بدار المسلمين ولا يثوي بين المشركين، ويقيم بين أظهرهم لئلا تجري عليه أحكامهم، فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم حيث

---

(١) معالم السنن مع مختصر السنن ٣/ ٤٣٧.

(٢) النهاية ٢/ ١٧٧ (ر أى).

(٣) تهذيب السنن لابن القيم الجوزية مع مختصر السنن ٣/ ٤٣٦.

(٤) انظر للاستزادة فتوى شيخ الإسلام عن بلد ماردين، مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٤٠.

تجري عليه أحكامهم في تجارة أو غيرها، وقد كره مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أن يسكن أحد ببلد يُسَبُّ فيه السلف فكيف ببلد يكفر فيه بالرحمن، وتعبد فيه من دونه الأوثان، ولا تستقر نفس أحد على هذا إلا وهو مسلم سوء، مريض الإيمان»(١).

وقال العيني: «وأما الهجرة عن المواضع التي لا يتأتى فيها أمر الدين فهي واجبة اتفاقاً»(٢). وسيأتي في باب (الهجرة) أقوال العلماء في ذلك.

وقال الشيخ ابن عتيق: «من أقام ببلاد الكفر رغبة واختياراً لصحبتهم، فيرضى ما هم عليه من الدين، أو يمدحه، أو يرضيهم بعيب المسلمين، فهذا كافر عدو لله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨]»(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «**فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسيين:**

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ وأن يكون مضمرا لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ

---

(١) مقدمات ابن رشد ٢/ ٦١٢، ٦١٣.

(٢) عمدة القاري ١٤/ ٨٠.

(٢) الدفاع عن أهل السنة والاتباع لحمد بن عتيق ص١٢، والدرر السنية ٧/ ٢٠٢.

وَالنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٥١،٥٢].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن: «من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب»[١].

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم؛ لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «من أحب قوماً فهو منهم».

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ .

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسين **تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:**

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه، فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ، بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذّر

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ومسلم (٢٦٤).

الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلا يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم ـ رحمهم الله ـ على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو

مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجة إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال.

والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه **بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:**

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث ـ صغار السن ـ وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرا من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم ومشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيراناً أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور: «اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً عليّ فأضل».

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا

صادفت محلا ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد لـه نظير في المدراس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله». وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن لـه وجهة من النظر فإن المساكنة تدعوا إلى المشاكلة، وعن قيس بن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: «لا تراءى نارهما»[(١)].

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

(١) سبق تخريجه.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقا للحق والصواب»[١].

ولبيان معنى إظهار الدين قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «الإظهار ضد الإخفاء فالمظهر لدينه هو الذي يتمكن من إعلانه ولا يضطهد على ذلك ولا يخفيه والعاجز عن الإظهار هو الذي لا يقدر على إظهار إيمانه وتوحيده وعقائد دينه وشرائعه والدين لا يحد ولا يفسر بتفسير أحسن ولا أوضح من تفسير النبي ﷺ ولا أجمع فإنه فسره بمجموع عقائد الدين وشرائعه وحقائقه، فجعل ذلك كله هو الدين فمتى قدر الإنسان على إظهار هذه الأمور وعدم إخفاء شيء منها فهو المظهر لدينه، ومتى عجز عن إظهارها أو إظهار شيء منها فهو عاجز عن إظهار دينه».

❖ **حكم السفر إلى بلاد الكفار:**

سئل الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية، لأجل التجارة أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله إن كان يقدر على إظهار دينه، ولا يوالي المشركين، جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة، إلى بلدان المشركين، لأجل التجارة، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في مسنده وغيره.

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه، ولا على عدم موالاتهم، لم يجز له السفر إلى ديارهم، كما نص على ذلك العلماء، وعليه تحمل الأحاديث، التي تدل على النهي عن ذلك، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يجز.

---

(١) انظر شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٢٣، ١٣٩.

وأيضاً: فقد يجره ذلك إلى موافقتهم، وإرضائهم، كما هو الواقع كثيراً، ممن يسافر إلى بلدان المشركين، من فساق المسلمين، نعوذ بالله من ذلك»[١].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «وأما السفر إلى هذه الأقطار للاتجار مع حفظ العبد لدينه وقدرته على إظهاره فما المانع من ذلك والمسلمون مازالوا يسافرون للتجارة لبلاد الكفر في وقت الصحابة – رضي الله عنهم – وقد ذكر ذلك أهل العلم وذكروا ما يدل عليه، ثم قال: وكل هذا دليل على جواز الاتجار إلى بلدانهم بشرط أن يتمكن الإنسان من إقامة دينه وحفظه...»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة، وفيه إضاعة المال؛ لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن – والحمد لله – أصبحت بلاد سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها»[٣].

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ١٦٥ – ١٦٧، الدرر السنية ٨/ ١٦١، ١٦٢.

(٢) المجموعة الكاملة ٧/ ٧٠.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٣٢.

❖ **حكم التجنس بجنسية بلاد كافرة:**

سئلت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله عن المسلمين الذين يقدمون إلى هذه الديار ينوون الإقامة وكذلك يحصلون على الجنسية الأمريكية فهل يجوز لهم ذلك علما بأنها ديار كفر وشرك وانحلال فأجابت بما يأتي:

«لا يجوز لمسلم أن يتجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة لأن ذلك وسيلة إلى موالاتهم والموافقة على ما هم عليه من الباطل أما الإقامة بدون أخذ الجنسية فالأصل فيها المنع لقولـه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء:٩٧،٩٨]، ولقول النبي ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين». ولأحاديث أخرى في ذلك ولإجماع المسلمين على وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام مع الاستطاعة لكن من أقام من أهل العلم والبصيرة في الدين بين المشركين لإبلاغهم دين الإسلام ودعوتهم إليه فلا حرج عليه إذا لم يخش الفتنة في دينه وكان يرجو التأثير فيهم وهدايتهم»[١].

وهناك أقوال أخرى وأحكام ذكرها العلماء وأجابوا عنها حسب ورود السؤال إليهم، ينظر إليها في مظانها[٢].

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم ٢٣٩٣.

(٢) انظر على سبيل المثال: الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين ص ٩٩، ١٠٠، مجلة المنار، مجلد ٢٥، ج١، ص ٢٢، التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، لمحمد السبيل، بحث في مجلة المجمع الفقهي، العدد ٤، ص ١٥٠ – ١٥٧.

ويلحظ أن الحكم يختلف باختلاف الدار وباختلاف نية المقيم، وبحسب قدرته على إظهار دينه.

٣٧- الإقسام على الله*

[التألّي على الله]

يراد به هنا الحلف على الله إذا كان على جهة الحجر على الله والقطع بحصول المقسم على حصوله وهو التألي[١].

قال الشيخ ابن عثيمين: «والإقسام على الله أن تحلف على الله أن يفعل، أو تحلف عليه أن لا يفعل، مثل والله ليفعلن الله كذا، أو والله لا يفعل الله كذا»[٢].

قال السعدي: «الإقسام على الله سوء أدب في حق الله وهو مناف للتوحيد وهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله»[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين: «**والقَسَم على الله ينقسم إلى أقسام:**

الأول: أن يقسم على ما أخبر الله به ورسوله من نفي أو إثبات، فهذا لا بأس به، وهذا دليل على يقينه بما أخبر الله به رسوله مثل: والله لَيُشفِّعن الله نبيه في الخلق يوم القيامة، ومثل: والله لا يغفر الله لمن أشرك به.

الثاني: أن يقسم على ربه لقوة رجائه وحسن الظن بربه، فهذا جائز لإقرار النبي ﷺ ذلك في قصة الربيّع بنت النضر عمة أنس بن مالك ﷺ حينما كسرت ثنية جارية من

---

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٢/ ٧٦٢، ٧٧٢. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٨٧ ـ ٨٩. فتح المجيد ص٦٠١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٨٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٧٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٢٦٠ ط٢- ٣/ ٣٢٦ ومن المجموع ١٠/ ١٠٨٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٥١.

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٨٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٨٥. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢٦١.

(٣) القول السديد ص١٥٣.

الأنصار فاحتكموا إلى النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فعرضوا عليهم الصلح فأبوا، فقام أنس بن النضر فقال: أتكسر ثنية الربيّع؟ والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الربيّع. وهو لا يريد به رد الحكم الشرعي. فقال الرسول ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص» يعني السن بالسن، قال: والله لا تكسر ثنية الربيّع، وغرضه بذلك أنه لقوة ما عِنْدَه من التصميم على أن لا تكسر ولو بذل كل غال ورخيص أقسم على ذلك.

فلما عرفوا أنه مصمم ألقى الله في قلوب الأنصار العفو فعفوا، فقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[1] فهو لقوة رجائه بالله وحسن ظنه أقسم على الله أن لا تكسر ثنية الربيع فألقى الله العفو في قلوب هؤلاء الذين صمموا أمام الرسول ﷺ على القصاص فعفوا وأخذوا الأرش.

فثناء الرسول ﷺ عليه شهادة بأن الرجل من عباد الله، وأن الله أبر قسمه، ولين لـه هذه القلوب، وكيف لا وهو الذي قال: بأنه يجد ريح الجنة دون أحد ولما استشهد وجد به بضعة وثمانون ما بين ضربة بسيف أو طعنة رمح، ولم يعرفه إلا أخته ببنانه[2] وهي الربيّع هذه رضي الله عن الجميع وعنا معهم.

ويدل أيضا لهذا القسم قوله ﷺ: «رُبَّ أشعثَ أغْبَرَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[3].

القسم الثالث: أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس، وتحجُّر فضل الله ﷻ، وسوء الظن به تعالى، فهذا محرم، وهو وشيك بأن يحبط الله عمل هذا المقسم»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥) عن أنس ر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢٦٢.

٣٨- الاكتـواء

انظر: «باب الكي».

٣٩- الإكراه

من موانع التكفير. انظر باب: «التكفير».

٤٠- الإلحاد في أسماء الله*

[الأسماء والصفات]

الإلحاد لغة: مأخوذ من اللحد وهو الميل، لحد وألحد بمعنى مال حاد عنه وعدل[1]، ومنه سمي الحفر بالقبر لحداً، لأنه مائل إلى جهة القبلة وهو ما يضاد توحيد الأسماء والصفات.

وشرعاً: وقال ابن القيم في تعريف الإلحاد في أسماء الله: «هو الميل بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها»[2].

* الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٢١٧ـ٢/ ٤٠٣. مختصر الصواعق ٢/ ١١٠. مدارج السالكين ١/ ٢٩، ٣٠ ـ ٣/ ٣٤٧. بدائع الفوائد ١/ ١٦٩. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨. تيسير العزيز الحميد ص٦٤٥. فتح المجيد ص٥٢٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٣٧. القول السديد لاين سعدي المجموعة ٣/ ٤٥ ـ ٤٦. القول المفيد لابن عثيمين ط ١ – ٣/ ٧٦، ط٢ – ٣/ ٩٠ ومن المجموع ١٠/ ٩٠٣. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٣٩١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٥٧. ٤/ ٢٣ مذكرة التوحيد عبدالرزاق عفيفي ص١٧. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ٣٣٧. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٤١٥. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ٧٦، ١١١. نواقض الإيمان القولية والعملية ص ١١٨.

(١) مختار الصحاح (ل ح د).

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٩.

وحقيقته الميل بها عما جعلت لـه وعما يجب فيها إلىٰ ضد التوحيد من الشرك والتعطيل والكفر.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال ابن كثير: «وقال العوفي عن ابن عباس في قولـه تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ قال: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله.

وقال ابن جريج عن مجاهد ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ قال اشتقوا اللات من الله، والعزىٰ من العزيز، وقال قتادة يلحدون يشركون في أسمائه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الإلحاد التكذيب: وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلىٰ جهة القبلة عن سمت الحفر»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ الميل بالإشراك والتعطيل والنكران. وأسماء الرب تعالىٰ كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالىٰ إلىٰ عباده، ودلت علىٰ كماله ﷻ فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات، كإلحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، حتىٰ قال زعيمهم: هو المسمىٰ بمعنىٰ كل اسم ممدوح عقلاً وشرعاً وعرفاً، وبكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً، تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٨، وينظر تفسير الطبري ١٣/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٢٩، ٣٠.

وقال رحمه الله: «**والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:**

أحدها: أن يسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات: من الإله، والعزىٰ: من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا عن أسمائه إلىٰ أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارىٰ لـه أباً، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

الثالث: وصفه بما يتعالىٰ عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ...

الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالىٰ الله عما يقولون المشبهون علواً كبيراً»[(١)].

والإلحاد يضاد توحيد الأسماء والصفات. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «الشرك في توحيد الأسماء والصفات نوعان:

أحدهما: تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الاله الحق. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

قال ابن عبَّاسٍ: يلحدون في أسمائه: يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزىٰ من العزيز»[(٣)].

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٩، ١٩٢ باختصار، وانظر للاستزادة تيسير العزيز الحميد ص٦٤٥.

(٢) الأعراف آية (١٨٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٤.

قال الشيخ السعدي: «فحقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظا أو معنى، تصريحاً، أو تأويلاً، أو تحريفاً، وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان»[(١)].

وقال ابن عثيمين: «والإلحاد في أسماء الله الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا من الأسماء أو مما دلت عليه من الصفات أو الأحكام، ووجه كونه إلحاداً أنه مال بها عما يجب لها إذ الواجب إثباتها وإثبات ما تتضمنه من الصفات والأحكام.

الثاني: أن يثبت لله أسماء لم يسم الله بها نفسه؛ كقول الفلاسفة في الله: إنه علة فاعلة في هذا الكون تفعل، وهذا الكون معلول لها، وليس هناك إلـه. وبعضهم يسميه العقل الفعّال، فالذي يدير هذا الكون هو العقل الفعال، وكذلك النصارى يسمون الله أبا وهذا إلحاد.

الثالث: أن يجعلها دالة على التشبيه، فيقول: الله سميع بصير قدير، والإنسان سميع بصير قدير، اتفقت هذه الأسماء فيلزم أن تتفق المسميات، ويكون الله ﷻ مماثلا للخلق، فيتدرج بتوافق الأسماء إلى التوافق بالصفات.

ووجه الإلحاد: أن أسماءه دالة على معان لائقة بالله لا يمكن أن تكون مشابهة لما تدل عليه من المعاني في المخلوق.

الرابع: أن يشتق من هذه الأسماء للأصنام كتسمية اللات من الإله أو من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان حتى يلقوا عليها شيئا من الألوهية ليبرروا ما هم عليه»[(٢)].

أما من جحد شيئاً من الأسماء والصفات فسوف نتكلم عنها في باب (توحيد الأسماء والصفات).

---

(١) القول السديد ص١٣٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٠٤. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٧٧.

٤١. اللهم اغفر لي إن شئت*

لما كان العبد لا غناء له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين؛ نهى ﷺ عن تعليق حصول المغفرة والرحمة من الله على المشيئة وأمر بعزم الطلب دون تعليق وعلل ذلك بأن تعليق الطلب من الله على المشيئة يشعر بأن الله يثقله شيء من حوائج خلقه أو يضطره شيء إلى قضائها وهذا خلاف الحق فإنه هو الغني الحميد الفعال لما يريد. كما يشعر ذلك بفتور العبد في الطلب واستغنائه عن ربه وهو لا غنى له عن ربه ﷻ.

* الدليل من السنة: في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مستكره لـه». ولمسلم: «وليعظم الرّغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[1].

❖ **أقوال العلماء في الحكمة من النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة:**

قال في التيسير: «قال القرطبي: إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة الاهتمام بالمطلوب. وكأن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء، وكان ذلك دليلا على قلة معرفته بذنوبه، وبرحمة ربه. وأيضا فإنه لا يكون موقنا بالإجابة. وقد قال عليه السلام: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل»[2]»[3].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٤٩. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٢١. تيسير العزيز الحميد ص٦٦١. فتح المجيد ص٥٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٤٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٣/ ٨٩، ط٢ - ٣/ ١١٠ ومن المجموع ١٠/ ٩١٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٩٠.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) والحاكم (١/ ٤٩٣) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٥٩٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٦١.

وقال السعدي رحمه الله: «الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدِّين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك قد أمر العبد أن يسألها من ربه طالباً ملحاً جازماً، وهذا الطلب عين العبودية ومخها، ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة، لأنه مأمور به وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالىٰ لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد، فالعبد يسأل ربه ويعلقه علىٰ اختيار ربه لـه أصلح الأمرين كالدعاء المأثور: «اللهم أحيني ...» وكدعاء الاستخارة.

فافهم هذا الفرق البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها علىٰ ضررها فالداعي يعلقها علىٰ اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علماً»[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «والمحظور في هذا التعليق من وجوه ثلاثة:

الأول: **أنه يشعر بأن الله لـه مكره علىٰ الشيء، وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه، فكأن الداعي بهذه الكيفية يقول: أنا لا أكرهك، إن شئت فاغفر وإن شئت فلا تغفر.**

الثاني: أن قول القائل: «إن شئت» كأنه يرىٰ أن هذا أمر عظيم علىٰ الله فقد لا يشاؤه لكونه عظيماً عنده، ونظير ذلك أن تقول لشخص من الناس ـ والمثال للصورة بالصورة لا للحقيقة بالحقيقة ـ: أعطني مليون ريال إن شئت، فإنك إذا قلت له ذلك؛ ربما يكون الشيء عظيماً يتثاقله، فقولك: إن شئت؛ لأجل أن تُهوِّن عليه المسألة، فالله ﷻ لا يحتاج أن تقول له: إن شئت؛ لأنه ﷻ لا يتعاظمه شيء أعطاه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا

(١) القول السديد ١٣٦.

يتعاظمه شيء أعطاه»..

الثالث: أنه يشعر بأن الطالب مستغنٍ عن الله، كأنه يقول: إن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، فأنا لا يهمني، ولهذا قال: «وليعظم الرغبة»؛ أي: يسأل برغبة عظيمة، والتعليق ينافي ذلك؛ لأن المعلق للشيء المطلوب يشعر تعليقه بأنه مستغن عنه، والإنسان ينبغي أن يدعو الله تعالىٰ وهو يشعر أن مفتقر إليه غاية الافتقار، وأن الله قادر علىٰ أن يعطيه ما سأل، وأن الله ليس يعظم عليه شيء، بل هو هَيِّن عليه، إذاً من آداب الدعاء أن لا يدعو بهذه الصيغة، بل يجزم فيقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم وفقني، وما أشبه ذلك»[1].

*** أحكام وفوائد:**

❖ حكم قول اللهم اغفر لي إن شئت:

تعليق إجابة الدعاء بالمشيئة ينافي كمال التوحيد.

فإذا كان قولـه هذا علىٰ وجه الاستغناء أو يقولها مشعراً أن هذا المطلوب عظيم علىٰ الله فهذا حرام ولا يجوز، بل الواجب أن يعزم المسألة ويعظم الرغبة ويتيقن الإجابة فإن الله لا مكره له ولا يتعاظمه شيء أعطاه، وممن قال بالتحريم الحافظ ابن عبد البر حيث قال: «لا يجوز لأحد أن يقول: اللهم اعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا؛ لأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما شاءه»[2].

وذهب بعض العلماء كالنووي وابن حجر إلىٰ حمل النهي علىٰ كراهة التنزيه[3]، وكلامنا هذا إذا كان قوله علىٰ وجه الدعاء، وأما إذا كان علىٰ وجه الإخبار لا علىٰ وجه الدعاء فحكمه الجواز لاختلاف المسألة فباب الإخبار غير باب الدعاء

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩١٦-٩١٧.

(٢) فتح الباري ١١/ ١٤٤.

(٣) ينظر فتح الباري ١١/ ١٤٤.

لانتفاء المحاذير السابقة وعليه يحمل حديث «لا بأس طهور إن شاء الله»[١] وحديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا أفطر وهو صائم قال: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[٢] وحديث زيارة المقبرة وفيه: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[٣].

* **مسألة:** سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن **قول «إن شاء الله» على عمل قد تم** فقال:

«هذا فيه تفصيل، أما في العبادات فلا مانع أن يقول إن شاء الله صليت إن شاء الله صمت؛ لأنه لا يدري هل كملها وقبلت منه أم لا وكان المؤمنون يستثنون في إيمانهم وفي صومهم؛ لأنهم لا يدرون هل أكملوا أم لا، فيقول الواحد منهم: صمت إن شاء الله، ويقول أنا مؤمن إن شاء الله.

أما الشيء الذي لا يحتاج إلى ذكر المشيئة مثل أن يقول: بعت إن شاء الله، فهذا لا يحتاج إلى ذلك أو يقول: تغذيت أو تعشيت إن شاء الله، فهذا لا يحتاج أن يقول كلمة إن شاء الله؛ لأن هذه الأمور لا تحتاج إلى المشيئة في الخبر عنها لأنها أمور عادية قد فعلها وانتهى منها، بخلاف أمور العبادات التي لا يدري هل وفاها أم بخسها حقها، فإذا قال إن شاء الله فهو للتبرك باسمه سبحانه والحذر من دعوى شيء لم يكن قد أكمله ولا أداه حقه»[٤].

وبه تعلم أن قول: (إن شاء الله) لا يكون في العمل الذي علم انقضاؤه في الزمن الماضي كقول خلق الله السموات والأرض إن شاء الله لكنه يصح في العبادات رجاء قبولها عِنْدَ الله ويقال أيضاً حال الشك وعدم القطع بالأمر فتقول: ذهب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦)(٥٦٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٧) والنسائي في الكبرى (٣٣١٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ص ٤٩٤.

فلان إن شاء الله لأنك غير مستيقن. ومما يلزم الاستثناء فيه ما يتعلق بالمستقبل كأن تقول سأفعل كذا إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣، ٢٤].

❖ **حكم قول: والله على ما يشاء قدير:**

قال الشيخ ابن عثيمين: «فإذا تبين أن وصف الله تعالى بالقدرة لا يقيد بالمشيئة بل يطلق كما أطلقه الله تعالى لنفسه فإن ذلك لا يعارضه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩] فإن المقيد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة، والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة ولذلك قيد بها فمعنى الآية أن الله تعالى قادر على جمعهم متى شاء وليس بعاجز عنه كما يدعيه من ينكره ويقيده بالمشيئة رد لقول المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٥، ٢٦] فلما طلبوا الإتيان بآبائهم تحديا وإنكاراً لما يجب الإيمان به من البعث، بين الله تعالى أن ذلك الجمع الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته ولا يوجب وقوعه تحدي هؤلاء وإنكارهم كما قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٧-٩] والحاصل أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ لا يعارض ما قررناه من قبل لأن القيد بالمشيئة ليس عائداً إلى القدرة وإنما يعود إلى الجمع.

وكذلك لا يعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب «الإيمان» في: باب «آخر أهل النار خروجاً» من حديث ابن مسعود ﷺ، قال: قال: رسول الله ﷺ: «آخر من

يدخل الجنة رجل...» فذكر الحديث وفيه أن الله تعالىٰ قال للرجل: «إني لا أستهزئ منك ولكني علىٰ ما أشاء قادر»[(١)] وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذكرت لتقرير أمر واقع والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله تعالىٰ أزلاً وأبداً، ولذلك عبر عنها باسم الفاعل ﴿قادر﴾ دون الصفة المشبهة ﴿قَدِيرٌ﴾ وعلىٰ هذا فإذا وقع أمر عظيم يستغربه المرء أو يستبعده فقيل لـه في تقريره إن الله علىٰ ما يشاء قادر فلا حرج في ذلك، وما زال الناس يعبرون بمثل هذا في مثل ذلك، فإذا وقع أمر عظيم يستغرب أو يستبعد قالوا قادر علىٰ ما يشاء، فيجب أن يعرف الفرق بين ذكر القدرة علىٰ أنها صفة لله تعالىٰ فلا تقيد بالمشيئة، وبين ذكرها لتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة، والقدرة هنا ذكرت لإثبات ذلك الواقع وتقرير وقوعه، والله سبحانه أعلم»[(٢)].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد: «لكن هذا الإطلاق مقيد بأفعال معينة كهذا الحديث وكذلك في الآية ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ معلقة بالجمع وعليه فإن إطلاق هذا اللفظ له حالتان الأولىٰ علىٰ وجه العموم فهذا ممتنع لثلاثة وجوه:

١ ـ لأن فيها تقييدا لما أطلقه الله.

٢ ـ لأنه موهم بأن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه.

٣ ـ لأنه موح بمذهب القدرية.

والحالة الثانية علىٰ وجه التقييد كما ذكر»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ٨٣-٨٤، وانظر: للاستزادة في هذا البحث مجموع الفتاوىٰ لابنِ تَيمِيَّةَ ١١/ ٤٨٨.

(٣) معجم المناهي اللفظية ص ٣٣٠.

٤٢ـ الأمن من مكر الله*

[اليأس ـ القنوط]

المكر في اللغة: الاحتيال والخديعة(١).

وشرعاً: هو التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر(٢).

* **الدليل من الكتاب:** قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ [النجم:٣٢] قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، لقوله الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢]، واليأس من روح الله قال الله: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] والأمن من مكر الله لقول الله عز وجل: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩](٣).

* **الدليل من السنة:** وعن ابن مسعود قال: «الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله». وفي رواية: «أكبر الكبائر»(٤).

---

* تيسير العزيز الحميد ص٥٠٩. فتح المجيد ص٤١٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٥٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٠١ ومن المجموع ١٠/ ٦٧٩، مجموع فتاوى ابن باز ١/ ٣١٨.

(١) مختار الصحاح (م ك ر).

(٢) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٨٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٠٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن (٧/ ١١٦).

(٤) أخرجه معمر في جامعه(١٩٧٠١)والطبراني في الكبير(٨٧٨٣) من طرق عن ابن مسعود، وقال الهيثمي إسناده صحيح.

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ﴾. إلى قوله: ﴿مُّبْلِسُونَ﴾[١][٢].

* أقوال العلماء:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ويخشى على العبد من خُلُقَيْنِ رذيلين: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه، وأن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان»[٣].

فوائد:

أسباب الأمن من مكر الله:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وللأمن من مكر الله سببان مهلكان:

أحدهما: إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وماله من الحقوق وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصراً عن الواجبات منهمكاً في المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء لأن الإيمان يحمله على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

والثاني: أن يكون العبد عابداً جاهلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن لـه عِنْدَ الله المقامات العالية فيصير آمناً من مكر الله متكلاً على نفسه الضعيفة ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٤٤) والطبري في تفسيره (١٣٢٤٠) ويذكر أهل التفسير من الأمثلة استدراج الأقوام السابقة في النعم ثم يحل عليهم العذاب.

(٣) القول السديد للسعدي ص ١٠٣.

التوفيق إذ هو الذي جنى على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد»[١].

فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره مذموم؟

فالجواب: إن المكر إذا كان في محله فهو ممدوح، وإن كان في غير محله فهو مذموم.

ومكر الله استدراجه العبد بالنعم إذا عصى وإملاؤه له حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وهو مكر يحُمد عليه سبحانه؛ لأنه واقع في محله وبمن يستحقه، ومعلوم أن أهل السنة لا يطلقون صفة المكر على الله إلاَّ مقيدة فيقولون (يمكر بمن يمكر به)»[٢].

(١) القول السديد ١٠٣.

(٢) انظر أيضاً المجموع الثمين لابن عثيمين ٢/ ٦٥.

٤٣ـ الإنابة*

[التـــوبـــة]

الإنابة في اللغة: قال الراغب: «النَّوب: رجوع الشيء مرةً بعد أخرى.. والإنابة إلى الله تعالى الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل»[(١)].

وفي الشرع: يقول السعدي: «هي انجذاب القلب في محبة الله وعبوديته والرجوع إليه في كل حالة»[(٢)].

وقال ابن القيم: «وحقيقة الإنابة عكوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤]، وقوله حكاية عن شعيب أنه قال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم:٣١]، وقوله: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧]، وقوله: ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ [الممتحنة:٤]، وقوله عن نبيه داود: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٢/ ١٩١. معارج القبول ١/ ٣٣٣.مباحث العقيدة في سورة الزمرص ٢٦٣، ٢٦٩.

(١) المفردات (ن و ب).

(٢) الرياض الناضرة للسعدي ص٢٤١.

(٣) الفوائد، ص٣٦.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن القيم: «**والإنابة إنابتان:** إنابة لربوبيته:

وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع، وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشرك والكفر، كما قال تعالىٰ في حق هؤلاء: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ فهذا حالهم بعد إنابتهم.

والإنابة الثانية: إنابة أوليائه، وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة.

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور علىٰ ذلك.

وفي اللفظة معنىٰ الإسراع والرجوع والتقدم، و «المنيب» إلىٰ الله: المسرع إلىٰ مرضاته، الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلىٰ محابه»[١].

والناس في إنابتهم علىٰ درجاتٍ متفاوتة، فمنهم المنيب إلىٰ الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي، وهذه الإنابة مصدرُها مطالعةُ الوعيد، والحاملُ عليها العلم والخشية والحذر.

ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقُربات، فهو ساع فيها بجهده وقد حُبِّبَ إليه فعلُ الطاعات وأنواع القربات، وهذه الإنابة مصدرها الرجاءُ ومطالعة الوعد والثواب، ومحبة الكرامة من الله.. ومنهم المنيبُ إلىٰ الله بالتضرُّع والدعاء، والافتقار إليه، والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه، ومصدرُ هذه الإنابة

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٦٦.

شهودُ الفضل والمنة والعنى والكرم والقدرة، فأنزلوا به حوائجهم، وعلّقوا به آمالهم، فإنابتُهم إليه من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر والنهي...»[(١)].

الفرق بينها وبين التوبة: قال ابن عثيمين: «الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤]»[(٢)].

---

(١) طريق الهجرتين ص٣١٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٧، للاستزادة انظر: «باب التوبة».

٤٤- الانحناء*

قال ابن عثيمين: «ولما سئل ﷺ عن الرجل يلقى أخاه فيسلم عليه أينحني له؟ فقال: لا، فمنع ﷺ من الانحناء عِنْدَ التسليم لأن ذلك خضــوع لا ينبغي إلا لله رب العالمين فهو سبحانه وحده الذي يركع لـه ويسجد وكان السجود عِنْدَ التحية جائزاً في بعض الشرائع السابقة ولكن هذه الشريعة الكاملة شريعة محمد ﷺ منعت منه وحرمته إلا لله وحده»[(١)].

قال ابن جماعة: «قال بعض العلماء: إنه من البدع، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، وهذا لم يفعله السلف الصالح، والخير كله في اتباعه، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم. قال: وليس عجبي ممن جهل ذلك وارتكبه بل عجبي ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه، ومخالفته لعمل السلف، واستشهد لذلك بالشعر»[(٢)].

وقال الشيخ عبد الله بن جبرين: «فمن دعا ميتاً أو رجاه أو علق قلبه به أو أحبه كحب الله أو انحنى لـه أو خشع وخضع عِنْدَ القبر ونحوه، أو طاف به أو ذبح لـه أو نحو ذلك من أنواع العبادة فقد أبطل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[(٣)].

* التمهيد لابن عبد البر ١٦/ ١١٨. أحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٤٤، ٩/ ٢٦٥. الدرر السنية ٧/ ٢٤١، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٣١، ٤٤٤. شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور إصدار دار الافتاء العامة في الديار السعودية. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٢٤٠، ٢٤١.

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص٣٩.

(٣) الشهادتان لابن جبرين ص٨٨.

وقال ابن عثيمين: «الشرك قسمان خفي وجلي:

* **فالجلي**: ما كان بالقول مثل الحلف بغير الله أو قول ما شاء الله وشئت.

أو بالفعل: مثل الانحناء لغير الله تعظيماً...»[1].

وقال ابن القيم ذاكراً أنواع الشرك: «ومن أنواعه: ركوع المتعممين بعضهم لبعض عِنْدَ الملاقاة. وهذا سجود في اللغة. وبه فسر قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء:١٥٤] أي: منحنين، وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة علىٰ الأرض. ومنه قول العرب: سجدت الأشجار، إذا أمالتها الريح»[2].

والانحناء إذا كان علىٰ غير وجه التعظيم كما يُعظم الله فإنه لا يصل إلىٰ حد الكفر ولكن يُنهىٰ عنه.

٤٥- الأنداد

انظر: باب (الند).

٤٦- الأنصاب

انظر: باب (الصنم).

٤٧- الانقياد المنافي للترك

من شروط (لا إله إلا الله) انظر: باب لا إله إلا الله.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢٣٤.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.

٤٨- إنكار النعم*

النعم كلها من عِنْدَ الله تعالىٰ ويجب القيام بحقوقها وإضافتها إلىٰ الله قولا واعترافا حتىٰ يسلم للمرء دينه ويتم توحيده. قال الإمام السعدي رحمه الله: «فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء»[(١)]. وسوف يأتي مزيد بحث في (كفر النعمة).

٤٩- أهل الأهواء

انظر باب (الهوىٰ).

٥٠- أهل السنة والجماعة*

قال ابن عثيمين رحمه الله: «أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة، واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلىٰ سواها، لا في الأمور العلميّة العقدية، ولا في الأمور العملية الحكمية، ولهذا سموا أهل السنة لأنهم متمسكون بها، وسمُّوا أهل

---

* انظر مراجع باب كفر النعمة.

(١) القول السديد ١١٧.

* التمهيد لابن عبد البر ١٠/ ٢١، ١٢٧/ ٢٧٤ـ٢٨٤. الإبانة لابن بطة العكبري ٢٧٠، ٣٠٩، ٣٥٩. تفسير القرطبي ١/ ٤١٥، ١١/ ٢٣١، ١٨/ ١٦٠. الموافقات للشاطبي ٤/ ٣، ٤. مجموع الفتاوىٰ ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨. جامع العلوم والحكم ص٢٣٠ دار الفكر. الدر السنية ٩/ ٩٥-١٠٧، ١٤٦، ١٩٧، ١٢/ ١٠٨. إرشاد الفحول للشوكاني ص٢٩، ٨٣٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٩٦. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ٢٣، ٩٧، ١٣١، ١٣٥. منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٨٨. الماتريدية للشمس السلفي الأفغاني ١/ ١٦٥. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٨٠. منهج الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد عثمان حسن ١/ ٢٨، ٨٢. موقف ابنِ تَيمِيَّةَ من الأشاعرة د المحمود ١/ ٢١. دعوة إلىٰ السنة للرحيلي.

الجماعة، لأنهم مجتمعون عليها.

وإذا تأملت أحوال أهل البدعة وجدتهم مختلفين فيما هم عليه من المنهاج العقدي أو العملي، مما يدل على أنهم بعيدون عن السنة بقدر ما أحدثوا من البدعة»[١].

ومصطلح (أهل السنة والجماعة) يتكون من شقين هما «السنة» و«الجماعة» وسوف نعرِّف كل واحدٍ منهما ونبيِّن معناه ثم نذكر ألقاباً أخرى يُعرف بها أهل السنة والجماعة.

السنّة: عرَّفها ابن الأثير في اللغة بأنها: «الطريقة والسيرة»[٢] وهذا عام في السنة الحسنة والسيئة ومن ذلك قوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[٣].

وخصها الأزهري بالطريقة المحمودة فقال: «السنة: الطريقة المستقيمة المحمودة ... وسن فلان طريقاً من الخير يسنه: إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه فاستنوا به وسلكوه»[٤].

وقولهم: «هي السنة أي الطريقة التي سنها النبي ﷺ وأمر بها»[٥]، ولذلك صار لفظ السنة يطلق على ما كان محموداً فيقال: فلان من أهل السنة أي من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة»[٦].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٣٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٠٩ (س ن ن).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٤) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٩٨، ٢٩٩ مادة (س ن ن).

(٥) مشارق الأنوار ٢/ ٢٢٣.

(٦) انظر: لسان العرب، مادة (س ن ن).

وأما في الاصطلاح: فقد اختلفت التعريفات وتنوعت بحسب العلم الذي يبحث عنه فتطلق السنة ويراد بها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فهي عِنْدَ الأصوليين: تطلق على ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز[١].

ويراد بها في اصطلاح الفقهاء: مرادفة المندوب، وهو ما ثبت عن النبي ﷺ، ولم يكن واجباً[٢].

وفي اصطلاح المحدثين: قال النووي: «وتطلق سنته عليه الصلاة والسلام على الأحاديث المروية عنه ﷺ»[٣].

وقال ابن حجر في «الفتح»: «هي ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله»[٤].

وعرفها البعض بأنها: «كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها»[٥].

وهذه هي أهم إطلاقات السنة عِنْدَ العلماء، والذي يهمنا هنا تعريفها في اصطلاح أئمة السنة المشتغلين بتقرير مذهب السلف الصالح في الاعتقاد حيث تطلق السنة عِنْدَهم في مقابل البدعة[٦]، فيقال: فلان على السنة إذا عمل على وفق ما

---

(١) الإحكام للآمدي ١/ ١٦٩.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٤٥، إرشاد الفحول ص٦٧.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٥٦.

(٤) فتح الباري ١٣/ ٢٤٥.

(٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي ص٤٧.

(٦) قال السمعاني في الأنساب لما ذكر من نُسب إلى السنة قال: السُني: بضم السين المهملة، وتشديد النون المكسورة، هذه النسبة إلى السنة التي هي ضد البدعة، ولما كثر أهل البدع خصوا جماعة بهذا الانتساب (الأنساب ٧/ ١٧٥).

عمل عليه الصلاة والسلام سواء كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا[١].

قال الإمام البربهاري: «اعلم أن الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام ولايقوم أحدهما إلا بالآخر»[٢].

وقال أبو نصر السجزي الوائلي: «أهل السنة: هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه ﷺ فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ لأنهم ﷺ أئمة وقد أمرنا باقتفاء آثارهم واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى إقامة برهان»[٣].

فإذا قيل عن رجل أنه صاحب سنة، فالمقصود به: أنه على ما كان عليه النبي ﷺ، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم من أمور الدين قولاً وعملاً واعتقاداً[٤].

كما يطلق لفظ أهل السنة في مقابل الرافضة، كما أن الرافضة يعنون به من عداهم.

وعليه فإن **مصطلح أهل السنة له إطلاقان: عام، وخاص:**

أما الإطلاق العام: فالمراد به ما يكون في مقابل الشيعة، فتدخل جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام ـ عدا الشيعة ـ في مفهوم أهل السنة، وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة وشيعة.

وأما الإطلاق الخاص: فالمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع، والمقالات المحدثة كالشيعة، والخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والأشاعرة، وغيرهم من أهل البدع، يقول ابنُ تَيمِيَّةَ: «فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل

---

(١) الموافقات ٤/ ٤.

(٢) شرح السنة للإمام البربهاري ٢١.

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر ص٩٩.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابنِ تَيمِيَّةَ ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.

الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالىٰ»[١].

ويدل علىٰ ذلك بعض الآثار الواردة عن أئمة السنة فقد كان أئمة السلف يسمون، الاعتقاد الصحيح سنة[٢]، كما قال سفيان بن عيينة: «السنة عشرة، فمتىٰ كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة. ثم ذكر جملة من عقائد السلف»[٣].

وقال الإمام أبو بكر بن عياش رحمه الله، عِنْدَما سئل: من السني؟ فقال: «الذي إذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها»[٤].

ومنها قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله، عِنْدَما سئل: من أهل السنة؟ فقال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به: لا جهمي ولا قدري ولا رافضي»[٥].

وقال الإمام الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالىٰ علىٰ عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالىٰ ينزل إلىٰ سماء الدنيا كيف شاء»[٦].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «أصول السنة عِنْدَنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم... ثم ذكر جملة عقائد السلف»[٧].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ: «وأهل السنة نقاوة المسلمين»[٨].

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٢١.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٣٠. ومجموع الفتاوىٰ ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٥ رقم ٣١٦.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٧٣ رقم٥٣.

(٥) الانتقاء لابن عبدالبر ص٣٥، وترتيب المدارك ٢/ ٤١.

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية لابن القيم ص٥٩.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ١/ ١٧٦ رقم ٣١٧.

(٨) منهاج السنة ٥/ ١٥٨. وانظر ٦/ ٤٦٦

وقال الإمام علي بن المديني رحمه الله: «السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها ثم ذكر مجمل اعتقاد السلف»[١].

وصنف الأئمة على هذا المعنى فصار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم أن: «السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة، وأما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات، والشهوات»[٢].

وحين صنف الأئمة كتباً باسم السنة فإنهم يريدون بها الكلام في الأسماء والصفات، وأن القرآن كلام الله، والقضاء والقدر، ومسائل الإيمان والكفر، والمسائل المتعلقة بالبرزخ والآخرة، والموقف من الصحابة وولاة الأمور وما شابه ذلك من أبواب العقيدة.

والكتب التي سميت بالسنة كثيرة ألفها الأئمة في بيان عقائد السلف، منها كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب الاعتصام بالسنة للبخاري، والسنة لعبد الله ابن إمام أحمد بن حنبل، والسنة للخلال، والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم، والسنة لأبي داود، وابن أبي حاتم، والطبراني، والطلمنكي، والبربهاري، وابن أبي زمنين، وغيرهم.

وبعدما عرفنا مصطلح «السنة» نأتي على أقوال أهل العلم في تعريف «الجماعة».

الجماعة في اللغة: من جمع، يقال: جمع المتفرق، والجماعة ضد الفرقة[٣].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٨٥، رقم ٣١٨.

(٢) كشف الكربة ص١٩، ٢٠.

(٣) انظر: لسان العرب مادة (ج م ع)، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٥٧.

و في **الاصطلاح**: ورد لفظ الجماعة في حديث: «يد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ إلى النار»[١]، وحديث: «من أحب منكم أن ينزل بحبوحة[٢] الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ...»[٣].

وحديث: «فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»[٤]، وحديث: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[٥]، **وقد اختلف أهل العلم في المراد بالجماعة في هذه الأحاديث** ونحوها على أقوال[٦]:

الأول: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، ويدخل فيهم مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون في حكمهم.

الثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، وهو اختيار البخاري رحمه الله حيث قال: «هم أهل العلم»[٧]، واختاره الترمذي رحمه الله حيث قال: «هم أهل الفقه والعلم والحديث»[٨].

الثالث: أنها جماعة الصحابة على وجه الخصوص. فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً[٩].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧).

(٢) بحبوحة الجنة: أي وسطها وخيارها.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) والإمام أحمد (١٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) والإمام أحمد (١٧٠٦١)وقال ابن تيمية هذا الحديث محفوظ. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١١٨.

(٦) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦٠ - ٢٦٥، وانظر: تنبيه أولي الأبصار ٢٦٩.

(٧) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٢٨ كتاب الاعتصام بالسنة باب: +وكذلك جعلناكم أمة وسطاً (سورة البقرة:الآية ١٤٣) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم.

(٨) سنن الترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم (٢١٦٧).

(٩) الاعتصام ٢/ ٢٦٢، وانظر: فتح الباري ١٣/ ٣٧.

الرابع: أنها جماعة المسلمين إذا أجمعوا على أمر ما، وهو الإجماع. فإذا اجتمع العلماء على أمر من أمور الشرع سواءً الأحكام أو المعتقدات فيلزم متابعة حكمهم والاعتصام به، وهذا يرجع إلى القول الأول والثاني.

الخامس: أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فلا يجوز الخروج عليهم فيه. وهو اختيار أبي جعفر الطبري، حيث قال: «والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة»(١).

السادس: أنها جماعة الحق، قال الإمام البربهاري في شرح السنة: «هم جماعة الحق وأهله»(٢).

وقال ابن كثير: «فأهل الحق هم أكثر الأمة ولا سيما في الصدر الأول ولا يكاد يوجد فيهم من هو على بدعة، وأما في الأعصار المتأخرة فلا يعدم الحق عصابة يقومون به»(٣).

وهذه الأقوال حاصلها واحد وهو لزوم المنهج الحق الواضح الذي سنّه رسول الله ﷺ وأصحابه ويلزم من ذلك تقديم أهل العلم والاجتهاد الذين التزموا بالاتباع وترك الابتداع إذ المُعَوَّلُ عليه اتباع الحق ولزومه وخير من يتّبع الحق ويلزمه العلماء أتباع السنة ولو كانوا قلّة المقتدون بالصحابة رضوان الله عليهم فإذا ظفر العبد بهم وجب عليه طاعتهم ولزوم ما التزموا، فالعلماء هم السواد الأعظم والعوام تبع لهم.

ومن صفاتهم أنهم يلزمون إمام المسلمين، إلا إذا رأوا كفراً بواحاً، فيكون مدار

---

(١) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٧. وهذه الخمس الأولى ذكرها الشاطبي في الاعتصام ٢/ ٢٦٠-٢٦٥.

(٢) شرح السنة للبربهاري ص٢٢.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم ٢/ ٦٣.

تعريف الجماعة على أنها الحق وأهله.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك».

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله وقد سئل عن الجماعة فقال: «أبو بكر وعمر. قيل له: وقد مات أبو بكر وعمر. قال: فلان. قيل له: قد مات فلان وفلان. فقال: عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة»(١).

وقال أبو شامة رحمه الله: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»(٢).

وقال ابن القيم: «وقد شذّ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة، وكان القضاة حينئذٍ، والمفتون، والخليفة، وأتباعه كلهم شاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة»(٣).

وبعد أن ذكرنا معنى (السنة) ومعنى (الجماعة) يتبين بوضوح أن أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بالسنة المجتمعون عليها الذين يلزمون جماعة المسلمين وإمامهم. قال شيخ الإسلام: «فإن السنة تتضمن النص، والجماعة تتضمن الإجماع فأهل السنة والجماعة هم المتبعون للنص والإجماع»(٤).

❖ صفات وخصائص منهج أهل السنة والجماعة:

قال الشيخ ابن عثيمين: «أبرز الخصائص للفرقة الناجية هي التمسك بما كان عليه النبي ﷺ، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، هذه الأمور الأربعة

---

(١) سنن الترمذي تابع لحديث رقم (٢١٦٧).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢٢.

(٣) إعلام الموقعين ٣/ ٣٩٧.

(٤) منهاج السنة ٦/ ٤٦٦ .

تجد الفرقة الناجية بارزة فيها»[١].

ودليل ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[٢].

ويلزم من ذلك ألا يقدم رأي أحد على سنة المصطفى ﷺ بل يقدم النقل والنص الصحيح على العقل والرأي فلايسلك مسلك أهل الكلام في تقديم العقل على النقل بل إذا لم يوجد للمسألة نص صحيح فيُرجع إلى أقوال السلف ويستنار بفهمهم للكتاب والسنة ويُلتزم ما لزموا ولا يخوض فيما نهوا عنه ولا يجالس أهل الأهواء ولا يجادل أهل البدع بل يأتمر بما أمر الله من هجرهم وعدم مجالستهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة فإذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزيهه عما يلتبسون به، شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر»[٣].

وقال الحسن رحمه الله: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٣٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩٣ والبيهقي ١٠/ ١١٤ واللفظ له.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٢/ ١٢٨.

(٤) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ١٥٠ رقم (٢٤٠)، سنن الدارمي رقم (٤٠٧).

❖ **نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة:**

عُرف هذا اللقب أيام الصحابة حيث ظهر في تلك الأثناء الحثّ على الطاعة والجماعة.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في إحدى خطبه: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»(١).

وأخرج اللالكائي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦] قال: «فأما الذين ابيضّت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولوا العلم، وأما الذين اسودّت وجوههم: فأهل البدع والضلالة»(٢).

قال محمد بن سيرين رحمه الله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»(٣).

ويظهر بهذا أنه عُرِف آخر عهد الصحابة لا سيما بعد ظهور الفرق وأهل الأهواء من الخوارج والشيعة والقدرية.

❖ **أسماء يعرف بها أهل السنة والجماعة:**

هناك ألقاب يعرف بها أصحاب السنة وإن اختلفت الأسماء فالمعنى واحد فأهل السنة هم أهل الحديث وهم السلف الصالح الطائفة المنصورة وهم الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة وهم الغرباء وهم وإن اختلفت أسمؤهم

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ١٢١ رقم (١٥٨، ١٥٩)، والآجري في الشريعة ص١٣.

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٧٩ رقم ٧٤٠.

(٣) صحيح مسلم ١/ ١٥ المقدمة.

فخصائصهم واحدة وأصولهم معروفة ثابتة ومن ألقابهم التي عرفوا بها:

١ ـ **السلف**: قال ابن فارس: «سلف: السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، ومن ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون»[(١)].

وقال في لسان العرب: «سَلَفَ يَسْلُفُ سُلُفاً وسُلُوفاً ... والسلف أيضا من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل... ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصلح»[(٢)].

ومعاني السلف تدور حول التقدم والسبق، فالسلف هم الجماعة المتقدمون من الأئمة أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وتابع التابعين الذين ساروا على نهجهم واقتفوا أثرهم.

ويطلق السلف أيضاً على: «كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه فهو له سلف، وقد سلف له عمل صالح، قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾[يونس:٣٠] أي جزاء ما عملت»[(٣)].

وكل من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ فهو منسوب إلى السلف أهل السنة والجماعة؛ لأن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف، ومذهب السلف هو: ما كانوا عليه من الاعتقاد المنسوب إليهم[(٤)].

ومن خالف ذلك كان مبتدعا عِنْدَ أهل السنة والجماعة؛ لأنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة[(٥)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (س ل ف).

(٢) اللسان (س ل ف).

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٣٣٤.

(٤) لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٢٠.

(٥) انظر: منهاج السنة لابنِ تَيمِيَّةَ ٢/ ٤٨٢.

* إطلاق السلفية والمراد بها:

السلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين:

الأول: حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدمة، كما في حديث: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»(١).

قال القلشاني: «السلف الصالح وهو الصدر الأول الراسخون في العلم المهتدون بهدي النبي ﷺ الحافظون لسنته اختارهم الله تعالىٰ لصحبة نبيه وانتخبهم لإقامة دينه»(٢).

وقالت اللجنة الدائمة: «السلفية نسبة إلىٰ السلف وهم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدىٰ من أهل القرون الثلاثة رضي الله عنهم»(٣).

وفائدة هذا التحديد الرجوع إلىٰ أقوال رجال هذا الزمن وإلىٰ فهمهم عِنْدَ الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم.

الثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما علىٰ ما سواهما، والعمل بهما. فمن سار علىٰ ذلك وتمسك به فهو من السلف ويطلق عليه سلفي(٤).

فالسلفية بالإطلاق الأول: مرحلة تاريخية انتهت بموت رجالها. من أصحاب القرون الثلاثة الأولىٰ المباركة من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم المذكورين في حديث رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) نقلاً منهج الشافعي في إثبات العقيدة ١/ ٥٣.

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ١٦٥.

(٤) وانظر توحيد الخلاق ص٦٤.

(٥) سبق تخريجه.

وبالإطلاق الثاني: تكون منهاجاً باقياً إلىٰ يوم القيامة، يصح الانتساب إليه متىٰ التزمت شروطه وقواعده؛ لحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك»[١].

٢ ـ الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية:

أو يقال الفرقة الناجية والمنصورة لأنهما فرقة واحدة هم أهل الحديث، أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام: «أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلىٰ قيام الساعة أهل السنة والجماعة»[٢].

وقال ابن مفلح: «أهل الحديث هم الطائفة الناجية القائمون علىٰ الحق، ونص أحمد علىٰ أن أصحاب الحديث هم الطائفة في قولـه ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق».

ونص أيضاً علىٰ أنهم الفرقة الناجية في الحديث الآخر، وكذا قال يزيد بن هارون»[٣].

ودل علىٰ ذلك عدة أحاديث منها حديث: «... «وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار، إلا ملة واحدة». قال: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»»[٤]. وفي رواية: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»[٥].

ويدل عليه قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

(٢) الواسطية مع شرح الهراس ١٣، ١٤.

(٣) الآداب الشرعية ١/ ٢٣٤.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١).

(٥) أخرجها الحاكم في مستدركه ١/ ١٢٨ كتاب العلم، ثم قال: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث.

ظاهرون»[١] وفي لفظ «ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم»[٢]. وفي لفظ: «قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم»[٣].

وفي لفظ: «لا يزال ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى الساعة»[٤]. قال الإمام البخاري عن علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»[٥].

وقال عبد الله بن المبارك: «هم عِنْدَي أصحاب الحديث»[٦].

وقال يزيد بن هارون: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[٧].

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم»[٨].

وقال السفاريني:

اعلم هُديت أنه جاء الخبر — عن النبي المقتفى خير البشر
بأن ذي الأمةَ سوف تفترق — بضعا وسبعين اعتقادا والمحق
ما كان في نهج النبي المصطفى — وصحبه من غير زيغ وجفا
وليس هذا النص جزماً يعتبر — في فرقة إلا على أهل الأثر[٩]

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١).
(٤) أخرجه الترمذي (٢١٩٢) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه (٦) وأحمد (١٥٦٨٢).
(٥) ذكره الترمذي في الحديث نفسه.
(٦) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٦ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٧، ٢٠.
(٧) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٦.
(٨) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٢، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٢٧ .
(٩) لوامع الأنوار ١/ ٧٤، ٧٦.

* فائدة:

النبي ﷺ لم يعيّن الفرقة الناجية إلا بالوصف، فلم يقل مثلاً: أنا وأصحابي، وإنما ذكر وصفها، وهو: ما أنا عليه وأصحابي، ولا ريب أنه هو وأصحابه أول من يدخل في هذا الوصف، بل هم الأصل الذي يعتبر به غيرهم من الناس، وهذا يعني أن النجاة لا تختص بمن تقدم، بل تشمل كل من أتى بأوصاف الفرقة الناجية، إلى أن تقوم الساعة[1].

٣. أهل الحديث والأثر:

وخُصُّوا بذلك لاشتغالهم بأحاديث الرسول ﷺ وآثار أصحابه ﷺ فالمقصود بهم الذين يعنون بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، فيكونوا عالمين وعاملين مطبقين لما يتعلمونه، متبعين للسنة مجانبين للبدعة، وبهذه الأمور يتميزون عن أهل الأهواء، فأهل الحديث مرادف لأهل السنة، يقول اللالكائي: «فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع، فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخلصهم بهذا الرسم أصحاب الحديث لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه...»[2].

وقال ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء محبة

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٨٧، ٢٨٩.

(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٢٣.

القرآن، والحديث والبحث عنهما، وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما...»[١].

وقال رحمه الله: «فهم أعلم الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها: تصديقاً، وعملاً، وحباً وموالاة لمن والاها، وبغضاً ومعاداة لمن عاداها»[٢].

وقال: «مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة الأولى ومن سلك سبيلهم من الخلف»[٣].

وذكر عبد القادر الجيلاني رحمه الله: «أن أهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد، وهو أصحاب الحديث»[٤].

ويروي الخطيب عن أحمد بن سنان قال: «كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحدا أعلم بالكلام مني؟ قالوا لا، قال: فتتهموني؟، قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟، قالوا: نعم، قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم...»[٥].

وفي ذلك قيل:

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار

لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأي ليل والحديث نهار [٦]

(١) مجموع فتاوى ابن تَيمِيَّةَ ٤/ ٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٧. وانظر ٤/ ٨٥، منهاج السنة ٤/ ٢٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٥.

(٤) انظر: الغنية لطالبي طريقة الحق عز وجل لعبد القادر الجيلاني ١/ ٧١.

(٥) شرف أصحاب الحديث ٥٦.

(٦) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٣.

فأهل الحديث هم الفرقة الناجية، ودل عليه حديث الافتراق وفيه: قيل من هم؟ يا رسول الله! قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[(١)].

وقد صرح الإمام أحمد بأن الفرقة الناجية هي أصحاب الحديث[(٢)].

كما صرح بذلك جمع من الأئمة الأعلام منهم ابن مفلح[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ في العقيدة الواسطية: «أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة»[(٤)].

فالفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة وصفان لموصوف واحد ولا فرق بينهما[(٥)].

٤ ـ الغرباء:

وهم النزَّاع من القبائل الذين يصلحون إذا فسد الناس[(٦)]. قال سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء»[(٧)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٩ وروايته: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

(٢) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٢٥.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ١/ ٢١١.

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٥) انظر: للاستزادة لقاء الباب المفتوح (٥٤/ ٩٦).

(٦) انظر: باب (الغرباء) فقد توسعنا في ذكر وصفهم هنالك.

(٧) أخرجه اللالكائي في شرح السنة ١/ ٧١ رقم ٤٩.

٥١- أهل الفترة*

[التكفير، عارض الجهل]

هذا الباب له علاقة بمسألة العذر بالجهل، حيث سأبحث فيه عن مسألة: هل أهل الفترة معذورن في الآخرة أم لا؟ مع العلم أنني أفردت الكلام في باب (عارض الجهل) بمن ارتكب ناقضاً بعد إسلامه، ولم يقل أحد من الأئمة إن أهل الفترة مسلمون أو تجري عليهم أحكام المسلمين، وتقدم في باب التكفير قول ابن القيم رحمه الله: «أن الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر ... الخ» وعلى هذا فإنه لا ينظر هل هم معذورون أم غير معذورين في أحكام الدنيا فقد خصصت العذر بالجهل بمن دخل في الإسلام ثم ارتكب ناقضاً.

والفترة: قال ابن كثير رحمه الله: «هي ما بين كل نبيين كانقطاع الرسالة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم»[1].

وقال الألوسي: «أجمع المفسرون بأن الفترة هي انقطاع ما بين رسولين»[2].

كما يدخل فيها كل زمان خفيت فيه آثار الرسالة وقل دعاة العلم وظهر الجهل

* التمهيد لابن عبد البر ١٨/ ١١١، ١١٢. شرح النووي لمسلم ١٦/ ٢٠٨. تفسير القرطبي ١٠/ ١٥٦التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي ص٦١٢. الجواب الصحيح ١/ ٣١٢، ٣٤٤. درء التعارض ٨/ ٤٠١، مختصر الفتاوى المصرية ص٦٤٣. الفتاوى ٢٤/ ٣٧١. شفاء العليل ص٥٧٨، ٥٩٥. طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٦٩، ٤١١. تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥، ٢٨٣. فتح الباري ٣/ ٢٦٤. العواصم من القواصم لابن الوزير ٧/ ٢٤٨. إيثار الحق لابن الوزير ص٢٠٦. الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٥/ ٨٩٥. الدرر السنية ١/ ٣٦٧. نواقض الإيمان الاعتقادية ١/ ٢٩٤.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤، ٣٥.

(٢) روح المعاني ٦/ ١٠٣.

واختفى الهدى، ويختلف ذلك باختلاف المكان والزمان.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن: «من عاش في بلاد غير إسلامية، ولم يسمع عن النبي ﷺ، ولا عن القرآن الكريم والإسلام، فهذا على تقدير وجوده، حكمه حكم أهل الفترة، يجب على علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أصولاً وفروعاً، إقامة للحجة، وإعذارا إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة من لم يكلف في الدنيا لجنونه، أو بلهه، أو صغره، وعدم تكليفه، وأما ما يخفى من أحكام الشريعة من جهة الدلالة، أو لتقابل الأدلة وتجاذبها، فلا يقال لمن خالف فيه آمن وكفر، ولكن يقال: أصاب وأخطأ»[١].

قال ابن باز رحمه الله في مَنْ يُعذر بجهله: «والقسم الثاني: من يعذر بالجهل كالذي ينشأ في بلاد بعيدة عن الإسلام في أطراف الدنيا، أو لأسباب أخرى كأهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الرسالة، فهؤلاء معذورون بجهلهم، وأمرهم إلى الله عز وجل، والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة فيؤمرون فإن أجابوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ولأحاديث صحيحة وردت في ذلك. وقد بسط العلامة ابن القيم رحمه الله الكلام في هذه المسألة في آخر كتابه «طريق الهجرتين» لما ذكر طبقات المكلفين فيراجع هناك لعظم فائدته»[٢].

* أقوال العلماء:

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال، وهو بمنزلة الأطفال والمجانين»[٣].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٩٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص ٥٢٩.

(٣) طريق الهجرتين ص٤١١.

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «وأما من يفعل ذلك[١] جهلاً لا عناداً وماتوا عليه قبل أن يبلغهم أنه شرك هل يحكم بإسلامهم ويرجىٰ لهم العفو من الله والمغفرة وينفعهم استغفار الأحياء لهم؟ فهذه المسألة أحسن الأجوبة فيها أن يقال الله أعلم بهم كما قال موسىٰ عليه السلام لما قيل لـه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾»[٢].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «إذا مات غير المكلف بين والدين كافرين فحكمه حكمهما في أحكام الدنيا فلا يغسل ولا يصلىٰ عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين أما في الآخرة فأمره إلىٰ الله سبحانه»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «إذا مات أطفال الكفار وهم لم يبلغوا سن التمييز وكان أبواهم كافرين فإن حكمهم حكم الكفار في الدنيا أي لا يغسلون ولا يكفنون ولا يصلىٰ عليهم ولا يدفنون مع المسلمين لأنهم كفار بوالديهم.. هذا في الدنيا أما في الآخرة فالله أعلم بما كانوا عاملين وأصح الأقوال فيهم أن الله تعالى يختبرهم يوم القيامة بما يشاء من تكليف فإن امتثلوا أدخلهم الله الجنة وإن أبوا أدخلهم النار وهكذا نقول في أهل الفترة ومن لم تبلغهم الرسالات»[٤].

❖ حكم أهل الفترة:

قال ابنُ حَزْمٍ عند ذكره قول الله تعالىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: «فنص تعالىٰ علىٰ أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته، لا من لم تبلغه، وأنه تعالىٰ لا يعذب أحداً حتىٰ يأتيه رسول من عِنْدَ الله عز وجل،

---

(١) أي فعل شيئاً من الشرك.

(٢) الرسائل والمسائل القسم الأول ١/ ٢٠١.

(٣) مجموع فتاوىٰ إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٥.

(٤) فتاوىٰ إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٥.

فصح بذلك أنه من لم يبلغه الإسلام أصلاً فإنه لا عذاب عليه، وهكذا جاء النص عن رسول الله ﷺ أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف، والأصم، ومن كان في الفترة، والمجنون، فيقول المجنون: يا رب أتاني الإسلام، وأنا لا أعقل، ويقول الخرف والأصم، والذي في الفترة أشياء ذكرها، فيوقد لهم نار، ويقال لهم: أدخلوها، فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً. وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين، فإنه معذور لا ملامة عليه»[1].

ويقول الشاطبي: «جرت سنته سبحانه في خلقه، أنه لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل، فإذا قامت الحجة عليهم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولكل جزاء مثله»[2].

قال ابنُ تَيمِيَّةَ: «والذي عليه السلف والأئمة أن الله تعالىٰ لا يعذب إلا من بلغه الرسالة، ولا يعذب إلا من خالف الرسل كما دل عليه الكتاب والسنة، ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالأطفال، والمجانين وأهل الفترات، فهؤلاء فيهم أقوال، أظهرها ما جاءت به الآثار أنهم يمتحنون يوم القيامة، فيبعث إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العذاب»[3].

والقول بأنهم يمتحنون حكاه الأشعري عن جمهور السلف[4]. وممن قال به المروزي[5]، والبيهقي[6]، وابن كثير ونصره ابن القيم وقال: «وبهذا يتألف شمل

(١) الفصل ٤/ ١٠٥.

(٢) الموافقات ٣/ ٣٧٧.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١٢، وانظر مجموع الفتاوىٰ (تفسير سورة الإخلاص) ١٧/ ٣٠٨. ودرء التعارض ٨/ ٤٠١، ومختصر الفتاوىٰ المصرية ص٦٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠.

(٥) أحكام أهل الذمة ٢/ ٦٥٠.

(٦) الاعتقاد للبيهقي ١٧٠.

الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث»[١].

وقال ابن كثير: «وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض»[٢].

وقد قيل في حكمهم غير ذلك، فمنهم من قطع لهم بالجنة، ومنهم من قطع لهم بالنار ومنهم من توقف والقول بأنهم يمتحنون يجمع بين الأدلة ويدفع عنها التناقض.

وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: «وهذا التفصيل يذهب الخصومات التي كره الخوض فيه لأجلها من كرهه، فإن من قطع لهم بالنار كلهم، جاءت نصوص تدفع قوله، ومن قطع لهم بالجنة كلهم جاءت نصوص تدفع قوله...»[٣].

وممن اختار القول بأنهم يُمتحنون الشيخ ابن باز، قال: «وهذا القول هو أصح الأقوال في أهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الدعوة الإلهية وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وجماعة من السلف والخلف ـ رحمة الله عليهم جميعاً ـ»[٤]. واختاره أيضاً الشنقيطي في أضواء البيان[٥] وبه أفتت اللجنة الدائمة[٦]، والشيخ محمد بن عثيمين[٧].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «والتحقيق أنهم معذورون بالفترة في الدنيا، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة، وهو الذي كان

(١) طريق الهجرتين ٣٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠.

(٣) درء التعارض ٨/ ٤٠١.

(٤) فتاوى إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٦.

(٥) أضواء البيان ٣/ ٤٨٢.

(٦) مجلة البحوث الإسلامية العدد ٤٠ ص٩٥.

(٧) فتاوى إسلامية جمع محمد المسند ٢/ ٦٥.

يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا؛ لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل»[١].

❖ **تنبيه:**

حكم أهل الفترة لا ينطبق على بلاد سمع أهلها بالدعوة إلى الإسلام.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «ومن عاش في بلاد يسمع فيها بالدعوة إلى الإسلام وغيره، ثم لا يؤمن ولا يطلب الحق من أهله، فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية، وأصر على الكفر»[٢]. والمستند في ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» وهذه الأحكام تتعلق بمن لم يدخل الأسلام أصلًا.

---

(١) أضواء البيان ٣/ ٤٨١ وانظر في نفس الكتاب ٣/ ٤٧٤ - ٤٨٤.

(٢) فتاوى اللجنة ٢/ ٩٧.

٥٢. الأوثـان *

[الصنم – النصب]

الأوثان لغة: جمع وثن. قال ابن الأثير: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد. والصنم: الصورة بلا جثة. ومنهم من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنيين. وقد يُطلق الوثن على غير الصورة(١).

وقيل: هو المعبود الذي لا صورة له كالقبور والأشجار والأحجار ونحوها.

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت:١٧]، و قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت٢٥].

* **الدليل من السنة:** عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بَعْدِي»(٢).

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٤٥. تيسير العزيز الحميد ص٣٧٩،١١٨. فتح المجيد ١٠١، ٣٠٨. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم٥٠، ١٨٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٤٦٧، ط٢- ١/ ٥٨٦، ١/ ٦٢٨ ومن المجموع ٩/ ٤٥٢. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٤٤، ٤/ ٢٩،٦٣. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٠١. دعاوى المناوئين ٢٢٢، ٢٢٣.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (و ث ن).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٩)، وأخرجه مطولاً أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢) وأحمد (٢٢٧٥٦).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللاتُ وَالْعُزَّىٰ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أَنَّ ذَلِكَ تَامٌّ، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَىٰ مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ»(١).

* أقوال العلماء:

يقول الشيخ السعدي: «فإن الوثن اسم جامع لكل ما عُبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده، فمن دعا الله أو عبده فقد اتخذه وثناً وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها»(٢).

وهل الناس كلهم يقعون في عبادة الأوثان(٣)؟ انظر باب (جزيرة العرب)، حديث «إن الشيطان...» وكلام أهل العلم عنه.

الفرق بين الصنم والوثن:

انظر باب: «صنم».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

(٢) القول السديد ص٧٨.

(٣) انظر مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٤٥٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤٦٧.

٥٣- أوثق عرى الإيمان

فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين سأل أبو ذر: أي عُرىٰ الإيمان أظنه قال: أوثق. قال الله ورسوله أعلم. قال: «الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»(١)، وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله في باب (الحب في الله).

٥٤- إيقاد السرج على القبور*

اتخاذ السرج علىٰ القبور سواء أكان ذلك بإيقاد الشموع أو القناديل أو إيقاد غيرها منهي عنه، وكذلك جاء النهي عن اتباع الميت بنار(٢) حين تشييعه إلىٰ قبره لأنه وسيلة إلىٰ تعظيمهم والغلو فيهم.

* الدليل من السنة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»(٣).

* أقوال العلماء:

قال ابن قدامة رحمه الله: «لو أبيح اتخاذ السرج عليها ـ يعني القبور ـ لم يلعن النبي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٣٧).

* التمهيد لابن عبد البر ٣/ ٢٣٢. إغاثة اللهفان ابن القيم ١/ ١٩٤ ـ ١٩٨. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٥ رقم ٢١٩. تيسير العزيز الحميـد ص٣٤٦. فتح المجيد ص٢٨٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١٦٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٤٣٦. ط٢- ١/ ٥٥١ ومن المجموع ٩/ ٤٢٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٢٣٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٤٥. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٢٩.

(٢) انظر باب القبر.

(٣) سنن أبي داود (٣٢٣٦) و الترمذي (٣٢٠).

ﷺ من فعله، ولأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة، وإفراطا في تعظيم القبور، أشبه بتعظيم الأصنام»[(١)].

وقال العلامة ابن الحاج المالكي: «نهىٰ عليه الصلاة والسلام عن أن يتبع الميت بنار حين تشييعه إلىٰ قبره لأنه تفاؤل رديء وهؤلاء ـ أي المسرجون علىٰ القبور ـ يوقدون الشموع وغيرها عِنْدَه، مع ما يوقدونه من الأحطاب لطعامهم. اللهم عافنا من قلب الحقائق»[(٢)].

* حكمه:

يتبين من الحديث السابق تحريم إيقاد السرج علىٰ القبور.

قال ابن القيم رحمه الله «والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعياداً، الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب. مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادون لما جاء به. وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها. وهو من الكبائر. وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه»[(٣)].

وعدّ ابن حجر الهيتمي الإسراج علىٰ القبور تعظيما وتبركاً بها من الكبائر، واستدل بما في الحديث من لعن من اتخذ علىٰ القبر سُرجاً، ثم ذكر عن بعض علماء الحنابلة أنه قال: «يجب إزالة كل قنديل أو سراج علىٰ القبر ولا يصح وقفه ونذره»[(٤)].

---

(١) المغني لابن قدامة ٢/ ٣٧٩ ط مكتبة القاهرة.

(٢) المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي ١/ ٢٤٥.

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٧.

(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٦٥. وانظر للاستزادة شفاء الصدور في الرد علىٰ الجواب المشكور ص٨٧ ـ ٨٨.

قال ابن حجر الهيتمي: «صرح أصحابنا بحرمة السراج على القبر وإن قل، حيث لم ينتفع به مقيم ولا زائر، وعللوه بالإسراف وإضاعة المال، والتشبه بالمجوس، فلا يبعد في هذا أن يكون كبيرة»[١].

أسباب المنع من إيقاد السرج:

ذكر الشيخ الألباني رحمه الله أسباباً للمنع منها:

أولاً: كونها بدعة محدثة لا يعرفها السلف الصالح، وقد قال ﷺ: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[٢].

ثانياً: أن فيه إضاعة للمال وهو منهي عنه بالنص.

ثالثاً: أن فيه تشبهاً بالمجوس عباد النار[٣].

---

(١) الزواجر ١/ ١٣٤ نقلاً عن أحكام الجنائز ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢) أخرجه النسائي (١٥٧٩).

(٣) أحكام الجنائز ص٢٣١ـ٢٣٢.

٥٥ـ الإيمان*

الإيمان في اللغة: مصدر من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن وهو مشتق من الأمن.

قال ابن بطة: «الإيمان اسم ومعناه التصديق»[(١)].

وقال الجوهري: «الإيمان: التصديق»[(٢)]. وكذلك قال ابن منظور[(٣)]، والرازي

* التمهيد لابن عبد البر ٩/ ١١٧، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣. الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ١٣٢، ١٣٣. الشريعة للآجري ص٩٥، ٩٩، ١٠٧. السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ص٢٤٢ -٣٧٠. أحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٩٤، ١٤/ ١٨٥، ١٧/ ٤٩. الإبانة لابن بطة العكبري ص٦٣٨، ٧٦٠، ٨٨١. شرح السنة للبغوي. ١/ ٧. الإيمان لابن تيمية. فتح الباري لابن رجب ١/ ٥. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٠٣. الدرر السنية ١/ ١٣٩، ١٨٧، ٢٥٦، ٣٣٠، ٤٧٧. قطف الثمر صديق حسن ص٨٥. معارج القبول ٢/ ٢١. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ١٥٧. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٢، ٦٤. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٨٩. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٤٩، ٨٠، ٨٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ١٤٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٧/ ٣٠، ٣٤. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ١/ ٦٣. منهج الإمام مالك في العقيدة ص١٧١، ٢٠٢. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص٤٤٥. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص١٥١. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٨٥. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص٣٤٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعبَّاد ص٢٩٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٨٣. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٣٨. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ١/ ١٠٩، ١٢٤. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٤٥١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٠٣ إلى ٥١٩. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٤٢٤. نواقض الإيمان القولية والعملية ص١٤، ٣٠. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤١ إلى ٥٣.

(١) الإبانة ١/ ١٨٢، ١٨٣.

(١) الصحاح للجوهري (أ م ن).

(٢) لسان العرب لابن منظور (أ م ن).

(٣) مختار الصحاح للرازي (أ م ن).

في مختار الصحاح[١].

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية من جعل الإيمان مجرد التصديق ورد عليهم من وجوه كثيرة فكان مما قال رحمه الله: «وليس لفظ الإيمان مرادفاً للفظ التصديق كما يظنه طائفة من الناس فإن التصديق يستعمل في كل خبر»[٢].

وقال أيضاً: «... فإن الإيمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر... فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان أو الأمانة، كما يدل عليه الاشتقاق والاستعمال، ولهذا قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]، أي لا تقرّ بخبرنا ولا تثق به، ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين، لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم...»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فإن الإيمان ليس مجرد التصديق وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد»[٤].

وقال الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾، قيل معناه: «بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن»[٥].

فمعنى الآية ما أنت بمصدق لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل وهو عدم المؤاخذة بفعلهم، فلم يعطهم الأمن. فيكون معنى الإيمان في اللغة: التصديق

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٩. وانظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص٢٧٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٤) كتاب الصلاة ص٢٥.

(٥) المفردات ص٢٦.

الجازم المستلزم للعمل الذي يكون معه أمن.

والتصديق في اللغة إما أن يكون تصديقاً لخبر، وإما أن يكون تصديقاً لإنشاء، والإنشاء هو الأمر والنهي، فتصديق الأخبار بِاعتقادها وتصديق الأوامر والنواهي بِامتثال الأمر وبِالابتعاد عن النهي، قال جل وعلا في سورة الصافات ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات:١٠٣،١٠٥] فلما ابتدأ في العمل صار مصدقا للرؤيا.

قال ابن نصر المروزي في معنى التصديق: «هو المعرفة بِالله، والاعتراف له بِالربوبِية، بِوعده، ووعــيده، وواجبِ حقه، وتحقيق ما صدق بِه من القول والعمل»[(١)].

والإيمان إذا عُدي بِاللام فإنه يكون بِالمعنى اللغوي الذي سبق بيانه كقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وأما إذا عدي بِالباء فيراد بِه المعنى الشرعي كقول الله جل جلاله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقولـه تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقولـه تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا﴾ [النساء:٤٧]، والآيات في هذا كثيرة.

والمعنى الشرعي: ما أجمع عليه السلف من أنه قول وعمل واعتقاد.

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: «المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابِعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً...»[(٢)].

---

(١) الصلاة ٢/ ٦٩٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٠٤.

وقال الثوري: «هو رأي محدث أدركنا السلف علىٰ غيره»[(١)].

وقال ابن جرير: «والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل»[(٢)].

قال أبو عبيد: «اعلم رحمك الله أن أهل العلم والعناية بِالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين:

فقالت إحداهما: الإيمان بِالإخلاص لـه بِالقلوبِ وشهادة الألسنة وعمل الجوارح.

وقالت الفرقة الأخرىٰ: بل الإيمان بِالقلوبِ والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوىٰ وبِر، وليست من الإيمان.

وإذا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بِالنية والقول والعمل جميعاً، وينفيان ما قالت الأخرىٰ»[(٣)].

وعرفه القاضي أبو يعلىٰ فقال: «هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلبِ، وهو تصديق القلبِ والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات»[(٤)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «ومن هذا البابِ أقوال السلف وأئمة السنة في الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون قول بِاللسان واعتقاد بِالقلبِ، وعمل بِالجوارح، وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول

---

(١) الإبانة ٢/ ٩٠٣.

(٢) تفسير ابن جرير ١/ ١٠١.

(٣) الإيمان ص٥٣، ٥٤.

(٤) مسائل الإيمان ص ١٥٢.

وعمل، فإنه يدخل في القول قول القلبِ واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «الإيمان هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء بِه الرسول ﷺ علماً، والتصديق بِه عقداً، والإقرار بِه نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل بِه باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بِحسبِ الإمكان»[٢].

وقال الإمام السعدي: «الإيمان وهو الإقرار والتصديق الجازم بكل ما أخبر الله به ورسوله، الموجب لأعمال القلوب، ثم تتبعها أعمال الجوارح»[٣].

وينبني على معرفة المعنى الشرعي أن التكفير يكون بالاعتقاد ويكون بالقول ويكون بالعمل وأن ترك العمل كفر وأن الإيمان يزيد وينقص.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد سأل الصحابِي الجليل أبو ذر رضي الله عنه النَّبِيَ ﷺ عن الإيمان، فتلا هذه الآية حتى فرغ منها. قال: ثم سأله أيضاً فتلاها، ثم سأله أيضاً فتلاها، ثم سأله فقال: «وإذا عملت حسنة أحبها قلبك وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٧٠.

(٢) الفوائد ص١٩٦.

(٣) تيسير الكريم المنان ص١٨٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧٢)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

* أحكام وفوائد:

١. العلاقة بين الإسلام والإيمان:

قال ابن قاسم: «الإيمان وصف أعلى من وصف الإسلام، لأنه مشتق من الأمن، فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه، ويكون خفية، والإسلام من الأمور المدركة بالحواس المحسوسة في الظاهر مشتق من التسليم، أو المسالمة كما تقدم، فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام، وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان، ومن أثبت له الإيمان في النصوص فإنه ثابِت له الإسلام، والمسلم لا بد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه، وإلا كان منافقاً، ولكن لا يستحق أن يمدح بِهِ ويثنى عليه، بل إيمانه ناقص، ويأتي تمثيله.

والإيمان الشرعي: قول وعمل، قول القلبِ واللسان، وعمل القلبِ واللسان والجوارح، ويزيد بِالطاعة وينقص بِالمعصية، فدخل فيه جميع المأمورات، سواء كان من الواجبات، أو المستحبات، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، سواء كان ذلك المنهي ينافي أصول الدين بِالكلية أو لا، فإن تعريفه المذكور يشمل ذلك، فما من خصلة من خصال الطاعات، إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات، إلا وهو من الإيمان»[١].

وقد فرّق النبي ﷺ بين مسمى الإسلام وبين مسمى الإيمان وبين مسمى الإحسان في حديث جبريل عليه السلام وبه وبِغيره من الأحاديث نفهم أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا، فسر الإسلام بِالأمور الظاهرة من الأعمال، وفسر الإيمان بِالأمور الباطنة من الاعتقاد. وإذا افترقا، فسر أحدهما بِما يفسر بِهِ الآخر، بِمعنى أن الإسلام يفسر بِالاعتقاد والأعمال، كما يفسر بِهِ بِمثل ذلك الإيمان أيضاً.

وانظر هذه المسألة في باب (الإسلام)، فقد توسعتُ في توضيحها هناك.

(١) حاشية الأصول الثلاثة للشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله ص٦٠.

٢. أركان الإيمان:

أركان الإيمان ستة أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسوف نفرد لكل ركن منها بحثاً خاصاً إن شاءالله، فلتراجع في أبوابها.

٣. ثمرات الإيمان: عقد ابن سعدي في خلاصة التفسير فصلاً خاصاً بثمرات الإيمان فيراجع هناك[(١)].

٤. زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، هو عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ

---

(١) انظر المجموعة الكاملة للشيخ عبد الرحمن السعدي ٨/ ٢١١.

تَصُمْ؟» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[١].

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سألت الإمام أحمد عن الإيمان ما نقصانه قال: نقصانه قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[٢] [٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بِضع وستون ـ وفي رواية مسلم: بِضع وسبعون شعبة ـ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالىٰ: أخرجوا من كان في قلبِه مثقال حبة من خردل من إيمان»[٥].

* أقوال العلماء:

أ - أقوال الصحابة رضي الله عنهم في الإيمان قول معاذ بِن جبل لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»[٦] يعني نذكر الله عز وجل.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «الإيمان يزداد وينقص»[٧].

وقد ثبت هذا أيضاً عن ابن عباس وأبي الدرداء رضي الله عنهم كلهم قالوا: «الإيمان يزيد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم عن ابن عمر بنحوه (٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥).

(٣) مسائل بن هانئ ٤/ ١٦٤.

(٤) أخرجه البخاري (٢). ومسلم (٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (٢٢). ومسلم (١٨٤).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص ٣٥ ح ١٠٥، ١٠٧، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة ح: ٧٩٦. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥/ ١٠١٤ (١٧٠٦، ١٧٠٧).

(٧) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١/ ٣١٤ (٦٢٢)، والآجري في الشريعة ص١١، وابن ماجه في سننه في المقدمة (٩٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/ ١٠١٦ رقم (١٧١١).

وينقص»[(١)].

وعن عمير بن حبيب ﷺ قال: «الإيمان يزيد وينقص، قيل لـه: ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله ﷻ خشيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيّعنا فذلك نقصانه»[(٢)].

وقال جندب ﷺ: «كنا مع رسول الله ﷺ فكنا فتياناً حزاورة[(٣)] فتعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»[(٤)].

ب - أقوال التابعين: جاء عن سعيد بن جبير في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[البقرة:٢٦٠] قال: «ليزداد إيماني»[(٥)].

وروىٰ الآجري بسنده أنه قال لسفيان بن عيينة: «الإيمان يزيد وينقص؟ قال: أليس تقرؤون القرآن: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣] في غير موضع، قيل: ينقص؟ قال:ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص»[(٦)].

وروىٰ الآجري واللالكائي عن الحميدي، أنه قال: سمعت ابن عيينة يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة يا أبا محمد، لاتقولن يزيد وينقص، فغضب وقال: اسكت يا صبي، بل ينقص حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء»[(٧)].

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١١، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة ١/ ٣١٤، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة ٥/ ١٠١٦ رقم ١٧١٢ ورقم ١٧٠٩.

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١١.

(٣) الحزورة: الغلام الذي قد شب وقوي.

(٤) السنة ١/ ٣٦٩. والإبانة (١١٢٢).

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١/ ٣٦٩ ح ٧٩٨.

(٦) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١٧.

(٧) أخرجه الآجري في الشريعة، ص١١٧. التمهيد ٩/ ٢٥٤.

وقال سهل بن المتوكل رحمه الله تعالىٰ: «أدركت ألف أستاذ أو أكثر كلّهم يقولون: الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص»[١].

وعن الأوزاعي رحمه الله تعالىٰ قال: «الإيمان قول وعمل ويزيد ينقص، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع»[٢].

وقال البغوي: «وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية علىٰ ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء»[٣].

وقال الحليمي: «ومما يدل علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص قول النبي ﷺ للنساء: «إنكن ناقصات عقل ودين»»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع، ودلت النصوص علىٰ نقصه، كقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ونحو ذلك، لكن لم يعرف اللفظ إلا في قوله في النساء: «ناقصات عقل ودين» وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد علىٰ أنه ينقص»[٥].

وقال في موضع آخر: «وهذا النقصان ليس هو نقص مما أمرت، فلا تعاقب علىٰ هذا النقصان، لكن من أمر بالصلاة والصوم ففعله، كان دينه كاملاً بالنسبة إلىٰ هذه الناقصة الدين»[٦].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥/ ١٠٢٨ رقم ١٧٣٤.
(٢) أخرجه الآجري في الشريعة ص١١٧.
(٣) شرح السنة ١/ ٣٩.
(٤) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٦٣.
(٥) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٥١.
(٦) كتاب الإيمان، ص٢١٩، ٢٢٠.

❖ **موقف الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ من القول بنقص الإيمان:**

عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس قال: سئل مالك عن الإيمان: يزيد وينقص؟ فقال: يزيد وذلك في كتاب الله، فقيل لـه: وينقص يا أبا عبد الله؟ قال: ولا أزيد أن أبلغ هذا.

وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: كان مالك يقول: الإيمان يزيد، وتوقف في النقصان، وقال: ذكر الله زيادته في غير موضع، فدع الكلام في نقصانه، وكف عنه[١].

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن رواية الإمام مالك هذه فقال: «ولهذا أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، ومنهم من يقول: يزيد، ولا يقول: ينقص، كما روي عن مالك في إحدى الروايتين»[٢].

وذكر سبب ذلك فقال: «إنه توقف عن القول بالنقصان لعدم ذكر النقص في القرآن وأن الله لم ينص إلا على زيادته ... وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم: إنه يزيد وينقص»[٣].

وبهذا تعلم أن زيادة الإيمان قال به جميع أهل السنة وكذلك نقص الإيمان قال به عامة أهل السنة ومن توقف فيها فإنه رجع إلى القول بأنه ينقص قال الإمام عبد الرزاق: «سمعت سفيان الثوري ومعمر وابن جريج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. فقلنا لعبد الرزاق فما تقول

---

(١) التمهيد ٩/ ٢٥٢.

(٢) كتاب الإيمان ص٢١٠.

(٣) الفتاوى ٧/ ٥٠٦.

أنت؟ فقال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص فإن لم أقل هذا فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحـابة ولم يُعـرف منهم مخالف فيه وجمهور السلف على ذلك قال ابن عبد البر: وعلى أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما التوقف والثانية موافقة الجماعة»[٢].

٥. السلف يعدّون من أنكر زيادة الإيمان ونقصانه من المرجئة:

ذكر البيهقي بإسناده عن الثوري، أنه قال: «خالفَنا المرجئةُ في ثلاث: نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: قول بلا عمل، ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص؛ ونحن نقول: أهل القبلة عندنا مؤمنون، أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون»[٣].

٦. الإيمان يتبعض:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله. فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت منه البدع في الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء. ثم قالت الخوارج والمعتزلة: هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث، قالوا فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر

---

(١) التمهيد ٩/ ٢٥٢.

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٩٣.

(٣) الاعتقاد للبيهقي ص٨٤.

والفاجر، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقولـه: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»»[١].

٧. صلة العمل بالإيمان:

تبين لنا من التعريف الشرعي أن العمل يرتبِط بالإيمان ارتباطاً وثيقاً. وزيادة في الإيضاح نقول: إن العمل ركن من أركان الإيمان فلا تقوم حقيقة الإيمان إلا بِعمل، ومعلوم أن الركن هو الذي تقوم بِهِ الماهية وكما أن الممتنع عن كلمة التوحيد لا يصير مؤمنا، كذلك الممتنع عن العمل لا يصير مؤمناً. وقد أجمع السلف على أن العمل من الإيمان. فمن لم يأتِ بعمل فهو كافر كما أن من انتفى في حقه الاعتقاد فهو كافر أو انتفى في حقه القول فهو كافر لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة لا يكون إلا باعتقاد وقول وعمل ومن زال عنه واحد من الثلاثة فإنه يزول عنه أصل الإيمان.

قال الشافعي رحمه الله: «وكان الإجماع من الصحابة والتابِعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر»[٢].

وقال البغوي رحمه الله: «اتفقت الصحابة والتابِعون، فمن بعدهم من علماء السنة على أن: الأعمال من الإيمان»، ثم قال أيضاً: «وقالوا الإيمان قول وعمل وعقيدة»[٣].

وقال الإمام أبو حاتم الرازي وأبو زرعة: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار... فكان مذهبِهم أن الإيمان قول وعمل»[٤].

وقال محمد بِن الحسين الآجري رحمه الله: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٢٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥/ ٨٨٦، ٨٨٧. الإيمان لابن تيمية ١٩٧.

(٣) شرح السنة للبغوي ١١/ ٣٨، ٣٩.

(٤) عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة ص١٤٩.

علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بِالقلبِ وإقرار بِاللسان وعمل بِالجوارح»[١].

وقال محمد بِن أَبِي حاتم سمعت الإمام البخاري قبل موته بِشهر يقول: «كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص»[٢].

فالسلف ـ رحمهم الله ـ رأوا أن الإيمان هو هذه الأمور الثلاثة: «اعتقاد بِالجنان وقول بِاللسان وعمل بِالأركان) وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وقد نقل الإجماع عنهم على هذا التعريف أبو عبيد القاسم بن سلام[٣] والشافعي[٤] والبخاري[٥] واللالكائي[٤] والبغوي[٦] وابن عبد البر[٧] وغيرهم وهذا الإجماع منهم مبني على أدلة صريحة من الكتابِ والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلبِ واللسان وعمل القلبِ والجوارح ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بِالقلبِ، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا بِاتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، وإنما أرادوا ما

(١) الشريعة للآجري ص١١٩.
(٢) الشريعة للآجري ص١٢٠ .
(٣) شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٤/ ٩١٣.
(٤) الإيمان لابن تيمية ص ١٩٧.
(٥) فتح الباري ١/ ٤٧.
(٦) شرح السنة ١/ ٣٨.
(٧) التمهيد ٩/ ٢٣٨.

كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: «قول وعمل ونية وسنة»؛ لأن الإيمان إذا كان بِلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بِلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بِلا سنة فهو بِدعة»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومما يبين ذلك أن الإقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبته والخضوع له وإخلاص الدين له لا يكون نافعاً بل الإقرار به مع الإعراض عنه وعن محبته وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقاقا للعذاب فلا بد أن يكون للفطرة مقتض للعلم ومقتض للمحبة»[(٢)].

وقال أيضاً: «وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل. والقول قسمان: قول القلبِ وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بِكلمة الإسلام.والعمل قسمان:عمل القلبِ وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بِكماله، وإذا زال تصديق القلبِ لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلبِ شرط في اعتقادها وكونها نافعة. وإذا زال عمل القلبِ مع اعتقاد الصدق، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة. فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلبِ وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون بِه سرا وجهرا ويقولون: ليس بِكذابِ، ولكن لا نتبعه، ولا نؤمن بِه. وإذا كان الإيمان يزول بِزوال عمل القلبِ فغير مستنكر أن يزول بِزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلبِ

---

(١) الإيمان ص١٦٢، وانظر مجموع الفتاوى ٧/ ٣٣٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٦٢١، ٢٨/ ١٧٧.

(٢) شفاء العليل ص٣٠٢.

وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلبِ عدم طاعة الجوارح، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق ـ كما تقدم بيانه ـ وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد، وهكذا الهدىٰ ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بِموجبِه، وإن سمىٰ الأول هدىٰ فليس هو الهدىٰ التام المستلزم للاهتداء، كما أن اعتقاد التصديق وإن سمىٰ تصديقا فليس هو التصدق المستلزم للإيمان. فعليك بِمراجعة هذا الأصل ومراعاته»[(١)].

وقد جاء عن السلف أن من ترك العمل المجزئ في الإيمان أنه كافر، وأن من قال بأن الإيمان هو الإقرار وأنه لا يوجد قدر مجزئ من العمل يُدخله في الإيمان فهو مرجئ.

فعن معقل بن عبيد الله العبسي قال: «قدم علينا سالم الأفطس بِالإرجاء فعرضه قال: فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً... قال فجلست إلىٰ نافع فقلت لـه: إنهم يقولون: نحن نقر بِأن الصلاة فريضة ولا نصلي، وأن الخمر حرام ونحن نشربها وأن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل. قال: فنتر يده من يدي ثم قال: من فعل هذا فهو كافر»[(٢)].

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا سويد بن سعيد الهروي قال: «سألنا سفيان ابن عيينة عن الإرجاء. فقال: يقولون الإيمان قول وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه علىٰ ترك الفرائض وسمّوا ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم، وليسا بسواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال

---

(١) كتاب الصلاة ٢٥.

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ٣٨٢، ٣٨٢.

معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر»[١].

وفي السنة للخلال قال الحميدي: «أخبرت أن قوماً يقولون: إن من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت أو يصلي مسند ظهره مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان يقر الفروض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر بالله الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسولـه ﷺ وفعل المسلمين. قال حنبل: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: من قال هذا فقد كفر بالله، ورد على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به»[٢].

وقال الإمام أبو ثور: «فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم: ما أراد الله ﷻ من العباد إذ قال لهم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]؟ الإقرار بذلك، أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند أهل العلم[٣] من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة.

فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل.

قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعاً، لـم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر؟ وقد أرادهما جميعاً.

أرأيتم لو أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر الله ولا أقر به أيكون مؤمناً؟.

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئاً، أيكون مؤمناً؟.

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ١/ ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) السنة للخلال ٣/ ٥٨٦، ٥٨٧. وانظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص١٩٧.

(٣) هكذا في الكتاب.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: ما الفرق؟ وقد زعمتم أن الله ﷻ أراد الأمرين جميعاً، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر مؤمناً، لا فرق بين ذلك.

فإن احتج فقال: لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبي ﷺ، أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجئ وقت عمل؟.

قيل له: إنما نطلق لـه الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمله في وقته إذا جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً. وقال: أقر ولا أعمل لم نطلق له اسم الإيمان»[(١)].

وقال ابن تيمية: «من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيماناً ثابتاً في قلبه، بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة، والصيام والحج، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله الزكاة، ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلبِ وزندقة، لا مع إيمان صحيح. ولهذا إنما يصف سبحانه بِالامتناع من السجود الكفار كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم:٤٢،٤٣]»[(٢)].

وفي معنى قوله ﷺ: **«بني الإسلام على خمس»** قال الحافظ ابن رجب: (أن الإسلام مثله كبنيان، وهذه الخمس: دعائم البنيان وأركانه التي يثبت عليها البنيان.

وقد روي في لفظ: «بني الإسلام على خمس دعائم».

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٩٣١-٩٣٣ رقم (١٥٩٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦١١.

وإذا كانت هذه دعائم البنيان وأركانه، فبقية خصال الإسلام كبقية البنيان، فإذا فقد شيء من بقية الخصال الداخلة في مسمى الإسلام الواجب نقص البنيان ولم يسقط بفقده.

وأما هذه الخمس فإذا زالت كلها سقط البنيان ولم يثبت بعد زوالها وكذلك إن زال منها الركن الأعظم وهو الشهادتان، وزوالهما يكون بالإتيان بما يضادهما ولا يجتمع معهما.

وأما زوال الأربع البواقي فاختلف العلماء هل يزول الاسم بزوالها أو بزوال واحد منها؟ أم لا يزول بذلك؟ أم يفرق بين الصلاة وغيرها؟ فيزول بترك الصلاة دون غيرها؟ أم يختص زوال الإسلام بترك الصلاة والزكاة خاصة؟

وفي ذلك اختلاف مشهور، وهذه الأقوال كلها محكية عن الإمام أحمد.

وكثير من علماء أهل الحديث يرى تكفير تارك الصلاة[1].

وحكاه إسحاق بن راهويه إجماعا منهم حتى إنه جعل قول من قال: لا يكفر بترك هذه الأركان مع الإقرار بها من أقوال المرجئة.

وكذلك قال سفيان بن عيينة: «المرجئة سموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم؛ وليسا سواء؛ لأن ركوب المحارم متعمدا من غير استحلال: معصية،

---

(١) تنبيه: ينبغي العلم بأن علماء السنة لا يقصدون أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان بل يقولون: إن مَنْ لَم يأتِ بعملٍ فهو كافر. وللمزيد من التفصيل في حكم تارك الصلاة انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٨٧٣، ١٠١٧. الروايتان والوجهان لأبي يعلى بن الفراء ١/ ١٩٤. بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٩٠. فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٣ المغني لابن قدامة ٢/ ٤٤٢. شرح النووي ٢/ ٧٠. كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم. الإنصاف للمرداوي ١/ ٣٢٧، ٤٠١. الإقناع لأبي النجا الحجاوي ١/ ٧١. نيل الأوطار للشوكاني ١/ ٢٨٧، ٢٩٧. وفتاوى اللجنة الدائمة ٦/ ٣٠-٥١، رسالة حكم تارك الصلاة لابن عثيمين. الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٣٦، ٥١.

وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر هو كفر.

بيان ذلك في أمر آدم وإبليس وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

وروي عن عطاء ونافع مولى ابن عمر أنهما سئلا عمن قال: الصلاة فريضة ولا أصلي، فقالا: هو كافر. وكذا قال الإمام أحمد.

ونقل حرب عن إسحاق قال: «غلت المرجئة حتى صار من قولهم: إن قوما يقولون: من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها لا نكفره، يرجى أمره إلى الله بعد؛ إذ هو مقر. فهؤلاء الذين لا شك فيهم ـ يعني في أنهم مرجئة ـ.

وظاهر هذا: أنه يكفر بترك هذه الفرائض»[(١)].

وقال في موضع آخر: «وجعل النبي ﷺ مثل المؤمن أو المسلم كمثل النخلة وقال طاووس: مثل الإسلام كشجرة أصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا وكذا، وثمرها: الورع، ولا خير في شجرة لا ثمر لها، ولا خير في إنسان لا ورع فيه.

ومعلوم أن ما دخل في مسمى الشجرة والنخلة من فروعها وأغصانها وورقها وثمرها إذا ذهب شيء منه لم يذهب عن الشجرة اسمها؛ ولكن يقال: هي شجرة ناقصة، وغيرها أكمل منها، فإن قطع أصلها وسقطت لم تبق شجرة، وإنما تصير حطباً، فكذلك الإيمان والإسلام إذا زال منه بعض ما يدخل في مسماه مع بقاء أركان بنيانه لا يزول به اسم الإسلام والإيمان بالكلية، وإن كان قد سلب الاسم عنه لنقصه بخلاف ما انهدمت أركانه وبنيانه فإنه يزول مسماه بالكلية»[(٢)].

---

(١) فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٢، ٢٣.

(٢) المرجع السابق.

٥٦. الإيمان بالله *

الإيمان بالله أعظم أركان الإيمان وأصل من أصول الإيمان الستة بل هو أصل الأصول وهو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالىٰ واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وهو رب كل شيء ومليكه ليس له شريك في الملك هو الخالق، الرازق، المعطي، المانع، المحيي المميت، المتصرف في جميع شؤون الخلق.

وهو المستحق لجميع أنوع العبادة من الخضوع، والخشوع، والخشية، والإنابة، والقصد، والطلب، والدعاء، والذبح، والنذر ونحو ذلك. ومن الإيمان بالله الإيمانُ بما أخبر به عن نفسه في كتابه الكريم، أو أخبر به عنه رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وأنه متفرد بهذا عن جميع المخلوقات وأن له الكمال المطلق في ذلك كله، إثباتا بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل. كما أخبر عن نفسه تبارك وتعالىٰ بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠١،١٠٢] والإيمان بأنه الإله الحق وأن من عبد من دونه فعبادته أبطل الباطل وأضل الضلال(١).

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] والآيات في ذلك كثيرة.

---

* شعب الإيمان ٢١، ٢٢. معارج القبول ٢/ ٦٢. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٣٩٨. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ١٤٧، ٥/ ١٠٧. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٤٥. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٢٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٢/ ٥٠٧.

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص٦١.

* الدليل من السنة:

حديث عمر بن الخطاب ﷺ في سؤال جبريل ﵇: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ...» الحديث[1].

❖ والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالىٰ.

الثاني: الإيمان بربوبيته[2].

الثالث: الإيمان بألوهيته[3].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته[4].

وقد فصَّل الشيخ ابن عثيمين في شرح هذه المضامين الأربع ونكتفي هنا بما ذكره عن الأول لأن الثلاث الباقيات جعلنا لكل واحدة منها باباً منفرداً. قال ابن عثيمين في شرح الإيمان بوجود الله تعالىٰ: «قد دل علىٰ وجوده تعالىٰ الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١. أما دلالة الفطرة علىٰ وجوده:

فإن كل مخلوق قد فطر علىٰ الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضىٰ هذه الفطرة إلا من طرأ علىٰ قلبه ما يصرفه عنها لقوله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر باب توحيد الربوبية.

(٣) انظر باب توحيد الألوهية.

(٤) انظر باب توحيد الأسماء والصفات.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

٢. وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:

فلأن هذه المخلوقات سابقها ولا حقها لا بد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد لـه من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعا باتا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظما حال بقائه وتطوره؟

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجود وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطّور، حيث قـال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] أفيجـوز أن يكـون هـذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣. وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:

فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤. وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «اللهم حوالَيْنا ولا علَيْنا، فما يشير بيده إلى ناحية إلا انفرجت»[1].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصرا لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

ﵟٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيﵞ [المائدة:١١٠].

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﵟٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞﵞ [القمر:١، ٢].

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى»[1].

❖ من ثمرات الإيمان بالله تعالى:

قال ابن عثيمين: «والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه»[2].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٧٧ - ٨٠.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٨٦.

٥٧. الإيمان بالملائكة *

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة.

الملائكة لغة: جمع ملك بفتح اللام، قيل إنه مشتق من الألوكة وهي الرسالة ومعلوم أن من الملائكة من هم رسل الله إلى خلقه، وقيل من لأك إذا أرسل. وقيل غير ذلك. قال في النهاية: «الملائكة جمع ملأك في الأصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك وقد تحذف الهاء فيقال ملائك»[١].

الملائكة شرعاً: هم نوع من مخلوقات الله ﷻ خلقهم مجبولين على طاعته وعبادته. وقيل في تعريفهم: هم عباد الله وخلق من خلقه وهم السفرة بين الله وبين رسله عليهم السلام وهم عالم غيبي خلقهم الله من نور وجعلهم طائعين متذللين له ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء.

قال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «وهم الجنس المعروف من خلق الله، بتعريف النصوص، عباد مكرمون، خلقوا من نور، يؤمن بهم إجمالا في الإجمالي، وتفصيلا في التفصيلي، وتعيينا في التعيين، مثل ما ورد في الكتاب العزيز، والسنة المطهرة،

---

* أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣٦ . مختصر شعب الإيمان ص٢٥. لوامع الأنوار للسفاريني١/ ٤٤٨، ٢/ ٣٩٨. قطف الثمر صديق حسن ص١٤٣.شرح مسائل الجاهلية ص١٤٨ معارج القبول ٢/ ٦٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٤. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٣٣٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ١٥٩، ٥،٢٣٩/ ١١٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٠٥. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ٣٩٧. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٥٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٧٠. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٣٣، ٤٤٠. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٣٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٧٥٠. التبرك د/ ناصر الجديع ص٧٩، ٨٩.

(١) النهاية (م ل ك).

كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل، ومالك ورضوان وغيرهم»(١).

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر:١]. وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾[الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]. وقال في أهل الجنة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٩، ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ»(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»(٣).

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص٦٢.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) (٦٠٤٠) (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

وجاء في وصفهم ما ثبت في بعض أحاديث المعراج وفيه أنه ﷺ قال: «فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ... الحديث»[١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»[٢].

وروىٰ الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنْ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتْ الْمَلاَئِكَةُ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشاً، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) (٣٣٩٣) (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣١٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٤٨)، (٣٨٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢١١) ومسلم (٨٥٠).

وعَنْه ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَلائِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ، مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ»[1].

وعَنْه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[2].

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي عَنْكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٣) (٧٤٢٩) (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ. قَالَ: لا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّهِ أَوْ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جداً.

* **أحكام وفوائد:**

* الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ومعناه التصديق الجازم بأن لله تعالى ملائكة موجودين مخلوقين من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

* قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «**الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:**

أولاً: الإيمان بوجودهم.

ثانياً: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كجبريل ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

ثالثاً: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشرا سويا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٣٤٢).

أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه. ووضع كفيه علىٰ فخذيه وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[١].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم، ولوط كانوا علىٰ صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالىٰ، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة:

مثل: جبريل الأمين علىٰ وحي الله تعالىٰ يرسله الله إلىٰ الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عِنْدَ قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عِنْدَ الموت.

ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها، لكل شخص ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم وقد سبق تخريجه.

(٢) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص ٢٧، ٢٩. وانظر شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٨٧، ٨٨، ٨٩.

❖ **من ثمرات الإيمان بالملائكة:**

قال ابن عثيمين: «والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى»[1].

❖ **حقيقة وجود الملائكة:**

الملائكة لهم وجود حقيقي قائمون بوظائفهم وليسوا عبارة عن قوى خيرية تكمن في الخلق بل لهم أجسام حقيقية فيجب التصديق بذلك ومن قال أن الملائكة هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان فقد أنكر وجود الملائكة ومن أنكر وجود الملائكة فهو كافر زائغ ضال.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «ولا تكاد تجد أحدا ينكر وجود الملائكة إلا الزنادقة المنكرين لوجود ربهم ومن تستر بالإسلام منهم فإنه ينكر الملائكة حقيقة وينكر خبر الله ورسوله عنهم، ويفسر الملائكة تفسيرا وتحريفا خبيثا فيزعم أن الملائكة هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان، وأن الشياطين هي القوى الشريرة فيه وغرضهم من هذا التحريف دفع الشنعة عنهم، وقد ازدادوا بهذا التحريف شراً إلى شرهم، وراج هذا التحريف الخبيث على بعض الذين يحسنون الظن بهؤلاء الزنادقة، وليس عِنْدَهم بصيرة في أديان الرسل وإن أظهروا تعظيمهم، فإن زنادقة الفلاسفة أعظم في قلوبهم من الرسل وكفى بالعبد

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٨٩.

ضلالاً وغياً أن يصل إلىٰ هذه الحال، نعوذ بالله من مضلات الفتن»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساما، وقالوا إنهم عبارة عن قوىٰ الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالىٰ، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين... ثم ذكر الأدلة علىٰ ذلك من الكتاب والسنة وقال: وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوىٰ معنوية، كما قال الزائغون وعلىٰ مقتضىٰ هذه النصوص أجمع المسلمون»[٢].

ومما يدل علىٰ أن الملائكة عباد مأمورون: ما رواه البخاري أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة علىٰ صفوان فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير»[٣].

❖ **المفاضلة بين الملائكة والبشر:**

قال ابن كثير: «أكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم».

وقال: «أقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن سعيد ابن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ما أحد أكرم علىٰ الله من كريم بني آدم، وذكر بقية الواقعة وفيها معارضة أحدهم بتفضيل الملائكة واستدلال كل»[٤].

وقال جماعة من أهل العلم أن هذه من فضول المسائل، قال البيهقي في التفاضل

---

(١) الخلاصة ص٢٩، وانظر جهود السعدي ص ٢٣٢.

(٢) شرح الأصول الثلاثة من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٩٠.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٨١).

(٤) البداية والنهاية ١/ ٥٤، وانظر: الخبر الذي ذكره ابن كثير في تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ١٣٦.

بين الملائكة والبشر: «والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو به»[(١)].

وقال شارح الطحاوية: «وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها وأنها قريب مما لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(٢)].

وينبغي التنبه إلى أن هناك فرق في المفاضلة بين الملائكة والبشر والمفاضلة بين صالحي البشر والملائكة.

قال السفاريني: «اختلف العلماء في المفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسألة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف وتشعبت فيها الأقوال...الخ»[(٣)].

وبعضهم ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر مطلقاً، وممن قال بذلك المعتزلة وبعض الأشعرية كالإسفراييني والباقلاني وقال به ابن حزم ومال إليه بعض أهل السنة وبعض الصوفية واستدلوا بأدلة من كتاب الله وسنة رسوله لها وجهها في الدلالة على قولهم كقوله سبحانه في بني آدم: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] فقال على كثير ولم يقل على كل فدل على تفضيل الملائكة. كما استدلوا بأدلة أخرى ليس فيها نص صريح واضح وإنما يستدل منها على تفضيل الملائكة على البشر ورد عليهم من يخالفهم في ذلك[(٤)].

---

(١) شعب الإيمان ١/ ١٨٢.

(٢) شرح الطحاوية ٢/ ٤١٠.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٨.

(٤) انظر في المفاضلة بين الملائكة والبشر: مقالات الإسلاميين ٤٨، ٤٣٩، ٢٢٦ والمحلى ١/ ١٣ وأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٨٩، ٦/ ١١، ٤٣٠/ ٢٠، ٢٧٨/ ١٤٥، لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٨ ومباحث المفاضلة في العقيدة د/ الشظيفي ص٣٥٤.

❖ المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

قال بعض العلماء: «لا طريق إلىٰ القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة ولا القطع بأن الملائكة خير منهم لأن طريق ذلك خبر الله تعالىٰ وخبر رسوله أو إجماع الأمة وليس ها هنا شيء من ذلك»[١].

والتحقيق أن الملائكة لهم فضل عظيم ولكن صالحي بني آدم من الأنبياء وأتباعهم أفضل من الملائكة وقد ثبت عن الرسول ﷺ التفضيل بذلك فعن عبد الله بن عمرو أنه قال: «إن الملائكة قالت يارب جعلت بنى آدم يأكلون في الدنيا ويشربون ويتمتعون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا قال لا أفعل ثم أعادوا عليه فقال لا أفعل ثم أعادوا عليه مرتين أو ثلاثا فقال وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»[٢].

وهذا الحديث أصح ما في هذا الباب وقد احتج به ابن تيمية وابن القيم وذكرا ما يدل علىٰ سلامة سنده «وقد جاء عن الإمام أحمد أنه كان يفضل صالحي المؤمنين علىٰ الملائكة ويخطئ من يفضل الملائكة علىٰ بني آدم»[٣].

وقد ذكر ابن تيمية هذه المسألة وفصل فيها تفصيلاً طويلاً في مجموع الفتاوىٰ[٤] وقرر فيه مذهب أهل السنة تفضيل صالحين البشر علىٰ الملائكة.

فقال رحمه الله بعد ذكر بعض الأحاديث في ذلك: «وأقل ما في هذه الآثار أن السلف

(١) تفسير القرطبي ١/ ٢٨٩.

(٢) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد علىٰ بشر المريسي ٣٤٦ والطبراني في الكبير والأوسط قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٢. وسمعت شيخنا ابن باز يقول سنده جيد. وقال ابن تيمية: «ورواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنن عن النبي ﷺ مرسلاً» مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٣٤٤ وهو في كتاب السنة للإمام عبد الله بن أحمد ٢/ ٤٦٩.

(٣) طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٩و٣٠٦.

(٤) انظر الجزء الرابع، من ص٣٥٠ إلىٰ ص ٣٩٢.

الأولين كانوا يتناقلون بينهم أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك، ولم يخالف أحد منهم في ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك المستقر عندهم»[1]، وقال: «وقد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالح البشر على الملائكة وتروى على رؤوس الناس ولو كان هذا منكراً لأنكروه فدل على اعتقادهم ذلك»[2].

ونقل عنه تلميذه ابن القيم: «أنه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزّهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة»، ثم قال: «وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه»[3].

قال العلامة محمد السفاريني:

وعندنا تفضيل أعيان البشر ... على ملاك ربنا كما اشتهر

قال ومن قال سوى هذا افترى ... وقد تعدى في المقال واجترى[4]

و سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

أيهما أفضل الملائكة أم الصالحون من البشر؟

فأجاب بقوله: «هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من

(١) الفتاوى ٤/ ٣٦٩،٣٧٠.

(٢) الفتاوى ٤/ ٣٧١.

(٣) بدائع الفوائد ٣/ ١٦٣ و لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٨.

(٤) لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٨.

البشر محل خلاف بين أهل العلم وكل منهم أدلىٰ بدلوه فيما يحتج به من النصوص، ولكن القول الراجح أن يقال: إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية فإن الله ﷻ يعد لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم، بل إن الملائكة في مقرهم أي في مقر الصالحين وهو الجنة يدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤].

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل لأنهم خلقوا من نور وجبلوا علىٰ طاعة الله ﷻ والقوة عليها كما قال الله تعالىٰ في ملائكة النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] هذا هو القول الفصل في هذه المسألة.

وبعد فإن الخوض فيها وطلب المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلىٰ فهمه والعلم به والله المستعان»[1].

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ رقم (١٠٧).

٥٨. الإيمان بالكتب*

الكتب لغـة: جمع كتاب، يقال كتب يكتب كتاباً وكتابةً ثم سُمي به المكتوب فيه[1]، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها.

وشـرعـاً: كلام الله تعالىٰ الموحىٰ إلىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام ليبلغوه للناس، المتعبد بتلاوته.

* الدليل من الكتاب: قول الله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

* الدليل من السنة: حديث عمر بن الخطاب المتقدم.

* أحكام وفوائد:

١ - الإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان الستة، وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك.

---

* مختصرشعب الإيمان ص٢٣. معارج القبول ٢/ ٧٤. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١٦٣، ٢٤١، ٥/ ١٢٠ - ١٢٠. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤١١. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٤٩٧. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٢٢٦. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٦٠. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٩٩. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٨٦. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٤٧، ٤٥٩. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص ١٤٧.

(١) النهاية لابن الأثير (ك ت ب).

٢ - قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «**والإيمان بها يتضمن أربعة أمور:**

الأول: الإيمان بأن نزولها من عِنْد الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن الذي نزل على محمد والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى والزبور الذي أوتيه داود وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صحّ من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي «حاكماً عليه» وعلى هذا فلايجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن»[١].

والإيمان بهذه الكتب التي أخبرنا الله تعالى عنها في القرآن الكريم يستلزم الإيمان بأن نزولها من عند الله سبحانه وأن كلا منها كتاب الله تعالى وكلامه فيه النور والهدى وكلها داعية إلى التوحيد وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله فهي متفقة في الأصول وإن اختلفت في الشرائع قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقد دعا الرسل عليهم الصلاة والسلام قومهم إلى ذلك كما قال ﷻ حاكياً لنا قولهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥].

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص ٣٢،٣٣.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات[١]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٢].

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع ـ والله أعلم ـ.

وقال السعدي رحمه الله: «ويدخل في الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب، فالإيمان بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بكل ما جاء به من الكتاب والسنة ألفاظها ومعانيها، فلا يتم الإيمان إلا بذلك، وكل من كان أعظم علما بذلك وتصديقا واعترافاً وعملاً كان أكمل إيماناً»[٣].

٣ - من ثمرات الإيمان بالكتب:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك»[٤].

---

(١) العلاّت: الضرائر بمعنى إخوة لأب.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) ولفظه (إخوة من علات).

(٣) الفتاوى السعدية ص١٥، وانظر جهود السعدي ص٢٢٦.

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٩١، ٩٢.

٥٩ ـ الإيمان بالرسل*

[الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان الستة]

تعريف الرسل: الرسل جمع رسول بمعنى مرسَل أي مبعوث بإبلاغ شيء والمراد هنا: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

قال ابن عثيمين: «والرسل ينقسمون إلى قسمين رسل من البشر ورسل من الملائكة قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ والمراد بالرسول هنا جبريل وهو رسول ملكي...»[1].

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النساء:١٦٣][2]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

---

* شرح حديث جبريل من فتاوى العقيدة ص١٦٦. تفسير القرطبي ١٠/ ٤٩، ٢٩٤ ـ ٣/ ٢٦١. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٥٨. الدر السنية ١/ ١٦٣. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٧. فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ١٩٠. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٤٠١. معارج القبول ٢/ ٨٧. شرح مسائل الجاهلية ص٥٧. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٣٠٩ ـ ٣/ ١٦٦، ٢٤٥ ـ ٥/ ١٢٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤١٥. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٢٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٢٧٩. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٣٩١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٦٧. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة ص١٥٢. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٤٠٢. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبدالرحمن العلوي ص٣٣١. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٦٨، ١٢٠٧. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص ٤٦٣، ٤٨٦. التبرك للجديع ص ٧١، ٧٢. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٧٦٠. الشيخ ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٩٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٢٩٣.

(١) شرح حديث جبريل، من فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١٦٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٣.

وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥]. وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

* **الدليل من السنة:** حديث عمر بن الخطاب ﷺ في سؤال جبريل عليه السلام: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» الحديث[1].

* **أحكام وفوائد:**

١. ما ينبغي للمسلم أن يعتقده في الأنبياء والرسل:

قال ابن سعدي رحمه الله: «وهذا الأصل مبناه على أن يعترف ويعتقد بأن جميع الأنبياء قد اختصهم الله بوحيه وإرساله، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ شرعه ودينه وأن الله أيدهم بالبراهين الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به، وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقا وأعمالا، وأن الله خصهم بخصائص وفضلهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد، وأن الله برأهم من كل خلق دنيء ورذيل وأنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن الله، وأنه لا يستقر في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب وأنه يجب الإيمان بهم وبكل ما أتوه من الله ومحبتهم وتعظيمهم»[2].

٢ - قال الشيخ ابن عثيمين: «**والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:**

الأول: بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الفتاوى السعدية ص١٤.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام وهؤلاء الخمسة هم أولوا العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قولـه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧]، وفي سورة الشورى في قولـه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صحّ عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]»[1].

٣ - من ثمرات الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

قال الشيخ ابن عثيمين: «وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبيّنوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص٣٦، ٣٨.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده»(١).

٤ - فائدة:

يقول شارح الطحاوية: «وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[النساء:١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨] ... وعلينا الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به وأنهم بينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥].

وأما **أولو العزم من الرسل**، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها ما نقله البغوي وغيره عن ابن عَبَّاسٍ و قتادة أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم... وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧]. وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣]، وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً»(٢).

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٩٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤.

*** مسألة: من كفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء:**

قال السعدي: «جميع الأنبياء دعوتهم واحدة، من كذّب واحدا منهم فقد كذّب الجميع لأنه يكذب الحق الذي جاء به كل واحد منهم»(١).

٥- من هو أول الرسل؟

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة عِنْدَ كلامه عن الأنبياء: «وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النساء:١٦٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة(٢): «إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون لـه أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض» فلا رسول قبل نوح وبهذا نعلم خطأ بعض المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل.

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام»(٣).

فإن قيل: هل آدم رسول أم لا؟ فالجواب: أنه عليه السلام ليس برسول ولكنه نبي(٤).

وهناك مباحث أخرى منها معرفة معنى النبي والفرق بينه وبين الرسول وحكم ادعاء النبوة وهذه تجدها في باب (النبوة).

---

(١) الخلاصة ١١٥.

(٢) حديث الشفاعة أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٥١.

(٤) انظر للاستزادة مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١٦٧.

٦٠ - الإيمان باليوم الآخر*

الإيمان باليوم الآخر هو الأصل الخامس من أصول الإيمان الستة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم»[٢].

قال الحَلِيمي ومعناه: «التصديق بأن لأيام الدنيا آخرا، وأنها منقضية، وهذا العالم منقض يوما ما، ففي الاعتراف بانتفائه اعتراف بابتدائه إذ القديم لا يفنىٰ ولا يتغير»[٣].

فالإيمان باليوم الآخر هو: الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه

* شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي المجلد الخامس عشر. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٦٥ـ١٦٠. مختصر شعب الإيمان للبيهقي ص٢٥. شرح مسائل الجاهلية ص ٨٠. حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص٦٢. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٣/ ٩١، ٩٨. قطف الثمر صديق حسن ص١٢٧. معارج القبول ٢/ ٨٢. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٨. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٤٥٧. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٩، ٣/ ١٦٨، ٢٥١، ٥/ ١٢٧. شرح رياض الصالحين ٢/ ٤١٨. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٩٠ إلىٰ ٢٢٨.. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٥٩. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٣٢٣. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٦٤٥. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٧٧٥. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٢٣٤، ٢٧٩. منهج ابن رجب في العقيدة ص٤٠٩. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ٤٠٩. منهج ابن حجر في العقيدة ١٢٨١، ١٣٨٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ٣٤١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص ١٥٤٧.

(٢) شرح أصول الإيمان ص ٤٠.

(٣) شعب الإيمان ص٢٥.

ونعيمه وما بعد ذلك من البعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله تعالىٰ لأهلهما فيهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه»(١).

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج:٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، وقول الله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[التوبة:٢٩].

* **الدليل من السنة:** عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ»(٢).

وعِنْدَ البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلىٰ فيه فلا يطعمها»(٣).

* **أحكام وفوائد:**

١ - قال ابن عثيمين: «**والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:**

الأول: الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتىٰ حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة غير منتعلين عراة غير مستترين، غرلاً غير

(١) العقيدة الواسطية مع شرح محمد هراس ص٢٠١.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١).
(٣) أخرجه البخاري(٦٥٠٦).

مختتنين، قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء:١٠٤].

والبعث حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥،١٦] وقال النبي ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً»(١).

وأجمع المسلمون علىٰ ثبوته، وهو مقتضىٰ الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالىٰ لهذه الخليقة معادا يجازيهم فيه علىٰ ما كلّفهم به علىٰ ألسنة رسله قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥،١١٦].

وقال لنبيّه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص:٨٥].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء يحاسب العبد علىٰ عمله، ويجازىٰ عليه، وقد دل علىٰ ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٥،٢٦]، وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق. فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالىٰ للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (٢٨٦٠).

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧، ٨] وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالىٰ للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال، ما لا يخطر على البال.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩] وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦]»[1].

٢- من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

قال الشيخ ابن عثيمين: «وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضىٰ بها خوفا من عقاب ذلك اليوم

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها»[2].

٦١. الإيمان بالقدر خيره وشره

هو الأصل السادس من أصول الإيمان الستة. انظر باب (القدر).

---

(١) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ٤٠، ٤٣.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١٠٢، ١٠٣.

٦٢- البدعــة *

لغة: قال في معجم مقاييس اللغة: «(بدع) الباء والدال والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال.

فالأول: قولهم: أبدعت الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال والله بديع السموات والأرض.

والعرب تقول: ابتدع فلان الركي إذا استنبطه»[(١)].

وقال الراغب: «ومنه قيل ركية بديع أي جديدة الحفر»[(٢)(٣)].

ومن هذا يتبين أن البدعة تطلق لغة على الشيء المستحدث [(٤)].

قال الزجاج: «وكل من أنشأ مالم يسبق إليه قيل له: أبدعت، ولهذا قيل لكل من

---

* البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح، الحوادث والبدع للطرطوشي، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٢-٦١٢، الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٦-٥١، مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/ ٤٤٥-٤٧٥، ٢٠/ ١٠٣-١٠٥، جامع العلوم والحكم ٢/ ١٠٩، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي، الدرر السنية ١/ ٢٧٣، ٤٢٣، ٤٨٦، ٧/ ٥٥٨، ٨/ ١٠٣، ٩/ ٤٣٢، ١١/ ١٤٦، ١٧٤، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٣، محاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح الفوزان ١/ ١٠٧-١٢٣، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع د. إبراهيم الرحيلي، الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها لعبدالرحمن آدم، الأعياد وأثرها على المسلمين د. سليمان السحيمي ص٢٠٩، ٤٦٨.

(١) مقاييس اللغة (ب د ع)، وانظر المفردات للراغب (ب د ع).

(٢) انظر العين للخليل ٢/ ٥٤، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/ ٢٣.

(٣)المفردات للراغب (ب د ع).

(٤) انظر العين للخليل ٢/ ٥٤، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٥/ ٢٣.

خالف السنة والإجماع مبتدع، لأنه يأتي دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون»[١].

وقال في الصحاح: «أبدع الشيء: اخترعه لا على مثال، والله تعالى بديع السموات والأرض، أي مبدعهما... والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال.

واستبدعه: عده بديعاً، وبدَّعه تبديعاً: نسبه إلى البدعة»[٢].

وفي الشرع: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد قررنا في قاعدة السنة والبدعة أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك وسواء كان هذا مفعولا على عهد النبي أو لم يكن»[٣].

وقال رحمه الله: «لكن أعظم المهم في هذا الباب وغيره تمييز السنة من البدعة إذ السنة ما أمر به الشارع والبدعة ما لم يشرعه من الدين»[٤].

وقال: «والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات كاقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة والله أعلم»[٥].

وقال ابن رجب: «والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ١٩٨-١٩٩.

(٢) مختار الصحاح (ب د ع).

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٠٧، ١٠٨ وانظر الاستقامة ١/ ٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ١٣ .

(٥) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٤٦.

عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة... فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة»(١).

وقال ابن عثيمين: «والبدعة اصطلاحاً: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل»(٢).

وللعلماء تعاريف مشابهة لهذا التعريف منهم على سبيل المثال الطرطوشي والعيني والسيوطي وابن حجر الهيثمي وغيرهم(٣).

والمتقدم المشهور في هذا المقام قول الشاطبي رحمه الله في تعريف البدعة حيث قال: «البدعة: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعةفيقول: البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»(٤).

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾

(١) جامع العلوم والحكم ٢٥٢.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين ٥/ ٢٣.

(٣) انظر الحوادث والبدع للطرطوشي (٣٤-٣٥)، عمدة القاري ٢٥/ ٣٧، والفتاوى الحديثية لابن حجر (١٥٠-١٥١)، والأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (٨٨) وانظر حقيقة البدعة ١/ ٢٦٣.

(٤) الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٦ - ٣٧.

[النور:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]. وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٦٣].

وعن مجاهد قال: «ولا تتبع السبل قال البدع والشبهات»(١).

* الدليل من السنة:

عن الْعِرْبَاض بْنَ سَارِيَةَ قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ

(١) سنن الدارمي، باب في كراهية أخذ الرأي (١/ ٦٨).

وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فَهُوَ رَدٌّ».

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(٣)].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»[(٤)].

وفي رواية عند النسائي: «وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ»[(٥)].

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ: اعْلَمْ قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: اعْلَمْ يَا بِلاَلُ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي فَإِنَّ لَهُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له والترمذي كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧).

(٥) أخرجها النسائي (٤٦).

مِنْ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلاَلَةٍ لاَ تُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارهم شيئاً»[(١)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»[(٢)].

* أقوال العلماء:

عن عبد الله قال: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بد مقتدين فبالميت فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»[(٣)].

وعن ابن عباس قال: «ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن، وسمعته يقول حتى تظهر البدع»[(٤)].

وقال ابن الديلمي سمعت ابن عمرو يقول: «ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضيا ولا تركت سنة إلا ازدادت هويا»[(٥)].

وعن سفيان الثوري قال: «من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث إما أن يكون فتنة لغيره وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار وإما أن يقول والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٢٠٩، ٢١٠)، قال ابن رجب: «وخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبدالله المزني وفيه ضعف» جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٠).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (١٣٠) ١/ ١٠٥.

(٤) شرح أصول الاعتقاد (١٢٥) ١/ ١٠٣.

(٥) شرح أصول الاعتقاد (١٢٨) ١/ ١٠٤ .

(٦) البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي ص٤٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة في الله أو في رسله أو في دينه أو عباده الصالحين وتكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك فيؤثر ذلك الكذب الذي ظنه صدقا وتوابعه في باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله كما قال بعض السلف: لو أدهن صاحب البدعة كل يوم بدهان فإن سواد البدعة لفي وجهه وهذه الأمور تظهر يوم القيامة ظهوراً تاماً قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾»(١).

*** فوائد:**

١ - ضابط البدعة وأقسامها:

سئل الشيخ ابن عثيمين عن معنى البدعة وعن ضابطها؟ وهل هناك بدعة حسنة؟ وما معنى قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة»(٢)؟:

فأجاب: «البدعة شرعاً ضابطها «التعبد لله بما لم يشرعه الله»، وإن شئت فقل: «التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبي ﷺ، ولا خلفاؤه الراشدون» فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]، والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(١) الجواب الصحيح ٦/ ٤٩٠.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»[٤] فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ، وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه. أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لا تسمى بدعة في الدين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة، ولكن ليست بدعة في الدين وليست هي التي حذر منها رسول الله ﷺ.

وليس في الدين بدعة حسنة أبداً، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة أي يبدأ العمل بها، أو يبعثها بعد تركها، أو يفعل شيئاً يسنه يكون وسيلة لأمر متعبد به فهذه ثلاثة أشياء:

الأول: إطلاق السنة على من ابتدأ العمل ويدل له سبب الحديث فإن النبي ﷺ حث على التصدق على القوم الذين قدموا عليه ﷺ، وهم في حاجة وفاقة، فحث على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصرة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي عليه الصلاة والسلام فقال النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[١] فهذا الرجل سن سنة ابتداء عمل لا ابتداء شرع.

الثاني: السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحياها فهذا يقال عنه سنها بمعنى أحياها وإن كان لم يشرعها من عنده.

الثالث: أن يفعل شيئاً وسيلة لأمر مشروع[٣] مثل بناء المدارس وطبع الكتب فهذا لا يتعبد بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي ﷺ: «من

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) مسلم (١٠١٧).
(٣) انظر للاستزادة مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٥١.

سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» والله أعلم»[٣].

وقال ابن عثيمين: «**المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:**

الأول: السبب فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي بدعة مردودة على صاحبها.

مثال ذلك: أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتهجد عبادة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً. وهذا الوصف ـ موافقة العبادة للشريعة في السبب ـ أمر مهم يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة.

الثاني: الجنس فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة.

مثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضحية لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام، الإبل، البقر، الغنم.

الثالث: القدر فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمساً فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

الرابع: الكيفية فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه ثم غسل يديه، ثم وجهه فنقول: وضوؤه باطل لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٢/ ٢٩١ رقم (٣٤٦).

لمخالفة الشرع في الزمان.

وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقرباً لله تعالىٰ بالذبح، وهذا العمل بدعة علىٰ هذا الوجه، لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلىٰ الله بالذبح إلا الأضحية، والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر علىٰ الذبح كالذبح في عيد الأضحىٰ فبدعة. وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.

السادس: المكان فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة: أريد أن أعتكف في مصلىٰ البيت. فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان. ومن الأمثلة لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه لأن مكان الطواف البيت قال الله تعالىٰ لإبراهيم الخليل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج:٢٦]»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والترك الراتب سنة كما أن الفعل الراتب سنة بخلاف ما كان تركه لعدم مقتضٍ أو فوات شرط أو وجود مانع وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة علىٰ فعله حينئذ كجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في التراويح علىٰ إمام واحد وتعلم العربية وأسماء النقلة للعلم وغير ذلك مما يحتاج إليه في الدين بحيث لا تتم الواجبات أو المستحبات الشرعية إلا به وإنما تركه ﷺ لفوات شرطه أو وجود مانع فأما ما تركه من جنس العبادات مع أنه لو كان مشروعا لفعله أو أذن فيه ولفعله الخلفاء بعده والصحابة فيجب القطع بان فعله بدعة وضلالة ويمتنع القياس في مثله وان جاز القياس في النوع الأول وهو مثل قياس صلاة العيدين والاستسقاء والكسوف علىٰ

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٥٣، ٢٥٤.

الصلوات الخمس في أن يجعل لها أذانا وإقامة كما فعله بعض المراونية في العيدين وقياس حجرته ونحوها من مقابر الأنبياء على بيت الله في الاستلام والتقبيل ونحو ذلك من الأقيسة التي تشبه قياس الذين حكى الله عنهم أنهم قالوا «إنما البيع مثل الربا»»[٢].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «**والابتداع على قسمين:**

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح لأن الأصل في العادات الإباحة.

وابتداع في الدين وهذا محرم لأن الأصل فيه التوقيف قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[١].

وقال ـ حفظه الله ـ: «البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة، بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٧٢.

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٠٨.

العبادات إلىٰ حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام. فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلىٰ دليل» (١).

٢ - مناقشة تقسيم البدع إلى حسنة وسيئة:

أثّر تقسيم العلماء البدع إلىٰ حسنة وسيئة أو إلىٰ بدعة هدىٰ وبدعة ضلال في إثارة شبه عند المبتدعة لإظهار بدعهم.

قال الشيخ ابن عثيمين: «وإنك لتعجب من قوم يعرفون قول رسول الله ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» ويعلمون أن قوله: «كل بدعة» كلية عامة شاملة، مسورة بأقوىٰ أدوات الشمول والعموم «كل»، والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه. إذاً فالنبي ﷺ حينما قال: «كل بدعة ضلالة» كان يدري ما يقول، وكان يدري معنىٰ ما يقول، وقد صدر هذا القول منه عن كمال نصح للأمة» (٢).

ومما تعلقوا به في إثبات التقسيم ما يلي:

١. **قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ﷺ الموفق للصواب حينما أمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في رمضان، فخرج والناس علىٰ إمامهم مجتمعون فقال: «نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» .

قال الشيخ ابن عثيمين: «فالجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول ﷺ بأي

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٠٧ للشيخ صالح الفوزان

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٤٨.

كلام، لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام أحد غيرهم لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول النبي ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر».

الوجه الثاني: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس تعظيماً لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ فلا يليق بعمر رضي الله عنه وهو من هو أن يخالف كلام سيد البشر محمد ﷺ وأن يقول عن بدعة: «نعمت البدعة» وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة» بل لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر: إنها «نعمت البدعة» على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي ﷺ في قوله: «كل بدعة ضلالة» فعمر رضي الله عنه يشير بقوله: «نعمت البدعة هذه» إلى جمع الناس على إمام واحد بعد أن كانوا متفرقين، وكان أصل قيام رمضان من رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة وقال: «إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها». فقيام الليل في رمضان جماعة من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وسماها عمر رضي الله عنه بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه، ويقوم الرجل ومعه الرجل، والرجل ومعه الرجلان، والرهط، والنفر في المسجد، فرأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه برأيه السديد

الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة، فهي بدعة اعتبارية إضافية، وليست بدعة مطلقة إنشائية أنشأها عمر ﷺ، لأن هذه السنة كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ فهي سنة لكنها تركت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى أعادها عمر ﷺ وبهذا التقعيد لا يمكن أبداً أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذاً لما استحسنوه من بدعهم»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول عمر نعمت البدعة هذه فأكثر المحتجين بهذا لو أردنا أن نثبت حكما بقول عمر الذي لم يخالف فيه لقالوا قول الصاحب ليس بحجة فكيف يكون حجة لهم في خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن اعتقد أن قول الصاحب حجة فلا يعتقده إذا خالف الحديث فعلى التقديرين لا تصلح معارضة الحديث بقول الصاحب نعم يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين فيفيدهم هذا حسن تلك البدعة أما غيرها فلا ثم نقول أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل مالم يدل عليه دليل شرعي فإذا كان نص رسول الله ﷺ قد دل على استحباب فعل أو إيجابه بعد موته أو دل عليه مطلقا ولم يعمل به إلا بعد موته ككتاب الصدقة الذي أخرجه أبو بكر ﷺ فإذا عمل أحد ذلك العمل بعد موته صح أن يسمى بدعة في اللغة لأنه عمل مبتدأ كما أن نفس الدين الذي جاء به النبي ﷺ يسمى بدعة ويسمى محدثاً في اللغة كما قالت رسل قريش للنجاشي عن أصحاب النبي ﷺ المهاجرين إلى الحبشة إن هؤلاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين محدث لا يعرف،

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٥٠، ٢٥١.

ثم ذلك العمل الذي يدل عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة وإن سمي بدعة في اللغة فلفظ البدعة في اللغة أعم من لفظ البدعة في الشريعة وقد علم أن قول النبي ﷺ كل بدعة ضلالة لم يرد به كل عمل مبتدأ فإن دين الإسلام بل كل دين جاءت به الرسل فهو عمل مبتدأ وإنما أراد ما ابتديء من الأعمال التي لم يشرعها هو ﷺ وإذا كان كذلك فالنبي ﷺ قد كانوا يصلون قيام رمضان على عهده جماعة وفرادى، وقد قال لهم في الليلة الثالثة والرابعة لما اجتمعوا: إنه لم يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن يفرض عليكم فصلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.

فعلَّل ﷺ عدم الخروج بخشية الافتراض فعلم بذلك أن المقتضى للخروج قائم وأنه لولا خوف الافتراض لخرج إليهم، فلما كان في عهد عمر جمعهم على قارئ واحد وأسرج المسجد فصارت هذه الهيئة وهي اجتماعهم في المسجد على إمام واحد مع الإسراج عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى بذلك وإن لم يكن بدعة شرعية؛ لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض قد زال بموته ﷺ فانتفى المعارض»[(١)].

٢. **قول النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة** فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» وسن بمعنى «شرع».

قال الشيخ ابن عثيمين: «الجواب: أن من قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة» هو القائل: «كل بدعة ضلالة» ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب لـه قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٩-٥٩١.

كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير. ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالىٰ أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبداً.

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث «كل بدعة ضلالة» لحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» أن النبي ﷺ يقول: «من سن في الإسلام» والبدع ليست من الإسلام، ويقول «حسنة» والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السن والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنىٰ «من سن» من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها وعلىٰ هذا فيكون «السن» إضافياً نسبياً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك جواب ثالث يدل لـه سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلىٰ النبي ﷺ وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي ﷺ إلىٰ التبرع لهم، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة» فهنا يكون معنىٰ «السن» سن العمل تنفيذاً وليس العمل تشريعاً، فصار معنىٰ «من سن في الإسلام سنة حسنة» من عمل بها تنفيذاً لا تشريعاً، لأن التشريع ممنوع «كل بدعة ضلالة»»[1].

٣- **جمع القرآن ولم يكن جمعه علىٰ عهد رسول الله ﷺ**، والجواب عن هذا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا جمع القرآن فإن المانع من جمعه علىٰ عهد رسول الله ﷺ كان أن الوحي كان لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء ويحكم ما يريد، فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت، فلما استقر القرآن

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٥٢، ٢٥٣.

بموته ﷺ واستقرت الشريعة بموته ﷺ أمِن الناس من زيادة القرآن ونقصه، وأمنوا من زيادة الإيجاب والتحريم والمقتضي للعمل قائم بسنته ﷺ فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وإن كان يسمى هذا في اللغة بدعة، وصار هذا كنفي عمر رضي الله عنه ليهود خيبر ونصارى نجران ونحوهم من أرض العرب، فإن النبي ﷺ عهد بذلك في مرضه فقال: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» وإنما لم ينفذه أبو بكر رضي الله عنه لاشتغاله عنه بقتال أهل الردة وبشروعه في قتال فارس والروم وكذلك عمر لم يمكنه فعله في أول الأمر لاشتغاله بقتال فارس والروم فلما تمكن من ذلك فعل ما أمر به النبي ﷺ وإن كان هذا الفعل قد يسمى بدعة في اللغة كما قال له اليهود كيف تخرجنا وقد أقرنا أبو القاسم وكما جاءوا إلى علي رضي الله عنه في خلافته فأرادوا منه إعادتهم وقالوا كتابك بخطك فامتنع من ذلك لأن ذلك الفعل من عمر كان بعهد رسول الله ﷺ وإن كان محدثاً بعده، ومغيراً لما فعله هو ﷺ»[(١)].

٤. تمسكوا بأقوال لعلماء أجلاء ولم يعرفوا مرادهم من أقوالهم:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «قال الشَّافِعِيّ: «الْبِدْعَة بِدْعَتَانِ: مَحْمُودَة وَمَذْمُومَة، فَمَا وَافَقَ السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُود وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُوم» أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم بِمَعْنَاهُ مِنْ طَرِيق إِبْرَاهِيم بْن الْجُنَيْد عَنْ الشَّافِعِيّ.

وَجَاءَ عَنْ الشَّافِعِيّ أَيْضًا مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبه قَالَ: «الْمُحْدَثَات ضَرْبَانِ مَا أُحْدِث يُخَالِف كِتَابًا أَوْ سُنَّة أَوْ أَثَراً أَوْ إِجْمَاعًا فَهَذِهِ بِدْعَة الضَّلَال، وَمَا أُحْدِث مِنْ الْخَيْر لاَ يُخَالِف شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَهَذِهِ مُحْدَثَة غَيْر مَذْمُومَة»»[(٢)].

وقال ابن العربي في شرح قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور»: «ليس المحدث والبدعة مذموماً للفظ محدث وبدعة ولا لمعناها، وإنما يذم من البدعة ما خالف

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٩١، ٥٩٢.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣، جامع العلوم والحكم٢/ ١٣١، الحلية ٩/ ١١٣.

السنة، ويذم من المحدثات ما دعا إلىٰ ضلالة»[١].

وقال ابن الأثير: «البدعة بدعتان: بدعة هدىٰ وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله ورسوله ﷺ فهو في حيز المدح، وما لم يكن لـه مثال موجود كنوع من الجود والسخاء، وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به... وقوله: «كل محدثة بدعة» إنما يريد ما خالف أصول الشريعة، ولم يوافق السنة؛ وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم»[٢].

وقال النووي: «البدعة بكسر الباء في الشرع: هي إحداث مالم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلىٰ حسنة وقبيحة»[٣].

وقال القاضي عياض: «كل ما أحدث بعد النبي ﷺ فهو بدعة، والبدعة فعل ما لم يسبق إليه، فما وافق أصلاً من السنة يقاس عليها فهو محمود، وما خالف أصول السنن فهو ضلالة»[٤].

* **وللرد على ذلك نقول:** إن استدلالاتكم هذه مخالفة لحديث الرسول ﷺ «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وللرد علىٰ ذلك نقول:

قال ابن رجب: «قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين»[٥].

وقال ابن عثيمين: «وما ادعاه العلماء من أن هناك بدعة حسنة. فلا تخلو من حالين:

---

(١) عارضة الأحوذي لابن العربي ٩/ ١٤٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: «ب د ع» لسان العرب: «ب د ع».

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ٣/ ٢٢-٢٣، شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ١٥٤ وانظر قول الخطابي في معالم السنن ١٤/ ٣٠١.

(٤) مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار للقاضي عياض ١/ ٢١٨-٢١٩.

(٥) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨.

١ - أن لا تكون بدعة لكن يظنها بدعة.

٢ - أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها.

فكل ما ادعي أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا. وعلى هذا فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ «كل بدعة ضلالة»»(١).

فتقسيم البدعة الشرعية إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ليس بصحيح، بل البدع كلها محدثة وضلالة، والبدع إنما تكون في العبادات، فأما البدع الدنيوية كالمصانع والمراكب والملابس والمساكن فلا يقال لها بدع وإنما هي عادات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على هذا التقسيم: «وأما مقامهم الثاني فيقال هب أن البدع تنقسم إلى حسن وقبيح فهذا القدر لا يمنع أن يكون هذا الحديث دالاً على قبح الجميع لكن أكثر ما يقال إنه إذا ثبت أن هذا حسن يكون مستثنى من العموم وإلا فالأصل أن كل بدعة ضلالة فقد تبين أن الجواب عن كل ما يعارض به من أنـه حسن وهو بدعة إما بأنه ليس ببدعة وإما بأنه مخصوص فقد سلمت دلالة الحديث وهذا الجواب إنما هو عما ثبت حسنه فأما أمور أخرى قد يظن أنها حسنة وليست بحسنة أو أمور يجوز أن تكون حسنة ويجوز أن لا تكون حسنة فلا تصلح المعارضة بها بل يجاب عنها بالجواب المركب وهو إن ثبت أن هذا حسن فلا يكون بدعة أو يكون مخصوصا وإن لم يثبت أنه حسن فهو داخل في العموم وإذا عرفت أن الجواب عن هذه المعارضة بأحد الجوابين فعلى التقديرين الدلالة من الحديث باقية لا ترد بما ذكروا ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية وهي قوله «كل بدعة ضلالة» بسلب عمومها

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٤٨.

وهو أن يقال ليست كل بدعة ضلالة فإن هذا إلىٰ مشاقة الرسول أقرب منه إلىٰ التأويل؛ بل الذي يقال فيما يثبت به حسن الأعمال التي قد يقال هي بدعة إن هذا العمل المعين مثلاً ليس ببدعة فلا يندرج في الحديث أو إن اندرج لكنه مستثنىٰ من هذا العموم لدليل كذا وكذا الذي هو أقوم من العموم مع أن الجواب الأول أجود، وهذا الجواب فيه نظر، فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله ﷺ بهذه الكلمة الجامعة فلا عدل عن مقصوده بأبي هو وأمي ﷺ»[(١)].

وقال ابن رجب: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان علىٰ إمام واحد في المسجد وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه. ورُوي عنه أنه قال: إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة، وروي عن أبي بن كعب قال لـه إن هذا لم يكن. فقال عمر: قد علمت ولكنه حسن. ومراده أن هذا الفعل لم يكن علىٰ هذا الوجه قبل هذا الوقت ولكن لـه أصل في الشريعة يرجع إليها، فمنها أن النبي ﷺ كان يحث علىٰ قيام رمضان ويرغب فيه وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحداناً وهو ﷺ صلىٰ بأصحابه في رمضان»[(٢)].

٣ - أسباب ذم البدع:

قال الشاطبي: «لا خفاء أن البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها لأن اتباعها خروج عن الصراط المستقيم ورمىٰ في عماية. وبيان ذلك من جهة النظر، والنقل الشرعي العام. أما النظر فمن وجوه:

أحدهما: أنه قد علم بالتجارب والخبرة السارية في العالم من أول الدنيا إلىٰ اليوم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨.

أن العقول غير مستقلة بمصالحها، استجلاباً لها، أو مفاسدها، استدفاعاً لها. لأنها دنيوية أو أخروية... فالعقل غير مستقل البتة. ولا ينبني على غير أصل، وإنما ينبني على أصل متقدم مسلم على الإطلاق. ولا يمكن في أحوال الآخرة قبلهم أصل مسلم إلا من طريق الوحي... فالابتداع مضاد لهذا الأصل، لأنه ليس مستند شرعي بالفرض، فلا يبقى إلا ما ادعوه من العقل.

فالمبتدع ليس على ثقة من بدعته أن ينال بسبب العمل بها، ما رام تحصيله من جهتها، فصارت كالعبث.

والثاني: أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان، لأن الله تعالى قال فيها ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.. فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله:

إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها. وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً.

والثالث: أن المبتدع معاند للشرع ومشاقٌ لـه، لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد واخير أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إىما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين. فالمبتدع راد لهذا كله، فإنه يزعم أن ثم طرقا أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ما عينه بمتعين،

كأن الشارع يعلم، ونحن أيضاً نعلم بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم ما لم يعلمه الشارع.

وهذا إن كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين.

وإلى هذا المعنى أشار عمر بن عبد العزيز ﷺ، إذ كتب لـه عدى ابن أرطاة يستشره في بعض القدرية، فكتب إليه:

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطإ والزلل والحمق والتعمق، فارضَ لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ، قد كفوا وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى. فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسن، ولقد قصر عنهم آخرون فقلوا وأنهم بين لك لعلى هدى مستقيم.

والرابع: أن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجرى على سننها، وصار هو المنفرد بذلك، لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون. وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس. ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام.

وهذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهياً حيث شرع مع الشارع، وفتح للاختلاف باباً؛ ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك.

والخامس: أنه اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق لـه إلا

الهوىٰ والشهوة؛ وأنت تعلـــم ما في اتباع الهوىٰ وأنه ضلال مبين»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «فاعلم أن كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعناً في دين الله ﷻ، تعتبر تكذيباً لله تعالىٰ في قولـه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله تعالىٰ وليست في دين الله تعالىٰ كأنه يقول ـ بلسان الحال ـ: إن الدين لم يكمل لأنه قد بقي عليه هذه الشريعة التي ابتدعها يتقرب بها إلىٰ الله ﷻ»[(٢)].

٤ - تاريخ ظهورالبدع:

قال ابن حجر رحمه الله: «وَثَبَتَ عَنْ مَالِك أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَهْد النَّبِيّ ﷺ وَأَبِي بَكْر وَعُمَر شَيْء مِنْ الْأَهْوَاء ـ يَعْنِي بِدَع الْخَوَارِج وَالرَّوَافِض وَالْقَدَرِيَّة ـ»[(٣)].

قال شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله: «وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فعاقب الطائفتين أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار وطلب قتل عبدالله بن سبأ فهرب منه وأمر بجلد من يفضله علىٰ أبي بكر وعمر وروىٰ عنه من وجوه كثيرة أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ورواه عنه البخاري في صحيحه»[(٤)].

وهذا من حيث ظهور البدْعَة وانتشارها وأما المقالة فقد حَدَثَتْ فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ. قال ابن القيم: «وَالَّذِي صَحَّ عَنْ النَّبِيّ ﷺ مِنْ طَوَائِف أَهْل الْبِدَع: مِنْهُمْ الْخَوَارِج فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِيهِمْ الْحَدِيث مِنْ وُجُوه كُلّهَا صِحَاح. لأَنَّ مَقَالَتهمْ حَدَثَتْ

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٦-٥٣ باختصار.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٤٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٥٣، وانظر ٥/ ٢٥٣.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٧٩.

فِي زَمَنِ النَّبِيّ ﷺ. وَكَلِمَة رَئِيسهمْ. وَأَمَّا الإِرْجَاء، وَالرَّفْض، وَالْقَدَر، وَالتَّجَهُّم، وَالْحُلُول وَغَيْرهَا مِنْ الْبِدَع فَإِنَّهَا حَدَثَتْ بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة. وَبِدْعَة الْقَدَر: أَدْرَكَتْ آخِر عَصْر الصَّحَابَة فَأَنْكَرَهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ حَيًّا، كَعَبْدِ اللَّه بْن عُمَر، وَابْن عَبَّاس، وَأَمْثَالهمَا. أَكْثَر مَا يَجِيء مِنْ ذِمَّتهمْ فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقُوف عَلَى الصَّحَابَة: مِنْ قَوْلهمْ فِيهِ. ثُمَّ حَدَثَتْ بِدْعَة الإِرْجَاء بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر الصَّحَابَة فتكَلَّمَ فِيهَا كِبَار التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوهَا كَمَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُمْ ثُمَّ حَدَثَتْ بِدْعَة التَّجَهُّم بَعْد اِنْقِرَاض عَصْر التَّابِعِينَ. وَاسْتَفْحَلَ أَمْرهَا، وَاسْتَطَارَ شَرّهَا فِي زَمَن الأَئِمَّة، كَالإِمَامِ أَحْمَد. ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْد ذَلِكَ بِدْعَة الْحُلُول، وَظَهَرَ أَمْرهَا فِي زَمَن الْحُسَيْن الْحَلاَّج. وَكُلَّمَا أَظْهَرَ الشَّيْطَان بِدْعَة مِنْ هَذِهِ الْبِدَع وَغَيْرهَا: أَقَامَ اللَّه لَهَا مِنْ حِزْبه وَجُنْده مَنْ يَرُدّهَا، وَيُحَذِّر الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا، نَصِيحَة لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلأَهْلِ الإِسْلاَم. وَجَعَلَهُ مِيرَاثًا يُعْرَف بِهِ حِزْب رَسُول اللَّه ﷺ وَوَلِيّ سُنَنه، مِنْ حِزْب الْبِدْعَة وَنَاصِرهَا. وَقَدْ جَاءَ فِي أَثَر لاَ يَحْضُرنِي إِسْنَاده «إِنَّ لِلَّهِ عِنْد كُلّ بِدْعَة يُكَاد بِهَا الإِسْلاَم وَلِيًّا يَنْطِق بِعَلاَمَاتِهِ». فَاغْتَنِمُوا تِلْكَ الْمَجَالِس، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّه. فَإِنَّ الرَّحْمَة تَنْزِل عَلَيْهِمْ. نَسْأَل اللَّه تَعَالَى أَنْ يَجْعَلنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ يُلْحِقنَا بِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلنَا لَهُمْ خَلَفًا، كَمَا جَعَلَهُمْ لَنَا سَلَفًا بِمَنِّهِ وَكَرَمه»[1].

٥ - أسباب ظهور البدع:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

١. **الجهل بأحكام الدين**: كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قلَّ العلم وفشى الجهل كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»[2]. وقولـه: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن

---

(١) عون المعبود مع شرح الحافظ ابن القيم ١٢/ ٤٥٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦ وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) وصحيح

يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[(١)]. فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء فإذا فقدا العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

٢. اتباع الهوى: من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:٢٣] والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

٣. التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠] وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

٤. التشبه بالكفار: هو من أشد ما يوقع في البدع»[(١)].

٦ - حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم قالوا لا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة وهي الشريعة وهي ما أمر الله به ورسوله ﷺ؛ لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنوناً مشروعاً قد أمر الله به يكون بدعة وكل بدعة ضلالة ليس مما

الجامع (٢٥٤٦).

(١) البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١١٢-١١٤.

يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة لقوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[٢]، وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٣] وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٤] فدل الحديث على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة. ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة.

فمنها ما هو كفر صراح: كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها وتقديم الذبائح والنذور لها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم. وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك: كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي: كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها ما هو معصية: كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس. والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع»[٥].

٧ - أثر البدع على التوحيد:

بَيَّنَ الله تعالى أن الشيطان هو عدو بني آدم وحذر منه فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فعلى العبد أن يتخذه عدوا ويحترز منه ولا يتبع خطواته فإن له

---

(١) الاستقامة ٢/ ٣١٠.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٢٦ وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢) وصحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٣) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) مسلم (١٧١٨) (١٨).

(٥) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٠٧.

مع الناس عقبات وخطوات ومن عقباته بعد الكفر بالله وبدينه عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله وقد انخدع به كثير من الناس فوقعوا في البدع التي حذر الله ورسوله منها فمن ذلك رفع القبور والبناء عليها وإيقاد السرج والشموع عِنْدَها. وشد الرحال إليها ومن ذلك التبرك بالصالحين وتتبع آثارهم والتوسل بالذوات أو بالجاه ومن ذلك إحداث أعياد لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح ومن ذلك الصلاة لله عند القبر، والذبح لله عند القبر.

والأمور المبتدعة عند القبور مراتب ودركات أشنعها سؤال الميت، والاستغاثة به والسجود له ومن البدع التمسح به و تعظيمه واتخاذه مسجدا وعيدا وإكرامه بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها. وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرِّقاع فيها وأخذ تربتها تبركا و الكتابة على القبر، وإفاضة الطيب عليها، وإلقاء الخرق على الشجر، اقتداء بمن عبد اللات والعزى وهذه حال من اتبع سبل الشيطان في تحسين المعاصي والبدع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وفيهم من ينظم القصائد في دعاء الميت والاستشفاع به والاستغاثة أو يذكر ذلك في ضمن مديح الأنبياء والصالحين فهذا كله ليس بمشروع ولا واجب ولا مستحب باتفاق أئمة المسلمين ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب وكثير من الناس يذكرون في هذه الأنواع من الشرك منافع ومصالح ويحتجون عليها بحجج من جهة الرأي أو الذوق أو من جهة التقليد والمنامات ونحو ذلك»[1].

وكما أثرت البدع على التوحيد فقد أثرت في السنة فعَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٦٠.

الثُّمَالِيِّ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ: يَا أَبَا أَسْمَاءَ، إِنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا النَّاسَ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ. قَالَ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: رَفْعُ الأَيْدِي عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالْقَصَصُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمَا أَمْثَلُ بِدْعَتِكُمْ عِنْدِي وَلَسْتُ مُجِيبَكَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُمَا قَالَ لِمَ قَالَ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلاَّ رُفِعَ مِثْلُهَا مِنْ السُّنَّةِ» فَتَمَسُّكٌ بِسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ»[1].

وعن حسان بن عطية قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم إلىٰ يوم القيامة»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ويبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه»[3].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «إنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين علىٰ البدع يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها، فإذا فرغوا من هذه البدع قابلوا السنن الثابتة بالفتور، وهذا كله من نتيجة أضرار البدع علىٰ القلوب فالبدع أضرارها علىٰ القلوب عظيمة، وأخطارها علىٰ الدين جسيمة، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أوأ شد، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم من السلف.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٠٩٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٨: (وفيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو منكر الحديث) وجوّد الحافظ حديثه هذا في الفتح ١٣/ ٢٥٣. قال ابن رجب: «وقد رُوي عن ابن عمر من قوله نحو هذا» جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٨.

(٢) شرح أصول الاعتقاد (١٢٩) ١/ ١٠٤.

(٣) درء التعارض ١/ ٢٢١.

لكن الإنسان إذا شعر أنه تابع لا مشرع حصل لـه بذلك كمال الخشية والخضوع، والذل، والعبادة لرب العالمين، وكمال الاتباع لإمام المتقين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين محمد ﷺ»[١].

٨ - وللعلماء كلام في قبول توبة المبتدع:

فمنهم من قال: يمكن أن يتوب ويستشهد له بما روى أحمد عن عبدالله بن شداد «أن علياً رضي الله عنه لما اعتزله الحرورية بعث إليهم عبدالله بن عباس فواضعوه كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف»[٢].

مع أن الخوارج ورد فيهم من الأحاديث ما لم يرد في غيرهم من الفرق، فهم كلاب النار، وهم الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...[٣].

وكذلك توبة أبي الحسن الأشعري مع براعته في معرفة الاعتزال[٤].

والقول بصحة توبة المبتدع سواء كان داعية أو غير داعية هو قول أكثر أهل العلم[٥].

ومنهم من قال: من كان عالماً لا مقلداً فلا يتوب؛ لأنه زاغ فأزاغ الله قلبه، وأما إذا كان مقلداً أو عامياً فيمكن أن يتوب كما رجع بعض الخوارج[٦].

ومنهم من قال بأن صاحب البدعة ليست له توبة.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٥/ ٢٥٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ١/ ٨٦ – ٨٧.

(٣) انظر: حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ٢/ ٣٩٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١١٠، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١/ ٣٣٠.

(٦) انظر: الرد على الجهمية لأبي سعيد الدارمي ١١٤، مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ١٨٦، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ٢/ ٤٠٣.

قال ابن عمر في القدرية: «لو أنفقوا ما في الأرض ذهباً ما تقبل منهم حتىٰ يؤمنوا بالقدر»[(١)].

وقال الحسن البصري: «إن صاحب البدعة لا يقبل لـه صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل»[(٢)].

وفي بدائع الفوائد: «من خط القاضي أبي يعلىٰ: قال أبو الفرج الهمداني سمعت المروزي يقول: سئل أحمد عما ورد عن النبي ﷺ أن الله احتجز التوبة عن صاحب بدعة وحجب التوبة إيش معناه؟ فقال أحمد: لا يوفق ولا يُيسر صاحب بدعة لتوبة، وقال النبي ﷺ لعائشة لما قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ فقال النبي ﷺ: «هم أهل الأهواء والبدع ليست لهم توبة»»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا قال أئمة المسلمين كسفيان الثوري أن البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها، ومعنىٰ قولهم «أن البدعة لا يتاب منها»: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه أو أنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرىٰ فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتىٰ يتبين لـه الحق كما هدىٰ ﷻ من هدىٰ من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه...»[(٤)].

---

(١) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٢/ ٤١٢، الشريعة للآجري ص ٢٠٥.

(٢) الشريعة للآجري ص ٦٤.

(٣) بدائع الفوائد ٤/ ٤٨.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٩، التحفة العراقية ١/ ٣٨.

٩ - موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة:

لقد كان أئمة السلف حريصين كل الحرص على مواجهة البدعة والرد على المبتدعة والتحذير من البدع عموما ويحصل ذلك إما بالمناصحة أو الإنكار أو ببيان حاله والتحذير منه والرد عليه أو يكون بالهجر فإن أصر على بدعته ودعا إليها لإضلال الناس فإن أكثر السلف يأمرون بردعه وإنزال العقوبة به لأجل إفساده في الدين وإليك بيان ذلك بنقول عنهم:

عن أيوب قال: «لقيني سعيد بن جبير فقال: ألم أرك مع طلق؟ قلت: بلى فما له؟ قال: لا تجالسه فإنه مرجيء. قال أيوب: وما شاورته في ذلك، ولكن يحق للرجل المسلم إذا رأى من أخيه شيئاً يكرهه أن ينصحه»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن أظهر المنكر وجب عليه الإنكار وان يهجر ويذم على ذلك فهذا معنى قولهم ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له بخلاف من كان مستتراً بذنبه مستخفياً فان هذا يستر عليه، لكن ينصح سراً ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ويذكر أمره على وجه النصيحة»(٢).

وقال رحمه الله: «... وقال بعضهم لأحمد بن حنبل إنه يثقل علي أن أقول فلان كذا وفلان كذا. فقال: إذا سكتَ أنت وسكتُ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟

ومثل ذلك أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلى ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في

---

(١) البدع لمحمد بن وضاح ص٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٢٠.

أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فَبَيَّنَ أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً... وأعداء الدين نوعان: الكفار والمنافقون، وقد أمرالله نبيه بجهاد الطائفتين في قولـه: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ في آيتين من القرآن، فإذا كان أقوام منافقون يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم تُبيَّن للناس فسد أمرُ الكتاب وبُدِّل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله»[١].

ومما جاء عن الأئمة في تعليقه على الداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... وهذا لأن المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب هو إقامة القسط كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس ولهذا أكثر السلف يأمرون بقتل الداعي إلى البدعة الذي يضل الناس لأجل إفساده في الدين سواء قالوا هو كافر أو ليس بكافر...»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٣١-٢٣٢، وانظر للاستزادة حول ذلك محاضرات في العقيدة والدعوة ١/ ١٧ للشيخ صالح الفوزان.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٠٠.

وقال رحمه الله: «والداعي إلىٰ البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل وتارة بما دونه كما قتل السلف جهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان القدري وغيرهم، ولو قدر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلا بد من بيان بدعته والتحذير منها فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله»(١).

وقال أيضاً: «وكذلك المبتدع الذي خرج عن بعض شريعة رسول الله وسنته واستحل دماء المسلمين المتمسكين بسنه رسول الله ﷺ وشريعته وأموالهم هو أولىٰ بالمحاربة من الفاسق وإن اتخذ ذلك ديناً يتقرب به إلىٰ الله كما أن اليهود والنصارىٰ تتخذ محاربة المسلمين ديناً تتقرب به إلىٰ الله؛ ولهذا اتفق أئمة الإسلام علىٰ أن هذه البدع المغلظة شر من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب وبذلك مضت سنة رسول الله ﷺ؛ حيث أمر بقتال الخوارج عن السنة وأمر بالصبر علىٰ جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم وشهد لبعض المصرّين من أصحابه علىٰ بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله ونهىٰ عن لعنته وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه مع عبادتهم وورعهم أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»(٢).

وقال: «وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روىٰ عنهما أعني عمر وعلي قتلهما أيضاً والفقهاء، وإن تنازعوا في قتل الواحد المقدور عليه من هؤلاء فلم يتنازعوا في وجوب قتالهم إذا كانوا ممتنعين، فإن القتال أوسع من القتل كما يقاتل الصائلون العداة والمعتدون البغاة وإن كان أحدهم إذا قُدر عليه لم يعاقب إلا بما أمر الله ورسوله به، وهذه النصوص المتواترة عن النبي ﷺ في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ٤١٣-٤١٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٤٧٠. ٤٧١.

الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنىً من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين؛ بل بعض هؤلاء شر من الخوارج الحرورية مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية وكل من اعتقد في بشر أنه إله أو في غير الأنبياء أنه نبي وقاتل على ذلك المسلمين فهو شر من الخوارج الحرورية، والنبي إنما ذكر الخوارج الحرورية لأنهم أول صنف من أهل البدع خرجوا بعده بل أولهم خرج في حياته فذكرهم لقربهم من زمانه»[(١)].

وقال: «وجوَّز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وكذلك كثير من أصحاب مالك وقالوا إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد في الأرض لا لأجل الردة»[(٢)].

١٠ - وقد كان أئمة السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع أو سماع كلامهم:

قال محمد بن طلحة: «قال إبراهيم: لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخاف أن ترتد قلوبكم»[(١)].

وعن محمد بن مسلم قال: «أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران لا تجالس أصحاب الأهواء فتسمع منهم كلمة فترديك فتضلك فتدخلك النار»[(٢)].

وعن محمد بن عجلان قال قال ابن مسعود: «من أحب أن يكرم دينه فليعتزل مخالطة السلطان ومجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم الصق من الجرب»[(٥)].

وعن الحسن البصري قال: «لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٧٥-٤٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٤٦.

(٣) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩.

(٤) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩.

(٥) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩، ٥٠.

عليه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك»[١].

وقال الأوزاعي: «لا تمكّنوا صاحب بدعة من جدل فيورث قلوبكم من فتنته ارتياباً»[٢]. وسوف يأتي زيادة تفصيل عن هجر أهل البدع في باب (الهجر).

١١ - حكم تكفير الداعي إلى البدعة المكفرة:

قال المجد رحمه الله: «الصحيح: أن كل بدعة كفرنا فيها الداعية، فإنا نفسق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن، أو علم الله سبحانه مخلوق، أو أسماءه مخلوقة، أو أنه لا يرىٰ في الآخرة، أو يسب الصحابة، أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد ونحو ذلك، فمن كان عالما في شيء من هذه البدع، يدعو إليه، ويناظر عليه، فهو محكوم بكفره، نص أحمد علىٰ ذلك في مواضع»[٣].

وقال الشيخ أبا بطين: «مع أن قول الشيخ[٤] رحمه الله في عدم تكفير الجهمية ونحوهم، خلاف المشهور في المذهب، فإن الصحيح من المذهب: تكفير المجتهد الداعي إلىٰ القول بخلق القرآن، ونفي الرؤية ونحو ذلك»[٥].

٦٣. البروج

انظر باب: «التنجيم».

(١) البدع لمحمد بن وضاح ص٤٩، ٥٠.

(٢) البدع لمحمد بن وضاح ص٥٣.

(٣) نقلا عن الدرر السنية ١٠/ ٣٥٦.

(٤) يعني ابن تيمية.

(٥) الدرر السنية ١٠/ ٣٥٦.

٦٤. البعث*

قال في النهاية: «في أسماء الله تعالىٰ «الباعث» هو الذي يبعث الخلق أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة»[(١)]. والبعث هو إحياء الخلق للجزاء يوم القيامة.

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن:٧]، وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الجاثية:٢٦].

* **الدليل من السنة:** حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ لما سئل عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله»[(٢)].

قال القاضي عياض: «وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث أو الحساب أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة علىٰ صحة نقله متواتراً، وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال: إن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنىٰ غير ظاهره، وأنها لذات روحانية ومعان باطنة، كقول النصارىٰ والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن معنىٰ القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة»[(٣)].

ويقول البهوتي رحمه الله: «وإذا جحد البعث كفر لتكذيبه للكتاب والسنة وإجماع الأمة»[(٤)].

---

* انظر مراجع الإيمان باليوم الآخر. وانظر أيضاً زاد المعاد ٣/ ٢٣٠، الفوائد لابن القيم ص٦، ٧، مغني المحتاج ٤/ ١٣٥، الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٥٦، شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٨٩، القواعد الحسان للسعدي ٢٤، ٢٥.

(١) النهاية (ب ع ث).

(٢) أخرجه البخاري (٥) ومسلم (١٠) واللفظ له وفي رواية: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر».

(٣) الشفاء ٢/ ٢٩٠.

(٤) كشاف القناع ٦/ ١٣٦.

٦٥. بغض وكراهية ما جاء به الرسول ﷺ*

البغض والكراهية ضد المحبةِ، والمحبةُ شرط من شروط لا إله إلا الله. قال الإمام تقي الدين ابن تيمية: «وأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهو أصل كل فعل ومبدؤه، كما أن البغض والكراهة مانع وصاد لكل ما انعقد بسببه ومادته، فهو أصل كل ترك»[(١)].

والمراد الكره الاعتقادي، وإذا انتفت المحبة محبة الله ورسوله ومحبة أوامره والرضا بها وحل محلها البغض والكراهة في القلب فهذه صفات من كفر بالله ﷻ فلا يبقى مع تلك الكراهة عملٌ لأن كُرهَ ما أنزلَ اللهُ يحبطُ الأعمالَ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: «الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر»[(٢)].

وقد ذكره ابن تيمية ضمن أقسام النفاق الأكبر المخرج من الملة فقال: «فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله ابن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك، مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله»[(٣)].

وعدَّه في أنواعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقال: «... فأما النفاق الاعتقادي فهو

** الدرر السنية ٢/ ٣٦١، ١٠/ ١٢٢، مجموعة التوحيد ١/ ١٠، ورسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وشروحها، الجامع الفريد ٢٧٧.

(٤) قاعدة في المحبة ص ٧.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤.

ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار»(١).

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٠] وقد وصف سبحانه المنافقين بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة:٥٤] وقال تعالىٰ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٨١].

والبغض والكراهة ينافيان عمل القلب من وجهين:

١ ـ أنه ينافي شرط المحبة والتعظيم لله ﷻ، ومحبة أوامره، وأوامر رسوله ﷺ.

٢ ـ أن فيه تركاً للقبول والانقياد والتسليم. يقول ابن تيمية: «إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرّمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرّمه، أو أنه حرّمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبىٰ أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند ... ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته يعود هذا إلىٰ عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً أو اتباعاً لغرض النفس وحقيقته كفر هذا؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه

---

(١) مجموع التوحيد لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٠، وأقسام النفاق الأكبر دقيقة وخطيرة ولم أجد من تعرض له بمؤلف يجمع أحكامه.

ويقول: أنا لا أقرّ بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر منه، فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع»[(١)].

وجاء في شرح الإقناع قولـه: «أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه كما هو حال من يدّعي العلم ويقرر أنّه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارىٰ، بل يعادون من التفت إليه، ويحلّون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام ... والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه[(٢)]، وأبغض الأمر بمعاداة أهله ولو لم يتكلم وينصر، فكيف إذا فعل ما فعل»[(٣)].

ومما يدخل في ذلك ما يتفوه به بعض أهل زماننا من كراهية شرع الله في تعدد الزوجات وكراهية كون المرأة ليست بمنزلة الرجل في الميراث والدية والشهادة وكون القاتل يقتل والسارق تقطع يده فيبغضون أحكام الله ورسوله كما فعلَ المنافقون من قبل الذين ضاقت صدورهم وحرجت بشرع الله وبما جاء عن رسوله صلىٰ الله عليه وسلم وأبغضوا مادلت عليه. وكذلك الذي يكره شرع الله في حجاب المرأة، أو اللحية. وليس لـه تأويل في ذلك إلا أن الرسول جاء به فإن كان لـه تأويل كأن يبغض شكلها لا شرع الله فيها فهذا شيء آخر وحكم آخر أما أحكام الله فلا تبغض ولا يكره شيء منها البتة[(٤)]، بل ينبغي الحذر من الوقوع في ذلك، والرضىٰ بالله وبما جاء به والاطمئنان إليه.

---

(١) الصارم المسلول ص ٥٢١، ٥٢٢، وانظر: مجموع الفتاوىٰ ١٤/١٠٨، ٢٠/٩٧. وقاعدة في المحبة ص١٩٣.

(٢) أي الشرك.

(٣) انظر كشاف القناع ٣/ ٦٢. وانظر مجموعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الثالث ص ٦٢، ونواقض الإيمان الاعتقادية ٢/ ١٧٨.

(٤) أفاده شيخنا عبد الله بن جبرين ـ حفظه الله ـ.

وقد تقرر أن من شروط (لاإله إلاالله) المحبة لما دلت عليه والسرور بذلك وانشراح الصدر، أما الكره والبغض فإنه ينافي المحبة والانقياد ولا يصح إيمان إلا بالانقياد لشرع الله والتسليم له كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

*** الفرق بين كره المشقة ونفور الطبع وبين الاعتقاد:**

قال الراغب رحمه الله: «الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارجٍ فيما يُحمَل عليه بإكراهٍ، والكُرهُ ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين:

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع.

الثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع.

ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده وأكرهه بمعنى إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦] أي تكرهونه من حيث الطبع»[١]، وقال الإمام البغوي رحمه الله: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾: «أي شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى...»[٢].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «إنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال، ومفارقة الوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى»[٣].

---

(١) المفردات (ك ر هـ).

(٢) تفسير البغوي ١/ ٢٤٦.

(٣) تفسير القرطبي ٣/ ٣٩.

فالمراد بالبغض والكره ما يتعلق بالاعتقاد القلبي فيخرج بذلك كراهية المشقة الحاصلة، ولا يؤاخذ العبد بالوسواس الذي يلقيه الشيطان في القلوب وينفيه العبد بكراهيته.

* فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقد دل الكتاب والسنة على أن من في قلبه الكفر وبغض الرسول وبغض ما جاء به أنه كافر بالله ورسوله وقد عفى الله لهذه الأمة وهم المؤمنون حقاً الذين لم يرتابوا عما حدثت به أنفسها ما لا تتكلم به أو تعمل كما هو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابن عباس وروى عن النبي ﷺ أن الذي يهم بالحسنة تكتب له والذي يهم بالسيئة لا تكتب عليه حتى يعملها إذا كان مؤمناً من عادته عمل الحسنات وترك السيئات فإن ترك السيئة لله كتب له حسنة فإذا أبدى العبد ما في نفسه من الشر بقول أو فعل صار من الأعمال التي يستحق عليها الذم والعقاب وإن أخفى ذلك وكان ما أخفاه متضمنا لترك الإيمان بالله والرسول مثل الشك فيما جاء به الرسول أو بغضه كان معاقباً على ما أخفاه في نفسه من ذلك لأنه ترك الإيمان الذي لا نجاة ولا سعادة إلا به وأما إن كان وسواساً والعبد يكرهه فهذا صريح الإيمان كما هو مصرح به في الصحيح، وهذه الوسوسة هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهته صريح الإيمان وقد خاف من خاف من الصحابة من العقوبة على ذلك قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٠٨.

٦٦ـ البناء على القبـور *

وتسمى القبورُ المبنيةُ بالقبورِ المشرِفة أي: المرتفعة.

قال الشيخ ابن عثيمين: «**والإشراف له وجوه:**

الأول: أن يكون مشرفاً بكبر الأعلام التي توضع عليه، وتسمى عِنْدَ الناس «نصائل» أو «نصائب». ونصائب أصح لغة من نصائل.

الثاني: أن يبني عليه وهذا من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ: «لعن المتخذين عليها المساجد والسرج».

الثالث: أن تُشرف بالتلوين، وذلك بأن يوضع على أعلامها ألوان مزخرفة.

الرابع: أن يرفع تراب القبر عمّا حوله فيكون بيِّناً ظاهراً.

---

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ٥/٤٠٣ ـ ٤٠٥. أحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٨٠. المغني لابن قدامة ٢/٥٠٧ والمجموع للنووي ٥/٢٩٦. المحلى بالآثار لابن حزم ٣/ ٣٥٦. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٧، ٣٤٢ ـ ٢/ ٦٦٩، ٦٧١. تفسير سورة الاخلاص ص ١٧٠. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٠٦. الإنصاف ٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩. شرح الصدور بتحريم رفع القبور تأليف محمد بن علي الشوكاني. الدرر السنية ٢/ ١٨٨، ٥/ ٩٦، ١١/ ١٩٥، ٤٧٤. الدين الخالص حسن القنوجي ٣/ ٥٧٤ ـ ٤/ ٦٠. كتاب البناء على القبور للشيخ المعلمي تحقيق حاكم المطيري. شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص ٧٢. أحكام الجنائز الألباني ٢٦٤ رقم ٢١٠. تيسير العزيز الحميد ٣١٩ ـ ٣٤٧. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٠، ٣٩٤، ٣٩٣/ ١٠٣٦. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤٠٤، ٣/ ٢١٣. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٧٤. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٤٣، ٧٨٧. نور على الدرب ابن باز ص٢٧٨١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٤٦. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٦٨. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص ٢٥٨ ـ ٢٤٤ ـ ٢٥٩ ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٩١. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص١٦١. التبرك د.ناصر الجديع ص٤١٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١٦١١ـ١٦١٨.

فكل شيء مشرف أي: ظاهر على غيره متميز عن غيره يجب أن يسوى بغيره لئلا يؤدي ذلك إلى الغلو في القبور والشرك»(١).

والأصل في القبر أن يكون مسنماً مرتفعاً قدر شبر لا يزيد عن ذلك أما رفعه فوق الأرض بالبناء عليها سواء كان البنيان مسجداً أو قبة أو غير ذلك، فقد جاءت الأحاديث في التحذير من ذلك والنهي عنه.

* **الدليل من السنة:** عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ: «نهى أن يبنى على القبر»(٣).

وعن جابر ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ: أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»(٤).

عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»(٥).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور وتحريمه ووجوب هدمه لهذه الأحاديث الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة، أو مملوكة، إلا أنه في المملوكة أشد. ولا عبرة بمن شذ من المتأخرين فأباح ذلك، إما مطلقا وإما في المملوكة.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٦، ١٠٣٧. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٢١٣.
(٢) أخرجه مسلم (٩٧٠).
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٦٤). قال البوصيري: إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع.
(٤) أخرجه مسلم (٩٧٠).
(٥) أخرجه مسلم (٩٦٩).

قال الإمام أبو محمد بن قدامة: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١]. يحذر ما صنعوا. ولأن تخصيص القبور بالصلاة عِنْدَها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عِنْدَها.

وقال شيخ الإسلام: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي، بتحريمه. قال: ولا ريب في القطع بتحريمه»[٢].

وقال ابنُ حَزْمٍ: «ولا يحل أن يبنى القبر، ولا أن يجصص، ولا أن يزاد على ترابه شيء ويهدم كل ذلك»[٣].

وقد ألف الشوكاني رحمه الله كتاباً مستقلاً في ذلك وسماه شرح الصدور بتحريم رفع القبور ومما قال: «اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها»[٤].

وقال الشوكاني رحمه الله: «والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب محمد، وجماعة الشافعي ومالك. قال: ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبب والمشاهد على القبور، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم، ١٩ ـ (٥٢٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٣٣.

(٣) المحلى ٥/ ٣٣.

(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص٧.

(٥) نيل الأوطار ٤/ ٧٢

*** سبب التحذير من رفع البناء على القبر:**

يقول العلامة الصنعاني في كلامه على البناء على القبور: «إنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطواف بقبره، والتماس أركانه، والنداء باسمه. وبالجملة إنه يصير صنما يعبد، وهذه بدعة عظيمة عمّت الدنيا، وعبد الناس القبور، وعظموها بالمشاهد والقباب، وزادوا على فعل الجاهلية، فأسرجوا عليها السرج والشموع، وجعلوا لها نصيبا من أموالهم، كما قال تعالى في المشركين: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل:٥٦] وكما قالوا: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]»(١).

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: «فالبناء على القبور وتجصيصها ووضع الزينات عليها أو الستور كله منكر ووسيلة إلى الشرك، فلا يجوز وضع القباب أو الستور أو المساجد عليها»(٢).

وقال رحمه الله: «إنما يعاد تراب القبر عليه ويرفع قدر شبر تقريبا حتى يعرف أنه قبر، هذه هي السنة في القبور التي درج عليها رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. ولا يجوز اتخاذ المساجد عليها ولا كسوتها ولا وضع القباب عليها لقول النبي ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٣)»(٤).

وكل عاقل يعلم أن لزيادة الزخرفة للقبور، وإسبال الستور الرائعة عليها، وتسريجها، والتأنق في تحسينها تأثيراً في طبائع غالب العوام، وينشأ عنه التعظيم،

---

(١) العدة على إحكام الأحكام ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩. نقلاً عن شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص٧٢.

(٢) الفتاوى ص ٧٤٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الفتاوى للشيخ ابن باز رحمه الله ص ٧٤٤.

والاعتقادات الباطلة، وهكذا إذا استعظمت نفوسهم شيئا مما يتعلق بالأحياء، وبهذا السبب اعتقد كثير من الطوائف الإلهية في أشخاص كثيرة[(١)].

قال الشوكاني رحمه الله: «وكم قد نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام. منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه! فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل لـه بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني! تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق! وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة. فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك واجباً؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفختَ بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد»[(٢)]

---

(١) شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ص ٧١.

(٢) نيل الأوطار ٤/ ٧٢. وانظر أحكام الجنائز للألباني ص ٢٠٧.

*** شبهات حول البناء على القبور:**

يتعلق بعض المجيزين للبناء بشبهات منها:

١ ـ قوله تعالىٰ: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١] قالوا: إن الآية قبلها تدل علىٰ أنهم ماتوا فاتخذوا مسجدا علىٰ قبره فقص الله ﷻ هذا في كتابه ولم يصحبه بما يدل علىٰ حظره فدل هذا علىٰ جوازه.

وقولهم مردود فإن أولئك القائلين ليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين صالحين بل هم من جملة من قال فيهم رسولنا ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي رواية: «وصالحيهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر: لم يمدح الله شيئاً منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١].

فهؤلاء الذين اتخذوا علىٰ أهل الكهف مسجداً: كانوا من النصارىٰ الذين لعنهم النبي ﷺ، حيث قال: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وفي رواية: «والصالحين»»[(١)].

وظاهر الآيات في قصة أصحاب الكهف تدل علىٰ أن هروب الفتية أصلاً كان فراراً بدينهم وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [الكهف:٢٠].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم وظهورهم عليهم أنهم بين أمرين إما الرجم بالحجارة فيقتلونهم أشنع قتلة لحنقهم عليهم وعلىٰ دينهم، وإما أن يفتنوهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه

---

(١) الرد علىٰ البكري ٢/ ٥٦٧، ٥٦٨.

الحال لا يفلحون أبداً، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم»[١].

ومن وجه آخر يُردُّ عليهم بأن قول الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾ يشعر بأنهم ذو جهل وضلال، وأما الحظر فقد جاء من رسول الله ﷺ حين لعن اليهود والنصارىٰ لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد.

وقال ابن رجب في شرح حديث: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»: «وقد دل القرآن علىٰ مثل ما دل عليه هذا الحديث، وهو قول الله ﷻ في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدًا﴾ فجعل اتخاذ القبور علىٰ المساجد من فعل أهل الغلبة علىٰ الأمور، وذلك يشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوىٰ وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتبعين لما أنزل الله علىٰ رسله من الهدىٰ»[٢].

وقال ابن كثير: «حكىٰ ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم.

والثاني: أهل الشرك منهم، فالله أعلم. والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر، لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. يحذر ما فعلوا»...»[٣].

وقال السيوطي: «وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي.. فقال الملك: «لأتخذن عِنْدَ هؤلاء القوم الصالحين مسجداً..»، وقال: وأخرج عبدالرزاق وابن أبي حاتم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤٢٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب ٢/ ٣٩٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٨٢.

عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قال: «هم الأمراء أو قال السلاطين»»[(١)].

وقال المعلمي في بيان قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: «والغالب أن الغلبة تكون سبباً للمعصية، والغالب في الأمم السابقة أن الغلبة إنما تكون للضالين، والغالب في الأمم السابقة أيضاً التكذيب بالآيات، والضلال فيها نوع من التكذيب بها، قال الله ﷻ: ﴿مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢] وعلىٰ كل حال فوصف هؤلاء بالغلبة مع وصف مقابليهم بما تقدم، يشعر بأنهم ذو جهل وغلو، واتخاذ المسجد لا ينافي الجهل والغلو كما لا يخفىٰ»[(٢)].

ولا يقال في هذا المقام أننا غير متعبدين بشرع من قبلنا، أو أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا، فإن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ليس من شرع الله قط، لا في أمة محمد ﷺ ولا في الأمم قبلها، ولو كان ذلك شرعاً من شرع الله لِمَنْ كان قبلنا لم يستحقوا لعن النبي ﷺ بشيء فعلوه قد أتىٰ به شرعهم الذي بُعثت به أنبياؤهم.

قال الألوسي رحمه الله: «وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد علىٰ القبور من الشرائع المتقدمة مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارىٰ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٣)].

وأخيراً نقول: إن الاستدلال بهذه الآية علىٰ جواز اتخاذ المساجد علىٰ القبور مع

(١) الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٣٩٢.
(٢) البناء علىٰ القبور للمعلمي ص ١٩.
(٣) روح المعاني للألوسي ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٤٠. وانظر تفنيدها بالتفصيل في كتاب البناء علىٰ القبور للمعلمي ص٨ وما بعدها. وتحذير الساجد ص٦٩ وما بعدها.

مخالفته للأحاديث المتواترة الناهية عن ذلك ـ مخالفٌ لإجماع علماء المسلمين، علىٰ تحريم اتخاذ المساجد علىٰ القبور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن بناء المساجد علىٰ القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي ﷺ، واتفاق أئمة الدين»(١).

٢ - شبهة أن قبر النبي ﷺ في مسجده كما هو مشاهد اليوم فيقال فيه:

أولاً: أن مسجد الرسول ﷺ لم يبن علىٰ القبور فإن النبي ﷺ هو الذي بناه بعدما نبش قبور المشركين وأخبر عنه سبحانه بأنه أول مسجد أسس علىٰ التقوىٰ.

ثانياً: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد كما يفعل هؤلاء القبوريون.

ثالثاً: أن إدخال بيوت النبي ﷺ في المسجد لم يكن في عهد الصحابة، وإنما أدخل في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ للهجرة فأدخل في المسجد النبوي حجر أزواجه عليه السلام بما فيها قبره الذي في حجرة عائشة، وقد أنكر عليه العلماء منهم سعيد بن المسيب رحمه الله.

وقال الألباني رحمه الله: «ولم يكن في المدينة المنورة أحد من الصحابة حينذاك خلافا لما توهم بعضهم»(٢).

وقال أيضاً: «يتبين لنا مما أوردناه أن القبر الشريف إنما أدخل إلىٰ المسجد النبوي حين لم يكن في المدينة أحد من الصحابة وأن ذلك كان علىٰ خلاف غرضهم الذي رموا إليه حين دفنوه في حجرته ﷺ؛ فلا يجوز لمسلم بعد أن عرف هذه الحقيقة أن يحتج بما وقع بعد الصحابة؛ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة وما

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٤٨٨.

(٢) تحذير الساجد ص ٨٥. وانظر الصارم المنكي ١٣٧. وممن ذكر وجود الصحابة آنذاك الإمام النووي رحمه الله وقد رد عليه الألباني مبينا عدم ثبوته انظر للاستزادة تحذير الساجد ص٩٥.

فهم الصحابة والأئمة منها كما سبق بيانه، وهو مخالف أيضاً لصنيع عمر وعثمان حين وسعاً المسجد ولم يدخلا القبر فيه، ولهذا نقطع بخطإ ما فعله الوليد بن عبد الملك عفا الله عنه، ولئن كان مضطراً إلى توسيع المسجد، فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة، وقد أشار عمر بن الخطاب إلى هذا النوع من الخطأ حين قام هو رضي الله عنه بتوسيع المسجد من الجهات الأخرى ولم يتعرض للحجرة، بل قال: «إنه لا سبيل إليها»، فأشار رضي الله عنه إلى المحذور الذي يترتب من جراء هدمها وضمها إلى المسجد».

رابعاً: ومع هذه المخالفة الصريحة للأحاديث المتقدمة وسنة الخلفاء الراشدين، فإن الذين زادوا في المسجد النبوي احتاطوا للأمر شيئاً، فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم. فقد ذكر النووي في شرح مسلم أنه لما احتيج إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر[1].

ونقل الحافظ ابن رجب في الفتح نحوه عن القرطبي كما في «الكواكب» ٦٥/ ٩١/ ١. وذكر ابنُ تَيمِيَّةَ في الجواب الباهر (ق٩/ ٢). «أن الحجرة لما أدخلت إلى المسجد سد بابها، وبنى عليها حائط آخر، صيانة لـه ﷺ أن يتخذ بيته عيداً وقبره وثناً»[2].

أما بناء القبة على القبر الشريف فقد قال صاحب كتاب المشاهدات

(١) النووي شرح مسلم ٥/ ١٤ بتصرف.

(٢) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص٩٢ـ٩٨.

المعصومية: «اعلم أنه إلىٰ عام ٦٧٨ هـ لم تكن هناك قبة علىٰ الحجرة النبوية التي فيها قبره ﷺ وإنما عملها وبناها الملك الظاهر المنصور قلاوون الصالحي في تلك السنة ٦٧٨ هـ فعملت تلك القبة.

قلت[1]: إنما فعل ذلك لأنه رأىٰ في مصر والشام كنائس النصارىٰ المزخرفة فقلَّدهم جهلاً منه بأمر النبي ﷺ وسنته كما قلدهم الوليد في زخرفة المسجد فتنبه... ثم قال: إن عمل قلاوون هذا مخالف قطعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولكن الجهل بلاء عظيم، والغلو في المحبة والتعظيم وباء جسيم، والتقليد للأجانب داء مهلك، فنعوذ بالله من الجهل، ومن الغلوِّ، ومن التقليد للأجانب»[2].

❖ حكم هدم القباب المبنية على القبور:

قال ابن القيم: «فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة، أو عمود، أو وثن أو قبر، أو خشبة، أو عين، ونحو ذلك. والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره كما أمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه[3] بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض. كما روىٰ مسلم في صحيحه عن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي رضي الله عنه: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته». وعمَّىٰ الصحابةُ بأمر عمر رضي الله عنه قبر دانيال وأخفوه عن الناس.

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه

---

(١) القائل العلامة محمد سلطان المعصومي الحنفي.

(٢) المشاهدات المعصومية ص ٤٨.

(٣) قال الشيخ حامد الفقي رحمه الله: «ومن أعجب كيد الشيطان أن علياً رضي الله عنه هو الذي كان يهدمها بأمر رسول الله. ثم أقيمت وأعيد بناؤها محادة لله ولرسوله باسم علي وأولاد علي. وهم والله برآء من ذلك» ا.هـ من حاشية لـه في تحقيق إغاثة اللهفان ص ١/ ٢٠٩.

أرسل فقطعها. رواه ابن وضاح في كتابه فقال: سمعت عيسىٰ ابن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب ﷺ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة.

قال عيسىٰ بن يونس: وهو عِنْدَنا من حديث ابن عون عن نافع: «أن الناس كانوا يأتون الشجرة، فقطعها عمر ﷺ».

فإذا كان هذا فعل عمر ﷺ بالشجرة التي ذكرها الله تعالىٰ في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله ﷺ فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان، التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها؟.

وأبلغ من ذلك: أن رسول ﷺ هدم مسجد الضرار. ففي هذا دليل علىٰ هدم ما هو أعظم فساد منه كالمساجد المبنية علىٰ القبور فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها حتىٰ تسوىٰ بالأرض. وهي أولىٰ بالهدم من مسجد الضرار وكذلك القباب التي علىٰ القبور يجب هدمها لأنها أسست علىٰ معصية الرسول؛ لأنه قد نهىٰ عن البناء علىٰ القبور. كما تقدم. فبناء أسس علىٰ معصيته ومخالفته بناء غير محترم. وهو أولىٰ بالهدم من بناء الغاصب قطعاً.

وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة كما تقدم، فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولىٰ وأحرىٰ؛ لأنه لعن متخذي المساجد عليها، ونهىٰ عن البناء عليها، فيجب المبادرة والمسارعة إلىٰ هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله. والله ﷻ يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما، ويذب عنهما. فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً»[1].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: «انظروا ـ رحمكم الله تعالىٰ ـ أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون

---

(١) إغاثة اللهفان ص ١/ ٢١٠.

بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها»(١).

وقال الشوكاني: «وفي هذا أعظم دلالة علىٰ أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجب متحتم، فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها، أو يجعل عليها القباب، أو المساجد، فإن ذلك من المنهي عنه بلا شك ولا شبهة، ولهذا بعث النبي ﷺ لهدمها أمير المؤمنين ؓ ثم إن أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته»(٢).

وقال العلاَّمة صديق حسن خان: «الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب علىٰ المسلمين إنكارها وتسويتها من غير فرق بين نبي وغير نبي، وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ﷺ ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها، ومات ﷺ ولم يرفع قبرَه أصحابُه»(٣).

٦٧ـ البيـــان

انظر باب (السحر).

---

(١) الحوادث والبدع ص ١٠٥. وانظر للاستزادة المشاهدات المعصومة ص ٨٠. زيارة القبور الشرعية والشركية ص ٧٩.

(٢) شرح الصدور ص١٣، ١٤. وانظر شفاء الصدور في الرد علىٰ الجواب المشكور ٦٠.

(٣) الروضة الندية شرح الدرر البهية ١/ ١٧٨، ١٧٩ ط ـ المنيرية. وانظر: شفاء الصدور في الرد علىٰ الجواب المشكور ص٦٩.

٦٨ـ التألّي على الله *

التألي لغة: من الأليّة بتشديد الياء المثناة من تحت أي اليمين[١]، يقال آلىٰ يولي إيلاء، وتألّىٰ يتألّىٰ تألّياً، والاسم الألية.

وشرعاً: الحلف علىٰ الله إذا كان علىٰ جهة الحجر علىٰ الله والقطع بحصول المقسم علىٰ حصوله[٢].

* الدليل من السنة: عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[٣].

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[٤].

* حكمه: قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله عن الحديث السابق: «فيه تحريم الإدلال علىٰ الله ووجوب التأدب مع الله في الأقوال والأحوال، وأن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية ويعامل ربه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية»[٥].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «من تألّىٰ علىٰ الله عز وجل فقد أساء الأدب معه وتحجر

---

* فتح المجيد ٦٠١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٨٨. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ٧٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٢٦٠ ط٢- ٣/ ٣٢٦ ومن المجموع ١٠/ ١٠٨٥. مسائل الإمام أحمد للأحمدي ١/ ٤٠٢.

(١) انظر مختار الصحاح باب (أ ل ا).

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص ٣٨٨.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٥) حاشية علىٰ كتاب التوحيد ص ٣٨٨.

فضله، وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد، فالتألي على من هو عظيم يعتبر تنقصا في حقه»[(١)].

وأما إن كان على جهة حسن الظن بالله فقد قال ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[(٢)].

* فائدة: ومما يحسن ذكره هنا: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يشهد لأحد بعينه أنه من أهل الجنة أو النار.

يقول أبو إسماعيل الصابوني: «ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة، لا يدري أحد بم يختم لـه، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا يحكمون على أحد بعينه أنه من أهل النار، لأن ذلك مغيب عنهم»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله»[(٤)].

ويستثنى من ذلك: من شهد لهم رسول الله ﷺ من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة، حيث روى الترمذي بسنده عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبوعبيدة ابن الجراح في الجنة»[(٥)].

قال الإمام أحمد في رسالته إلى مسدد بن مسرهد: «وأن نشهد للعشرة بالجنة وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٨٧. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢٦٢.

(٢) انظر حاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٣٨٨.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٨٢.

(٤) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٤٧).

الرحمن بن عوف الزهري، وأبو عبيدة ابن الجراح»[١].

وقال: «ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة»[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الشهادة لرجل بعينه بأنه من أهل النار أو الجنة فليس لأحد ذلك إلا بنص صحيح يوجب، كالعشرة الذين بشرهم الصادق ﷺ بالجنة ومنهم من جوز ذلك لمن استفاض في الأمة الثناء عليه كعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأمثاله»[٣]. وقال أيضاً: «وأما توقف الناس في القطع بالجنة فلخوف الخاتمة»[٤].

وقال شارح الطحاوية: «لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق ﷺ إنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم وغيرهم، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به. ولكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين»[٥].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «الحمد لله والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد كثر الإعلان في الجرائد عن وفاة بعض الناس، كما كثر نشر التعازي لأقارب المتوفين، وهم يصفون الميت فيها بأنه مغفور لـه أو مرحوم أو ما أشبه ذلك من كونه من أهل الجنة، ولا يخفى على كل من لـه إلمام بأمور الإسلام وعقيدته بأن ذلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الله، وأن عقيدة أهل السنة

---

(١) هو عامر بن عبد الله بن الجراح مات بطاعون عمواس سنة ثمان عشرة.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٣١٢، ١٣٣.

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٠٩ وعزاها لكتاب مختصر الفتاوى ص ٢٥٧.

(٤) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١١٠ وعزاها لكتاب مختصر الفتاوى ص ٢٥٧.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٦.

والجماعة أنه لا يجوز أن يشهد لأحد بجنة أو نار إلا من نص عليه القرآن الكريم كأبي لهب أو شهد لـه رسول الله ﷺ بذلك كالعشرة من الصحابة ونحوهم، ومثل ذلك في المعنىٰ الشهادة له بأنه مغفور له أو مرحوم، لذا ينبغي أن يقال بدلا منها: «غفر الله له» أو «رحمه الله» أو نحو ذلك من كلمات الدعاء للميت»[(١)].

ومن هذا الباب الشهادة لشخص معين بأنه شهيد. قال الشيخ ابن عثيمين: «فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي ﷺ أو اتفقت الأمة علىٰ الشهادة له بذلك وقد ترجم البخاري رحمه الله لهذا بقوله: «باب لا يقال فلان شهيد» قال في الفتح ٦/ ٩٠: أي علىٰ سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي، وكأنه أشار إلىٰ حديث عمر أنه خطب فقال: تقولون في مغازيكم: فلان شهيد، ومات فلان شهيداً ولعله قد يكون قد أوقر راحلته: ألا لا تقولوا ذلكم، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد». وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء عن عمر. اهـ كلامه.

ولأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، وشرط كون الإنسان شهيدا أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وهي نية باطنة لا سبيل إلىٰ العلم بها، ولهذا قال النبي مشيرًا إلىٰ ذلك: «مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله»[(٢)]. وقال: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»[(٣)] رواهما البخاري من حديث أبي هريرة. ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك ولا نشهد له به ولا نسيء به الظن»[(٤)].

---

(١) فتاوىٰ ابن باز ص٧٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري(٢٨٠٣).

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١١٦، الجواب المختار لهداية المحتار لابن عثيمين ص٦٥.

٦٩- التأويل

من موانع التكفير. انظر باب (التكفير).

٧٠ - التبرك *

البركة لغة: تطلق ويراد بها معنيين:

الأول: ثبوت الخير ودوامه.

والثاني: كثرة الخير وزيادته [(١)].

قوله تبرك، تفعل من البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته، وهي مأخوذة من

* التمهيد لابن عبد البر ١٣/ ٦٧ ـ ١٩/ ١٩٧ ـ ٨/ ١٢٩. الاعتصام ١/ ٤٨٣. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤، ٦٤٩، ٧٢٩. إغاثة اللهفان ١/ ٢١١،٢٠٥. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٩٧، ٣٨٣. فتح الباري مع تعليق الشيخ ابن باز ٣/ ١٣٠. تحفة الأحوذي ٦/ ٤٠٨، المرقاة ٩/ ٢٩٣. الدرر السنية ١/ ٢٩٤، ٧/ ٢٤١، ١٠/ ٢٥٢. قطف الثمر صديق حسن ص١١٣. التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ١٤٦. تيسير العزيز الحميد ص١٧٥، ٣٨٣. فتح المجيد ص١٥٥، ٣١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٠، ١٨٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٩١ ط٢- ١/ ٢٤٥ ومن المجموع ٩/ ١٨٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٠. معارج القبول ١/ ١٨٥. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧١٠ ـ ٢/ ٨٥ ـ ٣/ ٩٥٦. نور على الدرب لابن باز ص٣٦١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٩١ ـ١/ ١٠٩. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٢١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٤٣. التبرك المشروع والممنوع للعلياني. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١٠٢٢. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٥٧. شرح مسائل الجاهلية ص١٣٢. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢٣١. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٧١، ١٥٨١. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤١٤.

(١) انظر للاستزادة المفردات (ب ر ك)، بدائع الفوائد ٢/ ١٨٥، جلاء الأفهام ١٧٨، ١٨٠.

البِركة بالكسر مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرى الماء بأمرين: الكثرة. والثبوت[1].

فالبركة تجمع بين وصف الزيادة ووصف الثبوت واللزوم.

والتبرك شرعاً: طلب البركة بفعل أو اعتقاد.

قال ابن سعدي: «إن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها فإن هذا التبرك غلو فيها وذلك يتدرج إلى دعائها وعبادتها وهذا هو الشرك الأكبر»[2].

* الدليل من السنة: عن أبي واقد الليثي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بحنين ونحن حديثو عهد بكفر، فمررنا على شجرة يضع المشركون عليها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط [3]، فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتم كما قال أهل الكتاب لموسى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾» ثم قال الرسول ﷺ: «إنكم ستركبون سنن من كان قبلكم»[4].

قال ابن القيم: «فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إلهٍ مع الله تعالى، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها. فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه، والدعاء عِنْدَه؟ فأيُّ نسبةٍ للفتنة بشجرة إلى الفتنة

---

(١) مختار الصحاح (ب ر ك)، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٨٥. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٩١.

(٢) القول السديد ص٤١.

(٣) ذات أنواط: اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين، ينوطون بها سلاحهم أي: يعلقونه بها، ويعكفون حولها، انظر: النهاية (ن و ط).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٢)، والترمذي (٢١٨٠) وقال حديث حسن صحيح، والطيالسي في مسنده رقم (١٤٤٣) واللفظ له.

بالقبر؟ لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون.

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك[(١)]: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البُرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها»[(٢)].

ويستفاد من حديث أبي واقد الليثي ما يلي:

١ - أن السائلين من الصحابة يجهلون أنه شرك:

قال أبو واقد الليثي رضي الله عنه[(٣)]: ونحن حدثاء عهد بكفر[(٤)]. أي أسلمنا من قريب وقالها للاعتذار أي لهذا جهلنا هذا الأمر.

وإليك كلام بعض المفسرين والعلماء حول الآية والحديث:

قال ابن جرير: «وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك فقالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون أي تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل»[(٥)].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي رحمه الله.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٥.

(٣) أبو واقد الليثي أسلم عام الفتح ولم يشهد بدراً. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد نصَّ الزهري على أنه أسلم يوم الفتح، وأسند ذلك عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، أخرجه ابن منده بسند صحيح إلى الزهري...» [الإصابة ٤/ ١٢٥]، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٥، وأُسد الغابة ١/ ٣٤٢، وشذرات الذهب ١/ ٦.

(٤) هذا القول يُبيِّن أن الطلب كان من طائفة معينة وهم حدثاء العهد بالكفر وليس من كل الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن فيهم قدماؤهم وعلماؤهم الذين هم أبعد الناس عن هذا الطلب؛ لرسوخ قدمهم في الإسلام. قال الشيخ ابن قاسم: «وقوله يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريباً، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك» ا.هـ حاشية كتاب التوحيد ص ٩٢.

(٥) تفسير ابن كثير لقولـه تعالى: +وجاوزنا ببني إسرائيل البحر' في سورة الأعراف آية ١٣٨.

وقال قتادة: «كان أولئك القوم من لخم، وكانوا نزولاً بالرقة فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك قالوا: يا موسىٰ اجعل لنا إلهاً أي مثالاً نعبده كما لهم آلهة، ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلىٰ الله وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم قال موسىٰ: إنكم قوم تجهلون»[(١)].

وقال النسفي: «فوصفهم بالجهل المطلق وأكده أن هؤلاء يعنى عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه أىٰ يتبر الله ويهدم دينهم الذىٰ هم عليه»[(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: ««ونحن حدثاء عهد بكفر» أي: قريبو عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم لا يجهل هذا، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادات الباطلة، ذكره المصنف»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ولا خلاف أن بني إسرائيل لم يفعلوا وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب، ولكن القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري عنها فتفيد لزوم التعلم والتحرز... وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه علىٰ ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ»[(٤)].

---

(١) تفسير البغوي لقوله تعالىٰ: +وجاوزنا ببني إسرائيل البحر' سورة الأعراف، الآية ١٣٨.
(٢) تفسير النسفي لقوله تعالىٰ: +وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم' سورة الأعراف، الآية ١٣٨.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص١٨١.
(٤) كشف الشبهات ص٢٣.

وقال أيضاً: «أفيظن أن قوم موسى لما قالوا اجعل لنا إلها خرجوا من الإسلام أفيظن أن أصحاب رسول الله ﷺ لما قالوا اجعل لنا ذات أنواط، فحلف لهم أن هذا مثل قول قوم موسى: اجعل لنا إلهاً أنهم خرجوا من الإسلام؟ أيظن أن النبي ﷺ لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» أنهم خرجوا من الإسلام؟ إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تحصر، فلم يفرق بين الشرك المخرج عن الملة من غيره ولم يفرق بين الجاهل والمعاند»[1].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وظنـوا أن هـذا الأمر محبوب عند الله وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجَلُّ قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ»[2].

وقال ابن باز رحمه الله: «وهكذا هؤلاء قالوا مثل أولئك جهلاً ولم يكونوا يعرفون حكمه لأنهم حدثاء عهد بكفر»[3].

٢ـ أن الصحابة لم يفعلوا ذلك وأنهم لو فعلوا لكفروا:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وللمشركين شبهة أخرى يُدْلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك. وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب: أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النَّبِيّ ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النَّبِيّ ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب»[4].

---

(١) تاريخ نجد ص ٢٥٣

(٢) فتح المجيد ص١٦٠.

(٣) من شرح الشيخ ابن باز على كتاب التوحيد باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوها.

(٤) كشف الشبهات ص٢٣.

٣ـ أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء:

وقد ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن حيث قال، ومنها: «أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلىٰ كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك، وإن سمىٰ شركه ما سماه، كمن يسمي دعاء الأموات والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيماً ومحبة، فإن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه، وقس علىٰ ذلك»[١].

٤ـ النهي عن مشابهة الكفار:

فالنَّبِيّ ﷺ جعل قول الصحابة مثل قول بني إسرائيل لما قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط، قال: «قلتم كما قال بنوا إسرائيل»[٢]، فشبَّه قولهم بقول بني إسرائيل. ولما أخبر أنه من السنن دل ذلك علىٰ النهي عن التشبه بهم.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه»[٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «فإذا كان هذا تغليظ رسول الله ﷺ علىٰ أولئك الصحابة لما طلبوا منه مشابهة المشركين في جعل سدرة لتعليق الأسلحة والتبرك بها والعكوف عندها، فكيف بما هو أشد من ذلك وهو الشرك الأكبر الذي يفعله اكثر الناس ليومنا هذا»[٤].

تنبيه: ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بيان صورة طلبهم حيث قال في

(١) فتح المجيد ص١٦١، ١٦٢ وانظر: الدر النضيد للشوكاني ص٩.

(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٣٩٠) كلاهما من حديث أبي واقد الليثي.

(٣) الاقتضاء ٢/ ٦٤٤.

(٤) تاريخ نجد (تحقيق ناصر الدين أسد) ص ٤٧.

«كتاب التوحيد» ضمن مسائل باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما: «الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا»[(١)] .

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «حيث لم يطلبوا جعل ذات أنواط لعبادتها بل للتبرك بها»[(٢)] .

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب لما سئل عن من حلف بغير الله جهلاً منه أنه شرك لا عناداً ولا معتقداً أن عظمته تساوي عظمة الله فقال: «الظاهر أن الذي يجهل مثل ذلك يعذر بالجهل لأن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغ الرسالة إلى أن قال وكذلك إذا فعل شيئا من الشرك غير الحلف جهلا منه وخطأً فإذا نبه على ذلك تنبه وتاب ونزع كما جرى لقوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكما جرى للصحابة الذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط وأما من يفعل ذلك جهلاً لا عناداً وماتوا عليه قبل أن يبلغهم أنه شرك هل يحكم بإسلامهم ويرجى لهم العفو من الله والمغفرة وينفعهم استغفار الأحياء لهم؟ فهذه المسألة أحسن الأجوبة فيها أن يقال الله أعلم بهم، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قيل لـه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥١-٥٢]»[(٣)].

التبرك قسمان: ممنوع ومشروع:

أولا: التبرك الممنوع:

منه ما هو شرك أكبر إذا عتقد أنها تمنح البركة استقلالاً من دون الله تَعَالَىٰ أو اعتقد أنها واسطة إلى الله تعالى كما يفعله عباد اللات والعزى ومناة.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقال أبو صالح: العزى نخلة كانوا يعلقون

---

(١) كتاب التوحيد مع شرح ابن عثيمين من مجموع الفتاوى ٩/ ١٩٧.

(٢) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٩٧.

(٣) الرسائل والمسائل القسم الأول من الجزء الأول ص٢٠١.

عليها السيور والعهن رواه عبد بن حميد وابن جرير. فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن، ووازن بينه وبين ما يفعله عباد القبور من دعائها، والذبح عِنْدَها، وتعليق الخيوط وإلقاء الخرق في ضرائح الأموات ونحو ذلك، فالله المستعان»(١).

* ومن هذا القبيل التبرك بالأموات بدعائهم وعبادتهم.

وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن قوم يتبركون بالموتى ويقولون أنهم ما يعبدونهم بل يتبركون بهم فقال رحمه الله: «الاعتبار بالحقائق والمعنى، لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم، لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسموا ذلك عبادة، بل سموه توسلاً أو تبركاً، فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين والذبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، أو سموها غير ذلك، لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء كما تقدم(٢).

* فائدة: هناك أمور تحصل فيُظن أنها من بركة فلان الميت، وهذه البركة المزعومة موهومة باطلة يزعمها الدجالون فيمن يعتقدون ولايته وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر بحيث أنه يخدم هذا الشيخ، فيكون في ذلك فتنة(٣).

* ومن التبرك الممنوع ما هو بدعة دون الشرك الأكبر وقد تدخل بعض صوره في الشرك الأصغر مثل أن يذبح لله في بقعة معينة، أو أن يصلي لله عِنْدَها معتقداً البركة فهذا يعتبر تبرك وسيلة. وضابطه: أن يقصد مكاناً معيناً ليعمل عِنْدَه عملاً لله ومثله أن يتمسح بها كمن يتمسح بأعمدة المسجد الحرام، أو الكعبة تبركاً.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ومع الأسف أن بعض الناس اتخذوا من

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٧٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص٧١١.

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٨٥.

العبادات نوعاً من التبرك فقط مثل ما يشاهد من أن بعض الناس يمسح الركن اليماني من باب التبرك لا التعبد، وهذا جهل، وقد قال عمر في الحجر: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتك»»[١].

وقال الشيخ رحمه الله: «والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً؛ فإنه مشرك شركاً أصغر»»[٢].

وقال أيضاً: «وأما التبرك بها: فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون الله عز وجل فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملة، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون الله فهو ضال غير مصيب، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر»[٣].

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها أو قناة جارية أو جبلا أو مغارة وسواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً»[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وفي هذا الوقت أصبح تعليق القرآن لا للاستشفاء، بل لمجرد التبرك والزينة؛ كالقلائد الذهبية، أو الحلي التي يكتب عليها لفظ الجلالة، أو آية الكرسي، أو القرآن كاملاً؛ فهذا كله من البدع»[٥].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٧١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٧٨.
(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٧٥. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٩٣.
(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٣١.
(٤) الاقتضاء ٢/ ٦٤٤.
(٥) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٨٠. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٨٨.

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه العبارات: «باسم الوطن، باسم الشعب، باسم العروبة»؟.

فأجاب قائلاً: «هذه العبارات إذا كان الإنسان يقصد بذلك أنه يعبر عن العرب أو يعبر عن أهل البلد فهذا لا بأس به، وإن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع من الشرك، وقد يكون شركاً أكبر بحسب ما يقوم في قلب صاحبه من التعظيم بما استعان به»[(١)].

* وتبين من هذا أن الحكم على التبرك الممنوع فيه ما هو شرك أكبر وفيه ما هو منكر دون ذلك والأمر في ذلك يعود إلى الاعتقاد القائم في قلب صاحبه

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «... من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما كبقعة وقبر ونحو ذلك فهو مشرك»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «تسمية المساجد بأسماء الأنبياء لا ينبغي لأن هذا إنما يتخذ على سبيل التقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أو التبرك بأسماء الأنبياء، والتقرب إلى الله بما لم يشرعه، والتبرك بما لم يجعله الله سبباً للبركة لا ينبغي، بل هو نوع من البدع»[(٣)].

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكم التبرك بالقبور والطواف حولها بقصد قضاء حاجة أو تقرب؟.

فأجاب بقوله: «التبرك بالقبور حرام ونوع من الشرك وذلك لأنه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطاناً ولم يكن من عادة السلف الصالح أن يفعلوا مثل هذا التبرك فيكون من هذه الناحية بدعة أيضاً، وإذا اعتقد المتبرك أن لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضرر أو جلب النفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لجلب

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ س رقم ٤٤٥.

(٢) فتح المجيد ص١٥٥.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٤٨.

المنفعة أو دفع المضرة»[١].

وقرر الشيخ صالح الفوزان: «أن من طلب البركة من حجر أو شجر فقد أشرك بالله ﷻ، لأن الحجر والشجر لا يخلق البركة ولا يوجدها، ولا هو سبب في حصولها، وإنما الذي يوجدها هو الله ﷻ... فالاعتماد على الله ﷻ في كل الأمور، وإنما نتخذ الأسباب لأن الله امرنا باتخاذ الأسباب، وأما النتائج فهي عند الله ﷻ، نحن لا نعتمد على الأسباب، وإنما نعتمد على الله، ونحن لا نعطل الأسباب، لأن الله أمرنا بذلك، تعطيل الأسباب عجز وتعطيل للمنافع، التي جعلها الله ﷻ في الأشياء، كما قال بعض العلماء: «الاعتماد على السبب شرك، وترك السبب قدح في الشرع»؛ لأن الشرع أمرك باتخاذ الأسباب «والاعتماد على الأسباب شرك»؛ لأنه اعتماد على غير الله.

فهذه مسألة يجب على طالب العلم أن يفقهها وأن يعرفها، وأن يتأملها جيداً، وأن يوضحها للمسلمين، لإزاحة الشبهات، وإزاحة التضليل الذي يَرُوج عند بعض الناس بسبب الجهل، أو بسبب سوء القصد ... والآن عَبَدة القبور يقولون: هذا ليس بشرك، هذا توسُّل، وهذا محبة للأولياء والصالحين، إن أولياء الله الصالحين لا يرضون بهذا العمل، ولا يرضون أن تُجعل قبورهم أوثاناً تُعبد من دون الله، والنبي ﷺ يقول: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فدلّ على أن تعظيم القبور والتبرك بها يجعلها أوثاناً تُعبد من دون الله.

فالحاصل؛ أن هذا فيه دليل على أن العبرة في المعاني لا في الألفاظ، فاختلاف الألفاظ لا يؤثر، وإن سّميتموه توسّلاً، أو سّميتموه إظهاراً لشرف الصالحين، أو

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٤٩.

وفاءً بحقهم علينا - كما تقولون -، هذا هو الشرك، سواء بسواء، فالذي يتبرك بالحجر أو بالشجر أو بالقبر قد اتخذه إلهاً، وإن كان يزعم أنه ليس بإله، الأسماء لا تغير الحقائق، إذا سّميت الشرك توسلاً، أو محبة للصالحين، أو وفاءً بحقهم، نقول: الأسماء لا تغير الحقائق»[١].

* فائدة: بعض الناس قد يتبرك بقبر الرسول ﷺ ومن مظاهر ذلك الدعاء والصلاة عِنْدَه أو يعتقد أن الدعاء عِنْدَ قبره ﷺ مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت أو يعتقد أن الصلاة عِنْدَ القبر أرجىٰ للقبول فيقصد زيارته لذلك. قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ عن هذا الفعل ونحوه: «فهذا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين»[٢].

فكل ما عمل عِنْدَه من عبادة أو اعتكاف أو ما شابهه بقصد البركة بقبره فإن هذا من البدع المحدثة في الدين.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «لو كان للأعمال عِنْدَ القبر فضيلة لفتح للمسلمين باب الحجر فلما منعوا من الوصول إلىٰ القبر وأمروا بالعبادة في المسجد علم أن فضيلة العمل فيه لكونه في مسجده»[٣].

ومن المنكرات وضعهم اليد للتبرك علىٰ شباك حجرة النبي ﷺ وحلف البعض بذلك بقوله: وحق الذي وضعت يدك علىٰ شباكه، وقلت الشفاعة يا رسول الله[٤].

---

(١) إعانة المستفيد ١/ ٢١٣، ٢٢٣، ٢١٤.

(٢) الرد علىٰ البكري ص: ٥٦.

(٣) الفتاوىٰ ٢٧/ ٢٣٦، ٢٣٧. انظر: التبرك ٣٢٤ وما بعدها.

(٤) حجة النبي ﷺ ص١٣٨.

ومنها ربط الخرق بالمقام والمنبر لقضاء الحاجات[١].

ومنها بدعة إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ومسحه باليد[٢].

ومنها إلقاء المناديل والثياب على القبر؛ بقصد التبرك[٣].

وهذا ومثله إن سلم صاحبه من الشرك فإنه لا يسلم من الحرمة لأنه ابتداع في الدين ومخالف لما عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

ومن البدع تخصيص أزمنة معينة ـ لم يخصها الشرع بذلك ـ بنوع من التعظيم والاحتفالات والعبادات، كيوم مولد الرسول ﷺ، ويوم الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة، ويوم بدر، وفتح مكة وغير ذلك، فالتبرك بالأزمنة على هذا النحو من البدع.

* وينبغي نزع كل ما يفتن العامة أو يفسد عليهم اعتقادهم من الأنصاب التي يتبرك بها أو يتمسح بها فإن لم يتيسر نزعها وإزالتها فإنهم يمنعون منها ومن الوصول إليها، وقد جاء عن الحافظ أبي شامة: «أن بعض أهل العلم في إفريقية كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق، فمن تعذر عليه نكاح، أو ولد قال: امضوا بي إلى العافية، فيعرف فيها فتنة، فخرج في السحر فهدمها، وأذن للصبح عليها، ثم قال: «اللهم إني هدمتها لك، فلا ترفع لها رأساً، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن»»[٤].

---

(١) حجة النبي ﷺ الألباني ص١٣٤.

(٢) انظر في ذلك المجموع للنووي ٨/ ٢٧٥. الباعث أبو شامة ص٢٨٢. مجموع الفتاوى لابن تَيمِيَّةَ ٤/ ٣١٠ ـ ٢٤/ ٣٣١ ـ ٢٧/ ٩١. اقتضاء الصراط المستقيم ص١٧٦. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٤. الدين الخالص ٩/ ٣٣٢، ٣٣٩. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٣ .

(٣) أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٢ رقم ١٨٦ .

(٤) انظر قول الحافظ أبي محمد المعروف بأبي شامة في كتابه الحوادث والبدع نقلاً عن إغاثة اللهفان ١/ ٢١١، ٢١٢.

وقال ابن القيم: «وكان بدمشق كثير من الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلق، والنصب الذي كان بمسجد النارنج عِنْدَ المصلي يعبد الجهال، والنصب الذي كان تحت الطاحون، الذي عِنْدَ مقابر النصارى، ينتابه الناس للتبرك به، صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له ويتبركون به، وقطع الله سبحانه النصب الذي كان عِنْدَ الرحبة يسرج عِنْدَه، ويتبرك به المشركون. وكان عمودا طويلا على رأسه حجرا كالكرة. وعِنْدَ مسجد درب الحجر نصب قد بنى عليه مسجد صغير، ويعبده المشركون يسر الله كسره»[1].

❖ **حكم التبرك بذوات الصالحين و آثارهم:**

التبرك بذوات الصالحين وآثارهم من التبرك الباطل فلم يؤثر عن أحد من الناس أنه تبرك بوضوء أبي بكر أو عرقه، أو ثيابه أو ريقه أو غير ذلك، ولا عمر ولا عثمان ولا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وإنما كان الصحابة ﷺ يتبركون بوضوء النبي ﷺ، وجسمه وعرقه، وريقه، وشعره، وملابسه، وهذا خاص بالنبي ﷺ، لا يجوز أن يقاس عليه أحد من الصالحين، ولو كانوا الخلفاء الراشدين، أو العشرة المبشرين فضلا عن غيرهم، لأن التبرك عبادة مبناها على التوقيف والاتباع[2]. وقد حكى الشاطبي رحمه الله الإجماع على عدم التبرك بغير رسول الله ﷺ[3].

قال ابن أبي يعلى في ترجمة علي بن عبد الله الطيالسي: «نقل عن إمامنا أشياء منها

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٢.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٩. رسالة التبرك المشروع والتبرك الممنوع للعلياني ص٨١.

(٣) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٨٢.

قال: مسحت يدي على أحمد بن حنبل ثم مسحت يدي على بني وهو ينظر، فغضب غضباً شديداً، وجعل ينفض نفسه ويقول: عمن أخذتم هذا وأنكره إنكاراً شديداً»[١].

قال ابن رجب: «وكذلك التبرك بالآثار، فإنما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم... ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه، وفضلاته، وشعره، وشرب فضل شرابه وطعامه»[٢].

فالصواب أن التبرك بالصالحين وآثارهم بدعة، وبعض أهل العلم يرى أنه من الشرك الأصغر.

أما ما ذهب إليه النووي وابن حجر والشوكاني من جوازه لأن الصحابة تبركوا بالرسول ﷺ فهذا قياس مع الفارق.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: «ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في شرح مسلم في الأحاديث التي فيها الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي ﷺ[٣] وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ وهذا خطأ صريح لوجوه:

منها عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة ومنها عدم

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٨ ونقلها العليمي كما في الطبقات إلا أنه قال: فجعل ينفض يده المنهج ١/ ٤٢٨.

(٢) كتاب الحكم الجدير بالإذاعة من قول الرسول ﷺ: «بُعثت بين يدي الساعة» لابن رجب ٥٥.

(٣) انظر: شرح النووي ١٥/ ٨٦، ٨٧.

تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب وهذا أمر لا يمكن الإطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك، أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.

ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم لـه بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره.

ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وكذلك التابعون هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسبن وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم فدل أن ذلك مخصوص بالنبي ﷺ.

ومنها أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم»[(١)].

قال ابن رجب: «وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظِّم والمعظَّم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة وربما يترقى إلى نوع من الشرك»[(٢)].

قال ابن باز رحمه الله: «لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ لا بوضوئه، ولا بشعره، ولا بعرقه، ولا بشيء من جسده؛ بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة.

ولهذا لم يتبرك الصحابة رضي الله عنهم بأحد منهم، لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم. فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص

---

(١) تيسير العزيز الحميد ١٨٥، ١٨٦.

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص٥٥. وانظر: كتاب التبرك للجديع ص٢٦٧.

بالنبي ﷺ دون غيره، ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك وعبادة غير الله سبحانه»[١].

ثانياً: التبرك المشروع:

وهو أنواع منها:

أ ـ التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات التي حث عليها رسول الله ﷺ:

فمن الأقوال: ذكر الله وتلاوة كتابه[٢] فمن بركات الذكر ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر.. وفيه أن الله يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[٣].

ومن بركات القرآن أن الحرف الواحد بعشر حسنات، ومن ذلك أيضا ما رواه أبو أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»[٤].

ومن بركات القرآن أنه شفاء للناس وهدى ورحمة.

ومن الأفعال التي تكون سبباً للبركة: طلب العلم وتعلمه، فمن بركاته الرفعة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك أداء الصلاة جماعة مع المسلمين فمن بركة ذلك مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات، وكذا بقية أركان الإسلام ففيها بركات

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٩٥٦.

(٢) قال تعالى: + وهذا كتاب أنزلناه مبارك' قال الشنقيطي في أضـواء البيـان (٤/ ٥٨٧): «أي: كثير البركات والخيرات لأن فيه خير الدنيا والآخرة».

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٨).

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) ومعنى البطلة السحرة.

عظيمة، وكذا الجهاد في سبيل الله، فمن بركاته نيل الشهادة.

ومن الهيئات المباركة الاجتماع على الطعام والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع، وكيل الطعام، فقد قال ﷺ: «اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله تعالى عليه يبارك لكم فيه»[1]. وقال ﷺ: «إن البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»[2]. وأمر ﷺ بلعق الأصابع، وقال: «فإنه لا يدري في أي طعامه البركة»[3]. وقال ﷺ: «كيلوا طعامكم يبارك لكم»[4]. فكل قول أو فعل أمر الله به أو رسوله قام به العبد مع الإخلاص والمتابعة، فإنه سبب للبركة.

ب ـ **هناك أمكنة مباركة جعلها الله سبباً في زيادة الأجر** إذا تحقق في العمل الإخلاص والمتابعة ولكن هذه البركة في الأمكنة لا تتعدى، ومن هذه الأماكن المساجد والتماس البركة فيها إنما يكون بأداء الصلاة فيها، والاعتكاف، وحضور مجالس العلم وغير ذلك مما هو مشروع، ولا يكون بالتمسح بجدرانها أو ترابها مما هو ممنوع.

ومن المساجد ما يكون لها مزية وزيادة في البركة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، فصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفي المسجد النبوي بألف صلاة، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة، وقال ﷺ: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة»[5].

ومن الأمكنة المباركة: مكة شرفها الله، والمدينة المنورة، والشام، فإن النبي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٤) وابن ماجه (٣٢٨٦) وأحمد (١٦١٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢) وابن ماجه (٣٢٧٧) والترمذي (١٨٠٥) واللفظ له وقال حديث حسن صحيح وأحمد (٢٤٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢١٢٨).

(٥) أخرجه أحمد (١٦٠٧٧) والنسائي (٧٠٠) وابن ماجه (١٤١٢).

ﷺ قال: «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها، وحرَّمت المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة»[(١)]، وقال ﷺ: «ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء»[(٢)]، وقال ﷺ: «طوبىٰ للشام». فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها»[(٣)].

فمن سكن مكة أو المدينة أو الشام طلباً لما فيها من البركة التي أخبر عنها النبي ﷺ، فقد وفق إلىٰ خير كثير، بخلاف ما لو طلب التبرك بالتمسح بترابها وجدرانها وأشجارها وغير ذلك مما لم يرد به الشرع فإنه بدعة وكذا المشاعر المقدسة كعرفة ومزدلفة ومنىٰ فهي أماكن مباركة لما في الاقتداء بالرسول ﷺ، بالحصول فيها في الأوقات المشروعة من غفران الذنوب وحصول الأجر الكبير.

ج ـ أزمنة مباركة خصها الشرع بزيادة فضل وبركة مثل شهر رمضان لما في صيامه من غفران الذنوب وزيادة رزق المؤمن، وغير ذلك.

ومن ذلك ليلة القدر، والعشر الأول من شهر ذي الحجة، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل وغير ذلك من الأزمنة التي خصها الشرع بمزية، ويكون فيها من الخير والفضل والبركة الشيء الكثير، والتماس البركة في هذه الأزمنة يكون باتباع ما أرشد إليه النبي ﷺ.

د ـ ومن الأطعمة المباركة زيت الزيتون فإن النبي ﷺ قال: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٣٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٢١٩٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي (١٨٥٢) وأحمد (١٦١٥١).

ومن ذلك اللبن لحديث عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بلبن قال: «كم في البيت بركة أو بركتين»[١].

ومن ذلك الحبة السوداء فهي شفاء من كل داء إلا السام[٢]، كما أخبر النبي ﷺ[٣].

ومن ذلك أيضاً ماء زمزم فإنها مباركة إنها طعام طعم. قال عبدالله ابن أحمد بن حنبل: ورأيت أبي غير مرة يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه[٤].

هـ ـ ومن ذلك **الخيل** فقد قال النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[٥].

و ـ ومن ذلك **أيضاً النخل** فقد قال ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم»[٦].

فهذه الأشياء تلتمس منها البركة حسب ما جاء عن الشرع ولا يتعدىٰ بها الوجه المشروع والمباح[٧].

❖ التبرك بالرسول ﷺ:

ثبت تبرك الصحابة الكرام برسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة ففي صحيح البخاري عن ابن سيرين أنه قال: قلت لعبيدة: عِنْدَنا من شعر النبي ﷺ، أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. فقال: لأن تكون عِنْدَي شعرة منه أحب إليّ من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٢١) وأحمد (٢٥٦٣٧).

(٢) السام الموت.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٧).

(٤) مسائل عبد الله ص ٤٤٧. وأخرجه ابن الجوزي بسنده إلى عبد الله. مناقب الإمام أحمد ص٢٤٢. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٢ نقلاً عن عبد الله.

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٥٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٤٤).

(٧) انظر: التبرك المشروع والممنوع للعلياني ٣٣ - ٥٠.

الدنيا وما فيها[(١)].

ومن بركاته نبوع الماء من تحت أصابعه وتكثيره الطعام وإبراؤه المرضى وذوي العاهات كبصقة في عيني عليّ ﷺ يوم خيبر فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء ومن بركته إجابة دعائه فقد دعا الله كثيراً فاستجاب له كثيراً ودعا لأنس فكثّر الله ماله وولده، ودعا للاستسقاء فثار السحاب أمثال الجبال.

قال القرطبي: كان ﷺ كلما دعا الله في شيء أجابه وظهرت بركات دعوته على المدعو له وعلى أهله وبنيه[(٢)].

وأعظم بركة تحصل للعبد هي اتباع الرسول ﷺ والسير على نهجه فبها تنال محبة الله ومغفرته قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد كان الصحابة على علم بأن هذه البركة من الله تعالى ولذلك فإن كبارهم لم يطلبوها من النبي ﷺ إلا في الأمور المشروعة كأن يدعو لهم أو يصلي عِنْدَهم فيتخذون مكانه مسجداً ونحو ذلك.

بل كان النبي ﷺ ينبههم على ذلك كما في البخاري لما نبع الماء من بين يديه قال: «حي على أهل الوضوء والبركة من الله»[(٣)].

وذكر الشاطبي حديثاً يفيد أن الأولى ترك التبرك بذات رسول الله ﷺ وآثاره وأن يحرص الإنسان على القيام بالدين، قال: وقد خرج ابن وهب في جامعه من

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٠).

(٢) كتاب الإعلام للقرطبي ٣٦٧ نقلا عن كتاب التبرك ٦٧.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٩). قال ابن حجر: «وفي رواية النسفي «حي على الوضوء» بإسقاط لفظ «أهل» وهي أصوب، وقال غيره: «الصواب حي هلا على الوضوء المبارك» الفتح ١٠/ ١٠٥، ولا إشكال في ذلك فقد أخرجه البخاري برقم ٣٥٧٩ ونصه: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله».

حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني رجل من الأنصار أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشربوه ومسحوا به جلودهم، فلما رآهم يصنعون ذلك سألهم: «لم تفعلون هذا؟» قالوا: نلتمس الطهور والبركة بذلك فقال رسول الله ﷺ: «من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره»[1].

❖ **حكم التبرك بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته:**

جاء في صحيح الإمام مسلم أن أسماء بنت أبي بكر أخرجت جبة طيالسة وقالت هذه كانت عِنْدَ عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان رسول الله ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى لنستشفي بها[2].

وبهذا الحديث وغيره يثبت جواز التبرك بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته ولا يثبت في هذا الزمان وجود شيء من آثاره من شعر أو عرق أو سيف أو ماشابه ذلك ولكن في اتباع هديه والاقتداء به والسير على منهاجه ظاهراً وباطناً أعظم بركة، أما ما يذكره بعض الناس من وجود ذلك فإنه موقع شك لا يقين.

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «ونحن نعلم أن آثاره من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين»[3].

❖ **حكم بعض الألفاظ المتعلقة بالبركة:**

١ ـ كلمة تبارك لا تطلق إلا على الله إذ معناها تعالى وتعاظم وتقدس. قال ابن دريد: «وتبارك لا يوصف به إلا الله تعالى، ولا يُقال تبارك فلان في معنى عظم، هذه

---

(١) الاعتصام ١/ ٤٨٥، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٩٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦٩).

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص١٤٦.

الصفة لا تنبغي إلا لله ﷻ»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «قال العلماء معنى تبارك: أي كثرت بركاته وخيراته، ولهذا يقولون: إن هذا الفعل لا يوصف به إلا الله؛ فلا يُقال: تبارك فلان؛ لأن هذا الوصف خاص بالله.

وقول العامة: «أنت تباركت علينا» لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله ﷻ، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك ...»[٢].

٢ ـ هذه من بركاتك يا فلان أو بركات فلان هذه جائزة ويدل عليها قول أسيد بن الحضير في البخاري حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر، ولأن الله أخبر أن بعض الناس مبارك كالصالحين[٣].

---

(١) جمهرة أنساب العرب ١/ ٢٢٣ التبرك ٢٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٣. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٧٧.

(٣) انظر: للاستزادة مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٤. وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢٧٨.

٧١. تتبع آثار الأنبياء والصالحين المكانية *

المقصود تتبع قبور الأنبياء والصالحين ومجالسهم ومساكنهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها أو التبرك أو غير ذلك وهذا كله من البدع ووسائل الشرك ومثاله ما نقله الشيخ مرعي الحنبلي رحمه الله حين قال: «غار حراء، وجبل ثور، وجبل الرماة، والمساجد السبعة، وغيرها من الآثار لا يشرع زيارتها بالاتفاق»[(١)].

* **الدليل من السنة**: روىٰ سعيد بن منصور في سننه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما رجع من حجته رأىٰ الناس ابتدروا مسجداً فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلىٰ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبياءهم بيعاً. من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض»[(٢)].

وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح، فقرأ فيها: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾[الفيل:١] وقوله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ ﴾ [قريش:١] ثم رأىٰ الناس يذهبون مذاهب فقال: أين

* التمهيد لابن عبد البر ١٣/ ٦٤، ٦٧ ـ ٢/ ٢٨٩، ٢٩٠. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤، ٦٤٦، ٧٤٢، ٧٤٦، ٧٩٥. مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ١٣٧، ١٤٥، ٥٠٢، ٥٠٤ ـ ٤/ ٣١٠. المجموع ٨/ ٢٧٥. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٤. الحجة البالغة ١/ ١٩٢. تيسير العزيز الحميد ص٣٤١، فتح المجيد ص٢٧٦، مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز ١/ ٤٠١.نور علىٰ الدرب ٦٨، ٢٨٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٢١١. وقفات مع زيارة آثار الصالحين لفهد أباحسين. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٩٨. الأعياد وأثرها علىٰ المسلمين د. سليمان السحيمي ص٤٥٠. التبرك د: ناصر الجديع ٣٤١، ٣٥٨، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٩٦، ٤١٩ إلىٰ ٤٦٠.

(١) شفاء الصدور ١١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم (٢٧٣٤)، وانظر: البدع لابن وضاح ص٤٢، ولعله أشار إلىٰ ابن حجر في فتح الباري ١/ ٥٦٩ إلىٰ أنه ثابت عن عمر رضي الله عنه.

يذهب هؤلاء؟ فقيل: ياأمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه، فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعا، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها»[١].

وروى ابن سعد في الطبقات عن نافع قال: «كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها الرضوان فيصلّون عندها، قال: فبلغ عمر بن الخطاب فأوعدهم وأمر بها فقُطعت»[٢].

وفي التيسير «قال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: «أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة. قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع[٣]: أن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر رضي الله عنه»[٤].

وفي مغازي ابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال: «لما فتحنا «تُسْتُر» وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٧٦ قال ابن تيمية في التوسل والوسيلة ص ٢٠٣ إسناده صحيح، وأشار ابن حجر في فتح الباري إلى أنه ثابت عن عمر رضي الله عنه.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٠٠، والمصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣٥٧.

(٣) وقد رواه ابن سعد في الطبقات عن نافع. انظر الطبقات ٢/ ١٠٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٣٤١.

فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال لـه: دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاث مائة سنة. قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال لا إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لاتبليها الأرض»(١).

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله»(٢).

❖ حكم تتبع آثار النبي ﷺ المكانية:

تتبع آثار النبي ﷺ المكانية إذا كان من باب التبرك فإنه لا يجوز سواء كانت تلك الآثار صحيحة أو غير صحيحة وتتبعه بهذا القصد بدعة.

وأما ابن عمر رضي الله عنهما فقد ثبت عنه أن كان يتحرىٰ أماكن من الطريق فيصلي فيها؛ لأن النبي ﷺ صلّىٰ في تلك الأمكنة(٣).

ولم يكن ابن عمر بتتبعه هذه الأماكن يقصد التبرك بها؛ بل كان فِعلُه لشدة المتابعة والاقتداء اجتهاداً منه، وما فعله النبي ﷺ من باب الجبلة أو وقع منه اتفاقاً لا قصداً هو الذي فعله ابن عمر رضي الله عنهما مريدا التشبه برسول الله ﷺ فيما صلىٰ فيه

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٤٢، وقد صحح إسنادها إلىٰ أبي العالية الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٣٧ وقال: إن كان تاريخ وفاته محفوظا من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح. وقال ابن تيمية: «وهذا قد رويناه في كتاب المغازي لابن إسحاق من رواية يونس بن بكير إلىٰ أبي العالية وذكره البيهقي في كتاب شعب الإيمان وذكره غيره، وهذا من فعل أهل الكتاب لا من فعل المسلمين فليس فيه حجة فلا يحتج به محتج» تلخيص كتاب الاستغاثة ص ٢٩.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٢٢.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٣) وانظر (٤٨٤-٤٩٢) من صحيح البخاري.

وفيما مشى فيه، وهو وجه آخر يختلف عما يقصده الناس اليوم فإن لهم صوراً مختلفة فبعضهم يقصد الدعاء عندها وبعضهم يقصد التمسح بأعتابها، وبعضهم يقصد الاستشفاء بتربتها. وبعضهم يقصد التبرك وبعضهم يقصد الفرجة والتنزه وبعضهم يريد المصيبة العظمى وهي دعاؤها وعبادتها كما يفعله عباد القبور، وحكم تتبع الأماكن في كل ذلك يختلف بحسب ما يقوم في قلب الزائر من الاعتقادات وبحسب الأفعال المصاحبة له.

ومع أن ابن عمر أراد التشبه برسول الله ﷺ في هذا الفعل إلا أن الصحابة لم يُنقل عن أحدٍ منهم أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي ﷺ، بل وأنكر ذلك على ابنِ عمر أبوه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال: إنما هلك أهل الكتاب لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيَعاً.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «لأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة، فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا عن غيرهم من المهاجرين والأنصار أن أحداً منهم كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي ﷺ، والصواب مع جمهور الصحابة؛ لأن متابعة النبي ﷺ تكون بطاعة أمره وتكون في فعله بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله،فإذا قصد النبي ﷺ العبادة في مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له كقصد المشاعر والمساجد، وأما إذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول أو غير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان فإنا إذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين لـه فإن الأعمال بالنيات... فأما الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة والدعاء عندها فقصد الصلاة أو الدعاء فيها سنة اقتداء برسول الله ﷺ واتباعاً لـه كما إذا تحرى الصلاة أو الدعاء في وقت من الأوقات فإن قصد الصلاة أو الدعاء في ذلك الوقت سنة كسائر عباداته وسائر الأفعال التي فعلها على وجه التقرب، ومثل هذا ما أخرجاه في الصحيحين عن يزيد

بن أبي عبيد قال: كان سلمة بن الأكوع يتحرىٰ الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف. فقلت له: يا أبا مسلم، أراك تتحرىٰ الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: رأيت النبي ﷺ يتحرىٰ الصلاة عندها وفي رواية لمسلم عن سلمة بن الأكوع أنه كان يتحرىٰ الصلاة في موضع المصحف يسبح فيه، وذكر أن النبي ﷺ كان يتحرىٰ ذلك المكان وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة، وقد ظن بعض المصنفين أن هذا مما اختلف فيه وجعله والقسم الأول سواء وليس بجيد فإنه هنا قد أخبر أن النبي ﷺ كان يتحرىٰ البقعة فكيف لا يكون هذا القصد مستحباً. نعم إيطان بقعة في المسجد لا يصلىٰ إلا فيها منهي عنه كما جاءت به السنة والإيطان ليس هو التحري من غير إيطان، فيجب الفرق بين اتباع النبي ﷺ، والاستنان به فيما فعله وبين ابتداع بدعة لم يسنها لأجل تعلقها به، وقد تنازع العلماء فيما إذا فعل رسول الله ﷺ فعلا من المباحات لسبب وفعلناه نحن تشبها به مع انتفاء ذلك السبب، فمنهم من يستحب ذلك ومنهم من لا يستحبه، وعلىٰ هذا يخرج فعل ابن عمر رضي الله عنهما فإن النبي ﷺ كان يصلي في تلك البقاع التي في طريقه؛ لأنها كانت منزله لم يتحر الصلاة فيها لمعنىٰ في البقعة، فنظير هذا أن يصلي المسافر في منزله وهذا سنة، فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلىٰ فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلىٰ مكة حُجَّاجاً وعُمَّاراً أو مسافرين ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرىٰ الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وتحرِّي هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين بل هو مما ابتدع وقول الصحابي وفعله إذا خالفه

نظيره ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟ وأيضاً فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد والتشبه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه وذلك ذريعة إلى الشرك بالله»[١].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «والحق أن عمر رضي الله عنه أراد بالنهي عن تتبع آثار الأنبياء سد الذريعة إلى الشرك، وهو أعلم بهذا الشأن من ابنه رضي الله عنهما، وقد أخذ الجمهور بما رآه عمر وليس في قصة عتبان ما يخالف ذلك؛ لأنه في حديث عتبان قد قصد أن يتأسّى به ﷺ في ذلك، بخلاف آثاره في الطرق ونحوها، فإن التأسي به فيها وتتبعها لذلك غير مشروع، كما دل عليه فعل عمر، وربما أفضى ذلك بمن فعله إلى الغلو والشرك كما فعل أهل الكتاب»[٢].

ومن الآثار المكانية التي يكثر الذهاب إليها موقعة بدر، ومكان شجرة بيعة الرضوان وغار حراء و غار ثور فإن هذا كله لا يشرع تتبعه والتقرب إلى الله بالصلاة فيه، وقد قدمنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع شجرة الرضوان؛ لأن الناس كانوا يأتون إليها ويصلون عندها.

ومثل ذلك زيارة آثار الأنبياء التي تقام بالشام، مثل مغارة الخليل عليه السلام، والآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون في غربي الربوة[٣].

وفي حديث: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ...» إلخ الحديث[٤]. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم، ومواضع صلاتهم للصلاة، والدعاء عندها، فإن ذلك من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٣٨، ٧٤٥.

(٢) تعليق سماحته على فتح الباري ١/ ٥٦٩.

(٣) تفسير سورة الإخلاص (١٦٩)، أحكام الجنائز للألباني ص٢٦٠ رقم ١٥٨.

(٤) تقدم تخريجه.

البدع، أنكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم. ولا نعلم أحدا أجازه أو فعله إلا ابن عمر على وجه غير معروف عند عباد القبور، وهو إرادة التشبه برسول الله ﷺ في الصلاة فيما صلى فيه ونحو ذلك. ومع ذلك فلا نعلم أحدا وافقه عليه من الصحابة، بل خالفه أبوه وغيره، لئلا يفضي ذلك إلى اتخاذها أوثانا كما وقع.

قال ابن عبد الباقي في شرح الموطأ روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرى بذلك.

وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى. انتهى»[1].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وأما قول السائل: هل يجوز تعظيم مكان فيه خلوق وزعفران لكون النبي ﷺ رؤي عنده؟

فيقال: بل تعظيم مثل هذه الأمكنة واتخاذها مساجد ومزارات لأجل ذلك هو من أعمال أهل الكتاب، الذين نهينا عن التشبه بهم فيها.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يصلي في أسفاره في مواضع، وكان المؤمنون يرونه في المنام في مواضع، وما اتخذ السلف شيئاً من ذلك مسجداً ولا مزارات. ولو فتح هذا الباب لصار كثير من ديار المسلمين أو أكثرها مساجد ومزارات، فإنهم لا يزالون يرون النبي ﷺ في المنام وقد جاء إلى بيوتهم... الخ»[2].

وقال أيضاً: «فأما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء، أو بعض الصالحين تبركاً بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله»[3].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٤٠ ط. المكتب الإسلامي.

(٢) الفتاوى ٢٧/ ١٣٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٣٤. وانظر: إغاثة اللهفان ١/ ١٨٥.

وقال رحمه الله: «إن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية أو جبلا أو مغارة وسواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو يتنسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة بها لا عيناً ولا نوعاً وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتُنَوَّر به»[1].

وقال: «... مثل من يذهب إلى حراء ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غار ثور ليصلي فيه ويدعو، أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو، أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء.. ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة.. ومعلوم أنه لو كان هذا مستحبا يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك وأسرعهم إليه، ولكان علم أصحابه بذلك وكان أصحابه أعلم بذلك وأرغب فيه ممن بعدهم فلما لم يكونوا يلتفتون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة»[2].

وقال أيضاً رحمه الله: «ليس في شريعة الإسلام بقعة تقصد لعبادة الله فيها بالصلاة والدعاء والذكر والقراءة ونحو ذلك إلا مساجد المسلمين ومشاعر الحج»[3].

وفي تفصيل اللجنة الدائمة للإفتاء عن بيان ما تشرع زيارته وما لا تشرع زيارته من مساجد المدينة النبوية أجابت بما يلي:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤، ٦٨١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٢٤، ٤٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٣٧، ١٣٨. والاقتضاء ٢/ ٨١٦، وكلام شيخ الإسلام كثير في هذا، وهو منثور في المجلد السابع والعشرين من مجموع الفتاوى.

«أولاً: باستقراء المساجد الموجودة في مدينة النبي ﷺ المدينة المنورة - حرسها الله تعالىٰ - تبين أنها علىٰ أنواع هي:

النوع الأول: مسجد في مدينة النبي ﷺ ثبتت لـه فضيلة بخصوصه، وهي مسجدان لا غير: أحدهما مسجد النبي ﷺ، والثاني مسجد قباء.

النوع الثاني: مساجد المسلمين العامة في مدينة النبي ﷺ فهذه لها ما لعموم المساجد، ولا يثبت لها فضل يخصها.

النوع الثالث: مسجد بُني في جهة كان النبي ﷺ صلَّىٰ فيها أو أنه هو عيَّن المكان الذي صلىٰ فيه تلك الصلاة، مثل مسجد بني سالم، ومصلىٰ العيد، فهذه لم يثبت لها فضيلة تخصها، ولم يرد ترغيب في قصدها وصلاة ركعتين فيها.

النوع الرابع: مساجد بدعية محدثة نُسبت إلىٰ عصر النبي ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين، واتخذت مزاراً مثل: المساجد السبعة، ومسجد في جبل أُحُد، وغيرها، فهذه مساجد لا أصل لها في الشرع المطهر، ولا يجوز قصدها لعبادة ولا لغيرها، بل هو بدعة ظاهرة.

ومعلوم أن الهدف من بناء المساجد جمع الناس فيها للعبادة، وهو اجتماع مقصود في الشريعة، ووجود المساجد السبعة في مكان واحد لا يحقق هذا الغرض، بل هو مدعاة للافتراق المنافي لمقاصد الشريعة، وهي لم تُبن للاجتماع؛ لأنها متقاربة جداً، وإنما بنيت للتبرك بالصلاة فيها والدعاء، وهذا ابتداع واضح، أما أصل هذه المساجد بهذه التسمية - أي المساجد السبعة - فليس له سند تاريخي علىٰ الإطلاق، وإنما ذكر ابن زبالة مسجد الفتح وهو رجل كذاب رماه بذلك أئمة الحديث، مات في آخر المائة الثانية، ثم جاء بعده ابن شبه المؤرخ وذكره، ومعلوم أن المؤرخين لا يهتمون بالسند وصحته، وإنما ينقلون ما يبلغهم ويجعلون العهدة علىٰ من حدثهم، كما قال ذلك الحافظ الإمام ابن جرير في تاريخه، أما الثبوت

الشرعي لهذه التسمية أو لمسجد واحد منها فلم يعرف بسند صحيح.

وقد اعتنىٰ الصحابة بنقل أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، بل نقلوا كل شيء رآه النبي ﷺ يفعله حتىٰ قضاء الحاجة، ونقلوا إتيان النبي ﷺ لمسجد قباء كل أسبوع، وصلاته علىٰ شهداء أُحُد قبل وفاته كالمودع لهم، إلىٰ غير ذلك مما امتلأت به كتب السنة، أما هذه المساجد فقد بحث الحفّاظ والمؤرخون عن أصول تسميتها، فقال العلامة السمهودي رحمه الله: لم أقف في ذلك كله علىٰ أصل.. وقال بعد كلام آخر: مع أني لم أقف علىٰ أصل في هذه التسمية، ولا في نسبة المسجدين المتقدمين في كلام المطري... وذكر شيخ الإسلام أن في المدينة مساجد كثيرة، وأنه ليس في قصدها فضيلة سوىٰ مسجد قباء، وأن ما أُحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد علىٰ القبور والآثار من البدع المحدثة في الإسلام، مِنْ فِعْل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم. اهـ.

وقال الشاطبي رحمه الله: وسُئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا في المدينة فقال: أثبت ما عندنا قباء.. إلخ. وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه قطع الشجرة التي رأىٰ الناس يذهبون للصلاة عندها؛ خوفاً عليهم من الفتنة، وقد ذكر عمر بن شبه في (أخبار المدينة) وبعده العيني في (شرح البخاري) مساجد كثيرة، ولكن لم يذكروا المساجد السبعة بهذا الاسم.

وبهذا العرض الموجز يعلم أنه لم يثبت بالنقل وجود مساجد سبعة، بل ولا ما يسمىٰ بمسجد الفتح والذي اعتنىٰ به أبو الهيجاء وزير العبيديين المعروف مذهبهم، وحيث أن هذه المساجد صارت مقصودة من كثير من الناس؛ لزيارتها، والصلاة فيها، والتبرك بها، ويضلل بسببها كثير من الوافدين لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فقصدها بدعة ظاهرة، وإبقاؤها يتعارض مع مقاصد

الشريعة، وأوامر المبعوث بإخلاص العبادة لله، وتقضي بإزالتها سنة رسول الله ﷺ حيث قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فتجب إزالتها؛ درءاً للفتنة، وسداً لذريعة الشرك، وحفاظاً على عقيدة المسلمين الصافية، وحماية لجناب التوحيد؛ اقتداءً بالخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قطع شجرة الحديبية لما رأى الناس يذهبون إليها؛ خوفاً عليهم من الفتنة، وبَيَّن أن الأمم السابقة هلكت بتتبعها آثار الأنبياء التي لم يؤمروا بها؛ لأن ذلك تشريع لم يأذن به الله. انتهى.

ثانياً: ومما تقدم يُعلم أن توجه الناس إلى هذه المساجد السبعة، وغيرها من المساجد المحدثة؛ لمعرفة الآثار أو للتعبد والتمسح بجدرانها ومحاريبها، والتبرك بها بدعة، ونوع من أنواع الشرك شبيه بعمل الكفار في الجاهلية الأولى بأصنامهم، فيجب على كل مسلم ناصح لنفسه ترك هذا العمل، ونصح إخوانه المسلمين بتركه.

ثالثاً: وبهذا يعلم أن ما يقوم به بعض ضعفاء النفوس من التغرير بالحجّاج والزوار وحملهم بالأجرة إلى هذه الأماكن البدعية ـ كالمساجد السبعة ـ هو عمل محرم، وما يأخذ في مقابله من المال كسب حرام، فيتعين على فاعله تركه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]. والله الموفق»[١].

وقد رد الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على من طالب بإحياء الآثار النبوية كطريق الهجرة ومكان خيمة أم عبد، ونحو ذلك، وبين أن ذلك يجر إلى تعظيمها أو الدعاء عندها أو الصلاة ونحو ذلك، وهذه من الوسائل المفضية إلى الشرك[٢].

---

(١) باختصار من كتاب بيان ما تشرع زيارته وما لا تشرع زيارته من مساجد المدينة النبوية، من إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله، والفتوى برقم (١٩٧٢٩) وتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٤١٨هـ.

(٢) فتاوى ابن باز ص ٣/ ٣٣٤، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ٤٠١.

ثم ذكر سماحة الشيخ ﵀ كلام العلماء في ذلك إلىٰ أن قال: «وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير لا نحب أن نطيل علىٰ القارئ بنقله. ولعل فيما نقلناه كفاية ومقنعاً لطالب الحق.. إذا عرفت ما تقدم من الأدلة الشرعية وكلام أهل العلم في هذا الباب علمتَ أن ما دعا إليه الكاتب من تعظيم الآثار الإسلامية كغار ثور، ومحل بيعة الرضوان وأشباهها وتعمير ما تهدم منها، والدعوة إلىٰ تعبيد الطرق إليها، واتخاذ المصاعد للغارين، واتخاذ الجميع مزارات، ووضع لوحات عليها، وتعيين مرشدين للزائرين كل ذلك مخالف للشريعة الإسلامية التي جاءت بتحصيل المصالح، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وسد ذرائع الشرك والبدع. وعرفت أن البدع وذرائع الشرك يجب النهي عنها ولو حسن قصد فاعلها أو الداعي إليها لما تفضي إليه من الفساد العظيم، وتغيير مع الم الدين وإحداث مزارات ومعابد لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]»[1].

وإذا كان المنع في حق الأنبياء عليهم السلام فالمنع في غيرهم من الصالحين من باب أولىٰ، وقد ردّت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﵀ علىٰ أحد الكتاب في جريدة الرياض في هذا الشأن حيث قالت: «الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداه أما بعد/ فقد نشرت جريدة الرياض في عددها الصادر في ٢١/ ١٠/ ١٤١٢هـ مقالا تحت عنوان: (ترميم بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحريملاء) وذكر أن الإدارة العامة للآثار والمتاحف أولت اهتماماً بالغا بمنزل مجدد الدعوة السلفية الشيخ: محمد بن عبد الوهاب ﵀ في حي غيلان

---

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة ١/ ٤٠٧.

بحريملاء حيث تمت صيانته وأعيد ترميمه بمادة طينية تشبه مادة البناء الأصلية... إلى أن قال: وتم تعيين حارس خاصا لهذا البيت... إلخ.

وقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية على المقال المذكور ورأت أن هذا العمل لا يجوز، وأنه وسيلة للغلو في الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأشباهه من علماء الحق، والتبرك بآثارهم والشرك بهم، ورأت أن الواجب هدمه وجعل مكانه توسعة للطريق سدا لذرائع الشرك والغلو، وحسما لوسائل ذلك وطلبت من الجهة المختصة القيام بذلك فوراً، ولإعلان الحقيقة والتحذير من هذا العمل المنكر جرى تحريره، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه»[1].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن زيارة مسجد يقال إنه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في اليمن ويأتي الناس لزيارته يوم الجمعة من شهر رجب من كل سنة؟.

فأجاب بقوله: «غير مسنون لأمور:

أولاً: لأنه لم يثبت أن معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن اختط مسجداً له هناك، ثانياً: لو ثبت أنه مسجد معاذ بن جبل فإنه لا يشرع إتيانه وشد الرحل إليه بل شد الرحل لغير المساجد الثلاثة منهي عنه.

ثانياً: لو ثبت أن معاذ بن جبل اختط مسجداً هناك فإنه لا يشرع إتيانه وشد الرَّحل إليه، بل شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة منهي عنه، قال النبي ﷺ: **«لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»**.

ثالثاً: أن تخصيص هذا العمل بشهر رجب بدعة أيضاً، فإن شهر رجب لم يُخص بشيء من العبادات لا بصوم ولا بصلاة وإنما حكمه حكم الأشهر الحُرُم

---

(١) فتاوى ابن باز ٧/ ٤٢٥.

الأخرىٰ، والأشهر الحرُم هي: رجب وذو القعدة وذوح الحجة ومحرم. هذه الأشهر التي قال الله تعالىٰ عنها في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، ولم يثبت أن شهر رجب خُص من بينها في شيء لا بصيام ولا بقيام، فإذا خَصَّ الإنسانُ هذا الشهر بشيء من العبادات من غير أن يثبت ذلك عن النبي ﷺ كان مبتدعاً لقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». فنصيحتي لإخوتي هؤلاء الذين يقومون بهذا العمل في الحضور إلىٰ المسجد الذي يزعم أنه مسجد معاذ في اليمن أن لا يُتعبوا أنفسهم ويتلفوا أموالهم ويضيعوها في هذا الأمر الذي لا يزيدهم من الله إلا بُعْداً، ونصيحتي لهم أن يصرفوا هَمَّهم إلىٰ ما ثبتت مشروعيته في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهذا كافٍ للمؤمن. والله الموفق»[1].

فائدة: من أسباب منع تتبع آثار الصالحين أن فيه تشبهاً بطريقة المشركين واليهود والنصارىٰ، فاليهود والنصارىٰ كانوا يتتبعون آثار الصالحين. وهكذا هلكوا كما بين عمر ﷺ. وأما المشركون فقد كانوا يسافرون إلىٰ البقاع المعظمة. وهذا من جنس الحج ولكل أمة حج. فقد كان المشركون يحجون إلىٰ اللات والعزىٰ ومناة وهذه أسماء لرجال صالحين يدعونهم ويستغيثون بهم نسأل الله السلامة والعافية[2].

(١) مجموع الفتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين ٢/ ٢٣٨-٢٣٩ باختصار.
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ٢٧/ ٣٥٣.

٧٢. التحاكم إلى غير ما أنزل الله*

التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجب ويجب معه الرضا بذلك والتسليم له، ومن اختار التحاكم إلىٰ غير الشريعة الإسلامية فليس بمؤمن وإن ادعىٰ أنه يقصد الإصلاح، ومن تحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله فهو متحاكم إلىٰ الطاغوت وإن سماه بأي اسم كالنظام والقانون وغير ذلك.

وها هنا أربع مسائل متصلة ببعضها، وينبغي التفريق بينها:

١ ـ طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.

٢ ـ المُشرِّع الذي يضع القانون والأحكام

٣ ـ الحكم بغير ما أنزل الله

٤ ـ التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله

فأما المسألة الأولىٰ: فسوف يأتي الكلام عن خطرها وأحكامها في باب (طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله).

وأما المسألة الثانية: فهو المُشرِّع الذي يضاهي حكم الله بما وضع من قوانين وأحكام تخالف حكم الله ورسوله وهذا كافر بالله ﷻ كفراً أكبر.

والمسألة الثالثة: الحكم بغير ما أنزل الله فهو ما يقضي به الحاكم أو القاضي أو

---

* مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٦٧. أعلام الموقعين ١/ ٥٠. البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١١٨. تفسير ابن كثير من الآية ص٢٥٦ من سورة النساء تعليق أحمد شاكر. الدرر السنية ١٠/ ٢٥٢، أضواء البيان ٤/ ٩٠، ٩٣. تيسير العزيز الحميد ص٥٦١. فتح المجيد ص٤٦١ حاشية كتاب الوحيد لابن قاسم ص٢٨٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٧٥ ط٢- ٢/ ٣٣٤ ومن المجموع ١٠/ ٧٤٩. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٥٤٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٠ شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٧٧. شرح مسائل الجاهلية ص١١١. الحكم بغير ما أنزل الله د: عبد الرحمن المحمود. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٢٩٤ وما بعدها.

من ولي أمرا يحكم فيه فهذا فيه تفصيل يأتي في باب (الحكم بغير ما أنزل الله .

أما المسألة الرابعة: التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله فهو أن يعمد المرء إلىٰ تحكيم غير شرع الله مريدا به الفصل في قضايا أو قضية معينة مختارا دون عارض كإكراه وله صور سوف نأتي علىٰ ذكرها في آخر الباب.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء:٦٢-٦٠].

قال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد عَرف أنه لا يأخُذُ الرّشوة. وقال المنافق نتحاكم إلىٰ اليهود. لعلمه أنهم يأخذون الرّشوة. فاتفقا علىٰ أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾[1].

وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي ﷺ. وقال الآخر إلىٰ كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلىٰ عمر فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك، قال: نعم فضربه بالسيف فقتله[2].

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٥/ ١٥٢، ١٥٣، رقم (٩٨٩١،٩٨٩٢،٩٨٩٣) قال ابن حجر: بإسناد صحيح. فتح الباري ٥/ ٣٧.

(٢) أخرجه الثعلبي كما في الدر المنثور والكلبي كما في فتح الباري عن ابن عباس قال ابن حجر: وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً لكن تقوىٰ بطريق مجاهد. وأخرجه الطبري في التفسير (٥/ ١٥٤) رقم (٩٩٠١) بإسناد صحيح. انظر فتح المجيد ص٤٧١

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]. وقال ﷻ: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [النساء:٥٩].

وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام:١١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النور:٤٧].

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٠].

* **الدليل من السنة:** عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»(١).

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس: إني قد تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله

---

(١) قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٣. وقال ابن رجب: «تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه ذكرها وتعقبه بعضهم» المصدر السابق ٢/ ٣٩٤. قال الشيخ سليمان بن عبد الله ومعناه صحيح قطعا وإن لم يصح إسناده وأصله في القرآن كثير. تيسير العزيز الحميد ٥٧٤، وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يستدل به كما في كتابه «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه» ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ١٠٠٥.

وسنتي»[١].

❖ **أقوال العلماء في التحاكم إلى غير ما أنزل الله:**

يتبين حكم التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله بالنظر إلىٰ سبب نزول الآيات في ذلك، وقد تقدم سبب ذلك وذكر ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قول الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ أن الطاغوت رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف وكانوا إذا ما دعوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول ليحكم بينهم قالوا بل نحاكمكم إلىٰ كعب فذلك قوله يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت[٢].

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء:٦٥]: «في هذه يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً»[٣].

ويقول ابن القيم عن هذه الآية: «أقسم الله سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله علىٰ عدم إيمان الخلق حتىٰ يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع وأحكام المعاد، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتىٰ ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتىٰ

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٣٩٥) والحاكم ١/ ٩٣، والبيهقي ١٠/ ١١٤.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٥/ ١٥٤).
(٣) تفسير ابن كثير للآية ٦٥ من سورة النساء.

ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضىٰ والتسليم، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض»[١].

ويقول شيخ الإسلام: «فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً لكن عصىٰ واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة»[٢].

وقال العلامة ابن القيم: «من تحاكم أو حاكم إلىٰ غير ما جاء به الرسول ﷺ فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه»[٣].

ونقل الحافظ ابن كثير في تاريخه ـ البداية والنهاية ـ قال: «فمن ترك الشرع المحكم المنزل علىٰ محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلىٰ غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلىٰ الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين»[٤].

وذكر هذه المسألة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد ضمن باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله؛ حيث ذكر من نصوص الباب قوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، ولم يكتف بهذا بل عقد لها باباً مستقلاً فقال: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله» وذكر فيه

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ٢٧٠.

(٢) منهاج السنة٥/ ١٣١.

(٣) أعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٥٠.

(٤) الياسا أوالياسق هو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها ملك التتار من شرائع شتىٰ من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية، انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٦٧. البداية والنهاية ١٣/ ١١٨، ١١٩.

بعض الآثار وحديث عدي بن حاتم، ثم عقد باباً بعده فقال: باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠] وذكر آيات وآثار عن السلف.

والذين شرحوا كتاب التوحيد ربطوا بين هذين البابين وقضية التوحيد والإقرار بالشهادتين. قال الشيخ سليمان بن عبد الله في باب من أطاع العلماء والأمراء...: «لما كانت الطاعة من أنواع العبادة، بل هي العبادة، بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام نبه المصنف - رحمه الله تعالى - بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله، وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ ـ فإنه لا ينطق عن الهوى ـ فهو مشرك كما بينه تعالى في قوله : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾ أي علماءهم ﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١] وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام»(١).

وقال معلقاً على الباب الثاني: «لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملاً على الإيمان بالرسول ﷺ مستلزماً له، وذلك هو الشهادتان ولهذا جعلهما النبي ﷺ ركناً واحداً في قوله: «بني الإسلام على خمس» .. نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع؛ إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن، فإن من

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٣.

عرف أن لا إله إلا الله فلابد من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ. فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته»[1].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: «من تحاكم إلى غير كتاب، وسنة رسوله ﷺ بعد التعريف، فهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤]». ثم ذكر الأدلة[2].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة تحكيم القوانين: «وقد نفى الله ﷻ الإيمان عن من لم يحكموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم، نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]. ولم يكتف الله تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾. والحرج: الضيق. بل لا بد من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضاً هنا بهذين الأمرين، حتى يضمُّوا إليهما التسليم وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ بحيث يتخلون هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٥٤-٥٥٥.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٤٢٦.

ذلك إلىٰ الحكم الحق أتمَّ تسليم، ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد، وهو قوله جل شأنه: ﴿تَسۡلِيمٗا﴾. المبيِّن أنّه لا يُكتفىٰ ها هنا بالتسليم.. بل لابد من التسليم المطلق»[1].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «ومن كان منتسباً للإسلام عالماً بأحكامه ثم وضع للناس أحكاماً وهيأ لهم نظماً؛ ليعملوا بها ويتحاكموا إليها؛ وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام؛ فهو كافر خارج من ملة الإسلام.

وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك، ومن أمر الناس بالتحاكم إلىٰ تلك النظم والقوانين أو حملهم علىٰ التحاكم إليها وهو يعلم أنها مخالفة لشريعة الإسلام.

وكذا من يتولَّىٰ الحكم بها وطبقها في القضايا ومن أطاعهم في التحاكم إليها باختياره، مع علمه بمخالفتها للإسلام فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله، لكن بعضهم يضع تشريعاً يضاهي به تشريع الإسلام ويناقضه علىٰ علم منه وبيّنه.

وبعضهم بالأمر بتطبيقه، أو حمل الأمة علىٰ العمل به، أو وَلِيَ الحكم به بين الناس أو نَفَّذ الحكم بمقتضاه.

وبعضهم بطاعة الولاة والرضا بما شرعوا لهم ما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطاناً. فكلهم قد اتبع هواه بغير هدىٰ من الله، وصدَّق عليهم إبليسُ ظنَّهُ فاتبعوه، وكانوا شركاء في الزيغ؛ والإلحاد والكفر والطغيان؛ ولا ينفعهم علمهم بشرع الله، واعتقادهم ما فيه، مع إعراضهم عنه، وتجافيهم لأحكامه، بتشريع من عند أنفسهم، وتطبيقه والتحاكم إليه؛ كما لم ينفع إبليس علمه بالحق، واعتقاده إياه مع

(١) تحكيم القوانين، ص٥، ٦.

إعراضه عنه، وعدم الاستسلام والانقياد إليه، وبهذا قد اتخذوا هواهم إلهاً؛ فصدق فيهم قولـه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣][(١)].

وفي قولـه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾ قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: «إن من تولى عن طاعة الرسول، وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وإن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة، فكيف بالتنقص والسب ونحوه»[(٢)].

وسئل رحمه الله تعالى: «عن رجل تولى حكومة على جماعة من رماة البندق، ويقول: هذا شرع البندق، وهو ناظر على مدرسة وفقهاء: فهل إذا تحدث في هذا الحكم والشرع الذي يذكره تسقط عدالته من النظر أم لا؟ وهل يجب على حاكم المسلمين الذي يثبت عدالته عنده إذا سمع أنه يتحدث في شرع البندق الذي لم يشرعه الله ولا رسوله أن يعزله من النظر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله. ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين ولا الكفار ولا الفتيان ولا رماة البندق ولا الجيش ولا الفقراء ولا غير ذلك إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك تناولـه قولـه تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾، وقولـه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ

---

(١) شبهات حول السنة ورسالة الحكم بغير ما أنزل الله ص٦٤، ٦٥.

(٢) الصارم المسلول ص ٣٩، ومختصر الصواعق ٢/ ٣٥٣.

لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم، ومن حكم بحكم البندق وشرع البندق، أو غيره مما يخالف شرع الله ورسوله، وحكم الله ورسوله ذلك، وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدِّمون حكم «الياساق» على حكم الله ورسوله، ومن تعمد ذلك فقد قدح في عدالته ودينه، ووجب أن يمنع من النظر في الوقف. والله أعلم»[١].

وفي قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾. قال القرطبي: «قال أبو علي: إن من طلب غير حكم الله من حيث لم يرضىٰ به فهو كافر وهذه حالة اليهود»[٢]، فالذي لا يريد حكم الله ولا يقبله، ويقبل حكماً آخر غير حكم الله وشرعاً آخر غير شرع الله من أصحاب النفاق الأكبر.

* فالتحاكم إلى غير الله كفر أكبر ولو ادعىٰ صاحبه الإسلام لأن المسلم هو المستسلم للحق المنقاد له.

قال الشيخ السعدي: «فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور. فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب في ذلك»[٣].

وفي حديث: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»[٢] وحديث: «من قال حين يسمع النداء: أشهد أن لا إله إلا الله...» [وفيه]

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) تفسير القرطبي ٦/ ١٨٨.

(٣) تفسير السعدي ٢/ ٩٠.

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا.. ورقمه ٣٤.

«رضيت بالله»[٣] قال ابن القيم: «وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضىٰ بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضىٰ برسوله والانقياد له، والرضىٰ بدينه والتسليم له ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصديق حقاً. وهي سهلة بالدعوىٰ واللسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان..»[٤].

وقال: «وأما الرضىٰ بنبيه رسولاً؛ فيتضمن كمال الانقياد لـه والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولىٰ به من نفسه فلا يتلقى الهدىٰ إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضىٰ بحكم غيره البتة...»[٥].

وقال: «وأما الرضىٰ بدينه؛ فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهىٰ: رضي كل الرضىٰ، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلم لـه تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواه، أو قول مقلده وشيخه وطائفته»[١].

ولابد مع الانقياد أن يتبرأ من الشرك والطاغـوت والمتحاكم إلىٰ غير شرع الله منقاد إلىٰ الطاغوت لا إلىٰ الله.

قال ابن القيم: «أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلىٰ غير ما جاء به الرسول فقد حَكم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه علىٰ غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»[٢].

---

(٣) رواه مسلم: كتاب الصلاة. باب استحباب القول مثل قول المؤذن. ورقمه ٣٨٦.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ١٧٢.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٧٢-١٧٣

(١) مدارج السالكين ٣/ ١٧٣.

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٥٠ ط. دار الفكر.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة وذكر منهم: «الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيات [٦٥-٦٦] قال العماد ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي: «كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت كما ذكر في الآية بعدها.. فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه، في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك»[(٣)].

وقال أيضاً رحمه الله: «وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي

---

(١) الدرر السنية ١/ ١٦١، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول ـ العقيدة ص٣٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٠ .

(٣) تفسير ابن سعدي للآية ٥٩، ٦٠ من سورة النساء.

كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر.

فمن تحاكم إلىٰ غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا وقد حاكم إلىٰ الطاغوت»[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: «فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلىٰ وحيه، فهو العابد لـه، ومن خضع لغيره، وتحاكم إلىٰ غير شرعه فقد عبد الطاغوت وانقاد له»[٢].

وقال رحمه الله: «كما أجمعوا ـ أي العلماء ـ علىٰ أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ أو تحكيم غيرا فهو كافر ضال»[٣].

❖ **بعض صور التحاكم:**

لهذا التحاكم صور منها: التحاكم إلىٰ شريعة البشر والرضا بما يقضون به

ومن هذا النوع ما يسمىٰ بالقضاء العشائري الذي تجتمع فيه العشيرة علىٰ بعض النظم، وتجعلها عِنْدَ كبيرهم ليقضي بموجبها، وهذا النوع موجود بكثرة [٤].

فهذا كله تحاكم إلىٰ الطاغوت وأفتت اللجنة الدائمة بمثل هذا حيث قالت: «المراد بالطاغوت في الآية كل ما عدل عن كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ إلىٰ التحاكم إليه من نظم وقوانين وضعية أو تقاليد وعادات متوارثة أو رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك أو بما يراه زعيم الجماعة أو الكاهن ومن ذلك يتبين أن النظم التي وضعت ليتحاكم إليها مضاهاة لتشريع الله داخلة في معنىٰ الطاغوت»[٥].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١١٣.

(٢) فتاوىٰ وتنبيهات ونصائح ص١٢٢.

(٣) فتاوىٰ وتنبيهات ونصائح ص١٣٥.

(٤) انظر شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٨٠.

(٥) فتاوىٰ اللجنة الدائمة برئاسة ابن باز رحمه الله ١/ ٥٤٢.

وقد كتب شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله رسالة في وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، قال في مقدمتها: «كتبتها لما رأيت وقوع بعض الناس في هذا الزمان في تحكيم غير شرع الله، والتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله من العرّافين والكهان وكبار عشائر البادية ورجال القانون الوضعي وأشباههم جهلاً من بعضهم لحكم عملهم ذلك، ومعاندةً ومحادّة لله ورسوله من آخرين»[(١)].

وقال رحمه الله: «إذا عُلم أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله عز وجل وهو كفر وظلم وفسق»[(٢)].

❖ **شبهة وردُّها:** في قولـه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾.

قال بعضهم: الإرادة لا تحصل إلا بالباطن ولا يعلم أحد به؛ لذا فلا يحكم بكفر المتحاكم إلا بتوفر شرط العلم بالإرادة الباطنية وهو غير حاصل.

وأجابت اللجنة الدائمة عن ذلك أن «المراد بالإرادة في قولـه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ ما صحبه فعل أو قرائن وإمارات تدل على القصد والإرادة بدليل ما جاء في الآية التي بعد هذه الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ ويدل على ذلك أيضاً سبب النزول الذي ذكره ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية وكذلك المتابعة دليل الرضا وبذلك يزول الإشكال القائل إن الإرادة أمر باطن فلا يحكم على المريد إلا بعلمها منه وهو غير حاصل»[(٣)].

---

(١) وجوب تحكيم شرع الله ص٤.

(٢) المصدر السابق ص١١.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة برئاسة ابن باز رحمه الله ١/ ٥٤٣.

❖ **مسألة في التحاكم إلى القوانين إذا كان في بلاد الكفر:**

الذين في بلد يحكم فيها بغير شرع الله كالتي يحكم فيها بالقانون فإن على المسلمين عدم التحاكم إليهم وإنما يُنصِّبون قاضياً مسلماً يتحاكمون إليه أما في حالة الضرورة فقد ورد سؤال إلى الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله هذا نصه:

(ما حكم التحاكم إلى المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية؟).

فأجاب بقوله: «بقدر الإمكان لا يتحاكم إليها، أما إذا كان لا يمكن أن يستخلص حقه إلا عن طريقها فلا حرج عليه»[(١)].

وسئل الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله عن حكم المتحاكم إلى من يحكم بالقوانين الوضعية إذا كانت المحاكم في بلده كلها تحكم بالقوانين الوضعية ولا يستطيع الوصول إلى حقه إلا إذا تحاكم إليها هل يكون كافراً؟

فأجاب: «أفيدك بأنه إذا اضطر إلى ذلك لا يكون كافراً، ولكن ليس له أن يتحاكم إليهم إلا عند الضرورة إذا لم يتيسر له الحصول على حقه إلا بذلك، وليس له أن يأخذ خلاف ما يحله الشرع المطهر»[(٢)].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: «وأما إن كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه، وإنما أجبر على ذلك، كما يحصل في البلاد الأخرى، من إلزامه (أي: إلى القانون) بالحضور مع خصمه إلى قانوني أو إلى قاضٍ يحكم بالقانون، أو أنه عَلِمَ أن الحق له في الشرع فرفع الأمر إلى القاضي في القانون لعلمه أنه يوافق حكم الشرع، فهذا الذي رفع أمره في الدعوى على خصمه إلى قاضٍ قانوني لعلمه أن الشرع يعطيه حقه وأن القانون وافق الشرع في ذلك فهذا الأصح أيضاً ـ عندي ـ أنه جائز.

---

(١) فتاوى الشيخ عبدالرزاق عفيفي ١/ ١٦٦.

(٢) فتاوى الشيخ ابن باز ٢٣/ ٢١٤، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة ٢٣/ ٥٠٢، ٥٠٣.

وبعض أهل العلم يقول: يتركه ولو كان الحق له، والله ـ جل وعلا ـ وصف المنافقين بقوله: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور:٤٩] فالذي يرى أن الحق ثبت له في الشرع وما أجاز لنفسه أن يترافع إلى غير الشرع إلا لأنه يأتيه ما جعله الله ـ جل وعلا ـ له مشروعاً فهذا لا يدخل في إرادة التحاكم إلى الطاغوت فهو كاره ولكنه حاكم إلى الشرع فعلم أن الشرع يحكم له فجعل الحكم الذي عند القانوني وسيلة للوصول إلى الحق الذي ثبت له شرعاً»(١).

❖ **آثار التحاكم إلى غير الله:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن الله ﷻ هو الحَكم الذي يحكم بين عباده والحكم له وحده، وقد أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليحكم بينهم، فمن أطاع الرسول كان من أوليائه المتقين، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة، ومن عصى الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب»(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع. والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك سببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله»(٣).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٤٣٠، ٤٣١.

(٢) مجموع الفتاوى٣٥/ ٣٦١، ٣٦٣، وانظر ٣٧٢، ٣٨٣.

(٣) بدائع الفوائد٣/ ١٧ وقد قال ذلك في معرض ذكره لأقوال المفسرين في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وانظر الفوائد ص ٤٨.

والناظر في حال البلاد التي تتحاكم إلىٰ غير شرع الله يرىٰ أثر التحاكم إلىٰ غير الله علىٰ بلادهم.

ويقول الشيخ أحمد شاكر: «نرىٰ في بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها نقلت عن أوربا الوثنية الملحدة، وهي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، وذلك أمر واضح بديهي لا يخالف فيه إلا من يغالط نفسه، ويجهل دينه أو يعاديه من حيث لا يشعر»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «...فكان عن هذا أن امتلأت السجون في بلادنا وحدها بمئات الألوف من اللصوص، بما وضعوا في القوانين من عقوبات للسرقة ليست برادعة، ولكن تكون أبداً رادعة ولن تكون أبداً علاجاً لهذا الداء المستشرىٰ... وإنهم جاءوا في التطبيق يلتمسون الأعذار من (علم النفس) لكل لص بحسبه، ثم زاد الأمر شراً أن يكتب اللصوص أنفسهم كلاماً يلتمسون به الأعذار لجرمهم، وقام المدافعون (المحامون) عنهم المقامات التي توردهم النار، يعلمون أن الجريمة ثابتة فلا يحاولون إنكارها، بل يحاولون التهوين من شأنها بدراسة «نفسية المجرم وظروف»...»[2].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ولهذا كان من مقتضىٰ رحمته وحكمته تعالى أن يكون التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه، لأنه سبحانه المنزه عما يصيب البشر من الضعف والهوىٰ والعجز الجهل، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير، يعلم أحوال العباد وما يصلحهم، وما يصلح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومن تمام رحمته أن تولىٰ الفصل بينهم في المنازعات والخصومات وشئون الحياة،

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٣٠٣ ط. دار المعارف.

(٢) عمدة التفاسير ١/ ١٧١، وانظر كلام شيخ الإسلام بالدولة العثمانية الشيخ مصطفىٰ صبري في كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ٤/ ٢٨١، ط الحلبي.

ليتحقق لهم العدل والخير والسعادة، بل والرضا والاطمئنان النفسي والراحة القلبية، ذلك أن العبد إذا علم أن الحكم أصدر في قضية يخاصم فيها، هو حكم الله الخالق العليم الخبير، قبل ورضى وسلم، حتى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد؛ بخلاف ما إذا علم أن الحكم صادر عن أناس بشر مثله، لهم أهواؤهم وشهواتهم، فإنه لا يرضى ويستمر في المطالبة والمخاصمة، ولذلك لا ينقطع النزاع، ويدوم الخلاف.

وإن الله تعالى إذ يوجب على العباد التحاكم إلى وحيه، رحمة بهم وإحساناً إليهم، فإنه سبحانه بين الطريق العام لذلك أتم بيان وأوضحه؛ بقوله سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾»[1].

٧٣ـ تحقيق التوحيد

انظر باب (توحيد الألوهية).

٧٤ـ تحليل الحرام

وبوب لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية بقوله: «التعبد بتحريم الحلال، كما تعبدوا بالشرك».

انظر باب (كفر الاستحلال).

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح ص١٢٨.

٧٥ـ التداوي*

تعريفه: هو من جملة الأسباب المشروعة في طلب العلاج وسبب ذكره هنا لمعرفة علاقته بالتوكل وهل هو ينافيه أولا؟. وسوف يأتي الكلام عن حكمه إن شاء الله.

* **الدليل من السنة:** حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»(١).

وفي رواية عند أحمد زيادة: «عَلِمه من علمه، وجهله من جهله»(٢).

وروىٰ جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواءُ الداءَ برأ بإذن الله تعالىٰ»(٣).

وعن أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله؛ نتداوىٰ؟ فقال: «نعم تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، الهرم»(٤).

قال ابن القيم: «فيه تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث علىٰ طلب ذلك

---

* التمهيد لابن عبد البر ٢٤/ ٦٥ـ٦٦، ٢١/ ٢٤٢، ٢/ ٢٢٧، ٥/ ٢٨٣ ـ٢٧٣. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣١ ـ٦١، الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣٥ ـ٤٥. المحلى بالآثار لابن حزم ٣/ ٩٠. زاد المعاد لابن القيم ٤/ ١٥. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٩٧. الدرر السنية ٥/ ٨٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٢٦ ـ ١٢٧. تيسر العزيز الحميد ص ١١١.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٦٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٨٦٤٥).

الدواء، والتفتيش عليه»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها»[٢].

*** أحكام وفوائد:**

١ - حكم التداوي:

حكى بعض العلماء الإجماع على جوازه[٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اختلف العلماء في التداوي: هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب أو واجب؟.

فالمشهور عن أحمد الأول؛ لهذا الحديث[٤] وما في معناه.

والمشهور عند الشافعية الثاني، حتى ذكر النووي ـ في شرح مسلم ـ أنه مذهبهم، ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف[٥].

واختاره الوزير أبوالمظفر قال: ومذهب أبي حنيفة: أنه مؤكد حتى يُداني به الوجوب، قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه، فإنه قال: لا بأس بالتداوي، ولا بأس بتركه[٦].

وقال شيخ الإسلام: «ليس بواجب عند جماهير الأئمة، وإنما أوجبه طائفةٌ قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد»[٧]»[١].

---

(١) زاد المعاد ٤/ ١٧.

(٢) زاد المعاد ص ٤/ ١٤.

(٣) الطب النبوي للحافظ أبي عبد الله محمد الذهبي ص٢٢٠.

(٤) يقصد حديث السبعين ألفاً.

(٥) المنهاج للنووي ١٤/ ١٩١.

(٦) ينظر: التمهيد لابن عبدالبر ٢٤/ ٦٥.

(٧) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٦٩. وانظر ٢١/ ٥٦٣-٥٦٤.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «يجوز التداوي اتفاقاً، وللمسلم أن يذهب إلى دكتور أمراض باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك؛ ليشخِّص له مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعاً حسب ما يعرفه في علم الطب؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكل على الله، وقد أنزل الله تعالى الداء وأنزل معه الدواء عرف ذلك مَنْ عرفه وجهله مَنْ جهله، ولكنه سبحانه لم يجعل شفاء عباده فيما حرَّمه عليهم»[٢].

قال العلامة الإمام ابن عثيمين رحمه الله: «والصحيح:

١ـ أن ما علم أو غلب على الظن نفعه ـ يعني التداوي ـ مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب.

٢ـ ما غلب على الظن نفعه، لكن ليس هناك هلاك محقق بتركه فهو أفضل.

٣ـ ما تساوى فيه الأمران، فتركه أفضل»[٣].

٢- حكم التداوي قبل وقوع الداء:

سُئل الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله عن حكم التداوي قبل وقوع الداء كالتطعيم؟ فقال: «لا بأس بالتداوي إذا خشي وقوع الداء لوجود وباء أو أسباب أخرى يخشى من وقوع الداء بسببها، فلا بأس بتعاطي الدواء لدفع البلاء الذي يخشى منه، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من تصبح بسبع تمرات من تمر المدينة لم يضره سحر ولا سم». وهذا من باب دفع البلاء قبل وقوعه، فهكذا إذا خشي من مرض وطعم ضد الوباء الواقع في البلد أو في أي مكان لا بأس بذلك من باب الدفاع كما يعالج المرض النازل، يعالج بالدواء المرض الذي يخشى منه، لكن لا يجوز تعليق التمائم والحجب ضد

(١) فتح المجيد ص٩٧.

(٢) حراسة التوحيد ص٧٩.

(٣) الشرح الممتع ٥/ ٣٠١.

المرض أو الجن أو العين لنهي النبي ﷺ عن ذلك. وقد أوضح عليه الصلاة والسلام أن ذلك من الشرك الأصغر، فالواجب الحذر من ذلك»(١).

٣ - علاقة التداوي بالتوكل:

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى من التوكل فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للأمر والحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وقد اختلف العلماء هل الأفضل عدم التداوي والاعتماد على الله عز وجل أو التداوي، والمسألة فيها تفصيل: فإذا كان هذا الدواء مما يرجى نفعه فإن استعماله مطلوب ومندوب إليه، لقوله ﷺ: «تداووا ولا تداووا بحرام»(٣).

وإذا كان مما يتيقن نفعه فإنه يجب، مثل لو أصيب الإنسان بزائدة، ثم قرر الأطباء أنه إذا لم يستأصلها مات، وأن التداوي بفتح بطنه، وقطع هذه الزائدةأمر لا يضره، فإننا نقول في هذه الحال، يجب عليه أن يتداوى بهذه الطريقة.

وأما الشيء المحرم فإننا نعلم أنه لا مصلحة فيه أبداً»(٤).

---

(١) مجموعة فتاوى ابن باز ص ٤٩٥.

(٢) زاد المعاد ٤/ ١٥.

(٣) سنن أبي داود (٣٨٧٤).

(٤) فتاوى منار الإسلام ص٧٤٨.

فالتداوي من الأسباب المباحة الجائزة فلا يقدح في التوكل مع الاعتماد على الله لا على السبب، وسيأتي مزيد بحث في باب (السبب).

والتداوي يكون بالرقى ويكون بالكي ويكون بالطبيب وبالعلاجات المعروفة، وبعض العلماء كره التداوي بالرقى والكي مستدلين بحديث السبعين ألفاً.

قال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «والغرض منه قولـه: «هم الذي لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون» فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر الأدوية، وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما»[(١)].

ثم ذكر الحافظ رحمه الله أجوبة العلماء عن ذلك، انظر ص٢١١ وما بعدها.

والاسترقاء والاكتواء من الأسباب المكروهة وهما جائزان، لكنهما ينافيان تمام التوكل على الله.

ومن العلماء من قال: إن المراد بترك الرقى والكي الاعتماد على الله في دفع الداء والرضا بقدره، لا القدح في جواز ذلك؛ لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة وعن السلف الصالح لكن مقام الرضى والتسليم أعلى من تعاطي الأسباب، وهذا يفهم من كلام ابن الأثير رحمه الله حيث قال: «وأما الحديث الآخر في صفة أهل الجنة الذين يدخلونها بغير حساب «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» فهذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها... ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله بالدعاء كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رُخِّص له في الرقية والعلاج والدواء»[(٢)].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢١١.

(٢) النهاية لابن الأثير (ر ق ى).

٧٦- التسخط من قدر الله

قال أبو السعادات: «السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به»(١).

* **الدليل من السنة:** قال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ»(٣).

وصلة هذا الباب بالتوحيد أن التسخط من قدر الله يتنافى مع كمال التوحيد الواجب.

قال الحافظ بن حجر: «ليس منا: أي من أهل ستنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الرجل لولده عِنْدَ معاتبته: لست منك ولست مني، أي ما أنت عل طريقتي.

وحكى عن سفيان أنه كان يكره الخوض في تأويله ويقول: ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر.

وقيل المعنى ليس على ديننا الكامل، أي أنه يخرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه أصله، حكاه ابن العربي»(٤).

والتسخط له علاقة بالمباحث الآتية:

١ ـ الشكوى. ٢ ـ الندب. ٣ ـ الأنين.

٤ ـ البكاء على الميت. ٥ ـ النياحة.

وللتوسع في ذلك انظر باب الصبر.

---

(١) النهاية (س خ ط).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٧) واللفظ له. ومسلم (١٠٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٥١٨.

٧٧ـ التشبه*

التشبه لغة: التشبه يعني المماثلة والمحاكاة والتقليد. قال الراغب: «الشِّبه والشَّبَه والشبيه حقيقتها في المماثلة»[١].

وشرعاً: «هو عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به وعلى هيئته وحليته ونعته وصفته، أو هو عبارة عن تكلف ذلك وتقصده وتعلمه، قد يعبر عن التشبه بالتشكل والتمثل والتزيي والتحلي والتخلق»[٢].

وقال المناوي شارحاً معنى من تشبه بقوم: «أي: تزيًّا في ظاهره بزيهم وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم أي وكأن التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر والباطن»[٣].

وقال عثمان دوكري: «هو تمثل المسلم بالكفار في عقائدهم أو عباداتهم أو أخلاقهم أو فيما يختصون به من عادات أو خضوعه لهم بشكل من الأشكال»[٤].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ١٥. الإبانة لابن بطة العكبري ص١٦٨. شَرحُ السُّنَّةِ للبَغوي ١٢/ ١١٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١ /، ٣٦٢، ٤٢٥. منهاج السنة ٤/ ١٥٥. مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٥٦. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٥٠٤. الدرر السنية ١٥/ ٣٦٣-٣٨٠، ٤١٠. الدين الخالص لصديق حسين القنوجي ٣/ ٤٢. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١٥٢، ١٧٥، ١٩٣، ١٩٤. مسائل الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٣٣٧.نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز آل عبد اللطيف ص٣٧٦. السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار لسهيل حسن عبد الغفار. التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي لجميل اللويحق.

(١) المفردات ٢٥٤.

(٢) التنبه لما ورد في التشبه للغزي الشافعي ق ٢/ ٢، نقلا عن كتاب السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار ص ٣٥.

(٣) فيض القدير ٦/ ١٠٤.

(٤) التدابير الواقية من التشبه بالكفار ١١.

والتشبه يقع في الأمور القلبية من الاعتقادات والإرادات، و يقع في الأمور الخارجية الظاهرة من العبادات والعادات(١).

قال ابن القيم: «لما قهر المسلمون أهل الذمة وصاروا تحت قهرهم وحكمهم ألزمهم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بترك التشبه بالمسلمين كما أمر النبي بترك التشبه بهم فتضمن هذان الأصلان العظيمان مجانبتهم في الهدي الظاهر والباطن حتى في النعال فأمر النبي الأمة بالصلاة في نعالهم مخالفة لأهل الكتاب ونهاهم عمر رضي الله عنه أن يلبسوا نعال المسلمين»(٢).

* الأدلة من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة:١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

---

(١) فيض القدير ٦/ ١٠٤.

(٢) أحكام أهل الذمة ص١٢٨٧، ١٢٨٨.

غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة:١١٨].

* الأدلة من السنة: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[١].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَىٰ، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ وَتَسْلِيمَ النَّصَارَىٰ الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ»[٢].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تبعتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ؟»[٣].

وروىٰ الإمام أحمد عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَىٰ سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»[٤].

وفِي حديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ...» الحديث[٥].

وفي السنن لما قال بعض أصحابه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد بلفظ أتم من ذلك (٥١١٤) . وقال شيخ الإسلام في الحديث: «هذا إسناد جيد» انظر الاقتضاء ١/ ٢٣٦ وصححه الألباني انظر إرواء الغليل ٨/ ٤٩ رقم ٢٣٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)(٧٣٢٠).

(٤) الإمام أحمد (١٧٢٦٥).

(٥) أبو داود (٤٢٥٢)وابن ماجه (٣٩٥٢).

قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتم كما قال أهل الكتاب لموسى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾» ثم قال الرسول ﷺ: «إنكمستركبون سنن من كان قبلكم»[(١)].

وقوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم» وقع على سبيل الذم.

وقد وردت أحاديث فيها الأمر بمخالفة اليهود والنصارى في أشياء مخصوصة منها: ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ»[(٢)].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقوم في الجنازة حتى توضع في اللحد، فمرَّ به حَبرٌ من اليهود فقال: هكذا نفعل، فجلس النبي ﷺ وقال: «اجلسوا، خالفوهم»[(٣)].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَىٰ وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ»[(٤)]. وفي رواية عند مسلم: «خَالِفُوا الْمَجُوسَ»[(٥)].

وفي رواية عند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: «أَعْفُوا اللِّحَىٰ وَخُذُوا الشَّوَارِبَ وَغَيِّرُوا شَيْبَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ»[(٦)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ. عَجِّلُوا الْفِطْرَ فَإِنَّ الْيَهُودَ يُؤَخِّرُونَ»[(٧)].

قال ابنُ تيمية: «كما أُمرنا بتعجيل الفطر والمغرب؛ مخالفة لأهل الكتاب

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٢)، والترمذي (٢١٨٠) والطيالسي في مسنده رقم (١٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩٩). ومسلم (٢١٠٣).

(٣) سنن أبي داود (٣١٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٩٢) واللفظ له. ومسلم (٢٥٩).

(٥) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٦٠).

(٦) أخرجه أحمد (٨٦٥٧).

(٧) سنن ابن ماجه (١٦٨٨).

وبتأخير السحور، مخالفة لأهل الكتاب وكما أمرنا بالصلاة في النعلين مخالفة لليهود وهذا كثير في العبادات وكذلك في العادات، قال رسول الله ﷺ: «اللحد لنا، والشق لغيرنا»، وسن توجيه قبور المسلمين إلى الكعبة تمييزاً لها عن مقابر الكافرين، فإن أصل الدفن من الأمور المشروعة في الأمور العادية»(١).

ونهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب معللاً ذلك النهي بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار، ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى وأكثر الناس قد لا يعلمون(٢).

وروى البخاري عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أنها كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ المصلي يَدَهُ فِي خَاصِرَتِهِ وَتَقُولُ إِنَّ الْيَهُودَ تَفْعَلُهُ(٣).

وعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: «من بنى ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة»(٤).

وقال شيخ الإسلام: بعدما ذكر حديث: «من تشبه بقومٍ فهو منهم»: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة»، فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرا أو معصية أو شعارا لها

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٧٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٩).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٣٤.

كان حكمه كذلك»[١].

وقال رحمه الله في أثر عبدالله بن عمر: «من بنى ببلاد الأعاجم...»: «وهذا يقتضي أنه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار، وإن كان الأول ظاهر لفظه، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية؛ لأنه لو لم يكن مؤثرا في استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزءا من المقتضي إذ المباح لا يعاقب عليه وليس الذم على بعض ذلك مشروطاً ببعض، لأن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً، وإنما ذكر - والله أعلم - من بني ببلادهم لأنهم على عهد عبد الله بن عمرو وغيره من الصحابة كانوا ممنوعين من إظهار أعيادهم بدار الإسلام وما كان أحد من المسلمين يتشبه بهم في عيدهم، وإنما كان يتمكن من ذلك بكونه في أرضهم»[٢].

فوائد:

❖ **أنواع التشبه بالكفار:**

التشبه بالكفار منه ما هو كفر ومنه ما هو دون ذلك

أ - التشبه المطلق بالكفار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»: «فقد يحمل هذا[٣] على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك»[٤].

ب - تعظيم شعيرة من شعائرهم:

وفي الفتاوى الصغرى: «ومن اشترى يوم النيروز شيئاً ولم يكن يشتريه قبل ذلك، إن أراد به تعظيم النيروز كفر، وإن اتفق الشراء ولم يعلم أن هذا اليوم يوم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٣) يعني حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم».

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم١/ ٢٣٨.

النيروز لا يكفر»[١].

وفي كتب أصحاب أبي حنيفة من أهدىٰ لهم يوم عيدهم بطيخة بقصد تعظيم العيد فقد كفر[٢].

ونقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن العيد فقال: «لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال، ولا إيقاد نيران، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك ولا يحل فعل وليمةولا الإهداء ولا البيع بما يُستعان به علىٰ ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار زينة، وبالجملة ليس لهم أن يخصوا عيدهم بشيء من شعائرهم، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم، وأما إذا أصابه المسلمون قصداً، فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء، بل قد ذهب طائفة من العلماء إلىٰ كفر من يفعل هذه الأمور لما فيها من تعظيم شعائر الكفر، وقال طائفة منهم: من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيراً»[٣].

وجاء في فتوىٰ اللجنة الدائمة للافتاء في حكم لبس الصليب ما نصه: «التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب فإذا بين له حكم لبس الصليب وأنه شعار النصارىٰ، ودليل علىٰ أن لابسه راض بانتسابه إليهم والرضا بما هم عليه وأصر علىٰ ذلك، حكم بكفره لقوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر، وفيه إظهار لموافقة

(١) رسالة ألفاظ الكفر ص٤٣، ٤٥، وانظر: البحر الرايق لابن نجيم ٥/ ١٣٣، وشرح الفقه الأكبر لملا علي قاري ص٢٨٢، والفتاوىٰ البزازية ٣/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) أحكام أهل الذمة ٢/ ٧٢٢.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢٥/ ٣٢٩، ٣٣٠.

النصارىٰ علىٰ ما زعموه من قتل عيسىٰ عليه السلام، والله سبحانه قد نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم حيث قال عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]»[١].

❖ **وقد ذكر بعض العلماء أنواعًا أخرى:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: «فليس للمسلم أن يخص خميسهم الحقير لا بتجديد طعام الرز والعدس والبيض المصبوغ وغير ذلك، ولا بالتجمل بالثياب، ولا بصبغ دواب، ولا بنشر ثياب ولا غير ذلك، ومن فعل ذلك علىٰ وجه العبادة والتقرب به واعتقاد التبرر به فإنه يعّرف دين الإسلام، وأن هذا ليس منه بل هو ضده، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل، وليس لأحد أن يجيب دعوة مسلم يعمل في أعيادهم مثل هذه الأطعمة، ولا يحل له أن يأكل من ذلك بل لو ذبحوا هم في أعيادهم شيئاً لأنفسهم ففي جواز أكل المسلم من ذلك نزاع بين العلماء، والأصح: عدم الجواز لكونهم يذبحونها علىٰ وجه القربان، فصار من جنس ما ذبح علىٰ النصب، وما أهلَّ به لغير الله . وأما ذبح المسلم لنفسه في أعيادهم علىٰ وجه القربة فكفر بيّن كالذبح للنصب»[٢].

وقال أيضاً: «وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمىٰ بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارىٰ فمنهي عنها فمن زار مكانا من هذه الأمكنة معتقدا أن زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل» [٣].

وقال الخرشي: «وكذلك يكون مرتدا إذا شد الزنار [٣] في وسطه؛ لأن هذا فعلٌ

(١) فتاوىٰ اللجنة ٢/ ٧٨، ١١٩.

(٢) مختصر الفتاوىٰ المصرية ص٥١١، ٥١٢.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ١٤.

(٤) الزنار هو ما يلبسه الذمي يشده علىٰ وسطه. انظر لسان العرب ٤/ ٣٣٠.

يتضمن الكفر ...ومثله فعل شيء مما يختص بزي الكفار، ولا بد أن ينضم إلىٰ ذلك المشي إلىٰ الكنيسة ونحوه، وقيد أيضا بما إذا فعله في بلاد الإسلام»(١).

* ٢ - **جاء الإجماع علىٰ حرمة التشبه والنهي عنه:** قال ابنُ تَيمِيَّةَ في الاقتضاء: «وإنما الغرض بيان ما اتفق عليه العلماء من كراهة التشبه بغير أهل الإسلام وقد يتردد العلماء في بعض هذه القاعدة لتعارض الأدلة فيها أو لعدم اعتقاد بعضهم اندراجه في هذه القاعدة...»(٢).

وقال: «وأما ما في هذا الباب عن سائر أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وسائر الفقهاء فأكثر من أن يمكن ذكر عشره وقد قدمنا في أثناء الحديث كلام بعضهم الذي يدل علىٰ كلام الباقين وبدون ما ذكرناه يعلم إجماع الأمة علىٰ كراهة التشبه بأهل الكتاب والأعاجم في الجملة ...»(٣).

وقال الشيخ أحمد شاكر: «هذا الحديث(٤) يدل بالنص الصريح علىٰ حرمة التشبه بالكفار في الملبس في الحياة والمظهر ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا أعني حرمة التشبه بالكفار ...»(٥).

وقد تقدم قول شيخ الإسلام: بعدما ذكر حديث: «من تشبه بقومٍ فهو منهم»: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم إلىٰ أن قال: وقد يحمل

---

(١) الخرشي علىٰ مختصر خليل ٨/ ٦٣، وهناك نقول أخرىٰ، البحر الرائق ٥/ ١٣٣، وانظر شرح ألفاظ الكفر ص ٢٠٠، ٢٠١، الإعلام بقواطع الإسلام ص ٣٦٣، الشفا للقاضيعياض ٢/ ١٠٧٢، ١٠٧٣، شرح ألفاظ الكفر ص ٢٠٣.

(٢) الاقتضاء ١/ ٣٥٥.

(٣) الاقتضاء ١/ ٣٥٩.

(٤) يعني حديث عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ رأىٰ عليه ثوبين معصفرين قال: «ثياب الكفار، لا تلبسها» أخرجه أحمد في المسند (٦٥١٣).

(٥) تحقيق المسند ١٠/ ١٩.

على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرا أو معصية أو شعارا لها كان حكمه كذلك»[١].

٣ - ضابط التشبه بالكفار:

هناك أمور مشتركة ليست من خصائص الكفرة وليس لهم فيها سمة تخصهم بل يشترك فيها المسلم والكافر ويشترك فيها الناس كلهم كتعلم الصناعات والعلوم الدنيوية التي لا تخل بعقيدة المسلم وكاتخاذ القوة وصناعة السلاح والانتفاع مما أباح الله من زينة الأنعام وأكل الطيبات من الرزق، فهذه الأمور المشتركة قد تكون مباحة وقد يكون الأخذ بها واجب كإعداد القوة للجهاد وهذه الأمور وإن ابتدأ بأخذها أهل الكتاب أو غيرهم فالأخذ بها جائز ومن الأمثلة على ذلك حفر الخندق واستعمال المنجنيق وتدوين الدواوين وقد أقر النبي ﷺ بعض أمور الجاهلية كالقسامة[٢].

ولكن من الأمور المشتركة ما يكون محرما بعد الإباحة؛ لأن الكفار اتخذوه من خصائصهم فصار شعاراً لهم قال الذهبي: «ألا ترى أن العمامة الزرقاء والصفراء كان لباسهما لنا حلالا قبل اليوم وفي عام سبعمائة لما ألزمهم السلطان الناصر بلبسهم حرمت علينا»[٣].

وقال في كشاف القناع: «قال الشيخ: ولما صارت العمامة الصفراء أو الزرقاء من شعارهم حرم لبسها»[٤].

وبهذا يعلم أن الأحكام في النهي عن التشبه بهم منصبة فيما هو من خصائصهم وتقاليدهم فالتشبه منه ما هو كفر أو وسيلة إليه ومنه ما هو محرم ظاهر التحريم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) صحيح مسلم (١٦٦٩)، وانظر السنن والآثار لسهيل ص ٦٥.

(٣) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص ٢٥.

(٤) كشاف القناع للبهوتي ١/ ٢٠، وانظر تشبيه الخسيس ص١٩٣.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «لاريب أن ضابط التشبه بهم هو فعل ما هو من خصائصهم»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «مقياس التشبه أن يفعل المتشبه ما يختص به المتشبه به فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئاً من خصائصهم أما ماانتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبهاً فلا يكون حراماً من أجل أنه تشبه إلا أن يكون محرماً من جهة أخرىٰ، وهذا الذي قلناه هو مقتضىٰ مدلول هذه الكلمة وقد صرح بمثله صاحب الفتح»[2].

وسئل عن الضابط في مسألة التشبه بالكفار فأجاب بقولـه: «التشبه بالكفار يكون في المظهر واللباس والمأكل وغير ذلك لأنها كلمة عامة، ومعناها أن يقوم الإنسان بشيء يختص به الكفار بحيث يدل من رآه أنه من الكفار، وهذا هو الضابط، أما إذا كان الشيء قد شاع بين المسلمين وصار عاماً بين المسلمين والكفار فإن التشبه يجوز وإن كان أصله مأخوذاً من الكفار ما لم يكن محرماً لعينه كلباس الحرير»[3].

٤ - يجب إنكار التشبه ولا يجوز الإعانة عليه:

قال شيخ الإسلام: «فلا يُعان المسلم المتشبه بهم في ذلك، بل يُنهىٰ عن ذلك.

فمن صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تجب دعوته، ومن أهدىٰ من المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات لم تُقبل هديته، خصوصاً إن كانت الهدية مما يُستعان به علىٰ التشبه بهم، مثل إهداء الشمع ونحوه في الميلاد، وإهداء البيض واللبن والغنم في الخميس الصغير الذي في آخر صومهم، وهو الخميس الحقير، ولا يبايع المسلم ما يستعين به المسلمون علىٰ

(١) فتاوىٰ محمد بن إبراهيم ٦/ ٢٣١.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ٤٧.

(٣) مجموع دروس وفتاوىٰ الحرم المكي ٣/ ٣٦٧.

مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس والبخور؛ لأن في ذلك إعانة على المنكر»[١].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في شأن التشبه بالكفار في أعيادهم: «فبئس المربي أنت أيها المسلم إذا لم تَنْهَ أهلك وأولادك عن ذلك، وتُعرِّفهم أن ذلك عند النصارى، لا يحلُّ لنا أن نشاركهم ونشابههم فيه... وكل من علم شيئاً وعمل بخلافه عاقبه الله يوم القيامة، ويجب على وليِّ الأمر القيام في ترك هذا بكل ممكن، فإن في بقائه تجرّياً لأهل الصليب على إظهار شعارهم... فينبغي لكل مسلم أن يجتنب أعيادهم، ويصون نفسه وحريمه وأولاده عن ذلك، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر»[٢].

والإعانة على التشبه والممشاركة فيه تفضي إلى الميل إلى الكفار وموافقتهم واتباعهم ومحبتهم وموالاتهم[٣] والتشبه القليل يفضي إلى الكثير قال الذهبي رحمه الله: «وفعل اليسير من ذلك يجر إلى الكثير»[٤]. قال حذيفة رضي الله عنه: «من تشبه بقوم فهو منهم ولا يشبه الزي الزي حتى يشبه الخُلُقُ الخلق».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يشبه الزيُّ الزيَّ حتى تشبه القلُوبُ القلوبَ»[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن المشاركة في الهدي الظاهر: تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم ـ مثلاً ـ يجد من نفسه نوع انضمام إليهم،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣١٩، ٣٢٠.
(٢) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص٣١، ٣٢.
(٣) الاقتضاء ١/ ٤٨٨.
(٤) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص ٣٧.
(٥) تشبه الخسيس بأهل الخميس ص٤٩.

واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً ـ يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضيا لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها أن المخالفة في الهدي الظاهر: توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلىٰ أهل الهدىٰ والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارىٰ باطناً وظاهراً أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر: توجب الاختلاط الظاهر حتىٰ يرتفع التميز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلىٰ غير ذلك من الأسباب الحكمية»[1].

قال أبو العباس بن تيمية رحمه الله: «وقد رأينا اليهود والنصارىٰ الذين عاشروا المسلمين هم أقلُّ كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارىٰ هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام اهـ.

والمتشبه بالكفار مع ما يجد من قلبه ميلا إليهم وأنسا بهم فإنه يجد نفورا وابتعادا عمن ترك التشبه به كما أن تعظيم الكفار واستحسان هيآتهم وأخلاقهم يدعوهم إلىٰ استحسان كل ما هم عليه وكل ما يتصفون به من معاملات وهيئة وعادات.

قال ابن القيم: «ونهىٰ عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلىٰ الموافقة الباطنة فأنه إذا أشبه الهدي الهدي

---

(١) الاقتضاء ١/ ٧٩-٨٠.

أشبه القلب القلب وقد قال خالف هدينا هدي الكفار...»[(١)].

٥- حكم التشبه بهم في أعيادهم وما أحدثوه من العبادات أو العادات:

وقد تقدم بعض النقول في ذلك.

قال ابن تيمية: «بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه، أما مبدؤها فأقل أحواله أن يكون معصية»[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «الوجه الثالث من الاعتبار يدل أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك[(٣)] أدى إلى فعل الكثير ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس بل عيدا حتى يضاهى بعيد الله بل قد يزيد عليه حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام فيما يفعلونه في آخر صوم النصارى من الهدايا والأفراح والنفقات وكسوة الأولاد وغير ذلك مما يصير به مثل عيد المسلمين بل البلاد المصاقبة[(٤)] للنصارى التي قل علم أهلها وإيمانهم قد صار ذلك أغلب عندهم وأبهى في نفوسهم من عيد الله ورسوله على ما حدثني به الثقات»[(٥)].

وقال أيضاً: «أما القسم الثالث: وهو ما أحدثوه من العبادات أو العادات، أو

---

(١) اغاثة اللهفان ١/ ٣٦٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧١، ٤٧٢.

(٣) أي إقامة الأعياد.

(٤) أي: أي الملاصقة والقريبة. قال ابن منظور: مكان صَقَب، وصَقِب: أي قريب، وهذا أصقب من هذا أي أقرب. وفي الحديث: «الجار أحق بصقبه». قال ابن الأنباري: أراد بالصَّقَب الملاصقة والقرب. [لسان العرب: ق رب].

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧٣، ٤٧٤ .

كليهما فهو أقبح، فإنه لو أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحاً، فكيف إذا كان مما لم يشرعه نبي قط؟ بل أحدثه الكافرون، فالموافقة فيه ظاهرة القبح. فهذا أصل.

وأصل آخر وهو: أن كل ما يشابهون فيه: من عبادة أو عادة، أو كليهما هو من المحدثات في هذه الأمة ومن البدع، إذ الكلام في ما كان من خصائصهم وأما ما كان مشروعاً لنا، وقد فعله سلفنا السابقون فلا كلام فيه»[(١)].

وأما تقليدهم فيما هو من عاداتهم السيئة وأخلاقهم الذميمة كالتختم بالذهب والتحلي به للرجال وحلق اللحى [(٢)] وغير ذلك وهذا باب واسع، وكله محرم وداخل في قولـه ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

٦ـ ينهى عن التشبه ولو لم يقصد:

تقدم قول ابن تيمية رحمه الله: «... فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً، ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه ففي كون هذا تشبهاً نظر. ولكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة، كما أمر بصبغ اللحى وإحفاء الشوارب، مع أن قولـه ﷺ: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود». دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير قصد منا ولا فعل. بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا، وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية، الاتفاقية»[(٣)].

وقال: «ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله إلى حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد له صمداً، ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة وإن لم يكن العابد يقصد ذلك، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٣.

(٢) انظر رسالة الدكتور ناصر العقل بعنوان «من تشبه بقوم فهو منهم».

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٣٨.

الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك؛ لما فيه من مشابهة السجود لغير الله، فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الأوقات، وكما لا يصلى إلى القبلة التي يصلون إليها كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بل هذا أشد».

وقال رحمه الله: «وقد تقدم بيان أن ما أمرنا الله ورسوله به من مخالفتهم مشروع سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم أو لم يقصد، وكذلك ما نهى عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قُصدت مشابهتهم أو لم تقصد فإن عامة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها مالا يُتصور قصد المشابهة فيه كبياض الشعر وطول الشارب ونحو ذلك».

وقال الشيخ ابن عثيمين: «... ولهذا لو أن إنساناً لبس لبساً يختص بالكفار ثم قال أنا لا أقصد التشبه بهم نقول التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده، وكذلك لو أن أحداً تشبه بامرأة في لباسها أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال ما أردت التشبه قلنا له حصل التشبه»[١].

٧- المقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطناً:

قال ابن القيم: «والمقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقتهم ومشابهتهم باطنا والنبي سن لأمته ترك التشبه بهم بكل طريق»[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «والفعل إذا كان يفضي إلا مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه كما نهى عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك وليس في قصد الصلاة في تلك الأوقات مصلحة راجحة لإمكان التطوع في غير ذلك من الأوقات»[٣].

---

(١) القول المفيد ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) القول المفيد ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٦٤.

٨ - حكم مشابهة الكفار فيما ليس من شرعنا:

قال أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فصل: مشابهتهم فيما ليس من شرعنا قسمان:

أحدهما: مع العلم بأن هذا العمل هو من خصائص دينهم فهذا العمل الذي هو من خصائص دينهم إما أن يفعل لمجرد موافقتهم وهو قليل وإما لشهوة تتعلق بذلك العمل وإما لشبهة فيه تخيل أنه نافع في الدنيا وفي الآخرة وكل هذا لا شك في تحريمه لكن يبلغ التحريم في بعضه إلى أن يكون من الكبائر وقد يصير كفراً بحسب الأدلة الشرعية، وإما عمل لم يعلم الفاعل أنه من عملهم فهو نوعان:

أحدهما: ما كان في الأصل مأخوذا عنهم إما على الوجه الذي يفعلونه وإما مع نوع تغيير في الزمان أو المكان أو الفعل ونحو ذلك فهو غالب ما يبتلى به العامة في مثل ما يصنعونه في الخميس الحقير والميلاد ونحوهما فإنهم قد نشئوا على اعتياد ذلك وتلقاه الأبناء عن الآباء وأكثرهم لا يعلمون مبدأ ذلك فهذا يعرف صاحبه حكمه فإن لم ينته وإلا صار من القسم الأول.

النوع الثاني: ما ليس في الأصل مأخوذاً عنهم لكنهم يفعلونه أيضاً، فهذا ليس فيه محذور المشابهة ولكن قد تفوت فيه منفعة المخالفة فتوقف كراهة ذلك وتحريمه على دليل شرعي وراء كونه من مشابهتهم، إذ ليس كوننا تشبهنا بهم بأولى من كونهم تشبهوا بنا، فأما استحباب تركه لمصلحة المخالفة إذا لم يكن في تركه ضرر فظاهر لما تقدم من المخالفة، وهذا قد توجب الشريعة مخالفتهم فيه وقد توجب عليهم مخالفتنا كما في الزي ونحوه وقد يقتصر على الاستحباب كما في صبغ اللحية والصلاة في النعلين والسجود، وقد تبلغ إلى الكراهة كما في تأخير المغرب والفطور بخلاف مشابهتهم فيما كان مأخوذاً عنهم فإن الأصل فيه

التحريم لما قدمنا»(١).

٩- وقوع ما أخبر به النبي ﷺ في قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم»:

هذا الحديث وقع على سبيل الذم وقد تشبه الناس بهم في عقائدهم وعباداتهم وشركياتهم وعاداتهم كما أخبر النبي ﷺ وأخبر أنه لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات و العزى و حتى تضطرب أليات دوس حول ذي الخلصة صنم كان لهم في الجاهلية وإليك ماسطره العلماء في ذلك:

قال الإمام ابن القيم: «وما أكثر الخلف لهؤلاء في اتخاذ إله مجعول فكل من اتخذ إلها غير الله فقد اتخذ إلها مجعولا وقد ثبت عن النبي أنه كان في بعض غزواته فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون أسلحتهم وشاراتهم وثيابهم يسمونها ذات أنواط فقال بعضهم: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: الله أكبر! قلتم كما قال قوم موسى لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ثم قال: لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»(٢).

وقال رحمه الله: «لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركاً عندها وبها والله المستعان ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق

(١) الاقتضاء ١/ ٤٩١، ٤٩٢.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٣٠٠.

وتميت وتحيي وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ودعاء المقبور من أعظم الوسائل إلىٰ ذلك وقد قدم بعض الشيوخِ المشرقَ و تكلم معي في هذا فبينت لـه فساد هذا فقال أليس قد قال النبي ﷺ: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور». فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث، و بسبب هذا و أمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة...»»[٢].

وقال أيضاً: «وفي الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن؟» هذا خبر تصديقه في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسري في المنتسبين إلىٰ الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة، فإن كثيرا من أحوال اليهود قد ابتلىٰ به بعض المنتسبين إلىٰ العلم، وكثيرا من أحوال النصارىٰ قد ابتلي به بعض المنتسبين إلىٰ الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ ثم نزله علىٰ أحوال الناس، وإذا كان الأمر كذلك فمن شرح الله صدره للإسلام فهو علىٰ نور من ربه وكان ميتا فأحياه الله

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٦٠٥.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد علىٰ البكري ٢/ ٥٧٧.

وجعل لـه نوراً يمشي به في الناس لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية وطريق الأمتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارىٰ، فيرىٰ أن قد ابتلي ببعض ذلك فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو اتباع السيئات الحسنات»[1].

١٠ـ يمنع الكفار من التشبه بالمسلمين:

قال ابن القيم: «فلما فتح الله علىٰ المسلمين أمصار الكفار وملكهم ديارهم وأموالهم وصاروا تحت القهر والذل وجرت عليهم أحكام الإسلام ألزمهم الخليفة الراشد والإمام العدل الذي ضرب الله الحق علىٰ لسانه وقلبه وأمر رسول الله باتباع سنته عمر بن الخطاب بالغيار ووافقه عليه جميع الصحابة واتبعه الأئمة والخلفاء بعده وإنما قصر في هذا من الملوك من قلت رغبته في نصر الإسلام وإعزاز أهله وإذلال الكفر وأهله، وقد اتفق علماء المسلمين علىٰ وجوب إلزامهم بالغيار وأنهم يمنعون من التشبه بالمسلمين في زيهم»[2].

قال ابن القيم: «قالوا: ولا نتكلم بكلامهم،هذا الشرط في أهل الكتاب الذي لغتهم غير لغة العرب كنصارىٰ الشام والجزيرة إذ ذاك وغيرهما من البلاد دون نصارىٰ العرب الذين لم تكن لغتهم غير العربية فمنعهم عمر من التكلم بكلام العرب لئلا يتشبهوا بهم في كلامهم كما منعوا من التشبه بهم في زيهم ولباسهم ومراكبهم وهيئات شعورهم فألزمهم التكلم بلسانهم ليعرفوا حين التكلم أنهم كفار فيكون هذا من كمال التميز مع ما في ذلك من تعظيم كلام العرب ولغتهم حيث لم يسلط عليها الأنجاس والأخابث يتبذلونها ويتكلمون بها كيف وقد أنزل

---

(١) الزهد ١/ ٨٨ وانظر درء التعارض ٦/ ١٩٧. و الجواب الصحيح ١/ ٩٣.

(٢) أحكام أهل الذمة ٣/ ١٢٩٩.

الله بها أشرف كتبه ومدحه بلسان عربي»[١].

١١ـ أثر التكلم بالعربية وترك الأعجمية:

قال أبو العباس بن تيمية رحمه الله: «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجب على الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي، وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العربية، فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم. وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله»[٢].

١٢ - ذكر أصناف ينهى عن التشبه بهم:

قال ابن القيم: «وأما زي العجم فلأن المشابهة في الزي الظاهر تدعو إلى الموافقة في الهدي الباطن كما دل عليه الشرع والعقل والحس ولهذا جاءت الشريعة بالمنع من التشبه بالكفار والحيوانات والشياطين والنساء والأعراب وكل ناقص حتى نهى في الصلاة عن التشبه بشبه أنواع من الحيوان يفعلها أو كثيرا منها الجهال، نهى عن نقر كنقر الغراب والتفات كالتفات الثعلب وإقعاء كإقعاء الكلب

---

(١) أحكام أهل الذمة٣/ ١٣١٣.

(٢) الاقتضاء ١/ ٤٧٠، وانظر ص ٤٦٢ من المصدر نفسه.

وافتراش كافتراش السبع وبروك كبروك الجمل ورفع الأيدي يمينا وشمالا عند السلام كأذناب الخيل، ونهيعن التشبه بالشياطين في الأكل والشرب بالشمال وفي سائر خصال الشيطان، ونهى عن التشبه بالكفار في زيهم وكلامهم وهديهم، حتى نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح، فإن الكفار يسجدون للشمس في هذين الوقتين، ونهى عن التشبه بالأعراب وهم أهل الجفاء والبدو فقال: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العتمة وإنها العشاء في كتاب الله»، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء»[(١)].

ويلاحظ في ذكر هذه الأصناف ما سبق من ضابط التشبه عموماً وأنه متعلق بخصائصهم، وللتفصيل نوضح بعض أصناف ما ينهى عن التشبه بهم مع ذكر بعض خصائصهم:

١ - الكفار عموماً، فورد النهي عن التشبه بـ:

أ- المجوس: ومن خصائص المجوس، الصلاة إلى النار وعبادتها، وتقديس الملوك والعظماء، وحلق القفا أي مؤخرة شعر الرأس دون المقدمة، وحلق اللحى، وتطويل الشوارب والزمزمة وهي الصفير واتخاذ آنية الذهب والفضة.

ب- الفرس، والروم: وهذا يشمل أهل الكتاب، والمجوس وغيرهم. فقد نهينا أيضاً عما هو من خصائصهم من عبادات وعادات، وطقوس، مثل تعظيم وتقديس الكبراء والسادة، وطاعة الأحبار والرهبان مع تشريع ما لم يشرعه الله، والتنطع والتشدد في الدين.

ج- الأعاجم غير المسلمين: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك العجم، وهم مَنْ سوى العرب من الفرس والروم والترك والبربر والحبشة وغيرهم

---

(١) الفروسية ١٢٢.

ينقسمون إلىٰ المؤمن والكافر، والبر والفاجر كانقسام العرب»[١].

والنهي عن التشبه بهم مبني علىٰ قول النبي ﷺ حينما نهىٰ أن يجعل الرجل في أسفل ثيابه حريراً، قال: «مثل الأعاجم أو يجعل علىٰ منكبيه حريراً مثل الأعاجم»[٢] ونهىٰ النبي ﷺ أيضاً أن يقوم الناس للرجل تعظيماً لـه. بل إنه نهىٰ أن يقوم المأموم والإمام قاعد لعلة، خشية من أن يفهم أن ذلك علىٰ سبيل التعظيم، فقال: «لا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها»[١] وعند مسلم: «إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون علىٰ ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا»[٤] وفي رواية: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً»[٥]. وثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه نهىٰ عن زي العجم، وزي المشركين، أشد النهي وقد أشار إلىٰ مثل ذلك كثير من السلف.

٢- الجاهلية وأهلها:

الجاهلية اسم لما كان قبل الإسلام، وقد جاء النهي عن كل ما هو من أعمال الجاهلية التي لم يقرها الإسلام ومن أخلاقها، وعبادتها، وعاداتها، وشعاراتها، مثل السفور، وتبرج النساء، وبروز المُحرِم للشمس بغير ظل، فإن هذا من أعمال الجاهلية، ومن أعمال المشركين، وكذلك التعرِّي، أي إظهار العورة، أو شيء منها، والعصبية القومية، والفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، والنياحة والاستقساء بالنجوم، فقد ألغىٰ النبي ﷺ حينما جاء الإسلام كثيراً من أحوال

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٦٣.

(٢) جاء ذلك في حديث أخرجه أبو داود (٤٠٤٩). وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٣٠٤.

(٣) أخرجه أبو داود (٦٠٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤١٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠).

الجاهلية، وأعرافها، وعاداتها، وتقاليدها، وتشريعاتها.

وكل ما نهى عنه لأنه من أمر الجاهلية فهو مذموم، وفي الحديث: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع».

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم: «فقوله ﷺ: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» يدخل فيه كل ما كانوا عليه من العبادات والعادات، ولا يدخل فيه ما كانوا عليه من الجاهلية وأقرَّه الله تعالى في الإسلام كالمناسك والدية والقسامة؛ لأن أمر الجاهلية معناه المفهوم منها ما كانوا عليه مما لا يقره الإسلام فيدخل في ذلك ما كانوا عليه وإن لم ينه في الإسلام عنه بعينه»[(١)].

وسوف يأتي مزيد بحث عن هذا في باب الجاهلية.

٣- الفساق:

عند شرح حديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»[(٢)] قال المناوي: «وبأبلغ من ذلك صرح القرطبي فقال لو خُص أهل الفسوق والمجون بلباس منع لبسه لغيرهم فقد يظن به من لا يعرفه أنه منهم فيظن به ظن السوء فيأثم الظان والمظنون فيه بسبب العون فيه»[(٣)].

وقال الصنعاني: «والحديث دال على أنه من تشبه بالفساق كان منهم أو بالكفار أو بالمبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة...»[(٤)].

---

(١) مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين ٧/ ١٧٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فيض القدير ٦/ ١٠٤.

(٤) السبل ٣/ ٣٣٨.

٤ - الشيطان:

ممن نهينا عن التشبه بهم الشيطان. فقد ذكر النبي ﷺ، وبعض أفعال الشيطان، ونهى عنها، كالأكل والشرب باليد اليسرى، وقد روى مسلم وغيره أن النبي، ﷺ قال: «لا يأكلنّ أحدكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»[(١)].

قال الإمام ابن تيمية: «ومما يشبه الأمر بمخالفة الكفار الأمر بمخالفة الشياطين كما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»، ثم ذكر ألفاظ الحديث وقال: فإنه علَّل النهي بالأكل والشرب بالشمال بأن الشيطان يفعل ذلك فعلم أن مخالفة الشيطان أمر مقصود مأمور به»[(٢)].

٥ - الأعراب الذين لم يكمل دينهم:

والمقصود كما قال الإمام ابن تيمية: «مخالفة من لم يكمل دينه من الأعراب ونحوهم؛ لأن كمال الدين بالهجرة، فكان من آمن ولم يهاجر من الأعراب ونحوهم ناقصاً»[(٣)].

وقد جاء النهي عن موافقة الأعراب في اسم المغرب والعشاء بالعشاء والعتمة. وليس التشبه بالأعراب كالتشبه بالكفار، قال ابن تيمية: «واعلم أن بين التشبه بالكفار والشياطين، وبين التشبه بالأعراب والأعاجم فرقاً يجب اعتباره، وإجمالاً يحتاج إلى تفسير، وذلك: أن نفس الكفر والتشيطن مذموم في حكم الله ورسوله وعباده المؤمنين، ونفس الأعرابية والأعجمية ليست مذمومة عند الله تعالى وعند

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ابن تيمية ٢/ ١٤١.

(٣) اقتضاء الصراط ١/ ١٤٢.

رسوله وعند عباده المؤمنين، بل الأعراب منقسمون: إلى أهل جفاء، وإلى أهل إيمان وبر.

وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ ممن وفد عليه ومن غيرهم من الأعراب من هو أفضل من كثير من القرويين، فهذا كتاب الله يحمد بعض الأعراب، ويذم بعضهم، وكذلك فعل بأهل الأمصار»[(١)].

٦- البهائم:

قال ابن تيمية: «التشبه بالبهائم في الأمور المذمومة في الشرع مذموم، منهي عنه: في أصواتها وأفعالها، ونحو ذلك مثل أن ينبح نبيح الكلاب، أو ينهق نهيق الحمير، ونحو ذلك... قررنا في اقتضاء الصراط المستقيم نهي الشارع عن التشبه بالآدميين الذين جنسهم ناقص كالتشبه بالأعراب والعجم وبأهل الكتاب ونحو ذلك في أمور من خصائصهم وبينا أن من أسباب ذلك أن المشابهة تورث مشابهة الأخلاق وذكرنا أن من أكثر عشرة بعض الدواب اكتسب من أخلاقها كالكلابين والجمالين وذكرنا ما في النصوص من ذم أهل الجفاء وقسوة القلوب أهل الإبل ومن مدح أهل الغنم فكيف يكون التشبه بنفس البهائم فيما هي مذمومة، بل هذه القاعدة تقتضي بطريق التنبيه النهي عن التشبه بالبهائم مطلقا فيما هو من خصائصها وإن لم يكن مذموماً بعينه؛ لأن ذلك يدعو إلى فعل ما هو مذموم بعينه، إذ من المعلوم أن كون الشخص أعرابياً أو عجمياً خير من كونه كلباً أو حماراً أو خنزيراً فإذا وقع النهي عن التشبه بهذا الصنف من الآدميين في خصائصه لكون ذلك تشبها فيما يستلزم النقص ويدعو إليه فالتشبه بالبهائم فيما هو من خصائصها أولى أن يكون مذموماً ومنهيا عنه»[(٢)].

---

(١) اقتضاء الصراط ١/ ٣٦٢، ٣٦٣ باختصار.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.

قال ابن القيم: «الثاني: أن النبي ﷺ نهى عن التشبه بالجمل في بروكه، والجمل إذا برك إنما يبدأ بيديه قبل ركبتيه وهذا موافق لنهيه ﷺ عن التشبه بالحيوانات في الصلاة،فنهى عن التشبه بالغراب في النقر والتفات كالتفات ثعلب، وافتراش كافتراش السبع، وإقعاء كإقعاء الكلب ورفع الأيدي في السلام كأذناب الخيل وبروك كبروك البعير»[1].

٧- تشبه الرجال بالنساء و تشبه النساء بالرجال:

أما التشبه بالنساء فملعون فاعله ـ والعياذ بالله ـ وقد جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[2]. قال الطبري: «المعنى لا يجوز للرجل التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس...»[3].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[4].

ولا شك أن من فعل شيئاً من ذلك فإنه مستوجب للوعيد وهو اللعن، وضابط التشبه المعتبر في ذلك هو الغالب، فما كان من لباس الرجل وزينته غالباً فتنهى المرأة عنه، وما كان من لباس المرأة وزينتها غالباً فينهى الرجل عنه، فتشبه الرجل بالمرأة في لباسها وزينتها التي تختص بها، وفي كلامها وحركتها وغير ذلك محرم، وكذا تشبه المرأة بالرجل فيما ذكر وكل ما اختص به الرجال شرعاً أو عرفاً منع منه النساء، وكل ما اختصت النساء به شرعاً أو عرفاً منع منه الرجال، وما ورد من دليل

---

(١) حاشية ابن القيم ٣/ ٥٢، زاد المعاد ١/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

(٣) الفتح ١٠/ ٣٤٥.

(٤) أخرجه أبوداود (٤٠٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٤).

في اختصاص أحدهما دون الآخر بشيء فهو المعتبر ولا اعتبار للعرف إذا صادم نصاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... ومن هنا يظهر الضابط في نهيه ﷺ عن تشبه الرجال بالنساء وعن تشبه النساء بالرجال، وأن الأصل في ذلك ليس هو راجعاً إلى مجرد ما يختاره الرجال والنساء ويشتهونه ويعتادونه، فإنه لو كان كذلك لكان إذا اصطلح قوم علىأن يلبس الرجال الخُمر التي تغطي الرأس والوجه والعنق، والجلابيب التي تسدل من فوق الرؤوس حتىلا يظهر من لابسها إلا العينان، وأن تلبس النساء العمائم والأقبية المختصرة ونحو ذلك أن يكون هذا سائغاً، وهذا خلاف النص والإجماع»[1].

وكذلك إذا ورد الدليل الشرعي بجوازه للرجل أو المرأة فإنه لا يختص به أحدهما عن الآخر فإن الرسول ﷺ اتخذ خاتماً من فضة وكان فصه منه، ومعلوم أن حلي الفضة من خواص النساء، وفعل الرسول ﷺ ألغى هذه الخصوصية، ومن الأدلة أيضاً جواز خضاب الرجل لشعر رأسه ولحيته بالحناء، وجواز الأعلام اليسيرة من الحرير لورود الدليل بذلك[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ١٤٦، ١٤٧.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٢٨٤.

٧٨ـ التصوير*

الصور جمع صورة وصوَّره أي جعل له صورة مجسمة وصور الشيء أو الشخص رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما(١) فيدخل في التصوير النقش والتجسيم والرسم بالقلم أو بآلة حديد، والتصاوير: التماثيل(٢) وقد قسّم العلماء الصور إلى قسمين:

١ ـ الصور التي لا ظل لها وهي الرسم فقط أو الصور الشمسية أو ما تسمى بـ (الصور الفوتوغرافية) الموضوعة على الورق أو على الجدار أو على البساط والفراش أو على الأنماط والوسادة، وما إلى ذلك.

٢ ـ الصور التي لها ظل، وهي المصنوعة من جبس أو خشب منجورة أو منقوشة أو من نحاس أو من جلد مدبوغ أو غير ذلك من الصور وهي ما تسمى بـ (التماثيل).

---

* التمهيد لابن عبدالبر ١/ ٣٠٠-٣٠٣، شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٢٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٨٠، ٤٨٥، ٥١٩، الدرر السنية ١٠/ ٣٣٨، ١٥/ ٢٩٥-٣٣١، فتح المجيد ص٥٧٧، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٧١، القول السديد لابن سعدي من مجموعه ٣/ ٥١، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٥٣-٢٨٧، ١٠/ ١٠٢٣. القول المفيد ط١- ٣/ ١٩٩، الدين الخالص ٢/ ٢٢٦-٤٠٨، الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة للسعدي ص٨٥-٨٦، فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٤٥٤، الجواب المفيد في حكم التصوير لابن باز، مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٨٣٤، ٨٩٥، نور على الدرب ٣٢٥، ٣٣٧، آداب الزفاف للألباني ١٠٣، إعلان النكير على المفتونين بالتصوير للشيخ حمود التويجري، الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام للفوزان ٤٤، عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ٢٢٢، ٢٢٩، تحريم التصوير الفوتغرافي لأحمد آل عبدالكريم، التنوير فيما ورد في حكم التصوير لمحمد الغفيلي، أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد بن أحمد علي واصل.

(١) القاموس الفقهي ١/ ٢١٨، المعجم الوسيط ص ٥٢٨.

(٢) مختار الصحاح ص٢٧٨.

قال ابن منظور في لسان العرب: «والتمثال: الصورة، والجمع التماثيل. ومثّل له الشيءَ: صوره حتى كأنه ينظرُ إليه. ومثلتُ له كذا تمثيلاً إذا صورْت لهُ مِثاله بكتابةٍ وغيرها. وظل كل شيءٍ تمثالُهُ، ومثَّل الشيءَ بالشيءِ: سواه وشبَّهَهُ به، وجعله مثله، وعلى مثاله.

والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى، وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به واسم ذلك المُمَثّل تمثال»[١].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب:٥٧].

قال عكرمة: «نزلت في المصورين» ذكره البغوي، في تفسيره[٢] وابن كثير[٣]، ورواه أبو نعيم في الحلية.

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً[٤]، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ

---

(١) لسان العرب لابن منظور (م ث ل)، مادة: مثل. انظر للاستزادة التنوير فيما ورد في حكم التصوير ص١١، ١٢.

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٥٤٣، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٧، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(٤) الذرة بفتح المعجمة وتشديد الراء واحدة الذر، وهو صغار النمل ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، والمراد بالحبة حبة القمح، بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم. والغرض تعجيزهم، تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد، وأخرى بتكليفهم خلق جماد، وهو أهون، ومع ذلك فلا قدرة لهم على شيء منه. وقد يشكل هذا الحديث فيقال: كيف يجمع بين

شَعِيرَةً»[١].

عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»[٢].

وعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[٣]

وروى البخاري عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ وَثَمَنِ الْكَلْبِ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَالْوَاشِمَةَ، وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْمُصَوِّرَ[٤].

وعن ابن عباس ﷺ قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّداً ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[٥].

وخرّج مسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ فَأَفْتِنِي فِيهَا. فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ. قَالَ: أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].

الجواب من وجهين:

الأول: أن المعنى أنها مشتركة في الأظلمية أي أنها في مستوى واحد في كونها في قمة الظلم.

الثاني: أن الأظلمية نسبية أي أنه لا أحد أظلم من هذا في نوع هذا العمل (ابن عثيمين ص ٢١).

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٩)، (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) (٥٩٦٣)، ومسلم(٢١١٠).

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْساً فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» وقَالَ: «إِنْ كُنْتَ لاَبُدَّ فَاعِلاً فَاصْنَعْ الشَّجَرَ وَمَا لاَ نَفْسَ لَهُ»(١).

وخرج الترمذي في جامعه، وقال حسن صحيح عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الصورة في البيت ونهى أن يصنع ذلك»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً(٣) لِي بِقِرَامٍ(٤) فِيهِ تَمَاثِيلُ(٥) فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ(٦) بِخَلْقِ اللهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَطَعْنَاهُ

(١) أخرجه مسلم (٢١١٠). قال النووي: «وأما قوله في رواية ابن عباس (يَجعل له) فهو بفتح الياء من (يَجعل) والفاعل: هو الله تعالى، أُضمر للعلم به قال القاضـي في رواية ابن عباس: يحتمل أن معناها أن الصورة التي صورها هي تعذبه بعد أن يجعل فيها روح وتكون الباء في (بكل) بمعنى (في) قال: ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها شخص يعذبه وتكون «الباء» بمعنى «لام السبب») شرح النووي ١٤/ ٩٠.

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٤٩)، والإمام أحمد (١٤٦٥٠) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) بيت صغير علقت الستر عليه.

(٤) بكسر القاف وتخفيف الراء: ستر فيه رقم ونقش.

(٥) جمع تمثال: وهو الشيء المصور ويكون نقشاً أو دهاناً أو نسجاً في ثوب.

(٦) أي يشابهون. قال الحافظ بن حجر في فتح الباري ١٠/ ٣٢٢: «وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قولـه تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون وأجاب الطبري: بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له، فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط. وأجاب غيره: بأن الرواية بإثبات «من» ثابتة، وبحذفها محمولة عليها، وإذا كان من يفعل التصوير من أشد الناس عذاباً كان مشتركاً مع غيره، وليس في الآية ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشد العذاب، بل هم في العذاب الأشد، فكذلك غيرهم يجوز أن يكون في العذاب الأشد. وقوى الطحاوي ذلك بما أخرجه من وجه آخر عن ابن مسعود رفعه: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبيٌّ، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين» وكذا أخرجه أحمد. وقد وقع بعض هذه الزيادة في رواية ابن أبي عمر التي أشرت =

فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَـادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ[١].

وعنها قالت: قَدِمَ النبي ﷺ من سفر وعلقت درنوكاً[٢] فيه تماثيل، فأمرني أن أنزعه فنزعته. رواه البخاري[٣]. ورواه مسلم بلفظ: «وقد سترت على بابي درنوكاً فيه الخيل ذوات الأجنحة فأمرني فنزعته»[٤].

وعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً[٥] فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُل فَعَرَفت فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقالت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فمَاذَا أَذْنَبْتُ؟ قَالَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قالت: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ ويُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» ثم قَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ»[٦].

زاد مسلم في رواية: قَالَتْ: «فَأَخَذْتُهُ فَجَعَلْتُهُ مِرْفقَتَيْنِ فَكَانَ يَرْتَفِقُ بِهِمَا فِي الْبَيْتِ».

= إليها، فاقتصر على المصور وعلى من قتله نبي. وأخرج الطحاوي أيضاً من حديث عائشة مرفوعاً: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل هجا رجلاً فهجا القبيلة بأسرها». قال الطحاوي: فكل واحد من هؤلاء يشترك مع الآخر في شدة العذاب).

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧).

(٢) بضم الدال المهملة وسكون الراء بعدها نون مضمومة ثم كاف. ويقال فيه: درموك بالميم بدل النون، قال الخطابي: هو ثوب غليظ له خمل إذا فرش فهو بساط، وإذا علق فهو ستر.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٠٧).

(٥) بفتح النون وسكون الميم وضم الراء بعدها قاف، وقيل: في النون الحركات الثلاثة والراء مضمومة جزماً، والجمع نمارق، وهي: الوسائد التي يصف بعضها إلى بعض، وقيل: الوسادة التي يجلس عليها.

(٦) أخرجه البخاري (٥٩٥٧)، ومسلم (٢١٠٧) واللفظ له.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «أن جبريل عليه السلام قال: إنَّا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب»(١).

وخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»(٢).

وخرج أبو داود بسند جيد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «أمر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى محيت كل صورة فيها»(٣).

وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن أسامة قال دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة، ورأى صوراً، فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها، ويقول: «قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون»(٤).

وخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه»(٥). ورواه الكشميهني بلفظ: تصاوير. وترجم عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٠).

(٢) سبق تخريجه. قال الشيخ ابن عثيمين: «ومناسبة ذكر القبر المشرِف مع الصور أن كلاًّ منهما قد يتخذ وسيلة إلى الشرك فإن أصل الشرك في قوم نوح أنهم صوروا صور رجال صالحين فلما طال عليهم الأمد عبدوها وكذلك القبور المشرفة قد يزداد فيها الغلو حتى تجعل أوثاناً تعبد من دون الله وهذا ما وقع في البلاد الإسلامية»، مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٧ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٣.

(٣) أخرجه أحمد (١٤٦٥٠) وأبو داود (٤١٥٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة بنحو هذا اللفظ (٢٥٢١٢)، والطيالسي (٦٥٧)، والطبراني (٤٠٧)، والهيثمي ٥/ ١٧٣، والسيوطي في الجامع الصغير ٥٩٩٦، صحيح الجامع ٤٢٩٢، قال الحافظ إسناده جيد.

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٥٢).

البخاري رحمه الله بـ(باب نقض الصور) وساق الحديث.

وفي الصحيحين عن بُسْر بن سعيد عن زيد بن خالد عن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة» قال بسر: ثم اشتكى زيد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله الخولاني - ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ -: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: «إلا رقماً في ثوب»، وفي رواية لهما من طريق عمرو بن الحارث عن بكير الأشج عن بسر فقلت لعبيد الله الخولاني: ألم يحدثنا في التصاوير؟ قال: إنه قال: إلا رقماً في ثوب، ألم تسمعه؟ قلت: لا. قال: بلى قد ذكر ذلك[1].

وعن عبيد الله بن عبد الله أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يعوده، فوجد عنده سهل بن حنيف فأمر أبو طلحة إنساناً ينزع نمطاً[2] تحته، فقال لـه سهل: لم تنزعه؟ فقال: لأنه فيه تصاوير وقد قال فيها رسول الله ﷺ ما قد علمت. قال سهل: ألم يقل: «إلا ماكان رقماً في ثوب؟» فقال بلى ولكنه أطيب لنفسي[3].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتين توطآن، ومر بالكلب فليخرج ففعل رسول الله ﷺ، وإذا الكلب لحسن أو حسين، كان تحت نضد[4] لهم، فأمر به فأخرج»[1]، وعنه رضي الله عنه قال: «استأذن جبريل عليه السلام على النبي

---

(١) أخرجه البخاري، (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).

(٢) بفتح النون والميم، وجمعه أنماط: وهو ضرب من البسط له خمل.

(٣) أخرجه الترمذي (١٧٥٠) والنسائي (٥٣٥٢) وأحمد (١٦٠٧٥).

(٤) قال أبو داود: «والنضد» شيءٌ توضع عليه الثياب.

ﷺ، فقال: ادخل، فقال: كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رؤوسها، أو تُجعل بساطاً يوطأ، فإنا معشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيه تصاوير»(٢).

*** أحكام وفوائد:**

١- التصوير بداية الشرك في بني آدم:

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس في قوله تعالى: ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح: الآية ٢٣] قال: «كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يَسقون المطر فعبدوهم»(٣).

❖ علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد:

تتضح علاقة هذا الباب بكتاب التوحيد من جهتين:

١ـ أن التصوير وسيلة للشرك ويدل عليه أثر ابن عباس السابق.

٢ـ أن المصوِّر يُضاهي الله بفعله لأن الله هو المصور، وهو المتفرد بالخلق والتصوير وهو متعلق بتوحيد الربوبية، وقد بوَّب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد باب ما جاء في المصورين، وقال الشيخ ابن قاسم معلقاً على هذا الباب: «أي من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد للمضاهاة بخلق الله، بل هو منشأ الوثنية وما دخل على القرون إنما هو من هذا الباب، لأن صورة المألوف تعظيم، وإذا ارتسمت في الحافظة وبقيَ ذكرها يمرُّ على البصر الناظر إليها من رسمها لا بد

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٨٠٣٢).

(٢) أخرجه النسائي (٥٣٦٧) وأحمد (٨٠٦٥).

(٣) جامع البيان ٢٩/ ٩٩.

أن تستولي على قلبه، وتحل فيه حلول التعبد له»[١].

وقال الخطابي رحمه الله: «إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل»[٢].

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «وإنما كان التصوير من أشد المحرمات الموجبة لما ذكر؛ لأن فيه مضاهاة لفعل الخالق جل جلاله ولهذا سمى الشارع فعلهم خلقاً وسماهم خالقين»[٣].

٢- تنبيه:

يحسن التفريق بين قسمين مهمين:

الأول: المصوِّر الذي يصنع الصُّوَر كنحتها أو نقشها.

الثاني: مُقتني الصور ومستعملُها من غير أن يصنعها.

فصانع الصور يختلف حكمه عن المقتني؛ لأن الصانع تتفق فيه الأدلة التي جاء فيها التغليظ و الإيذان بشدة العذاب، ومن ذلك:

١ ـ الآية السابقة في سورة الأحزاب.

٢ـ الأحاديث الآتية:

أ ـ «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبّة وليخلقوا ذرّة».

ب ـ «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهون بخلق الله»[٤].

ج ـ «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم».

د ـ و«لعن المصور».

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٧١.

(٢) الجواب المفيد ص٢٠.

(٣) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٢/ ١٠٠، ١٠٨.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٥٩٥٠)، مسلم (٢١٠٩).

هـ- «من صوَّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً».

قال ابن عثيمين: «عقوبة المصور ما يلي:

١. أنه أشد الناس عذاباً أو من أشدهم عذاباً.

٢. أن الله يجعل له في كل صورة نفساً يعذب بها في نار جهنم.

٣. أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.

٤. أنه في النار.

٥. أنه ملعون، كما في حديث أبي جحيفة في «البخاري» وغيره»[١].

القسم الثاني:

أما الذي يقتني الصور ويستعملها فقد تبين لك إنكار رسول الله ﷺ على وجود الصور في البيت أو المكان المهيأ للدخول فمرة يمتنع عن الدخول ويخبر أن الملائكة لا يدخلون بسبب الصور وتارةً يأمر بقوله: «أميطي» وتارةً ينهى وتارةً يهتك الصورة وتارةً يمحوها ويضربها ويأمر بعدم إبقاء صورة إلا طمست ثم أخيراً يتبع التصاوير في منزله فينقضها وعلى ذلك ينبغي التوضيح أن أحكام التصوير تختلف من جهة صنعه ومن جهة اقتنائه واستعماله فينبغي التفريق بينهما.

٣ - أقسام صناعة التصاوير وحكم كل قسم:

سوف نتكلم عن حكم صناعة التصوير في الأقسام الآتية:

القسم الأول: قال الشيخ ابن عثيمين: «أن يصور الإنسان ما له ظل كما يقولون، أي: ما له جسم على هيكل إنسان أو بعير أو أسد أو ما أشبهها، فهذا أجمع العلماء فيما أعلم على تحريمه، فإن قلت: إذا صور الإنسان لا مضاهاة لخلق الله، ولكن صور عبثاً، يعني: صنع من الطين أو من الخشب أو من الأحجار شيئاً على

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٧. والقول المفيد ط١- ٣/ ٢١٤.

صورة حيوان وليس قصده أن يضاهي خلق الله، بل قصده العبث أو وضعه لصبي ليهدئه به، فهل يدخل في الحديث؟

فالجواب: نعم: يدخل في الحديث، لأنه خلق كخلق الله، ولأن المضاهاة لا يشترط فيها القصد، وهذا هو سر المسألة، فمتى حصلت المضاهاة ثبت حكمها، ولهذا لو أن إنساناً لبس لبساً يختص بالكفار ثم قال: أنا لا أقصد التشبه بهم، نقول: التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده، وكذلك، لو أن أحداً تشبه بامرأة في لباسها أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال: ما أردت التشبه، قلنا له: قد حصل التشبه، سواء أردته أم لم ترده»[١].

القسم الثاني: تصوير ما ليس له ظل مما فيه نفس من الحيوان والإنسان لكن ليس على هيئة جسم أو تمثال بل على هيئة ألوان أو رسم ونقش، والأدلة من السنة واضحة في ذمها وتحريمها.

قال النووي رحمه الله: «وقال بعض السلف إنما ينهى عما كان له ظل ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل. وهذا مذهب باطل فإن الستر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم، وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة»[٢].

قال الإمام ابن القيم لما ذكر الكبائر: «ومنها التصوير صورة الحيوان سواءً كان له ظل أو لم يكن»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «ويؤيد التعميم فيما له ظل وما لا ظل له ما أخرجه

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٢٦. والقول المفيد ط١- ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) مسلم بشرح النووي ١٤/ ٨١.

(٣) إعلام الموقعين ٤/ ٤٠٣.

أحمد[١] من حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسّره، ولا صورة إلا لطخها» أي: طمسها. الحديث وفيه: «ومن عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[٢].

وفي رسالة من الشيخ عبدالرحمن السعدي إلى شيخنا عبدالله بن عبدالعزيز العقيل ذكر أن الخلاف في حكم الصورة التي لا ظل لها معروف بين أهل العلم، ثم قال: «والصواب: تعميم النهي لأن النصوص عامة»[٣].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: «ومن تأمل الأحاديث المتقدمة تبيّن لـه دلالتها على تعميم التحريم، وعدم الفرق بين ما لـه ظل وغيره كما تقدم توضيح ذلك»[٤].

وهذه المسألة قال عنها الشيخ ابن عثيمين: «اختلف السَّلف فيها، فمنهم من قال: إنها حَرام إن كانت الصُّورة مُجسَّمة؛ بأن يصنع تمثالاً على صورة إنسان أو حيوان، وجائزة إن كانت بالتلوين، أي: غير مجسَّمة.

ومنهم من قال وهم الجمهور - وهو الصَّحيح -: إنها محرَّمة سواء كانت مجسَّمة، أم ملوَّنة، فالذي يخطُّ بيده ويصنع صُورة كالذي يعملها ويصنعها بيده ولا فرق، بل هي من كبائر الذُّنوب؛ لحديث عليٍّ بن أبي طالب أنه قال لأبي الهيَّاج الأسدي: «ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ؛ أنْ لا تَدَعَ صُورةً إلا طَمسْتَها» وظاهر هذا أنه في الملوَّن، وليس في المجسَّم، لأنه لو كان في المجسَّم لقال: إلا كسرتها أو نحو ذلك.

ومع الأسف؛ أصبح هذا في عصرنا الحاضر فنًّا يُدرَّس ويُقَرُّ ويُمدحُ عليه

(١) أخرجه الطيالسي ص ١٦ رقم ٩٦، وأحمد ١/ ٨٧.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٣٨٤.

(٣) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص٨٦.

(٤) الجواب المفيد ص٢٣

الإنسانُ، فإذا صَوَّرَ الإنسانُ بقرةً أو بعيراً أو إنساناً، قالوا: ما أَحْذَقَهُ! وما أَقْدَرَه!، وما أشبه ذلك، ولا شَكَّ أن هذا رِضاً بشيءٍ من كبائر الذُّنوبِ»[1].

القسم الثالث التصوير بالآلة:

قال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة ما نصه: «ومن أعظم المنكرات تصوير ذوات الأرواح واتخاذها واستعمالها، ولا فرق بين المجسدة وما في الأوراق مما أخذ بالآلة...»[2].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد زعم بعض مجيزي التصوير الشمسي أنه نظير ظهور الوجه في المرآة ونحوها من الصقيلات، وهذا فاسد فإن ظهور الوجه في المرآة ونحوها شيء غير مستقر، وإنما يرىٰ بشرط بقاء المقابلة، فإذا فقدت المقابلة فقد ظهور الصورة في المرآة ونحوها، بخلاف الصورة الشمسية فإنها باقية في الأوراق ونحوها مستقرة، فإلحاقها بالصورة المنقوشة باليد أظهر وأوضح وأصح من إلحاقها بظهور الصورة في المرآة ونحوها، فإن الصورة الشمسية وبدو الصورة في الأجرام الصقيلة ونحوها يفترقان في أمرين:

أحدهما: الاستقرار والبقاء.

الثاني: حصول الصورة عن عمل ومعالجة.

فلا يطلق لا لغةً ولا عقلاً ولا شرعاً علىٰ مقابل المرآة ونحوها أنه صوّر ذلك، ومصور الصور الشمسية مصور لغةً وعقلاً وشرعاً، فالمسوي بينهما مسوٍ بين ما فرق الله بينه، والمانعون منه قد سووا بين ما سوىٰ الله بينه، وفرّقوا بين ما فرق الله بينه، فكانوا بالصواب أسعد، وعن فتح أبواب المعاصي والفتن أنفر وأبعد، فإن المجيزين لهذه الصور جمعوا بين مخالفة أحاديث رسول الله ﷺ ونفث سموم

---

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩. وانظر مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٢٦.

(٢) عن كتاب الإعلام ببيان أخطاء في كتاب الحلال والحرام للشيخ صالح الفوزان ص٤٣.

الفتنة بين العباد بتصوير النساء الحسان، والعاريات الفتان في عدة أشكال وألوان، وحالات يقشعر لها كل مؤمن صحيح الإيمان، ويطمئن إليها كل فاسق وشيطان»[١].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «ولقد غلط غلطاً فاحشاً من فرق بين التصوير الشمسي والتصوير النحتي، وبعبارة أخرىٰ بين التصوير الذي لـه ظل والذي لا ظل لـه، لأن الأحاديث الواردة في هذه المسألة تعم النوعين وتنظمها انتظاماً واحداً، ولأن المضار والمفاسد التي في التصوير النحتي وما لـه ظل مثل المفاسد والأضرار التي في التصوير الشمسي بل التصوير الشمسي أعظم ضرراً وأكثر فساداً من وجوه كثيرة، نسأل الله أن يمن علينا وعلىٰ المسلمين بالعافية من النوعين جميعاً وأن يصلح أحوال الأمة»[٢].

وقال الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «تعليق الصور علىٰ الجدران، سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، لها ظل، أو لا ظل لها، يدوية أو فوتوغرافية، فإن ذلك كله لا يجوز، ويجب علىٰ المستطيع نزعها إن لم يستطع تمزيقها»[٣].

وقال رحمه الله: «ولا فرق في التحريم بين التصوير اليدوي والتصوير الآلي والفوتوغرافي، بل التفريق بينهما جمود وظاهرية عصرية»[٤].

* وممن ذهب إلىٰ هذا جماعة من العلماء منهم الشيخ عبد الرزاق عفيفي

---

(١) فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٨٧).

(٢) انظر تقديمه لكتاب: إعلان النكير للشيخ حمود التويجري ص٣، ٤، وانظر للاستزادة الجواب المفيد ص ١٨، ١٩.

(٣) انظر: آداب الزفاف ص١٨٥.

(٤) آداب الزفاف ص ١٠٦، ١١٦ ط٢، المكتب الإسلامي. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص١٨.

والشيخ حمود التويجري والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن بن عبدالله التويجري[١].

ومما قاله الشيخ صالح الفوزان في كتاب (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام): «التصوير بجميع أنواعه تماثيل أو غير تماثيل منقوشاً باليد أو فوتوغرافياً مأخوذاً بالآلة ـ كله حرام وأن كل من حاول إباحة شيء منه فمحاولة باطلة وحجته داحضة ـ والله المستعان»[٢].

أما كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذه المسألة فإنـه منع من إدخال ناقل الصورة بالآلة في اللعن ولكنه رتب الحكم على المقاصد فإذا قصد به شيئاً محرماً فهو حرام وإن قصد التمتع بالنظر إليها فهذا حرام عملاً بالقاعدة الفقهية «الأمور بمقاصدها»[٣].

وقد كثر الكلام حول فتوى الشيخ رحمه الله واضطربت فيها أفهام بعض الناس.

وقد وقفت على فتوى حررها بيده حول ذلك فقال: «من نسب إلينا أن المحرم من الصور هو المجسم وأن غير ذلك غير حرام فقد كذب علينا، ونحن نرى أنه لا يجوز لبس ما فيه صورة سواءً كان من لباس الصغار أو من لباس الكبار، وأنه لا يجوز اقتناء الصور للذكرى أو غيرها إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه مثل التابعية والرخصة»[٤].

القسم الرابع: تصوير ما لا ينتج عنه منظر ولا مشهد ثابت كما هو الحال في

---

(١) انظر: تحريم التصوير الفوتوغرافي، أحمد بن عبد الله آل عبدالكريم.

(٢) الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ص٤٦.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٢٧، ١٠٢٨، القول المفيد ط١-٣/ ٢٠٤، ٢٠٥. والشرح الممتع ٢/ ٢٤١.

(٤) انظر: كتاب التنوير فيما ورد في حكم التصوير لمحمد الغفيلي ص ٨١.

أشرطة الفيديو، وهذا القسم قال عنه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «هذا لا حُكم له إطلاقاً، ولا يدخلُ في التَّحريم مطلقاً، ولهذا أجازه أهل العلم الذين يمنعون التَّصوير بالآلة «الفتوغرافيَّة» على الورق، وقالوا: إن هذا لا بأس به، حتى حصل بحثٌ: هل يجوز أن تُصوَّر المحاضرات التي تُلقى في المساجد؟ فكان الرَّأي ترك ذلك؛ لأنه ربما يُشوِّش على المصلِّين، وربما يكون المنظرُ غيرَ لائقٍ، وما أشبه ذلك»[١].

القسم الخامس تصوير ما لا روح فيه:

قال الإمام البغوي: «وأما صورة الأشجار والنبات فلا بأس بها. قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سأله عن الصور: «عليك بهذا الشجر: كل شيء ليس له فيه روح»»[٢].

وقال النووي : «وأما تصوير صورة الشجرة ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام»[٣].

وقال رحمه الله: «وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به سواء الشجر المثمر وغيره وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهد فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه قال القاضي: لم يقله أحد غير مجاهد واحتج بقوله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي». واحتج الجمهور بقوله ﷺ ويقال لهم: «أحيوا ما خلقتم» ـ أي ـ اجعلوه حيواناً ذا روح كما ضاهيتم. وعليه رواية: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي». ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور في الكتاب: «إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له»»[٤].

---

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٠.

(٢) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٣٤.

(٣) شرح النووي ١٤/ ٨١.

(٤) شرح مسلم للنووي ١٤/ ٩١. وانظر تعليق الشيخ ابن عثيمين على هذه المسألة في كتابه.

٤ - حكم اقتناء الصور واستعمالها واتخاذها:

اقتناء الصور لغير ضرورة حرام وبعضه أشد حرمة من بعض لقوله ﷺ: «فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا صورة إلا لطخها»(١).

وفي الرواية الأخرىٰ «أن لاتدع صورة إلا طمستها»(٢).

قال ابن باز رحمه الله: «صنع التماثيل والصور واقتناؤها من كبائر الذنوب للأحاديث الصحيحة التي توعد الله تعالىٰ، وتوعد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم»(٣).

وعند التفصيل نقول: إن حكم استعمال الصور واقتناؤها ينقسم إلىٰ أقسام:

القسم الأول: أن يقتنيها لتعظيم المصور، لكونه ذا سلطان أو جاه أو علم أو عبادة أو أبوة أو نحو ذلك، فهذا حرام بلا شك، ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه هذه الصورة، لأن تعظيم ذوي السلطة باقتناء صورهم ثلم في جانب الربوبية وتعظيم ذوي العبادة باقتناء صورهم ثلم في جانب الألوهية(٤).

وقال ابن باز: «ولا فرق في هذا بين الصور المجسمة وغيرها من المنقوش في ستر أو قرطاس أو نحوها، ولا بين صور الآدميين وغيرها من كل ذي روح، ولا بين صور الملوك والعلماء وغيرهم بل التحريم في صور الملوك والعلماء ونحوهم من المعظَّمين أشد، لأن الفتنة بهم أعظم، ونصب صورهم في المجالس ونحوها وتعظيمها من أعظم وسائل الشرك وعبادة أرباب الصور من دون الله كما

---

(١) الفتح ١٠/ ٣٨٤.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٣) الجواب المفيد ص ٤٨.

(٤) انظر: مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٨، وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٤.

وقع ذلك لقوم نوح»[١].

وقال ابن عثيمين: «أن يستعمله علىٰ سبيل التَّعظيم، فهذا حرام سواء كان مجسَّماً أم ملوَّناً، وسواء كان التَّعظيم تعظيم سلطان، أم تعظيم عبادة، أم تعظيم عِلْمٍ، أم تعظيم قَرابة، أم تعظيم صُحبة، أيًّا كان نوعُ التعظيم. وفي الحقيقة؛ إنه ليس فيه تعظيم، فمثلاً: إذا أراد أن يصوِّر أباه، فإن كان أبوه حيًّا فالتَّعظيم بإعطائه ما يلزمه من البِرِّ القولي والفعلي والمالي والجاهي وغير ذلك، وإن كان ميِّتاً فلا ينتفع بهذا التَّعظيم، بل فيها كسب الإثم وتجديد الأحزان، ولذلك يجب علىٰ مَنْ كان عنده صورة من هذا النوع أن يمزِّقها، أو يحرقها، ولا يجوز لـه إبقاؤها؛ لأن هذا فيه خطورتان:

الخطورة الأولىٰ: تجنّب الملائكة لدخول البيت.

والخطورة الثانية: أن الشيطان قد يدخل علىٰ الإنسان من هذا التعظيم، حتىٰ يستولي تعظيمهم علىٰ قلبه، ويسيطر عليه، ولا سيَّما فيما يَتَعَلَّق بالعِلْم والعبادة، فإن فتنة قوم نوح كانت في الصُّور، وهذا لا فرق فيه بين الملوَّن والمجسَّم، أي: سواء كان صورة علىٰ ورقة، أم علىٰ خِرقة، أم كانت صورة مجسَّمة»[٢].

القسم الثاني: اقتناء الصور للتمتع بالنظر إليها أو التلذذ بها، فهذا حرام أيضاً، لما فيه من الفتنة المؤدية إلىٰ سفاسف الأخلاق[٣].

القسم الثالث: أن يقتنيها للذكرىٰ حناناً أو تلطفاً كالذين يصورون صغار أولادهم لتذكرهم حال الكبر، فهذا أيضاً حرام للحوق الوعيد به في قوله ﷺ «إن

---

(١) الجواب المفيد ص ٢٧.

(٢) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٤، وانظر إعلان النكير للشيخ حمود التويجري ص٦٧.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٨ وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢١٥.

الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»[(١)].

قال الخطابي: «والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه ما يحرم اقتناؤه وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن»[(٢)].

وقال الحافظ ابن رجب: «وتصوير الصور للتأسي برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم وهو من الكبائر»[(٣)].

القسم الرابع: قال ابن باز: «إذا كانت الصورة في بساط يمتهن أو وسادة يرتفق بها فلا حرج في ذلك؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان على موعد من جبرائيل فلما جاء جبرائيل امتنع عن دخول البيت فسأله النبي ﷺ فقال: «إن في البيت تمثالاً وستراً فيه تصاوير وكلباً، فمر برأس التمثال أن يقطع، وبالستر أن يتخذ منه وسادتان منتذتان توطآن، ومر بالكلب أن يخرج». ففعل ذلك النبي ﷺ فدخل جبرائيل عليه السلام ... وقصة جبرائيل هذه تدل أن الصورة في البسط ونحوه لا تمنع من دخول الملائكة، ومثل ذلك ما ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها.

أنها اتخذت من الستر المذكور وسادة يرتفق بها النبي ﷺ»[(٤)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «أن يتَّخذه على سبيل الإهانة مثل: أن يجعله فراشاً، أو مِخَدَّة، أو وسادة، أو ما أشبه ذلك، فهذا فيه خلاف بين أهل العلم:

فأكثر أهل العلم على الجواز، وأنه لا بأس به؛ لأن الرسول ﷺ اتَّخذ وسادة فيها صورة، ولأن هذا ضِدُّ السبب الذي من أجله حُرِّم استعمال الصُّور؛ لأن هذا إهانة.

وذهب بعضُ أهل العلم إلى التَّحريم، واستدلَّ هؤلاء بأن النبي ﷺ جاء إلى بيته

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٨ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٥.
(٢) الجواب المفيد ص ٢٠.
(٣) الكواكب الدراري ٦٥ / ٨٢/ ٢. نقلاً عن تحذير الساجد للشيخ للألباني ص١٨.
(٤) مجموع فتاوى ابن باز ص٨٢٥.

ذات يوم فرأىٰ «نُمْرُقَةً» - أي: مِخَدَّة - فيها صُوَر؛ فوقف ولم يدخل، قالت عائشة: فعرفتُ الكراهيةَ في وجهه، فقلت: أتوب إلىٰ الله ورسوله ممَّا صنعتُ؟ فقال: «إنَّ أهل هذه الصُّور يُعذَّبون؛ يُقال لهم: أَحْيُوا ما خلقتم». قالوا: فنكرهُهَا؛ لأن الرسول ﷺ كرهها وقال: «إنَّ أهل هذه الصُّور يعذَّبُون»، وقال: «إنَّ الملائكةَ لا تدخل بيتاً فيه صُورة» ويُحمل ما ذُكر عنه أنه اتَّكأ علىٰ مِخَدَّة فيها صورة بأن هذه الصورة قُطِعَ رأسُها، وإذا قُطِعَ رأس الصُّورة فهي جائزة.

ولا شكَّ أن تجنُّبَ هذا أورع وأحوط، فلا تستعمل الصُّور، ولو علىٰ سبيل الامتهان كالفراش والمخدَّة، والسَّلامة أسلم، وشيء كَرِه الرسول ﷺ أن يدخل البيت من أجله، فلا ينبغي لك أن ينشرح صدرُك به، فمن يستطيع أن ينشرح صدرُه في مكان كَرِهَ النبي ﷺ دخوله. لهذا فالقول بالمنع إن لم يكن هو الصَّواب فإنه هو الاحتياط»[1].

وهل يلحق بالمهانة لباس ما فيه صورة لأن في ذلك امتهاناً للصورة ولا سيما إن كانت الملابس داخلية؟

يقول الشيخ ابن عثيمين: «لا يلحق بذلك، بل لباس ما فيه الصور محرم علىٰ الصغار والكبار، ولا يلحق بالمفروش ونحوه، لظهور الفرق بينهما، وقد صرح الفقهاء رحمهم الله بتحريم لباس ما فيه صورة، سواء كان قميصاً أو سراويل أم عمامة أم غيرها»[2].

القسم الخامس: أن تؤخذ لا علىٰ سبيل التعظيم ولا الامتهان، قال ابن عثيمين: «ألا يكون في استعمالها تعظيم ولا امتهان، فذهب جمهور أهل العلم إلىٰ تحريم استعمال الصُّور علىٰ هذا الوجه، ونُقل عن بعض السَّلف الإباحة إذا كان ملوَّناً،

---

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٥،٢٤٤.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٩ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٥.

حتىٰ إن بعض السَّلف كان عندهم في بيوتهم السَّتائر يكون فيها صُور الحيوان، ولا يُنكرون ذلك، ولكن لا شَكَّ أن هؤلاء الذين فعلوه من السَّلف كالقاسم بن محمد رحمه الله لا شكَّ أنه يُعتَذر عنهم بأنهم تأوَّلوا، ولا يحتجُّ بفعلهم؛ لأن الحُجَّة قولُ الله ورسوله، أو لم يبلغهم الخبر، أو ما أشبه ذلك من الأعذار»[1].

قال النووي: «أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً علىٰ حائط أو ثوباً ملبوساً أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهناً فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن، فليس بحرام ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت فيه كلام نذكره قريباً ـ إن شاء الله ـ ولا فرق في هذا كله بين ما لـه ظل وما لا ظل له.

هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وهو مذهب الثوري، ومالك، وأبي حنيفة وغيرهم»[2].

أما ما جاء في حديث زيد بن خالد وفيه: «ثم اشتكىٰ زيد فعدناه فإذا علىٰ بابه ستر فيه صورة» وفيه تعليل ذلك باستثناء الرسول ﷺ: «إلا رقماً في ثوب» فظاهره يدل علىٰ أن زيداً يرىٰ جواز تعليق الستور التي فيها الصور، وبسببه جوز بعض العلماء ما كان رقماً في ثوب سواء امتهن أم لا، وسواء علق في حائط أو لا كما هو معروف من مذهب القاسم بن محمد[3]. والجمهور علىٰ أن الصور يراد بها صورة الشجر ومالا روح فيه ذكر ذلك النووي رحمه الله حيث قال: «قوله «إلا رقماً في ثوب» هذا يحتج به من يقول بإباحة ما كان رقماً مطلقاً كما سبق وجواب الجمهور عنه أنه محمول علىٰ رقم علىٰ صورة الشجر وغيره مما ليس بحيوان وقد قدمنا أن هذا

---

(١) الشرح الممتع ٢/ ٢٤٦.

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٤/ ٨١.

(٣) النووي ١٤/ ٨٢.

جائز عندنا»[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «أما تعلق من خالف في ذلك بحديث «إلا رقماً في ثوب» فهو شذوذ عن ما كان عليه السلف والأئمة، وتقديم للمتشابه على المحكم، إذ أنه يحتمل أن المراد باستثناء الرقم في الثوب ما كانت الصورة فيه من غير ذوات الأرواح كصورة الشجر ونحوه، كما ذكره الإمام أبوزكريا النووي وغيره. واللفظ إذا كان محتملاً فلا يتعين حمله على المعنى المشكل، بل ينبغي أن يحمل عليما يوافق الأحاديث الظاهرة في المنع التي لا تحتمل التأويل»[٢].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله مجيباً على هذه المسألة: «أن أحاديث عائشة المتقدمة وما جاء في معناها دالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، وعلى وجوب هتكها، وعلى أنها تمنع دخول الملائكة، ولعل زيداً رضي الله عنه لم يعلم الصورة التي في الستر المذكور أو علمها لكن استجازه لأنه لم تبلغه الأحاديث الدالة على تحريم تعليق الستور التي فيها الصور، فأخذ بظاهر قول النبي ﷺ: «إلا رقماً في ثوب» فيكون معذوراً لعدم علمه بها. وأما من علم الأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم نصب الستور التي فيها الصور فلا عذر لـه في مخالفتها»[٣].

وكذلك من حمل قوله: «إلا رقماً في ثوب» على جواز تعليق الصور وجواز اتخاذها مع عدم التفريق بين الضرورة وغير الضرورة فقد أخطأ وجانب الصواب لا سيما إذا نظرنا للأحاديث الأخرى: «لا تدع صورة إلا طمستها»، ولم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى محيت كل صورة فيها وكذلك غضبه عليه السلام حين ذكرت له الصور الموجودة في الكنائس في أرض الحبشة فقال: «أولئكِ شرار الخلق عند الله

(١) النووي ١٤/ ٨٥.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٨٥، ١٨٦.

(٣) الجواب المفيد ص ٢٥.

يوم القيامة»[١].

القسم السادس ما دعت الضرورة إلى استبقائه. قال العلامة ابن باز رحمه الله: «لا يجوز الاحتفاظ بالصور ولو غير معلقة على الجدران أو غيرها، إلا في تابعية أو جواز سفر أو نقود أو نحو ذلك مما تدعو الحاجة إليه»[٢].

قال ابن عثيمين: «كالصور التي تكون في بطاقة إثبات الشخصية والشهادات والدراهم فلا إثم فيه لعدم إمكان التحرز منه، وقد قال تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]»[٣].

القسم السابع: ما عمت به البلوى الآن وقد عرفها الشيخ ابن عثيمين بقولـه: «أن يقتني الصور لا لرغبة فيها إطلاقاً، ولكنها تأتي تبعاً لغيرها كالتي تكون في المجلات والصحف ولا يقصدها المقتني، وإنما يقصد ما في هذه المجلات والصحف من الأخبار والبحوث العلمية ونحو ذلك، فالظاهر أن هذا لا بأس به؛ لأن الصور فيها غير مقصودة، لكن إن أمكن طمسها بلا حرج ولا مشقة فهو أولى»[٤].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «ولكن الأشياء الضرورية التي دخلت على الناس، وعمَّت بها البلوى كالصور التي في النقود والكبريت ونحوها، وكذلك الجوازات؛ فالذي يظهر لي ان هذا من باب الاضطرار، وأحوال الضرورات وعموم البلوى يُرجى فيه عفو الله، ويَسهُل الأمر فيه»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجلة الدعوة عدد ٨٤٩ في ١٤٠٢/٨/١٥ هـ. وانظر: فتوى أخرى في عدد ٨٤٧، الجواب المفيد ص ٤٣، ٤٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٩ وانظر القول المفيد ط١ - ٣/ ٢١٦.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٣٩ وانظر القول المفيد ط١ - ٣ / ٢١٥، وانظر الشرح الممتع ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٥) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة ص٨٦.

وقال ابن باز: «المجلات والجرائد التي بها أخبار مهمة ومسائل علمية نافعة وبها صور لذوات الأرواح يجوز شراؤها، والانتفاع بها من علم مفيد، وأخبار مهمة لأن المقصود منها ما فيها من العلم والأخبار، والصور تابعة، والحكم يتبع الأصل المقصود إليه دون التابع، ويجوز وضعها في المصلىٰ مع إخفاء ما فيها من الصور بأي شكل لينتفع بما فيها من مقالات، أو طمس رؤوس الصور بما يذهب بمعالمها»[(١)].

٥ - اللُّعب المصورة للبنات وتنقسم إلى قسمين:

الأول: ما يوضع علىٰ هيئة لعبة ليس فيها أثر للصورة والتجسيم فهذا لا بأس فيه.

الثاني: ما وضع علىٰ صورة شيء من ذوات الأرواح.

قال النووي: «قوله: عن عائشة ﵂ قالت: كانت لنا تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبلته فقال لي رسول الله ﷺ: **«حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا»** هذا محمول علىٰ أنه كان قبل تحريم اتخاذ ما فيه صورة فلهذا كان رسول الله ﷺ يدخل ويراه ولا ينكره قبل هذه المرة الأخيرة»[(٢)].

وحديث عائشة ﵂ قالت: قَدِم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبَّت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَبٍ، فقال: «ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأىٰ بينهنَّ فرساً لـه جناحان من رقاعٍ، فقال: ما هذا الذي أرىٰ وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال: فرس لـه جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ رأيت نواجذه»[(٣)].

(١) الجواب المفيد ص ٤١.

(٢) النووي ١٤/ ٨٧.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٣٢)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٩٥٠).

قال النووي رحمه الله: «وأجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره قال القاضي إلا ما ورد في اللعب بالبنات لصغار البنات والرخصة في ذلك لكن كره مالك شراء الرجل ذلك لابنته، وادعى بعضهم أن إباحة اللعب لهن بالبنات منسوخ بهذه الأحاديث ـ والله أعلم ـ»(١).

قال ابن باز: «وأما اللُّعب المصورة على صورة شيء من ذوات الأرواح فقد اختلف العلماء في جواز اتخاذها للبنات وعدمه.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة، قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيُسَرِّبُهُن إليَّ يلعبن معي»(٢).

قال الحافظ في الفتح: استدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض، ونقله عن الجمهور، وأنهم أجازوا بيع لعب البنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن. قال: وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ، وإليه مال ابن بطال، وحكى عن أبي زيد عن مالك: أنه كره أن يشتري الرجل لبنته الصور، ومن ثم رجح الداودي أنه منسوخ.

وقد ترجم ابن حبان: «الإباحة لصغار النساء اللعب باللُّعب»(٣) وترجم له النسائي: «إباحة الرجل لزوجته اللعب بالبنات». فلم يقيد بالصغر وفيه نظر.

قال البيهقـي: ثبت النهي عن اتخاذ الصور، فيحمل على أن الرخصة لعائشة في ذلك كانت قبل التحريم، وبه جزم ابن الجوزي ـ إلى أن قال ـ وأخرج أبو داود

---

(١) النووي ١٤/ ٨٢.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٠) ومسلم (٢٤٤٠).

(٣) انظر: صحيح ابن حبان ٧/ ٥٤٣.

والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ـ فذكر الحديث في هتكه الستر الذي نصبته على بابها ـ قالت: فكشف ناحية الستر على بنات لعب لعائشة، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي. قالت: ورأى فيها فرساً مربوطاً له جناحان، فقال: «ما هذا؟». قلت: فرس له جناحان. قلت: ألم تسمع أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة؟ فضحك ـ إلى أن قال ـ قال الخطابي في هذا الحديث: أن اللعب بالبنات ليس كالتلهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد، وإنما أرخص لعائشة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغة.

قلت[١]: وفي الجزم به نظر، لكنه محتمل لأن عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة، إما أكملتها أو جاوزتها أو قاربتها. وأما في غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعاً، فيترجح رواية من قال: خيبر وجمع بما قال الخطابي، لأن ذلك أولى من التعارض[٢].

إذا عرفت[٣] ما ذكره «الحافظ» فالأحوط ترك اتخاذ اللعب المصورة لأن في حلها شك لاحتمال أن يكون إقرار النبي ﷺ لعائشة على اتخاذ اللعب المصورة قبل الأمر بطمس الصور فيكون ذلك منسوخاً بالأحاديث التي فيها الأمر بمحو الصور وطمسها إلا ما قطع رأسه، أو كان ممتهناً كما ذهب إليه البيهقي وابن الجوزي، ومال إليه ابن بطال.

ويحتمل أنها مخصوصة من النهي كما قاله الجمهور لمصلحة التمرين، ولأن في لعب البنات بها نوع امتهان، ومع الاحتمال المذكور والشك في حلها الأحوط تركها، وتمرين البنات بلعب غير مصورة حسماً لمادة بقاء الصور المجسدة،

---

(١) القائل هو الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٢٧.

(٣) لازال النقل موصولاً من الجواب المفيد للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

وعملاً بقولـه ﷺ: «دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك»[(١)] [(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «الصُّور التي يلعب بها الأطفال، وهذه تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: قسم من الخِرَق والعِهْن وما أشبه ذلك، فهذه لا بأس بها؛ لأنَّ عائشة كانت تلعبُ بالبنات علىٰ عَهْد النبي ﷺ ولم يُنكر عليها[(٣)].

الثاني: قسم من «البلاستيك» وتكون علىٰ صورة الإنسان الطبيعي إلا أنها صغيرة، وقد يكون لها حركة، وقد يكون لها صوت، فقد يقول القائل: إنها حرام؛ لأنها دقيقة التَّصوير، وعلىٰ صورة الإنسان تماماً، أي: ليست صورة إجماليَّة ولكن صورة تفصيليَّة، ولها أعين تتحرَّك، وقد نقول: إنها مباحة؛ لأن عائشة كانت تلعب بالبنات، ولم يُنكر عليها النبي ﷺ.

ولكن قد يقول القائل: إن الصُّور التي عند عائشة ليست كهذه الصُّور الموجودة الآن، فبينهما فرقٌ عظيم، فمن نظر إلىٰ عموم الرُّخصة وأنَّه قد يُرخَّص للصِّغار ما لا يُرخَّص للكبار، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في باب السَّبْق، لما ذكر بعض آلات اللهو قال: «إنه يُرخَّصُ للصِّغار ما لا يُرخَّصُ للكبار»[(٤)]، لأن طبيعة الصِّغار اللهو، ولهذا تجد هذه الصُّور عند البنات الصِّغار كالبنات حقيقة، كأنها ولدتها، وربما تكون وسيلة لها لتربِّي أولادها في المستقبل، وتجدها تُسمِّيها أيضاً هذه فلانة وهذه فلانة، فقد يقول قائل: إنه يُرَخَّصُ لها فيها. فأنا أتوقَّفُ في تحريمها، لكن يمكن التخلُّص من الشُّبهة بأن يُطمس وجهها»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٨) والنسائي (٥٧١٤)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ٣/ ١٦٩ رقم ١٧٢٣ إسناده صحيح

(٢) الجواب المفيد ص٣٣.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٠)، ومسلم (٢٤٤٠).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٣٠/ ٢١٦)، الاختيارات ص ١٦٠.

(٥) الشرح الممتع ٢ / ٢٤٨، ٢٤٩.

والذي يظهر مما سبق إباحة اللعب للبنات ولكن كما قرره المنذري والحليمي من عدم وجود تفاصيل الصورة. قال الحليمي: «إن كانت صورة كالوثن لم يجز وإلا جاز»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «ومن زعم أن لعب عائشة صور حقيقية لذوات الأرواح فعليه إقامة الدليل، ولن يجد إلى ذلك سبيلاً فإنها ليست منقوشة ولا منحوتة ولا مطبوعة من المعادن المنطبعة ولا نحو ذلك، بل الظاهر أنها من عهن أو قطن أو خرق أو قصبة أو عظم مربوط في عرضه عوداً معترضاً بشكل يشبه الموجود في اللعب في أيدي البنات الآن في البلدان العربية البعيدة عن التمدن والحضارة مما لا تشبه الصورة المحرمة إلا بنسبة بعيدة جداً»[(٢)].

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «وأما تسمية اللعب بنات كما في حديث عائشة رضي الله عنها فلا يلزم منه أنها كانت صوراً حقيقية كما قد يظن ذلك من قصُر فهمه بل الظاهر والله أعلم أنها كانت على نحو لعب بنات العرب في زماننا فإنهن يأخذن عوداً أو قصبةً أو خرقةً ملفوفةً أو نحو ذلك فيضعن قريباً من أعلاه عوداً معترضاً ثم يلبسنه ثياباً ويضعن على أعلاه خمار المرأة وربما جعلنه على هيئة الصبي في المهد ثم يلعبن بهذه اللعب ويسمينهن بنات لهن على وفق ما هو مروي عن عائشة وصواحباتها ـ رضي الله عنهن ـ.

وقد رأينا البنات يتوارثن اللعب بهذه اللعب اللاتي وصفنا زمانا بعد زمان ولا يبعد أن يكون هذا التوارث قديماً ومستمراً في بنات العرب من زمن الجاهلية إلى زماننا هذه ـ والله أعلم ـ»[(٣)].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٢٧.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٨٢).

(٣) إعلان النكير ص ٩٩.

وقال رحمه الله: «فأما اللعب اللاتي على ما وصفنا فلا بأس بعملهن واتخاذهن واللعب بهن لأنهن لسن بصور حقيقية. وأما اللعب اللاتي على صور البنات وأنواع الحيوانات فصناعتهن حرام وبيعهن حرام وشراؤهن واتخاذهن حرام والتلهي بهن حرام وإتلافهن واجب على من قدر على ذلك لأنهن من الأصنام وقد أمر رسول الله ﷺ بطمس الأصنام كما تقدم في حديث علي رضي الله عنه. والقول في الفرس الذي كان مع لعب عائشة رضي الله عنها كالقول في لعبها سواء. ومن ادعى أنها كانت صورة حقيقية لها رأس ووجه فعليه إقامة الدليل على ذلك ولن يجد إليه سبيلاً»[1].

حكم المحنّط وهذا ليس تصويراً بل يلحق بالتصوير لأنه وسيلة وسبب للتساهل في أمر التصوير ولذلك حذر العلماء من اقتنائه وقد سمعت الشيخ عبد العزيز بن باز يذكر ثلاثة أسباب لتحريم اقتناء المحنّط منها أن شراءَه إسراف وتبذير ومنها أنه سبب مفضٍ إلى التساهل في أمر التصوير الذي جاء الوعيد والنكير في حقه.

٦ - **الصورة الرأس:**

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «التصوير النصفي لا إشكال عندي في أنه محرم، وإن كان ذهب نزر قليل إلى القول بعدم التحريم، وربما يكون أخف من الكامل لأجل هذا القول، وأما أنا فلا إشكال عندي فيه؛ لأن الوجه هو المقصود»[2].

وقال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «والأصل في هذا قول جبريل للنبي ﷺ مر بالرأس فليقطع فيصير كهيئة الشجرة.

فدل على أن المحذور كله في تصوير الرأس.

---

(١) إعلان النكير على المفتونين بالتصوير ص ١٠٠.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٠.

ودلّ علىٰ أن قطع غيره لا يقوم مقامه ولا يكفي في التغيير ولو كان المقطوع مما لا تبقىٰ الحياة بعد ذهابه كصدره أو بطنه.

وعلىٰ هذا فتحريم التصوير والاتخاذ متعلق بوجود الرأس.

وكذلك وجوب الطمس متعلق بوجود الرأس ـ والله أعلم ـ

وأما قياس قطع الصدر أو البطن علىٰ قطع الرأس فهو قياس مع وجود الفارق لأنها وإن شاركاه في ذهاب الحياة بذهابهما فقد اختص هو دونهما ودون سائر الأعضاء بشيئين.

أحدهما: أنه إذا قطع صار باقي الجسم كهيئة الشجرة وخرج عن شكل ذوات الأرواح.

الثاني: أنه مشتمل علىٰ الوجه الذي هو أشرف الأعضاء، ومجمع المحاسن، وأعظم فارق بين الحيوان وبين غيره من النباتات والجمادات، وبطمسه تذهب بهجة الصورة ورونقها، وتعود إلىٰ مشابهة النباتات والجمادات؛ ولهذا قال جبريل للنبي ﷺ: مر برأس التمثال فليقطع فيصير كهيئة الشجرة.

وبهذا يعرف أن غير الرأس لا يساويه وإن من قاس شيئاً من الأعضاء علىٰ الرأس فقياسه غير صحيح فلا يعتد به ـ والله أعلم ـ»[١].

وعلّق الشيخ الألباني رحمه الله علىٰ قول جبريل عليه السلام: «فمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة» فقال: رحمه الله: «هذا نص صريح في أن التغيير الذي يحل به استعمال الصورة إنما هو الذي يأتي علىٰ معالم الصورة فيغيرها بحيث أنه يجعلها في هيئة أخرىٰ وقد عبر بعض الفقهاء عن هذا التغيير بقوله: «إذا كانت بحيث لا تعيش جاز استعمالها»، وهذا تعبير قاصر كما لا يخفىٰ ولهذا كان عمدة

(١) إعلان النكير ص ٧٣، ٧٤.

لبعض المحتالين على النصوص، الذين يحاولون الخلاص منها بتأويلها أو بتحكيم آراء الرجال فيها وأصدق مثال على ذلك مقال طويل لبعضهم كنت قرأته منذ سنين في «مجلة نور الإسلام» التي سميت فيما بعد «مجلة الأزهر» خلاصته أنه يجوز للمسلم الفنان! أن ينحت صنماً كاملاً على أن يحفر حفرة في الرأس تصل إلى الدماغ بحيث أنه لا يعيش لو كان حياً، ثم تفنن حضرة الشيخ فذكر أنه لكي لا يظهر عيب الصنم من الناحية الفنية للناظرين فإنه بإمكان الفنان أن يضع الشعر المستعار على الرأس المحفور وبذلك تنستر الفجوة ويبدو تمثالاً كاملاً لا عيب فيه يرضي الفنانين! وفي الوقت نفسه يكون قد أرضى الشارع بزعمه! فهل رأيت أيها المسلم تلاعباً بالشريعة ونصوصها ما يشابه هذا التحريف المنشور في مجلة محترمة! تا الله إن هذا لأشبه شيء بعمل من ضربت عليهم الذلة والمسكنة الذين قال الله فيهم: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف:١٦٣]. وقال فيهم رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها جملوه ـ أي ذوبوه ـ ثم باعوه وأكلوا ثمنه»[1]، ولهذا حذرنا ﷺ من اتباع سننهم فقال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» رواه ابن بطة: «جزء إبطال الحيل» ص٢٤ بسند جيد كما قال ابن تيمية وابن كثير، ولكن ذلك كله ما أغنى شيئاً بعض هؤلاء المتشبهين بهم، لهوى في نفوسهم»[2].

وقال الشيخ ابن باز: «ويستدل بالحديث المذكور أيضاً على أن قطع غير الرأس

(١) متفق عليه، البخاري (٤٦٣٣)، ومسلم (١٥٨١).

(٢) آداب الزفاف ص ١٠٣، ١٠٤.

من الصورة كقطع نصفها الأسفل ونحوه لا يكفي ولا يبيح استعمالها، ولا يزول به المانع من دخول الملائكة، لأن النبي ﷺ أمر بهتك الصور ومحوها، وأخبر أنها تمنع من دخول الملائكة إلا ما امتهن منها، أو قطع رأسه، فمن ادعى مسوغاً لبقاء الصورة في البيت غير هذين الأمرين فعليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ولأن النبي ﷺ أخبر أن الصورة إذا قطع رأسها كان باقيها كهيئة الشجرة. وذلك يدل على أن المسوغ لبقائها: خروجها عن شكل ذوات الأرواح ومشابهتها للجمادات. والصورة إذا قطع أسفلها وبقي رأسها لم تكن بهذه المثابة لبقاء الوجه وفيه من بديع الخلقة والتصوير ما ليس في بقية البدن، فلا يجوز قياس غيره عليه عند من عقل عن الله ورسوله مراده.

وبذلك يتبيّن لطالب الحق أن تصوير الرأس وما يليه من الحيوان داخل في التحريم والمنع لأن الأحاديث الصحيحة المتقدمة تعمه، وليس لأحد أن يستثني من عمومها إلا ما استثناه الشارع»[1].

٧ - **سبب امتناع الملائكة دخول بيت فيه صورة:**

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها

(١) الجواب المفيد ص ٢٦، ٢٧.

أذىٰ الشيطان وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون باحصاء أعمالهم وكتابتها قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزراعة والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه وأشار القاضي إلىٰ نحو ما قاله الخطابي والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير كان لـه فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت وعلل بالجرو فلو كان العذر في وجود الصورة والكلب لا يمنعهم لم يمتنع جبريل ـ والله أعلم ـ»[١].

فأما القرطبي فقال في المفهم: «إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجراً له لذلك»[٢].

٧٩. التطير

انظر باب (الطيرة).

---

(١) المجموع ١٤/ ٨٤.

(٢) انظر: إعلان النكير ص ٤٠، ٤١.

٨٠. تعظيم الله *

الإطراء ـ الغلو ـ حماية التوحيد ـ السجود – الذبح للسلطان

التعظيم من حيث هو عبادة حق الله وحده فلا يجوز أن يعظم مخلوقا كتعظيم الله أو يعطى من التعظيم ما لا يستحقه إلا الله ﷻ وكل طريق يفضي إلى ذلك فحرام وقد جاءت الشريعة بالنهي عن كل ما يفضي إلى الغلو في المخلوق سواء أكان نبياً من الأنبياء أو مَلَكاً من الملائكة أو قبراً أو غيره.

والقرآن والسنة دالتان ومبينتان لعظمة الله وكماله وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله ﷺ، وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له، دون كل ما سواه. وهذا باب عظيم وواسع وسوف نختصر جهدنا والله المستعان.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال العماد بن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته»[1].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٢٨ ـ ١٩٥. تيسير العزيز الحميد ٦٦٦،٧٥٣. فتح المجيد ٥٤٢،٦١٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٤٦، ٣٩٦. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١١١١، وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢٨٥ ط٢- ٣/ ٣٦٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٣. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١٤٥.

(١) تفسير ابن كثير للآية رقم (٦٧) من سورة الزمر.

* الدليل من السنة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧][1].

وفي رواية لمسلم: «وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ»[2].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ[3] ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[4].

وروي عن ابن عباس قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٦).

(٣) قال البيهقي: «ذكر الشمال فيه تفرد به عمر بن حمزة عن سالم وقد روى هذا الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر، لم يذكر فيه الشمال» الأسماء والصفات ٢/ ٥٥.
قلت: وفي الأحاديث الأخرى يذكر في مقابلها (بيده الأخرى) فالأخرى يعني اليد الثانية ولم يأت لها وصف في هذا الحديث هل هي يمين أو شمال. وجاء في أحاديث أخر أن (كلتا يديه يمين).
قال ابن عثيمين: «وعلى كلٍّ فإن يديه ـ سبحانه ـ اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، إذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى، بل كلتا يديه يمين» [القول المفيد ٣/ ٢٩٧].

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»[١].

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس».

قال: وقال أبو ذر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»[٢].

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء. والله فوق العرش؛ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[٣].

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة. وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»[٤].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٢٥) واحتج به شيخ الإسلام، انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٣٩.

(٢) تفسير ابن جرير ٣/ ١٢ قال القرطبي: أخرجه الآجري وأبوحاتم البستي في صحيح مسنده. والبيهقي وذكر أنه صحيح.

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي ص١٠٥، وفي الرد على الجهمية ص٢١، وابن خزيمة في التوحيد ص١٠٥، ١٠٦، والطبراني في المعجم ٩/ ٢٢٨ رقم (٨٩٨٧)، وأبوالشيخ في العظمة (٢٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٦: رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٧٠)، وأبوداود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٤) رقم (١٤٤).

قال في التيسير بعد أن ذكر هذه الأحاديث: «وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته، وقد تعرف ﷻ إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل على كماله، وأنه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان»[1].

وأنواع تعظيم غير الله والأسباب المفضية إليه كثيرة فإن التعظيم قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل.

أما التعظيم بالقول فمن مظاهره:

١ ـ المساواة بالله بالواو العاطفة في المشيئة. فقد قال قائل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت فقال: أجعلتني والله عدلاً بل ما شاء الله وحده»[2]. وقال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد»[3].

٢ ـ الإطراء فقد قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»[4].

وفي حديث جويرية رضي الله عنها لما قالت: وفينا نبيٌّ يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «دعي هذه وقولي بالذي كنتِ تقولين»[5].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٧٥٩.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٩) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٨٢٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٢٠٩٧٠)، والدارمي (٢٧٤١) واللفظ له من حديث الطفيل بن سخبره.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (٥١٤٧).

٣ـ قال ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي»[(١)] وقس على ذلك.

❖ **أما التعظيم بالفعل فمن مظاهره:**

١ـ لما خرج الرسول ﷺ متوكئاً على عصا قام الناس إليه فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً»[(٢)].

٢ـ السجود لغير الله فقد ثبت أن معاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد للنبي ﷺ. قال: «ما هذا يا معاذ؟» قال: أتيتُ الشامَ فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددتُ في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله؛ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»»[(٣)].

٣ـ فعل هيئة لا تصلح إلا لله كالركوع والانحناء وحلق الرأس للشيخ، وقد عدَّ ابنُ القيمِ من أنواع الشرك السجودُ لغير الله والركوعُ والانحناءُ، ثم قال: «ومن أنواعه: حلق الرأس للشيخ. فإنه تعبد لغير الله، ولا يتعبد بحلق الرأس إلا في النسك لله خاصة»[(٤)].

٤ ـ الذبح للسلطان. (انظر باب الذبح).

وكل تعظيم لغير الله إذا كان على وجه العبادة فهو شرك كالحلف والنذر والذبح والطواف بالقبر والعكوف عنده فإن التعظيم حق الله ﷻ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وأحمد (٢٢٥٣٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣).

(٤) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.

حكم الإحداد على الزعماء والوجهاء:

ورد سؤال على اللجنة الدائمة هذا نصه:

* **السؤال:** يذكر لنا أنه حصل في خبر الإذاعات أن هيئة الأمم المتحدة لما علمت بخبر موت رئيس دولة عضو في هيئة الأمم ظلّوا واقفين ساعة كاملة حزنا على المقتول، وفوق هذا أن جميع الدول الإسلامية سكَّرت أسواقها ونكست أعلامها مدة ثلاثة أيام. أما الدول المعنية فمدتها أربعون يوماً، وهذا مما يجب محاولة إزالته إذا كان الحديث ورد بالنهي عن النياحة على هذا الميت، فهذا مما هو شرّ منه، وهذا ليس حزناً وإنما تعظيم. وإن كان حزناً فليس بمشروع، وأنتم أعلم منا بذلك، كذلك هذه سنة اليهود؟

* **الجواب:** «ما يفعله بعض الناس من الوقوف زمناً مع الصمت تحية للشهداء أو الوجهاء، أو تشريفاً أو تكريماً لأرواحهم من المنكرات والبدع المحدثة التي لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه ولا السلف الصالح، ولا تتفق مع آداب التوحيد ولا إخلاص التعظيم لله، بل اتبع فيها بعض جهلة المسلمين بدينهم من ابتدعها من الكفار وقلدوهم في عاداتهم القبيحة وغلوّهم في رؤسائهم ووجهائهم أحياء وأمواتا، وقد نهى النبي ﷺ عن مشابهتهم. والذي عُرف في الإسلام من حقوق أهله الدعاء لأموات المسلمين، والصدقة عنهم، وذكر محاسنهم والكفّ عن مساويهم ... إلى كثير من الآداب التي بينها الإسلام وحث المسلم على مراعاتها مع إخوانه أحياءً وأمواتاً، وليس منها الوقوف حداداً مع الصمت تحية للشهداء والوجهاء، بل هذا مما تأباه أصول الإسلام»[1].

وقد صدرت فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في حكم الإحداد على

---

(١) مستفاد من كتاب فتاوى إسلامية. جمع محمد المسند الجزء الثاني ص٤٩، ٥٠.

الملوك والزعماء. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ تنهى عن الإحداد وتحذر منه إلا في حق الزوجة، فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه ﷺ للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل، أما ما سوى ذلك من الإحداد فهو ممنوع شرعاً، وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما، وقد مات في حياة النبي ﷺ ابنه إبراهيم وبناته الثلاث وأعيان آخرون فلم يحدّ عليهم ﷺ. وقتل في زمانه أمراء جيش مؤتة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة رضي الله عنهم فلم يحد عليهم، ثم توفي النبي ﷺ وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم، والمصيبة بموته أعظم المصائب، ولم يحدّ عليه الصحابة رضي الله عنهم، ثم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو أفضل الصحابة وأشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه، ثم قتل عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء وبعد أبي بكر الصديق فلم يحدوا عليهم.

وهكذا مات الصحابة جميعاً فلم يحد عليهم التابعون، وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدى من علماء التابعين ومن بعدهم؛ كسعيد بن المسيب وعلي ابن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي وعمر بن عبد العزيز والزهري والإمام أبي حنيفة، وصاحبيه، والإمام مالك بن أنس والأوزاعي والثوري والإمام الشافعي والأمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة العلم والهدى فلم يحد عليهم المسلمون. ولو كان خيراً لكان السلف الصالح إليه أسبق، والخير كله في اتباعهم والشر كله في مخالفتهم.

وقد دلت سنة رسول الله ﷺ التي أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الإحداد على غير الأزواج هو الحق والصواب، وأن ما يفعله الناس اليوم من الإحداد على الملوك والزعماء أمر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه

من الأضرار الكثيرة وتعطيل المصالح والتشبه بأعداء الإسلام. وبذلك يعلم أن الواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الإحداد والسير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم، والواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك وإعلامهم به أداء لواجب النصيحة وتعاوناً على البر والتقوى.

ولما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة. وأسأل الله ﷻ أن يوفق قادة المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه والتمسك بشريعته والحذر مما خالفها، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً إنه سميع الدعاء قريب الإجابة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه»[1].

❖ **التحذير من التعظيم المحرم:**

حذر العلماء من الغلو في الرسول ﷺ أو الأنبياء والملائكة أو القبور. **ومن التعظيم المحرم الغلو** في حق المخلوق كرفع النبي ﷺ فوق منزلته التي أنزله الله إياه ومن هذا قول البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جود محمد ﷺ وادعى له علم الغيب الذي استأثر الله به سبحانه وهو علم اللوح والقلم. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وكل ذلك كفر صريح. ومن العجب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﵊ وتعظيمه ومتابعته، هذا شأن اللعين لا بد وأن يمزج الحق بالباطل ليروج على أشباه الأنعام اتباع كل ناعق، الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن

(١) مجلة البحوث العدد الرابع من المجلد الأول عام ١٣٩٨ ص٣١٠، ٣١١. فتاوى ابن باز ص ٧٣٩.

وثيق، لأن هذا ليس بتعظيم، فإن التعظيم محله القلب واللسان والجوارح وهم أبعد الناس منه، فإن التعظيم بالقلب: ما يتبع اعتقاد كونه عبدا رسولا، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين»[١].

ومما هو كفر صريح نداء الرسول ﷺ ودعاؤه والاستغاثة به قول البرعي:

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني

هبني بجاهك ما قدمت من زلل ... جودا ورجح بفضل منك ميزاني

واسمع دعائي واكشف ما يساورني ... من الخطوب ونَفِّس كل أحزاني

فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وإن بعدت داري وأوطاني

إني دعوتك من «نيابتي برع» ... وأنت أسمع من يدعوه ذو شأن

فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبي ... برحمة وكرامات وغفران[٢]

ومن مظاهر التعظيم الشركي تعظيم القبور والقباب والمشاهد قال الشيخ سليمان ابن عبد الله: «... فكثير منهم إذا رأوا القباب التي يقصدونها كشفوا الرؤوس فنزلوا عن الاكوار، فإذا أتوها طافوا بها واستلموا أركانها، وتمسحوا بها، وصلوا عندها ركعتين، وحلقوا عندها الرؤوس ووقفوا باكين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم، وهذا هو الحج، وكثير منهم يسجدون لها إذا رأوها، ويعفرون وجوههم في التراب تعظيما لها، وخضوعا لمن فيها، فإن كان للإنسان منهم حاجة من شفاء مريض أو غير ذلك، نادى صاحب القبر، يا سيدي فلان جئتك قاصداً من مكان بعيد، لا تخيبني، وكذلك إذا قحط المطر، أو عقرت المرأة عن الولد، أو دهمهم عدو أو جراد، فزعوا إلى صاحب القبر، وبكوا عنده فإن جرى المقدور بحصول شيء مما يريدون،

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٣١٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٢٧.

استبشروا وفرحوا ونسبوا ذلك إلى صاحب القبر، فإن لم يتيسر شيء من ذلك اعتذروا عن صاحب القبر بأنه إما غائب في مكان آخر، أو ساخط لبعض أعمالهم، أو أن اعتقادهم في الولي ضعيف، أو أنهم لم يعطوه نذره ونحو هذه الخرافات. ومن بعض أشعار المادحين لسيد المرسلين ﷺ قول البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذا بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم»[1]

وهذا غلو ظاهر ومن التعظيم أيضاً الوقوف مع الصمت تحية للشهداء والرؤساء فهذا زيادة على أنه تشبه بأعداء الإسلام فهو تعظيم لغير الله وقيام لغيره وهذا كما قال ابن باز «أمر مخالف للشريعة المطهرة»[2].

٨١ـ تقبيل القبور والأعتاب للتبرك

انظر باب (التمسح وتقبيل القبور وغيره).

٨٢ـ التكذيب ببعض ما جاء به الرسول ﷺ

انظر باب (كفر الجحود والتكذيب).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٢٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص٧٣٦.

٨٣ـ التكفير*

[الكفر – عارض الجهل – الردة – النواقض]

التكفير من الكفر قال الراغب: «يقال كفر فلان إذا اعتقد الكفر ويقال ذلك إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد ولذلك قال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]... ويقال: أكفره إكفارا إذا حكم بكفره»[١].

والمراد بالتكفير الحكم عليه بالكفر. وهذا الباب مرتبط بأبواب أخرىٰ كباب (الردة)، وباب (عارض الجهل) فلتراجع في هذا الكتاب. وسوف نتناول في هذا الباب:

١ـ النصوص الواردة في التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم.

٢ـ وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين.

٣ـ معرفة المخالفة فقد تكون صريحة في الكفر فيحكم بكفره، وقد تكون غير صريحة.

---

* التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٣٧-٢٤٠، ١٧/ ٢٢. الإبانة لابن بطة العكبري ص ٦٦٩، ٦٨٢، ٧٣١. أحكام القرآن القرطبي ٧/ ١٤١. الطحاوية ص٢٦٢ طبعة أحمد شاكر. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٠٣، ٤٣٠. الدرر السنية ١/ ١٠٠-٢٣٤، ٣٠٧، ٩/ ٢٩٠، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٤٥، ١٠/ ٨، ٦٣، ٧٥، ٩٣، ١٢٩، ٣٥١-٣٦٨، ٤٠١، ٤١٥، ١٢/ ٧٣، ١٧٦، ٣٠٣. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ٨٩. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٥٢. الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة للسعدي ص١٢٠. مجموع الفتاوىٰ لابن بــاز ٢/ ٥٠٣. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ١٢١ـ ٧/ ٤٢، ٤٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٣٨١ ـ ٥/ ٣٦٣. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص ٥٠٢، ٥١٠، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٥٥٩، ٥٣٠. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٤٨٥، ٥٤٧. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٢، ٧١، ١٦٧-١٩٤.

(١) المفردات ص ٤٣٥.

٤ـ وجوب معرفة موانع التكفير ومنها:

أ ـ العذر بالجهل. ب ـ الإكراه. ج ـ الخطأ. د ـ التأويل هـ ـ العجز.

ثم نذكر بعض التنبيهات المهمة ومنها:

التنبيه الأول: معرفة العلاقة بين الظاهر والباطن.

التنبيه الثاني: اختلاف الحكم بين الدنيا والآخرة.

التنبيه الثالث: تكفير أهل القبلة لا يكون بالمعاصي.

وفيها مسألتان :

١ ـ تعريف الكبيرة. ٢ـ حكم تكفير الجميع.

التنبيه الرابع: لا يلزم من قتال فئة من المسلمين تكفيرهم.

التنبيه الخامس: أن من يحكم في هذه الأمور هم العلماء والقضاة.

التنبيه السادس: الامتناع عن التكفير بإطلاق تعطيل للأحكام وإغلاق لباب الردة.

التنبيه السابع: التكفير ليس سببه التكذيب أو الجحود فقط.

١. النصوص الواردة في التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم:

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل كفر رجلا فأحدهما كافر»[2].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل لصاحبه: يا كافر، فإنها تجب على أحدهما، فإن كان الذي قيل له كافراً فهو كافر، وإلا رجع إليه ما قال»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٢٦٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٠٣٥) (٥٨٢٤).

وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»(١).

ولما أورد القاضي عياض فصلاً عن المكفرات القولية، قال في مطلع هذا الفصل: «اعلم أن تحقيق هذا الفصل، وكشف اللبس فيه، مورده الشرع، ولا مجال للعقل فيه»(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل. فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً، كما أن المؤمن من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلماً، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها ... والحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع. وأما الأمور التي يستقل بها العقل فمثل الأمور الطبيعية، مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلاني، فإن مثل هذا يعلم بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بقياس أو تجربة»(٣).

ويقول ابن الوزير: «إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه»(٤).

ويقول أيضاً: «وأن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعيا قطعيا، ولا نزاع في ذلك»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)

(٢) الشفا ٢/ ١٠٦٥.

(٣) منهاج السنة ٥/ ٩٢، ٩٣.

(٤) العواصم من القواصم ٤/ ١٧٨.

(٥) العواصم من القواصم ٤ / ١٧٩.

ويقول أبو حامد الغزالي: «الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس علىٰ منصوص»(١).

قال شيخ الإسلام: «هذا مع أني دائماً، ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلىٰ تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرىٰ، وعاصيا أخرىٰ. وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وما زال يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم علىٰ أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية»(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد علىٰ معين أن الله لا يغفر لـه ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت».

ثم قال: «ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون لـه إيمان عظيم، وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ثم غفر الله له لخشيته»(٣).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «الكفر حق الله ورسوله فلا

(١) فيصل التفرقة ص ١٢٨، وانظر: ص ١٤٦، ١٥٨.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٢٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٧، ٣٥٨.

كافر إلا من كفره الله ورسوله»[(١)].

وفي فتاوىٰ اللجنة ما نصه: «والواجب التثبت في هذه الأمور وعدم التعجل بالتكفير حتىٰ يتضح الدليل»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئاً منه، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجبا بعمله محتقرا لغيره فيكون جامعا بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلىٰ حبوطه، وبين الكبر الموجب لعذاب الله تعالىٰ في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»»[(٣)].

فينبغي أن يُتنبه إلىٰ عدم تكفير الأعيان إلا بعد اجتماع الشروط وانتفاء الموانع وهذه يقيمها من يصلح لإقامتها من أهل القضاء أو الفتيا. لا يقال في ذلك بالرأي ولا بالهوىٰ وإنما يقال بعلم، فمن كفّر بغير علم يلحقه الوعيد المذكور ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما وفيه أيضا مشابهة الخوارج لأن الخوارج كفروا بغير علم وفيه تعدي علىٰ الدليل من القرآن والسنة لأن إثبات الإيمان جاء بدليل فنفي الإيمان عن المعين لا بد فيه من دليل وإلا كان قولاً علىٰ الله بغير علم، فالغلو في التكفير أمره خطير والواجب علىٰ العبد أن يحترز من فلتات اللسان ويخاف من ذلك أشد الخوف فرب كلمة قالها العبد لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا.

---

(١) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب ص ١٩٨.

(٢) اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (٤٤٤٦)

(٣) شرح كشف الشبهات من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٧/ ٤٢، وانظر أيضاً ٢/ ١٣٤.

٢. وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين:

التكفير المطلق: هو الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه، وعلى فاعليها على سبيل الإطلاق، بدون تحديد أحد بعينه، فيقال من قال كذا أو فعل كذا فهو كافر. فالتكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه[1].

أما تكفير المعين: فهو الحكم على المعين بالكفر؛ لإتيانه بأمر يناقض الإسلام بعد اجتماع شروط التكفير فيه، وانتفاء موانعه.

وهذا أصل عظيم وضابط مهم فإذا كان الفعل أو القول كفرا يطلق الكفر دون تعيين فيقال من فعل كذا فهو كافر ومن قال كذا فهو كافر وعليه فيقال: القول بخلق القرآن كفر، ولا يقال: نكفر كل من قال به، ويقال: إنكار الأسماء والصفات كفر، ولا يقال: نكفر كل من أنكر شيئاً من الأسماء والصفات؛ فقد يكون عند من قال بهذ القول تأويلٌ أو شبهة، فالتكفير إخراج من الدين، والإخراج من الدين لا بد أن يبنى على اليقين، ولو كان تكفير المعين سائغاً دون النظر في الشروط والموانع لما نجا من الكفر إلا النزر اليسير من الأمة وهذا لم يعمله أحد من أئمة الإسلام فلا بد في حق المعين من رد الشبهة وتوضيح الأدلة. ولا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

قال الهروي: «سئل الأزهري عمن يقول بخلق القرآن: أتسميه كافراً؟ فقال: الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال ثلاثاً ويقول مثل ما قال، ثم قال في الآخر: قد يقول المسلم كفراً»[2].

قال ابن تيمية: «إن التكفير لـه شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٧، ٤٩٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث (ك ف ر).

تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»[١].

ويسوق ابن تيمية بعضاً من الأعذار الواردة على المعين، فيقول: «وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده، ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ، وجماهير أئمة الإسلام»[٢].

وقال رحمه الله مبينا مذهب الإمام أحمد رحمه الله: «وإنما كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينه ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، وكان قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة أمرهم، وأنه يدور على التعطيل، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة. لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية «إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يُرى في الآخرة وغير ذلك»، ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفرون من لم يجبهم ... ومع هذا فالإمام أحمد ترحم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لم يُبَيَّن لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا

(١) مجموع الفتاوى الكيلانية ١٢/ ٤٨٧، ٤٨٨. انظر لمزيد من التفصيل: مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥٤، ١٢/ ٤٩٨، ٢٨/ ٥٠٠، ٣٥/ ١٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٤٦. وانظر أيضاً ٣/ ٢٣١.

جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطئوا، وقلدوا من قال لهم ذلك»[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالىٰ فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال»[٢].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولا يكون القول به كفرا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا نحكم بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقد يكون الفعل أو المقالة كفرا ويطلق القول بتكفير من قال المقالة، أو فعل ذلك الفعل، ويقال: من قال كذا، فهو كافر، أو من فعل ذلك، فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا الأمر مطرد في نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة، فلا يشهد علىٰ معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار، لجواز أن لا يلحقه، لفوات شرط أو لثبوت مانع»[٤].

وسئلت اللجنة الدائمة:

هل من حق العلماء أن يقولوا علىٰ شخص ما إنه كافر ويتهموه بالكفر؟

فأجابت بأن: «تكفير غير المعين مشروع بأن يقال: من استغاث بغير الله فيما دفْعُه من اختصاص الله كافر، كمن استغاث بنبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أن يشفيه أو يشفي ولده مثلاً.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٣/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد علىٰ البكري ٢/ ٤٩٤.

(٣) الدرر السنية ٨/ ٢٤٤.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ١٦٥.

وتكفير المعين إذا أنكر معلوماً من الدين بالضرورة كالصلاة أو الزكاة أو الصوم بعد البلاغ واجب، وينصح، فإن تاب وإلا وجب على ولي الأمر قتله كفرا، ولو لم يشرع تكفيره المعين عندما يوجد منه ما يوجب كفره ما أقيم حد على مرتد عن الإسلام»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وبهذا علم أن المقالة، أو الفعلة قد تكون كفرا، أو فسقا، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرا أو فاسقا، إما لانتفاء شرط التكفير، أو التفسيق، أو وجود مانع شرعي يمنع منه»(٢).

وهذا يختص به أهل القبلة أما المعين من اليهود والنصارى ومات على ذلك وقد سمع بالإسلام ولم يدخل فيه فيحكم عليه بالتعيين أنه من أهل النار.

* تنبيه: في الفرق بين تكفير المعين ولعنه. انظر باب (لعن الكافر المعين).

٣ . قبل الحكم بالتكفير يشترط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره، كما أن مخالفته قد تكون صريحة في الكفر وقد تكون غير صريحة فيجب التحقق قبل تكفيره. أما إذا كان لازم مخالفته الكفر فرده وأنكره فإنه لا يُكَفَّر.

قال الشيخ ابن عثيمين: «فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مكفر لئلا يفتري على الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالما بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ

(١) اللجنة الدائمة، السؤال الثاني من الفتوى رقم (٦١٠٩) برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.
(٢) القواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٩٢.

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له»[١].

٤. يجب معرفة موانع التكفير ومنها:

١ ـ العذر بالجهل وقد أفردنا لـه باباً خاصاً تكلمنا فيه عن قيام الحجة وأن عدمها مانع من تكفير المعين، كما أوضحنا المراد من بلوغ الحجة وفهم الحجة وأن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص كما ذكرنا أقوال أهل العلم في التفريق بين المسائل الواضحة والمسائل الدقيقة وأن الجهل لا يكون فيما هو معلوم من الدين بالضرورة فلتراجع هناك[٢].

٢ـ الإكراه: ومعناه في اللغة: «حمل الإنسان على أمر هو له كاره»[٣]، والكره بالضم: المشقة تحتملها من غير أن تكلَّفها[٤].

وفي الاصطلاح قال ابن حزم: «هو كل ماسمي في اللغة إكراها، وعرف بالحس أنه إكراه، كالوعيد بالقتل ممن لا يؤمن منه إنفاذ ما توعد به، والوعيد بالضرب كذلك»[٥].

وقال ابن عثيمين: «ومن الموانع من التكفير أن يكره على المكفّر لقولـه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[النحل: ١٠٦]»[٦].

---

(١) شرح كتاب الشبهات من مجموع الفتاوى ص٤٢٥. وانظر أيضاً ٢/ ١٣٤من مجموع الفتاوى لابن عثيمين.

(٢) انظر باب العذر بالجهل في المكفرات.

(٣) المفردات (ك ر هـ)، لسان العرب (ك ر هـ).

(٤) لسان العرب (ك ر هـ).

(٥) المحلى لابن حزم ٨/ ٣٣.

(٦) مجموع الفتاوى ٧/ ٤٣.

وقال الشنقيطي رحمه الله: «وأما لهذه الأمة فقد صرح الله تعالىٰ بعذرهم بالإكراه في قولـه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد أن ذكر النواقض العشرة: «ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرا وأكثر ما يكون وقوعا فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه»[2].

قال في الكافي: «ولا تصح الردة من المكره لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾»[3].

فإذا كان مكرها علىٰ الكفر فإنه يمتنع التكفير في هذه الحالة ومن كان في حال الإكراه منشرح الصدر للكفر فهو كافر لأن انشراح الصدر بالكفر بعض أنواع الكفر.

* تنبيه:

اعلم أن انشراح الصدر بالكفر بعض أنواع الكفر وليست هي قاعدة الكفر إذ الكفر يكون بالعمل ويكون بالترك ويكون بالقول ويكون بالاعتقاد[4] دون انشراح الصدر به حال اختيار الكفر علىٰ الإيمان.

* تنبيه آخر:

ورد عن النبي ﷺ أنه أوصىٰ طائفة من أصحابه وقال: «لا تشركوا بالله وإن قُطِّعتم وحُرِّقتم»[5]، وإن صحَّ فالمراد منه الشرك بالقلوب كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِن

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٧٣.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٩٣.

(٣) الكافي لابن قدامة ٤/ ١٥٦.

(٤) انظر: تفصيل ذلك في باب: «الردة».

(٥) وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه (٤٠٣٤) من حديث أبي الدرداء =

مَن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النحل:١٠٦]، ولا خلاف بين العلماء في أن أفعال القلوب كالحب والبغض لا مجال للإكراه فيها، ولكن محل الإكراه أقوال وأفعال الجوارح[١].

* شروط الإكراه:

يكون الإكراه عذرا إذا تحققت المشقة وحُمِل على مالايرضاه كأن يكون المكره عاجزا عن الدفع عن نفسه بالهرب أو الاستغاثة أو المقاومة ونحو ذلك و يغلب على ظنه وقوع الوعيد إن لم يفعل ما طلب منه أو يكون مما يستضر به ضررا شديدا كالقتل والضرب الشديد والقيد والحبس الطويلين، فأما الشتم والسب فليس بإكراه رواية واحدة، وكذلك أخذ المال اليسير، وهناك من يفرِّق بين الإكراه بالقول والإكراه بالفعل، والصواب أنه لا فرق بينهما ما دام أن الإكراه ملجئ لا اختيار له فيه[٢].

فتبين مما ذكرنا في مسائل الإكراه:

١ - جواز قول كلمة الكفر والشرك للمكره.

٢ ـ جواز فعل الكفر والشرك للمكره.

وهذا على القول الراجح وهو عدم التفريق بين الأقوال والأفعال.

ولكن الأفضل الصبر على الابتلاء كما نقل ابن بطال الإجماع على ذلك حتى لو

= والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ٤/ ٢١٦، ٢١٧ وفي سنده شهر بن حوشب وفيه ضعف وبعضهم حسن حديثه. وجاء من حديث عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأميمة مولاة النبي ﷺ وكل هذه الشواهد فيها كلام وعلة العموم الحديث بمجموع الشواهد قد يحسن.

(١) للاستزادة انظر: الدرر السنية ١٠/ ٤٢٠.

(٢) للاستزادة انظر: أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر للشيخ عبدالعزيز الراجحي ص٤٦.

أكره على القتل[١].

وقال ابن العربي رحمه الله: «إن الكفر وإن كان بالإكراه جائزاً عند العلماء فإن مَنْ صبر على البلاء ولم يُفتتن حتى قُتل فإنه شهيد، ولا خلاف في ذلك، وعليه تدل آثار الشريعة»[٢].

ويتأكد الصبر في حق من يقتدى به كحال الإمام أحمد وقد سئل أحمد عن العالم وهل يأخذ بالتقية قال: «إذا أجاب العالم تقية، والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق»[٣].

٣ ـ الخطأ:

قال ابن رجب رحمه الله: «الخطأ هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده»[٤].

وقال الجرجاني: «الخطأ وهو ما ليس للإنسان فيه قصد.. كما إذا رمى شخصاً ظنه صيدا أو حربيا فإذا هو مسلم...»[٥].

قال الراغب: «وجملة الأمر أن من أراد شيئا فاتفق منه غيره يقال: أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال: أصاب، وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل: إنه أخطأ»[٦].

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) فتح الباري ١٢/ ٣١٧.
(٢) أحكام القرآن ٣/ ١١٧٩.
(٣) انظر نواقض الإيمان للوهيبي ٢/ ١٩.
(٤) جامع العلوم والحكم ٣٥٢.
(٥) التعريفات ١٠٠.
(٦) المفردات (خ ط أ)

وثبت في الحديث الصحيح أن الله سبحانه استجاب لهذا الدعاء فقال: «قد فعلت»(١).

قال ابن عثيمين: «ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو غضب، أو خوف ونحو ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]»(٢).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»(٣).

ومن الأحايث في العذر بالخطأ حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(٤).

وذكر العلماء من الأدلة على الخطأ حديث الرجل من بني إسرائيل الذي شك في قدرة الله وسيأتي في باب «العذر بالجهل» ويستدل به هنا في العذر بالخطأ كما يستدل به في العذر بالجهل.

قال ابن الوزير: «وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل»(٥).

* والضابط في ذلك ماقاله شيخ الإسلام: «فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٣٥.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥).

(٥) إيثار الحق ص٤٣٦.

من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ من هذا الرجل فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم...»(١).

وقال رحمه الله: «وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ، وقصد الحق فأخطأ، لم يكفر بل يغفر له خطأه ومن تبين له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر. ومن اتبع هواه، وقصر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقا، وقد تكون لـه حسنات ترجح على سيئاته»(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كل من قال قولا أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قوله مخالفا للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع»(٣).

* تنبيه: يلاحظ ارتباط الخطأ بالجهل و التأويل لأن من جهل أو تأول أوقعه ذلك في الخطأ قال شيخ الإسلام: «فالخطأ والنسيان هو من باب العلم يكون إما مع تعذر العلم عليه أو تعسره عليه»(٤).

٤ ـ التأويل:

العذر بالتأويل داخل ضمن أقسام الخطأ لأنه عارض يطرأ في موانع التكفير. قال ابن عثيمين: «ومن الموانع أيضا أن يكون لـه شبهة تأويل في الكفر بحيث يظن أنه على حق؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ

(١) الاستقامة ١/ ١٦٤، ١٦٥، وانظر: ٣/ ٢٣١ ـ ١٢/ ٤٩٠، وغيرها.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٨٠، وانظر ١٩/ ١٩٠، ١٩٢، ٣/ ٤٢٠.

(٣) مجموع الفتاوى٧/ ٦٨٥ وانظر ٢٠/ ٢٧، ٢٨ ومنهاج السنة ٥/ ٩٨.

(٤) الاستقامة ١/ ٢٨. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ١٩، ٢٤، فتح الباري ١٣/ ٣١٩.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلا في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»[١].

ومن الأدلة في ذلك حديث حاطب بن أبي بلتعة ﷺ عندما أرسل برسالة مع الظعينة لأهل مكة قبل الفتح يخبرهم بتجهيز المسلمين إليهم، فلم يكفره النبي ﷺ، وقد أنزل الله ﷻ فيه هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]. قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب ماجاء في المتأولين»[٢] وذكر الحديث.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة، وقصة الرسالة مع الظعينة لأهل مكة قبل الفتح بإخبارهم بتجهيز المسلمين إليهم»[٣].

قال ابن قدامة في مسألة العذر بالتأويل: «وإن كان بتأويل كالخوارج، فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وفعلهم لذلك متقربين إلى الله تعالى»[٤]، ثم قال: «وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا»[٥].

وقال: «وقد رُوي أن قدامة بن مظعون شرب الخمر مستحلا لها، فأقام عمر عليه الحد ولم يكفره، وكذلك أبو جندل بن سهيل، وجماعة معه، شربوا الخمر بالشام مستحلين لها، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٣٦.
(٢) صحيح البخاري حديث رقم (٦٩٣٦).
(٣) أضواء البيان ٨/ ١٣٠.
(٤) المغني ٩/ ٢١.
(٥) المصدر نفسه.

ﭐلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ [المائدة: ٩٣]، فلم يكفروا، وعرفوا تحريمها فتابوا، وأقيم عليهم الحد، فيخرج فيمن كان مثلهم مثل حكمهم»[(١)].

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله أمثلةً على وقوع الخطأ في التأويل فقال: «وذلك كالمتأولين في تناول المسكر من صالحي أهل الكوفة ومن اتبعهم على ذلك، وإن كان المشروب خمرا لا يشك في ذلك من اطلع على أقوال النبي ﷺ وأقوال الصحابة،وكذلك المتأولون للمتعة والصرف من أهل مكة،متبعين لما كان يقوله ابن عباس ـ وإن كان قد رجع عن ذلك، أو زادوا عليه ـ إذ لايشك في ذلك، وأنه من أنواع الربا المحرم والنكاح المحرم، من اطَّلع على نصوص النبي ﷺ وكذلك المتأولون في بعض الأطعمة والحشوش من أهل المدينة، وإن كان لا يشك في تحريم ذلك من اطلع على نصوص النبي ﷺ وأصحابه، وكذلك ما دخل من السابقين والتابعين من القتال في الفتنة والبغي بالتأويل، مع ما عُلِم في ذلك من نصوص الكتاب والسنة من ترك القتال،والصلح.فما تأول فيه قوم من ذوي العلم والدين من مطعوم أو مشروب أو منكوح، أو مملوك،أو مما قد علم أن الله قد حرمه ورسوله لم يجز اتباعهم في ذلك ـ مغفورا لهم ـ وإن كانو خيار المسلمين، والله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان، كما دل عليه الكتاب والسنة، وهو سبحانه يمحو السيئات بالحسنات، ويقبل التوبه عن عباده، ويعفو عن السيئات»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر،ولا بفسق، ولا معصية كما أنكر شريح قراءة من قرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾. وقال: إن الله لايعجب،فبلغ ذلك إبراهيم النخعي

(١) المغني ٩/ ٢٢.
(٢) الاستقامة ١/ ٢٩٨، ٢٩٩.

فقال إنما شريح شاعر يعجبه علمه. كان عبد الله أعلم منه، وكان يقرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾. وكما نازعت عائشة وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ﷺ ربه. وقالت: من زعم أن محمد قد رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية، ومع هذا لا نقول لابن عباس ونحوه من المنازعين لها: أنه مفتر علىٰ الله. وكما نازعت في سماع الميت كلام الحي، وفي تعذيب الميت ببكاء أهله، وغير ذلك. وقد آل الشر بين السلف إلىٰ الاقتتال مع اتفاق أهل السنة علىٰ أن الطائفتين جميعاً مؤمنتان؛ وأن الاقتتال لايمنع العدالة الثابتة لهم؛ لأن المقاتل وإن كان باغيا، فهو متأول، والتأويل يمنع الفسوق»[(١)].

❖ **أما التأويل عند أهل البدع:**

فقال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن أهل البدع: «وإن كان هؤلاء لهم من الإيمان نصيب وافر من اتباع السنة، لكن فيهم من النفاق بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله، وخالفوا الله ورسوله، ثم إن لم يعلموا أن ذلك يخالف الرسول، ولو علموا لما قالوه لم يكونوا منافقين، بل ناقصي الإيمان مبتدعين، وخطؤهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وإن نقصوا به»[(٢)].

وفي فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكانت البدع الأولىٰ مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب»[(٣)].

وقال: «فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم.. وصاروا يتابعون المتشابه من القرآن فيتأولونه علىٰ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٦٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ١٣/ ٣٠.

غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة الجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن»[١].

وقال رحمه الله: «وإذا كان المسلم متأولا في القتال، أو التكفير لم يكفر بذلك»[٢].

وقال رحمه الله: «فالمتأول والجاهل والمعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر بل قد جعل الله لكل شيء قدرًا»[٣].

ومن هذا يتبين أن المسألة إذا كانت من المسائل التي لا مجال فيها للتأويل فهو لا يعذر فيها لظهور الأدلة فيها لكن إذا كانت مسألة قابلة وموارد اللغة فيها قد تشتبه فهو معذور.

٥ ـ العجز:

وهو داخل في قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء:٩٨-٩٩]، وهذا يصدق في كل عاجز عن أداء ما أوجبه الله عليه فهو معذور لعجزه وقد قرر شيخ الإسلام رحمه الله أن العاجزين عن إقامة الدين يسقط عنهم ما عجزوا عنه فقال رحمه الله: «وقد كان بمكة جماعة من المؤمنين يستخفون بإيمانهم وهم عاجزون عن الهجرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢١٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٨.

مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ فعذر سبحانه المستضعف العاجز عن الهجرة وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥] فأولئك كانوا عاجزين عن إقامة دينهم فقد سقط عنهم ما عجزوا عنه فإذا كان هذا فيمن كان مشركاً وآمن فما الظن بمن كان من أهل الكتاب وآمن»[١].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه إما لعدم تمكنه من العلم مثل أن لا تبلغه الرسالة أو لعدم تمكنه من العمل لم يكن مأمورا بما يعجز عنه ولم يكن ذلك من الإيمان والدين الواجب في حقه وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل بمنزلة صلاة المريض والخائف والمستحاضة وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه وبه أمروا إذ ذاك وإن كانت صلاة القادر على الإتمام أكمل وأفضل كما قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» رواه مسلم عن أبي هريرة في حديث حسن السياق، وقوله ﷺ: «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد»، ولو أمكنه العلم به دون العمل لوجب الايمان به علما واعتقادا دون العمل»[٢].

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٧٩،٤٧٨.

«وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي ﷺ في دار الكفر وعلم أنه رسول الله ﷻ فآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ﷻ ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام لكونه ممنوعاً من الهجرة وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يعلِّمه جميع شرائع الإسلام فهذا مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصديق ﵇ مع أهل مصر، فإنهم كانوا كفاراً ولم يكن يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر:٣٤]، وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام بل إنما دخل معه نفر منهم، ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه فصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة خرج بالمسلمين إلى المصلى فصفهم صفوفاً وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات وقال: «إن أخا لكم صالحًا من أهل الحبشة مات» وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد روي أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤدي الزكاة الشرعية لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم... فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها ولهذا جعل الله ﷻ هؤلاء من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران:١٩٩] وهذه الآية قد قال طائفة من السلف إنها نزلت في النجاشي ويروىٰ هذا عن جابر وابن عباس وأنس ومنهم من قال فيه وفي أصحابه كما قال الحسن وقتادة»[1].

* تنبيهات:

التنبيه الأول: معرفة العلاقة بين الظاهر والباطن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... فهذا أصل ينبغي معرفته فإنه مهم في هذا الباب، فإن كثيراً ممن تكلم في «مسائل الإيمان والكفر» ـ لتكفير أهل الأهواء ـ لم يلحظوا هذا الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن تدبر هذا علم أن كثيراً من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمناً مخطئاً جاهلاً ضالاً عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ، وقد يكون منافقاً يظهر خلاف ما يبطن»[2].

ومذهب أهل السنة في الحكم على الناس مبني على الظاهر، هذا هو الأصل، وقد يكون بين الظاهر والباطن تلازم فيحكم عليه بالكفر ظاهراً وباطناً، وقد يكون كافراً في الظاهر دون الباطن كحال المكرَه، وقد يكون مؤمناً ظاهراً وكافراً باطناً، وتفصيل ذلك فيما يلي:

١ - الكفر الباطن دون الظاهر كحال المنافق، وهذا يعامل على الظاهر كسائر المسلمين إلا إذا أظهر نفاقه، قال الإمام ابن تيمية: «إذا أظهر المنافق من ترك الواجبات وفعل المحرمات ما يستحق عليه العقوبة عُوقب على الظاهر ولا يعاقب

---

(١) منهاج السنة النبوية٥/ ١١٢ـ١١٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٤٧١.

علىٰ ما يعلم من باطنه بلا حجة ظاهرة»[(١)].

ومن **أدلة الحكم علىٰ الظاهر** قول الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله»[(٢)]، وآخر الحديث هو وجه الشاهد حيث قال: «وحسابهم علىٰ الله».

قال ابن رجب: «وأما في الآخرة فحسابه علىٰ الله ﷻ، فإن كان صادقاً أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذباً فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار»[(٣)].

وقال الحافظ في الفتح: «أي أمر سرائرهم.. وفيه دليل علىٰ قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر»[(٤)].

وقال الإمام البغوي: «وفي الحديث دليل علىٰ أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضا إنما تجري علىٰ الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون فيما بين قتلىٰ غلف، عزل عنهم في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه»[(٥)].

ومن الأدلة علىٰ أن الحكم متعلق بالظاهر قصة أسامة ؓ حيث قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبَّحنا الحُرُقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله. فطعنتُه، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفاً من السلاح قال:

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٢٠.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٨٣.

(٤) فتح الباري ١/ ٧٧، وانظر شرح النووي ١/ ٢١٢، وجامع العلوم والحكم ٨٣.

(٥) شرح السنة ١/ ٧٠.

«أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟»، فما زال يكررها عليّ حتىٰ تمنيت أني أسلمت يومئذ»[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟» الفاعل في قوله أقالها هو القلب، ومعناه أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلىٰ معرفة ما فيه فأنكر عليه امتناعه من العمل بما ظهر باللسان، وقال أفلا شققت عن قلبه لتنظر، هل قالها القلب واعتقدها وكانت فيه أم لم تكن فيه بل جرت علىٰ اللسان فحسب، يعني وأنت لست بقادر علىٰ هذا فاقتصر علىٰ اللسان فحسب ولا تطلب غيره»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ قوله ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه؟»: «وفيه دليل علىٰ القاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام فيها بالظاهر والله يتولىٰ السرائر»[٣].

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادَّعىٰ الإسلام لسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً علىٰ دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتىٰ يتبيَّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤] أي: فتثبتوا، فالآية تدل علىٰ أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنىٰ، إلىٰ أن يقول: وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلىٰ أن يتبين منه ما يناقض ذلك»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦) واللفظ له.
(٢) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٠٤.
(٣) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٠٧.
(٤) كشف الشبهات ص٤٩.

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموما، فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظاهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظاهر على ما جرت عليه. لا يقال: إنما كان ذلك من قبيل ما قال: «خوفاً من أن يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه» فالعلة أمر آخر لا ما زعمت، فإذا عدم ما علل به فلا حرج. لأنا نقول: هذا أدل الدليل على ما تقرر، لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى أن لا يحفظ ترتيب الظواهر فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر، فالعذر فيه ظاهر واضح، ومن طلب قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الخواطر وران على الظواهر، وقد فهم من الشرع سد هذا الباب جملة ألا ترى إلى باب الدعاوي المستند إلى أن: (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)، ولم يستثن من ذلك أحدا حتى أن رسول الله ﷺ احتاج في ذلك إلى البينة، فقال من يشهد لي؟ حتى شهد لـه خزيمة بن ثابت فجعلها الله شهادتين فما ظنك بآحاد الأمة، فلو ادعى أكذب الناس على أصلح الناس لكانت البينة على المدعي، واليمين على من أنكر وهذا من ذلك والنمط واحد، فالاعتبارات الغيبية مهملة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية»[1].

ومن الأحاديث في هذا الباب حديث جارية معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ: أفلا أعتقها؟ قال: «إئتني بها»، فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟». قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[2].

قال شيخ الإسلام في تعليقه على هذا الحديث «... فإن الإيمان الذي علقت به أحكام الدنيا، هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام، فالمسمى واحد في الأحكام

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) أخرجه مسلم كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة رقم ٥٣٧.

الظاهرة، ولهذا لما ذكر الأثرم لأحمد احتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة». أجابه بأن المراد حكمها في الدنيا حكم المؤمنة، لم يرد أنها مؤمنة عند الله تستحق دخول الجنة بلا نار إذا لقيته بمجرد هذا الإقرار»[١]؛ لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إني لم أُومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم». وقد قال عمر بن الخطاب رض: «من أظهر لنا خيراً أحببناه وواليناه عليه وإن كانت سريرته بخلاف ذلك، ومن أظهر لنا شراً أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة»»[٣].

وقال رحمه الله: «فإن كون الرجل مسلماً في الظاهر لا يمنع أن يكون منافقاً في الباطن، فإن المنافقين كلهم مسلمون في الظاهر، والقرآن قد بيَّن صفاتهم وأحكامهم، وإذا كانوا موجودين على عهد رسول الله ﷺ وفي عزة الإسلام مع ظهور أعلام النبوة ونور الرسالة فهم مع بعدهم عنهما أشد وجوداً لا سيما وسبب النفاق هو سبب الكفر وهو المعارض لما جاءت به الرسل»[٤].

وقال أيضاً: «يجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيهاالناس في الدنيا، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب، فالمؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمناً في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة»[٥].

---

(١) الإيمان ص٣٩٨، وانظر ص٢٠١، ٢٠٢، ٢٤٣.

(٢) نفس المصدر ص ١٩٧.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦.

(٤) مجموع الفتاوى٢/ ٢٠١.

(٥) الإيمان ص٢٠٣.

٢- الكفر ظاهراً وباطناً ومن ذلك سابُّ الله والرسول فإنه كافر ظاهراً وباطناً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً لـه، أو كان ذاهلاص عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل»[(١)].

ويقول الشيخ عبدالعزيز الراجحي حفظه الله: «من عمل كفراً وحكم عليه بالكفر فإنه يُكفَّر ظاهراً وباطناً ويحكم عليه بالخلود في النار، ولكن لابد من قيام الحجة عليه.

وهذا الكلام لا نقوله من كيسنا وإنما هو من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، من كفّره الله وكفّره رسوله كفراً أكبر فهو كافر وهومخلّد في النار؛ لأن الله حكم على الكافرين بالخلود في النار، فالله تعالىٰ هو الذي كفّرهم وهو الذي حكم عليهم بالخلود»[(٢)].

٣- قد يكون الفعل كفراً لكن صاحبه يجهل أو يخطئ في التأويل فلا يكون كافراً إلا بثبوت الشروط وانتفاء الموانع، فلابد من قيام الحجة عليه، وذكر العلماء من الأدلةعلىٰ الخطأ حديث الرجل من بني إسرائيل الذي شك في قدرة الله، وسيأتي في باب «العذر بالجهل» ويستدل به هنا في **الفعل الذي هو كفر لكن لا يكون القصد بالفعل مطابقاً للفعل.**

قال ابن الوزير رحمه الله في تعليقه علىٰ حديث: «إذا أنا مِتُّ فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذرُّوني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً». قال: «... وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد ولذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالىٰ علىٰ ما ظنه محالاً فلا يكون كفراً إلا لو علم أن الأنبياء جاءوا

---

(١) الصارم المسلول ص٥١٢. تحقيق محيي الدين عبدالحميد.
(٢) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٥٤.

بذلك وأنه ممكن مقدور ثم كذبهم أو أحداً منهم لقولـه تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وهذا أرجىٰ لأهل الخطأ في التأويل»[١].

قال شيخ الإسلام: «فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالاً من هذا الرجل فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق علىٰ قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم...»[٢].

وقال رحمه الله: «وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين علىٰ أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك، وإن كان قولـه مخالفاً للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع»[٣].

وقد علق شيخ الإسلام علىٰ الحديث السابق بقوله: «فهذا رجلٌ شك في قدرة الله تعالىٰ، وفي إعادته إذا ذرِّي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك»[٤].

وقال أيضاً: «فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالىٰ، وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلاً بذلك، ضالاً في هذا الظن مخطئاً، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنىٰ هذا أن يكون شاكًّا في المعاد، وذلك

---

(١) إيثار الحق ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) الاستقامة ١/ ١٦٥.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٨٥، ٢٠/ ٢٧، ٢٨، ومنهاج السنة ٥/ ٩٨.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٢٣١.

كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره..»(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن حكم من جحد فرضاً من فرائض الإسلام: «... وأما من جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهلَه أن يحرقوه ويذرّوه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً وتكذيباً»(٢).

ومن الأدلة قول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ وكذلك سؤال الحواريين لعيسى بقولهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٢] هو داخل في هذا الباب ودل عليه قولهم: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣].

وقد تقدم في أول الباب جملة من كلام العلماء في العذر بالتأويل قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الائمةعليأن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول، ولهذا جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٩، وهناك نصوص أخرى مماثلة لشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٧/ ٦١٩، ١٢/ ٤٩٠، ٢٣/ ٣٤٨، ٢٨/ ٥٠١. والرد على البكري ص٢٥٩.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧.

إلا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقول: أدركنا آباءنا وهم يقولون: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون صلاة ولا زكاة ولا حجاً، فقال: ولا صوم ينجيهم من النار»»[1].

* **فائدة**: الكافر الأصلي أو المشرك أو الكافر اليهودي والنصراني هذا كفره أصلي يستصحب الأصل الذي كان عليه.

* **التنبيه الثاني**: تكفير أهل القبلة لا يكون بالمعاصي:

قال الشيخ ابن عثيمين: «أهل القبلة هم المسلمون المصلون إليها، لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. فأثبت الاخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرا لانتفت الاخوة الإيمانية.

وقال النبي ﷺ يقول الله تعالى: «من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه»[2] يعني من النار.

وخالف في هذا طائفتان:

الأولى: الخوارج قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبيرة[3] خارج عن الإيمان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين المنزلتين وهو خالد في النار»[4].

❖ مسألة في بطلان القول بتكفير الجميع:

ثبت أن رسول الله ﷺ قال : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٣) انظر تعريف الكبيرة في باب الفسق.

(٤) لمعة الاعتقاد من مجموع الفتاوى ٥/ ٨٢.

يضرهم من خذلهم».. الحديث. والقول بأن كل المجتمع كافر أو أن كل من على الأرض كافر قول باطل وخطير ومصادم للنصوص الدالة على ثبات الحق وبقاء أهله إلى قيام الساعة ومن النصوص الدالة على ذلك أيضاً ما ورد في وصف الغرباء جاء في رواية قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس». وفي لفظ آخر: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي»(١).

قال الشيخ ابن باز: «وهكذا في آخر الزمان هم الذين يستقيمون على دين الله عندما يتأخر الناس عن دين الله وعندما يكفر الناس وعندما تكثر معاصيهم وشرورهم يستقيم هؤلاء الغرباء على طاعة الله ودينه فلهم الجنة والسعـادة ولهم العاقبة الحميدة في الدنيا وفي الآخرة»(٢).

ومن الافتراءات الباطلة ما زعمه بعض المفترين من أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله يكفر المسلمين عموما وهذا والله استطالة في عرض الشيخ وبهتان نبرأ إلى الله منه وهذه كتبه مجموعة كاملة بين أيدينا ليس فيها شيء من ذلك إنما فيها تكفير من ثبت كفره بعمله أو معتقده وقامت عليه الحجة وانتفت عنه الموانع.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «وزعموا أن الشيخ رحمه الله يكفر المسلمين وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفر إلا من عمل مكفرًا وقامت عليه الحجة، فأجابهم المصنف بهذا الكتاب(٣)، وكشف شبههم بما تطمئن به الألباب»(٤).

* **التنبيه الثالث**: لا يلزم من قتال فئة من المسلمين تكفيرهم لأن القتل أو

---

(١) سيأتي تخريج هذه الأحاديث في (الغرباء).

(٢) نور على الدرب ص ١٦.

(٣) يعني كتاب كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب.

(٤) من شرح كتاب كشف الشبهات ص ١٣.

القتال قد يوجد من غير ردة كقتال البغاة والمحاربين وعلي ﷺ قاتل الخوارج ولم يحكم بكفرهم ومعلوم اختلاف العلماء في الخوارج وأنهم ليسوا كفارا وبعض العلماء يكفرهم وفي ذلك خلاف يطول التفصيل فيه، والراجح عدم كفرهم وهو قول علي ﷺ حين سئل: أكفّار هُم؟ فقال: «من الكفر فروا»[(١)].

ومعلوم من أقوال الأئمة قتال مانعي الزكاة وقتال تاركي شعائر الإسلام الظاهرة، قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «الأذان مشروع للصلوات الخمس دون غيرها، وهو من فروض الكفاية لأنه من شعائر الإسلام الظاهرة فلم يجز تعطيله كالجهاد، فإن اتفق أهل بلد على تركه قُوتلوا عليه»[(٢)].

وقال عن صلاة العيدين بعدما ذكر أنها فرض كفاية: «فإن اتفق أهل بلد على تركها قاتلهم الإمام لتركهم شعائر الإسلام الظاهرة فأشبه تركهم الأذان»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك مانعوا الزكاة؛ فإن الصدِّيق والصحابة ابتدؤوا قتالهم، قال الصديق: والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وهم يقاتلون إذا امتنعوا من أداء الواجبات وإن أقروا بالوجوب، ثم تنازع الفقهاء في كفر من منعها وقاتل الإمام عليها مع إقراره بالوجوب؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، كالروايتين عنه في تكفير الخوارج، وأما أهل البغي المجرد فلا يكفرون باتفاق أئمة الدين؛ فإن القرآن قد نص على إيمانهم وإخوتهم مع وجود الاقتتال والبغي»[(٤)].

ويحسن بنا أن نتناول كلام الأئمة في قتال الطائفة الممتنعة فقد قرر ابن تيمية

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٢،٧/ ٢١٧، ٢١٨، ٢٨_٢١٨، ٥٠٠، ٥١٨.

(٢) الكافي ١/ ١٢٧.

(٣) الكافي ١/ ٣٨٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٥٧.

اتفاق العلماء على وجوب قتال الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، وإن كانت مقرة بتلك الشريعة، فيقول: «كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة ... فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة ﷺ مانعي الزكاة ... فاتفق الصحابة ﷺ على القتال على حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة... إلى أن قال: فأيما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء، والأموال والخمر، والزنا، والميسر، أو عن نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته، التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها، التي يكفر الجاحد لوجوبها، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله أيضاً: «وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان، وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة؛ فلهذا كانوا مرتدين، وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله...»[(٢)].

وقد سئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله عن ذلك بما يأتي:

هل تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للطائفة الممتنعة من أداء شعيرة الزكاة حين فعل هذا من فعله من العرب لأجل جحدهم للوجوب أو لأجل مجرد المنع وعدم الالتزام بالأداء؟

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠٢، وانظر: الفتاوى ٢٨/ ٥١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥١٩. وانظر أيضاً: ٢٨/ ٥٣٠، ٥٣١.

فأجاب بقولـه: «هذا فصل فيه أهل العلم، قالوا: إن مانع الزكاة إن كان يجحد وجوبها فهذا كافر ويقاتل قتال ردة، وأما إن كان منعه لها من أجل بخل وهو يعتقد وجوبها فهذا يقاتل لأجل أخذ الزكاة منه؛ لأنه حق واجب عليه لغيره وامتنع من أدائه، وهو شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام، حتى يخضع لأداء الزكاة فلا يحكم بكفره، فيقاتل لمنعه الزكاة إذا كان له شوكة تدافع عنه حتى تُؤخذ منه.

وأما ما نسب إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنه كفّرهم مطلقاً فأنا لم أطلع على هذا الكلام. لكن العلماء قالوا: يقاتل من امتنع من شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام مثل الأذان والإقامة وليس من لازم ذلك أنه يكفر، بل يُقاتَل لأجل إقامة الشعيرة الظاهرة»[1].

وسئل الشيخ عبدالعزيز الراجحي عن هذه المسألة، فأجاب حفظه الله بقولـه: «أهل الردة الذين ارتدوا بعد موت النبي ﷺ أقسام:

منهم من رجع إلى الأصنام والأوثان فعبدها.

ومنهم من أنكر نبوة النبي ﷺ وقال: لو كان نبياً ما مات، وهؤلاء كفار لا إشكال فيهم.

ومنهم من منع الزكاة. والصحابة قاتلوهم جميعاً ولم يفرّقوا بينهم وسموهم المرتـدين، والذي منع الزكـاة قال العلماء: إنما كفر؛ لأنه إذا منعها وقاتل عليها دل على جحوده إياها؛ لأنه فعل أمرين: منعها، وقاتل عليها.

أما إذا منعها ولم يقاتل عليها فإنها تُؤخذ منه ويؤدَّب ولا يكفر، ولكن إن منعها وقاتل عليها فإنه يكفر؛ لأن هذا دليل على جحوده، والمرتدون الذين منعوا الزكاة منعوها وقاتلوا عليها فدل على أنهم جحدوها، ولهذا عاملهم الصحابة معاملة

---

(١) مسائل في الإيمان ص٣٢، ٣٣.

المرتدين وسموهم مرتدين كلهم وقاتلوهم، لا فرق بين من أنكر نبوة محمد ﷺ أو عبد الأصنام، أو من جحد الزكاة؛ لأنه جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة»[١].

* **التنبيه الرابع**: أن من يحكم في هذه الأمور هم العلماء والقضاة:

فسلب أصل الإيمان والحكم بعدم الإيمان إنما هو لأهل العلم ليس لكل أحد؛ لأن تحقيق اتصاف المسلم بمكفر من المكفرات يُخرجه من دينه مسألة تحتاج إلىٰ نظر عالم مجتهد فقيه يعرف الشروط والموانع ويعرف ما يُعذر به المرء وما لا يعذر به، وكذلك فإن ترتيب آثار الكفر من طلاق زوجته والإرث وما شابه ذلك يكون من الحاكم.

* **التنبيه الخامس**: الامتناع عن التكفير بإطلاق تعطيلٌ للأحكام وإغلاق لباب الردة[٢].

وقد أُلفت في ذلك (أعني الردة وأحكامها) كتب ورسائل وخصها الفقهاء في كتب الفقه بأحكام المرتد.

قال الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «التكفير للمرتدين ليس من تشريع الخوارج ولا غيرهم، وليس هو فكراً، وإنما هو حكم شرعي، حَكَمَ به الله ورسوله علىٰ من يستحقه، بارتكاب ناقص من نواقض الإسلام القولية أو الاعتقادية أو الفعلية، والتي بيّنها العلماءُ في باب «أحكام المرتد»، وهي مأخوذة من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، فالله قد حَكَم بالكفر علىٰ أناس بعد إيمانهم،

---

(١) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٣١، ٣٢.

(٢) انظر: للاستزادة رسالة مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب مجموعة مؤلفات الشيخ ١/ ٢٧٩، ٣٢٩، وفتاوىٰ محمد بن إبراهيم ١/ ٧٣، ٧٤، ورسالة حكم تكفير المعين للشيخ إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ.

بارتكابهم ناقضاً من نواقض الإيمان قال تعالىٰ: ﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]»[١].

* **التنبيه السادس**: التكفير ليس سببه التكذيب أو الجحود فقط بل يكون بالاعتقاد وبالعمل وبالقول وبالشك وبالترك وعليه، فإن المسلم إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام واجتمعت الشروط وانتفت الموانع فإنه يخرج من الإسلام ولا يلزم من ذلك التكذيب لأن المرجئة ضلّوا في هذا الباب فظنوا أن كل من نطق بالشهادتين ودخل في الإسلام فلا يخرج منه أبدا إلا بالتكذيب ويلزم من قولهم أنهم لا يحكمون علىٰ عابد القبر والساجد للصنم بالكفر حتىٰ يعتقد أن صاحب القبر أو الولي مستقل بالخلق فتكفيرهم له سببه الاعتقاد لا العمل أو يقولون أن العمل كفر لدلالته علىٰ التكذيب فيثبتون كفر التكذيب وينفون كفر العمل وهذا غلط بيّن.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وهذان القسمان ـ يعني كفر الجحود والعناد، وكفر الإعراض المحض ـ أكثر المتكلمين ينكرونهما، ولا يثبتون من الكفر إلا الأول ـ يعني كفر الجهل ـ ويجعلون الثاني والثالث ـ يعني كفر الجحود والعناد، وكفر الإعراض المحض ـ كفرا لدلالته علىٰ الأول لا لأنه في ذاته كفر، فليس عندهم الكفر إلا مجرد الجهل، ومن تأمل القرآن والسنة، وسير الأنبياء في أممهم، ودعوتهم لهم، وما جرىٰ لهم معهم، جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه، وعلم أن عامة كفر

---

(١) التحذير من الإرجاء ص٣٢.

الأمم عن تيقن وعلم، ومعرفة بصدق أنبيائهم وصحة دعواهم وما جاؤا به»[١].

ويلزم من قولهم كذلك أن من نذر للشمس والقمر أو ذبح للجن أنه ليس بمشرك حتى يعتقد، ويلزم من قولهم أيضًا: أن من رفض شريعة الله واستبدل بها القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله فإنه لا يكفر حتى يجحد أو يستحل وكل هذا ناتج عن قولهم أن الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد فقط والصحيح أن الكفر يكون بالقول باللسان أو بأعمال القلوب أو بأفعال الجوارح.

يقول ابن الوزير في الرد على من اشترط الاعتقاد في قول الكفر: «.. وعلى هذا لا يكون شيء من الأفعال والأقوال كفرا، إلا مع الاعتقاد، حتى قتل الأنبياء، والاعتقاد من السرائر المحجوبة، فلا يتحقق كفر كافر قط إلا بالنص الخاص في شخص شخص»[٢].

وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٥-٢٨].

قال ابن حزم: «فجعلهم مرتدين كفاراً بعد علمهم بالحق، وبعد أن تبين لهم الهدى، بقولهم للكفار ما قالوا فقط وأخبرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم، ولم يقل تعالى أنهم جحدوا، بل قد صح أن في سرهم التصديق؛ لأن الهدى قد تبين لهم، ومن تبين له شيء، فلا يمكن ألبته أن يجحده بقلبه أصلاً»[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

(٢) إيثار الحق على الخلق ص٤١٩.

(٣) الفصل ٣/ ٢٦٢، ٢٥٩.

وقال الشيخ أبا بطين: «والعلماء يذكرون أن من أنكر وجوب عبادة من العبادات الخمس، أو قال في واحدة منها إنها سنة لا واجبة، أو جحد حِلّ الخبز ونحوه، أو جحد تحريم الخمر أو نحوه، أو شك في ذلك ومثله لا يجهله كفر، وإن كان مثله يجهله عُرِّف ذلك، فإن أصر بعد التعريف كفر وقتل، ولم يقولوا فإذا تبين لـه الحق وعاند كفر. وأيضا، فنحن لا نعرف أنه معاند حتى يقول أنا أعلم أن ذلك حق ولا ألتزمه، أو لا أقوله، وهذا لا يكاد يوجد.

وقد ذكر العلماء من أهل كل مذهب أشياء كثيرة لا يمكن حصرها من الأقوال والأفعال والاعتقادات أنه يكفر صاحبها، ولم يقيدوا ذلك بالمعاند.

فالمدعي أن مرتكب الكفر متأولاً، أو مجتهداً مخطئاً، أو مقلداً أو جاهلاً معذور. مخالف للكتاب والسنة والإجماع بلا شك، مع أنه لا بد أن ينقص أصله فلو طرد أصله كفر بلا ريب، كما لو توقف في تكفير من شك في رسالة محمد ﷺ ونحو ذلك»[1].

وسيأتي ذكر أقسام الكفر في باب (الردة).

---

(١) الانتصار لحزب الله الأبرار ص٤٦.

٨٤ ـ تكفير من لم يكفر الكافر*

يجب تكفير المشركين والكفار على اختلاف أنواعهم، ومنهم اليهود والنصارى، فكفرهم معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وعدم تكفيرهم، أو الشك فيه كفرهم شكٌ فيما جاء به الرسول ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٩] فهو تكذيب للقرآن، وأعظم من ذلك تصحيح مذهبهم.

* الأدلة من الكتاب: دلت الآيات من كتاب الله تعالى على كفر اليهود والنصارى وعبدة الأوثان، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [المائدة:١٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [المائدة:٧٢-٧٣]. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ

---

* نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وانظر شروح النواقض للشيخ ابن باز وغيره. وانظر مراجع بابي (التكفير) و(الردة).

مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[(١)].

أقوال العلماء في كفر من لم يكفّر الكافر أو شك في كفره:

قال القاضي عياض رحمه الله: «ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحّح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك»[(٢)].

وقال أيضاً: «وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفّر أحداً من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك»[(٣)].

وذكر شيخ الإسلام حكم من لم يكفر المشرك الكافر سواء كان كافراً أصلياً كاليهود والنصارى، أو من ثبت كفره يقيناً كالباطنية، أو من يعتقد حلول الله في بعض البشر، أو إلهية بعض البشر، فقال عنهم: «من شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين»[(٤)].

وقال رحمه الله: «وهذا كما أن الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من القرامطة والاتحادية ونحوهم يجوز عندهم يتدين الرجل بدين المسلمين واليهود والنصارى، ومعلوم أن هذا كله كفر باتفاق المسلمين، فمن لم يقر باطناً وظاهراً

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

(٢) الشفا ٢/ ١٠٧١.

(٣) الشفا ٢/ ٢٨١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٨.

بأن الله لا يقبل ديناً سوىٰ الإسلام فليس بمسلم، ومن لم يقر بأن بعد مبعث محمد ﷺ لن يكون مسلماً إلا من آمن به واتبعه باطناً وظاهراً فليس بمسلم، ومن لم يحرم التدين بعد مبعثه ﷺ بدين اليهود والنصارىٰ، بل من لم يكفرهم ويبغضهم فليس بمسلم باتفاق المسلمين»[١].

أما كفر من صحح ما هم عليه من الشرك، أو أمر به، فيقول شيخ الإسلام رحمه الله فيه: «لكن لا نزاع بين المسلمين أن الأمر بالشرك كفر وردة إذا كان من مسلم، وأن مدحه والثناء عليه والترغيب فيه كفر وردة إذا كان من مسلم»[٢].

ونقل القرطبي قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩] قال: هو الشرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «الواجب علىٰ العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلىٰ علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية علىٰ ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم»[٤].

ويقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين: «وقد أخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم، ووصف النصارىٰ بالجهل مع أنه لا يشك مسلم في كفرهم، ونقطع أن أكثر اليهود والنصارىٰ اليوم جهال مقلدون، فنعتقد

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٤٦٣، ٤٦٤.
(٢) انظر منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ص١٤٨، ١٤٩.
(٣) أحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٩٤.
(٤) طريق الهجرتين ص٤١١.

كفرهم، وكفر من شك في كفرهم»[١].

قال ابن القيم في طبقة المقلدين وجهال الكفرة من أتباعهم: «اتفقت الأمة على أن هذه الطبقات كفار وإن جهالاً مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم إلا ما يحكى إلا ما يحكى عن بعض أهل البدع أنه لم يحكم لهؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه الدعوة وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين، لا الصحابة ولا التابعين، ولا من بعدهم، وإنما يعرف عن بعضها أهل الكلام المحدث في الإسلام، وقد صح رسول ﷺ أنه قال: «إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة» وهذا المقلد ليس بمسلم، وهو عاقل مكلف، والعاقل المكلف لا يخرج عن الإسلام أو الكفر»[٢].

وقال بعد ذلك: «والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله وأتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً»[٣].

فيجب أن يُقطع الشك في حكم من دان بغير الإسلام ويستيقن أنهم كفار ومن شك في كفرهم فهو مكذب للقرآن الذي قطع بكفرهم في أكثر من موضع، وتقدم ذكر أدلة على ذلك من الكتاب والسنة قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نواقض الإسلام العشرة: «الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً»[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وذلك لأن اليهود والنصارى كفّرهم الله ﷻ في كتابه،

---

(١) الدرر السنية ٨/ ٢١٣.

(٢) طريق الهجرتين ص٤١١.

(٣) طريق الهجرتين ص٤١١.

(٤) مجموعة الشيخ، الرسائل الشخصية ص٢١٣.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣٠-٣١] فدل ذلك على أنهم مشركون، وبيَّن الله تعالى في آيات أخرى ما هو صريح في كفرهم فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣].

فمن أنكر كفر اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكذبوه، فقد كذب الله ﷻ، وتكذيب الله كفر، ومن شك في كفرهم فلا شك في كفره هو»[(١)].

وقال الشيخ عبدالعزيز الراجحي: «فمن قال: إن اليهود والنصارى على دين سماوي وكذلك المسلمون على دين سماوي وكلهم عليحق، فهذا كافر؛ لأنه لم يكفّر المشركين، فلابد أن يعتقد أن اليهود والنصارى كلهم على باطل، وأنهم كفار فإن شك أو توقف كان هذا الشك أو التوقف منه ناقضاً من نواقض الإسلام ويكون كافراً بالله، وكذلك لو صحح مذهبهم وقال: النصارى على حق واليهود على حق، ومن أحب أن يتدين باليهودية أو بالنصرانية أو بالإسلام فله ذلك فهذا كافر؛ لأنه صحح مذهبهم»[(٢)].

وقال الشيخ عبدالله بن جبرين عن اليهود والنصارى: «ولا شك أن تكذيبهم لمحمد ﷺ وما جاء به هو أعظم الكفر. وهم المرادون بقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ

(١) فتاوى وأحكام الداخلين في الإسلام ص٤٢.
(٢) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٤١، ٤٢.

﴿مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

فتأمل هذه الآيات وما بعدها وما يشابهها في سورة النساء تجد أن جميع من كذب محمداً ﷺ أو خرج عن شرعه أو أنكر رسالته أو ادعى أنه رسول العرب أو نصب العداوة للمسلمين أتباع هذه الشريعة المحمدية، أنه كافر مستحق لغضب الله ولعنته وعذابه، ولا ينفعه انتماؤه إلى الأديان السابقة والمنسوخة المحرفة»[(١)].

❖ تنبيه مهم:

الذين وقع الخلاف في كفرهم كتارك الصلاة تهاوناً لا نحكم بكفر من لم يكفرهم أو بكفر من توقف في تكفيرهم إنما المراد بالباب من ثبت كفره يقيناً سواء كان كافراً أصلياً أو ارتد بعد إسلام وهناك قيد مهم حتى يُحكَم بكُفرِه: وهو أنه لابد أن يتبيَّن له كفرُهم بالدليل.

---

(١) الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام ص٢٤.

٨٥- التمسح بالقبر وتقبيله وغيره *

التمسح من تمسح شيء: إذا مسح جسمه به، ومنه التمسح بالقبور، والتمسح يقصد به وضع اليد على الشيء عبادة أو طلبا للبركة وقد يتعداه إلى إلصاق البطن أو الظهر أو التقبيل وهذا لا يشرع إلا فيما شرعه الله ورسوله ﷺ.

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر الآية: ٧].

* **الدليل من السنة:** ثبت في الصحيحين أن عمر ﷺ قال: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[(١)].

والمشروع في الحجر الأسود تقبيله حال الطواف هذا هو السنة فإن لم يستطع لزحام ونحوه استلمه بيده وقبل يده فإن لم يستطع فبمحجنه أو عصاه ويقبلها فإن لم يستطع أشار إليه إشارة بيد واحدة لا بيدين اثنتين يشير باليمنى ولا يقبلها وهذا كله إن لم يفعله فلا حرج عليه بل هو أمر مسنون أما الركن اليماني فقد قال ابن باز: «لم

* التمهيد لابن عبد البر ١٠/ ٥١ ـ٥٣، ٢٤/ ٤١٦. المجموع للنووي ٨/ ٢٧٥. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٠٠. مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٣١ ـ ٢٧/ ٩١، ٩٢. الاعتصام للشاطبي ٢/ ١٣٤، ١٤٠. الرخصة في تقبيل اليد للحافظ ابن المقرئ. الباعث لأبي شامة ٢٨٢. إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ١٩٤. شفاء الصدور لمرعي الحنبلي ٣٢، ٣٩. الدرر السنية٧/ ٢٣٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٣٠، ٣١. أحكام الجنائز للألباني ٢٦٦. نور على الدرب ١٦٦، ٢٩٠، ٢٩٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٣١٨، ٣٢٠. شرح رياض لصالحين لابن عثيمين ٣/ ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١. التبرك د: ناصر الجديع ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٩٨، ٤٢٦، ٤٢٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ٤٤٩. الجهل بمسائل الاعتقاد ٤١٣.

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

يرد فيما نعلم ما يدل على الإشارة إليه وإنما يستلمه بيمينه إذا استطاع من دون مشقة ولا يقبله»[(١)].

أما حكم التمسح بغير الركنين اليمانيين فقد قال ابن تيمية: «اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الإستلام ولا التقبيل إلا للركنيين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم، وقد قيل أنه يقبل وهو ضعيف.

وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله، كجوانب البيت، والركنين الشاميين، ومقام إبراهيم، والصخرة، والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين»، وقال أيضاً: «ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود وقد ثبت في الصحيحين أن عمر ﷺ قال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[(٢)].

قال ابن تيمية: «وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين أنه لا يتمسح به ولا يقبله»[(٣)].

❖ **حكم تقبيل القبور والأعتاب والتمسح بها:**

قال الإمام ابن القيم: «ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني»[(٤)].

وقال رحمه الله: «ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي في كتاب تاريخ مكة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. قال إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم

---

(١) انظر فتاوى الحج ص٧٧، ٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٢١. والحديث تقدم تخريجه.

(٣) الاقتضاء ص٣٦٨

(٤) زاد المعاد ١/ ٤٨.

يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها ذكر لنا من رأى أثره وأصابعه، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخْلَوْلَق»[(١)].

قال ابن تيمية: «وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشرك»[(٢)].

أما سبب كراهة العلماء التمسح بقبر رسول الله ﷺ فيقول ابن تيمية رحمه الله: «لأنهم علموا ما قصده النبي ﷺ من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لله رب العالمين»[(٣)].

وقال أيضا: «لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام فلا يشبّه بيت المخلوقات ببيت الخالق»[(٤)].

قال ابن تيمية: «وأما القبور التي في المشاهد وغيره فالسنة لمن زارها أن يسلم على الميت ويدعو لـه بمنزلة الصلاة على الجنائز ......وأما التمسح بالقبر أو الصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره أو النذر لـه ونحو ذلك فليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التي هي من شعب الشرك والله أعلم وأحكم»[(٥)].

أما التمسح بجدار القبر أو حلق الباب أو السواري أو المقام مقام إبراهيم أو غير ذلك مما قد وقع فيه بعض الجهلة فإن هذا من البدع المحدثة.

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٩٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٨٠.

(٤) الرسائل الكبرى لابن تيمية ١/ ٢٩٨.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٢١.

يقول النووي عن قبر الرسول ﷺ: «يكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ هذا هو الصواب وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه. وينبغي ألا يغتر بكثير من العوام في مخالفتهم ذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بأقوال العلماء ولا يلتفت إلىٰ محدثات العوام وجهالاتهم ولقد أحسن السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ما معناه: اتبع طرق الهدىٰ ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيمن وافق الشرع وأقوال العلماء وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[(١)].

وقد غلا الجهال في ذلك حتىٰ صاروا يتبركون برؤية القبر ويقصدونه لاعتقاد أن الدعاء عنده له مزية علىٰ غيره فكل هذا من تزيين الشيطان وزخرفته ليعيد للناس أسباب الشرك الأولىٰ التي هوىٰ فيها قوم نوح ـ والعياذ بالله ـ.

❖ **مسألة عن الوقوف في الملتزم ووضع الخد على البيت:**

قال ابن القيم: «... وقوفه في الملتزم، فالذي رُوي عنه، أنه فعله يوم الفتح، ففي سنن أبي داود، عن عبد الرحمن بن أبي صفوان، قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة، انطلقت، فرأيت رسول الله ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا الركن من الباب إلىٰ الحطيم، ووضعوا خدودهم علىٰ البيت، ورسول الله ﷺ وسطهم»[(٢)].

وروىٰ أبو داود أيضاً من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «طفت مع عبد الله فلما حاذىٰ دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال: نعوذ بالله من النار. ثم مضىٰ حتىٰ استلم الحجر فقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه

---

(١) الإيضاح في المناسك للنووي ص ١٦١.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٩٨) في المناسك باب الملتزم وفي سنده يزيد بن أبي الهاشمي وهو ضعيف وباقي رجاله ثقات ويشهد لـه ما بعده فيتقوىٰ. انظر: تحقيق زاد المعاد ٢/ ٢٩٨.

هكذا وبسطهما بسطاً وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله»[١].

فهذا يحتمل أن يكون في وقت الوداع، وأن يكون في غيره، ولكن قال مجاهد والشافعي بعده وغيرهما: «إنه يستحب أن يقف في الملتزم بعد طواف الوداع ويدعو».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يلتزم ما بين الركن والباب، وكان يقول: «لا يلتزم ما بينهما أحد يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلا أعطاه إياه ـ والله أعلم ـ»»[٢].

ولم يكن يتعلق بها تبركا بجدرانها بل استجارة بالله وخضوع له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يدعىٰ ويذكر عنده؛ فإنه سبحانه يُستجار به ويُستغاث به هناك... إلخ»[٣].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: «أما التعلُّق بأستار الكعبة رجاءَ البركة: فهذا من وسائل الشرك، ويكون من الشرك الأصغر إذا اعتقد أن ذلك التبرك سببٌ لتحقيق مطلوبه، أما إذا اعتقد أن الكعبة ترفع أمره إلىٰ الله، أو أنه إذا فعل ذلك عظم قدره عند الله، وأن الكعبة يكون لها شفاعة عند الله، أو نحو تلك الاعتقادات التي فيها اتخاذ الوسائل إلىٰ الله ـ جل وعلا ـ، فإنَّ هذا التبرك ـ علىٰ هذا النحو ـ يكون شركاً أكبر؛ ولهذا يقول كثير من أهل العلم: إن التمسح بحيطان المسجد الحرام، أو بالكعبة، أو بمقام إبراهيم ونحوها؛ رجاء بركتها، هو من وسائل الشرك الأكبر، بل هو من الشرك الأصغر، كما قرر ذلك الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٩٩)، وابن ماجه (٢٩٦٢) وفي سنده المثنى بن الصبَّاح وهو ضعيف لكنه ينجبر بما قبله انظر زاد المعاد ص٢٩٨.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٢٩٨.

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة ٢/ ٥٤٨.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٦١٠.

٨٦. التميمة*

جاء في مختار الصحاح: «التميمة عوذة تعلق على الإنسان»[١].

قال الخلخالي: «التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين»[٢].

وكذلك قال أبو السعادات[٣]، والمنذري إلا أن المنذري عللها بقوله: «يرون أنها تدفع عنهم الآفات»[٤].

والتميمة قد تعلق بدون كتابة كالخرزات وأشباهها بخلاف الرقية التي تستخدم بالكتابة وبالقراءة، وقد تجتمع الكتابة في الرقى والتمائم فتصبح في الرقى عزائم

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٢٦٨، ١٧/ ١٦٢ ـ ١٦٥. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٢٠، ٣٢. الإبانة لابن بطة العكبري ص٧٤٤. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٦٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦. تيسير العزيز الحميد ١٦٣. فتح المجيد ١٤٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٨٣. القول المفيد ط١ - ١/ ١٧٥ ط٢- ١/ ٢٢٤ ومن المجموع ٩ / ١٦٨. معارج القبول ١/ ٣٨٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٩. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١٩٦. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٧٥. نور على الدرب ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٦٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٠٦. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١١٨. التبرك د: ناصر الجديع ص٢٣٦. منهج الإمام مالك في العقيدة ص ٤٠٨. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٢٦. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢٧٨. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص ١٥٧. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبدالرحمن العلوي ص ٢٧٧.

(١) مختار الصحاح مادة (ت م م).

(٢) نقلا عن فتح المجيد ص١٤٨، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧.

(٣) النهاية مادة (ت م م).

(٤) نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ص ١٦٠.

وتصبح في المعلق تميمة.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ويسمي بعض الناس التميمة حرزاً ويسميها بعضهم الجامعة وتسمى الرقى المعلقة»[١].

وفي التيسير قال: «وظاهره أن ما علق لدفع العين وغيرها فهو تميمة من أي شيء كان»[٢]، وفسرت التميمة في القواميس بالعوذة وفسرت بالخرز وفسرت بقلادة يجعل فيها سيور وعوذ وكل هذا لنفي النفس والعين والمرض.

وقال ابن حجر رحمه الله: «والتمائم جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات»[٣].

أما أسباب استخدامها فإنها تستعمل لدفع الشر المتوقع وهذا ظاهر فيما يعلق على الصبيان والفرس والمساكن لاتقاء مرض أو عين قبل أن يحصل.

والثاني: لرفع الشر بعد وقوعه، وهذا ظاهر في تعلق المرضى بالواهنة وأشباهها، وكل ما عُلِّق واتخذ لدفع الشر قبل أو بعد وقوعه من الأسباب التي لم تتخذ لا شرعا ولا قدرا أو حسا فإنه شرك[٤] يتبعه الأحكام الجارية عليه في آخر الباب ولا يلتفت إلى تغيير الأسماء فالعبرة بالحقائق وإن تبدلت الأسماء.

ونقل ابن مفلح عن ابن الأثير أنه قال: «وحديث «من علق تميمة» كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء[٥] وإنما جعلها شركا لأنهم أرادوا دفع المقادير

(١) مجموعة مقالات متنوعة ٢/ ٣٨٣.

(٢) التيسير ص١٦٨.

(٣) الفتح ١٠/ ١٦٦.

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٥٥، وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ١٦٣.

(٥) قال الشيخ ابن جبرين: وسميت تميمة لزعمهم أن بها ما يتم حفظ من علقت عليه من دابة أو إنسان أو غير ذلك.

المكتوبة عليهم فطلبوا دفع الأذىٰ من غير الله الذي هو دافعه»[١].

* الدليل من الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل: ٥٣-٥٤].

و قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

* الدليل من السنة: عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ قَالَتْ كَانَ عَبْدُ اللهِ إذا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَىٰ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ، قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنْ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِي، فَرَأَىٰ فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ: مَا هَذَا الْخَيْطُ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ. قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ لأَغْنِيَاءُ عَنْ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَىٰ فُلاَنٍ الْيَهُودِيِّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ؟ قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَذهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً»[٢].

وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً «من تعلق شيئاً وُكِل إليه»[٣].

---

(١) انظر للاستزادة الآداب الشرعية ٣/ ٦٤ وما بعدها، النهاية لابن الأثير باب (ت م م).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٦١٥)، وأبوداود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٧٢).

وروى أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»[١].

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا قال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: «من تَعَلّق تميمة فقد أشرك»[٢].

وعن عقبة بن عامر قال: «وضع التميمة شرك»[٣].

وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة»[٤]، وعلق عليه الشيخ سليمان بن عبد الله فقال: «وهذا عند أهل العلم له حكم الرفع، في مثل ذلك لا يقال بالرأي»[٥]. ولا شك أنه أعتقه من الشرك الأصغر وهو أعظم من الرق.

* أحكام وفوائد:

١ - حكم تعليق التميمة:

قال ابن سعدي: «التمائم منها ما هو شرك أكبر كالتي تشمل على الاستغاثة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٣٩)، والحاكم ٤/ ٤١٧، وقال المنذري: في الترغيب والترهيب ٤/ ٣٠٦: إسناده جيد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٥٨) بإسناد حسن، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: رواه الحاكم بنحوه ورواته ثقات. انظر التيسير ص ١٥٩.

وقال ابن عبد البر: «إذا اعتقد الذي علقها أنها ترد العين، فقد ظن أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك، وقال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا، لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه». التيسير ص١٦٠.

(٣) قال ابن مفلح: «رواه وكيع بإسناده عن عقبة بن عامر». الآداب ٣/ ٦٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤).

(٥) التيسير ص١٧٣.

بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين ...ومنها ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها لأنها تجر إلىٰ الشرك وأما التعاليق التي فيها القرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولىٰ تركها لعدم ورودها عن الشـارع، ولكونها يتوسّـل بها إلىٰ غيرها من المحـرم، ولأن الغالب علىٰ متعلقها أنه لايحترمها ويدخل فيها المواضع القذرة»[١].

٢ - مسألة: حكم تعليق التمائم من القرآن:

عن إبراهيم بن يزيد النخعي أنه قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن»[٢].

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «التمائم ما علق قبل نزول البلاء وأما ما علق بعد نزول البلاء فليس بتميمة»[٣].

وفسر ذلك بأنها تقصد ما علق من القرآن فأجازه بعض السلف كابن المسيب وعطاء وحجتهم في هذا أن القرآن شفاء وقول عائشة السابق وفعل عبد الله بن عمرو حيث كان يعلق علىٰ أولاده الذين لم يبلغوا دعاء الفزع وهو: «بسم الله أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»[٤]، وقد منعها بعض أهل العلم[٥] وبينوا حرمتها وردوا أقوال المجيزين فقالوا: إن الآية مجملة وأما قول عائشة فمجمل أيضا لم تذكر فيه تعليق القرآن وأما فعل عبد الله بن عمرو فإنها رواية ضعيفة ثم استدلوا علىٰ التحريم

---

(١) القول السديد ص٣٨. وما بعدها فقد فصل فيها

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٨).

(٣) البيهقي ٩/ ٣٥١، والمستدرك ٤/ ٢١٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٩٦).

(٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص١٢٨، فتح المجيد ص١٤٩، والسلسلة الصحيحة ١/ ٥٨٥.

بعموم النهي الوارد في التمائم ولأنه قد يدخل به أشياء تنافـي قدسيتـه كدخول بيت الخلاء ولأنه أيضاً يستغني بالمعلَّق عن القراءة المشروعة باللسان ولأن المنع فيه سد الذرائع فلو سمح للتميمة المعلقة بالقرآن لم تُنكر التميمة الشركية[1].

وقد لخص الشيخ سليمان بن عبد الله هذه المسألة بقوله: «اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته.

فقالت طائفة: بجواز ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال: أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية. وحملوا الحديث على التمائم الشركية، أما التي فيها القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية بذلك.

قلت ـ أي الشيخ سليمان ـ: وهو ظاهر اختيار ابن القيم.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك وبه قال ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم ﷺ وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فإن ظاهره العموم لم يفرق بين التي في القرآن وغيرها بخلاف الرقى فقد فرق فيها، ويؤيد ذلك أن الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود ... وأما القياس على الرقية بذلك فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس التعليق الذي لابد فيه ورق أو جلود ونحوهما على ما لا يوجد ذلك فيه فهذا إلى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب.

هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها؟ بل والتعلق بهم،

---

(١) انظر الرقى للعلياني ص٤٣، ٥١.

والاستعاذة بهم والذبح بها وسؤالهم كشف الضر، وجلب الخير مما هو شرك محض، وهو غالب علىٰ كثير من الناس إلا من سلم الله»[١].

٣ - ما يلحق بالتمائم:

التمائم يندرج تحتها كثير مما يعلق ويتخذ لدفع الآفات ومما ينطوي تحتها ويأخذ حكمها الودعة وسن الثعلب وذيله وسن الهرة والخرزات والحجب المعلقة وكعب الأرنب والوتر علىٰ الدابة والحذاء في السيارة والنعل في مقدمة أو مؤخرة السيارة ونعل الفرس في واجهة الدار والدكان وأشباهها ولا يفرد لكل منها بحث بل كل منها يجري مجرىٰ التميمة في معناها وإن اختلفت أشكالها وفي حكمها وفي نهي الشارع عنها إذ أن سبب التحريم فيها الاعتماد علىٰ غير الله والركون والالتفات إلىٰ غيره وعدم التوكل عليه بل وثوق في غيره وهذا شرك.

وينبغي لنا في هذا المقام أن نوضح معنىٰ بعض الأسماء التي تطلق علىٰ التمائم:

١ـ الودعة:[٢] وجمعها (الودعات) وفي مختار الصحاح هي خرز بيض تخرج من البحر تتفاوت في الصغر والكبر.

قال في النهاية: «والوَدَع بالفتح والسكون جمع وَدَعَه وهو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم وإنما نهىٰ عنها لأنهم كانوا يُعلِّقونها مخافة العين»[٣].

وفي حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص١٥٩ ـ ١٦٠. فتح المجيد ص١٤١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧٩. معارج القبول ١/ ٣٧٢. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٦١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٦٨ ط٢- ١/ ٢١٥.

(٣) النهاية ٥/ ١٦٧.

ودعة فلا ودع الله له»[١].

وقال ابن مفلح: «إنما نهى عنها لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين وقوله «لا ودع الله له» أي لا جعله في دعة وسكون وقيل: هو لفظ مبني من الودعة أي: لا خفف الله عنه ما يخافه[٢]»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذا دعاء عليه فيه وعيد شديد لمن فعل ذلك فإنه مع كونه شركاً فقد دعا عليه رسول الله ﷺ بنقيض مقصوده»[٤].

٢ـ الحجب: جمع حجاب وهو ما يكتب فيه أحيانا طلاسم وكلام غير مفهوم مرة بالعربية ومرة بغيرها ويصنع من الجلد غالبا ويأخذ أشكالا مختلفة وسمي حجابا للاعتقاد بأنه يحجب العين والآفات عن المعلق عليه[٥].

وهي داخلة في التمائم قال ابن باز: «والتمائم كذلك ممنوعة وهي الحجب وتسمى الجوامع وتسمى الحروز لأن رسول الله ﷺ زجر عنها ولم يستثن منها شيئاً وسماها شركاً ودعا على من تعلقها»[٦].

وقال رحمه الله: «وأما الحجب وهي ما يعلق من أوراق أو جلود أو غيرها على المريض، يكتب فيها آيات أو دعوات تعلق على المريض ضد السلاح، أو ضد الجن فهذا لا يجوز، وقد أجاز بعض أهل العلم تعليق ما كان من القرآن خاصة ولكنه قول ضعيف، والصواب منع تعليق جميع الحجب لعموم قول النبي ﷺ: «من تعلق تميمة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٣٩).

(٢) انظر هذا المعنى عند ابن الأثير في النهاية ٥/ ١٦٨.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٦٦.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص١٦٠.

(٥) انظر للاستزادة رسالة في أحكام الرقى والتمائم بمراجعة ابن جبرين ص٦، وانظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩ / ١٦٨ والقول المفيد ط١ - ١/ ١٧٥.

(٦) انظر الفتاوى ص ٩٦٥.

فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله لـه، ومن تعلق تميمة فقد أشرك»، والمراد بالشرك هنا الشرك الأصغر. ولأن في ذلك سد الذريعة إلى تعليق غيرها.

وسد الذرائع المفضية إلى الشرك أو المعاصي من أعظم مقاصد الشريعة وواجباتها.

أما تعليق الحجب من غير الآيات كالعظام والودع والطلاسم والأسماء المجهولة، فهذه لا تجوز بغير خلاف بين أهل العلم؛ لأن الرسول ﷺ قال: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، ومن تعلق تميمة فقد أشرك» كما تقدم؛ ولأنها من أعمال الجاهلية؛ ولأنها تصد القلوب عن الله وتعلقها بغيره، والقلوب يجب أن تتعلق بالله ﷻ وتعتمد عليه، فتعليق هذه التمائم يجعل القلوب تميل إليها وتتعلق بها وترتاح لها، وهذا خطأ عظيم، فلا يجوز تعليق التمائم، وهي الحجب ولها أسماء أخرى عند الناس»[1].

وقال الألباني: «وهل يدخل في التمائم الحجب التي يعلقها بعض الناس على أولادهم أو على أنفسهم إذا كانت من القرآن أو الأدعية الثابتة عن النبي ﷺ للسلف في ذلك قولان: أرجحها عندي المنع»[2].

٣ـ الحرز: وهو الذي يتحرز به عن الحمى وغيره وهي كالودعة والحلقة والخيط.

وقد جاء سؤال عن الحجاب «الحرز» الذي يجتمع فيه شيء من القرآن مع توسل بالأولياء مع كلام غير مفهوم فأجابت اللجنة الدائمة بأنه: «لا يجوز تعليقه على شخص أو وضعه في ثياب أو فراش أو بيت جلبا لمنفعة أو دفعا لضرر وهو من جنس التمائم واتخاذها شرك لعموم قوله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة

---

(١) فتاوى نور على الدرب ص٥٧-٦٥ مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٠٦.

(٢) انظر السلسلة الصحيحة ١/ ٥٨٥.

شرك»[1]، وقولـه ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[2]»[3].

٤ ـ لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه[4]:

الحلقة: طوق من نحاس أصفر أو غيره كان المشركون يجعلونها في عضدهم ويزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوهما.

والخيط في الأصل ما يخاط به، كان المشركون يعقدون الخيوط على أيديهم ورقابهم يزعمون أنها تدفع الحمى فنهى عنه لما فيه من شائبة الشرك.

قال الشيخ ابن باز: «وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى».

وحكم لبس الخيط لذلك شرك أكبر إذا اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها، أو اعتقد أن ما لُبس قادر على رفع الضر، أما إذا اعتقد أنها سبب لرفع البلاء، وأن النافع الضار هو الله فهو شرك أصغر قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الزمر ٣٨].

وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أبصر على عضُد رجلٍ حلقة ـ أراه قال: من صفر ـ فقال: ويحك، ما هذه؟ قال: من الواهنة. قال: أما إنها لا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٥٨).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٠٩.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص١٥٣. فتح المجيد ص١٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧٤. القول المفيد ط١- ١/ ١٥٩ ط٢- ١/ ٢٠٤ ومن المجموع ٩/ ١٥٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٨. نور على الدرب لابن باز ص٦١، ٦٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١١٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٣٠. معارج القبول ١/ ٣٧٢. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٩٠.

تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»[(١)].

وروى ابن أبي حاتم عن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦][(٢)].

وروى وكيع عن حذيفة: «أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده فإذا فيه خيط؟ فقال: ما هذا؟ قال شيء رُقِي لي فيه فقطعه وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك»[(٣)].

قال ابن باز: «فيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله مع عدم الاعتماد عليها».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدا على الله لا على سبب من الأسباب والله ييسر لـه من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة»[(٤)].

قاعدة: قال ابن سعدي في الحلقة والخيط: «هذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب، وتفصيل القول فيها أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سبباً إلا ما ثبت إنه سبب شرعاً وقدراً.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٢٤٢).

(٢) وذكره ابن كثير في تفسير الآية ٢٩٨ من سورةيوسف قال: روى حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة، وذكره في تفسير ابن كثير ٤/ ٤١٨.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ٣/ ٦٧، ٦٨، تيسير العزيز الحميد ١٦١.

(٤) انظر في بحث الأسباب مجموع الفتاوى ٨/ ٥٢٦، ٥٣٩، مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥. وانظر للاستزادة باب (السبب).

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها، ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه... إذا عُلم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزولـه أو دفعه قبل نزولـه فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه.

وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سببا شرعياً ولا قدرياً سبباً، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي. وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود ولا من الأدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلّقها بها وذلك نوع شرك ووسيلة إليه»[1].

❖ تنبيه:

قال ابن عثيمين: «ظهر في الأسواق في الآونة الأخيرة حلقة من النحاس يقولون: إنها تنفع من الروماتيزم، يزعمون أن الإنسان إذا وضعها على عضده وفيه روماتيزم نفعته من هذا الروماتيزم، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا حسي يدل على ذلك، وهي لا تؤثر على الجسم؛ فليس فيها مادة دهنية حتى نقول: إن الجسم يشرب هذه المادة

---

(١) القول السديد ٣٤ -٣٦. وانظر للاستزادة باب (السبب).

و ينتفع بها؛ فالأصل أنها ممنوعة حتى يثبت لنا بدليل صحيح صريح واضح أن لها اتصالا مباشرا بهذا الروماتيزم حتى ينتفع بها»[(١)] . وهذه مسألة لها تعلق بالأسباب. وقد فصلنا الكلام عنه في باب «السبب».

٥ـ الواهنة: [(٢)] قال ابن الأثير في النهاية: «الواهنة: عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيُرقى منها. وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وربما عُلِّق عليها جنس من الخَرَز يقال لها خرز الواهنة، وهي تأخذ الرجالَ دون النساء. وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها»[(٣)]، وقد تقدم حديث عمران بن حصين في الفقرة السابقة الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه وفيه فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً».

قال الشيخ سليمان في شرح الحديث: «فإن قيل: كيف قال ﷺ: «لا تزيدك إلا وهنا» وهي ليس لها تأثير؟ قيل: هذا ـ والله أعلم ـ يكون عقوبة له على شركه لأنه وضعها لدفع الواهنة فعوقب بنقيض مقصوده»[(٤)] .

وقوله: «ما أفلحت أبداً» هذا قد يكون لا يفلح الفلاح المطلق إذا اعتقد أنها سبب، وقد يكون لا يفلح حتى مطلق الفلاح إذا اعتقد أنها تنفع أو تضر استقلالا بحسب ما يقوم في قلبه.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٨٩ وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٨٩.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣٥. لوامع الأنوار للسفاريني ص٥٠. تيسير العزيز الحميد ١٥٧. فتح المجيد ص١٣٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٧٦. القول المفيد ط١- ١/ ١٦٦ ومن المجموع ٩/ ١٥٨.

(٣) النهاية (و هـ ن).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٨.

٦ـ الوتر:[١] كانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه وعلقوه يزعمون أنه يحمي من العين ويعلق على الدواب وقد يكون من عصب الحيوانات[٢].

قال ابن الأثير: «كانوا يزعمون أن التقلد بالأوتار يرد العين ويدفع عنهم المكاره فنهوا عن ذلك»[٣].

روى الإمام أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً ﷺ منه بريء»[٤]، وفي رواية: «فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ»[٥].

وروى الإمامان البخاري ومسلم من حديث قيس بن عبيد أن النبي ﷺ أرسل رسولا وقال: «لا تبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»[٦].

وفي الحديث: «وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلّدوها ولا تقلدوها الأوتار»[٧] وجاء في معناها ثلاثة أقوال ذكرها ابن الأثير في النهاية فقال: «هو الدم وطلب الثأر يريد جعلوا ذلك لازما لها في أعناقها لزوم القلائد للأعناق. وقيل: أراد بالأوتار: جمع وتر القوس أي لا تجعلوا في أعناقها الأوتار فتختنق، لأن الخيل ربما رعت الأشجار فَنشِبَت الأوتار ببعض شعبها فخنقتها. وقيل: إنما

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٧/ ١٥٩، ١٦١. تيسير العزيز الحميد ص١٦٤. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ١٣٩. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٤٠. فتح المجيد ص١٤٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قدامة ٨٢. معارج القبول ١/ ٣٧٣. القول المفيد ط١- ١/ ١٨٥، ط٢- ١/ ٢٢٥ ومن المجموع ٩/ ١٨٦.

(٢) انظر معارج القبول ١/ ٣٧٣.

(٣) النهاية (و ت ر).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٢١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٢٠).

(٦) البخاري (٣٠٠٥)، مسلم (٢١١٥).

(٧) أخرجه أبوداود(٢٥٥٣)، والنسائي(٣٥٩٥).

نهاهم عنها لأنهم يعتقدون أن تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها العين والأذىٰ فتكون كالعوذة لها فنهاهم وأعلمهم أنها لا تدفع ضررا ولا تصرف حذراً»[١].

قال الإمام مالك رحمه الله: «أرىٰ ذلك من أجل العين. وقال: غيره إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون في القلائد الأجراس»[٢].

وقال البغوي في شرح السنة: «تأول مالك أمره ﷺ بقطع القلائد علىٰ أنه من أجل العين وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: كانوا يعلقون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً. وكذلك قال ابن الجوزي وغيره وفي رواية محمد بن الربيع: «أو تقلد وتراً» يريد تميمة فهذا يدل علىٰ أنهم كانوا يتقلدون الأوتار من أجل العين. إذ فسره بالتميمة وهي تجعل لذلك»[٣].

فائدة: قال ابن الأثير فيمن عقد لحيته قيل: «هو معالجتها حتىٰ تنعقد وتتجعد وقيل كانوا يعقدونها في الحروب فأمرهم بإرسالها كانوا يفعلون ذلك تكبرا وعجباً»[٤].

وذكر الخطابي المعنىٰ الثاني لعقد اللحية وهو معالجة الشعر ليتعقد ويتجمد وذلك من فعل أهل التوضيع والتأنيث[٥].

---

(١) النهاية (ق ل د).

(٢) الآداب ٣/ ١٤٠.

(٣) التيسير ص ١٦٤.

(٤) النهاية (ع ق د).

(٥) التيسير ص١٧٢.

٨٧ـ التنجيم*

التنجيم لغة: مأخوذ من النجم وهو الكوكب، وهو اسم علم على الثريا[١].

قال ابن الأثير: «النجم في الأصل: اسم لكل واحد من كواكب السماء وجمعه نجوم»[٢].

التنجيم اصطلاحاً: صاحب القاموس: «المنجم والمتنجّم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها»[٣]. وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

قال ابن تيمية: «وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية

---

* التمهيد لابن عبد البر ٣/ ١٢٣، ١٦/ ٢٨٩. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٢٣٩. معالم السنن للخطابي ٤/ ٢٢٩. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢. أحكام القرآن القرطبي ٧/ ٣. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤١٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٣٦. تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٣، ٤٤٧. فتح المجيد ص٣٢٧ ـ ٣٦١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٩٧ ـ ٢٢٣. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٨٤، وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٣٤،١٠٢ ط٢- ٢/ ٤٣. معارج القبول ١/ ٤٢٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٤٢٣. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٠٠. نور على الدرب لابن باز ص ٢٣٣. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٨٧. التنجيم والمنجمون لعبدالمجيد المشعبي. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٦٩. منهج ابن حجر في العقيدة ص ١١٠٤. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٧٤. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ١٩٤. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٥١٨ ـ ٥٢٢.

(١) مختار الصحاح (ن ج م).

(٢) النهاية (ن ج م).

(٣) القاموس المحيط ٤/ ١٧٨.

والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل»[١].

وعرَّفه الخطابي ونقله البغوي في شرح السنة فقال: «والمنهي من علم النجوم ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن أو الحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغيّر الأسعار وما كان في معانيها من الأمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ويَدَّعون لها تأثيراً في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه»[٢].

* **الدليل من الكتاب:** قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

* **الدليل من السنة:** روى البخاري تعليقا أن قتادة قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: «خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء[٣]، ورجوما للشياطين[٤] وعلامات يهتدى[٥] بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه

---

(١) مجموع الفتاوى، لسان العرب (ن ج م) .

(٢) معالم السنن ٥/ ٣٧١ السنة للبغوي ١٢/ ١٨٣ .

(٣) كما في قوله تعالى + ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح' .

(٤) كما في قوله تعالى + وجعلناها رجوماً للشياطين' .

(٥) كما في قوله تعالى + وعلامات وبالنجم هم يهتدون'.

وتكلف ما لا علم له به»[١].

وعن أَبِي مُوسَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ ﷻ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ» قِيلَ وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ قَالَ: «نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِمْ»[٢].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن «قوله: «ومصدق بالسحر»: أي مطلقاً، ومنه التنجيم»[٣].

أقوال بعض السلف:

عن عبد الله بن محيريز التابعي الجليل أن سليمان بن عبد الملك دعاه فقال: «لو علمت علم النجوم فازددت إلىٰ علمك فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمتي ثلاث: حيف الأئمة، وتكذيب بالقدر، وإيمان بالنجوم»»[٤].

وقال ابن تيمية: «وهكذا قد اعترف رؤساء المنجمين من الأولين والآخرين أن أهل الإيمان أهل العبادات والدعوات يرفع الله عنهم ببركة عباداتهم ودعاءهم وتوكلهم علىٰ الله ما يزعم المنجمون أن الأفلاك توجبه ويعترفون أيضا بأن أهل العبادات والدعوات ذوي التوكل علىٰ الله يعطون من ثواب الدنيا والآخرة ما ليس في قوىٰ الأفلاك أن تجلبه فالحمد لله الذي جعل خير الدنيا والآخرة في اتباع المرسلين»[٥].

(١) البخاري كتاب بدأ الخلق باب في النجوم الفتح (٦/ ٢٩٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد، رقم (١٩٧٩٨).
(٣) فتح المجيد ص٣٦٦.
(٤) الدر المنثور ٨/ ٣١.
(٥) الفتاوىٰ ٣٥/ ١٩٦.

* أحكام وفوائد:

١ - علم النجوم ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: علم التسيير كالاستدلال من انتقال الشمس في البروج الفلكية علىٰ الفصول كالحر والبرد والاعتدال. قال الشيخ السعدي مبينا علم التسيير: «وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب علىٰ القبلة والأوقات والجهات»[(١)].

قال البغوي: «فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال جل ذكره: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل: ١٦].

ويدخل في هذا القسم معرفة مواقيت الصلاة وساعات الليل بظهورها وأفولها ومعرفة أوان الزرع وتخير العرب الأزمان لنتاج مواشيهم ولضراب الفحول ومعرفتهم بالأمطار علىٰ اختلافها ومعرفة أسماء الكواكب والنجوم ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها[(٢)].

القسم الثاني: علم التأثير ويطلق عليه الوهميات وهو ما يزعمه المنجمون من أن النجوم والأفلاك لها تأثير علىٰ الكون بنفسها أو أنها السبب في حدوث الحوادث من مصائب وفقر وحروب وغيرها[(٣)].

قال ابن رجب: «والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره. وأما علم التسيير، فتعلم ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة،

(١) القول السديد ٩١.

(٢) انظر فضل علم السلف علىٰ الخلف ص ١٣٤.

(٣) انظر التنجيم والمنجمون للمشعبي ص ٣٢ وما بعدها.

والطرق جائز عند الجمهور، وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه، وربما أدىٰ تدقيق النظر فيه إلىٰ إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما وقع ذلك كثيرا من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك يفضي الىٰ اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل»[(١)].

٢- **حكم التنجيم**: فصَّل الشيخ سليمان بن عبد الله في حكم التنجيم فقال رحمه الله: «واعلم أن التنجيم علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ما هو كفر بإجماع المسلمين، وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة علىٰ تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيما يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها تسابيح معروفة في كتبهم، ويدعونها دعوات لا تنبغي إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له[(٢)].

الثاني: الاستدلال علىٰ الحوداث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك، ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك. وينبغي أن يقطع بكفره، لأنها دعوىٰ لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالىٰ بعلمه بما لا يدل عليه.

الثالث: ما ذكره المصنف في تعلم المنازل»[(٣)].

---

(١) فضل علم السلف علىٰ علم الخلف لابن رجب ص٣٤. وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٤. والقول السديد ص٩١، ومجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ١٨٧-١٩١.

(٢) وحكم هذا أن صاحبه يقتل بالإجماع مرتدا لأنه اعتقد أن هناك مدبر غير الله وأن أحدا يتصرف في ملكه بغير مشيئته وتقديره سبحانه وتعالىٰ، وذهب أكثر العلماء إلىٰ أنه يستتاب ثلاثا قبل قتله.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

ويقصد بالمصنف الإمام الشيخَ محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب التوحيدحين ذكر أقوال السلف في تعلم المنازل فقال: «وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص فيه ابن عيينة، ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحق»[(١)].

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأسا أن يتعلم الرجل منازل القمر[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والصحيح عدم الكراهة»[(٣)].

٣ - بعض شبه المنجمين:

استدل بعض المنجمين بآيات من كتاب الله على صحة علم التنجيم منها قولـه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٦].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والجواب أنه ليس المراد بهذه الآية أن النجوم علامات على الغيب يهتدي بها الناس في علم الغيب، وإنما المعنى ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، أي: دلالات على قدرة الله وتوحيده. وعن قتادة ومجاهد أن من النجوم ما يكون علامة لا يهتدى إلا بها، وقيل: إن هذا من تمام الكلام الأول وهو قولـه: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ [النحل: ١٥ ـ ١٦].أي: وألقى لكم معالم يعلم بها الطريق والأراضي من الجبال الكبار والصغار يستدل بها المسافرون في طرقهم. وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال ابن عباس في الآية: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ يعني: معالم الطرق بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: «يهتدون به في البحر في أسفارهم» رواه ابن جرير و

---

(١) فتح المجيد ص ٣٦٤.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي كما في الدر المنثور ٣/ ٣٢٩.

(٣) فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٨٩.

ابن أبي حاتم.

فهذا القول ونحوه هو معنى الآية، فالاستدلال بها على صحة علم التنجيم استدلال على ما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام بما لا يدل عليه لا نصاً ولا ظاهراً، وذلك أفسد أنواع الاستدلال، فإن الأحاديث جاءت عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم وذمه»[(١)].

وقال: «فإن قلت: إن المنجمين قد يصدقون بعض الأحيان.

قيل: صدقهم كصدق الكهان يصدقون مرة ويكذبون مئة مرة، وليس في صدقهم مرة ما يدل على أن ذلك علم صحيح كالكهان»[(٢)].

ومن شُبه المنجمين: قوله تعالى عن إبراهيم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩]. وليس في هذا ما يدل على صحة علم أحكام النجوم فإن إبراهيم عليه السلام إنما بعث إلى الصابئة المنجمين مبطلا لقولهم مناظرا لهم على ذلك.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «فإن قيل على هذا: فما فائدة نظرته في النجوم؟ قيل: نظرته في النجوم من معارض الأفعال ليتوصل به إلى غرضه من كسر الأصنام كما كان قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣]. فمن ظن أن نظرته في النجوم ليستنبط منها علم الأحكام، وعلم أن طالعه يقضي عليه بالنحس، فقد ضل ضلالاً بعيداً. ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح أنه عليه السلام يقول: «لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن» وعدها العلماء قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤٩.

﴿كَبِيرُهُمْ﴾ وقوله لسارة: هي أختي[١].

فلو كان قولـه: إني سقيم أخذه من علم النجوم لم يعتذر من ذلك، وإنما هي من معاريض الأفعال، فلهذا اعتذر منها كما اعتذر من قوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ ذكر ذلك ابن القيم»[٢].

٤- أما صناعة التنجيم وتعلمه والعمل به فقد أجاب عن حكمه شيخ الإسلام بقوله: «بل ذلك محرم بإجماع المسلمين وأخذ الأجرة على ذلك ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات ومنع الناس أن يُكروهم والقيام في ذلك من أفضل الجهاد في سبيل الله»[٣].

وقد تقدم في الأدلة حديث: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»[٤].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله «ومصدق بالسحر»: مطلقا ويدخل فيه التنجيم لحديث: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس علما من السحر» وهذا وجه مطابقة الحديث للباب»[٥].

قال الذهبي في الكبائر: «ويدخل فيه تعلم السيمياء وعملها، وهو محض السحر، وعقد المرء عن زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه

---

(١) هذا مأخوذ من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾ وذكر باقي الحديث وفيه أنه قال عن سارة أختي ـ أي: هي أختي ـ» أخرجه البخاري (٣٣٥٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٧.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٢.

ذلك بكلمات مجهولة قال: وكثير من الكبائر بل عامتها إلا الأقل يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه، فهذا الضرب فيهم تفصيل، فينبغي للعالم أن لا يجهل على الجاهل، بل يرفق به ويعلمه سيما إذا قرب عهده بجهله كمن أسر وجلب إلى أرض الإسلام وهو تركي فبالجهد أن يتلفظ بالشهادتين فلا يأثم أحد إلا بعد العلم بحاله وقيام الحجة عليه»[(١)].

٥ - **أما حكم إتيان المنجمين** فالكلام عنه كالكلام عن حكم إتيان الكهان وقد ذكر ابن تيمية حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله: إن قوما منا يأتون الكهان قال: «فلا تأتوهم»، قال شيخ الإسلام: «فنهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحكي ذلك عن العرب وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوء حالا منه فلحق به من جهة المعنى»[(٢)].

وفي الحديث: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[(٣)].

والأجرة حرام على آخذها وهو المنجم ودافعها وهو الآتي إليه[(٤)].

٦ - فـائـدة:

وهناك أمور يظن أنها من التنجيم وليست منه ومن ذلك توقع حدوث الكسوف والخسوف وذلك أنه يمكن معرفتها بالحساب كما يعرف أوقات الزوال والغروب، ومنها توقع أحوال الجو بأسباب معروفة كالرياح ومعرفة مسارها

---

(١) الكبائر للذهبي ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى ص ٣٥/ ١٩٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٩٥٣٢)، وأبوداود (٣٩٠٤).

(٤) انظر الفتاوى ٣٥/ ١٩٤، ١٩٥.

ورؤية السحب واتجاهها ومكان قدومها[١].

٧- التصديق بالبروج:

أخرج الخطيب عن قتادة أنه قال: «وإن أناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا ويولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم، وما عِلْمُ هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحدا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء».

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ومن الخرافات الباطلة ما يروجه الدجالون في بعض الصحف والمجلات من ذكر البخت والنحوس والسعود، ويعلقون ذلك بحسابات البروج والنجوم ويصدق به بعض السذج»[٢].

والتفصيل في حكم البروج والتعلق بها والنظر في الغيب بواسطتها كالتفصيل في حكم سؤال الكهان سواء بسواء.

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ حفظه الله: «ومما يدخل في التنجيم في هذا العصر بوضوح ـ مع غفلة الناس عنه ـ ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج، فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد، ويجعلون عليها رسم بروج السنة، برج الأسد، والعقرب، والثور، إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان الرجل أو المرأة مولوداً في ذلك البرج يقول: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير، والاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض وعلى ما سيحصل في الأرض، وهو نوع من

(١) انظر باب الكهانة.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٩٠

الكهانة، ووجوده في المجلات والجرائد عليذلك النحو وجود للكهان فيها، فهذا يجب إنكاره إنكاراً للشركيات ولدعاء معرفة الغيب وللسحر وللتنجيم؛ لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا، ويجب إنكاره على كل صعيد، ويجب أيضاً على كل مسلم أن لا يدخله بيته، وأن لا يقرأه، ولا يطلع عليه؛ لأن الاطلاع على تلك البروج وما فيها ـ ولو لمجرد المعرفة ـ يدخل في النهي من جهة أنه أتى الكاهن غير منكِرٍ عليه.

وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي وُلد فيه، أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهناً، فلا تقبل لـه صلاة أربعين يوماً، فإن صدق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل على محمد، وهذا يدلك على غربة التوحيد بين أهله، وغربة فهم حقيقة هذا الكتاب ـ كتاب التوحيد ـ حتى عند أهل الفطرة وأهل هذه الدعوة، فإنه يجب إنكار ذلك على كل صعيد وأن لا يؤثم المرء نفسه، ولا من في بيته بإدخال شيء من هذه الجرائد التي فيها ذلك في البيوت؛ لأن هذا معناه إدخال للكهنة إلى البيوت، وهذا ـ والعياذ بالله ـ من الكبائر، فواجب إنكار ذلك وتمزيقه والسعي فيه بكل سبيل حتى يُدحَر أولئك، لأن أهل التنجيم وأهل البروج هم من الكهنة، والتنجيم لـه معاهد معمورة في لبنان وفي غيرها، يتعلم فيها الناس حركة النجوم، وما سيحصل بحسابات معروفة، وجداول معينة، ويخبرون بأنه من كان من أهل البرج الفلاني فإنه سيحصل لـه كذا وكذا، عن طريق تعلم وهمي يغرهم به رؤوسهم وكهانهم، فالواجب على طلبة العلم أن يسعوا في تبصير الناس بحقيقة ذلك في كلماتهم، وبعد الصلوات، وفي خطب الجمع؛ لأن هذا مما كثر البلاء به، والإنكار فيه قليل، والتنبيه عليه ضعيف. والله المستعان»[1].

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٤٨-٣٤٩.

٨٨ـ التنطع*

[الإطراء ـ الغلو]

قال الخطابي: «المتنطع، المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم»[(١)].

* **الدليل من السنة:** عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلاثاً»[(٢)].

ومن التنطع: «الامتناع عن المباح مطلقاً، والامتناع عن المباح تديناً تنطع وغلو كالذي يمتنع من أكل الخبز واللحم ولبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أنه من الزهد المستحب»[(٣)].

قال شيخ الإسلام تقي الدين: «والزهد إنما يُراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما لا ينفع، فأما الزهد في النافع فجهلٌ وضلال»[(٤)].

وفي الحديث النهي عن التعمق في الأشياء والغلو فيها؛ لأنه من أسباب الهلاك ومن الأسباب التي تفضي إلى الشرك والعياذ بالله[(٥)].

قال النووي رحمه الله: في شرح الحديث: «أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم... وفيه كراهة التقعّر في الكلام بالتشدد وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم»[(٦)].

---

* الإبانة لابن بطة العكبري ص٣٩٦. تيسير العزيز الحميد ص٣١٨. فتح المجيد ص٢٥٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٣٧١. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ٣٨٢، ط٢ - ١/ ٤٨٥. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٦٠، ٢٢٨.

(١) معالم السنن ٧/ ١٣.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).
(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣١٨.
(٤) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥١١.
(٥) انظر باب (الغلو).
(٦) رياض الصالحين ص٥٩٠.

٨٩ـ التوبة*

[الاستغفار]

التوبة: الرجوع عن الذنب(١)، وفي الحديث: «التوبة ندم».

والتوبُ: مثله. قال الأخفش: «التوب جمع توبة مثل: عزمة وعزم. وتاب إلى الله يتوب توبا وتوبة ومتاباً»(٢).

وقال في المفردات: «التوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت. ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التوبة»(٣).

والتوبة في الشرع: «ترك الذنب بقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرط التوبة»(٤).

قال الجرجاني: «التوبة: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام

---

* التمهيد لابن عبد البر ١١/١٥. التحفة العراقية لابن تيمية ص١٠٧. أحكام القرآن القرطبي ٣/ ٣٤٠، ٤/ ١٣، ١١/ ١٩٩، ٢٠٠. فتح الباري لابن رجب ١/ ١٥٨. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٧٤. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٨٥، ١١٤، ١٣٧، ١٥١. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٦٢١ -٦٤٠. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧٧٣. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٣٠٠، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٧٣، ٣/ ١٥٦. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٥٩٦.

(١) مختار الصحاح (ت و ب).

(٢) لسان العرب: «ت و ب».

(٣) مفردات القرآن: «ت و ب».

(٤) انظر: كتاب مفردات القرآن. وانظر: أيضا مدارج السالكين ١/ ١٨١.

بكل حقوق الرب»[١].

وقيل: «التوبة: الإعراض والندم والإقلاع».

قال ابن عثيمين رحمه الله: «التوبة شرعاً: الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته، وأعظمها وأوجبها التوبة من الكفر إلى الإيمان، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨]، ثم يليها التوبة من كبائر الذنوب.

ثم المرتبة الثالثة: التوبة من صغائر الذنوب. والواجب على المرء أن يتوب إلى الله تعالى من كل ذنب»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «والتوبة لا ينبغي أن تكون لأحد إلا لله وحده»[٣].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود:٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

* **الدليل من السنة:** عن أبي بردة عن الأغر عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «يأأيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع

(١) التعريفات ص ٩٥، ٩٦.
(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٧٤.
(٣) أحكام أهل الذمة ٣/ ٢٩٢.
(٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

الشمس من مغربها»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[٢].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الندم توبة»[٤].

فائدة في التوبة النصوح: قال الجرجاني: «والتوبة النصوح: هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: التوبة النصوح الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود»[٥].

قال عمر رضي الله عنه هي: «أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع».

وقال الحسن البصري: «هي أن يكون العبد نادما على ما مضى، مجمعا على ألا يعود فيه».

وقيل: التوبة النصوح: «ألا يبقي على عمله أثراً من المعصية سرا وجهراً».

وقيل: «هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلاً وآجلاً»[٦].

قال سعيد بن جبير في التوبة النصوح: «هي التوبة المقبولة، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تقبل، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعات»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وابن حبان (٦١٢)، والحاكم في المستدرك (٧٦٨٦).

(٥) التعريفات ص ٩٥، ٩٦.

(٦) التعريفات ٩٥، ٩٦.

(٧) تفسير القرطبي للآية الثامنة من سورة التحريم.

والتوبة تتحقق بالآتي:

١ـ الندم على الذنب.

٢ـ وترك المعصية.

٣ـ العزم على عدم الرجوع إليها.

٤ـ هجر مكان المعصية.

٥ـ رد المظالم إلى أهلها إن كان في حق آدمي.

❖ **وجوب التوبة إلى الله:**

التوبة إلى الله حكمها الوجوب بإجماع أئمة الإسلام

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم لا يعود إليها أبداً.

فإن فُقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة، هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحلَّه منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحّت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي»[(١)].

وقال القرطبي: «واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين»[(٢)].

وقال ابن قدامة المقدسي: «الإجماع منعقد على وجوب التوبة»[(٣)].

---

(١) رياض الصالحين ص٢٤، ٢٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٩٠.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص٣٢٢. وانظر: رياض الصالحين بتحقيق الأرنؤوط ص١٠، ١١.

❖ حكم التوبة لغير الله:

التوبة للمخلوقات شرك بالله ﷻ قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «وفي الآية ـ يعني قولـه تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] دليل علىٰ أن التوكل عبادة، وعلىٰ أن التوبة عبادة، وإذا كان كذلك فالتوبة إلىٰ غيره شرك. ولما قال سارق وقد قطعت يده للنبي ﷺ: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلىٰ محمد قال النبي ﷺ: «عرف الحق لأهله» رواه أحمد»[(١)].

قال ابن القيم في كلام له عن الشرك: «ومن أنواعه: التوبة للشيخ، فإنها شرك عظيم. فإن التوبة لا تكون إلا لله. كالصلاة والصيام، والحج، والنسك. فهي خالصُ حق الله.

وفي المسند: أن رسول الله ﷺ أُتي بأسير فقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلىٰ محمد. فقال رسول الله ﷺ: «عرف الحق لأهله»[(٢)].

فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله. كالسجود والصيام»[(٣)].

وهذا الحكم متعلق بالتوبة من حيث كونها عبادة فإنه يجب صرفها لله وحده.

قال ابن عثيمين: «وأما التوبة التي بمعنىٰ الرجوع، فإنها تكون لـه ولغيره، ومنه قول عائشة حين جاء النبي ﷺ: فوجد نمرقة فيها صور، فوقف بالباب ولم يدخل، وقالت: أتوب إلىٰ الله ورسوله ﷺ ولا لغيره من الخلق بل لله وحده، ولكن هذه توبة رجوع، ومن ذلك أيضاً حين يضرب الإنسان ابنه لسوء أدبه يقول الابن أتوب»[(٤)].

❖ الفرق بين التوبة والاستغفار:

انظر باب (الاستغفار).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٦٧٢).

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٧٧٤. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٣٠٠.

٩٠. التوحيد وأقسامه*

قال ابن فارس: «الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد»[1].

وقال الجوهري: «وتوحَّد برأيه: تفرد به»[2].

وقال الفيروزآبادي: «وُحِد كعُلِم وكُرم يحدُ ـ فيهما ـ وحادةً، ووحودةً ووحُوداً، ووحْداً، وَوُحْدَة، وَحِدَةً: بَقي مُفرداً كتوحَّد، ووحَّده توحيداً جعله واحداً»[3].

وفي الشرع: قال ابن عثيمين هو: «إفراد الله ﷻ بما يختص به»[4].

---

* مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ٣٣١. منهاج السنة النبوية ٣/ ٣١٣. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٠، ٣٠٨، ٣٠٩. مدارج السالكين ١/ ٤٨، ٥١. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٥٧. الدرر السنية ١/ ٦٥، ٦٧، ٨٣، ٢/ ٤٣، ٥٤، ٦٧، ٧٢، ٧٦، ١٠٠، ١٢٥، ٨/ ٨٦، ٢٢٤، ١٢/ ٤٧٢. تيسير العزيز الحميد ص٣٣، ٣٦. فتح المجيد ص٣٨. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١/ ١١/ ٥، ط٢- ١/ ١١ ومن المجموع ٩/ ١. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٥٦. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٩. معارج القبول ١/ ٢٨٥. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦١. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٣٧٥، ٣٩٢، ٢١١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٥ ـ ٧/ ١٥. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٣، ٢٠. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ١٠/ ٦٩. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الاشاعرة في توحيد الله ١/ ١٦. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٢٩. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص١٣٧ إلى ١٤٨. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٨١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٢٠٥ إلى ٢٤٤. علم التوحيد د: الربيعة ص٢٩. تجريد التوحيد للمقريزي ص٤٥.

(١) معجم مقاييس اللغة (وحد). وانظر الصحاح للجوهري ٢/ ٥٤٧.

(٢) الصحاح (وح د).

(٣) القاموس المحيط (وح د).

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٣.

وقال أيضاً: «إفراد الله ـ سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات»[١].

والمعنى اعتقاد أنه إله واحد لا شريك لـه ولا نظير ولا ند ولا مثل مع التوجه إليه وحده بالعبادة سبحانه؛ لأنه المنفرد بما له من ذات وصفات لا يشاركه فيها أحد سواه. فهو واحد في إلاهيته لا إله غيره. واحد في ربوبيته لا رب سواه. وواحد في كل ما ثبت له من صفـات الكمال التي لا تنبغي إلا له.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وسمي دين الإسلام توحيدا، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير لـه، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند لـه، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله»[٢].

وقال السفاريني هو: «إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالاً»[٣].

والمعبود هو الله وحده، فالإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده: في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته[٤].

وقد استوفيت الأدلة على التوحيد في أول الكتاب باب (لا إله إلا الله).

❖ بم يكون التوحيد؟

التوحيد لايكون باللسان فقط. قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «بل إجماع بين أهل العلم أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فلا بد من الثلاثة؛ لا بد أن يكون هو المعتقد في قلبه، ولا بد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولا بد أن يكون

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣٢، ٣٣.

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٥٧.

(٤) شرح الطحاوية ص٧٦، تيسير العزيز الحميد ص٧، الروضة ص٩، ودعوة التوحيد ص١٠.

هو الذي تعمل به جوارحه فلو وحد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحد بأركانه دون الباقي لم يكن الرجل مسلماً هذا إجماع أن الإنسان لا بد أن يكون موحدا باعتقاده ولسانه وعمله»[١].

وينقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع معروفة مشهورة[٢]:

النوع الأول: توحيد الربوبية هو الاقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور، وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون ولم يدخلهم إقرارهم به في الإسلام.

النوع الثاني: توحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة وهذا النوع هو الذي فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال الجرجاني: «وهو ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالواحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة»[٣].

وبعض العلماء أعاد هذه الأنواع الثلاثة إلى نوعين:

النوع الأول: في العلم والاعتقاد ويدخل فيه توحيد الله في الربوبية وتوحيده في الأسماء والصفات. ويسمى التوحيد العلمي لتعلقه بالأخبار والمعرفة[٤].

النوع الثاني: في الإرادة والقصد وهو توحيد الله في ألوهيته سبحانه[٥].

فهذان نوعان فيهما الثلاثة الأول ودل على هذا التقسيم الاستقراء والتتبع إذ أن

(١) شرح كشف الشبهات ص١٢٦.

(٢) وقد أفردت لكل منها باباً فليراجع.

(٣) التعريفات ص٩٦.

(٤) انظر باب (توحيد المعرفة والإثبات).

(٥) انظر باب (توحيد القصد والطلب).

جميع أنواع التوحيد تدور على هذه الأقسام الثلاثة[١].

قال العلامة ابن القيم: «وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: ـ توحيد في المعرفة والإثبات ـ وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سماواته على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح. كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وأخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة يونس ووسطها وآخرها وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولا كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ

(١) انظر كتاب القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد لعبد الرزاق العباد حفظه الله.

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ توحيد، ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ توحيد، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ توحيد، ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ توحيد، ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ توحيد، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ توحيد، ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ توحيد، متضمن لسؤال الهداية إلىٰ طريق أهل التوحيد، الذين أنعم الله عليهم ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد»[١].

وقال الإمام ابن بطة العكبري المتوفىٰ سنة ٣٨٧ هـ ما نصه: «وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب علىٰ الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقد موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحا في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالىٰ قد خاطب عباده بدعائهم إلىٰ اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.

فأما دعاؤه إياهم إلىٰ الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما»[٢].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) الإبانة لابن بطة ص٦٩٣، ٦٩٤ من النسخة الخطية عن القول السديد في الرد علىٰ من أنكر تقسيم التوحيد لعبدالرزاق العباد ١/ ٢٩، ٣٠.

قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين ـ رحم الله الجميع ـ وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»(١).

❖ **التلازم بين أنواع التوحيد:**

قال القاضي ابن أبي العز رحمه الله: «فعُلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية.. والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه، وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرِّر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يُعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يُسلِّمون الأول وينازعون في الثاني، فيبيّن لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك لـه في ذلك، فلم تعبدون غيره وتجعلوه معه آلهة أخرى؟! كقولـه تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ الآيات [النمل: ٥٩-٦٠].

يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفيَ ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى استفهام: هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم؛

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير ص٢٩، ٣٠.

لأن هذا المعنىٰ لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ [الأنعام:١٩] وكانوا يقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص:٥]، لكنهم ما كانوا يقولون: إن معه إلهاً ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل:٦١]، بل هم مُقِرُّون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات ....

وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر علىٰ أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً قال تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف:١٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧].

فإن قلت: كيف يُستدل بأسمائه وصفاته، فإن الاستدلال بذلك لا يُعهد في الاصطلاح؟

فالجواب: أن الله تعالىٰ قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسُلُه، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه.

ومن كماله المقدَّس شهادته علىٰ كل شيء واطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماوات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليقُ بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟»[(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان في بيان علاقة توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٢-٥٢. بتصرف.

«علاقة أحد النوعين بالآخر أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والقيام به، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك لـه، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً فلابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

والربوبية والألوهية تارة يذكران معاً فيفترقان في المعنى ويكون أحدهما قسيماً للآخر، كما في قولـه تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف في الخلق ويكون معنى الإله أنه المعبود بحق المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناه من إلهك وخالقك، وكما في قولـه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾، قولـه: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾. والربوبية في هذه الآيات هي الإلهية، والذي دعت إليه الرسل من النوعين هو توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية يُقرّ به جمهور الأمم ولم ينكره إلا شواذ من الخليقة أنكروه في الظاهر فقط»[1].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص٢٣-٢٤.

وقال العلاَّمة محمد خليل هراس: «وأما توحيد الإلهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، ومعنى كونه متضمناً لـه أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الإلهية، فإن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً لابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه ومالكه الذي لا رب له غيره ولا مالك له سواه، فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه، وأن كل ما يدعي من دونه فهو لا يملك لعابديه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)﴾ [العنكبوت: ١٦-١٧].

وأما توحيد الأسماء والصفات فإنه شامل للنوعين السابقين، فهو يقوم على إفراده سبحانه بكل ما لـه من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له، ومن جملتها كونه رباً واحداً لا شريك له في ربوبيته، وكونه إلهاً واحداً لا شريك له في إلهيته»[1].

❖ فضل التوحيد:

فضائل التوحيد[2] عظيمة وجليلة وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة في بيان فضله منها قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

---

(١) دعوة التوحيد ص٧٠-٧١. وللاستزادة انظر: منهاج السنة ٣/ ٣١٣، درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩١، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤١ وما بعدها.

(٢) شرح السنة للبغوي ١/ ٩٢. التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٤٣، ٩/ ٢٤٢، ١٠/ ١٤٩، ٢٣/ ٢٩٦. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٦٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٧٣. تيسير العزيز الحميد ٧١. حاشية كتاب لاين قاسم ٢٣. فتح المجيد ٦١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١١. القول المفيد ط١- ١/ ٥٥. ومن المجموع ٩/ ٤٨. نهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٧٣. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣ /١٠٨، ٢٢١، ٢٦٨. معارج القبول ١/ ٢٩٤،١١. نواقض الإيمان القولية والعملية ٧/ ٢١١. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٣٨٩. علم التوحيد د: الربيعة ص٣١.

ﭐلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] الآية. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال يا موسى: لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»(١).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.. الحديث وفيه: ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة»(٢).

وعن أنس ﷺ قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك...» الحديث وفيه: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»(٣).

قال ابن رجب: «من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه. وفي هذا الحديث وغيره رد على من زعم أن الذكر بالاسم المفرد (الله الله) أفضل من الذكر بالجملة المركبة، كقوله سبحان الله وسبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وزعمهم هذا فاسد، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا ولا مفيد شيئا ولا هو كلام، ولا يدل على مدح ولاتعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل الذاكر به في عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر (الله، الله) طول عمره لم يصر بذلك مسلما فضلا أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار، إلى آخر ما ذكره ابن القيم ﷺ في كتابه: سفر الهجرتين. انظر التنبيهات السنية للرشيد ص ٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (٣٥٤٠).

الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوىٰ الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة وخشية وتوكلا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع منه ذرة علىٰ جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات»(١).

وقد تنوعت عبارات السلف في بيان فضل التوحيد إذ هو أشرف الغايات وعلمه أشرف العلوم.

قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «و أعظم ما دعا الله الخلق إليه في كتابه و دعت الرسل هو التوحيد و أعظم ما نهىٰ عنه الشرك وهو أصل دعوة الرسل و أساسها و رأسها و أكمل ما فيها و به بعث الله جميع الرسل كما قد صرح به القرآن في أكثره فهو مملوء به وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه أول ما دعا المشركين إلىٰ كلمة التوحيد و أن بالإقرار بها يصير الرجل مسلما و بالامتناع عنها يصير كافرا... فلا يصير الرجل مسلماً حتىٰ يشهد هذه الشهادة فإنها رأس الإسلام فهي واجبة في كل خطابة فكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذمىٰ و لهذا وجبت في التحيات و سميت التحيات تشهدا باسم التشهد الذي فيها و بها ختمت التحيات... و عليها شرع الجهاد الذي هو سنام العمل... وأهل هذه الكلمة هم السعداء... وهذا باب واسع فلا يعرف في دين الأنبياء و المرسلين و أتباعهم من الأولين والآخرين، ولا كتب رب العالمين أمراً أعظم من التوحيد وهو أول الكلمات العشر التي في التوراة و نظيرها الوصايا العشر التي في آخر الأنعام و أهل التوحيد هم المستحقون للشفاعة يوم القيامة...»(٢).

---

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب ص٢١، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص٩٦.

(٢) الرد علىٰ البكري ص٢٩٠-٢٩٦.

وقال الإمام المقريزي: «واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدرا توحيد الله تعالىٰ»[١].

ويدخل في فضل التوحيد حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[٢].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في معرض كلامه عن توحيد الألوهية: «وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنىٰ قول: لا إله إلا الله. فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١] فهذا أول أمر في القرآن. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ [المؤمنون: ٢٣]. وهذا التوحيد هو أول واجب علىٰ المكلف، لا النظر ولا القصد إلىٰ النظر ولا الشك في الله، كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسول الله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٣]. وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله»[٤]»[٥].

---

(١) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري مختصراً ومطولاً (٣٤١٠) (٥٧٠٥)، وأخرجه مسلم (٢٢٠). وسيأتي في باب (الرقىٰ).

(٣) أخرجه أبوداود (٣١١٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٣٧.

قال الشيخ ابن عثيمين: «وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلىٰ الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به»[1].

وذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله شيئاً من فضائل التوحيد فقال: «(وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ههنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها:

* فهي كلمة التقوىٰ.
* وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر.
* ولأجلها خُلِق الخلق.
* ولأجلها أُرسلت الرسل وأنزلت الكتب.
* ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب في الآخرة.
* ولأجلها أُمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم في ماله ودَمِه، ومن أباها فماله ودمُه هدر.
* وهي مفتاح دعوة الرسل، وبها كلَّم الله موسىٰ كفاحاً.
* وهي مفتاح الجنة، وهي ثمن الجنة.
* وهي نجاة من النار.
* وهي توجب المغفرة.
* وهي أحسن الحسنات.
* وهي تمحو الذنوب والخطايا.
* وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب.
* وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وُزنت بالسموات والأرض رجحت بهن كذلك ترجح بصحائف الذنوب.
* وهي التي تخرق الحُجُب حتىٰ تصل إلىٰ الله عز وجل.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٣٥.

* وهي التي ينظر الله إلىٰ قائلها، ويجيب دعاه.
* وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها.
* وهي أفضل ما قاله النبيون.
* وهي أفضل الذكر.
* وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر.
* وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور.
* ومن فضائلها أنها تُفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.
* ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها، فإنهم لا بد أن يخرجوا منها»[(١)].

وقد استدل لكل هذا بأدلة من الكتاب وأحاديث وآثار ولكني اختصرت في ذكر الفضائل فقط.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «من فضائل التوحيد:

* أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.
* ومن فضائله أنه يكفر الذنوب.
* ومن أجل فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنىٰ مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.
* ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدىٰ الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة.
* ومنها: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.
* ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص٢٤٣-٢٥٣ من الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب، تحقيق محمد العمري.

قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

* ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات ويسليه عند المصيبات. فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه.

* ومنها أن: التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين.

* ومنها: أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

* ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألها متعبداً لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

* ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض، وعمارها من جميع خلق الله ...الخ»[1].

(١) القول السديد ص١٦ وما بعدها.

٩١. توحيد الأسماء والصفات*

هو أن يُسمى اللهُ ويوصف بما سمَّىٰ به نفسه ووصف في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما جاء عن السلف الصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان عقيدة السلف الصالح في ذلك: «أنهم يصفون الله ـ تعالىٰ ـ بما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولاتمثيل»[(١)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»[(٢)].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «هو أن يسمىٰ الله ويوصف بما سمىٰ ووصف به نفسه أو سماه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ومن

---

* لوامع الأنوارللسفاريني ١/ ١٢٨. تيسير العزيز الحميد ص٣٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٢ ط٢- ١/ ١٨ ومن المجموع ٩/ ٦. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٣/ ١١١. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٢٨٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٠. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٢. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٢٣. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص١٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص١٨٧ـ٢١٢. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٩٩. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٥١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٣. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص١١١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٤٨٤. علم التوحيد د: الربيعة ص٧٦. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٩٥.

(١) الصفدية ١/ ١٠٣، وانظر: منهاج السنة ٢/ ١١١، ٥٢٣، الجواب الصحيح ٢/ ١٦٣، مجموع الفتاوي ٥/ ١٩٥، ٦/ ٣٨، ٨/ ٤٣ ٢، ١١/ ٢٥٠.

(٢) مجموع الفتاوي ٥/ ٣٨٢.

غير تكييف ولا تمثيل»(١).

وقال ابن عثيمين: هو: «إفراد الله ﷻ بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل»(٢).

* الدليل من الكتاب: ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وآخر سورة الحشر.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «توحيد الأسماء والصفات مبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

الثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه؛ أو وصف به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله؛ كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾

---

(١) مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي ص ٢٣.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٤.

مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]»[(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث قال الإمام أحمد ﷺ: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاج، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد، والله سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية، وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المحدث إلى محدث، ولوجوب وجوده بنفسه ﷻ. ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل. فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه

---

(١) أضواء البيان ٣/ ٤١٠، ٤١١.

ويلحدوا في أسماء الله وآياته ... الخ»[١].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: «وهذا أيضا لا يكفي في حصول الإسلام بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والإلهية والكفار يقرون بجنس هذا النوع وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلاً وإما عناداً كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾»[٢].

❖ مسائل تتعلق بالأسماء والصفات:

الأولى: وجوب احترام أسماء الله؛ لأن احترامها احترام لله عز وجل، ومن تَعْظيم الله ألاّ يُسمى أحد باسم هو مختص به عز وجل كاسم (الله) و(الرحمن) و(القدوس) فهذه أسماء مختصة بالله ذي الجلال والإكرام فلا يتسمى بها أحد.

وأخرج أبو داود والنسائي عنْ شُرَيْح بْنِ هَانِئٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وسَمِعَهم وَهُمْ يَكْنُونَ هَانِئًا أَبَا الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ؟» قَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلا الْفَرِيقَيْنِ، قَالَ: «مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلْدِ؟» قَالَ: لِي شُرَيْحٌ وَعَبْدُ اللهِ وَمُسْلِمٌ. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ. قَالَ: «فَأَنتَ أَبُو شُرَيْحٍ» فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ[٣].

وهذا الحديث يدل على المنع من التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به أو التكني بذلك لأنه ينافي كمال التوحيد الواجب.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦، ٢٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨١١)، وصححه الألباني في الإرواء ٨/ ٢٣٨.

بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزل على أنبيائه ورسوله»[١].

فلا ينبغي أن يستعمل لفظاً هو يليق بشأن الله تعالىٰ في حق مَنْ هو مخلوق له ومحكوم عليه منه. ذكره الشيخ محمد صديق القنوجي ثم قال موضحاً ذلك: «أي كقولهم: مالك يوم الدين، وأقضى القضاة، وأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وأبي القضاء والقدر، وأبي الحكم والأمر، وما في معنى ذلك، كالرزاق، والرب، والمعبود، والغنى المطلق»[٢].

الثانية في حكم التسمي بأسماء الله:

قال الشيخ ابن عثيمين: «التسمي بأسماء الله مثل: كريم، وعزيز ونحوها على وجهين:

* **الوجه الأول:** على قسمين:

القسم الأول: أن يحلّى بـ(أل) ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله كما لو سمَّيت أحداً بالعزيز، والسيد، والحكيم، وما أشبه ذلك فإن هذا لا يسمى به غير الله؛ لأن (أل) هذه تدل على لمح الأصل وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

القسم الثاني: إذا قصدتم بالاسم معنى الصفة وليس محلى بـ(أل) فإنه لا يسمى به ولهذا غيَّر النبي كنية أبي الحكم التي تكنى بها؛ لأن أصحابه يتحاكمون إليه فقال النبي ﷺ: «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْم» ثم كناه بأكبر أولاده شريح، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظاً بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يُمنع لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماما لأسماء الله، فإن أسماء الله أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

* **الوجه الثاني:** أن يتسمى بالاسم غير محلى بـ(أل) وليس المقصود به معنى

---

(١) فتح المجيد ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) الدين الخالص لصديق حسن ٢/ ١٩٦.

الصفة فهذا لا بأس به مثل حكيم، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الذي قال له النبي ﷺ: «لا تبع ما ليس عِنْدَك» وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به»(١).

وقال رحمه الله: «وأسماء الله تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما لا يصح إلا لله فهذا لا يُسمى به غيره، وإن سُمي وجب تغييره مثل: الله، الرحمن، رب العالمين، وما أشبه ذلك.

الثاني: ما يصح أن يوصف به غير الله مثل: الرحيم، والسميع، والبصير، فإن لوحظت الصفة منع من التسمي به، وإن لم تلاحظ الصفة جاز التسمي به على أنه علم محض»(٢).

الثالث: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا يصح أن نقول: «شاءت قدرة الله»؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع: هذا قدرة الله أي مقدوره كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه، وأما أن نضيف أمراً يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز.

ومثل ذلك قولـهم «شاء القدر كذا وكذا» وهذا لا يجوز؛ لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدِّر. والله أعلم»(٣).

الرابعة: دعاء الصفة لا يجوز كأن يقول: يا رحمة الله ارحميني، أما الدعاء بالصفة، والاستعاذة بالصفة، والحلف بالصفة والاستغاثة بالصفة فكل ذلك جائز.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ٩٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٤٤، ٨٤٥.وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١١٤ . وانظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبوزيد ص٣٣٣.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وفي الدعاء المأثور «يا حى يا قيوم لا إله الا أنت برحمتك أستغيث، أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك»، والاستغاثة برحمته استغاثة به فى الحقيقة كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذةٌ به فى الحقيقة، وكما أن القسم بصفاته قَسَم به فى الحقيقة ففى الحديث: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق»، وفيه: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»؛ ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقولـه: «أعوذ بكلمات الله التامة» قالوا: والإستعاذة لا تصلح بالمخلوق، وكذلك القسم قد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» وفى لفظ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه الترمذى وصححه، ثم قد ثبت فى الصحيح الحلف «بعزة الله» و«لعمر الله» ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذى نهى عنه»[1].

وقد ورد إلى الشيخ ابن باز رحمه الله سؤال يطلب فيه السائل التوفيق بين النهي عن الاستغاثة بصفة من صفات الله وبين حديث: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» نرجو من سماحتكم توضيح هذا الإبهام؟ والله ولي التوفيق.

فأجاب رحمه الله بقولـه: «لا يجوز سؤال الصفات، وإنما يوجه السؤال إلى الله سبحانه كما قال ﷻ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة، أما الصفات فلا يجوز سؤالها، ولا يجوز الاستغاثة بها، فلا يجوز أن يقال: «يا علم الله انصرني، أو ارحمني، أو يا رحمة الله

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١١١، ١١٢.

ارحميني، أو يا حلم الله اغفر لي، ولا يا وجه الله ارحمني، وما أشبه ذلك».

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا الأمر حرام بإجماع المسلمين، أما الحديث المذكور في السؤال وهو «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث..» فمعناه: برحمتك أستغيث وليس معناه الاستغاثة بالرحمة، وإنما هو توسل بالرحمة وهكذا يجوز أن يقول الإنسان: «يا رب ارحمني برحمتك، يا رب انصرني بقدرتك، وما أشبه ذلك» لأن ذلك توسل إلى الله بصفاه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فدل ذلك على أن الصفات لا تُدعى وإنما يُدعى الله ﷻ، ويُسأل بأسمائه وصفات»[1].

وسُئل أيضاً الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ عن عبارة مكتوبة على بعض السيارات «يا رضا الله ورضا الوالدين» فما حكم تلك العبارة؟.

الجواب: قولـه: «يا رضا الله ورضا الوالدين» غلطٌ من جهتين:

الجهة الأولى: أنه نادى رضا الله، ومناداة صفات الله ـ جل وعلا ـ بـ«ياء النداء» لا تجوز؛ لأ، الصفة غير الذات في مقام النداء، ولهذا: إنما يُنادى الله ـ جل وعلا ـ المتصف بالصفات، وقد نصَّ شيخ الإسلام ابن تيمية في ردِّه على البكري، وغيره من أهل العلم: على أن منادة الصفة محرّم بالإجماع، فإذا كانت الصفة هي الكلمة ـ كلمة الله ـ جل وعلا ـ كان كفراً بالإجماع؛ لأن من نادى الكلمة يعني بها عيسى عليه السلام، فيكون تأليهاً لغير الله ـ جل وعلا ـ؛ ورضا الله ـ جل وعلا ـ صفة من صفاته، فلا يجوز نداء الصفة.

والمؤاخذة الثانية في تلك الكلمة: أنه جعل رضا الوالدين مقروناً برضا الله ـ جل وعلا ـ بـ«الواو»، والأنسب هنا أن يكون العطف بـ«ثم» فيقول ـ مثلاً ـ: أسأل

---

(١) فتاوى ابن باز، سلسلة كتاب الدعوة ٣/ ٢٩.

الله رضاه ثم رضا الوالدين، وإن كان استعمال الواو في مثل هذا السياق لا بأس به؛ لأن الله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]، ولأن «الواو» هنا تقتضي تشريكاً في أصل الرضا؛ وهذا الرضا يمكن أن يكون من الوالدين ـ أيضاً ـ فيكون التشريك في أصل المعنى لا في المرتبة»[١].

الخامسة: حكم تسمية ضيف الله، وجار الله، ونعمة الله:

قال الشيخ ابن جبرين حفظه الله في الفوائد على شرح كتاب التوحيد: إن هذه الأسماء يجوز إطلاقها على المخلوق لأنها إضافة تشريف.

السادسة: حكم قول: أخي العزيز هذه جائزة؛ لأن هذا وصف وليس تسمية فينبغي التفريق بين الاسم والصفة؛ لأن الاسم المختص بالله تعالى لا يطلق على غيره من باب التسمية أما الوصف فجائز ومنه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

السابعة: يقول الحافظ ابن القيم: «يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل وجدها مطابقة لذلك».. وقال أيضاً: «يأتي السائل بالاسم الذي يقتضيه المطلوب؛ كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ولا يَحسُن أن تقول: إنك أنت السميع البصير»[٢].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «كل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٦١٤.

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦٠، ١٦٤.

فليتوسل إليه باسم مناسب لـه من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم، العفو الغفور التواب، ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته ودعاء العبادة. وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف. فمثلاً: أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيماً لله وإجلالاً له. وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً وشكراً له، وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلبَ مراقبةً لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات، وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه، والتفاتاً إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته وتعَبُّدِه بها لله لا يُحَصِّلُ العبدُ في الدنيا أجلَّ ولا أفضلَ ولا أكملَ منها، وهي أفضلُ العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد ورَوْحُه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُمَّل من الموحدين»[1].

وضد توحيد الأسماء والصفات الإلحاد:

ومعنى الإلحاد في أسماء الله: الميل بها عما تدل عليه من المعاني الحقيقية

---

(١) القول السديد ص١٣٣، ١٣٤، وانظر للاستزادة في هذا أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٨١٥، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص١٨.

العظيمة إلىٰ معان باطلة لا تدل عليها كما يفعله الذين يُؤولونها عن معانيها إلىٰ معان اخترعوها. ويدخل في الإلحاد التعطيل والتمثيل والتفويض والتكييف والتحريف فكل من مال عن معنىٰ حقيقة الصفة إلىٰ غيرها فقد ألحد فيها فمستقل ومستكثر نسأل الله تعظيم أسمائه وصفاته(١).

حكم جحود شيء من الأسماء والصفات من غير تأويل:

روىٰ عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأىٰ رجلا انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكارا لذلك فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقّة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه»(٢). اهـ.

ويفهم من أثر ابن عباس أن من رد شيئاً من نصوص الصفات أو استنكره بعد صحته فهو من الهالكين.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله: «ونكفّر الجهمية بكفر مشهور، وهو تكذيبهم بنص الكتاب، أخبر الله تبارك وتعالىٰ أن القرآن كلامه، وادعت الجهمية أنه خلقه، وأخبر الله تبارك وتعالىٰ أنه كلم موسىٰ تكليماً، وقال هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه ولم يسمع موسىٰ نفس كلام الله إنما سمع كلاماً خرج إليه من مخلوق...، وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال هؤلاء الجهمية: ليس لله يد، وما خلق آدم بيده، وإنما يداه نعمتاه ورزقاه، فادعوا في يدي الله أوحش مما ادعته اليهود؛ قالت اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وقالت الجهمية يد الله مخلوقة؛ لأن النعم والأرزاق مخلوقة لا شك فيها، وذلك محال في كلام العرب، فضلا أن يكون كفراً؛ لأنه يستحيل أن يقال خلق آدم بنعمته..»(٣).

---

(١) للاستزادة انظر باب (الإلحاد).

(٢) المصنف (٢٠٨٩٥)، والسنة لابن أبي عاصم (٤٨٥) (١/ ١٢).

(٣) الرد على الجهمية، ص٢٠٠-٢٠١.

وقال أبو العباس السراج: «من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالىٰ يعجب، ويضحك، وينزل كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا فيقول: «من يسألني فأعطيه» فهو زنديق كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يصلىٰ عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين»(١).

وقال الذهبي ـ معلقاً ـ: «إنما يكفر بعد علمه بأن الرسول ﷺ قال ذلك، ثم إنه جحد ذلك ولم يؤمن به»(٢).

وأَخْرَجَ اِبْنُ أَبِي حَاتِم فِي مَنَاقِب الشَّافِعِيّ عَنْ يُونُس بْن عَبْد الأَعْلَىٰ سَمِعْت الشَّافِعِيّ يَقُول: «لِلَّهِ أَسْمَاء وَصِفَات لا يَسَعُ أَحَدًا رَدُّهَا، وَمَنْ خَالَفَ بَعْد ثُبُوت الْحُجَّة عَلَيْهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَمَّا قَبْل قِيَام الْحُجَّة فَإِنَّهُ يُعْذَر بِالْجَهْل، لأَنَّ عِلْم ذَلِكَ لا يُدْرَك بِالْعَقْلِ وَلا الرُّؤْيَة وَالْفِكْر، فَنُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَات وَنَنْفِي عَنْهُ التَّشْبِيه كَمَا نَفَىٰ عَنْ نَفْسه، فَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]»(٣).

وقال الآجري: «وكان مما بينه ﷺ لأمته أنه أعلمهم في غير حديث: «إنكم ترون ربكم ﷻ» ورواه جماعة من صحابته ﷺ، وقبلها العلماء عنهم أحسن القبول، كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار أن المؤمنين يرون الله ﷻ، لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر»(٤).

ويقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله في معرض كلامه عن الاستواء: «والجحود به

(١) مختصر العلو ص ٢٣٢، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٩٦.
(٢) المصدر السابق ص٢٣٢.
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٩٤، فتح الباري ١٣/ ٤١٨ باب قوله وكان عرشه علىٰ الماء عند شرح الحديث رقم (٧٤٢٦).
(٤) الشريعة ٢٢٧.

كفر لأنه ردٌّ لخبر الله، وكفر بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات، ورد خبر الله تعالىٰ في سبعة مواضع من كتابه»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة، والجهمية والمعتزلة ونحوهم، فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة، فإن الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء، لأن الأسماء عندهم أعلام محضة، لا تدل علىٰ صفات قائمة بالرب تبارك وتعالىٰ وهذا نصف كفر الذين جحدوا اسم الرحمن»[(٢)].

وقال الشيخ السعدي: «فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته فقد أتىٰ بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر»[(٣)].

❖ **وهذه المسألة فيها تفصيل:**

فمن أنكر شيئاً من أسماء الله وصفاته أو آية من كتابه مع علمه بها فهو كافر والعياذ بالله.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الجحد: الإنكار، والإنكار نوعان:

الأول: إنكار تكذيب وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدا أنكر اسما من أسماء الله أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة مثل أن يقول ليس لله يد، أو أن الله لم يستو علىٰ عرشه أو ليس له عين فهو كافر بإجماع المسلمين، لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع.

الثاني: إنكار تأويل وهو أن لا يذكرها ولكن يتأولها إلىٰ معنىٰ يخالف ظاهرها

---

(١) ذم التأويل ص ٢٦ تحقيق البدر.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٢.

(٣) القول السديد ص١١٦.

وهذا نوعان:

الأول: أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون لـه مسوغ في اللغة العربية، فهذا حكمه الكفر؛ لأنه إذا لم يكن لـه مسوغ صار في الحقيقة تكذيباً، مثل أن يقول: المراد بقولـه تعالى ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] تجري بأراضينا، فهذا كافر؛ لأنه نفاها نفياً مطلقاً، فهو مُكذِّب، ولو قال في قولـه تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة.٦٤] المراد بيديه: السموات والأرض؛ فهو كفر أيضاً لأنه لا مسوغ له في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية؛ فهو مُنكر ومكذِّب، لكن إن قال: المراد باليد النعمة أو القوة، فلا يكفر لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة، قال الشاعر:

وكم لظـلام الليـل عنـدك مـن يـد تُحـدِّثُ أن المانويـة تكـذبُ»[1]

قال الإمام ابن تيمية: «من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما، فهذا إن كان لم يسمع القرآن، فإنه يعرف أن هذا نص القرآن، فإن أنكره بعد ذلك استتيب، فإن تاب وإلا قتل، ولا يقبل منه إن كان كلامه بعد أن يجحد نص القرآن، بل لو قال إن معنى كلامي إنه خلق صوتا في الهواء فأسمعه موسى كان كلامه أيضاً كفراً، وهو قول الجهمية الذين كفّرهم السلف، وقالوا يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا، ولكن من كان مؤمنا بالله ورسوله مطلقاً، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب، فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر، إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن، ويجهل كثيرا مما يرد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعاً عن هذه الأمة، والكفر لا يكون إلا بعد البيان»[2].

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٧٦٥. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٩١.

(٢) مجموع الفتاوى ص ١٢/ ٥٢٣، ٥٢٤.

٩٢. توحيد الألوهية *

الأولوهية مأخوذة من «إله» فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب، فالإله فعال بمعنى مفعول، وكُلُّ ما اتُخذ معبوداً إلهٌ عند مُتخِذه[١].

وتوحيد الألوهية في الشرع: هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «التوحيد هو إفراد الله بالعبادة»[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «هو إفراد الله بالعبادة الباطنة والظاهرة»[٣].

وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل ـ عليهم السلام ـ من أولهم إلى آخرهم.

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٦. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨. الدرر السنية ١/ ٥١٧، ٢/ ٣١، ٣٠١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٥٩، ٦٢، ١٩٠. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٣٤. تيسير العزيز الحميد ص٣٦. فتح المجيد ص٣٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٩ ط٢- ١/ ١٦ ومن المجموع ٩/ ٤. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٦. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٢٦٧. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٢٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٣٤٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٤٨. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٢٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٢٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر ١٧٧. نواقض الإيمان القولية والعملية ١٣١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٩٩٥. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٦٩. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٢٩٧. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٢١. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٢٧. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٧٨.

(١) تاج العروس، القاموس المحيط، مختار الصحاح مادة: «أ ل ه»، وقد تقدم شيء من ذلك في الباب الأول (لا إله إلا الله).

(٢) ثلاثة الأصول ص٣٢.

(٣) قرة عيون الموحدين ص١١، وانظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤، ٥.

وهو أول ما يُؤمر به من يريد الدخول في الإسلام النطق بالشهادتين، فتبين من هذا أن توحيد الإلهية هو مقصود دعوة الرسل. وسمي بذلك لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله) فالله: ذو الألوهية.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية لأنه مبني على إخلاص التأله وهذا أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة»(١).

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «توحيد الألوهية هو إخلاص العبادة لله وحده بجميع أفراد العبادة»(٢).

وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألُّه القلب لله بالحب والخضوع والانقياد لـه وحده لا شريك لـه، فيجب إفرادُ الله تعالى بها، كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله، فهو مشرك ولو نطق بـ «لا إله إلا الله»، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص(٣).

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الإلهية كما قال نوح وهود وصالح

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٨.

(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص٣٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٧٥، حاشية الأصول الثلاثة ص٤٦.

وشعيب: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[الأعراف:٥٩]، وقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾[العنكبوت:١٦]. وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾[الزمر:١١]. وقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ ﴾[محمد:١٩]. وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦]، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء:٣٦]، وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام:١٥١].

قال ابن مسعود ﷺ: من سرَّه أن ينظر إلىٰ الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣][(١)].

* **الدليل من السنة:** عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ ﷻ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[(٢)].

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلىٰ اليمن قال له: «إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٦٧) (٦٢٦٧) (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٢) (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

وعن طارق بن أشيم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه، حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[(١)].

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج»[(٢)].

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[(٣)].

❖ **فوائـــــــد:**

١ - فائدة:

يقال لتوحيد الألوهية توحيد العبادة باعتبار أن العبودية وصف العبد حيث إنه يجب عليه أن يعبد الله مخلصا في ذلك لحاجته إلى ربه وفقره إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله: «واعلم أن فقر العبد إلى أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس لـه نظير فيقاس به لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو. فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره. ولو حصل للعبد لذات وسرور بغير الله فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص ـ وأما إلهه فلا بد منه في كل حال وكل وقت وأينما كان فهو معه»[(٤)].

٢ - فطرية التوحيد وأن الشرك طارئ على البشر:

خلق الله الناس حنفاء على عقيدة واحدة وهي عقيدة التوحيد ثم عرضت لهذه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٢٤.

العقيدة انحرافات فمال الناس وانحرفوا إلى الوثنية والشرك بالله وهذا القول هو القول الحق، الذي لا شك فيه والذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يعرف أحد من العلماء المعتبرين قال بخلافه. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [يونس:١٩]، وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣]. وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»(١).

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢).

فالأصل في الناس التوحيد والشرك طارئ وحادث فيهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله؛ لاتباعهم النبوة قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، فبتركهم اتباع شريعة الأنبياء وقعوا في الشرك، لا بوقوعهم في الشرك خرجوا عن شريعة الإسلام، فإن آدم أمرهم بما أمره الله به، حيث قال له: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩]،

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقال في الآية الأخرى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]»[1].

٣ - ما يضاد التوحيد ويناقضه:

يضاد التوحيد نواقض قولية واعتقادية وعملية. وسيأتي ذكر ذلك في باب نواقض الإسلام ولكن نذكر شيئاً عنها لمناسبة الباب.

والنواقض على نوعين:

النوع الأول: ما ينقض أصل التوحيد، كالشرك الأكبر، والنفاق الاعتقادي، وترك الصلاة عمداً أو تهاوناً على الصحيح من قولي العلماء.

النوع الثاني: نواقض كمال التوحيد، مع بقاء أصله، كالشرك الأصغر بصوره، والنفاق العملي وكذلك كبائر الذنوب فإنها لا تزيل التوحيد والإيمان وإنما تؤثر على كماله وتمامه.

قال الحافظ ابن رجب: «فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قوله: لا إله إلا الله، ونقصا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وهذا كله من فروع الشرك.

ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله، أو خوفه، أو رجائه، أو التوكل عليه، أو العمل لأجله. كما ورد إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحلف بغير الله، وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠٦.

عليه، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة.

مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد، وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقي المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك، كقتال المسلم، ومن أتى حائضا أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه من الملة بالكلية. ولهذا قال السلف، كفر دون كفر، وشرك دون شرك»(١).

٤ - تحقيق التوحيد(٢):

ويقصد بتحقق التوحيد تخليصه وتصفيته من الشرك والبدع والمعاصي.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «تحقيق التوحيد: هو معرفته، والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علما وعملا، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفاً، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصاً وإجلالاً وهيبة، وتعظيما وعبادة. وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله؟ وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود.

وما أحسن ما قال ابن القيم:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ ... أعني سبيلَ الحقِّ والإيمانِ

وذلك هو حقيقة الشهادتين، فمن قام بها على هذا الوجه فهو من السبعين ألفا

---

(١) تحقيق كلمة الإخلاص ص١٧، ١٨، انظر كتاب منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة ٣٨٥، ٣٨٧

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٣٠. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧ / ٢٢٠. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٣. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٧٩. والقول المفيد ط١ - ١/ ٨٥.

الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب»[١].

وفي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠]، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: «وصف الله إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بهذه الصفات الجليلة التي هي أعلى درجات تحقيق التوحيد، ترغيبا في اتباعه في التوحيد، وتحقيق العبودية فاتباع الأوامر، وترك النواهي، فمن اتبعه في ذلك، فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما يدخلها إبراهيم عليه السلام»[٢].

والصفات التي جمعت له في هذه الآية هي:

١ ـ أنه كان أمة قدوة وإماماً معلماً للخير وإماماً يقتدى.

٢ ـ أنه كان قانتاً لله أي خاشعاً مطيعاً مداوماً للطاعة.

٣ ـ أنه كان حنيفاً أي مائلاً قصداً عن الشرك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الكلام على هذه الآية: «﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين، ﴿حَنِيفًا﴾ لا يميل يمينا ولا شمالا كفعل العلماء المفتونين، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خلافاً لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه هو الذي جعله الله إماما لمن بعده من الناس، فلا يوجد قط مؤمن ولا منافق يظهر الإيمان إلا وهو معظم لإبراهيم، وإن كان فيهم من يكذب بكثير مما كان عليه إبراهيم. وقد جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فالأنبياء بعده من ذريته، فلا

(١) تيسير العزيز الحميد ص٩٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٩٩.

(٣) فتح المجيد ص٨٨.

يوجد من يؤمن بالأنبياء إلا وهو مؤمن بإبراهيم، ولا من يدعو إلىٰ عبادة الله في الجملة وينهىٰ عن الشرك إلا وهو معظم لإبراهيم»[(١)].

وشرط تحقيق التوحيد تخليصه من كل نواقضه المخرجة من الدين والملة فالشرك الأكبر مناقض لأصل التوحيد. والأصغر مناف لكماله. والبدع والمعاصي تكدر وتشوب التوحيد، وتمنع تحقيقه.

قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله: «ولا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد علىٰ ماهية التوحيد، وتحقيقه من وجهين، واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي. فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققا للتوحيد حتىٰ يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي، والمندوب تحقيق المقربين، تركوا ما لا بأس به حذرا مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلىٰ الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام»[(٢)].

قال ابن سعدي رحمه الله: «إن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر ومن البدع القولية والاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره»[(٣)].

---

(١) تفسير آيات أشكلت علىٰ كثير من العلماء ١/ ٤٠٦.

(٢) حاشية كتاب التوحيد ٣٧.

(٣) القول السديد ص٢٠، ٢١.

٩٣. توحيد الربوبية*

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربِّي والقيِّم والمنعِم»[(١)].

وقال الراغب: «الربوبية مصدر يقال في الله ﷻ والرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات وبالإضافة يقال: «رب الدار»»[(٢)].

قال ابن عثيمين: «فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٤٩-٥٠] فكل أحد من العالمين قد رباه الله ﷻ بنعمته»[(٣)].

---

* لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٢٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٦١. تيسير العزيز الحميد ٣٣. فتح المجيد ص ٣٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١١. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٥ ط٢- ١/ ١١ القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٠. معارج القبول ١/ ٧٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٦٥. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٢٨. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٦٦، ١٩١. موقف ابن تيمية من الأشاعـرة ص ٩٨٢، ١٠٢١. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص ٣٠٣. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١١٣. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٤٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص١٥٥-١٧٠. منهج ابن حجر في العقيدة ص٢٤٤ -٢٥٩. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٣٧٠. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٩٦. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٥٩-٦٤.

(١) لسان العرب (ر ب ب).

(٢) المفردات في غريب القرآن ٦/ ٤٠.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع الفتاوى ٦/ ٤٠ .

التعريف الشرعي: توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك، فالله جل وعلا هو الخالق لجميع المخلوقات المالك المدبر لها.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «توحيد الربوبية والملك، وهو الإقرار بأن الله تعالىٰ رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي لـه الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر علىٰ مايشاء، ليس لـه في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر»(١).

وهذا التوحيد أقر به الكفار علىٰ زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

* **الدليل من الكتاب**: قولـه تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

* **الدليل من السنة**: الأحاديث كثيرة في ذلك منها حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. قال: ومن قالها من النهار مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٣.

قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[(١)].

ومن ذلك قولـه ﷺ: «اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»[(٢)]. ومن ذلك دعاء الاستفتاح في قيام الليل: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم»[(٣)].

❖ توحيد الربوبية لا يكفي العبد في حصول الإسلام:

يقول الإمام المقريزي: «توحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وطائفة ظنوا أن التوحيد ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية، وأن الله خالق كل شيء، وهو الذي يسمونه: توحيد الأفعال ... إلىٰ أن قال: وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به كل الواجب ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين والعبادة، فلا يعبد إلا إياه، ولا يعبده إلا بما شرع فيكون دينه لله»[(٥)].

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣)، (٦٣٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٠)، وأبوداود (٧٦٧).

(٤) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص ٦ .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٥، ٨٤٦ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ٨٣ ـ٩٦ ط. المكتب الإسلامي.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ صفة إشراكهم أنهم يدعون الله، ويدعون معه الأصنام والصالحين؛ مثل عيسى، وأمه، والملائكة؛ يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ وهم يقرون: أن الله سبحانه، هو: النافع، الضار، المدبر؛ كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [يونس: ٣١]»[1].

وقد أفنى البعض عمره في إثبات هذا النوع مع أن النفوس قد فُطرت على الإقرار والإيمان به، وإنما تُنزل الكتب وتُرسل الرسل ويشرع الجهاد وتسير الكتائب من أجل توحيد الله بأفعال العباد وهو توحيد الألوهية.

ولذلك نجد أن أهل السنة والجماعة لم يعنوا كثيراً في إيضاح توحيد الربوبية بل عنوا بتوحيد الألوهية، وبيانه، والدعوة إليه، والرد على من غلط فيه.

وإذا كان المشركون يقرون: أن الله سبحانه، هو: النافع، الضار، المدبر فإن كفر من أشرك مع الله غيره في الربوبية يعتبر أشد كفراً من المشركين الذين أشركوا مع الله غيره في الألوهية .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد دل القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]. وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٣]. تجاهل من عرف أنه عبد مربوب، بدليل قوله تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ

---

(١) الدرر السنية ١/ ٧٧.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] الآية، وقوله ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]. وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالىٰ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[يوسف:١٠٦] والآيات الدالة علىٰ ذلك كثير جدا»[1].

وكذلك من ينكر الرب اليوم من الشيوعيين إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة وإلا فهم في الباطن لابد أن يعترفوا بأن هناك رباً يفتقر العباد إليه، وما من موجود إلا وله مُوجِد، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من أثر إلا ولـه مؤثر قال الله تعالىٰ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمىٰ التوحيد، فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث: وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون علىٰ ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنىٰ قولنا: لا إله إلا الله، حتىٰ قد يجعلون معنىٰ الإلهية القدرة علىٰ الاختراع. ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بُعث إليهم محمد ﷺ أولا ـ لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء حتىٰ إنهم كانوا مقرين بالقدر أيضا، وهم مع هذا مشركون.

وقد تبين أن ليس في العالم من ينازع في أصل هذا الشرك ولكن غاية ما يقال: إن

---

(١) تفسير الشنقيطي أضواء البيان ٣/ ٤١٠، ٤١٤.

من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله، كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا: إنهم خالقوا أفعالهم.

وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور، فهم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة، لا يقولون إنها غنية عن الخالق، مشاركة له في الخلق.

فأما من أنكر الصانع فذلك جاحد معطل للصانع، كالقول الذي أظهره فرعون، والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده»(١).

❖ استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية:

إن من أقر بتوحيد الربوبية لله واعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله ﷻ لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه وهذا هو توحيد الألوهية فإن الألوهية هي العبادة فالإله معناه المعبود فلا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا تصرف جميع أنواع العبادة إلا له فتوحيد الربوبية دليل لوجوب توحيد الالهية ولهذا كثيرا ما يحتج الله سبحانه على المنكرين لتوحيد الالهية بما أقروا به من توحيد الربوبية مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢].

وظاهر دلالة الآية الكريمة أن من أفرد الله بالربوبية استحق أن يفرده بالعبادة قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد أن ذكر أقسام التوحيد الثلاثة: «وهي متلازمة،

(١) التدمرية ص ١٧٩ ـ ١٨١.

كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب... وهذا التوحيد ـ يعني توحيد الربوبية ـ لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده.

ثم ذكر رحمه الله الأدلة من القرآن على ذلك واستشهد بأشعارهم التي يقرون فيها بتوحيد الربوبية وختم ذلك بقوله: فوجب على كل من عقل عن الله تعالى أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم، وسبي نسائهم، وإباحة أموالهم، مع هذا الإقرار والمعرفة، وما ذاك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا إله إلا الله»[1].

٩٤. توحيد القصد والطلب

[توحيد الألوهية]

ويسمى التوحيد الفعلي وهو المسمى بتوحيد الألوهية، وسمي فعليا لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فأفعال القلوب كالرجاء والخوف والمحبة، والجوارح كالصلاة والزكاة والحج ونحو ذلك، فهو إفراد الله بأفعال العبيد.

كما يسمى هذا النوع بالتوحيد الإرادي الطلبي لتعلقه بالقصد والإرادة لأن الواجب على الموحد فيه أن يوجه إرادته وقصده وطلبه إلى الله تعالى وحده لا شريك له.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٣ـ٣٤. وانظر للاستزادة مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٣٤٨.

٩٥. توحيد المعرفة والإثبات

[توحيد الربوبية – توحيد الأسماء والصفات]

ويسمى التوحيد العلمي الخبري لتعلقه بالأخبار والمعرفة وهو يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لأن الواجب على الموحد فيهما أن يعلم تفرد الله تعالى بالربوبية والأسماء والصفات ويثبت ذلك كما ورد في الكتاب والسنة.

كما يطلق عليه: التوحيد القولي الاعتقادي لاشتماله على أقوال القلوب وهو اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان.

❖ **والتوحيد القولي ينقسم إلى قسمين:**

الأول: النفي.

الثاني: الإثبات.

فالنفي ينقسم إلى قسمين:

أ- نفي النقائص والعيوب عن الله.

ب- نفي التشبيه والتعطيل عن أسمائه وصفاته.

الثاني: الإثبات وهو إثبات صفات الكمال لله، ثم السلب أيضا ينقسم إلى قسمين:

١- سلب متصل.

٢- سلب منفصل.

أ- نفي ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من كل ما يضاد الصفات الكاملة من النقائص والعيوب كالموت والإعياء والنوم والنعاس والجهل والعجز ونحو ذلك.

ب- سلب منفصل وهو تنزيهه سبحانه عن أن يشاركه في خصائصه التي لا تكون لغيره كالشريك والظهير والشفيع بغير إذنه، ونفي الزوجة والولد ونحو ذلك.

٩٦ـ التوسل*

التوسل في اللغة: مأخوذ من الوسيلة وهي المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة[1]، ومن ذلك قوله ﷺ: «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو..»[2].

وتطلق الوسيلة ويراد بها القربة، وهذا مأثور عن ابن عباس وعطاء ومجاهد والفراء[3]، ويقال وسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه، قال أبو

---

* قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٧. الاستغاثة لابن تيمية ص٣٣٦. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧٢، ٧٧٤، ٧٨٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ٢٩٠. إغاثة اللهفان١/ ٢٠١،٢١٧.فتح الباري١٣/ ٣٥٠. الدرر السنية ١/ ٢٣٢، ٢/ ١٨٥، ١٩٣، ٣/ ٣٦١، ١٠/ ٢٢٣، ٢٦٧، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لابن الألوسي السيد نعمان خير الدين. صيانة الإنسان للسهسواني ص٢٠٥. الدين الخالص لصديق حسن ٢/ ١٧٩، ٤/ ٢٢، ٥١. قطف الثمر صديق حسن ص١٠٨، ١١٢. التوصل إلى حقيقة التوسل محمد نسيب الرفاعي. التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. تيسير العزيز الحميد ص٦٤٥. فتح المجيد ص٥٢٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٣٧. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٠. وانظر القول المفيد ط٢-٣/ ٩٠. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٣٠. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ٩٤٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٣٣٥. ٥/ ٢٧٧، ٢٨٨. ٧/ ٢١٢. نور على الدرب لابن باز ٣٨، ١٨٣، ١٩٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٢٢٨. نور على الدرب ص٣٨، ١٨٣، ١٩٥. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٦٩. هذه مفاهيمنا للشيخ صالح آل الشيخ ص١١، منهج الإمام مالك في العقيدة ص٣١٤. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ١٨٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٤٤٣. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٤٣٧،١١٢٣، ١٤٥٥، ١٤٥٩، ١٤٦٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٦. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٩٥ الفوائد الجلية لسيد غباشي. دعاوى المناوئين للشيخ عبدالعزيز آل عبداللطيف.

(١) لسان العرب (و س ل).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) زاد المسير (٢/ ٣٤٨)، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥.

عبيدة: يقال توسلت إليه أي تقربت إليه وأنشد:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسـائل

والواسل: «الراغب إلى الله»[(١)].

قال في النهاية: «الوسيلة هي في الأصل ما يتوصل به إلى شيء ويتقرب به وجمعها وسائل يقال وسل إليه وسيلة وتَوَسَّل والمراد به في الحديث القُربُ من الله تعالى. وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة وقيل هي منزلة من منازل الجنة كما جاء في الحديث»[(٢)].

التوسل شرعاً: «هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته وباتباع رسوله، وبكل عمل يحبه ويرضاه»[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله»[(٤)].

وقال صاحب القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي: «اعلم أن التوسل المشروع الذي شرعه الله على لسان نبيه المتبوع إنما هو بالتقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبيه ﷺ من علم أو عمل قلبي أو بدني أو ترك وكف عن عمل محظور فيدخل فيه جميع الطاعات وترك جميع المعاصي امتثالاً لأمر الشارع»[(٥)].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «الوسيلة: التقرب إلى الله بأنواع القرب والطاعات وأعلاها إخلاص الدين لـه والتقرب إليه بمحبته ومحبة رسوله ومحبة دينه ومحبة

---

(١) انظر: لسان العرب، القاموس المحيط (و س ل)، زاد المسير (٢/ ٣٤٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (و س ل).

(٣) انظر التوصل إلى حقيقة التوسل ص٢٠.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٢٤٧.

(٥) القول الجلي تأليف محمد بن أحمد بن محمد عبد السلام خضر ص ٢٨.

من شَرَع حبه، بهذا يجمع ما قاله السلف، وقولهم من اختلاف التنوع»[(١)].

* **الدليل من الكتاب:** قولـه تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقولـه تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧]. وقد تقدم عن جمع من السلف تفسير الوسيلة بالقربة.

وقال قتادة وعطاء والسدي وغيرهم في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: «تقربوا إلىٰ الله بطاعته والعمل بما يرضيه»[(٢)].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواءً كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً...»[(٣)].

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي: «اعلم أن جمهور العلماء علىٰ أن المراد بالوسيلة هنا[(٤)] هو القربة إلىٰ الله تعالىٰ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه علىٰ وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالىٰ، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلىٰ رضا

---

(١) هذه مفاهيمنا (ص١٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٦/ ١٥٩، وتفسير ابن كثير: ٢/ ٥٥.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٩٩.

(٤) يعني قولـه تعالىٰ: +وابتغوا إليه الوسيلةْ.

الله تعالىٰ ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة»[1].

قال السعدي: «وذلك يشمل التقرب إلىٰ الله بالواجبات والمستحبات وكذلك التقرب إليه بترك المحرمات والمكروهات»[2].

أقسام التوسل: التوسل قسمان:

١ـ توسل مشروع.　　٢ـ توسل ممنوع.

١ - أما التوسل المشروع: فهو كل توسل دل علىٰ مشروعيته نص من الكتاب أو السنة، وهو أنواع أربعة:

النوع الأول: توسل بالله تعالىٰ: وهو إما توسل بأسمائه الحسنىٰ، وإما بصفاته العلىٰ.

ودليله من القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

قال أبو يوسف عن الإمام أبي حنيفة ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به»[3].

قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «والمعروف كتاباً وسنةً أن نسأل الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته، وهذا هو أحد التأويلين في قولـه تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [لأعراف:١٨٠]»[4].

ودليله من السنة: ما روىٰ عبد الله بن بريدة رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد

---

(١) أضواء البيان: ٢/ ٨٦.

(٢) الفتاوىٰ السعدية: ص٢٣.

(٣) شرح الفقه الأكبر علىٰ علي قاري: ص ١٩٨. ومجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٠٢. وإغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٢١٦.

(٤) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٤٩.

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»(١).

قال الألباني: «فهذه الأحاديث وما شابهها تُبيّن مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله ويرضاه»(٢).

النوع الثاني: توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة.

ودليله من القرآن: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾[البقرة:١٢٧-١٢٨]. وقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٦].

ودليله من السنة: قصة أصحاب الكهف الثلاثة الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة الخالصة لوجهه الكريم ففرج الله عنهم الصخرة.

ومن الأدلة أيضاً ما روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»(٣).

وهذا فيه الاعتراف بالذنب والندم عليه وهو داخل في العمل الصالح الذي يتقرب به إلى الله تعالى.

النوع الثالث: توسل المؤمن إلى الله تعالى بدعاء النبيين أو الصالحين وسائر المؤمنين وذلك في حياتهم: سواء طلب من أخيه الدعاء له كأن يقول مثلا: ادع الله

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٣) وابن ماجه (٣٨٥٧).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه ص٣٢.

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٤) (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥).

لي أن يعافيني أو يقضي حاجتي وما أشبه ذلك أو دعا المؤمن لأخيه دونما طلب منه كأن يراه مثلا في ضيق فيدعو الله أن يفرج عنه سواء في حضوره أو في ظهر الغيب أو كصلاة الجنازة والدعاء عند زيارة القبور لأهل القبور. فالمسلمون كانوا يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء نبيهم عليه الصلاة والسلام في حياته في الاستسقاء وغيره فكان يدعو لهم فتستجاب دعوته. قال الألوسي: «وطلب الدعاء من المخلوق لاشك في جوازه إن كان المطلوب منه حياً، ولا يتوقف على أفضليته من الطالب، بل قد يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمر ﷺ لما استأذنه في العمرة: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» وأمره أيضاً أن يطلب من أويس القرني رحمة الله تعالى عليه أن يستغفر له. وأمر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب الوسيلة له، وبأن يصلوا عليه»[(١)].

ونقل الشيخ ابن باز رحمه الله إجماع أهل العلم على جواز طلب الدعاء من الأحياء[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن دعا له الرسول وشفع له توسل إلى الله بشفاعته ودعائه كما كان أصحابه يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته، وكما يتوسل الناس يوم القيامة إلى الله تبارك وتعالى بدعائه وشفاعته ﷺ»[(٣)].

والدليل من الكتاب على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

فاستغفار الرسول ﷺ لهم توسل بدعاء المؤمن لأخيه ويجب التنبه إلى أن استغفار الرسول ﷺ إنما كان في حياته لا بعد موته فلا يجوز لأحد بعد وفاته

(١) جلاء العينين للألوسي ص ٥٦٥.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص ٦٤٨.

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٤.

وانتقاله إلى الرفيق الأعلى أن يأتي قبره ﷺ ويسأله أن يستغفر الله له لأن استغفار الرسول ﷺ انقطع بوفاته عليه الصلاة والسلام.

❖ **ودليله من السنة:**

حديث أنس بن مالك ﵁ أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»[(١)].

ومن ذلك فعل عمر مع العباس بن عبد المطلب وكذلك فعل معاوية ابن أبي سفيان مع يزيد بن الأسود الجرشي، حيث ذكر الذهبي في السير «أن معاوية ﵁ خرج يستسقي، فلما قعد على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود؟ فناداه الناس فأقبل يتخطاهم. فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد ابن الأسود، يا يزيد، ارفع يديك إلى الله. فرفع يديه ورفع الناس فما كان بأوشكَ مِنْ أنْ ثارت سحابةٌ كالتُّرس، وهبَّت ريح، فسقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣) (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٧، وانظر الطبقات لابن سعد: ٧/ ٤٤٤.

❖ تنبيه:

ليس المراد من التوسل بدعاء أخيه المؤمن أن يتوسل بذاته ومن قال ذلك ليتوصل إلىٰ دعاء الموتىٰ والاستغاثة بهم باسم التوسل ويجعلهم واسطة بينه وبين الله فإنه دعا إلىٰ الشرك الأكبر المخرج من الملة كما بينه أئمة الإسلام وهو أكثر من أن يذكر يقول الشنقيطي ﷺ: «وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه أنه تخبط في الجهل والعمىٰ، وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالىٰ. واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار كما صرح به تعالىٰ في قوله عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]»[١].

واعلم أن أهل البدع لايفرقون بين التوسل بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم فيسمون الاستغاثة بالصالحين توسلاً بالصالحين وهذا خطأ محض لأن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر مخرج من الإسلام وسيأتي مزيد بيان لذلك.

النوع الرابع: التوسل بحال الداعي:

قال الشيخ ابن عثيمين: «أي أن يتوسل الداعي إلىٰ الله بحاله ولا يذكر شيئا، مثل أن يقول: «اللهم إني أنا الفقير إليك، اللهم إني أنا الأسير بين يديك» وما أشبه ذلك، والدليل علىٰ ذلك: قول موسىٰ عليه الصلاة والسلام حين سقىٰ للمرأتين ثم تولىٰ إلىٰ الظل: فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] ولم يذكر شيئاً.

ووجه هذه الآية أن حال الداعي إذا وصفها الإنسان فإنها تقتضي الرحمة واللطف والإحسان لا سيما إذا كانت بين يدي أرحم الراحمين»[٢].

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٩٨).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٥/ ٢٨٣. وانظر: ٢/ ٣٤٢.

٢- التوسل الممنوع: وهو تقرب العبد إلى الله تعالى بعمل مخالف لكتابه ولسنة نبيه ﷺ: كالتوسل إلى الله بذوات المخلوقات من الملائكة والنبيين والصالحين وغيرهم، وبالأمكنة الفاضلة: كالكعبة، والمشعر الحرام، وبالأزمنة الفاضلة: كشهر رمضان، وليلة القدر، وأشهر الحج، والأشهر الحرم، وكذلك التوسل بحق الأنبياء وجـاه الأولياء والصالحين.

وسنجمل التوسل الممنوع في ثلاثة أوجه هي:

١ـ التوسل إلى الله تعالى بذوات المخلوقات كذات النبي ﷺ وذوات الصالحين وغيرهم كأن يقول المُتَوسِل: اللهم إني أتوسل إليك بذات فلان. قال القدوري: «المسألة بخلقه لا تجوز؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق فلا يجوز»[(١)].

فالله ﷻ لم يجعل ذوات الأنبياء والصالحين وسيلة إليه ولا سبباً يُتقرب بها إليه سبحانه بل الوسيلة تصديقهم واتباعهم.

قال الشنقيطي ؒ: «فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريقة الموصلة إلى رضا الله وجنته ورحمته هي اتباع الرسول ﷺ ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل»[(٢)].

فالمشروع التوسل إلى الله والتوصل إليه بدعائه وليس على الله شيء أكرم من الدعاء وأما التوسل بالذوات فإنه بدعة محدثة في الدين ليست من فعل الصحابة ولا التابعين بل هو مردود غير مقبول لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[(٣)]، بل إن الصحابة فهموا أن المراد من التوسل التوسلَ بالدعاء لا بالذوات ولذلك توسل عمر بن الخطاب ؓ بدعاء العباس عم النبي ﷺ ومعاوية

---

(١) نقله شيخ الإسلام في كتابه: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٨٧.

(٢) أضواء البيان (٢/ ٩٨).

(٣) البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

بن أبي سفيان توسل بدعاء يزيد بن الأسود ولو كان التوسل بالذوات جائزاً وسائغاً عندهم لتوجهوا إلى قبر النبي ﷺ وتوسلوا بذاته ولكنهم تركوا ذلك وعدلوا عنه فاستسقوا بالعباس بن عبد المطلب كما روى أنس ﷺ أن عمر ﷺ كان إذا أقحطوا استستقى بالعباس فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا قال فيسقون»[١].

وكان من دعائه: «اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القومُ بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا عليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة؛ فاسقنا الغيث». فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس[٢].

قال الإمام الصنعاني: «إن عمر إنما جعل العباس إماماً يدعو بهم، ويستسقى ويسأل الله، لاعتقاد عمر أنه مجاب الدعوة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا أنه توسَّل به كما يتوسل القبوريون بالأموات، ولا قال عمر: أسألك بحق العباس، بل هو مثل طلب الصحابة النبي صلى الله عليه آله وسلم أن يستسقي لهم فهذا غير محل النزاع»[٣].

قال الشهاب الألوسي في كلامه عن هذه القضيه: «وحاشاهم – أي الصحابة – أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس وهم يجدون أدنى مساغ لذلك.

فعدولهم مع أنهم السابقون الأولون، وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ، وبحقوق الله تعالى، ورسوله عليه الصلاة والسلام، وما يشرع من الدعاء وما لا

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).
(٢) فتح الباري: ٢/ ٥٧٧.
(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص ٤٧.

يشرع، وهم في وقت ضرورة ومخمصة، يطلبون تفريج الكربات وتيسير العسير وإنزال الغيث بكل طريق: دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره»[(١)].

❖ تنبيه:

ينبغي أن يفرق بين التوسل بذوات الصالحين وسؤالهم وهذا ينبني على فهم معنى التوسل وإطلاقه عند أهل العلم وعند عباد القبور قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن «إن لفظ التوسل صار مشتركاً فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغباً ورهباً، والذبح والنذر، والتعظيم بما لم يشرع في حقّ مخلوق.

وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والأخذ بالسنة فيتوسلون إلى الله بما شرعه لهم من العبادات، وبما جاء به عبده ورسوله محمد ﷺ وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنة ... ومنهم من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح. أو بعباده الصالحين، وهذا هو الغالب عند الإطلاق في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر – أي الهيثمي -»[(٢)].

فالتوسل بذوات الصالحين معناه سؤال الله بذواتهم كأن يقول: اللهم إني أسألك بنبيك أو أسألك بعبادك الصالحين وهو يقصد التوسل بالذات فهذا يُنهى عنه لعدم وروده ولا يصل تحريمه إلى الشرك الأكبر وسيأتي كلام العلماء عنه.

أما سؤال الصالحين فمعناه التوجه إليهم ودعاؤهم وطلب الحاجات منهم وهذا هو الشرك الأكبر الذي أنكره أئمة الدين وعلماء الإسلام وإياه عنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين قال «ولكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يطلب منه تفريج الكربات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو

---

(١) روح المعاني (٦/ ١١٣).

(٢) منهاج التأسيس ص ٢٦٧. وانظر الصواعق المرسلة لابن سحمان ص١٣، والأسنة الحداد ص٢٣١.

مع الله أحداً، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك، أو بالمرسلين، أو بعبادك الصالحين، أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين»[(١)].

❖ **حكم التوسل إلى الله بذوات المخلوقين:**

التوسل بذوات المخلوقين أمر محدث لا يدل على جوازه دليل من الكتاب ولا من السنة ولم يقل بجوازه أحد من السلف والأئمة والعلماء فهو من البدع المحدثة كما حكاه ابن القيم إجماعاً[(٢)] والأحاديث التي يستدل بها في جوازه غير ثابتة.

قال السهسواني «وقد عرفت فيما سلف أن كل حديث ورد في هذا الباب لا يخلو من مقال ووهن، فالأحوط ترك هذه الألفاظ، وقد جعل الله في الأمر سعة، وعلمنا النبي ﷺ التوسل المشروع على هيئات متعددة ـ كما تقدم ـ فلا ملجيء إلى الوقوع في مضيق الشبهات»[(٣)].

وقال الصنعاني: «لكن التوسل إليه بالمخلوقين شيء لم يأذن به الله لعباده، فهو بدعة، وهو تهجمٌ على الجناب العلي بما لم يأت به شرعٌ، بل طريقة عُبَّاد الأوثان، القائلين إنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى»[(٤)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله ﷻ فلا يقتضي ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم، لأن الذي لهم من الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ولا ننتفع من ذلك بشيء إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم»[(٥)].

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ (٣/ ٦٨).
(٢) الدرر السنية ٩/ ٢٣٢.
(٣) صيانة الإنسان ص ٢٠١.
(٤) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٤٧.
(٥) الدرر السنية (٩/ ٢٣٢).

وقال الإمام السعدي: «التوسل إلى الله بذوات المخلوقين وجاههم فهذا الصواب أنه لا يحل، لأنه لا يتقرب إلى الله إلا بما شرع، وهذا ليس بمشروع، وأيضاً فذوات المخلوقين وإن كان لهم عند الله مقام وقدر وجاه، فهذا ليس لغيرهم وليس التوسل بهم سبباً لشفاعتهم للمتوسل عند الله ولم يجعله الله من الأمور المقربة إليه، وليس ذلك إلا توسلاً بما منّ الله على المتوسل فتعين أنه لا يجوز»[(١)].

٢- **التوسل إلى الله بجاه فلان أو حقه**[(٢)]، أو حرمته أو بركته كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك أو بحرمته أو بركته أن تقضي حاجتي... وكره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك؛ إذ ليس لأحد على الله حق نقل ذلك شارح الإحياء[(٣)] وغيره.

ونقل المنع عن جمع من علماء الحنفية السهسواني الهندي في صيانة الإنسان[(٤)] واتفق أئمة الدعوة السلفية على أنه بدعة محرمة مذمومة.

ونقل الشيخ سليمان بن عبد الله عن ابن القيم ـ رحمهما الله ـ أن قول: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ونحو ذلك أن هذا بدعة إجماعًا»[(٥)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «التوسل بالجاه والبركة والحرمة والحق ليس بجائز عند جمهور أهل العلم لأن التوسلات توقيفية لا يجوز منها إلا ما أجازه الشرع، ولم

---

(١) الفتاوى السعدية، ص ٢٤.

(٢) انظر كـلام شيخ الإسلام ابن تيمية في السؤال بحق فلان فقد فصل فيه في الفتاوى ١/ ٢١٣،١/ ٢٢٠.

(٣) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٥.

(٤) صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان ص ٢٠٥ .

(٥) الدرر السنية (٢/ ١٠٣)، وقد نص على بدعيته أيضا الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الدرر السنية ١/ ١٥٤ والشيخ ابن عثيمين في كتاب التوسل ص٤٦.

يرد في الشرع ما يدل على هذه التوسلات. فلا يقول الإنسان: اللهم اغفر لي بحق فلان، أو بحق محمد، أو بحق الصالحين، أو بحق الأنبياء، أو بجاه الأنبياء، أو بحرمة الأنبياء، أو ببركة الأنبياء أو ببركة الصالحين، أو ببركة علي، أو ببركة الصديق، أو ببركة عمر، أو بحق الصحابة، أو حق فلان، كل هذا لا يجوز، هذا خلاف المشروع وبدعة، وهو ليس بشرك لكنه بدعة، لم يرد في الأسئلة التي دعا بها النبي ﷺ، وكذلك أصحابه ﷺ»[١].

وقال ـ قدس الله روحه ـ: «التوسل بجاه الأنبياء، أو بجاه الصحابة، بدعة لا يجوز، أما بجاه الله معناه بعظمة الله فلا يضر، لكن بجاه النبي أو جاه أصحاب النبي ﷺ، أو بجاه الأنبياء، أو بجاه الصالحين، أو بحق الأنبياء، أو بحق الصالحين. هذا بدعة على الأصح عند جمهور أهل العلم»[٢].

ومما يذكر هنا أن هناك فرق بين الجاه، والحرمة من ناحية اللفظ والمعنى لا من ناحية الحكم الشرعي ـ والله أعلم ـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين: «التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع هذا محرم وهو نوع من الشرك مثل أن يتوسل بجاه شخص ذي جاه عند الله فيقول: أسألك بجاه نبيك، فلا يجوز ذلك لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع، ولأن جاه ذي الجاه ليس لـه أثر في قبول الدعاء؛ لأنه لا يتعلق بالداعي ولا بالمدعو وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده، فليس بنافع لك في حصول مطلوبك أو دفع مكروبك، ووسيلة الشيء ما كان موصلاً إليه، والتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه نوع من العبث، فلا يليق أن تتخذه فيما بينك وبين ربك. والله الموفق»[٣].

---

(١) انظر فتاوى ابن باز ٣/ ٣٢٢. وانظر: ص٩٥٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٥٦٤).

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٣٤٣.

٣ ـ الإقسام على الله بالمتوسل به: كأن يقول أقسمت عليك يا الله بفلان أن تقضي لي حاجتي فهذه بدعة لم ينقل منه شيء عن السلف وقد كثر عند المتأخرين هذا المعنى فصار التوسل عندهم بمعنى الإقسام على الله بنبيه وهذا كالتوسل بالجاه والحرمة قال في جلاء العينين «فلا يقال: أقسمت عليك يا رب بملائكتك ولا بكعبتك، كما لا يجوز أن يقسم الإنسان بهذه الأشياء»[١] فهو ممنوع مطلقاً كما قرر ذلك تقي الدين ابن تيمية ونقله عن الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء الأعلام[٢].

❖ مسائل مهمة:

١ - **كلمة «أسألك بمعاقد العز من عرشك»**. قال ابن تيمية: «وأما إذا قال: «أسألك بمعاقد العز من عرشك» فهذا فيه نزاع، ورخص فيه غير واحد لمجيء الأثر به. ونقل عن أبي حنيفة كراهته، قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول «بمعقد العز من عرشك، أو بحق خلقك». قال أبو يوسف: «بمعقد العز من عرشك» هو الله فلا أكره هذا. وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، أو بحق البيت والمشعر الحرام، بهذا الحق يكره».

قالوا جميعاً: «المسألة بخلقه لا تجوز»؛ لأنه لا حق للخلق على الخالق، فلا يجوز أن يسأل الله بما ليس مستحقا، ولكن معقد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بخالق؟ فيه نزاع فلذلك تنازعوا فيه. وأبو يوسف بلغه الأثر فيه: «أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدك الأعلى وكلماتك التامة» فجوّزه لذلك»[٣].

---

(١) جلاء العينين ص٥٥٠

(٢) جلاء العينين ص٥٦٧.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٨٢. وانظر كتاب: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص ١٨٧.

٢ ـ السؤال بحق الرحم: وهذا جائز، كقول الرجل «أسألك بالرحم أن تفعل كذا» وذلك لوجود سبب صحيح يقتضي السؤال به، وهو حق الرحم عليك، فالرحم لها حق عليك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قيل: قد يقول الرجل لغيره «بحق الرحم» قيل: الرحم توجب على صاحبها حقاً لذي الرحم كما قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]. وقد رُوي عن علي أنه كان إذا سأله ابن أخيه بحق جعفر أبيه. أعطاه لحق جعفر على علي»[١].

ولا بد أن يعلم أن سؤال الرجل لغيره بالرحم هذا توسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما. يقول ابن تيمية رحمه الله: «وأما قول الناس «أسألك بالله وبالرحم» وقراءة من قرأ ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ فهو من باب التسبب بها، فإن الرحم توجب الصلة، وتقتضي أن يصل الإنسان قرابته، فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوسل إليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ليس هو من باب الإقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب. بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم»[٢].

ومن هذا الباب ما يروىٰ عن عبد الله بن جعفر أنه قال: «كنت إذا أحل سألت علياً رضي الله عنه شيئاً، فلم يعطنيه قلت له: بحق جعفر إلا ما أعطيتنيه. فيعطينيه»[٣].

فإن بعض الناس ظن أن هذا من باب الإقسام عليه بجعفر، أو من باب قولهم «أسألك بحق أنبيائك» ونحو ذلك وليس كذلك. بل جعفر هو أخو علي. وعبد الله

(١) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٢١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٠١.

(٣) المعجم الكبير ٢/ ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١/ ٢٠٨، الإصابة ١/ ٤٨٦.

هو ابنه، وله عليه حق الصلة، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر كما في الحديث: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولي»(١).

وحين سأل رجل من بني سلمة الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما. قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما»(٢).

❖ **حكم التوسل بالأموات:**

التوسل بالأموات من أنبياء وصالحين وغيرهم بمعنى التقرب إليهم لاتخاذهم وسطاء وشفعاء شرك أكبر وهذا ما يريده عباد القبور بلفظ التوسل يعنون به النذر للقبور ودعاءهم وطلب الحاجات منهم والاستغاثة بهم والاستعانة بهم وإنزال الحاجات بين أيديهم وخشيتهم والخوف منهم فهذا حكمه شركٌ أكبرٌ ينقلُ عن ملة الإسلام إلى ملة الكفر قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فمن فعل من ذلك شيء فقد سلك مسلك المشركين الأوائل الذين يزعمون أنهم يتقربون إلى الله بشركهم فإن قال قائل: إنما نتوسط بأصحاب القبور لنحصل على النفع من الله والنافع الضارهو الله قلنا هذه هي حجة المشركين الأولين حين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] وقد يراد بالتوسل بالأموات إحدى المعاني المتقدمة كالتوسل بجاهه أو بذاته.

فالتوسل المشروع شيء والتوسل البدعي شيء آخر أما التوسل بهذا المعنى المقتضي صرف العبادة لغير الله فإنه شرك أكبر كما هو مشاهد عند عباد القبور.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) وأبو داود (٥١٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤).

❖ **حكم التوسل بسيد الأنبياء:**

قال الإمام ابن باز رحمه الله تعالىٰ: «التوسل بالنبي ﷺ فيه تفصيل، فإن كان ذلك باتباعه ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، وهو الواجب علىٰ كل مكلف، وهو الوسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة. أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر علىٰ الأعداء والشفاء للمرضىٰ فهذا هو الشرك الأكبر، وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان، وهكذا فِعلُ ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام.

وهناك نوع ثالث يسمىٰ التوسل وهو التوسل بجاهه ﷺ أو بحقه أو بذاته مثل أن يقول الإنسان: أسألك يا الله بنبيك أو جاه نبيك أو حق نبيك أو جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك، فهذا بدعة ومن وسائل الشرك، ولا يجوز فعله معه ﷺ ولا مع غيره؛ لأن الله ﷻ لم يشرع ذلك. والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما دل عليه الشرع المطهر، وأما توسل الأعمىٰ به في حياته ﷺ فهو توسل به ﷺ ليدعو له ويشفع له إلىٰ الله في إعادة بصره إليه، وليس توسلاً بالذات أو الجاه أو الحق كما يعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علماء السنة في شرح الحديث.

وقد بسط الكلام في ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في كتبه الكثيرة المفيدة، ومنها كتابه المسمىٰ [القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة] وهو كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه.

وهذا الحكم جائز مع غيره ﷺ من الأحياء كأن تقول لأخيك أو أبيك أو من تظن فيه الخير: ادع الله لي أن يشفيني من مرضي أو يرد عليّ بصري أو يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم. والله ولي التوفيق»[١].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص٩٤٨.

❖ دفع توهم:

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «إننا حينما ننفي التوسل بجاه النبي ﷺ، وجاه غيره من الأنبياء والصالحين فليس ذلك لأننا ننكر أن يكون لهم جاه، أو قدر أو مكانة عند الله، كما أنه ليس لأننا نبغضهم، وننكر قدرهم ومنزلتهم عند الله، ولا تشعر أفئدتنا بمحبتهم... إن كل مخلص ومنصف ليعلم علم اليقين بأننا ـ والحمد لله ـ من أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ، ومن أعرفهم لقدره وحقه وفضله ﷺ، وبأنه أفضل النبيين، وسيد المرسلين، وخاتمهم وخيرهم، وصاحب اللواء المحمود، والحوض المورود والشفاعة العظمى، والوسيلة والفضيلة، والمعجزات الباهرات، وبأن الله تعالى نسخ بدينه كل دين، وأنزل عليه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، إلى آخر ما هنالك من فضائله ﷺ ومناقبه التي تبين قدره العظيم، وجاهه المنيف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أقول: إننا ـ والحمد لله ـ من أول الناس اعترافاً بذلك كله، ولعلّ منزلته ﷺ عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدى الآخرين، الذين يدعون محبته، ويتظاهرون بمعرفة قدره، لأن العبرة في ذلك كله إنما هي في الاتباع له ﷺ، وأمثال أوامره، واجتناب نواهيه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١]»[(١)].

* شبهات في التوسل الممنوع:

الشبهة الأولى:

من شُبَه المجيزين للتوسل الممنوع حديث الأعمى الذي أخرجه الترمذي رحمه الله: «أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت

---

(١) التوسل للألباني: ٧٧ ـ ٨٠.

وإن شئت صبرت فهو خير لك قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه فيّ» فعاد وقد أبصر»[(١)].

واستدلالهم هذا باطل إذ القصة يفهم منها أن الأعمىٰ إنما جاء إلىٰ النبي ﷺ ليدعو له وذلك في قوله: «ادع الله أن يعافيني» ولذلك قال ﷺ: «وإن شئت صبرت فهو خير لك» فقال الأعمىٰ: «فادع» وهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له. وجاءت رواية أخرىٰ فيها أنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له[(٢)] فدل علىٰ أنه توجه بدعاء النبي ﷺ وفي الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه قال: «اللهم فشفعه فيّ» أي: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيّ أي اقبل دعاءه في أن ترد عليّ بصري وهذا لا يمكن حمله علىٰ التوسل البدعي كالتوسل بالجاه ونحوه.

وجاء في الحديث «وشفعني فيه» وصححها الألباني رحمه الله وقال: «وهذه الجملة وحدها حجة قاطعة علىٰ أن حمل الحديث علىٰ التوسل بالذات باطل»[(٣)].

وجملة «وشفعني فيه» معناها: اقبل شفاعتي، أي دعائي في أن تقبل شفاعته ﷺ أي دعاءه في أن ترد عليَّ بصري هذا الذي لا يمكن أن يُفهم من هذه الجملة سواه[(٤)].

---

(١) سنن الترمذي: «٣٥٧٨»، كتاب الدعوات، والحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه (١٣٨٥). و المستدرك للحاكم: ١/ ٣١٣ كتاب صلاة التطوع، دعاء رد البصر، وقال الحاكم: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، وضعفه بعض العلماء كالشيخ سليمان بن عبد الله في التيسير ص٢٤٤ والسهسواني في صيانة الإنسان ص١٢٥، ٢٠٤، وقد صححه الألباني في صحيحي سنن الترمذي وابن ماجه.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٤٥ ط المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: التوسل للألباني ص٧٤

(٤) انظر: التوسل للألباني ص٧٤.

وجاءت زيادة «وشفعني في نفسي» ومعناها اقبل دعائي في نفسي واقبل دعاء النبي ﷺ فيَّ وأما مافهمه البعض من هذا الحديث من جواز التوسل بذوات الصالحين فإنه خطأ بل هو توسل بشفاعته لا بذاته[1] كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء كما توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدعاء العباس عم النبي ﷺ وقد تقدم، وكذلك معاوية بن أبي سفيان توسل بدعاء يزيد بن الأسود ولو كان التوسل بالذوات جائزاً وسائغاً عندهم لتوجهوا للنبي في قبره.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفي بعض الروايات «يا محمد إني أتوجه» إلى آخره. وهذه اللفظة هي التي تعلق بها المشركون وليست عند هؤلاء الأئمة.... فقولـه: يا محمد إني أتوجه الخ لم تثبت في أكثر الروايات. وبتقدير ثبوتها لا يدل على جواز دعاء غير الله، لأن هذا خطاب لحاضر معين يراه ويسمع كلامه، ولا إنكار في ذلك، فإن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه ما يقدر عليه، فأين هذا من دعاء الغائب والميت لو كان أهل البدع والشرك يعلمون»[2].

ومن هنا يتبين أن الحديث ليس فيه ما يدل على جواز دعاء الموتى بل هو دعاء الله تعالى بتوجهه بالنبي ﷺ في حياته كما دعى الله تعالى أن يشفع فيه النبي ﷺ لتقضى حاجته[3].

ثم نقول أخيراً أن هذه الحادثة يذكرها العلماء ضمن معجزات النبي ﷺ في استجابة الله لدعاء نبيه ﷺ ولا يذكرونها في جواز التوسل بالجاه والذات.

---

(١) انظر: الاستغاثة في الرد على البكري: ص ٣٩٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) راجع قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١٨٥ وما بعدها، والصواعق المرسلة الشهابية تأليف سليمان بن سحمان ١٦٣ وما بعدها، التوسل للمحدث محمد ناصر الألباني ص٦٩ وما بعدها، وهذه مفاهيمنا ص ٣٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات؛ فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره»(١).

وقال الألباني رحمه الله: «وثَمَّة أمر آخر جدير بالذكر، وهو أنه لو حُمِل حديث الضرير على ظاهره، وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقولـه فيما بعد: «اللهم فشفعه فيّ، وشفعني فيه» وهذا لا يجوز كما لا يخفى، فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها. وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء، فثبت المراد، وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات، والحمد لله»(٢).

الشبهه الثانية:

استدلالهم بحديث «أسألك بحق السائلين»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وهذا الحديث هو من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد، وهو ضعيف بإجماع أهل العلم، وقد روي من طريق آخر وهو ضعيف أيضاً، ولفظه لا حجة فيه؛ فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم وحق العابدين أن يثيبهم، وهو حق أحقه الله تعالى على نفسه الكريمة بوعده الصادق باتفاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في أحد أقوالهم، وقد تقدم بسط الكلام على ذلك، وهذا بمنزلة الثلاثة الذين سألوه في الغار بأعمالهم»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٢٦٦، وانظر قاعدة جلية ص ١٨٦، ١٩٨.

(٢) التوسل، ص ٧٧.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١١١٧٣)، وابن ماجه (٧٧٨). ونصه: عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليه فأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف مَلَك».

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢١٥، ٢١٦.

قال السهسواني: «ففي سنده عطية العوفي، وهو وإن كان ممن اختلف في الاحتجاج به لكن الراجح والمحقَّق أنه ضعيف». ثم ساق أقوال أهل العلم فيه، وقال: «والراجح في عطية الضعف فإن جارحيه أكثر من معدِّليه»[١].

قال العلامة الألباني: «ضعّف الحديث غير واحد من الحفاظ كالمنذري في الترغيب ٢/ ٢٦٥. والنووي... وكذا البوصيري»[٢].

ولو صح فله معنى صحيح غير ما يريده هؤلاء قال الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن: «وأما ما ورد في السنن «بحق السائلين وبحق ممشى الذاهب إلى المسجد» ونحو ذلك، فالله ﷻ جعل على نفسه حقاً تفضلاً منه وإحساناً إلى عباده، فهو توسل إليه بوعده، وإحسانه، وما جعله لعباده المؤمنين على نفسه حقاً تفضلاً منه، وإحساناً إلى عباده، فليس هذا من الباب أعني باب مسألة الله بخلقه، وقد منعه فقهاء الحنفية ... ويشهد لهذا ما يروى أن داود قال: «اللهم إني أسألك بحق آبائي عليك، فأوحى الله إليه: أي حق لآبائك علي» أو نحو هذا»[٣].

الشبهة الثالثة:

حديث «توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم» أو«إذا سألتم الله، فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم» وهذا حديث مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ، وليس له أصل قطعاً في كتاب من الكتب المعتمدة[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل

(١) صيانة الإنسان ص٩٧، ١٠٤.
(٢) التوسل: ص ٩٨.
(٣) مصباح الظلام ص ١٧٩-١٨٠.
(٤) انظر: القول الجلي في حكم التوسل بالنبي ص ٥٧.

العلم بالحديث، مع أن جاهه عند الله ـ تعالىٰ ـ أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين»[١].

الشبهة الرابعة:

الحديث الذي فيه توسل آدم ﷺ في تربته بمحمد ﷺ فقد جاء في المستدرك عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت علىٰ قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلىٰ اسمك إلا أحب الخلق إياك، فقال: غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[٢]. أخرجه الحاكم وقال فيه: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: «بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ، وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا»[٣].

وقد قال ببطلان هذا الخبر جماعة من الحفاظ كابن تيمية وابن عبدالهادي.

قال الإمام ابن تيمية: «ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أُنكر عليه، فإنه نفسه قد قال في كتاب [المدخل إلىٰ معرفة الصحيح من السقيم]: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفىٰ علىٰ من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

قلت ـ القائل ابن تيمية ـ: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً، ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم، وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتىٰ كثر ذلك من

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٦٨.

(٢) المستدرك: ٢/ ٦١٥.

(٣) التلخيص للحافظ الذهبي حاشية علىٰ المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦١٥.

روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقف فاستحق الترك.

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث»[(١)].

وقال الحافظ ابن عبد الهادي: «إنه حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع»[(٢)].

وقال الشيخ الألباني: «ومما يؤيد ما ذهب إليه العلماء من وضع هذا الحديث وبطلانه أنه يخالف القرآن الكريم في موضعين منه:

الأول: أنه تضمن أن الله تعالىٰ غفر لآدم بسبب توسله به ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[البقرة:٣٧]. وقد جاء تفسير هذه الكلمات عن ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما بما يخالف هذا الحديث، فأخرج الحاكم (٣/ ٥٤٥) عنه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ...﴾ قال: أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلىٰ. قال: أي رب! ألم تسكنّي جنتك؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلىٰ. قال أرأيت إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلىٰ الجنة؟ قال: بلىٰ. قال: فهو قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وقد قيل في تفسير هذه الكلمات: إنها ما في الآية الأخرىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف:٢٣]. وبهذا جزم السيد رشيد رضا في تفسيره (١/ ٢٧٩). لكن أشار ابن كثير (١/ ٨١) إلىٰ تضعيفه، ولا

(١) مجموع الفتاوىٰ: ١/ ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢) الصارم المنكي ص٦٠، ٦١. ط. إدارة البحوث العلمية والإفتاء..

منافاة عندي بين القولين، بل أحدهما يتمم الآخر، فحديث ابن عباس لم يتعرض لبيان ما قاله آدم عليه السلام بعد أن تلقى من ربه تلك الكلمات، وهذا القول يبين ذلك، فلا منافاة والحمد لله، وثبت مخالفة الحديث للقرآن، فكان باطلاً.

الموضع الثاني: قوله في آخره: «ولولا محمد ما خلقتك» فإن هذا أمر عظيم يتعلق بالعقائد التي لا تثبت إلا بنص متواتر اتفاقاً، أو صحيح عند آخرين، ولو كان ذلك صحيحاً لورد في الكتاب أو السنة الصحيحة، وأيضاً فإن الله تبارك وتعالى قد أخبرنا عن الحكمة التي من أجلها خلق آدم وذريته، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذريات:٥٦]، فكل ما خالف هذه الحكمة أو زاد عليها لا يقبل إلا بنص صحيح عن المعصوم ﷺ كمخالفة هذا الحديث الباطل. ومثله ما اشتهر على ألسنة الناس «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك» فإنه موضوع كما قال الصنعاني ووافقه الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»[1].

وأخيراً.. فإن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «الأحاديث التي تروى في هذا الباب ـ وهو السؤال بنفس المخلوقين ـ هي من الأحاديث الضعيفة الواهية بل الموضوعة، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها ولا اعتمد عليها»[2].

الشبهة الخامسة:

قولهم: إن رسول الله ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين.

فيرى المخالفون أن هذا الحديث يفيد أن النبي ﷺ كان يطلب من الله تعالى أن ينصره، ويفتح عليه بالضعفاء المساكين من المهاجرين، وهذا ـ بزعمهم ـ هو

---

(١) التوسل للألباني ص ١١٤ – ١١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٥٢.

التوسل المختلف فيه نفسه.

قال الألباني رحمه الله: «والجواب من وجهين:

الأول: ضعف الحديث...

الثاني: أن الحديث لو صح فلا يدل إلا على مثل ما دلّ عليه حديث عمر، وحديث الأعمى من التوسل بدعاء الصالحين. قال المناوي في فيض القدير: «كان يستفتح» أي يفتتح القتال، من قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩] ذكره الزمخشري (ويستنصر) أي بطلب النصرة (بصعاليك المسلمين) أي بدعاء فقرائهم الذين لا مال لهم».

قلت[1]: وقد جاء هذا التفسير من حديثه ﷺ، أخرجه النسائي (٢/ ١٥) بلفظ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» وسنده صحيح، وأصله في صحيح البخاري (٦/ ٦٧)، فقد بين الحديث أن الاستنصار إنما يكون بدعاء الصالحين، لا بذواتهم وجاههم.

ومما يؤكد ذلك أن الحديث ورد في رواية قيس بن الربيع المتقدمة بلفظ: «كان يستفتح ويستنصر..» فقد علمنا بهذا أن الاستنصار بالصالحين يكون بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم وهكذا الاستفتاح، وبهذا يكون هذا الحديث ـ إن صح ـ دليلاً على التوسل المشروع، وحجة على التوسل المبتدع والحمد لله»[2].

الشبهة السادسة:

حديث ابن مسعود مرفوعاً «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر

(١) القائل هو الألباني رحمه الله.

(٢) التوسل للألباني: ص١٠٣ ـ ١٠٥.

استغفرت الله لكم» وهذا الحديث ضعيف كما ذكر أهل العلم انظر على سبيل المثال السلسلة الضعيفة للألباني[١].

الشبهة السابعة:

ومن شبههم حديث «إذا أعيتكم الأمور، فعليكم بأهل القبور» أو «فاستغيثوا بأهل القبور» وهو حديث موضوع مختلق لم يروه أحد من العلماء، ولم يوجد في شيء من كتب الدين الصحيحة، كما قاله شيخا الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم في غير موضع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة»[٢].

وقال: «وما يرويه بعض الناس أنه قال: «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأهل القبور» أو نحو هذا، فهو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء، والذي يبين ذلك أمور:

أحدها: أنه قد تبين أن العلة التي نهى النبي ﷺ لأجلها عن الصلاة عندها، إنما هو لئلا تكون ذريعة إلى نوع من الشرك بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.

ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة، فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لرفع شر كالاستنصار، حاله في افتتانه بالقبور إذا رجا الإجابة عندها، أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد قلوبهم تفتتن بذلك إلا قليلاً، أما الداعون المضطرون،

---

(١) رقم ٩٧٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٩٣.

ففتنتهم بذلك عظيمة جداً.

فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة عندها متحققة في حال هؤلاء، كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد، وهذا واضح لمن فقه في دين الله وتبين له ما جاءت به الحنيفية من الدين لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشك بكل الطرق.

الثاني: أن قصد القبور للدعاء عندها، ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك رجاء أكثر من رجائها بالدعاء إلى غير ذلك الموطن، أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء، ولا الصالحين المتقدمين، بل أكثر ما نقل من ذلك عن بعض المتأخرين بعد المائة الثانية.

وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب غير ذلك، فهلا جاءوا فاستسقوا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى به، ولم يستسق عند قبر النبي ﷺ...»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومنها أحاديث مكذوبة مختلفة، وضعها أشباه عباد الأصنام: من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه وما جاء به، كحديث «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» وحديث «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه» وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضه لدين الإسلام، وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال والضلال»[(٢)].

الشبهة الثامنة:

قال شيخ الإسلام: «وما رُوي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده، وإنما نقل ذلك من هو

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٧ – ٦٧٩.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٤٣.

معروف بالكذب، ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقياً كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد.

ولم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في أمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ ومن حينئذٍ دخلت الحجرة النبوية في المسجد ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها قبر جدار عالٍ، وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف وأما وجود الكوة في حياة عائشة فكذب بيِّن، ولو صح ذلك لكان حجة ودليلاً على أن القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق ولا يتوسلون في دعائهم بميت، ولا يسألون الله به وإنما فتحوا القبر لتنزل الرحمة عليه، ولم يكن هناك دعاء يقسمون به عليه»[١].

الشبهة التاسعة:

روى ابن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار، وكان خازن عمر على الطعام، قال:

«أصاب الناس قحطٌ في زمن عمر؛ فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا؛ فأتي الرجل في المنام، فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيّون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس! فأتى عمر فأخبره فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه»[٢].

وذكر الحافظ في الفتح هذا الأثر وقال ما نصه: «روى ابن أبي شيبة بإسناد

(١) مختصر الرد على البكري ٦٨ – ٧٤. وانظر الاقتضاء ٢/ ٦٨٤ – ٦٨٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣١.

صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار وذكر القصة»[(١)].

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «هذا الأثر على فرض صحته ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته؛ لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك، وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكور «بلال بن الحارث» ففي صحة ذلك نظر، وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه؛ لأن عمل كبار الصحابة يخالفه، وهم أعلم بالرسول ﷺ وشرعه من غيرهم، والله أعلم»[(٢)].

وأجاب الألباني رحمه الله عن تصحيح ابن حجر لإسناده بوجوه:

«الأول: عدم التسليم بصحة هذه القصة، لأن مالك الدار غير معروف العدالة والضبط، وهذان شرطان أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح، وقد أورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١ـ٢١٣) ولم يذكر راوياً عنه غير أبي صالح هذا، ففيه إشعار بأنه مجهول، ويؤيده أن ابن أبي حاتم نفسه ـ مع سعة حفظه واطلاعه ـ لم يحك فيه توثيقاً فبقي على الجهالة، ولا ينافي هذا القول الحافظ: «بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان...» لأننا نقول: إنه ليس نصاً في تصحيح جميع السند بل إلى أبي صالح فقط، ولولا ذلك لما ابتدأ هو الإسناد من عند أبي صالح، ولقال رأساً: «عن مالك الدار... وإسناده صحيح»

(١) الفتح ٢/ ٥٧٥. وقد تكلم السهسواني على تصحيح ابن حجر وبيَّن مواطن ضعفه في صيانة الإنسان ص١٢٨.

(٢) تعليقات الشيخ ابن باز على فتح الباري ٢/ ٥٧٥.

ولكنه تعمد ذلك، ليلفت النظر إلى أن هاهنا شيئاً ينبغي النظر فيه، والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها: أنهم قد لا يحضرهم ترجمة بعض الرواة، فلا يستجيزون لأنفسهم حذف السند كله، لما فيه من إيهام صحته لاسيما عند الاستدلال به، بل يوردون منه ما فيه موضع للنظر فيه، وهذا هو الذي صنعه الحافظ رحمه الله هنا، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار كما سبق نقله عن ابن أبي حاتم، وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك أو يشير إلى جهالته. والله أعلم.

الثاني: أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة، وأخذ به جماهير الأئمة، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار، وهي قوله تعالى في سورة نوح: ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح:١٠-١١] وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس كما سبق بيانه، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا، ولم ينقل عن أحد منهم مطلقاً أنه التجأ إلى قبر النبي ﷺ، وطلب منه الدعاء للسقيا، ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة، فإذ لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة.

الثالث: هب أن القصة صحيحة، فلا حجة فيها، لأن مدارها على رجل لم يسم، فهو مجهول أيضاً، وتسميته بلالاً في رواية سيف لا يساوي شيئاً، لأن سيفاً هذا - وهو ابن عمر التميمي - متفق على ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه: «يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث». فمن كان هذا شأنه لا تقبل روايته ولا كرامة، لاسيما عند المخالفة.

الوجه الرابع: أن هذا الأثر ليس فيه توسل بالنبي ﷺ، بل فيه طلب الدعاء منه بأن يسقي الله تعالىٰ أمته، وهذه مسألة أخرىٰ لا تشملها الأحاديث المتقدمة، ولم يقل بجوازها أحد من علماء السلف الصالح ﷺ، أعني الطلب منه ﷺ بعد وفاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة» [ص ١٩/ ٢٠]: لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: «يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله يا ولي الله (الأصل: رسول الله) ادعوا الله لي، سل الله لي، سل الله أن يغفر لي... ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو عليّ، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني، ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك. ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضراً أنه استجار بفلان، ويذهب بالمحضر إلىٰ من يعمل بذلك المحضر ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارىٰ في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم»[1].

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ١١٩ – ١٢٢.

الشبهة العاشرة:

حكاية العتبي أنه رأى أعرابياً أتى قبر الرسول ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤] وهذه القصة لا تصح إسناداً ولا متناً إذ قال ابن عبد الهادي في الصارم: «وهذه الحكاية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» بإسناد مظلم...»[(١)].

وقال أيضاً: «وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما يقوم به حجة وإسنادها مظلم مختلف ولفظها مختلف أيضاً، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم»[(٢)].

وبعضهم يستدل بهذه الآية على الحث على المجيء إلى قبر الرسول ﷺ والاستغفار عنده، وأن ذلك جائز في حياته وبعد مماته. وقد ردَّ هذا الادّعاء الباطل الإمام ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» فقال: «أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ الآية، فالكلام فيها في مقامين:

أحدهما: عدم دلالتها على مطلوبه.

والثاني: بيان دلالتها على نقيضه، وإنما يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه؛ وهم سلف الأمة، ومن سلك سبيلهم.

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ص٣٣٧، ٣٣٨.
(٢) الصارم المنكي ص٣٣٨، وانظر ص٤٣٠.

ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالىٰ من تخلف عن هذا المجيء إذا ظلم نفسه، وأخبر أنه من المنافقين؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون:٥]، وكذلك هذه الآية، إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف، وغيره من الطواغيت، دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم؛ ثم لم يجيء إلىٰ رسول الله ﷺ ليستغفر له، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة، وتنصل من الذنب، وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ؛ أن أحدهم متىٰ صدر منه ما يقتضي التوبة، جاء إليه فقال: يا رسول الله، فعلتُ كذا وكذا فاستغفر لي، وهذا كان فرقاً بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله ﷻ بنبيه ﷺ ونقله من بين أظهرهم إلىٰ دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلىٰ قبره، ويقول: يا رسول الله، فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم، فقد جاهر بالكذب والبهت.

أفَتُرىٰ عَطَّلَ الصحابةُ والتابعون ـ وهم خير القرون علىٰ الإطلاق ـ هذا الواجبَ الذي ذم الله سبحانه من تخلَّف عنه، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق له من لا توبة له من الناس، ولا يعد في أهل العلم، فكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام، وهداة الأنام، من أهل الحديث والفقه والتفسير، ومن لهم لسان صدق في الأمة، فلم يدعو إليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم البتة، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة، فيما يكره وينهىٰ عنه من الغلو والشرك الجفاة، عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية، ولما كان هذا المنقول شجاً في حلوق الغلاة، وقذىً في عيونهم، وريبة في قلوبهم، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحىٰ منهم من أهل العلم بالآثار، قابله بالتحريف والتبديل، ويأبىٰ الله إلا أن يعلي منار الحق، ويظهر أدلته؛ ليهتدي المسترشد، وتقوم الحجة علىٰ المعاند.

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً، أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ في حياته، وقد ظلم نفسه، ليستغفر له، فأعرض عن المجيء وأباه، مع قدرته عليه، كان مذموماً غاية الذم، مغموصاً بالنفاق، وليس كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر لـه، ومن سوىٰ بين الأمرين، وبين المدعوين، وبين الدعوتين، فقد جاهر بالباطل، وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق.

وأما دلالة الآية على غير تأويله، فهو أنه سبحانه صدرها بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم، طاعة له؛ ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم قط أن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره، ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها، ووفق لها هؤلاء العصاة الغلاة، وهذا بخلاف قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم ما جاء به حياً وميتاً، ففي حياته كان هو الحكم بينهم بالوحي، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه، ويوضح ذلك أنه قال: «لا تجعلوا قبري عيداً»، ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له، لكان القبر أعظم أعياد المذنبين، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به..، ولو كان مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه، ورغبهم فيه، ولكان الصحابة وتابعوهم بإحسان أرغب شيء فيه، وأسبق إليه، ولم ينقل عن أحد منهم قط وهم القدوة بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له، ولا شكا إليه ولا سأله، والذي صحّ عنه مجيء القبر هو ابن عمر وحده، إنما كان يجيء للتسليم عليه ﷺ وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً البتة»[1].

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي ص٤٢٥-٤٢٨.

الشبهة الحادية عشرة:

ومن شبههم الحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة وهذا من الكذب الظاهر.

قال الإمام ابن تيمية: «وهذا كذلك معلوم كذبه بالاضطرار عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد ولم يكن ببغداد قبر يُنتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟

ثم إن أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا غيره. ثم قد تقدم عن الشافعي ما هو ثابت في كتابه من كراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات مجهول لا يعرف»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر»[٢].

وقال عنها الشيخ الألباني: «هذه رواية ضعيفة بل باطلة»[٣].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٨٥.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٤٦.

(٣) السلسلة الضعيفة: ١/ ٣١.

٩٧ـ التوكل على الله تعالى *

قال ابن الأثير: «توكَّل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلتُ أمري إلىٰ فلان: أي ألجأته إليه واعتمدتُ فيه عليه، ووكَّل فلان فلاناً: إذا اسْتكفَاه أمرَه ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه»[١].

ويقال: «وكلت الأمر إليه وكلاً: من باب وعد، ووُكُولاً: فوَّضته إليه واكتفيت به... وتوكَّل علىٰ الله: اعتمد عليه ووَثِق به، واتكل عليه في أمره كذلك»[٢].

وقال الرازي: «والتوكل: إظهار العجز والاعتماد علىٰ غيرك والاسم التكلان»[٣].

فمعناه في اللغة: (الاعتماد والتفويض).

وفي الشرع: قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «الصواب في حد التوكل الثقة بالله

* التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٧٢، ٢٤/ ٦٥ - ٦٧. شرح السنة للبغوي ١٤/ ٢٩٨. التحفة العراقية لابن تيمية ص٣٠، ٣٣. أحكام القرآن للقرطبي ٤/ ١٨٩، ٢٥٣، ٩ / ١١، ٣٧٠. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٢٦٢. تيسير العزيز الحميد ص٤٩٩. فتح المجيد ص٤٠٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٥١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٥. القول المفيد ط١- ٢/ ١٨٥، ٤٥٣ ط٢- ٢/ ٢٢٨. ومن المجموع ١٠/ ٦٦٦. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٣٨، ٤٨. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٤٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٢٥. معارج القبول ١/ ٣٣٠. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٢٧٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٩٧. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٢٣٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٥٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٤٠، ٦٠٧. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٨٠. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٧٢، ٢٨٦. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٥٩. التوكل علىٰ الله. د. القرني.

(١) النهاية في غريب الحديث (و ك ل).

(٢) المصباح المنير (و ك ل).

(٣) مختار الصحاح (وكل).

تعالىٰ والاعتماد في الأمور عليه، وتفويض كل ذلك إليه بعد استفراغ الوسع في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه علىٰ ما أمر به من السعي»[(١)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «هو صدق اعتماد القلب علىٰ الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه»[(٢)].

وعرّفه ابن رجب أيضا بقوله : «التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام لما عرض له جبرائيل في الهواء وقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا»[(٣)].

وقال الحسن رحمه الله تعالىٰ: «توكل العبد علىٰ ربه: أن يعلم أن الله هو ثقته»[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «التوكل عمل القلب وعبوديته اعتماداً علىٰ الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضاه بما يقضيه لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها»[(٥)].

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «هو إسناد العبد أمره إلىٰ الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية»[(٦)].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «صدق الاعتماد علىٰ الله عز وجل، في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها»[(٧)].

---

(١) شرح ابن بطال للبخاري ٩/ ٤٠٨.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٠٩.

(٣) من نور الاقتباس ص ٧٦. جامع العلوم والحكم ص ٤٣٩.

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٤٠٩.

(٥) الروح لابن القيم ص٣٤٣، وانظر زاد المعاد ٤/ ١٥ .

(٦) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب ص٦، ٧.

(٧) المجموع الثمين لابن عثيمين ١/ ٦٦.

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق:٣]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال:٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣][1].

* **الدليل من السنة**: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى وَقَع في[2] سَوَادٌ عَظِيمٌ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فِي آفَاقِ السَّمَاءِ. فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ. قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

(٢) في رواية مسلم: «إذ رُفِع لي سواد عظيم».

يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت ـ أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام: «ما رجا أحد مخلوقاً ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق»(٤).

❖ **أحكام وفوائد:**

١- صلة التوكل بالعبادة والإيمان: قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقول ابن القيم: «فجعل التوكل شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، وفي الآية الأخرى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ فجعل دليل صحة الإسلام التوكل. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ذِكرُ اسم الإيمان هاهنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤) قال الترمذي حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٧).

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٦.

للتوكل وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد. والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة وبين التوكل والإيمان وبين التوكل والإسلام وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والهداية... فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام وأن منزلته منها منزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل»[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «التوكل: عمل القلب»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات..»[٣].

فالتوكل من أعمال القلوب: كالمحبة والإنابة والخوف والرجاء.. ونحو ذلك.

قال السعدي رحمه الله: «التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان. وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه ويتم توحيده، والعبد يضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه»[٤].

وقال ابن قاسم رحمه الله: «وهو عبادة من أجلّ العبادات، بل هو أجل أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد»[٥].

٢ - حقيقة التوكل:

قال ابن رجب رحمه الله: «وحقيقة التوكل تفويض الأمور إلى من هي بيده. فمن

---

(١) طريق الهجرتين ص٢٥٥، ٢٥٨.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١١٤، طريق الهجرتين ص٢٣٩، تيسير العزيز الحميد ص٥٠٠.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١١٤ ط. دار الفكر.

(٤) القول السديد ص١٠١.

(٥) حاشية ثلاثة الأصول ص٣٨.

توكل علىٰ الله في هدايته، وحراسته، ورزقه وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولىٰ الله مصالحه كلها، وهذا حقيقة الوثوق بالله، وبرحمته، كما في هذا الدعاء «ولا أثق إلا برحمتك» فمن وثق برحمته،فقد حقق التوكل به في توفيقه وتسديده»[1].

قال ابن القيم: «وقد تقدم أن كثيرًا من الناس يفسر التوكل بالثقة، ويجعله حقيقتها، ومنهم من يفسره بالتفويض، ومنهم من يفسره بالتسليم، فعلمت أن مقام التوكل يجمع ذلك كله»[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وحقيقة التوكل علىٰ الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه علىٰ ربه في جلب مصالح دينه ودنياه وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده، في فعل الأسباب النافعة. فمتىٰ استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل علىٰ الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله لـه ووعده للمتوكلين، ومتىٰ علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل علىٰ غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمله»[3].

٣ - أقسام التوكل علىٰ الله:

قال ابن القيم رحمه الله: «التوكل علىٰ الله نوعان:

أحدهما: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

الثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد

(١) مستفاد من «منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة» للشبل، ص٣٨٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٤٤. ط.دار الفكر.

(٣) القول السديد ص١٠١.

والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية ومن توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه: التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل»(١).

٤ - أقسام التوكل على غير الله:

قال حاتم الأصم سمعت شقيق البلخي يقول: «لكل واحد مقامٌ؛ فمتوكل على ماله، ومتوكل على نفسه، ومتوكل على لسانه، ومتوكل على سيفه، ومتوكل على سلطنته، ومتوكل على الله ﷻ. فأما المتوكل على الله ﷻ؛ فقد وجد الاسترواح، نوّه الله به ورفع قدره، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨] وأما من كان مستروحاً إلى غيره يوشك أن ينقطع به فيشقى»(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عَمَله أو عِلمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله، غير ناظر إلى الله؛ كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مُشرك. قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج:٣١]»(٣).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله: «لكن التوكل على غير الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على

---

(١) الفوائد لابن القيم ص ٨٦.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، ح: ١٢٩٧ (٢/ ١٠٥)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٦١.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٠/ ٢٥٧.

الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالىٰ.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية كمن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذىٰ ونحو ذلك فهذا نوع شرك خفي.

والوكالة[١] الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه. لكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله. بل يتوكل علىٰ الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه كما قرره شيخ الإسلام»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل علىٰ الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، فقد قال يعقوب لبنيه ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف:٨٧] ووكل النبي ﷺ علىٰ الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع علىٰ جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله، فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقا كاملا مع الغفلة عن المسبب وهو الله فهذا نوع من الشرك أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبب هو الله سبحانه وتعالى فهذا لا ينافي التوكل، والرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب مع

---

(١) الوكالة في الشرع: «إقامةُ الشخصِ غيرَه مقام نفسه مطلقاً أو مقيداً» فتح الباري ٤/ ٥٥٩، ٥/ ٢٠١.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٩٧، ٤٩٨. وانظر مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١٠/ ٢٥٧.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥.

اعتماده على المسبب وهو الله ﷻ»[١].

٥- مسألة: قول توكلت على الله ثم عليك:

سُئل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عن قول: «متوكل على الله ثم عليك يا فلان؟»:

فأجاب: «شرك. يقول موكلك ولا يقول موكل الله ثم موكلك على هذا الشيء، هذه عامية، وليست في محلها»[٢].

وقال محقق الفتاوى الشيخ محمد بن قاسم رحمه الله: «والفرق بين هذا وبين أعوذ بالله ثم بك أنه تجوز الاستعاذة بالمخلوق مفرداً فيما يقدر عليه، بخلاف التوكل فإنه كله عبادة، كما لا يجوز أسجد لله ثم لك يا فلان، أو أعبد الله، ثم أعبدك يا فلان»[٣].

وسُئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن قول بعض العامة توكلت عليك يا فلان في كذا؟ قال: «هذا شرك أما التوكيل فيجوز لأنه استنابة»[٤].

٦ - كيف يستكمل العبد مقام التوكل وتثبت قدمه فيه:

التوكل على الله حال مركب من عدة درجات لا تتم حقيقته إلا بها وهي[٥]:

الأولى: معرفة بالرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته، واليقين بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك[٦].

قال ابن القيم: «وهذه المعرفة أول درجات يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل،

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٤.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠.

(٣) حاشية على فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠.

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٠. وانظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبوزيد ص١٥٣.

(٥) مدارج السالكين ٢/ ١١٧.

(٦) طريق الهجرتين ص ٢٣٩.

ونقل عن شيخ الإسلام قوله: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضا من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات»[(١)].

الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها.

الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل.

فإنه لا يستقيم توكل العبد حتىٰ يصح لـه توحيده؛ بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلىٰ قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل[(٢)].

الرابعة: اعتماد القلب علىٰ الله واستناده إليه وسكونه إليه وطمأنينته به والثقة بتدبيره، كما قال بعض العارفين: «المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلىٰ ربه»[(٣)]، ولذلك قال ابن القيم: «التوكل معنىٰ يلتئم من أصلين: الثقة، والاعتماد، وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]»[(٤)].

الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل.

قال ابن القيم: «والتحقيق أن حسن الظن به يدعوه إلىٰ التوكل عليه؛ إذ لا يتصور التوكل علىٰ من ساء ظنك به، ولا التوكل علىٰ من لا ترجوه. والله أعلم»[(٥)].

وفي الحديث القدسي قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي»[(٦)]، وقال ﷺ قبل

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١١٨.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٢١.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٧٥.

(٥) مدارج السالكين ٢/ ١٢١.

(٦) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ»[١].

السادسة: استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته.

السابعة: التفويض: قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾[غافر:٤٤] قال ابن القيم رحمه الله: «وهو روح التوكل ولبه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلىٰ الله، وإنزالها به طلباً واختياراً، لا كرهاً واضطراراً»[٢].

الثامنة: الرضا: قال ابن القيم رحمه الله: «وهي ثمرة التوكل، ومن فسره بها، فإنما فسره بأجل ثمراته وأعظم فوائده؛ فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله[٣]. وذكر شيخ الإسلام: «أن الرضا والتوكل يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه»[٤]، فمن توكل علىٰ الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل، فقد قام بالعبودية، أو معنىٰ هذا»[٥].

ثم قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بعد ذكر هذه الدرجات الثمان: «فباستكمال هذه الدرجات الثمان يستكمل العبد مقام التوكل وتثبت قدمه فيه»[٦].

٧ - علاقة الأسباب بالتوكل:

كان من هدي النبي ﷺ وأصحابه اتخاذ الأسباب وكانوا أكمل الخلق توكلا بل إن رسول الله ﷺ لبس الدروع يوم أحد[٧]، واستأجر دليلاً مشركاً علىٰ دين قومه،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) مدارج السالكين ٢/ ١٢٢ ط. دار الفكر.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٣٧، التحفة العراقية ٨٧ .

(٥) المدارج ٢/ ١٢٢.

(٦) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣.

(٧) أخرجه أبو داود (٢٥٩٠)، والترمذي (١٦٩٢).

ليدله على الطريق يوم الهجرة[١]، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أوعمرة حمل الزاد والمزاد وجميع أصحابه[٢].

ويُذكر أنه قدم ناس من أهل اليمن إلى الحج بلا زاد فجيء بهم إلى عمر ﷺ فسألهم فقالوا: نحن المتوكلون على الله. فقال: لستم المتوكلين بل أنتم المتواكلون.

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد، أفتح مصحفي فأقرأُه حتى أمسي؟ قال الحسن: «اقرأه بالغداة واقرأه بالعشي، وكن سائر نهارك في صنعتك وما يصلحكم»[٣].

وسأل الإمام أحمدَ رجلٌ فقال: أيخرج إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً؟ قال: «لا يعجبني، فمن أين يأكل قال: يتوكل فيعطيه الناس. قال: وإذا لم يعطوه. أليس يستشرف لهم حتى يعطوه؟ لا يعجبني هذا. لم يبلغني أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين فعل هذا، ولكن يعمل ويطلب ويتحرى»[٤].

وكان الإمام أحمد يأمر بالسوق، ويقول: «ما أحسن الاستغناء عن الناس»[٥].

وسئل عن قوم لا يعملون ويقولون نحن متوكلون فقال: «هؤلاء مبتدعة»[٦].

قال عبد الله التستري: «من قال: إن التوكل يكون بترك السبب، فقد طعن في سنة رسول الله ﷺ، لأن الله ﷻ يقول: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال:٦٩] فالغنيمة اكتساب»[٧].

---

(١) راجع حديث عائشة في البخاري (٢٢٦٣).

(٢) انظر بعض أخبارهم في الاكتساب واتخاذ الأسباب، تلبس إبليس، ص٢٨٢، مدارج السالكين ٢/ ١٣٤، ١٣٥. ط. دار الفكر.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان، ح (١٢٥٩) ٢/ ٩٤.

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٢٣٦.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٣٤.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٢٣٨.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ١٠٣.

وقد أخبر الله في كتابه عن مريم ـ عليها السلام ـ: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم:٢٥].

وهذا دليل على أن الله ﷻ يأمر باتخاذ الأسباب، كما دل على ذلك قوله: ﴿وَهُزِّىٓ﴾ وفي ذلك يقول بعضهم:

ألم تـــر أن الله قـــال لمـــريم فهزي إليك الجذع يسَّاقطُ الرطـب
ولـو شـاء أن تجنيـه مـن غيـر هزهـا جنته ولكـن كـل شـيء لـه سـبب

يقول ابن الجوزي: «وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة منها أنهم قالوا: لا بد أن يصل إلينا رزقنا وهذا في غاية القبح فإن الإنسان لو ترك الطاعة وقال: لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله عليّ فإن كنت من أهل الجنة فأنا إلى الجنة أو من أهل النار فأنا من أهل النار. قلنا له: هذا يرد الأوامر كلها ... ومعلوم أننا مطالبون بالأمر لا بالقدر»[(١)].

ويقول أيضاً رحمه الله: «فقد كان آدم عليه السلام حراثاً، ونوح وزكريا نجارَين، وإدريس خياطاً، وإبراهيم ولوط زراعين، وصالح تاجراً، وكان سليمان يعمل الخوص، وداود يصنع الدروع، ويأكل من ثمنه، وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلى الله عليهم أجمعين»[(٢)].

والإنسان مع أخذه بالأسباب وإثباتها لا يعتمد عليها بل ينظر إلى مسببها وهو الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهذا قال طائفة من العلماء: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقصٌ في العقل والإعراض عن

---

(١) تلبيس إبليس ص ٢٨٦.
(٢) تلبيس إبليس ص ٢٨١.

الأسباب بالكلية قدحٌ في الشرع، نما التوكل المأمور به: ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وتقييد؛ فالالتفات إلى الأسباب ضربان:

أحدهما: شرك، والآخر عبودية وتوحيد؛ فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، يعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصوراً عليها.

وأما إن التفت إليها التفات امتثال وقيام بها، وأداء لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها؛ فهذا الالتفات عبودية وتوحيد، إذا لم يشغله عن الالتفات إلى المسبب.

وأما محوها أن تكون أسبابا؛ فقدح في العقل والحس والفطرة، فإن أعرض عنها بالكلية؛ كان قدحا في الشرع وإبطالا له.

وحقيقة التوكل: القيام بالأسباب، والاعتماد بالقلب على المسبب، واعتقاد أن الأمر بيده، فإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه.

فالموحد المتوكل؛ لا يلتفت إليها؛ بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها؛ بل يكون قائماً بها ملتفتا إليها ناظرا إلى مسببها سبحانه ومجريها... فإذا جمعت بين هذا التوحيد، وبين إثبات الأسباب؛ استقام قلبك على السير إلى الله، ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم، وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وبالله التوفيق»[(٢)].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله ﷻ المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٥، وانظر المدارج ٣/ ٤٩٩. ط. دار الفكر.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٩، ٥٠٠.

أمر بتعاطي الأسباب، مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء:٧١]، وقال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال:٦٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠].

وقال سهل التستري: من طعن في الحركة ـ يعني في السعي والكسب ـ فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته، فمن عمل علىٰ حاله، فلا يتركنَّ سنته. ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سببا للنجاة من النار، ودخول الجنة، فهذا لا بد من فعله مع التوكل علىٰ الله فيه، والاستعانة به عليه..فمن قصّر في شيء مما وجب عليه من ذلك استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعا وقدرا.

الثاني: ما أجرىٰ الله العادة به في الدنيا، وأمر عباده بتعاطيه كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والاستظلال من الحر والتدفي من البرد ونحو ذلك، فهذا أيضا واجب علىٰ المرء تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتىٰ تضرر بتركه مع القدرة علىٰ استعماله، فهو مفرط يستحق العقوبة، لكن الله ﷻ قد يقوي بعض عباده من ذلك علىٰ ما لا يقوي عليه غيره، فإذا عمل بمقتضىٰ قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج عليه، ولهذا كان النبي ﷺ يواصل صيامه وينهىٰ عن ذلك أصحابه.

الثالث: ما أجرىٰ الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده وهو علىٰ أنواع:

منها: ما يخرقه كثيراً ويغني عنه كثيرا من خلقه، كالأدوية بالنسبة إلىٰ كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها.

وقد اختلف العلماء هل الأفضل لمن أصابه المرض التداوي أم تركه لمن حقق التوكل على الله؟ فيه قولان مشهوران.

وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» ثم قال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

ومنها ما يخرقه القليل من العامة، كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه فمن رزقه الله صدق يقين، وتوكل، وعلم من الله أن يخرق له العوائد ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه، جاز له ترك الأسباب ولم ينكر عليه ذلك. وحديث عمر[1] هذا الذي نتكلم عليه يدل على ذلك، ويدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم، ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم لساق إليهم أرزاقهم مع أدنى سبب كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب والسعي لكنه سعي يسير»[2].

٨. مسألة مهمة في علاقة التداوي والاكتواء والاسترقاء بالتوكل:

قد جاء عند أحمد والنسائي مرفوعاً: «من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل»[3].

والمقصود من هذا الحديث التوكل المستحب، لأن طلب الرقية جائز.

وسوف يقتصر كلامنا هنا على الاسترقاء فقط، أما الاكتواء والتداوي فقد سبق الكلام عنهما في بابي (التداوي) و (الكي).

(١) الحديث: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير..».

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٨-٥٠٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٤٩، وابن ماجه (٣٤٨٩).

والاسترقاء ـ طلب الرقية ـ قد قال كثير من العلماء أنه يقدح في تمام التوكل، منهم الإمام أحمد والخطابي والقاضي عياض والنووي وابن تيمية وابن القيم ـ رحمهم الله ـ، وهو القول الراجح الذي يدل عليه حديث «السبعون ألفاً».

قال ابن رجب: «وظاهر كلام أحمد أن التوكل لمن قوي عليه أفضل؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب» ثم قال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»»[(١)].

وقال القاضي عياض رحمه الله وغيره: «الحديث يدل على أن للسبعين الألف مزية عن غيرهم وفضيلة تفردوا بها»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المسترقي يسأل غيره ويرجو نفعه وتمام التوكل ينافي ذلك، والمراد وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم ولا يتطيرون من شيء»[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والنبي ﷺ لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سبباً للسبق إلى الجنان وهذا بخلاف ترك الاسترقاء، فإنه توكل على الله ورغبة عن سؤال غيره ورضاء بما قضاه، وهذا شيء وهذا شيء»[(٤)].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: «اعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً، كما يظنه الجهلة؛ فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمرٌ فطري ضروري، لا انفكاك لأحدٍ عنه، حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي كافيه.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٥٠١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٩٠، التجريد في شرح كتاب التوحيد للعجيلي ١/ ٧٧.
(٣) مجموع الفتاوى ١/ ١٨٢، ٢٣٨.
(٤) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤.

إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة ـ مع حاجتهم إليها ـ توكلاً على الله، كالاسترقاء والاكتواء، فتركهم له ليس لكونه سبباً لكن لكونه مكروهاً، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت، أما نفس مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعاً»[١].

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «وإنما المراد وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم»[٢].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «ومن أخص ما يدل على تحقيق التوحيد كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شئونه ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله وحاله بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبُّه وبغضُه وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله متبعاً فيها رسول الله ﷺ»[٣].

وبيَّن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن مَنْ يطلب مَنْ يرقيه فقد فاته الكمال[٤].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لأن طلب الرقية من الناس سؤال للمخلوقين، والسؤال للمخلوق فيه ذلة، فهم يستغنون عن الناس ويعتمدون على الله ﷻ، وهذا من تمام التوحيد أن الإنسان لا يسأل الناس... وسؤال المال يجوز للحاجة إذا كان الإنسان مضطراً، فإنه يجوز أن يسأل الناس حتى ترتفع ضرورته، أما سؤال الإنسان الناس وهو غني فهذا حرام»[٥].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١١١،١١٠.
(٢) حاشية كتاب التوحيد ص٤٥.
(٣) القول السديد ص٢٣.
(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٩٩.
(٥) إعانة المستفيد ١/ ١٢٢.

٩٨. التولة *

قال الأصمعي: «التِّوَلة ـ بكسر التاء ـ هو الذي يحبب المرأة إلى زوجها»[(١)].

وقال الشوكاني: «وقد جاء تفسير التولة عن ابن مسعود كما أخرجه الحاكم وابن حبان في صحيحه: أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» قالوا: يا أبا عبد الله، هذه التمائم والرقى قد عرفناها فما التولة قال: شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن يعني من السحر»[(٢)].

قال ابن حجر: «وهو ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

* شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٣٨. فتح المجيد ص١٤٩، ٣٦٦. تيسير العزيز الحميد ص١٦٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٨٣. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٧٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٧٩.

(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/ ١٩٠.

(٢) نيل الأوطار ٨/ ٢١٢.

(٣) التيسير ص١٦٩.

* **الدليل من السنة:** عن ابن مسعود ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك»[١].

❖ **علاقة الدبلة بالتولة:**

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن التولة: «ومثل ذلك الدبلة، والدبلة: خاتم يشترىٰ عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية ـ وهي بعيدة ألا تصحبها ـ؛ ففيه تشبه بالنصارىٰ، فإنها مأخوذة منهم.

وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارىٰ، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم»[٢].

وقال رحمه الله عن التولة: «وعندي أن منها ما يسمىٰ بالدبلة إن اعتقدوا أنها صلة بين المرء وزوجته»[٣].

وذكر العلاقة بينهما الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله حينما ذكر مخالفات آداب الزفاف فقال: «لبس بعض الرجال خاتم الذهب الذي يسمونه بـ«خاتم الخِطبة»، فهذا مع ما فيه من تقليد الكفار أيضاً ـ لأن هذه العادة سرت إليهم من النصارىٰ... ويرجع ذلك إلىٰ عادة قديمة لهم، عندما كان العروس يضع الخاتم علىٰ رأس إبهام العروس اليسرىٰ، ويقول: باسم الأب ثم ينقله واضعا له علىٰ رأس السبابة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣). وابن ماجه (٣٥٣٠).

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٧٢. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ١٧٩.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٨١. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ١٨٨.

ويقول: وباسم الابن. ثم يضعه على رأس الوسطى، ويقول: وباسم الروح القدس، وعندما يقول آمين يضعه أخيرا في البِنْصَر حيث يستقر.

وقد وجه سؤال إلى مجلة المرأة[١] وأجابت عنه: «أنجِلا تَلبوت» محررة قسم هذه الأسئلة.

والسؤال هو: لماذا يوضع خاتم الزواج في بنصر اليد اليسرى؟.

والجواب: يقال إنه يوجد عرق في هذه الإصبع يتصل مباشرة بالقلب. وهناك أيضا الأصل القديم، عندما كان يضع العروس الخاتم على رأس إبهام العروسة اليسرى، ويقول: باسم الأب، فعلى رأس السبابة، ويقول: باسم الابن، فعلى رأس الوسطى، ويقول: وباسم روح القدس، وأخيراً يضعه في البنصر ـ حيث يستقر ـ ويقول: آمين.

وعندما يقول: آمين. يضعه أخيراً في البنصر حيث يستقر.

وقد تولى نقل هذا وترجمته الكاتبة الفاضلة ملك هنانو، فجزاها الله خيراً»[٢].

التولي:

انظر (المظاهرة).

***

(١) مجلة المرأة التي تصدر في لندن، في عدد ١٩ آذار ١٩٦٠م ص٨.

(٢) آداب الزفاف ص٢١٢، ٢١٣، ٢١٤. أما الطبعة القديمة ففي ص١٢٥.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
١ـ لا إله إلا الله	١٤
«لا إله إلا الله» أول واجب على المكلف	١٧
تفسيرات باطلة لـ «لا إله إلا الله»	١٨
دلالة «لا إله إلا الله» على التوحيد	٢٠
إعراب كلمة «لا إله إلا الله»	٢٠
أركان «لا إله إلا الله»	٢٠
شروط الشهادتين	٢٢
الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً	٢٤
الثاني: اليقين	٢٧
الثالث : الصدق المنافي للكذب	٢٩
الرابع: المحبة لهذه الكلمة ولما دلّت عليه	٣٠
الخامس: الانقياد بحقوقها المنافي للترك	٣١
السادس: القبول المنافي للرد	٣٢
السابع: الإخلاص المنافي للشرك	٣٤
نواقض الشهادتين	٣٤
متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله ؟	٣٤

الموضـوع	الصفحة
فضل لا إله إلا الله	٣٦
آثار لا إله إلا الله	٣٦
٢ ـ أبـا جـاد	٣٧
«أباجاد» ينقسم إلىٰ قسمين..	٣٧
صورة «أباجاد» المحرمة..	٣٩
ارتباط (أبا جاد) بما يسمىٰ بـ (الجفر)..	٣٩
٣ ـ اتخاذ القبور عيداً	٤٠
مفاسد اتخاذ القبور عيداً..	٤٣
حكم زيارة القبر النبوي كلما دخل المسجد أو خرج منه..	٤٤
هيئة الداعي عِنْدَ قبر النبي ﷺ	٤٤
البدع التي يتعلق بها العامة عِنْدَ قبر النبي ﷺ	٤٥
٤ ـ اتخاذ القبور مساجد	٤٦
١ ـ الصلاة عند القبر	٥٠
٢ ـ الصلاة إلىٰ القبر..	٥١
٣ ـ بناء المسجد علىٰ القبر	٥٢
حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر أو الصلاة بين القبور..	٥٣
مسألة : استثناء الصلاة علىٰ الجنازة في المقبرة	٥٣
الحكمة في النهي عن الصلاة في المقبرة أو بين القبور..	٥٥
حكم الصلاة في الكنيسة..	٥٧
٥ ـ احترام أسماء الله الحسنىٰ	٥٩

الموضـوع | الصفحة

٦ ـ الإحـداد على الزعماء والوجهاء ٦٠
٧ ـ الإحـسـان ٦٠
بين الإسلام والإيمان والإحسان عموم وخصوص ٦٣
٨ ـ الأحوال الشيطانية ٦٥
٩ ـ الإخـلاص ٦٦
حكم الإخلاص ٦٩
منزلة الإخلاص وفضله ٧١
١٠ - أذى الرسول ﷺ أو عيبه ٧٢
١١ ـ إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٧٣
الفرق بين إرادة الإنسان بعمله الدنيا وبين الرياء ٧٦
صور من إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٧٦
الأعمال التـي رتب عليها الشارع ثواباً دنيوياً ٧٧
١٢ ـ الاسترقاء ٨٢
١٣ ـ الاستسقاء بالأنواء ٨٣
حكم الاستسقاء بالأنواء ٨٦
لا يجوز أن يقال : هذا نوؤه صادق ٨٧
١٤ ـ الاستشفاع بالله على خلقه ٨٨
١٥ ـ الاسـتـعـاذة ٩١
حكم الاستعاذة ٩٢
الاستعاذة بالمخلوق قسمان ٩٣

الموضـوع	الصفحة
الاستعاذة بالمخلوق خمسة أنواع	٩٥
حكم قول: أعوذ بالله وبك أو ثم بك	٩٧
الفرق بين الاستعاذة والدعاء	٩٩
١٦ـ الاستعانة	١٠٠
حكم الاستعانة بالمخلوق	١٠١
ضابط الاستعانة الشركية	١٠٣
١٧ ـ الاستـغـاثـة	١٠٤
حكم الاستغاثة	١٠٦
الاستغاثة بالمخلوق قسمان	١٠٨
الفرق بين الدعاء والاستغاثة	١١٠
١٨ـ الاستغفار	١١٨
الفرق بين الاستغفار والتوبة	١١٣
١٩ـ الاستقامة	١١٥
٢٠ـ استقدام الكفار لجزيرة العرب	١١٨
٢١ ـ الاستقسام بالأزلام	١١٨
٢٢ ـ الاستمداد	١١٨
٢٣ ـ الاستـهزاء	١٢٠
حكم الاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ	١٢٢
حكم الاستهزاء بالدين	١٢٣
حكم الاستهزاء بالمتمسك بالدين	١٢٤

الموضـوع	الصفحة
أقوال العلماء عن الاستهزاء	١٢٦
حكم الجلوس مع المستهزئين	١٢٧
توبة المستهزئ	١٢٩
٢٤ ـ الإسلام	١٣٠
العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام	١٣٣
الفرق بين الإسلام والإيمان	١٣٤
الإسلام بالمعنى العام والخاص	١٤١
الإسلام الكوني والشرعي	١٤١
هل الجهاد من أركان الإسلام	١٤٢
٢٥ ـ الأصنام	١٤٣
٢٦ ـ أصـول الإيـمـان	١٤٣
٢٧ ـ الأصول الثلاثة	١٤٥
٢٨ـ أصول الدين	١٤٧
ذكر بعض الأقوال في التفريق بين الأصول والفروع	١٤٩
رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من أدخل في أصول الدين ما ليس منه	١٥٠
حكم تقسيم الدين إلى لب وقشور	١٥٢
٢٩- إضافة النعم إلى غير الله	١٥٤
٣٠- الإطراء	١٥٥
٣١- اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ	١٥٧
الرد على شبهة احتجاجهم بقصة الخضر	١٥٩

الموضـوع	الصفحة
٣٢ـ الاعتكاف عِنْدَ القبور والمشاهد	١٦١
٣٣ـ الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به	١٦٤
من كلام العلماء في كفر الإعراض	١٦٦
الفرق بين التولي والإعراض	١٦٨
٣٤ـ أعمال القلوب	١٦٩
من أعمال القلوب	١٧٠
العلاقة بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح	١٧١
٣٥- الأعياد........	١٧٥
٣٦ـ الإقامة في بلاد الكفار........	١٧٥
الفرق بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر........	١٧٧
أقوال العلماء في النهي عن الإقامة ببلاد الكفار	١٧٧
الإقامة في بلاد الكفار لابد فيها من شرطين	١٧٨
تنقسم الإقامة في بلاد الكفار إلى أقسام	١٧٩
شروط أخرى للطلاب المقيمين للدراسة	١٨١
بيان معنى إظهار الدين في بلاد الكفر	١٨٣
حكم السفر إلى بلاد الكفار........	١٨٣
حكم التجنس بجنسية بلاد كافرة	١٨٥
٣٧- الإقسام على الله	١٨٦
القسم على الله ينقسم إلى أقسام........	١٨٦
٣٨- الاكتواء	١٨٨

الموضـوع | الصفحة

٣٩- الإكراه ١٨٨
٤٠- الإلحاد في أسماء الله ١٨٨
أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى ١٩٠
٤١- اللهم اغفر لي إن شئت ١٩٢
أقوال العلماء في الحكمة من النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة ١٩٢
حكم قول اللهم اغفر لي إن شئت ١٩٤
حكم قول (إن شاء الله) على عمل قد تم ١٩٥
حكم قول : والله على ما يشاء قدير ١٩٦
٤٢- الأمن من مكر الله ١٩٨
للأمن من مكر الله سببان مهلكان........ ١٩٩
٤٣- الإنابة ٢٠١
الإنابة إنابتان........ ٢٠٢
٤٤- الانحناء ٢٠٤
٤٥- الأنداد........ ٢٠٥
٤٦- الأنـصـاب ٢٠٥
٤٧- الانـقـيـاد المنافي للترك ٢٠٥
٤٨- إنـكار النعـم ٢٠٦
٤٩- أهل الأهواء ٢٠٦
٥٠ـ أهل السنة والجماعة ٢٠٦
مصطلح أهل السنة له إطلاقان : عام، وخاص ٢٠٩

الموضــوع	الصفحة
أقوال أهل العلم في المراد بالجماعة	٢١٤
صفات وخصائص منهج أهل السنة والجماعة	٢١٤
نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة........................	٢١٦
أسماء يعرف بها أهل السنة والجماعة :	٢١٦
١ ـ السلف	٢١٧
٢ ـ الطائفة المنصورة والفرقة الناجية	٢١٩
٣ ـ أهل الحديث والأثر	٢٢١
٤ ـ الغرباء	٢٢٣
٥١ - أهل الفترة	٢٢٤
حكم أهل الفترة	٢٢٦
تَنْبيهٌ : حكم البلاد التي سمع أهلها بالدعوة إلىٰ الإسلام	٢٢٩
٥٢ - الأوثـان	٢٣٠
الفرق بين الصنم والوثن	٢٣١
٥٣ - أوثق عرىٰ الإيمان	٢٣٢
٥٤ - إيقاد السرج علىٰ القبور........................	٢٣٢
أسباب منع إيقاد السرج عند القبور	٢٣٤
٥٥ - الإيمان	٢٣٥
العلاقة بين الإسلام والإيمان	٢٤٠
أركان الإيمان	٢٤١
ثمرات الإيمان	٢٤١

الموضوع	الصفحة
زيادة الإيمان ونقصانه	٢٤١
موقف الإمام مالك من القول بنقص الإيمان	٢٤٥
الإيمان يتبعض	٢٤٦
صلة العمل بِالإيمان	٢٤٧
معنى قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس»	٢٥٢
٥٦- الإيمان بالله	٢٥٥
والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور	٢٥٦
ثمرات الإيمان بالله تعالى	٢٥٩
٥٧- الإيمان بالملائكة	٢٦٠
الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور	٢٦٤
ثمرات الإيمان بالملائكة	٢٦٦
حقيقة وجود الملائكة	٢٦٦
المفاضلة بين الملائكة والبشر	٢٦٧
المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر	٢٦٩
٥٨- الإيمان بالكتب	٢٧٢
الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور	٢٧٣
ثمرات الإيمان بالكتب	٢٧٤
٥٩- الإيمان بالرسل	٢٧٥
ما ينبغي للمسلم أن يعتقده في الأنبياء والرسل	٢٧٦
الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور	٢٧٦

الموضـوع | الصفحة

ثمرات الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام ٢٧٧
فـائـدة : علينا الإيمان بالأنبياء والمرسلين جملة ٢٧٨
أولو العزم من الرسل ٢٧٨
مسألة : من كفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء.......... ٢٧٩
أول الرسل نوح عليه السلام.......... ٢٧٩
٦٠- الإيمان باليوم الآخر ٢٨٠
الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور ٢٨١
ثمرات الإيمان باليوم الآخر ٢٨٣
٦١- الإيمان بالقدر خيره وشره ٢٨٣
٦٢- البدعة ٢٨٤
ضابط البدعة وأقسامها ٢٩٠
المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة ٢٩٣
الابتداع على قسمين ٢٩٤
مناقشة تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة ٢٩٥
الرد على ما تعلق به من أثبت التقسيم ٢٩٥
١- قول عمر رضي الله عنه (نعمت البدعة هذه) ٢٩٥
٢- حديث «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة» ٢٩٨
٣- جمع القرآن ٢٩٩
٤- أقوال العلماء في البدعة المحمودة والمذمومة ومرادهم من ذلك ٣٠٠
أسباب ذم البدع ٣٠٤

الموضـوع | الصفحة

تاريخ ظهور البدع ٣٠٦
أسباب ظهور البدع ٣٠٧
حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها ٣٠٨
أثر البدع على التوحيد ٣٠٩
كلام العلماء في قبول توبة المبتدع ٣١٢
موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة ٣١٤
حكم تكفير الداعي إلى البدعة المكفّرة ٣١٨
٦٣- البـروج ٣١٨
٦٤- البـعـث ٣١٩
٦٥- بغض و كراهية ما جاء به الرسول ﷺ ٣٢٠
البغض والكراهة ينافيان عمل القلب من وجهين ٣٢٢
الفرق بين كره المشقة ونفور الطبع وبين الاعتقاد ٣٢٣
٦٦- البناء على القبور ٣٢٥
بناء القبور المشرفة له وجوه ٣٢٥
الأصل في القبر التسنيم ويرفع قدر شبر ٣٢٦
سبب التحذير من رفع البناء على القبر ٣٢٨
شبهات حول البناء على القبور ٣٣٠
١- اتخاذ المسجد في قصة أصحاب الكهف ٣٣٠
٢ـ شبهة : أن قبر النبي ﷺ في مسجده ٣٣٣
بناء القبة على القبر الشريف في سنة ٦٧٨ هـ ٣٣٥

الموضـوع	الصفحة
حكم هدم القباب المبنية على القبور	٣٣٥
٦٧- البيان	٣٣٧
٦٨- التألّي على الله	٣٣٨
لا يشهد لأحد بالجنة أو النار إلا بنص صحيح	٣٣٩
لا يشهد لشخص معين بأنه شهيد	٣٤١
٦٩- التأويل	٣٤٢
٧٠- التبـرك	٣٤٢
ما يستفاد من حديث أبي واقد الليثي:	٣٤٤
١ـ أن السائلين من الصحابة يجهلون أنه شرك	٣٤٤
٢ـ أن الصحابة لم يفعلوا الكفر	٣٤٦
٣ـ أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء	٣٤٧
٤ـ النهي عن مشابهة الكفار	٣٤٧
التبرك قسمان ممنوع ومشروع	٣٤٨
أولا : التبرك الممنوع	٣٤٨
من التبرك ما هو شرك أكبر	٣٤٨
من التبرك ما هو بدعة	٣٤٩
فائدة : من المنكرات في التبرك بقبر الرسول ﷺ	٣٥٣
ينبغي نزع أو منع كل ما يتبرك به العامة	٣٥٤
حكم التبرك بذوات الصالحين وآثارهم	٣٥٥
التبرك المشروع له أنواع :	٣٥٨

الموضـوع	الصفحة
أ ـ التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات المشروعة	٣٥٨
ب ـ التبرك بالأمكنة	٣٥٩
ج ـ التبرك بالأزمنة	٣٦٠
د ـ التبرك بالأطعمة	٣٦٠
هـ - بركة الخيل	٣٦١
و - بركة النخل	٣٦١
التبرك بالرسول ﷺ	٣٦١
حكم التبرك بآثار الرسول ﷺ بعد وفاته	٣٦٣
حكم بعض الألفاظ المتعلقة بالبركة :	٣٦٣
١ ـ كلمة تبارك	٣٦٣
٢ ـ هذه من بركاتك يا فلان	٣٦٤
٧١ - تتبع آثار الأنبياء والصالحين المكانية	٣٦٥
حكم تتبع آثار النبي ﷺ المكانية	٣٦٧
حكم الذهاب إلى بقعة معينة رجاء البركة	٣٧١
رد الشيخ بن باز على من طالب بإحياء الآثار النبوية	٣٧٥
تتبع آثار الصالحين فيه تشبه بطريقة المشركين	٣٧٨
٧٢ - التحاكم إلى غير ما أنزل الله	٣٧٩
أربع مسائل متصلة ببعضها ينبغي التفريق بينها :	٣٧٩
١ ـ طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله	٣٧٩
٢ ـ المُشرِّع الذي يضع القانون ويضع الأحكام	٣٧٩

الموضـوع | الصفحة

٣ـ الحكم بغير ما أنزل الله ٣٧٩
٤ ـ التحاكم إلى غير ما أنزل الله ٣٧٩
أقوال العلماء في حكم التحاكم إلى غير ما أنزل الله ٣٨٢
بعض صور التحاكم : ٣٩١
١ ـ التحاكم إلى شريعة البشر كالقضاء العشائري........................ ٣٩١
٢ ـ التحاكم إلى العقل مع نبذ الكتاب والسنة........................ ٣٩١
شبهة من قال : إن الإرادة لا تحصل إلا بالباطن ٣٩٢
حكم التحاكم إلى القوانين إذا كان في بلاد الكفر ٣٩٣
آثار التحاكم إلى غير الله ٣٩٤
٧٣- تحقيق التوحيد ٣٩٦
٧٤- تحليـل الحرام........................ ٣٩٦
٧٥- التداوي ٣٩٧
حكم التداوي ٣٩٨
حكم التداوي قبل وقوع الداء ٣٩٩
علاقة التداوي بالتوكل ٤٠٠
٧٦- التسخط من قدر الله ٤٠٢
٧٧- التشبه ٤٠٣
الإجماع على حرمة التشبه ٤١١
ضابط التشبه بالكفار........................ ٤١٢
يجب إنكار التشبه ولا يجوز الإعانة عليه........................ ٤١٣

الموضـوع | الصفحة

حكم التشبه بالكفار في أعيادهم وما أحدثوه من العبادات أو العادات........ ٤١٦
ينهى عن التشبه ولو لم يقصد.............................. ٤١٧
المقصود الأعظم ترك الأسباب التي تدعو إلى موافقة الكفار ومشابهتهم..... ٤١٨
حكم مشابهة الكفار فيما ليس من شرعنا.............................. ٤١٩
وقوع ما أخبر به النبي ﷺ في قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم»............ ٤٢٠
ذكر أصناف ينهى عن التشبه بهم.............................. ٤٢٣
التشبه بـالمجوس والفرس، والروم والأعاجم.............................. ٤٢٤
التشبه بالجاهلية.............................. ٤٢٥
التشبه بالفساق والشيطان.............................. ٤٢٦
التشبه بالأعراب الذين لم يكمل دينهم.............................. ٤٢٧
التشبه بالبهائم.............................. ٤٢٨
تشبه الرجال بالنساء و تشبه النساء بالرجال.............................. ٤٢٩
٧٨- التصوير.............................. ٧٨
التصوير بداية الشرك في بني آدم.............................. ٤٣٨
تنبيه في التفريق بين المصوِّر الذي يصنع الصُّوَر ومُقتني الصور............ ٤٣٩
أقسام صناعة التصاوير وحكم كل قسم.............................. ٤٤٠
القسم الأول: ما له ظل.............................. ٤٤٠
القسم الثاني: تصوير ما ليس له ظل.............................. ٤٤١
القسم الثالث التصوير بالآلة.............................. ٤٤٣
كلام الشيخ ابن عثيمين في هذه المسألة.............................. ٤٤٥

الموضـوع	الصفحة
القسم الرابع : تصوير ما لا ينتج عنه منظر ولا مشهد ثابت	٤٤٥
القسم الخامس تصوير ما لا روح فيه	٤٤٦
حكم اقتناء الصور واستعمالها واتخاذها	٤٤٧
اقتناء الصور واستعمالها على أقسام	٤٤٧
اللُّعب المصورة للبنات	٤٥٤
الصور التي يلعب بها الأطفال قسمان	٤٥٧
حكم المحنّط	٤٥٩
الصورة الرأس	٤٥٩
سبب امتناع الملائكة دخول بيت فيه صورة	٤٦٢
٧٩- التطير	٤٦٣
٨٠- تعظيم الله	٤٦٤
أنواع تعظيم غير الله والأسباب المفضية إليه	٤٦٧
من مظاهر التعظيم بالقول	٤٦٧
من مظاهر التعظيم بالفعل	٤٦٨
حكم الإحداد على الزعماء والوجهاء	٤٦٩
التحذير من التعظيم المحرم	٤٧١
٨١- تقبيل القبور والأعتاب للتبرك	٤٧٣
٨٢- التكذيب ببعض ما جاء به الرسول	٤٧٣
٨٣- التكفير	٤٧٤
التحذير من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم	٤٧٥

الموضـوع	الصفحة
وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين	٤٧٩
معرفة موانع التكفير..	٤٨٣
١ ـ العذر بالجهل	٤٨٣
٢ـ الإكراه	٤٨٣
التنبيه على أن انشراح الصدر بالكفر بعض أنواع الكفر	٤٨٤
شروط الإكراه...	٤٨٥
٣ ـ الخطأ	٤٨٦
تنبيه في ارتباط الخطأ بالجهل و التأويل.......................................	٤٨٨
٤ ـ التأويل	٤٨٨
٥ ـ العجز	٤٩٢
معرفة العلاقة بين الظاهر والباطن	٤٩٥
تكفير أهل القبلة لا يكون بالمعاصي	٥٠٣
تعريف الكبيرة	٥٠٣
مسألة في بطلان القول بتكفير الجميع	٥٠٣
لا يلزم من قتال فئة من المسلمين تكفيرهم	٥٠٤
الذي يحكم في هذه الأمور هم العلماء والقضاة	٥٠٨
الامتناع عن التكفير بإطلاق تعطيلٌ للأحكام وإغلاق لباب الردة	٥٠٨
التكفير ليس سببه التكذيب أو الجحود فقط	٥٠٩
٨٤- تكفير من لم يكفّر الكافر	٥١٢
أقوال العلماء في كفر من لم يكفر الكافر أو شك في كفره	٥١٣

الموضـوع | الصفحة

تنبيه مهم ٥١٧
٨٥- التمسح وتقبيل القبر وغيره ٥١٨
حكم تقبيل القبور والأعتاب والتمسح بها ٥١٩
مسألة عن الوقوف في الملتزم ووضع الخد على البيت ٥٢١
٨٦-التميمـة ٥٢٣
أسباب استخدام التميمة ٥٣٤
حكـم تعليق التميمـة ٥٢٦
حكم تعليق التمائم من القرآن ٥٢٧
ما يلحق بالتمائم : ٥٢٩
١ ـ الودعة.. ٥٢٩
٢ ـ الحجب ٥٣٠
٣ـ الحرز ٥٣١
٤ ـ لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه.. ٥٣٢
قاعدة : يتوقف فهم حكم لبس الحلقة على معرفة أحكام الأسباب ٥٣٣
تنبيه : في حكم لبيس حلقة تنفع من الروماتيزم ٥٣٤
٥ ـ الواهنة ٥٣٥
٦ ـ الـوتـر ٥٣٦
٨٧- التنجيم.. ٥٣٨
علم النجوم قسمان : ٥٤١
القسم الأول : علم التسيير ٥٤١

الموضـوع	الصفحة
القسم الثاني : علم التأثير	٥٤١
حكم التنجيم	٥٤٢
بعض شبه المنجمين	٥٤٣
حكم إتيان المنجمين	٥٤٦
أمور يُظن أنها من التنجيم وليست منه	٥٤٦
التصديق بالبروج	٥٤٧
٨٨- الـتنطـع	٥٤٩
٨٩- التوبـة	٥٥٠
فائدة في التوبة النصوح	٥٢٢
شروط التوبة	٥٣٣
وجوب التوبة إلى الله	٥٣٣
حكم التوبة لغير الله	٥٥٤
٩٠- التوحيد وأقسامه	٥٥٥
بم يكون التوحيد ؟	٥٥٦
تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام مشهورة	٥٥٧
تقسيم آخر للتوحيد	٥٥٨
التلازم بين أنواع التوحيد	٥٦٠
فضل التوحيد	٥٦٣
٩١- توحيد الأسماء والصفات	٥٧٠
توحيد الأسماء والصفات مبني على أصلين	٥٧١

الموضـوع الصفحة

مسائل تتعلق بالصفات ٥٧٣
٩٢- توحيد الألوهية ٥٨٤
فوائد........................ ٥٨٧
٩٣- توحيد الربوبية ٥٩٣
توحيد الربوبية لا يكفي في حصول الإسلام ٥٩٥
استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية ٥٩٨
٩٤- توحيد القصد والطلب ٥٩٩
٩٥- توحيد المعرفة والإثبات ٦٠٠
التوحيد القولي ينقسم إلى قسمين ٦٠٠
٩٦- التوسل ٦٠١
التوسل قسمان ٦٠٤
١- التوسل المشروع، وهو أنواع أربعة ٦٠٤
النوع الأول : توسل بالله تعالى........................ ٦٠٤
النوع الثاني: التوسل بالأعمال الصالحة ٦٠٥
النوع الثالث: التوسل بدعاء أخيه المؤمن ٦٠٥
تنبيه مهم ٦٠٨
النوع الرابع : التوسل بحال الداعي ٦٠٨
٢- التوسل الممنوع، وهو ثلاثة أنواع : ٦٠٩
١- التوسل بذوات المخلوقين ٦٠٩
تنبيه : ينبغي التفريق بين التوسل بذوات الصالحين وسؤالهم ٦١١

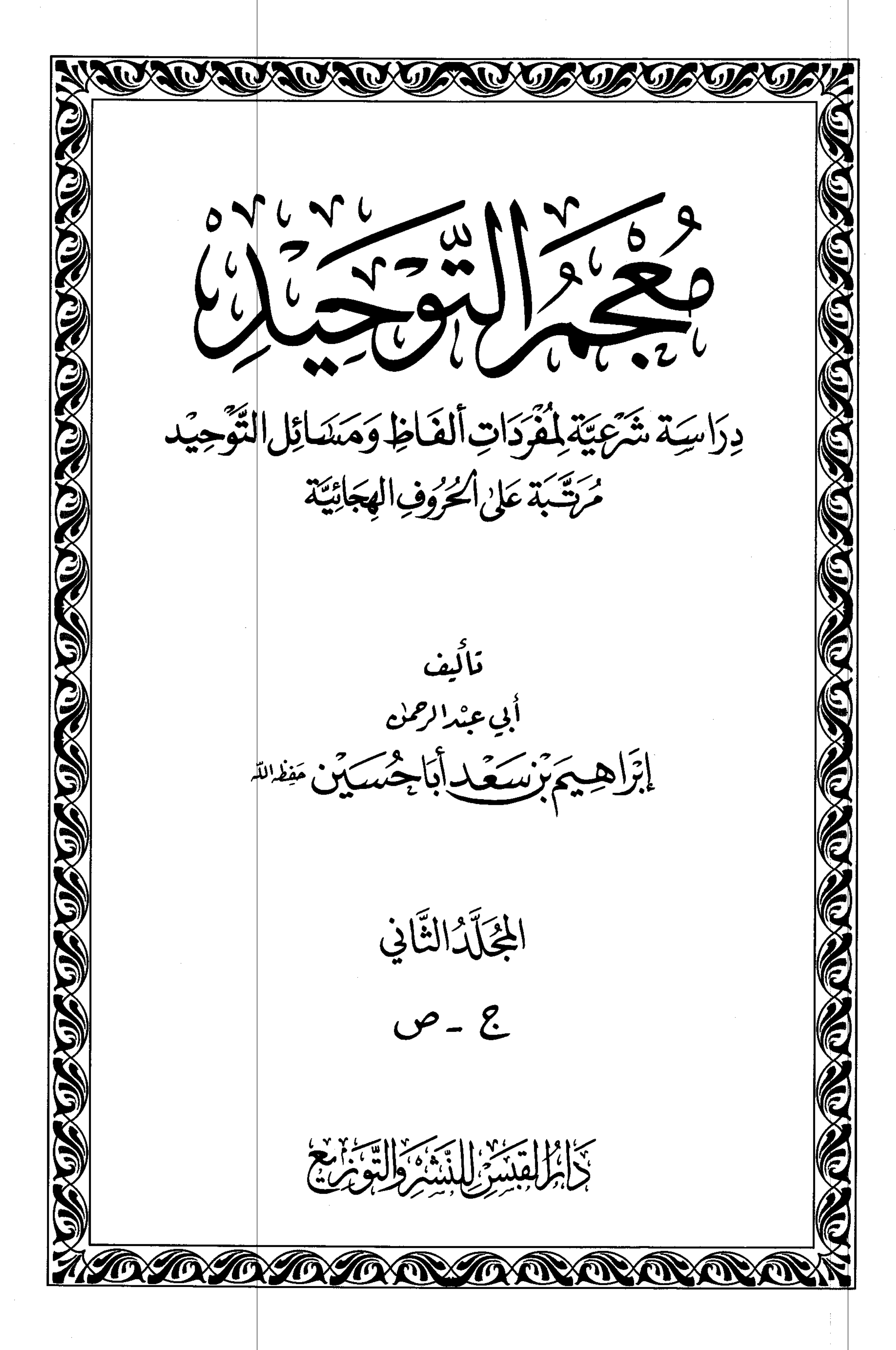
الموضـوع | الصفحة

حكم التوسل إلى الله بذوات المخلوقين........ ٦١٢
٢- التوسل إلى الله بجاه فلان أو حقه أو بركته ٦١٣
٣- الإقسام على الله بالمتوسل به ٦١٥
مسائل مهمة ٦١٥
١- كلمة : أسألك بمعاقد العز من عرشك ٦١٥
٢- السؤال بحق الرحم ٦١٦
حكم التوسل بالأموات ٦١٧
حكم التوسل بسيد الأنبياء ٦١٨
دفع توهم ٦١٩
شبهات في التوسل الممنوع : ٦١٩
الشبهة الأولى : الاستدلال بحديث الأعمى في جواز التوسل بالجاه والذات.. ٦١٩
الشبهة الثانية : استدلالهم بحديث «أسالك بحق السائلين» ٦٢٢
الشبهة الثالثة : حديث «توسلوا بجاهي» ٦٢٣
الشبهة الرابعة : الحديث الذي فيه توسل آدم عليه السلام في تربته بمحمد ﷺ.. ٦٢٤
الشبهة الخامسة : كون الرسول ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين ٦٢٦
الشبهة السادسة : حديث «وحياتي خير لكم» وبيان ضعفه ٦٢٧
الشبهة السابعة: الحديث الموضوع «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور» .. ٦٢٨
الشبهة الثامنة : فتح الكوة من قبره إلى السماء ٦٢٩
الشبهة التاسعة : قصة مالك الدار خازن عمر ٦٣٠
الشبهة العاشرة : حكاية العتبي ٦٣٤

الموضـوع | الصفحة

الشبهة الحادية عشرة : الحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء
عند قبر أبي حنيفة ٦٣٧
٩٧- التوكل ٦٣٨
صلة التوكل بالعبادة والإيمان ٦٤١
حقيقة التوكل ٦٤٢
أقسام التوكل على الله ٦٤٣
أقسام التوكل على غير الله ٦٤٤
مسألة : قول توكلت على الله ثم عليك ٦٤٦
كيف يستكمل العبد مقام التوكل وتثبت قدمه فيه ٦٤٦
علاقة الأسباب بالتوكل ٦٤٨
مسألة مهمة في علاقة التداوي والاكتواء والاسترقاء بالتوكل ٦٥٣
٩٨- التولـة ٦٥٦
علاقة الدِبلة بالتولة ٦٥٧
فهرس الموضوعات ٦٥٩

***



مُعجَمُ التَّوحِيد

دِرَاسَة شَرعِيَّة لِمُفرَدَاتِ أَلفَاظِ وَمَسَائِل التَّوحِيد

مُرَتَّبَة عَلَى الحُرُوفِ الهِجَائِيَّة

تأليف

أبي عبد الرحمن

إبراهيم بن سعد أباحسين حفظه الله

المجلَّدُ الثَّاني

ج - ص

دار القبس للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

صف وتصميم وإخراج

دار القبس للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

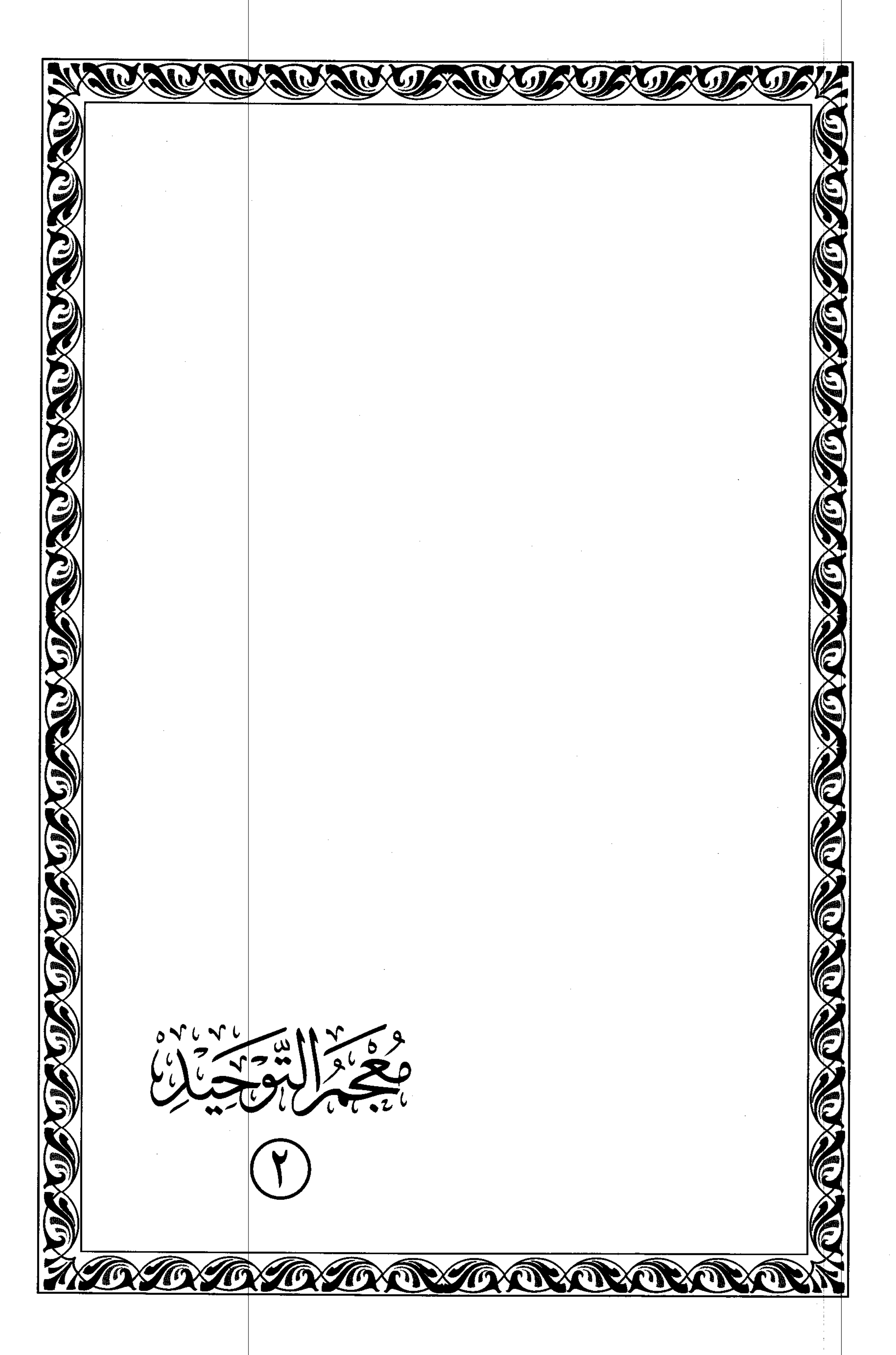
شارع الأمير سطام بن عبدالعزيز

ت: ٢٦٨١٠٤٥ – ف: ٤٣٥١٣٩٥

جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٢٩٣٩٣٨

darulqabas@yahoo.com

الرياض


معجم التوحيد
٢

بسم الله الرحمن الرحيم

٩٩ - الجاهلية*

الجاهلية في اللغة: مصدر صناعي، مأخوذ من الجاهلي، نسبة إلى الجاهل المشتق من الجَهْل[١].

والجَهْل خلاف العلم ونقيضه.

قال الليث: «الجهل نقيض العلم والجهالة: أن يفعل فعلاً بغير علم»[٢].

وقال ابن خالويه: «إن هذا الاسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل بعثة الرسول ﷺ»[٣].

وقال النووي رحمه الله: «المراد بالجاهلية، ما كان في الفترة قبل الإسلام»[٤].

وقال ابن الأثير وتبعه ابن منظور: «هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ـ سبحانه ـ ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر، والتجبر، وغير ذلك»[٥].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: «ونعني بالجاهلية كل ما ليس من أتباع الرسل عليهم السلام كالفلاسفة والكهان والمنجمين ودهرية العرب الذين كانوا قبل

---

* أحكام القرآن القرطبي ١٨/ ٧٤. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧. مجموع فتاوى ابن باز ص٥٠٣. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٥٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١٧٤ في تاريخ الأدب الجاهلي د. علي الجندي ص ٧، ٨.

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي علي الجندي ص٧، ٨، وانظر للاستزادة شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٥٤.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٥٦.

(٣) بلوغ الأرب ١/ ١٦.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ١١٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث، لسان العرب مادة (ج هـ ل).

مبعث النبي ﷺ، فإن هذه علوم لقوم ليس لهم علم بما جاء ت به الرسل ﷺ»(١).

* الدليل من الكتاب: ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم في عدة مواضع فمن ذلك قول الله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠] وقال ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٦].

الدليل من السنة: ورد في السنة لفظ الجاهلية كثيراً فمن ذلك أن عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ ؓ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْفِ نَذْرَكَ فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً»(٢).

وقول عائشة ؓ: «النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء»(٣).

وقول حذيفة ؓ: «يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر»(٤).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ؓ أنه قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠]»(٥).

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»(٦).

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز ص٥٠١، ٥٠٢.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٢)، ومسلم (١٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٢٤).

(٦) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية حديث أبي ذر حين سابَّ رجلاً فعيَّره بأمه، فأتى الرجلُ النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية». فقال رحمه الله: «ففي هذا الحديث أن كل ما كان من أمر الجاهلية فهو مذموم؛ لأن قوله «فيك جاهلية» ذم لتلك الخصلة، فلولا أن هذا الوصف يقتضي ذم ما اشتمل عليه لما حصل به المقصود.

وفيه: أن التعيير بالأنساب من أخلاق الجاهلية.

وفيه: أن الرجل ـ مع فضله وعلمه ودينه ـ قد يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية، ويهودية، ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فقوله ﷺ: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» يدخل فيه كل ما كانوا عليه من العبادات والعادات، ولا يدخل فيه ما كانوا عليه من الجاهلية وأقره الله تعالى في الإسلام كالمناسك والدية والقسامة، لأن أمر الجاهلية معناه المفهوم منه ما كانوا عليه مما لا يقره الإسلام فيدخل في ذلك كل ما كانوا عليه وإن لم ينه في الإسلام عنه بعينه»[(٢)].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحِد في الحرم، ومُبتَغٍ في الإسلام سنة جاهلية، ومُطَّلِب دمَ امرئ بغير حق ليهريق دمه»[(٣)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «والسنة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها. فإن السنة: هي العادة، وهي الطريق التي تتكرر، لتتسع لأنواع الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» والاتباع هو الاقتفاء والاستنان. فمن

(١) الاقتضاء ١/ ٢٢٠.
(٢) مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين ٧/ ١٧٤.
(٣) أخرجه البخاري (٦٨٨٢).

عمل بشيء من سننهم: فقد اتبع سنة جاهلية، وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء كان من سنن الجاهلية في أعيادهم وغير أعيادهم»(١).

وقد دخل أبوبكر الصديق ﷺ على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم. فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مصمتة. فقال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا عمل الجاهلية(٢).

قال الإمام ابن تيمية: «ومعنى قوله «من عمل الجاهلية» أي مما انفرد به أهل الجاهلية، ولم يشرع في الإسلام، فيدخل في هذا: كل ما اتخذ من عبادة مما كان أهل الجاهلية يتعبدون به، ولم يشرع الله التعبد به في الإسلام، وإن لم ينوه عنه بعينه كالمكاء والتصدية، فإن الله تعالى قال عن الكافرين: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

والمكاء: الصفير ونحوه.

والتصدية: التصفيق

فاتخاذ هذه قربة وطاعة من عمل الجاهلية الذي لم يشرع في الإسلام.

وكذلك: بروز المحرم وغيره للشمس، حتى لا يستظل بظل، أو ترك الطواف بالثياب المتقدمة، أو ترك كل ما عمل في غير الحرم ونحو ذلك من أمور الجاهلية التي كانوا يتخذونها عبادات...»(٣).

* **فائدة:**

مما ينهى عنه إطلاق كلمة (جاهلية القرن العشرين). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالناس قبل بعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٣٤).

(٣) الاقتضاء ١/ ٣٢٧، ٣٢٨.

ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل.

وكذلك كلما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية، ونصرانية. فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم، فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام.

فأما في زمان مطلق: فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين، على الحق إلى قيام الساعة.

والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص المسلمين، كما قال ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية»[١].

وقال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[٢] ونحو ذلك.

فقوله في هذا الحديث: «ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية» يندرج فيه كل جاهلية، مطلقة، أو مقيدة يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو صابئة، أو وثنية، أو مركبة من ذلك، أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية، فإنها جميعها مبتدعها ومنسوخها، صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ، وإن كان لفظ «الجاهلية» لا يقال غالباً إلا على حال العرب، التي كانوا عليها، فإن المعنى واحد»[٣].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «وصفُ القرن العشرين بالجاهلية إنما ينطبق على غير المسلمين الذين لم يتبعوا الكتاب والسنة، ففي هذا الإطلاق إيهام بأنه لم يبقَ في المسلمين خير، وهذا خلاف ما سبق بيانه من أحاديث الرسول ﷺ المبشرة ببقاء طائفة من الأمة على الحق، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الإسلام بدأ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم(١٦٦١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

غريباً وسيعود غريباً فطوبىٰ للغرباء..». قالوا: من هم يا رسول الله.. جاء الحديث علىٰ روايات عدة، في بعضها يقول الرسول ﷺ واصفاً الغرباء «هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي من بعدي». وفي رواية أخرىٰ قال عليه الصلاة والسلام: «هم أناس قليلون صالحون بين أناس كثيرين، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» فلذلك لا يجوز هذا الإطلاق في العصر الحاضر علىٰ القرن كله؛ لأن فيه ـ ولله الحمد ـ بقية طيبة لا تزال علىٰ هدي النبي ﷺ وعلىٰ سنته وستظل كذلك حتىٰ تقوم الساعة..»[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «أما ما بعد الإسلام فلا يقال له: جاهلية، لأن الجاهلية زالت والحمد لله بالإسلام، والعلم موجود، ورّثه الرسول ﷺ، فبعد بعثة الرسول زالت الجاهلية العامّة، أما بقايا من الجاهلية أو خصال من أمور الجاهلية فقد تبْقىٰ في أفراد من الناس أو طوائف من الناس، لكن أن يقال: الناس كلهم في جاهلية - كما يطلقه بعض الكتّاب الجهّال - فهذا باطل»[2].

وقال الشيخ ناصر العقل: «وما نزع إليه بعض الكتاب والباحثين والمفكرين، من إطلاق عبارات المجتمع الجاهلي، علىٰ المجتمعات الإسلامية أو بعضها دون تقييد أو تخصيص لمن يستحق ذلك شرعاً فإنه نهج غير سليم ويخالف القواعد الشرعية، ومنهج السلف الصالح»[3].

* فائـدة:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لا تنقض عُرىٰ الإسلام عروة عروة حتىٰ ينشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».

---

(١) حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه لمحمد الشيباني ١/ ٣٩٣، ٣٩٤.

(٢) إعانة المستفيد ٢/ ٣٣.

(٣) حاشية علىٰ اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٢٧.

ولتوضيح معنى الجاهلية في قول الفاروق ﷺ نسوق لك ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث قال: «فذلك أنه إذا لم يعرف من الشرك ما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه أو دونه أو شر منه، فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بمتابعة الرسول، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/ ٤٦.

١٠٠- الجبت*

يجب على المؤمن أن يكفر بالجبت وهو كل ما يعبد من دون الله.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وكذا قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم(١).

وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: الجبت: الشيطان ـ زاد ابن عباس: بالحبشية ـ.

وعن ابن عباس أيضاً: الجبت: الشرك. وعنه: الجبت: الأصنام. وعنه: الجبت: حُيي بن أخطب.

وعن الشعبي: الجبت: الكاهن.

وعن مجاهد: الجبت: كعب بن الأشرف(٢).

وقال الجوهري: «الجبت: كلمة تقع على الصنم، والكاهن، والساحر، ونحو ذلك»(٣).

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بعد أن ساق هذه الأقوال: «الظاهر أنه يعم ذلك

* أحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٤٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٢٨. تيسير العزيز الحميد ص٣٦٦. فتح المجيد ص ٢٩٨. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٧٥. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤٥٤، ٤٩٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤٦٩، ٢/ ٨، ٣١ ط٢- ١/ ٥٧٨. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص٩٤، ١٤٩. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٠٤. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٥٢٣.

(١) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ٥/ ١٣٥، وتهذيب اللغة ١١/ ٧.

(٢) أخرج هذه الآثار ابن جرير الطبري في التفسير ٥/ ١٣٥، وانظر تهذيب اللغة ١١/ ٧، وفتح المجيد ص٢٩٨.

(٣) الصحاح للجوهري (ج ب ت).

كله. كما قال الجوهري»[١].

وفي الاصطلاح الشرعي: قال ابن جرير الطبري: «الجبت والطاغوت اسمان لكل معظَّم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان»[٢].

فالجبت كلمة تطلق على الصنم والساحر والكاهن، وفسرها عمر ﵁ عنه بالسحر. وتفسيره لها بالسحر من تفسير الشيء ببعض أفراده.

قال الزجّاج: «قال أهل اللغة: كل معبود من دون الله جبت وطاغوت»[٣].

وقال الراغب الأصفهاني: «ويقال لكل ما عبد من دون الله جبت، وسمي الساحر والكاهن جبتاً»[٤].

وقال القاسمي: «الجبت يطلق لغة على الصنم والكاهن والساحر والسحر الذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله تعالى. وكذا الطاغوت فيطلق على الكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب»[٥].

*** الدليل من الكتاب**: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء:٥١].

*** الدليل من السنة**: عن قَبِيصَةَ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٦٦.
(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري ٥/ ١٣٣.
(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ٧..
(٤) المفردات للراغب الأصفهاني (جبت).
(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٣٢٤.

وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنْ الْجِبْتِ». قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الأَرْضِ وَالْجِبْتُ. قَالَ: الْحَسَنُ إِنَّهُ الشَّيْطَانُ[1].

وبوب الشيخ محمد رحمه الله على ذلك فقال: «باب شيء من أنواع السحر».

وزجر الطير: الاستدلال بأسمائها وأصواتها وممرها على ما يحصل في المستقبل.

وقول الحسن عن الجبت إِنَّهُ الشَّيْطَانُ جاء في رواية: رنّة الشيطان. وهذا تفسير للجبت ببعض أفراده والرنة الصوت وأضافه إلى الشيطان لأنه يدعو إليه.ولكن رواية: رنّة الشيطان قال عنها الشيخ سليمان بن عبدالله: «لم أجد فيه كلاماً»[2].

وجاء في تفسير بقي بن مخلد: «أن إبليس رنّ أربع رنّات، رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب»[3].

وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: «لما لُعِن إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة فخرج لذلك فرنّ رنة فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة منها»[4]. والرنة الصوت. والله أعلم.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والظاهر أن رنة الشيطان؛ أي: وحي الشيطان؛ فهذه من وحي الشيطان وإملائه، ولا شك أن الذي يتلقى أمره من وحي الشيطان أنه أتى نوعاً من الكفر...»[5].

وقد فرق العلماء بين الجبت والطاغوت، قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الطاغوت

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (١٩٦٩٤) (١٦٠١٠). وأبو داود في كتاب الطب (٣٩٠٧).

(٢) تسير العزيز الحميد ص٤٠٢.

(٣) الدر المنثور ١ / ١١، مجمع الزوائد ٦/ ٣١١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٣٨٩)، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ٦٣.

(٥) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥١٦. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ٣٢.

هو الطاغي من الأعيان، والجبت هو من الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان. ولهذا قال النبي ﷺ: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت». رواه أبوداود»[1].

١٠١- جحود شيءٍ من الأسماء والصفات

انظر (كفر الجحود).

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٠.

١٠٢- جزيرة العرب *

جاء في المصباح المنير : «جزر الماء جزراً من بابي ضرب وقتل: انحسر، وهو: رجوعه إلى خلف ومنه الجزيرة سميت بذلك لانحسار الماء عنها»[(١)].

والجزيرة يحيط بها الماء من جميع جهاتها ولذا يطلق عليها البعض شبه جزيرة العرب لأن الماء يحيط بها من أغلب جهاتها.

قال ابن عبد البر في التمهيد: «قال بعض أهل العلم:... وإنما قيل لبلاد العرب جزيرة العرب، لإحاطة البحر والأنهار بها، من أقطارها وأطرافها فصاروا فيها في مثل جزيرة من جزائر البحر»[(٢)].قال الفيروزابادي: وجزيرة العرب: ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً ومن جدة إلى أطراف ريف العراق عرضاً[(٣)].

وجزيرة العرب لها خصائص وميزات تنفرد بها عن باقي أنحاء المعمورة، وقد

---

* التمهيد لابن عبد البر ١/ ١٦٩ - ١٧٣. ١٢/ ١٣ - ١٦ الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ٥٧. المغني لابن قدامة ٨/ ٥٢٩، ٥٣٢. ومسلم بشرح النووي ١١/ ٩٤. معجم البلدان لليعقوبي ص٣٣٣. أحكام أهل الذمة لابن القيم ١/ ١٧٧. فتح الباري ٦/ ١٧١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٢٦٣. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ١٧٨، ١٧٩، مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥١٤، ٥٢٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٠١، ٤٥٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢١١، ٤٦٩، مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥. خصائص جزيرة العرب للشيخ بكر أبو زيد. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٣١. دعاوى المناوئين ص٢٢٣.

(١) المصباح المنير (ج ز ر).

(٢) التمهيد ١/ ١٧٣.

(٣)[القاموس المحيط (جزر)].

جاءت الشريعة بذكر مزاياها وواجبات نحوها لا تقوم في غيرها فهي بلاد الإسلام ومشرق نوره وفيها مهبط الوحي والحرَمَان ولها ولأهلها من الخصائص ما لا يتسع ذكره هنا ولكن يهمنا ما يتعلق بالتوحيد منه وسيأتي ما يبين ذلك عند ذكر الأحاديث.

الدليل من السنة: عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[(١)].

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[(٢)].

عن عمر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب حتىٰ لا أدع إلا مسلماً»[(٣)].

وفي رواية: «لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب»[(٤)].

وعن عمر بن عبدالعزيز ﷺ قال: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «قاتل الله اليهود والنصارىٰ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب»[(٥)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يترك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢)، والترمذي (١٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٧)، والترمذي (١٦٠٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٩)، والترمذي (١٦٠٦) واللفظ للترمذي.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤٥، والبيهقي في السنن ٩/ ٢٠٨، وعبدالرزاق في مصنفه (٩٩٨٧) (ومعنىٰ ذلك أنه لا يبقىٰ فيها الكافر مدة طويلة بحيث يستوطن فيها أما الاجتياز والبقاء فترة قصيرة فلا يدخل في النهي) انظر المنتقىٰ للباجي ٧/ ١٩٥.

بجزيرة العرب دينان»[١].

وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عمر بن عبدالعزيز قال: «آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أنه قال: «قاتل الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقىٰ بأرض العرب دينان»[٢].

ورویٰ مالك عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتىٰ أتاه الثلج واليقين، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» فأجلىٰ يهود خيبر»[٣].

وعن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب ﷺ أجلىٰ اليهود والنصارىٰ من أرض الحجاز[٤].

* فـائـدة في معنىٰ قول النبي ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب».

المعنىٰ يأسه من اجتماع الناس كلهم في الجزيرة علىٰ عبادته.

قال الشيخ بكر أبو زيد: «ومعنىٰ هذا الحديث: أن الشيطان يئس من اجتماع أهل الجزيرة علىٰ الإشراك بالله تعالىٰ. ومنذ بعثة النبي ﷺ وهي إلىٰ يومنا هذا دار إسلام ـ ولله الحمد حماها الله وسائر أوطان المسلمين ـ ولم يعرف الشرك فيها إلا جزئيا علىٰ فترات في فرد أو أفراد، ثم يهيئ الله علىٰ مدىٰ الأزمان من يردهم إلىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٨٨٤).

(٢) مصنف عبدالرزاق (٩٩٨٧).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤٥، والبيهقي في السنن ٩/ ٢٠٨، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٩٨٤) عن سعيد بن المسيب. قال ابن عبد البر: «هذا الحديث يتصل من وجوه كثيرة» التمهيد ١٢/ ١٣، وانظر ١/ ١٦٩، ١٧٣.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٣٨)، ومسلم (١٥٥١).

دينهم الحق. على أن بعض العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ رأى عموم هذا الحديث لأمة محمد ﷺ. قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة على الشرك الأكبر»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يدل على عدم الوقوع؛ لأنه لما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً أيس أن يعبد سوى الله في هذه الجزيرة. فالحديث خبر عما وقع في نفس الشيطان ذلك الوقت ولكنه لا يدل على انتفائه في الواقع»[(٢)].

والأدلة التي تدل على وقوع الشرك في الجزيرة كثيرة منها وقوع الردة في عهد أبي بكر الصديق ومنها أحاديث صحيحة صرحت بذلك كحديث: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة»[(٣)]. وحديث: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى»[(٤)] ومعلوم أن «ذو الخلصة» و«اللات» و «العزى». مكان وجودهم جزيرة العرب.

حدود جزيرة العرب وكلام أهل العلم فيه:

جزيرة العرب يحدها من الغرب: بحر القلزم، ويقال: بحر الحبشة ويعرف الآن باسم: البحر الأحمر. ومن الجنوب: بحر العرب ويقال: بحر اليمن. ومن الشرق: خليج البصرة ويعرف الآن باسم: الخليج العربي. وهذا التحديد من هذه الجهات الثلاث محل اتفاق بين الجغرافيين. وأما الحد الشمالي: فساحل البحر الأحمر الشرقي الشمالي وما على مُسامَتِه شرقاً من مشارف الشام وأطراره (الأردن

---

(١) خصائص جزيرة العرب ص ٣٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٠٧).

حالياً) ومنقطع السماوة من ريف العراق.

وقد وقع خلاف بين العلماء و الفقهاء في حدود جزيرة العرب التي يؤمر الكافر بالخروج منها فمنهم من جعل الأمر بإخراج الكفار شاملاً الجزيرة كلها ومنهم من جعله لجزء منها ولكل منهم أدلة وإليك أقوالهم:

قال الأزهري: «قال أبو عبيد عن الأصمعي: جزيرة العرب: ما بين عدن أبين[1] إلى أطراف الشام في الطول وأما العرض فمن جدة وما والاها من شط البحر إلى ريف العراق.

وقال أبو عبيدة: هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى تهامة في الطول. وأما العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة»[2].

وقال الخليل: «إنما قيل لها «جزيرة العرب»؛ لأن بحر الحبش، وبحر فارس، والفرات قد أحاطت بها، ونسبت إلى العرب؛ لأنها أرضها، ومسكنها ومعدنها»[3].

قال الفيومي في المصباح المنير: «ونقل البكري أن جزيرة العرب: مكة والمدينة واليمن واليمامة، وقال بعضهم:جزيرة العرب خمسة أقسام: تهامة، ونجد، وحجاز، وعروض، ويمن، فأما تهامة: فهي الناحية الجنوبية من الحجاز،وأما نجد فهي الناحية التي بين الحجاز والعراق، وأما الحجاز: فهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام، وفيه المدينة وعمان، وسمي حجازاً لأنه حجز بين نجد وتهامة، وأما العروض: فهو اليمامة إلى البحرين، وأما اليمن: فهو أعلى من تهامة،

---

(١) قال محقق تهذيب اللغة: «في الأصل بسكون الدال وهي عدن المشهورة بلد أو مدينة بأقصى بلاد اليمن على ساحل البحر، أضيفت إلى (أبين) كأبيض وهو رجل من حمير لأنه عدن بها أي أقام».

(٢) تهذيب اللغة، المصباح المنير للفيومي، الصحاح، النهاية (ج ز ر) التمهيد ١/ ١٧٢، أحكام أهل الذمة ١/ ١٧٧.

(٣) أحكام أهل الذمة ١/ ١٧٨.

هذا قريب من قول الأصمعي»[١].

ويقول ابن حجر: «قال الزبير بن بكار في أخبار المدينة أخبرت عن مالك، عن ابن شهاب قال: جزيرة العرب: المدينة. قال الزبير: قال غيره: جزيرة العرب ما بين العذيب[٢] إلىٰ حضرموت، قال الزبير: وهذا أشبه، وحضرموت آخر اليمن»[٣].

وذكر الباجي عن مالك أنه قال: «جزيرة العرب: منبت العرب، قيل لها: جزيرة العرب، بإحاطة البحور والأنهار بها»[٤].

وقال مالك أيضًا: «أرىٰ أن يجلوا من أرض العرب كلها ؛ لأن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[٥].

وهذه الرواية تلتقي مع التحديد الجغرافي.وتأتي روايات أخرىٰ.

وفي رواية بكر بن محمد عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله - يعني: الإمام أحمد- عن جزيرة العرب؟ فقال: «إنما الجزيرة موضع العرب، وأي موضع يكون فيه أهل السواد والفرس، فليس هو جزيرة العرب، موضع العرب: الذي يكونون فيه»[٦].

وروىٰ ابنه عبد الله عنه، قال: «سمعت أبي يقول في حديث: «لا يبقىٰ دينان في جزيرة العرب»: تفسيره: ما لم يكن في يد فارس والروم. قيل له: ما كان خلف

---

(١) المصباح المنير (ج ز ر).

(٢)العذيب من أرض العراق بعد القادسية بأربعة أميال علىٰ حدود البادية كما جاء في معجم البلدان.

(٣) فتح الباري ٦/ ١٧١.

(٤) انظر المنتقىٰ ٧/ ١٩٥.

(٥) المغني ٩.

(٦) انظر الأحكام السلطانية ١٩٦، أحكام أهل الذمة ١/ ١٧٦، ١٧٧.

العرب؟ قال: نعم»[١].

وقال النووي: «وأضيفت إلىٰ العرب لأنها الأرض التي كانت بأيديهم قبل الإسلام وديارهم التي هي أوطانهم وأوطان أسلافهم»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «جزيرة العرب: هي من بحر القُلْزم إلىٰ بحر البصرة، ومن أقصىٰ حِجْرِ اليمامة إلىٰ أوائل الشام؛ بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله . . .»[٣].

وقال الشيخ بكر أبو زيد: «ولهذا التّحديد بالمياه الإقليمية الثلاثة صارت تعرف عند المتأخرين باسم «شبه جزيرة العرب»، وإنما قيل: «جزيرة العرب»؛ بحكم إحاطتها بثلاثة أبحر، ولأن الحد الشمالي، وإن كان إلىٰ مشارف الشام وريف العراق؛ فإن ما وراء ذلك من أنهار: بردىٰ، ودجلة، والفرات، متصل برأس الخليج العربي، فكأن التجوز في الإطلاق بحكم المجاورة»[٤].

وما سبق من الروايات والأقوال يلتقي بعضها مع التحديد الجغرافي المشهور بأن الجزيرة موضع العرب المحاط بالمياه الإقليمية الثلاثة.

لكن هل يُمنع اليهود والنصارىٰ من سكناها جميعا؟ في هذا خلاف قديم، فمنهم من يرىٰ أن الحد الجغرافي هو التحديد الصحيح وهو أحد الأقوال عند الإمامين مالك وأحمد رحمهما الله وهو قول يذكر لشيخ الإسلام ونصره الشيخ بكر أبو زيد والقول الآخر أنها خاصة بالحجاز وما والاها.

---

(١) أحكام أهل الملل للخلال ٢٤، ٢٥ الأحكام السلطانية ١٩٦، أحكام أهل الذمة ١/ ١٧٧.

(٢) مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٣.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٦ ط- الفقي.

(٤) خصائص جزيرة العرب ص ١٨، ١٩.

واستدل أصحاب القول الثاني بحديث أبي عبيدة بن الجرَّاح ﷺ قال: آخرُ ما تكلَّم به النبيُّ ﷺ: «أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، و أهل نجران من جزيرة العرب، و اعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(١)].

وفي رواية: «أخرجوا اليهودَ من الحجاز»[(٢)].

وقالوا إن الحديث وإن ورد فيه الأمر بإخراج اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب، إلا أن المراد بعض الجزيرة لا كلها، بدليل أن عمر ﷺ أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء، وهي من جزيرة العرب،فإن عمر ﷺ لما تولىٰ الخلافة كان يهود في خيبر وال نجران في نجران والمجوس في هجر واشتغل بالفتوحات خارج جزيرة العرب فتح فارس والشام، ومصر وقبرص، وأخرج عمر ﷺ يهود خيبر لما نقضوا العهد، وأبقىٰ يهود اليمن، ومجوس الأحساء

قال مالك: عمرُ أجلىٰ أهل نجران ولم يُجلوا من تيماء؛ لأنها ليست من بلاد العرب، فأما الوادي فإني أرىٰ إنما لم يُجل من فيها من اليهود أنهم لم يروها من أرض العرب»[(٣)].

وفي شرح مسلم عند ذكر إجلاء عمر لليهود من خيبر، وفيه: (فأجلاهم عمر إلىٰ تيماء وأريحاء) قال النووي: «وفي هذا دليل أن مراد النبي ﷺ بإخراج اليهود

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في (المسند) (٣/ رقم ١٦٩١/ ٢٢١) والبخاري في (التاريخ الكبير) (٤/ ٥٧) والدارمي في (السنن)(٢/ ٢٣٣) و أبو يعلىٰ الموصلي في) المسند) (٢/رقم ٨٧٢/ ١٧٧) والبيهقي في (الكبرىٰ)(٩/ ٢٠٨) من طرقٍ عن يحيىٰ بن سعيد عن إبراهيم ابن ميمون ثنا سعد بن سمرة بن جندب عن أبيه به. وإسناده صحيحٌ، وصححه الإمام ابن عبدالبر في (التمهيد) (١/ ١٦٩) و العلامة الألباني في (الصحيحة) رقم ١١٣٢.

(٢) [تلخيص الحبير ١٢ - ٢٣١١].

(٣)السنن) (كتاب الخراج) (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب) (٣/ رقم ٣٠٣٣/ ٤٢٥) وانظر(شرح السنة) للبغوي (١١/ ١٨٠) (التمهيد) (١/ ١٦٩-١٧٣).

والنصارىٰ من جزيرة العرب إخراجهم من بعضها، وهو الحجاز خاصة؛لأن تيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز والله أعلم»[١].

قال بشر بن عمر: «قلت لمالك إننا لنرجو أن تكون من جزيرة العرب يريد البصرة، لأنه لا يحول بيننا وبينكم نهر، فقال: ذلك إن كان قومك تبؤوا الدار والإيمان»[٢].

قال النووي: «وحكىٰ الهروي عن مالك: أن جزيرة العرب هي المدينة والصحيح المعروف عن مالك أنها مكة والمدينة واليمامة واليمن[٣]، وأخذ بهذا الحديث مالك، والشافعي وغيرهما من العلماء، فأوجبوا إخراج الكفار من جزيرة العرب، وقالوا: لا يجوز تمكينهم من سكناها، ولكن الشافعي خص هذا الحكم ببعض جزيرة العرب، وهو الحجاز، وهو عنده: مكة، والمدينة، واليمامة وأعمالها دون اليمن وغيره مما هو من جزيرة العرب، بدليل آخر مشهور في كتبه وكتب أصحابه»[٤].

---

(١) شرح مسلم ١٠/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) التمهيد ١/ ١٧٣.

(٣) روىٰ الزهري عن مالك قال: «جزيرة العرب: المدينة، ومكة، واليمامة، واليمن». واليمامة كانت داخلة في عمل المدينة، وكان أمرها مضطربا حسب الولاية في العصرين الأموي والعباسي، فأحيانا تضاف إلىٰ المدينة، وأحيانا تفرد برأسها.انظر خصائص جزيرة العرب ٢٢. وقال ابن عبد البر في التمهيد: «قال مالك بن أنس: جزيرة العرب: المدينة ومكة واليمامة واليمن وقال المغيرة بن شعبة: جزيرة العرب: المدينة ومكة واليمن وقرياتها» التمهيد ١/ ١٧٢، وانظر المنتقىٰ ٧/ ١٩٥.

وقال يعقوب بن محمد: سألت المغيرة ابن عبدالرحمن عن جزيرة العرب؟ فقال: مكة والمدينة واليمامة واليمن ذكره الإمام البخاري في (الجامع الصحيح كتاب الجهاد/ باب جوائز الوفد / ٦ص١٧٠-فتح).

(٤) مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٣.

وألَّف الحسين بن محمد بن سعيد اللاعى المعروف بالمغربى، قاضي صنعاء ومحدثها رسالة في حديث: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب» رجح فيها: أنه إنما يجب إخراجهم من الحجاز فقط محتجاً بما في رواية بلفظ: «أخرجوا اليهود من الحجاز»[(١)].

وقال الرملي: «ليس المراد جميع جزيرة العرب، بل الحجاز منها لأن عمر أجلاهم منه وأقرهم باليمن مع أنه منها»[(٢)].

* قال ابن قدامة بعد أن ذكر رواية عن الإمام أحمد في «جزيرة العرب المدينة وما والاها»[(٣)]: «يعني أن الممنوع من سكنى الكفار به: المدينةُ وما والاها ـ وهو مكة، واليمامة، وخيبر، والينبع، وفدك، ومخاليفها، وما والاها ـ وهذا قول الشافعي... فكأن جزيرة العرب في تلك الأحاديث أريد بها الحجاز، وإنما سمي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد، ولا يمنعون أيضا من أطراف الحجاز كتيماء وفدك ونحوهما؛ لأن عمر لم يمنعهم من ذلك»[(٤)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقد أمر النبي في مرض موته أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب – وهي الحجاز – فأخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخاليف هذه البلاد»[(٥)].

وفي اختيارات ابن تيمية رحمه الله: «ويُمنعون من المقام في الحجاز، وهو [أي:

(١) البدر الطالع ١/ ٢٣٠، الأعلام للزركلي ٢/ ٢٥٦.

(٢) نهاية المحتاج ٨/ ٩٠.

(٣) قال ابن القيم: «قول الإمام أحمد: «جزيرة العرب: المدينة وما والاها» يريد مكة واليمامه وخيبر والينبع وفدك ومخالفيها. وهذا قول الشافعي لأنهم لم يجلوا من تيماء ولا من اليمن» انظر أحكام أهل الذمة ١/ ١٧٨.

(٤) المغني ١٣/ ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٥) الفتاوى ٢٨/ ٦٣٠.

الحجاز]: مكة والمدينة واليمامة والينبع وفدك وتبوك ونحوها وما دون المنحني، وهو عقبة الصوان من الشام كمعان»[١].

وقال ابن حجر: «لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها، لا فيما سوىٰ ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب؛ لاتفاق الجميع علىٰ أن اليمن لا يمنعون منها،مع أنها من جملة جزيرة العرب،هذا مذهب الجمهور»[٢].

قال العلاَّمة الفقيه يحيىٰ بن أبي الخير العمراني الشافعي: «وما روي أنَّ أحداً من الخلفاء الراشدين أجلىٰ مَن في اليمن من أهل الذمة و إن كانت من جزيرة العرب، فدل علىٰ ما ذكرناه[٣]، وروي أيضا أن نصارىٰ نجران أتوا علياً ﷺ فقالوا له: إن الكتاب بيدك والشفاعة علىٰ لسانك، وإن عمر أخرجنا من أرضنا، فرُدَّنا إليها، فقال علي ﷺ: إن عمر كان رشيداً في فعله، وإني لا أُغيِّر شيئاً فعله عمر. ونجران ليست من الحجاز، وإنما لنقضهم الصُّلح الذي صالحهم النبي ﷺ علىٰ ترك الربا»[٤].

ويتبين بهذا أن هناك فرق بين وصف جزيرة العرب وبين تخصيص الحكم ببعض هذه الجزيرة، يوضح هذا أن شيخ الإسلام في الاقتضاء لما تحدث عن اسم العرب واسم العجم والاشتباه بين العجم والفرس تكلم بعده عن اسم العرب ثم ذكر لسانهم وأصلهم ومساكنهم فقال: «مساكنهم كانت أرض العرب، وهي جزيرة

---

(١) اختيارات البعلي ص ٢٦٤.

(٢) الفتح ٦/ ١٩٨ تحت الحديث رقم ٣٠٥٣.

(٣) حيث بين أن المراد بجزيرة العرب في هذه الأخبار: الحجازُ، وهي: مكة والمدينة واليمامة ومخالفيها.

(٤)البيان شرح كتاب (المهذب) للشيرازي (١٢/ ٢٨٩).

العرب التي هي من بحر القلزم إلىٰ بحر البصرة، ومن أقصىٰ حجر اليمامة إلىٰ أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله» ثم ذكر رحمه الله أنهم سكنوا المشرق والمغرب...الخ فلم يكن كلامه حول معنىٰ الحديث أو حول إخراج المشركين منه بل حول العرب فقط.

ولما أراد معنىٰ الحديث قال كما في الاختيارات: ويُمنعون من المقام في الحجاز، وهو [أي: الحجاز]: مكة والمدينة واليمامة والينبع وفدك وتبوك ونحوها وما دون المنحني، وهو عقبة الصوان من الشام كمعان»[(١)].

وعلىٰ هذا فإن العالم قد يصف جزيرة العرب بما هو أبعد من مكة والمدينة وما حولها لكنه يرىٰ تخصيص الأمر بإخراج المشركين ببعض تلك الجزيرة.

ومما يُستدل به علىٰ بطلان حمل الحديث علىٰ جزيرة العرب التي في اصطلاح الجغرافيِّين؟

قول الشافعي في الأم: «لم أعلم أن أحدا أجلىٰ أحدا من أهل الذمة من اليمن وقد كانت بها ذمة وليست بحجاز، فلا يجليهم أحد من اليمن ولا باس أن يصالحهم علىٰ مقامهم باليمن، وقد تقدم نقل النووي عن الشافعي رحمه الله أنه خص هذا الحكم ببعض جزيرة العرب وهو الحجاز وهو عنده مكة والمدينة واليمامة وأعمالها دون اليمن»[(٢)].

وماذكره النووي عن الشافعي حكاه ابن حجر[(٣)] اتفاقاً، وقال ابن القيم حاكياً مذهب الشافعي: «وقد أدخل بعض أصحاب الشافعي اليمن في جزيرة العرب

---

(١) اختيارات البعلي ص ٢٦٤.

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١١/ ٩٣، ٩٤.

(٣) فتح الباري ٦/ ١٧١.

ومنعهم من الإقامة فيها وهذا وَهْمٌ فإن النبي بعث معاذاً قبل موته إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً وأقرهم فيها وأقرهم أبو بكر بعده وأقرهم عمر وعثمان وعلي ﷺ ولم يجلوهم من اليمن مع أمر رسول الله بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلم يعرف عن إمام أنه أجلاهم من اليمن، وإنما قال الشافعي وأحمد يخرجون من مكة والمدينة واليمامة وخيبر وينبع ومخاليفها ولم يذكرا اليمن ولم يجلوا من تيماء أيضاً، وكيف يكون اليمن من جزيرة العرب وهي وراء البحر فالبحر بينها وبين الجزيرة، فهذا القول غلط محض»(١).

* فائدة (١): المياه الإقليمية للحجاز وماوالاها وما فيها من الجزر تابعة له في الحكم وهذا ماوضحه الإمام الشافعي حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «لا يمنع أهل الذمة من ركوب بحر الحجاز ـ أي على سبيل العبور ـ، ويمنعون من المُقام في سواحله، وكذا إن كانت في بحر الحجاز جزائر وجبال تسكن؛ منعوا من سكناها؛ لأنها من أرض الحجاز».(٢).

* فائدة (٢): سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن المدينة هل هي من الشام فأجاب ـ رحمه الله تعالى ـ: «مدينة النبي ﷺ من الحجاز باتفاق أهل العلم، ولم يقل أحد من المسلمين ولا غيرهم أن المدينة النبوية من الشام، وإنما يقول هذا جاهل بحد الشام والحجاز، جاهل بما قاله الفقهاء وأهل اللغة وغيرهم، ولكن يقال المدينة شامية، ومكه يمنية: أي المدينة أقرب إلى الشام، ومكة أقرب إلى اليمن وليست مكة من اليمن، ولا المدينة من الشام.

وقد أمر النبي ﷺ في مرض موته: أن تخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب - وهي الحجاز فأخرجهم عمر بن الخطاب ﷺ من المدينة، وخيبر، وينبع،

---

(١) أحكام أهل الذمة ١ / ١٨٥.

(٢)الأم ٤/ ١٧٨، وعنه الموسوعة الكويتية ٣/ ١٢٩، خصائص جزيرة العرب ص ٢٤.

واليمامة، ومخاليف هذه البلاد ولم يخرجهم من الشام، بل لما فتح الشام أقر اليهود والنصارى بالأردن وفلسطين، وغيرهما، كما أقرهم بدمشق وغيرها.

وتربة الشام تخالف تربة الحجاز، كما يوجد الفرق بينهما عند المنحنى الذي يسمى عقبة الصوان. فإن الإنسان يجد تلك التربة مخالفة لهذه التربة كما تختلف تربة الشام ومصر. كما كان دون وادي المنحنى فهو من الشام: مثل معان. وأما العلا، وتبوك، ونحوهما: فهو من أرض الحجاز. والله أعلم»(١).

❖ حكم وجود غير المسلمين في جزيرة العرب:

يقول ابن القيم: «قال مالك: أرى أن يجلوا من أرض العرب كلها لأن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب..». وقال الشافعي: يُمنعون من الحجاز، وهو مكة والمدينة، واليمامة، ومخاليفها وهي قراها»(٢).

قال الإمام ابن باز رحمه الله: «فعلى الحكام في جميع أجزاء الجزيرة عليهم جميعا أن يجتهدوا كثيرا في إخراج النصارى والبوذيين والوثنيين والهندوس وغيرهم من الكفرة وألا يستقدموا إلا المسلمين. هذا هو الواجب وهو مبين بيانا جليا في قواعد الشرع الحنيف.

فالمقصود والواجب إخراج الكفار من الجزيرة وأن لا يستعمل فيها إلا المسلمون من بلاد الله، ثم إن عليهم أيضا أن يختاروا من المسلمين، فالمسلمون فيهم من هو مسلم بالادعاء لا بالحقيقة، وعنده من الشر ما عنده، فيجب على من يحتاج إلى مسلمين ليستأجرهم أن يسأل أهل المعرفة حتى لا يستقدم إلا المسلمين الطيبين المعروفين بالمحافظة على الصلاة والاستقامة. أما الكفار فلا أبداً إلا عند الضرورة الشرعية أي التي يقدرها ولاة الأمر وفق شرع

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٦٣٠، ٦٣١.

(٢) أحكام أهل الذمة ١/ ١٨٤.

الإسلام وحده»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الجزيرة لا يستقدم لها إلا المسلمون من الرجال والنساء لأن الرسول ﷺ أمر بإخراج الكفار منها وأوصىٰ عند موته بذلك، وأن لا يبقىٰ فيها إلا الإسلام فقط. فهي معقل الإسلام وهي منبع الإسلام فلا يجوز أن يستقدم إليها الكفار، فالجزيرة العربية علىٰ طولها وعرضها لا يجوز أن يستقدم إليها الكفرة، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بالناس فيما يفعلون من استقدام الكفرة لأن أكثر الخلق لا يتقيدون بحكم الشرع كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾[الأنعام:١١٦]. إلا إذا دعت الضرورة إلىٰ ذلك كحاجة المسلمين إلىٰ طبيب اضطروا إليه أو عامل اضطروا إليه يرىٰ ولي الأمر استقدامه لمصلحة المسلمين بصفة مؤقتة؛ فلا حرج في ذلك كما استخدم النبي ﷺ اليهود في خيبر للضرورة إليهم ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه لما استغنىٰ عنهم. وكذلك إذا قدموا لمصلحة المسلمين بغير إقامة كالوافدين لبيع البضائع يرجعون لمدة معلومة وأيام معدودة.

وخلاصة القول أنه لا يجوز استخدام غير المسلمين إلا عند الضرورة القصوىٰ التي يراها ولي الأمر»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما قوله ﷺ: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان» فالمعنىٰ: لا تقام شعائر الكفر في جزيرة العرب، يعني – مثلاً – لا تُبنىٰ الكنائس ولا يُنادىٰ فيها بالناقوس وما أشبه ذلك، وليس المعنىٰ أنه لا يتدين أحد من الناس في نفسه بل المراد أنه لا يكون لهم كنائس أو معابد أو بيع كما للمسلمين مساجد.

---

(١) مجموع فتاوىٰ سماحة الشيخ ابن باز ٢/ ٥١٤، ٥١٥.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣.

وأما قوله: «لأخرجنَّ اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب»: فالمراد منها: السكنىٰ.

وأما الأجراء وما أشبه ذلك فلا يدخلون في هذا؛ لنهم ليسوا قاطنين بل سيخرجون.

وأما إبقاء الرسول ﷺ يهود خيبر فيها، فإن الرسول ﷺ لم يُبقهم إبقاءً مطلقاً عاماً، بل قال: «نقرّكم فيها ما شئنا»، يعني: إلىٰ أمد.

وهذا الأمد كان لانتهائه سبب وذلك في عهد عمر ؓ حيث اعتدوا علىٰ عبدالله بن عمر وعلىٰ الرجل الذي بات عنده ولم يوفوا بما عليهم فطردهم عمر ؓ»[1].

وقال ؒ لما سئل عن حكم استقدام غير المسلمين إلىٰ الجزيرة العربية: «لكن استقدامهم للحاجة إليهم بحيث لا نجد مسلماً يقوم بتلك الحاجة جائز بشرط أن لا يُمنحوا إقامة مطلقة»[2].

وقال الشيخ بكر أبو زيد بعد ذكر أحاديث النهي: «فهذه الأحاديث في الصِّحاح نص علىٰ أن الأصل شرعــاً منع أي كافر ـ مهما كان دينه أو صفته ـ من الاستيطان والقرار في جزيرة العرب، وأن هذا الحكم من آخر ما عهده النبي ﷺ إلىٰ أمته»[3].

ويقول الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «ليس معنىٰ (أخرجوهم) أن كل واحد يخرجهم، هذا من صلاحيات ولي الأمر الذي له الحل والعقد»[4].

وهناك إشكالات ينبغي أن يذكر الجواب عنها:

١ ـ أن النبي ﷺ رهن درعه عند يهودي. قال ابن القيم: «وأما رهن النبي درعه

---

(١) الباب المفتوح ٢/ ٣٦٨ لقاء ٣٩ سؤال ١٠٥٥.

(٢) أركان الإسلام ص ١٨٧ سؤال ٩٨.

(٣) خصائص جزيرة العرب ص ٣٦.

(٤) الفتاوىٰ الشرعية في القضايا العصرية ٢٣٠.

عند اليهودي فلعله من اليهود الذين كانوا يقدمون المدينة بالميرة والتجارة من حولها أو من أهل خيبر وإلا فيهود المدينة كانوا ثلاث طوائف بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة فأما بنو قينقاع فحاربهم أولا ثم من عليهم وأما بنو النضير فأجلاهم إلى خيبر وأجلى بني قينقاع أيضا وقتل بني قريظة وأجلى كل يهودي كان بالمدينة فهذا اليهودي المرتهن الظاهر أنه من أهل العهد قدم المدينة بطعام أو كان ممن لم يحارب فبقي على أمانه فالله أعلم»[١].

٢ـ أن رسول الله ﷺ قد أقر أهل خيبر بها إلى أن قبضه الله وهي من جزيرة العرب قال ابن القيم: «قيل أما إقرار أهل خيبر فإنه لم يقرهم إقراراً لازماً بل قال نقركم ما شئنا، وهذا صريح في أنه يجوز للإمام أن يجعل عقد الصلح جائزاً من جهته متى شاء نقضه بعد أن ينبذ إليهم على سواء،فلما أحدثوا ونكثوا أجلاهم عمر رضي الله عنه، فروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لما فدع أهل خيبر عبدالله بن عمر قام عمر خطيبا فقال إن رسول الله كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال نقركم ما أقركم الله تعالى، وإن عبدالله ابن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم: هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر رضي الله عنه على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر رضي الله عنه: أظننت أني نسيت قول رسول الله: كيف بك إذا خرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة. فقال: كانت هذه هزيلة من أبي القاسم، فقال: كذبت يا عدو الله. قال فأجلاهم عمر رضي الله عنه وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك.

(١) أحكام أهل الذمة ١/ ١٨٤.

وفي صحيحه أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ أهل خيبر فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم وغلبهم على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة وهي السلاح ويخرجون منها، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير. فقال رسول الله ﷺ لعم حيي ـ واسمه سعية ـ: ما فعل مسك حيي الذي جاؤوا به من النضير؟ قال أذهبته النفقات والحروب، فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك، وقد كان حيي قتل قبل ذلك، فدفع رسول الله ﷺ سعية إلى الزبير فمسه بعذاب فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ها هنا، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ ذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا، وأراد أن يجليهم منها فقالوا:يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، ولا يفرغون أن يقوموا، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وتمر ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبدالله بن رواحة يأتيهم في كل عام يخرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه، فقال عبدالله: أتطعمونني السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أبغض الناس إلي من عدلكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على ألا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. فكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام وعشرين وسقاً من شعير فلما كان زمان عمر رضي الله عنه غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه، فقال عمر: من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها بينهم فقسمها عمر رضي الله عنه بينهم، فقال

رئيسهم: لا تخرجنا، دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله وأبو بكر، فقال عمر ﷺ لرئيسهم أتراه سقط علي قول رسول الله: كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً. وقسمها عمر ﷺ بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية»[١].

٣ـ إن قيل: كيف استجاز عمر ﷺ إخراج أهل نجران وقد صالحهم النبي ﷺ؟.

قال ابن القيم: «فإن قيل فأهل نجران كان النبي ﷺ قد صالحهم وكتب لهم كتاب أمن على أرضهم وأنفسهم وأموالهم فكيف استجاز عمر ﷺ إخراجهم؟

قيل: قد قال أبو عبيد: إنما نرى عمر قد استجاز إخراج أهل نجران وهم أهل صلح لحديث يروى عن النبي ﷺ فيهم خاصة يحدثونه عن إبراهيم بن ميمون مولى آل سمرة عن ابن سمرة عن أبيه عن أبي عبيدة ابن الجراح عن النبي ﷺ أنه كان آخر ما تكلم به أن قال: «أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب». ﷺ

فإن قيل زدتم الأمر إشكالاً! فكيف أمر بإخراجهم وقد عقد معهم الصلح؟

قيل: الصلح كان معهم بشروط، فلم يفوا بها فأمر بإخراجهم، قال أبو عبيد: وإنما نراه قال ذلك لنكث كان منهم أو لأمر أحدثوه بعد الصلح، قال: وذلك بَيِّن في كتاب كتبه عمر ﷺ إليهم قبل إجلائه إياهم،منها حدثنا ابن أبي زائدة عن ابن عون قال:قال لي محمد بن سيرين: انظر كتاباً قرأته عند فلان بن جبير فكلم فيه زياد بن جبير، قال: فكلمته فأعطاني، فإذا في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

---

(١) أحكام أهل الذمة ١ / ١٨١، ١٨٢.

فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وإنه من يتب منكم ويصلح لا يضره ارتداده ونصاحبه صحبة حسنة، فادكروا ولا تهلكوا وليبشر من أسلم منكم، فإن أبى إلا النصرانية فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران.

أما بعد: فإن يعلى كتب يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه إلا أن يكون قسراً جبراً ووعيداً لم ينفذ إليه منه شيء.

أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض، وإني لن أريد نزعها منكم ما أصلحتم.

وقال الشيخ في المغني: فأما إخراج أهل نجران منها فلأن النبي صالحهم على ترك الربا فنقضوا عهده»[1].

❖ يمنع الكافر من دخول حرم مكة بكل حال:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨].

قال عطاء ﷺ في قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ قال: يريد الحرم كله وفي لفظ: لا يدخل الحرم كله مشرك[2].

قال الإمام أحمد: «ليس لليهود والنصارى أن يدخلوا الحرم»[3].

قال الشافعي: «لا يدخل الكافر المسجد الحرام بحال، ويدخلُ غيره من

---

(١) أحكام أهل الذمة ١ / ١٧٩، ١٨٠

(٢) الدر المنثور ٣/ ٤٠٩ ط/ دار الكتب العالمية.

(٣) مرويات الامام أحمد في التفسير جمع الشيخ محمد بن وزن طرهوني ٢/ ٢٨٤ وعزاه للملل (ق٣٤/ ب).

المساجد للحاجة كما دخل ثمامة وأبو سفيان»[١].

وقد رد ذلك ابن العربي رحمه الله وضعفه عليه بقوله: «ذلك ان دخول ثمامة في المسجد في الحديث الصحيح، ودخول ابي سفيان فيه على الحديث الآخر كان قبل أن ينزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ فمنع الله المشركين من دخول المسجد الحرام نصاً ومنع من دخول سائر المساجد تعليلاً بالنجاسة، ولوجوب صيانة المسجد عن كل نجس»[٢].

قال النووي: «قال العلماء ولا يمنع الكفار من التردد مسافرين في الحجاز ولا يمكنون من الإقامة أكثر من ثلاثة أيام، قال الشافعي وموافقوه: إلا مكة وحرمها فلا يجوز تمكين كافر من دخوله بحال،فإن دخله في خفية وجب إخراجه، فإن مات ودفن فيه نبش وأخرج ما لم يتغير، هذا مذهب الشافعي وجماهير الفقهاء، وجوز أبو حنيفة دخولهم الحرم وحجة الجماهير قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾، والله أعلم»[٣].

وقال ابن القيم: «وأما الحرم فيمنعون دخوله بكل حال، ولا يجوز للإمام أن يأذن في دخوله فإن دخل أحدهم فمرض أو مات أُخرج، وإن دفن نبش، وهل يمنعون من حرم المدينة؟.

حُكي عن أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ فيه روايتان كما تقدم وقد صح عن النبي ﷺ أنه أنزل وفد نصارى نجران في مسجده وحانت صلاتهم فصلوا فيه وذلك عام

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٩١٤.
(٢) أحكام القرآن لأبن العربي ٢/ ٩١٤.
(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم.

الوفود بعد نزول قوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلم تتناول الآية حرم المدينة ولا مسجدها»[١].

❖ مسألة: فإن قيل إن المنع من قربان المسجد الحرام خاص بالمشركين:

قال ابن القيم: «فإن قيل: الله سبحانه إنما منع المشركين من قربان المسجد الحرام ولم يمنع أهل الكتاب منه ولهذا أذن مؤذن النبي يوم الحج الأكبر أنه لا يحج بعد العام مشرك، والمشركون الذين كانوا يحجون هم عبدة الأوثان لا أهل الكتاب فلم يتناولهم المنع.

قيل للناس قولان في دخول أهل الكتاب في لفظ المشركين:

الأول: فابن عمر وغيره كانوا يقولون هم من المشركين، قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: لا أعلم شركاً أعظم من أن يقول المسيح ابن الله وعزيز ابن الله وقد قال تعالى فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١].

والثاني: لا يدخلون في لفظ المشركين؛ لأن الله سبحانه جعلهم غيرهم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ ﴾، قال شيخنا[٢]: والتحقيق أن أصل دينهم دين التوحيد، فليسوا من المشركين في الأصل والشرك طارئ عليهم فهم منهم باعتبار ما عرض لهم لا باعتبار أصل الدين، فلو قدر أنهم لم يدخلوا في لفظ الآية دخلوا في عمومها المعنوي وهو كونهم

---

(١) أحكام أهل الذمة ١/ ١٨٧ .

(٢) أي شيخه ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ.

نجساً، والحكم يعم بعموم علته، فإن قيل فالآية نبهت على دخولهم الحرم عوضاً عن دخول عباد الأوثان فإنه سبحانه قال: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ فإنها لما نزلت انقطع عنهم ما كان المشركون يجلبون إليهم من الميرة فأعاضهم الله بالجزية، قيل ليس في هذا ما يدل على دخول أهل الجزية المسجد الحرام بوجه م، بل تؤخذ منهم الجزية وتحمل إلى من بالمسجد الحرام وغيره ـ على أن الإغناء من فضل الله وقع بالفتوح والفيء والتجارات التي حملها المسلمون إلى مكة.

فإن قيل: فالآية إنما منعت قربانهم المسجد الحرام خاصة، فمن أين لكم تعميم الحكم للحرم كله؟

قيل: المسجد الحرام يراد به في كتاب الله تعالى ثلاثة أشياء: نفس البيت، والمسجد الذي حوله، والحرم كله:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ على أنه قد قيل إن المراد به ها هنا الحرم كله، والناس سواء فيه.

والثالث: كقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ وإنما أسرى به من داره من بيت أم هانئ.

وجميع الصحابة والأئمة فهموا من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ أن المراد مكة كلها والحرم ولم يخص ذلك أحد منهم بنفس المسجد الذي يطاف فيه، ولما نزلت هذه الآية كانت اليهود بخيبر وما حولها ولم

يكونوا يمنعون من المدينة كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي على طعام أخذه لأهله، فلم يجلهم رسول الله ﷺ عند نزولها من الحجاز وأمر مؤذنه أن يؤذن بأن لا يحج بعد العام مشرك.

فإن قيل: فما تقولون في دخولهم مساجد الحل؟

قيل: إن دخلوها بغير إذن مُنعوا من ذلك ولم يمكنوا منه؛ لأنهم نجس والجنب والحائض أحسن حالاً منهم وقد منعا من دخول المساجد وإن دخلوها بإذن مسلم ففيه قولان للفقهاء هما روايتان عن أحمد ووجه الجواز أن رسول الله ﷺ أنزل الوفود من الكفار في مسجده فأنزل فيه وفد نجران ووفد ثقيف وغيرهم»[١].

❖ **حكم بناء معابد للكفرة في الجزيرة العرب:**

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «الوثنية المحضة لا تقر بحال لا في مشارق الأرض ولا في مغاربها والمرتدون أغلظ وأغلظ واليهود والنصارى يقرون بالجزية لكن لا في جزيرة العرب «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب». وإقرار النبي ﷺ لليهود في خيبر بالجزية لإصلاح ما يصلحون منسوخ بما أوصى به عند موته». [في كتاب الجهاد من الفتاوى].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا يجوز أن يُبنى في الجزيرة معابد للكفرة لا النصارى ولا غيرهم، وما بُني فيها يجب أن يهدم مع القدرة، وعلى ولي الأمر أن يهدمها ويزيلها ولا يبقي في الجزيرة مبادئ أو معاقل للشرك ولا كنائس ولا معابد بل يجب أن تزال من الجزيرة حتى لا يبقى فيها إلا المساجد والمسلمون»[٢].

وقال الشيخ بكر أبو زيد: «وليس لكافر إحداث كنيسة فيها، ولا بيعة، ولا صومعة، ولا بيت نار، ولا نصب صنم؛ تطهيراً لها عن الدين الباطل، ولعموم

(١) أحكام أهل الذمة ١/ ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠.

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز ٢/ ٥١٤، ٥١٥.

الأحاديث... ولا تدفن جيفة كافر بها، فإن مات على أرض الجزيرة؛ نقل عنها؛ إلا للضرورة؛ كالتعفن، فتغيب جيفته في غير مقبرة للمسلمين»[١].

١٠٣- الجفر وعلاقته بالتنجيم

قال في المصباح: «الجفر من ولد الشاء: ما جفر جنباه أي اتسع.

قال ابن الأنباري في تفسير حديث أم زرع: الجفرة: الأنثى من ولد الضأن والذكر جفر و الجمع جفار وقيل الجفر من ولد المعز ما بلغ أربعة أشهر والأنثى جفرة»[٢].

والجفر تنسبه الرافضة كذباً إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وتقول أنه وجد في بعير مرقوم حروف مفرقة مكتوب فيها ما جرى للأولين والآخرين . انظر: باب (أباجاد).

١٠٤- الجماعة

انظر: باب (أهل السنة والجماعة).

(١) خصائص جزيرة العرب ص٣٦.

(٢) المصباح المنير (ج ف ر).

١٠٥ - الجــن*

قال الجوهري: «الجن خلاف الإنس والواحد جني، يقال سميت بذلك لأنها تُتقى ولا ترى»[١].

وقال ابن الأثير: «ومنه قوله جنّ عليه الليل. أي: ستره، وبه سُمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سُمّي الجنين لاستتاره في بطن أمه»[٢].

وقال ابن منظور: «وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك. والجان: الجن وهو اسم جمع كالجامل والباقر وفي التنزيل العزيز ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾ [الرحمن:٥٦]»[٣].

وقد يطلق الجان ويراد به إبليس[٤] كما ذكر الطبري في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧] . قال: «عنى بالجان ها هنا إبليس أبا الجن»[٥].

أما لفظ **إبليس** فمأخوذ من أبلس أي يئس لأنه أبلس من رحمة الله أي أيس منها والجمع بُلُسٌ، والإبلاس الحيرة .قال الطبري رحمه الله: «هو الإياس من الخير والندم

---

* لوامع الأنوار للسفاريني ٢ / ٢٢٠. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٣٤٥. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٣٣. القول المفيد ط١- ٢/ ٤٩، ٦١، مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٢٨٣. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٢٧١، ١٢٧٨. كتاب الجن في القرآن والسنة إعداد ولي زار. فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان لمشهور حسن سلمان.

(١) الصحاح للجوهري (ج ن ن).

(٢) النهاية (ج ن ن).

(٣) لسان العرب لابن منظور (ج ن ن). وانظر لوامع الأنوار ٢/ ٢٢١ ففيه بحث مفيد عن الجن.

(٤) لسان العرب (ج ن ن).

(٥) جامع البيان من تأويل آي القرآن ٨/ ٣٠ عند تفسير الآية ٢٧ من سورة الحجر.

والحزن»[١].

وقد رجح الطبري وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله أن إبليس هو أبو الجن[٢] ثم أولاد إبليس هؤلاء منهم المؤمن ومنهم الكافر، قال ابن حجر: «فمن كان كافراً سمي شيطاناً وإلا قيل له جني»[٣].

والشيطان في اللغة كل عات متمرد طاغ من الجن والإنس والدواب[٤]، ودليل إطلاقه على الإنس قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام:١١٢].

ومن الجن من يعمّر ومنهم من يموت، ومنهم أمة يأكلون ويشربون، وفيهم ذكور وإناث ويتناسلون ويتكاثرون، ولهم آجال كآجال بني آدم، ومآل الجميع للموت كما قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦ـ٢٧]، لكن إبليس أبو الجن قد أمهله الله إلى يوم البعث ثم يكون الموت له كما قال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحجر:٣٦-٣٨].

فوائد وأحكام:

١ - هل إبليس من الملائكة؟

أصل إبليس مخلوق من مارج من نار بخلاف الملائكة الذين خلقوا من نور وإبليس لم يكن من الملائكة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف:٥٠].

(١) جامع البيان للطبري ١/ ٢٢٧ عند تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٣٥، ٣٤٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٧٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٥/ ٧.

قال الحسن البصري: «ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين»[1]، وإنما استثنى إبليس من الملائكة لأنه كان مأموراً بالسجود معهم وكان لشدة عبادته وبعده عن المخالفة قبل أن يعصي الله شبيهاً بالملائكة فأخذ حكمهم.

قال ابن كثير: «وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبَّد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة»[2].

فجاء الأمر على تغليب الأكثر وهم الملائكة.

وقال بعض أهل العلم أن إبليس من الملائكة وجمهور أهل العلم على أنه من الجن وهو القول الصحيح[3].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «أنه كان منهم ـ أي من الملائكة ـ باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله»[4].

والذي يرتبط ببحثنا هنا أمور كثيرة تتعلق بالجن: من ذلك استخدام الكهنة والعرافين والسحرة للجن، ومن ذلك معرفة عجزهم عن معرفة الغيب وعجزهم عن الإتيان بالمعجزات كما أنهم لا يسّمعون إلى الملأ الأعلى[5] بعد ما حرست السماء قال تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩]، وكذلك الإيمان بأن لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء:٦٥].

---

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ١/ ٢٢٦ عند تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة، البداية والنهاية لابن كثير ١/ ٨٠، وتفسير ابن كثير ٣/ ٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير آية ٥٠ من سورة الكهف.

(٣) انظر فتوى اللجنة في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٤٠ ص٩٩.

(٤) الفتاوى ٤/ ٣٤٦ انظر للاستزادة حول هذا الموضوع كتاب الجن في القرآن والسنة إعداد ولي زار بن شاه الدين. دار البشائر الإسلامية.

(٥) انظر باب (الكهانة) حراسة السماء بعد البعثة.

٢- حكم استخدام الجن:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: «فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانته به واستغاثته وخضوعه»(١).

فالغالب فيمن يستخدم الجن أن يدفع ثمن ذلك الاستخدام ويكون ذلك بطرق شركية كالذبح لهم أودعائهم أو الاستغاثة بهم وغير ذلك وكلما كثر من المستخدم ذلك كلما ازداد الجن في خدمته.

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل، إما حروف الفاتحة، وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد:١]، وإما غيرهما، إما دم وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك.

فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين؛ أعانتهم على بعض أغراضهم؛ إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس؛ كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين، ومن لم يذكر اسم الله عليه، وتأتي به، وإما غير ذلك»(٢).

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية حكم استخدامهم فيقول: «فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس

---

(١) شرح الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ص ٤٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ٣٥.

بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالىٰ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه.

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالىٰ فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهىٰ الله عنه ورسوله إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه. وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم علىٰ الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم علىٰ الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم علىٰ المعاصي فهو عاص: إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات: مثل أن يستعين بهم علىٰ الحج أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلىٰ عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلىٰ مدينة، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به»[(١)].

وفي فتاوىٰ العقيدة للشيخ ابن عثيمين تلخيص لكلام ابن تيمية هذا نصه: «وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم، فإن كان علىٰ وجه التصديق لهم في كل ما يخبرونه به والتعظيم للمسؤول فحرام، وإن كان ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز صدقه من كذبه فهذا جائز، وذكر أدلة ذلك ثم قال: وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن كما يسمع المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٣٠٧، ٣٠٨. وكتاب النبوات ص ٢٦٠، وانظر: للاستزادة كتاب المنتقىٰ من فرائد الفوائد ص ٢٣١، ٢٣٢ لابن عثيمين وهو ضمن مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٧/ ٢٥٢.

عندهم فيعتبروا به وكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة، ثم ذكر أنه روىٰ عن أبي موسىٰ الأشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة.

وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص إلىٰ المدينة فأخبر أنهم انتصروا علىٰ عدوهم، وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن وسيأتي بريد الإنس بعد ذلك فجاء بعد ذلك بعدة أيام»[١].

قال الشيخ سليمان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كتابه التيسير: «فأما المعزم الذي يعزم علىٰ المصروع، ويزعم أنه يجمع الجن وأنها تطيعه، والذي يحل السحر، فقال في الكافي ذكرهما أصحابنا في السحرة الذين ذكرنا حكمهم. وقد توقف أحمد لما سئل عن الرجل يحل السحر، فقال: قد رخص فيه بعض الناس. قيل إنه يجعل في الطنجير ماء ويغيب فيه، فنفض يده وقال: ما أدري ما هذا؟ قيل له: فترىٰ أن يؤتىٰ مثل هذا يحل؟ قال: ما أدري هذا؟ قال: وهذا يدل علىٰ أنه لا يكفر صاحبه ولا يقتل.

قلت ـ القائل الشيخ سليمان ـ: إن كان ذلك لا يحصل إلا بالشرك بالله والتقرب إلىٰ الجن، فإنه يكفر ويقتل، ونص أحمد لا يدل علىٰ أنه لا يكفر، فإنه قد يقول مثل هذا في الحرام البيِّن»[٢].

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: «وبعض أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «إن الجن قد تخدم الإنسي» وهذا المقام فيه نظر وتفصيل؛ ذلك أنه رحمه الله ذكر في آخر كتاب «النبوات»: أن أولياء الله لا يستخدمون الجن إلا بما فعله معهم رسول الله ﷺ بأن أمرَهم ونهاهم، أي: بالأوامر، والنواهي الشرعية، أما

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٢٥٢ وكلام ابن تيمية في المجموع ١٩/ ٦٢. وانظر للاستزادة لقاء الباب المفتوح٥٣/ ٧٩

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤١٨.

طلب خدمتهم وطلب إعانتهم فإنه ليس من سجايا أولياء الله، ولا من أفعالهم، قال: مع أنه قد تنفع الجن الإنسَ، وقد تقدم له بعض الخدمة ونحو ذلك، وهذا صحيح من حيث الواقع.

فالحاصل أن المقام فيه تفصيل: فإذا كان الاستخدام بطلب الخدمة من الجني المسلم، فهذا وسيلة إلىٰ الشرك، ولا يجوز أن يعالج عند أحد يُعرف منه أنه يستخدم الجن المسلمين، وإذا كانت الجن تخدم بعض الناس بدون طلبه، فإن هذا قد يحصل، لكن لم يكن هذا من خلق أولياء الله، ولا مما سخره الله جل وعلا لخاصة عباده، فلا يسلم مَنْ هذا حالُه من نوع خلل جعلتْ الجن تُكثر من خدمته وإخباره بالأمور، ونحو ذلك.

فالحاصل: أن هذه الخدمة إذا كانت بطلب منه، فإنها لا تجوز، وهي نوع من أنواع المحرمات؛ لأنها نوع استمتاع، وإذا كانت بغير طلب منه فينبغي له أن يستعيذ بالله من الشياطين ويستعيذ بالله من شر مردة الجن؛ لأنه قد يؤدِّي قبول خبرهم، واعتمادُه إلىٰ حصول الأُنس بهم، وقد يقوده ذلك الاستخدام إلىٰ التوسل بهم والتوجّه إليهم ـ والعياذ بالله ـ.

فإذا تبين ذلك: فإن خبر الجن عند أهل العلم ضعيف، لا يجوز الاحتجاج به عند أهل الحديث، وذكر ذلك أيضاً الفقهاء، وهذا صحيح؛ لأن البناء علىٰ الخبر وقبوله: هو فرعٌ عن تعديل المخبر، والجني غائب، وعدالته غير معروفة، وغير معلومة عند السامع، فإذا بنىٰ الخبر عمن جاءه به من الجن وهو لم يرهم، ولم يتحقق عدالتهم إلا بما سمع من خطابهم ـ وهي لا تكفي ـ فإنه يكون قد قبل خبر من يحتمل أنه فاسق؛ ولهذا قال الله ـ جل وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾

[الحجرات:٦]، والذين يقبلون إخبار الجن، وإعلام الجن لهم ببعض الحوادث، تحصل منهم مفاسد متنوعة كثيرة، منها هنا: جزمم بصحة ما أخبرتهم به الجن فربما حصل بسبب ذلك مفاسد عظيمة من الناس الذين أُخبروا بذلك، فيكثير القيل والقال، وقد تفرقت بعض البيوت من جراء خبر قارئ جاهل يزعم أن الذي فعل هذا هو فلان باعتبار الخبر الذي جاءه، ويكون الخبر الذي جاءه من الجني خبراً كذباً، فيكون قد اعتمد علىٰ نبأ هذا الذي لا يعلم عدالته، وبنىٰ عليه وأخبر به، فيحصل من جَرَّائه فرقة واختلاف وتفرق وشتات في البيوت، ونعلم قد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم رحمه الله أن إبليس ينصب عرشه علىٰ ماء، ويبعث سراياه، فيكون أحب جنوده إليه من يقول له: فرّقت بين المرأة وزوجها[1]، وهذا من جملة التفريق الذي يسعىٰ إليه عدو الله، بل الغالب أن يكون من هذه الجهة، فأحب ما يكون إلىٰ عدو الله أن يفرق بين المؤمنين؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أيضاً مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[2].

فهذه المسألة يجب علىٰ طلاب العلم أن يسعوا في إنكارها، وبذل الجهد في إقامة الحجة علىٰ من يستخدم الجن، ويتذرع بأن بعض العلماء أباح ذلك، والواقع أن هذا العمل وسيلة من وسائل الشرك بالله ـ جل وعلا ـ، واقرؤوا أول كتاب «تاريخ نجد» لابن بشر، حيث قال: إن سبب دخول الشرك إلىٰ قرىٰ نجد أنه كان بعض البادية إذا أتىٰ وقت الحصاد، أو أتىٰ وقت خرف النخيل، فإنهم يقطنون بجانب تلك القرىٰ ومعهم بعض الأدوية والأعشاب فإذا كانوا كذلك فربما سألهم بعض جهلة تلك القرىٰ حتىٰ حببوا إليهم بعض تلك الأفعال المحرمة من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٣) (٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٢).

جراء سؤالهم، وحببوا إليهم بعض الشركيات، أو بعض البدع، حتى فشا ذلك بينهم، فبسبب هؤلاء المتطببين الجهلة والقراء المشعوذين انتشر الشرك ـ قديماً ـ في الديار النجدية وما حولها، كما ذكر ابن غنام.

وقد حصل أن بعض مستخدمي الجن كثر عنده الناس، فلما رأى من ذلك صار يعالج علاجاً نافعاً فزاد تسخُّر الجن له، حتى ضعُف تأثيره، فلما ضعف تأثيره ولم يستطع مع الحالات التي تأتيه للقراءة أو للعلاج شيئاً صار تعلقه بالجن أكثر، ولا زال ينحدر ما في قلبه من قوة اليقين، وعدم الاعتماد بقلبه على الجن، حتى اعتمد عليهم شيئاً فشيئاً، ثم حَرَفوه ـ والعياذ بالله ـ عن السنة، وعما يجب أن يكون في القلب من توحيد الله وإعظامه، وعدم استخدام الجن في الأغراض الشركية، فجعلوه يستخدم الجن في أغراض شركية وأغراض لا تجوز بالاتفاق.

فهذا الباب مما يجب وصده، وكذلك يجب إنكار وسائل الشرك والغواية، وحكم من يستخدم الجن ويعلن ذلك، ويطلب خدمتهم لمعرفة الأخبار فهذا جاهل بحقيقة الشرع، وجاهل بوسائل الشرك، وما يصلح المجتمعات وما يفسدها، والله المستعان»[(١)].

٣ - قال ابن كثير: «ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولاً. لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف:١٠٩]»[(٢)].

وقد ذكر ابن عباس أن الجن فيهم نذر والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولاً ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر ليس شيء منها للجن وهم: الرسل، والأنبياء،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٦١٦-٦١٩.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٣.

والمقربون. فليس في الجن صنف من هؤلاء، بل حليتهم الصلاح، وذهب شذاذ من الناس إلىٰ أن فيهم الرسل والأنبياء محتجين علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام:١٣٠]، وبقوله ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء:١٦٥]، وهذا قول شاذ لا يُلتفت إليه ولا يُعرف به سلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ لا يدل علىٰ أن الرسل من كل واحدة من الطائفتين، بل إذا كانت الرسل من الإنس وقد أمرت الجن باتباعهم صح أن يقال للإنس والجن: ألم يأتكم رسل منكم، ونظير هذا أن يقال للعرب والعجم: ألم يجئكم رسل منكم يا معشر العرب والعجم، فهذا لا يقتضي أن يكون من هؤلاء رسل ومن هؤلاء. وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ [نوح:١٦]، وليس في كل سماء قمر، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩] فالإنذار أعم من الرسالة والأعم لا يستلزم الأخص قال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:١٢٢] فهؤلاء نذر وليسوا برسل، قال غير واحد من السلف: الرسل من الإنس، وأما الجن ففيهم النذر قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩]، فهذا يدل علىٰ أنه لم يرسل جنياً ولا امرأة ولا بدوياً، وأما تسميته تعالىٰ الجن رجلاً في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن:٦] فلم يطلق عليهم الرجال، بل هي تسمية مقيدة بقوله ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ فهم رجال من الجن ولا يستلزم ذلك دخولهم في الرجال عند

الإطلاق كما تقول: رجال من حجارة، ورجال من خشب ونحوه»[(١)].

قال ابن مفلح رحمه الله في الفروع: «لم يبعث إليهم ـ أي الجن ـ نبي قبل نبينا محمد ﷺ»[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين معلقاً علىٰ كلام ابن مفلح: «ويشهد له قوله ﷺ: «وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبُعثت إلىٰ الناس عامة»[(٣)].

فأما قوله تعالىٰ عن الجن ﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأحقاف:٣٠]. فظاهره أنهم كانوا يتعبَّدون بشريعة موسىٰ، وكذا هو ظاهر حال الجن المسخرين لسليمان أي أن الظاهر أنهم كانوا يتعبدون بشريعة سليمان، وكان يتعبد بشريعة موسىٰ، هكذا قيل إنه ظاهر حالهم وفيه نظر ولكن يكفينا ظاهر الآية.

والجواب: أن الظاهر أنه لم يكلف بالرسالة إليهم، وإن كانوا قد يتعبدون بها ـ والله أعلم ـ»[(٤)].

٤- أنكر بعض من قصر علمه وقوع المس وصرع الجن مع وجود الأدلة الظاهرة علىٰ دخول الجن في الإنس. قال ابن حجر رحمه الله: «وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الإنسية وإما لإيقاع الأذىٰ به والأول هو الذي يثبته الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يجحده كثير منهم وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجا إلا بمقاومة الأرواح الخيرية

---

(١) طريق الهجرتين ص٣٩٤، ٣٩٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٢٥٨، وكذا قال القرطبي في التفسير، انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢١٧، وانظر طريق الهجرتين لابن القيم ص٤٢١، ٤٢٢.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٢٥٨.

العلوية لتندفع آثار الأرواح الشرية السفلية وتبطل أفعالها»[١].

ومن الأدلة على وجود الصرع والمس قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

قال الإمام القرطبي: «في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس»[٢].

وقال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: «﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: يعني بذلك يتخبطه الشيطان في الدنيا فيصرعه من المس يعني من الجنون»[٣].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيرالآية أي: «لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياما منكراً»[٤].

وقال الألوسي: «إلا قياماً كقيام المتخبط المصروع في الدنيا، والتخبط تَفَعُّل بمعنى فعل، وأصله ضرب متوال على أنحاء مختلفة ...وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي الجنون، يقال مس الرجل فهو ممسوس: إذا جن، وأصله اللمس باليد وسمي به لأن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعدة للفساد فتفسد ويحدث الجنون»[٥].

---

(١) الفتح ١٠/ ١١٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠/ ٢٣٠.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ١٠١.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٣٣٤.

(٥) تفسير الألوسي روح المعاني: الآية ٢٧٥ البقرة.

وفي حديث عثمان بن أبي العاص ﵁، قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلِّي فلما رأيت ذلك، رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «ابن أبي العاص؟» قلت: نعم يا رسول! قال: «ما جاء بك؟» قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي. قال: «ذاك الشيطان، ادنُهْ» فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي. قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: «اخرج عدو الله» ففعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: «الحق بعملك»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[2].

وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع. فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه.

وهذا الذي قاله أمر مشهور، فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجر المصروع، وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول آلات، وينقل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الطب (٣٥٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥).

وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «الصرع صرعان: صرع من الأرواح الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني: هو ما يتكلم فيه الأطباء، في سببه وعلاجه.

أما صرع الأرواح فإن عقلاء الأطباء يعترفون به ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقاومة الأرواح الشريفة الخيرية العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها وقد نص على ذلك أبقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا ما ينفع من الصرع الذي سببه من الأخلاط والمادة. وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع منه، هذا العلاج»(٢).

١٠٦- الحازر

الحزر: التقدير والخرص تقول حزر الشيء فهو حازر. والمراد هنا الخارص الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به. انظر باب (الكهانة).

١٠٧- حب الله

انظر باب (المحبة).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٧٧.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٦٧.

١٠٨- الحب في الله والبغض فيه*

الولاء والبراء – المحبة

أصل من أصول الإيمان بل هو رأس الإيمان، وهو أن تحب في الله وتبغض فيه، تحب أنبياءه ورسله وعباده الصالحين، وتبغض أعداءه وأعداء رسله أجمعين، وكما أن الحب في الله أمر عظيم وجليل فكذلك البغض فيه لا بد أن يقارن الحبَّ في الله. قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «وكيف يدعي رجل محبة الله، وهو يحب أعداءه الذين ظاهروا الشيطان على ربهم، واتخذوه ولياً من دون الله كما قيل:

تحب عدوي ثم تزعم أنني   صديقُك إن الودَّ عنك لعازبُ»[1].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر وهو مع ذلك مُوادٌّ لأعداء الله مُحبٌّ لمن نبذ الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعميٌّ، لا حقيقة له، فإن كل أمر لابد له من برهان تصدقه فمجرد الدعوى لا تفيد شيئاً، ولا يصدق صاحبها»[2].

فالحب في الله والبغض في الله من لوازم كلمة التوحيد كما قال ابن رجب: «فإن تحقق القلب بمعنى «لا إله إلا الله» وصدقه فيه، وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخَ فيه تألُّهُ الله وحده إجلالاً وهيبةً، ومخافةً ومحبةً، ورجاءً وتعظيماً وتوكلاً، ويمتلئ بذلك، وينتفي عنه تألُّه ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك، لم يبقَ فيه محبةٌ

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٧/ ٤٢١، ٢١/ ١٢٤، ١٣٣. أوثق عرى الإيمان للشيخ سليمان ابن عبدالله آل الشيخ. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/ ٢٨١،٢٩٧،٣٠٨. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ١/ ٢٠٥، ٢١٣ وانظر مراجع الولاء والبراء والمحبة.

(١) أوثق عرى الإيمان ص ٢٧.

(٢) تفسير السعدي لسورة المجادلة، الآية ٢٢.

ولا إرادةٌ ولا طلبٌ لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه، فتبيَّن بهذا أنه لا يصح تحقيق معنى قول: لا إله إلا الله، إلا لمن لم يكن في قلبه إصرارٌ على محبة ما يكره الله، ولا على إرادة ما لا يُريده الله، ومتى كان في القلب شيء من ذلك، كان ذلك نقصاً في التوحيد، وهو من نوع الشرك الخفي، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1] [الأنعام:١٥١] قال: لا تحبوا غيري»[2].

قال ابن تيمية: «فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب، وهو موافقته في حبه ما يحب وبغض ما يبغض. والله يحب الإيمان والتقوى ويبغض الفسوق والعصيان»[3].

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:٦٧]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ

---

(١) في الأصل +لا تشركوا بي شيئاً والتصويب منقول من نسخ أخرى محققة لجامع العلوم والحكم: تحقيق أحمد إسبر ص٢٦٠، وتحقيق محمد الأحمد ص٣٣٨.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٥٢٤، ٥٢٥.

(٣) العبودية ص: ٢٨.

إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم:٩].

* **الدليل من السنة**: عن البراء بن عازب قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال: «أي عرى الإيمان أوثق»؟ قالوا: الصلاة، قال: «حسنة، وما هي بها». قالوا: الزكاة، قال: «حسنة، وما هي بها». قالوا: الصيام، قال: «حسن، وما هو به». قالوا: الحج، قال: «حسن، وما هو به». قالوا: الجهاد، قال: «حسن، وما هو به». قال: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله»»[(١)].

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله»[(٢)].

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله؛ فقد استكمل إيمانه»[(٣)].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما من حديث طويل أن من دعائه ﷺ: «اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك»[(٤)].

وروى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال: «يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا، واعلموا أن لله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٨٧٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٩) والإمام أحمد (١٥٧٢٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٢١). والإمام أحمد (١٥٧٢٣).

(٤) سنن الترمذي (٣٤١٩).

ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء علىٰ مجالسهم وقربهم من الله» فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوىٰ بيده إلىٰ نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء علىٰ مجالسهم وقربهم من الله، أنعتهم لنا ـ يعني صفهم لنا ـ فسر وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: «هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نوراً، وثيابهم نوراً، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[١].

وروىٰ الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[٢].

وعن الزبير بن العوام أن رسول الله ﷺ قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة: لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم»[٣].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال: «جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متىٰ الساعة؟ قال: «ما أعددت للساعة»؟ قال: حب الله ورسوله. قال: «إنك مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا، بعد الإسلام فرحا أشد

(١) مسند الإمام أحمد (٢٣٢٩٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٠). والإمام أحمد (١٤٢٠).

من قول النبي ﷺ: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر فأرجو أن أكون معهم. وإن لم أعمل بأعمالهم»(١).

* أقوال السلف:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «لو صمت النهار لا أفطر، وقمت الليل لا أنام، وأنفقت مالي علقاً علقاً في سبيل الله، ثم أموت وليس في قلبي حباً لأهل طاعته وبغضاً لأهل معصيته، ما نفعني ذلك شيئاً»(٢).

وعن مجاهد قال: قال لي ابن عباس: «يا مجاهد، أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تنال ما عند الله بذلك، ولن يجد عبد حلاوة الإيمان، وإن كثر صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس اليوم ـ أو عامتهم ـ في الدنيا، وذلك لا يجزئ عند الله شيئًا، ثم قرأ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:٦٧]. وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]»(٣).

وقال كعب الأحبار: «من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان، ومن أحب لله عز وجل وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٩).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٨/ ٨٧. وانظر كتاب الصلاة للمروزي ١/ ٢٤٠٦.

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٦٥٩.

وسئل المرتعش: بم تُنال المحبة؟ قال: «بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله، وكان من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكراهة والأصل في زوال البغيض المكروه، فلا يوجد البغض إلا لمحبة ولا يزول البغيض إلا لمحبة، فالمحبة أصل كل أمر موجود وأصل دفع كل ما يطلب الوجود ودفع ما يطلب الوجود أمر موجود لكنه مانع من وجود ضده فهو أصل كل موجود من بغيض ومانع ولوازمهما، وهذا القدر الذي ذكرناه من أن المحبة والإرادة أصل كل حركة في العالم فقد بينا في القواعد وغيرها أن هذا يندرج فيه كل حركة وعمل»[(٢)].

وقال رحمه الله: «وإنما عبدُ الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه مايسخط الله، ويحب ماأحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداء الله تعالى، وهذا هو الذي استكمل الإيمان»[(٣)].

وقال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية: «إن محبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض مايبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق لمحبوبه في كل حال.

والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحب الله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣١، جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٤٥.

(٢) جامع الرسائل ٢/ ١٩٥. وانظر قاعدة في المحبة ١/ ٩، وانظر إغاثة اللهفان ٢/ ١١٨، ١٢٨، ١٣٠.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٩٠.

والله لايحب الخائنين، ولايحب المفسدين، ولايحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضا، ونبغضهم موافقة لله سبحانه وتعالى»[١].

قال ابن رجب رحمه الله: «وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويَحْرُمُ موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموماً... وبهذا يكون الدين كله لله، «ومن أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها»[٢].

❖ حب المؤمنين بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر:

قال أبو القاسم الأصبهاني: «والمطيع لله يجب أن يحب لطاعته، وإن كان في خلال ذلك بعض المعاصي، والعاصي لله يجب أن يبغض لمعصيته، وإن كان في خلال ذلك بعض الطاعة، فمن كانت طاعته أكثر ازداد إيمانه ووجبت محبته، ومن كانت معاصيه أكثر انتقص إيمانه ووجب بغضه، حتى يحصل الحب في الله والبغض في الله»[٣].

وقال شارح الطحاوية: «والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر؛ فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض؛

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٤٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٨.

(٣) الحجة في بيان المحجة ٢/ ٥٠٧.

فيكون محبوبا من وجه مبغوضا من وجه، والحكم للغالب»[١].

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١]، قال ابن رجب: «فهذا يدل علىٰ أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوىٰ، والموالاة علىٰ ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي»[٢].

١٠٩- الحجب والحروز

انظر باب (التميمة).

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٢/ ٥٤٧.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٢١٢.

١١٠- حق الله على العباد و حق العباد على الله*

جاء في الحديث المشهور عن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» فقلت: الله ورسوله أعلم قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وحق الله على العباد، هو ما يستحقه عليهم ويجعله متحتماً، وحق العباد على الله معناه أنه متحقق لا محالة، لأنه قد وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده، ووعده حق، إن الله لا يخلف الميعاد»(٢).

وقال شارح الطحاوية: «فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئًا كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم»(٣).

---

* منهاج السنة النبوية ١/ ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦٧، ٤٦٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٩٤، ٨١٤، ٨١٩. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية للإمام ابن القيم شرح محمد خليل هراس ٢/ ٩٧، ٩٨. فتح الباري ١/ ٦٥ ـ ٣/ ٢٢٩. بدائع الفوائد ٢/ ٣٩٠. تيسير العزيز الحميد ص٦٥. فتح المجيد ص٥٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢٠. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٣٣. الدرر السنية ١/ ١٨٦، وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤١ ط٢- ١/ ٥٣. الدرر السنية ١/ ١٨٦. منهج ابن حجر في العقيدة ص٤٧٤.

(١) سبق تخريجه.

(٢) تيسر العزيز الحميد ص ٦٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٢٦١.

وهذا حق أحقه الله على نفسه باتفاق أهل العلم واختلفوا هل أوجبه على نفسه أم لم يوجبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعد الله الصادق وتنازعوا هل يوجب بنفسه على نفسه؟ على قولين، ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢] وبقوله في الحديث الصحيح: «إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً»... وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه فهذا قول القدرية وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً؛ ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال إنه كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على من استأجره فهو جاهل في ذلك»[1].

وقال ابن القيم في مدارج السالكين: «فمعناه أن لا يرى لنفسه حقاً على الله لأجل عمله، فإن صحبته مع الله بالعبودية والفقر المحض والذل والانكسار فمتى رأى لنفسه عليه حقاً فسدت الصحبة وصارت معلولة وخيف منها المقت، ولا ينافي هذا ما أحقه سبحانه على نفسه من إثابة عابديه وإكرامهم، فإن ذلك حق أحقه على نفسه بمحض كرمه وبره وجوده وإحسانه لا باستحقاق العبيد وأنهم أوجبوه

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧٦، ٧٧٧.

عليه بأعمالهم. فعليك بالفرقان في هذا الموضع الذي هو مفترق الطرق، والناس فيه ثلاث فرق:

فرقة رأت أن العبد أقل وأعجز من أن يوجب على ربه حقاً فقالت: لا يجب على الله شيء البتة، وأنكرت وجوب ما أوجب على نفسه.

وفرقة رأت أنه سبحانه أوجب على نفسه أموراً لعبده فظنت أن العبد أوجبها عليه بأعماله، وأن أعماله كانت سبباً لهذا الإيجاب، والفرقتان غالطتان.

والفرقة الثالثة أهل الهدى والصواب قالت: لا يستوجب العبد على الله بسعيه نجاة ولا فلاحاً ولا يدخل أحداً عمله الجنة أبداً، ولا ينجيه من النار، والله تعالى بفضله وكرمه ومحض جوده وإحسانه أكد إحسانه وجوده وبره بأن أوجب لعبده عليه سبحانه حقا بمقتضى الوعد، فإن وعد الكريم إيجاب ولو بعسى ولعل.

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «عسى من الله واجب ووعد اللئيم خلف ولو اقترن به العهد والحلف».

والمقصود أن عدم رؤية العبد لنفسه حقاً على الله لا ينافي ما أوجبه الله على نفسه وجعله حقاً لعبده قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً، يا معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار»، فالرب سبحانه ما لأحد عليه حق ولا يضيع لديه سعي كما قيل:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع»[1]

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩.

وقال ابن القيم في نونيّته:

«ما للعباد عليه حق واجب ... هو أوجب الأجر العظيم الشان

كلاّ ولا عمل لديه ضائع ... إن كان بالإخلاص والإحسان

إن عُذّبوا فبعدله أو نُعِّموا ... فبفضلِهِ والحمد للمنان»[1]

قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله في شرحه النونية: «وفي هذه الأبيات الثلاثة بيان لمذهب أهل السنة في أنه ليس للعباد حق واجب على الله، وأنه مهما يكن من حق فهو الذي أحقه وأوجبه، ولذلك لا يضيع عنده عمل قام على الإخلاص والمتابعة؛ فإنهما الشرطان الأساسيان لقبول الأعمال فإذا توفرا في عمل ما كان مقبولا بمقتضى وعده سبحانه وإيجابه، واستحق صاحبه الأجر المقدر له، فهو إن عذب العباد فبعدله، فإنه لا يجزي على السيئة إلا سيئة مثلها، فلا يظلم أحدا مثقال ذرة، وإن أنعم وأثاب فبفضله، فله الحمد أولاً وآخراً»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كون المطيع يستحق الجزاء، هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك، ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقا زائدا على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة. قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]. ولكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية شرح الدكتور محمد خليل هراس ٢/ ٩.

(٢) شرح القصيدة النونية للهراس ٢/ ٩٨.

الموجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه القدرية والجبرية أتباع «جهم» والقدرية النافية»[١].

وقال رحمه الله: «فمن قال ليس للمخلوق على الخالق حق يسأل به كما روى أن الله تعالى قال لداود: «وأي حق لآبائك عليّ» فهو صحيح إذا أريد بذلك أنه ليس للمخلوق عليه حق بالقياس والاعتبار على خلقه كما يجب للمخلوق على المخلوق وهذا كما يظنه جهال العباد من أن لهم على الله سبحانه حقا بعبادتهم، وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون عنهم مضرة ويبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على ذلك ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه ألم أفعل كذا يمن عليه بما يفعله معه وإن لم يقله بلسانه كان ذلك في نفسه، وتخيل مثل هذا في حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه ولهذا بين سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه وأن الله غني عن الخلق كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦]»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «أخبر سبحانه في كتابه أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا إيجاب منه على نفسه فهو الموجب وهو متعلق الإيجاب الذي أوجبه، فأوجب بنفسه على نفسه، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى بما يوضحه كل الإيضاح ويكشف حقيقته بقوله في الحديث الصحيح: «لما قضى الله الخلق بيده على نفسه في كتاب

---

(١) مستفاد من تيسير العزيز الحميد ص٦٥، ٦٦، وانظر منهاج السنة لابن تيمية ٥/ ٣٠٠-٣٦٠.

(٢) التوسل والوسيلة ص ٢١٤.

فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» ـ وفي لفظ ـ: «سبقت غضبي»[١]. فتأمل كيف أكد هذا الطلب والإيجاب بذكر فعل الكتاب وصفة اليد ومحل الكتابة وأنه كتاب وذكر مستقر الكتاب، وأنه عنده فوق العرش فهذا إيجاب مؤكد بأنواع من التأكيد وهو إيجاب منه على نفسه ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] فهذا حق أحقه على نفسه فهو طلب وإيجاب على نفسه بلفظ الحق ولفظ على، ومنه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لمعاذ: «ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار»[٢].

ومنه قوله ﷺ في غير حديث: من فعل كذا وكذا كان حقاً على الله أن يفعل به كذا وكذا في الوعد والوعيد، فهذا الحق هو الذي أحقه على نفسه.

ومنه الحديث الذي في المسند من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ في قول الماشي إلى الصلاة: «أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك»[٣] فهذا حق للسائلين عليه هو أحقه على نفسه لا أنهم هم أوجبوه ولا أحقوه بل أحق على نفسه أن يجيب من سأله، كما أحق على نفسه في حديث معاذ أن لا يعذب من عبده، فحق السائلين عليه أن يجيبهم، وحق العابدين له أن يثيبهم ـ والحقان هو الذي أحقهما وأوجبهما لا السائلون ولا العابدون»[٤].

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٧٧٨) والإمام أحمد (١١١٧٣).
(٤) بدائع الفوائد ٢/ ١٦١. وانظر للاستزادة شفاء العليل ١/ ١١٤، إغاثة اللهفان ١/ ٨٨.

١١١- الحكم بغير ما أنزل الله *

التحاكم إلى غير ما أنزل الله، طاعة العلماء

التعريف: قال الراغب: «الحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]»[١].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وكل من حكم بين اثنين فهو قاضٍ سواء كان صاحب حرب أو متولي ديوان منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فإن الصحابة كانوا يعدونه من الحكام ...»[٢].

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعليقاً على كلام شيخ الإسلام: «ومراده أن الصبيان إذا تكاتبوا في ألواحهم ليظهر بينهم بإخبارك أي الخطوط أحسن، فقد جعلوك قاضياً لهم وحاكماً بينهم في هذه المسألة، فيجب عليك العدل والإنصاف، فمن خاف وترك العدل فقد دخل في مسمى القاضي المذموم المتوعَد

---

* الإبانة لابن بطة العكبري ٧٣٤. التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٣٧. أحكام القرآن القرطبي ٦/ ١٩٠، ١٩١. المحلى بالآثار لابن حزم ٨/ ٤٢٧. الدرر السنية ١٠/ ٤٢٦، ٥٠٣، ١٥/ ٤٦٨. تحكيم القوانين من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢/ ٢٨٨. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥٤٠. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ٩٧٧ إلى ٥/ ١٠. المجموع الثمين لابن عثيمين ١/ ٣٣، ٣٩. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٤٠. نواقض الإيمان القولية والعملية ٢٩٤. الحكم بغير ما أنزل الله د/ عبد الرحمن المحمود، وانظر المراجع المذكورة في باب (التحاكم إلى غير ما أنزل الله).

(١) المفردات (ح ك م).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٨/ ١٧٠، وانظر ٢٨/ ٢٥٤.

بالنار، كما أن من عدل وأنصف له نصيب من الوعد المترتب على ذلك»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعيهم فقال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]. فسمى الله تعالى المتبوعين أربابا حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عُبّادا حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى»[٢].

ويقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «الحكم بما أنزل الله عام وليس خاصاً بمسائل المنازعات والخصومات في الأحوال فقط كما يظن بعض الناس...»[٣].

والحكم بما أنزل الله واعتقاد أن حكم الرسول ﷺ أحسن من حكم غيره من مقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وترك تحكيم ما أنزل الله على رسوله ﷺ والحكم بحكم الجاهلية مما يناقض شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ

---

(١) هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق ص١٩٦.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٥٨. وانظر: المجموع الثمين ١/ ٣٣.

(٣) شرح نواقض الإسلام ص١٠٢.

ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

* **الدليل من السنة:** أخرج ابن ماجه في سننه أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر المهاجرين: خمس إن ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ وذكر منها ـ: وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[(١)].

وفي رواية: «وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر»[(٢)].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا خرج ولاة الأمر عن هذا[(٣)] فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم، قال ﷺ: «ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم» وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول، كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه»[(٤)].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «الإشراك بالله في حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد، لا فرق بينهما ألبتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله، وتشريعا غير

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٠) قال البوصيري في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به ... وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظر الصحيحة (١٠٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٩٩٢) قال المنذري: وسنده قريب من الحسن، وله شواهد، وقال الألباني في صحيح الترغيب:صحيح لغيره (٧٦٥).

(٣) أي عن الحكم بالكتاب والسنة.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٨٨.

تشريع الله، كالذي يعبد الصنم ويسجد للوثن، ولا فرق بينهما ألبتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، وكلاهما مشرك بالله»[(١)].

❖ **حكم من حكم بغير ما أنزل الله:**

للحكم بغير ما أنزل الله أحوال وصور ينبغي النظر إليها وتدبر كلام العلماء فيها:

أولاً: «أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله. وهو معنى ما رُوي عن ابن عباس واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعا مجمعا عليه، أو أنكر حرفا مما جاء به الرسول ﷺ قطعيا فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة»[(٢)].

ومعنى **الجحود أنه يكذب وينكر أن هذا حكم الله** ﷻ، وهذا كفر بالاتفاق قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

ثانياً: «ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كونَ حكم الله ورسوله حقا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إما مطلقا أو بالنسبة لما استجد من الحوادث، التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، فلا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف نحاتة الأفكار على حكم

---

(١) أضواء البيان الشنقيطي ٧/ ١٦٢.

(٢) تحكيم القوانين ص ١٤. لمعرفة معنى الجحود انظر: باب (كفر الجحود والتكذيب).

الحكيم الحميد»[1].

ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه الحالة ضمن نواقض الإسلام، فقال: «من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر»[2].

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠] يقول محمود الألوسي رحمه الله: «لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع ويقول هو أوفق بالحكمة وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتقصف غضباً إذا قيل له في أمر: أمر الشرع فيه كذا، كما شاهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم...»[3].

ثالثاً: «ألاَّ يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكنه اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرا الكفر الناقل عن الملة لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]»[4].

فإذا سوّى الحاكم حكم غير الله بحكم الله ﷻ فهذا كفر مخرج من الملة كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وأنتم تعلمون [البقرة:٢٢].

رابعاً: «ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله ... لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله

(١) تحكيم القوانين ص ١٤. وانظر فتاوى محمد بن إبراهيم ١٢/ ٢٨٨.
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ٣٨٦.
(٣) روح المعاني ٢٨/ ٢٠، ٢١.
(٤) تحكيم القوانين ص ١٦.

يصدق عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه»[١].

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر.

فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً»[٢].

ويقول ابن القيم: «إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر»[٣].

ويقول ابن أبي العز الحنفي: «إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به[٤] مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر»[٥].

وقال ابن باز رحمه الله: «من حكم بغير ما أنزل وهو يعلم أنه يجب عليه الحكم بما

---

(١) تحكيم القوانين ص١٦. وانظر: تفسير القرطبي ٦/ ١٩١، وتفسير الطبري ٦/ ١٤٦.

(٢) منهاج السنة النبوية: ٥/ ١٣٠.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٣٧. وانظر باب (نواقض الإسلام ـ الناقض التاسع).

(٤) أي استخف بالحكم بما أنزل الله.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٤٦.

أنزل الله وأنه خالف الشرع ولكن استباح هذا الأمر ورأى أنه لا حرج عليه في ذلك وأنه يجوز له أن يحكم بغير شريعة الله فهو كافر كفرا أكبر عند جميع العلماء؛ كالحكم بالقوانين الوضعية التي وضعها الرجال من النصارى أو اليهود أو غيرهم ممن زعم أنه يجوز الحكم بها أو زعم أنها أفضل من حكم الله، أو زعم أنها تساوي حكم الله وأن الإنسان مخير إن شاء حكم بالقرآن والسنة وإن شاء حكم بالقوانين الوضعية. من اعتقد هذا كفر بإجماع العلماء»(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وهكذا من يحكّم القوانين الوضعية بدلا من شرع الله ويرى أن ذلك جائز، ولو قال إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر لكونه استحل ما حرم الله»(٢).

خامساً: التشريع العام والتبديل، والتشريع هو أن يشرع تشريعا عاما يخالف حكم الله. وهو حق خالص لله وحده لا شريك له. من نازعه في شيء منه فهو مشرك قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص ٩٩٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص ٩٩١، وانظر للاستزادة: باب (كفر الاستحلال).

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ١١٣.

حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله»(١).

وقال رحمه الله: «من طلب أن يطاع مع الله، فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه، وأن لا يكون الدين إلا له»(٢).

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠]. قال ابن كثير: «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن مَلِكِهم «جنكيز خان»، الذي وضع لهم «الياسق»، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير...»(٣).

---

(١) الفتاوى ٣/ ٢٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٣، وانظر البداية لابن كثير ١٣/ ١١٩.

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «**الخامس**: وهو أعظمها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا، وتفريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما ومراجع ومستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني وغيرها من القوانين ...فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله، بعد هذه المناقضة»[١].

وقال رحمه الله أيضاً: «وأما الذي قيل فيه كفر دون كفر، إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها، وأما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كفر، وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل»[٢].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «من لم يحكم بما أنزل الله استخفافا به، أو احتقاراً له، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفرًا مخرجا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه»[٣].

---

(١) تحكيم القوانين ص٧.

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم ١٢/ ٢٨٠. وانظر أيضا ٦/ ١٨٩.

(٣) المجموع الثمين ١/ ٣٦.

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في رسالته في الحكم بغير ما أنزل الله: «من وضع للناس أحكاما وهيأ لهم نظما ليعملوا بها ويتحاكموا إليها وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام فهو كافر خارج عن ملة الإسلام»(١).

فالمُشَرِّع كافر بالله لأنه استقل بتشريع يضاهي به حكم الله ومن قنن أحكاما ووضع قوانين فهو مشرِّع وكفره ظاهر فهو يرى حق التشريع لنفسه والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

❖ **سادساً: الحكم العام بغير ما أنزل الله:**

وهو أن يحكم بغير ما أنزل الله حكما عاما وإن لم يجحد أو يستحل أو يعتقد. فهذا فيه خلاف بين أهل العلم فمنهم من يرى أن من يحكم دائما بغير شرع الله ويلزم الناس بذلك أنه عاص وله حكم أمثاله من المؤمنين المدمنين على المعاصي(٢)، فيجعلون كفره كفراً أصغر(٣).

ومن يرى هذا شيخنا العلامة عبدالعزيز بن باز(٤) رحمه الله، ومنهم من يرى أن كفره كفر أكبر مخرج من الملة بدليل قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠].

ووجه الدلالة من الآية: أن الله جعل الذي يحكم بغير شرعه مطلقاً طاغوتاً وقال ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ الآية.

---

(١) الحكم بغير ما أنزل الله ص٦٤.

(٢) ينبغي التفريق بين الحكم والتحاكم وطاعة الحاكم بغير ما أنزل الله، وقد سبق الكلام عن الأخيرين، أما الحاكم بغير ما أنزل الله فهو مجال حديثنا في هذا البحث.

(٣) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ، ص٤٣٠.

(٤) انظر فتاوى ابن باز ٢/ ٣٢٦.

كما استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ووجه الدلالة من الآية: أن دخول (أل) على اسم الفاعل يُفيد الاستغراق فهو كفر أكبر. وممن قال بكفره مطلقاً الشيخ محمد بن إبراهيم[١]. والشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمهم الله[٢]، وغيرهما من أهل العلم[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الحاكم إذا كان ديِّناً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالما لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم كان أولى أن يكون من أهل النار. وهذا أذا حكم في قضية معينة لشخص. وأما إذا حكم حكماً عاماً في دين المسلمين فجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، ونهى عما أمر الله به ورسوله، وأمر بما نهى الله عنه ورسوله، فهذا لونٌ آخر يحكم فيه رب العالمين، وإله المرسلين، مالك يوم الدين، الذي: ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨]، والحمد لله رب العالمين»[٤].

وقال أيضاً رحمه الله: «ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله، وهو يعلم ذلك،

---

(١) تحكيم القوانين ص١٩.

(٢) أضواء البيان ٧/ ١٦٢.

تنبيه: نقولات العلماء تتضح أكثر بالرجوع إليها في مواضعها، وأكتفي هنا بالإشارة.

(٣) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٤٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٨٨.

فهو من جنس التتار الذي يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله»[١].

وقال ابن كثير رحمه الله كما في النقل السابق: «فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فمن خالف ما أمر الله به رسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك اتباعا لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن»[٣].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «**السادس**: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل في البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها «سلومهم» يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحضون على التحاكم إليه عند النزاع بقاءً على أحكام الجاهلية وإعراضاً ورغبةً عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلا بالله»[٤].

أحكام وفوائد:

١ - متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا أصغر؟:

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] أنه قال: «ليس بالكفر الذي يذهبون إليه»[٥]، وفي رواية أنه قال: «كفر لا ينقل عن الملة»[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٤٠٧، وانظر أيضاً ٢٧/ ٥٨، ٥٩، ٢٨/ ٥٢٤.

(٢) انظر: البداية ١٣/ ١١٩، ١٢٨.

(٣) فتح المجيد ٢/ ٦٥٧.

(٤) تحكيم القوانين ص ١٩.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٣، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٥٢١.

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٦/ ٢٥٦، وابن أبي حاتم في التفسير ٤/ ١١٤٢. الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٣، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٥٢٢.

وقال عطاء: «كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»[١].

وقال طاووس: «ليس بكفر ينقل عن الملة»[٢].

وجاء عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى: ﴿ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ قال: العاصون[٣].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير المذنبين واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها مثل قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾»[٤].

وقال: «أجمع العلماء على أن الجور في الحكم من الكبائر لمن تعمد ذلك عالماً به رويت في ذلك آثار شديدة عن السلف...»[٥].

وقال القرطبي رحمه الله: «إن حكم به ـ أي بغير ما أنزل الله ـ هوىً ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين»[٦].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: «وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة»[٧].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/ ٢٥٦، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٥٢٢. وابن أبي حاتم ٤/ ١١٤٦.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/ ٢٥٦، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة. ٢/ ٥٢٢. وابن أبي حاتم ٤/ ١١٤٦.

(٣) ابن أبي حاتم ٤/ ١١٤٨.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ١٧/ ١٦.

(٥) التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٧٤، ٧٥.

(٦) تفسير القرطبي ٦/ ١٩١.

(٧) منهاج السنة ٥/ ١٣١.

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر»[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «فانظر كيف سجل الله تعالىٰ علىٰ الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر، والظلم، والفسوق، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ولا يكون كافراً، بل هو كافر مطلقاً إما كفر عمل، وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدل أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة»[٢].

ثم قال في موضع آخر مبينا ذلك رحمه الله: «وأما القسم الثاني: من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يُخرِجُ من الملة، فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنه لقول الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قد شمل ذلك القسم وذلك في قوله رضي الله عنه: «كفر دون كفر»، وقوله أيضاً: «ليس الكفر الذي تذهبون إليه» اهـ. وذلك أن تحمله شهوته وهواه علىٰ الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه علىٰ نفسه بالخطأ ومجانبة الهدىٰ، وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة فإنه معصية عظمىٰ أكبر من الكبائر، كالزنا وشرب الخمر، والسرقة، واليمين الغموس، وغيرها فإن معصية سماها الله في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها كفرًا»[٣].

ويقول الشنقيطي رحمه الله: «من لم يحكم بما أنزل الله معتقداً أنه مرتكبٌ حراماً فاعلٌ قبيحاً، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»[٤].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣٦، وانظر شرح الطحاوية ٢/ ٤٤٦.

(٢) تحكيم القوانين ص١٣.

(٣) تحكيم القوانين ص٢٠. انظر فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢/ ٢٩١.

(٤) أضواء البيان ٢/ ١٠٤، وانظر الأضواء ٢/ ١٠٩.

وقال ابن باز: «أما من حكم بغير ما أنزل الله لهوىً، أو لحظ عاجل وهو يعلم أنه عاصٍ لله ولرسوله وأنه فعل منكراً عظيماً، وأن الواجب عليه الحكم بشرع الله فإنه لا يكفر بذلك الكفر الأكبر، لكنه قد أتى منكراً عظيماً ومعصية كبيرة وكفراً أصغر كما قال ذلك ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أهل العلم، وقد ارتكب بذلك كفراً دون كفر، وظلماً دون ظلم وفسقاً دون فسق، وليس هو الكفر الأكبر وهذا قول أهل السنة والجماعة»[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وصف الله الحاكمين بغير ما أنزل الله بثلاثة أوصاف: قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧]، واختلف أهل العلم في ذلك: فقيل: إن هذه الأوصاف لموصوف واحد، لأن الكافر ظالم لقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤]. وفاسق لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة:٢٠] أي كفروا.

وقيل إنها لموصوفين متعددين، وإنها على حسب الحكم، وهذا هو الراجح: فيكون كافراً في ثلاثة أحوال:

أ ـ إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، فكل ما خالف حكم الله فهو من حكم الجاهلية، بدليل الإجماع القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، فالمُحل والمُبيح للحكم بغير ما أنزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي، وهذا كافر مرتد، وذلك كمن

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص ٩٩٢.

اعتقد حل الزنا أو الخمر أو تحريم الخبز أو اللبن.

ب ـ إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله.

ج ـ إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله.

بدليل قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٥٠] فتضمنت الآية أن حكم الله أحسن الأحكام بدليل قوله تعالى مقررا ذلك: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين:٨]، فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكاماً وهو أحكم الحاكمين فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر، لأنه مكذب للقرآن.

ويكون ظالماً إذا اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أحسن الأحكام وأنه أنفع للعباد والبلاد وأنه الواجب تطبيقه، ولكن حمله البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله فهو ظالم.

ويكون فاسقاً: إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه مع اعتقادة أن حكم الله هو الحق، لكن حكم بغيره لهوى في نفسه، أي محبة لما حكم به لا كراهية لحم الله ولا ليضر أحداً به، مثل: أن يحكم لشخص لرشوة رُشِيَ إياها، أو لكونها قريباً أو صديقاً، أو يطلب من ورائه حاجة، وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الأمثل والواجب اتباعه، فهذا فاسق، وإن كان أيضاً ظالماً، لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم.

أما بالنسبة لمن وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله، وبمخالفة هذه القوانين لحكم الله، فهذا قد بدل الشريعة بهذه القوانين فهو كافر لأنه لم يرغب بهذا القانون عن شريعة الله إلا وهو يعتقد أنه خير للعباد والبلاد ومن شريعة الله»[١].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧٤٠-٧٤٢.وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٢٦٨. وانظر شرح ثلاثة الأصول من المجموع ٦/ ١٦١.

٢- هناك من يضعِّف الرواية الواردة عن ابن عباس ﷺ، ولكن الصحيح أن الروايات الواردة صحيحة، وفي ذلك يقول الشيخ المحمود: «وخلاصة النقد الموجه إلى هذه الروايات ـ مع بيان ما نرجحه ـ ما يلي:

١ـ رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق» يقال فيها: عبد الله بن صالح ـ الذي في الإسناد ـ كاتب الليث ـ وثقه بعضهم وضعفه بعضهم بجرح مفسر، وقد قال فيه ابن حجر: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة.

٢ ـ رواية سفيان عن رجل عن طاوس عن ابن عباس قال: «كفر لا ينقل عن الملة» فيها رجل مبهم فهي ضعيفة، وقد روى هذا اللفظ عن طاوس، رواه عنه سعيد المكي، وهو الأقرب والأصح إسناداً.

٣ ـ ورواية: «ليس بالكفر الذي يذهبون إليه» وفي لفظ: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] كفر دون كفر»، فيقال: هاتان الروايتان هما من طريق هشام بن حجير عن ابن عباس. وهشام بن حجير مختلف فيه توثيقاً وتضعيفاً، وممن وثقه العجلي وابن حبان في الثقات، وابن شاهين، وممن ضعفه الإمام أحمد حيث قال فيه: «ليس بالقوي»، قلت: [القائل عبد الله بن أحمد]: هو ضعيف؟ قال ليس بذاك. قال: وسألت يحيى بن معين عنه فضعفه جداً. وضعفه يحيى القطان. فالمضعفون له أعلى رتبة، فالذي يغلب فيه الجرح، ولذا قال ابن حجر عنه: «صدوق له أوهام» وأورده في الهدي فيمن طعن من رجال البخاري وقال: «وثقه العجلي وابن سعد وضعفه يحيى القطان ويحيى بن معين»، وقال أحمد: «ليس بالقوي»، وذكره في الضعفاء أبو جعفر العقيلي وحكى عن سفيان بن

عيينة قال: «لم نأخذ عنه إلا ما لم نجد عند غيره، وقال أبو حاتم يكتب حديثه»[1].

وهشام بن حجير وإن كان من رجال البخاري ومسلم إلا أنهما لم يرويا له إلا متابعة، كما ذكر ابن حجر فيما يتعلق بروايته عند البخاري.

٤ ـ ورواية سفيان عن معمر بن راشد عن ابن طاوس عن أبيه سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: هي به كفر، قال ابن طاوس: «وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله» والرواية الأخرىٰ أيضاً عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، قال: هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله.

قيل في نقدهما: إن الرواية الثابتة عن ابن عباس هي قوله: هي به كفر.

أما قوله: وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله، فيحتمل أنه من كلام ابن طاوس، كما فسرته الرواية الأولىٰ.

هذه خلاصة ما أورد من ردود علىٰ هذه الروايات، ولكن الذي نرجحه صحة وثبوت هذه الرواية عن ابن عباس: وترجيحنا لأمور ثلاثة:

أحدها: صحة الرواية الواردة بالإسناد عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه، وهذه لا مطعن فيها لأحد.

الثاني: أن هذه الرواية الصحيحة مؤيدة ومقواة بالرواية الأخرىٰ ـ فعلىٰ الأقل هي صحيحة بمجموع طرقها ـ.

الثالث: إطباق العلماء علىٰ الاحتجاج برواية ابن عباس والاستشهاد بها في تفسير الآية»[2].

---

(١) هدي الساري، ص٤٤٧، ٤٤٨، ط سلفية أولىٰ. وانظر تهذيب الكمال ٦٥٧١.

(٢) الحكم بغير ماأنزل الله أحواله وأحكامه ص١٣١.

٣ - حكم دراسة القوانين الوضعية وتدريسها:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «الدارسون للقوانين والقائمون بتدريسها أقسام:

القسم الأول: من درسها أو تولى تدريسها ليعرف حقيقتها، أو ليعرف فضل أحكام الشريعة عليها، أو ليستفيد منها ـ فيما لا يخالف الشرع المطهر ـ أو ليفيد غيره في ذلك، فهذا لا حرج عليه ـ فيما يظهر لي من الشرع ـ بل قد يكون مأجوراً ومشكوراً إذا أراد بيان عيوبها وإظهار فضل أحكام الشريعة عليها.

والصلاة خلف هذا القسم لا شك في صحتها.

وأصحاب هذا القسم حكمهم حكم من درس أحكام الربا، وأنواع الخمر، وأنواع القمار، ونحوها كالعقائد الفاسدة، أو تولى تدريسها ليعرفها ويعرف حكم الله فيها، ويفيد غيره مع إيمانه بتحريم الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة لشرع الله عز وجل.

وليس حكمه حكم من تعلم السحر أو علمه غيره؛ لأن السحر محرم لذاته لما فيه من الشرك وعبادة الجن من دون الله، فالذي يتعلمه أو يعلمه غيره لا يتوصل إليه إلا بذلك ـ أي بالشرك ـ، بخلاف من يتعلم القوانين ويعلمها غيره لا للحكم بها ولا باعتقاد حلها ولكن لغرض مباح أو شرعي كما تقدم.

القسم الثاني: من يدرس القوانين أو يتولى تدريسها ليحكم بها، أو ليعين غيره على ذلك مع إيمانه بتحريم الحكم بغير ما أنزل الله، ولكن حمله الهوى أو حب المال على ذلك، فأصحاب هذا القسم لا شك فساق، وفيهم كفر وظلم وفسق، ولكنه كفر أصغر، وظلم أصغر، وفسق أصغر، لا يخرجون به من دائرة الإسلام.

وهذا القول هو المعروف بين أهل العلم، وهو قول ابن عباس، وطاووس، وعطاء، ومجاهد، وجمع من السلف والخلف، كما ذكر الحافظ ابن كثير والبغوي

والقرطبي[(١)] وغيرهم، وذكر معناه العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتاب الصلاة [(٢)]، وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله رسالة جيدة في هذه المسألة مطبوعة في المجلد الثالث من مجموعة الرسائل الأولى.

ولا شك أن أصحاب هذا القسم على خطر عظيم ويخشى عليهم من الوقوع في الردة.

أما صحة الصلاة خلفهم وأمثالهم من الفساق ففيها خلاف مشهور، والأظهر من الأدلة الشرعية صحتها خلف جميع الفساق الذين لم يصل فسقهم إلى حد الكفر الأكبر، وهو قول جم غفير من أهل العلم واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

القسم الثالث: من يدرس القوانين أو يتولى تدريسها مستحلا للحكم بها سواء اعتقد أن الشريعة أفضل أم لم يعتقد ذلك، فهذا القسم كافر بإجماع المسلمين كفرا أكبر؛ لأنه باستحلاله الحكم بالقوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله يكون مستحلاً لما علم من الدين بالضرورة أنه محرم، فيكون في حكم من استحل الزنى والخمر ونحوهما، ولأنه بهذا الاستحلال يكون قد كذب الله ورسوله وعاند الكتاب والسنة .

وقد أجمع علماء الإسلام على كفر من استحل ما حرم الله، أو حرم ما أحله الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ومن تأمل كلام العلماء في جميع المذاهب الأربعة في باب حكم المرتد اتضح له ما ذكرنا»[(٣)] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١١١، ومعالم التنزيل للبغوي ٣/ ٦١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ١٨٨.

(٢) كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٧.

(٣) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٣/ ٩٨٤، ٩٨٩ باختصار.

٤- تَنْبِيهٌ مهم:

يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بالله، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك.

قال الإمام محمد الشنقيطي رحمه الله: «وإيضاح ذلك أن النظام قسمان: إداري وشرعي: أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانع منه، ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم، وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي ﷺ، ككتْبِه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط، ومعرفة من غاب ومن حضر، كما قدمنا إيضاح المقصود منه في سورة بني إسرائيل في الكلام على العاقلة التي تحمل دية الخطأ، مع أن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ولم يعلم بتخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك إلا بعد أن وصل تبوك ﷺ، وكاشترائه - أعني عمر رضي الله عنه - دار صفوان بن أمية، وجعله إياها سجنا في مكة المكرمة، مع أنه ﷺ لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر رضي الله عنه.

فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به، كتنظيم شؤون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة.

قلت: إذا كان الأمر مسكوتاً عنه ولم يتعرض له الشرع المطهّر بحل أو حرمة فيجوز لولي الأمر أن يرتب لذلك أحكاماً يلزم الناس بالسير عليها ابتغاء المصلحة العامة وأوضح مثال لذلك تنظيم مرور السيارات.

وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض، فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكل دعوى أن تعداد الزوجات ظلم،

وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك.

فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السموات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها، وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالىٰ أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً»[1].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «إذا كان القانون يوافق الشرع فلا بأس به مثل أن يُسَنَّ قانوناً للطرق ينفع المسلمين، وغير ذلك من الأشياء التي تنفع المسلمين وليس فيها مخالفة لشرع الله، ولكن لتسهيل أمور المسلمين، أما القوانين التي تخالف الشرع فلا يجوز سنّها»[2].

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٨٤، ٨٥. تفسير آية +ولا يشرك في حكمه أحداً[الكهف:٦٢].

(٢) فتاوىٰ ابن باز ٧/ ١١٩.

١١٢- الحلف*

في اللغة: قال ابن الأثير: «الحلف: هو اليمين، حلف يحْلِف حَلْفاً، وأصلها العقد والعزم والنية»(١).

وفي الشرع: «تأكيد الشيء بذكر معظّم بصيغة مخصوصة بالواو أو الباء أو التاء»(٢).

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٤/ ٣٢١، ٣٢٢، ٣٦٧، ٣٧٢، ١٦/ ١٥٨. الاستذكار لابن عبد البر ١٥/ ٩٣. شرح السنة للبغوي ١٠/ ٣- ١٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٦٢، ٢٦٩- ٥٨٥، ٥٩٤، ٦١٧، ٧٩٢، ٧٩٦. أحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٣ - ٤، ٦/ ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٧٥، ١٠/ ٤٠، ٤١، ٤٢. نيل الأوطار ١٠/ ١٦٠. المحلى بالآثار لابن حزم ٦/ ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤. تيسير العزيز الحميد ص٥٩٦، ٦٠٣، ٧٢٣. فتح المجيد ص٤٩٠، ٤٩٥، ٥٨٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٠٢، ٣٠٥، ٣٨٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢١٣، ١٠/ ١٠٤٢،٧٩٦. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٣٢٣،٣/ ٢١٩ ط٢- ٢/ ٣٩٠، ٣/ ٤٠٣، ٣/ ٢٧٢. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٢، ٥١. الدرر السنية ١/ ٢٣٢، ٧/ ٥١١، ١٠/ ١٤٨، ١١/ ٣٣، ٣٧، ١٢/ ٢٤٨، ٢٥٢، فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٢٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٠٢. معارج القبول ١/ ٣٧٠. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٨٠، ٢/ ٥٥٤. نور على الدرب ٦٠/ ٢٥٧. الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة للسعدي ص٦٨. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٩١. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٣٥. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٦٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٩٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ١٥٣. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص١٩٥. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٧١. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٦٥. فقه الأيمان عصام جاد. المرويات الواردة في الحلف بالله أو بغيره د. باسم الجوابرة.

(١) النهاية لابن الأثير (ح ل ف).

(٢) الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد العثيمين ص٤٢. وانظر أيضا تعريف الحافظ في الفتح ١١/ ٥١٦.

قال الشيخ قاسم الوَنَوِيُّ: «الحلف شرعاً: تقوية أحد طرفي الخبر بذكر اسم الله تعالىٰ»[١].

قال العلماء: «والحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده»[٢].

والسبب في منع الحلف بغير الله أنه يقتضي تعظيم غير الله والثناء عليه واتخاذه نداً من دون الله وفيه أنه مخالف لما أمر به الرسول ﷺ حيث قال: «احلفوا بالله وبروا واصدقوا، فإن الله يكره أن يُحلف إلا به»[٣].

* الدليل من الكتاب: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾، وقال ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾.

* الدليل من السنة: عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر ﷺ سمع رجلاً يقول: لا، والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٤].

وجاء في المسند أن ابن عمر كان في حلقة فسمع رجلاً في حلقة أخرىٰ وهو يقول: لا وأبي، فرماه ابن عمر بالحصىٰ وقال: إنها كانت يمين عمر، فنهاه النبي ﷺ وقال: «إنها شرك»[٥].

---

(١) انظر: أنيس الفقهاء ١٧١.

(٢) فتح الباري ١١/ ٥٣١.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٦٧.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمـذي (١٥٣٥) وحسنه واللفظ له. والإمام أحمد (٤٩٠٤) (٦٠٧٢)، والحاكم في المستدرك وصححه ٤/ ٢٩٧، وصححه الألباني في الإرواء ٨/ ١٨٩.

(٥) المسند (٥٢٢٢).

وفي رواية للحاكم: «كل يمين يحلف بها دون الله شرك»[١].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٢].

وعن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً: «من حلف بالأمانة فليس منا»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله»[٤].

*** أقوال بعض السلف:**

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً»[٥].

قال كعب: «إنكم تشركون في قول الرجل: كلا وأبيك، كلا والكعبة، كلا وحياتك، وأشباه هذا، احلف بالله صادقاً أو كاذباً، ولا تحلف بغيره»[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٤٦).

(٥) قال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٩): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في الإرواء ٨/ ١٩١، وقال الشيخ سليمان رحمه الله: «وإنما رجح ابن مسعود رضي الله عنه الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. ذكره شيخ الإسلام. وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. وفيه شاهد للقاعدة المشهورة وهي: ارتكاب أقل الشرين ضرراً إذا كان لا بد من أحدهما». تيسير العزيز الحميد ص٦٠٠، ٦٠١.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (٣٥٦)، وقال محققه أبو إسحاق الحويني: رجاله ثقات، وعزاه الزبيدي في الإتحاف (٧/ ٥٧٨) للمصنف ابن أبي الدنيا. انظر كتاب الصمت ص١٩٧، ١٩٦.

أحكام وفوائد:

١ - حكم الحلف بغير الله:

الحلف بالمخلوقات حرام عند جمهور العلماء.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وممن حكى الإجماع في تحريم الحلف بغير الله الإمام أبو عمر بن عبد البر النمري رحمه الله. وقد أطلق بعض أهل العلم الكراهة، فيجب أن تحمل على كراهة التحريم عملا بالنصوص وإحسانا للظن بأهل العلم»[1]. وقد تقدم قول الرسول ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «أخذ به طائفة من العلماء فقالوا: يكفر من حلف بغير الله كفر شرك، قالوا: ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه بقول: لا إله إلا الله. فلولا أنه كفر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك. وقال الجمهور: لا يكفر كفرا ينقله عن الملة، ولكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره، وأما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول: لا إله إلا الله، فلأن هذا كفارة له مع استغفاره كما قال في الحديث الصحيح: «ومن حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله» وفي رواية: «فليستغفر» فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره لكن الذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً. فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذبا فهذا شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله. وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٧٢٥.

بالله كما قال تعالىٰ: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل:٣٨]. فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو أكبر شركاً منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة»[١].

وقال ابن باز رحمه الله: «والحلف بغير الله من الشرك الأصغر، وقد يُفضي إلىٰ الشرك الأكبر إذا اعتقد تعظيمه مثل تعظيم الله، أو أنه ينفع ويضر دون الله، أو أنه يصلح لأن يُدعىٰ أو يستغاث به»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والحلف بغير الله شرك أكبر إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالىٰ في التعظيم والعظمة، وإلا فهو شرك أصغر»[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور، وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وقد حُكِيَ إجماع الصحابة علىٰ ذلك»[٤].

ويدل علىٰ حرمته قول عبد الله بن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغير الله صادقاً»[٥]؛ لأن الشرك أعظم من الكذب.

قال ابن قدامة المقدسي من الحنابلة: «ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق كالكعبة والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، وقال أصحابنا الحلف بالرسول ﷺ يمين موجبة الكفارة، وروي ذلك عن أحمد»[٦]، ثم

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٩، ٦٠٠.
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص ٥٦١.
(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٧٩٧.
(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١/ ٢٠٤.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) انظر: المغني لابن قدامة ١١/ ٢٠٩.

رجح ابن قدامة المنع لأنه ليس بمنصوص ولا يصح قياس اسم غير الله على اسمه.

وقال ابن تيمية: «والصواب ما عليه الجمهور من أنه لا تنعقد اليمين بمخلوق لا النبي ﷺ ولا غيره»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قال بعض المتأخرين: تجب الكفارة بالحلف برسول الله ﷺ خاصة، وهذا قول باطل ما أنزل الله به من سلطان، فلا يلتفت إليه وجوابه المنع»[(٢)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وقد روي خلاف شاذ في جوازه بالنبي ﷺ، وهو قول لا وجه له بل هو باطل وخلاف لما سبقه من إجماع أهل العلم، وخلاف للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك»[(٣)].

وقال القدوري من الحنفية: «ومن حلف بغير الله لم يكن حالفا كالنبي والقرآن والكعبة»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والصواب الذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم، أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي، ولا ملَك من الملائكة، ولا ملِك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ، والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم كمذهب أبي حنيفة وغيره وهو أحد القولين في مذهب أحمد»[(٥)].

---

(١) الاستغاثة ص٣٦٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ٧٤٢.

(٤) انظر: اللباب في شرح الكتاب عبد الغني الحنفي تحقيق محمود أمين النواوي ٤/ ٥.

(٥) الفتاوى لابن تيمية ٢٧/ ٣٤٩.

ومما سبق تعلم حرمة الحلف بغير الله وأنه شرك بالله ﷻ كالحلف بالرسول ﷺ أو الحلف بالشرف أو الأب أو الجد أو المشايخ أو الكعبة أو الصداقة أو العظماء أو غير ذلك؛ لأن الحلف تعظيم للمحلوف به فلا يجوز أن يكون إلا بالله سبحانه وتعالىٰ أو بصفاته.

ومما ينهىٰ عنه أيضاً الحلف بالأمانة كما تقدم في حديث بريدة ﷺ قال: رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»(١).

وقال الخطابي عند شرحه لهذا الحديث: «هذا يشبه أن تكون الكراهة فيها من أجل أنه إنما أمر أن يحلف بالله وبصفاته، وليست الأمانة من صفاته، وإنما هي أمر من أمره وفرض من فروضه، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله ﷻ وصفاته»(٢).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: «الحلف بالأمانة إذا أطلق فهو مكروه أو حرام؛ لأن الأمانة فيها اشتراك، وذلك أن الأمانة بالنسبة إلىٰ المخلوق كمال، ومن المعلوم أن كل كمال اتصف به المخلوق فالله أحق وأولىٰ به، أما إذا قال: وأمانة الله، فليس من ذلك. هذا الذي أفهم الآن، أما «أما من حلف بالأمانة فليس مني» فهو وعيد»(٣).

٢- مسألــة: إقسام الله تعالىٰ بمخلوقاته:

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله: «فإن قيل: إن الله تعالىٰ أقسم بالمخلوقات في القرآن.

قيل: ذلك يختص بالله تبارك وتعالىٰ، فهو يقسم بما شاء من خلقه؛ لما في ذلك

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) معالم السنن ٤/ ٤٦.

(٣) فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧١.

من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته، وإلهيته وعلمه وحكمته وغير ذلك من صفات كماله. وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى، فالله تعالى يقسم بما شاء من خلقه. وقد نهانا عن الحلف بغيره فيجب على العبد التسليم والإذعان لما جاء من عند الله.

قال الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق، قال: ولأن أقسم بالله فأحنث أحب إليّ من أن أقسم بغيره فأبر.

وقال مطرف بن عبد الله: إنما أقسم الله بهذه الأشياء ليعجب بها المخلوقين، ويعرفهم قدرته لعظم شأنها عندهم، ولدلالتها على خالقها ذكرهما ابن جرير»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وأما قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس:١]. وقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد:١]. وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ [الليل:١]، وما أشبه ذلك من المخلوقات التي أقسم الله بها فالجواب من وجهين:

الأول: أن هذا من فعل الله، والله لا يُسأل عما يفعل، وله أن يقسم سبحانه بما شاء من خلقه وهو سائل غير مسؤول وحاكم غير محكوم عليه.

الثاني: أن قسم الله بهذه الآيات دليل على عظمته وكمال قدرته وحكمته، فيكون القسم بها الدال على تعظيمها ورفع شأنها متضمنا للثناء على الله عز وجل بما يقتضيه من الدلالة على عظمته»[(٢)].

٣ - فائدة في ذكر أيمان النبي ﷺ من ذلك:

(ومقلب القلوب)[(٣)]، (والله)[(٤)]، (ورب الكعبة)[(١)]، (وأيم الله)[(٢)]، (وأيم الذي

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٥٩٦.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧٩٨. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ٣٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٣١،٦١٠١.

نفس محمد بيده)[٣]، (والذي نفس محمد بيده)[٤]، (والذي نفسي بيده)[٥]، (والذي لا إله غيره)[٦].

٤ - مسألة في قوله ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق»:

قال الشيخ ابن عثيمين: «وأما ما ثبت في صحيح مسلم من قوله ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق»[٧]. فالجواب من وجوه:

الأول: أن بعض العلماء أنكر هذه اللفظة، وقال: أنها لا تثبت في الحديث، لأنها مناقضة للتوحيد، وما كان كذلك فلا تصح نسبة إلى رسول الله ﷺ فيكون باطلاً.

الثاني: أنها تصحيف من الرواة والأصل: «أفلح والله إن صدق». وكانوا في السابق لا يشكلون الكلمات و«أبيه» تشبه «الله» إذا حذفت النقط السفلى.

الثالث: أن هذا مما جرى على الألسنة بغير قصد[٨] وقد قال تعالى وهذا لم ينو فلا يؤاخذ.

الرابع: أنه وقع من النبي ﷺ وهو أبعد الناس عن الشرك فيكون من خصائصه وأما غيره فهم منهيون عنه، لأنهم لا يساوون النبي ﷺ في الإخلاص والتوحيد.

الخامس: أنه على حذف مضاف والتقدير «أفلح ورب أبيه».

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٨٨، ٦٦٢٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٣٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٢٩، ٦٦٣٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٤٣.

(٧) أخرجه مسلم (١١).

(٨) وارتضى هذا الجواب البيهقي والنووي وتُعُقِّب بأن الرسول ﷺ نهى عمر عن الحلف بأبيه وأنه لا يمكن أن نسأل كل شخص حلف بغير الله هل قصد القسم أم لا؟. انظر: الفتح ١١/ ٥٣٣.

السادس: أن هذا منسوخ[١]، وأن النهي الناقل من الأصل، وهذا أقرب الوجوه... وهذه اللفظة على فرض صحتها من المتشابه فترد إلى المحكم كما هي طريقة الراسخين في العلم»[٢].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وبكل حال فهي رواية فردة شاذة لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتشبث بها ويخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الحلف بغير الله، وأنه من المحرمات الشركية»[٣].

ومن هذا الباب أيضاً حديث: «أما وأبيك لتُنبأنه»[٤]. وهي رواية قال العلماء بأنها شاذة[٥] لأنها إحدى روايتي محمد بن الفضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة وخالف فيها عبدالواحد وسفيان بن عيينة وجرير وشريك حيث رووا الحديث بدون الحلف. ومن قال إن له شاهدا آخر من حديث شريك عن عمارة عن أبي هريرة وفيه: «وأبيك لتنبأن، أمك ثم أمك» فهذه أيضاً خالف فيها شريك بن عبد الله القاضي كلا من فضيل بن غزوان وجرير بن عبد الحميد.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «وأما الاستدلال على عدم الإثم بما ورد في غاية الندرة والقلة كحديث «**أفلح وأبيه إن صدق**» فمن الغرائب والمغالط وكيف تهمل المناهي والزواجر التي وردت موردا يقرب من التواتر بمثل هذا الذي تعرض العلماء لتأويله بوجه من وجوه التأويل التي يجب استعمالها والمصير إليها فيما

---

(١) قاله الماوردي: وحكاه البيهقي وقال السبكي أكثر الشراح عليه قال المنذر ي: دعوى النسخ ضعيفة لإمكان الجمع ولعدم تحقق التاريخ. الفتح ١١/ ٥٣٥.

(٢) فتاوى العقيدة ص٢٨٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص٧٢٥.

(٤) أخرجه مسلم رقم ١٠٣٢.

(٥) ممن حكم بشذوذها الشيخ مقبل الوادعي، انظر: فقه الأيمان ص٦٨.

خالف السنن الظاهرة المشتهرة»[١].

٥ - ما يجب على المحلوف له بالله:

أما في حق المحلوف له بالله فيجب أن يرضى بهذه اليمين كما ثبت ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله»[٢] وهذا فيه أمر منه ﷺ لمن حُلِف له بالله في خصومة أو غيرها أن يرضى باليمين لأن ذلك من تعظيم الله، ثم بين ﷺ الوعيد الشديد في حق من لم يرض بالحلف بالله فقال: «ومن لم يرضَ بالله فليس من الله».

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «لأنه يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية، إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك»[٣].

وقال أيضاً رحمه الله: «قوله: «ومن حُلِفَ له بالله فليرض» أي: وجوبا كما يدل عليه قوله: «ومن لم يرض فليس من الله» ولفظ ابن ماجه «ومن لم يرض بالله فليس من الله» وهذا وعيد كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران:٢٨].

وأما من ناحية الأمور الشرعية في باب التحاكم عند القاضي فيجب أن يرضى باليمين ويلتزم بمقتضاها. لأن هذا من باب الرضا بالحكم الشرعي.

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: فقد برئ من الله، وهذا عام في الدعاوى وغيرها، ما لم يفضِ إلى إلغاء حكم شرعي كمن تشهد عليه البينة الشرعية، فيحلف على تكذيبها

---

(١) السيل الجرار للشوكاني ٤/ ١٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه بسند حسن (٢١٠١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه وقال: صحيح.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٦٠٣.

فلا يقبل حلفه، ولهذا لما رأى عيسى عليه السلام رجلاً يسرق فقال له: سرقت قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: «آمنت بالله وكذبت عيني»[١]، وفيه وجهان:

أحدهما: قال القرطبي: «ظاهر قول عيسى عليه السلام للرجل سرقت أنه خبر جازم، لكونه أخذ مالاً من حرز في خفية، وقول الرجل: كلا، نفي لذلك، ثم أكده باليمين. وقول عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني أي: صدقت من حلف بالله، وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ سرقة، فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق، أو ما أذن له صاحب في أخذه أو أخذه ليقلبه، وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء.

قلت: وهذا فيه نظر وصدر الحديث يرده وهو قول النبي ﷺ: «رأى عيسى رجلا يسرق» فأثبت ﷺ سرقته.

الثاني: ما قاله ابن القيم: «إن الله تعالى كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذباً. فدار الأمر بين تهمة الحالف، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم ـ عليه السلام ـ صدق إبليس لما حلف له أنه ناصح».

قلت[٢]: هذا القول أحسن من الأول وهو الصواب ـ إن شاء الله تعالى ـ»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وأما بالنسبة للمحلوف له فهل يلزمه أن يصدِق أم لا؟ المسألة لا تخلو من أحوال خمس:

الأولى: أن يعلم كذبه فلا أحد يقول إنه يلزم تصديقه.

الثانية: أن يترجح كذبه فكذلك لا يلزم تصديقه.

الثالثة: أن يتساوى الأمران فهذا يجب تصديقه.

الرابعة: أن يترجح صدقه فيجب أن يُصدَّق.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٤).

(٢) القائل الشيخ سليمان بن عبد الله وما زال الكلام موصولاً.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٦٠٤.

الخامسة: أن يعلم صدقه فيجب أن يصدقه.

وهذا في الأمور الحسية، أما الأمور الشرعية في باب التحاكم فيجب أن يرضى باليمين ويلتزم بمقتضاها؛ لأن هذا من باب الرضا بالحكم الشرعي وهو واجب»[1].

٦ - حكم كثرة الحلف والحنث فيه:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [البقرة:٢٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف[2] منفقة للسلعة، ممحقة للبركة»[3].

وعن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق»[4].

وعن سلمان: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، ولا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»[5].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨١٠. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ٣٣٧.

(٢) والمراد بالحلف هنا الحلف الكاذب كما بينته رواية أحمد: «اليمين الكاذبة» في المسند ٢/ ٢٣٥، ٢٣٤، ٤١٣.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، ولفظه عند مسلم (ممحقة للربح).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٠٧).

(٥) أخرجه الطبراني بسند صحيح (٦١١١). قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدا فتوحيده ضعيف» تيسير العزيز الحميد ص ٧٢٧.
قلت ـ القائل الشيخ سليمان ـ: «وسبب ذلك أنه امتهن اسم الله سبحانه وجعله وسيلة لاكتساب المال والتغرير بالناس ـ والله أعلم ـ».

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة «ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون[1]، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»[2].

وفيه عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». قال إبراهيم ـ أي النخعي ـ: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار [3].

قال السعدي رحمه الله: «أصل اليمين إنما شُرعت تأكيداً للأمر المحلوف عليه وتعظيماً للخالق، ومن تمام هذا التعظيم أن لا يُحلف بالله إلا صادقاً، ومن تمام هذا التعظيم أن يُحترم اسمه عن كثرة الحلف. فالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد»[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ [البقرة:٢٢٤] يقول القرطبي رحمه الله «... وقيل: المعنى لا تستكثروا من اليمين بالله فإنه أهيب للقلوب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾، وذم من كثَّر اليمين فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [القلم:١٠]، والعرب تمتدح بقلة الأيمان

---

(١) والمعنى أنهم يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم لاستخفافهم بالشهادة وعدم تحريهم الصدق وهذا بخلاف من في ترك شهادته فوات حق وضياعه فإن الشاهد عليه ـ حينئذ ـ التقدم بشهادته لإرجاع الحق إلى أهله وعليه يحمل حديث: خير الشهود الذين يشهدون قبل أن يستشهدوا. وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها» رواه مسلم(١٧١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد ص١٤٩.

حتى قال قائلهم:

قليل الألايا حافظ ليمينه وإن صدرت منه الألية برتِ

وعلى هذا ﴿ أَن تَبَرُّواْ ﴾ معناه: أَقِلّوا الأيمان لما فيه من البر والتقوى، فإن الإكثار يكون معه الحنث وقلة رعي لحق الله تعالى، وهذا تأويل حسن ...»[(١)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «وفي معنى الآية ثلاثة أقوال...:

الثالث: أن معناها لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارين مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه. هذا قول ابن زيد»[(٢)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ قال في فتح المجيد:

«يقول ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: لا تتركوها بغير تكفير.

وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد: لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث[(٣)] فلا تحنثوا»[(٤)].

ثم بيَّن الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله أن القولين متلازمان فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل على الاستخفاف وعدم التعظيم لله وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

قال الشيخ السعدي في التفسير: «واحفظوا أيمانكم: أي عن الحلف بالله كاذبا وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير»[(٥)].

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ٩٧. والبيت لكُثَيِّر عزة وقوله: «حافظ ليمينه» وصفٌ منه بأنه لا يحلف.

(٢) زاد المسير ١/ ٢٢٨.

(٣) في مختار الصحاح: الحنث: الإثم والذنب، والحنث: الخُلْف في اليمين.، وقال الراغب: وقيل حَنِثَ في يمينه إذا لم يفِ بها. انظر مادة (ح ن ث).

(٤) فتح المجيد ص٥٨٧.

(٥) تفسير السعدي لقوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وكل يمين لها ابتداء وانتهاء ووسط، فالابتداء الحلف والانتهاء الكفارة والوسط الحنث وهو أن يفعل ما حلف علىٰ تركه أو يترك ما حلف علىٰ فعله... وحفظ اليمين يشمل هذه الثلاثة»[1].

٧ - كفارة الحلف بغير الله:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزّىٰ، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق»[2].

قال الخطابي: «إنما أوجب قول لا إله إلا الله علىٰ من حلف باللات والعزىٰ شفقاً من الكفر أن يكون قد لزمه؛ لأن اليمين إنما تكون بالمعبود الذي يُعظّم، فإذا حلف بهما فقد ضاهىٰ الكفار في ذلك وأمر أن يتداركه بكلمةالتوحيد المبرئة من الشرك»[3].

وقال ابن العربي رحمه الله: «من حلف بها جاداً فهو كافر، ومن قالها جاهلا أو ذاهلا يقول: لا إله إلا الله، يكفّر الله عنه، ويرد قلبه عن السهو إلىٰ الذكر، ولسانه إلىٰ الحق، وينفي عنه ما جرىٰ به من اللّغو»[4].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «والحديث دليل علىٰ أنه لا تجب الكفارة بالحلف بغير الله مطلقاً، لأنه لم يذكر فيه كفارة للحلف بغير الله ولا في غيره من الأحاديث، فليس فيه كفارة إلا النطق بكلمة التوحيد، والاستغفار»[5].

ولا إله إلا الله تقال عند الحلف بغير الله وليست مختصة باللات والعزىٰ.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١٠٤٢ باختصار. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢١٩.
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٠). ومسلم (١٦٤٧).
(٣) أعلام الحديث ٣/ ١٩١٨.
(٤) فتح الباري (٨/ ٦١٢).
(٥) تيسير العزيز الحميد ص٦٠٠.

قال القرطبي رحمه الله: «وخص اللات بالذكر لأنها أكثر ما كانت تجري على ألسنتهم، وحكم غيرها من أسماء آلهتهم حكمها إذ لا فرق بينها»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأيمان التي يحلف بها الناس نوعان:

أحدهما: أيمان المسلمين.

والثاني: أيمان المشركين.

فالقسم الثاني الحلف بالمخلوقات كالحلف بالكعبة والملوك والآباء والسيف وغير ذلك... فهذه الأيمان لا حرمة لها بل هي غير منعقدة ولا كفارة على من حنث فيها باتفاق المسلمين. بل من حلف بها فينبغي أن يوحد الله تعالى كما قال النبي ﷺ: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى. فليقل: لا إله إلا الله»»[(٢)].

١١٣- الحلقة

انظر باب (التميمة) تحت عنوان لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٧١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٣/ ١٢٢.

١١٤- حماية التوحيد*

في اللغة: قال أبو بكر الرازي: «حماه يحميه حماية: دفع عنه، وهذا شيء حمىً أي محظور لا يقرب، وأحميت المكان جعلته حمىً»(١).

قال الفيومي: «وحِميته بالكسر منعته عنهم، والحماية اسم منه، والحمى لا يُقرب ولا يجترأ عليه»(٢).

وقد بذل الرسول ﷺ جهدَه قولاً وعملاً لحماية التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يزول معها التوحيد أو ينقص.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة»(٣).

وقد جاء التحذير من الأقوال التي تقتضي المساواة في الألفاظ،قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «جاء كتاب الله تعالى وتلته سنة رسوله ﷺ بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شائبة وسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضعافه حتى إن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت فقال النبي ﷺ:

---

* قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٦٧، ٧٥. تيسير العزيز الحميد ص٧٤٩. فتح المجيد ص٦٠٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٩٣. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٠،٤٣٤/ ١١٠٢. وانظر القول المفيد ط١-١/ ٣،٤٤٧/ ٢٧٦ ط٢- ٣/ ٣٤٧. الدرر السنية ١٢/ ١٨١. نور على الدرب ص٢٧٢. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٥٦٣، ٦٨٢.

(١) مختار الصحاح (ح م ى).

(٢) المصباح المنير (ح م ى).

(٣) القول السديد ص٧٦.

«أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده» فأنكر النبي ﷺ على هذا الرجل أن يقرن مشيئة الله تعالى بحرف يقتضي التسوية بينهما وجعل ذلك من اتخاذ الند لله ﷻ واتخاذ الند لله تعالى إشراك به وحرم النبي ﷺ أن يحلف الرجل بغير الله وجعل ذلك من الشرك بالله فقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » وذلك لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله ﷻ فلا يجوز للمسلم أن يقول عند الحلف: والنبي، أو وحياة النبي، أو وحياتك، أو وحياة فلان، بل يحلف بالله وحده أو يصمت عند الحلف»[1].

*** الفرق بين حماية حمى التوحيد وحماية جنابه:**

في كتاب التوحيد بوَّب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بابين في ذلك حيث ذكر الباب الواحد والعشرين بقوله: (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) ثم ذكر في الباب الخامس والستين من آخر الكتاب: (باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «إن حماية جناب التوحيد بسد الطرق الفعلية، أما حماية حمى التوحيد فيتعلق بالتأدب والتحفظ بالأقوال»[2].

وفي شرح الشيخ ابن باز رحمه الله في الباب الأخير من كتاب التوحيد المتعلق بحماية حمى التوحيد قال: «هنا تكلم على حماية التوحيد من جهة الأقوال؛ وقد تقدم طرق وباب حماية التوحيد من جهة الأفعال وحماية جناب التوحيد والجناب هو الجزء منه، وهذا الباب في حمى التوحيد والحمى غير الذات وخارج عن الذات فهذه الترجمة ابلغ فيما يتعلق بالتوحيد وفيما يتعلق بالأقوال. فالرسول ﷺ حمى جناب التوحيد وحمى حماه من جهة القول والعمل حتى لا يقرب الناس من الشرك

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٢٤٠. وانظر باب الحلف في هذا المعجم فقد أوضحت الكلام فيه.

(٢) القول السديد ١٥٥.

ويقعوا فيه وحذر من وسائله وذرائعه الموصلة إليه وهذا من كمال البلاغ»[١].

ومن حماية جانب التوحيد منع وسائل الشرك والنهي عنها [٢]، والوسيلة هي التوصل إلى الشيء برغبة.

قال السعدي رحمه الله في تعريف الشرك الأصغر: «هو جميع الأقوال والأفعال التي يُتوسل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك»[٣].

❖ **وتتمثل الوسائل الشركية فيما يلي:**

١ ـ الغلو في الأنبياء والصالحين:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد: «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين» وقد جاء النهي عن الغلو في مواطن كثيرة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:١٧١]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾ [طه:٨١].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ كقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»، وقوله: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله ﷻ» ونحو ذلك»[٤].

---

(١) من شرح الشيخ ابن باز على كتاب التوحيد.

(٢) الانتصار لأبا بطين ص ٦٩. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٦٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢١، ٢٨. نور على الدرب ٤١٣، ١٦٤، ٤١١، ٢٧٢، ٣٠٢. الإرشاد للفوزان ص ٣٦. إعانة المستفيد للفوزان ١/ ٤٢٦، ٤٢٧. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٦٢١، ٦٨٢.

(٣) القول السديد لابن سعدي ص٢٤.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٧٣١.

وكذلك يكون الغلو في رفع القبور وتشييدها والبناء عليها قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «فالحكم في هذه الأمور أنها لا تجوز، فقد صرحت الأحاديث بالنهي عن ذلك والتحذير منه وتحريمه، فإن هذا من الغلو الذي تكاثرت الأحاديث بالنهي عنه، فإنه أعظم وسائل الشرك وأسبابه، وبسببه وقع الشرك كما في الصحيح من حديث ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣]»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «الغلو في الصالحين وبناء المساجد على القبور والغلو في القبور كل هذا من الوسائل المفضية إلى الشرك وقد نهى النبي ﷺ عنها سدا للطريق الموصل إلى الشرك»[٢].

٢ ـ الموافقة الظاهرة للكفار:

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد حمى ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية، حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها، لئلا يكون ذريعة إلى التشبه بعبّاد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسد الذريعة بأن منع الصلاة بعد العصر والصبح، لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين سجد المشركون فيهما للشمس»[٣].

وقال أيضاً رحمه الله: «الوجه الرابع عشر أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وكان من حكمة ذلك أنهما وقت سجود المشركين للشمس وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سدا لذريعة

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١١٩.

(٢) إعانة المستفيد ١/ ٤٢٥.

(٣) الجواب الكافي ٩٣.

المشابهة الظاهرة التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بعد هذه الذريعة فكيف بالذرائع القريبة»[١].

قال السعدي رحمه الله: «والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعادا للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم حتى أنه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفا من التشبه المحذور»[٢].

* **ومن الموافقة الظاهرة للكفار تعظيم أماكن الجاهلية وأعيادهم:**

جاء في حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»[٣].

فدل الحديث على أن المؤمن ينبغي له أن يبتعد عن أماكن الجاهلية ولا يخصها بعبادة حتى لا يتشبه بهم وينسب إليهم.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «وقد صرح العلماء بتحريم الذبح في المقبرة لما فيه من مشابهة المشركين، ولأنه وسيلة إلى الشرك بالذبح للموتى والتقرب إليهم»[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أما بالنسبة للصلاة في الكنيسة فإن الصلاة

---

(١) إعلام الموقعين ٣/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) القول السديد ص ٤٧.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١).

(٤) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٢٤.

تخالف صلاة أهل الكنيسة فلا يكون الإنسان متشبها بهذا العمل بخلاف الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله، فإن الفعل واحد بنوعه وجنسه ولهذا لو أراد إنسان أن يصلي في مكان يذبح فيه لغير الله لجاز ذلك لأنه ليس من نوع العبادة التي يفعلها المشركون في هذا المكان»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «فالرسول ﷺ حمى حدود التوحيد حماية بليغة، بحيث أنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصل إلى الشرك، ولو كانت هذه الوسيلة في أصلها مشروعة كالصلاة، إذا فعلت عند القبور، فهو وسيلة إلى الشرك، ولو حسنت نية فاعلها، فالنية لا تبرر ولا تزكي العمل إذا كان يؤدي إلى محذور، والدعاء مشروع، ولكن إذا دعا عند القبر، فهذا ممنوع، لأنه وسيلة إلى الشرك بهذا القبر، هذا سد الوسائل.

فالرسول نهى عن الصلاة عند القبور، ونهى عن الدعاء عند القبور، ونهى عن البناء عند القبور، ونهى عن العكوف عند القبور، واتخاذ القبور عيدا، إلى غير ذلك، كل هذا من الوسائل التي تفضي إلى الشرك، وهي ليست شركا في نفسها، بل قد تكون مشروعة في الأصل، ولكنها تؤدي إلى الشرك بالله ﷻ، ولذلك منعها ﷺ»[٢].

٣ ـ السؤال بالخلق أو بالجاه:

قال ابن باز: «قول القائل: أسأل الله بحق أوليائه أو بجاه أوليائه أو بحق النبي أو بجاه النبي هذا ليس من الشرك ولكنه بدعة عند جمهور أهل العلم ومن وسائل الشرك»[٣].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٣٥. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ٢٤٢.

(٢) إعانة المستفيد ١/ ٤٢٦، ٤٢٧.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن باز ٣/ ٩٤٧، ٩٦٢.

٤ ـ اتخاذ الصور:

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولقد بلغ من سد النبي ﷺ ذرائع الشرك ووسائله أن لا يترك في بيته صورة شيء يعبد من دون الله تعالىٰ أو يعظم تعظيم عبادة. ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه...

إلىٰ أن قال: فكان من هدي النبي ﷺ إزالة كل ما فيه تصاليب حماية لجانب التوحيد وإبعاداً عن مشابهة غير المسلمين ولقد كانت بلادنا هذه والحمد لله من أعظم البلاد الإسلامية محافظة علىٰ توحيد الله تعالىٰ ومتابعة رسوله ﷺ بما منّ الله عليها من علماء مبينين وولاة منفذين وصارت عند أعداء الإسلام قلعة الإسلام فغزوها من كل جانب بكل شكل من أشكال الغزو حتىٰ كثرت الفتن فيها وصارت صور الصلبان علىٰ بعض الألعاب للأطفال بل وعلىٰ الفرش لتكون نصب أعين المسلمين صبيانهم وكبارهم فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون»[(١)].

وقد ورد استفتاء إلىٰ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قال فيه المستفتي: «تقوم بعض المحلات التجارية ببيع صورة مكبرة لقبر الرسول ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما، ويقوم بعض الناس بتعليقها علىٰ الجدران، والسؤال: هل يجوز بيع تلك الصور وتعليقها؟ أم لا؟.

الجواب: هذه الصورة لا تجوز، وبيعها لا يجوز، لأن ذلك من وسائل الغلو فيه ﷺ وفي صاحبيه رضي الله عنهما، ومن أسباب الشرك بالله عز وجل. فالواجب ترك ذلك، ولا يجوز ذلك ولا بيعه لكونه وسيلة للغلو والشرك. وفق الله المسلمين جميعاً للفقه في

(١) خطب في العقيدة ص٢٤٢ من مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٦/ ٢٤٢.

دينه، والسلامة من أسباب غضبه، إنه خير مسؤول»[١].

وأما نَصْبُ النُّصُب ووضع التماثيل واتخاذها فإنه أشد من اتخاذ الصور قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح:٢٣]: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وَسُّموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت»[٢].

٥ ـ تعليق الحروز من القرآن:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «القول بجواز تعليق ما كان من القرآن أو الأدعية المباحة والأذكار الشرعية استثناء بغير حجة ووسيلة إلىٰ تعليق التمائم الأخرىٰ الشركية، ومعلوم أن الأخذ بالعموم متعين ما لم يرد ما يخصه، كما أن من المعلوم من الشريعة المطهرة وجوب سد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك أو إلىٰ ما دونه من المعاصي؛ ولأنها إذا علقت صارت وسيلة إلىٰ تعلق القلوب بها والاعتماد عليها ونسيان الله سبحانه وتعالىٰ، فمن حكمة الله في هذا أنه سبحانه وتعالىٰ ونهىٰ عنها حتىٰ تكون القلوب معلقة به سبحانه لا بغيره، وتعليق القرآن وسيلة لتعليق غيره، فلهذا وجب منع الجميع وأن لا يعلق شيء علىٰ المريض، ولا علىٰ الصبي لا من القرآن ولا من غيره»[٣].

(١) فتاوىٰ ابن باز من كتاب الدعوة ٣/ ١٣، ١٤.

(٢) انظر البخاري. (٤٩٢٠)، الفتح ٨/ ٥٣٥.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص٩٦٥

١١٥ - الحنيفية*

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ذكر الثعلبي ومن اتبعه كالبغوي وغيره عن ابن عباس قال: الحنيف: المائل عن الأديان إلى دين الإسلام قالوا: وأصله من حنف الرجل وهو ميل وعوج في القدم، ومنه قيل للأحنف بن قيس ذلك لأنه كان أحنف القدم»(١).

وفسرت الحنيفية بـ: الإخلاص والإسلام.

قال محمد بن كعب: «الحنيف: المستقيم». وقال أبو قلابة: «الحنيف: الذي يؤمن بالرسل كلهم». وقال مجاهد: «متبعاً». وقال: «أتباع إبراهيم». وفسرت: بالحج(٢).

قال الضحاك: «إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن معه فهو المسلم»(٣).

قال أبو عروبة: «الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله»(٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: «الحنيفية هي الاستقامة بإخلاص الدين لله»(٥).

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٨/ ٧٥، ٧٧. تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٣٩٥. الدرر السنية ٢/ ٢٣، ٧٣. شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ص٦ ٣١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٨٣.

(١) تفسير آيات أشكلت ص٣٩٨. وانظر قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير البغوي ١/ ١٥٥.

(٢) انظر هذه الأقوال في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء ١/ ٣٩٥، ٤٠٤.

(٣) تفسير البغوي ١/ ١١٩.

(٤) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء ١/ ٣٩٥، ٤٠٤.

(٥) مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٦٦.

وقال أيضاً: «والقرآن كله يدل على أن الحنيفية هي ملة إبراهيم، وأنها عبادة الله وحده والبراءة من الشرك، وعبادته سبحانه إنما تكون بما أمر به وشرعه، وذلك يدخل في الحنيفية، ولا يدخل فيها ما ابتدع من العبادات، كما ابتدع اليهود والنصارى عبادات لم يأمر بها الأنبياء، فإن موسى وعيسى وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعهم كانوا حنفاء بخلاف من بدل دينهم فإنه خارج عن الحنيفية»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين»[2].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «الحنيفية هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل»[3].

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة:١٣٥]، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران:٩٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ

(١) تفسير آيات أشكلت ٣٩٤.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣١.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣١.

ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ـ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد فرض الله على الناس أن يكونوا حنفاء؛ فرضه الله على أهل الكتاب، ثم على أمة محمد. وأوجب عليه وعليهم أن يتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً، فقال تعالى في أهل الكتاب ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] وهذا أمر لجميع الخلق من المشركين، وأهل الكتاب وغيرهم»(١).

وقال أيضاً رحمه الله: «فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلا على الله معرضا عما سواه وإلا كان مشركاً ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ـ٣٢].

وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل إبراهيم أئمة للحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته وإخلاص الدين له، كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم، قال تعالى في إبراهيم ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٢ـ٧٣].

وقال في فرعون وقومه ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا

---

(١) تفسير آيات أشكلت ٣٩٣.

﴿يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١-٤٢].

ولهذا يصير أتباع فرعون أولاً إلى أن لا يميزوا بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما قدره وقضاه، بل ينظرون إلى المشيئة المطلقة الشاملة، ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود هذا وجود هذا، ويقول محققوهم الشريعة فيها طاعة ومعصية والحقيقة فيها معصية بلا طاعة والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية، وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى وما أرسله به من الأمر والنهي»[1].

وقد تقدم في باب (تحقيق التوحيد) لماذا سمي إبراهيم عليه السلام بإمام الحنفاء.

١١٦- الخروج عن الشريعة

انظر باب (اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام).

---

(١) العبادة ص٤٣، مجموع الفتاوى ١٠/ ٢١٧، الفتاوى الكبرى ٢/ ٤٠٠.

١١٧- الخشوع *

لغة: الخشوع يراد به الانخفاض والذل والسكون. يقال: خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت[(١)].

قال ابن قاسم رحمه الله: «الخشوع: التطامن والتذلل وهو قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت»[(٢)].

وفي الشرع: قال ابن عثيمين رحمه الله: «الخشوع: الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي»[(٣)].

وقيل: «الخشوع: الانقياد للحق»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو الخضوع لله تعالىٰ والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح»[(٥)].

وقيل: الخشوع: ضراعة القلب، وطمأنينته وسكونه لله تعالىٰ، وانكساره بين يديه، ذلاً، وافتقاراً، وإيماناً به وبلقائه.

قال ابن القيم: «والحق أن الخشوع معنىً يلتئم من التعظيم والمحبة والذل

---

* أحكام القرآن القرطبي ١/ ٣٧٤، ١١/ ٢٤٨، ١٢/ ١٠٤. الروح لابن القيم ص٥٢٠، ٥٢١. مدارج السالكين ١/ ٥٦٠. معارج القبول ١/ ٣٣٢. حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص٣٩. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٦٦. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة للشبل ص٣٧٩.

(١) المصباح المنير (خ ش ع).

(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص ٣٩.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥.

(٤) التعريفات ص١٣٢.

(٥) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٣١. وانظر أيضاً مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٢٨ – ٣٠.

والانكسار»[١].

ومحل الخشوع: القلب، وثمرته: تظهر على الجوارح، ولذا قيل: إذا ضرع القلب، خشعت الجوارح، وذلك لأن القلب ملك البدن، وأمير الأعضاء، تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والخشوع عبادة قلبية يجب صرفها لله وحده.

* **الدليل من الكتاب**: قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦].

وعلق الله بها أسباب الفلاح في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝﴾ [المؤمنون:١-٢].

* **الدليل من السنة**: دعاء الرسول ﷺ في ركوعه: «اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»[٢].

وعن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»[٣].

فــــوائد:

١ - سبب الخشوع:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وأصل الخشوع الحاصل في القلب: إنما هو معرفة الله، ومعرفة عظمته، وجلاله وكماله، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع.

ويتفاوت الخشوع في القلب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له، وبحسب

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٢٢، وانظر فيه تعاريف أخرى.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع. فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب الله من عبده، واطلاعه على سره وضميره المقتضي للاستحياء من الله تعالى، ومراقبته في الحركات والسكنات. ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضي للاستغراق في محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته. ومن خاشع لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضي للخوف منه وهو سبحانه وتعالى: جابر المنكسرة قلوبهم من أجله..»[١].

والعلم النافع إذا وقر في القلب فإنه يُثمر لصاحبه خشوعاً في قلبه وإجلالاً لمولاه سبحانه وتعالى، قال ابن رجب رحمه الله: «وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما: على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضا بقضائه والصبر على بلائه.

الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال.

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما به محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيما ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا»[٢].

---

(١) الخشوع في الصلاة ص٢٠ ـ ٢١.

(٢) فضل علم السلف على الخلف ص٣٦.

٢- خشوع النفاق:

خشوع النفاق هو خشوع الرياء والسمعة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «ومتى تكلف الإنسان تعاطي الخشوع في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخُلُوِّه منه كان ذلك خشوع النفاق وهو الذي كان السلف يستعيذون منه، كما قال بعضهم: استعيذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا: ما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع.

ونظر عمر إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا ارفع رأسك، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب، فمن أظهر خشوعاً غير ما في قلبه فإنما هو نفاق على نفاق»[1].

(١) الخشوع في الصلاة لابن رجب ص١٣، ١٤.

١١٨- الخشية*

في اللغة: قال ابن منظور: «الخشية: هي الخوف، يقال: خشي الرجل يخشى خشية أي خاف».

في الشرع: الخشية خوف يشعر به تعظيم وهيبة(١).

قال ابن عثيمين رحمه الله: «الخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] أي العلماء بعظمته وكماله وسلطانه»(٢).

* الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة:١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

* الدليل من السنة: روى الترمذي في السنن: «أن مُعَاوِيَةُ كَتَبَ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَاباً تُوصِينِي فِيهِ وَلاَ تُكْثِرِي عَلَيَّ، قال: فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ

---

* فتاوى ابن تيمية ١/ ٧١، ٧٢. معارج القبول ١/ ٣٣٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣ / ٣٤. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٢٠.

(١) انظر: المفردات للراغب (خ ش ي).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٦.

بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ» وَالسَّلامُ عَلَيْكَ[١].

فالخشية عبادة يجب إخلاصها لله وحده، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ بيان وجوب إخلاص الخشية لله وحده.

قال السعدي رحمه الله في بيان أهمية الخوف: «فالخوف يمنع العبد عن محارم الله وتشاركه الخشية في ذلك. وقال: فإن خشية الله جالبة لكل خير مانعة من كل شر»[٢].

*** الفرق بين الخشية والخوف:**

قال الراغب: «الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خُصَّ العلماء بها»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «الخشية أخص من الخوف فإن الخشية للعلماء بالله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة»[٤].

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «الخشية: فعلة من خشيه خافه واتقاه، فهي بمعنى الخوف، لكنها أخص منه، وهي: من أجل أنواع العبادة وصرفها لغير الله شرك أكبر»[٥].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٢] أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف، ويتضح

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤).

(٢) التفسير ٦/ ٢٢٥.

(٣) المفردات للراغب.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٥٤٩.

(٥) شرح الأصول الثلاثة ص ٤٠.

الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية.

ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف»[١].

فالخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله والخوف قد يكون من الجاهل[٢].

١١٩- الخط

انظر: (الطَّرْق) و (الرمال) في باب: (التميمة).

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٥٢. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ١٧١.

١٢٠- الخُلة*

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الخلة هي: كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى لمحبه سعةٌ لغير محبوبه»[٢].

وقد بَيَّن شارحُ الطحاوية: «أن الخلة أعلى مراتب المحبة»[٣].

ولما ذكر مراتب المحبة العشر قال: «والعاشرة: الخلة وهي المحبة التي تخللّت رُوح المُحِب وقلبه»[٤].

* **الأدلة من السنة:** ثبت في الصحيحين من غير وجه أنه قال ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[٥].

وقال ﷺ: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة

---

* السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ص٢٩٩. التحفة العراقية لابن تيمية ص٨٦. أحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٦٦. شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ١٦٤ـ١٦٦. تيسير العزيز الحميد ص٣٢٦. فتح المجيد ص٢٦٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥٨. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٣٩٥. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٤٠٦، ط٢-١/ ٥١٤. الدر السنية ١٢/ ١٦٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٥١٤.

(١) كتاب العبودية ٣٥.

(٢) الجواب الكافي ص١٣٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ١٦٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر ١٦٦.

(٥) أخرجه مسلم (٥٣٢).

خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[١].

* **فائدة:** قال شارح الطحاوية: «واعلم أن وصف الله تعالىٰ بالمحبة والخُلَّة هو كما يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته كسائر صفاته تعالىٰ»[٢].

* **العلاقة بين الخلة والعبودية:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولفظ «العبودية» يتضمن كمال الذل وكمال الحب، فإنهم يقولون قلب متيم إذا كان متعبدا للمحبوب، والتيم التعبد، وتيم الله عبده، وهذا أعلىٰ الكمال حصل لإبراهيم ومحمد ـ صلىٰ الله عليهما وسلم ـ ولهذا لم يكن له من أهل الأرض خليل، إذ الخلة لا تحتمل الشركة، فإنه كما قيل في المعنىٰ:

قد تخللت مسلك الروح مني   وبذا سُمي الخليل خليلا

بخلاف أصل الحب فإنه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة: «اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما».

وسأله عمرو بن العاص: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال أبوها».

وقال لعلي ﷺ: «لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، وأمثال ذلك كثير.

وقد أخبر تعالىٰ أنه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وقال ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]. فقد أخبر بمحبته

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣)، والترمذي (٣٦٥٦).

(٢) شرح الطحاوية ١/ ١٦٧.

لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وأما الخلة فخاصة، وقول بعض الناس إن محمداً حبيب الله وإبراهيم خليل الله وظنه أن المحبة فوق الخلة قول ضعيف»[١].

وقال ابن القيم: «وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمد ﷺ حبيب الله، فمن جهلهم، فإن المحبة عامة والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة، قال: وقد أخبر النبي ﷺ أن الله قد اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر ابن الخطاب ﵁ وغيرهم، وأيضا فإن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب الصابرين، وخلته خاصة بالخليلين. وفيه جواز ذكر الإنسان ما فيه من الفضل إذا دعت الحاجة الشرعية إلى ذلك»[٢].

١٢١- الخوارق الشيطانية

هي التي تكون على يد ساحر أو كاهن. والخارق للعادة قد يكون معجزة أو كرامة وقد يكون من صنع الكهان والعرافين والسحرة والمشعوذين وسوف يأتي الكلام عن ذلك في باب: «الكرامة».

(١) العبودية لابن تيمية ٣٥.

(٢) نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ص٣٢٦.

١٢٢- الخوف*

لغة: الفزع يقال: خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة[١].

وفي الشرع: قال الجرجاني: «الخوف: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب»[٢].

وقال القرطبي: «الخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المضار»[٣].

وقال ابن عثيمين: «الخوف: هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذىٰ وقد نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده»[٤].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١/ ٤١. الإبانة لابن بطة العكبري ١/ ١٢٨، ٧٥١. شرح السنة للبغوي ١٤/ ٣٦٦. مدارج السالكين ١/ ٥١١. تيسير العزيز الحميد ٤٨٧. فتح المجيد ٣٩٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢٤٤. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٦. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ١٦٤ ط٢-٢/ ٢٠٢ القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٤. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٤٨. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ١٠٠. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/ ٣٣٣، ٣٥٣، ٣٩١. معارج القبول ١/ ٣٢٩. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي٢/ ٢٥٢. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ١٧٣. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٤٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٣٥١. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٧٧. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢١٦، ٢٢٠.

(١) لسان العرب (خ و ف).

(٢) التعريفات ١٣٧.

(٣) جامع أحكام القرآن ٧/ ٢٢٧ وقد نسبه للقشيري.

(٤) شرح الأصول الثلاثة من مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٦/ ٥٢.

وعرفه الجنيد بأنه: «توقع العقوبة على مجاري الأنفاس»(١).

والخوف من أنواع العبادة قال ابن القيم: «الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»(٢).

وقد تقدم ذكر الفرق بينها وبين الخشية(٣).

* **الدليل من الكتاب:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ فُلَانٌ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾»(٤).

* **أقسام الخوف:**

قسم العلماء رحمهم الله الخوف إلى أربعة أقسام. قال الشيخ سليمان بن عبدالله:

(أحدها: خوف السر وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٥١٢.

(٢) طريق الهجرتين ص٤٣٧.

(٣) انظر باب (الخشية).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٢١).

بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً، لأن هذا من لوازم الإلهية فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوفوا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام:٨٠ـ٨١]. وقال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود:٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد. ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبا أو صادقاً، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدر على اليمين إن كان كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله. ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، وكذلك لو أصاب أحدا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب. وإذا أراد أن يظلم أحدا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدا ولم يتعرض له بالأذى حتى ان بعض الناس أخذ من التجار أموالا عظيمة أيام موسم الحاج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر في جدة يقال له: المظلوم فما تعرض له أحد بمكروه خوفا من سر المظلوم وأشباه هذا من الكفر، وهذا الخوف

لا يكون العبد مسلما إلا بإخلاصه لله تعالىٰ وإفراده بذلك دون من سواه.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس، فهذا محرم[(١)] وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها[(٢)] وهو الذي جاء فيه الحديث: «إن الله تعالىٰ يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت المنكر أن لا تغيره فيقول: يارب خشيت الناس، فيقول: إياي كنت أحق أن تخشىٰ» رواه أحمد[(٣)].

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة وهو الذي قال الله فيه: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:١٤]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن:٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧]، وهذا الخوف من أعلىٰ مراتب الإيمان ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلىٰ الإحسان وإنما يكون محمودا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله ولهذا قال شيخ الإسلام: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد علىٰ ذلك فهو غير محتاج إليه.

الرابع: وهو الخوف الطبيعي كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحوذلك فهذا لا يذم. وهو الذي ذكره الله عن موسىٰ عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فَخَرَجَ

---

(١) وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفاً من بعض الناس، فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد» فتح المجيد ص٣٩٦.

(٢) يقصد بذلك قوله تعـــــالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

(٣) أخرجه أحمد (١١٢٧٥) وابن ماجه (٤٠٠٨)، والبيهقي ٩/ ٩٠، ٩١. ونصه: «لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرىٰ أمراً لله عليه فيه مقالة ثم لا يقوله فيقول الله: ما منعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب خشيت الناس فيقول: وأنا أحق أن يخشىٰ».

مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١]»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لكن إذا كان هذا الخوف[2] سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليله قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]»[3].

وهناك خوف وهمي كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً وهذا مذموم.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في بيان هذه الأقسام: «اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلىٰ من يخافه، وكان يدعو إلىٰ طاعة باطنه وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان. وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله علىٰ خوفه لله.

وأيضا فمن خشي الله وحده علىٰ هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله نداً في الخشية كمن جعل لله نداً في المحبة، وذلك كمن يخشىٰ من صاحب القبر أن يوقع به مكروها أو يغضب عليه فيسلبه نعمه أو نحو ذلك مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيا كمن يخشىٰ من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشىٰ ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين،

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٨٧، ٤٨٩.

(٢) أي الخوف الطبيعي.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٣. وانظر أيضاً مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٦. والقول المفيد ط١- ٢/ ١٦٤.

ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفا محققاً قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم.

وإن كان هذا خوفاً وهمياً كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة»[١].

* تنبيه: على العبد أن لايفعل شيئاً من أنواع العبادات والقرب لأجل الناس، لا رجاء مدحهم ولا خوفاً منهم، ولا يلتمس رضا الناس بسخط الله بل يرج الله ويخافه ويلتمس رضاه سبحانه ويفعل ما أمر به وإن كره الناس منه ذلك. قال شيخ الإسلام: «والسعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم، ولا ترجوهم في الله، وتخاف الله فيهم، ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم، كما جاء في الأثر: «أرج الله في الناس ولا ترج الناس في الله، وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله». أي لا تفعل شيئا من أنواع العبادات والقرب لأجلهم، لا رجاء مدحهم ولا خوفا منهم، بل ارج الله، ولا تخفهم في الله فيما تأتي وتذر، بل افعل ما أمرت وإن كرهوه»[٢].

وقال رحمه الله: «كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت وكلما ضعفت كثرت محبوباته ونتشرت، وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]، وإذا نقص خوفه خاف

---

(١) القول السديد ص٩٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٥١.

من المخلوق، وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف كما ذكرنا في المحبة، وكذا الرجاء وغيره فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى»(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويحذر وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فلا تستبطيء نصره ورزقه وعافيته فإن الله تعالى بالغ أمره وقد جعل الله لكل شيء قدراً لا يتقدم عنه ولا يتأخر ومن لم يخفه أخافه من كل شيء وما خاف أحدا غير الله إلا لنقص خوفه من الله قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠]، وقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم»(٢).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «يجب على المرء أن يجعل الخوف من الله فوق كل خوف، وأن لا يبالي بأحد في شريعة الله تعالى، وأن يعلم أن من التمس رضا الله تعالى وإن سخط الناس عليه فالعاقبة له، وإن التمس رضا الناس وتعلق بهم وأسخط الله انقلبت عليه الأحوال ولم ينل مقصوده بل حصل له عكس مقصوده، وهو أن يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٠٦

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٤٦٣.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٦٥. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ١٨٤.

* تحصيل أسباب الخوف من الله:

من أعظم الأسباب في ذلك معرفة أسماء الله وصفاته والتزود منها علماً وإدراكا وإيمانا ويقينا، وبقدر نقص هذه المعرفة والإيمان بها يكون النقص في الخوف من الله، ولذلك يقول ابن القيم: «ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به فأعرف الناس بالله أخشاهم لله... وهو ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: معرفة الجناية وقبحها.

الثاني: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

الثالث: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب.

فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه»[١].

أحكام وفوائد:

١ - حد الخوف الواجب:

يقول ابن القيم رحمه الله: «والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله»[٢].

وقال ابن رجب رحمه الله: «ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه ومتى صار الخوف مانعاً من ذلك وقاطعا فقد انعكس المقصود منه ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة كان صاحبه معذوراً»[٣].

---

(١) طريق الهجرتين ص: ٢٨٣.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ٥١١. وقد نقله شارح الطحاوية ٢/ ٤٥٦.

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار ص٢١.

وقال قبل ذلك: «والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول الحاجات كان ذلك فضلاً محموداً.

فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو همًا لازما بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ لم يكن ذلك محموداً.

ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصار صاحب فراش؛ وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصودا لذاته إنما هو سوط يساق به المتوانى عن الطاعة إليها.

ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن»[(١)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «والخوف العدل هو الذي يرد عن محارم الله فقط، وإن زدت على هذا فإنه يوصلك إلى اليأس من روح الله، ومن الناس من يفرط في خوفه بحيث لا يردعه عما نهى الله عنه»[(٢)].

٢ - الفرق بين الخوف والوجل والفزع:

قال ابن قاسم رحمه الله في حاشية ثلاثة الأصول: «الخوف عبادة من العبادات القلبية، بل هو: ركن العبادة الأعظم، ولا يستقيم إخلاص الدين لله، الذي أمر الله به عباده، إلا به. والخوف مصدر خاف، فزع ووجل، لكن الخوف يتعلق بالمكروه، والفزع بما فاجأ منه، وهو انزعاج القلب، بتوقع مكروه عاجل. والوجل من غير متعد، والخوف من متعد»[(٣)].

---

(١) من كتاب التخويف من النار ص٢١.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٨. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ١٦٦.

(٣) حاشية الأصول الثلاثة ٣٧.

٣- المؤمن بين الحب والخوف والرجاء:

يجب على العبد أن يجمع بين الحب والخوف والرجاء لأنها من المقامات التي يجب اجتماعها في قلب كل عبد مؤمن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعمل القلب من التوكل والخوف والرجاء وما يتبع ذلك والصبر واجب بالاتفاق»[١].

وجاء عن السلف التحذير من إفراد أحدهما عن الآخر.

قال ابن رجب رحمه الله: «قال ابن المبارك: أنبأني عمر بن عبدالرحمن بن مهدي سمعت وهب بن منبه يقول:قال حكيم من الحكماء: إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبده رجاء ثواب الجنة أي فقط فأكون كالأجير السوء إن أُعطي عمل وإن لم يُعطَ لم يعمل، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار أي فقط، فأكون كعبد السوء إن رهب عمل وإن لم يرهب لم يعمل، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره. خرجه أبو نعيم بهذا اللفظ.

وفي تفسير لهذا الكلام من بعض رواته وهو أنه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده، وهذا حسن.

وكان بعض السلف يقول: من عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن.

وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة المحبة والخوف والرجاء ولا بد له، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان، وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء»[٢].

(١) الاختيارات ص٨٥.

(٢) التخويف من النار ص٣٠ .

وقال ابن رجب رحمه الله: «قال حذيفة المرعشي: «إن عبداً يعمل على خوف لعبد سوء وإن عبدا يعمل على رجاء لعبد سوء كلاهما عندي سواء»، ومراده إذا عمل على إفراد أحدهما عن الآخر»[١].

وقال القرطبي رحمه الله: «وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان»[٢].

ويُعرف وجوب اجتماعهم بمعرفة أهمية كل واحد منهم:

* **أهمية الخوف:**

قال ابن القيم رحمه الله: «منزلة الخوف وهي من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب وهي فرض على كل أحد»[٣].

وقال أيضاً رحمه الله: «قال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبا إلا خرب.

وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها.

وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق»[٤].

وقال ابن رجب رحمه الله: «... ولم يزل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون يخافون النار ويخوفون منها»[٥].

* **أهمية الرجاء:**

قال ابن القيم رحمه الله: «لولا رَوْح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح

---

(١) التخويف من النار ص٣١ .
(٢) جامع أحكام القرآن ٧/ ٢٢٧.
(٣) مدارج السالكين ١/ ٥١١.
(٤) مدارج السالكين ١/ ٥١٣
(٥) التخويف من النار ص٢٩، ٣٠ .

وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، بل لولا رَوْح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة ـ ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات ولي من أبيات:

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسرا وتمزقا

وكذاك لولا برده بحرارة الـ ... أكباد ذابت بالحجاب تحرقا

أيكون قط حليف حب لا يرى ... برجائه لحبيبه متعلقا

أم كلما قويت محبته له ... قوي الرجاء فزاد فيه تشوقا

لولا الرجا يحدو المطي لما سرت ... بحمولها لديارهم ترجو اللقا[1]

وقال رحمه الله: «الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف فكل راج خائف، وكل خائف راج؛ ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح:١٣] قال كثير من المفسرين: المعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة قالوا: والرجاء بمعنى الخوف، والتحقيق أنه ملازم له، فكل راج خائف من فوات مرجوه والخوف بلا رجاء يأس وقنوط»[2].

وإذا كانت هذه هي أهمية الخوف والرجاء فإنهما لا يتأتيان إلا بالمحبة قال ابن القيم رحمه الله: «فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشه بخلاف خوف المسيء ورجاء المحب لا يصحبه علة بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحب من رجاء الأجير وبينهما كما بين حاليهما، وبالجملة فالرجاء ضروري

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٣.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٥١.

للمريد السالك والعارف لو فارقه لحظة لتلف أو كاد فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه وعيب يرجو اصلاحه وعمل صالح يرجو قبوله واستقامة يرجو حصولها ودوامها وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها»[١].

وبهذا يتبين أن الحب عبادة والخوف عبادة والرجاء عبادة والجمع بينهم واجب شرعاً، ولكل مقام من الثلاثة وظيفة يؤديها.

قال شيخ الإسلام: «فالمحبة تلقي العبد في السير إلىٰ محبوبه، وعلىٰ قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم، يجب علىٰ كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن الرجاء حاد يحدو به في سيره إلىٰ الله، ويطيب له المسير ويحثه عليه، ويبعثه علىٰ ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد وإنما يحركه الحب ويزعجه الخوف ويحدوه الرجاء»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «بالمحبة يكون امتثال الأمر وبالخوف يكون اجتناب النهي»[٤].

٤ - هل الأفضل للإنسان أن يُغلِّبَ جانب الخوف أو يُغلِّبَ جانب الرجاء؟

قال الشيخ ابن عثيمين: «اختلف في ذلك:

فقيل: ينبغي أن يغلب جانب الخوف، ليحمله ذلك علىٰ اجتناب المعصية ثم

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٣

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٩٥.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٥٢.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٦. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ١٦٤.

فعل الطاعة.

وقيل يغلب جانب الرجاء، ليكون متفائلا، والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

وقيل في فعل الطاعة: يغلب جانب الرجاء، فالذي من عليه بفعل هذه الطاعة سيمن عليه بالقبول، ولهذا قال بعض السلف: إذا وفقك الله للدعاء، فانتظر الإجابة، لأن الله يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف، لأجل أن يمنعه منها ثم إذا خاف من العقوبة تاب.

وهذا أقرب شيء، ولكن ليس بذاك القرب الكامل؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أي: يخافون أن لا يقبل منهم، لكن قد يقال هذه الآية يعارضها أحاديث أخرى، كقوله ﷺ في الحديث القدسي عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني».

وقيل: في حال المرض يغلب جانب الرجاء، وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف، فهذه أربعه أقوال.

وقال الإمام أحمد: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً؛ [1] فأيهما غلب هلك صاحبه، أي: يجعلهما كجناحي الطائر، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساوين سقط» [2].

والقول بأن الخوف والرجاء ينبغي أن يستويان هو قول كثير من السلف وقد جاء في الأثر «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا».

قال المحدث العلجوني رحمه الله: «قال في اللآلئ: هذا مأثور عن بعض السلف، وهو كلام صحيح. وقال في المقاصد وتبعه في الدرر لا أصل له في المرفوع وإنما

---

(١) انظر قول الإمام أحمد رحمه الله في مسائل ابن هانئ ٢/ ١٧٨، والآداب الشرعية ٢/ ٣٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٧،٦٤٦. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ١٦٤.

يؤثر عن بعض السلف فرواه البيهقي عن مطرف قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان ما كان بينهما خيط شعرة[١]. ورواه أيضاً عن شعبة قال: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ما زاد خوفه على رجائه ولا رجاؤه على خوفه[٢]. ومعناه صحيح»[٣].

قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال: خوفاً وطمعاً قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر[٤].

وقال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: «وفيه أنه يشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً وجلاً طامعاً في إجابة الله لدعائه فإنه إذا كان عند الدعاء جامعاً بين الخوف والرجاء ظفر بمطلوبه»[٥].

وقال أبو علي الروذباري: «الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه وإذا نقص واحد منهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا جميعا صار الطائر في حد الموت لذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا»[٦].

وقال سهل بن عبد الله: «الرجاء والخوف زمانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر»[٧].

وبوب الإمام البخاري في كتابه الصحيح فقال: «باب: الرجاء مع الخوف»؛ ثم

---

(١) انظر شعب الإيمان (١٠٢٥)، الحلية ٣/ ٧٦.
(٢) انظر شعب الإيمان (١٠٢٦).
(٣) كشف الخفاء٢/ ١٦٦ (٢١٣١).
(٤) الطبري ١٧/ ٨٤.
(٥) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٢١٣.
(٦) شعب الإيمان للبيهقي٢/ ١٢ (١٠٢٧) شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٦، مدارج السالكين ٢/ ٣٦، وانظر مثل هذا في شعب الإيمان ٢/ ١١ (١٠٢٣).
(٧) القرطبي ١٠/ ٢٧٩، ٢٨٠.

ذكر حديث أبي هريرة ﷺ: «أن الله خلق مائة رحمة؛ وفيه: فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله «باب الرجاء مع الخوف» أي استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم»[٢].

وقال ابن تيمية: «وينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً فأيهما غلب هلك صاحبه ونص عليه الإمام أحمد لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله»[٣]، ونقل هذا القول ابن القيم[٤]، واختاره السهسواني[٥].

وقال ابن رجب رحمه الله: «فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر قاله مطرف والحسن، وأحمد وغيرهم»[٦].

وذكر أهل العلم أيضا أنهما يتساويان ولكن يغلب جانب الرجاء عند المرض، ومفارقة الدنيا وقد رجحه كثير من العلماء[٧].

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٦٩).

(٢) الفتح ١١/ ٣٠١ ط ـ السلفية.

(٣) الفتاوى الكبرى ٤/ ٤٤٣ ط ـ دار المعرفة.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٥٥٤.

(٥) صيانة الإنسان ص٢٨٤ وانظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠ / ٦٨٣.

(٦) كتاب التخويف من النار ١٨. وانظر أيضاً مدارج السالكين ٢/ ٣٥، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٠٢ ط. السلفية.

(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٥٦، وفتح الباري لابن حجر، ١١/ ٣٠١ –٣٠٧ . ومجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٧ . والقول المفيد ط١ - ٢/ ١٦٥.

ودليل ذلك حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قبل موته بثلاث أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحُسِن الظنَّ بالله ﷻ»[١].

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي: «كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحُسِن ظنَّه بربه»[٢].

وعن المعتمر بن سليمان قال: قال لي أبي حين حضرته الوفاة: «يا معتمر، حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به»[٣].

وقال القرطبي رحمه الله: «قال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب الخوف والرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلَّب الرجاء قال النبي ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»»[٤].

وقال النووي رحمه الله: «اعلم أن المختار للعبد في حالة صحته أن يكون خائفاً راجياً ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك»[٥].

وقال ابن مفلح رحمه الله: «وينبغي أن يكون رجاء المريض أكثر، وقطع به صاحب «النظم»[٦]»[٧].

وقال ابن رجب: «ومنهم من رجح الخوف على الرجاء وهو يحكى عن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧)، وأبوداود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٦، ٧ (١٠٠٧).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٧ (١٠٠٨).

(٤) جامع أحكام القرآن للقرطبي ٢٢٧/٧.

(٥) رياض الصالحين ٢٠٧، ٢٠٨. وانظر مثله في روح المعاني للألوسي ١٠٠/١٥.

(٦) صاحب النظم هو محمد بن عبدالقوي المرداوي (ت:٦٩٩هـ).

(٧) الآداب الشرعية ٢/ ٣٢.

الفضيل وأبي سليمان الداراني»[١].

وقال ابن القيم: «فصلٌ: القلب في سيره إلىٰ الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتىٰ سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتىٰ قطع الرأس مات الطائر، ومتىٰ فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوىٰ في الصحة جناح الخوف علىٰ جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوىٰ جناح الرجاء علىٰ جناج الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره قال: ينبغي للقلب أن تكون الغالب عليه الخوف فإن غلب عليه الرجاء فسد. وقال غيره: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنِّه وكرمه»[٢].

وقال ابن حجر رحمه الله: «وقيل الأَوْلَى أن يكون الخوف في الصحة أكثر وفي المرض عكسه، وأما عند الإشراف علىٰ الموت فاستحب قوم الاقتصار علىٰ الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته، ويؤيده حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله،...».

وقال آخرون لا يهمل جانب الخوف أصلاً بحيث يجزم أنه آمن ويؤيده ما أخرج الترمذي عن أنس: أن النبي ﷺ دخل علىٰ شاب وهو في الموت فقال له: «كيف تجدك؟». فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»»[٣].

---

(١) التخويف من النار ٢٥. وانظر أقوال الفضيل بن عياض وغيره في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٢، وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٧ (١٠١٠).

(٢) مدارج السالكين ١/ ٥١٧.

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٠١ ط السلفية.

ومن هذه الأقوال يتبين أهمية كل واحد منها إذ لاغنى للعبد عنها وعلى المسلم أن ينظر فيما يصلح نفسه قال الحسن البصري: «نفوسكم مطاياكم فأصلحوا مطاياكم تُبلغكم إلى ربكم عَزَّوَجَلَّ».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ مبينا كلام الحسن: «فالمراد بإصلاح المطايا الرفق بها وتعاهدها بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها فإذا أحس بها بتوقف في السير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخويف حتى تسير. قال بعض السلف: الرجاء قائد، والخوف سائق، والنفس بينهما كالدابة الحرون[1]، فمتى فتر قائدها وقصّر سائقها وقفت فتحتاج إلى الرفق بها، والحدو لها حتى يطيب لها السير كما قال حادي الإبل بالوادي:

بشرها دليلها وقال لها غدا ترين الطلح والجبالا

ولما كان الخوف كالسوط فمتى ألحّ بالضرب وبالسوط على الدابة تلفت فلا بدَّ لها مع الضرب من حادي الرجاء يطيب لها السير بحدائه حتى تقطع. قال أبو زيد: «ما زلت أقود نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك»»[2].

* قال ابن القيم: «وللسالك نظران: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره، ونظر يفتح عليه باب الرجاء، ولهذا قيل في حد الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله»[3].

وقال أيضاً: «والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم:

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه.

ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه

---

(١) أي الصعبة التي وقفت ورفضت الانقياد.

(٢) المحجة في سير الدلجة ص٧١، ٧٢.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٣٦.

وجوده وحلمه وكرمه

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال، وأنه إذا خاف إذا غلب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله وجب عليه أن يردّ ويقابل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلب جانب الرجاء أن يأمن من مكر الله فليرد ويغلب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حياً، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر»[٢].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «والتحقيق: أن ذلك على حالين:

الأولى: إذا كان العبد في حال الصحة والسلامة فإنه إما أن يكون مسدداً مسارعاً في الخيرات، فهذا ينبغي أن يتساوى في قلبه الخوف والرجاء، فيخاف ويرجو، لأنه من المسارعين في الخيرات. وإذا كان في حال الصحة والسلامة وكان من أهل العصيان، فالواجب عليه أن يغلب جانب الخوف حتى ينكفّ عن المعصية.

الحال الثانية: إذا كان في حال المرض المخوف فإنه يجب عليه أن يُعظِّم جانب الرجاء على الخوف، فيقوم في قلبه الرجاء والخوف، ولكن يكون رجاؤه أعظم من خوفه، وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يمت أحدكم إلا وهو يُحسَن الظن بربه تعالى»، وذلك من جهة رجائه في الله جل جلاله.

ومن هنا اختلفت كلمات أهل العلم، فتجد بعضهم يقول: يجب أن يتساوى

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٦.

(٢) فتاوى أركان الإسلام ص٥٩.

الخوف والرجاء، وبعض السلف قال: يُغلِّب جانب الخوف على جانب الرجاء، وبعض السلف قال: يُغلِّب جانب الرجاء على جانب الخوف، وهي أقوال متباينة ظاهراً، لكنها متفقة في الحقيقة، لأن كل قول منها يرجع إلى حالة مما ذكرنا.

فمن قال: يُغلِّب جانب الخوف على الرجاء فهو في حق الصحيح العاصي. ومن قال: يُغلِّب جانب الرجاء على الخوف فهو في حق المريض الذي يخاف الهلاك أو من يخاف الموت. ومن قال: يساوي بين الخوف والرجاء فنظر إلى حال المسددين المسارعين في الخيرات، الذين وصفهم الله - جل وعلا - بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقوله - جل وعلا - في سورة الإسراء: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] وهذا ظاهر»[1].

١٢٣ - الخيط

انظر باب (التميمة).
تحت عنوان (لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه)

(١) التمهيد ص٣٨٥.

١٢٤- الدعاء*

التعريف: قال الخطابي: «معنى الدعاء استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده إياه المعونة»[(١)].

وفي القاموس: «الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى»[(٢)].

وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بقوله: «هو السؤال والطلب رغبة أو رهبة أو مجموعهن»[(٣)].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٠/ ٣٠٠، ٣٠١، ١٢/ ١٨٦. شرح السنة للبغوي ٥/ ١٧٢. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٦ ـ ٦٨٢ـ ٧٧٨. أحكام القرآن القرطبي ٧/ ٢٢٣ ـ ٥/ ١٦٤. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٨٤١. فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٠. تيسير العزيز الحميد ص٢١٧. فتح المجيد ص١٩٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١١٣. القول المفيد١-١/ ١١٦، ٢٦٢،١٥٤ القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٢. الدرر السنية ١/ ٣٩٤، ٢/ ٨٣، ١٩٤، ٥/ ١٣٨، ٨/ ٢١٠، ٩/ ٤١٣، ١٠/ ١٩٧، ٢١٧، ٢٥٩، ١٢/ ١١٩، ١٨٢، ٢٣٢-٢٣٨، نور على الدرب ابن باز ١٦٥، ١٦٧، ١٨٣، ١٩٢، ٢٠٢. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٨٥، ٢/ ٥٣٩. معارج القبول ١/ ٣٢٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٢٢١ ـ ٤٢١. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٤٥، ٤٦، ٨٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٣٧، ٢٢١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٣٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٣٨. دعاوى المناوئين ص ٣٦١. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٢٦٣. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٤٠. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٠، ١٦٧. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤١٢. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٧٦. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص١٩٥، ٢١٥. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٢٥، ٣٢٦، ٣٩٤.

(١) شأن الدعاء ص٣.

(٢) القاموس ٤/ ٣٢٩.

(٣) القول الفصل النفيس ص ٤٧.

والدعاء عبادة يجب صرفها لله وحده لا شريك له بل هي من أفضل الطاعات وآكد العبادات وأعظمها شأنا وأجلها قدرا وإذا كان الشرك أكبر الكبائر وأعظم الموبقات فإن دعاء الله والإخلاص فيه من أقرب القربات عند الله وأهم المنجيات من عذابه سبحانه وتعالى ويشمل الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة ويدل على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]. قال ابن سعـــدي رحمه الله: «أي أستجب طلبكم وأقبل أعمالكم»(١).

* الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢٠-٢١]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]

* الدليل من السنة: وردت في السنة أحاديث كثيرة في الترغيب في الدعاء منها: حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ (الدعاء هو العبادة. وتلا قوله

(١) الفوائد الحسان ص١٥٦.

تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[٢]. وعند ابن ماجه بلفظ: «من لم يدع الله...»[٣].

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[٤].

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل»[٥]. وفي حديث ابن عباس ﷺ الطويل قال فيه ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[٦].

* **أقوال بعض السلف:**

قال ابن عباس ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء» وقرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٧].

وقال مطرف: «تذكرت ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثير، الصلاة والصيام، وإذا هو في يد الله تعالىٰ، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعُطيك فإذا جماع الخير الدعاء»[٨].

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ٢٦٧، والترمذي ٥/ ٣٧٤، ٤٥٦، وأخرجه الحاكم ١/ ٤٩٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر: إسناده جيد في الفتح ١/ ٤٩، وحسنه السخاوي في الفتوحات الربانية ٧/ ١٩١.

(٢) أخرجه الترمذي(٣٣٧٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٢٧) .

(٤) أخرجه الترمذي(٣٣٧٠)، وابن ماجه(٣٨٢٩).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٧١).

(٦) أخرجه الترمذي، (٢٤١٦)، وأحمد (٢٦٦٩).

(٧) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٦٧.

(٨) الزهد لابن أبي عاصم ١/ ٢٤١.

وقال ابن سعدي في تفسيره: «... وكل القربات الظاهرة والباطنة تدخل في دعاء العبادة، لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها»[١].

وقال أيضا في بيان أهميته عند قوله تعالى ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:١٤]: «فوضع كلمة الدين موضع كلمة العبادة، وهو في القرآن كثيرا جدا، يدل على أن الدعاء هو لب الدين وروح العبادة»[٢].

أحكام وفوائد:

١ – دعاء العبادة ودعاء المسألة:

للدعاء عند الإطلاق نوعان:

الأول: دعاء عبادة: وهو مطلق التعبد كالصلاة والصيام والزكاة إذا فعلها العبد يريد بذلك الثواب والنجاة من العقاب.

الثاني: دعاء مسألة: وهو طلب ما ينفعه أو طلب دفع ما يضره وكلاهما لا يجوز صرفه لغير الله[٣].

ومن أمثلة دعاء المسألة ما رواه الشيخان عن ابن مسعود قال: التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «لاتقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً

---

(١) الخلاصة ص٥٧.

(٢) مستفاد من كتاب جهود الشيخ السعدي في توضيح العقيدة ص١٦٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠، وجلاء الأفهام ص٢٥٤، وصيانة الإنسان ص٤٣١، ٤٣٢، والتيسير ص٢١٨، وفتح المجيد ١/ ٣٠١.

عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو»[١]، فالمراد بقوله: «من الدعاء» دعاءُ المسألة لأنه من أول الصلاة لا زال في دعاء العبادة.

٢ - التلازم بين دعاء المسألة ودعاء العبادة:

يقول ابن القيم: «الدعاء نوعان: دعاء عبادة، دعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وكل من يملك الضرر والنفع فإنه هو المعبود حقا، والمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه مالا يملك ضراً ولا نفعاً... وهذا في القرآن كثير. يبين أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء مسألة ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة مستلزم لدعاء العبادة»[٢].

٣- مسألة: إذا ورد في القرآن لفظ الدعاء فهل يراد به دعاء العبادة أم دعاء المسألة؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان، فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر»[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «القاعدة الحادية والخمسون: كلما ورد في

---

(١) البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) بدائع الفوائد ٣/ ٤٠٣. وانظر: تيسير العزيز الحميد ص٢١٥، فقد قرر ذلك ونقله عن شيخ الإسلام.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥/ ١٠.

القرآن الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين تناول دعاء المسألة ودعاء العبادة»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ الآية [الحج:٧٣] وقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة...»[٢].

٤ - أقسام الدعاء:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والدعاء ينقسم إلى قسمين:

١ ـ ما يقع عبادة: فصرفه لغير الله شرك وهو المقرون بالرهبة والرغبة والحب والتضرع.

٢ ـ ما لا يقع عبادة: فهذا يجوز أن يُوجَّه إلى المخلوق قال النبي ﷺ «من دعاكم فأجيبوه»[٣]، وقال: «إذا دعاك فأجبه»[٤]»[٥].

٥ - للدعاء شروط وآداب: من ذلك الإخلاص في الدعاء والبداءة بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على نبيه ﷺ ومنها حضور القلب، ورفع اليدين، وأن يكون على طهارة لا يتعدى في الدعاء ولا يتجاوز فيه الحد مع كون القلب خائفاً طامعاً متضرعاً خاشعاً راغباً راهباً لا غافلاً ولا آمناً، وأن يجزم في دعائه ويستيقن الإجابة

(١) القواعد الحسان ص١٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٣.

(٣) أبوداود (١٦٧٢)، وأحمد (٥٣٦٥).

(٤) مسلم (٢١٢٦).

(٥) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٥٤، وانظر أيضاً ٧/ ٢٧.

ويلح على مولاه مع خفض الصوت واختيار الوقت، ويعترف بذنبه ويقرُّ به أمام الله، ويختار الدعاء المناسب، ويظهر افتقاره إلى الله، ويتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولا يتكلف السجع، وغير ذلك من الآداب تراجع في غير هذا، والله أعلم.

٦ - حكم ترك الدعاء استسلاماً للقضاء:

يقول ابن تيمية رحمه الله: «والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب لقضاء الحاجات، فزعم قوم من المبطلين متفلسفة ومتصوفة أنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن المشيئة الإلهية والأسباب العلوية إما أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب وحينئذ فلا حاجة إلى الدعاء، أو لا تكون قد اقتضته وحينئذ فلا ينفع الدعاء.

وقال قوم ممن تكلم في العلم: بل الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل بالمدلول لا ارتباط السبب بالمسبب بمنزلة الخبر الصادق والعلم السابق.

والصواب ما عليه الجمهور من أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب أو غيره كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة وسواء سمي سبباً أو شرطاً أو جزءاً من السبب فالمقصود هنا واحد، فإذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به وجعل استعانته ودعاءه سببا للخير الذي قضاه له كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه كما أن الله تعالى إذا أراد أن يشبع عبداً أو يرويه ألهمه أن يأكل أو يشرب، وإذا أراد أن يتوب على عبد ألهمه أن يتوب فيتوب عليه»[١].

وقال الخطابي رحمه الله: «ومن أبطل الدعاء: فقد أنكر القرآن، ورده ولا خفاء

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٠٥.

بفساد قوله وسقوط مذهبه»[(١)].

٧ - حكم الدعاء للمشركين:

الدعاء للمشركين منه ما يكون ممنوعا ومنه ما يكون جائزا ويتضح ذلك بما يلي:

١ـ ما يمنع منه كالدعاء بالمغفرة للمشركين، وذلك لقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

وجاء في سبب نزولها أن علياً ﷺ قال: «سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: أتستغفر لأبويك وهما مشركان!؟ فقال: أوَليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[(٢)].

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «الصلاة على الكافر والدعاء له بالمغفرة حرام بنص القرآن والإجماع»[(٣)].

وكذلك من زار قبورهم فإنه لا يدعو لهم.

قال الإمام ابن باز رحمه الله: «أما قبور الكفار فلا مانع من زيارتها للذكرى والاعتبار، ولكن لا يُدعى لهم ولا يستغفر لهم، لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه استأذن ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له واستأذنه أن يزور قبرها فأذن له، وذلك أنها ماتت في الجاهلية على دين قومها»[(٤)].

---

(١) شأن الدعاء ص ٩، مدارج السالكين ٣/ ١٠٦، ١١٠.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٠١)، والنسائي (٢٠٣٨).

(٣) المجموع للنووي ٥/ ١٤٤ ـ ٢٨٥. وانظر تعليقا نافعاً للألباني حول هذه المسألة في كتاب الجنائز ص ٩٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ص٧٨٢.

٢ ـ الجائز منها كالدعاء للمشركين بالهداية فهذا جائز، فقد ثبت في البخاري أن الطفيل بن عمرو قدم على الرسول ﷺ فقال: «يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت فادع عليها. فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال: «اللهم اهد دوسا وائت بهم»[١]. ومنهم من يخصص ذلك بمن تُرجى هدايته.

وكان أبو هريرة يدعو أمه للإسلام وهي مشركة فأبت عليه فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكرهه، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. قال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة». وفي ختام الحديث قال أبو هريرة للرسول ﷺ: «قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا»[٢].

٨ - حكم دعاء غير الله:

دعاء غير الله شرك أكبر[٣]، سواء طَلَبَ ميتاً أو بعيداً عن الداعي واعتقد أنه يعلم الغيب، أو أن له تصرفاً في الكون[٤]، أو طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله كغفران الذنب، وهداية القلوب، وإنزال الغيث، وإنبات النبات، وكشف الضر الذي لا يكشفه إلا الله فهذا كله شرك أكبر[٥].

قال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ رحمه الله: «إسناد الخطاب إلى غير الله في شيء من الأمور بياء النداء إذا كان يشتمل على رغبة أو رهبة، فهذا هو الدعاء الذي صرفه لغير الله شرك»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤).

(٢) مسلم(٢٤٩١).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٨٧، صيانة الإنسان ص١٥٩.

(٤) الصارم المنكي ص٢١٠، شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥١.

(٥) مجموع الفتاوى ١/ ١٠٩، ٢٧/ ٧٢. صيانة الإنسان ص١٥٤.

(٦) الدرر السنية ١ / ٥٤١.

وفي تيسير العزيز الحميد يقول الشيخ سليمان بن عبدالله قال: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة السنية: «فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يقول: ياسيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني أو اجبرني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل».

وقد نص الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المقريزي صاحب كتاب «الخطط» في كتاب له في التوحيد على: «أن دعاء غير الله شرك».

وقال شيخ الإسلام: «من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم يدعوهم ويسألهم، كفر إجماعا، نقله عنه غير واحد مقررين له، منهم ابن مفلح في «الفروع» وصاحب «الإنصاف» وصاحب «الغاية» وغيرهم»»[١].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فثبت أن الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، فإن لم يكن الاشراك فيه شركا، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله»[٢].

وقال ابن باز رحمه الله: «من أمثلة دعاء الجن أن يقول: افعلوا كذا، أو أعطوني كذا، أو افعلوا بفلان كذا. وهكذا من يدعو أصحاب القبور، أو يدعو الملائكة ويستغيث بهم، أو ينذر لهم فهذا كله من الشرك الأكبر نسأل الله السلامة والعافية»[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٢٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٢١.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص١٠٧٠.

وقال ابن سعدي: «ومن دعا غير الله من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر»[١].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا. ومن دعا حيا بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان اطعمني يا فلان اسقني فلا شيء فيه، ومن دعا ميتا أو غائبا بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً»[٢].

٩ - الفرق بين الدعاء والاستعانة:

بين دعاء المسألة والاستعانة تشابه كبير حتى قيل أنهما مترادفان وبالنظر والتأمل يتبين أن الدعاء أعم من الاستعانة.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة أن الاستغاثة هي طلب كشف الشدة.

يقول الشيخ عبدالرحمن قاسم رحمه الله: «والفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، وأما الدعاء فهو أعمُّ منها؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعـاء استغاثة»[٣].

١٠ - الفرق بين الدعاء والنداء:

يثير القبوريون شبهة التفريق بين الدعاء والنداء ليخلصوا بذلك إلى أن مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته وتأثيره ليس عبادة ولو كان ميتا أو غائباً[٤].

---

(١) القول السديد ص٥١.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥١، ٥٢.

(٣) انظر حاشية كتاب التوحيد ص ١١٣.

(٤) الدرر السنية ١٢/ ٣٨، القول الفصل النفيس ص٢٩.

وهذا تمويه وتضليل ودعاوى باطلة. من فعله فقد أشرك بالله إذا كان نداؤه متضمناً الدعاء والطلب لأن من نادى غائبا أو ميتا على هذا الوجه فإنه يدعوه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «ومما يوضح ترادف النداء والدعاء وأنهما بمعنى واحد، ما أخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام بقولـــه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦] فأخلص القصد لله بندائه في كربه وشدته فاستجاب الله له. وقال في الآية الأخرى ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. فسماه تعالى دعاء»[١].

وقال الشيخ أبا بطين رحمه الله: «ومن العجب قول بعض من ينسب إلى علم ودين، أن طلبهم من المقبورين والغائبين ليس دعاء لهم بل هو نداء، أفلا يستحي هذا القائل من الله إذا لم يستح من الناس من هذه الدعوى الفاسدة السّمجة التي يروج بها على رعاع الناس. والله سبحانه وتعالى قد سمى الدعاء نداء، كما في قولـــه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، وقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وأي فرق بين ما إذا سأل العبد ربه حاجة، وبين ما إذا طلبها من غيره ميت أو غائب، بأن الأول يسمى دعاء والثاني نداء؟ وما أسمج هذا القول وأقبحه. وهو قول يُستحَى من حكايته لولا أنه يروج على الجهال»[٢].

١١ - دعاء أصحاب القبور وطلب الحوائج منهم:

هذا من أعظم ما ابتدع عند القبور حيث إن من أصحاب البدع من يستغيث بالأموات، ويطلب منهم الحاجات الدينية أو الدنيوية.

---

(١) القول الفصل النفيس ص ٢٩، ٣٠ للشيخ عبد الرحمن بن حسن.

(٢) الانتصار ص ٢٥.

يسأل أحدهم المقبور الميت كما يسأل الحي الذي لا يموت، يقول: يا سيدي فلان اغفر لي وارحمني وتب عليّ، أو يقول: اقضي عني الدين، اشف مريضي، وانصرني على فلان، ونحو ذلك[1].

ولا شك أن هذه الأعمال ونحوها شرك أكبر، مخرج من الملة موجب للخلود في النار لمن مات عليه.

وفي تيسير العزيز الحميد يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «شرح المنازل»: «من أنواعه أي: الشرك، طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم».

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب كتاب «الفنون»: «لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار لهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، أو إلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزّى. نقله غير واحد مقررين له، راضين به منهم الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، والإمام ابن مفلح صاحب كتاب«الفروع» وغيرهما»[2].

وهذا كله من حيل الشيطان وكيده الذي يتدرج بالجهال وضعفاء العقول للوصول بهم إلى هذه الغاية، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته ومسجده، وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى: من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٤٢ بتصرف وانظر كتاب التبرك ص ٣٩٤.

(٢) مستفاد من تيسير العزيز الحميد ص ٢٢١.

عليه، أو يسأل بأحد من خلقه، وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك(١).

١٢ – أحوال سؤال السائل للميت:

يتعلق بعض الناس بالأموات ويعلق دعاءه بهم، ولذلك أحوال، فمنهم من يسأل الميت حاجته، ومنهم من يسأل الله تعالىٰ بالميت، ومنهم من يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، ومنهم من يطلب من الميت الدعاء، وسنفصل الكلام في الأحوال السابقة:

الحالة الأول: من يسأل الميت حاجته. وهؤلاء من جنس عباد الأصنام وقد قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٦-٥٧]. ومثاله الاستغاثة بغير الله، كأن يقول: ياسيدي فلانا أغثني، أدركني، أعني، أو ارزقني، انصرني علىٰ عدوي، أو علىٰ من ظلمني، مددا يا سيدي، شيئا لله يا أهل الله، نظرة إلينا بعين الرضا، أو أنا في حسبك، وغير ذلك من الصور الكثيرة؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل. قال ابن باز: «أما دعاء الميت والاستغاثة به وطلب المدد منه فكل ذلك من الشرك الأكبر. وهو من عمل عباد الأوثان في عهد النبي ﷺ من اللات والعزىٰ ومناة وغيرها من أصنام الجاهلية وأوثانها»(٢).

الحالة الثانية: أن يسأل الله تعالىٰ بالميت. وهو من البدع المحدثة في الإسلام وهذا ليس كالذي قبله فإنه لا يصل إلىٰ الشرك الأكبر. فقول بعض الناس: أتوسل إليك بنبيك، أو بأنبيائك، أو بملائكتك، أو بالصالحين من عبادك، أو بحق الشيخ

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٦.

(٢) الفتاوىٰ ص ٧٤٧.

فلان، أو بحرمته، أو أتوسل إليك باللوح والقلم، وغير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم كل هذه الأمور من البدع المحدثة المنكرة[(١)].

الحالة الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك فإن هذا من المنكرات إجماعا ولم نعلم في ذلك نزاعا بين أئمة الدين. وهذا أمر لم يشرعه الله، ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة، ولا التابعين ولا أئمة المسلمين، وأصحاب رسول الله ﷺ قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب ولم يجيئوا عند قبر النبي ﷺ بل خرج عمر بالعباس فاستسقى بدعائه وقد كان السلف ينهون عن الدعاء عند القبور[(٢)].

الحالة الرابعة: أن تطلب من الميت أن يدعو لك[(٣)]. ومثاله أن يقال للميت من الأنبياء أو الصالحين: ادع الله لي، أو سله لي، أو ما شابه ذلك.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا لم يشرع دعاء الملائكة لم يشرع دعاء من مات من الأنبياء والصالحين ولا أن نطلب منهم الدعاء والشفاعة وإن كانوا يدعون ويشفعون لوجهين:

أحدهما: أن ما أمرهم الله به من ذلك هم يفعلونه وان لم يطلب منهم وما لم يؤمروا به لا يفعلونه ولو طلب منهم فلا فائدة فى الطلب منهم.

الثانى: أن دعاءهم وطلب الشفاعة منهم فى هذه الحال يفضى الى الشرك بهم

---

(١) انظر صيانة الإنسان ص٢٠٤.

(٢) انظر للاستزادة الرد على البكري ص٥٧، أحكام الجنائز للألباني ص١٩٤، إغاثة اللهفان ص ٢١٧، صينة الإنسان ص٢٠٤-٢٠٥.

(٣) انظر هذه المسألة في كتاب فتوى في زيارة القبور لابن تيمية ص ١٨. شفاء الصدور ص١٢٥ـ١٢٦. ومجموع الفتاوى ٢٧/٧٦، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٩١، وصيانة الإنسان ص١٨٦، ٢٠٦، ٢٣٨، ٢٩٠. كشف ما ألقاه إبليس ص١٣١، ٢١٣ مصباح الظلام ص٢٥٨.

ففيه هذه المفسدة فلو قدر أن فيه مصلحة لكانت هذه المفسدة راجحة فكيف ولا مصلحة فيه بخلاف الطلب منهم في حياتهم وحضورهم فإنه لا مفسدة فيه؛ فإنهم ينهون عن الشرك بهم بل فيه منفعة، وهو أنهم يثابون ويؤجرون على ما يفعلونه حينئذ من نفع الخلق كلهم فإنهم في دار العمل والتكليف وشفاعتهم في الآخرة فيها إظهار كرامة الله لهم يوم القيامة»[١].

وذكر المراتب الثلاث في الأدعية البدعية عند القبور ثم قال: «الثانية: أن يقال للميت أو الغائب من الأنبياء والصالحين ادع الله لي أو ادع لنا ربك، أو اسأل الله لنا كما تقول النصارى لمريم وغيرها، فهذا أيضاً لا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الأمة، وإن كان السلام على أهل القبور جائزاً ومخاطبتهم جائزة كما كان النبي يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يغفر الله لنا ولكم، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم»[٢].

وقال رحمه الله بعد ذلك: «... فعلم أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئاً لا يطلب منه أن يدعو الله له ولا غير ذلك، ولا يجوز أن يشكي إليه شيء من مصائب الدنيا والدين، ولو جاز أن يشكي إليه ذلك في حياته فإن ذلك في حياته لا يفضي إلى الشرك وهذا يفضي إلى الشرك لأنه في حياته مكلف أن يجيب سؤال من سأله لما له في ذلك من الأجر والثواب وبعد الموت ليس مكلفاً بل ما يفعله من ذكر لله تعالى ودعاء ونحو ذلك، كما أن موسى يصلي في قبره وكما صلَّى الأنبياء خلف النبي ﷺ ليلة المعراج ببيت المقدس، وتسبيح أهل الجنة والملائكة. فهم يمتعون

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٨٠، ١٨١.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٠، ٣٥١.

بذلك وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسره الله لهم ويقدره لهم ليس هو من باب التكليف الذى يمتحن به العباد.

وحينئذ فسؤال السائل للميت لا يؤثر فى ذلك شيئاً؛ بل ما جعله الله فاعلا له هو يفعله وإن لم يسأله العبد؛ كما يفعل الملائكة ما يؤمرون به، وهم إنما يطيعون أمر ربهم لا يطيعون أمر مخلوق كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧] فهم لا يعملون إلا بأمره سبحانه وتعالى.

ولا يلزم من جواز الشىء فى حياته جوازه بعد موته، فإن بيته كانت الصلاة فيه مشروعة وكان يجوز أن يجعل مسجداً، ولما دفن فيه حرم أن يتخذ مسجداً كما فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ـ يحذر ما فعلوا ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً. وفى صحيح مسلم وغيره عنه أنه ﷺ قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، وقد كان ﷺ فى حياته يصلى خلفه وذلك من أفضل الأعمال، ولا يجوز بعد موته أن يُصلى الرجل خلف قبره وكذلك فى حياته يطلب منه أن يأمر وأن يفتى وأن يقضى، ولا يجوز أن يطلب ذلك منه بعد موته وأمثال ذلك كثير»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «فلا يقول أحد: يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا، أو يهدينا. وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله، يا رسول الله! ادع الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي، سل الله لي أن يغفر الله لي أو يهديني أو ينصرني أو يعافيني، ولا يقول أشكو إليك ذنوبي

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٤، ٣٥٥.

أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني... فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته»[١].

وقال رحمه الله: «وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول ادع لنا ولا اسأل لنا ربك ولم يفعل هذا أحد من الصحابة والتابعين ولا أمر به أحد من الأئمة ولا ورد فيه حديث بل الذى ثبت فى الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» فيسقون ولم يجيئوا إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم قائلين يا رسول الله: «ادع الله لنا واستسق لنا ونحن نشكوا إليك مما أصابنا ونحو ذلك لم يفعل ذلك أحد من الصحابة قط بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان»[٢].

وقال أيضاً: «وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ﷺ، ولا قبر الخليل، ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جدب الزمان أو قوة العدو أو كثرة الذنوب، ولا يقول: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أوينصرهم أو يغفر لهم بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين. وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة، وهي ضلالة باتفاق المسلمين»[٣].

وقال في الاقتضاء: «فإذا كان النبي ﷺ قد نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء

---

(١) القاعدة الجليلة ص٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٧٦ ومثله في مختصر الفتاوى المصرية ص١٨٨، ١٨٩.

(٣) القاعدة الجليلة ص٢٨.

لله وحده خالصاً عند القبور لئلا يفضي ذلك إلىٰ نوع من الشرك بربهم فكيف إذا وجد ما هو نوع[١] الشرك من الرغبة إليهم سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله تعالىٰ»[٢].

وقال أيضاً: «ومن رحمة الله تعالىٰ أن الدعاء المتضمن شركاً كدعاء غيره أن يفعل أو دعائه أن يدعو ونحو ذلك ـ لا يحصل به غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض إلا في الأمور الحقيرة فأما الأمور العظيمة كإنزال الغيث عند القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك...»[٣].

وقال رحمه الله: «المرتبة الثالثة: أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف أنهم خرّوا له سجداً وكذلك سجد له أبواه وهذا السجود ليس مشروعاً لنا فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد حتىٰ قال النبي ﷺ: «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها»...»[٤].

قال الشيخ بكر أبو زيد مبيِّناً الصور الشركية والبدعية للاعتداء في الدعاء: «النوع الثاني: سؤال حيٍّ لميت بأن يدعو الله له، وفي هذا النوع فرعان:

١ - سؤال حي لميت، وهو غائب عن قبره، بأن يدعو الله له.

وهذا النوع لا يختلف المسلمون بأنه شرك أكبر، وأنه من جنس شرك النصارىٰ في مريم وابنها ـ عليهما السلام ـ بدعائهما، وأنهما يعلمان ما يفعله العباد حسب مزاعم النصارىٰ.

---

(١) في ط/ ففي «عين».

(٢) الاقتضاء ٢/ ٧٨٠. وفي ط/ فقي ص ٤٠٦.

(٣) الاقتضاء ٢/ ٧٠٢.

(٤) الرد علىٰ البكري لابن تيمية ص ٥٧.

٢- سؤال حي لميت بحضرة قبره بأن يدعو الله له. مثل قول عُبَّاد القبور مخاطبين لها: «يا فلان، ادع الله لي بكذا أو كذا» أو «أسألك أن تدعو الله لي بكذا وكذا».

فهذه لا يختلف المسلمون بأنها وساطة بدعية ووسيلة مفضية إلى الشرك بالله، ودعاء الأموات من دون الله، وصرف القلوب عن الله تعالى، لكن هذا النوع يكون شركاً أكبر في حال ما إذا أراد الداعي من صاحب القبر الشفاعة، والوساطة الشركية، على حدِّ عمل المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]»[1].

فمن كان بهذا يقصد طلب الشفاعة من صاحب القبر معتقداً أن له حظوة وخاصية عند الله كما تكون للخادم عند الملك فهو كافر بالله العظيم.

قال الإمام ابن تيمية: «وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه فالله إنما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر، مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مُشَبِّهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أنداداً، وفى القرآن من الرد على هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوى.

فإن الوسائط التى بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة:

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بتلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع البصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا

(١) تصحيح الدعاء ٢٥٠، ٢٥١.

يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه.

والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء:١١١] وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك، والله تعالى ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

والوجه الثالث: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والإحسان اليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه...»[١].

قال الإمام ابن تيمية: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٦-١٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٤.

وقال الشيخ صالح الفوزان: «أما اتخاذ الأنبياء والعلماء وسائط عند الله في قضاء الحاجات وقبول الدعوات فهي وساطة باطلة ومن أثبتها فهو كافر بالله ﷻ؛ لأن الله لم يجعل بيننا وبينه وسائط في هذا الشأن، بل حكم بكفر من اعتقد ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]»[1].

١٣ - شبهة:

قال الإمام ابن تيمية: «ومنهم من يتأول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] ويقولون إذا طلبنا منه الإستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبى ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين فى كتبهم وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخرى الفقهاء وحكوا حكاية مكذوبة على مالك ؓ سيأتى ذكرها وبسط الكلام عليها إن شاء الله تعالى، فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفى مغيبهم وخطاب تماثيلهم هو من أعظم أنواع الشرك الموجود فى المشركين من غير أهل الكتاب وفى مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾، فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفى مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم فى هذه الحال ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم، هو من الدين الذى

---

(١) أضواء على فتاوى ابن تيمية ص٧٣.

لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً وليس هو واجباً ولا مستحبا باتفاق المسلمين ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات، فهذا كله من الشيطان»[1].

وحكم الدعاء بجاه النبي ﷺ بدعة كما قررنا ذلك في باب التوسل[2]. **فراجعه هنالك ففيه زيادة إيضاح.**

١٤- فائدة:

لا يلزم لمن زار المقابر الزيارة الشرعية أن يستقبل القبلة حال الدعاء للميت أو السلام عليه.

وقد سُئل الشيخ ابن باز رحمه الله السؤال الآتي:

س: هل ينهى عن استقبال القبر حال الدعاء للميت؟.

فأجاب: «لا يُنهى عنه؛ بل يُدعى للميت سواء استقبل القبلة أو استقبل القبر؛ لأن النبي ﷺ وقف على القبر بعد الدفن وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل». ولم يقل استقبلوا القبلة، فكله جائز سواء استقبل القبلة أو استقبل القبر، والصحابة رضي الله عنهم دعوا للميت وهم مجتمعون حول القبر»[3].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله السؤال التالي: «فضيلة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ **هل يشرع استقبال القبلة عند السلام على الميت؟.**

فأجاب فضيله بقوله: لا، يسلم على الميت تجاه وجهه ويدعو له وهو قائم هكذا بدون أن ينصرف إلى القبلة»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٥٩.

(٢) انظر أيضاً: مجموع الفتاوى ٢٧/ ٨٣، وصيانة الإنسان ص٢٠١.

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١٣/ ٣٣٨.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٧/ ٣٣٣.

١٥ - مسألة: الدعاء عند قبر النبي ﷺ:

إذا دعا عند قبر الرسول ﷺ أو غيره معتقداً أن دعاءه مستجاب لقرب القبر أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعا بين أئمة الدين»[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله في حكم الدعاء عند القبر النبوي: «ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه فإن هذه بدعة ولم يكن أحد من الصحابة يقف عند القبر يدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده»[(٢)].

وقال أيضاً: «ومذهب الأئمة الأربعة: مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الإسلام أن الرجل إذا سلم على النبي ﷺ، وأراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة»[(٣)].

هيئة الداعي عِندَ قبر النبي ﷺ:

قال ابن القيم رحمه الله: «ولقد جرّد السلف الصالح التوحيد، وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلّم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء، استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر، ثم دعا، فقال سلمة بن وردان: «إن أنس بن مالك رضي الله عنه يسلّم على النبي ﷺ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر، ثم يدعو». ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء، حتى لا يدعو عِنْدَ القبر، فإن الدعاء عبادة»[(٤)].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «والمقصود أن الصحابة ما كانوا يعتادون الصلاة

---

(١) الرد على البكري ٥٢.

(٢) اقتضاء الصراط ٢/ ٦٨١. وللاستزادة حول هذه المسألة انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٣١١، ومرقاة المفاتيح ٢/ ٤٠٧، كتاب أحكام الجنائز ص١٩٤.

(٣) القاعدة الجليلة، في التوسل والوسيلة ص ١٢٥.

(٤) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠١.

والسلام عليه عِنْدَ قبره، كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان عضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر، كما كان ابن عمر ﷺ يفعل، قال عبيد بن عمر عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف.

قال عبيد الله: «ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر»، وهذا يدل على أنه لا يقف عِنْدَ القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام: «إن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة» وفي «المبسوط» قال مالك: «لا أرى أن يقف عِنْدَ قبر النبي ﷺ ولكن ليسلم ويمضي».

والحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال لمالك: «يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أو أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك». فهذه الرواية ضعيفة، أو موضوعة؛ لأن في إسنادها من يتهم ـ محمد بن حميد ـ ومن يجهل حاله.

ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد التحية والسلام عليه، فظاهر هذا أنه يقف للدعاء بعد السلام.

وذكر أصحاب مالك أنه يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره. وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر»[1].

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٩.

١٢٥- الدهر*

يتعلق الكلام هنا بسب الدهر، والسب: الشتم، والتقبيح، والذم، وما أشبه ذلك، والدهر: الزمان والوقت[١]. والمراد بسب الدهر نسبة ما يصيبهم من المكاره التي تنزل بهم إليه، وشتمه؛ وسبب ذلك اعتقادهم أنه الطارق بالنوائب، فكانوا يقولون: أهلكنا الدهر، وأصابتنا قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وبؤساً للدهر، وتباً له ونحو ذلك[٢].

ويشبهه في وقتنا الحاضر قولهم: تباً لهذا الزمان، وأهلكنا هذا الزمان، ولعن الله اليوم أو الساعة التي جرىٰ فيها كذا وكذا، ولعن الله الزمان الذي جرىٰ فيه كذا وكذا[٣].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٨/ ١٥١، ١٥٢. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣٠٣. سنن البيهقي ٣/ ٣٦٥، شرح السنة ٢/ ٣٧٥، أحكام القرآن ١٤/ ٢٣٧، ١٦/ ١٧١. فتاوىٰ ابن تيمية ٢/ ٤٩٣. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٢١، فتح الباري ٨/ ٤٣٨، عمدة القاري ١٦/ ٩، تيسير العزيز الحميد ٦١٣. فتح المجيد ص٥٠١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١١. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٨٢٣. والقول المفيد ط١- ٢/ ٣٥١ ط٢- ٢/ ٤٢٢. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٣. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ١٥. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٤٨٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٥٤٣. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ١٦٣، ١٩٧. عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ص١٨٧. شرح مسائل الجاهلية ص٦٥. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٨٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٩٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٤٧٦. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٣٤٣.

(١) مختار الصحاح (د هـ ر).

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٤٦، الفائق في غريب الحديث ١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠، معالم السنن ٨/ ١١٨، شأن الدعاء للخطابي ١٠٨، وانظر المسائل التي خالف فيها الرسول ﷺ أهل الجاهلية للسعيد ١/ ٤٧٦.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٤٩٣.

* الدليل من الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٤].

* الدليل من السنة: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالىٰ: يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر. فلا يقولن أحدكم: ياخيبة الدهر، فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتها»[(١)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالىٰ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، أُقَلِّبُ الليل والنهار»[(٢)]، وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

وقد أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ فيسبون الدهر، فقال الله تعالىٰ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أُقَلِّبُ الليل والنهار»[(٣)].

قوله: «وأنا الدهر» قال الخطابي: «معناه: أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التي ينسبونها إلىٰ الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلىٰ ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور»[(٤)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «قوله في الحديث «بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» يبين أنه ليس المراد به أنه الزمان فإنه قد أخبر أنه يقلب الليل والنهار والزمان هو الليل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٥/ ١٥٢.

(٤) فتح الباري ٨/ ٥٧٥.

والنهار فدل نفس الحديث على أنه هو يقلب الزمان ويصرِّفه كما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٣، ٤٤]»[١].

وقال رحمه الله: «وأصل هذا الخبر أنه ورد على سبب وهو أن الجاهلية كانت تقول أصابني الدهر في مالي بكذا ونالتني قوارع الدهر ومصائبه فيضيفون كل حادث يحدث بما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه وتقديره من مرض أو صحة أو غنى أو فقر أو حياة أو موت إلى الدهر ويقولون لعن الله هذا الدهر والزمان ولذلك قال قائلهم:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقال تعالى: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠]. أي ريب الدهر وحوادثه وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].فأخبر عنهم بما كانوا عليه من نسبة أقدار الله وأفعاله إلى الدهر فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر» أي: إذا أصابتكم المصائب لا تنسبوها إليه فإن الله هو الذي أصابكم بها لا الدهر وأنكم إذا سببتم الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر.

وقال أبو بكر الخلال سألت إبراهيم الحربي عن قول النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر»[٢]. وعن: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»[٣] قال كانت الجاهلية تقول: الدهر هو الليل والنهار يقولون الليل والنهار فعل بنا كذا فقال الله تعالى أنا أفعل ليس الدهر»[٤].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولهذا قال في الحديث: «وأنا الدهر بيدي

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٤٩١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤٦)، ومسلم(٦١٨١).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/ ١٢٦،١٢٥.

الأمر أُقَلِّبُ الليل والنهار»، وفي رواية لأحمد: «بيدي الليل والنهار أُجِدّهُ وأبليه وأذهب بالملوك»، وفي رواية: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر، الأيام والليالي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك»، قال الحافظ: وسنده صحيح. فقد تبين بهذا خطأ ابن حزم في عده الدهر من أسماء الله الحسنى، وهذا غلط فاحش، ولو كان كذلك لكان الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] مصيبين»[(١)].

❖ **وسب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

الأول: أن يصف الدهر بالشدة أو الغلظة ويقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده وما أشبه ذلك، لأن الأعمال بالنيات ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود:٧٧][(٢)]. ومنه أيضا قوله تعالى ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت:١٦] ويدخل فيه أيضا قول القائل: عام الحزن وعام المجاعة لأنه من باب الإخبار.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «وأما وصف الدهر بالشدة والرخاء والخير والشر فلا بأس بذلك كقوله سبحانه: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، وقوله: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ وقوله ﷺ: «لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه»، والأدلة على ذلك كثيرة جداً»[(٣)].

الثاني: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن

(١) تيسير العزيز الحميد ٦١٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٢٣. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ٣٥١. وفتح المجيد ص٥٠٤.

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٢.

يعتقد بسببه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلىٰ الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً لأنه نسب الحوادث إلىٰ غير الله وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهاً يستحق أن يعبد، فإنه كافر»(١).

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاد أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم، ولا يصل إلىٰ درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين، لأن حقيقة سبه تعود إلىٰ الله سبحانه، لأن الله تعالىٰ هو الذي يصرف الدهر ويكون فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلاً، وليس هذا السبب يُكفِّر، لأنه لم يسب الله تعالىٰ مباشرة(٢).

ويدخل في ذلك من الأمثلة قولهم: هذا يوم أسود علىٰ وجه التضجر ويوم أغبر أو قولهم هذا يوم شؤم وغير ذلك من الأمثلة.

قال ابن حجر: «قال المحققون: من نسب شيئاً من الأفعال إلىٰ الدهر حقيقة كفر، ومن جرىٰ هذا اللفظ علىٰ لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر، لكنه يكره له ذلك، لشبهه بأهل الكفر في الإطلاق. وهو نحو التفصيل الماضي في قولهم: مطرنا بكذا»(٣).

وقال أيضا نقلاً عن الشيخ أبي محمد بن أبي حمزة: «لا يخفىٰ أن من سب الصنعة فقد سب صانعها، فمن سبّ نفس الليل والنهار أقدم علىٰ أمر عظيم بغير معنىٰ، ومن سب ما يجري فيهما من الحوادث، وذلك هو أغلب ما يقع من الناس، وهو الذي يعطيه سياق الحديث، حيث نفىٰ عنهما التأثير، فكأنه قال: لا ذنب لهما في ذلك. وأما الحوادث فمنها ما يجري بواسطة العاقل المكلف فهذا

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٨٢٣. وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ٣٥١.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٨٢٣.وانظر القول المفيد ط١ - ٢/ ٣٥١.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٥٦٦.

يضاف شرعا ولغة إلىٰ الذي جرىٰ علىٰ يديه، ويضاف إلىٰ الله تعالىٰ لكونه بتقديره، فأفعال العباد من أكسابهم، ولهذا ترتّبت عليها الأحكام، وهي في الابتداء خلق الله. ومنها ما يجري بغير وساطة، فهو منسوب إلىٰ قدرة القادر، وليس للّيل والنهار فعل ولا تأثير لا لغة ولا عقلاً ولا شرعاً، وهو المعنىٰ في هذا الحديث، ويلتحق بذلك ما يجري من الحيوان غير العاقل»[1] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقاً، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام.

كقول المعتز:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحدا ... وأنت والد سوء تأكل الولدا

وقول أبي الطيب:

قبحاً لوجهك يا زمان كأنه ... وجه له من كل قبح برقع

وقال الحريري:

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنىٰ عليه ونابه

ونحو هذا كثير. وكل هذا داخل في الحديث»[2].

ومن ذلك أيضاً قول الأعشىٰ بكر:

يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما ليس تعقبنا ... يا دهر ما أنصفتنا في الحكم[3]

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٦٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٦١٥، ٦١٦.

(٣) ملحقات ديوان الأعشىٰ ص٢٥٨، غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٤٦. وانظر: المسائل التي خالف فيها الرسول أهل الجاهلية ١/ ٤٧٨.

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

أحدها: سبه من ليس أهلاً للسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره، مذلل لتسخيره، فسابه أولىٰ بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطىٰ من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان. وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جداً. وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع علىٰ من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السموات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه، وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم الدهر مسبة لله عز وجل، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالىٰ... فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من إحداهما: إما مسبة الله أو الشرك به، فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله فهو يسب الله تعالىٰ»[1].

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «وأما سبّ الدهر فهو الذي وردت الأدلة بالنهي عنه والتحذير منه وتحريمه»[2].

* **فائدة**: أشار ابن أبي حمزة إلىٰ أن النهي عن سب الدهر تنبيه بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ، وأن فيه إشارة إلىٰ ترك سب كل شيء مطلق، إلا ما أذن الشرع فيه؛ لأن العلة واحدة.

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٣٥٤، ٣٥٥، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص٦١٦.

(٢) فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٧٢.

١٢٦- الــدين*

هو الإسلام وهو الطاعة والتوحيد وجميع ما يتعبد به وكل هذا حق الله وحده لا يصرف إلا له قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وفي حديث الخوارج: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية). قال الخطابي: «أراد بالدين الطاعة»[(١)].

وسمي دين الإسلام توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له.

قال الراغب: «والدين كالملّة لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء:١٢٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران:٨٣] يعني الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

* **الدليل من السنة:** قوله ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة... إلى أن قال... فيقولان له:

---

* لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٣٠. فتح الباري لابن رجب ١/ ٩٨. الدرر السنية ١/ ٢٠١، ١٢/ ٣٧٧، مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ١٩١. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص١٦. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٥/ ٩٩ـ ٧/ ١٦.

(١) النهاية ٢/ ١٤٩.

(٢) المفردات ١٧٥.

من ربك؟ فيقول ربي الله. فيقولان له: ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هو رسول الله ﷺ»[١].

والدين له مراتب ثلاث وهي: الإسلام، الإيمان، الإحسان[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدين يتضمن معنى الخضوع والذل، يقال دنته فدان أي: أذللته، فذل، ويقال ندين الله وندين لله أي نعبد الله ونطيعه ونخضع له. فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له»[٣].

وقال أيضاً رحمه الله: «وجماع الدين أصلان: أن لا يُعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع لا يعبد بالبدع كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله.

ففي الأولى أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، وقد بين لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة، قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢]. وكما أنا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا في الله ولا نستعين إلا بالله وأن لا تكون عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٧٣٣).

(٢) انظر إليها في المعجم.

(٣) كتاب العبودية ص٦.

(٤) العبودية ص٣٥.

قال الطحاوي: «ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس»[(١)] وعلق عليه شارح الطحاوية بقوله: «ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»، وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٨٥]عامّ في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصل هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعجمي، وذكي وبليد، أن يدخل فيه بأقصر زمان، وأنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله تعالى، أو ردّ لما أنزل، أو شك فيما نفى عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والدين الإسلامي متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صالحا لكل زمان ومكان وأمة، ومعنى كونه صالحا لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان أو مكان، بل هو صلاحها، وليس معناه أنه خاضع لكل زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهى عن كل عمل سيء، فهو يأمر

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الدكتور التركي ٢/ ٧٨٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق الدكتور التركي ٢/ ٧٨٦، ٧٨٧.

بكل خلُق فاضل، وينهى عن كل خلُق سافل»(١).

فوائـد:

١ - كل عبادة يقوم بها الإنسان تسمى ديناً ولو كانت عبادة باطلة ولا يقبل الله من ذلك إلا الدين الحق وهو دين الإسلام وفي ذلك يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «كل ما يدين به الناس ويتعبدون به يسمى ديناً، وإن كان باطلا كالبوذية والوثنية واليهودية والهندوسية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة قال سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦].

فسمَّى ما عليه عبَّاد الأوثان ديناً، والدين الحق هو الإسلام وحده، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

والإسلام هو عبادة الله وحده دون كل ما سواه، وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما كان وما يكون، وليس شيء من الأديان الباطلة منزلاً من عند الله ولا مرضيا له، بل كلها محدثة غير منزلة من عند الله»(٢).

٢ - الفرق بين الدين والملة والمذهب:

قال الجرجاني: «الدين والملة: متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع، تسمى: ديناً، ومن حيث إنها تجمع، تسمى: ملة، ومن

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص٥١٣.

حيث إنها يرجع إليها، تسمى مذهباً»[١].

وقيل: الفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد[٢].

قال الراغب: «ولا تستعمل الملة إلا في جملة الشرائع دون آحادها، فيقال: ملة الإسلام ولا يقال ملة الصوم، لكن الدين يستعمل في جملةالشرائع وآحادها فيقال: دين الإسلام، ويقال الصوم دين، والصلاة دين، وحب الصحابة دين».

(١) التعريفات ص١٤١.

(٢) المصدر السابق.

١٢٧- الذبح *

الذبح في اللغة: القطع أو الشق أو ما دل عليه.

وفي الشرع: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص[(١)]، والذبح إذا وقع على سبيل التعظيم لله عبادة مالية وقربة بل من أعلى العبادات المالية[(٢)] بعد الزكاة فصرفه لله توحيد وصرفه لغير الله شرك أكبر يخرج من الملة.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. وقال سبحانه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

* الدليل من السنة: عن علي ﷺ قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن[(٣)]

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٥٣، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٧. مجموع الفتاوى ٢٦/ ٣٠٦. أحكام القرآن القرطبي ١/ ٤٣٣ ـ ٦/ ٧٧. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٨٨، ٢٥١. تيسير العزيز الحميد ص١٨٧. فتح المجيد ص١٦٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٦. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٢٠٦. والقول المفيد ط١- ١ / ٢١٥، ط٢-١/ ٢٧٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢١. الدرر السنية ٥/ ٧٣، ١٠/ ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٦٤، ١٢/ ٩١، فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١١٦. مجموع الفتاوى لابن باز ٢ / ٥٦١، ٥٧٣. ٢/ ٨٤٧، ٨٦٠. نور على الدرب ص١٨٥، ٣٦٨. معارج القبول ١/ ٣٣٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٤٨ـ٧/ ٢٧. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٨٩. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٥٠. شرح مسائل الجاهلية ص١٣٠. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٢٩، ١٧٦.

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٢.

(٢) انظر فتح المجيد ص١٦٧.

(٣) قال أبو السعادات: أصل اللعنة الطرد والإبعاد عن الله.اهـ. وقالوا: اللعنة: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها انظر: تيسير العزيز الحميد ١٩٠.

الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوىٰ مُحْدِثاً[١]، لعن الله من غَيَّر منار[٢] الأرض»[٣].

وعن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي قال: «دخل رجلٌ الجنة في ذباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذباب. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: مرّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتىٰ يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب قال: ليس عندي شيء. فقالوا له: قَرِّب ولو ذباباً، فقَرَّب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرِّب ذباباً، قال: ما كنت لأُقرِّبَ لأحد شيئاً من دون الله ﷻ فضربوا عنقه، فدخل الجنة»[٤].

---

(١) آواه: أي ضمَّه إليه، وحماه أن يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه (فتح المجيد ص١٧٠)، وأما «محدثاً» قال أبو السعادات: «المحدِث يروىٰ بكسر الدال وفتحها علىٰ الفاعل والمفعول، فمعنىٰ الكسر: من نصر جانياً أو آواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح: هو الأمرُ المُبتَدَع نفسُه، ويكون معنىٰ الإيواء فيه الرضىٰ به والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر عليها فاعلها ولم ينكر عليه، فقد آواه» النهاية لابن الأثير (ح د ث). قال ابن باز: «آوىٰ محدثا أي: من آوىٰ أهل البدع والمعاصي ونصرهم فإنه ملعون وكذلك من يمنع إقامة الحد عليهم ومنار الأرض أي: المراسيم التي تميز وتبين وتعرف حدود الأراضي وتدل عليها لما في تغييرها من المشاكل والمصائب والمقاتلة». مستفاد من شرح ابن باز علىٰ كتاب التوحيد.

(٢) قال النووي: منار الأرض بفتح الميم علامات حدودها. وقيل تغييرها أن يقدمها ويؤخرها فيكون هذا من ظلم الأرض الذي قال فيه ﷺ: «من ظلم شبرا من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين». رواه البخاري ومسلم. وانظر: تيسير العزيز الحميد ص١٩٣.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (٨٤) وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٠٣، عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً بسند صحيح. والحديث ذكره ابن القيم في الداء والدواء ص١٠٢ ط دار ابن خزيمة، وذكر ابن رجب في شرح العلل أن طارق بن شهاب من صبيان الصحابة ورأىٰ النبي ﷺ ولم يصح له سماع من الرسول ﷺ فروايته مرسلة. وانظر التهذيب ٥/ ٣.

أحكام وفوائد:

١- في قوله «قرب ولو ذباباً» ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنه مُكره وأن شرع من قبلنا لا يعذرون بالإكراه ويعضدون ذلك بقصة أصحاب الأخدود والحديث الذي فيه: «فيشق الرجل نصفين لا يرده عن دينه».

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنه فعل ذلك طواعية من غير إكراه لأن المكره له أن يكفر مع اطمئنان قلبه.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فإن قوله: «قرب ولو ذباباً» يقتضي أنه فعله قاصداً التقرب، أما لو فعله تخلصاً من شرهم فإنه لا يكفر لعدم قصد التقرب، ولهذا قال الفقهاء: لو أكره علىٰ طلاق امرأته فطلق تبعاً لقول المكرِه؛ لم يقع الطلاق، بخلاف ما لو نوىٰ الطلاق؛ فإن الطلاق يقع، وإن طلق دفعا للإكراه؛ لم يقع، وهذا حق لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

وظاهر القصة أن الرجل ذبح بنية التقرب ... ولو فعله بقصد التخلص ولم ينو التقرب لهذا الصنم لا يكفر لعموم قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾»[1].

٢- فائدة: في قوله تعالىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر:٢] قد جمع تعالىٰ بين هاتين العبادتين، اللتين هما أفضل العبادات وأفضل القربات لله. ففي قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ أي: أخلص لربك الصلاة، ونحر البدن ونحوها، علىٰ اسمه وحده.

فالصلاة: أفضل العبادات البدنية، والذبح أفضل العبادات المالية. وإنما كان الذبح أفضلها، لأنه يجتمع فيه أمران: الأول: أنه طاعة لله. والثاني: أنه بذل ماله

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٢٢٠. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢٢٨.

وطابت نفسه، والبذل مشترك في جنس المال، لكن زاد الذبح على غيره، من حيث أن الحيوانات محبوبة لأربابها. يوجد لذبحها ألم في النفوس من شدة محبتها، فإذا بذله لله، وسمحت نفسه بإيذاق الحيوان الموت، صار أفضل من مطلق العبادات المالية، وكذلك ما يجتمع له عند النحر، إذا قارنه الإيمان والإخلاص، من قوة اليقين، وحسن الظن بالله أمر عجيب، فصرفه لغير الله شرك أكبر[1].

٣ - أقسام الذبح من حيث الحكم الشرعي:

ذكر العلماء للذبح أقساماً منها ما هو عبادة، ومنها ما هو عادة، ومنها ما هو بدعة:

الأول: ما كان عبادة ويقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فصرفه لغير الله شرك، فلو تقرب بالذبح لشخص أو سلطان أو غيره لوقع في الشرك. قال الشيخ ابن عثيمين: «أن يقع الذبح عبادةً بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه؛ فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾»[2].

والذبح التعبدي يكون في أربعة أشياء: الأضحية، والعقيقة، والهدي، والإيفاء بالنذر وهذا القسم نوعان:

أ ـ ذبح واجب كالإيفاء بالنذر.

ب ـ وذبح مستحب كالأضحية على الصحيح وقد حكى ابن حزم إجماع الصحابة على أنها مستحبة غير واجبة كما في المحلى.

---

(١) انظر حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص٤٤، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/ ٥٣١، يسير العزيز الحميد ص ١٨٨.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٢.

* **حكم الذبح لغير الله:**

الذبح لغير الله شرك، وله ثلاث صور[1]:

١- شرك من جهة العبادة: كمن يذبح لغير الله فيتوجه بالذبح للبدوي أو المسيح، فمن ذبح لغير الله تقرباً أو تعظيماً فهو مشرك شركاً أكبر مخرج من الملة.

٢- شرك من جهة الاستعانة: وذلك إذا ذكر عند الذبح غير اسم الله.

٣- شرك في الاستعانة والعبادة: وذلك إذا ذبح باسم غير الله لغير الله، ومثال ذلك أن يذبح باسم البدوي للبدوي أو باسم عيسىٰ لعيسىٰ.

قال النووي: «وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالىٰ كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسىٰ أو لعيسىٰ صلىٰ الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام، ولا تحل الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نصَّ عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالىٰ والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً»[2].

قال شيخ الإسلام: «فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسم غيره في فواتح الأمور، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولىٰ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، الذين قد يتقربون إلىٰ الكواكب بالذبح والنجوم ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان»[3].

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ ص١٣٩-١٤٢.

(٢) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٣/ ١٤١.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص١٩١.

فالذبح لغير الله تقرباً أو تعظيماً كله شرك أكبر، وليس في الذبح شرك أصغر.

وقد ذكرنا أن حد الشرك الأكبر هو: أن يصرف العبد نوعا أو فردا من أفراد العبادة لغير الله. فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به في الشرع فصرفه لله وحده عبادة وتوحيد، وصرفه لغيره شرك وكفر وتنديد.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومن ذبح لغيره من الجن والأصنام والقبور فهو كمن صلى وعبد غير الله لأن كلا من الصلاة والذبح عبادة حيث قرن الله بينهما»[(١)].

ويدخل في ذلك الذبح للجن على عتبة الباب قبل نزول المنزل الجديد ابتغاء إرضاءهم فهذه عادة جاهلية حيث إن بعضهم إذا أسس دارا ذبح عند الأساس أو عندما يحفرون القواعد يذبح باسم الجن حتى تحميهم أو حتى لا تأتيهم ولا تضرهم فهذا يعتبر شركا أكبر للحديث المتقدم: (دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب) حتى لو ذبح على العتبة عصفورا أو دجاجة وكان ذبحه للجن حتى لا تأتيه أو تأتي أهله صدق عليه أنه ذبح لغير الله.

وجاء في فتاوى اللجنة عن حكم هذه العادة ما نصه: «إذا كانت هذه العادة من أجل إرضاء الجن وتجنب المآسي والأحداث الكريهة فهي عادة محرمة بل شرك وهذا هو الظاهر من تقديم الذبح على النزول بالبيت وجعله على العتبة على الخصوص. وإن كان القصد من الذبح إكرام الجيران الجدد والتعرف عليهم وشكر الله على ما أنعم به من السكن الجديد وإكرام الأقارب والأصدقاء بهذه المناسبة وتعريفهم بهذا المسكن فهذا خير يحمد عليه فاعله لكن ذلك إنما يكون عادة بعد نزول أهل البيت فيه لا قبل ولا يكون ذبح الذبيحة أو الذبائح عند عتبة الباب أو مدخل البيت على الخصوص ـ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٦١.

(٢) فتاوى اللجنة ١/ ١٣٣.

وأفتت اللجنة الدائمة لمن ذبح للجن بعد أن حج أن يحج من جديد، فالذبح للجن شرك بالله سبحانه وتعالىٰ، ولو مات فاعله عليه دون توبة منه لكان خالداً مخلداً في النار، فلا يصح مع الشرك عمل، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١].

وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز عن الذبح عند اكتمال البناء أو انتصافه فقال: «هذا التصرف فيه تفصيل؛ فإن كان المقصود من الذبيحة اتقاء الجن أو مقصداً آخر يقصد به صاحب البيت أن هذا الذبح يحصل به كذا وكذا كسلامته وسلامة ساكنيه فهذا لا يجوز، فهو من البدع، وإن كان للجن فهو شرك أكبر؛ لأنه عبادة لغير الله، أما إن كان من باب الشكر علىٰ ما أنعم الله به عليه من الوصول إلىٰ السقف أو عند إكمال البيت فيجمع أقاربه وجيرانه ويدعوهم لهذه الوليمة فهذه لا بأس بها، وهذا يفعله كثير من الناس من باب الشكر لنعم الله حيث منَّ عليهم بتعمير البيت والسكن فيه بدلاً من الاستئجار، ومثل ذلك ما يفعله بعض الناس عند القدوم من السفر يدعو أقاربه وجيرانه شكراً لله علىٰ السلامة فإن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر نحر جزوراً ودعا الناس لذلك عليه الصلاة والسلام»[٢].

القسم الثاني من أقسام الذبح: «أن يذبح لغير الله فرحا وإكراما فهذا لا يخرج من الملة بل هو من الأمور العادية التي قد تكون مطلوبة أحيانا وغير مطلوبة أحيانا فالأصل أنها مباحة ...»[٣].

وقال ابن عثيمين رحمه الله في شرح ثلاثة الأصول: «أن يقع ـ الذبح ـ إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحبابا لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف:

---

(١) انظر فتوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم (٢٥٢٧) ١/ ٢٠٨.

(٢) مجموع فتاوىٰ ٥/ ٣٨٨، وانظر للاستزادة الشرح الممتع ٧/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٢٠٦. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢١٥.

«أولم ولو بشاة»[(١)].

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس:٧١-٧٢]، وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له[(٢)].

٤ - ويحرم أكل ما ذبح للسلطان تعظيماً بخلاف الإكرام والضيافة.

قال النووي رحمه الله: «وذكر الشيخ إبراهيم المروذي من أصحابنا أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به لغير الله»[(٣)].

فمدار ذلك على القصد والنية. وعلامة ذلك أنه يذبح في وجهه، أو يقصد أن يريق الدم عند قدميه مثلاً وفي نيته التعظيم له بإراقة الدم، فالمسألة فيها تفصيل، إن كان نحرها للمضيفات وإطعام الناس فهذا لا بأس به وهو عمل مشروع، أما إن كان نحرها عند لقاء الملوك أو عند لقاء المعظمين تعظيماً لهم فهذا شرك لأنه ذبح لغير الله.

والذابح عند قدوم السلطان لا يقول عند ذبحه باسم السلطان، وهذا مما ليس في حرمته نزاع[(٤)].

قال النووي في شرح مسلم: «فإن قصد الذابح مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً. انتهى»[(٥)].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين من المجموع ٦/ ٦٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص١٩١، وقد ذكره النووي في المنهاج ١٣/ ١٤١.

(٤) الروضة الندية ٢/ ٤٠٩.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٤١.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فلو قدم السلطان إلىٰ بلد فذبحنا له فإن كان تقرباً وتعظيماً فإنه شرك أكبر وتحرم هذه الذبائح وعلامة ذلك: أننا نذبحها في وجهه ثم ندعها.

أما لو ذبحنا له إكراماً وضيافة وطبخت وأكلت فهذا من باب الإكرام وليس بشرك»[(١)].

٥ - ومن البدع المحدثة أن يتقرب إلىٰ الله بالذبح في مكانٍ بعينه ابتغاء البركة. وقد ذكروا من ذلك سوق الغنم والبقر ليذبحها في أماكن بعينها معتقدين بركتها، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية من يسوق الغنم والبقر إلىٰ قبة الصخرة وبيَّنَ أن هذا من البدع والضلالات[(٢)].

٦ - في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا عقر في الإسلام»[(٣)]. قال عبدالرزاق بن همام: «كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة»[(٤)].

قال النووي: «وأما الذبح والعقر عند القبر فمذموم لحديث أنس[(٥)]»[(٦)].

وقال الألباني: «وهذا إذا كان الذبح هناك لله تعالىٰ، وأما إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهال فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام:١٢١]. أي والحال أنه كذلك بأن ذبح لغير الله، إذ هذا هو الفسق هنا كما ذكره الله تعالىٰ بقوله ﴿أَوْ فِسْقًا

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٢٠٦. وانظر القول المفيد ط١- ١/ ٢١٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ١١.

(٣) سنن أبي داود (٣٢٢٢) وأحمد (١٣٠٦٢) والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود بعد الحديث السابق رقم (٣٢٢٢)، والبيهقي ٤/ ٥٧ وأحمد ٣/ ١٩٧. وانظر: للاستزادة شفاء الصدور ص ٧٦.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) المجموع ٥/ ٣٢٠.

أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤٥]»[١].

وقال شيخ الإسلام: «وأما الذبح هناك ـ يعني عند القبور ـ فمنهي عنه مطلقا. ذكره أصحابنا وغيرهم لهذا الحديث... قال أحمد في رواية المروزي قال النبي ﷺ «لا عقر في الإسلام». كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزورا على قبره، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك. وكره أبو عبد الله أكل لحمه[٢]. قال أصحابنا: وفي معنى هذا ما يفعله كثير من أهل زماننا في التصدق عند القبر بخبز أو نحوه»[٣].

قال رحمه الله أيضاً: «وكره العلماء الأكل من تلك الذبيحة، فإنها شِبه ما ذُبِحَ لغير الله»[٤].

وقال رحمه الله أيضاً: «ولا يذبح عند القبر أضحية ولا غيرها. فإن في سنن أبي داود عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن العقر عند القبر» حتى كره أحمد الأكل مما يذبح عند القبر؛ لأنه يشبه ما يذبح على النصب. فإن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا. وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»، وقال: «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة، والحمام» فنهى عن الصلاة عندها؛ لئلا يشبه من يصلي لها. وكذلك الذبح عندها يشبه من ذبح لها.

وكان المشركون يذبحون للقبور، ويقربون لها القرابين، وكانوا في الجاهلية إذا مات لهم عظيم ذبحوا عند قبره الخيل، والإبل، وغير ذلك، تعظيماً للميت. فنهى

---

(١) أحكام الجنائز ص٢٠٣.

(٢) المقصود هنا الذبح عند القبر لله عز وجل، أما الذبح لغيره فهو شرك ويحرم أكله. انظر للاستزادة مسائل الإمام أحمد ٢/ ١٧٦. أحكام الجنائز الألباني ص٢٤٩ رقم ٤٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٣٧، ٧٣٨.

(٤) الاستغاثة ٢/ ٤٣١.

النبي ﷺ عن ذلك كله»[1].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «وقد صرح العلماء بتحريم الذبح في المقبرة لما فيه من مشابهة المشركين، ولأنه وسيلة إلى الشرك بالذبح للموتى والتقرب إليهم»[2].

الذبح لله تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله:

لا يجوز الذبح في المكان الذي فيه وثن للمشركين أو عيد من أعيادهم لأمور:

أولاً: حديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟» قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. فقال: «أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»[3].

ثانياً: لقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ ووجه الدلالة: إذا منع النبي ﷺ عن القيام لله تعالى في مسجد الضرار مع أنه لا يقوم فيه إلا لله تعالى، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله تعالى لا يذبح فيها الموحد لله؛ لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به.

ثالثاً: أنه وسيلة إلى عبادة غير الله تعالى، وفيه تعظيم لتلك الأماكن التي يذبح فيها لغير الله تعالى، كما أن فيه تلبيس على الناس، فإذا رأى بعض العامة من يذبح في ذلك المكان الذي عرف أنه مكان يذبح فيه لغير الله أن يفعلوا مثل فعله.

٧ - حكم أكل ما ذبح لغير الله:

جاء في الدرر السنية ما نصه: «وصرح الشيخ تقي الدين، في: اقتضاء الصراط المستقيم، بأن من ذبح للجن، فالذبيحة حرام، من جهتين؛ من جهة: أنها مما أهل

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٦/ ٣٠٦.

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٢٤.

(٣) أخرجه أبوداود (٣٣١٣).

لغير الله به؛ ومن جهة: أنها ذبيحة مرتد، فهي: كخنزير مات، من غير ذكاة؛ ويقول؛ ولو سمى الله عند ذبحها، إذا كانت نيته ذبحها للجن، ورد على من قال:إنه إن ذكر اسم الله، حل الأكل منها، مع التحريم»[(١)].

وكذلك ما ذبح على الأضرحة لا يجوز أكله، كما جاء في فتاوى اللجنة[(٢)] ومن أكل منها فهو آثم لقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [المائدة:٣]. وإذا ذبح باسم الله لغير الله فقد أشرك في العبادة ولا يجوز أكل هذه الذبيحة حيث قام فيها أنها ذبيحة مشرك ولم تذبح لله.

وكذلك ما ذبح في المولد جاء في فتاوى اللجنة ما نصه: «ما ذبح في مولد نبي أو ولي تعظيماً له فهذا مما ذبح لغير الله وذلك شرك فلا يجوز الأكل منه»[(٣)].

وقالت اللجنة ما نصه: «الذبح لغير الله شرك وحكم الذبيحة حكم الميتة ولا يجوز أكلها ولو ذكر عليها اسم الله إذا تحقق أنها ذبحت لغير الله ومن أكل منها اجتهادا منه يبين له الحكم ومن أكل منها بعد العلم فلا ينبغي أن يكون إماما بل تلتمس الصلاة خلف غيره»[(٤)].

٨ – أما ذبيحة أهل الكتاب فيجملها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في قوله: «ذبيحة الكتابي لها خمس حالات لا سادس لها:

الأولى: أن يعلم أنه سمَّى الله عليها، وفي هذه تؤكل بلا نزاع، ولا عبرة بخلاف الشيعة في ذلك؛ نهم لا يُعتدُّ بهم في الإجماع.

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٤٧.

(٢) فتاوى اللجنة ١/ ١٢٤.

(٣) فتاوى اللجنة ١/ ١٣٥.

(٤) فتاوى اللجنة: ١/ ١٤١.

الثانية: أن يعلم أنه أهلّ بها لغير الله، ففيها خلاف، وقد قدَّمنا أن التحقيق أنها لا تؤكل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

الثالثة: أن يعلم أنه جَمَع بين اسم الله واسم غيره، وظاهر النصوص أنها لا تؤكل أيضاً؛ لدخولها فيما أُهِلَّ لغير الله به.

الرابعة: أن يعلم أنه سكت ولم يسمِّ الله ولا غيره، فالجمهور على الإباحة وهو الحق، والبعض على التحريم كما تقدّم.

الخامسة: أن يجهل الأمر لكونه ذبح حالة انفراده، فتؤكل، على ما عليه جمهور العلماء، وهو الحق إن لم يُعرَف الكتابي بأكل الميتة كالذي يسلُّ عنق الدجاجة بيده، فإن عُرف بأكل الميتة لم يُؤكل، على ما عليه عند بعض العلماء، وهو مذهب مالك... إلخ»[1].

٩ - حكم ذبيحة الكافر:

قال ابن باز رحمه الله: «لا يجوز أكل ذبائح الكفار غير أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء كانوا مجوساً أو وثنيين أو شيوعيين أو غيرهم من أنواع الكفار ولا ما خالط ذبائحهم من المرق وغيره، لأن الله سبحانه لم يبح لنا من أطعمة الكفار إلا طعام أهل الكتاب في قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة:٥]. وطعامهم هو ذبائحهم كما قال ابن عباس وغيره، أما الفواكه ونحوها فلا حرج فيها، لأنها غير داخلة في الطعام المحرم»[2].

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ٧٦، ٧٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص١٠٤٣.

١٢٨- ذمة الله وذمة نبيه*

الذمة لغة: العهد والأمان.

قال ابن الأثير: «(الذمة والذمام) هما بمعنى العهد والأمان والضمان والحُرمة والحق وسُميّ أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم»(١).

وذمة الله تعالى وذمة نبيه ﷺ «يجب حفظها والوفاء بها، والمراد التي تدخل في العهود وأن عدم الوفاء عدم تعظيم له فهو قدح في التوحيد»(٢).

* الدليل من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

* الدليل من السنة: عن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ، إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ﷻ ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين،

---

* فتح المجيد ص٥٩٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٨٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/١٠٦٣. وانظر القول المفيد ط١-٣/٢٣٨ ط٢- ٣/٢٩٨. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٢. الدرر السنية ٩/ ٤٠١.

(١) النهاية (ذ م م).

(٢) حاشية ابن قاسم ص ٣٨٢.

يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ﷺ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري: أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟»(١) .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «قوله: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه...» الحديث. الذمة: العهد. وتخفر: تنقض. يقال: أخفرت الرجل: إذا نقضت عهده، وخفرته: أجرته، ومعناه: أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجهلة الأعراب، فكأنه يقول: إن وقع نقضٌ من متعد، كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى. والله أعلم»(٢) .

ومعنى «تجعل لهم ذمة الله» أي: تجعل لهم عهد الله وميثاقه. وفي الحديث دليل على وجوب حفظ العهد والوفاء به والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله.

قال السعدي: «فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركاً لتعظيم الله، وارتكاباً لأكبر المفسدتين كما نبه عليه ﷺ، وفي ذلك تهوين لدين الإسلام وتزهيد للكفار به، فإن الوفاء بالعهود خصوصا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٢) فتح المجيد ص٨٢٣، ٨٢٤ من الطبعة الأولى.

تفضيله واتباعه»[١].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «فإنه إذا كان يعطي بعهد الله ثم يخفر فقد خفر عند الله – جل وعلا – وفجر في ذلك، وهذا مناف لكمال التوحيد الواجب؛ لأن الواجب على العبد أن يعظم الله ﷻ وألا يخفر عهده وذمته لأنه إذا أعطى بذمة الله فإنه يجب عليه أن يوفي بهذه الذمة مهما كان؛ حتى لا يُنسب النقص لذمة الله ﷻ لهذا كان إعطاء مثل هذه الكلمة مثل كثرة الحلف، فلا يجوز أن تجعل في العهد ذمة الله وذمة نبيه ﷺ، كما لا يجوز كثرة الأيمان؛ لأن في كل منهما نقصاً في تعظيم الرب ﷻ»[٢].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «ولنا مع المشركين ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن لا يكون بيننا وبينهم عهد فيجب قتالهم بعد دعوتهم إلى الإسلام وإبائهم عنه وعن بذل الجزية، بشرط قدرتنا على ذلك.

الحال الثانية: أن يكون بيننا وبينهم عهد محفوظ يستقيمون فيه فهنا يجب الوفاء لهم بعهدهم لقوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٧]، وقوله: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ [التوبة: ٤].

الحال الثالثة: أن يكون بيننا وبينهم عهد نخاف خيانتهم فيه فهنا يجب أن ننبذ إليهم العهد ونخبرهم أنه لا عهد بيننا وبينهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]»[٣].

١٢٩- ذو الخَلَصة

صنم من أصنام الجاهلية انظر باب (صنم).

---

(١) القول السديد ص١٥١.

(٢) التمهيد ٥٦٩.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ١٠٦٨، ١٠٦٩. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ٢٤٤.

١٣٠- الرجاء*

الرجاء في اللغة: هو التوقع والأمل، قال في مختار الصحاح: الرجاء من الأمل ممدود يقال: (رجاهُ) من باب عَدَا و(رجاءً) و (رجاوةً).

وقال في اللسان: «الرجاء من الأمل نقيض اليأس... وقد تكرر في الحديث ذكر الرجاء بمعنى التوقع والأمل»[(١)].

وقال الراغب: «الرجاء ظن يقتضي حصول مافيه مسرة»[(٢)].

وفي الشرع: قيل: «هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى»[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلا له منزلة القريب»[(٤)].

وقيل: «هو تعلق القلب بمرغوب في حصوله مع الأخذ بالأسباب. فإن لم يأخذ بالأسباب فطمع، وهو مذموم شرعاً، قال الحافظ ابن الجوزي: إن مثل الراجي مع الإصرار على المعصية، كمثل من رجا حصادا وما زرع، ورجا ولدا وما نكح»[(٥)].

---

* الإبانة لابن بطة العكبري ٧٥١. شرح السنة للبغوي ١٤/ ٣٧٤. معارج القبول ١/ ٣٣١. مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٤٦. وانظر القول المفيد ط١- ٢/ ١٦٤، مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٠٠. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/ ٣٥٥، ٣٨٧، ٣٩١. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ١٧٣. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ١٤٣. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٢٥٢. مباحث العقيدة في سورة الزمر ٢٢٩.

(١) لسان العرب مادة (ر ج و).

(٢) المفردات للراغب مادة (ر ج و).

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٧٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٥٣، ٥٤.

(٥) حاشية على مختصر شعب الإيمان ص ٣٣.

* الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، وقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]. وقال ﷻ: ﴿ ۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر:٥٣]. وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦].

* الدليل من السنة: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد»[(١)].

وفي صحيح مسلم عن جابر ﷺ لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»[(٢)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ يقول الله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني... وذكر الحديث»[(٣)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي..»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٥)، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) في الجنة وصفة نعيمها.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥). ومسلم (٢٦٧٥).
(٤) رواه الترمذي (٣٥٤٠).

أحكام وفوائد:

١ - قال ابن قاسم رحمه الله في حاشية ثلاثة الأصول: «الرجاء: عبادة قلبية، من أجل العبادات، فصرفه لغير الله شرك أكبر»(١).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالىٰ شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي»(٢).

أما إذا كان الرجاء غير متضمن للذل والخضوع وكان في شيء يقدر عليه المخلوق فإن إطلاقه علىٰ غير الله ليس بشرك ولا محرم.

يقول العلامة المحدِّث محمد بشير السهسواني الهندي: «ولكن لابد من أن يعلم هناك أن من الرجاء ما هو مختص بالله تعالىٰ بمعنىٰ أن المرجو فيه لا يصلح إلا الله تعالىٰ كرجاء كشف الضر والسوء وتحويله وإجابة المضطر إذا دعاه، وإنزال الماء من السماء وشفاء المريض وبسط الرزق وإعطاء الأولاد ومغفرة الذنوب وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ...، ومنه ما هو جائز في حق رسولنا ﷺ في حياته بمعنىٰ أن المرجو منه فيه يصلح للنبي ﷺ، وهو ما يقدر عليه الأنبياء عليهم السلام سيما نبينا ﷺ من صلة الرحم، وحمل الكَلِّ، وكسب المعدوم، وقرىٰ الضيف، والإعانة علىٰ نوائب الحق، والرحمة بالمؤمنين، والجود والشجاعة والبركة، وقضاء حوائج الأرملة والمساكين واليتامىٰ، وعدم انتقامه لنفسه في شيء قط، وعدم اللوم علىٰ شيء قط أتىٰ فيه علىٰ يدي أحد، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة دعوة المملوك، والخلق العظيم، وتعليم الأمة الكتاب والحكمة وتزكيتهم، ودعوتهم إلىٰ سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وتبليغ رسالات الرب تعالىٰ، ونصح الأمة، والاستغفار لهم عند صدور الذنوب عنهم، والدعاء لهم في حاجاتهم، وأمرهم

(١) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص ٣٧.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٦/ ٥٣، ٥٤.

بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإعلاء كلمة الله، والجهاد مع أعداء الله، وتعظيم شعائر الله، وإعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين، وغير ذلك.

وأما كونه ﷺ رجاء بمعنى المرجو بعد الموت فما ثبت منه بالكتاب والسنة المطهرة فهو على الرأس والعين كالشفاعة يوم القيامة، وأما ما لم يثبت بواحد منهما فهو مردود؛ إذا تقرر هذا فاعلم أن معنى ما في المرثية: إنا كنا نرجو برك ورحمتك وشفقتك، يدل عليه قولها «وكنت بنا براً ولم تك جافياً» وقولها: «وكان بنا براً رحيماً نبينا»، والبر والرحمة والشفقة مما يقدر عليه النبي ﷺ في حياته فيجوز رجاء البر والرحمة والشفقة منه ﷺ، فيكون ﷺ على هذا مرجواً منه، والبر والرحمة والشفقة مرجوا فيكون الرجاء في الشعر بمعنى المرجو الذي أريد منه المرجو منه، وإرادة المرجو منه من المرجو ثابتة كما في قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ [هود:٦٢]»[1].

٢ - ستعمال كلمة «أرجوك»:

في سؤال للشيخ محمد بن إبراهيم عن استعمال كلمتي أشكرك وأرجوك، أجاب رَحِمَهُ اللهُ: «أما كلمة أرجوك في شيء يقدر عليه ذلك المخلوق فليس بشرك ولامحرم. ومن حسن الأدب ترك استعمال هذه الكلمة مع المخلوق»[2].

قال الشيخ ابن عثيمين: «لا بأس أن تقول لفلان (أرجوك) في شيء يستطيع أن يحقق رجاءك به»[3].

٣ - المؤمن بين الرجاء والخوف:

يقول الكرماني: «إن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء ولا في

(١) صيانة الإنسان ٢٨٢-٢٨٦.

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١١٧، ١١٨.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٣/ ٧.

الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة في النار بل يكون وسطا بينهما كما قال تعالىٰ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]. ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولها وفروعها كلها في جانب الوسط»[١]. وقد تقدم الكلام عن ذلك في باب (الخوف).

٤ - الفرق بين الرجاء والتمني:

يقول ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، أما التمني فيكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد؛ ولذا أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل»[٢].

وقال شارح الطحاوية: «والرجاء المحمود: رجاء رجُل عَمِل بطاعة الله على نور من الله فهو راجٍ لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً، ثم تاب منه إلى الله فهو راجٍ لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]. أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجاء ثوابها، أو تاب من معصية ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍ مذموم»[٤].

٥ – ماذا يستلزم الرجاء؟

يقول ابن القيم رحمه الله: «وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح وإن دعا إلى

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٠٢ وقد فصلنا الكلام عنها في باب (الخوف).

(٢) انظر: مدارج السالكين ٢/ ٣٧.

(٣) شرح الطحاوية ٢/ ٤٥٦.

(٤) حاشية ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٧.

البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه جاذباً إلى الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء أو رجاؤه بطالة وتفريطا فهو المغرور وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢١٨]. فتأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات ... وسر المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه أن لا يكله إليها وأن يجعلها مُوصِولةً إلى ما ينفعه ويصرف ما يُعَرِّضُها للحبوط ويُبطِل أثرها... ومما ينبغي أن يعلم أن من رجـــا شيئا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدها: محبته ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء، والأماني شيء آخر فكل راج خائف والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن»[١].

وقد ذكر ابن القيم إحدى عشرة فائدة للرجاء، أهمها: إظهار العبودية والفاقة، والحاجة، ومنها الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله مما يوجب التعلق بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته[٢].

---

(١) الجواب الكافي ٤٦ ـ ٤٨ .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٥٠، ٥١.

١٣١- الردة *

الردة في اللغة: التحول، تقول ارتد، وارتد عنه، بمعنى تحول[١] والارتداد: الرجوع، ومنه «المُرتَدّ» و «الرِدَّة»[٢].

قال الماوردي: «أما الردة في اللغة فهي الرجوع عن الشيء إلى غيره»[٣] قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١].

وفي الشرع: «هي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر»[٤].

قال المناوي: «الردة شرعاً: قطع الإسلام بنية أو قول أو فعل مكفِّر»[٥].

قال في معجم مقاييس اللغة: «وسمي المرتد لأنه رد نفسه إلى الكفر»[٦] . وقيل: بأنها كفر المسلم بقول صريح، أو بفعل يتضمنه كإلقاء مصحف أو شد زنار أو نحو ذلك[٧]. وسيأتي مزيد بيان لذلك في أقسام الردة من هذا الباب.

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣٠٤، ٣١٩، ٦/ ١٦٥، ١٠، ١٧٠/ ١٥٦، ٩/ ١٦٤، ١٦٩. ٦/ ٤٣٧- ٤٤٢. أحكام القرآن القرطبي ١/ ١٩٨، ٣/ ٤٣، ٤٨، ٤٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ٢٠ / ٣٧. الدرر السنية ٨/ ١١٧، ١٠/ ١٠٣، ١٢٨، ٢٣٦، ١١/ ٢٠. فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٣. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٢٥. نور على الدرب ابن باز ١٥٩. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٥٧. قضية التكفير لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ص٦٧، ٦٨، ٦٩. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٤٨. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٤٥٧.

(١) انظر لسان العرب (ر د د).

(٢) مختار الصحاح باب (ر د د).

(٣) حكم المرتد ص ٢٥.

(٤) حكم المرتد للماوردي ص ٢٥.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص ١٧٦.

(٦) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٨٦ (رد).

(٧) انظر الإكليل شرح مختصر خليل ص٤٣٨، شرح منح الجليل ٤/ ٤٦١، وشرح الزرقاني على مختصر خليل ٨/ ٦٢.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢١٧]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[آل عمران:٩٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

* الدليل من السنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من بدل دينه فاقتلوه»[١].

وروى عثمان عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنا بعد إحصانه، أو قتل نفسا فيقتل بها»[٢].

* أقوال السلف:

قاتل أبو بكر الصديق بعد رسول الله ﷺ أهل الردة ووضع فيهم السيف حتى أسلموا[٣]. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها، وحسابه على الله»، فقال أبو بكر: والله، لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)(٦٩٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٥٨)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وأحمد (٤٣٧) (٥٠٩) واللفظ له، والحاكم (٤/ ٣٥٠) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. قال الترمذي: وهذا حديث حسن.

(٣) حكم المرتد ص ٢٧.٢٨.

كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله تعالى قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره»[(٢)].

فوائد وأحكام:

* بم تحصل الردة؟

الردة قد تكون بالاعتقاد أو بالقول أو بالعمل أو بالشك.

قال البهوتي في تعريف المرتد شرعاً: «هو الذي يكفر بعد إسلامه نطقا، أو اعتقادا، أو شكا، أو فعلاً»[(٣)].

وقال في مغني المحتاج: «الردة قطع استمرار الإسلام ودوامه، بنية كفر أو فعل مكفر، أو قول مكفر سواء قاله استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً»[(٤)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «اعلم رحمك الله: أن دين الله يكون على القلب بالاعتقاد، وبالحب والبغض، ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام، وترك الأفعال التي تكفر، فإذا اختل واحدة من هذه الثلاث، كفر وارتد»[(٥)].

وقد سئلت اللجنة الدائمة عن الردة وأنواعها فأجابت بما يأتي: «الردة هي الكفر بعد الإسلام وتكون بالقول والفعل والاعتقاد والشك، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفة من صفاته أو بعض كتبه أو رسله أو سب الله أو رسوله أو جحد شيئا من المحرمات المجمع على تحريمها أو استحله أو جحد

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠)، ومسند أحمد (٣٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤١٤.

(٣) كشاف القناع ٦/ ١٣٦، وانظر المبدع في شرح المقنع ٩/ ١٧٠، والمغني ٨/ ١٢٣.

(٤) مغني المحتاج ٤/ ١٣٣.

(٥) الدرر السنية ١٠/ ٨٧.

وجوب ركن من أركان الإسلام الخمسة أو شك في وجوب ذلك أو في صدق محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء أو شك في البعث أو سجد لصنم أو كوكب ونحوه فقد كفر وارتد عن دين الإسلام، وعليك بقراءة أبواب حكم الردة من كتب الفقه الإسلامي فقد اعتنوا به ـ رحمهم الله ـ وبهذا تعلم من الأمثلة السابقة الردة القولية والعملية والاعتقادية وصورة الردة في الشك»(١).

وهذه الأقسام التي نذكرها مأخوذة من كلام العلماء عن الردة لا سيما ما ورد في كتب الفقه عن حكم المرتد فإنهم تكلموا هناك عن الأسباب التي يرتد بها المسلم عن دينه. فالكفر يكون بالقول وبالعمل وبالاعتقاد والشك وسوف نورد نصوصا من أقوال العلماء في ذلك:

١ ـ الكفر بالاعتقاد:

كمن يعتقد بقلبه أن الله فقير أو أنه بخيل أو أنه ظالم فقد كفر ولو لم يتكلم، أو يعتقد بقلبه أن محمداً ﷺ كاذب، أو أحد الأنبياء، أو يعتقد بقلبه أنه لا بأس أن يعبد مع الله غيره، فهذ كله ردة عن الإسلام لأن الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. فمن زعم أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره ونطق بذلك صار كافرا بالقول والعقيدة جميعا.

قال ابن الوزير اليمني رحمه الله «واعلم أن أصل الكفر، هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة، أو لأحد من رسله، أو لشيء مما جاؤوا به، إذا كان الأمر المكذّب به معلوما من الدين بالضرورة. ولا خلاف أن هذا القدْر كفر،

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٣.

ومن صدر عنه فهو كافر»[١].

٢ـ الكفر بالقول:

مثل سب الله، وسب الرسول ﷺ، أو نسب العيب إلى الله كأن يقول: إن الله فقير، أو إن الله ظالم، أو يقول: إن الله بخيل، أو يقول: إن الله لا يعلم بعض الأمور ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ أو جحد الصلاة فقال: إن الله لم يوجب علينا الصلاة، فهذه ردة يستتاب فإن تاب وإلا قتل. قال أبو ثور رحمه الله: «ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، وقال: لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك، وليس بمؤمن»[٢].

قال القاضي عياض: «وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولا يُتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصّحابة»[٣].

ويقول ابن حزم: «ومما يتبين أن الكفر يكون بالكلام، قول الله ﷻ: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف:٣٥ـ٣٧]. إلى قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٢]. فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى، إذ شك في البعث»[٤].

ويقول أيضاً: «لم يختلف أهل العلم بأن في القرآن التسمية بالكفر، والحكم بالكفر قطعا على من نطق بأقوال معروفة، كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ

---

(١) إيثار الحق على الخلق فصل نافع في الولاء والبراء ص ٣٧٦، وانظر باب (كفر الجحود) (كفر الاستحلال).

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/ ٨٤٩.

(٣) الشفا ٢/ ٣٩٦.

(٤) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ٢٣٥.

قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة:١٧] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤]. فصح أن الكفر يكون كلاماً»[1].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: «إن سبّ الله، أو سبّ رسوله كفر ظاهرا و باطنا، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلا له، أو كان ذاهلا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل»[2].

ومما يدل علىٰ أن الكفر يكون قولاً باللسان، قوله تعالىٰ في شأن المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

قال ابن تيمية: «فقد أخبر الله تعالىٰ أنهم كفروا بعد إيمانهم، مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام»[3].

ويقول ابن نجيم: «إن من تكلم بكلمة الكفر هازلاً، أو لاعباً كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده»[4].

٣ ـ الكفر بالعمل:

مثل من يستهين بالمصحف بوطئه ونحو ذلك، أو يسجد لصنم.

قال القاضي عياض: «وكذلك نكفّر بفعل أجمع المسلمون علىٰ أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرِّحا بالإسلام مع فعله كالسجود للصنم، أو الشمس، والقمر، والصليب، والنار. والسعي إلىٰ الكنائس والبِيَع مع أهلها، والتزيّي بزيّهم

---

(١) المحلىٰ ١٣/ ٤٩٨ بتصرف يسير.

(٢) الصارم المسلول ص ٥١٢.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٢٢٠.

(٤) البحر الرايق ٥/ ١٣٤.

من شد الزنانير ... الخ»[١].

وقال ابن القيم: «وهنا أصل آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد؛ فكفر الجحود أنه يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان»[٢].

٤ ـ الكفر بالشك:

مثل من يقول: أنا لا أدري هل الله حق أو ليس بحق، أو يقول: أنا لا أدري هل محمد صادق، أو كاذب أو يقول: أنا لا أدري هل البعث حق، أو غير حق، فهذا يكون كافرا يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

قال القاضي عياض: «وكذلك من أضاف إلى نبينا الكذب فيما بلغه وأخبر به، أو شك في صدقه، أو سبه ... فهو كافر بإجماع»[٣].

وقال أيضاً: «... ولهذا نكفّر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك، أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام، واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهار ما أظهره من خلاف ذلك»[٤].

قال الشيخ عبدالرحمن أبا بطين: «فقد دل القرآن: على أن الشك في الجملة كفر، كما في قوله تعالى في الكفار ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾

(١) الشفا ٢/ ٣٩٧.

(٢) كتاب الصلاة ص ٥٥، وانظر الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٧، ٢٨ وأعلام السنة المنشورة للحكمي ص٧٣، ٧٦.

(٣) الشفا ٢/ ١٠٦٩.

(٤) الشفا ٢/ ١٠٧١.

[الجاثية: ٣٢]. وغير ذلك من الآيات الصريحة، والشك غير العناد، وهذا ظاهر بحمد الله تعالىٰ.

ومما يبين لك: مراد الشيخ تقي الدين رحمه الله ما ذكره في بعض كتبه، بقوله: «من اعتقد أن زيارة أهل الذمة كنائسهم قربة إلىٰ الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك الأمر محرم عُرِّفَ ذلك، فإن أصر صارمرتدا؛ وقال: من سب الصحابة أو واحدا منهم، واقترن بسبِّه دعوىٰ أن عليا إله أو نبي، أو أن جبريل غلط، فلا نشك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره».

وقال أيضا: «ومن زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر، أو أنهم فسقوا، فلا ريب في كفر قائل ذلك، بل من شك في كفره فهو كافر»[1].

وقال الشيخ أبا بطين: «فانظر تكفيره الشاك، مع القطع بأن سبب الشك هو الجهل، وأطلق علىٰ من ذكر مع العلم القاطع بأن أكثر هؤلاء أو كلهم جهال لم يعلموا أن ما قالوه كفر»[2].

وقال ابن تيمية في رده علىٰ أهل الحلول والاتحاد: «فهذا كله كفر باطنا وظاهرا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارىٰ والمشركين»[3].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نواقض الإسلام: الثالث: «من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعاً»[4].

---

(١) انظر الصارم المسلول ص٥٩١، ٥٩٢.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٣٥٧، ٣٥٨، الصارم المسلول لصارم ص١١١٠،١١١١.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٣٦٨.

(٤) مجموعة الشيخ الرسائل الشخصية ص٢١٣.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «... فإن كان شاكا في كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على كفرهم، فإن شك بعد ذلك وتردد فإنه كافر بإجماع العلماء على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر»(١).

٢ـ تنبيه:

ذكرنا طائفة من أقوال العلماء في باب (الإيمان) وبينا أن ترك العمل بالكلية كفر بالله ﷻ، وذكرنا هناك نقل الشافعي الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تبين أن الدين لا بد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجباً ظاهراً، ولا صلاة ولا زكاة، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات»(٢).

ومما يحسن ذكره هنا: حكم ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً لا جحوداً ومعلوم إجماع الصحابة على كفر من ترك الصلاة كسلا وذكر الإجماع على ذلك التابعي الجليل عبد الله بن شقيق ﷺ وهو قول سعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي والأوزاعي وأيوب السختياني وغيرهم كثير، وبه يفتي علماؤنا ولهم أدلة على ذلك من الكتاب والسنة وآثار السلف.

* ومن أدلة الكتاب: قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر:٣٨ـ٤٧]. وقوله تعالى عن المشركين ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا

---

(١) رسالة أوثق عرى الإيمان، الجامع الفريد ص٣٧٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٢١.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]. قال ابن عثيمين: «مفهوم الآية: أنهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا إخوانا لنا ـ ولا تنتفي الأخوة الدينية بالمعاصي وإن عظمت ولكن تنتفي بالخروج عن الإسلام»[١].

* **ومن السنة**: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٢].

وروى الإمام أحمد وأهل السنن عن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٣].

وروى عبد الله بن شقيق العقيلي قال: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[٤].

قال عمر ﷺ: «لا إسلام لمن ترك الصلاة» وفي لفظ آخر: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»[٥].

قال ابن عثيمين: «والحظ: النصيب وهو هنا نكرة في سياق النفي فيكون عاما لا نصيب لا قليل ولا كثير»»[٦].

وقال الإمام ابن القيم: «وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ﷺ: أن من ترك صلاة فرض واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد»[٧].

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي رحمه الله في كتابه في الصلاة: «ذهب جملة من الصحابة

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٢/٤٧.
(٢) أخرجه مسلم (٨٢).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٣٢٥)، والترمذي (٢٦٢١).
(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٦٢٢).
(٥) الصلاة لابن القيم ص ٢٣.
(٦) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٢/ ٤٨.
(٧) الصلاة لابن القيم ص ١٥.

ﷺ ومن بعدهم إلى تكفير تارك الصلاة متعمدا لتركها حتى يخرج جميع وقتها، منهم عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وابن عباس وجابر وأبو الدرداء. هؤلاء من الصحابة ومن غيرهم أحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه والحكم ابن عيينة وأبو داود الطيالسي وأبو بكر ابن أبي شيبة وأبو خيثمة زهير بن حرب»[١].

وفي كتاب الصلاة لابن القيم: «قال علي بن الحسن بن شقيق سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «من قال إني لا أصلي المكتوبة اليوم فهو أكفر من حمار». وقال يحيى بن معين: «قيل لعبد الله بن المبارك إن هؤلاء يقولون من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر به فهو مؤمن مستكمل الإيمان. فقال عبد الله: لا نقول نحن ما يقول هؤلاء، من ترك الصلاة متعمدا من غير علة حتى أدخل وقتاً في وقت فهو كافر».

وقال ابن أبي شيبة: قال النبي ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر» فيقال له ارجع عن الكفر، فإن فعل وإلا قتل بعد أن يؤجله الوالي ثلاثة أيام»[٢].

وقال الإمام أحمد: «ومن ترك الصلاة فقد كفر وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة من تركها فهو كافر»[٣].

وفي كتاب السنة له ورسالة الإصطخري عنه قال: «والكف عن أهل القبلة ولا نكفر أحدا منهم بذنب ولا نخرجهم من الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث فيروي الحديث كما جاء وكما روي نصدقه ونقبله ونعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة»[٤].

وقال أبو بكر المروذي: «سألت أبا عبد الله عن الرجل يدع الصلاة استخفافاً ومجوناً فقال: سبحان الله إذا تركها استخفافاً ومجوناً فأي شيء بقي. قلت: إنه

---

(١) الصلاة لابن القيم ص ٢٣ بتصرف.

(٢) الصلاة لابن القيم ص ٣١.

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٣٦.

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٣٧.

يسكر ويمجن. قال: هذا تريد تسأل عنه. قال النبي ﷺ: بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة. قلت: ترىٰ أن تستتيبه. فأعدت عليه فقال: إذا تركها استخفافا ومجونا فأي شيء بقي»[١].

قال الحافظ ابن رجب: «وأكثر أهل الحديث علىٰ أن ترك الصلاة كفر دون غيرها من الأركان كذلك حكاه محمد بن نصر المروزي وغيره عنهم.

وممن قال بذلك: ابن المبارك، وأحمد ـ في المشهور عنه ـ وإسحاق، وحكىٰ عليه إجماع أهل العلم. وقال أيوب: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه»[٢].

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتاوىٰ واضحة في ذلك منها قولهم: «إن الذي يترك الصلاة لا يخلو من إحدىٰ حالتين:

الأولىٰ: أن يتركها جاحداً لوجوبها فهذا يكفر إجماعاً، لأنه ترك ركنا من أركان الإسلام معلوما بالضرورة جاحدا لوجوبه.

الثانية: أن يتركها تهاوناً وكسلاً مع إقراره بوجوبها، فهذا يكفر في أصح قولي العلماء لقوله ﷺ: «من ترك الصلاة متعمداً برئت منه ذمة الله ورسوله»[٣] وهذا يدل علىٰ إباحة قتله، وقوله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»[٤] فهذا يدل علىٰ كفره»[٥].

وسمعت الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله يذكر كثيراً أن من مات من المكلفين وهو لايصلي ومثله يعلم الحكم الشرعي فهو كافر لايُغسل ولايُصلىٰ عليه ولايدفن في مقابر المسلمين ولايرثه أقاربه المسلمون بل ماله لبيت مال المسلمين في أصح

(١) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٣٦، ٣٧.
(٢) فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٥.
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٩٠٨)(٢٢٤٢٥)، المستدرك علىٰ الصحيحين(٤/ ٤١).
(٤) أخرجه مسلم وقد تقدم.
(٥) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٦/ ٣٠. وانظر أيضاً المرجع نفسه ٦/ ٤٠.

قولي العلماء[1] وقد أصدر الشيخ ابن عثيمين في تقرير ذلك رسالة استوفى فيها ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف.

٣ - الأعمال التي تبطلها الردة:

تُبطِلُ الردةُ صلاةَ المرتدِّ وصيامه وزكاته وحجه إذا مات على ردَّته، أما إن رجع عن الردة إلى الإسلام فقد جاء في فتاوى اللجنة ما نصه: «من ارتد عن الإسلام ثم عاد إليه لا يحبط ما سبق أن عمله أيام إسلامه من الأعمال الصالحات لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾»[2].

٤ - ما يترتب على المرتد من آثار:

إذا ارتد المسلم عن دينه ترتب على ذلك آثار منها:

١ ـ أن زوجته المسلمة لا يحل لها البقاء معه، بل يجب التفريق بينهما لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع.

٢ ـ يجب أن ينفّذ فيه حكم المرتد وهو القتل بنص حديث رسول الله ﷺ ويكون قتله بضرب عنقه بالسيف حتى يهلك[3] وذلك بعد أن يستتاب وتقام عليه الحجة.

٣ ـ إذا مات لا تجري عليه أحكام المسلمين، فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ويحرم دخوله مكة وحرمها، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يحل ما ذكاه، ولا يورث، وباقي ماله ينقل إلى بيت المال فيئاً[4].

٤ ـ لا يُدعى له بالرحمة ولا يستغفر له قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ

---

(١) انظر الفتاوى جمع المسند ص٥٤.

(٢) فتاوى اللجنة ٢/ ٢٨.

(٣) انظر حكم المرتد ٢٧، المغني ١٢/ ٢٦٤، ٢٦٩.

(٤) انظر: حكم المرتد ص٨٠، ٨١، شرح السنة ٨/ ٣٦٥، المغني ٦/ ٣٧٢.

ﭐلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣] [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد استقرت السنَّة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة؛ منها:

أن المرتد يُقتل بكل حال، ولا يُضرب عليه جزية، ولا تُعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي.

ومنها: أن المرتد يُقتل وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال فإنه لا يُقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يُقتل، كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد.

ومنها: أن المرتد لا يرث، ولا يُناكح، ولا تُؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي. إلىٰ غير ذلك من الأحكام، وإذا كانت الردَّة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدِّين، فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلي عن شرائعه» [(٢)].

٥ - شروط الحكم بالردة:

ذكر أهلُ العلم ثلاثةَ شروط يجب توفرها حتىٰ يحكم بردة المرتد:

الشرط الأول: البلوغ علىٰ خلاف فيه.

الشرط الثاني: العقل: فلا تصح ردة المجنون ومن في حكمه.

الشرط الثالث: أن يكون مختاراً من غير إكراه، ولا يحكم بردته إلا بإقراره بنفسه أو بعد شهادة الشهود عليه [(٣)]. وإذا أنكر شهادة الشهود فالقول قوله كما نص عليه أحمد في رواية محمد بن الحكم [(٤)].

---

(١) انظر المراجع السابقة، وكتاب حكم تارك الصلاة للشيخ ابن عثيمين ص ١٢، ١٨.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٥٣٤، ٥٣٥، الفتاوىٰ الكبرىٰ ٣/ ٥٥٠.

(٣) راجع المغني ٨/ ١٤٠، ١٤٢.

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحـمد ٢/ ٥٩.

٦ - استتابة المرتد:

اتفقت المذاهب الأربعة على استتابة المرتد إن ثبتت ردته ثم اختلفوا في مدة الاستتابة، فقيل ثلاث مرات في يوم، وقيل إن التوبة تطلب منه ثلاث أيام متتالية، وقيل مرة فإن تاب المرتد برجوعه للإسلام لا يقتل(١) .

قال الشافعي وأصحابه: «إن امتنع المرتد عن التوبة يقتل في الحال ساعة يأبى إظهار الإيمان، ولو ترك أياما ثم أظهر الإيمان حقن دمه»(٢).

وقال أبو حنيفة بقول الشافعي إلا أنه زاد: «أن المرتد إذا طلب أن يؤجل أجل ثلاثا»(٣).

والمشهور عن أحمد: «استتابته ثلاثا على روايتين في وجوبها أو استحبابها والأول أشهر»(٤).

يقول ابن قدامة: «...لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا هذا قول أكثر أهل العلم منهم عمر وعلي وعطاء والنخعي ومالك والثوري والأوزاعي وإسحاق وأصحاب الرأي وهو أحد قولي الشافعي، وروى عن أحمد رواية أخرى أنه لا تجب استتابته لكن تستحب وهذا القول الثاني للشافعي»(٥).

قال الماوردي: «ودليل تأجيله ثلاثا قول عمر ﷺ حين أخبر بقتل المرتد: «هلا حبستموه ثلاثاً، اللهم لم أحضر ولم آمر ...»(٦)؛ ولأن الله قضى بعذاب قوم ثم أنظرهم

---

(١) شرح منح الجليل ٤/ ٤٦٥، وانظر الكافي ص٢٢١. وكتاب حكم المرتد ص ٥٧.
(٢) الأم ٦/ ١٧١، حكم المرتد ٥٧، ٦٥.
(٣) انظر المبسوط ١٠/ ٩٨، ٩٩. حكم المرتد ص٦٣.
(٤) نظر حكم المرتد ص ٦٤.
(٥) المغني ١٢/ ٢٦٦، ٢٦٨.
(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٧٣٧ والبيهقي في السنن ٨/ ٢٠٦ ونصه (هلا حبستموه ثلاثاً وأطعمتموه كل يوم رغيفاً واستتبتموه لعله أن يتوب أو يراجع أمر الله، اللهم لم أحضر ولم آمر ولم أرض إذ بلغني).

ثلاثاً فقال تعالىٰ: ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥]. ولأن المقصود منه استبصاره في الدين ورجوعه إلىٰ الحق، وذلك مما يحتاج فيه إلىٰ الارتياء والفكر، فأمهل بما يقدر في الشرع من مدة أقل الكثير وأكثر القليل وذلك ثلاثة أيام»(١).

ويُستثنىٰ من ذلك علىٰ الصحيح مَنْ سب النبي ﷺ فقد جاء عن الإمام أحمد: «إن كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه مسلما كان أو كافرا فعليه القتل، وأرىٰ أن يقتل ولا يستتاب»(٢).

٧ - كيف تكون توبة المرتد؟

تكون توبة المرتد بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن كانت ردته بجحود عبادة من العبادات؛ كالصلاة والصيام مثلا، لم تزل عنه الردة حتىٰ يقر بما صار به مرتداً، بالإضافة إلىٰ النطق بالشهادتين ـ كما مر ـ وإن كانت ردته باستحلال شيء من المحرمات كالزنا والخمر ونحوهما، فإن توبته بالإقرار بتحريم ذلك، بعد النطق بالشهادتين(٣).

٨ - فائدة: في توبة من تكررت ردته:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والفقهاء إذا تنازعوا في قبول توبة من تكررت ردته أو قبول توبة الزنديق فذاك إنما هو في الحكم الظاهر لأنه لا يوثق بتوبته أما إذا قدر أنه أخلص التوبة لله في الباطن فإنه يدخل في قوله: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ

---

(١) حكم المرتد ص٦٤، ٦٥.

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٩٥. انظر (سب الدين).

(٣) انظر حكم المرتد ١٣٣، ١٣٦، المحرر في الفقه ٢/ ١٦٨، وروضة الطالبين ١٠/ ٨٢، ٨٣.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]. ونحن حقيقة قولنا أن التائب لا يعذب لا في الدنيا ولا في الآخرة، لا شرعاً ولا قدراً»[(١)].

٩ -فائدة:

في قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» هو خاص بالمسلمين دون سواهم وهو الذي عليه جمهور العلماء فمن بدل دينه من أهل الإسلام فجزاؤه القتل أما أهل الملل الأخرى فالصحيح أن الحديث لا يشملهم لأنه انتقل من كفر إلى كفر مثله والكفر ملة واحدة.

يقول القرطبي: «واختلفوا من خرج من كفر إلى كفر فقال مالك: وجمهور الفقهاء: لا يتعرض له لأنه انتقل إلى ما لو كان عليه في الابتداء لأقر عليه»[(٢)].

قال الإمام أحمد: «من بدل دينه فاقتلوه من المسلمين، لو أن يهوديا تنصر أو نصرانيا تهود لم يقتل»[(٣)].

١٣٢- الرسل عليهم الصلاة والسلام

انظر باب: (الإيمان بالرسل) وهو من أصول الإيمان.

١٣٣- الرضا بقضاء الله وقدره

انظر باب (الصبر) (أعمال القلوب).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٤٧.

(٣) أحكام أهل الملل للخلال ص ١٨٨. مستفاد من الرسائل والمسائل في العقيدة المروية في العقيدة ص٦٣.

١٣٤- الرغبة*

جاء في جمهرة اللغة: «رغبت في الشيء رغباً ورغبة إذا مِلت إليه»[(١)].

والرغبة في الأشياء الإرادة لها[(٢)].

وفي اللسان: «الرغباء الضراعة والمسألة» [(٣)].

قال الفيروزأبادي: «رغب فيه: أراده بالحرص عليه»[(٤)].

وفي الشرع: قال ابن رجب: «الرغبة في الشيء هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه»[(٥)].

قال ابن عثيمين: «الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب»[(٦)].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح:٧-٨] وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

* **الدليل من السنة:** عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِب قَال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ نَامَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي

---

* مدارج السالكين ٢/ ٥٨. معارج القبول ١/ ٣٣٢. حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص٣٩. شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥، ٥٦.

(١) جمهرة اللغة مادة (ر غ ب).

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (ر غ ب).

(٣) لسان العرب مادة (ر غ ب).

(٤) القاموس مادة (ر غ ب).

(٥) جامع العلوم والحكم مادة (ر غ ب).

(٦) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥.

إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «في هذه الآية الكريمة[٢] وصف الله تعالىٰ الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالىٰ رغباً ورهباً مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعا في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعىٰ إلىٰ الله تعالىٰ بين الخوف والرجاء[٣]، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

قال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسىٰ أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله ﷻ، وفي حال الصحة يكون نشيطا مؤملا طول البقاء فيحمله ذلك علىٰ الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل: يكون رجاؤه وخوفه واحدا سواء لئلا يحمله الرجاء علىٰ الأمن من مكر الله، والخوف علىٰ اليأس من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه»[٤].

فالرغبة من أنواع العبادة التي يجب صرفها لله وحده.

قال ابن قاسم في الرغبة والرهبة والخشوع أنها: «عبادات قلبية من أجل العبادات وصرفها لغير الله شرك أكبر»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٥).

(٢) يعني قوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

(٣) سوف يأتي تفصيل ذلك في باب: «الخوف».

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥، ٥٦.

(٥) حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ٣٩.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾»[١].

❖ فائدة:

يقول ابن القيم: «والفرق بين الرغبة والرجاء أن الرجاء طمع والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف فمن رجا شيئا طلبه ورغب فيه ومن خاف شيئا هرب منه»[٢].

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٧٣.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٥٨.

١٣٥- الرقى *

التعريف: قال الفيروزآبادي: «الرقية بالضم: العُوذة جمعها: رُقىً ورقاه رَقياً ورُقياً ورُقيةً فهو رقاء: نفث في عوذته»[١].

وعرفها ابن الأثير بقوله: «الرقية العوذه التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات»[٢].

وقال الحجاوي: «الرقى جمعٌ، مُفردُهُ: رُقيةٌ وهي العزائم»[٣].

وقال الجوهري: «العزائم هي الرقى»[٤].

* التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٢٦٩، ٢٧٢، ٥/ ٢٧٠، ١٧/ ١٦١، ٢١/ ٢٤٢، ٢٣ / ٢٩، ٢٣/ ١٥٥-١٥٧. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/١٨، ٢٠. الإبانة لابن بطة العكبري ٧٤٣. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٦، ١٥٩، ١٦١. أحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٢٤٦. المحلى بالآثار لابن حزم ٧/ ١٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٦٤. تيسير العزيز الحميد ص١٦٣. فتح المجيد ١٤٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٨٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٩٥، ١٠٧، ١٧٥، ط٢-١/ ٢٢٤ ومن المجموع ٩ / ٨٦، ١٦٨. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣ / ١٩. الدرر السنية ٥/ ٧٢. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١٥٣. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٧٢. نور على الدرب ابن باز ٥٦. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٢٠٣. معارج القبول ١/ ٣٧٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ١٠٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٧٧. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٩٥. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢٦٨. منهج ابن حجر في العقيدة ١١٢٦. الجيلاني وآراءه الاعتقادية ١٥٥. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١١٢. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٣٩٥. أحكام الرقى والتمائم د: فهد السحيمي. التبرك د: ناصر الجديع ص٢٢١، ٢٣٥.

(١) القاموس المحيط (ر ق ى).

(٢) النهاية لابن الأثير (رق ى).

(٣) غذاء الألباب ٢/ ٢٧.

(٤) الصحاح للجوهري(ع ز م).

وسميت بالعزائم لأن القارئ يعزم فيها ويكون عنده قوة اندفاع في حال القراءة.

قال ابن فارس: «العزم: عقد القلب على الشيء تريد أن تفعله، وكذلك العزيمة. والعزائم الآيات تُقرأ على المريض رجاء بركتها»[1].

وقال الأزهري: «قال الليث: العزيمة من الرُّقىٰ: التي يُعزم بها على الجن والأرواح. وقال غيره: عزمتُ عليك لتفعلنَّ أي أقسمت، وعزم الراقي والحوّاء كأنه أقسم على الداء والحية»[2].

وقال الفيروزآبادي: «العزائم أي الرقىٰ أو هي آيات من القرآن تُقرأ على ذوي الآفات رجاء البرء»[3].

* الدليل من السنة: عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ قَالَتْ كَانَ عَبْدُ اللهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَىٰ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنْ الْحُمْرَةِ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِي فَرَأَىٰ فِي عُنُقِي خَيْطًا قَالَ مَا هَذَا الْخَيْطُ قَالَتْ قُلْتُ خَيْطٌ أُرْقِيَ لِي فِيهِ قَالَتْ فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لأَغْنِيَاءُ عَنْ الشِّرْكِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[4].

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: «كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لاَ بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»»[5].

---

(١) مجمل اللغة (ع ز م).

(٢) تهذيب اللغة (ع ز م).

(٣) القاموس المحيط (ع ز م).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

* أقوال بعض السلف:

قال ابن التين: «الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالىٰ هو الطب الروحاني إذا كان علىٰ لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس إلىٰ الطب الجسماني»(١).

وفي حديث المرأة السوداء التي تصرع وطلبت من الرسول ﷺ أن يدعو لها، قال الشوكاني: «فيه دليل علىٰ أن التداوي بالدعاء مع الالتجاء إلىٰ الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما جهة العليل والأخرىٰ من جهة المداوي وهو توجه قلبه إلىٰ الله وقوتُه بالتقوىٰ والتوكل علىٰ الله»(٢).

أحكام وفوائد:

١ - حكم الرقية:

رقية المريض بقراءة القرآن والأذكار والدعوات النبوية الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام مشروعة (٣). قال الشيخ ابن عثيمين: «الرقية علىٰ المريض المصاب بسحر أو غيره من الأمراض لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية المباحة فقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه كان يرقي أصحابه، ومن جملة ما يرقاهم به: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، وأمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنزل رحمة من من رحمتك وشفاء من شفائك علىٰ هذا الوجع» فيبرأ.

ومن الأدعية المشروعة: «بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك».

(١) فتح الباري ١٠ / ١٩٦.

(٢) نيل الأوطار٨/ ٢٠٣.

(٣) انظر فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ١٦١.

ومنها أن يضع الإنسان يده علىٰ الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: «أعوذ بالله وعزته من شر ما أجد وأحاذر» إلىٰ غير ذلك مما ذكره أهل العلم من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ»[1].

وقالت اللجنة الدائمة: «أذن النبي ﷺ في الرقية بالقرآن والأذكار والأدعية ما لم تكن شركاً أو كلاماً لا يفهم معناه لما روىٰ مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترىٰ في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركاً» وقد أجمع العلماء علىٰ جواز الرقىٰ إذا كانت علىٰ الوجه المذكور آنفاً مع اعتقاد أنها سبب لا تأثير له إلا بتقدير الله تعالىٰ، أما تعليق شيء بالعنق أو ربطه بأي عضو من أعضاء الشخص فإن كان من غير القرآن فهو محرم بل شرك... وإن كان ما علقه من آيات القرآن فالصحيح أنه ممنوع أيضاً لثلاثة أمور:

الأول: عموم أحاديث نهي النبي ﷺ عن التمائم ولا مخصص لها.

الثاني: سد الذريعة فإنه يفضي إلىٰ تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أن ما علق من ذلك يكون عرضة للامتهان بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء»[2].

قال ابن باز: «والمراد بالرقىٰ المنهي عنها هي الرقىٰ التي تكون بلسان غير معروف المعنىٰ، أو تشمل علىٰ معان محرمة، أما إذا كانت الرقىٰ بكلمات معروفة المعنىٰ، وليس فيها محذور شرعاً؛ كالرقىٰ بالآيات القرآنية والدعوات النبوية أو الدعوات الطيبة التي ليس فيها ما يحرمه الشرع المطهر ولم يعتمد عليها الراقي ولا المرقي، وإنما يعتقدان جميعاً أنها سبب من الأسباب، والشفاء من الله سبحانه

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ ١٠٥.

(٢) فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٦٥، ١٦٦ باختصار.

وتعالىٰ لا شفاء إلا شفاؤه، فلا بأس بها بالشرط المذكور»[١].

وقال أيضاً: «الرقىٰ المنهي عنها هي الرقىٰ التي فيها شرك أو توسل بغير الله، أو ألفاظ مجهولة لا يُعرف معناها.

أما الرقىٰ السليمة من ذلك فهي مشروعة، ومن أعظم أسباب الشفاء، لقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركاً»، وقوله ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه» خرجهما مسلم في صحيحه، وقال النبي ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة» معناه لا رقية أولىٰ وأشفىٰ من الرقية من هذين الأمرين. وقد رَقَىٰ النبي ﷺ، ورُقِي»[٢].

وقد سبق في باب التميمة زيادة إيضاح حول تعليق الرقىٰ.

٢- شروط جواز الرقية:

قال ابن حجر: «وقد أجمع العلماء علىٰ جواز الرقىٰ عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالىٰ أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالىٰ»[٣].

وهذه الشروط ذكرها أهل العلم وشراح كتاب التوحيد[٤] عند كلامهم عن الرقىٰ والعزائم.

وقال النووي: «وقد نقلوا الإجماع علىٰ جواز الرقىٰ بالآيات وأذكار الله تعالىٰ. قال المازري: جميع الرقىٰ جائزة إذا كانت بكتاب الله أو بذكره[٥]. ومنهي عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يدرىٰ معناه لجواز أن يكون فيه كفر»[٦].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز ١/ ٢٧٨.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز ١/ ٢٧٩.

(٣) فتح الباري ١٠ / ٢٠٦، وانظر تيسير العزيز الحميد ص١٦٧.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد ١٦٧. فتح المجيد ١٤٨.

(٥) قال النووي: «وأما الرقىٰ بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيه بل هو سنة» شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٤/ ١٦٩

(٦) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٤/ ١٦٩.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به فضلا عن أن يدعو به، ولو عرف معناها وأنه الصحيح لكره أن يدعو الله بغير الأسماء العربية[1]»[2].

وقال رَحِمَهُ الله: «بل نهى العلماء عن كل ما لا يعرف معناه من ذلك خشية أن يكون فيه شرك»[3].

وقال رَحِمَهُ الله: «وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن. ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك»[4].

وقال: «وأما معالجة المصروع بالرقى، والتعوذات فهذا على وجهين:

فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناها، ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم بها الرجل، داعياً لله، ذاكراً له، مخاطباً لخلقه ونحو ذلك، فإنه يجوز أن يرقي بها المصروع، ويعوذ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: أنه أذن في الرقى، ما لم تكن شركاً.

وقال: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل» وإن كان في ذلك كلمات محرمة مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى، يحتمل أن يكون فيها كفر، فليس لأحد أن يرقى بها ولا يعزم، ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها، فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه»[5].

---

(١) انظر في حكم التكلم بالأعجمية باب (التشبه).

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٨٣. وانظر تيسير العزيز الحميد ١٦٦.

(٣) مجموع فتاوى ١/ ٣٣٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٣.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٧٧، ٢٧٨.

وقال شيخ الإسلام: «وليس للعبد أن يدفع كل ضرر بما شاء، ولا يجلب كل نفع بما شاء، بل لا يجلب النفع إلا بما فيه تقوى الله، ولا يدفع الضرر إلا بما فيه تقوى الله، فإن كان ما يفعله من العزائم والأقسام والدعاء والخلوة والسهر ونحو ذلك مما أباحه الله ورسوله فلا بأس به، وإن كان مما نهى الله عنه ورسوله لم يفعله»(١).

تنبيه:

كما يجب أن يكون الراقي موثوقاً به ليس من أهل الشعوذة، ويجب أن ينهى كذلك عن الخلوة بالمرأة دون محرم.

٣ - حكم رقية أهل الكتاب للمسلمين:

يرى بعض العلماء جواز رقي أهل الكتاب مستدلين بما رواه مالك في الموطأ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَشْتَكِي وَيَهُودِيَّةٌ تَرْقِيهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «ارْقِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ»(٢).

وقال النووي: «قال المازري: واختلفوا في رقية أهل الكتاب فجوّزها أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وكرهها مالك خوفاً أن يكون مما بدلوه، ومن جوزها قال: الظاهر أنهم لم يبدلوا الرقى فإنهم لهم غرض في ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه»(٣).

قال ابن عبد البر: «وقد جاء عن أبي بكر الصديق كراهية الرقية بغير كِتَاب الله وعلى ذلك العلماء، وأباح لليهودية أن ترقى عائشة بكتاب الله»(٤).

وقال الزرقاني في معنى قول أبي بكر أرقيها بكتاب الله: «المقصود القرآن إن رجى إسلامها، أو التوراة إن كانت مُعرَّبة بالعربي أو أمن تغييرهم لها»(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٨٠.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٨١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٦٨.

(٤) التمهيد ٥/ ٢٧٨.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ ٤/ ٣٢٨.

قال الربيع: «سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله، وما يعرف من ذكر الله. قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ فقال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله أو ذكر الله، فقلت: وما الحجة في ذلك؟ قال: غير حجة، فأما رواية صاحبنا وصاحبك فإن مالكاً أخبرنا وذكر الأثر السابق وقول أبي بكر: ارقيها بكتاب الله، فقلت للشافعي: فإنا نكره رقية أهل الكتاب، فقال: وأنتم تروون هذا عن أبي بكر ولا أعلمكم تروون عن غيره من أصحاب النبي ﷺ خلافه، وقد أحل الله جل ذكره طعام أهل الكتاب ونساءهم وأحسب الرقية إذا رقوا بكتاب الله مثل هذا أو أخلف»[1].

وأما كلام أهل العلم الذين كرهوا رقية أهل الكتاب إنما كرهوها لأمرين:

١ ـ احتمال أن تكون رقيتهم بما بُدِّل.

٢ ـ احتمال أن يرقوا برقية لا يُعرف معناها.

وقالوا أيضاً: أن الأثر المذكور عن أبي بكر مرسل فقد رواه الإمام مالك عن يحي بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وعمرة بنت عبد الرحمن لم تدرك أبا بكر، ثم إن قوله: «ارقيها بكتاب الله» فيه غموض وإجمال، وسبب آخر كذلك أنهم غير مأمونين في استخدام الطلاسم والأمور الشركية والشعوذة، ويضمرون العداء لأهل الإسلام ويوقعون بهم ضرراً، وقالوا أيضاً: إن الذهاب إليهم تعظيم لأمرهم، وعند المسلمين غنية عنهم لكن إن صحت الرقية وكانت بكتاب الله وذكره فإنهم لا يستطيعون تبديلها؛ لأنهم إن بدلوها لا تؤدي المطلوب وتبطل رقاهم ولا يلتفت إليهم أحداً»[2].

وقال الحافظ ابن حجر: «والحق أنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال»[3].

(١) الأم ٧/ ٢٢٨، والبيهقي ٩/ ٣٤٩، وعون المعبود شرح حديث رقم (٣٤٠٣).
(٢) انظر كتاب العين والرقية للشيخ عطية محمد سالم ص ٦٥، ٦٦.
(٣) فتح الباري ١/ ١٩٧.

٤ - مسائل متنوعة في الرقية:

أولاً: تعريف النفث والتفل في الرقية:

النفث: نفخ يسير مع ريق يسير، وهو أقل من التفل، وقيل إنه بلا ريق[(١)].
والتفل: شبيه بالبزاق وهو أقل منه[(٢)].

ثانياً: متىٰ يكون النفث حال القراءة؟:

الجواب: وقع ذلك في أحاديث منها:

١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ...»[(٣)].

٢ ـ في رواية أخرىٰ: «كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه نفث في كفيه بـ «قل هو الله أحد» وبالمعوذتين جميعا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده»[(٤)]. قال ابن حجر: «يقرؤها وينفث حالة القراءة كأنه معها»[(٥)].

٣ ـ قصة المعتوه الذي رقاه أحد الصحابة قال الراوي: فرقاه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفل...[(٦)].

قال ابن أبي جمرة: محل التفل في الرقية يكون بعد القراءة لتحصيل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريق فتحصل البركة في الريق الذي يتفله[(٧)].

---

(١) النهاية لابن الأثير (ن ف ث).
(٢) النهاية لابن الأثير (ت ف ل).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠١٧).
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٨).
(٥) فتح الباري ١٠/ ٢١٠.
(٦) أخرجه أبو داود (٣٤٢٠)
(٧) فتح الباري ٤/ ٤٥٦ .

ثالثاً: الخلاف في كراهية النفث وإباحته:

ذهب بعض أهل العلم إلىٰ كراهية النفث في الرقية عند قراءة القرآن خاصة كإبراهيم النخعي [(١)]، وبعضهم كره النفث مطلقاً كالأسود بن يزيد [(٢)].

قال بدر الدين العيني: «وكرهه أيضاً عكرمة والحكم وحماد» [(٣)].

وممن روىٰ عنه الكراهة أيضاً الضحاك [(٤)].

وقال ابن مفلح: «ويكره التفل بالريق والنفخ بلا ريق وقيل في كراهة النفث في الرقية وإباحته مع الريق وعدمه روايتان. وذكر السامري أن أحمد رحمه الله كره التفل في الرقىٰ وأنه لا بأس بالنفخ. قال ابن منصور لأبي عبد الله: يكره التفل في الرقية؟ قال أليس يقال إذا رقىٰ نفخ ولم يتفل. قال إسحاق ابن راهويه كما قال وجزم بعض متأخري الأصحاب باستحباب النفخ والتفل لأنه إذا قويت كيفية نفس الراقىٰ كانت أتم تأثيرا وأقوىٰ فعلا ولهذا تستعين به الروح الطيبة والخبيثة فيفعله المؤمن والساحر.

وفي شرح مسلم أن الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم استحبوا النفث. قال القاضي عياض وكان مالك ينفث إذا رقىٰ نفسه...» [(٥)].

وقد استدل المانعون بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]؛ قالوا لأن الله ﷻ أمر بالاستعاذة من النفث ومن فاعله، ويجاب عن هذا ن المراد الاستعاذة من نفث أهل الباطل.

قال القرطبي: «إنما أريد به السحر المضر بالأرواح، وهذا النفث لاستصلاح

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٠٩.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٢٠٩.

(٣) عمدة القاري ٢١/ ٢٦٢.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٥٨.

(٥) الآداب الشرعية ٢/ ٤٥٧.

الأبدان فلا يقاس ما ينفع بما يضر»[١].

والراجح مشروعية النفث والتفل في الرقية كما دلت عليه النصوص فمن ذلك:

١ ـ حديث عائشة أن رسول الله ﷺ «كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها»[٢].

٢ ـ حديث اللديغ وفيه «فانطلق فجعل يتفل ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]» وأقره الرسول ﷺ[٣].

والنصوص في ذلك كثيرة. وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين[٤].

رابعاً: حكم الرقية بدون نفث:

تجوز الرقية بدون نفث وتفل ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضا قال: «أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[٥]. وكان أنس يرقي بتلك الرقية ذكر ذلك البخاري[٦].

وكذلك رقية جبريل للنبي ﷺ لم يذكر فيها نفث كما في حديث أبي سعيد «أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت فقال: نعم. قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك»[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٨.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥١)، ومسلم (٢١٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤٩).

(٤) انظر للاستزادة أحكام الرقى ٥٤، ٥٥.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٧٥). ومسلم (٢١٩١).

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٤٢).

(٧) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

خامساً: حكم شرب الرقية المكتوبة:

قال ابن تيمية: «ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضىٰ شيئاً من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقىٰ كما نص علىٰ ذلك أحمد وغيره»(١).

وقال ابن القيم: «ورأىٰ جماعة من السلف أن تكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض. ومثله عن أبي قلابة ويذكر عن ابن عباس أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسر عليها»(٢).

وفي فتاوىٰ اللجنة ما نصه: «كتابة شيء من القرآن في جام أو ورقة وغسله وشربه يجوز لعموم قوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] وحديث «خير الدواء القرآن»(٣)»(٤).

وفي فتاوىٰ اللجنة: «أن الأولىٰ تركه وأن يُستغنىٰ عنه بما ثبت في الرقية الشرعية»(٥).

أما قراءة القرآن في الماء للمريض وشربه إياه فلا بأس به.

قال محمد بن مفلح: «وقال صالح بن الإمام أحمد: ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحاً فيه ماء فيقرأ عليه ويقول لي: اشرب منه، واغسل وجهك ويديك.

ونقل عبدالله أنه رأىٰ أباه يعوذ في الماء ويقرأ عليه ويشربه، ويصب علىٰ نفسه منه.

---

(١) الفتاوىٰ ١٩/ ٦٤

(٢) زاد المعاد ٤ / ١٧٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٥٠١).

(٤) فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٥٣ وفيها زيادة تفصيل حول هذه المسألة، وانظر للاستزادة لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين ٥٥/ ١١٢.

(٥) فتاوىٰ اللجنة ١/ ١٦١، ١٦٦. وفيه زيادة إيضاح حيث ذكروا أن النبي ﷺ لا نعلم أنه فعله لنفسه أو غيره، ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه أو رخص فيه لأمته مع وجود الدواعي التي تدعو إلىٰ ذلك.

قال عبدالله: ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم، فيستشفي به ويمسح به يديه ووجهه.

وقال يوسف بن موسى: أن أبا عبدالله كان يؤتى بالكوز ونحن بالمسجد فيقرأ عليه ويعوذ»[1].

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله عن النفث في الماء فأجاب: «لا بأس بذلك فهو جائز، بل قد صرح العلماء باستحبابه.

وبيان حكم هذه المسألة مدلول عليه بالنصوص النبوية، وكلام محققي الأئمة»[2].

وقال ابن باز رحمه الله: «وإن قرأ في الماء وشربه المريض أو رش عليه به نفعه ذلك بإذن الله»[3].

وقال رحمه الله: «وكذلك الرقية في الماء لا بأس بها، وذلك بأن يقرأ في الماء ويشربه المريض، أو يصب عليه، فقد فعل ذلك النبي ﷺ، فإنه ثبت في سنن أبي داود في كتاب الطب أنه ﷺ قرأ في ماء لثابت بن قيس بن شماس ثم صب عليه، وكان السلف يفعلون ذلك. فلا بأس به»[4].

وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين عن حكم النفث في الماء؟

فأجاب بقوله: «النفث في الماء على قسمين:

القسم الأول: أن يراد بهذا النفث التبرك بريق النافث فهذا لا شك أنه حرام ونوع من الشرك، لأن ريق الإنسان ليس سبباً للبركة والشفاء ولا أحد يتبرك بآثاره إلا محمد ﷺ، أما غيره فلا يتبرك بآثاره.

---

(١) الآداب الشرعية ٢/ ٤٤١.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١/ ٩٢.

(٣) فتاوى نور على الدرب ص٥٧.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ١/ ٢٧٥.

القسم الثاني: أن ينفث الإنسان بريق تلا فيه القرآن الكريم مثل أن يقرأ الفاتحة ـ الفاتحة رقية وهي من أعظم ما يرقى به المريض ـ فيقرأ الفاتحة وينفث في الماء فإن هذا لا بأس به وقد فعله بعض السلف وهو مجرب ونافع بإذن الله وقد كان النبي ﷺ، ينفث في يديه عند نومه بقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس فيمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده – صلوات الله وسلامه عليه – والله الموفق»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مراراً ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع»[2].

وقال أيضاً: «ولقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أموراً عجيبة، ولا سيما مدة المقام بمكة، فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة، بحيث تكاد تقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة وأمسح بها على محل الألم، فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مراراً عديدة، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً، فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، لكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين والله المستعان»[3].

أما استخدام إناء فيه آيات منقوشة أو كتابة ثابتة في أصل الإناء ولا تتحلل بدخول الماء فهذا يُمنع إذ لا يجوز امتهان الإناء إذا كان فيه آية ولا يجوز إدخاله الحمام أو إصابته بشيء من ذلك وسد الطرق في مثل هذا واجب.

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٧، ١٠٨. وانظر للاستزادة الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية ٤٠.

(٢) زاد المعاد ٤/ ١٧٨.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٦٩.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن كتابة بعض آيات القرآن الكريم مثل آية الكرسي على أواني الطعام والشراب لغرض التداوي بها؟

فأجاب رحمه الله بقوله: «يجب أن نعلم أن كتاب الله عز وجل أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد ويبتذل إلى هذا الحد، كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله عز وجل وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه ويمتهن ويرمي في البيت ويلعب به الصبيان؟! هذا العمل لا شك أنه حرام، وأنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها، بأن يذهب بها إلى الصانع فيطمسها، فإن لم يتمكن من ذلك فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر ويدفنها، وأما أن يبقيها مبتذلة ممتهنة يشرب بها الصبيان ويلعبون بها، فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح رضي الله عنهم»[1].

وسئل الشيخ صالح آل الشيخ عن الحكم في بعض الأواني التي يكتب عليها بعض الآيات، والتي تباع في بعض المحلات التجارية؟.

فأجاب: «أن هذه الأواني يختلف حالها فإن كان يستخدمها لأجل أن يتبرك بما كتب فيها من الآيات، فيجعل فيها ماءً ويشربه؛ لأن الماء يلامس هذه الآيات، فهذا من الرقية غير المشروعة؛ لأن الرقية المشروعة تكون بقراءة الآيات في الماء، وهذه الآيات لم تنحل في الماء؛ بل هي مكتوبة في ذلك الإناء المعدني أو النحاسي، والتصاق الماء بتلك الكتابات من الآيات أو الأدعية لا يجعل الماء - بذلك - مباركاً أو مقروءاً فيه، فإذا اتخذت هذه الأواني لذلك: فالرقية بها غير مشروعة»[2].

سادساً: خلط بعض التراب مع الريق:

وطريقة ذلك: أن ينفث على الإصبع بشيء من الريق ثم يوضع في التراب

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٩، ١١٠.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٥٩٩.

ويمسح به المريض في أثناء الرقية. ويدل علىٰ هذه الكيفية ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربةُ أرضنا، بريقة بعضنا، يشفىٰ سقيمنا»(١).

وفي رواية مسلم عن أبي عمر عن سفيان زيادة في أوله: «كان إذا اشتكىٰ الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها: باسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفىٰ سقيمنا، بإذن ربنا»(٢).

وقال القرطبي: «وهذا يدل علىٰ استحباب ذلك»(٣).

والمراد بقوله ﷺ: «أرضنا» قال النووي: «قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا الأرض عموماً، وقيل: أرض المدينة خاصة...»(٤).

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين عن فتوىٰ له تفيد أن التبرك بريق أحد غير النبي ﷺ حرام ونوع من الشرك باستثناء الرقية بالقرآن وأن هذا يشكل مع ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ، كان يقول في الرقية: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفىٰ سقيمنا بإذن ربنا» فنرجو من فضيلتكم التكرم بالتوضيح؟

فأجاب بقوله: «ذكر بعض العلماء أن هذا مخصوص برسول الله ﷺ، وبأرض المدينة فقط وعلىٰ هذا فلا إشكال.

ولكن رأي الجمهور أن هذا ليس خاصاً برسول الله ﷺ، ولا بأرض المدينة بل هو عام في كل راق وفي كل أرض ولكنه ليس من باب التبرك بالريق المجرده

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٥) (٥٧٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٩٤).

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٠٨.

(٤) شرح النووي ١٤/ ١٨٤.

بل هو ريق مصحوب برقية وتربة للاستشفاء وليس لمجرد التبرك»[١].

سابعاً: حكم أخذ الأجرة على الرقية:

دلت الأحاديث على جواز أخذ الأجرة على الرقية، فقد جاء في البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله»[٢].

وقال ﷺ لمن قرأ على المعتوه: «كُلْ فلَعمْري لَمَنْ أكلَ برُقيةٍ باطل لقد أكلت برقْيَةِ حقٍّ»[٣].

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري الذي قرأ على الملدوغ وفيه: «...فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة.٤] فكأنما نشط فأعطوهم قطيعا من الغنم فذكروا ذلك للرسول ﷺ فقال: «وما يدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً» فضحك النبي ﷺ»[٤].

قال النووي: «هذا الراقي هو أبو سعيد الخدري»[٥].

قال ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث: «نعم وقعت للصحابة قصة أخرى في رجل مصاب بعقله فقرأ عليه بعضهم فاتحة الكتاب فبرأ، وقال: إن سياقه وسببه مختلف عن حديث أبي سعيد ... مما يدل على أنهما قصتان»[٦].

٦ - فائدة: العين حق وأدلة ذلك كثيرة معلومة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «هي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن، نحو المحسود والمعيون، تصيبه تارة، وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٢٠) والإمام أحمد (٢٢١٨٠).
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، (٥٧٤٩) ومسلم (٢٢٠١).
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٨٧.
(٦) الفتح ٤/ ٤٥٥.

أثرت فيه ولا بد، وإن صادفته حذراً شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام، لم تؤثر فيه وربما ردت السهام على صاحبها»[١].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع تحصل للمنظور منه ضرر»[٢].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «هي ما يسميها العامة الآن «النحاتة» وبعضهم يسميها «النفس» وبعضهم يسميها «الحسد»»[٣].

ومن أدلة القرآن على إثبات العين: قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١].

قال ابن كثير رحمه الله: «وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل»[٤].

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧-٦٨].

قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد: «إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر بهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه»[٥].

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائناً، فلما كان

---

(١) الطب النبوي لابن القيم (١٣١).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٠/ ٢٠٠.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ١١٩.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٤_٥٢٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣٠).

الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن»[١].

ومن السنة حديث عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين»[٢].

وعن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ قال: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا»[٣].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق ونهىٰ عن الوشم»[٤].

وعن أم سلمة ﵂ أن النبي ﷺ رأىٰ في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة»[٥].

وسوف نتناول هنا الطرق المشروعة في علاج إصابة العين بعد وقوعها ولذلك حالتان:

الحالة الأولىٰ: أن يُعرف العائن وفي هذه الحالة يؤمر العائن بالاغتسال للمعين ودليل ذلك حديث ابن عباس السابق: «وإذا استغسلتم فاغسلوا»[٦].

والمقصود طُلب منكم الاغتسال وقال ﷺ لعامر بن ربيعة: «اغتسل له».

ومما جاء في صفة الاغتسال: اغتسال عامر بن ربيعة حيث غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح ثم صب علىٰ سهل بن حنيف فراح سهل مع الناس ليس به بأس[٧]. وجاءت صفات أخرىٰ غير هذا والاغتسال يزيل أضرار العين بإذن الله.

(١) الطب النوي لابن القيم (١٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٨) ومسلم (٢١٩٥) (٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨٨) (٤٢) والترمذي (٢٠٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم، وأبو داود (٣٨٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٨٨).

(٧) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٧٦) وابن ماجه (٣٥٠٩).

وحكم اغتسال العائن واجب وهو رأي ابن عبد البر[1] للحديث السابق ولا صارف عن الوجوب.

قال المازري: «يجب على العائن ذلك ويقضى عليه به إذا طلب منه ذلك لاسيما إذا خيف على المعين الهلاك»[2].

الحالة الثانية: إذا لم يُعرف العائن فإنه يُداوم على الرقى الشرعية لحديث عائشة قالت: «أمرني النبي ﷺ ـ أو أمر ـ أن يُسترقَى من العين»[3].

وهذا عام لكل رقية مشروعة، فجميع الرقى المشروعة طريقة لعلاج هذا الداء[4].

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين عن العين هل هي تصيب الإنسان؟ وكيف تعالج؟ وهل التحرز منها ينافي التوكل؟ فأجاب رحمه الله بقوله: «رأينا في العين أنها حق ثابت شرعاً وحساً قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في تفسيرها أي يعينوك بأبصارهم، ويقول النبي ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا».

رواه مسلم. ومن ذلك ما رواه النسائي وابن ماجه أن عامر بن ربيعة مر بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: «لم أر كاليوم ولا جلد مُخبَّأة» فما لبث أن لُبـِطَ به فأُتي به رسول الله ﷺ، فقيل له: أدرك سهلاً صريعاً فقال: «من تتهمونه؟» قالوا عامر بن ربيعة، فقال النبي ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه، إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة»[5]. ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٦/ ٢٤١، ١٣/ ١٩ ـ ٧٠.

(٢) الفتح ١٠/ ٢٠٤.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٣٨).

(٤) وقد ذكر الإمام ابن القيم بعض الرقى لعلاج العين: كالمعوذتين والإكثار منها، وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، والتعوذات النبوية وأطال النفس في ذلك انظر كتاب زاد المعاد ٤/ ١٦٢ ـ ١٧٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطب، باب العين (٣٥٠٩).

إلى المرفقين، وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه، وفي لفظ: يكفأ الإناء من خلفه. والواقع شاهد بذلك ولا يمكن إنكاره.

وفي حالة وقوعها تستعمل العلاجات الشرعية وهي[١]:

١ ـ **القراءة**: فقد قال النبي ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة»[٢]. وقد كان جبريل يرقي النبي ﷺ، فيقول: «**باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[٣].

٢ ـ **الاستغسال**: كما أمر النبي ﷺ عامر بن ربيعة في الحديث السابق ثم يصب على المصاب.

أما الأخذ من فضلاته العائدة من بوله أو غائطه فليس له أصل، وكذلك الأخذ من أثره، وإنما الوارد ما سبق من غسل أعضائه وداخلة إزاره ولعل مثلها داخلة غترته وطاقيته وثوبه، والله أعلم.

والتحرز من العين مقدماً لا بأس به ولا ينافي التوكل بل هو التوكل؛ لأن التوكل الاعتماد على الله سبحانه مع فعل الأسباب التي أباحها أو أمر بها وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة». ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام. رواه البخاري»[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وقد جرت العادة عندنا أنهم يأخذون من العائن ما يباشر جسمه من اللباس مثل الطاقية وما أشبه ذلك ويربصونها بالماء ثم

---

(١) لا زال كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله موصولاً.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره (٥٧٠٤). ومسلم.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) فتاوى أركان الإسلام للشيخ ابن عثيمين ص١٣٢، ١٣٣.

يسقونها المصاب ورأينا ذلك يفيد حسبما تواتر عندنا من النقول فإذا كان هذا هو الواقع فلا بأس باستعماله؛ لأن السبب إذا ثبت كونه سبباً شرعاً أو حساً فإنه يعتبر صحيحاً»(١).

وقال رحمه الله: «ويستعمل للعين طريقة أخرىٰ غير الرقية، وهو الاستغسال، وهي أن يؤتىٰ بالعائن ويطلب منه أن يتوضأ، ثم يؤخذ ما تناثر من الماء من أعضائه، ويصب علىٰ المصاب، ويشرب منه، ويبرأ بإذن الله.

وهناك طريقة أخرىٰ، ولا مانع منها أيضاً، وهي أن يؤخذ شيء من شعاره، أي: ما يلي جسمه من الثياب؛ كالثياب، والطاقية، والسروال، وغيرها، أو التراب إذا مشىٰ عليه وهو رطب، ويصب علىٰ ذلك ماء يرش به المصاب أو يشربه، وهو مجرب»(٢).

٧ - الطرق الشرعية لاتقاء العين قبل وقوعها:

أولاً: بالنسبة لمن يخاف العين:

١ ـ المداومة علىٰ الأذكار ومنها:

أ ـ قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة قال ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» (٣).

ب ـ قراءة آية الكرسي جاء في ذلك حديث أبي هريرة عند البخاري(٤).

ج ـ المعوذتان لحديث أبي سعيد كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنس حتىٰ نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما(٥).

---

(١) فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين جمع أشرف عبد المقصود ١/ ١٩٦.

(٢) القول المفيد من فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٨٧، ٨٨.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٩) (٤٠٠٨) وقيل في معنىٰ « كفتاه » أقوالاً منها: أن قراءتهما تكفيان الشر وتقيان من المكروه. النهاية (ك ف ىٰ).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٠).

(٥) أخرجه الترمذي(٢٠٥٨)، والنسائي (٥٤٣٤)، وابن ماجه (٣٥١١).

قال ابن القيم: «فإن لهاتين السورتين تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين وسائر الشرور»[١].

د ـ الأذكار النبوية المعروفة. ومن ذلك ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ يَقُولُ: أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ، وَيَقُولُ، هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ. أو قال: إسماعيل ويعقوب»[٢]. وقيل للنبي ﷺ إن فلاناً لدغته عقرب فلم ينم ليلته فقال: «أما لو قال، حين أمسى: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، ما ضره لدغ عقرب حتى يصبح»[٣].

وعند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «أما لو قلت حين أمسيت، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك»[٤].

قال سهيل (راوي الحديث): فكان أهلنا تعلموها، فكانوا يقولونها كل ليلة، فلدغت جارية منهم، فلم تجد وجعاً[٥].

وقال القرطبي: «هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة»[٦].

٢ ـ ستر محاسن من يخاف عليه العين.

قال ابن القيم: «وقال الخطابي رحمه الله، في غريب الحديث له. عن عثمان (بن عفان) ﷺ: أنه رأى صبياً تأخذه العين فقال: دسموا نونته. فقال أبو عمر: سألت

(١) كتاب زاد المعاد ٤/ ١٦٢ ـ ١٧٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥٢٥).

(٣) سنن ابن ماجه (٣٥١٨).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٩).

(٥) صحيح الترمذي ١٨٧/٣.

(٦) انظر الفتوحات الربانية لابن علان (٣/ ٩٤).

أحمد بن يحيىٰ عنه فقال: أراد بالنونة النقرة التي في ذقنه والتدسيم: التسويد. أراد: سودوا ذلك الموضع من ذقنه ليرد العين»[(١)].

❖ **حكم تلبيس الصبيان الملابس الرثة خوفاً من العين:**

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا كان الإنسان يلبس أبناءه ملابس رثة وبالية خوفاً من العين فهل هذا جائز؟ قال: الظاهر أنه لا بأس به، لأنه لم يفعل شيئاً، وإنما ترك شيئاً وهو التحسين والتجميل»[(٢)].

ثم استدل رَحِمَهُ اللَّهُ بموقف التدسيم لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثانياً: بالنسبة للعائن:

١ ـ من الطرق المشروعة لاتقاء العين التبريك من العائن إذا رأىٰ ما يعجبه لقول النبي ﷺ لعامر بن ربيعة عندما أصاب سهل بن حنيف: «ألا بركت»[(٣)]. وقوله ﷺ: «إذا رأىٰ أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يعجبه فليدع بالبركة فإن العين حق»[(٤)].

ويفهم من قوله ﷺ «ألا بركت». وقوله: «فليدع بالبركة» أن التبريك لا تضر معه عين العائن وإنما تضر إذا لم يبرك. وليس للتبريك صفة معينة بل يدعو بما فيه بركة.

---

(١) زاد المعاد ٤/ ١٧٣.

(٢) القول المفيد علىٰ شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٧١) (١٤٧٢) ونصه: «أن سهل بن حنيف اغتسل بالخرار فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد قال فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء. قال: فوعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأتي رسول الله ﷺ فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من أمر عامر فقال رسول الله ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت إن العين حق توضأ له»، فتوضأ له عامر فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة رقم: ٢٣٥٩٤، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢١٥.

قال ابن عبد البر: «والتبريك: أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه»[(١)].

وقال ابن عثيمين: «بارك الله عليك»[(٢)]. ومثلها اللهم بارك عليه، أو بارك الله فيه.

قال ابن القيم: «ومما يدفع به إصابة العين قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله روى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله»»[(٣)].

٢ ـ يجب على من عرف من نفسه ذلك أن يصرف بصره عما يهيج النفس حتى لا يتضرر أحد ويجب عليه أن يكف أذاه أو يلزم بذلك.

قال القرطبي: «من عرف بالإصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعاً لضرره، وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، ويكف أذاه عن الناس، وقيل إنه ينفى، وحديث مالك الذي ذكرناه يرد هذه الأقوال، فإنه عليه السلام لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائناً».

وقال ابن مفلح: «وللإمام حبس العائن، ذكره في «الترغيب»، وفي «الرعاية»: من عرف بأذى الناس حتى بعينه ولم يكف حُبس حتى يموت؛ فظاهره يجب أو يستحب لما فيه من المصلحة وكف الأذى، ونفقته من بيت المال، لكن النبي ﷺ لم يحبسه، وفي «الأحكام السلطانية»: للوالي فعله ليدفع ضرره لا للقاضي.

قال القاضي عياض: ينبغي للإمام منعه من مداخلة الناس، ويأمره بلزوم بيته، ويرزقه إن كان فقيراً، فضرره أشد من ضرر آكل الثوم والبصل الذي منعه النبي ﷺ دخول المسجد، ومن ضرر المجذوم الذي منعه عمر والعلماء بعدم الاختلاط

---

(١) التمهيد ٦/ ٢٤١.

(٢) القول المفيد من مجموع الفتاوى ٩/ ٨٨.

(٣) زاد المعاد ٤/ ١٧٠.

بالناس، ومن ضرر المؤذيات من المواشي التي يؤمر بتغريبها، بحيث لا يتأذىٰ بها أحد، قال أبو زكريا النووي: هذا صحيح متعين لا يعرف من غيره تصريح بخلافه».

٨ - أثر الرقية والاسترقاء على التوكل:

الرقية معناها فعل الرقية بنفسه أو بغيره دون طلب. أما الاسترقاء: فهو طلب الرقية. وقد تبين في أول الباب مشروعية الرقىٰ السليمة وأنها من أعظم أسباب الشفاء، لقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركاً» وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ كراهية الرقىٰ معتمدين علىٰ حديث ابن عَبَّاسٍ في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أنهم: «الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون»(١). وبوّب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الطب، قال: باب (من لم يرق)(٢)، ولكن الذي ثبت في الصحيحين لفظ: «هم الذين لا يسترقون» وفي رواية مسلم لفظ «ولا يرقون».

قال ابن تيمية: «فمدح هؤلاء بأنهم لا يسترقون أي لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، والرقية من جنس الدعاء فلا يطلبون من أحد ذلك. وقد روي فيه «ولا يرقون» وهو غلط فإن رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة وكان النبي ﷺ يرقي نفسه وغيره ولم يكن يسترقي فإن رقيته نفسه وغيره من جنس الدعاء لنفسه ولغيره وهذا مأمور به»(٣).

وفي التيسير: «قال شيخ الإسلام: هذه الزيادة وهم من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «لا يرقون»، لأن الراقي محسن إلىٰ أخيه. وقد قال ﷺ وقد سئل عن الرقىٰ قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه» وقال: «لا بأس بالرقىٰ ما لم تكن شركاً»

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥).

(٢) البخاري ص١٠١٥ وفيه الحديث رقم (٥٧٥٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٨٢. وانظر لقاء الباب المفتوح (٥٥/ ١٢٠).

قال: وأيضا فقد رقى جبريل النبي ﷺ، ورقى النبي ﷺ أصحابه»[١].

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «... والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه، والراقي محسن نافع»..

قلت[٢]: والنبي ﷺ لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سبباً للسبق إلى الجنان، وهذا بخلاف ترك الاسترقاء، فإنه توكل على الله ورغبة عن سؤال غيره، ورضا بما قضاه وهذا شيء وهذا شيء»[٣].

ومن هنا فإن شيخ الإسلام ابن تيمية ذهب إلى التفريق بين «لا يسترقون» وهو طلب الرقية من غيرهم وبين «لا يرقون» وهو فعل الرقية بنفسه أو بغيره من غير طلب وكذلك ابن القيم[٤] وأئمة الدعوة واحتجوا لذلك بالتفريق بين الروايتين فالأصل رواية «لا يسترقون». أما ما ورد في رواية سعيد بن منصور عِنْدَ مسلم «ولا يرقون» فهي غلط[٥].

وقد نصر القولَ بزيادة «لا يرقون» الشيخُ سليمانُ بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد ورد على من زعم أن المراد لا يرقون بما كان شركا فقال: «ليس في الحديث ما يدل على هذا أصلا وأيضًا فعلى هذا لا يكون للسبعين مزية على غيره؛ فإن جملة المؤمنين لا يرقون بما كان شركاً»[٦].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «قراءة الإنسان على نفسه وقراءته على إخوانه المرضى

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٠٨.

(٢) القائل ابن القيم.

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤. وانظر: فتح الباري ١١/ ٤١٦.

(٤) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥.

(٥) مجموع الفتاوى ١/ ١٨٢، وانظر ١/ ٣٢٨، ٢٧/ ٦٨.

(٦) تيسير العزيز الحميد ١٠٨.

لا تنافي التوكل وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يرقي نفسه بالمعوذات، وثبت أنه كان يقرأ علىٰ أصحابه إذا مرضوا»[(١)].

ومن مجموع ما سبق نعلم أن الكراهة خاصة بالاسترقاء والاكتواء من بين سائر الأدوية؛ لحديث السبعين ألفاً[(٢)] وحديث العقار ابن المغيرة بن شعبة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «من اكتوىٰ أو استرقىٰ فقد برئ من التوكل»[(٣)]. فالاسترقاء يقدح في تمام التوكل.

قال الحافظ: «إن المراد بترك الرقىٰ والكي الاعتماد علىٰ الله في دفع الداء والرضا بقدره، لا القدح في جواز ذلك لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحةعن السلف الصالح، لكن مقام الرضا والتسليم أعلىٰ من تعاطي الأسباب، وإلىٰ هذا نحا الخطابي ومن تبعه»[(٤)].

وقال الخطابي: «المراد من ذلك ترك الاسترقاء علىٰ جهة التوكل علىٰ الله والرضا بقضائه وبلائه، وهذه أرفع درجات المحققين للإيمان»[(٥)].

وقال النووي: «والظاهر من معنىٰ الحديث أن هؤلاء كمل تفويضهم إلىٰ الله ﷻ، فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم، ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها»[(٦)].

وقد جاءت أحاديث فيها الأمر بالاسترقاء كما في حديث عائشة قالت: «أمرني

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١/ ١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥).

(٣) المسند ٤/ ٢٤٩ وابن ماجه (٣٤٨٩).

(٤) الفتح ١٠/ ٢٢٢.

(٥) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ٣/ ٩٠ .

(٦) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٣/ ٩١).

النبي ﷺ ـ أو أمر ـ أن يسترقى من العين»[١].

وحديث أم سلمة: «أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها فإن بها نظرة»»[٢]. وهذا يحمل على الرخصة، والترك يحمل على الكمال، جمعاً بين النصوص، فإعمالها جميعا خير من إهمال بعضها[٣].

الركوع

انظر باب: «الانحناء».

الرمال

انظر باب: «الكهانة».

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٨) ومسلم (٢١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧).

(٣) انظر التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب ٢٠٩.

١٣٦ - الرهبة *

قال ابن قاسم: «الرهبة: الخوف والفزع»(١).

وقال الراغب: «مخافة مع تحرز واضطراب»(٢).

وقال ابن عثيمين: «الرهبة هي: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل»(٣).

وهي من العبادات القلبية.

* **الدليل من الكتاب:** قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

* **الدليل من السنة:** عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ نَامَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ»(٤).

---

* حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ٣٩. معارج القبول ١/ ٣٣٢. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٢٠.

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ٣٩.

(٢) المفردات (ر غ ب).

(٣) الأصول الثلاثة انظر مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ٥٥.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣١٥) للاستزادة انظر باب الرغبة والخوف.

١٣٧- الريـاء *

[الإخلاص- إرادة الإنسان بعمله الدنيا]

الرياء لغة: مصدر راءىٰ يرائي. وهو مشتق من الرؤية.

قال ابن فارس: «الراء، والهمزة، والياء، أصل يدل علىٰ نظر، وإبصار بعين، أو بصيرة، فالرأي ما يراه الإنسان في الأمر... وتراءىٰ القوم، إذا رأىٰ بعضهم بعضاً. وراءىٰ فلان يرائي، وفعل ذلك رئاء الناس، وهو أن يفعل شيئا ليراه الناس»[(١)].

وقال ابن منظور: «راءيت الرجل مراءاة ورياء أي: أريته أني علىٰ خلاف ما أنا عليه»[(٢)].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٣١/ ٢٧٢. شرح السنة للبغوي ١٤/ ٣٢٢. مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٦١٣، ٢٣/ ١٧٤، ٢٨/ ١٧١. ذم الرياء لأبي محمد الحسن بن إسماعيل الضرَّاب، تحقيق د/ محمد باكريم. أعلام الموقعين ٢/ ١٦٢. قواعد الأحكام ١/ ١٤٧. تلبيس إبليس ص ١٧٣. جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٧٧-٨٤. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٥٦، ١٦٠، ٢٨٣، ٤٩٥. تيسير العزيز الحميد ١١٨، ٥٢٩. فتح المجيد ١٠٢، ٤٣١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢٦٤،٥٠.

القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١١٤ ٢/ ٢٢٦، ط٢-١/ ١٤٥- ٢/ ٢٧٦، ومن المجموع ٩/ ١٠٦، ١٠/ ٧٠٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ١٦٢، ٣٧٩. معارج القبول ١/ ٣٦٨. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٥٢٩، ٥١٨. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٢٧٠. نور علىٰ الدرب ابن باز ص٢٥١. مجلة البحوث الإسلامية ٢٠٧ العدد ٣٧. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٢٠٦ -٧/ ١١٦. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٥٥، ٧٢. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٨٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٩٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٦٩.

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) لسان العرب مادة (رأي).

وفي الشرع: قال ابن حجر: «الرياء هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها»[(١)].

وقال الجرجاني: «هو ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه»[(٢)].

وقوله: «العمل»، يخص الأعمال الصالحة أما الأعمال الدنيوية فلو عملها ليمدحه الناس فهذا ليس من الرياء.

فتعريف الرياء: تحسين العبادة في الظاهر أو إظهارها أو الإخبار عنها بقصد رؤية الناس وكسب الثناء منهم.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة.٢٦٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء.٣٨] وقال تعالى في وصف حال المنافقين: ﴿خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء.١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(٣)].

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٣٦.

(٢) التعريفات ١١٣.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

وعن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»(١).

وعن سلمة قال: سمعت جُندباً يقول: قال النبي ﷺ ـ ولم أسمع أحداً يقول قال النبي ﷺ غيرَه ـ فدنوتُ منه فسمعتُه يقول: قال النبي ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يرائي الله به»(٢).

وانظر للاستزادة في الأدلة باب (الإخلاص).

*** أقوال السلف في الرياء:**

قال يوسف بن الحسين الرازي: «أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهدُ في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر»(٣).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليها وبهرجوها بضدها، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل، وقال تعلموا صحة العمل من سقمه فإني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة»(٤).

وقال محمد بن زياد: «رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي ويدعو فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك»(٥).

وقال الفضيل بن عياض: «من واقى خمساً فقد وقي شر الدنيا والآخرة العجب والرياء والكبر والإزراء والشهوة»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد(٢٤٠٣٠)(٢٤٠٣١) (٢٤٠٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩).

(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٨٤.

(٤) تلبيس إبليس ص١٧٤.

(٥) الزهد لابن المبارك ص٥٠، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦١.

(٦) حلية الأولياء ٨ / ٩٥.

وقال الخطابي: «من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه»[(١)].

وقال ابن الجوزي: «وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفي الرياء»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص ـ فإنه يظهر للناس أمراً وهو في الباطن بخلافه ـ عامله الله بنقيض قصده، فإن المعاقبة بنقيض القصد ثابتة شرعاً وقدراً، ولما كان المخلص يُعجَّل له من ثواب إخلاصه الحلاوة والمحبة والمهابة في قلوب الناس عجَّل للمتزين بما ليس فيه من عقوبته أن شانَهُ الله بين الناس، لأنه شان باطنه عند الله»[(٣)].

أحكام وفوائد:

١ - الفرق بين الرياء والسمعة:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «**الرياء**: مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها.

والسمعة: مشتقة من سمع والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر»[(٤)].

وقال أيضاً: «لكن قد يستحب إظهاره ممن يُقتدىٰ به على إرادته الاقتداء به، ويقدر ذلك بقدر الحاجة. قال ابن عبدالسلام: يُستثنىٰ من استحباب إخفاء العمل من يظهره ليُقتدىٰ به أو ليُنتفع به ككتابة العلم»[(٥)].

---

(١) عمدة القاري ٢٣/ ٨٦، فتح الباري ١١/ ٣٣٦ وهذا القول من الخطابي شرح لقوله ﷺ: «من يرائي يرائي الله به».

(٢) تلبيس إبليس ١٧٣، ١٧٤.

(٣) أعلام الموقعين ٢/ ١٨٠.

(٤) فتح الباري ١١/ ٣٣٦.

(٥) فتح الباري ١١/ ٣٣٧.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس»[١].

وفي بيان معنى التسميع المذكور في قوله ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به»[٢] قال النووي رحمه الله: «التسميع: هو أن يعمل لله في الخلوة ثم يحدّث الناس بما عمل... قال العلماء: فإن كان عالماً يقتدى به، وذكر ذلك تنشيطا للسامعين ليعملوا به فلا بأس»[٣].

وقال أيضاً: «كما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع»[٤].

وبعضهم يدخل السمعة في تعريف الرياء؛ لأن الجزاء واحد وهو حبوط العمل.

وقال الصنعاني: «الرياء أن يفعل الطاعة، ويترك المعصية، مع ملاحظة غير الله، أو يخبر بها، أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي من مال أو نحوه»[٥].

وقال الشيخ ابن عثيمين في الرياء: «ويدخل في ذلك[٦] من عمل العمل ليسمعه الناس ويقال له مسمع وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: من راءى راءى الله به، ومن سمَّع سمَّع الله به»[٧].

٢ - الرياء شرك:

يطلق العلماء على يسير الرياء الشرك الأصغر قال المروزي: «وشرك في العمل لا ينقل عن الملة وهو الرياء قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٢٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٩) (٧١٥٢)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٣) شرح الأربعين النووية ص٩.

(٤) شرح الأربعين النووية ص٩.

(٥) سبل السلام ٤/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٦) يقصد الرياء.

(٧) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٧٠٥. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٢٦.

يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]»[(١)]. يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة.

وقال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر؛ فكيسير الرياء والتصنع للخلق... إلخ»[(٢)].

وقال الشيخُ سليمان بن عبد الله: «ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرياء فدل على أن كثيره أكبر...»[(٣)].

ومن الأدلة على ذلك حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «اليسير من الرياء شرك»[(٤)].

وقال ابن عثيمين: «الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثَّل ابن القيم للشرك الأصغر فقال: «مثل يسير الرياء» وهذا يدل على أن الرياء كثيره قد يصل إلى الأكبر»[(٥)].

وتارة يطلقون عليه الشرك الخفي. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «سمي الرياء شركاً خفياً، لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره، وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي. وفي حديث محمود بن لبيد الذي تقدم في باب الخوف من الشرك تسميته بالشرك الأصغر. وعن شداد بن أوس قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ، الشرك الأصغر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، وابن جرير في التهذيب. والطبراني والحاكم وصححه. فظاهره أنه من

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٥٧٢.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٤٤، ٣٧٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٥٣٧.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٤)، (٤/ ٣٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٦١) رقم (١٠٤٦)، وابن ماجه (٣٩٨٩).

(٥) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩٢٦. وانظر ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦، ٩/ ١١٤، ١١٥، من المجموع وأيضاً القول المفيد ط١-٢/ ٢٢٧.

الأصغر مطلقا، وهو ظاهر قول الجمهور»(١).

ودل على تسميته بالشرك الخفي قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل...»(٢).

ويسمى أيضاً شرك السرائر لما روى ابن خزيمة عن محمود بن لبيد قال خرج النبي ﷺ فقال: «ثم أيها الناس إياكم وشرك السرائر» قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر»(٣).

٣ - الرياء على درجتين(٤):

الدرجة الأولى: رياء المنافقين، بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر لأجل رؤية الخلق، وهذا منافٍ للتوحيد من أصله وكفر أكبر بالله ﷻ؛ ولهذا وصف الله المنافقين بقوله: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

جاء في فتاوى اللجنة ما نصه: «إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلا رياء ولولا ذلك ما صلى ولا صام ولا ذكر ولا قرأ القرآن فهو مشرك شركا أكبر وهو من المنافقين الذين قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ...﴾ الآية [النساء:١٤٢]»(٥).

وقال الشاطبي: «والثالث: ما يرجع إلى المراءاة فأصل هذا إذا قصد به نيل

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٥٣٦، ٥٣٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٣٠).

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٩٣٧).

(٤) انظر التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص٣٩٨.

(٥) فتاوى اللجنة ١/٥١٨.

المال أو الجاه، فهو الرياء المذموم شرعا وأدهى ما في ذلك فعل المنافقين الداخلين في الإسلام ظاهرا بقصد إحراز دمائهم وأموالهم»[(١)].

الدرجة الثانية:

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «أن يكون الرجل مسلماً أو المرأة مسلمةً، ولكن يرائي بعمله أو ببعض عمله، فهذا شرك خفي وذلك الشرك منافٍ لكمال التوحيد، والله -جل وعلا- قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦] على قول من قال: إن قوله: ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ يدخل فيه الشرك الخفي والأصغر»[(٢)].

٤ - حكم العبادة إذا خالطها الرياء:

لقد فصَّل العلماء في حكم العبادة إذا خالطها الرياء، وفيما يلي بعض أقوالهم:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة.

فالمقبول: ما كان لله خالصاً وللسنة موافقاً.

والمردود: ما فقد منه الوصفان أو أحدهما.

وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عُمِل لوجهه وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها بل يمقتها ويمقت أهلها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ قال الفضيل بن عياض: «هو أخلص العمل وأصوبه». فسُئِل عن معنى ذلك فقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم

---

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٣٩٨، ٣٩٩.

قرأ قوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾» فإن قيل: فقد بان بهذا أن العمل لغير الله مردود غير مقبول والعمل لله وحده مقبول فبقي قسم آخر وهو أن يعمل العمل لله ولغيره، فلا يكون لله محضاً ولا للناس محضاً فما حكم هذا القسم؟ هل يبطل العمل كله؟ أم يبطل ما كان لغير الله ويصح ما كان لله؟ قيل: هذا القسم تحته أنواع ثلاث:

أحدها: أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص ثم يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثنائه فهذا المعول فيه على الباعث الأول ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها أعني قطع ترك استصحاب حكمها.

الثاني: عكس هذا وهو أن يكون الباعث الأول لغير الله ثم يعرض له قلب النية لله فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل ويحتسب له من حين قلب نيته،ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة وإلا لم تجب كمن أحرم لغير الله ثم قلب نيته لله عند الوقوف والطواف.

الثالث: أن يبتدئها مريداً بها الله والناس فيريد أداء فرضه والجزاء والشكور من الناس وهذا كمن يصلي بالأجرة فهو لو لم يأخذ الأجرة صلَّى ولكنه يصلي لله وللأجرة وكمن يحج ليسقط الفرض عنه ويقال فلان حج، أو يعطي الزكاة كذلك فهذا لا يقبل منه العمل، وإن كانت النية شرطاً في سقوط الفرض وجبت عليه الإعادة، فإن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه، فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود ولم يؤمر إلا بهذا وإذا كان هذا هو المأمور به فلم يأت به بقي في عهدة الأمر، وقد دلت السنة الصريحة على ذلك كما في قوله ﷺ: «يقول الله ﷻ

يوم القيامه: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو كله للذي أشرك به» وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾»[1].

وقال الإمام ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «واعلم أن العمل لغير الله أقسام، فتارة يكون رياء محضاً، فلا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ...﴾ [النساء:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ وكذلك وصف الله الكفار بالرياء المحض في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال:٤٧] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة، أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضا وحبوطه، ثم ذكر أحاديث تدل على ذلك، منها حديث أبي هريرة السابق، وحديث شداد بن أوس مرفوعاً: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، فإن الله ﷻ يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي فمن أشرك بي شيئاً فإن جسده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني» رواه أحمد. وحديث الضحاك بن قيس مرفوعا إن الله ﷻ يقول: «أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكاً، فهو لشريكه يا

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٨١، ١٨٢).

أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله ﷻ، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا: هذا لله والرحم فإنها للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم، فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء» رواه البزار وابن مردويه والبيهقي بسند قال المنذري: لا بأس به. وحديث أبي أمامة الباهلي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له» فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول ﷺ: «لا شيء له»، ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه» خرجه النسائي بإسناد جيد[1]، وخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف الموقف أريد به وجه الله وأريد أن يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠] ومن يروي عنه هذا المعنى أن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلاً طائفة من السلف منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء والحسن وسعيد بن المسيب وغيرهم وفي مراسيل القاسم بن مخيمرة عن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من خردل من رياء»، ولا نعرف عن السلف في هذا خلافاً وإن كان فيه خلاف عند بعض المتأخرين. فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده ولم يبطل بالكلية وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم»، وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضاً من الدنيا أنه لا أجر له وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا.

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٢).

وقال الإمام أحمد: التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

وقال أيضاً فيمن يأخذ جُعلاً على الجهاد: إذا لم يخرج إلا لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ كأنه خرج لدينه فإن أعطي شيئاً أخذه. وكذا روي عن عبد الله بن عمرو قال: «إذا جمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقاً فلا بأس بذلك، وأما إن أَحَدَكُم إن أعطي درهماً غزا وإن منع درهماً مكث فلا خير في ذلك».

وكذا قال الأوزاعي: إذا كانت نية الغازي على الغزو فلا أرى بأسا وهكذا يقال فيمن أخذ شيئا في الحج ليحج به إما عن نفسه أو عن غيره وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الحمال وحج الأجير وحج التاجر: هو تام لا ينقص من أجورهم شيء. وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.

وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك، ويجازى على أصل نيته؟

في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن البصري وغيره، ويستدل لهذا القول بما خرجه أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال: يا رسول الله إن بني سلمة كلهم يقاتل، فمنهم من يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نجدة، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله، فأيهم الشهيد؟ قال: «كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا».

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية.

وكذلك روي عن سليمان بن داود الهاشمي أنه قال: ربما أُحدِّث بحديث ولي فيه نية، فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلى نيات.

ولا يرِد على هذا الجهاد كما في مرسل عطاء الخراساني، فإن الجهاد يلزم بحضور الصف ولا يجوز تركه حينئذ فيصير كالحج، فأما إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك لم يضره ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» خرجه مسلم، وخرجه ابن ماجه وعنده «الرجل يعمل العمل فيحبه الناس عليه»؛ ولهذا المعنى فسره الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وابن جرير الطبري وغيرهم، وكذلك الحديث الذي خرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يعمل فيُسِرُّه فإذا اطلع عليه أعجبه فقال: «له أجران أجر السر وأجر العلانية»، ولنقتصر على هذا المقدار من الكلام على الإخلاص والرياء، فإن فيه كفاية»[1].

وفي المنثور للزركشي يقول: «والرياء آفة كل عبادة، قال الحليمي: ثبت بالكتاب والسنة أن كل عمل أمكن أن يراد به وجه الله تعالى إذا لم يعمل لمجرد التقرب به إليه وابتغاء رضاه حبط ولم يستوجب ثواباً، إلا أن فيه تفصيلاً وهو أن العمل إذا كان فرضاً فمن أداه وأراد به الفرض غير أنه أداه بنية الفرض ليقول الناس أنه فعل كذا لا طلباً لرضا الله سقط عنه الفرض، ولم يؤاخذ به في الآخرة، ولم يعاقب بما يعاقب به تاركاً البتة ولكنه لا يستوجب ثواباً، وإنما ثوابه ثناء الناس عليه في الدنيا- وإن كان تطوعاً ففعله يريد به وجه الناس فإن أجره يحبط ولا

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٧٩-٨٤.

يحصل من عمله على شيء يكون له كما حصل الأول سقط الفرض ثم العقاب لأجل أنه عمل لغير الله تعالى»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «اتصال الرياء بالعمل على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون الباعث على العبادة مراءاة الناس من الأصل كمن قام يصلي لله مراءاة الناس من أجل أن يحمده الناس على صلاته فهذا مبطل للعبادة.

الوجه الثاني: أن يكون مشاركاً للعبادة أثنائها: بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله، ثم طرأ الرياء في أثناء العبادة، فهذه العبادة لا تخلو من حالين:

الحال الأولى: أن لا يرتبط أول العبادة بآخرها فأولها صحيح بكل حال، وآخرها باطل، مثال ذلك رجل عنده مائة ريال يريد أن يتصدق بها فتصدق بخمسين منها صدقة خالصة، ثم طرأ عليه الرياء في الخمسين الباقية فالأولى صدقة صحيحة مقبولة، والخمسون الباقية صدقة باطلة لاختلاط الرياء فيها بالإخلاص.

الحال الثانية: أن يرتبط أول العبادة بآخرها فلا يخلو الإنسان حينئذ من أمرين:

الأمر الأول: أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه بل يعرض عنه ويكرهه، فإنه لا يؤثر شيئا لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

الأمر الثاني: أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه، فحينئذ تبطل جميع العبادة لأن أولها مرتبط بآخرها. مثال ذلك أن يبتدئ الصلاة مخلصا بها لله تعالى ثم يطرأ عليها الرياء في الركعة الثانية فتبطل الصلاة كلها لارتباط أولها بآخرها.

الوجه الثالث: أن يطرأ الرياء بعد انتهاء العبادة فإنه لا يؤثر عليها ولا يبطلها لأنها تمت صحيحة فلا تفسد بحدوث الرياء بعد ذلك.

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء أن يسر الإنسان بفعل الطاعة، لأن ذلك دليل

---

(١) المنثور للزركشي ٢/ ٤٢٢.

إيمانه قال النبي ﷺ: «من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن». وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «تلك عاجل بشرىٰ المؤمن»»[(١)].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «العلماء فصلوا في ذلك فقالوا: الرياء - إذا عرض للعبادة - له أحوال:

الحالة الأولىٰ: أن يعرض للعبادة من أولها، فإذا عرض للعبادة من أولها فإن العبادة كلها باطلة، كأن ينشئ الصلاة لنظر فلان، فهو لم يرد أن يصلي، لكن لما رأىٰ فلان ينظر إليه صلىٰ، فهذا عمله حابط يعني أن الصلاة التي صلاها حابطة وهو مأزور علىٰ مراءاته ومرتكب الشرك الخفي، الشرك الأصغر.

والحالة الثانية: أن يكون أصل العبادة لله، ولكن خلط ذلك العابد عمله رياء، كمن أطال الركوع وأكثر التسبيح وأطال القراءة والقيام لأجل من يراه، فأصل العبادة - والتي كانت لله – له، وما عدا ذلك فهو حابط؛ لأنه راءىٰ في الزيادة علىٰ الواجب فيحبط ذلك الزائد وهو آثم عليه، لا يؤجر عليه ولا ينتفع منه ويؤزر علىٰ إشراكه وعلىٰ مراءاته في العبادات البدنيه، أما العبادات المالية فيختلف الحال عن ذلك.

قوله: «من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»: يعني بجميع أنواع الأعمال؛ لأن «عملاً» في قوله: «من عمل عملاً» نكرة جاء ت في سياق الشرط، فعمت جميع الأعمال: الأعمال البدنية، والأعمال المالية، والأعمال التي اشتملت علىٰ مال وبدن، فالبدنية: كالصلاة والصيام، والمالية: كالزكاة والصدقة والمشتملة علىٰ بدن ومال: كالحج والجهاد ونحو ذلك، والمقصود من قوله: «من عمل عملاً» أنه أنشأه «أشرك فيه معي غيري» جعله الله جميعاً، فإن الله ـ جل وعلا ـ أغنىٰ الشركاء عن الشرك، لا يقبل إلا ما كان له وحده سبحانه وتعالىٰ»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) التمهيد ص٤٠٠، ٤٠١.

٥ - الأمور التي يقع فيها الرياء:

الأمور التي يقع فيها الرياء كثيرة، لكنها كلها تدور ضمن خمسة أقسام، هي مجامع ما يتزيّن به العبد للناس، كما يقول أبو حامد الغزالي[(١)]، وهي: «البدن، والزيّ، والقول، والعمل، والاتباع».

قال ابن جزي في القوانين الفقهية: «وما يتعلق بالرياء تسميع الناس بالعمل والتزين للناس بإظهار الخير في القول أو في الفعل أو في اللباس أو غير ذلك»[(٢)].

فأما الرياء بالبدن: فيفعل ما يوهم شدة الاجتهاد في العبادة، والسهر، وقيام الليل، وكل ذلك لتحصيل الثناء من الخلق.

وأما الرياء بالزِّي والهَيْئَة: فيكون بعدة أمور منها لبس خشن الثياب ولبس الصوف لإظهار التزهد وكسب ثناء الناس بإظهار أنه متبع للسنة، وينبغي أن يفرق بين من فعل ذلك بقصد الاتباع، وبين أن يفعل ذلك بقصد إظهار الاتباع، فالأول محمود يثاب فاعله، والثاني مذموم آثم صاحبه لأنه أراد بعمله مراءاة الخلق. نسأل الله السلامة.

والرياء بالقول كثير يصعب حصر أنواعه، فيكون بأمور:

كالوعظ، والتذكير، وإظهار الغزارة في العلم، ليقال عالم، أو ليعرف الناس عنه ذلك، وأنه حريص على وعظ الناس وتذكيرهم، فأصبح مقصده أن يعرف الناس عنه ذلك ليحصل ثناءهم وتوقيرهم، وهذا هو الرياء.

كما تكون المراءاة بقراءة القرآن ورفع الصوت به، وتسميع الناس به ليقال قارئ، ويثنى عليه بذلك.

وهذا الصنف من أول من يقضى عليهم يوم القيامة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

---

(١) الإحياء ٣/ ٣٩٠. وانظر: مختصر منهاج القاصدين ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) القوانين الفقهية ٢٨٥.

«إن أول الناس يُقضىٰ يوم القيامة عليه رجلٌ استُشهد فأُتي به فعرّفه نعمته فعَرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتىٰ استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار. ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرَّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن. قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار ...»[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «ومنهم من يرفع غيره رياء فيرفع نفسه فيقول: لو دعوت البارحة في صلاتي لفلان لما بلغني عنه كيت وكيت؛ ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده أو يقول فلان بليد الذهن قليل الفهم وقصده مدح نفسه وإثبات معرفته وإنه أفضل منه»[(٢)].

وقال ابن رجب رحمه الله في شرح حديث ما ذئبان جائعان: «وهاهنا نكتة دقيقة وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرىٰ الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: كفىٰ بالنفس إطراء أن تذمها علىٰ الملأ كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله سفه»[(٣)].

أما الرياء بالعمل: فصوره كثيرة، كمراءاة المصلي بطول القيام، ومد الظهر، وإطالة السجود، والركوع، وإظهار الخشوع في الصلاة، وتصنع ذلك، لملاحظة العباد له.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٢٣٧.

(٣) مجموع رسائل الحافظ الإمام ابن رجب ص٩١.

كما يكون في الصوم، بإظهار علاماته، وإشعار الحاضرين بأنه صائم ليقال صوام. أو يقول لصاحبه أدعوك اليوم لتفطر معي يريد تعريفه أنه صائم، ويكون في الحج، كمن يحج لتحصيل لقب حاج، ولينال مكانة عند الناس بذلك.

ويكون في الصدقة، بإظهارها ليقال: جواد، وليقال: محسن، كما في حديث أبي هريرة المتقدم: «... ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1].

وكذلك تكون المراءاة بالغزو والجهاد، كمن يقاتل ويجاهد ليقال: مجاهد، أو ليقال شجاع، وكمن يوهم سامعيه أو الحاضرين أنه لقي شيخا مشهورا من أهل العلم، وأنه أخذ عنه، لتحصيل الجاه والمنزلة عند الحاضرين[2].

٦ - بين المرائي والمعجب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثيرا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب فالرياء من باب الإشراك بالخلق والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر فالمرائي لا يحقق قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ خرج عن الرياء ومن حقق ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب وفي الحديث المعروف ثلاث مهلكات: «شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»»[3].

(١) سبق تخريجه.

(٢) بتصرف واختصار من مقدمة كتاب ذم الرياء تحقيق د/ محمد باكريم ص٣٩، ٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٧٧.

٧ - علاج الرياء:

١ ـ أن يترك النظر والاهتمام بالناس لا فعلاً ولا تركاً، ويعلم أنهم لا يغنون عنه من الله شيئاً، ويُعوِّد نفسه علىٰ أن تكون العبادة خالصة لله ﷻ وأن تكون سواءً في بيته وعند الناس ولذلك جاء في تعريف الإخلاص أنه «استواء أحوال العبد في الظاهر والباطن»[1]. قال الشيخ السعدي رحمه الله: «وعلىٰ العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته وذلك بكمال التعلق بالله تألها وإنابة وخوفا ورجاء وطمعا وقصدا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه»[2].

٢ ـ الإكثار من الدعاء في ذلك فقد جاء حديث أبي بكر: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه، وأستغفرك مما لا أعلمه»[3].

٣ ـ مشاهدة منة الله عليه وفضله وتوفيقه، وأنه بالله لا بنفسه، فكل خير فهو مجرد فضل الله ومنته. فحقَّ أن يُراد بالعمل وجهه ولا يهتم بنظر الناس.

٤ ـ مطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره في عمله، وما فيه من حظ النفس، ونصب للشيطان.

٥ ـ خوف مقت الله تعالىٰ. إذا نظر إليك حال العبادة وأنت تشرك معه غيره.

٦ ـ تذكير النفس دائما بخطر الرياء وعاقبته ومعرفة مداخله وخفاياه وتذكير النفس أن الله هو خير من يجازي علىٰ العمل أما من راءيت من أجله فلا يملك نفعا ولا يدفع ضرا بل قد يتحول مدحه مقتاً وسخطاً. يقول الشيخ السعدي رحمه الله:

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٥٣٧.

(٢) القول السديد ص ٢٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٩٨٣٥).

«والرياء آفة عظيمة يحتاج إلىٰ علاج شديد وتمرين النفس علىٰ الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأعراض الضارة والاستعانة بالله علىٰ دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده»(١).

٨ - هل ترك العمل من أجل الناس رياء:

قال الفضيل بن عياض: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما»(٢).

جاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة توضيح لقول الفضيل بن عياض رحمه الله وهذا نصه: «أما قوله «إن العمل من أجل الناس شرك» فهو صحيح لأن الأدلة من الكتاب والسنة تدل علىٰ وجوب إخلاص العبادة لله وحده وتحريم الرياء وقد سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر وذكر أنه أخوف ما يخاف علىٰ أمته ﷺ.

وأما قوله إن ترك العمل من أجل الناس رياء فليس علىٰ إطلاقه بل فيه تفصيل، والمعول علىٰ ذلك علىٰ النية لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ» مع العناية بتحري موافقة الشريعة في جميع الأعمال لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فإذا وقع الإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه لئلا يظن به ما يضره فليس هذا من الرياء بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشىٰ الفتنة به، أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن نهىٰ عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء فنهيه مردود عليه من وجوه:

---

(١) القول السديد ١٠٨، ١٠٩.

(٢) البيهقي (٦٨٧٩) والحلية ٨/ ٩٥ وتهذيب الكمال ٢٣/ ٢٩١.

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٥٣٢ رقم ٣٤١٩.

أحدها: أن الأعمال المشروعة لا ينهى عنها خوفا من الرياء بل يؤمر بها وبالإخلاص فيها ونحن إذا رأينا من يفعلها أقررناه وإن جزمنا أنه يفعلها رياء. فالمنافقون الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]، فهؤلاء كان النبي ﷺ والمسلمون يقرونهم على ما يظهرونه من الدين وإن كانوا مرائين ولا ينهونهم عن الظاهر لأن الفساد في ترك إظهار المشروع أعظم من الفساد في إظهار رياء كما أن فساد ترك إظهار الإيمان والصلوات أعظم من الفساد في إظهار ذلك رياء ولأن الإنكار إنما يقع على الفساد في إظهار ذلك رئاء الناس.

الثاني: لأن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة وقد قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أن أشق بطونهم» وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من أظهر لنا خيرا أحببناه وواليناه عليه وإن كانت سريرته بخلاف ذلك، ومن أظهر لنا شراً أبغضناه عليه وإن زعم أن سريرته صالحة».

الثالث: أن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير والدين إذا رأوا من يظهر أمراً مشروعاً مسنوناً قالوا هذا مراء فيترك أهل الصدق والإخلاص إظهار الأمور المشروعة حذراً من لمزهم وذمهم فيتعطل الخير ويبقى لأهل الشرك شوكة يظهرون الشر ولا أحد ينكر عليهم وهذا من أعظم المفاسد.

الرابع: أن مثل هذا من شعائر المنافقين وهو يطعن على من يظهر الأعمال المشروعة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة:٧٩]، فإن النبي ﷺ لما حض على الإنفاق عام تبوك جاء بعض

الصحابة بصرة كادت يده تعجز من حملها فقالوا هذا مراء وجاء بعضهم بصاع فقالوا لقد كان الله غنياً عن صاع فلان فلمزوا هذا وهذا فأنزل الله ذلك وصار عبرة فيمن يلمز المطيعين لله ورسوله ـ والله أعلم ـ»[١].

٩ - مسألة:

لو أن هناك إنسان لم يعتد على عمل صالح كقيام الليل وحضر عنده ناس يقومون الليل فقام معهم فهل هذا من الرياء؟.

الجواب: إن هذا ليس من الرياء؛ لأنه ما قام يريد مدحهم، ولكنه نشط لهذه العبادة لما جالسهم يدل على ذلك حديث حنظلة الأسيدي وكان من كُتّاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ[٢] عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر؛ لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة» ثلاث مرات»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦.

(٢) بالرفع ويصح بالنصب.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

١٣٨- الزنديق *

[النفاق]

قال في القاموس المحيط: «الزنديق بالكسر من الوثنية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة، وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان»(١).

وقال ثعلب: «ليس في كلام العرب زنديق وإنما قالوا زندقي لمن يكون شديد التحيل، وإذا أرادوا ما تريد العامة قالوا ملحد ودهري بفتح الدال أي: بدوام الدهر، وإذا قالوها بالضم أرادوا كبر السن»(٢).

وفي الفتح: «قال أبو حاتم السجستاني وغيره: الزنديق فارسي معرب أصله: «زندة كرداي»، يقول بدوام الدهر لأن زندة الحياة وكرد العمل ...وقال الجوهري: الزنديق من الثنوية(٣)، كذا قال، وفسره بعض الشراح بأنه الذي يدعي أن مع الله إلها آخر، وتعقب بأنه يلزم منه أن يطلق على كل مشرك، والتحقيق ما

* الرد على الزنادقة للإمام أحمد. التمهيد لابن عبد البر ١٠/ ١٤٥ ـ ١٥٥. أحكام القرآن القرطبي ١/ ٢٠٠، ٨/ ٢٠٨. مجموع الفتاوى ٧/ ٤٧١، والإيمان لابن تيمية: ٢٠٣. فتح الباري ١٢/ ٢٧٠. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٩٢ـ ٣٩٤. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٦٨. قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال سعيد بن علي القحطاني ص١٦، ١٧.

(١) القاموس المحيط فصل الزاي باب القاف.

(٢) فتح الباري ١٢/ ٢٧٠.

(٣) هذه من عقائد المجوس وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما فالعالمُ في عقيدتهم له إلهان هما النور والظلمة. واتفقت الثنوية والمانوية على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة. انظر شرح الطحاوية ص٢٧، درء التعارض ٦/ ٩، ١٩٥/ ٣٤٦.

ذكره من صنف في الملل أن أصل الزنادقة أتباع ديصان ثم ماني ثم مزدك الأول وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة قديمان وأنهما امتزجا فحدث العالم كله منهما، فمن كان من أهل الشر فهو من الظلمة ومن كان من أهل الخير فهو من النور، وأنه يجب السعي في تخليص النور من الظلمة فيلزم إزهاق كل نفس، وإلى ذلك أشار المتنبي حيث قال في قصيدته المشهورة:

وكم لظلامِ الليلِ عندكَ من يدٍ ... تُخَبِّرُ أن المانويةَ تكذبُ

وكان بهرام جد كسرى تحيل على ماني حتى حضر عنده وأظهر له أنه قبل مقالته ثم قتله وقتل أصحابه وبقيت منهم بقايا اتبعوا مزدك المذكور وقام الإسلامُ والزنديق يطلق على من يعتقد ذلك، وأظهر جماعة منهم الإسلام خشية القتل»[1].

وفي العصر الإسلامي أطلقت هذه الكلمة على كل من أسرَّ الكفر وأظهر الإسلام، وبذا عرّف الإمام أحمد الزنديق في كتابه «الرد على الزنادقة». وقد أطلقت هذه الكلمة على الجهمية والمعتزلة أيضاً وقد أثر عن الإمام أحمد ما يفيد هذا[2].

وكذا تطلق هذه الكلمة على الملاحدة المنكرين وجود الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمقصود هنا أن الزنديق في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ. وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم. أو كان معطلا جاحداً للصانع، والمعاد والأعمال الصالحة.

ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٨٥، مجموع الفتاوى ٧/ ٤٧١، والإيمان لابن تيمية ص ٢٠٣، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١/ ٨٨.

تكلم الفقهاء في حكمه: هو الأول، لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر وغير الكافر، والمرتد وغير المرتد، ومن أظهر ذلك أو أسرّه.

وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار والمرتدين، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والردة فإن الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة:٣٧]. وتارك الصلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبي الكبائر. كما أخبر بزيادة عذاب بعض الكفار على بعض في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨].

فهذا أصل ينبغي معرفتة فإنه مهم في هذا الباب. فإن كثيرا ممن تكلم في «مسائل الإيمان والكفر» ـ لتكفير أهل الأهواء ـ لم يلحظوا هذ الباب، ولم يميزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أن الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن تدبر هذا علم أن كثيرا من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمنا مخطئا جاهلا ضالا عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ. وقد يكون منافقا زنديقا يظهر خلاف ما يبطن»[(١)].

*** حكم توبة الزنديق:**

قال الخرقي: «ومن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء، وكان بالغاً عاقلاً، دُعي إليه ثلاثة أيام، وضيّق عليه فإن رجع وإلا قتل» ا.هـ

قال ابن قدامة رحمه الله: «الفصل الخامس: أن مفهوم كلام الخرقي أنه إذا تاب قبلت توبته ولم يقتل أيَّ كُفْرٍ كان، وسواءٌ كان زنديقاً يستسر بالكفر أو لم يكن وهذا مذهب الشافعي والعنبري، ويروىٰ عن علي وابن مسعود وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد واختيار أبي بكر الخلال وقال إنه أولىٰ علىٰ مذهب أبي عبد الله، والرواية

(١) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٤٧١.

الأخرىٰ لا تقبل توبة الزنديق ومن تكررت ردته هو قول مالك والليث وإسحاق وعن أبي حنيفة روايتان كهاتين وأخبار أبو بكر أنه لا تقبل توبة الزنديق لقول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٦٠] والزنديق لا تظهر منه علامة تبين رجوعه وتوبته لأنه كان مظهراً للإسلام مسرًّا للكفر فإذا وقف علىٰ ذلك فأظهر التوبة لم يزد علىٰ ما كان منه قبلها وهو إظهار الإسلام»[١].

وقال أيضاً: «وقول أصحابنا لا تقبل توبة الزنديق معناه لا يسقط عنه القتل الذي توجه عليه لعدم علمنا بحقيقة توبته؛ لأن أكثر ما فيه أنه أظهر إيمانه وقد كان دهره يظهر إيمانه ويستر كفره فأما عند الله ﷻ فإنها تصح إذا علم منه حقيقة الإنابة وصدق التوبة واعتقاد الحق»[٢].

وأما من تكررت ردته فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝١٣٧﴾ [النساء: ١٣٧].

وفي الجملة: فالخلاف بين الأئمة في قبول توبته في الظاهر من أحكام الدنيا من ترك قتله وثبوت أحكام الإسلام في حقهم، وأما قبول الله تعالىٰ لها في الباطن وغفرانه لمن تاب وأقلع ظاهراً أو باطناً فلا خلاف فيه فإن الله تعالىٰ قال في المنافقين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

قال شيخ الإسلام: «لكن العلماء لهم قولان في الزنديق إذا أظهر التوبة: هل تقبل توبته فلا يقتل؟ أم يقتل؛ لأنه لا يعلم صدقه؛ فإنه ما زال يظهر ذلك؟ فأفتىٰ طائفة بأنه يُستتاب فلا يُقتل، وأفتىٰ الأكثرون بأنه يُقتل وإن أظهر التوبة، فإن كان

---

(١) المغني ٩/ ١٨.

(٢) المغني ٢/ ٢٦٦.

صادقاً في توبته نفعه ذلك عند الله وقتل في الدنيا، وكان الحد تطهيراً له، كما لو تاب الزاني والسارق ونحوهما بعد أن يرفعوا إلى الإمام فإنه لابد من إقامة الحد عليهم؛ فإنهم إن كانوا صادقين كان قتلهم كفارة لهم، ومن كان كاذباً في التوبة كان قتله عقوبة له»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب:٦٠-٦٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذه الآية أنزلها الله قبل الأحزاب وظهور الإسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبعدها وقبل أحد وبعدها فأخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي، وبهذا يجيب من لم يقتل الزنادقة ويقول اذا أخفوا زندقتهم لم يمكن قتلهم ولكن إذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ »[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١١٠، وانظر ١٣/ ٢١، ١١/ ٤٠٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢١.

١٣٩- زيارة القبور*

الزيارة من الزَّور والزَّور: أعلى الصدر.

وزرت فلاناً: تلقيته بزوري أي بصدري، أو قصدت زوره أي صدره، وزاره يزوره زوراً وزيارة أي عاده[1].

والزيارة: معناها هنا قصد زيارة القبر الخروج إلى المقابر.

أحكام وفوائد:

١- زيارة المقابر تنقسم إلى ثلاثة أقسام: زيارة بدعية وشركية وشرعية، وتفصيلها كما يلي:

١- زيارة بدعية: وهي التي يشد الرحل إليها أو يصاحبها هجر أو غير ذلك من

---

* التمهيد لابن عبد البر ٣/ ٢٠،٢٢٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٢. الاستذكار لابن عبد البر ٢/ ١٦٠. شرح السنة للبغوي ٥/ ٤٦٢. المصنف لابن أبي شيبة ٣ / ٢٩. المحلى بالآثار لابن حزم ٣ / ٣٨٨. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٦٤ ـ ٧٦١. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٧٦/ ٩١/ ٤١٤. أحكام القرآن القرطبي ٢٠/ ١٧١. إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٢. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٣١٠، ٣/ ٦٤٣ ـ ٤/ ١١ . أجوبة المسائل الثمان في السنة والبدعة والكفر والإيمان للعلامة محمد المعصومي ٥٥ ـ ٥٦ وما بعدها. أحكام الجنائز للألباني. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٤٣٥ ومن المجموع ٩ / ٤٢٤. معارج القبول ١/ ٣٨٨. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٧. الدرر السنية ٥/ ١٥٩، ١٠/ ٢٨١، ١١/ ١١٣، نور على الدرب لابن باز ١٦٦/ ٢٩٤. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٤٤. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦/ ١٥١، ١٥٧. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٨٤. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ٢٦٤. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة العباد ص١٩١. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص ١٥٨٥، ١٥٩١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص ٢٠٦. التبرك د: ناصر الجديع ٣١٨، ٣٢٠.

(١) مفردات القرآن (ز و ر)، لسان العرب (ز و ر).

البدع كاتخاذها أعياداً والعكوف عندها، والطواف بها وهي إما بدع كفرية مخرجة من الملة أو هي وسائل للشرك أو بدع محدثة[١].

قال ابن القيم: «فبدَّل أهل البدع والشرك قولا غير الذي قيل لهم: بدلوا الدعاء للميت بدعائه لنفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به. وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت وإحسانا إلى الزائر، وتذكيرا بالآخرة، سؤال الميت، والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد، وأوقات الأسحار»[٢].

٢ـ زيارة شركية: وهي التي وقع صاحبها في نوع من أنواع الشرك بالله كدعاء غير الله أو الذبح للقبورأو النذر لهم أو الاستغاثة بهم أو الاستعانة بهم أو الاستعاذة بهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما الزيارة الشركية: فأصلها مأخوذة عن عباد الأصنام. قالوا الميت المعظم، الذي لروحه قربٌ ومنزلةٌ ومزيةٌ عند الله تعالى، لا يزال تأتيه الألطاف من الله تعالى، وتفيض على روحه الخيرات. فإذا علَّق الزائر روحه به، وأدناها منه، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها. كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له.

قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره. وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم، كان أقرب إلى انتفاعه به.

وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما. وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١/ ٢٣٥ ـ ٣٠٣ ـ ٣٥٥ وكتاب أحكام الجنائز ٢٥٨ - ٢٦٧ ففيه مجمل لأنواع البدع.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٢.

وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية. فاض عليها منها النور. وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنفت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المجسدة لها. وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها. وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسد الذرائع المفضية إليه. فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده. وكان ﷺ في شق، وهؤلاء في شق.

وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور: هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالىٰ.

قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه. وصار بينه وبينه اتصال. يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاهٍ وحظوة وقُربٍ من السلطان. فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به.

فهذا سر عبادة الأصنام. وهو الذي بعث الله رسله، وأنزل كتبه بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم. وأباح دماءهم وأموالهم، وسبي ذراريهم. وأوجب لهم النار. والقرآن من أوله إلىٰ آخره مملوء من الرد علىٰ أهله، وإبطال مذهبهم»[(١)].

٣ ـ زيارة شرعية: وهي التي شرعها الإسلام بالشرطين التاليين:

أ ـ أن لا يشد الرحال إليها.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إلاَّ إِلَىٰ ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»[(٢)].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٩.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢٧) بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (١١٩٧،١٩٩٥) بلفظ (لا تُشدَوا).

ب ـ أن لا يقول الزائر هجراً.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإن فيها عبرة»[١]. وفي رواية: «فزوروها ولا تقولوا ما يسخط الرب»[٢].

وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولا تقولوا هُجراً» [٣].

قال مالك: «يعني: لا تقولوا سوءاً»[٤].

وقال ابن الأثير: «أي فحشا يقال أهجر في منطقِهِ يُهجَر إهجاراً إذا أفحش وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي»[٥].

وقال المناوي: «(هجراً) بالضم أي: قبيحاً أو فحشاً»[٦].

وعن سبب نهيه ﷺ عن زيارة القبور يقول المناوي: «لحدثان عهدكم بالكفر، وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصرتم أهل يقين وتقوى (فزوروا القبور) أي بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر أو تقبيل أو سجود عليه أو نحو ذلك»[٧].

وقال الألباني: «ولا يخفى أن ما يفعله العامة وغيرهم عند الزيارة من دعاء الميت والاستغاثة به وسؤال الله بحقه، لهو من أكبر الهجر والقول الباطل، فعلى العلماء أن يبينوا لهم حكم الله في ذلك؛ ويفهموهم الزيارة المشروعة والغاية منها»[٨].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١١٣٤٩)(٢٣٣٤٦)(٢٣٣٩١).

(٢) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد ٣/ ٥٨ وقال: وإسناد رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١٦٢)، والنسائي في الكبرى ١/ ٦٥٤، ومالك في الموطأ ٢/ ٤٨٥، وهو في المستدرك ١/ ٥٣٢، ٦/ ٣٢١، وفي المجمع للهيثمي ٣/ ٥٨، ٥٩.

(٤) الموطأ ٢/ ٤٨٥.

(٥) النهاية لابن الأثير (هـ ج ر).

(٦) فيض القدير ٥/ ٧١.

(٧) فيض القدير ٥/ ٧١.

(٨) أحكام الجنائز ص١٧٩.

وقال الصنعاني رحمه الله بعد أن ذكر أحاديث الإذن بزيارة القبور: «والكل دال على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار فإنه في لفظ حديث ابن مسعود: «فإنها عبرة وذكر للآخرة والتزهيد في الدنيا» فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «أما زيارة الموحدين: فمقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تذكر الآخرة، والاعتبار، والاتعاظ. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»(٢).

الثاني: الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به، فيهجره، ويتناساه، كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه، فإذا زار الحي فرح بزيارته وسرّ بذلك، فالميت أولى. لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم، فإذا زاره وأهدى إليه هدية: من دعاء، أو صدقة، أو أهدى قُربة. ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له. ولهذا شرع النبي للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية، فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا أن يدعوا بهم، ولا يصلّى عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلى نفسه وإلى المزور»(٣).

وقسّم ابن سعدي زيارة القبور إلى نوعين: مشروع وممنوع، فقال رحمه الله: «أما المشروع فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحل، يزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما ولأقاربه ومعارفه خصوصاً، فيكون محسنا إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم،

---

(١) سبل السلام ٢/ ٥٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود بلفظ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة». (١٥٧١) ورواه أيضا عن أبي هريرة يرفعه بلفظ: «زوروا القبور فإنها تذكر الموت» (١٥٦٩).

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٨.

ومحسناً إلىٰ نفسه باتباع السنة وتذكرة الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

وأما الممنوع فإنه نوعان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلىٰ الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

والنوع الثاني: شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم»(١).

٢ - حكم زيارة قبر المشرك:

يقول الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله: «ويجوز زيارة قبر من مات علىٰ غير الإسلام للعبرة فقط. وفيه حديثان:

الأول: عن أبي هريرة قال: «زار النبي قبر أمه، فبكىٰ، وأبكىٰ من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»(٢).

الثاني: عن بريدة «كنا مع النبي في سفر، ـ وفي رواية ـ: في غزوة الفتح، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلىٰ ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام إليه عمر بن الخطاب، ففداه بالأب والأم، يقول: يا رسول الله ما لك؟ قال: «إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمي. فلم يأذن لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النار، واستأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولتزدكم زيارتها خيرا»»(٣).

وفي قوله ﷺ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي» قال النووي رحمه الله: «فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم

(١) القول السديد ص٨١ ـ ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٦)، وأبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي (٢٠٣٦)، وابن ماجه (١٥٧٢).

(٣) أحكام الجنائز ص١٨٨.

بعد الوفاة، لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة، ففي الحياة أولى وقد قال الله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. وفيه النهي عن الاستغفار للكفار، قال القاضي عياض رحمه الله: سبب زيارته ﷺ قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها، ويؤيده قوله ﷺ في آخر الحديث: فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»[(١)].

وبالجملة فزيارة القبور جائزة. قال ابن تيمية: «حتى قبور الكفار»[(٢)].

٣ - حكم زيارة النساء للقبور[(٣)]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله زوارات القبور»[(٤)].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[(٥)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور أي: من

---

(١) مسلم بشرح النووي ٧/ ٤٥.

(٢) الاقتضاء ٢/ ٦٦٤ وانظر شفاء الصدور ٢٧.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥. الاستذكار لابن عبد البر ٢/ ١٦٢، ٨/ ٢٢٣. المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٤٨١. السنة للبغوي ٥/ ٤٦٤. المجموع للنووي ٥/ ٣٠٩-٣١١. المحلى بالآثار لابن حزم ٣/ ٣٨٧. أحكام القرآن للقرطبي ٢٠/ ١٧٠ـ١٧١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٦٠٢. تيسير العزيز الحميد ص٣٤٦. فتح المجيد ٢٨٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١٦٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٤٣٧، ط٢-١/ ٥٥٠ ومن المجموع ٩ / ٤٢٤. الدرر السنية ٥/ ١٦٢. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٥٩. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٥٣. نور على الدرب لابن باز ٢٦٣ ـ ٢٦٨. جزء في زيارة النساء للقبور للشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ.

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٥٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود (٣٢٣٦) وابن ماجه (١٥٧٤) (١٥٧٥) (١٥٧٦) والإمام أحمد (١٥٧٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) و الترمذي (٣٢٠). وابن ماجه (١٥٧٥) وهذا حديث أخرجه أهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الترمذي حديث ابن عباس حديث حسن. ونقل ابن تيمية في الاقتضاء (١/ ٢٩٤) أن الترمذي قال: هذا حديث صحيح وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: رواه أحمد والترمذي وصححه وضعفه عبد الحق وحسنه ابن القطان). تيسير العزيز الحميد ٣٤٦ ط ـ المكتب الإسلامي.

النساء وهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن كما هو مذهب أحمد وطائفة»[١].

❖ **أقوال العلماء في حكم زيارة النساء للقبور:**

وفي ذلك خلاف بين أهل العلم على ثلاثة أوجه حكاها النووي[٢] وغيره ونذكرها على وجه التفصيل:

أولاً: يباح ويستدل له بحديث عائشة وفيه: قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله. قال: قولي: «السلام على أهل الديار...» الحديث[٣]. وبحديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[٤]. ويجاب عن هذا بأن: «نهيتكم» ضمير ذكور فلا يدخل فيه النساء على المذهب الصحيح المختار في الأصول[٥].

قال ابن حجر: «واختلف في النساء فقيل: دخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر، ومحله إذا أمنت الفتنة. ويؤيد الجواز حديث الباب ـ وهو ما رواه أنس قال: مر النبي بامرأة تبكي عند قبر. فقال: «اتقي الله واصبري». قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي ﷺ. فأتت باب النبي فلم تجد عنده بوابين. فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى». وموضع الدلالة منه أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حجة.

وممن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة فروى الحاكم من طريق ابن أبي مليكة أنه رآها زارت قبر عبد الرحمن فقيل لها: أليس قد نهى النبي عن ذلك؟ قالت: نعم، كان نهى ثم أمر بزيارتها»[٦].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٤٦. ط ـ المكتب الإسلامي.
(٢) مسلم بشرح النووي ٧/ ٤٥.
(٣) أخرجه مسلم (٩٧٤).
(٤) أخرجه مسلم (٩٧٧).
(٥) مسلم بشرح النووي ٧/ ٤٥.
(٦) فتح الباري ٣/ ١٤٨.

الثاني: يكره. قال ابن عبد البر: «ولقد كره أكثر العلماء خروجهن إلى الصلوات فكيف إلى المقابر»[١]. قال ابن حجر: «واختلف من قال بالكراهة في حقهن هل هي كراهة تحريم أو تنزيه»[٢].

والمشهور من مذهب الإمام أحمد عند أصحابه أن الكراهة لاتصل إلى التحريم لحديث أم عطية «نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا»[٣] والقول بكراهة التنزيه يصدق لو كانت أدلة الإباحة صحيحة غير متعقبة، لكنها مع صحتها غير صريحة في الإباحة أو الكراهة.

الثالث: تحريمها عليهن. لحديث: «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور»[٤]. وحديث «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور»[٥].

قال ابن حجر: «وبه جزم الشيخ أبو إسحاق في المهذب واستدل له بحديث عبد الله بن عمرو[٦] وبحديث: «لعن الله زوارات القبور»»[٧].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولا يعارض هذا ـ أي حديث: «لعن الله زوارات القبور» ـ حديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» رواه مسلم

---

(١) التمهيد ٣/ ٢٣٣.

(٢) فتح الباري٣/ ١٤٨.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٧٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) قال ـ أي النبي ﷺ ـ: «ما أخرجكِ من بيتك يا فاطمة» قالت: أتيت أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم وعزيتهم فقال: «لعلك بلغت معهم الكدى» قالت: معاذ الله أن أكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر قال: «لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك». أخرجه أبو داود (٣١٢٣) والنسائي(١٨٨١) وأحمد (٦٥٧٤) (٧٠٨٢)، والكدى: أراد بها المقابر. انظر النهاية (ك د ا).

(٧) فتح الباري ٣/ ١٤٨.

وغيره. لأن هذا إن سلم دخول النساء فيه، فهو عام والأول خاص، والخاص مقدم عليه، وأيضا ففي دخول النساء في خطاب الذكور خلاف عند الأصوليين»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وأما الجواب عن حديث المرأة، وحديث عائشة، أن المرأة لم تخرج للزيارة قطعاً،لكنها أصيبت ومن عظم المصيبة عليها لم تتمالك نفسها لتبقى في بيتها ولذلك خرجت وجعلت تبكي على القبر مما يدل على أن في قلبها شيئاً عظيماً لم تتحمله حتى ذهبت إلى ابنها وجعلت تبكي عند قبره، ولهذا أمرها ﷺ أن تصبر لأنه علم أنها لم تخرج للزيارة، بل خرجت لما في قلبها من عدم تحمل هذه الصدمة الكبيرة، فالحديث ليس صريحاً بأنها خرجت للزيارة وإذا لم يكن صريحاً فلا يمكن أن يُعارض الشيء الصريح بشيء غير صريح.

وأما حديث عائشة: فإنها قالت للرسول ﷺ: «ماذا أقول؟ فقال: «قولي السلام عليكم» فهل المراد أنها تقول ذلك إذا مرت، أو إذا خرجت زائرة؟ فهو محتمل فليس فيه تصريح بأنها إذا خرجت زائرة إذ من الممكن أن يراد به إذا مرت بها من غير خروج للزيارة، وإذا كان ليس صريحاً فلا يعارض الصريح.

وأما فعلها مع أخيها، رضي الله عنها فإن فعلها مع أخيها لم يستدل عليها عبد الله بن أبي مليكة بلعن زائرات القبور، وإنما استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور مطلقا، لأنه لو استدل عليها بالنهي عن زيارة النساء للقبور أو بلعن زائرات القبور لكنا ننظر بماذا ستجيبه؟

فهو استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور، ومعلوم أن النهي عن زيارة القبور كان عاماً، ولهذا أجابته بالنسخ العام، وقالت: إنه قد أمر بذلك، ونحن وإن كنا نقول إن عائشة رضي الله عنها استدلت بلفظ العموم فهي كغيرها من العلماء لا يُعارض

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٤٧.

بقولها قول الرسول ﷺ على أنه روي عنها أنها قالت: «لو شهدتك ما زرتك» وهذا دليل على أنها رضي الله عنها خرجت لتدعو له؛ لأنها لم تشهد جنازته لكن هذه الرواية طعن فيها بعض العلماء وقال إنها لا تصح عن عائشة رضي الله عنها لكننا نبقى على الرواية الأولى الصحيحة إذ ليس فيها دليل على أن الرسول ﷺ نسخه، وإذا فهمت هي فلا يُعارض بقولها قول الرسول ﷺ»[١].

والذي عليه أئمة التحقيق في هذه المسألة: تحريم زيارة النساء للقبور.

وقد ألّف الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ رسالة لطيفة سماها «جزء في زيارة النساء للقبور» وجاء فيها: «قال أبو العباس علي بن محمد بن عباس البعلي الحنبلي في ترتيبه اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما نصه: «ونهي النساء عن زيارة القبور هل هو نهي تنزيه أو تحريم فيه قولان: وظاهر كلام أبي العباس ترجيح التحريم لاحتجاجه بلعن النبي ﷺ زائرات القبور وتصحيحه إياه، ورواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه وأنه لا يصح ادعاء النسخ بل هو باق على حكمه، والمرأة لا يشرع لها الزيارة الشرعية ولا غيرها اللهم إلا إذا اجتازت بقبر في طريقها فسلمت عليه ودعت له فهذا حسن».

وقال صاحب المهذب: «ولا يجوز للنساء زيارة القبور لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور».

وقال السيوطي في كتابه: زهر الرّبى على المجتبى للنسائي عند الحديث المتكلم عليه في النهي: «وبقين أي النساء تحت النهي لقلة صبرهن وكثرة جزعهن».

وقال السندي: «وهو الأقرب لتخصيصهن بالذكر»»[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤٢٩، ٤٣٠. وانظر القول المفيد ط١ - ١ / ٤٤١، ٤٤٠.

(٢) النقول السابقة مستفادة من كتاب الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ (جزء في زيارة النساء للقبور) وفيه ما يشفي رغبة السائل في هذه المسألة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله ـ رحمهما الله ـ: «وإذا كان زيارة النساء مظنة وسببا للأمور المحرمة في حقهن وحق الرجال، وتقدير ذلك غير مضبوط، لأنه لا يمكن حد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك ولا التميز بين نوع ونوع.

ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، فتحرم سدا للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة لما في ذلك من الفتنة، وكما حرمت الخلوة بالأجنبية، وليس في زيارتها من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة، لأنه ليس في زيارتها إلا دعواها للميت أو اعتبارها به، وذلك ممكن في بيتها»[1].

وقال صاحب المرعاة: ««قال أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي: النهي ورد خاصا بالنساء، والإباحة لفظها عام، والعام لا ينسخه الخاص بل الخاص حاكم عليه ومقيد له».

وقال الساعاتي في الفتح الرباني: «قال صاحب المدخل المالكي قد اختلف العلماء في زيارة النساء للقبور على ثلاثة أقوال:

وذكر هذه الأقوال ثم قال: «اعلم أن الخلاف في نساء ذلك الزمان، أما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة الدين بجوازه».

وقال العلامة صديق خان القنوجي في كتابه حُسْنُ الأسوة: «الراجح نهي النساء عن زيارة القبور وإليه ذهب عصابة أهل الحديث كثّر الله سوادهم»»[2].

وقال ابن باز رحمه الله: «ثبت عن رسول الله ﷺ أنه لعن زائرات القبور. من حديث ابن عباس ومن حديث أبي هريرة ومن حديث حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهم جميعاً. وأخذ العلماء من ذلك أن الزيارة للنساء للقبور محرمة؛ لأن اللعن لا يكون إلا على محرم، بل يدل على أنه من الكبائر؛ لأن العلماء ذكروا أن

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٤٦.

(٢) مستفاد من جزء في زيارة النساء للقبور للشيخ بكر أبو زيد ص٥١-٥٥.

المعصية التي يكون فيها اللعن أو فيها وعيد تعتبر من الكبائر. فالصواب أن الزيارة من النساء للقبور محرمة لا مكروهة فقط.

والسبب في ذلك ـ والله أعلم ـ أنهن في الغالب قليلات الصبر، فقد يحصل منهن من النياحة ونحوها ما ينافي الصبر الواجب، وهن فتنة، فزيارتهن للقبور واتباعهن للجنائز قد يفتتن بهن الرجال وقد يفتنّ بالرجال، والشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بسد الذرائع المفضية إلى الفساد والفتن، وذلك من رحمة الله بعباده... وقول بعض الفقهاء: إنه استثني من ذلك قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما قول بلا دليل، والصواب أن المنع يعم الجميع، يعم جميع القبور حتى قبر النبي ﷺ وحتى قبر صاحبيه رضي الله عنهما. وهذا هو المعتمد من حيث الدليل»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والصحيح القول الأول ـ يعني: تحريم زيارة النساء للقبور، وأنها من كبائر الذنوب»[٢].

٤ - حكم زيارة المرأة لقبر النبي ﷺ:

قال فضيلة الشيخ ابن عثيمين: «لا يشرع للمرأة زيارة قبر النبي ﷺ، لأنه ﷺ حذر من زيارة المرأة للقبور فقد لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. فعلى هذا لا تزور المرأة قبره ﷺ، ويكفيها إذا صلت المرأة عليه في مكانها وسلمت عليه في مكانها فإن ذلك يبلغه مهما كان مكانها»[٣].

---

(١) انظر الفتاوى ص٧٥٣ ـ ٧٥٤.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤٢٧. وانظر القول المفيد ط١ - ١/ ٤٤١، ٤٤٠.

(٣) فتاوى منار الإسلام ص٣٠.

١٤٠- السـؤال

الأصل في السؤال والطلب أن يتوجه به إلىٰ الله وحده القادر علىٰ كل شيء لقول الرسول ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله»، فإذا سألت غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك والعياذ بالله وهذا الباب يشبه باب (الدعاء) فيراجع هناك أيضا.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧ـ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء.٣٢].

* الدليل من السنة: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»[2].

وقد جاء في النهي عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة. منها حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِيِّ قَالَ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٧١).

يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ـ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ ـ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ـ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ ـ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»[(١)].

وعن أبي العالية عن ثوْبَانُ قَالَ: وكان ثوبانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاس شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ» **فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا**[(٢)].

وعَنْ سَمُرَةَ بن جندب عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لاَ يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا»[(٣)].

وعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلاَنِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيبُ الأَمِينُ أَمَّا هُوَ فَحَبِيبٌ إِلَيَّ وَأَمَّا هُوَ عِنْدِي فَأَمِينٌ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ **تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ:** «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» **وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ:** «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» **فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ـ ثُمَّ قَالَ:** «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» **قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ:** «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا ـ وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً ـ وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» **فَلَقَدْ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٤) والنسائي (٢٥٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٤٣) والنسائي (٢٥٩١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٣٩) والترمذي (٦٨١) والنسائي (٢٦٠٠).

رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ»[(١)].

وعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: «كَانَ رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ فَيُنِيخُهَا فَيَأْخُذُهُ قَالَ فَقَالُوا لَهُ: أَفَلاَ أَمَرْتَنَا نُنَاوِلُكَهُ فَقَالَ: إِنَّ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا»[(٢)].

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدَّهْمَاءِ قَالاَ أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فقلنا هل سمعت من رسول الله شيئا قَالَ نعم، سمعته يقول: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ عز وجل إِلاَّ بدّلكَ اللهُ به ما هو خَيْر لك مِنْهُ»[(٣)].

❖ **ذم سؤال الخلق:**

يقول شيخ الإسلام: «وسؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيح للضرورة، وتركه توكلا على الله أفضل»[(٤)].

وعلل ذلك بقوله: «فإن سؤال المخلوقين فيه ثلاثة مفاسد:

١ ـ مفسدة الافتقار إلى غير الله وهي من نوع الشرك.

٢ ـ ومفسدة إيذاء المسئول وهي من نوع ظلم الخلق.

٣ ـ وفيه ذل لغير الله وهو ظلم للنفس.

فهو مشتمل على أنواع الظلم الثلاثة»[(٥)].

والضرورة التي أبيحت لأجلها المسألة، يوضحها حديث قبيصة السابق[(٦)].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى -: «والمسألة في الأصل حرام. وإنما أبيحت

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٤٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ١٨١.

(٥) المصدر السابق ١/ ١٩٠.

(٦) سبق تخريجه.

للحاجة والضرورة؛ لأنها ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق المسئول، وظلم في حق السائل»[١].

قال زين الدين ابن رجب: «واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهارُ الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودرء المضارّ، ولا يصح الذلُّ والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة، وكان الإمام أحمد رحمه الله يدعو: «اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن المسألة لغيرك»»[٢].

وقال ابن عثيمين: «إذا أعززت نفسك ولم تذلها لسؤال الناس بقيت محترما عند الناس وصار لك منعة من أن تذل وجهك لأحد، لأن من أذل وجهه لأحد فإنه ربما يحتاجه ذلك الأحد لأمر يكره أن يعطيه إياه، ولكنه إذا سأله اضطر إلى أن يجيبه ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[٣]، فالسؤال أصلا مكروه إلا لحاجة»[٤].

وقال ابن تيمية في الاستغاثة: «وأما نفس سؤال الناس، فسؤالهم في الأصل محرم بالنصوص المحرمة له، وإنما يباح عند الضرورة. وتنازع العلماء هل يجب سؤالهم عند الضرورة؟ فالمنصوص عن أحمد أنه لا يجب سؤال الخلق، مع إيجابه مع غيره من الأئمة الأربعة وغيرهم الأكلَ من الميتة عند الضرورة، فإن الله لم يوجب سؤال الخلق، بل قد وصى النبي ﷺ طائفة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا فكان أحدهم إذا سقط سوطه لا يقول لأحد ناولني إياه، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٢.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٤٨٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)وهو في الأربعين النووية حديث رقم ٣١ وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢٧٢.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٣٤. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ١٠٨.

وصاحب الفاقة إذا سأل الله تعالىٰ أنزلها بالغني المليّ العليم القدير وقيل يجب السؤال، وهذا منقول عن الثوري وهو اختيار أبي الفرج ابن الجوزي»[١].

وقال ابن عثيمين: «فأما سؤال ما يسوغ مثله من العلم فليس من هذا الباب لأن المخبر لا ينقص الجواب من علمه بل يزداد بالجواب والسائل محتاج إلىٰ ذلك قال ﷺ: «هلا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال» ولكن من المسائل ما ينهىٰ عنه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة.١٠١] وكنهيه عن أغلوطات المسائل ونحو ذلك»[٢].

❖ **حكم سؤال الغير أن يدعو له:**

عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن عمر قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي. وقال: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا»[٣].

وفي حديث عكاشة المشهور قال: «ادع الله أن يجعلني منهم» فقال: «أنت منهم». وفي رواية البخاري: «فقال اللهم اجعله منهم». وكذلك في حديث أبي هريرة عند البخاري مثله.

وفي بعض الروايات أنه قال: «منهم أنا يا رسول الله؟» قال: «نعم».

قال الحافظ: ويجمع بأنه سأل الدعاء أولا، فدعا له ثم استفهم هل أجيب؟ وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفيه طلب الدعاء من الفاضل»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له»[٥].

---

(١) الاستغاثة في الرد علىٰ البكري ص٢٧٧، ٢٧٩.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٤٢٩، ٤٣٠. والقول المفيد ط١-١/ ١٧٩.

(٣) أخرجه أبوداود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، والإمام أحمد في المسند (١٩٥).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص١١٢.

(٥) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٣٣.

وقال أيضاً: «ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء من فوقه وممن هو دونه، فقد روي طلب الدعاء من الأعلىٰ والأدنىٰ»[(١)].

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن طلب الدعاء من شخص يُرجىٰ فيه الصلاح فقال: «طلب الدعاء من شخص ترجىٰ إجابة دعائه: إن كان لعموم المسلمين فلا بأس به مثل أن يقول شخص لآخر: ادع الله أن يعز المسلمين وأن يصلح ذات بينهم، وادع الله أن يصلح ولاتهم وما أشبه ذلك.

أما إذا كان خاصاً بالشخص السائل الطالب من أخيه أن يدعو له فهذا قد يكون من المسألة المذمومة إلا إذا قصد الإنسان بذلك نفع أخيه الداعي له؛ وذلك لأن أخاه إذا دعا له بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله.

وكذلك إذا دعا له أخوه فإنه قد أتىٰ إحساناً إليه، والإحسان يثاب عليه، فينبغي عليه أن يلاحظ من طلب من أخيه أن يدعو له فائدة الأخ الداعي.

علىٰ أن طلب الدعاء من الغير قد يترتب عليه مفسدة، وهي أن هذا الغير يعجب بنفسه ويرىٰ أنه أهل لإجابة الدعاء، وفيه أيضاً: أن هذا الطالب من الغير أن يدعو له قد يعتمد علىٰ دعاء المطلوب فلا يلح هو علىٰ ربه بالدعاء؛ بل يعتمد علىٰ دعاء غيره، وكلا المفسدتين شر.

والذي أنصح به إخواني أن يكونوا هم الذين يدعون الله عز وجل؛ لأن الدعاء عبادة، والدعاء مصلح للقلب، لما فيه من الالتجاء إلىٰ الله والافتقار إليه»[(٢)].

❖ فائدة:

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: «وما جاءه من مال بلا إشراف نفس ولا مسألة وجب أخذه، نقله جماعة منهم الأثرم والمروذي. قال في رواية الأثرم: إذا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٣.

(٢) فتاوىٰ علماء البلد الحرام ١٦٧٠.

جاءه من غير مسألة ولا إشراف كان عليه أن يأخذه لقول النبي ﷺ: «خذ» ثم ذكر الحديث، ثم قال: ينبغي أن يأخذه، ويضيق عليه إذا لم يكن له إشراف أن يرده»[١].

وقال: «فإن استشرفت نفسه إليه، فنقل عنه عبد الله: لا بأس أن يردها، وكذا نقل الكحال عنه: إن شاء رده، وكذا نقل محمد بن يوسف: له أن يردها. ونقل المروذي: فإن استشرفت نفسه ردها، وقال له الأثرم: فليس عليه أن يرده كما يرد المسألة قال: ليس عليه، ونقل عنه أبو داود: ولا بأس أن يردها، قال أبو داود: وكأنه اختار الرد، ونقل عنه إسحاق بن إبراهيم: لا يأخذه.

وذكر القاضي أبو الحسين: أنه لا تختلف الرواية أنه لا يحرم لعدم المسألة وقال في الرعاية: كره له أخذه ولم يحرم، وقيل: له أَخذُهُ، وَرَدُّهُ أولى... واستشراف النفس أن تقول: سيبعث لي فلان، أو لعله يبعث لي، وإن لم يتعرض أو يعرض بقلبك عسى أن يفعل، نص عليه.

وذكر أحمد حديث عمر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال له: «إذا أتاك من هذا المال من غير مسألة، ولا استشراف نفس فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»»[٢].

❖ **فائدة أخرى:**

قال الإمام ابن مفلح المقدسي: «ولا بأس بمسألة الماء، نص عليه واحتج بأن النبي ﷺ مر بقربة معلقة فاستسقى، فشرب. ونقل أبو داود عنه وسئل الرجل يكون بين الناس عطشان فلا يستسقي ـ وأظنه قال: في الورع ـ ما يكون؟ قال: أحمق، نقل جعفر عن أحمد في الرجل يستعير الشيء لا يكون مسألة»[٣].

---

(١) الآداب الشرعية ٣/ ٢٧٦.

(٢) الآداب الشرعية: ٣/ ٢٧٧،٢٧٨.

(٣) الآداب الشرعية ٣/ ٢٧٩.

١٤١- السؤال بالله *

* **الدليل من السنة:** عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

وهذا الحديث أصل الباب فمن تعظيم الله إعطاء من سأل بالله وإعاذة من استعاذ بالله ﷻ وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة أن ابنة الجون لما أدخلت علىٰ رسول الله ﷺ ودنا منها قالت أعوذ بالله منك فقال لها: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك»(٢).

قال الطيبي في معنىٰ حديث ابن عمر: «أي: من استعاذ بكم وطلب منكم دفع شركم أو شر غيركم قائلاً بالله عليك أن تدفع عني شرك فأجيبوه وادفعوا عنه الشر تعظيما لاسم الله تعالىٰ فالتقدير من استعاذ منكم متوسلا بالله مستعطفا به ويحتمل أن يكون الباء صلة استعاذ أي من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له بل أعيذوه وادفعوا عنه الشر»(٣).

وقال الصنعاني: «والحديث دليل علىٰ أن من استعاذ بالله من أي أمر طلب منه غير واجب عليه فإنه يعاذ ويترك ما طلب منه أن يفعل وأنه يجب إعطاء من سأله بالله... فمن سأل من المخلوقين بالله شيئاً وجب إعطاؤه إلا أن يكون منهيا عن إعطائه»(٤).

---

* الأذكار للنووي ٤٥٨. الزواجر لابن حجر الهيثمي ١/ ٤٣٧. سبل السلام ٤/ ١٧٠. تيسير العزيز الحميد ٦٦٧. فتح المجيد ٥٤٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٤٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٣ / ١٠٧، ط٢-٣/ ١٣٢ ومن المجموع ١٠/ ٩٣٣. الدين الخالص صديق حسن القنوجي ٤/ ٥٤٨. السلسلة الصحيحة ١/ ٥١٣. قواعد وتنبيهات في التوحيد الريس ٢٠٢.

(١) أخرجه النسائي (٢٥٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥٤).

(٣) مرقاة المفاتيح ٤/ ٣٧٥، عون المعبود ٥/ ٦١.

(٤) سبل السلام ٤/ ١٧٠.

أحكام وفوائد:

١ - أقسام السؤال بالله:

قال ابن عثيمين: «والسؤال بالله ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: السؤال بالله بالصيغة مثل أن يقول: أسألك بالله كما تقدم في حديث الثلاثة حيث قال الملك: «أسألك بالذي أعطاك الجلد الحسن واللون الحسن بعيراً».

الثاني: السؤال بشرع الله ﷻ أي يسأل سؤالا يبيحه الشرع كسؤال الفقير من الصدقة، والسؤال عن مسألة من العلم وما شابه ذلك»[١].

٢ - حكم السؤال بالله:

قال الشيخ ابن عثيمين: «السؤال من حيث هو مكروه ولا ينبغي للإنسان أن يسأل أحداً شيئاً إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولهذا كان مما بايع النبي ﷺ أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً.. فالسؤال أصلاً مكروه أو محرم إلا لحاجة أو ضرورة»[٢].

٣- حكم إجابة السؤال بالله:

جاء في الحديث قوله ﷺ: «من سأل بالله فأعطوه»[٣] والمعنى أي: أعطوه ما سأل ما لم يسأل إثما أو قطيعة رحم وفي هذا الأمر بإعطاء من سأل بالله وعدم رده وأن ذلك من كمال التوحيد فلا يرد من سأل بالله إجلالا لله وتعظيماً له.

قال ابن عثيمين: «الأمر هنا للوجوب ما لم يتضمن السؤال إثما أو ضررا على المسؤول لأن في إعطائه إجابة لحاجته وتعظيما لله ﷻ الذي سأل به»[٤].

وقال الشيخ ابن قاسم: «لأن منع من سأل بالله، أو بوجه الله من عدم إعظام الله

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٣٣. وانظر القول المفيد ط١-١/ ١٠٨.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٣٣-٩٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٧٢).

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٣٥. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٠٩.

وإجلاله وقد جاء الوعيد على ذلك»[١]، ويقصد بالوعيد ما جاء في حديث أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً»[٢].

وقال ابن عثيمين: «حكم رد من سأل بالله الكراهة أو التحريم حسب حال المسؤول والسائل»[٣].

وقال رحمه الله: «أن يسأل بالله فهذا تجيبه، وإن لم يكن مستحقا، لأنه سأل بعظيم فإجابته من تعظيم هذا العظيم، لكن لو سأل إثما أو كان في إجابته ضرر على المسؤول، فإنه لا يجاب»[٤].

والمشهور عن الفقهاء أن من سأل بالله استحب إجابته وكره رده.

قال النووي في الأذكار: «يكره منع من سأل بالله وتشفع به»[٥].

وقال ابن قدامة: «ويستحب إجابة من سأل بالله لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه»[٦].

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله، أما الذين يحبهم الله: فرجل سأل قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فتخلف

---

(١) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ٣٤٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المجمع ٣/ ١٠٣، وحسنه العراقي في الفيض ٢/ ٤، والمناوي في التيسير ٢/ ٤٧٨.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٣٣. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٠٩.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٩٣٤، ٩٣٥. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٠٩.

(٥) الأذكار ٤٥٨ وانظر مواهب الجليل الحطاب ٣/ ٢٦٤.

(٦) تقدم تخريجه.

رجل بأعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله ﷻ والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام يتملقني ويتلوا آياتي، ورجل كان في سرية فلقوا العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم[(١)]»[(٢)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «الأحاديث السابقة دالة على إجابة من سئل بالله أو أقسم به ولكن قال شيخ الإسلام: إنما تجب على معين فلا تجب على سائل يقسم على الناس، وظاهر كلام الفقهاء أن ذلك مستحب كإبرار القسم والأول أصح»[(٣)].

ومراد شيخ الإسلام رحمه الله بحالة الوجوب: أن يتوجه السؤال المعين في أمر معين يعني: ألا يكون السائل سأل عدداً من الناس بالله، ليحصل على شيء فلهذا لم يدخل فيه السائل الفقير الذي يأتي فيسأل هذا ويسأل هذا، كما لم يدخل فيه من يكون كاذباً في سؤاله[(٤)].

٤ - إجابة من أقسم عليك بالله:

ذكر الجصاص رحمه الله حديث البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع منها: «إبرار القسم»[(٥)] ثم قال: «وهذا يدل على مثل ما دل عليه قوله ﷺ من سألكم بالله فأعطوه»[(٦)].

وقال الفاكهاني في شرح عمدة الأحكام في كتاب اللباس في شرح قوله ﷺ: «وإبرار القسم»: «والمقسم به فيه معنيان: أحدهما أن الحالف إذا حلف على شيء

---

(١) رواه النسائي (٢٥٧١).

(٢) المغني ٩/ ٤٢٣.

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٦٨.

(٤) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص٥٢٣، ٥٢٤.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٣٩).

(٦) أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٣٣٦.

مأمور أن يبر في يمينه؛ وهذا لا خلاف في وجوبه أو ما يقوم مقام الوفاء بذلك وهو الكفارة. الثاني: أن يكون المراد أن تبر يمين من حلف عليك وهذا علىٰ قسمين: تارة يشوبه معنىٰ السؤال كقوله بالله إلا ما فعلت كذا. وتارة لا يشوبه كأن يقول: والله لتفعلن ونحو ذلك. وسواء في هذا الإثبات والنفي وهو مندوب في الوجهين أن يبر قسمه لكنه يتأكد في الثاني لوجوب الكفارة عليه دون الأول وذلك إضرار به.

وهذا كله مع عدم المعارض الشرعي فإن وجد معارض عمل بمقتضاه كما ثبت أن أبا بكر ﷺ لما عبر الرؤيا بحضرته ﷺ فقال: «أصبت بعضا وأخطأت بعضاً» فقال: أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني، فقال: «لا تقسم» ولم يخبره»[١].

قال ابن قدامة: «وثبت أن النبي ﷺ أمر بإبرار المقسم رواه البخاري وهذا والله أعلم علىٰ سبيل الندب لا علىٰ سبيل الإيجاب بدليل أن أبا بكر قال: قال: أقسمت عليك يا رسول الله ﷺ لتخبرني بما أصبت مما أخطأت فقال النبي ﷺ: «لا تقسم يا أبا بكر ولم يخبره» ولو وجب عليه إبراره لأخبره ويحتمل أنه يجب عليه إبراره إذا لم يكن فيه ضرر ويكون امتناع النبي ﷺ من إبرار أبي بكر لما علم من الضرر فيه وإن أجابه إلىٰ صورة ما أقسم عليه دون معناه عند تعذر المعنىٰ فحسن فإنه روىٰ عن النبي ﷺ أن العباس جاءه برجل ليبايعه علىٰ الهجرة فقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» وقال العباس: أقسمت عليك يا رسول الله ﷺ لتبايعنه فوضع النبي ﷺ يده في يده وقال: «أبررت قسم عمي ولا هجرة» وأجابه إلىٰ صورة المبايعة دون ما قصد بيمينه»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب إبرار القسم علىٰ معين»[٣].

---

(١) مواهب الجليل الحطاب ٣/ ٢٦٣.

(٢) المغني ٩/ ٤٢٣.

(٣) الاختيارات، الفتاوىٰ الكبرىٰ ٥/ ٥٥٢. وراجع مجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٠٦ فقد فرق بين السؤال والقسم.

١٤٢- السؤال بالجاه أو بالحق*

سؤال الله تعالى بجاه فلان أو حرمته توسل بدعي ممنوع كما بينا في باب التوسل. قال ابن تيمية: «فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين: اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز، ونقل عن بعضهم جوازه»(١).

وممن منعه أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما من أئمة الحنفية، قال الإمام ابن القيم: «قال أبوالحسين القدوري في شرح كتاب الكرخي: قال بشرُ بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبوحنيفة «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. قال: وأكره أن يقول: أسألك بـمَعْقِدِ العز من عرشك. وأكره أن يقول: بحقِّ فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام».

قال أبو الحسين: أما المسألة بغير الله فمنكرة في قولهم؛ لأنه لا حق لغير الله عليه وإنما الحق لله على خلقه.

وقال ابن بلدَجي في شرح المختار: ويكره أن يدعو الله تعالى إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك ونحو ذلك؛ لأنه لا حقّ للمخلوق على خالقه، أو يقول في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك. وعن أبي يوسف جوازه.

وما يقول فيه أبوحنيفة وأصحابه «أكره كذا» هو عند محمد حرام. وعند أبي

---

* الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٨٤. وانظر مراجع باب (التوسل).

(١) الاستغاثة لابن تيمية ص٣٣٦.

حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم فيه أغلب»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال أبويوسف: وأكره أن يقول بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام»[(٢)].

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٦، ٢١٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٠٣.

١٤٣- السؤال بوجه الله *

وجه الله صفة ذاتية ثابتة لله سبحانه وتعالى في كتابه وأحاديث نبيه محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد:٢٢]. وقال قوّام السنة الأصفهاني: «ذكر إثبات وجه الله ﷻ الذي وصفه بالجلال والإكرام والبقاء قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧]»[١]. وجاء في حديث سعد بن أبي وقاص ؓ حين قَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ»[٢].

وورد النهي عن السؤال بوجه الله الكريم الأمورَ الحقيرةَ وحوائجَ الدنيا إجلالا لله وتعظيما له سبحانه ولا يستثنى من ذلك إلا الجنة التي هي غاية المطالب لشرفها وعظمها ويستثنى كذلك ما هو وسيلة إلى الجنة[٣].

وإذا سأل بوجه الله غير الجنة وما يقرب إليها فهذا ينافي كمال التوحيد الواجب.

* **الدليل من السنة:** عَنْ جَابِرِ بن عبد الله ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلا الْجَنَّةُ»[٤].

وقال الطيبي: «أي لا تسألوا من الناس شيئا بوجه الله مثل أن تقولوا أعطني

---

* تيسير العزيز الحميد ص٦٧١. فتح المجيد ص٥٤٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٥٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١١٦، ط٢-٣/ ١٤٤ ومن المجموع ١٠/ ٩٤٢. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٩٢.

(١) الحجة ١/ ١٩٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٣٣).

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص٦٧٢.

(٤) أخرجه أبو داود (١٦٧١).

شيئا بوجه الله أو بالله فإن اسم الله أعظم من أن يسأل به متاع الدنيا بل اسألوا به الجنة أو لا تسألوا الله متاع الدنيا بل رضاه والجنة»[(١)].

وفي المعجم الكبير عن أبي عبيد مولى رفاعة بن رافع أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سُئل بوجهه فمنع سائله»[(٢)].

وعن أبي موسى الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا»[(٣)].

قال الصنعاني: «هجراً بضم الهاء وسكون الجيم أي أمرا قبيحا لا يليق ويحتمل ما لم يسأل سؤالا قبيحا أي بكلام يقبح ولكن العلماء حملوا هذا الحديث على الكراهة ويحتمل أنه يراد به المضطر ويكون ذكره هنا أن منعه مع سؤاله بالله أقبح وأفظع ويحمل لعن السائل على ما إذا ألحَّ في المسألة حتى أضجر المسؤول»[(٤)].

وقال في مغني المحتاج: «يكره للإنسان أن يسأل بوجه الله غير الجنة وأن يمنع من يسأل بالله وتشفع به لخبر: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»[(٥)].

وقد بوب لها أبو داود والبيهقي بقوله: «باب: كراهية المسألة بوجه الله ﷻ». قال في عون المعبود: «إذ كل شيء أحقر دون عظمته تعالى والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له»[(٦)].

وسئل الشيخ ابن عثيمين عن المراد بقول النبي ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» فأجاب رحمه الله بقوله: «اختلف في المراد به على قولين:

---

(١) عون المعبود ٥/ ٦٠، ٦١.

(٢) رقم (٩٤٣) ٢٢/ ٣٧٧.

(٣) الترغيب والترهيب ١/ ٣٤٢.

(٤) سبل السلام ٤/ ١٧٠.

(٥) مغني المحتاج الشربيني ٣/ ١٢٢.

(٦) عون المعبود آبادي ٥/ ٦٠.

القول الأول: أن المراد لا تسألوا أحداً من المخلوقين بوجه الله فإذا أردت أن تسأل أحدا من المخلوقين لا تسأله بوجه الله، لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة، فإذاً لا يسألون بوجه الله مطلقاً.

القول الثاني: أنك إذا سألت الله فإن كان الجنة وما يستلزم دخولها فاسأل بوجه الله، وإن كان من أمور الدنيا فلا تسأل بوجه الله، فأمور الآخرة تسأل بوجه الله كقولك مثلا: أسألك بوجهك أن تنجيني من النار. والنبي ﷺ، استعاذ بوجه الله لما نزل قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال: أعوذ بوجهك ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] قال: أعوذ بوجهك: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥] قال هذه أهون أو أيسر.

ولو قيل إنه يحتمل المعنيين جميعاً لكان له وجه»[١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والظاهر أن كلا المعنيين صحيح»[٢].

❖ **مسألة: قول «يا وجه الله»:**

سُئل عنها المفتي محمد بن إبراهيم فأجاب: «ما تنبغي وممكن مقصودهم الذات»[٣].

* مسألة: يشكل على هذا ورود أحاديث فيها سؤال بوجه الله لأمور غير الجنة.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند مُنصرفه من الطائف، حين كذَّبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا ﷺ بالدعاء المأثور «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى مَنْ تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يك بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي، غير أنَّ

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٩٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٦٧١.

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١١٧.

عافيتك هي أوسعُ لي»، وفي آخره: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة: أن يَحُلَّ عليَّ غضبُك، أو ينزل بي سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(١) والحديث المروي في الأذكار «اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد ـ وفي آخره ـ أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض»(٢).

وفي حديث آخر «أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم وبكلماته التامة، ومن شر السّامة واللاّمة، ومن شر ما خلقت أي ربِّ، ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده ومن شر الدنيا والآخرة» وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أنَّ ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يُقرِّب إلى الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنع من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يُقرِّبُ إلى الجنة؛ كما في الحديث الصحيح «اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قولٍ أو عمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل».

بخلاف ما يختصُّ بالدنيا، كسؤاله المال والرزق والسعة في المعيشة رغبةً في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة فلا ريب أنَّ الحديث يدلُّ على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله.

وعلى هذا: فلا تعارض بين الأحاديث، كما لا يخفى، والله أعلم»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء (١٠٣٦) وهو في المجمع للهيثمي (٦/ ٣٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٢٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١١٧) وفيه فضال بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه.

(٣) فتح المجيد ص٥٤٧، ٥٤٨.

١٤٤- سب الأنبياء والملائكة *

السب: الشتم[١].

وقال في مختار الصحاح: «السب: الشتم والقطع والطعن»[٢].

والشتم: قبيح الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف بحق المسبوب ويرجع معرفة الأذى والسب والشتم إلى العرف وله أنواع متعددة[٣].

قال إبراهيم الحربي: «السباب: فوق الشتم وهو أن يقول الرجل ما فيه وما ليس فيه ويعيبه بذلك»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو الكلام الذي يُقصد به الانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]»[٥].

❖ حكم سب الأنبياء والملائكة:

قال مالك: «من سب أحدا من الأنبياء والرسل أو جحد ما أنزل عليه أو جحد منهم أحدا أو جحد ما جاء به فهو بمنزلة من سب رسول الله ﷺ، يُصنع فيه ما يصنع فيه هو؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ

* الشفا ٢/ ٩٣٢، الصارم المسلول ص٥٣٨ ـ ٥٤٣. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٤١٩ - ٤٣٦. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٥٣٠.

(١) النهاية (س ب ب).

(٢) مختار الصحاح (س ب ب).

(٣) الشفا ٢/ ٩٣٢، الصارم المسلول ص٥٣٨ ـ ٥٤٣، ٥٦٦. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٤١٩.

(٤) الإيمان لابن منده ٢/ ٦٧٢.

(٥) الصارم المسلول ص٥٦٦.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقال سبحانه: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦]، ثم قال تعالىٰ علىٰ أثرها: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٧]، وقال في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠ـ١٥١]»[(١)].

قال محمد بن عبد الحكم: «أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سبَّ النبي ﷺ أو غيره من النبيين مسلماً كان أو كافراً، قُتِل ولم يُستَتَب»[(٢)].

وقال القاضي عياض: «وحكم من سب أنبياء الله تعالىٰ وملائكته، واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به، أو أنكرهم وجحدهم، حكم نبينا ﷺ»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام: «والحكم في سب سائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كالحكم في سب نبينا ﷺ، فمن سب نبياً مسمىً باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفا بالنبوة ـ مثل أن يذكر في حديث أن نبيا فعل كذا أو قال كذا، فيسب ذلك القائل أو الفاعل، مع العلم بأنه نبي، وإن لم يعلم من هو، أو يسب نوع الأنبياء علىٰ الإطلاق ـ فالحكم في هذا كما تقدم؛ لأن الإيمان بهم

---

(١) البيان والتحصيل ١٦/ ٤١٥ نقلاً عن منهج الإمام مالك في العقيدة ص٤٣٦.

(٢) الشفا ٢/ ٩٣٦ ـ ٩٣٧. الصارم المسلول ص٣١١.

(٣) الشفا ٢/ ١٠٩٧.

واجب عموما، وواجب الإيمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي»[(١)].

وعند النظر في قوله: «فمن سب نبياً مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفا بالنبوة» تعلم أن هذا الحكم خاص بمن قُطع بنبوته أو بأنه من الملائكة وأما من اُختُلِف فيه فلا يتناوله ذلك الحكم.

قال شيخ الإسلام: «ولا ريب أن جرم سابّه أعظم من جرم سابِّ غيره كما أن حرمته أعظم من حرمة غيره، وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابَّهم كافر محارب حلال الدم، فأما إن سبَّ نبياً غير معتقدٍ لنبوته فإنه يُستتاب من ذلك إذا كان ممن علمت نبوته بالكتاب والسنة؛ لأن هذا جحد لنبوته إن كان ممن يجهل أنه نبي فإنه سبّ محض فلا يقبل قوله إني لم أعلم أنه نبي»[(٢)].

وقال القاضي: «فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه، ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء ... فليس الحكم في سابِّهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه، إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة، ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم، ويؤدب بقدر الحال المقول فيهم، لا سيما من عرفت صدِّيقيَّتَهُ وفضله منهم، وإن لم تثبت نبوته، وأما إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك، وإن كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا، فإن عاد أُدِّب، إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا، وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة»[(٣)].

---

(١) الصارم المسلول ص٥٦٥.

(٢) الصارم المسلول ص٥٦٥.

(٣) الشفا ٢/ ١٠٩٩ ـ ١١٠١.

١٤٥- سب أمهات المؤمنين *

يقول الإمام إسماعيل الصابوني رحمه الله، ضمن ذكره لعقيدة أهل السنة والجماعة: «وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه ـ رضي الله عنهن ـ والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين»[(١)].

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور: ٢٣ـ٢٤].

«هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، خرج مخرج الغالب، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا، ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن»[(٢)].

❖ حكم سب عائشة رضي الله عنها:

قال شيخ الإسلام: «فأما من سبَّ أزواج النبي ﷺ فقال القاضي أبويعلى: من

* تفسير ابن جرير ١٨/ ٨٣، تفسير القرطبي ١٢/ ١٣٦، الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية. المحلى ١١/ ٤١٥. الصواعق المحرقة ص٣٨٧. الدرر السنية ١/ ٣٢. اعتقاد أهل السنة في الصحابة ص٦٤، ٦٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٤٣٨. وانظر المراجع المذكورة في باب (سب الصحابة) فقد تطرق بعضهم إلى ذكر أحكام هذا الباب.

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٦. وذكر الإجماع كذلك في البداية والنهاية ٨/ ٩٥.

قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد. وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم، فرُوي عن مالك: من سب أبا بكر جُلد، ومن سب عائشة قُتل. قيل له: لِمَ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومن يقذف الطيبة الطاهرة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة، كما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن آذاني في أهلي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨] فأين أنصار دينه ليقولوا: نحن نعذرك يا رسول الله»[2].

كما أن الطعن بها رضي الله عنها فيه تنقيص برسول الله ﷺ من جانب آخر، حيث قال الله ﷻ: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ... ﴾ الآيات [النور:٢٦].

❖ حكم قذف بقية أمهات المؤمنين:

القول في قذف سائر زوجات النبي ﷺ كالقول في سب عائشة رضي الله عنها.

قال القاضي عياض: «ومن سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ ففيها قولان:

---

(١) الصارم المسلول ص٥٦٥، ٥٦٦، وانظر الشفا ص١١٠٩ والمحلى ١١/ ٤١٤، ٤١٥.

(٢) رسالة في الرد على الرافضة ٢٥، ٢٦. ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (ملحق المصنفات).

أحدهما: يقتل؛ لأنه سبّ النبي ﷺ بسبِّ حليلته.

والآخر: أنها كسائر الصحابة؛ يُجلد حدّ المفتري؛ قال[١]: وبالأول أقول»[٢].

وقال شيخ الإسلام: «وأما من سبّ غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كسابِّ غيرهن من الصحابة عليما سيأتي.

والثاني: وهو الأصح أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة، وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس، وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده، وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية والأمر فيه ظاهر»[٣].

وقال أحمد بن حجر الهيتمي المكي: «وأما الوقيعة في عائشة رضي الله عنها، فموجب للقتل. إما لأن القرآن شهد ببراءتها فقذفها تكذيبٌ له وتكذيبُه كفرٌ، وإما لكونها فراشاً له ﷺ، والوقيعة فيها تنقيصٌ له، وتنقيصُه كفرٌ، وينبني على ذلك حكم الوقيعة في بقية أمهات المؤمنين، فعلى الأول لا يكون كفراً، وعلى الثاني يكون كفراً، وهو الأرجح عند بعض المالكية، وإنما لم يقتل ﷺ قذفة عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن فلم يتضمن تكذيب القرآن؛ ولأن ذلك حكم نزول بعد نزول الآية، فلم ينعطف حكمه على ما قبلها»[٤].

---

(١) يبدو أن النقل من القاضي عياض عن كتاب ابن شعبان لأنه صدَّر به الكلام.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص١١١٣.

(٣) الصارم المسلول ص٥٦٧.

(٤) الصواعق المحرقة ص٣٨٧.

١٤٦- سب الدين أو الرب*

تقدم فيما سبق معنى الدين. والرب.

قال ابن الأثير: «يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيِّم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»[1]. وقد تقدم في باب (توحيد الربوبية) زيادة إيضاح في ذلك وهنا نتكلم عن حكم من تلفظ والعياذ بالله بسب أحدهما وبابه حكم المرتد وانظر ما ترجمناه في باب الردة فهو داخل في الردة القولية.

قال السفاريني: «والزنادقة هم الذين يسبون الله ﷻ أو واحداً من أنبيائه وكذلك من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو شبهه بشيء على طريق التشويه أو الازدراء عليه أو التصغير لشأنه، قال في الفروع: ويقتل من سب الله أو رسوله، نقل حنبل عن الإمام أحمد رضي الله عنه: أو تنقصه ولو تعريضاً. وقال: من عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل مسلماً كان أو كافراً. قال: وهو مذهب أهل المدينة. وسأله ابن منصور: ما الشتيمة التي يقتل بها؟ قال نحن نرى في التعريض الحد.

وفي فصول ابن عقيل عن الأصحاب لا تقبل توبته إن سب النبي ﷺ لأنه حق آدمي لم يعلم إسقاطه وأما إن سب الله فتقبل توبته لأنه يقبل التوبة في خالص حقه»[2].

وقال ابن باز رحمه الله: «أجمع العلماء قاطبة على أن المسلم متى سب الدين أو

---

*لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٩٦. الدرر السنية ١/ ٧٤. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٢٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٧. نور على الدرب ص١٥٧، ١٥٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٥٢، ٢/ ١٥٠-١٥٢. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٩٣. نواقض الإيمان القولية والعملية ١٠٦.

(١) النهاية (ر ب ب).

(٢) العقيدة السفارينية ص٣٩٧.

تنقصه أو سب الرسول ﷺ أو تنقصه أو استهزء به فإنه يكون مرتدا كافرا حلال الدم والمال يستتاب فإن تاب وإلا قتل...»[(١)].

قال ابن باز رحمه الله: «سب الدين من أعظم الكبائر ومن أعظم المنكرات وهكذا سب الرب عز وجل وهذان الأمران من أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، فإذا كان من سب الرب سبحانه أو سب الدين ينتسب للإسلام فإنه يكون مرتداً بذلك عن الإسلام ويكون كافراً يستتاب فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم إنه لا يستتاب بل يقتل، لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح أنه يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن أو سب الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإن سب الدين أو سب الرسول أو سب الرب عز وجل من نواقض الإسلام، وهكذا الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالجنة أو بالنار أو بأوامر الله كالصلاة والزكاة، فالاستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الحكم فيمن سب الدين الإسلامي أنه يكفر فإن سب الدين والاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله عز وجل وبدينه»[(٣)].

١٤٧- سب الدهر

انظر باب (الدهر).

---

(١) نور على الدرب ١٥٨.

(٢) مجوع فتاوى ابن باز ص٥٢٦.

(٣) مجوع الفتاوى ٢/ ١٥٢.

١٤٨- سب الرسول ﷺ *

سبق تعريف السب وأنه الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وسأتناول بشيء من التفصيل حكم من سب الرسول ﷺ أو تنقَّصه أو شتمه أو عابه أو استهزأ به.

قال صاحب الإنصاف: «من سب الله تعالى أو رسوله ﷺ كفر»[(١)]. ثم قرر أن: «حكم من تنقص النبي ﷺ حكم من سبه صلوات الله وسلامه عليه»[(٢)].

قال أبو مصعب[(٣)]: «سمعنا مالكاً يقول: من سبَّ النبي ﷺ أو شتمه، أو عابه، أو تنقصه قتل، مسلمًا كان أو كافراً، ولا يستتاب»[(٤)].

وقال ابن وهب: «قال مالك: من قال إن رداء النبي ﷺ وسخ أراد عيبه، قُتل»[(٥)].

---

* الشفا للقاضي عياض ٢/ ٩٣٤، ٩٣٨. التمهيد لابن عبد البر ٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨. أحكام القرآن القرطبي ٨/ ٨٣. الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية . أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/ ٨٣٠، ٨٩٠. عمدة القارئ للعيني ٢٤/ ٨٢. فتح الباري ١٢/ ٢٨١. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٩٦. الدرر السنية ١٠/ ١٧٩. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٢٧. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٩٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ٤١٩. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٣٦٥. نواقض الإيمان القولية والعملية ص١٦٤.

(١) الإنصاف ١٠/ ٣٢٦.

(٢) الإنصاف ١٠/ ٣٣٣.

(٣) أبو مصعب: أحمد بن أبي بكر الزهري، قاضي المدينة وعالمها، وهو من رواة الموطأ (التقريب ٧٨).

(٤) الشفا ٢/ ٩٣٦، ٩٣٧. الصارم المسلول ص٣١١.

(٥) الشفا ٢/ ٩٣٧، ٩٣٨.

وقال أبو بكر ابن المنذر: «أجمع عوام[١] أهل العلم على أن من سبَّ النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحق، وهو مذهب الشافعي. قال القاضي عياض: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه، والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم»[٢].

وقال الإمام إسحاق بن راهويه: «أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل؛ أو قتل نبيا من أنبياء الله عز وجل: أنه كافر بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله»[٣].

وقال القاضي: «قال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. وقال أبو سليمان الخطابي: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم»[٥].

وقال ابن باز: «كل من سب الله سبحانه بأي نوع من أنواع السب أو سب الرسول محمدا ﷺ، أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السب أو سب الإسلام أو تنقص أو استهزأ بالله أو برسوله ﷺ، فهو كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدّعي الإسلام

---

(١) المقصود: جمع عامة بمعنى جماعة كثيرة، وليس المراد العامي.

(٢) الشفا ٢/ ٩٣٣. الصارم المسلول ص٣ـ ٤. فتح الباري ١٢/ ٢٨١.

(٣) الصارم المسلول ٢/ ١٥.

(٤) الشفا ٢ / ٩٣٤ـ٩٣٥. وقد نقل هذا القول شيخ الإسلام في الصارم المسلول ٢/ ١٥-١٦.

(٥) الصارم المسلول ٥٢٧.

بإجماع المسلمين لقول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ...﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]»[١].

وقال في الشفا: «قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد ﷺ أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع»[٢].

وقال القاضي عياض: «أن يكون القائل لما قال في جهته ﷺ غير قاصد للسب، والإزراء، ولا معتقد له. ولكنه تكلم في جهته ﷺ بكلمة الكفر من لعنه، أو سبه، أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه، أو نفي ما يجب له مما هو في حقه ﷺ نقيصه مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة. أو مداهنة في تبليغ الرسالة. أو في حكم بين الناس. أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفر علمه، أو زهده، أو يكذب بما اشتهر به من أمور أخبر بها وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره. أو يأتي بسفه من القول، وقبيح من الكلام، ونوع من السب في حقه. وإن ظهر بدليل حاله، أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه. إما لجهالة حملته على ما قاله. أو الضجر، أو سكر اضطره إليه، أو قلة مراقبة وضبط للسانه، وعجرفة، وتهور في كلامه.

فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل. وإن تلعثم. إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة، ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليماً، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»[٣].

وقوله: «إذ لا يُعذر أحد في الكفر بالجهالة» لأن سب الرسول ﷺ مما لا يتصور جهله بل هو من المعلوم من الدين بالضرورة.

يقول السبكي: «وفي هذا بحث زائد وهو أن القتل هل هو لعموم الردة أو

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٢/ ٥٢٧.

(٢) الشفا ص٩٧٥.

(٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٩٧١، ٩٧٢.

لخصوص السَّبِّ؟ أو لهما معا؟... ولا شك أن الردة موجبة للقتل بالإجماع والنصوص، وخصوصُ السبِّ موجبٌ للقتل بحديث: «من سب نبيا فاقتلوه» ويترتب الحكم على الأذى وبترتيب الحكم على خصوص الوصف يشعر بأنه هو العِلّة، وقد وُجِد في السابِّ المسلم المعنيان جميعاً، أعني: الردة والسب فيكون اجتمع على قتله علتان، كل منهما موجبة للقتل، والقتل حَدٌّ لكل منهما، وقد تجتمع عِلّتان شرعيتان على معلولٍ واحد؛ ولهذا البحث أثر يظهرُ فيما إذا صدر السَّبُّ من كافر فإنه انفرد فيه السبُّ عن الارتداد وفيما إذا تاب السابُّ وأسلم»[(١)].

وهذا الإجماع الذي نقلناه عن العلماء منصوص في قتل الساب سواء كان مسلماً أو ذمياً. إلا أن أبا حنيفة وأصحابه خالفوا الإجماع في قتل الذمـي وانتقاض عهده بالسب[(٢)]. وذكروا أن ما هم عليه من الشرك أعظم. وقولهم مردود؛ لأنه مخالف للنص والإجماع. أما الإجماع فقد تقدم ذكره وأما النص فقد ثبت في سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلا تَنْزَجِرُ قَالَ فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلاَّ قَامَ» فَقَامَ الأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ

---

(١) السيف المسلول ص١٥٤، ١٥٥ وانظر أحكام الذمة لابن القيم ٢/ ٨٣٠، ٨٩٠. مسائل الإمام أحمد ٢/ ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) عمدة القارئ للعيني ٤/ ٨٢ ومختصر الطحاوي ٢٦٢ وفتح القدير مع الهداية ٦/ ٩٨.

فِيكَ فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّىٰ قَتَلْتُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ»»[(١)].

قال الخطابي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «وفيه بيان أن ساب النبي ﷺ مقتول «مهدر الدم»، وذلك أن السب منها لرسول الله ﷺ ارتداد عن الدين، ولا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله»[(٢)].

أحكام وفوائد:

١ - الفرق بين سب الله وسب رسوله ﷺ:

قال الخطابي: «ويحكىٰ عن مالك أنه كان لا يرىٰ لمن سب النبي ﷺ توبة، ويقبل توبة من ذكر الله سبحانه بسب أو شتم ويكف عنه، وأخبرني بعض أهل العلم من أهل الأندلس أن هذه القضية جارية فيما بينهم وأن أمراءهم والقضاة يحكمون بها علىٰ من فعل ذلك، وربما بقي أسراء الروم في أيديهم فيطول مقامهم بينهم فيطلبون الخلاص بالموت فيجاهرون بشتم النبي ﷺ فعند ذلك لا ينهون أن يقتلوا، والغالب علىٰ بلاد الأندلس ونواحي الغرب رأي مالك»[(٣)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «ومن فرّق بين سب الله وسب الرسول قالوا: سب الله تعالىٰ كفر محض وهو حق لله وتوبة من لم يصدر منه إلا مجرد الكفر الأصلي أو الطارئ مقبولة مسقطة للقتل بالإجماع ...فإن الرجل لو أتىٰ من الكفر والمعاصي بملء الأرض ثم تاب تاب الله عليه وهو سبحانه لا تلحقه بالسب غضاضة ولا معرة وإنما يعود ضرر السب علىٰ قائله، وحرمته في قلوب العباد أعظم من أن تنتهكها جرأة الساب، وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الرسول فإن السب هناك قد

---

(١) أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٥).

(٢) معالم السنن ٣/ ٢٩٦.

(٣) معالم السنن ٢/ ٢٨١، ٢٨٢.

تعلق به حق آدمي والعقوبة الواجبة لآدمي لا تسقط بالتوبة والرسول تلحقه المعرة والغضاضة بالسب فلا تقوم حرمته، ولا تثبت في القلوب مكانته إلا باصطلام سابه لما أن هجوه وشتمه ينقص من حرمته عند كثير من الناس فإن لم يحفظ هذا الحمى بعقوبة المنتهك وإلا أفضى الأمر إلى الفساد، وهذا الفرق يتوجه بالنظر إلى أن حد سب الرسول حق لآدمي كما يذكره كثير من الأصحاب وبالنظر إلى أنه حق لله أيضا فإن ما انتهكه من حرمة الله لا ينجبر إلا بإقامة الحد فأشبه الزاني والسارق والشارب إذا تابوا بعد القدرة عليهم»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «... سابّ الرسول ﷺ تقبل توبته ويجب قتله بخلاف من سب الله فإنها تقبل توبته ولا يقتل، لا لأن حق الله دون حق الرسول ﷺ بل لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد بأنه يغفر الذنوب جميعا، أما ساب الرسول ﷺ فإنه يتعلق به أمران:

الأول: أمر شرعي لكونه رسول الله ﷺ ومن هذا الوجه تقبل توبته إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي، لكونه من المرسلين، ومن هذا الوجه يجب قتله لحقه ﷺ ويقتل بعد توبته على أنه مسلم، فإذا قتل غسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وقد ألف كتابا في ذلك اسمه: «الصارم المسلول في حكم قتل ساب الرسول». وذلك لأنه استهان بحق الرسول ﷺ وكذا لو قذفه فإنه يقتل ولا يجلد.

فإن قيل: أليس قد ثبت أن من الناس من سب الرسول ﷺ وقبل منه وأطلقه؟

أجيب: بلى هذا صحيح لكن هذا في حياته ﷺ وقد أسقط حقه، أما بعد موته فلا

---

(١) الصارم المسلول ص٥٤٧، ٥٤٨. وفيه زيادة بحث في ذلك ص٥٤٦، ٥٦٤.

ندري فننفذ ما نراه واجباً في حق من سبه ﷺ»[١].

قال شيخ الإسلام: «إن الذي عصم دم ابن أبي السرح عفو النبي ﷺ، وأنه بالإسلام والتوبة انمحى عنه الإثم، وبعفو النبي ﷺ احتقن الدم، وليس للأمة أن يعفوا عن حقه»[٢].

٢ - مما يلحق بهذا الباب لمز الرسول ﷺ:

واللمز: الطعن باللسان[٣].

قال في مختار الصحاح: ««اللمز»: العيب. وأصله الإشارة بالعين ونحوها ورجل «لمّاز» و «لُمزة» أي: عيّاب»[٤].

ففي لمز الرسول ﷺ عيبُه وتنقيصه. وهذا داخل في سبه ﷺ لأن السب: «هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف...»[٥].

قال الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.يقول تعالى ذكره:ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات من يلمزك في الصدقات يقول يعيبك في أمرها ويطعن عليك فيها يقال منه لمز فلاناً يلمزه ويلمِزُه إذا عابه وقرصه، وكذلك همزه. ومنه قيل: فلان هُمزة لُمزة»[٦].

وهذه الآية نزلت في ذي الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قال أَبو سَعِيدٍ بَيْنَا

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٥٢، ٨٥٣. وانظر القول المفيد ط١-٣/٢٦، ٢٧. وانظر للاستزادة لقاء الباب المفتوح ٥٣/ ٦٤.

(٢) الصارم المسلول ٣٣٧.

(٣) تفسير أبي السعود ٨/ ١٢١.

(٤) مختار الصحاح باب (ل م ز).

(٥) الصارم المسلول ٥٦١ص، وانظر نواقض الإيمان الاعتقادية د. الوهيبي ص١٦٣.

(٦) تفسير الطبري ١٠/ ١٥٥.

النَّبيُّ ﷺ يَقْسِمُ جاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ - أَوْ قَالَ ثَدْيَيْهِ - مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، - أَوْ قَالَ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ - يَخْرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً قَتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَىٰ النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ فَنَزَلَتْ فِيهِ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾»[١].

قال الشوكاني في فتح القدير: «ومعنى الآية: ومن المنافقين من يعيبك في الصدقات: أي في تفريقها وقسمتها»[٢].

وقال الإمام تقي الدين: «فثبت أن كل من لمز النبي ﷺ في حكمه أو قسمه فإنه يجب قتله كما أمر به ﷺ في حياته وبعد موته وأنه إنما عفا عن ذلك اللامز في حياته كما قد كان يعفو عمن يؤذيه من المنافقين لما علم أنهم خارجون في الأمة لا محالة وأن ليس في قتل ذلك الرجل كثير فائدة بل فيه من المفسدة ما في قتل سائر المنافقين وأشد»[٣].

وقال رحمه الله: «فإن لمز النبي ﷺ وأذاه لا يفعله من يعتقد أنه رسول الله حقا وأنه أولى به من نفسه وأنه لا يقول إلا الحق ولا يحكم إلا بالعدل وأن طاعته طاعة الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٣).

(٢) فتح القدير ٢/ ٣٧٤.

(٣) الصارم المسلول ص١٨٧.

وأنه يجب على جميع الخلق تعزيره وتوقيره وإذا كان دليلا على النفاق نفسه فحيثما حصل حصل النفاق.

وأيضاً فإن هذا القول لا ريب أنه محرم فإما إن يكون خطيئة دون الكفر أو يكون كفرا والأول باطل لأن الله سبحانه قد ذكر في القرآن أنواع العصاة من الزاني والقاذف والسارق والمطفف والخائن ولم يجعل ذلك دليلاً على نفاق معين ولا مطلق فلما جعل أصحاب هذه الأقوال من المنافقين علم أن ذلك لكونها كفرا لا لمجرد كونها معصية؛ لأن تخصيص بعض المعاصي يجعلها دليلاً على النفاق دون بعض لا يكون حتى يختص دليل النفاق بما يوجب ذلك وإلا كان ترجيحاً بلا مرجح فثبت أنه لا بد أن يختص هذه الأقوال بوصف يوجب كونها دليلاً على النفاق وكلما كان كذلك فهو كفر»[1].

٣ - ويلحق بهذا الباب إيذاء الرسول ﷺ[2]:

وهذه من صفات المنافقين قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ [التوبة:٦١-٦٣].

قال الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قوله: ﴿ وَمِنْهُمُ ﴾؛ هذا نوع آخر مما حكاه الله من فضائح المنافقين وقبائحهم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ على

(١) الصارم المسلول ص٣٥ .

(٢) انظر في ذلك نواقض الإيمان الاعتقادية د/ الوهيبي ٢/ ١٦٢، ١٦٣ .

وجه الطعن والذم هو أذن، قال الجوهري: يقال رجل أُذن: إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوي فيه الواحد والجمع ومرادهم ـ أقمأهم الله ـ أنهم إذا آذوا النبي ﷺ وبسطوا فيه ألسنتهم، وبلغه ذلك اعتذروا له وقبل ذلك منهم، لأنه يسمع كل ما يقال له فيصدِّقُه، وإنما أطلقت العرب على من يسمع ما يقال له فيصدِّقُه أنه أذن مبالغة، لأنهم سموه بالجارحة التي هي آلة السماع، حتى كأن جملته أذن سامعة،... وإيذاؤهم له هو قولهم «هو أذن» لأنهم نسبوه إلى أنه يصدق كل ما يقال له ولا يفرق بين الصحيح والباطل اغتراراً منهم بحلمه عنهم، وصفحه عن خباياهم كرماً وحلماً وتغاضياً...»[١].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فعلم أن إيذاء رسول الله محادة لله ولرسوله لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادّة، فيجب أن يكون داخلا فيه، ولولا ذلك لم يكن الكلام مؤتلفاً، ... ودل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر لأنه أخبر أن له نار جهنم خالدا فيها ...»[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وذلك أن الإيمان والنفاق، أصله في القلب، وإنما الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه، فإذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه، فلما أخبر سبحانه أن الذين يلمزون النبي ﷺ، والذين يؤذونه من المنافقين، ثبت أن ذلك دليل على النفاق وفرع له، ومعلوم أنه إذا حصل فرع الشيء ودليله حصل أصل المدلول عليه، فثبت أنه حيث ما وجد ذلك كان صاحبه منافقا سواء كان منافقا قبل هذا القول أو حدث له النفاق بهذا القول»[٣].

وقال في موضع آخر: «فالسبُّ إهانة واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز،

---

(١) فتح القدير ٢/ ٣٧٥.

(٢) الصارم المسلول ص ٢٠.

(٣) الصارم المسلول ص٣٤.

ومُحالٌ أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم، أو يستخف به فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد واستسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له واستكبر عن الطاعة فصار كافراً»[١].

وقال أيضاً: «ومعلوم أن أذى الرسول من أعظم المحرمات فإن من آذاه فقد آذى الله وقتلُ سابِّه واجب باتفاق الأمة سواء قيل إنه قتل لكونه ردة أو لكونه ردة مغلظة أوجبت أن صار قتل الساب حدا من الحدود»[٢].

(١) الصارم المسلول ص٥١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٦٩.

١٤٩- سب الريح*

الريح من روح الله وقد جاءت أحاديث المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام بالنهي عن سب الريح لأنها إنما تهب عن إيجاد الله تعالىٰ وخلقه لها وأمره، فهو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل الحقيقي، وهو الله جل ذكره ولا يسبها إلا أهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه لعباده، ولذلك فإن سب الريح ينافي كمال التوحيد. وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلىٰ أن يقولوا ما فيه أدب مع الله وخضوع له وتسليم، وما ينفعهم من الدعاء الصالح عند هبوب الريح.

* **الدليل من السنة**: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»[(١)].

وعن ثَابِت بْن قَيْسٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: يَقُولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ». قَالَ سَلَمَةُ: فَرَوْحُ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلا تَسُبُّوهَا وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا[(٢)].

وفي تيسير العزيز الحميد: «قال الشافعي: لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق مطيع لله، وجند من جنوده، يجعلها الله رحمة إذا شاء، ونقمة إذا شاء. ثم روىٰ بإسناده حديثاً منقطعاً أن رجلا شكىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ الفقر، فقال له: «لعلك تسب الريح».

---

* الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٢٠. تيسير العزيز الحميد ص٦٨١. فتح المجيد ص٥٥٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٥٦. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١٣٩ ومن المجموع ١٠/ ٩٦٥.

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٧) وابن ماجه (٣٧٢٧).

وقال مطرف: «لو حبست الريح عن الناس لأنتن ما بين السماء والأرض»»[١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «لا يجوز سب الريح بل تجب التوبة عند التضرر بها وهو تأديب من الله تعالىٰ لعباده، وتأديبه رحمة للعباد، فلهذا جاء في حديث أبي هريرة مرفوعا: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب، فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وكونها قد تأتي بالعذاب لا ينافي كونها من رحمة الله وعن ابن عباس أن رجلا لعن الريح عند النبي ﷺ، فقال: «لا تلعنوا الريح، فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة إليه» رواه الترمذي وقال غريب»[٢].

ويقاس علىٰ تحريم سب الريح سب الشمس[٣] أو السحاب وأمثالهما من كل مخلوق لا يملك أن يفعل شيئاً إلا بأمر الله سبحانه وتعالىٰ[٤]، ولا يَرِدُ علىٰ هذا الباب من له إرادة وتصرف كبني آدم فإنه يجوز سبهم إذا كان بحق[٥].

قال السعدي: «وهذا نظير ما سبق في سب الدهر أراد أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي، فإن الريح مصرفة مدبره بتدبير الله وبتسخيره فالساب لها يقع سبه علىٰ من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنىٰ في قلبه غالبا لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم»[٦].

---

(١) تيسر العزيز الحميد ٦٨٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٦٨١.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩٦٥. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ١٤٠.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠ / ٩٦٨. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ١٤٠.

(٥) انظر: فتح الباري ١٠/ ٥٨١، ١٤٢.

(٦) القول السديد ١٤٢.

❖ **فـائـدة:**

ليس من السب أن توصف الريح أو يوصف الدهر بالشدة لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة.٦-٧] وكقوله: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢ ﴾ [الذاريات.٤١-٤٢].

❖ **فـائـدة أخرى:**

جاء في الحديث: «لا تسبوا الريح، فإنها من نَفَس الرحمن»[(١)].

قال ابن الأثير: «يريد بها أنها تُفرِّج الكرب، وتنشئ السحاب، وتنشر الغيث وتذهب الجدب. قال الأزهري: النفس في هذين الحديثين[(٢)] اسمٌ وُضِع موضع المصدر الحقيقي من نفَّس ينفِّس تنفيساً ونفساً، كما يقال: فَرَّج يفرِّج تفريجاً وفرجاً، كأنه قال: أجد تنفيس ربكم من قبل اليمن وأن الريح من تنفيس الرحمن بها عن المكروبين.

قال العتبي: هجمت على واد خصيب وأهله مُصفَرَّةٌ ألوانُهم فسألتهم عن ذلك فقال شيخ منهم: «ليس لنا ريح».

ومنه الحديث: «من نفس عن مؤمن كربة». أي: فرّج.

ومنه الحديث: «ثم يمشي أنفس منه، أي: أفسح وأبعد قليلا»»[(٣)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣١٢٩)، الدر المنثور ١/ ٣٠٠.

(٢) يقصد الحديث المذكور وحديث: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن». وفي رواية: «أجد نفس ربكم» قيل: عنى به الأنصار. انظر النهاية (ن ف س).

(٣) النهاية لابن الأثير (ن ف س).

١٥٠- سب الصحابة*

أثنى الله ﷻ على صحابة رسوله ﷺ، في مواضع عديدة من كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة:١١٧]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٨-٩]. وقـــال ﷻ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ

---

* الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية. مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣/ ٤٢٤، ٤٢٥. ٢٨/ ١٠٥، ١٠٦. أحكام القرآن للقرطبي ٨/ ١٤٨، ١٦/ ٣٢٢،٢٩٦، ١٢/ ١٨،٢٠٥/ ٣١. شرح النووي ١٦/ ٩٣. ا لصواعق المحرقة ٣٨٣. الدرر السنية ١٠/ ٢٥١، ١٢/ ٦٩. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٣٨١. منهج الإمام مالك في العقيدة ٤٤٣. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٦٣. اعتقاد أهل السنة في الصحابة . الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد ٢/ ٥٩٠. نواقض الإيمان القولية والعملية ٤٠٥.

يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ[1].

قَالَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّءٌ»[2].

وعنه ﷺ قال: «من كان منكم متأسيا فليتأسى بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[3].

قال الطحاوي في متنه المشهور: «وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[4].

وقال الهيثمي معلقاً على كلام الطحاوي: «فبغض الصحابة كلهم وبغض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر»[5].

وقال ابن الصلاح رحمه الله: «للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة»[6].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٦٠٠).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٢/ ٩٧.

(٤) متن العقيدة الطحاوية ١٨ مكتبة ابن تيمية.

(٥) الصواعق المحرقة ص٣٨٠.

(٦) مقدمة ابن الصلاح ص١٤٦.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «اتفق العلماء علىٰ أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه»[١]، وكذا قال ابن حجر[٢].

ويقول ابن كثير رحمه الله: «والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنىٰ الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل»[٣].

❖ النهي عن سب الصحابة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون»[٥].

وعن ميمون بن مهران قال: «ثلاث ارفضوهن: سب أصحاب محمد ﷺ والنظر في النجوم، والنظر في القدر»[٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عبادة أحدكم أربعين سنة»[٧].

وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: قال أحمد بن حنبل: «يا أبا الحسن،

---

(١) شرح النووي ١٦/ ٨٤.
(٢) فتح الباري ٧/ ٥.
(٣) الباعث الحثيث ص ١٨١، ١٨٢.
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠).
(٥) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» ح: ١٨.
(٦) المصدر السابق (ح: ١٩).
(٧) المصدر السابق (ح: ٢٠).

إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[(١)].

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ، عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[(٢)].

وقال بقية بن الوليد: «قال لي الأوزاعي: يا بقية! لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير. يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجيء عنهم، فليس بعلم»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام: «ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم، خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير وأصول الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم. وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم»[(٤)].

❖ **حكم سب الصحابة:**

قال شيخ الإسلام: «وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه»[(٥)]. وإليك تفصيل ذلك:

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » ١٦٠.

(٢) « الكفاية في علم الرواية » للخطيب البغدادي ٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٢٠.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ١٣/ ٢٤.

(٥) الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ص ٥٨٧.

أ ـ سب عموم الصحابة:

من سب الصحابة أو رماهم بالكفر والردة أو فسّق جميعهم أو معظمهم فهو كافر لأسباب جليلة:

١ ـ أن هذا طعن في نقلة الكتاب والسنة ويلزم منه الطعن فيهما.

٢ ـ أنه تكذيب لنص القرآن الكريم من الرضا عنهم.

٣ ـ استنبط الإمام مالك رحمه الله من قوله تعالىٰ في الصحابة: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩] أن من يبغض الصحابة كافر قال مالك: «لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه الشافعي وغيره من الأئمة وقال الهيثمي وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية»[١].

٤ ـ قول الرسول ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار»[٢].
وفي رواية: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»[٣].

ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، مبينا حكم هذا القسم: «وأما من جاوز ذلك إلىٰ أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع؛ من الرضا عنهم، والثناء عليهم. بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره

---

(١) الصواعق المحرقة ٣١٧ وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٤.

(٢) أخرجه البخاري (١٧) (٣٧٨٤) ومسلم (٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٧٦) (٧٧).

متعين ... إلىٰ أن قال ـ: وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام»[١].

وقال الهيثمي رحمه الله: «ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم أما سب جميعهم فلا شك في أنه كفر»[٢].

ب ـ سب بعضهم سبا يطعن في دينهم:

اتهام بعض الصحابة بالكفر أو الفسق مسألة فيها أقوال لأهل العلم فمنهم من يكفره ومنهم من يفسقه، وبعض العلماء يكفر من سب الخلفاء، وبعضهم يقتصر علىٰ الشيخين، وبعضهم ينظر في تواتر النصوص بفضله و عدم تواترها[٣]. والصحيح أن من استحل سب من تواترت النصوص بفضله كالخلفاء فذلك كفر لأن في هذا تكذيبًا لأمر متواتر[٤].

وقال القاضي عياض: «وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل»[٥].

وروىٰ الخلال عن أبي بكر المروذي قال: «سألت أبا عبد الله عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة قال: ما أراه علىٰ الإسلام قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك: الذين يشتمون أصحاب رسول الله ﷺ ليس لهم سهم أو قال: نصيب في الإسلام»[٦].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن علىٰ أحد منهم بعيب ولا بنقص. فمن فعل ذلك فقد وجب علىٰ السلطان تأديبه

---

(١) الصارم المسلول ٥٨٦، ٥٨٧.

(٢) الصواعق المحرقة ص٣٧٩.

(٣) انظر اعتقاد أهل السنة في الصحابة ص٦٣.

(٤) الصارم ص٥٦٩. الصواعق المحرقة ص٣٨٣، وانظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٣٦٦.

(٥) مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٣.

(٦) مسائل عبد الله ص٤٣١، وانظر مسائل أحمد في العقيدة للأحمدي ٢/ ٣٦٤.

وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع»[١].

قال الهيثمي: «أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق»[٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «ومن خص بعضهم بالسب، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله؛ كالخلفاء، فإن اعتقد أحقية سبه أو إباحته فقد كفر؛ لتكذيبه ما ثبت قطعا عن رسول الله ﷺ ومكذبه كافر، وإن سبه من غير اعتقاد أحقية سبه أو إباحته، فقد تفسق؛ لأن سباب المسلم فسوق. وقد حكم البعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقا ـ والله أعلم ـ»[٣].

وقال أيضاً: «وإن كان ممن لم يتواتر النقل في فضله وكماله، فالظاهر أن سابه فاسق إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإنه يكفر»[٤].

قال الهيثمي: عن حكم سب أبي بكر: «فيتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد، فليس بكفر. فتكون المسألة عنده على حالين: «إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفره وإلا كفر»»[٥].

وقال: «وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي. والذي أراه الكفر فيها قطعًا»»[٦].

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤، الصارم المسلول ص٥٦٨.

(٢) الصواعق المحرقة ص٣٨٣.

(٣) الرد على الرافضة ص١٩.

(٤) الرد على الرافضة ص١٩.

(٥) الصواعق ص٣٨٦.

(٦) الصواعق ص٣٨٥.

❖ تنبيه:

قال شيخ الإسلام: «فصل في تفصيل القول فيهم: أما من اقترن بسبه دعوىٰ أن عليا إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره. وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»[(١)].

وفي حاشية ابن عابدين قال: «وبهذا يظهر أن الرافضي إن كان ممن يعتقد الألوهية في علي أو أن جبريل غلط في الوحي، أو كان ينكر صحبة الصديق، أو يقذف السيدة عائشة فهو كافر»[(٢)].

ج ـ من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم:

قال شيخ الإسلام: «وأما من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم ـ مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك ـ فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلىٰ هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلىٰ أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا بعامتهم فهذا أيضا لا ريب في كفره، لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضىٰ عنهم والثناء عليهم ...فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق»[(٣)].

---

(١) انظر الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ص٥٨٦.

(٢) حاشية ابن عابدين ص٤٦.

(٣) انظر الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ص ٥٨٧، ٦٥٨.

وفي موضع آخر ضرب أمثلة لذلك فقال: «نحو قوله كان فيهم قلة علم وقلة معرفة بالسياسة والشجاعة، وكان فيهم شح ومحبة للدنيا ونحو ذلك»[١].

❖ **سب السلف والعلماء والمؤمنين**[٢]:

وهذه من صفات المنافقين ومن علامات الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها وقال بعض السلف وأظنه مالكاً: «لا تجوز الإقامة في بلد يسب فيها السلف» وقد ذكر الله من صفات المنافقين لمز المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال الإمام البخاري في صحيحه: بَاب قَوْلِهِ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة.٧٩] يَلْمِزُونَ: يَعِيبُونَ وَ جُهْدَهُمْ وَجَهْدَهُمْ: طَاقَتَهُمْ[٣].

ثم ذكر حديث أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: «لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ وَجَاءَ إِنسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا وَمَا فَعَلَ هَذَا الآخَرُ إلا رِئَاءً فنزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩]»[٤].

قال الواحدي في تفسيره: «الذين يلمزون: يعيبون ويغتابون المطوعين: المتطوعين المتنفلين من المؤمنين في الصدقات وذلك أن رسول الله ﷺ حث على الصدقة فجاء بعض الصحابة بالمال الكثير وبعضهم وهم الفقراء بالقليل فاغتابهم المنافقون وقالوا من أكثر أكثر رياء ومن أقل أراد أن يذكر نفسه فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٥].

---

(١) الصارم المسلول ص٥٧١، وانظر للاستزادة صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٩٣.

(٢) للاستزادة انظر الدرر السنية ٩/ ١١٣، ١٣٣.

(٣) انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب رقم (١١).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٦٨).

(٥) تفسير الواحدي ١/ ٤٧٤.

١٥١- السبب*

لغة: الحبل، وما يتوصل به إلىٰ غيره، والجمع أسباب[(١)] قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ﴾ [ص: ١٠] أي: فليصعدوا إلىٰ السماء[(٢)].

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعني: «طرق السماء»[(٣)].

وقال القرطبي: «أصل السبب: الحبل يشد بالشيء فيجذبه، ثم جعل كل ما جر شيئاً سبباً»[(٤)].

والمراد في هذا الفصل: هو ما كان طريقا إلىٰ الشيء يتوصل به إليه، فالبعض يعتقد في الأسباب أنها هي المسببة بذاتها، وهي الموجدة بنفسها، وهي الضارة والنافعة استقلالا وهذا شرك. والبعض ينفي تأثير الأسباب ويعرض عنها وهذا باطل.

وأخذ الأسباب المشروعة جاءت به الشريعة.

---

* مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٤٧١. التحفة العراقية لابن تيمية ص٤٩. جامع العلوم والحكم ٢ / ١٠٤. تفسير القرطبي ١١/ ٣٢١، ١٣/ ١٤. مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥. تيسير العزيز الحميد ٥٠١، ١٥٦. فتح المجيد ص٤٠٨. الدرر السنية ٢/ ١٩٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ١٠٢، ١٠٤، ٤/ ٢٠٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١ / ١٠٠، ١٥٩، ٢/ ٩٦، ط٢-٢/ ٩٦، ٢٢٨ ومن المجموع ٩/ ١٥٤، ١٨٠. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٤٨. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٨. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٣١١. منهج ابن حجر في العقيدة ص٤٢٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٨٧.

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٥٠٣، وانظر المفردات للراغب ص٢٢٠، ولسان العرب مادة (س ب ب) ١/ ٤٥٨.

(٢) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١٢/ ٤٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٠٦.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]. وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة.١٩٧].

قال الإمام ابن القيم: «والقرآن مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة، فيأتي بباء السببية تارة، وباللام تارة، وبأن تارة، وبكي تارة، ويذكر الوصف المقتضي تارة، ويذكر صريح التعليل تارة كقوله ذلك بأنهم فعلوا كذا وقالوا كذا، ويذكر الجزاء تارة كقوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٢٩]، وقوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٥]، وقوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧]، ويذكر المقتضى للحكم والمانع منه كقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩]، وعند منكري الأسباب والحكم لم يمنعه إلا محض مشيئته ليس إلا وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس:٩] وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم:١]، وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥]، وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء:١٦٠]»[١].

* **الدليل من السنة:** عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ على ناقة له، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[٢].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ كنتم تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزقتمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَاناً»[٣].

قال أبو حاتم الرازي: «وهذا حديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق»[٤].

والأدلة على هذا الباب من الكتاب والسنة كثيرة وسوف يأتي بعض منها أثناء ذكر مسائل هذا الباب.

أحكام وفوائد:

١ - الأسباب على قسمين:

١ - أسباب شرعية: وهي ما شرعها الله على لسان نبيه ﷺ التي يتوسل بها إلى إرضائه وثوابه.

٢ - أسباب كونية قدرية: وهي ما عُلم أو جُرِّب في جلب ما ينفع ودفع ما يضر[٥].

قال الشيخ ابن عثيمين: «فمن الأسباب القدرية قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٨، ٤٩٩.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٧).

(٣) أخرجه والترمذي (٢٣٤٤) وقال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه (٤١٦٤).

(٤) جامع العلوم والحكم ٤٠٩.

(٥) القول السديد للسعدي ص٣٨.

ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٤٨-٥٠].

ومن الأسباب الشرعية قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]. وكل فعل رتب الله عليه عقاباً أو ثواباً فهو من الأسباب الشرعية باعتبار كونه مطلوباً من العبد، ومن الأسباب القدرية باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره»[1].

٢ - موقف الناس من الأسباب:

الناس في الأسباب طرفان ووسط:

الطرف الأول: نفاة أنكروا تأثير الأسباب وجعلوها مجرد علامات يحصل الشيء عندها، لا بها، حتى قالوا: إن انكسار الزجاجة بالحجر إذا رميتها به حصل عند الإصابة، لا بها. وهؤلاء خالفوا السمع، وكابروا الحس، وأنكروا حكمة الله تعالى: في ربط المسببات بأسبابها[2].

قال الإمام ابن القيم: «وبالجملة فليس إسقاط الأسباب من التوحيد بل القيام بها واعتبارها وإنزالها في منازلها التي أنزلها الله فيها هو محض التوحيد والعبودية والقول بإسقاط الأسباب هو توحيد القدرية الجبرية أتباع جهم بن صفوان في الجبر»[3].

وهذا المفهوم الخاطئ المنحرف قد أدَّى ببعض الصوفية إلى القول بترك

---

(١) تقريب التدمرية من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٤/ ٢٠٦.

(٢) تقريب التدمرية من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٤/ ٢٠٦.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٥.

التكسب وأنه ينافي التوكل على الله.

قال الإمام ابن القيم: «وعندهم أن الله لم يخلق شيئاً بسبب، ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر، فليس في النار قوة الإحراق، ولا في السم قوة الإهلاك، ولا في الماء والخبز قوة الري والتغذي به، ولا في العين قوة الإبصار، ولا في الأذن والأنف قوة السمع والشم؛ بل الله سبحانه يحدث هذه الآثار عند ملاقاة هذه الأجسام لا بها، فليس الشبع بالأكل ولا الري بالشرب، ولا العلم بالاستدلال ولا الانكسار بالكسر ولا الإزهاق بالذبح، ولا الطاعات والتوحيد سبباً لدخول الجنة والنجاة من النار، ولا الشرك والكفر والمعاصي سبباً لدخول النار؛ بل يدخل هؤلاء الجنة بمحض مشيئته من غير سبب ولا حكمة أصلا ويدخل هؤلاء النار بمحض مشيئته من غير سبب ولا حكمة ... بل عندهم صدور الكائنات والأوامر والنواهي عن محض المشيئة الواحدة التي رجحت مثلا على مثل بغير مرجح فعنها يصدر كل حادث ويصدر مع الحادث حادث آخر مقترناً به اقتراناً عادياً لا أن أحدهما سبب الآخر ولا مرتبط به، فأحدهما مجرد علامة وأمارة على وجود الآخر،فإذا وجد أحد المقترنين وجد الآخر معه بطريق الاقتران العادي فقط لا بطريق التسبب والاقتضاء، وهذا عندهم هو نهاية التوحيد وغاية المعرفة، وطرد هذا المذهب مفسد للدنيا والدين بل ولسائر أديان الرسل، ولهذا لما طرده قوم أسقطوا الأسباب الدنيوية وعطلوها وجعلوا وجودها كعدمها ولم يمكنهم ذلك فإنهم لا بد أن يأكلوا ويشربوا ويباشروا من الأسباب ما يدفع عنهم الحر والبرد والألم .

فإن قيل لهم: هلا أسقطتم ذلك؟

قالوا: لأجل الاقتران العادي.

فإن قيل لهم: هلا قمتم بما أسقطتموه من الأسباب لأجل الاقتران العادي

أيضاً؟ فهذا المذهب قد فطر الله سبحانه الحيوان ناطقه وأعجمه على خلافه.

وقوم طردوه فتركوا له الأسباب الأخروية وقالوا: سبق العلم والحكم بالسعادة والشقاوة لا يتغير البتة، فسواء علينا الفعل والترك، فإنْ سبق العلم والحكم بالشقاوة، فنحن أشقياء، عملنا أو لم نعمل، وإن سبق بالسعادة فنحن سعداء عملنا أو لم نعمل.

ومنهم من يترك الدعاء جملة بناء على هذا الأصل ويقول المدعو به إن سبق العلم والحكم بحصوله حصل دعونا أولم ندع، وإن سبق بعدم حصوله لم يحصل وإن دعونا.

قال شيخنا[1]: وهذا الأصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين؛ بل ومخالف لصريح العقل والحس والمشاهدة، وقد سئل النبي ﷺ عن إسقاط الأسباب نظراً إلى القدر فرد ذلك وألزم القيام بالأسباب كما في الصحيح عنه أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار» قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

وفي الصحيح عنه أيضاً أنه قيل له: يا رسول الله، أرأيت ما يكدح الناس فيه اليوم ويعملون أمرٌ قُضي عليهم ومضى أم فيما يستقبلون مما آتاهم فيه الحجة؟ فقال: «بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم» قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟ قال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

وفي السنن عنه أنه قيل له: أرأيت أدوية نتداوى بها، ورُقىً نسترقي بها، وتقاة نتقي بها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله».

---

(١) أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وكذلك قول عمر لأبي عبيدة رضي الله عنهما وقد قال أبو عبيدة لعمر: أتفر من قدر الله - يعني من الطاعون -؟ قال: أفر من قدر الله إلىٰ قدر الله»[١].

والطرف الثاني: غلاة أثبتوا تأثير الأسباب، لكنهم غلوا في ذلك وجعلوها مؤثرة بذاتها، وهؤلاء وقعوا في الشرك، حيث أثبتوا موجداً مع الله تعالىٰ، وخالفوا السمع، والحس. فقد دل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة علىٰ أنه لا خالق إلا الله، كما أننا نعلم بالشاهد المحسوس أن الأسباب قد تتخلف عنها مسبباتها بإذن الله، كما في تخلف إحراق النار لإبراهيم الخليل حين ألقي فيها فقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء ٦٩] فكانت برداً وسلاماً عليه ولم يحترق بها[٢].

قال الإمام ابن القيم: «فالالتفات إلىٰ الأسباب ضربان:

أحدهما شرك، والآخر عبودية وتوحيد.

فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها، وأما إن التفت إليها التفات امتثال وقيام بها وأداء لحق العبودية فيها وإنزالها منازلها فهذا الالتفات عبودية وتوحيد إذ لم يشغله عن الالتفات إلىٰ المسبب، وأما محوها أن تكون أسباباً فقدحٌ في العقل والحسن والفطرة، فإن أعرض عنها بالكلية كان ذلك قدحاً في الشرع وإبطالاً له.

وحقيقة التوكل: القيام بالأسباب، والاعتماد بالقلب علىٰ المسبب، واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه»[٣].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٦، ٤٩٧.

(٢) تقريب التدمرية من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٤ / ٢٠٧.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٩٩.

وقد بين الإمام ابن تيمية ضلال من أنكر الأسباب وشرك من جعلها هي المبدِعة قال رحمه الله: «ومن قال إنه يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة العبد كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك فقد أشرك بالله، وأضاف فعله إلى غيره وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر الى سبب آخر في حصول مسببه، ولابد من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه الله عنه فليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء إذا شاء إلا الله وحده قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات:٤٩] أي فتعلمون أن خالق الأزواج واحد»[(١)].

وأما الوسط: فهم الذين هُدوا إلى الحق وتوسطوا بين الفريقين وأخذوا بما مع كل واحد منهما من الحق، فأثبتوا للأسباب تأثيراً في مسبباتها لكن لا بذاتها بل بما أودعه الله تعالى: فيها من القوى الموجبة.

وهؤلاء هم الطائفة الوسط الذين وفقوا للصواب وجمعوا بين المنقول والمعقول، والمحسوس، وإذا كان القدر لا ينافي الأسباب الكونية والشرعية فهو لا ينافي أن يكون للعبد إرادة وقدرة يكون بهما فعله، فهو مريد قادر فاعل لقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[آل عمران:١٥٢]، وقوله: ﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ [القلم:٢٥] وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾، وقوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾.

لكنه غير مستقل بإرادته وقدرته وفعله، كما لا تستقل الأسباب بالتأثير في مسبباتها لقوله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١١٢، وانظر ٨/ ١٧٥، ٤٣٠، ٣٥/ ١٦٨، وانظر التدمرية ص ٢١٠، ٢١١.

ﵟٱلۡعَٰلَمِينَﵞ، ولأن إرادته، وقدرته، وفعله من صفاته وهو مخلوق فتكون هذه الصفات مخلوقة أيضاً، لأن الصفات تابعة للموصوف فخالق الأعيان خالق لأوصافها[1].

قال الإمام ابن القيم: «فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب بمعنى أنه لا يطمئن إليها ولا يرجوها ولا يخافها فلا يركن إليها ولا يلتفت إليها بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها بل يكون قائما بها ملتفتا إليها ناظرا إلى مسببها سبحانه ومجريها فلا يصح التوكل شرعاً وعقلاً إلا عليه سبحانه وحده فإنه ليس في الوجود سبب تام موجب إلا مشيئته وحده فهو الذي سبب الأسباب وجعل فيها القوى والاقتضاء لآثارها ولم يجعل منها سبباً يقتضي وحده أثره بل لا بد معه من سبب آخر يشاركه وجعل لها أسباباً تضادها وتمانعها بخلاف مشيئته سبحانه فإنها لا تحتاج إلى أمر آخر ولا في الأسباب الحادثة ما يبطلها ويضادها وإن كان الله سبحانه قد يبطل حكم مشيئته بمشيئته فيشاء الأمر ثم يشاء ما يضاده ويمنع حصوله والجميع بمشيئته واختياره فلا يصح التوكل إلا عليه ولا الالتجاء إلا إليه ولا الخوف إلا منه ولا الرجاء إلا له ولا الطمع إلا في رحمته كما قال أعرف الخلق به: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» وقال: «لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك»، فإذا جمعت بين هذا التوحيد وبين إثبات الأسباب استقام قلبك على السير إلى الله ووضح لك الطريق الأعظم الذي مضى عليه جميع رسل الله وأنبيائه وأتباعهم وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم وبالله التوفيق، وما سبق به علم الله وحكمه حق وهو لا ينافي إثبات الأسباب ولا يقتضي إسقاطها، فإنه سبحانه قد علم وحكم أن كذا وكذا

---

(١) تقريب التدمرية من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨.

يحدث بسبب كذا وكذا فسبق العلم والحكم بحصوله عن سببه فإسقاط الأسباب خلاف موجب علمه وحكمه فمن نظر إلىٰ الحدوث بغير الأسباب لم يكن نظره وشهوده مطابقاً للحق بل كان شهوده غيبة ونظره عمىً، فإذا كان علم الله قد سبق بحدوث الأشياء بأسبابها فكيف يشهد العبد الأمور بخلاف ما هي عليه في علمه وحكمه وخلقه وأمره، والعلل التي تتقىٰ في الأسباب نوعان:

أحدهما: الاعتماد عليها والتوكل عليها والثقة بها ورجاؤها وخوفها فهذا شرك يرق ويغلظ وبين ذلك.

الثاني: ترك ما أمر الله به من الأسباب، وهذا أيضاً قد يكون كفراً وظلماً وبين ذلك بل علىٰ العبد أن يفعل ما أمره الله به من الأمر ويتوكل علىٰ الله توكل من يعتقد أن الأمر كله بمشيئة الله سبق به علمه وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الإلهية، ولا يصرف عنه ما سبق به الحكم والعلم، فيأتي بالأسباب إتيان من لا يرىٰ النجاة والفلاح والوصول إلا بها، ويتوكل علىٰ الله توكل من يرىٰ أنها لا تنجيه ولا تحصل له فلاحاً ولا توصله إلىٰ المقصود، فيجرد عزمه للقيام بها حرصاً واجتهاداً ويفرغ قلبه من الاعتماد عليها والركون إليها تجريداً للتوكل واعتماداً علىٰ الله وحده، وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين في الحديث الصحيح حيث يقول: «احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» فأمره بالحرص علىٰ الأسباب والاستعانة بالمسبب ونهاه عن العجز وهو نوعان: تقصير في الأسباب وعدم الحرص عليها، وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها. فالدين كله ظاهره وباطنه شرائعه وحقائقه تحت هذه الكلمات النبوية والله أعلم»[١].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٥٠٠، ٥٠١.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لا بد معه من أسباب أخر، ومع هذا فلها موانع. فإن لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع: لم يحصل المقصود، وهو ـ سبحانه ـ ما شاء كان ـ وإن لم يشأ الناس ـ وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله.

الثاني: أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئا سببا بلا علم أو يخالف الشرع: كان مبطلا، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء ...

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل» .

الثالث: أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها على التوقيف؛ فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله. فيدعو غيره ـ وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ـ»[1].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «فهذه الأسباب التي تتخذ وسائط ووسائل في الجلب والدفع اللذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده منفية بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، إلا أسباباً وردت عن الله أو رسوله كالتوحيد والصلاة بحضور قلب وخشوع، وذل وانكسار، والدعاء والاستغفار بعد الإقلاع عن الذنب والندم على فعله والعزم على ألا يعود إليه، والأعمال الصالحة من صدقة وصلة رحم وطاعة الله وتقواه، فهي في جلب الخير ودفع الشر، كما صرح به القرآن الكريم والسنة»[2].

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٣٧.

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق للشيخ سليمان ص١٦٩، ١٧٢.

وقال أيضاً: «وكل سبب لم يأذن به الله باطل مضر لمتخذه فلا يتعاطى، وإذا حقق المؤمن أن الله سبحانه رب كل شيء وخالقه ومليكه فإنه لا ينكر ما خلقه الله تعالى من الأسباب، كما جعل المطر سببا للنبات»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب فقد طعن في حكمة الله؛ لأن الله جعل لكل شيء سبباً، فمن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً كان قادحاً في حكمة الله؛ لأن الله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج»[٢].

٣ - الأسباب على قسمين: مشروعة وغير مشروعة:

***القسم الأول: أسباب مشروعة:**

ويتحقق ذلك إذا ثبت أن هذا السبب سبب حقيقي شرعي أو قدري.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وطريق العلم بأن الشيء سبب:

إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ وكقراءة القرآن فيها شفاء للناس، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وإما عن طريق القدر كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعاً في هذا الألم أو المرض، ولكن لابد أن يكون أثره ظاهراً مباشراً كما لو اكتوى بالنار فبريء بذلك مثلا؛ فهذا سبب ظاهر بين وإنما قلنا هذا لئلا يقول قائل: أنا جربت هذا وانتفعت به وهو لم يكن مباشراً...»[٣].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: «إن إثبات الأسباب المؤثرة وكون الشيء سببًا: لا يجوز إلا من جهة الشرع فلا يجوز إثبات سبب إلا أن يكون سببا شرعيا، أو أن

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق ص١٦٩، ١٧٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٦٦. وانظر القول المفيد ط١ - ١٠/ ١٨٧، ١٨٨.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ١٥٥. وانظر القول المفيد ط١-١/ ١٦٠-١٦٣.

يكون سببا قد ثبت بالتجربة الواقعة أنه يؤثر أثرا ظاهرا لا خفيا»اهـ

والسبب الشرعي كالقراءة على المريض، والسبب القدري كالأشياء التي تعلم من جهة التجربة الظاهرة، مثل: دواء الطبيب بالنار، ومثل: الانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهر، كأن تتدفأ بالنار أو تتبرد بالماء أو نحو ذلك، فهذه أسباب ظاهرة بَيِّنَةُ الأثر فكل ما شرعه الله تعالىٰ من أسباب التوقي والسلامة والأعمال الصالحة المشروعة والرقىٰ الشرعية والتعاويذ والعلاجات التي ثبت أثرها مع عامة من يتعاطاها كالعقاقير والأدوية المباحة فهي مشروعة ويندرج في هذا القسم:

١- أسباب واجبة:

أمر الله عباده بها وجعلها سبباً للنجاة من النار، فهذا لا بد من فعلها مع التوكل علىٰ الله في ذلك: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وأما ما أجرىٰ الله العادة به في الدنيا وأمر بتعاطيه كالأكل عند الجوع والشرب عند العطش فهذا واجب علىٰ العبد تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتىٰ تضرر بتركه مع القدرة علىٰ استعماله فهو مفرط يستحق العقوبة[(١)].

وبعضهم يرىٰ أن التداوي واجب[(٢)] في حالة تيقن نفعه وترتب الهلاك علىٰ تركه.

وتقدم قول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أن ما علم أو غلب علىٰ الظن نفعه مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب»[(٣)]. انظر في ذلك باب (التداوي).

٢- أسباب مستحبة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن التداوي: «ما غلب علىٰ الظن نفعه، لكن ليس هناك هلاك محقق بتركه فهو أفضل»[(٤)]. وقال: «إننا نرىٰ أن القول الراجح في

---

(١) ابن رجب جامع العلوم والحكم ص ٤٣٦.

(٢)وعند أبي حنيفة أن التداوي مؤكد حتىٰ يداني به الوجوب.

(٣) الشرح الممتع ٥/ ٣٠١.

(٤) الشرح الممتع ٥/ ٣٠١.

التداوي أنه أفضل من عدمه إذا كان يرجى نفعه»[١]. وقيل أن التداوي سنة[٢] وهو مذهب الشافعي فهو من الأسباب النافعة.

٣- أسباب مباحة وجائزة:

كالتداوي بما ليس فيه كراهة ولا تحريم بل بالأشياء المباحة فهذا جائز، وعلاج المسحور بالطرق النافعة والأدوية المباحة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «والمقصود ههنا أنا نقول: إذا ثبت أن التداوي مباح بالإجماع مندوب إليه عند بعض العلماء فلا يلتفت إلى قوم رأوا أن التداوي خارج من التوكل؛ لأن الإجماع على أنه لا يخرج من التوكل، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوى وأمر بالتداوي، ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل»[٣].

وذكر بعض العلماء أن ترك الدواء أفضل وهو مذهب الحنابلة[٤]، قال ابن الأثير: «ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله بالدعاء كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رُخِّص له في الرقية والعلاج والدواء»[٥].

وقد تقدم الكلام عن ذلك في باب (التداوي).

***القسم الثاني: أسباب غير مشروعة:**

إذا كان هذا السبب لم يدل عليه الدليل، لا الدليل الشرعي ولا الدليل الواقعي، فإنه يكون ممنوعا باطلا ويندرج تحت هذا القسم الأنواع الآتية:

---

(١) فتاوى منار الإسلام ص ٧٤٦ـ٧٤٨.

(٢) انظر الشرح الممتع ٥/ ٢٩٩.

(٣) تلبيس إبليس ص٢٨٧.

(٤) انظر الشرح الممتع ٥/ ٢٩٩.

(٥) النهاية (ر ق ى).

أولاً: أسباب شركية تنافي التوحيد في أصله:

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا. فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك وكفر، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضراً أو أنه يشفع بدعائهم إياه فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وقتال من فعله. كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] والفتنة الشرك»[١].

قال الشيخ ابن عثيمين: «ما ينافي التوحيد في أصله، وهو أن يتعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتمادا كاملا معرضا عن الله مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب. وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة وحكم الفاعل ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشركا شركا أكبر؛ لأنه جعل لله شريكا في الخلق والإيجاد».

وهناك أمثلة أخرى.

ثانياً: أن يثبت من الأسباب ما لم يجعله الله سبباً[٣]:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن أثبت شيئا سببا بلا علم أو يخالف الشرع: كان مبطلا، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء»[٤].

---

(١) فتح المجيد ١٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٤.

(٣) انظر هذه الفائدة ضمن كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في مجموع فتاويه ٩/ ١٥٤، ١٥٥، ٥٧٥.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ١٣٧.

قال الشيخ السعدي رحمه الله عن لبس الحلقة والخيط: «وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً، وهذا محرم وكذب على الشرع والقدر»[١] .

وقال رحمه الله: «فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه التي يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التي قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقاً قلبه بها راجياً لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس. المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم»[٢] .

❖ **وبعضهم يجعله شركا أصغر ويجعله قاعدة:**

قال ابن عثيمين رحمه الله: «فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه؛ فإنه لا يعد مشركا شركا يخرجه من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركا من هذه الناحية، والقاعدة: إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً فإنه مشرك شركاً أصغر»[٣] .

ومما يستدل به لهذه القاعدة قول النبي ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[٤] .

---

(١) القول السديد ص ٣٦.

(٢) القول السديد ص٣٦، ٣٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٧٥.

(٤) سبق تخريجه.

وقال الشيخ صالح الفوزان في تعليق الحلقة والخيط ونحوهما: «إن كان يعتقد أنها سبب فقط والواقي هو الله سبحانه فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه الأشياء سبباً»[1].

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «هذه القاعدة صحيحة - في الجملة - لكن قد يُشْكِل دخول بعض الأمثلة فيها».

ثالثاً: أسباب محرمة لكن لا تدخل في الشرك:

مثل: العلاج بالدم، فإنه محرم ويقدح في التوكل الواجب. وكذلك التداوي بالخمر، والسرقة للحصول على المال.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فيحرم على المرء أن يتداوى بشيء حرمه الله عليه، وذلك لأنه لو كان مصلحة للعباد ما حرم عليهم، ولم يجعل الله شفاء هذه الأمة فيما حرم عليها، وقد سئل ﷺ عن التداوي بالخمر، فقال: «إنه داء وليس بدواء»[2].

وقد يحصل أن يشفي الله المريض إذا تناول شيئاً من هذا المحرم، فيظن الظان أنه برئ منه، ولكنه فتنة وامتحان من الله عز وجل، فإنه لا يبرأ منه ـ أي من هذا الدواء المحرم ـ، ولكن يبرأ عند هذا الدواء المحرم، ولهذا لا نجزم أن هذا الرجل شفي من لحم هذا الذئب، بل إننا نجزم بأنه لا شفاء فيما حرمه الله عز وجل.

وقد تداول الناس كلاماً فهموه على غير وجهه وهو قاعدة شرعية: إن الضرورات تبيح المحظورات، فقالوا: إن الإنسان إذا اضطر إلى الدواء المحرم، فإنه له أن يتناول، وهذا خطأ؛ لأن الدواء لا ضرورة إليه، لأنه قد يشفى الإنسان بدون دواء، وكم من إنسان استعمل أدوية كثيرة مما هي مباحة له، ولم يشف بها؟ فإذا تركها شفاه الله عز وجل، وكم من إنسان مرض ولم يتناول أدوية فشفاه الله؟ وكم

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/ ١٩٥.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٨٤).

من إنسان مرض فاستعمل الأدوية على ما ينبغي ومع ذلك لم ينج من المرض؟ وبقي مريضاً مع تناولها، وبهذا عرفنا أنه لا ضرورة إلى الدواء لأمرين:

الأول: لأنه ربما يشفي بدون دواء.

الثاني: فإنه إذا تناوله فليس من المؤكد أن يشفى به، فعلم بهذا أنه لا ضرورة، وأن الدواء المحرم لا تنطبق عليه هذه القاعدة، وعليه فلا يجوز التداوي بالحرام.

وليس معنى قولنا: لا ضرورة إلى الدواء أننا نمنع من التداوي، أو أننا نحذر منه، بل إننا نرى أن القول الراجح في التداوي أنه أفضل من عدمه إذا كان يرجى نفعه»[1].

أما الأسباب المكروهة من الاسترقاء والاكتواء وغيرها، فتركها أولى ومباشرتها تقدح في تمام التوكل المستحب، فإن القلوب تتعلق بالكي والاسترقاء تعلقاً زائداً.

ويدل على ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[2]، وأيضاً لحديث العقار بن المغيرة بن شعبة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل»[3].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً كما يظنه الجهلة فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه حتى الحيوان البهيم، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي:

---

(١) فتاوى منار الإسلام ص ٧٤٦ ـ ٧٤٨.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٨٣٦٤)، وابن ماجه (٣٤٨٩) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٤٤).

كافيه إنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله، كالاسترقاء والاكتواء فتركهم له ليس لكونه سببا لكن لكونه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريض يتشبث بما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت، أما نفس مباشرة الأسباب، والتداوي على وجه لا كراهية فيه، فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعا»[1].

وقد تقدم الفرق بين الرقية والاسترقاء في باب (الرقى).

٤ - حكم التعلق بالأسباب:

الأسباب وإن عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه والله يتصرف فيها كيف يشاء فخالق الأسباب ومسببها هو الله وحده ـ فما شاء كان ـ وإن لم يشأ الناس ـ وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله و لا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً وقدراً، ثم إذا ثبتت تلك الأسباب فلا يعتمد العبد عليها ولا يركن إليها بل يعتمد على مسببها، ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها[2] ويعلم أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لا بد معه من أسباب أخر، ومع هذا فلها موانع. فإن لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع: لم يحصل المقصود.

فإن اعتقد الإنسان أن السبب هو الفاعل بنفسه من دون الله فهو شرك أكبر، لأن الاعتماد الكلي على الأسباب، واعتقاد أنها تؤثر استقلالاً في جلب المنفعة أو دفع المضرة من الشرك الأكبر .

* وإن اعتمدالإنسان على سبب لم يثبت كونه سببا لاشرعا ولا قدرا فهو مبطل.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١١٠. وانظر: للاستزادة آخر باب التوكل تحت عنوان: علاقة الأسباب بالتوكل.

(٢) القول السديد ص٣٤، ٣٥.

* وإذا عُلِم السبب بطريق الشرع أو بطريق القدر **فجائز**، لكن كما قدمنا يعتمد على مسببها، ومقدرها؛ لأنه قد يقوم في نفس العبد الاعتماد على هذه الأسباب ونسيان المسبب.

* فالسبب المباح وإن كان في ذاته مباح لكن الاعتماد عليه مع نسيان المسبب نوع شرك

* قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله مع عدم الاعتماد عليها»[١].

قال الشيخ ابن عثيمين: «أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبب وهو الله تعالى فهذا نوع من الشرك ولكن لا يخرج من الملة؛ لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبب وهو الله ـ تعالى ـ»[٢].

* و قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن التوكل: «فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله، ويكون قادحا في كفاية الله فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه»[٣].

---

(١) فتح المجيد ١٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ١٠٤ وانظر أيضاً ٩/ ١٧٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٦٦. وانظر القول المفيد ط١- ١٨٦.

١٥٢- السجود*

[الانحناء ـ التعظيم]

قال الراغب: «السجود أصله التطامن والتذلل وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات»[(١)].

والسجود عبادة فيها خضوع وتذلل فلا تكون إلا لله سبحانه وتعالىٰ.

* الدليل من الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧]. وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ قال الراغب: «قيل عُني به الأرض إذ قد جعلت الأرض كلها مسجدا وطهورا كما روي في الخبر، وقيل المساجد مواضع السجود الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان»[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ووجه الدلالة أن الله تعالىٰ أخبر أن المساجد وهي مواضع السجود وأعضاء السجود لله ورتب علىٰ ذلك قوله: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٤٥. المحلىٰ بالآثار لابن حزم ٣/ ٨٩. أحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٩٤ ـ ١/ ٢٩٣/ ٢٩١ ـ ١٥/ ٢٢٧. شرح السنة للبغوي ٣/ ١٤٧، ١٤٨. مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ٢٩٦. الدرر السنية ٩/ ٤٢٠، ٤٢١، فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٢٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٠٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ١٢٥. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٣٨٦.

(١) المفردات ص٢٢٣.

(٢) المفردات ص٢٢٤.

أَحَدًا ﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له»[١].

* الدليل من السنة: عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَقُلْتُ: رَسُولُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: «فَلا تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ؛ لِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ الْحَقِّ»»[٢].

وفي رواية أن: «معاذ بن جبل ﷺ قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم «زعمائهم» وذلك قبل أن يسلموا فلما رجع معاذ سجد للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما هذا يا معاذ»؟ فقال: رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله يعني أحق من أساقفتهم بالسجود فقال النبي ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» من عظم حقه عليها»[٣].

وفي رواية البزار: «أن النصارىٰ قالوا لمعاذ هذه تحية الأنبياء فكذبهم النبي لما بلغه ذلك وقال: إنهم كذبوا علىٰ أنبيائهم كما حرفوا كتابهم»[٤]. وعلىٰ هذا فإن التقدير: «لو كنت آمرا أحدا أن يحيي أحداً بالسجود لأمرت المرأة أن تحيي زوجها بالسجود» ولا يظن بمعاذ وهو من أعلم الصحابة بالحلال والحرام أن يخفىٰ عليه أن التوجه بالعبادة لغير الله تعالىٰ شرك لا يجوز.

وقد أشكل الأمر واشتبه بسجود التحية كسجود إخوة يوسف وأبويه وكذلك

---

(١) شرح ثلاثة الأصول ص٤٤، ٥٠.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٤٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣).

(٤) مسند البزار (١٤٦١) (١٤٧٠)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١٩٦٢٤).

سجود الملائكة لآدم عليه السلام. قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ [الكهف. ٥٠] أي: «سجود تشريف وتكريم وتعظيم»(١).

وقال بعضهم: إن السجود كان لله وجعل آدم قبلة لهم، وهو قول عارٍ من الصحة بعيد عن الصواب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقال بعض الأغبياء: إن السجود إنما كان لله وجعل آدم قبله لهم، يسجدون إليه كما يسجد إلى الكعبة؛ وليس في هذا تفضيل له عليهم؛ كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن عند الله، بل حرمة المؤمن عند الله أفضل من حرمتها»(٢).

وفي تفسير آية البقرة ذكر ابن كثير معنى سجود الملائكة لآدم وذكر من الأقوال أن: «هذا سجود تحية وسلام وإكرام كما قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يوسف. ١٠٠] وقد كان هذا مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسخ في ملتنا ثم ذكر حديث معاذ السابق وضعف القولين الآخرين وهما كون السجدة لله وآدم قبلة فيها كما قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] وكون المراد بالسجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض واستظهر القول الأول أن السجدة لآدم إكراماً وإعظاماً واحتراماً وسلاماً وهي طاعة الله عز وجل لأنها امتثال لأمره تعالى وقد قواه الرازي في تفسيره»(٣).

وعلى هذا فهناك سجود تحية، وهناك سجود عبادة ويختلف حكم التحية لغير الله عن حكم عبادة غير الله. ولا يلزم من السجود للشخص عبادته، بل يحتمل

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٣٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٧١.

العبادة، ويحتمل غيرها من التحية والاحترام كما في الحديث المذكور[١]، بخلاف السجود للصنم فإنه شرك في العبادة[٢] ولا يحتمل أنه سجود تحية واحترام.

يقول ابن حجر الهيتمي الشافعي الفقيه: «ونقل الزركشي وغيره هذا الإشكال ـ أي الفرق بين السجود للوالد والسجود للصنم ـ ولم يجيبوا عليه، ويمكن أن يُجاب عنه بأن الوالد وردت الشريعة بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود للوالد كما في قوله: ﴿وخروا له سجداً﴾ بناء على إن المراد بالسجود ظاهره وهو وضع الجبهة، كما مشى عليه جمع، وأجابوا بأنه كان شرعاً لمن قبلنا ومشى آخرونه على أن المراد به الانحناء، وعلى كل فهذا الجنس قد ثبت للوالد ولو في زمن من الأزمان وشريعة من الشرائع فكان شبهة دارئة لكفر فاعله، بخلاف السجود لنحو الصنم أو الشمس فإنه لم يرد هو ولا ما يشبهه في التعظيم في شريعة من الشرائع، فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية، فكان كافراً، ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه فاندفع الاستشكال واتضح الجواب عنه كما لا يخفى»[٣].

فالسجود لغير الله إذا كان على وجه العبادة شرك أكبر مخرج من الملة.

قال ابن تيمية: «وأصناف العبادات الصلاة بأجزائها مجتمعة وكذلك أجزاؤها التي هي عبادة بنفسها من السجود والركوع والتسبيح والدعاء والقراءة والقيام لا يصلح إلا لله وحده... ولهذا نهى النبي ﷺ معاذاً أن يسجد له وقال: لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها. ونهى عن الانحناء في التحية ونهاهم أن يقوموا خلفه في الصلاة وهو قاعد»[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١/ ٣٧٢، ٤/ ٣٦٠.

(٢) انظر نواقض الإيمان الاعتقادية ٢٣٥.

(٣) الإعلام بقواطع الإسلام (ص١٨-١٩) المطبوع مع الزواجر.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٧٥.

وسئل النووي رحمه الله عن السجود الذي يفعله بعض الناس بين يدي المشايخ ونحوهم ما حكمه: فأجاب عن ذلك بقوله: «هو حرام شديد التحريم»[(١)] وقال كذلك: «إن ذلك حرام قطعا بكل حال سواء كان إلى القبلة أو غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى أو غفل. وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله تعالى»[(٢)].

وقال ابن القيم: «ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، فإنه شرك من الساجد والمسجود له. والعجب أنهم يقولون: ليس هذا سجود، وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراما وتواضعا. فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه. فحقيقة السجود: وضع الرأس لمن يسجد له. وكذلك السجود للصنم، وللشمس، وللنجم، وللحجر، كله وضع الرأس قدامه»[(٣)].

❖ **مسألة:**

ذكر ابن القيم رحمه الله في «الإغاثة» على قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة:٥٨] ما نصه: «قال السدي: هو باب من أبواب بيت المقدس، وكذلك قال ابن عباس [رضي الله عنهما] قال: والسجود بمعنى الركوع، وأصل السجود الانحناء لمن تعظِّمه، فكل منحنٍ لشيء تعظيماً له فهو ساجد له. قاله ابن جرير وغيره.

قلت[(٤)]: وعلى هذا فانحناء المتلاقيَين عند سلام أحدهما لصاحبه من السجود المحرم، وفيه نهي صريح عن النبي ﷺ. انتهى ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى»[(٥)].

ويوضح هذا ما ذكره الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله حيث قال: «وقد أشكل هذا

---

(١) فتاوى النووي ٧٦.

(٢) روضة الطالبين ١/ ٣٢٦.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٧٤.

(٤) القائل هو ابن القيم رحمه الله.

(٥) إغاثة اللهفان ٢/ ٣٠٨.

علىٰ كثير من الناس، ممن لم يكن له معرفة بمدارك الأحكام، ومعاني الألفاظ، فزعموا: أن ما يفعله المسلمون الآن، من المعانقة من هذا القبيل، وأنه هو هذا الانحناء المحرم الذي ذكره ابن القيم، وليس الأمر كما زعموا، ولا علىٰ ما فهموا لوجوه:

أحدها: أن المسلمين لا يقصدون بهذه المعانقة، الانحناء لمن يسلمون عليه تعظيماً له بذلك، وإنما يقصدون المعانقة المشروعة، وحملهم علىٰ ما هو الحق، وما يقصدونه ويتعارفونه، أحسن وأوفق من حملهم علىٰ الأمر المحرم، الذي لا يقصدونه ولا يعرفونه، إذ حملهم علىٰ هذا من العنت والتحكم.

الوجه الثاني: أن هذا من باب التحية والملاطفة والمحبة والشفقة، بعد الالتقاء من البعد والسفر وغير ذلك، لا من باب التعظيم.

الوجه الثالث: أن الانحناء المحرم الذي عناه ابن القيم، وتكلم فيه أهل العلم هو: الانحناء للمعظم من الناس تعظيماً له بذلك، من غير مصافحة ولا معانقة كما يفعله أهل الأمصار اليوم للمعظم عندهم، فيقومون له وينحنون له ويعظمونه بذلك، وهذا لا يفعلونه غالباً إلا للرؤساء.

وأعظم من ذلك وأبلغ في التحريم: ما قد يفعله بعضهم غالباً مع الانحناء أو بدونه، من رفع يده والإشارة بها إلىٰ محل السجود منه من أنفه وجبهته، وهذا فيه إشارة إلىٰ السجود له، كما يفعله أهل الأمصار اليوم، من الانحناء والإشارة إلىٰ الأنف والجبهة وهو الانحناء المذموم المحرم، الذي عناه ابن القيم رحمه الله، لا ما يفعله المسلمون الآن من المصافحة والمعانقة، ولا يقول هذا إلا جاهل متنطع متشدد، سمع لفظ الانحناء وأنه محرم، وأنه من السجود والتعظيم للمخلوق، فقاس عليه سلام أهل الإسلام، أو ظن أنه هو الذي عناه ابن القيم، وجعل إكبابه عليه للمعانقة انحناء له وتعظيماً، وهذا باطل كما تقدم بيانه. والله أعلم»[1].

---

(١) الدرر السنية ٧/ ٢٤٠، ٢٤١.

❖ **مسألة: حكم السجود على المقابر:**

ورد سؤال إلى اللجنة عن حكم السجود على المقابر والذبح عليها فأجابت اللجنة بالآتي: «السجود على المقابر والذبح لها وثنية جاهلية وشرك أكبر فإن كلا منهما عبادة والعبادة لا تكون إلا لله وحده فمن صرفها لغير الله فهو مشرك... ولا شك أن قصد الإنسان إلى المقابر للسجود عليها أو الذبح عندها إنما هو لإعظامها وإجلالها بالسجود والقرابين التي تذبح أو تنحر عندها»[1].

---

(١) فتاوى اللجنة ١/ ١١٦، وانظر: أيضا ص ٢٢١ من المجلد نفسه.

١٥٣- السحر*

في اللغـة: عبارة عما خفي ولطف سببه.

قال الرازي: «وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر»(١).

والسحر مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع(٢).

وفي الاصطلاح: قال أبو محمد المقدسي: «عزائم ورقى وعقد تؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة.١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ

* الاستذكار لابن عبد البر ٢٥/ ٢٣٩.. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٤. حكم المرتد للماوردي ٨٥. أحكام القرآن القرطبي ٢/ ٤٧. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٨٢. فتح الباري ١٠/ ٢٢٢.لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٩٧. تيسير العزيز الحميد ٣٨٥،٤٣ . فتح المجيد ص٣١٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٨٦. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٣٤١،٢/ ٥، ط٢-٢/ ٥ ومن المجموع ٩/ ٤٨٩. الدرر السنية ١٠/ ٢٠. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٦٤. مجموع فتاوى ابن باز ٢/ ٦٤٣. نور على الدرب ص٢١١ معارج القبول ١/ ٤١١. شرح مسائل الجاهلية ٣٥. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ٤٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٩. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٧٣. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٠١. منهج الإمام مالك في العقيدة ٤٥٧. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ص١٩١. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٢١. علم التوحيد د: الربيعة ص١٢٢، ١٢٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٢٧٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٧٢. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١١٢. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٤٩٩.

(١) مختار الصحاح (س ح ر).

(٢) المصباح المنير (س ح ر).

ﱡﭐ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﱠ [الفلق:٤]»[١].

وقال بدر العيني: «السحر هو أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته»[٢]. فالساحر هو الذي يأتي بأعمال شيطانية، فيها الخفاء، واللطافة، والخداع، والتمويه، والتلهية، والتعليل، والاستمالة.

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ [الأنبياء:٣] وقوله تعالىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

* **الدليل من السنة**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ»[٣].

والموبقات: المهلكات، سميت بذلك لأنها تهلك فاعلها في الدنيا والآخرة.

وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه»[٤].

---

(١) الكافي لابن قدامة ٤/ ١٦٣، وانظر المغني ١٢/ ٢٩٩.

(٢) عمدة القارئ ١٧/ ٤١٨.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)(٥٧٦٤)(٦٨٥٧).

(٤) أخرجه النسائي (٤٠٨٤).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[١].

قال شيخ الإسلام: «فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل علىٰ أن أهل النجوم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة»[٢].

وقد تقدم في باب الجبت أن العيافة والطرق والطيرة منها لحديث قَبِيصَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنْ الْجِبْتِ. الطَّرْقُ: الزَّجْرُ، وَالْعِيَافَةُ: الْخَطُّ»[٣].

أحكام وفوائد:

١ - حقيقة السحر:

ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلىٰ أن السحر ثابت وله حقيقة[٤]، قال القرطبي في قصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي ﷺ، وقول النبي ﷺ: «إن الله شفاني» والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل علىٰ أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالىٰ ورسوله ﷺ علىٰ وجوده ووقوعه، وعلىٰ هذا أهل الحلّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق»[٥]. وذلك لأن قوما من المعتزلة زعموا أن السحر تخييل لا حقيقة له واختار ذلك أبو جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبو بكر

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ١٩٣.

(٣) سنن أبي داود (٣٩٠٧) وأحمد (١٦٠١٠).

(٤) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٦. وانظر المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٩٩.

الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة[١].

قال النووي رحمه الله في شرح المهذب: قال المصنف ـ يعني الشيرازي صاحب الأصل ـ: «وللسحر حقيقة وله تأثير في إيلام الجسم وإتلافه، وقال أبو جعفر الاستراباذي من أصحابنا لا حقيقة له ولا تأثير له، والمذهب الأول، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ والنفاثات السواحر، ولو لم يكن للسحر حقيقة لما أمر بالاستعاذة من شره»[٢].

ويقول المازري: «مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة علىٰ إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك، ونفىٰ حقيقته وأضاف ما يقع منه إلىٰ خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله تعالىٰ في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه إشارة إلىٰ أنه مما يكفر به وأنه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه»[٣].

وقال الحافظ في الفتح: «هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال: أنه تخييل فقط، منع ذلك، ومن قال: إن له حقيقة اختلفوا: هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض. أو ينتهي إلىٰ الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور هو الأول. وذهبت طائفة قليلة إلىٰ الثاني، فإن كان بالنظر إلىٰ القدرة الإلهية فمسلّم، وإن كان بالنظر إلىٰ الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيرا ممن يدّعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه»[٤].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

(٢) المجموع شرح المهذب ١٩/ ٢٤٠. وانظر المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٩٩، الكافي ٤/ ١٦٤.

(٣) مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٧٤، ١٧٦ وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٩، ٥٧٢، مسائل الإمام أحمد ٢/ ١٠٣.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل منه ما هو تخييل ومنه ما له حقيقة»[١].

فالمعتزلة حصروا السحر في نوع واحد وهو التخييلي وقد رُدَّ عليهم بأن أهل السنة يثبتون هذا النوع ولا يلزم منه إنكار النوع الحقيقي كالمعتزلة.

وقال ابن باز: «لا شك أن السحر موجود وبعضه تخييل وأنه يقع ويؤثر بإذن الله عز وجل»[٢].

وقال رحمه الله: «السحر قسمان: قسم يكون بالعقد والنفث والأدوية الضارة وهذا موجود. و قسم يكون بالتخييل والتلبيس والتزوير كما قال الله تعالى عن سحر سحرة فرعون قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦] فسماه عظيماً لما فيه من التلبيس والتخييل والتزوير على الناس»[٣].

٢ - الفرق بين السحر والمعجزة[٤]:

هناك عدة فروق بين السحر وبين المعجزة وهذه الفروق هي:

١ـ أن المعجزة: ليست من عمل النبي وكسبه إنما هي خلق محض من الله تعالى على خلاف سنته في الكائنات. أما السحر: فمن عمل الساحر وكسبه سواء أكان تعويذات أم بياناً أم نميمة أم غير ذلك، وله أسبابه ووسائله التي قد تنتهي بمن عرفها ومهر فيها[٥]، واستعملها إلى مسبباتها فليس خارقا للعادة ولا مخالفا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٦.

(٢) ص ٦٨٩.

(٣) من تعليق سماحة الشيخ على كتاب التوحيد وانظر أيضا مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٨/ ١٠٤.

(٤) يأتي تعريف المعجزة في باب الكرامة.

(٥) انظر حول ذلك تفسير القرطبي ٢/ ٤٧ وكتاب السحر للدميني ٥٦.

لنظام الكون في ربط الأسباب بمسبباتها والوسائل بمقاصدها. فالسحر يوجد من الساحر وغيره أما المعجزة فلا يمكن أن يأتي بمثلها.

٢ـ والمعجزة: تظهر على يد مدّعي النبوة لتكون آية على صدقه في رسالته التي بها هداية الناس من الضلالة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والأخذ بأيديهم إلى ما ينفعهم في عقائدهم وأخلاقهم وأبدانهم وأموالهم. أما السحر: فهو خلق ذميم أو خرافة أو صناعة يموه بها الساحر على الناس، ويضللهم ويخدعهم بها عن أنفسهم وما ملكت أيديهم، ويتخذها وسيلة لكسب العيش من غير حله، ويفرق بها بين المرء وزوجه، والصديق وصديقه، وبالجملة يفسد بها أحوال الأمة بخفاء، والناس عنه غافلون.

٣ ـ سيرة من ظهرت على يده المعجزة حميدة، وعاقبته مأمونة، فهو صريح في القول والفعل، صادق اللهجة، حسن العشرة، سخي كريم، عفيف عما في أيدي الناس، يدعو إلى الحق، وينافح دونه بقوة وشجاعة. أما الساحر: فسيرته ذميمة، ومغبته وخيمة، خائن خداع سيئ العشرة، يأخذ ولا يعطي، يدعو إلى الباطل ويسعى جهده في ستره، خشية أن يفتضح أمره، وينكشف سره، فلا يتم له ما أراد من الشر والفساد.

٤ـ من ظهرت على يده المعجزة يقود الأمم والشعوب إلى الوحدة والسعادة، ويهديها طريق الخير، وعلى يده يسود الأمن والسلام، وتفتح البلاد ويكون العمران. أما الساحر: فهو آفة الوحدة ونذير الفرقة والتخريب والفوضى والاضطراب[1].

٥ـ أن المعجزة لا يمكن إبطالها أما السحر فإنه يمكن إبطاله.

٦ـ أن معجزات الأنبياء عليهم السلام على حقائقها، وبواطنها كظواهرها، وأما

---

(١) مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ٤٥، ٤٦، ٤٧، وانظر تحقيقاً في المعجزة وتوضيحاً تفصيلياً لها في كتاب (موقف ابن تيمية من الأشاعرة) ٣/ ١٣٧٨.

السحر والطلسمات ليس فيها شيء خارق للعادة، بل هي عادة جرت من الله بترتيب مسبباتها على أسبابها[١].

٣ - الفرق بين الساحر والكاهن:

جاء عن الإمام أحمد أنه قال: الكاهن يدعي الغيب والساحر يعقد[٢].

٤ - حكم عمل الساحر:

من العلماء من قال بأن السحر كفر، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ حيث برأ الله نبيه من السحر بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ فدل على أن السحر كفر، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فأثبت الكفر للشياطين وقرن ذلك بتعليمهم السحر للناس فدل على أن السحر كفر[٣].

وقال ابن كثير: «وقد استدل بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ من ذهب إلى تكفير الساحر كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف»[٤].

وذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نواقض الإسلام حيث قال: «الناقض السابع: السحر ومنه الصرف والعطف»[٥].

قال ابن باز رحمه الله: «إن السحر من أعظم الكبائر الموبقات، بل هو من نواقض الإسلام، كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الآيتين

---

(١) ينظر الفروق للقرافي ٤/١٦٨، ١٧٠، فتح الباري ١٠/ ٢٢٢، أحكام القرآن للجصّاص ١/ ٤٩، عالم السّحر والشعوذة للأشقر ٧٤. مستفاد من تحصين أهل الإيمان من العين والحسد والسحر والشيطان٤١، ٤٢ وانظر: للاستزادة باب (الكرامة) باب (المعجزة).

(٢) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ١٠١.

(٣) انظر معارج القبول ١/ ٥١٢ - ٥١٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٨.

(٥) انظر النواقض مع شرحها للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، سلسلة شرح الرسائل للشيخ صالح الفوزان ص ٢٧٦، وشرح النواقض للعواجي ص ٧٨.

[البقرة.١٠٢-١٠٣] فأخبر سبحانه في هاتين الآيتين أن الشياطين يعلِّمون الناس السحر وأنهم كفروا بذلك، وأن الملكين ما يعلمان من أحد حتىٰ يخبراه أن ما يعلمانه كفر وأنهما فتنة... وبهذا كله يعلم أن السحر كفر وضلال وردّة عن الإسلام إذا كان من فعله يدّعي الإسلام، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قلنا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

فبَيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح أن الشرك والسحر من السبع الموبقات أي المهلكات. والشرك أعظمها، لأنه أعظم الذنوب، والسحر من جملته ولهذا قرنه الرسول ﷺ به، لأن السحرة لا يتوصلون إلىٰ السحر إلا بعبادة الشياطين والتقرب إليهم بما يحبون من الدعاء، والذبح، والنذر، والاستعانة وغير ذلك.

روىٰ النسائي رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه»، وهذا يفسر قوله تعالىٰ في سورة الفلق: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ قال أهل التفسير: إنهن الساحرات اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها بكلمات شركية يتقربن بها إلىٰ الشياطين لتنفيذ مرادهن في إيذاء الناس وظلمهم»[1].

والساحر في عمله المقتضي للكفر لا يخرج عن أمور ثلاثة:

الأول: إما أن يتضمن عمله الاعتقاد بأن الكواكب السبعة هي المتصرفة في العالم، وبالتالي فالساحر يخاطبها ويطلب منها أشياء، وذلك كفر ينافي الإيمان بالله، وأنه سبحانه المالك المتصرف المحيي المميت ...

---

(١) مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن باز ٢/ ٦٥٤-٦٥٦ .

الثاني: فيه شرك بالله واعتقاد أن لتلك الأرواح القدرة على التصرف في الخلق من دون الله، فترى الساحر يتقرب إليها، ويعتقد فيها القدرة والعلم المستوجب لمخاطبتها وسؤالها والاستعانة بها.

الثالث: أن يتضمن الاستغاثة بالأرواح الأرضية [الجن] وسؤالها الحاجات والتقرب إليها بالأوراد الكفرية وبالذبح لها. وهذه الثلاث كلها يجمعها أن الساحر يتقرب إلى الشياطين إما باعتقاد أو طلب أو استعانة[١].

❖ **وبعض أهل العلم يفصّل في حكم الساحر:**

قال الشافعي: «والسحر اسم جامع لمعان مختلفة فيقال للساحر صف السحر الذي تسحر به فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح استتيب منه فإن تاب وإلا قتل وأخذ ماله فيئا وإن كان ما يسحر به كلاما لا يكون كفرا معروف ولم يضر به أحدا نهي عنه»[٢].

فمذهب الشافعي التفصيل في ذلك:فإن كان ما يسحر به كلام كفر صريح فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر وإلا فلا[٣].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «التحقيق في هذه المسألة إن شاء الله تعالى: أن السحر نوعان كما تقدم، منه ما هو كفر، ومنه ما لا يبلغ بصاحبه الكفر، فإن كان الساحر استعمل السحر الذي هو كفر فلا شك في أنه يقـتل كفراً؛ لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»، وأظهر القولين عندي في استتابته أنه يستتاب، فإن تاب قبلت توبته»[٤].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «السحر في الشرع ينقسم إلى قسمين:

---

(١) للاستزادة انظر أضواء البيان ٤/ ٤٨٢-٤٩٣ كتاب الدميني في السحر ص٢٩، ٣٠.

(٢) الأم ١/ ٢٥٦

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٣٨٧.

(٤) أضواء البيان ٤/ ٤٩٧.

الأول: عقد ورقى أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلىٰ استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر علىٰ بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل وهو ما يسمىٰ عندهم بالصرف والعطف...

فالسحر قسمان:

أ) شرك: وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين، يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم علىٰ المسحور.

ب) عدوان وفسق: وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها.

وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل إلىٰ مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟ اختلف في هذا أهل العلم:

فمنهم من قال: إنه يكفر. ومنهم من قال إنه لا يكفر. ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبين به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكفر لأنه لا يتأتىٰ ذلك إلا بالشرك غالباً ... ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها فلا يكفر ولكنه يعتبر عاصياً معتدياً»[1].

وقد بَيَّن الشيخ سليمان بن عبدالله أنه لا خلاف بين القولين فقال رحمه الله: «وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتىٰ بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفراً في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ وفي حديث مرفوع رواه رزين:

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ٤٦٩، وانظر القول المفيد ط١، ٢/ ٥، ٦.

«الساحر كافر»، وقال أبو العالية: السحر من الكفر. وقال ابن عباس في قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وذلك أنهما علماه الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر. وقال ابن جريج في الآية: لا يجترئ على السحر إلا الكافر.

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سُمي سحراً فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً، ولكنه يكون حراماً لمضرته يعزر من يفعله تعزيراً بليغاً»[(١)].

٥- سحر التمويه والتلبيس المعتمد على خفة الأيدي والأخذ بالعيون:

قال ابن حجر[(٢)]: «وهو ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[طه:٦٦]، وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١١٦] وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصيته كالحجر الذي يجذب الحديد المسمى المغنطيس»[(٣)].

وجاء في فتوى إدارة البحوث أن: «السحر يطلق على التخييل وإيهام الناظر إلى الشيء أنه يتحرك مثلا مع أنه لا يتحرك حتى يراه الحاضر رؤية وهمية تختلف عن حقيقته ويعتقده على خلاف واقعه وهذا النوع من السحر حرام لما فيه من التمويه والتلبيس واللعب بالعقول وقد يتخذ مهنة يكسب منها من يشتغل بها ويبتز أموال الناس بالباطل»[(٤)].

وقال الشيخ عبدالرحمن البراك: «وأما السحر الرياضي وهو ما يرجع إلى خفة

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٨٧.

(٢) حكاية عن الراغب انظر: الفتح ١٠/ ٢٢٢.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣، مفردات الراغب ٢٢٦.

(٤) فتوى رقم ٨٤٥ بتاريخ ٦/ ٩/ ١٣١٤هـ.

اليد وسرعة الحركة، والسحر التمويهي وهو ما يكون بتمويه بعض المواد بما يظهرها على غير حقيقتها فهذان النوعان من الغش والخداع وليسا من السحر الذي هو كفر»[١].

وقال الدميني ـ حفظه الله ـ: «أما الأخذ بالعيون وخفة الأيدي والحركات الخفية والخداع والأعمال الهندسية والكيمائية فهي لا تخلو من حرمة لما يترتب عليها من أخذ أموال الناس بالباطل والاعتقاد في فاعل ذلك أن له من القدرة والتصرف فوق ما يستحقه مما اختص به الله»[٢].

٦- حد الساحر:

صح عن جندب ﷺ أن حد الساحر ضربه بالسيف[٣].

وكذلك عن غيره من الصحابة والتابعين[٤].

وقال الحسن ﷺ يقتل السحار ولا يستتابوا[٥].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبوحنيفة، فقالوا: يقتل الساحر. وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز. ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر»[٦].

وجاء في بعض الوقائع الصحيحة المأثورة ما يتضمن عدم قتل الساحر كعدم

---

(١) جواب في الإيمان ونواقضه ص١٩، ٢٠.

(٢) كتاب السحر للدميني ص٢٩، ٣٠.

(٣) الترمذي (١٤٦٠).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ١٠/ ١٣٥، ١٣٦، مصنف عبدالرزاق ١٠/ ١٨٠، ١٨٤، فتح الباري ٦/ ٢٦١، مجمع الزوائد ٦/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٣٥.

(٦) تيسير العزيز الحميد ص٣٩٥.

قتل لبيد بن الأعصم وكذلك عائشة رضي الله عنها باعت جارية لها سحرتها[١]؛ ولذلك جاء الخلاف في قتل الساحر فقد قال الشافعي رضي الله عنه: «إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلاً»[٢].

والذي عليه الأئمة رحمهم الله أن الساحر يقتل وقد قدمنا شيئاً من أقوالهم.

قال مالك: «الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره، هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ فأرى أن يقتل ذلك، إذا عمل ذلك هو نفسه»[٣].

وأمرُ عمرَ بقتل السحرة ثابت معلوم، فعن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر ابن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاثة سواحر»[٤].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «إن أثر عمر صريح في قتل كل ساحر وساحرة وهو من حجج الجمهور القائلين بأنه يقتل، وظاهره أنه يقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك: إن الصحابة لم يستتيبوهم، ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة.

وعن أحمد يستتاب، فإن تاب، قبلت توبته وخلي سبيله، وبه قال الشافعي، لأن ذنبه لا يزيد على الشرك، والمشرك يستتاب وتقبل توبته، فكذلك الساحر، وعلمه بالسحر لا يمنع توبته بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

---

(١) مصنف عبدالرزاق ١٠/ ١٨٣، والمغني ١٢/ ٣٠٢.

(٢) كتاب الحدود ٤/ ٦٠.

(٣) الموطأ ٢/ ٨٧١.

(٤) أخرجه أبوداود (٣٠٤٣).

قلت[١]: الأول أصح لظاهر عمل الصحابة. فلو كانت الاستتابة واجبة لفعلوها أو بينوها، وأما قياسه على المشرك فلا يصح، لأنه أكثر فسادا وتشويها من المشرك، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب، لأن الإسلام يجب ما قبله، وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحد عنه بالتوبة، أما فيما بينه وبين الله، فإن كان صادقا قبلت توبته»[٢].

وقال ابن باز رحمه الله: «قد اختلف العلماء في حكم الساحر، هل يستتاب وتقبل توبته؟ أم يقتل بكل حال ولا يستتاب إذا ثبت عليه السحر؟ والقول الثاني: هو الصواب، لأن بقاءه مضر بالمجتمع الإسلامي والغالب عليه عدم الصدق في التوبة، ولأن في بقائه خطرا كبيرا على المسلمين.

واحتج أصحاب هذا القول على ما قالوه بأن عمر رضي الله عنه: أمر بقتل السحرة ولم يستتبهم وهو ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمر الرسول ﷺ باتباع سنتهم.

واحتجوا أيضا بما رواه الترمذي رحمه الله عن جندب بن عبد الله البجلي أو عن جندب الخير الأزدي مرفوعا وموقوفاً: «حد الساحر ضربه بالسيف». وقد ضبطه بعض الرواة بالتاء فقال: «حد الساحر ضربة بالسيف» والصحيح عند العلماء وقفه على جندب[٣].

وصح عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت من غير استتابة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ثبت ذلك - يعني قتل الساحر - من غير استتابة عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، يعني بذلك عمر، وجندبا، وحفصة» ومما ذكرنا يعلم أنه لا

---

(١) القائل الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٥.

(٣) ذكر ذلك الترمذي، انظر تعليقه على الحديث السابق رقم (١٤٦٠).

يجوز إبقاء السحرة أو إتيانهم ... وأن الواجب قتل الساحر متى ثبت تعاطيه السحر بإقراره أو بالبينة الشرعية من غير استتابة»[(١)].

أما شبهة عدم قتل لبيد فقد أجيب عنها بأنه ترك ﷺ قتله لأنه كان بينه وبين يهود عهد وأن لبيداً لم يعمل السحر بنفسه إنما صنعه غيره له.

وقيل إن لبيد كان يهودياً فأظهر الإسلام نفاقا ولم يقتل الرسول ﷺ المنافقين حتى لا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه وكذلك ما وقع لجارية عائشة أجيب عنه بأنها لم تعمل السحر بنفسها وحمل الشافعي رضي الله عنه فعل عائشة رضي الله عنها على أن سحر المرأة لها ليس فيه كفر وإلا فلو كان فيه كفر لقتلتها كما فعل عمر وحفصة رضي الله عنهما[(٢)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما نصه: «جـ: إذا أتى الساحر في سحره بمكفر قُتل لردته حداً وإن ثبت أنه قتل بسحره نفساً معصومة قتل قصاصاً، وإن لم يأتِ في سحره بمكفر ولم يقتل نفساً ففي قتله بسحره خلاف، والصحيح أنه يقتل حداً لردته، وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله؛ لكفره بسحره مطلقاً»[(٣)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وأما قتل الساحر فإن كان سحره كفراً قُتل قَتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته وهو الصحيح وإن كان سحره دون الكفر؛ قُتل قَتل الصائل أي قُتل لدفع أذاه وفساده في الأرض وعلى هذا يرجع في قتله إلى اجتهاد الإمام وظاهر النصوص التي ذكرها المؤلف أنه يقتل بكل حال»[(٤)].

---

(١) فتاوى ابن باز ص٦٥٧ وما بعدها.

(٢) فتاوى السبكي ٢/ ٣٢٥ وانظر كتاب الدميني ص٤٢ وما بعدها.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٦٩.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٤٨٩، ٤٩٠. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٥. وانظر كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ١/ ٢٨.

٧- حكم تعلم السحر وتعليمه:

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم»(١).

وقال رحمه الله: «قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته»(٢).

وقال صاحب التيسير: «وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليهم». وروى عبدالرزاق عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله» وهو مرسل»(٣).

وقال ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر(٤).

والصحيح أن تعلم السحر وتعليمه والعمل به كفر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾. قال ابن حجر: «فيه الإشارة إلى أن تعلم السحر كفر»(٥).

ومن الأدلة على كفر من يتعلم السحر ولو لم يعمل به ما ورد في قصة المرأة التي جاءت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من دومة الجندل وفيها: «أنها بعد أن بالت في التنور فرأت فارساً مقنعاً بحديد خرج منها، قالت: ذهب في السماء وغاب حتى ما

---

(١) المغني ٨/ ١٥١. وانظر حاشية الروض ٧/ ٤١٣، وانظر كشاف القناع عن متن الإقناع ٦/ ١٨٦.
(٢) المغني ٨/ ١٥١.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣٨١، ونقله في فتح المجيد ص ٢٨١.
(٤) تفسير ابن كثير ١/ ١٤٨..
(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٢٥.

أراه، فسألتها عنه فقالت: ذلك إيمانك خرج منك فاذهبي»[(١)].

وروى الطبري عن السدي نحوه وفيه: «فإذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان».

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يجوز تعلم السحر أبداً حتى إذا قصد به فك السحر؛ لأنه لابد وأن يترتب عليه عبادة لغير الله أو فعل محرم أو ترك واجب»[(٢)].

٨ - حكم الذهاب للسحرة وسؤالهم:

بيَّنا بحمد الله في باب الكهانة حكم الذهاب إليهم وهو منطبق على الذهاب للسحرة. وقد جاء في سنن البيهقي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أتى ساحراً، أو كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[(٣)].

وقال الإمام أحمد: «العراف طرف من السحر والساحر أخبث»[(٤)].

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن استعان بهم على فك سحر – زعموا – أو معرفة هوية الجني المتلبس بالإنسي أذكر هو أم أنثى؟ مسلم أو كافر. وصدقه المستعين به ثم

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١/ ٤٦٠، ٤٦١.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ص٦٥٦.

(٣) أخرجه البزار ٩/ ٥٢ رقم (٣٥٧٨) وانظر الترغيب ٤/ ٣٣ حيث جود إسناده المنذري، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٦٢ دون زيادة: «ومن أتى» وذكره الهيثمي مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣، ١١٧ وقال: ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة والحديث قال عنه ابن حجر إسناده جيد ١٠/ ٢١٧ وكذلك جود إسناده الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد انظر ص٣٣٦ من فتح المجيد.

(٤) انظر المغني ٩/ ٣٧، فتح المجيد ص ٢٥٦.

صدق هذا الحاضرون فقد شملهم جميعاً وعيد قوله ﷺ: «من أتى عرافاً، أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد»، وفي حديث آخر: «لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[١].

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن الذهاب إلى السحرة للعلاج فأجاب رحمه الله: «لا يجوز لك أن تذهب إلى السحرة فإن هذا محرم، وقد روي عن النبي ﷺ: «ليس منا مَنْ سحر أو سُحر له»[٢].

٩ - إصابة الرسول ﷺ بالسحر:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الرسول ﷺ قد سحره لبيد بن الأعصم واستمر معه ذلك حيث قالت عائشة رضي الله عنها: «أنه لبث ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي..» الحديث[٣].

وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ[٤] وَمُشَاطَةٍ[٥] وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ[٦] قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذرْوَانَ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (٦/ ٢/ ١٠٠٩-١٠١٠).

(٢) فتاوى منار الإسلام ١/ ٢٧.

(٣) المسند (٢٤٨٥١).

(٤) مشط: هو الآلة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية.

(٥) قال ابن قتيبة: المشاطة: ما يخرج من الشعر الذي سقط من الرأس إذا سرح بالمشط وكذا من اللحية. (الفتح) ١٠/ ٢٣١.

(٦) هو الغشاء الذي يكون على الطلع ويطلق على الذكر والأنثى وقال أبو عمرو الشيباني: الجف بالفاء شيء ينقر من جذوع النخل (الفتح) ١٠/ ٢٢٩.

فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا اسْتَخْرَجْتَهُ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا» فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ ... وَقَالَ اللَّيْثُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هِشَامٍ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ يُقَالُ الْمُشَاطَةُ مَا يَخْرُجُ مِنْ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ وَالْمُشَاقَةُ مِنْ مُشَاقَةِ الْكَتَّانِ»[1].

وفي مسلم: أحرقته؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفنت».

وفي لفظ البخاري: «يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي»، وفيه أيضاً: «حتى كان يرى أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن».

قال سفيان: «وذلك أشد ما يكون من السحر». وفيه: «قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم من بني زريق، حليف اليهود، كان منافقاً»[2].

١٠ - توضيح معنى كلمة الطب[3]:

الطِبُّ بكسر الطاء في اللغة، يقال على معان: أحدها: السحر وهو المراد هنا.

وتطلق أيضاً على الإصلاح والحذق، ويقال لنفس الدواء طب، ويطلق على العادة وغير ذلك[4].

والمقصود المعنى الأول قال ابن الأثير: «رجل مطبوب أي مسحور كنّوا بالطب عن السحر تفاؤلا بالبرء، كما كنّوا بالسليم عن اللديغ»[5]، قال أبوعبيد:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٣) (٣٢٦٨)(٥٧٦٥)(٦٠٦٣)(٦٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٦). ومسلم (٢١٨٩). وابن ماجه (٣٥٤٥).

(٣) انظر للاستزادة فتح الباري ١٠/ ٢٢٨، ٢٣٣. تيسير العزيز الحميد ص٤٢٣. فتح المجيد ص٣٤٢. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢١٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ٧٢ ومن المجموع ٩/ ٥٥٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٤١.

(٤) انظر الآداب الشرعية والفروع لابن مفلح ٣/ ٨٤.

(٥) النهاية (ط ب ب).

«تفاؤلاً بالسلامة». وكما كنّوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها، فقالوا: «مفازة تفاؤلا بالفوز من الهلاك».

قال ابن الأنباري: «الطب من الأضداد، ويقال لعلاج الداء: طب، والسحر من الداء، يقال له: طب»[1]. قال ابن الأثير: «ومنه الحديث «فلعل طباً أصابه» أي سحراً»[2].

وقال ابن حجر: «أخرج أبو عبيدة من مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «احجتم النبي ﷺ على رأسه بقرن حين طب». قال أبوعبيد يعني: سحر»[3].

قال الإمام البغوي: «قولها «طب»: أي سحر ... وقيل هو من الأضداد ويقال لعلاج الداء طب، وللسحر طب وهو من أعظم الأدواء»[4].

١١ - فـائـدة:

بيَّن الواقدي السنة التي وقع فيها السحر أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسلاً قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم من سنة سبع جاء رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا، وقد سحرنا محمد فلم نصنع شيئاً ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير»[5].

١٢ - الرد على من أنكر إصابة الرسول ﷺ بالسحر:

شكك أقوام في صحة الحديث المذكور بدعوى التشكيك في الثقة بما يوحى إليه وهذا باطل.

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٢٨. تيسير العزيز الحميد ص٤٢٣. وانظر: الأضداد لابن الأنباري

(٢) النهاية (ط ب ب).

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٦، ١٨٧.

(٥) الفتح ١٠/ ٢٢٦.

فإن سحر الرسول ﷺ لا يحط من شأن رسالته ولا ينفي عصمته.

وفي الفتح: «قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحى إليه بشيء ولو يوح إليه بشيء.

وقال أيضاً: وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما بلغه، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث: أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن. وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة.

وقال ابن حجر: «وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة ولفظه: حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن»[(١)].

وقال القاضي عياض: «والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه ﷺ، كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوُّه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها، ولا فضّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان»[(٢)].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) الطب النبوي لابن القيم ص١٢٤. وللاستزادة انظر: مسائل الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ١٠٤ والآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د. جمال بن أحمد ١/ ١٩٠.

وقال ابن مفلح: «أنكر بعض الناس هذا لأنه نقص وعيب، أو أنه يمنع الثقة بالشرع، وهذا باطل، فإنه من جنس الأوجاع والأمراض والسم، والدلائل القطعية ناطقة بصدقه وعصمته، والإجماع أيضا. فأما بعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولم يفضل من أجلها، فلا مانع منه»[١].

١٣ - حل السحر بسحر مثله:

انظر: باب (النشرة).

١٤ - علاقة النميمة والعضه بالسحر[٢]:

العضه: هي النميمة كما فسرها الرسول ﷺ بقوله: «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس»[٣].

والنميمة: نقل الحديث على وجه الإفساد بين الناس. والقالة: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يُحكىٰ للبعض عن البعض[٤].

قال الجرجاني: «(النمام): هو الذي يتحدث مع القوم فينم عليهم، فيكشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو الثالث، وسواء كان الكشف بالعبارة، أو بالإشارة أو بغيرهما»[٥].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قال أبو الخطاب في عيون المسائل: «ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس».

---

(١) كتاب الفروع لابن مفلح ص٨٣.

(٢) انظر حول هذا الموضوع: مصنف عبد الرزاق ١١/ ٢٠٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٣٢. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣٢٩. تيسير العزيز الحميد ص٤٠٥، ٤٠٦. فتح المجيد ص٣٢٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٩٩. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٤٠، ط٢-٢/ ٥٠ ومن المجموع ٩/ ٥٢٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٣٠، ٣٣١. معارج القبول ١/ ٤٣٠.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٤) النهاية(ق و ل).

(٥) التعريفات للجرجاني ص٣٠٧.

وقال في الفروع: «ووجهه أنه يقصد الأذىٰ بكلامه وعلمه علىٰ وجه المكر والحيلة أشبه السحر»، ولهذا يعلم بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله الساحر أو أكثر، فيعطىٰ حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين لكنه يقال: الساحر إنما كفر لوصف السحر وهو أمر خاص، ودليله خاص،وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطىٰ حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة»[1].

١٥ - ضبط كلمة العضه:

قال النووي في شرح مسلم: «قَوْله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْه؟ هِيَ النَّمِيمَة الْقَالَة بَيْن النَّاس» هَذِهِ اللفْظَة رَوَوْهَا عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

أَحَدهمَا: (الْعِضَهُ) بِكَسْرِ الْعَيْن وَفَتْح الضَّاد الْمُعْجَمَة عَلَىٰ وَزْن الْعِدَة وَالزِّنَة.

وَالثَّانِي: (الْعَضْه) بِفَتْحِ الْعَيْن وَإِسْكَان الضَّاد عَلَىٰ وَزْن الْوَجْه، وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الأَشْهَر فِي رِوَايَات بِلادنَا، وَالأَشْهَر فِي كُتُب الْحَدِيث وَكُتُب غَرِيبه، وَالأَوَّل أَشْهَر فِي كُتُب اللُّغَة وَنَقَلَ الْقَاضِي أَنَّهُ رِوَايَة أَكْثَر شُيُوخهمْ، وَتَقْدِير الْحَدِيث وَاللهُ أَعْلَم: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْه الْفَاحِش الْغَلِيظ التَّحْرِيم؟»[2].

قال الزمخشري: «أصلها العِضْهَة فِعله من العَضْه. وهو البَهت فحُذفت لامُه كما حذفت من السَّنة والشَّفَة وتجمع علىٰ عضين»[3].

وأطلق علىٰ النميمة عضة لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً[4].

قال ابن مفلح في الفروع: «ولهذا قال ابن عبد البر عن يحي بن أبي كثير يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة»[5].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٠٦.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٦/ ١٥٩.

(٣) النهاية لابن الأثير (ع ض ه).

(٤) انظر فتح المجيد ص٣٢٩.

(٥) الفروع لابن مفلح ٦/ ١٨٠.

وقد عدها بعض العلماء من السحر، ووجه أنه يقصد الأذىٰ بكلامه وعمله علىٰ وجه المكر والحيلة فأشبه السحر.

١٦ - حكـم النميمـة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠-١١] وجاء في الحديث: «كادت النميمة أن تكون سحرا»[1]. وهي سبب لعذاب القبر، ومن أسباب حرمان دخول الجنة قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قتّات»[2]. وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ قَبْرَيْنِ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ: بَلَىٰ أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ يَسْعَىٰ بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ قَالَ ثُمَّ أَخَذَ عُوداً رَطْباً فَكَسَرَهُ باثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ قَبْرٍ ثُمَّ قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»[3].

فحكم النميمة التحريم إجماعاً، قال ابن حزم: ««اتفقوا علىٰ تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة». وهي من الكبائر. ولا يخفىٰ علىٰ العاقل اللبيب فساد النميمة وشدة ضررها فإنها تجعل الصاحب المخلص عدوا لدوداً، والقريب بعيدا، والمحب مبغضا، لا سيما إذا كانت بين العائلات والأقارب والجيران، فإن الضرر يزداد»[4].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كنا نسمي السحر في الجاهلية العضه. والعضه عند العرب شدة البهت وتمويه الكذب»[5].

---

(١) قال في تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٦: رواه ابن لآل في (مكارم الأخلاق) بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦)(٢١٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٤٠٦.

(٥) المعجم الكبير ٩/ ١٥٣. وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٤.

١٧ - علاقة البيان بالسحر[١]:

البيان لغة: البلاغة والفصاحة. قال الجرجاني: «وهو النطق الفصيح المعرب أي المُظهر عمّا في الضمير وإظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورا قبله، وقيل: هو الإخراج عن حد الإشكال»[٢]. وفي الحديث عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحرا»[٣].

والمراد هنا البيان البليغ المتمثل في الفصاحة والبلاغة الذي يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل القلوب لما يحدثه هذا النوع من أثر في القلوب والأسماع فالمراد ذم هذا النوع من البيان.

قال في التيسير: «قال ابن عبد البر: تأولته طائفة على الذم لأن السحر مذموم وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجته فأحسن المسألة فأعجبه قوله فقال: هذا والله السحر الحلال»[٤]. ورجح الشيخ سليمان القول الأول ونصره.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «ينظر إلى أثره والمقصود منه فإن كان المقصود منه رد الحق وإثبات الباطل فهو مذموم لأنه استعمال لنعمة الله في معصيته وإن كان المقصود منه إثبات الحق وإبطال الباطل فهو ممدوح[٥]، وإذا كان البيان يستعمل

---

(١) انظر حول هذا الموضوع: التمهيد لابن عبد البر ٥/ ١٧٣-١٨٠. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣١٧. شرح السنة للبغوي ١٢/ ٣٦٢. تيسير العزيز الحميد ص٤٠٧. فتح المجيد ص٣٣١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٠٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٤٢، ط٢-٢/ ٥٣ ومن المجموع ٩/ ٥٢٦. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٣٢. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٤١٥.

(٢) التعريفات ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٤٦) (٥٧٦٧).

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص٤٠٧.

(٥) وبمثله قال ابن باز رحمه الله في شرحه لكتاب التوحيد.

في طاعة الله وفي الدعوة إلى الله فهو خير من العي لكن إذا ابتلي الإنسان ببيان ليصد الناس عن دين الله فهذا لا خير فيه والعي خير منه والبيان من حيث هو لا شك أنه نعمة ولهذا امتن الله على الإنسان فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن.٤]»(١).

وقال الخطابي: «البيان اثنان: ـ

أحدهما: ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان.

والآخر: ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب القلب وغلب على النفس حتى يحول الشيء عن حقيقته ويصرفه عن وجهته، فيلوح للناظر في معرض غيره. وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم. قال: فعلى هذا فالذي يشبه بالسحر منه هو المذموم»(٢).

١٥٤- السخط من أقدار الله

انظر باب (التسخط من أقدار الله).

١٥٥- السفر إلى بلاد الكفر *

انظر باب (الإقامة في بلاد الكفار).

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٥٢٦، ٥٢٧. وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٤٤.

(٢) انظر للاستزادة فتح الباري ١٠/ ٢٣٧.

* الدرر السنية ٨/ ١٦١، ٢٧٥، ٣٠٨، ٣٤١، ٤٢٣، ١٢/ ٤١٨-٤٢١، ١٥/ ٤٨٢.

١٥٦- السلام على الله**

وهذا مما ورد النهي عن إطلاقه قال الراغب: «السَّلْمُ والسلامةُ التعرِّي من الآفات الظاهرة والباطنة»[(١)].

والسـلام اسـم من أسماء الله ﷻ ثابت بالكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قَالت: كان النبي ﷺ إِذَا سلّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ»[(٢)].

قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة: ««السلام» أي: من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله»[(٣)].

قال في التيسير: «لما كان حقيقة لفظ الإسلام السلامة والبراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب. فإذا قال المسلم: السلام عليكم فهو دعاء للمسلم عليه، وطلب له أن يَسلَم من الشر كله، والله هو المطلوب منه لا المطلوب له،

** تيسير العزيز الحميد ص٦٥٧. فتح المجيد ص٥٣٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٤١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٨٣، ط٢-٣/ ١٠٣ ومن المجموع ١٠/ ٩٠٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٧.

(١) المفردات ص٢٣٩.

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) (٥٩٢) وأبو داود (١٥١٢)(١٥١٣)، والترمذي (٢٩٨)، والنسائي (١٣٣٨). وابن ماجه (٩٢٤).

(٣) انظر تفسير ابن كثير عند آية الحشر، وانظر: للاستزادة في معنى السلام شأن الدعاء للخطابي ص٤١، وتفسير السعدي ٥/ ٣٠٠.

وهو المدعو لا المدعو له، وهو الغني له ما في السماوات وما في الأرض استحال أن يسلم عليه سبحانه وتعالىٰ بل هو المسلم علىٰ عباده»[١].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والسلام له عدة معان:

١ ـ التحية كما قال: سلَّم علىٰ فلان، أي حيَّاه بالسلام.

٢ ـ **السلامة** من النقص والآفات، كقولنا: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

٣ ـ السلام: اسم من أسماء الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]»[٢].

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤].

* **الدليل من السنة**: عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاةِ قُلْنَا السَّلامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَقُولُوا: السَّلامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ، وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنْ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٦٥٧.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩٠٩. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٥)(٨٣١)(١٢٠٢)(٦٢٣٠)(٦٢٦٥)(٦٣٢٨)(٧٣٨١).

❖ **حكم قول السلام على الله:**

لا يجوز لأنه يوهم نقص الله، وبأن فيه سبحانه وتعالىٰ عيباً، فالله يُدعىٰ ولا يُدعىٰ له فكيف يدعىٰ له بالسلامة وهو المُسلِّم، وقد جاء النهي عن ذلك كما تقدم.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا نهي تحريم»[(١)].

وقال رحمه الله: «قوله «لا يقال السلام علىٰ الله» أي لا تقل السلام عليك يا رب لما يلي:

أ ـ أن مثل هذا الدعاء يوهم النقص في حقه، فتدعو الله أن يسلم نفسه من ذلك، إذ لا يُدعىٰ لشيء بالسلام من شيء إلا إذا كان قابلا أن يتصف به، والله سبحانه منزه عن صفات النقص.

ب ـ إذا دعوت الله أن يسلم نفسه فقد خالفت الحقيقة، لأن الله يُدعىٰ ولا يدعىٰ له فهو غني عنا لكن يثني عليه بصفات الكمال مثل غفور سميع عليم..»[(٢)].

* **فـائـدة في معنىٰ السلام المطلوب عند التحية:**

قال ابن القيم رحمه الله: «فيه قولان مشهوران:

حدهما: أأن المعنىٰ اسم السلام عليكم، والسلام هنا هو الله عز وجل ومعنىٰ الكلام نزلت بركة اسمه عليكم وحلت عليكم ونحو هذا واختير في هذا المعنىٰ من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء لما يأتي في جواب السؤال الذي بعده واحتج أصحاب هذا القول بحجج منها ما ثبت في الصحيح أنهم كانوا يقولون في الصلاة السلام علىٰ الله قبل عباده السلام علىٰ جبريل السلام علىٰ فلان فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام علىٰ الله فإن الله هو السلام، ولكن قولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين»، فنهاهم النبي ﷺ أن

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩١٢.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩٠٩. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٨٢،٨٣.

يقولوا: السلام على الله لأن السلام على المسلم عليه دعاء له وطلب أن يسلم والله تعالى هو المطلوب منه لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له؛ فيستحيل أن يُسَلَّم عليه بل هو المسلِّم على عباده كما سلم عليهم في كتابه.

ومن حججهم ما رواه أبو داود من حديث ابن عمر «أن رجلا سلم على النبي ﷺ فلم يرد عليه حتى استقبل الجدار ثم تيمم ورد عليه وقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر»».

قالوا: ففي هذا الحديث بيان أن السلام ذكر الله، وإنما يكون ذكراً إذا تضمن اسماً من أسمائه.

ومن حججهم أيضا أن الكفار من أهل الكتاب لا يُبدؤون بالسلام فلا يقال لهم سلام عليكم، ومعلوم أنه لا يكره أن يقال لأحدهم سلمك الله؛ وما ذاك إلا أن السلام اسم من أسماء الله فلا يسوغ أن يطلب للكافر حصول بركة ذلك الاسم عليه فهذه حجج كما ترى قوية ظاهرة.

القول الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية. ومن حجة أصحاب هذا القول أنه يذكر بلا ألف ولام يقول المسلم: سلام عليكم، ولو كان اسماً من أسماء الله لم يستعمل كذلك بل كان يطلق عليه معرفاً كما يطلق عليه سائر أسمائه الحسنى فيقال: السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فإن التنكير لا يصرف اللفظ إلى معين فضلا عن أن يصرفه إلى الله وحده بخلاف المعرف فإنه ينصرف إليه تعييناً إذا ذكرت أسماؤه الحسنى.

وبعد أن ذكر القولين رجح أن الحق في مجموع القولين فكل منهما بعض الحق والصواب في مجموعهما. وقال: لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم ما عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله وهو السلام الذي يطلب منه

السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين:

أحدهما ذكر الله كما في حديث ابن عمر.

والثاني: طلب السلامة وهو مقصود المسلم فقد تضمن سلام عليكم اسما من أسماء الله وطلب السلامة منه فتأمل هذه الفائدة»[١].

١٥٧- السلف

انظر باب: «أهل السنة والجماعة».

١٥٨- السمعة

انظر باب: «الرياء».

(١) بدائع الفوائد ٢/ ١٤٠ باختصار.

١٥٩- السنة

سبق أن عرَّفنا السنة في باب أهل السنة والجماعة وستتكلم هنا عن مسألة حكم إنكار السنة وحكم من جحد وأنكر الإجماع الذي فيه نص.

❖ الأدلـــة:

جاءت الأدلة من الكتاب والسنة بالتحذير من مخالفة أمره ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وفي حديث أبي رافع يرفعه، قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً علىٰ أريكة يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[١].

وعن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ بلفظ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان علىٰ أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»[٢]. وفي رواية للترمذي: «وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله»[٣].

❋ أقوال السلف:

❋ قال الامام اسحاق بن راهوية: «من بلغه عن رسول الله ﷺ خبرٌ يُقرُّ بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر»[٤].

وقال العلامة ابن الوزير رحمه الله: «التكذيب لحديث رسول الله ﷺ مع العلم أنه حديثه كفر صريح»[٥].

---

(١) سنن الترمذي: (٢٦٦٣)، سنن أبي داود (٤٦٠٥) وابن ماجه (١٢).

(٢) سنن أبي داود (٤٦٠٤).

(٣) سنن الترمذي (٢٦٦٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٢٢٥.

(٥) العواصم والقواصم.

* قال السيوطي: «اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارىٰ أو مع من يشاء من فرق الكفرة»[(١)].

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة: «الذي ينكر العمل بالسنة يكون كافرا؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين»[(٢)].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعد أن أورد الأدلة علىٰ حجية القرآن والسنة علىٰ حد سواء: «وهما أصلان متلازمان من جحد واحداً منهما فقد جحد الآخر وكذب به، وذلك كفر وضلال وخروج عن دائرة الإسلام بإجماع أهل العلم والإيمان»[(٣)].

وقول القائل أنه لا يحتج بسنته أو أنها غير محفوظة ضلال وكفر بالله عز وجل قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وكيف تمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله إذا كانت سنته لا يحتج بها وكانت كلها غير محفوظة، وعلىٰ هذا القول يكون الله قد أحال عباده إلىٰ شيء لا وجود له، وهذا من أبطل الباطل ومن أعظم الكفر بالله وسوء الظن به»[(٤)].

وقد قسَّم أهلُ العلم السُّنَّة كما هو معلوم إلىٰ قسمين: متواتر، وآحاد.

فالمتواتر هو: ما نقل عن النبي ﷺ من جمع عن جمع يستحيل تواطئهم علىٰ الكذب.

وأما الآحاد فهو: ما نقل عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بما لم يبلغ حد التواتر؛ لأن الآحاد منه الغريب ومنه العزيز ومنه المشهور.

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية ٤/ ٣٠٢ من رسالة مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة. وانظر: شرح الفقه الأكبر ص ١٤٣، والدواء العاجل ص ٣٤، ضمن مجموعة الرسائل السلفية.

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٣/ ١٩٥.

(٣) رسالة وجوب العمل بسنة رسول الله ﷺ وكفر من أنكرها ١٣، ١٤.

(٤) رسالة وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها ص٩.

❖ **حكم إنكار المتواتر.**

قال الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله في إيضاح ذلك: «المسائل الإجماعية تارة يصحبها التواتر بالنقل عن صاحب الشرع كوجوب الصلاة مثلا وتارة لا يصحبها التواتر، فالقسم الأول يكفر جاحده لمخالفته المتواتر لا لمخالفته الإجماع، القسم الثاني لا يكفر به»[١].

ويبين شيخ الإسلام معنى المتواتر فيقول:«المقصود من المتواتر ما يفيد العلم لكن من الناس من لا يسمى متواتراً إلا ما رواه عدد كثير يكون العلم حاصلا بكثرة عددهم فقط ويقولون إن كل عدد أفاد العلم فى قضية أفاد مثل ذلك العدد العلم فى كل قضية وهذا قول ضعيف والصحيح ما عليه الأكثرون أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة، وأيضاً فالخبر الذى تلقاه الأئمة بالقبول تصديقا له او عملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف وهذا فى معنى المتواتر لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض ويقسمون الخبر إلى متواتر ومشهور وخبر واحد ... والصحيح الذى عليه الجمهور أن التواتر ليس له عدد محصور والعلم الحاصل بخبر من الأخبار يحصل فى القلب ضرورة كما يحصل الشبع عقيب الأكل والرى عند الشرب وليس لما يشبع كل واحد ويرويه قدر معين بل قد يكون الشبع لكثرة الطعام وقد يكون لجودته كاللحم وقد يكون لاستغناء الآكل بقليله، وقد يكون لاشتغال نفسه بفرح أو غضب أو حزن ونحو ذلك»[٢].

---

(١) أحكام الأحكام ٢/ ٢٣٢. وانظر العواصم والقواصم ٤/ ١٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ٤٨ - ٥١.

❖ **حكم رد خبر الآحاد:**

أنكر العلماء على من رد خبر الآحاد حيث ثبت إجماع أهل العلم على وجوب الأخذ بالحديث الصحيح ولو كان آحاداً.

قال ابن عبد البر: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت، على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به، إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافاً.

وقد أجمع المسلمون على جواز قبول الواحد السائل المستفتي لما يخبره به العالم الواحد إذا استفتاه فيما لا يعمله، وقبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله، وقد ذكر الحجة عليهم في ردهم أخبار الآحاد جماعةٌ من أئمة الجماعة وعلماء المسلمين، وقد أفردت لذلك كتاباً موعباً كافياً، والحمد لله»[١].

وقال العلامة ابن القيم بعد حكاية إجماع الصحابة على قبول أخبار الصحابة ﭬ: «فممن نصَّ على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة وداود بن علي وأصحابه كأبي محمد بن حزم ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي.

قال ابن خويز منداد في كتابه «أصول الفقه»: وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه الواحد والاثنان: «ويقع بهذا الضرب أيضاً العلم الضروري، نصَّ على ذلك مالك»»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن قسّم الأخبار إلى متواتر وآحاد فقال بعد ذكر المتواتر ـ: «وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل

---

(١) التمهيد (١/ ٢). وانظر للاستزادة شرح التنقيح ص ٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

ونحوه، ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به، أو تصديقاً له، كخبر عمر بن الخطاب ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»... وأمثال ذلك، فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة...»[(١)].

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله: «الفص الأول: في أدلة من قال إن خبر العدل يفيد العلم وبيان ما يرد عليها، والجواب عنه. هذا القول هو مذهب جمهور السلف وأكثر المحدثين والفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو الصحيح عن الإمام أحمد رحمه الله، فقد اشتهر عنه القطع بأحاديث الرؤية والعلمبمدلولها..»[(٢)].

وردُّ خبر الآحاد يترتب عليه مفاسد عظيمة. قال أبوالمظفر السمعاني:

«وربما يرتقي هذا القول ـ أي رد أخبار الآحاد ـ إلىٰ أعظم من هذا، فإن النبي ﷺ أدىٰ هذا الدين إلىٰ الواحد فالواحد من أصحابه، وهذا الواحد يؤديه إلىٰ الأمة، وينقله عنه، فإذا لم يُقبل قول الراوي لأنه واحد، رجع العيب إلىٰ المؤدي، نعوذ بالله من هذا القول البشع، والاعتقاد القبيح» اهـ[(٣)].

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «فالحق ما قلته: إن هذا القول الباطل يؤدي بأصحابه إلىٰ الإقصار في العقيدة علىٰ القرآن وحده أسوة بـالقرآنيين، وبعض الأمثلة المتقدمة كاف لإثبات ما قلته...» ثم أصاف رحمه الله قائلاً: «الوجه العشرون: هناك حكمة تروىٰ عن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام تقول في حق المتنبئين

(١) مختصر « الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة » لابن القيم ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) أخبار الآحاد ص ٥٧.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٦٠٨، ٦٠٩.

الدجالين الكذبة: «من ثمارهم تعرفونهم» فمن شاء من المسلمين أن يعرف ثمرة ذلك القول الباطل: أن العقيدة لا تثبت بحديث الآحاد، فليتأمل فيما سنسوقه من العقائد الإسلامية التي تلقاها الخلف عن السلف، وجاءت الأحاديث متضافرة متوافرة شاهدة عليها، وحينئذ يتبين له خطورة ذلك القول الذي يتبناه المخالفون دون أن يشعروا بما يؤدي إليه من الضلال البعيد من إنكار ما عليه المسلمون من العقائد الصحيحة، وهاك ما يحضرني الآن منها:

نبوة آدم ﷺ وغيره من الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن.

أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل.

شفاعته ﷺ العظمى في المحشر.

شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

معجزاته ﷺ كلها ما عدا القرآن، ومنها معجزة انشقاق القمر، فإنها مع ذكرها في القرآن تأولوها بما ينافي الأحاديث الصحيحة المصرحة بانشقاق القمر معجزة لرسول الله ﷺ.

صفاته ﷺ البدنية وبعض شمائله الخلقية.

الأحاديث التي تتحدث عن بدء الخلق وصفة الملائكة والجن، والجنة والنار، وأنهما مخلوقتان، وأن الحجر الأسود من الجنة.

خصوصياته ﷺ التي جمعها السيوطي في كتاب (الخصائص الكبرى) مثل دخول الجنة ورؤية أهلها وما أعد للمتقين فيها، وإسلام قرينه من الجن وغير ذلك.

القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.

الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر.

الإيمان بعذاب القبر.

الإيمان بضغطة القبر.

الإيمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة.

الإيمان بالصراط.

الإيمان بحوضه ﷺ وأن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

دخول سبعين ألفاً من أمته ﷺ الجنة بغير حساب.

سؤال الأنبياء في المحشر عن التبليغ.

الإيمان بكل ما صح في الحديث في صفة القيامة والحشر والنشر.

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن الله تعالىٰ كتب علىٰ كل إنسان سعادته أو شقاوته ورزقه وأجله.

الإيمان بالقلم الذي كتب كل شيء.

الإيمان بأن القرآن كتاب الله حقيقة لا مجازاً.

الإيمان بالعرش والكرسي حقيقة لا مجازاً.

الإيمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة.

وأن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

وأن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه.

الإيمان بمجموع أشراط الساعة كخروج المهدي، ونزول عيسىٰ عليه السلام وخروج الدجال، ودابة الأرض من موضعها، وغيرها مما صحت به الأحاديث.

وأن المسلمين يفترقون علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي التي تتمسك بما كان عليه الصحابة من عقيدة وعبادة وهدىٰ.

الإيمان بجميع أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا مما جاء في السنة الصحيحة، كالعلي والقدير وصفة الفوقية والنزول وغيرها.

الإيمان بعروجه ﷺ إلىٰ السماوات العلىٰ، ورؤيته آيات ربه الكبرىٰ.

هذه بعض العقائد الإسلامية الصحيحة التي وردت في الأحاديث الثابتة المتواترة أو المستفيضة، وتلقتها الأمة بالقبول، وهي تبلغ المئات، وما أظن أحداً من المسلمين يجرؤ على إنكارها، أو التشكيك فيها»[١].

وقد رد الشيخ ابن جبرين على شبهة من قال أن من رد شيئاً من الأصول والعقائد يكفر وأخبار الآحاد لا يكفر من رد منها شيئاً للاختلاف في ثبوتها، فقال حفظه الله: «فيقال: سبق أن استدل بهذا على أن الآحاد لا تفيد العلم مطلقاً، وأجيب هناك بأن من اتضحت له السنة ولو آحاداً وتحقق ثبوتها عن النبي ﷺ ثم ردها بدون تأويل ولا شبهة، وقامت عليه الحجة فإنه يكفر، لتظاهره برد شيء مما جاء به الرسول ﷺ عن ربه، ومن رد شيئاً من دين الرسول كمن رد جميعه.

وعلى هذا فلا فرق بين الأصول والفروع في التكفير، فتخصيص الأصول لا دليل عليه»[٢].

ومما يحسن ذكره هنا أقوال أهل العلم في حكم من أنكر الإجماع المعلوم:

بيّن شيخ الإسلام معنى الإجماع فقال: «معنى الاجماع أن تجتمع علماء المسلمين على حكم من الاحكام وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن اجماعهم فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة ولكن كثيرا من المسائل يظن بعض الناس فيها إجماعا ولا يكون الأمر كذلك بل يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسنة»[٣].

فقد تقدم بعض النقل في كفر من أنكر الإجماع المعلوم، قال الإمام النووي رحمه الله: «أطلق الإمام الرافعي القول بتكفير جاحد مجمع عليه، وليس هو على إطلاقه، بل

---

(١)

(٢) أخبار الآحاد في الحديث النبوي ص١٣١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠.

من جحد مجمعا عليه فيه نص، وهو من أمور الإسلام الظاهرة التي يشترك في معرفتها الخواص والعوام كالصلاة والزكاة أو الحج أو تحريم الخمر أو الزنا ونحو ذلك فهو كافر، ومن جحد مجمعا عليه لا يعرفه إلا الخواص كاستحقاق بنت الابن السدس مع بنت الصلب، وتحريم نكاح المعتدة ....فليس بكافر»[1].

قال ابن تيمية: «وقد تنازع الناس فى مخالف الاجماع هل يكفر على قولين والتحقيق أن الاجماع المعلوم يكفر مخالفه كما يكفر مخالف النص بتركه لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به وأما العلم بثبوت الاجماع فى مسألة لا نص فيها فهذا لا يقع وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره وحينئذ فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب والسنة، وتنازعوا فى الإجماع هل هو حجة قطعية أو ظنية والتحقيق أن قطعية قطعى وظنية ظنى والله أعلم»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ...﴾ الآية قال رحمه الله: «وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول وإن كل ما أجمعوا عليه، فلابد أن يكون فيه نص عن الرسول، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فانها مما بين الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين وأما اذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به فهنا قد لا يقطع أيضاً بأنها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر بل قد يكون ظن الإجماع خطأ والصواب فى خلاف هذا القول، وهذا هو فصل

---

(١) روضة الطالبين ٢/ ١٤٦، وانظر ١٠/ ٦٥، ومسلم بشرح النووي ١/ ١٧٣، ونهاية المحتاج شرح المنهاج ٧/ ٤١١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٦٩، ٢٧٠.

الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر»[١].

وقال رحمه الله: «والإجماع نوعان: قطعى فهذا لا سبيل الى أن يعلم إجماع قطعى على خلاف النص، وأما الظنى فهو الإجماع الإقرارى والاستقرائى بأن يستقرىء أقوال العلماء فلا يجد فى ذلك خلافاً أو يشتهر القول فى القرآن ولا يعلم أحداً أنكره»[٢].

١٦٠- سوء الظن بالله

انظر باب: «الظن بالله».

١٦١- سواع

صنم كان لقوم نوح ثم صار بعد ذلك لقبيلة هذيل المضرية. انظر باب (صنم).

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٣٨، ٣٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٦٧.

١٦٢- السيّد *

[عبدي وأمتي]

السيد في اللغة يُطلق على الرب المالك والشريف والفاضل والحكيم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والسيادة قد تكون بالنسب، وقد تكون بالعلم، وقد تكون بالكرم، وقد تكون بالشجاعة، وقد تكون بالملك، كسيد المملوك، وقد تكون بغير ذلك من الأمور التي يكون بها الإنسان سيداً، وقد يقال للزوج: سيد بالنسبة لزوجتـه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾»[(٢)].

والسيد من أسماء الله ـ تعالى ـ وهي من معاني الصمد، كما فسر ابن عباس الصمد: بأنه: «الكامل في عمله وحلمه وسؤدده»[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله:

«وهو الإله السيد الصمــد الذي   صمدت إليه الخلق بالإذعـــان

الكامل الأوصاف من كل الوجـ   ـوه كمالـه مافيه من نقصـــان»[(٤)]

---

* أحكام القرآن القرطبي ٤/ ٧٧. بدائع الفوائد ٣/ ٢١٣، النونية لابن القيم ٢/ ٩٤. الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٣٨. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٦٣. الدين الخالص ٢/ ٢٢١. ٤/ ٤٥٤. تيسير العزيز الحميد ٦٦٤،٧٥١. فتح المجيد ٥٤١،٦١١. الدرر السنية ٥/ ٤١١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٤٥،٣٩٤. نور على الدرب ص٤١٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣ / ١٠٠ ومن المجموع ١٠/ ٩٢٨، النهج الأسنى ٣/ ١٤٢.

(١) لسان العرب (س و د).

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١٠٩.

(٣) أخرجه ابن جرير ٣٠/ ٧٤٤.

(٤) نونية ابن القيم ٢/ ٩٤.

وإذا كان قول (سيدنا وابن سيدنا) منهي عنه فلأن ذلك بسبب تعاظم الممدوح وذلك مما ينافيع كمال التوحيد كما يسبب غلو المادح في ممدوحه.

* **الدليل من السنة:** عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ»[١].

وعَنْ مُطَرِّفٍ بن عبد الله بن الشخير قَالَ: قَالَ أَبِي انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»[٢].

وعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ اسْقِ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلايَ وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي»[٣].

حكم وفوائد:

١ - حكم تسمية المخلوق بالسيد[٤]:

قال الإمام ابن القيم في: «اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بأنه ﷺ لما قيل له: يا سيدنا قال: «إنما السيد الله». وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم». وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي أنه سيد كندة، ولا يقال لمالك أنه سيد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن

---

(١) سنن أبي داود (٤٩٧٧).

(٢) سنن أبي داود (٤٨٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٥٢).

(٤) الفتح ٥/ ١٧٩. الدرر السنية ١٠/ ٩٩.

يطلق على الله هذا الاسم وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالىٰ، فهو بمعنى المالك، والمولىٰ، والرب، لا بالمعنىٰ الذي يطلق على المخلوق»[(١)].

ونص العلماء علىٰ النهي عن قول السيد على الإطلاق أو جهة التعاظم.

قال الخطابي: «لا يقال السيد ولا المولىٰ على الإطلاق إضافة إلا في صفة الله تعالىٰ»[(٢)].

وقال ابن حجر: «ويحتمل أن يكون المراد النهي عن الإطلاق كما تقدم من كلام الخطابي ويؤيد كلامه حديث بن الشخير المذكور والله أعلم وعن مالك تخصيص الكراهة بالنداء فيكره أن يقول يا سيدي ولا يكره في غير النداء»[(٣)].

وقال الخطابي: «المعنىٰ في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع لله ﷻ وهو الذي يليق بالمربوب»[(٤)].

وقال النووي: «المراد بالنهي من استعماله علىٰ جهة التعاظم لا من أراد التعريف»[(٥)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن: «وأما قول يا سيدي، ومولاي.. إلخ، فهذه الألفاظ تستعملها العرب علىٰ معانٍ، كسادة الرياسة والشرف، والمولىٰ يطلق على السيد، والحليف، والمعتق، والموالي بالنصرة والمحبة والعتق، وأطلق السيد على الزوج كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، فإطلاق هذه الألفاظ علىٰ هذا الوجه معروف لا يُنكر، وفي السنة من ذلك كثير، وأما إطلاق

---

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٢١٣.

(٢) فتح الباري ٥/ ١٨٠.

(٣) فتح الباري ٥/ ١٨٠.

(٤) فتح الباري ٥/ ١٨٠.

(٥) فتح الباري ٥/ ١٨٠.

ذلك في المعاني الحديثة كمن يدّعي أن السيد هو الذي يُدعىٰ ويُعظّم، والولي هو الذي ينبغي منه النصر والشفاعة، ونحو ذلك من المقاصد الخبيثة، فهذا لا يجوز، بل هو من أقسام الشرك»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والسيد يطلق علىٰ معان، منها: المالك، الزوج، والشريف المطاع، وسيدي هنا مضافة إلىٰ ياء المتكلم وليست علىٰ وجه الإطلاق فالسيد علىٰ وجه الإطلاق لا يقال إلا لله ﷻ قال ﷺ: «السيد الله»»[٢].

وقال أيضاً: «إطلاق السيد علىٰ غير الله تعالىٰ إن كان يقصد معناه وهي السيادة المطلقة فهذا لا يجوز، وإن كان يقصد به مجرد الإكرام فإن كان المخاطب به أهلاً للإكرام فلا بأس به. ولكن لا يقول: السيد بل يقول ياسيد، أو نحو ذلك، وإن كان لا يقصد به السيادة والإكرام وإنما هو مجرد اسم فهذا لا بأس به»[٣].

والذي أراه أن النهي متعلق بالخطاب والمواجهة بذلك لأنه مظنة التعاظم[٤].

كما ينهىٰ عنه إذا ترتب عليه خضوع وإذلال[٥]. وقد سبق من كلام ابن عثيمين أنه أحد الوجوه في المنع قال:«أن النهي بالخطاب أي أن تخاطب الغير بقولك: أنت سيدي أو سيدنا، بخلاف الغائب؛ لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع، ثم إن فيه شيئا آخر وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير، مثل: «قوموا إلىٰ سيدكم»، أو علىٰ سبيل الغيبة كقول العبد: قال سيدي ونحو ذلك... إلخ»[٦].

---

(١) الدرر السنية ٥/ ٤١١، ٤١٢.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٩٢٧، ٩٢٨.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١٠٩.

(٤) انظر فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٦.

(٥) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٩٢٤، ٩٢٥. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٩٧.

(٦) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ١١٠٦.

وفي نهي الرسول ﷺ لمن قال أنت سيدنا وابن سيدنا بيان أن مواجهة المادح للممدوح بالمدح – ولو بما فيه: أنه من عمل الشيطان؛ لأن ذلك يسبب تعاظم الممدوح ويسبب غلو المادح حتى ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام.١٦٤] أي إلهاً وسيداً، وقال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص.٢]: إنه السيد الذي انتهى سؤدده. وأما استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» فالظاهر أن النبي ﷺ لم يواجه سعداً به، فيكون في هذا المقام تفصيل. والله أعلم»(١).

فلا يجوز أن يواجه الإنسان ويقال له: يا سيد من باب المدح، ويجوز أن يقال هذا في حقه إذا كان غائباً، وكان ممن يستحق هذا الوصف وهذا يجمع الأدلة.

وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن قول يا سيدي فلان، فأجاب رحمه الله: «ما ينبغي أليس في رسول الله أسوة حسنة إذ قال وهو سيد الخلق: «السيد الله»»(٢).

وورد إلى فتاوى اللجنة سؤال هذا نصه:

«س: هل يجوز أن أقول للضابط في الشرطة أو القوات المسلحة: حاضر يا سيدي؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

جـ: يجوز أن تقول له: حاضر ولا يجوز أن تقول له: يا سيدي؛ لقول النبي ﷺ لما قال له بعض الصحابة: أنت سيدنا. قال: «السيد الله تبارك وتعالى». رواه أبوداود بإسناد صحيح»(٣).

---

(١) فتح المجيد ص٦١٢.

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٦.

(٣) فتاوى اللجنة ٢/ ١٠٥.

وقال ابن عثيمين: «جرىٰ شرّاح هذا الحديث علىٰ أن النبي ﷺ نهاهم عن قول: «سيدنا» فحاولوا الجمع بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»، وقوله: «قوموا إلىٰ سيدكم»، وقوله في الرقيق: «وليقل سيدي ومولاي». بواحد من ثلاثة أوجه:

الأول: أن النهي علىٰ سبيل الكراهة والأدب، والإباحة علىٰ سبيل الجواز.

الثاني: أن النهي حيث يخشىٰ منه المفسدة، وهي التدرج إلىٰ الغلو، والإباحة إذا لم يكن هناك محذور.

الثالث: أن النهي بالخطاب أي أن تخاطب الغير بقولك: أنت سيدي أو سيدنا، بخلاف الغائب؛ لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع، ثم إن فيه شيئا آخر وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير، مثل: «قوموا إلىٰ سيدكم»، أو علىٰ سبيل الغيبة كقول العبد: قال سيدي ونحو ذلك، لكن هذا يرد عليه إباحته ﷺ للرقيق أن يقول لمالكه: سيدي.

والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلا لأن النبي ﷺ أذن لهم أن يقولوا بقولهم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل «السيد»؛ لأن السيد المطلق هو الله تعالىٰ وعلىٰ هذا فيجوز أن يقال: سيدنا وسيد بني فلان ونحوه، لكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلا لذلك، أما إذا لم يكن أهلا كما لو كان فاسقا أو زنديقا فلا يقال له ذلك حتىٰ ولو فرض أنه أعلىٰ منه مرتبة أو جاها، وقد جاء في الحديث: «لا تقولوا للمنافق سيد فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله». فإذا كان أهلا لذلك وليس هناك محذور، فلا بأس به، وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل فلا يجوز. والمحذور: هو الخشية من الغلو فيه»[1].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ١١٠٦، ١١٠٧. وانظر القول المفيد ط١- ٣/ ١١٢، ٢٧٩، ٢٨٠.

٢- أما إطلاق المولى فقد جاء في الحديث عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ولا يَقُلْ مَوْلَايَ فإنما مولاكم الله»[(١)].

وحكمه كالسيد عند الإطلاق فتكون خاصة بالله ﷻ وعند التقييد والإضافة فتكون لغير الله. وذكر الشيخ محمد بن إبراهيم أنه لا ينبغي أن يقال: مولاي فلان[(٢)].

وفي الولاية المقيدة المضافة قال ابن عثيمين: «فهذه تكون لغير الله، ولها في اللغة معان كثيرة منها الناصر، والمتولي للأمور، والسيد،والعتيق.

قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التحريم.٤]، وقال ﷺ فيما يروى عنه: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقال ﷺ: «إنما الولاء لمن أعتق» ويقال للسلطان ولي الأمر، وللعتيق مولى فلان لمن أعتقه، وعليه يعرف أنه لا وجه لاستنكار بعض الناس لمن خاطب ملكاً بقوله: مولاي؛ لأن المراد بمولاي أي متولي أمري، ولا شك أن رئيس الدولة يتولى أمورها»[(٣)].

قال النووي رحمه الله: «ولا بأس بقول العبد لسيده مولاي فإن المولى وقع على ستة عشر معنى منها الناصر والمالك»[(٤)].

وذكر الشيخ محمد بن إبراهيم: «أنه لا ينبغي أن يقال: مولاي فلان»[(٥)].

ولا شك أن ترك ذلك أولى وأحوط؛ لأنه قد يكسب المخاطب الترفع والعجب والتعاظم ويكسب من قاله التذلل والخضوع.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٢).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٩٢٩. وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٠٢.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ٧.

(٥) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٦.

٣ – حكم تسمية المنافق بالسيد:

ولا يجوز تسمية المنافق بالسيد لما تقدم من حديث بريدة أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: «لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ»[١].

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: عن قول «السيد فلان»؟ فأجاب رحمه الله: «قول: «السيد» ينظر إن كان صحيحاً أنه ذو سيادة فيقال: هو سيد بدون أل فلا بأس به، بشرط ألا يكون فاسقاً ولا كافراً، فإن كان فاسقاً أو كافراً فإنه لا يجوز إطلاق لفظ سيد إلا مضافاً إلى قومه، مثل سيد بني فلان، أو سيد الشعب الفلاني ونحو ذلك»[٢].

٤- ما جاء في قول «سيدنا محمد»:

قال العلامة السفاريني رحمه الله: «قال في المطلع: السيد الذي يفوق في الخير قومه. قاله الزجاج. وقيل: التقي وقيل الحليم، وقيل الذي لا يغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا ﷺ. وقال في القاموس: سيد القوم: أجلّهم. وهو ﷺ أجلّ خلق الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله، وأكمل خلق الله ﷺ»[٣].

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن قول «سيدنا محمد» فقال:

«للعلماء فيها كلام، والصحيح أنه لا محذور فيها لكن ما الراجح؟ الراجح تركها لأجل مجيئها في النصوص «محمداً عبده ورسوله»»[٤].

وقال العلامة صديق حسن خان رحمه الله: «ولفظ «السيد» له معنيان:

أحدهما: أن السيد هو الذي يكون مالكاً مختاراً بنفسه وحده، ولا يكون محكوماً عليه من أحد، بل يكون حاكماً مستقلاً بذاته كشأن الملوك في الدنيا، فهذا

---

(١) سنن أبي داود (٤٩٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ٩٧.

(٣) لوامع الأنوار ٢/ ٦.

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٥٩.

الأمر إنما هو شأن الله تعالىٰ، ليس غيره سيداً بهذا المعنىٰ.

وثانيهما: أن السيد رعَويٌّ لآخر، ولكن له فضل علىٰ عامة الرعايا، ممتاز منهم بالمزايا، ينزل إليه حكم الحاكم أولاً، ثم يبلغ إليهم من لسانه وبواسطته كـ «مرزبان» القرىٰ و «قهرمان» المحلات، و«خوانين» السوقة.

فالنبي بهذا المعنىٰ سيد لأمته، والإمام سيد أهل عصره، والشيخ سيد لمريديه، والعالم سيد لتلامذته، والمجتهد لمتبعيه.

فإن هؤلاء الكبار الكرام يتمسكون بحكم الله تعالىٰ أولاً بأنفسهم، ثم يبلغونه إلىٰ أصاغرهم ويعلمونهم»[١].

ولا يزاد لفظ (سيدنا) في الأذان والصلاة والأذكار.

ففي التشهد الأخير من الصلاة وردت عدة صيغ في الصلاة علىٰ النبي ﷺ وليس في شيء منها لفظ السيادة (سيدنا) بل هي: «اللهم صلِّ علىٰ محمد...إلخ» وفي بعضها: «اللهم صلِّ علىٰ محمد عبدك ورسولك... إلخ» وقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني صيغاً كثيرة في كتابه «صفة الصلاة» وليس فيها لفظ (سيدنا) وإن كان عليه الصلاة والسلام هو سيد ولد آدم وأقوم الخلق وأكبرهم في القيام بأحكام الله تعالىٰ، لكننا في الصلاة والأذكار متعبدون بما ورد عنه ﷺ فلا يزد في ذلك.

٥- الجمع بين حديث «السيد الله» وحديث «أنا سيد ولد آدم»؟

سئل الشيخ ابن إبراهيم عن الجمع بين حديث «السيد الله» وحديث «أنا سيد ولد آدم»؟

فقال: «الجمع أنه منع من هذا الذي هو جائز حماية لحمىٰ التوحيد. والثاني قاله علىٰ وجه التحدث بنعمة الله. أما التحريم والله أعلم فبالنسبة إلىٰ غير الرسول ﷺ»[٢].

---

(١) الدين الخالص ٢/ ٢٢١.

(٢) مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٩٦.

وسئل الشيخ ابن عثيمين عن الجمع بين حديث «السيد الله». وما جاء في التشهد «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد». وحديث «أنا سيد ولد آدم»؟

فأجاب قائلاً: «لا يرتاب عاقل أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم فإن كل عاقل مؤمن يؤمن بذلك، والسيد هو ذو الشرف والطاعة والإمرة، وطاعة النبي ﷺ من طاعة الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشك أن نبينا ﷺ سيدنا، وخيرنا، وأفضلنا عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأنه المطاع فيما يأمر به، صلوات الله وسلامه عليه، ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع، عليه الصلاة والسلام، أن لا نتجاوز ما شرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ومما شرعه لنا في كيفية الصلاة عليه في التشهد أن نقول: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، أو نحوها من الصفات الواردة في كيفية الصلاة عليه ﷺ ولا أعلم أن صفة وردت بالصيغة التي ذكرها السائل وهي «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد» وإذا لم ترد هذه الصيغة عن النبي، عليه الصلاة والسلام، فإن الأفضل ألا نصلي على النبي ﷺ بها، وإنما نصلي عليه بالصيغة التي علمنا إياها.

وبهذه المناسبة أود أن أنبه إلى أن كل إنسان يؤمن بأن محمداً ﷺ سيدنا فإن مقتضى هذا الإيمان أن لا يتجاوز الإنسان ما شرعه، وأن لا ينقص عنه، فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه، ولا ينقص من دين الله ما هو منه، فإن هذا هو حقيقة السيادة التي هي من حق النبي ﷺ علينا.

وعلى هذا فإن أولئكم المبتدعين لأذكار أو صلوات على النبي ﷺ لم يأت بها شرع الله على لسان رسوله محمد ﷺ تنافي دعوى أن هذا الذي ابتدع يعتقد أن محمداً ﷺ سيد، لأن مقتضى هذه العقيدة أن لا يتجاوز ما شرع وأن لا ينقص منه، فليتأمل الإنسان وليتدبر ما يعنيه بقوله حتى يتضح له الأمر ويعرف أنه تابع لا مشرع.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا سيد ولد آدم» والجمع بينه وبين قوله: «السيد الله» أن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله وحده فإنه تعالى هو الذي له الأمر كله فهو الآمر وغيره مأمور، وهو الحاكم وغيره محكوم، وأما غيره فسيادته نسبية إضافية تكون في شيء محدود، وفي زمن محدود، ومكان محدود، وعلى قوم دون قوم، أو نوع من الخلائق دون نوع»[1].

٦ - عبارة «السيدة عائشة رضي الله عنها»؟

قال الشيخ ابن عثيمين: «لا شك أن عائشة رضي الله عنها من سيدات نساء الأمة، ولكن إطلاق «السيدة» على المرأة و «السيدات» على النساء هذه الكلمة متلقاة فيما أظن من الغرب حيث يسمون كل امرأة سيدة وإن كانت من أوضع النساء، لأنهم يسودون النساء أي يجعلونهن سيدات مطلقاً، والحقيقة أن المرأة امرأة، وأن الرجل رجل، وتسمية المرأة بالسيدة على الإطلاق ليس بصحيح، نعم من كانت منهن سيدة لشرفها في دينها أو جاهها أو غير ذلك من الأمور المقصودة فلنا أن نسميها سيدة، ولكن ليس مقتضى ذلك أننا نسمي كل امرأة سيدة.

كما أن التعبير بالسيدة عائشة، والسيدة خديجة، والسيدة فاطمة وما أشبه ذلك لم يكن معروفاً عند السلف بل كانوا يقولون: أم المؤمنين عائشة أم المؤمنين خديجة، فاطمة بنت رسول الله ﷺ ونحو ذلك»[2].

٧ – أما إطلاق الرب فلا يجوز إلا على الله:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «الرب هو المالك المتصرف، ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة نقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل»[3].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١١٠، ١١١.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١١٢.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ١٣١.

وفي الفتح: «قال ابن بطال: لا يجوز أن يقال لأحد غير الله رب، كما لا يجوز أن يقال له إله» ا.هـ والذي يختص بالله تعالىٰ إطلاق الرب بلا إضافة، أما مع الإضافة فيجوز إطلاقه كما في قوله تعالىٰ حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾، وقوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام في أشراط الساعة: «أن تلد الأمة ربَّتها» فدل علىٰ أن النهي في ذلك محمول علىٰ الإطلاق»[1].

وقد تقدم حديث: «لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي ومولاي...» الحديث

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «قيل: إن الفرق بين الرب والسيد، أن الرب من أسماء الله تعالىٰ اتفاقا، واختلف في السيد هل هو من أسماء الله تعالىٰ؟ ولم يأت في القرآن أنه من أسماء الله[2]. لكن في حديث عبد الله بن الشخير «السيد الله» وسيأتي. فإن قلنا: ليس من أسماء الله فالفرق واضح، إذ لا التباس، وإن قلنا: إنه من أسماء الله فليس في الشهرة والاستعمال، كلفظ الرب فيحصل الفرق»[3].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ما حكم قول: «رب البيت»؟ «رب المنزل»؟

فأجاب: «قولهم: رب البيت ونحوه ينقسم أقساماً أربعة:

القسم الأول: أن تكون الإضافة إلىٰ ضمير المخاطب في معنىً لا يليق بالله عز وجل مثل أن يقول: «أطعم ربك» فهذا منهي عنه لوجهين:

الوجه الأول: من جهة الصيغة لأنه يوهم معنىً فاسداً بالنسبة لكلمة رب، لأن الرب من أسمائه سبحانه، وهو سبحانه يُطعِم ولا يطعَم، وإن كان لا شك أن الرب هنا غير الرب الذي يطعم ولا يطعم.

الوجه الثاني: من جهة أنك تشعر العبد أو الأمة بالذل لأنه إذا كان السيد ربّاً كان

(١) فتح الباري ٥/ ١٧٩، وقد ذكر توجيهات أخرىٰ.

(٢) هذا القول نسبه ابن حجر للقرطبي وغيره. انظر فتح الباري ٥/ ١٧٩، ١٨٠.

(٣) تيسر العزيز الحميد ٦٦٤، ٦٦٥.

العبد مربوباً والأمة مربوبة.

وأما إذا كان في معنى يليق بالله تعاليمثل أطع ربك كان النهي عنه من أجل الوجه الثاني.

القسم الثاني: أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب مثل ربه، وربها، فإن كان في معنى لا يليق بالله كان من الأدب اجتنابه، مثل أطعم العبد ربه أو أطعمت الأمة ربها، لئلا يتبادر منه إلى الذهن معنى لا يليق بالله.

وإن كان في معنى يليق بالله مثل أطاع العبد ربه وأطاعت الأمة ربها فلا بأس بذلك لانتفاء المحذور.

ودليل ذلك قوله ﷺ في حديث اللقطة في ضالة الإبل وهو حديث متفق عليه: «حتى يجدها ربها» وقال بعض أهل العلم: إن حديث اللقطة في بهيمة لا تتعبد ولا تتذلل كالإنسان، والصحيح عدم الفارق لأن البهيمة تعبد الله عبادة خاصة بها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج:١٨]، وقال في العباد: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ليس جميعهم ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

القسم الثالث: أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم فقد يقول قائل بالجواز لقوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف:٢٣] أي سيدي، وإن المحذور هو الذي يقتضي الإذلال وهذا منتفٍ لأن هذا من العبد لسيده.

القسم الرابع: أن يضاف إلى الاسم الظاهر فيقال: هذا رب الغلام فظاهر الحديث الجواز وهو كذلك مالم يوجد محذور فيمنع كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق لمملوكه»[1].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١٠٣، ١٠٤.

١٦٣- الشؤم*

الشؤم بضم المعجمة وسكون الهمزة، وقد تُسهَّل فتصير واوا، قال ابن الأثير: «الواو في الشؤم همزة، ولكنها خُففت فصارت واوا، وغلب عليها التخفيف حتى لم ينطق بها مهموزة ... والشؤم ضد اليُمنِ: يقال: تشاءمتُ بكذا، وتيمَّنت بكذا»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «والطيرة والشؤم بمعنى واحد»[(٢)].

* **الدليل من السنة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الشُّؤْمُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالْفَرَسِ»**[(٣)].

وفي رواية قَالَ: ذَكَرُوا الشُّؤْمَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»[(٤)].

وعن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلاثٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ»[(٥)].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٩/ ٢٧٨ ـ ٢٠٢، ٣٠٣، ٢١/ ٩٧، ٢٤/ ٦٨. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٢٢٨. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٠. فتح الباري ٦/ ٧٢. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٥٧. مفتاح دار السعادة ص٢٥٤-٢٥٧. تيسير العزيز الحميد ص٤٣٥. فتح المجيد ٣٥٠. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢١٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣٢ ومن المجموع ٩/ ٥١٥. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٨٢. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٧٥ ـ ٤٨٧. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢٤٦.

(١) النهاية لابن الأثير (ش و م).

(٢) فتح الباري ٦/ ٦١.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٣) (٥٧٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٧٢). وقال الحافظ رحمه الله تعالى في شرحه للبخاري: اتفقت الطرق كلها على الاقتصار على الثلاثة المذكورة، ووقع عند ابن إسحاق في رواية عبد الرزاق المذكورة: =

وفي رواية سهل عن سعد الساعدي، يرفعه: «إن كان في شيء ففي المرأة، والفرس، والمسكن»(١).

وعند أبي داود أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «لا هَامَةَ وَلا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ، وَإِنْ تَكُنْ الطِّيَرَةُ فِي شَيْءٍ فَفِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ»(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تنكر أن يكون من كلام النبي ﷺ وتقول: إنما حكاه رسول الله ﷺ عن أهل الجاهلية»(٣).

وقد أورد الإمام أحمد إنكارها في المسند من طريق قتادة عن أبي حسان أن رجلاً قال لعائشة: إن أبا هريرة يُحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الطيرة في المرأة، والدار، والدابة» فغضبت غضباً شديداً، فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض فقالت: إنما كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك(٤).

قال ابن حجر: «ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك»(٥).

قال ابن القيم: «ولكن قول عائشة هذا مرجوح. ثم ذكر أن الحديث قد روي على وجهين: الأول: بالجزم «الشؤم في الدار، والمرأة، والفرس»، والثاني: بالشرط «إن كان ففي المرأة، والفرس، والمسكن»»(٦).

= قال معمر: قالت أم سلمة: والسيف. وذكر أيضا أن الدارقطني أخرجه في غرائب مالك، وإسناده صحيح إلى الزهري، وأخرجه ابن ماجه عن الزهري موصولا عن أم سلمة أنها حدثت بهذه الثلاثة، وزادت فيهن: «والسيف». فتح الباري: ٩/ ٦٣ باب ما يذكر من الشؤم فرس.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٩) (٥٠٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٢١).

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥٣.

(٤) المسند للإمام أحمد (٢٥٦٨٣).

(٥) فتح الباري ٦/ ٧٣.

(٦) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥٤.

* معنى حديث الشؤم في ثلاث:

قال النووي رحمه الله: «اختلف العلماء في هذا الحديث فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره، وأن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة، أو الفرس أو الخادم، قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية «إن يكن الشؤم في شيء». وقال الخطابي وكثيرون، هو في معنى الاستثناء من الطيرة أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو خادم أو فرس فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة».

وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها، وسوء جيرانها وأذاهم. وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلاطة لسانها وتعرضها للريب. وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها[(١)].

وقيل: حِرانها، وغلاء ثمنها. وشؤم الخادم سوء خلقه، وقلة تعهده لما فوض إليه.

وقيل المراد بالشؤم في الحديث أي عدم الموافقة...

قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: «الجامع لهذه الفضول السابقة في الأحاديث، ثلاثة أقسام:

أحدها: ما لم يقع الضرر به، ولا اطردت له عادة خاصة ولا عامة فهذا لا يلتفت إليه وأنكر الشرع الالتفات إليه، وهو الطيرة.

الثاني: ما يقع عنده الضرر عموما لا يخصه، ونادرا لا يتكرر كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه.

الثالث: ما يخص ولا يعم، كالدار، والفرس، والمرأة، فهذا يباح الفرار منه»[(٢)].

قال في جامع الأصول: ««إن كان الشؤم في شيء» يعني: إن كان ما يكره ويخاف

(١) انظر: أيضا النهاية (ش و م).

(٢) النووي شرح صحيح مسلم ١٤/ ٢٢٠ - ٢٢٢.

عاقبته: ففي هذه الثلاثة، وتخصيصه المرأة والفرس والربع[١] والدار لأنه لما أبطل مذهب العرب في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحو ذلك قال: فإن كان لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس لا يعجبه ارتباطه: فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار ويبيع الفرس ويطلق الزوجة، وكان محل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه، وسبيله سبيل الخروج من كلام إلىٰ غيره»[٢].

وقال القرطبي: «ولا يظن به أنه يحمل علىٰ ما كانت الجاهلية تعتقده، بناء علىٰ أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ، وإنما عنىٰ أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس، فمن وقع في نفسه منها شيء أبيح له أن يتركه، ويستبدل به غيره»[٣].

وقال ابن القيم: « وقالت طائفة أخرىٰ: الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطيّر بها، فيكون شؤمها عليه ومن توكل علىٰ الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشئومة عليه قالوا ويدل عليه حديث أنس: «الطيرة علىٰ من تطير»[٤]»[٥].

وأحسن الأقوال في ذلك وأرجحها ما قرره ابن القيم[٦] وابن رجب ونصره الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد وتابع عليه الشراح بعده حيث قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «قد يظن بعض الناس أن هذا الحديث، وما في معناه يدل علىٰ جواز الطيرة، لقوله ﷺ: «الشؤم في ثلاث، المرأة والدابة والدار». ونحو هذا والأمر ليس كذلك، فقد قال ابن القيم رحمه الله: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه

---

(١) ورد رواية عند مسلم في آخر باب الطيرة بلفظ: (الربع والخادم والفرس). شرح النووي ١٤/ ٢٢٢. قال في النهاية: (الرَّبع: المنزل ودار الإقامة) (النهاية: ربع).

(٢) جامع الأصول: ٧/ ٦٣٣.

(٣) فتح الباري ٦/ ٦١.

(٤) أخرجه ابن حبان أفاده الحافظ ابن حجر وقال: «في صحته نظر، لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس، قال: وعتبة مختلف فيه». فتح الباري ٦/ ٧٤.

(٥) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥٦.

(٦) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥٧.

الثلاثة ليس فيها إثبات الطيرة التي نفاها الله، وإنما غايته أنه سبحانه قد يخلق منها أعيانا مشئومة على من قربها وسكنها، وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر هذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدا مباركا، يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولدا مشئوما يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها فكذلك الدار، والمرأة، والفرس والله سبحانه خالق الخير والشر، والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له»[(١)] .

وقال ابن رجب رحمه الله: «والتحقيق أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث ... إن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه بها، ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ما جُبلت عليه ويستعيذ به من شرها وشر ما جبلت عليه كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ خرجه أبوداود وغيره وكذا ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك وقد أمر النبي ﷺ قوما سكنوا دارا فقلَّ عددهم وقلَّ مالهم أن يتركوها ذميمة. فترك مالا يجد الإنسان فيه بركة من دار أو زوجة أو دابة غير منهي عنه...»[(٢)] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولكن يبقى على هذا أن يقال: هذا جار في كل مشؤوم فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر؟.

وجوابه: أن أكثر ما يقع التطير في هذه الثلاثة فخُصّت بالذكر لذلك ذكره في شرح السنن»[(٣)] .

(١) فتح المجيد ٣٠٩ انظر تيسير العزيز الحميد ٤٣٠. للاستزادة انظر باب (الطيرة).
(٢) لطائف المعارف ١٥٠ وانظر الدرر السنية ١٠/ ٣٤٦.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٦٣.

١٦٤- شد الرحال إلى القبور والسفر إليها*

[زيارة القبور – تتبع آثار الأنبياء والصالحين المكانية]

الرجال – بالمهملة – جمع رحل، وهو للبعير كالسرج للفرس، وهو أصغر من القتب[١].

قال ابن سيده: «وارتحل البعير جعل عليه الرحل، ورحل رحلة شدَّ عليه أداته»[٢].

وكنَّى بشد الرحال عن السفر لأنه لازمه[٣].

وقد جاء النهي عن السفر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين. أو زيارة المواضع الفاضلة والمقصود عدم تحديد بقعة مباركة تُعمل المطي إليها بقصد القربة والمرخص فيه ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٦٥ ـ ٦٦٦. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٣٤، ٢٣٥. مجموع الفتاوى ١/ ١١٨ ـ ١٢٢. ٤/ ٣١٥، ٢٧/ ١١١، ٢٠، ٣١٤. مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ٣٩٥ . الرد على البكري ٢٧ ـ ٥٧. الرد على الأخنائي ٢٤. الاختيارات العلمية ٥٠. الصارم المنكي لابن عبد الهادي. المحلى بالآثار لابن حزم ٢/ ٣٦٤. أحكام القرآن القرطبي ١٩/ ٢١، ١٠/ ١١ ٢/ ٢١٢. تيسير العزيز الحميد ص٣٦٠. فتح المجيد ص٢٩٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٧٢. الدرر السنية ٥/ ٣٩٩، ١١/ ١١٥، ٥٠٢. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٥٨٣، ٥٨٧. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٨٧. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٦٢. كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر للشيخ حماد الأنصاري. أحكام الجنائز الألباني ٢٦٠ ـ ٢٦٣. رقم ١٩٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٣١. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٤٤٠. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٨٨، ١٥٩٩. التبرك د: ناصر الجديع ص١٠٥، ٣٢٢، ٣٨٨.

(١) انظر: عمدة القاري ٧/ ٢٥٢.

(٢) المحكم ٣/ ٣٠٢.

(٣) انظر: فتح الباري ٣/ ٦٤، عمدة القاري ٩/ ١٣١.

ومسجد الأقصى[١].

وشد الرحال إلى القبور صرحت الأحاديث بالنهي عنه لأنه من الوسائل التي تفضي إلى الغلو والتعظيم فهو من الوسائل والأسباب الشركية.

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُشَدُّ الرحال»[٣] - وفي لفظ: «لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى»[٤].

وجاء في بعض الروايات: «لا تُشَدُّ العُرى إلا إلى ثلاثة مساجد»[٥].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ قَالَ لَقِيَ أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَهُوَ جَاءٍ مِنْ الطُّورِ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ الطُّورِ، صَلَّيْتُ فِيهِ.

---

(١) قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب ﷺ في مقدمه... ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر وقد روى عن عمر ﷺ أنه صلى في محراب داود. وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر ﷺ ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير. وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة) مجموع الفتاوى ٢٧ / ١١، ١٢.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١١٨٩، ١٩٩٥، ١١٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٩٧).

(٥) قال ابن الأثير هي جمع عروة يريد عرى الأحمال والرواحل. النهاية لابن الأثير (ع ر ا).

قَالَ: أَمَا لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ إِلَيْهِ مَا رَحَلْتَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَىٰ ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ»[١].

وعن قزعة قال: أردت الخروج إلىٰ الطور فأتيت ابن عمر رضي الله عنهما فقلت له، فقال: «إنما تشد الرحال إلىٰ ثلاثة مساجد إلىٰ مسجد رسول الله ﷺ والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ. ودع عنك الطور ولا تأته»[٢].

* **والمراد من النهي عن شد الرحال السفر إلىٰ بقعة بذاتها تقربا إلىٰ الله:**

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله بعد ذكره للحديثين السابقين: «فابن عمر، وبصرة بن أبي بصرة، جعلا الطور مما نُهي عن شد الرحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه: في النهي عن شدها إلىٰ غير الثلاثة، مما يُقصد به القُربة. فعُلم أن المستثنىٰ منه عام في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصاً بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدها إلىٰ الطور مستدلين بهذا الحديث.

والطور إنما يُسافر من يسافر إليه لفضيلة البُقعة، فإن الله سماه الوادي المقدس، والبقعة المباركة، وكلم كليمه موسىٰ هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة، وجمهور العلماء»[٣].

وقال الشيخ ناصرالدين الألباني رحمه الله: «المراد: لا يسافر إلىٰ موضع من المواضع الفاضلة التي تقصد لذاتها ابتغاء بركتها وفضل العبادة فيها إلا إلىٰ ثلاثة مساجد، وهذا هوالذي يدل عليه فهم الصحابيين المذكورين، وثبت مثله عن ابن عمر رضي الله عنه كما بيّنته

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٧٧٢).

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة ٢/ ٩٤ رقم ١١٩٣، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٣٧٤، ٤/ ٦٥.

(٣) فتح المجيد ص٢٩٥.

في كتابي «أحكام الجنائز وبدعها»، وهو الذي اختاره جماعة من العلماء كالقاضي عياض والإمام الجويني والقاضي حسين، فقالوا: «يحرم شد الرحل لغير المساجد الثلاثة، كقبور الصالحين والمواضع الفاضلة» ذكره المناوي في «الفيض».

فليس هو رأي ابن تيمية وحده، كما يظن بعض الجهلة، وإن كان له فضل الدعوة إليه، والانتصار له بالسنة، وأقوال السلف بما لا يعرف له مثيل، فجزاه الله عنا خير الجزاء»[١].

*** حكم شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ:**

لا يجوز ذلك لحديث: «لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد ...».

وقوله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرحال» بضم أوله بلفظ النفي، والمراد النهي عن السفر إلى غيرها.

وكنّى بشد الرحال عن السفر، لأنه لازمه، وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشي[٢] فهذه كلها داخلة في المعنى المذكور كما يدخل فيه وسائل السفر الحديثة من سيارات وطائرات وغيرها، ويدل عليه قول ـ في بعض طرقه ـ: «إنما يسافر»[٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «فدخل في النهي: شدُّها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهياً، وإنما أن يكون نفياً، وجاء في رواية بصيغة النهي، فتعيّن أن يكون للنهي»[٤].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٩٧) (٢/ ٧٣٣-٧٣٤).

(٢) انظر فتح الباري ٣/ ٦٤.

(٣) صحيح مسلم ـ بشرح النووي ٩/ ١٦٨.

(٤) فتح المجيد ص٢٩٤.

والنهي جاء عن شد الرحال إليها والسفر من أجلها فذلك الذي صرحت الأحاديث به، أما زيارة القبور من دون شد الرحال إليها فقد اتفق العلماء على أن ذلك جائز لما أخرجه مسلم في صحيحه: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»[(١)]. بل هو قربة إلىٰ الله ﷻ ومأمور به لقول النبي ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»[(٢)] فالزيارة إذا كانت على الصفة الشرعية فإنها مشروعة[(٣)]. أما ما يفعله بعض الناس من البدع الذميمة والجهالات الوخيمة حيث لا يقصد من الحج إلا زيارة قبر النبي ﷺ ووضع الأيدي على شباكه[(٤)] فهذا جهل وضلال.

وإليك أقوال الأئمة في النهي عن شد الرحال:

قال ابن تيمية: «وسئل مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي، فقال مالك: إن كان أراد القبر فلا يأته وان أراد المسجد فليأته ثم ذكر الحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» ذكره القاضي إسماعيل في مبسوطه»[(٥)].

وقال المناوي: «... ما نقل عن مالك من منع شد الرحل لمجرد زيارة القبر من غير إرادة إتيان المسجد للصلاة فيه»[(٦)].

وقال ابن بطة: «ومن البدع البناء على القبور وتجصيصها وشد الرحل إلى زيارتها»[(٧)].

وقال النووي: «واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧).

(٢)أخرجه مسلم وقد تقدم في باب: (زيارة القبور).

(٣) انظر باب: « زيارة القبور».

(٤) انظر للاستزادة حول السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين: الفتاوى ١/ ١١٨ ـ

(٥) مجموع الفتاوى ١/ ٣٠٤.

(٦) شرح المناوي للجامع الصغير ٦/ ١٤٠.

(٧) الإبانة الصغرى ص ٩٢.

المساجد الثلاثة كالذهاب إلى قبور الصالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو حرام وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «قال الشيخ أبو محمد الجويني يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه قال عياض وطائفة»[٢].

وقال ابن قدامة: «فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد، فقال ابن عقيل: لا يباح له الترخص لأنه منهي عن السفر إليها قال النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» متفق عليه»[٣].

وقال ابن الأثير: «هذا مثل قوله (لا تعمل المطي) وكنى به عن السير والنفر، والمراد: لا يقصد موضع من المواضع بنية العبادة والتقرب إلى الله تعالى إلا إلى هذه الأماكن الثلاثة تعظيماً لشأنها وتشريفاً»[٤].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن الصحابة والتابعين والأئمة لم يعرف عنهم نزاع في أن السفر إلى القبور وآثار الأنبياء داخل في النهي كالسفر إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى وغيره ... وأما السفر إلى مجرد زيارة القبور فما رأيت أحدا من علماء المسلمين قال إنه مستحب وإنما تنازعوا: هل هو منهي عنه، أو مباح؟ وهذا الإجماع والنزاع لم يتناول المعنى الذي أراده العلماء بقولهم يستحب زيارة قبر النبي ﷺ ولا إطلاق القول بأنه يستحب السفر لزيارة قبره كما هو موجود في

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ١٠٦.
(٢) الفتح ٣/ ٦٥.
(٣) المغني ٢/ ١٠٠.
(٤) جامع الأصول ٩/ ٢٨٣.

كلام كثير منهم، فإنهم يذكـرون الحج ويقولون: يستحب للحـاج أن يزور قبر النـبي ﷺ... والمقصود أن كل من قصد السفر إلى المدينة فعليه أن يقصد السفر إلى المسجد والصلاة فيه كما إذا سافر إلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى وإذا قصد السفر إلى القبر دون المسجد وجعل المسجد لا يسافر إليه إلا لأجل القبر، واعتقد أن السفر إليه تبعا للقبر كما يسافر إلى قبور سائر الصالحين ويصلي في مساجد هناك، فمن جعل السفر إلى مسجد الرسول ﷺ وقبره كالسفر إلى قبور هؤلاء والمساجد التي عندهم فقد خالف إجماع المسلمين، وخرج عن شريعة سيد المرسلين وما سنه لأمته الغر الميامين بخلاف الذي قصد المسجد»[١].

وقال علامة حضرموت ومفتيها السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: «نص إمام الحرمين – ومثله القاضي حسين – على تحريم السفر لزيارة القبور، واختاره القاضي عياض بن موسى بن عياش في إكماله وهو من أفضل متأخري المالكية. وقام وقعد في ذلك الشيخ الإمام ابن تيمية، وخَطَّأَهُ قومٌ وصَوَّبَهُ آخرون، ومهما يكن من الأمر فَلْيَسَعَهُ ما وسع الجويني والقاضيين حسين وعياضاً، ولكنهم أفردوه باللوم! والقولُ واحدٌ. وقال مالك بن أنس: من نَذر المشي إلى مسجد من المساجد ليصلي فيه كرهتُ ذلك لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد». وقال ابن سريج – من كبار أصحاب الشافعي – إن الزيارة قربة تلزم بالنذر. والخطب يسير لم يُوَسِّعْهُ إلا الحسد والتعصب، وإلا فالتثريب في موضع الاختلاف ممنوع»[٢].

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني: «والحديث دليلٌ على فضيلة المساجد هذه ودلَّ بمفهوم الحصر أنه يحرم شد الرحال لقصد غير الثلاثة كزيارة الصالحين أحياءً وأمواتاً لقصد التقرب ولقصد المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها

---

(١) الرد على الأخنائي ١٣، ١٥، ١٨.

(٢) إدام القوت ص ٥٨٤.

والصلاة فيها» اهـ[١].

وقال السيد نعمان بن محمود الآلوسي بعد أن انتصر لرأي ابن تيمية ونهاية الكلام في هذا المقام: «أن شيخ الإسلام لم ينفرد بهذا القول الذى شُنِّع به عليه، بل ذهب إليه غيره من الأئمة الأعلام»[٢].

وقال الإمام محمد صديق حسن القنوجي: «وقد ذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ﷺ والقاضي عياض من أئمة المالكية إلى منع السفر لزيارة القبور وكرهوها، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، والحافظ ابن قيم الجوزية، وقبلهما ابن عقيل وابن بطة من الحنابلة، وإليه ذهب إمام الحرمين أبو محمد الجويني.

وتغليط الغزالي إياه غلط لعدم تفرده بذلك، وكذلك القاضي حسين من الشافعية، وجماعة من الحنفية المتأخرة، الكائنة في هذه المائة الثالثة عشر من الهجرة الشريفة.

وقد حقق بعض أهل العلم هذه المسألة في كتابه جلاء العينين في المحاكمة بين أحمدين وذهب إلى ما هو الصواب فيها إن شاء الله تعالى.

وحققها أيضا صاحب مسك الختام في كتب ورسائل عديدة منها عون الباري والسراج الوهاج ورحلة الصديق إلى البيت العتيق وغيرها، وهي مذكورة أيضا في النهج المقبول والبنيان المرصوص ونحوهما راجع ذلك.

وقد ذب جماعة من المحققين عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة، منهم الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي ومن تبعه من علماء السنة من أهل الهند وصاحب الصارم المنكي، وصاحب القول الجلي، وغيرهما.

ولا شك في أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ومن تبعه فيه ليس هو مذهبه خاصة، بل

---

(١) سبل السلام ٣/ ٣٩٤.

(٢) جلاء العينين ص ٥١٨.

قال به قبله وبعده جماعة من أهل العلم، فالطعن عليه رحمه الله خاصة في هذه المسألة وما في معناها، طعن لا يصيب إلا صاحبه، وسب لا يرجع إلا إلىٰ قائله، وكيف يجوز هذا في شأنه؟! وإن هذا لا يجوز في حق أحد من المسلمين، كما قال ﷺ: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر». و «من قال لأخيه كافرا فقد باء به إن لم يكن كذلك»»(١).

وقال الألباني رحمه الله: «وفي هذه الأحاديث تحريم السفر إلىٰ موضع من المواضع المباركة، مثل مقابر الأنبياء والصالحين، وهي وإن كانت بلفظ النفي «لا تُشَدَّ» فالمراد النهي كما قال الحافظ، علىٰ وزن قوله تعالىٰ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ وهو كما قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به»... قلت(٢): ومما يشهد لكون النفي هنا بمعنىٰ النهي رواية لمسلم في الحديث الثاني: «لا تشدوا»»(٣).

ثم ذكر أقوال من تساهل في السفر لغير المساجد الثلاثة ورد عليهم مفنداً أقوالهم في كتابه النفيس أحكام الجنائز(٤).

ومما قاله رحمه الله: «والخلاصة: إن ما ذهب إليه أبو محمد الجويني الشافعي وغيره من تحريم السفر إلىٰ غير المساجد الثلاثة من المواضع الفاضلة هو الذي يجب المصير إليه، فلا جرم اختاره كبار العلماء المحققين المعروفين باستقلالهم في الفهم، وتعمقهم في الفقه عن الله ورسوله أمثال شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ فإن لهم البحوث الكثيرة النافعة في هذه المسألة الهامة، ومن هؤلاء الأفاضل الشيخ ولي الله الدهلوي، ومن كلامه في ذلك ما قال في

---

(١) الدين الخالص ٣/ ٥٩٠، ٥٩١. وانظر أيضاً شرحه لصحيح مسلم ٥/ ١١٣.

(٢) القائل هو الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) أحكام الجنائز ص٢٢٦، ٢٢٧.

(٤) من ص ٢٢٧ إلىٰ ص ٢٣١.

الحجة البالغة ١/ ١٩٢: «كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها ويتبركون بها، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى، فسَدَّ ﷺ الفسادَ، لئلا يلحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله، والحق عندي أن القبر، ومحل عبادة ولي من الأولياء والطور كل ذلك سواء في النهي».

ومما يحسن التنبيه عليه في خاتمة هذا البحث أنه لا يدخل في النهي السفر للتجارة وطلب العلم، فإن السفر إنما هو لطلب تلك الحاجة حيث كانت لا لخصوص المكان، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله فإنه هو المقصود كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية»[(١)]»[(٢)].

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما شد الرحال لزيارة القبور فلا يجوز، وإنما يشرع لزيارة المساجد الثلاث خاصة، لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» متفق على صحته. وإذا زار المسلم مسجد النبي ﷺ دخل في ذلك على سبيل التبعية زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه وقبور الشهداء وأهل البقيع وزيارة مسجد قباء من دون شد الرحل، فلا يسافر لأجل الزيارة ولكن إذا كان في المدينة شرع له زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه، وزيارة البقيع والشهداء ومسجد قباء.

أما شد الرحال من بعيد لأجل الزيارة فقط فهذا لا يجوز على الصحيح من قولي العلماء»[(٣)].

---

(١) في الفتاوى٢/ ١٨٦.

(٢) أحكام الجنائز ص١٢٢-١٢٣. ٤/ ٣١٥. ٢٧/ ٢٠-٢١. مجموعة الرسائل الكبرى ابن تيمية ٢/ ٣٩٥. الرد على البكري ص٢٣٣. الإبداع علي محفوظ ص١٢٤، ٢١٩، ٣٨٤. السنن والمبتدعات الشقيري ص١٦٦. مناسك الحج والعمرة الألباني ص٦٠. أحكام الجنائز الألباني ص٢٦٢ رقم ١٧٣. السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٢٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٧٥٤ـ ٧٥٥.

قال الشيخ بكر أبو زيد في معرض كلامه عن ابن القيم: «فكان من الأعمال المعدودة من باب القربات: شد الرحال إلىٰ قبر الخليل ـ فأنكر ابن القيم ذلك ونعىٰ علىٰ معاصريه عامتهم وخاصتهم وبين أن شد الرحال له من الأمور المنكرة في الدين والبدع المخالفة للصراط المستقيم فأحدث ذلك صراعا عجيباً أوذي وسجن بسببه وفي ذلك يقول ابن رجب: «وقد حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلىٰ قبر الخليل»»[(١)].

❖ **أدلة المجيزين لاستحباب السفر لزيارة القبر:**

استدل المجيزون للسفر إلىٰ مجرد قصد زيارة القبر الشريف بأحاديث عديدة وهي إما موضوعة أو ضعيفة جدا لا تقوم بها حجة[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة، باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية ـ الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ـ كره أن يقول الرجل: «زرت قبر النبي ﷺ» ولو كان هذا اللفظ مشروعا عندهم، أو معروفا مأثورا عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة، والإمام أحمد ـ أعلم الناس في زمانه بالسنة ـ لما سئل عن ذلك ـ أي عن زيارة قبر النبي ﷺ ـ لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتىٰ أردّ عليه السلام»[(٣)] وعلىٰ هذا اعتمد أبو داود في سننه... إلخ»[(٤)].

---

(١) انظر كتاب جهود ابن القيم ص٧٠. وانظر كلام ابن رجب في الدرر الكامنة ٤/ ٢٣.

(٢) انظر الصارم المنكي للإمام محمد بن أحمد عبد الهادي فقد رد جميع الأحاديث التي استدل بها تقي الدين السبكي في كتابه: شفاء السقام في زيارة خير الأنام. وانظر أيضاً رسالة كشف الستر عما ورد في السفر إلىٰ القبر للشيخ حماد الأنصاري.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤١).

(٤) الرد علىٰ الأخنائي ص١٨٩ بتصرف يسير.

وذكر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في موضع آخر أمثلة ما يروىٰ من تلك الأحاديث فقال: «ومنها حديث: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي». مثل ما يروون أنه قال ﷺ: «من زارني بعد مماتي كنت له شفيعا يوم القيامة»... إلىٰ أن قال: فهذه الأحاديث وما أشبهها كلها كذب موضوع علىٰ النبي ﷺ لم يثبت عنه لفظ واحد في زيارة قبره. وقال: كيف يكون زائر قبره كالمهاجر إليه في حياته؟ فإنما زيارته في حياته إنما شرعت لمن يأتي ويبايعه علىٰ الإسلام والجهاد أو يطلب منه العلم، أو نحو ذلك من المقاصد المأمور بها في حياته، التي لا يحصل شيء منها بزيارة قبره»[(١)].

قال ابن باز رحمه الله: «ولو كان شيء من هذه الأحاديث ثابتاً لكان الصحابة رضي الله عنهم أسبق الناس إلىٰ العمل به، وبيان ذلك للأمة ودعوتهم إليه، لأنهم خير الناس بعد الأنبياء، وأعلمهم بحدود الله وبما شرعه لعباده، وأنصحهم لله ولخلقه فلما لم يُنقل عنهم شيء من ذلك دل علىٰ أنه غير مشروع»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي علىٰ القبور هم أهل البدع من الرافضة وغيرهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً»[(٣)].

ومن أدلة المجيزين ما يروونه من (أن بلالاً رضي الله عنه رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وهو في الشام في منامه وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما آن لك أن تزورني يا بلال؟!، فانتبه حزيناً خائفا فركب راحلته وقصد المدينة) قال الحافظ

---

(١) الرد علىٰ البكري ص٥٥. وانظر مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٢٢٤.

(٢) التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ١٠٩.

(٣)مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٢٢٤.

ابن حجر في اللسان[١]: «هذه قصة بينة الوضع»[٢].

قال الحافظ ابن عبدالهادي: «الأثر المذكور عن بلال ليس بصحيح»[٣].

وقال الذهبي: «إسناده ليّن وهو منكر»[٤].

❖ **مسألة في حكم شد الرحال لزيارة الأهرامات:**

سُئل الشيخ ابن جبرين عن زيارة مقابر الكفار كالأهرامات بمصر حيث يوجد بها مقابر الفراعنة وآثارهم فأجاب رحمه الله بقوله: «لا يجوز شد الرحال إليها، ولو كان ذلك للاعتبار والتذكر، ولكن إذا كان هناك في مصر، أي: أتاها من غير شد رحل للاعتبار والنظر في آثار من قبلنا.. فلا مانع من ذلك إن شاء الله، ولو كان فيها قبور المشركين؛ لأن لم يقصد بزيارته تعظيم القبور»[٥].

١٦٥- شروط «لا إله إلا الله»

انظر باب: (لا إله إلا الله)

(١) ١/١٠٧.

(٢) انظر تنزيه الشريعة ٢/١١٨.

(٣) الصارم المنكي ص ٣١٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ١/٣٥٨.

(٥) الكنز الثمين من فتاوى ابن جبرين ١/ ٢٤٩.

١٦٦- الشرك *

الشرك لغة: يطلق على التسوية والنصيب والمخالطة وحبالة الصائد، ذكر صاحب مقاييس اللغة أن مادة «الشرك» المكونة من حرف «الشين والراء والكاف» لها أصلان:

أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف وانفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة.

فالأول: الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ ويقال في الدعاء: «اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين» أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك.

---

* مجموع الفتاوى ٣/ ٢٣، ٢٤، ٢٧٢، ٣٩٥، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٤٢، الجواب الصحيح ٦/ ٣١، الاستقامة ١/ ٣٤٤، أحكام القرآن للقرطبي ٥/ ١٨١. الجواب الكافي ص١٣٧، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب ص٢٥، ٢٦، تيسير العزيز الحميد ص٤٣، ١١٨، ٥٢٩ . فتح المجيد ص ١٠٢،٤٣١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٥٠. ٢٦٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ١٠٩، ط٢-١/ ١٤٥ ومن المجموع ٩/ ١٠٢. الدرر السنية ١/ ٨٣، ١٥٩، ١٨٩، ٢/ ٤٣، ٦٩، ١٨٤، ٣٠٧، ٨/ ٢١٥، ٩/ ٤١٠، ١١/ ٢٩، ١٢/ ٨٦، مجلة البحوث الإسلامية العدد ٧٣.شجرة الإيمان للسعدي ٣/ ٢٧٠.أهم المهمات للسعدي من المجموعة ٣/ ٦٥. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٠١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١١٥_٢٨٣. الدين الخالص ١/ ٦٩، ٧٨، ٢١٣، ٣٠٩، ٣١٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٣٨٧. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص١٧٧، ١٧٨. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٩٠ ـ ٤٤٤. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٢٦٣. الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٦٣. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة ص٤٠٥. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨٢.

وأما الثاني: فالشرك: لقم الطريق، وهو شراكه أيضاً، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شراك الصائد سمي ذلك لامتداده»[١].

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: «الشرك بمعنى الشريك، وهو بمعنى النصيب وجمعه أشراك كشبر وأشبار»[٢].

وقال الراغب: «الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدا، عينا كان ذلك الشيء، أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية»[٣].

وقال في اللسان: «الشركة والشركة سواء» مخالطة الشريكين يقال: اشتركنا بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر والشريك المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء»[٤].

وقال الرازي: «والشَّرَكُ بفتحتين حبالة الصائد الواحدة منها شركة»[٥].

وفي الشرع: قال شيخ الإسلام: «أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده»[٦].

وقد عرفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: «هو أن يدعو مع الله غيره أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها»[٧].

ويمكن أن يعرف بأنه مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله[٨].

---

(١) مقاييس اللغة (ش ر ك).

(٢) تهذيب اللغة ١٠/ ١٧ (ش ر ك).

(٣) المفردات للراغب ٣٨٠.

(٤) لسان العرب (ش ر ك).

(٥) مختار الصحاح (ش ر ك).

(٦) الاستقامة ١/ ٣٤٤.

(٧) شرح نواقض التوحيد ص١٤.

(٨) انظر التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمة المعرفة للشيخ إبراهيم بن صالح الخريصي ص٦٤، ٩٩.

قال ابن القيم رحمه الله: «حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ؛ فعكس من نكس الله قلبه، وأعمى عين بصيرته، وأركسه بكسبه، وجعل التوحيد تشبيهاً، والتشبيه تعظيما وطاعة: فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ـ فضلا عن غيره ـ شبيها لمن له الأمر كله، فأزِمَّة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد. فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات»[(١)].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «حقيقة الشرك بالله أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يُعظّم كما يُعظّم الله، أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧ـ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١].

فوائد ومسائل:

١ - فائـدة: قرر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أن أعظم ما نهى الله عنه الشرك وأعظم ما أوجبه التوحيد[(٣)].

---

(١) الجواب الكافي ١٤١.

(٢) تفسير كلام المنان ٢/ ٤٩٩.

(٣) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين، من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٣.

قال ابن عثيمين معلقاً علىٰ ذلك: «وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله ﷻ فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله»[١].

٢ - أقسام الشرك:

الشرك أقسام متعددة فمن نظر إلىٰ الشرك عموما فإنه يُقَسِّمه علىٰ حسب أنواع التوحيد الثلاثة فيقال شرك في الألوهية وشرك في الربوبية وشرك في الأسماء والصفات[٢].

ومن نظر إلىٰ شرك الألوهية فإنه يقسمه إلىٰ: «أكبر وأصغر»[٣]. ومنهم من يقسمه إلىٰ ثلاثة أقسام: «أكبر وأصغر وخفي» وهو المشهور[٤].

وهذه كلها تقسيمات وأنواع بحسب مراد المتكلّم منها وأوصلها بعضهم إلىٰ أربعة عشر نوعا وبعضهم إلىٰ أكثر من ذلك.

وقَسَّمه ابن القيم رحمه الله فقال: «شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك.

الثاني: شرك من جعل مع الله إلها آخر ولم يعطل أسمائه وصفاته وربوبيته كشرك النصارىٰ الذين جعلوه ثالث ثلاثة وأما الشرك في العبادة فينقسم إلىٰ مغفور وغير مغفور وأكبر وأصغر ثم فصل في أنواع الشرك التابعة لذلك وهي كالتالي:

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٣، ٤٤.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٣٩، والدرر السنية ٢/ ١٨٤.

(٤) الدرر السنية ٢/ ٧٠، رسالة في أنواع التوحيد وأنواع الشرك لعبدالرحمن بن حسن ضمن الجامع الفريد ص٣٤١.

- شرك في الأفعال كالسجود لغير الله والطواف بغير بيته.
- شرك في اللفظ كالحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشئت.
- شرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له»[١].

وقسمه شيخ الإسلام[٢] وتبعه ابن سعدي ـ رحمهما الله ـ إلى نوعين: شرك في الربوبية، وشرك في الألوهية، فقال ابن سعدي: «الشرك نوعان: شرك في ربوبيته تعالى كشرك الثانوية المجوس الذين يعتقدون مع الله خالقاً، وشرك في ألوهيته كشرك سائر المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، ويصرفون له شيئاً من العبادة ويشركون بينه وبين المخلوقين، ويسوونهم بالله في خصائصه التي لا يوصف بها غيره»[٣].

وسوف أقتصر على ذكر الأقسام الثلاثة المتعلقة بشرك الألوهية وهي:

١- الشرك الأكبر. انظر باب (الشرك الأكبر).

٢- الشرك الأصغر. انظر باب (الشرك الأصغر).

٣- الشرك الخفي. انظر باب (الشرك الخفي).

وأتبعته بشرك التسمية. وجعلت لكل نوع منها باباً مستقلاً.

٣- سبب أول شرك حصل في بني آدم:

تقدم في باب «التصوير» أن أول شرك حصل من بني آدم سببه هو الغلو في الصالحين وقبورهم[٤].

قال شيخ الإسلام: «وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظمين فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوَّروا تماثيلهم ثم عبدوهم فهذا أول شرك كان في بني آدم وكان في قوم نوح فإنه أول رسول بعث إلى أهل

---

(١) ملخصاً من الجواب الكافي ص١٣٤ - ١٤١.

(٢) انظر درء التعارض ٧/ ٣٩٠، الفتاوى ١/ ٩١.

(٣) الرياض الناضرة ص٢٣٢.

(٤) انظر باب القبور تحت بحث تاريخ عبادة القبور.

الأرض يدعوهم إلىٰ التوحيد وينهاهم عن الشرك كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾[(١)].

وقال الشيخ السعدي عند ذكره لقصة نوح: «مكث البشر بعد آدم قرونا طويلة وهم أمة واحدة علىٰ الهدىٰ، ثم اختلفوا وأدخلت عليهم الشياطين الشرور المتنوعة بطرق كثيرة فكان قوم نوح قد مات منهم أناس صالحون فحزنوا عليهم فجاءهم الشيطان فأمرهم أن يصوروا تماثيلهم ليتسلوا بهم وليتذكروا بها أحوالهم، فكان هذا مبتدأ الشر.

فلما هلك الذين صوروهم لهذا المعنىٰ جاء من بعدهم وقد اضمحل العلم فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا؛ قد كانوا أولوكم يدعونهم ويستشفعون بهم، وبهم يسقون الغيث وتزول الأمراض، فلم يزل بهم حتىٰ انهمكوا في عبادتهم علىٰ رغم نصح الناصحين»[(٢)].

وقال عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣]: «وهذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصورهم لينشطوا بزعمهم علىٰ الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد وجاء غير أولئك فقال لهم الشيطان إن أسلافكم كانوا يعبدونهم ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم»[(٣)].

٤ - فائدة معرفة الشرك:

أخرج البخاري ومسلم وغيرهم عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه قال: «كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[(٤)].

---

(١) الحسنة والسيئة ص١١٥، وانظر مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٧٩.

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص١٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٢٣.

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٨٤).

وهذا المعنى تمثل به أحد الشعراء بقوله:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «لا تنقض عرى الإسلام عروة عروة حتى ينشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية«. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ: «إذا لم يعرف ـ الإنسان ـ من الشرك ما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه أو دونه أو شر منه، فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة»[1].

ومن هنا يتلخص لنا أن في معرفة الشرك الحذر من الوقوع فيه والمحافظة على الدين والتوحيد وإذا عرف الشرك وظهر له بطلانه، عرف ضده وهو التوحيد بل لا يعرف العبد حقيقة التوحيد وفضله حتى يعرف ضده، وهو الشرك، كما قيل:

فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء[2]

٥- الفرق بين الكفر والشرك:

اختلف العلماء في الفرق بينهما؛ فقيل: إن بينهما اختلافاً. وقيل: إنهما اسمان لمسمى واحد[3].

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: «والشرك والكفر: قد يطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله، واسم لمن لا إيمان له؛ وقد يفرق بينهما، فيخص الشرك بقصد الأوثان، وغيرها من المخلوقات، مع الاعتراف بالله، فيكون الكفر أعم»[4].

ويظهر الاختلاف بينهما في اللغة، حيث يطلق الكفر على الستر والتغطية، أما

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٤/ ٤٦.

(٢) انظر التنبيهات المختصرة ص٩٧، جهود السعدي ص١٧٧.

(٣) الفصل لابن حزم ٣/ ٢٢.

(٤) حاشية ثلاثة الأصول ٣٥.

الشرك فيطلق على التسوية[١].

قال الراغب: «الشركة والمشاركة خلط الملكين وقيل هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدا عينا كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية»[٢].

وبالنظر إلى ما يقابل الكلمتين يظهر الاختلاف أيضا فإن الشرك يقابله التوحيد أما الكفر فنقيض الإيمان وكذلك يقابل الكفر الشكر. قال تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] وقال تعالى ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم.٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان.٣].

وقال الرازي: «الكفر ضد الإيمان»[٣].

وقال الراغب: «والكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً»[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٣٧].

وظاهر القرآن التفريق بينهما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة.١].

قال الراغب في معرض كلامه عن المشركين: «وقيل هم من عدا أهل الكتاب لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ

(١) انظر مدارج السالكين ١/ ٣٦٨.
(٢) المفردات ٢٥٩.
(٣) مختار الصحاح ٤٢٠.
(٤) المفردات ٤٣٥.

...﴾ [الحج.١٧] أفرد المشركين عن اليهود والنصارى»[١].

ومن أشرك بالله فقد كفر بالأوامر. قال الرازي: «والشرك أيضاً الكفر»[٢].

وقال الراغب: «يقال: أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر»[٣].

قال ابن حزم: «واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارا. واختلفوا في تسميتهم مشركين»[٤].

ثم نص القول في تسميتهم مشركين في كتابه، وبين أن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ والرمان من الفاكهة.

والخلاصة أن الكفر أشمل من الشرك فكل شرك كفر وليس كل كفر شركاً. ومن أمثلة ذلك الاستهزاء برسول الله ﷺ أو القرآن فإنه كفر وليس شركا كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]. والكفر يطلق على الجحود، والإلحاد، والنفاق، والاستكبار، والاستحلال والإعراض فهذه كلها داخلة في الكفر.

أما الأمور الشركية كعبادة غير الله من الملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم ودعائهم من دون الله، وطلب الحوائج منهم، وعبادتهم عبادة كاملة مع نسيان الله بالكلية فهذا يطلق عليه شرك وكفر. قال العسكري في الفروق: «الكفر يقع على ضروب

---

(١) المفردات (ش ر ك).

(٢) مختار الصحاح (ش ر ك).

(٣) المفردات (ش ر ك).

(٤) مراتب الإجماع ص١١٩، ١٢٠.

من الذنوب، فمنها: الشرك بالله، ومنها الجحد للنبوة، ومنها استحلال ما حرم الله، وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك مما يطول الكلام فيه وأصله التغطية»[١].

قال ابن سعدي رحمه الله: «الكفر أعم من الشرك فمن جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه بلا تأويل فهو كافر سواء كان كتابياً أو مجوسياً أو وثنياً أو ملحداً، أو مستكبراً أو غيرهم، وسواء كان معانداً أو كافراً، ضالاً أو مقلداً»[٢].

وقال ابن باز رحمه الله: «ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة، فإنه يسمى شركا ويسمى كفرا، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام أو الجن أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم وينسى الله بالكلية فهذا أعظم كفرا وأشد شركا، نسأل الله العافية»[٣].

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٢٨.

(٢) الرياض الناضرة ص٢٣٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ص٧٠٤.

١٦٧- الشرك الأصغر*

هو: «ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر»[١].

وعرفه الشيخ السعدي بأنه: «كل وسيلة يتوسل بها ويتطرق بها إلى الشرك الأكبر بشرط أن لا يبلغ مرتبة العبادة كالحلف بغير الله والرياء والتصنع للمخلوقين ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤدية إلى الشرك»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الشرك الأصغر هو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج من الملة»[٣].

قالت اللجنة الدائمة في تعريف الشرك الأصغر بأنه: «كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه وجاء في النصوص تسميته شركاً»[٤].

---

* مجموع الفتاوى ٧/ ٧٢، ٧٤، ٨٢. مدارج السالكين ١/ ٣٤٤. الجواب الكافي ص١٥٥. تيسير العزيز الحميد ص٤٣، ١١٨، ٥٢٩. فتح المجيد ص١٠٢، ٤٣١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٥٠، ٢٦٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١١٠، ٢٠٦، ط٢-١/ ١٤٥ ومن المجموع ٩/ ١٠٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٩٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٥. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٥٣٣. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٠٦. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٠٣، ٧/ ٣٣، ١١٥. معارج القبول ١/ ٣٦٦. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٨٧. بعض انواع الشرك الأصغر للدكتور/ عواد المعتق. كتاب الشرك الأصغر لآل عبد اللطيف. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٩٥. منهج ابن رجب في العقيدة ص٢٠١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٣٨٣، ٣٨٤.

(١) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ٥٠.

(٢) القول السديد ص٢٤، ٤٢، ٤٤. وانظر كتاب سؤال وجواب في أهم المهمات ص١٨.

(٣) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٦. وانظر المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين ٢/ ٢٧.

(٤) فتاوى اللجنة ١/ ٥١٧.

* الدليل من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

* الدليل من السنة: حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاء، يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(٢)].

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار»[(٣)].

أحكام وفوائد:

١- يعرف الشرك الأصغر بأمور منها:

أولاً: صريح النص عليه، كقوله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء»[(٤)].

ثانياً: أن يأتي منكّرا غير معرّف، فإن جاء معرّفا بـ«ال» دل على أن المقصود به الشرك المخرج من الملّة. ومن ذلك قوله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك[(٥)]»[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٠٣٠) (٢٤٠٣١) (٢٤٠٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٩٣).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر في ذلك مدارج السالكين ١/ ٣٤٤، ضوابط التكفير عند أهل السنة للقرني ٢٥٧، ٢٥٨، وكتاب الشرك الأصغر لآل عبد اللطيف ٣٢.

فائـــــدة:

من الشرك الأصغر ما يكون شركا أكبر بحسب قائله ومقصده، فمثلا الحلف بغير الله تعالىٰ في حد ذاته من الشرك الأصغر (شرك الألفاظ) لكن إن قصد قائله تعظيم غير الله تعالىٰ كتعظيم الله مثلا فهذا شرك أكبر.

٢- أضرار الشرك الأصغر:

من أضراره عموم الوعيد الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «يجب الحذر من الشرك مطلقاً؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر لأن قوله ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر تقديره «إشراكاً به» فو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم»[(١)].

ومن أضراره أنه يُضاد الإخلاص ولا يتم التوحيد إلا بالإخلاص. قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥] قال الشيخ السعدي رحمه الله: «فلا يتم للعبد توحيد حتىٰ يتبرأ من الشرك كله جليه وخفيه ظاهره وباطنه الأقوال منه والأفعال، وتكون أعماله كلها خالصة متبعا سنة رسول الله ﷺ»[(٢)].

ومن أضراره أنه وسيلة قد تؤدي بصاحبها إلىٰ الشرك الأكبر.

ومن أضراره أنه يبطل ثواب العمل[(٣)]، يقول تعالىٰ ـ في الحديث القدسي ـ: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثمين ٧/ ٣٣، وانظر ص١٦٦، ٢/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦، ٩/ ٤٣٤.

(٢) الحق الواضح المبين ص١١٦.

(٣) الجواب الكافي ص١٥٥.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

٣- الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

أولاً: الأكبر لا يغفر الله لصاحبه، وأما الأصغر فقد اختلف فيه، فقيل: إنه تحت المشيئة. وقيل: إن صاحبه إذا مات فلابد أن يعذبه الله عليه لكن لا يخلد في النار.

ثانياً: الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

ثالثاً: أن الأكبر مخرج عن الملة، وأما الأصغر فلا يخرج منها ولذا فمن أحكامه أن يعامل معاملة المسلمين. فيناكح، وتؤكل ذبيحته ويرث ويورث ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

رابعاً: أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، وأما الأصغر فلا يخلد في النار إن دخلها كسائر مرتكبي الكبائر[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «اعلم أن الشرك الأكبر، والشرك الأصغر يفترقان في أحكام كثيرة دل عليها الكتاب والسنة والإجماع: يفترقان في حدهما: أما الشرك الأكبر فهو صرف نوع من العبادة لغير الله تعالى فكل ما ثبت في الكتاب والسنة من العبادات إذا صرف العبد منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر

وأما حد الشرك الأصغر فهو كل وسيلة يخشى أن توصل صاحبها إلى الشرك الأكبر كالحلف بغير الله، وكالرياء والسمعة وكالغلو في المخلوق الذي لا يصل إلى رتبة عبادته فهذا هو أصل الفروق بينهما.

الفرق الثاني والثالث: أن الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالكفر والخروج من الإسلام، ومحكوم عليه أيضا بالخلود في النار، وتحريم دخول الجنة.

وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك في الحكمين فإنه لا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الإسلام، ولا يخلد في النار إذا لم يفعل مكفرا آخر.

---

(١) الكواشف الجلية ص١٨٧، فتاوى اللجنة ١/ ٥١٨، شرح نواقض التوحيد ص٢٦، الشرك في القديم والحديث ١/ ١٧٦.

فهذه الأحكام الثلاثة وما يترتب عليها من التفريعات المبنية عليها لم يختلف فيها أهل العلم لأن نصوص الكتاب والسنة فيها كثيرة قاطعة صريحة»[١].

٤ - حكم مرتكب الشرك الأصغر:

تبين مما سبق أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار وقد ذكر العلماء في حكم مرتكبه قولين:

* **القول الأول:** أن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...﴾ [النساء:١١٦]. وهذه الآية قال عنها بعض أهل العلم أنها تشمل كل شرك ولو كان أصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره، وأما بالنسبة لكبائر الذنوب كالخمر والزنىٰ فإنها تحت المشيئة إن شاء الله غفرها وإن شاء أخذ بها.

وقد تكلم شيخ الإسلام عن هذه المسألة ولكن اختلف كلامه فيها، قال الشيخ ابن عثيمين عن ذلك: «فمرة قال: الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر، ومرة قال: الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر»[٢].

وذكر أنه استدل علىٰ أن «الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر؛ لعموم قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، و﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ وأن مؤول بمصدر تقديره: شركاً به، وهو نكرة في سياق النفي؛ فيفيد العموم»[٣].

وبالنظر إلىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نجده يقول:

«وأعظم الذنوب عند الله الشرك به، وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك منه جليل ودقيق، وخفي وجليّ»[٤].

(١) مستفاد من كتاب جهود السعدي ص١٨٧، ١٨٨.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٠٤.

(٣) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٩/ ١٩٨.

(٤) جامع الرسائل ٢/ ٢٥٤.

ويقول بعبارة صريحة: «وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن، وإن كان صاحب الشرك يموت مسلما، لكن شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة»(١).

* **القول الثاني**: أن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، ويكون المراد بقوله: «أن يشرك به» الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر؛ فإنه يغفر لأنه لا يخرج من الملة، وكل ذنب لا يخرج من الملة؛ فإنه تحت المشيئة، وهذا القول لا يقلل من أهميته؛ فصاحب الشرك الأصغر على خطر، وهو أكبرمن كبائر الذنوب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً»(٢).

ويفهم من عبارات ابن القيم أن الشرك الأصغر تحت المشيئة، حيث يقول رحمه الله: «فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء»(٣).

ويقول: «الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه»(٤) إلى أن يقول: «وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للمخلوق»(٥).

وقد بحث العلامة السعدي هذه المسألة فقال رحمه الله: «من لحظ إلى عموم الآية ـ

---

(١) الرد على البكري تلخيص كتاب الاستغاثة ص١٤٦ وانظر رسالة البيان الأظهر لعبد الله أبابطين ص١٠، وتيسير العزيز الحميد ص ٩٨.

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٩٩/٩.

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٩٨، الجواب الكافي ص١٧٧، ومع ذلك فإن ابن القيم يؤكد على أن الشرك فوق رتبة الكبائر كما ذكر ذلك في إعلام الموقعين ٤/ ٤٠٣. انظر كتاب الشرك لآل عبد اللطيف ص ٣٥، ٣٦.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٣٣٩.

(٥) مدارج السالكين ١/ ٣٤٤.

يعني قوله تعالى ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ وأنه لم يخص شركاً دون شرك، أدخل فيها الشرك الأصغر، وقال إنه لا يغفر، بل لا بد أن يعذب صاحبه، لأن من لم يغفر له لابد أن يعاقب، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره، ولا بخلوده في النار، وإنما يقولون: يعذب عذابا بقدر شركه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة.

وأما من قال: إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية، وإنما هو تحت المشيئة فإنهم يحتجون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة.٧٢] فيقولون: كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر.٦٥] لأن العمل هنا مفرد مضاف، ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.

ويؤيد قولهم أن الموازنة بين الحسنات والسيئات التي هي دون الشرك الأكبر، لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع.

قالوا: وإذا فارق الشرك الأكبر في تلك الأحكام السابقة بأنه لا يحكم عليه بالكفر والخروج من الإسلام ولا بالخلود في النار، فارقه في كونه مثل الذنوب التي دون الشرك وأنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه؛ ولأن مشاركته للكبائر في أحكامها الدنيوية والأخروية أكثر من مشاركته للشرك الأكبر ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات وبين السيئات التي هي دون الشرك الأكبر لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع.

وأما السيئات التي دونه فيقع بينها الموازنة من رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة بلا عذاب، ومن رجحت سيئاته على حسناته، استحق دخول النار بقدر ذنوبه، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف الذين مآلهم إلى دخول

الجنة، ولكن الأولون قد يجيبون عن هذا بأنه قد يعذب صاحب الشرك الأصغر قبل الموازنة، إما في البرزخ، وإما قبل ذلك أو بعده في عرصات القيامة، فيقول الآخرون: وكذلك الكبائر قد يعذب صاحبها قبل الموازنة فتسقط الموازنة بها فلا يختص بذلك الشرك الأصغر، ومن تأمل الأدلة من الكتاب والسنة أمكنه أن يعرف الراجح من القولين»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله: «ومن المعلوم بالضرورة من الدين المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة، ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآبدين. وأن من مات لا يشرك بالله شيئا يدخل الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحن، وأما الشرك الأصغر كيسير الرياء، وقول الرجل ما شاء الله وشئت، ومالي إلا الله وأنت ونحو ذلك فيطلق عليه الشرك كما في حديث «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ». ونحو ذلك، ولكن لا يخرج بذلك من الملة بالكلية، ولا يستحق اسم الكفر على الإطلاق، فهو أخف من الأكبر، وقد يكون أكبر بحسب حال قائله ومقصده»[(٢)].

ويخشى على صاحب الشرك الأصغر أن يأتي بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فيكبر شركه الأصغر حتى ترجح به سيئاته فيدخل النار.

قال شيخ الإسلام: «فإن قالها ـ يعني: لا إله إلا الله ـ على وجه الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر؛ فهذا غير مصر على ذنب أصلاً فيغفر له ويحرم على النار.

وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان

---

(١) ضمن فتاوى بعثها الشيخ السعدي إلى الشيخ عبد الحمن بن عبد العزيز الحصين، وهذه الفتاوى مؤرخة بتاريخ ٢٩/ ٦/ ١٣٧٤هـ مخطوطة مستفاد من كتاب جهود ابن سعدي ص١٨٨، ١٨٩.

(٢) حاشية على كتاب التوحيد لابن قاسم ص ٥٣.

الحسنات، كما في حديث البطاقة[١]. فيحرم على النار، لكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه.

وهذا خلاف من رجحت سيئاته حسناته، ومات، فإنه يستوجب النار، وإن كان قال: لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل قالها وأتى بعدها بسيئات رجحت على هذه الحسنات، فإنه في حال قوله لها مخلصا مستيقنا بها قلبه تكون حسناته راجحة، ولا يكون مصرا على سيئة، فإن مات قبل دخل الجنة.

ولكن بعد ذلك قد يأتي بسيئات راجحة، ولا يقولها بالإخلاص واليقين المانع من جميع السيئات ومن الشرك الأكبر والأصغر، بل يبقى معه الشرك الأصغر، ويأتي بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فترجح سيئاته؛ فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين فيضعف بسبب ذلك قول: لا إله إلا الله؛ فيمتنع الإخلاص في القلب فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن يختبر بها من غير ذوق طعم ولا حلاوة.

فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل قد يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك الصدق واليقين الضعيف، وقد يقولونها من غير يقين وصدق تام، ويموتون

---

(١) نص حديث البطاقة عن عَبْد الله بنَ عَمْرِو بنِ العَاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يقول: «إنَّ الله عز وجل يستخلص رَجُلاً مِنْ أُمَتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍ مَدّ البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحافِظُونَ؟ فيَقُولُ لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ وحسنة؟ فيبهت الرجل فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً واحدة، لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ له بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أحضروه، فَيَقُولُ: يَا ربِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَع هَذِهِ السِّجِلاَّتُ؟ فَيُقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَت البِطَاقَةُ، ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ». أخرجه أحمد (٦٩٩٤) وابن ماجه (٤٣٠٠).

علىٰ ذلك ولهم سيئات كثيرة. فالذي قالها بيقين وصدق تام: إما أن لا يكون مصرا علىٰ سيئة أصلا، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

والذين دخلوا النار قد فات فيهم أحد الشرطين، إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافي للسيئات أو لرجحانها علىٰ الحسنات، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت علىٰ حسناتهم فضعف لذلك صدقهم ويقينهم، فلم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين يمحو سيئاتهم، أو يرجح حسناتهم.

فقول السلف في قوله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام:١٦٠] وقوله: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل:٨٩] هي قول: لا إله إلا الله كما قالوا وكما بين ذلك رسول الله ﷺ إذا قالها بصدق ويقين ومات علىٰ ذلك، فإن هذا يكون قائماً بالواجب، وتكون حسناته راجحة، والسيئة التي من جاء بها كبّ وجهه في النار هي الشرك، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والموجبتان: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. ومن يشرك به شيئا دخل النار.

وكثير من الناس، أو أكثرهم يدخل في الإيمان والتوحيد، ثم ينافق من جهة كسب الذنوب ورينها علىٰ القلوب، أو يدخل في نوع من الشرك والنفاق.

والشرك نوعان: أكبر، وأصغر. فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات علىٰ الشرك الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة علىٰ ذنوبه دخل الجنة، فإن تلك الحسنات هي توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر، ومن خلص من الشرك الأكبر، ولكن كبر شركه الأصغر حتىٰ رجحت به سيئاته دخل النار.

فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر، أو كان كثيرا أصغر، فالأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به، والخلاص من الأكبر ومن أكثر الأصغر

الذي يجعل السيئات راجحة على الحسنات فصاحبه ناج، ومن نجا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ورجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة»[١].

٥- أمثلة الشرك الأصغر وصوره:

الشرك الأصغر قد يكون ظاهراً جلياً، وربما كان خفياً دقيقاً، كما أنه يكون في الإرادات والنيات، ويكون في الأقوال والأفعال قال ابن القيم: «وأما الشرك الأصغر؛ فكيسير الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده»[٢].

(١) تفسير آيات أشكلت ٣٦١ - ٣٦٤.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٤٤.

١٦٨- الشرك الأكبر*

هو أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته[١] وهو من أعظم ما نهى الله عنه وأشد أنواع الظلم وأكبر الكبائر ـ نعوذ بالله منه ـ.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمنا لخروج الإنسان عن دينه»[٢].

قال السعدي رحمه الله: «الشرك المناقض لتوحيد الألوهية نوعان: جلي ظاهر مخرج من دائرة الإسلام وهو الشرك الأكبر، وهذا النوع لا يقبل الغفران قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] وتفسيره: أن يتخذ العبد لله ندا يحبه كمحبة الله أو يرجوه أو يخافه كخوفه من الله، أو يدعوه أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة. وفي هذا المقام لا فرق بين الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين والطالحين والأشجار والأحجار وغيرها

---

* الجواب الكافي ص١٤٠. تحقيق كلمة الإخلاص ص١٦، ١٧. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ١٥١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٩٣. معارج القبول ١/ ٣٤٠، ٣٥٥، ٢/ ٤٨٣، وفتاوى اللجنة ١/ ٥١٦، ٥١٧. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ١٤. نور على الدرب لابن باز ص٢٥١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١١٥. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٧٢. مجلة البحوث الإسلامية عدد ص٧٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٨٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٣٩٣. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٢٠٠. منهج ابن حجر في العقيدة ١٠٥٥. نواقض الإيمان القولية والعملية ص١٣٥. شرح نواقض التوحيد للعواجي ص١٣. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤٠٨.مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٣٧٧، ٣٨٤.

(١) معارج القبول ٢/ ٤٨٣، وفتاوى اللجنة ١/ ٥١٦، ٥١٧.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٦.

فمن صرف لشيء منها نوعا من العبادة فهو مشرك كافر قد سواها بربه في هذا الحق الذي يختص به، فإن العبودية لا حق فيها لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما، بل هم مفتقرون غاية الافتقار إلى تألههم وتعبدهم لله»[١].

وقال رحمه الله: «حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعا أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله»[٢].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان.١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء.٤٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء.١١٦] وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام.٨٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان.٢٣]، وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر.٦٥].

* **أقسام الشرك الأكبر**[٣]:

أنواع الشرك الأكبر المتعلق بالألوهية والعبادة أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت.٦٥].

النوع الثاني: شرك النية وهي الإرادة والقصد، والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ

---

(١) الحق الواضح المبين ص١١٥، ١١٦.

(٢) القول السديد ص٢٤، ٤٣.

(٣) انظر في ذلك: الدرر السنية ٢/ ٦٩، ٧٠، مجموعة التوحيد ص٥، الضياء الشارق ص٤٢١. الجامع الفريد ص٣٤١ رسالة في أنواع التوحيد وفي أنواع الشرك.

يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود.١٥ـ١٦].

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة.٣١]. وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم. كما فسرها النبي ﷺ لعدي ابن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية. فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله واعتقد ذلك بقلبه مع علمه بأنه مخالف للدين فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وأشرك به الشرك الأكبر[1].

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآيات [البقرة.١٦٥-١٦٧].

* أضرار الشرك الأكبر:

١ـ أنه أعظم الظلم على الإطلاق كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان.١٣].

٢ـ أنه يحبط العمل قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام.٨٨]. وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان.٢٣] وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ

(١) الدرر السنية ٢/ ٧٠، التنبيهات المختصرة ص١٠٥.

﴿أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر.٦٥].

٣ ـ أن صاحبه خالد مخلد في النار ولا يغفر الله له إلا بالتوبة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء.٤٨]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة.٧٢]

٤ ـ أنه حلال الدم والمال[(١)]، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة.٥]. وقوله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهم علىٰ الله»[(٢)].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: «وكذلك أجمعوا علىٰ أن المشرك لو قلد عنقه أو ذراعيه بلحاء جميع أشجار الحرم لم يكن ذلك له أماناً من القتل إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان»[(٣)].

وقال ابن حجر رحمه الله: «قال الخطابي معناه أن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم فإذا أسلم صار مصان الدم»[(٤)].

---

(١) الكافر الأصل فيه أنه حلال الدم والمال ما لم يكن من أهل الذمة أو يكن بيننا وبينه عهد أو ميثاق أمان كما وضحناه في مواضع من هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥). ومسلم (٢٢).

(٣) تفسير الطبري ٦/ ٦١.

(٤) فتح الباري ١٢/ ١٨٩.

٥ـ وتحرم مناكحته لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ [البقرة.٢٢١]. كما تحرم ذبيحته لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام.١٢١].

ويستثنى أهل الكتاب، فحرائر نسائهم العفيفات[١]، وذبائحهم حلال لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة.٥].

٦ـ كما أن المشرك لا يرث ولا يورث بل ماله لبيت المال ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

---

(١) انظر المغني لابن قدامة ٩/ ٥٤٥، وفتح القدير ٢/ ١٥، مجلة البحوث الإسلامية عدد ٧٣.

١٦٩- الشرك الخفي*

هو أن يعمل الرجل لمكان الرجل، وهو الرياء أيضاً[١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «سمي الرياء شركا خفياً، لأن صاحبه يظهر أن عمله لله، ويخفي في قلبه أنه لغيره وإنما تزين بإظهاره أنه لله بخلاف الشرك الجلي، وفي حديث محمود بن لبيد[٢] الذي تقدم في باب الخوف من الشرك تسميته بالشرك الأصغر.

وعن شداد بن أوس قال: «كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ، الشرك الأصغر»[٣]»[٤].

وهو كما علمت غير مخرج من الملة، ولكن تجب التوبة منه. وهو النوع الثالث من أنواع الشرك.

* **الدليل من السنة:** في الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال الرياء» [٥].

---

* الإبانة لابن بطة العكبري ٧٢٤. تيسير العزيز الحميد ص٥٣٦، ٥٨٩، ٥٩٤. فتح المجيد ص٤٣٥، ٤٨٣، ٤٩٠. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢٦٧، ٢٩٧، ٣٠١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٠٨، ٢/ ٢٣٤، ط٢-٢/ ٢٨٧، ٣٨٥ ومن المجموع ٩/ ١٩٨، ١٠/ ٧١٢. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ١١٧. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٣٨٤.

(١) تقدم في باب الرياء، العلاقة بين الرياء والشرك.

(٢) تقدم ذكره في باب (الشرك الأصغر) في ذكر الدليل من السنة.

(٣) رواه الطبراني (٧١٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص٥٣٦.

(٥) تقدم تخريجه.

وعن أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ لما قال: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» قال: قلنا: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عُبد من دون الله أو دُعي مع الله؟ قال: «ثكلتك أمك يا صديق، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، ألا أخبركم بقول يذهب صغاره وكباره ـ أو صغيره وكبيره؟ـ» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «تقول كل يوم ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلمه، وأستغفرك لما لا أعلم، والشرك أن تقول: أعطاني الله وفلان، والند: أن يقول الإنسان: لولا فلان قتلني فلان»(١).

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قال: قلنا: بلى، قال: «الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل»(٢).

*** العلاقة بين الشرك الخفي والشرك الأصغر:**

بعض العلماء يجعل الشرك الخفي قسماً مستقلاً، وبعضهم يجعله من أقسام الشرك الأصغر، وفي حديث محمود بن لبيد سمى الرياء الشرك الأصغر، وقد جاءت نقول عن العلماء تبين أنه من الشرك الأصغر ذكر ذلك إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب حين قال: «الثالثة: أي الرياء من الشرك الأصغر»(٣). وقرر ذلك الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد(٤). وظاهر كلام السعدي رحمه الله

---

(١) مسند أبي يعلى ١/ ٦٠، ٦١ رقم (٥٤)، مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١١٢٥٢) (١٩٨٣٥)، وابن ماجه (٤٢٠٤).

(٣) كتاب التوحيد مع تيسير العزيز الحميد ص١١٩.

(٤) المصدر السابق.

أن الخفي مرادف للأصغر حيث قال: «والشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد في كل المنافاة وهو نوعان: شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي»[١].

أما الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله فيرى أن الشرك الخفي قد يكون من الشرك الأكبر، وقد يكون من الشرك الأصغر، قال رحمه الله: «وهناك شرك يقال له: الشرك الخفي، ذكر بعض أهل العلم أنه قسم ثالث، واحتج عليه بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه». خرجه الإمام أحمد.

والصواب: أن هذا ليس قسماً ثالثاً، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفياً؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يُرائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك.

وقد يكون خفياً من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس كالأنواع التي في حديث ابن عباس السابق.

وقد يكون خفياً وهو من الشرك الأكبر، كاعتقاد المنافقين، فإنهم يراءُون بأعمالهم الظاهرة، وكفرهم خفي لم يظهروه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣]، والآيات في كفرهم وريائهم كثيرة، نسأل الله العافية.

وبما ذكرنا يعلم أن الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سمي خفياً: فالشرك يكون خفياً ويكون جلياً.

(١) القول السديد ص٢٤.

فالجلي: دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم، ونحو ذلك.

والخفي: ما يكون في قلوب المنافقين يصلون مع الناس، ويصومون مع الناس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين، فهذا هو الشرك الخفي؛ لأنه في القلوب.

وهكذا الشرك الخفي الأصغر، كالذي يقصده بقراءته ثناء الناس، أو بصلاته أو بصدقته أو ما أشبه ذلك، فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر.

فاتضح بهذا أن الشرك شركان: أكبر، وأصغر، وكل منهما يكون خفياً: كشرك المنافقين، وهو أكبر، ويكون خفياً أصغر كالذي يقوم يرائي في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر أو نحو ذلك»[1].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ١/ ٤٦، ٤٧.

١٧٠- شرك التسمية*

من تمام الشكر ألا يُعبَّد الاسم إلا لله وتعبيد الاسم لغير الله حرام وشرك ينافي كمال التوحيد.

* ومن الأدلة على شرك الطاعة: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف:١٩٠].

* معنى قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾:

ذكر المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعلنّ له قرني أيّل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ولأفعلن يُخوِّفُهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حُبُّ الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾»(١).

وقال عكرمة: «ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال: إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾»(٢).

---

* تيسير العزيز الحميد ص٦٣٧. فتح المجيد ص٥٢١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٣٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/٥٧، ط٢- ٣ / ٧٢ ومن المجموع ١٠/ ٨٨٤. الدين الخالص ٢/ ١٠٥. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٨٥. جهود علماء الحنفية ص٣٨٧.

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري للآية ١٩٠ من سورة الأعراف ٩/ ١٤٦.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري للآية ١٩٠ من سورة الأعراف ٩/ ١٤٦، ١٤٧.

وقال قتادة: «كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلا مات، فجاءه الشيطان فقال: إن سرك أن يعيش ولدك هذا فسمه عبد الحارث، ففعل قال: فأشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة»[١].

وقال أيضاً: «شركاً في طاعته ولم يكن شركاً في عبادته»[٢].

وقال مجاهد: «كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان: إذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا وأطاعاه فذلك قول الله ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾»[٣].

وذكر ابن جرير الطبري قولاً آخر فقال: «وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد، وقالوا معنى الكلام: هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها ـ أي هذا الرجل الكافر ـ حملت حملاً خفيفاًفلما أثقلت دعوتما الله ربكما، قالوا: وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب، ثم رد إلى الخبر عن الغائب كما قيل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾.

ثم ذكر من قال ذلك ـ وهو الحسن البصري ـ وعقب عليه بقوله:

قال أبوجعفر: وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ في الاسم لا في العبادة، وأن المعني بذلك آدم وحواء لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك»[٤].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري للآية ١٩٠ من سورة الأعراف ٩/ ١٤٧.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري للآية ١٩٠ من سورة الأعراف ٩/ ١٤٧.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري للآية ١٩٠ من سورة الأعراف ٩/ ١٤٨.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري للآية ١٩٠ من سورة الأعراف ٩/ ١٤٨.

ومن أبطل القصة أو قال أن الآية عائدة إلىٰ بني آدم: ابن حزم وابن كثير في تفسيره وابن القيم وابن عثيمين وغيرهم.

وقال ابن كثير في التفسير: «وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «... فالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولادهما، ولا يلتفت إلىٰ غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد فأتاهما إبليس، فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمِّياه عبد الحارث، ففعلا، فإن الله سبحانه اجتباه وهداه، فلم يكن ليشرك به بعد ذلك»[٢].

ويذكر الإمام ابن القيم الاستطراد في القرآن ويتعرض له في كتبه ذاكراً من أمثلته آدم وحواء فيقول: «...بل هذا استطراد من الشيء إلىٰ نظيره وشبهه ولازمه وله نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ إلىٰ آخر الآية، فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم إلىٰ النوع المخلوق من النطفة وهم أولاده وأوقع الضمير علىٰ الجميع بلفظ واحد ومثله قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلىٰ آخر الآيات...»[٣].

ونرىٰ الشيخ صلاح الدين الصفدي يناقش شيخ الإسلام في ثبوت هذه القصة فيقول: «سألت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبع مئة

---

(١) تفسير ابن كثير للآية ١٩٠ من سورة الأعراف.

(٢) روضة المحبين ص٢٨٩.

(٣) هداية الحيارىٰ ص١٨٧، وانظر شفاء العليل ١/ ٢٦٣.

وثمانية عشر أو سنة سبع مئة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾ على قوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٩-١٩٠]؛ فأجاب بما قاله المفسرون في الجواب، وهو آدم وحواء، وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاها إبليس في صورة رجل، وقال: أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك، وما يدريك لعله يكون بهيمةً أو كلباً، فلم تزل في همٍّ حتى أتاها ثانياً وقال: سألت الله أن يجعله بشراً سوياً، وإن كان كذلك، فسميه «عبدالحارث»، وكان اسم إبليس في الملائكة «الحارث»؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقلت له: هذا فاسد من وجوه:

الأول: أنه تعالى قال في الآية الثانية ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ فهذا دليل على أن القصة في حق جماعة.

الثاني: أنه ليس لإبليس في الكلام ذكر.

الثالث: أن الله تعالى علَّمَ آدم الأسماء كلَّها؛ فلابد وأنه كان يعلم أن الحارث اسمٌ لإبليس.

الرابع: أنه تعالى قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وهذا يدل على أن المراد به الأصنام؛ لأن «ما» لما لا يعقل، ولو كان إبليس؛ لقال: «من» هي التي لمن يعقل.

فقال الشيخ تقي الدين: «قد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذا قصي؛ لأنه سمى أولاده الأربعة: عبدمناف، وعبدالعزى، وعبد قصي، وعبدالدار، والضمير في «يشركون» له ولأعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الأسماء وأمثالها.

قلت: وهذا أيضاً فاسد؛ لأنه تعالى قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

زَوْجَهَا ﴾، وليس كذلك إلا آدم؛ لأن الله تعالىٰ خلق حواء من ضلعه.

فقال [أي: ابن تيمية]: المراد بهذا أن زوجته ـ زوجة قصي ـ من جنسه قرشية عربية؛ فما رأيت التطويل معه»» اهـ[(١)].

وقد أبطل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذه القصة فقال:

«وهذه القصة باطلة من وجوه:

الوجه الأول: أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ وهذا من الأخبار التي لا تتلقىٰ إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة: إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة.

الوجه الثاني: أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا ماتا عليه كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة.

إذا مـــا ذكرنـــا آدم وفعـــاله ... وتزويجـــه بنتيـــه بابنيـــه بالخنـــا

علمنا بأن الخلـق مـن نـسل فـاجر ... وأن جميع الناس مـن عنـصر الزنـا

فمن جوّز موت أ حد من الأنبياء علىٰ الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كان تابا من الشرك فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما، ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا، ولم يذكر توبتهما، والله تعالىٰ إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه وتابا من ذلك.

الوجه الثالث: أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء.

الوجه الرابع: أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلىٰ آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره

---

(١) الغيث المسجح ٢/ ٢٤-٢٥.

به أقوىٰ وأولىٰ وأحرىٰ.

الوجه الخامس: أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة. وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: «أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة» فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما فلا يقبلان منه صرفاً ولا عدلاً.

الوجه السادس: أن في قوله في هذه القصة: «لأجعلن له قرني أيل» إما أن يُصدِّقا أن ذلك ممكن في حقه وهذا شرك في الربوبية، لأنه لا يقدر علىٰ ذلك إلا الله أو لا يُصدِّقا فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه.

الوجه السابع: قوله تعالىٰ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٠] بضمير الجمع ولو كان آدم وحواء لقال: عما يشركان.

فهذه الوجوه تدل علىٰ أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرئون منه باتفاق أهل العلم، وعلىٰ هذا فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلىٰ بني آدم الذين أشركوا شركاً حقيقياً فإن منهم مشركاً ومنهم موحداً»[١].

ولكن الفريق الثاني ـ الذين أثبتوا القصة ـ لهم أدلة ظاهرة كما تبيَّن لنا من قول قتادة ومجاهد وابن جرير الطبري، وقد أوضح قولهم القرطبي فقال:

«قال المفسرون: كان شركاً في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية. وقال أهل المعاني: إنهما لم يذهبا إلىٰ أن الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث لكنهما قصدا إلىٰ أن الحارث كان سبب نجاة الولد فسمياه به كما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه علىٰ جهة الخضوع له لا علىٰ أن الضيف ربه كما قال حاتم:

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٨٩٤، ٨٩٥، وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٦٧، ٦٨.

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويــاً   وما فيَّ إلا تيك من شيمة العبد»[١]

وقال جلال الدين السيوطي في تفسير الجلالين: «فلما آتاهما ولداً صالحًا جعلا له شركاء، وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شِركاً فيما آتاهما بتسميته عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم»[٢].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «إنَّ هذا الشرك في مجرد تسمية، لم تُقصد حقيقتها»[٣].

وقد علَّق على ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن بقوله: «وهو مَحْمَل حسن، يُبيِّن أن ما وقع من الأبوين، من تسميتهما ابنهما عبدالحارث: إنما هو مجرد تسمية، لم يقصدا تعبيدَه لغير الله، وهذا معنى قول قتادة: شُركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته»[٤].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «وإذا تأملت سياق الكلام من أوله إلى آخره مع ما فسره به السلف تبين قطعاً أن ذلك في آدم وحواء عليهما السلام فإن فيه غير موضع يدل على ذلك والعجب ممن يكذب بهذه القصة وينسى ما جرى أول مرة ... وليس المحذور في هذه القصة بأعظم من المحذور في المرة الأولى»[٥].

ويؤيد صحة القصة الشيخ عبد العزيز بن باز فيقول: «بل هو كما قال ابن عباس وغيره من السلف، وإن المعصية قد وقعت منهما، والمعصية قد تقع من الأنبياء إذا كانت صغيرة كما قال العلماء، ويُحتمل أنهما حينما فعلاً ذلك كانا يعتقدان جواز ذلك فلهذا فعلاه ولم يعلما أنه منكر وإنما كرهاه أولاً ثم خضعا لوسوسته

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣٣٨-٣٣٩. وقال بعد ذلك: «وقال قوم: إن هذا راجع إلى جنس الآدميين والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يُعوَّل عليه».

(٢) تفسير الجلالين للآية ١٩٠، من سورة الأعراف.

(٣) انظر: فتح المجيد ص٥٢٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص٦٣٨، ٦٣٩.

وما أراد، وبَيَّن الله فيما أنزله على رسوله ﷺ أنه لا يجوز، وهذا الحكم يناط بشريعة محمد ﷺ فهي الشريعة العامة وما كان قبلنا ففيه إباحة لبعض المسائل ومنع لبعضها»(١).

وفي معنى الآية قال الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به وأقرّ به أعين والديه فعبّداه لغير الله. إما أن يسمياه بعبد غير الله كعبد الحارث وعبد العزى وعبد الكعبة ونحو ذلك أو يشركا في الله في العبادة بعد ما منَّ الله عليهما بما من به من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد»(٢).

وهذه المسألة - كما ترى - مختلف فيها، وسواء قلنا بصحة القصة وثبوتها أو لا فإن هناك أصولاً لا يُختلف فيها وهي أن الشرك المضاد للتوحيد لا يقع من الأنبياء - عليهم السلام -، وما حصل من معصية فلا يقدح في مقام النبوة(٣)، وهو على صحة القصة وثبوتها فلا يعدو أن يكون معصية من المعاصي.

*** حكم تعبيد الاسم لغير الله:**

قال ابن حزم: «اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب»(٤).

ومقصود ابن حزم أنهم لم يجمعوا على تحريم التسمية بعبد المطلب؛ لظاهر ما صح عن النبي ﷺ أنه قال في غزوة حنين، لما انهزم عنه أصحابه إلا قليلاً: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب»، فهو لم يقصد به التعبيد لغير الله، بل هو من الرسول

---

(١) من شرح الشيخ ابن باز على كتاب التوحيد.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٧٥.

(٣) ثبتت نبوة آدم عليه السلام لقوله ﷺ: «ما مِنْ نبيٍّ - آدم فمَنْ سواه - إلا تحت لوائي». أخرج الترمذي (٣٦١٥).

(٤) مراتب الإجماع ص١٥٤.

ﷺ إخبار عن اسم ماضٍ وحكاية نسب، فلا يضر لأنه مشتهر به مثل عبد مناف وعبد عمرو إذا كانت من باب الإخبار لا من باب الإنشاء والإقرار[(١)].

وذكر ابن القيم رحمه الله أن: «باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء، وأن من باب الإخبار، والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم، ولا وجه لتخصيص أبي محمد ذلك بعبد المطلب خاصة، فقد كان أصحابه يسمون بعبد شمس، وبني عبد الدار بأسمائهم، ولا ينكر عليهم النبي ﷺ»[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «كان المشركون يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله فيسمون بعضهم عبد الكعبة، كما كان اسم عبد الرحمن بن عوف، وبعضهم: عبد شمس كما كان اسم أبي هريرة واسم عبد شمس بن عبدمناف، وبعضهم عبد اللات، وبعضهم عبد العزى وبعضهم عبد مناة، وغير ذلك مما يضيفون فيه التعبيد إلى غير الله من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك مما قد يشرك بالله... وشريعة الإسلام الذي هو الدين الخالص لله وحده تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ، وتغيير الأسماء الشركية إلى الأسماء الإسلامية... وكان من شعار أصحاب الرسول ﷺ معه في الحروب: يا بني عبد الرحمن! يا بني عبد الله، يا بني عبيد الله! كما قالوا ذلك يوم بدر، وحنين، والفتح، والطائف»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «ولكن الصواب تحريم التعبيد للمطلب، فلا يجوز لأحد أن يسمي ابنه عبدالمطلب»[(٤)].

---

(١) انظر: الدرر السنية ٥/ ٤١١، مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٩١، معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبوزيد ص٣٨٠.

(٢) ملخصاً من تيسير العزيز الحميد ص٦٣٩، وأصله في تحفة المودود ص ٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٣٧٨.

(٤) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٨٩١.

وبهذا يتبيَّن تحريم إنشاء التسمية بذلك ومما يحرم أيضا التسمية بعبد الرسول وعبد الحسين وعبد النبي.

قال الشيخ بكر أبو زيد: «ومن هذا الباب: غلام رسول، غلام محمد، أي عبد الرسول»[١].

ومن الأخطاء التي ينبه لها في هذا الباب التعبيد لأسماء يظن أنها من أسماء الله تعالى وليست كذلك مثل: عبد المقصود، عبد الموجود، عبد المعبود، عبد الهادي، عبد القاضي، فهذه يكون الخطأ فيها من وجهين:

الوجه الأول: تسمية الله بما لم يرد به السمع، وأسماؤه سبحانه توقيفية

الوجه الثاني: التعبيد بما لم يسمّ الله به نفسه ولا رسوله [٢].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا يجوز التعبيد لغير الله، كعبد الرسول وعبد الحسين وأما عبد المحسن فيجوز لأنه من أسماء الله»[٣].

١٧١- شرك المحبة

من أقسام الشرك الأكبر. انظر باب (الشرك الأكبر).

---

(١) معجم المناهي اللفظية ٣٨٣.

(٢) انظر: معجم المناهي اللفظية ٣٨٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٥٨. وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام حول اسم المحسن ١/ ٣٧٩.

١٧٢- الشريعة

[التوحيد – السنة]

الشريعة في اللغة: الطريق الموصلة إلى الماء.

قال الأزهري: «والشِّرعة والشريعة في كلام العرب: المَشْرَعة التي يشرعُها الناس فيشربون منها ويستقون، وربَّما شرَّعوها دوابّهم حتى تشرعَها وتشرب منها. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِداً لا انقطاع له ويكون ظاهراً معيناً لا يستقي منه بالرشاء»(١).

وفي الشرع: قال ابن الأثير: «هو ما شرع الله لعباده من الدين: أي سنَّه لهم وافترضه عليهم»(٢).

وقال الإمام ابن تيمية عند تعرضه لتعريف الشريعة: «الشريعة: هي الأمر والنهي، والحلال والحرام، والفرائض والحدود، والسنن والأحكام»(٣).

وقيل: الشريعة: هي الطريق في الدين(٤). وتطلق الشريعة ويراد بها: السنة، أي العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان.

قال شيخ الإسلام: «وكذلك اسم الشريعة والشرع والشرعة فإنه ينتظم كلما شرعه الله من العقائد والأعمال. وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري «كتاب الشريعة»، وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطةكتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة

---

(١) تهذيب اللغة (ش ر ع) ١/ ٤٢٤.

(٢) النهاية (ش ر ع).

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٦٢.

(٤) التعريفات للجرجاني ١٦٧.

الناجية» وغير ذلك. وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان، مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله خالق كل شيء وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه على كل شيء قدير وأنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر ونحو ذلك من عقود أهل السنة فسموا أصول اعتقادهم شريعتهم وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم.

وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء الشريعة هي التي يُسمِّي غيرُهم عامَّتها «العقليات» و«علم الكلام» أو يسميها الجميع «أصول الدين» ويسميها بعضهم «الفقه الأكبر» وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب «كتاب السنة» كالسنة لعبد الله بن أحمد والخلال والطبراني والسنة للجعفي وللأثرم وخلق كثير صنفوا في هذه الأبواب وسموا ذلك كتب السنة ليميزوا بين عقيدة أهل السنة وعقيدة أهل البدعة.

فالسنة كالشريعة هي: ما سنه الرسول وما شرعه، فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد. وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما فلفظ السنة يقع على معان كلفظ الشرعة؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: سنة وسبيلاً. ففسروا الشرعة بالسنة والمنهاج بالسبيل»[1].

والشريعة تنقسم إلى قسمين: اعتقاديات، وعمليات:

فالاعتقاديات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.

عبادته واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة وتسمى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة، والصوم وسائر الأحكام العملية وتسمى فرعية لأنها تبنى على تلك الاعتقاديات صحة وفسادا[١].

فالعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف.١١٠].

---

(١) شرح العقيدة السفارينية ١/ ٤. وقد سبق بيان تقسيم الدين إلى أصول وفروع، والكلام عليه في باب (أصول الدين).

١٧٣- شعب الإيمان

الشعب: جمع شُعبة، والشعبة الفرقة والطائفة من الشيء[١]. وشعب الإيمان خصاله المتعددة.

قال ابن قاسم رحمه الله: «والشعبة: الطائفة من الشيء، والقطعة منه، والشعبة من شعب الإيمان، يدخل تحتها أفراد من الخصال، فهي من حيث هذا العدد، يكون تحتها أفراد من الخصال»[٢].

وقال الحافظ أبوحاتم بن حبان: «والدليل على أن الإيمان أجزاء بشعب أن النبي ﷺ قال في خبر عبد الله بن دينار: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة ألا إله إلا الله...» فذكر جزءاً من أجزاء شعبة هي كلها فرض على المخاطبين في جميع الأحوال لأنه ﷺ لم يقل: وأني رسول الله والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار وما يشبه هذا من أجزاء هذه الشعبة، واقتصر على ذكر جزء واحد منها حيث قال: «أعلاها شهادة ألاّ إله إلا الله...» فدل هذا على أن سائر الأجزاء من هذه الشعبة كلها من الإيمان ثم عطف فقال: «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» فذكر جزءاً من أجزاء شعبه هي نفلٌ كلها للمخاطبين في كل الأوقات، فدل ذلك على أن سائر الأجزاء التي هي من هذه الشعبة، وكل جزء من أجزاء الشعب التي هي من بين الجزأين المذكورين في هذا الخبر اللذين هما من أعلى الإيمان وأدناه كله من الإيمان»[٣].

---

(١) لسان العرب (ش ع ب).

(٢) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ٦١.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابنِ بلبان ١/ ٣٨٨.

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق»[١].

* **معنىٰ البضع:**

والبضع بكسر الباء وللعلماء أقوال في معناه ذكرها الحافظ ابن رجب فقال: «البضع في اللغة: من الثلاث إلىٰ التسع، هذا هو المشهور.

ومن قال: ما بين اثنين إلىٰ عشرٍ، فالظاهر إنما أراد ذلك، ولم يُدخلِ الاثنين والعشرَ في العدد.

وقيل: من أربع إلىٰ تسع.

وقيل: ما بين الثلاث إلىٰ العشر.

والظاهر: أنه هو الذي قبله باعتبارِ إخراج الثلاثِ والعشرِ منه.

وكذا قال بعضهم: ما بين الثلاث إلىٰ ما دون العشرة.

وعلىٰ هذا؛ فلا يستعمل في الثلاث ولا في العشر. والله أعلم»[٢].

* **اختلاف روايات الحديث في تعداد الشعب:**

قال النووي: «قَوْله ﷺ: «الإِيمَان بِضع وَسَبْعُونَ شُعْبَة» هَكَذَا رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَامِر الْعَقَدِيّ، عَنْ سُلَيْمَان بْن بلال، عَنْ عَبْد الله بْن دِينَار، عَنْ أَبِي صَالِح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، عَنْ النَّبِيّ ﷺ. وَفِي رِوَايَة زُهَيْر، عَنْ جَرِير، عَنْ سُهَيْل، عَنْ عَبْد الله بْن دِينَار، عَنْ أَبِي صَالِح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: «بضْع وَسَبْعُونَ أَوْ بضْع وَسِتُّونَ» كَذَا وَقَعَ فِي مُسْلِم مِنْ رِوَايَة سُهَيْل: «بضْع وَسَبْعُونَ أَوْ بضْع وَسِتُّونَ» عَلَىٰ الشَّكِّ.

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّل الْكِتَاب مِنْ رِوَايَة الْعَقَدِيِّ: «بضْع وَسِتُّونَ» بلاَ شَكٍّ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرهمَا مِنْ رِوَايَة سُهَيْل: «بضْع وَسَبْعُونَ» بلاَ شَكٍّ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

(٢) فتح الباري لابن رجب ١/ ٣١.

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ طَرِيقٍ آخر وَقَالَ فِيهِ: «أَرْبَعَة وَسِتُّونَ بَاباً».

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الرَّاجِحَة مِنْ الرِّوَايَتَيْنِ، فَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض: الصَّوَاب مَا وَقَعَ فِي سَائِرِ الأَحَادِيث وَلِسَائِرِ الرُّوَاة «بِضْع وَسِتُّونَ».

وَقَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمْرو بْن الصَّلاَح رَحِمَهُ اللهُ تعالى: هَذَا الشَّكُّ الْوَاقِع فِي رِوَايَة سُهَيْل هُوَ مِنْ سُهَيْل، كَذَا. قَالَهُ الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سُهَيْل «بِضْع وَسَبْعُونَ» مِنْ غَيْر شَكٍّ.

وَأَمَّا سُلَيْمَان بْن بلاَل فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَلَى الْقَطْع مِنْ غَيْر شَكٍّ وَهِيَ الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَة أَخْرَجَاهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ غَيْر أَنَّهَا فِيمَا عِنْدنَا مِنْ كِتَاب مُسْلِم «بِضْع وَسَبْعُونَ» وَفِيمَا عِنْدنَا مِنْ كِتَاب الْبُخَارِيِّ «بِضْع وَسِتُّونَ». وَقَدْ نَقَلْت كُلّ وَاحِدَة عَنْ كُلّ وَاحِد مِنْ الْكِتَابَيْنِ وَلاَ إِشْكَال فِي أَنَّ كُلّ وَاحِدَة مِنْهُمَا رِوَايَة مَعْرُوفَة فِي طُرُق رِوَايَات هَذَا الْحَدِيث وَاخْتَلَفُوا فِي التَّرْجِيح قَالَ: وَالأَشْبَه بِالإِتْقَانِ وَالاحْتِيَاط تَرْجِيح رِوَايَة الأَقَلّ. قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ رَجَّحَ رِوَايَة الأَكْثَر، وَإِيَّاهَا اِخْتَارَ أَبُو عَبْد اللهِ الْحَلِيمِيُّ ؛ فَإِنَّ الْحُكْم لِمَنْ حَفِظَ الزِّيَادَة جَازِمًا بِهَا»[1].

وذكر النووي رَحِمَهُ اللهُ أن أبا حاتم ذكر أن: «رِوَايَة مَنْ رَوَى «بِضْع وَسِتُّونَ شُعْبَة» أَيْضاً صَحِيحَة ؛ فَإِنَّ الْعَرَب قَدْ تَذْكُر لِلشَّيْءِ عَدَداً وَلاَ تُرِيد نَفْي مَا سِوَاهُ. وَلَهُ نَظَائِر أَوْرَدَهَا فِي كِتَابه مِنْهَا فِي أَحَادِيث الإِيمَان وَالإِسْلاَم. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَم...»[2].

* **الاجتهاد في حصر شعب الإيمان ومعرفتها:**

اجتهد العلماء في عدها فذكرها الحليمي صاحب المنهاج سبعا وسبعين، وعدها الحافظ أبو حاتم ابن حبان تسعاً وسبعين فقال: «وقد تتبعت معنى الخبر مدة، وذلك أن مذهبنا أن النبي ﷺ لم يتكلم قط إلا بفائدة ولا من سننه شيء لا

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ١٩٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ١٩٤.

يعلم معناه، فجعلت أعد الطاعات من الإيمان فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً، فرجعت إلى السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان،فإذا هي تنقص من البضع والسبعين، فرجعت إلى ما بين الدفتين من كلام ربنا وتلوته آية آية بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله جل وعلا من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضممت الكتاب إلى السنن وأسقطت المُعاد منها فإذا كل شيء عده الله جل وعلا من الإيمان في كتابه وكل طاعة جعلها رسول الله ﷺ من الإيمان في سننه تسع وسبعون شعبة لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيء فعلمت أن مراد النبي ﷺ كان في الخبر أن الإيمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب والسنن»[١].

وقال النووي: «قَالَ الشَّيْخ: ثمَّ إِنَّ الْكَلاَم فِي تَعْيِين هَذِهِ الشُّعَب يَطُول وَقَدْ صُنِّفَتْ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَات. وَمِنْ أَغْزَرهَا فَوَائِد كِتَاب (الْمِنْهَاج) لأَبِي عَبْد الله الْحَلِيمِيِّ إِمَام الشَّافِعِيِّينَ بِبُخَارَى. وَكَانَ مِنْ رُفَعَاءِ أَئِمَّة الْمُسْلِمِينَ. وَحَذَا حَذْوه الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابه الْجَلِيل الْحَفِيل كِتَاب «شُعَب الإِيمَان»»[٢].

وشعب الإيمان المتعددة بعضها دعائم وأصول يزول الإيمان بزوالها مثل إنكار الإيمان باليوم الآخر[٣] وبعضها فروع قد لا يزول الإيمان بزوالها، وإن كان يوجب تركها نقصا في الإيمان أو فسقاً. مثل عدم إكرام الجار[٤]، وقد يجتمع في الإنسان شعب الإيمان، وشعب نفاق، فيستحق بشعب النفاق العذاب ولا يخلد في

---

(١) صحيح ابن حبان ١/ ٣٨٧.

(٢) شرح النووي ١/ ١٩٤

(٣) قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن: ٧].

(٤) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». أخرجه البخاري (٦٤٧٥).

النار لما في قلبه من الإيمان. والله أعلم[(١)].

وقال ابن رجب بعد أن ذكر الحديث: «فأشار إلىٰ أن خصال الإيمان، منها ما هو قول باللسان، ومنها ما هو عمل بالجوارح، ومنها ما هو قائم بالقلب ولم يزد في شيء من هذه الروايات علىٰ هذه الخصال»[(٢)].

وقال النووي: «وَقَدْ نَبَّهَ ﷺ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلهَا التَّوْحِيد الْمُتَعَيِّن عَلَىٰ كُلّ أَحَد، وَالَّذِي لاَ يَصِحّ شَيْء مِنْ الشُّعَب إِلاَّ بَعْد صِحَّتِهِ. وَأَدْنَاهَا مَا يُتَوَقَّع ضَرَره بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ إِمَاطَة الأَذَىٰ عَنْ طَرِيقهمْ. وَبَقِي بَيْن هَذَيْنِ الطَّرَفَيْنِ أَعْدَاد لَوْ تَكَلَّفَ الْمُجْتَهِد تَحْصِيلهَا بغَلَبَةِ الظَّنّ، وَشِدَّة التَّتَبُّع لأَمْكَنَهُ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْض مَنْ تَقَدَّمَ. وَفِي الْحُكْم بِأَنَّ ذَلِكَ مُرَاد النَّبِيّ ﷺ صُعُوبَة، ثُمَّ إِنَّهُ لاَ يَلْزَم مَعْرِفَة أَعْيَانهَا، وَلاَ يَقْدَح جَهْل ذَلِكَ فِي الإِيمَان إِذْ أُصُول الإِيمَان وَفُرُوعه مَعْلُومَة مُحَقَّقَة، وَالإِيمَان بِأَنَّهَا هَذَا الْعَدَد وَاجِب فِي الْجُمْلَة. هَذَا كَلاَم الْقَاضِي رحمه الله»[(٣)].

وقال ابن رجب: «وفي القطع علىٰ أن ذلك هو مراد الرسول ﷺ من هذه الخصال عُسر»[(٤)].

مسألة: أهل السنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواءٌ كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، هذا قول الجمهور الأعظم منهم، وحينئذ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد علىٰ ذلك زيادة كثيرة، بل هي غير منحصرة، وقد أجاب الحافظ ابن رجب فقال: «يمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة:

(١) وانظر تفصيل ذلك في باب (الإيمان) من هذا الكتاب.

(٢) فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٩.

(٣) شرح النووي ١/ ١٩٤.

(٤) فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٩.

أحدها: أن يقال: إن عدد خصال الإيمان عند قول النبي ﷺ كان منحصراً في هذا العدد، ثم حدثت الزيادة فيه بعد ذلك، حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي ﷺ. وفي هذا نظر.

والثاني: أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصرُ في بضعٍ وسبعين نوعاً، وإن كانت أفراد كل نوع تتعدد تعدداً كثيراً، وربما كان بعضها لا ينحصر. وهذا أشبه، وإن كان الوقوف على ذلك يتعسَّر أو يتعذر.

والثالث: أن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد، لا على وجه الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠].

والمراد: تكثيرُ التعداد من غير حصوله في هذا العدد، ويكون ذكره للبضع يشعر بذلك، كأنه يقول: هو يزيد على السبعين المقتضية لتكثير العدد وتضعيفه.

وهذا ذكره بعض أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظر.

والرابع: أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها، وهو الذي تدعو إليه الحاجةُ منها. قاله ابن حامد من أصحابنا»[١].

مسألة أخرى: تضمن كلام العلماء أن أركان الإيمان ستة بناءً على حديث جبريل عليه السلام فكيف يُجمع بينها وبين قول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»؟.

قال الشيخ ابن عثيمين في الجمع بين ذلك: «أن نقول الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ـ متفق عليه ـ وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] قال المفسرون: يعني صلاتكم إلى بيت المقدس؛

(١) فتح الباري لابن رجب ١/ ٣٠، ٣١.

لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس»[١].

ومن شعب الإيمان الحياء. كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «الحياء شعبة من الإيمان»[٢].

وهو غريزة يحمل المرء على فعل ما يجمل ويزين، ويمنعه من فعل ما يدنس ويشين[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الحياء صفة انفعالية تحدث عند الخجل تحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة»[٤].

وقال الشيخ ابن قاسم رحمه الله: «الحياء شعبة من الإيمان أي ـ بعض منه ـ وإنما جعله بعضه، لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، ولأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار وانتهاء، فإذا حصل الانتهاء بالحياء، كان بعض الإيمان، والحياء من أفضل الأخلاق، وأجلها وأعظمها قدرا، بل هو خاصة الإنسانية، وفي الحديث: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٥].

١٧٤- الشك في حكم الله ﷻ أو الشك في خبر من أخباره

انظر باب (لا إله إلا الله) فقد تحدثت عن شروطها ومنه اليقين المنافي للشك.

وانظر باب (كفر الشك).

---

(١) شرح ثلاثة الأصول ٧٦، ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم (٣٥).

(٣) انظر شرح الأصول الثلاثة لابن قاسم ٦١.

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٧٦.

(٥) شرح ثلاثة الأصول ٦١. وانظر النهاية لابن الأثير (ح ي ا).

١٧٥- الشعوذة والدجل*

الشعوذة: خفة في اليد وأعمال كالسحر تُري الشيء للعين بغير ما هو عليه[١].

والدجل: الواحد منه دجّال، وفعّال من أبنية المبالغة أي: يكثر منه الكذب والتلبيس ـ وجمعه دجَّالون ودجاجلة أي الكذّابون تشبيهاً بماء الذهب لأنه يظهر خلاف ما يبطن ويطلق على ماء الذهب دجّال[٢].

قال ابن الأثير: «أصل الدجل الخلط، يقال دجّل إذا لبَّس أو موَّه»[٣].

والكلام عن الشعوذة والدجل له تعلق كبير بأبواب (السحر) و(الكهانة) و(التنجيم) و(العراف). قال الراغب: «السحر يطلق عليمعانٍ وذكر منها ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده»[٤].

ويحسن بنا هنا أن ننقل فتوى وردت للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء هذا نصها: «تطالعنا بعض الصحف والمجلات بأخبار بعض اللاعبين والمهرجين الذين يزعمون أن لهم قدرات فائقة كتكسير الصخور على صدورهم والنوم على المسامير والآلات الحادة وثني الحديد والأسياخ بأعينهم!! وجر السيارات بأصابعهم إلى آخر تلك الحركات المدهشة، فما هو حكم الشرع في تلك الأعمال والعاملين لها، وما حكم استضافتهم ومشاهدتهم...».

---

* فتح الباري ١٠/ ٢٢٢، فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٤٣٤.

(١) المنجد، ص٣٩٣.

(٢) المنجد ص٢٠٧.

(٣) النهاية (د ج ل).

(٤) انظر فتح الباري ١٠/ ٢٢٢.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت: «بأن ما يعمله بعض السفهاء من الناس من تكسير الصخور على صدورهم، والنوم على المسامير والآلات الحادة، وثني الحديد بأعينهم، وسحب السيارات بشعورهم أو أسنانهم، وأكل الأمواس والزجاج.. إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن العادة البشرية كل ذلك يعتبر من الدجل والشعوذة والسحر وهو من عمل سحرة فرعون كما قال الله ﷻ في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

وبناءً عليه؛ لا يجوز فعل هذه الأعمال، ولا تعلمها، ولا نشرها، ولا التشجيع عليها، والواجب محاربتها والتبليغ عن فاعليها ومعاقبتهم بما يردعهم ويكف شرهم عن الناس فألعابهم وأعمالهم تلك فيها من الدجل والشعوذة والتلاعب والاستخفاف بعقول الناس وفساد العقيدة وأكل الأموال بالباطل ما لا يخفى. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[(١)].

(١) فتوى رقم (٢٠٥٢٠) تاريخ ١١/ ٨/ ١٤١٩ هـ. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

١٧٦- الشفاعة*

الشفاعة لغة: قال ابن منظور في اللسان: «الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج... وشفع لي يشفع شفاعة وتشفَّع: طلب»[١].

والشفع: ضم الشيء إلىٰ مثله. قال الراغب: «هي الانضمام إلىٰ آخر ناصرا له وسائلا عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلىٰ حرمة ومرتبة إلىٰ من هو أدنىٰ»[٢].

وفي الشرع: سؤال الخير للغير[٣] أو هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٤].

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٦٢ - ٧١. الشريعة للآجري ص٢٦٩، ٣١٢. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٢١. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٧. أحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٧٣، ١٠/ ٣٠٩. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٢٠٤. تيسير العزيز الحميد ٢٧٥. فتح المجيد ص٢٣٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٣٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٣٣٠، ط٢- ١/ ٤٢٢ ومن المجموع ٩/ ٣٢١. الدرر السنية ٢/ ١١٩، ١٥٧، ٨/ ٢١٩، ١٠/ ٣٠٠، ١١/ ٢٨، ١٤١، ١٩١، ٤٥٨، ١٢/ ٢١٥، ٤٩٤. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٣/ ٣٤٢. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٣/ ١١٦٧. نور علىٰ الدرب ص١٣١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٦، ٣٠٣، ٣٠٩. قطف الثمر صديق حسن ص٩٦. معارج القبول ٢/ ٢٤٨. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٤. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣ / ٢٩٨ ـ ٧/ ٦٢، ٦٨، ٧٣. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/ ٢٩. شرح مسائل الجاهلية ص٨٢. الشفاعة للجديع. منهج ابن رجب في العقيدة ص٤١٣. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٢٨٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٤٥٦. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٣٦٥. مباحث العقيدة في سورة الزمر ٢٩١ إلىٰ ٣١٢. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤١٢. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٢٨٧. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٣٥١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٧٢٣.

(١) لسان العرب (ش ف ع).

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص٢٦٣.

(٣) لوامع الأنوار ٢/ ٢٠٤.

(٤) شرح اللمعة لابن عثيمين ص١٢٨.

قال أبو السعادات: «وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم. يقال شَفَع يَشْفَع شفاعةً فهو شافعٌ وشَفِيع، والمُشَفِّع الذي يَقْبلُ الشَّفَاعةَ، والمشَفَّع الذي تُقبَلُ شفاعتُه»[(١)].

قال في التيسير: «فاتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية وتنقص للعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين. والإذن بالشفاعة من الله لخلقه جعلها الله إكراما للشافع ونفعا للمشفوع له»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب:** قول الله ﷻ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٥١]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر.٤٤] وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة.٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦] وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ.٢٢].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَنَسِ بن مالك ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبيٍّ سَأَلَ سُؤْلاً أَوْ قَالَ: لِكُلِّ نَبيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

---

(١) النهاية (ش ف ع).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٢٧٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٥) (٦٣٠٤). مسلم (١٩٨).

وفي رواية لمسلم عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولان عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

قال القاضي عياض: «قال أهل العلم: معناه دعوة أُعْلِمَ أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبُهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا يعد، لكن حالهم عند الدعاء بها الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه ويدعون بها على يقين من الإجابة»(٢).

وقال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخّر نبينا محمد ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته، لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأمته فجزى الله نبينا ﷺ أفضل ما جزى رسولا عمن أرسل إليهم، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ليشفع لأمته، فإن ربنا ﷻ غير مخلف وعده، ومنجز نبيه ﷺ ما أخر من مسألته في الدنيا وقت شفاعته لأمته يوم القيامة»(٣).

وجاء في الصحيحين أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي» وذكر منها «وأعطيت الشفاعة»(٤).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وهو حديث طويل «... فَيَقُولُ اللهُ ﷻ شَفَعَتْ الْمَلائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ... الحديث»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٩).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٢٢٣.
(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٦٢٢.
(٤) أخرجه البخاري (٤٣٨)(٣٣٥) ومسلم (٥٢١).
(٥) صحيح مسلم (٢٢٧٨).
(٦) أخرجه مسلم (١٨٣).

فوائد وأحكام:

١ - أنواع الشفاعة يوم القيامة:

١ - الشفاعة العظمىٰ وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ وهي المقام المحمود الذي وعده الله ﷻ بقوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] وذلك حين يشتد علىٰ الناس الموقف ويلتمسون الشفاعة ويؤذن لرسول الله ﷺ جاء ذلك في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتىٰ يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسىٰ ثم بمحمد ﷺ» قال البخاري: وزاد عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني ابن أبي جعفر: «فيشفع ليقضىٰ بين الخلق فيمشي حتىٰ يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم»[(١)].

وجاء في حديث أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلاً، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَىٰ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَىٰ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٥).

أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدّاً، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِداً مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّىٰ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ» وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»[١].

والشاهد من حديث أنس قول الناس: «لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَىٰ رَبِّنَا حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا».

٢ ـ الشفاعة لأهل الجنة في دخولها كما روىٰ مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً»[٢]. وهي من خصائص النبي ﷺ.

٣ ـ الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم لدخول الجنة[٣].

٤ ـ الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فوق ما تقتضيه أحوالهم. قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة وقوله: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين»[٤] وقوله في حديث أبي موسىٰ «اللهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، مسلم (١٩٣) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٣) ذكر ذلك ابن أبي العز شارح الطحاوية ١/ ٢٨٨ وابن كثير في النهاية ٢/ ٢٠٤ وابن حجر في الفتح ١١/ ٤٢٨ ومستند هذا النوع قول ابن عباس الذي رواه الطبراني في الكبير (١١٤٥٤) ولفظه: «السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد» قال محققا شرح العقيدة الطحاوية: وفي سنده موسىٰ بن عبدالرحمن الصنعاني، قال الذهبي في «الميزان»: معروف ليس بثقة، فإن ابن حبان قال فيه: دجال، وقال ابن عدي: منكر الحديث. وعد هذا الخبر من منكراته. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٧٨) بعد أن نسبه للطبراني في «الكبير» والأوسط: وفيه موسىٰ بن عبدالرحمن الصنعاني، وهو وضّاع. انظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق التركي والأرناؤوط ١/ ٢٨٨.

(٤) أخرجه مسلم (٩١٨).

اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك»[١]»[٢].

٥ـ الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ومن أدلة هـذا النـوع قـول النبي ﷺ لعكاشة بن محصن لما طلب منه أن يدعو الله أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب: «اللهم اجعله منهم»[٣]. ويقول الله لمحمد ﷺ في حديث الشفاعة: «أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة»[٤].

٦ـ الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ممن أدخلوا النار فيخرجون منها كما جاء صريحا في الأحاديث الكثيرة التي بلغت التواتر وهي عامة وتتكرر من الرسول ﷺ مرات، ويشفع أيضاً الملائكة والنبيون والمؤمنون كما تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «... يقول الله ﷻ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون...»[٥].

٧ـ الشفاعة في أهل الكبائر قبل أن يدخلوا النار أن لا يدخلوها كما ذكر ذلك النووي[٦] وابن تيمية[٧]، وابن كثير[٨]، وابن حجـر[٩]، والسفاريني[١٠] ـ رحمهم الله ـ وتوقف في هذا النوع ابن القيم حيث ذكر أنواع الشفاعة ثم قال: «ويبقى

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣).
(٢) حاشية ابن القيم ١٣/ ٥٦.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢).
(٥) سبق تخريجه.
(٦) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/ ٣٥، ٥٨.
(٧) مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٧.
(٨) النهاية لابن كثير ٢/ ٢٠٤-٢٠٦.
(٩) فتح الباري ١١/ ٤٢٨.
(١٠) لوامع الأنوار ٢/ ٢١١.

نوعان يذكرهما كثير من الناس: أحدهما في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها وهذا النوع لم أقف إلىٰ الآن علىٰ حديث يدل عليه وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص»[١].

٨ـ شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب كما جاء في حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ» وفي رواية «تَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ»[٢]. وهذه خاصة بالنبي ﷺ.

ولا تنفعه الشفاعة في الخروج من النار لكونه مات غير موحد بخلاف أهل التوحيد. والله أعلم[٣].

٢- أسباب الحصول علىٰ الشفاعة:

ومن أسباب الحصول علىٰ الشفاعة التوحيد وإخلاص العبادة لله عز وجل وقراءة القرآن والصيام والمحافظة علىٰ الدعاء الوارد بعد كل أذان وسكنىٰ المدينة والصبر علىٰ لأوائها والموت بها والصلاة علىٰ النبي محمد ﷺ وكثرة السجود وأن يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون أربعين وقد ورد في كل منها أحاديث ثابتة وقد حقق الكلام فيها الجديع حفظه الله في كتابه الشفاعة عند أهل السنة[٤].

وليست زيارة قبر الرسول ﷺ من ذلك ولم يذكرها أهل العلم ضمن أسباب الشفاعة، ومن ذكرها وتعلَّق بها فإنما يتعلق بأحاديث واهية قال عنها المحققون

---

(١) حاشية ابن القيم ١٣/ ٥٥، ٥٦.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٥)ومسلم (٢١٠).

(٣) انظر في ذلك شرح الطحاوية ١/ ٢٨٢ وشروح كتاب التوحيد في بيان الشفاعة وكتاب الشفاعة للجديع ومنهج ابن رجب ٤١٤.

(٤) الشفاعة ص٩١ وما بعدها.

من العلماء: إنه لا يثبت منها شيء جاء ذلك عن الإمام ابن تيمية والحافظ ابن عبد الهادي وغيرهم من أئمة العلم[١].

٣- والشفاعة شفاعتان شفاعة منفية وشفاعة مثبتة [٢]:

فالشفاعة المنفية[٣] ما كانت تطلب من غير الله والدليل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة.٢٥٤].

والشفاعة بغير إذن الله ﷻ أو الشفاعة لأهل الشرك كلها شفاعة منفية باطلة قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨].

والقبوريون لما عظموا الأموات قادهم غلوهم ذلك إلى طلب الشفاعة من أوليائهم الأموات فطلبوها منهم في الدنيا، كما طلبها المشركون من أصنامهم والنصارى من رهبانهم قال ابن تيمية رحمه الله: «المشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، يصورون تماثيلهم، فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم، لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة»[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومن جَهلِ المشرك: اعتقاده أن من اتخذه وليا أو شفيعا:

---

(١) الرد على الأخنائي ٢٩، والصارم المنكي ٢٩.

(٢) انظر: التوسل والوسيلة لابن تيمية فقد ذكر هذين النوعين ١٢، ١٣، وانظر الدرر السنية ٢/ ١٥٨.

(٣) سميت منفية لأنه جاء نفيها في القرآن.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ١٥٠، وانظر تيسير العزيز الحميد ٢٣٥ وما بعدها.

أنه يشفع له، وينفعه عند الله. كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم. ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي له قوله وعمله. كما قال تعالىٰ في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة.٢٥٥]. وفي الفصل الثاني ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء.٢٨]. وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضىٰ من القول والعمل إلا التوحيد، واتباع الرسول، وعن هاتين الكلمتين يسأل الأولين والآخرين. كما قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين»؟. فهذه ثلاثة أصول. تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه. ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله. ولا يرضىٰ من القول والعمل إلا توحيده، واتباع رسوله»[1].

* **والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله ولها شروط:**

الشرط الأول: إذن الله تعالىٰ للشافع أن يشفع لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة.٢٥٥] وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه.١٠٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ.٢٣]. وقوله تعالىٰ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم.٢٦].

ويقول سيد الشفعاء في حديث الشفاعة الطويل: «فأستأذن علىٰ ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع»[2].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٧٠.

(٢) سبق تخريجه.

الشرط الثاني: الرضى عن المشفوع له ورضى الله تعالى لا يحصل إلا باتباع الأوامر واجتناب المناهي فما أمر به فهو مرضي محبوب وما نهى عنه مبغض منبوذ والأدلة على هذا كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء.٢٨]. وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر.١٨]. وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر.٤٨] ومنها ما رواه مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[(١)].

فالشفاعة بهذا خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد.

ودل على ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»[(٢)].

قال ابن تيمية: «فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله، لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الصالحين»[(٣)].

*** وهناك اعتراضات على الشرط الثاني وهو الرضى عن المشفوع منها:**

١ـ أن النبي ﷺ شفع لعمه أبي طالب مع كونه كافر؟ وهذا يشكل مع قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٩). والترمذي(٣٦٠٢)، وابن ماجه(٤٣٠٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩)(٦٥٧٠).

(٣) الحسنة والسيئة ص١٥٢.

وأجيب عن ذلك بجوابين:

أ ـ أن الشفاعة هنا في تخفيف العذاب وليست في الخروج من النار وقد نص على ذلك القرطبي رحمه الله حيث قال: «فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ قيل له: لا تنفع في الخروج من النار، كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة»(١).

ب ـ أن هذا خاص بأبي طالب وهذا مال إليه البيهقي في كتابه البعث والنشور حيث قال: «صحت الرواية في شأن أبي طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية، ووجهه عندي أن الشفاعة في الكفار إنها امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد وهو عام في حق كل كافر، فيجوز أن يخص منه ما ثبت الخبر بتخصيصه»(٢).

٢ـ أن الرسول ﷺ يشفع لأهل الموقف يوم القيامة، وفيهم المؤمن والكافر.

والجواب عن ذلك: أن شفاعة الرسول ﷺ يومئذ لن تنجي الكفار من النار، بل هي لفصل القضاء بين الناس، وهذا شامل للمؤمنين والكفار.

*** حكم طلب الشفاعة من الرسول ﷺ في الدنيا(٣):**

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦]»(٤).

---

(١) التذكرة في أحوال الآخرة ص ٢٨٢.

(٢) فتح الباري ١١/ ٤٣١.

(٣) انظر للاستزادة: التوسل و الوسيلة ص ١٢١. الاقتضاء ٢/ ٨٢٣. تيسير العزيز الحميد ص ٢٩٥. الدرر السنية ٢/ ١٥٨. هذه مفاهيمنا ص ١٥١، ص ١٦٧.

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ ٥/ ١١٣ باختصار.

وقال السهسواني: «طلب الشفاعة منه ﷺ في حياته ثابت بلا شك، وكذلك طلب الشفاعة منه ﷺ يوم القيامة، وهذا لا ينكره أحد.. وأما حصول الإذن الآن بالشفاعة التي تكون يوم القيامة فثبوته غير مسّلم»[١].

يقول ابن تيمية: «إن طلب شفاعته ودعائه واستغفاره بعد موته وعند قبره ليس مشروعا عند أحد من أئمة المسلمين ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين ذكروا حكاية عن العتبى أنه رأى أعرابياً أتى قبره وقرأ هذه الآية وأنه رأى في المنام أن الله غفر له وهذا لم يذكره أحد من المجتهدين من أهل المذاهب المتبوعين الذين يفتى الناس بأقوالهم ومن ذكرها لم يذكر عليها دليلاً شرعياً. ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعا لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك وما أحسن ما قال مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها»[٢].

وهذه المسألة كانت مثار جدل بين من يتزلفون للقبور وبين من يدعون لإخلاص الدين لله وحده.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كشف الشبهات: «فإن قال[٣]:

---

(١) صيانة الإنسان ص ٣٦٣، ص ٣٧٢. انظر: مجموع الفتاوى ١/ ١٣٤. الوسيلة والتوسل ص ١٢١. هذه مفاهيمنا ص ١٦٧. الاقتضاء ٢/ ٨٢٣. الدرر السنية ٢/ ١٥٨. هذه مفاهيمنا ص ١٥١. تيسير العزيز الحميد ص٢٩٥ بتصرف يسير.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٤١.

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين: «قوله: فإن قال يعني إذا قال لك المشرك المشبه: هل تنكر شفاعة النبي ﷺ؟وهو يقول هذا من أجل أن يلزمك بجواز دعاء النبي ﷺ عسى أن يشفع لك عند الله إذا دعوته. فقل له: لا أنكر هذه الشفاعة ولا أتبرأ منها» شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن عثيمين من مجموع الفتاوى ٧/ ٦٩، ٧٠.

أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟ فقل، لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ، الشافع المشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله، كما قال الله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ [الزمر:٤٤].

ولا تكون إلا بعد إذن الله كما قال ﷻ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال ﷻ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ، ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه، فأقول اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله؟

فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا. بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله»[1].

(١) كشف الشبهات انظر شرحها للشيخ محمد بن عثيمين من مجموع الفتاوى ٧/ ٦٩، ٧٠.

ويعلق على هذا الشيخ ابن عثيمين قائلاً: «ثم إن هذا المشرك المشبه ليس يريد من رسول الله ﷺ أن يشفع له، ولو كان يريد ذلك لقال: اللهم شفع فيّ نبيك محمداً رسول الله ﷺ ولكنه يدعو الرسول مباشرة ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحد عند الله سبحانه وتعالى»[1].

وفي الرد على من زعم إجماع الحنابلة وغيرهم على طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته عند زيارته. قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: «وما علمت أحداً من أهل العلم وأئمة الفتوى قال هذا، لا من الصحابة ولا من غيرهم؛ بل حكى الشيخ الإمام أحمد بن عبد الحليم: الإجماع على المنع من دعائه ﷺ والطلب منه؛ وقرر: أن هذا من شعب الشرك الظاهرة... وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي ـ من أكابر الحنابلة وعلمائهم ـ: «والسلف كلهم متفقون على أن الزائر لا يسأله شيئاً يعني النبي ﷺ ولا يطلب منه ما يطلب منه في حياته، ويطلب منه يوم القيامة، لا شفاعة ولا استغفاراً؛ وقال أيضاً: والحكاية التي تنسب إلى مالك مع أبي جعفر المنصور، كذب عند أهل المعرفة بالنقل والتصحيح». انتهى»[2].

وقد تقرر أن من جعل الأنبياء والملائكة وسائط بين الله وبين خلقه، كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته، بحيث يزعم أنهم يرفعون الحوائج إلى الله، وأن الله يرزق عباده، وينصرهم بتوسطهم، أي بمعنى: أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله؛ فمن اعتقد هذا فهو كافر مشرك[3].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) الدرر السنية ١٢/ ٢١٦ - ٢٢١.
(٣) الدرر السنية ١١/ ١٤.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك، يسألون الملوك حوائج الناس، لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أنداداً»[١].

ويقول أيضاً: «من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى»[٢].

وبهذا يظهر لك جلياً حكم الاستشفاع بالأولياء والصالحين من أموات المسلمين؟ قال في التيسير: «فتبين أن دعاء الصالحين من الملائكة، والأنبياء وغيرهم شرك، كما كان المشركون الأولون يدعونهم ليشفعوا لهم عند الله فأنكر الله عليهم ذلك فأخبر أنه لا يرضاه ولا يأمر به كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران.٨٠]»[٣].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ولا ريب أن الاستشفاع بالموتى يتضمن أنواعاً من العبادة: سؤال غير الله، وإنزال الحوائج به من دون الله، ورجائه،

(١) مجموع الفتاوى ١/ ١٢٦.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٣٤.
(٣) تيسير العزيز الحميد ص٢٨١.

والرغبة إليه، والإقبال عليه بالقلب والوجه والجوارح واللسان.. وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله»[١].

٤ - فائدة:

الآية القاطعة لما يتعلق به المشركون من أسباب هي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ.٢٢] قال فيها بعض العلماء: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها. قال أبو العباس: «فقد تهدد سبحانه من دعا شيئا من دون الله وبين أنهم لا ملك لهم مع الله ولا شركا في ملكه وأنه ليس له عون ولا ظهير من المخلوقين فقطع تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة ورهبة وعبادة واستعانة ولم يبق إلا الشفاعة وهي حق لكن قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ...﴾»وهذا كله يبين أن الأمر كله لله هو الذي يكرم الشفيع بالإذن له في الشفاعة، والشفيع لا يشفع إلا فيمن يأذن الله له ثم يحد للشفيع حدا فيدخلهم الجنة فالأمر بمشيئته وقدرته واختياره وأوجه الشفعاء وأفضلهم هو عنده الذي فضله على غيره واختاره واصطفاه بكمال عبوديته وطاعته وإنابته وموافقته لربه فيما يحبه ويرضاه»[٢].

وقال أيضاً: «فبيَّن أن كل ما يدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون مثقال ذرة ولا لأحد منهم شرك معه ولا له ظهير منهم فلم يبق إلا الشفاعة» ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» فالأمر في الشفاعة إليه وحده كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، وقال: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة» ...»[٣].

---

(١) القول الفصل النفيس ص ٨٦. وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٩٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٢٨٠.

وقال ابن القيم: «فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع بها عابده أو شريكاً لمالكها أو ظهيرا أو وزيراً ومعاوناً له أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض فقد يقول المشرك هي شريكة لمالك الحق فنفى شركتها له فيقول المشرك قد تكون ظهيرا ووزيراً ومعاوناً فقال وماله منهم من ظهير فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها وأن كل ما سواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سواه فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه»[1].

٥ - فائدة:

أنكر الخوارج والمعتزلة شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر بناء على أصلهم الفاسد في تخليد أهل الكبائر من أهل التوحيد في النار، وحصروا معنى الشفاعة في زيادة الأجر والثواب لمن أطاع الله ﷻ، واحتجوا بما تقدم من الآيات ونحوها النافية للشفاعة، وهذه الآيات ـ كما ذكر أهل العلم ـ في حق الكافرين دون المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ.٢٣] وبقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء.٢٨] وهذه الشفاعة التي يطلبها

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٦٢.

المشركون من الشفعاء والأنداد من دون الله منتفية دنيا وأخرى ومنتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن. قال شيخ الإسلام: «واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ وبقوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾، وبقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ وبقوله: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ وبقوله ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾.

وجواب أهل السنة: أن هذا يراد به شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين كما قال تعالى في نعتهم ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾، فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً.

والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة»[1].

والخلاصة أن الناس في الشفاعة طرفان ووسط. فالخوارج والمعتزلة أنكروا الشفاعة والقبوريون أثبتوا شفاعة شركية فجوزوا طلب الشفاعة من الأموات والأولياء في أمور لا يقدر عليها إلا الله[2]. وأهل السنة أثبتوا الشفاعة بشروط

---

(١) انظر للاستزادة الاقتضاء ٢/ ٨٢١.

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٤٩.

الإذن والرضى.

٦ - الشبه التي يتعلق بها المشركون في طلب الشفاعة من غير الله:

بعض القبوريين يتعلق بشبه هي عند التحقيق دليل عليه وقد تقدم بيان ذلك في باب التوسل ونحن نذكره هنا زيادة في الإيضاح فمن ذلك:

١- حديث عثمان بن حنيف في قول الضرير: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد.

والمقصود هنا الدعاء أي دعاء نبيك محمد لأنه في أول الحديث قال: إن شئت دعوت لك، وطلب منه أن يدعو أن يستجيب لدعاء النبي ﷺ فالمستشفع به هو دعاء النبي وليس ذات النبي ﷺ، وقد سبق في باب (التوسل).

٢- ومن شبههم أيضاً أنهم قالوا الاستشفاع بالأنبياء يجوز لأنكم تقولون إن الاستشفاع بالحي جائز والأنبياء أحياء، فنحن نستشفع بأحياء، فإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فالأنبياء من باب أولى.

* **والجواب عن ذلك بما يأتي:**

١ ـ أن الله أخبر عنهم في القرآن أنهم ماتوا وانقطعت أعمالهم قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر.٣٠] وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله..» فليس له عمل بعد الموت.

٢ ـ أن الله منعك أن تسألها من غيره.

وأما كونهم أحياء فنعم ولكنها حياة برزخية غير هذه الحياة.

قال ابن باز رحمه الله: «لا يجوز لأحد أن يطلب من الرسول ﷺ الشفاعة؛ لأنها ملك الله سبحانه، فلا تطلب إلاّ منه، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ [الزمر:٤٤].

فتقول: «اللهم شفع فيَّ نبيك، اللهم شفع فيَّ ملائكتك، وعبادك المؤمنين، اللهم

شفع فيَّ أفراطي»، ونحو ذلك. وأما الأموات فلا يُطلب منهم شيء، لا الشفاعة ولا غيرها، سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء؛ لأن ذلك لم يشرع، ولأن الميت قد انقطع عمله إلا مما استثناه الشارع.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع، أو ولد صالح يدعو له».

وإنما جاز طلب الشفاعة من النبي ﷺ في حياته ويوم القيامة؛ لقدرته على ذلك، فإنه يستطيع أن يتقدم فيسأل ربه للطالب، أما في الدنيا فمعلوم، وليس ذلك خاصاً به، بل هو عام له ولغيره، فيجوز للمسلم أن يقول لأخيه: اشفع لي إلى ربي في كذا وكذا، بمعنى: ادع الله لي، ويجوز للمقول له ذلك أن يسأل الله ويشفع لأخيه، إذا كان ذلك المطلوب مما أباح الله طلبه.

وأما يوم القيامة فليس لأحد أن يشفع إلا بعد إذن الله سبحانه، كما قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وأما حالة الموت فهي حالة خاصة لا يجوز إلحاقها بحال الإنسان قبل الموت، ولا بحاله بعد البعث والنشور؛ لانقطاع عمل الميت، وارتهانه بكسبه إلا ما استثناه الشارع، وليس طلب الشفاعة من الأموات مما استثناه الشارع، فلا يجوز إلحاقه بذلك، لا شك أن النبي ﷺ بعد وفاته حي حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء، ولكنها ليست من جنس حياته قبل الموت، ولا من جنس حياته يوم القيامة، بل حياة لا يعلم حقيقتها وكيفيتها إلا الله سبحانه؛ ولهذا تقدم في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ عليّ روحي حتى أرد عليه.

فدل ذلك على أنه ميت، وعلى أن روحه قد فارقت جسده، لكنها ترد عليه عند السلام، والنصوص الدالة على موته ﷺ من القرآن والسنة معلومة، وهو أمر متفق

عليه بين أهل العلم، ولكن ذلك لا يمنع حياته البرزخية، كما أن موت الشهداء لم يمنع حياتهم البرزخية المذكورة في قوله تعالىٰ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩].

وإنما بسطنا الكلام في هذه المسألة؛ لدعاء الحاجة إليه، بسبب كثرة من يشبه في هذا الباب، ويدعو إلىٰ الشرك وعبادة الأموات من دون الله. فنسأل الله لنا ولجميع المسلمين السلامة من كل ما يخالف شرعه. والله أعلم»[١].

٣- ومن شبههم أيضاً أنهم يستدلون علىٰ الجواز بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤].

فيقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئاً ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم[٢].

قال الشيخ السعدي: «وهذا المجيء إلىٰ الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل علىٰ ذلك، لكون الاستغفار من الرسول، لا يكون إلا في حياته. وأما بعد موته، فإنه لا يطلب منه شيء، بل ذلك شرك»[٣].

٤- ومن شبههم أيضاً إطلاق القول بأن الله ملّك المؤمنين الشفاعة.

قال الشيخ أبا بطين: «إطلاق القول بأن الله ملّك المؤمنين الشفاعة، خطأ، بل

---

(١) بيان ما تشرع زيارته وما لا تشرع زيارته من مساجد المدينة النبوية ١٩- ٢١.

(٢) انظر: الوسيلة والتوسل ص ١٢١.

(٣) تفسير السعدي ١٤٩.

الشفاعة كلها لله وحده ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وأثبت سبحانه الشفاعة بإذنه، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء يشفعون، والصالحين يشفعون، وعلى هذا فمن أذن الله له في الشفاعة، يصح أن يقال أنه ملك ما أذن له فيه فقط، لا ما لم يؤذن له فيه، فهو تمليك معلق على الإذن والرضا لا تمليك مطلق كما يزعمه هذا الضال[١]، وسيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه لا يشفع حتى يقال له ارفع رأسك، وقل يسمع واشفع تشفع...»[٢].

٧- الفرق بين الشفاعة عند الله وبين الشفاعة عند البشر:

الشفاعة عند البشر قد تحصل بدون إذن المشفوع إليه، أو بدون رضاه عن المشفوع له، وذلك لأي سبب من الأسباب، والتي تدل على تأثير المخلوق في المخلوق، بخلاف الشفاعة عند الله تبارك وتعالى، فلا تحصل إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له.

قال القاضي علي بن أبي العز شارح الطحاوية: «الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعه في الطلب، بمعنى أنه صار به شفعاً فيه بعد أن كان وتراً، فهو أيضاً قد شفع المشفوع إليه، فبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه والله تعالى وتر، لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه فلا شريك له بوجه»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن المخلوق يشفع عند نظيره، أو من هو أعلى منه، أو دونه، بدون إذن المشفوع إليه، ويقبل المشفوع إليه ولابد شفاعته: إما لرغبته إليه، أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه به أو يدفع عنه ما يخشاه، وإما

(١) يقصد داود بن جرجيس

(٢) تأسيس التقديس ص ٨٢.

(٣) شرح الطحاوية ١/ ٣٠٠.

لرهبته منه، وإما لمحبته إياه، وإما للمعاوضة بينهما والمعاونة، وإما لغير ذلك من الأسباب.

وتكون شفاعة الشفيع هي التي حركت إرادة المشفوع إليه، وجعلته مريداً للشفاعة بعد أن لم يكن مريداً لها، كأمر الآمر الذي يؤثر في المأمور، فيفعل ما أمره به بعد أن لم يكن مريداً لفعله»[1].

٨ - حكم الشفاعة في أمور الدنيا:

والمقصود من أمور الدنيا التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق.

والشفاعة في أمور الدنيا قد تكون محمودة، وقد تكون مذمومة.

فالشفاعة لدى الآخرين من أجل أخذ الحقوق أو درء المظالم ونحو ذلك من حاجات الناس المباحة سعي مبرور.

وأما الشفاعة في إبطال الحقوق، أو إقرار الباطل، أو تعطيل حد ونحو ذلك فهو مذموم قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك قال تعالى ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته.

قال الحافظ النووي رحمه الله في بيان ذلك: «تستحب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما أم إلى أحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم، أو إسقاط تعزير، أو في تخليص عطاء لمحتاج، أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٨١.

تتميم باطل، أو إبطال حق، ونحو ذلك فهي حرام»[١].

وقال في موضع آخر: «اعلم أنه تستحب الشفاعة إلىٰ ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها ما لم تكن شفاعة في حد، أو شفاعة في أمر لا يجوز تركه، كالشفاعة إلىٰ ناظر علىٰ طفل أو مجنون أو واقف، أو نحو ذلك في ترك بعض الحقوق التي في ولايته، فهذه كلها شفاعة محرمة تحرم علىٰ الشافع، ويحرم علىٰ المشفوع إليه قبولها، ويحرم علىٰ غيرهما السعي فيها إذا علمها»[٢].

وقال الشوكاني: «وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا»[٣].

وبهذا تعلم أن حكم طلب الشفاعة إذا كان في أمر مباح يقدر عليه فهذا جائز أما إذا كان طلب الشفاعة يتعلق به تعد علىٰ أحد أو إسقاط لمطلوب شرعي فمحرمة وأما إذا طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله فهذا من الشرك الأكبر.

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/ ١٧٧، ١٧٨ بتصرف.

(٢) الأذكار للنووي ص٥٠٨، وانظر للاستزادة كتاب الشفاعة للجديع ١٦ وما بعدها.

(٣) الدر النضيد ص١٦.

١٧٧ - الشكر *

قال الرازي: «الشكر الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف»[١].

والشكر عرفان الإحسان ونشرُه [٢].

وقال ابن حجر: «الشكر: الاعتراف بالنعمه والقيام بالخدمه فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال سبحانه وتعالى وقليل من عبادي الشكور»[٣].

وقال ابن القيم: «أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها، لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدهما كما يجحدها المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ولم يرض به وعنه، لم يشكره أيضاً، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به عنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها. فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له»[٤].

---

* مدارج السالكين ٢/ ٢٤٧، طريق الهجرتين ص١٦٨، بدائع الفوائد ٢/ ٢٥٧، رسالة في تحقيق الشكر ضمن جامع الرسائل لابن تيمية، مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤.

(١) مختار الصحاح (ش ك ر).

(٢) لسان العرب (ش ك ر).

(٣) فتح الباري ٣/ ١٥.

(٤) طريق الهجرتين ص١٦٨.

وقال ابن عثيمين: «الشكر فسروه بأنه: القيام بطاعة المنعم»[(١)].

والشكر يضاده الكفر والشرك وبوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بباب قول الله تعالىٰ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل.٨٣]. فقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «المراد بهذه الترجمة التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية، كنسبة النعم إلىٰ غير الله؛ فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر كما في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن جابر مرفوعاً: «من أولي معروفاً فلم يجد له جزاء إلا الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الشكر الذي هو عبادة من العبادات، وترك الشكر مناف للتوحيد، لأن الواجب أن يشكر الخالق المنعم ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فصارت لها صلة بتوحيد الربوبية وبتوحيد العبادة إضافتها إلىٰ السبب علىٰ أنه فاعل هذا إخلال بتوحيد الربوبية، ومن حيث ترك القيام بالشكر الذي هو العبادة هذا إخلال بتوحيد الألوهية»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب:**

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾[البقرة:١٥٢]، وقال ﷻ: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧]، وقال: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[النحل:١١٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[البقرة:١٧٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤.
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٩.
(٣) القول المفيد من مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤، ٦٩٥.

﴿ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان:١٢]، وقال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤]، وقال: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل:١٩]، وقال ﷻ: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ [القمر:٣٥]، وقال: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٧] وقال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

*** العلاقة بين الحمد و الشكر و المدح:**

قال ابن كثير: «قال أبو جعفر بن جرير: «معنى الحمد لله الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في تصحيح الآلات في طاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش إستحقاق منهم ذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولاً وآخراً»(١).

وقال ابن جرير رحمه الله: «الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله قال: وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا. وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه»(٢).

ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا

---

(١) انظر تفسير ابن جرير ١/ ٦٠.

(٢) انظر تفسير ابن جرير ١/ ٦٠.

من الحمد والشكر مكان الآخر وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية وقال ابن عباس الحمد لله كلمة كل شاكر وقد استدل القرطبي بابن جرير بصحة قول القائل الحمد لله شكراً وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن

الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعمـــاء مني ثلاثــة   يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا أيها أعم الحمد أو الشكر على قولين والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصاً.

فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية تقول حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول.

والشكر أعم من حيث ما يقعان به لأنه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية لا يقال شكرته لفروسيته وتقول شكرته على كرمه وإحسانه إلي هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين والله أعلم.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: «الحمد نقيض الذم تقول حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدة فهو حميد ومحمود والتحميد أبلغ من الحمد والحمد أعم من الشكر وقال في الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح وأما المدح فهو أعم من الحمد لأنه يكون للحي والميت وللجماد أيضا كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك ويكون قبل الإحسان وبعده المتعدية واللازمة أيضا فهو أعم»[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢، ٢٣.

قال ابن القيم: «والفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، ومتعلقة: النعم دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد يقع بالقلب واللسان»(١).

وبه تعلم أين يكون الشكر.

قال ابن عثيمين: «الشكر يكون في ثلاثة مواضع:

في القلب: وهو أن يعترف بقلبه أن هذه النعمة من الله، فيرى لله فضلاً عليه بها، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وأعظم نعمة هي نعمة الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ... ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤].

اللسان: وهو أن يتحدث بها على وجه الثناء على الله والاعتراف وعدم الجحود، لا على سبيل الفخر والخيلاء والترفع على عباد الله، فيتحدث بالغنى لا ليكسر خاطر الفقير، بل لأجل الثناء على الله، وهذا جائز كما في قصة الأعمى من بني إسرائيل لما ذكرهم الملك بنعمة الله، قال «نعم، كنت أعمى فرد الله علي بصري، وكنت فقيراً فأعطاني الله المال»، فهذا من باب التحدث بنعمة الله.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٤.

والنبي ﷺ تحدث بنعمة الله عليه بالسيادة المطلقة، فقال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[١].

الجوارح: وهو أن يستعملها بطاعة المنعم، وعلى حسب ما يختص بهذه النعمة.

فمثلاً: شكر الله على نعمة العلم: أن تعمل به، وتعلمه الناس.

وشكر الله على نعمة المال: أن تصرفه بطاعة الله، وتنفع الناس به.

وشكر الله على نعمة الطعام: أن تستعمله فيما خلق له، وهو تغذية البدن، فلا تبني من العجين قصراً مثلاً، فهو لم يخلق لهذا الشيء»[٢].

وفي حديث النبي ﷺ يقول: «أن ثلاثة من بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمي... الحديث قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر، فإن الأولين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمته، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله، فحل عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيهما، فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب»[٣].

وذكر الشيخ ابن عثيمين من فوائد الحديث: «بيان أن شكر كل نعمة بحسبها، فشكر نعمة المال أن يبذل في سبيل الله، وشكر نعمة العلم أن يبذل لمن سأله بلسان الحال أو المقال، والشكر الأعم أن يقوم بطاعة المنعم في كل شيء»[٤].

---

(١) مسلم: كتاب الفضائل/ باب تفضيل النبي ﷺ على جميع الخلائق.

(٢) القول المفيد من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤، ٦٩٥.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٧، ٦٢٨، ط. المكتب الإسلامي.

(٤) القول المفيد من مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤، ٦٩٥.

والشكر من أعلى مراتب العبد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أنه يبتليهم بالسَّراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر...»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم: «على حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر فإن رأس الشكر التوحيد ورأس الصبر ترك إجابة داعي الهوى، فإذا كان مشركاً متبعاً هواه لم يكن صابراً ولا شكوراً..»[(٢)].

وقال ابن عثيمين في بيان موقف العبد حال المصيبة: «الرابعة: الشكر وهو أعلى المراتب وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة وذلك يكون في عباد الله الشاكرين حين يرى أن هناك مصائب أعظم منها وأن مصائب الدنيا أهون من مصائب الدين، وأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وأن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته وربما لزيادة حسناته شكر الله على ذلك قال النبي ﷺ: «ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا شيء إلا كفّر له بها حتى الشوكة يشاكها»، كما أنه قد يزداد إيمان المرء بذلك»[(٣)].

فائدة: في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

قال ابن عثيمين: «أكثر المفسرين على أنه على حذف مضاف، أي: أتجعلون شكر رزقكم، أي: ما أعطاكم الله من شيء من المطر ومن إنزال القرآن، أي: تجعلون شكر هذه النعمة العظيمة أن تكذبوا بها، والنبي ﷺ وإن كان ذكرها في المطر، فإنها تشمل المطر وغيره.

---

(١) العقيدة الأصفهانية ص١٢٩.

(٢) الفوائد ص١٣١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤، ٦٩٥، وانظر القول المفيد ط١ ٢/ ٢١٦، ٢١٧.

وقيل: إنه ليس في الآية حذف، والمعنىٰ: تجعلون شكركم تكذيباً، وقال: إن الشكر رزق، وهذا هو الصحيح، بل هو أكبر الأرزاق، قال الشاعر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكــر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

فالنعمة تحتاج إلىٰ شكر، ثم إذا شكرتها، فهي نعمة أخرىٰ تحتاج إلىٰ شكر ثان، وإن شكرت في الثانية، فهي نعمة تحتاج إلىٰ شكر ثالث، وهكذا أبداً، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]»[1].

---

(١) القول المفيد من مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٤،٦٩٥.

١٧٨ - شهادة أن محمداً رسول الله *

[الإيمان بالرسل ـ النبوة]

الشهادة لغة: قال الجوهري: «الشهادة: خبرٌ قاطع.

والمشاهدة: المعاينة، وشَهِدَهُ شُهوداً، أي حَضَرَه، فهو شاهدٌ. وقومٌ شُهودٌ، أي حُضورٌ، وشهد له بكذا أي أدّىٰ ما عنده من الشهادة، فهو شاهد»(١).

وفي مقاييس اللغة لابن فارس: شهد: الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ علىٰ حضور وعلم وإعلام، لا يخرُج شيءٌ من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام. يقال: شهد يشهد شهادةً. اهـ.

قال الإمام القاضي ابن أبي العز: «وعبارات السلف في «شهد» تدور علىٰ الحكم والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار، وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب:

فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلُّمه بذلك، وإن لم يُعلم به غيره، بل يتكلم بها مع نفسه ويذكرها وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يُعلم غيره بها بما يشهد به، ويُخبره به، ويبينه له.

ورابعها: أن يُلزمه بمضمونها ويأمرَه به.

---

* انظر مراجع النبوة، الدرر السنية ١٢/ ٥٤٠.

(١) مختار الصحاح (ش هـ د).

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع: علمه سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به، وأمرهم وإلزامهم به»[(١)].

وفي الشرع قال القاضي عياض: «والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به، وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك اللسان ثم الإيمان به والتصديق له»[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «معنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «معنى شهادة «أن محمداً رسول الله» هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله ﷻ إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٤، وانظر مدارج السالكين ٣/ ١٥١.
(٢) الشفاء ٢/ ٣.
(٣) ثلاثة الأصول من شرح الشيخ ابن عثيمين انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٧١.

الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ، حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠] فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن: ٢١-٢٢] وقال سبحانه: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وأن حقه ﷺ، أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها وهي أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين: «ويلزم من هذه الشهادة أن تتبعه في شريعته وفي سُنَّته وأن لا تبتدع في دينه ما ليس منه ولهذا نقول إن أصحاب البدع الذين يبتدعون في شريعة الرسول ﷺ ما ليس منها إنهم لم يحققوا شهادة أن محمداً رسول الله»[(٢)].

وشهادة أن محمداً رسول الله كما تقتضي الإيمان به تقتضي الإيمان بجميع الرسل لما بينهما من التلازم، وكذلك الكتب التي جاءت بها الرسل[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين شرح ثلاثة الأصول ٦/ ٧١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/ ٣٢٣.

(٣) انظر: التنبيهات السنية للرشيد ١١.

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]. قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء.٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب.٣٦].

* **الدليل من السنة:** حديث وفد عبد القيس حيث قال ﷺ لهم: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس ...» الحديث[1].

أحكام وفوائد:

١ - أركان شهادة «أن محمداً رسول الله»:

لهذه الشهادة ركنان اثنان هما قولنا: **عبده ورسوله**. قال الله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ الآية، وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]. وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأما الإيمان بأنه عبد الله فلئلا يُغلا في جنابه ولا يرفع فوق مرتبة العبودية إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧).

مرتبة العبادة له من دون الله فإن حقه ﷺ أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالىٰ إياها.
ووصف العبودية هو الذي اختاره الله لرسوله ﷺ في أشرف المقامات فقال تعالىٰ:
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف:١]، وقال تعالىٰ:
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء.١].

وقوله (عبده) أضافه إليه إضافة تشريف وتعظيم، ومعنىٰ العبد هنا المملوك العابد والعبودية الخاصة وصفه ﷺ كما قال سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر.٣٦] وأعلىٰ مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة، والنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين، وأما الربوبية والألوهية فهما حق لله لا يشركه فيهما أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلا عن غيرهما[١].

ولابد من العلم بمعناها لا يكفي مجرد التلفظ قال شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: «من اعتقد أنه بمجرد تلفظ الإنسان بهذه الكلمة[٢] يدخل الجنة ولا يدخل النار بحال فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين؛ فإنه قد تلفظ بها المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وهم كثيرون..»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولا ريب أنه لو قالها[٤] أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمداً رسول الله ولم يعرف معنىٰ الإله ولا معنىٰ الرسول وصلىٰ وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأىٰ الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئا من الشرك، فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه، وقد أفتىٰ بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب

---

(١) انظر التنبيهات السنية للرشيد ص١١.

(٢) يعني كلمة (لا إله إلا الله).

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ٢٠٢.

(٤) يعني قول الشهادة (لا إله إلا الله).

«الدر الثمين في شرح المرشد المعين» من المالكية، ثم قال شارحه: وهذا الذي أفتوا به جلي في غاية الجلاء، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان انتهى. ولا ريب أن عباد القبور أشد من هذا لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين»[(١)]. وقد تقدم في أول الباب معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

٢ - ماذا تتضمن معرفة النبي ﷺ:

قال ابن عثيمين: «وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

الأول: معرفته نسباً، فهو أشرف الناس نسبا فهو هاشمي قرشي عربي فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

الثاني: معرفة سنّه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ ـ محمد ابن عبد الوهاب ـ بقوله: «وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة». فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثا وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحى إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأتــت عليــه أربعــون فأشــرقت ... شـمس النبـوة منـه في رمـضان

الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١-٥]، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٨١، ٨٢.

﴿٦﴾ [المدثر.١-٧] فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله ﷻ.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالىٰ وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلىٰ نور العلم والإيمان والتوحيد حتىٰ ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه»[١].

٣ - خصائص النبي ﷺ:

قال الشيخ صالح الفوزان: «للرسول محمد ﷺ خصائص اختص بها عن غيره من الأنبياء وخصائص اختص بها عن أمته.

أ) والخصائص التي اختص بها عن غيره من الأنبياء كثيرة منها:

١- أنه خاتم النبيين، قال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، وقال ﷺ: «أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي».

٢- المقام المحمود وهو الشفاعة العظمىٰ[٢].

٣- عموم بعثته إلىٰ الثقلين الجن والإنس، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ وهذا مجمع عليه، والآيات التي أنزلها الله علىٰ محمد ﷺ فيها خطاب لجميع الخلق: الجن والإنس، إذ كانت رسالته عامة للثقلين...

---

(١) شرح الأصول الثلاثة من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١٢١، ١٢٢.

(٢) انظر باب الشفاعة، فقد سبق الكلام عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب عل الإنسان أن يعلم أن الله ﷻ أرسل محمداً ﷺ إلىٰ جميع الثقلين الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، ويحبوا ما أحب الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالىٰ كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

٤- ومن خصائصه ﷺ: القرآن العظيم الذي أذعن لإعجازه الثقلان، وأحجم عن معارضته مصاقيع الإنس والجان، واعترف بالعجز عن الإتيان بأقصر سورة من مثله أهل الفصاحة والبلاغة من سائر الأديان، وقد سبق تفصيل ذلك.

٥- ومن خصائصه ﷺ: المعراج إلىٰ السماوت العلىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ، إلىٰ مستوىٰ سمع فيه صريف الأقلام فكان قاب قوسين أو أدنىٰ.

ب) **وأما الخصائص التي اختص بها دون أمته: قال القرطبي في تفسيره**: خص الله تعالىٰ رسوله من أحكام الشريعة بمعانٍ لم يشاركه فيها أحد، في باب الفرض والتحريم والتحليل، مزية علىٰ الأمة وهبة له ومرتبة خص بها، ففرضت عليه أشياء ما فرضت علىٰ غيره، وحرمت عليه أشياء لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحل لهم، منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه.. ثم ذكر هذه الخصائص ومنها... التهجد بالليل، يقال: إن قيام الليل كان واجباً عليه إلىٰ أن مات لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، والمنصوص أنه كان واجباً عليه ثم نسخ بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩].

ومنها: أنه إذا عمل عملاً أثبته. ومنها: تحريم الزكاة عليه وعلى آله. ومنها: أنه أحل له الوصال في الصيام، وأحل له الزيادة على أربع نسوة. ومنها أنه أُحل له القتال بمكة. ومنها: أنه لا يُورث. ومنها: بقاء زَوْجيَّتِهِ بعد الموت، وإذا طلق امرأة تبقى حرمته عليها فلا تُنكح، إلى غير ذلك من الخصائص النبوية»[1].

ولمزيد من التفصيل انظر في الأبواب (متابعة الرسول ﷺ) (النبوة).

١٧٩- الشهادة لمعين بالجنة أو النار

انظر باب (التألي على الله).

(١) الإرشاد ص١٧٣-١٧٦.

١٨٠- الصبر*

الصبر في اللغة: الحبس والكف، ومنه قتل فلان صبرا أي إذا أُمسك وحبس ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] أي: احبس نفسك معهم.

وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه. فإن كان حبس النفس بمصيبة سمي صبرا لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانا، ويضاده البذل والهذر والإفشاء، وفي فضول العيش: زهد، ويضاده الحرص، وفي اليسير من الدنيا: قناعة، وضده الشره[(١)].

وفي الشرع: قال ابن تيمية رحمه الله: «الصبر فيه جمع وإمساك ولهذا قيل الصبر حبس النفس عن الجزع»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما»[(٣)].

---

* شرح السنة للبغوي ٥/ ٤٤٦. أحكام القرآن القرطبي ١٥/ ٢١٥. التحفة العراقية لابن تيمية ٥٢. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين تحقيق محمد عثمان الخشن. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٩ ـ ٣/ ٢٧٤. دليل الفالحين ١/ ١٣٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري ٥/ ٨٤. تيسير العزيز الحميد ص٥١٥. فتح المجيد ص٤٢١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٥٨. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢١١، ط٢-٢/ ٢٥٧ ومن المجموع ١٠/ ٦٨٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٨. الدرر السنية ٢/ ١٥٤. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٤٩١. ثلاثة الأصول لابن عثيمين. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ١١. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ٦٢٢. قواعد التوحيد للريس.

(١) مفردات الراغب ص ٢٧٣.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٧/ ٢٣٣.

(٣) عدة الصابرين لابن القيم ص٢٧.

وقال الراغب في مفرداته: «الصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقيل: الصبر ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة»[٢]، ثم ذكر قول عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: «الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة» وقال معلقاً عليه: «ومعنى هذا أنه يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى»»[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «الصبر: حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله»[٤].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]. قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم»[٥].

* **الدليل من السنة:** عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[٦].

---

(١) مفردات الراغب ص٢٧٣.

(٢) عدة الصابرين لابن القيم ص٣٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٧.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٢٨/ ١٢٣.

(٦) أخرجه مسلم (٢٢٣). والنسائي (٢٤٣٩). والترمذي (٣٥١٧).

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»(٢).

وللبخاري ومسلم مرفوعاً: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»(٣).

ولمسلم قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»(٤).

وأمر رسول الله ﷺ الأنصار بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض. وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر، وأمر بالصبر عند المصيبة، وأخبر أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى. وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب، فإن ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره(٥).

*** أقوال السلف في الصبر:**

قال عمر ﷺ: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»(٦).

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له»(٧).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٩) (٦٤٧٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٥) للاستزادة انظر تيسير العزيز الحميد ص٥١٥.

(٦) أخرجه البخاري في باب الصبر عن محارم الله ص١١٢٢ ورقم الحديث بعده (٦٤٧٠).

(٧) انظر تيسير العزيز الحميد ص٥١٥.

وقال الإمام أحمد: «ذكر الله الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً»[(١)].

وقال أبو الفرج بن الجوزي: «الرجل كل الرجل من يصبر على العافية. وهذا الصبر متصل بالشكر، فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر، وإنما كان الصبر على السراء شديدا، لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ»[(٢)].

وقال ابن القيم في منازل السائرين: «والصبر حبس النفس على المكروه، وعقل اللسان عن الشكوى، وهو من أصعب المنازل على العامة وأوحشها في طريق المحبة وأنكرها في طريق التوحيد. وهو واجب بإجماع الأمة»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه وصف الأئمة بالصبر واليقين فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة.٢٤]»[(٤)].

وقال ابن القيم: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»[(٥)].

وقال ابن كثير: «والصبر من صفات عباد الرحمن التي استحقوا بها الجنة العالية، ولقوا فيها التحية والسلام قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان:٧٥-٧٦]»[(٦)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٥١٥.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٣٠.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٥٢.

(٤) الاستقامة لابن تيمية ١/ ٤٠.

(٥) مدارج السالكين.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٦٣.

أحكام وفوائد:

١ - حكم الصبر:

قال أبو بكر الطرطوشي في البدع والحوادث: «التصبر واجب»[١].

وقال ابن حزم في المحلىٰ: «والصبر واجب»[٢].

وقال شيخ الإسلام: «والصبر واجب باتفاق العلماء»[٣].

وقد تقدم كلام ابن القيم في مدارج السالكين: «أنه واجب بإجماع الأمة»[٤].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في حديث النهي عن النياحة: «وفيه دليل علىٰ أن الصبر واجب، لأن النياحة منافية له، فإذا حرمت دل علىٰ وجوبه»[٥].

وهذا الحكم متعلق بالأقسام الثلاثة؛ فالصبر علىٰ أقدار الله التي لا صنع للعبد فيها واجب بالاتفاق وكذلك الصبر عن المحرمات. قال شيخ الإسلام: «والمؤمن مأمور بأن يصبر علىٰ المقدور»[٦].

وقال رحمه الله: «وأما الصبر عن المحرمات فواجب وإن كانت النفس تشتهيها وتهواها»[٧].

وأما الصبر علىٰ طاعة الله فيما افترض فواجب لا يخالف في ذلك عاقل.

أما في غير هذه الأقسام الثلاثة فقد فصل الإمام ابن القيم في ذلك فقال بعد ذكره للنوع السابق ـ وهو الواجب ـ:

---

(١) كتاب البدع والحوادث ص١٦٣.

(٢) المحلىٰ ٥/ ٢١٦.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٢٦٠، ١٧/ ٢٧، والفتاوىٰ الكبرىٰ ٤/ ٤٤٣، وانظر: الآداب الشرعية ١/ ٣٠، وكشاف القناع ٢/ ١٦٣.

(٤) مدارج السالكين ٢/ ١٥٢.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص٥١٨.

(٦) مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٣٢٩.

(٧) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٥٧٤ .

وأما الصبر المندوب: فهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

وأما المحظور فأنواع: أحدها: الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة حرام إذا خاف بتركه الموت، قال طاووس وبعده الإمام أحمد: من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار...

وأما الصبر المكروه فله أمثلة: أحدها: أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه. الثاني: صبره عن جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به. الثالث: صبره على المكروه. الرابع: صبره عن فعل المستحب.

وأما الصبر المباح: فهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه.

وبالجملة: فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب، وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب، وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح.. والله أعلم»[١].

٢ - أقسام الصبر:

يقول ابن القيم رحمه الله في تقسيم الصبر: «الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر على المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في فتوح الغيب: لابد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه...

(١) عدة الصابرين ص٢٣ باختصار.

وهذه الثلاثة هي التي أوصىٰ بها لقمان لابنه في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان.١٧]»[1].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «الصبر ثلاثة أنواع: أعلاها الصبر علىٰ طاعة الله، ثم الصبر عن معصية الله، ثم الصبر علىٰ أقدار الله.

وهذا الترتيب من حيث هو لا باعتبار من يتعلق به، وإلا فقد يكون الصبر علىٰ المعصية أشق علىٰ الإنسان من الصبر علىٰ الطاعة، إذا فتن الإنسان مثلاً بامرأة جميلة تدعوه إلىٰ نفسها في مكان خال لا يطلع عليه إلا الله وهو رجل شاب ذو شهوة؛ فالصبر عن هذه المعصية أشق ما يكون علىٰ النفوس، قد يصلي الإنسان مائة ركعة وتكون أهون عليه من هذا.

وقد يصاب الإنسان بمصيبة يكون الصبر عليها أشق من الصبر علىٰ الطاعة فقد يموت له مثلا قريب أو صديق أو عزيز عليه جدا، فتجده يتحمل من الصبر علىٰ هذه المصيبة مشقة عظيمة ...»[2].

٣ - تفاوت درجات الصبر:

قال ابن القيم رحمه الله: «الصبر نوعان: اختياري، واضطراري، والاختياري أكمل من الاضطراري؛ فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتّىٰ ممن لا يتأتىٰ منه الصبر الاختياري.

ولذلك كان صبر يوسف الصديق ﷺ عن مطاوعة امرأة العزيز، وصبره علىٰ ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه، أعظم من صبره علىٰ ما ناله من إخوته لما ألقوه

---

(١) عدة الصابرين ص٤٦، ٤٧.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٠، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢١٢.

في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وباعوه بيع العبيد.

وكذلك صبر الخليل ﷺ، والكليم، وصبر نوح، وصبر المسيح، وصبر خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وسيد ولد آدم عليهم الصلاة والسلام كان صبرا علىٰ الدعوة إلىٰ الله ومجاهدة أعداء الله؛ ولهذا سماهم الله أولي العزم، وأمر رسوله أن يصبر صبرهم قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥][(١)].

واعلم أن أجر الصبر في بعض الأعمال أكثر منه في غيره ويعظم الأجر بالصبر علىٰ أعظم الأعمال قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن أعمال البر كلما عظمت كان الصبر عليها أعظم مما دونهما فإن في العلم والإمارة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلاة والحج والصوم والزكاة من الفتن النفسية وغيرها ما ليس في غيرها ويعرض في ذلك ميل النفس إلىٰ الرئاسة والمال والصور فإذا كانت النفس غير قادرة علىٰ ذلك لم تطمع فيه كما تطمع مع القدرة فإنها مع القدرة تطلب تلك الأمور المحرمة بخلاف حالها بدون القدرة فإن الصبر مع القدرة جهاد بل هو من أفضل الجهاد وأكمل من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الصبر عن المحرمات أفضل من الصبر علىٰ المصائب.

الثاني: أن ترك المحرمات مع القدرة عليها وطلب النفس لها أفضل من تركها بدون ذلك.

الثالث: أن طلب النفس لها إذا كان بسبب أمر ديني كمن خرج لصلاة أو طلب علم أو جهاد فابتلي بما يميل إليه من ذلك فإن صبره علىٰ ذلك يتضمن فعل المأمور وترك المحظور بخلاف ما إذا مالت نفسه إلىٰ ذلك بدون عمل صالح»[(٢)].

---

(١) عدة الصابرين ص٢٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٥٧٦، ٥٧٧.

٤ - موقف العبد حال المصيبة:

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناس حال المصيبة على مراتب أربع:

الأولى: التسخط، وهو إما أن يكون بالقلب كأن يسخط على ربه ويغضب على قدر الله عليه، وقد يؤدي إلى الكفر قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ [الحج.١١] وقد يكون باللسان كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك، وقد يكون بالجوارح كلطم الخدود وشق الجيوب ونتف الشعور، وما أشبه ذلك.

الثانية: الصبر وهو كما قال الشاعر:

الـصبر مثـل اسـمه مـر مذاقتـه ... لكـن عواقبـه أحـلى مـن العـسل

فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل ويكرهه، لكنه يتحمله ويتصبر وليس وقوعه وعدمه سواء عنده، بل يكره هذا ولكن إيمانه يحميه من السخط.

الثالثة: الرضا وهو أعلى من ذلك وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة إلى قضاء الله وقدره وإن كان قد يحزن من المصيبة، لأنه رجل يسبح في القضاء والقدر أينما ينزل به القضاء والقدر فهو نازل به على سهل أو جبل، إن أصيب بنعمة أو أصيب بضدها فالكل عنده سواء، لا لأن قلبه ميت بل لتمام رضاه بربه سبحانه وتعالى يتقلب في تصرفات الرب ﷻ ولكنها عنده سواء إذ إنه ينظر إليها باعتبارها قضاء لربه، وهذا الفرق بين الرضا والصبر.

الرابعة: الشكر وهو أعلى المراتب وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة وذلك يكون في عباد الله الشاكرين حين يرى أن هناك مصائب أعظم منها وأن مصائب الدنيا أهون من مصائب الدين، وأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وأن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته وربما لزيادة حسناته شكر الله على ذلك قال

النبي ﷺ: «ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا شيء إلا كفّر له بها حتى الشوكة يشاكها»، كما أنه قد يزداد إيمان المرء بذلك»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأعلى من ذلك، أي: من الرضى أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله تعالى عليه بها، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ورفع درجاته، وإنابته وتضرعه إليه وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين»[(٢)].

٥ - حكم الرضا بقضاء الله جل وعلا:

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: «قال ابن عقيل: الرضا بقضاء الله تعالى واجب فيما كان من فعله تعالى كالأمراض ونحوها، قال: فأما ما نهي عنه من أفعال العباد كالكفر والضلال فلا يجوز إجماعا، إذ الرضا بالكفر والمعاصي كفر وعصيان.

وذكر الشيخ تقي الدين أن الرضا بالقضاء ليس بواجب في أصح قولي العلماء إنما الواجب الصبر»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وينبغي للإنسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبا مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذل وأذى الخلق له فإن الصبر على المصائب واجب وأما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب أو مستحب على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم أصحهما أنه مستحب ليس بواجب»[(٤)].

وقال ابن القيم: «وقد أجمع العلماء على أنه مستحب مؤكد استحبابه. واختلفوا في وجوبه على قولين. وسمعت شيخ الإسلام يحكيهما على قولين لأصحاب أحمد وكان يذهب إلى القول باستحبابه، قال ابن تيمية: ولم يجيء الأمر به كما جاء الأمر

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٩٥،٦٩٤، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢١٦،٢١٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٦٠.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٨/ ١٩١، وانظر أيضا للاستزادة المجموع ٢/ ٢٥٠.

بالصبر وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم»(١).

وقال رحمه الله في كتابه شفاء العليل: «وقد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين وهما وجهان لأصحاب أحمد فمنهم من أوجبه واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله رباً وذلك واجب واحتج بأثر إسرائيلي: «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ له ربًّا سواي»(٢).

ومنهم من قال: هو مستحب غير واجب فإن الإيجاب يستلزم دليلاً شرعياً ولا دليل يدل على الوجوب وهذا القول أرجح فإن الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات». وقال: «إن طائفة أجابت بأن التقديرات لها وجهين وجها يرضى بها منه وهو إضافتها إلى الله سبحانه خلقا ومشيئة ووجه يسخط منه وهو إضافتها إلى العبد فعلا واكتسابا».

ثم يوضح ذلك بقوله: «الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني، فالديني يجب الرضا به وهو من لوازم الإسلام، والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب وفي وجوبه قولان هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي، وأما الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً، فبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس»»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الرضا فقد تنازع العلماء والمشايخ من

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٧١.

(٢) قال ابن تيمية: «هذا أثر إسرائيلي ليس يصح عن النبي ﷺ» نقلاً عن ابن القيم، مدارج السالكين ٢/ ١٧١.

(٣) شفاء العليل لابن قيم الجوزية ١/ ٢٧٨.

أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء: هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين: فعلى الأول: يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني: يكون من أعمال المقربين. قال عمر بن عبدالعزيز: الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس: «إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً».

ولهذا لم يجيء في القرآن إلا مدح الراضين لا إيجاب ذلك، وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة:٢١٤] فالبأساء في الأموال، والضراء في الأبدان، والزلزال في القلوب.

وأما الرضا بما أمر به فأصله واجب، وهو من الإيمان كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً»، وهو من توابع المحبة كما سنذكره إن شاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٥٩]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

ومن النوع الأول ما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته لله وسخطه بما يقسم الله له».

وأما الرضا بالمنهيات من الكفر والفسوق والعصيان فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها، كما لا يشرع محبتها، فإن الله سبحانه لا يرضاها ولا يحبها، وإن كان قد قدّرها وقضاها كما قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء:١٠٨]؛ بل يسخطها كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٨].

وقالت طائفة: ترضى من جهة كونها مضافة إلى الله خلقاً وتُسخط من جهة كونها مضافة إلى العبد فعلاً وكسباً. وهذا القول لا ينافي الذي قبله، بل هما يعودان إلى أصل واحد، وهو سبحانه إنما قدر الأشياء لحكمة، فهي باعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية، وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة، إذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر، كما في الحديث الصحيح: «ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه».

وأما من قال بالرضا بالقضاء الذي هو وصف الله وفعله لا بالمقضي الذي هو مفعوله، فهو خروج منه عن مقصود الكلام فإن الكلام ليس في الرضا فيما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله، وإنما الكلام في الرضا بمفعولاته والكلام فيما يتعلق بهذا قد بيَّناه في غير هذا الموضع»[1].

---

(١) التحفة العراقية ص٥٥-٥٨.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أما بالنسبة لفعل المقَدِّر فيجب على الإنسان الرضا به والصبر، وبالنسبة للمقدور فيجب عليه الصبر ويستحب له الرضا.

مثال ذلك: قدر الله على سيارة شخص أن تحترق، فكون الله قدر أن تحترق السيارة هذا قدر يجب على الإنسان أن يرضى به، لأنه من تمام الرضا بالله رباً.

وأما بالنسبة للمقدور الذي هو احتراق السيارة، فالصبر عليه واجب، والرضا به مستحب وليس بواجب على القول الراجح.

والمقدور قد يكون طاعات، وقد تكون معاصي، وقد يكون من أفعال الله المحضة، فالطاعات يجب الرضا بها، والمعاصي لا يجوز الرضا بها من حيث هي مقدور، أما من حيث كونها قدر الله فيجب الرضا بتقدير الله بكل حال، ولهذا قال ابن القيم:

فلذلك نرضى بالقضاء ونسخط الـ ... مقضي حين يكون بالعصيان

فمن نظر بعني القضاء والقدر إلى رجل يعمل معصية، فعليه الرضا؛ لأن الله هو الذي قدر هذا، وله الحكمة في تقديره، وإذا نظرنا إلى فعله، فلا يجوز له أن يرضى به لأنه معصية، وهذا هو الفرق بين القدر والمقدور»[(١)].

٦ - الفرق بين الرضا والصبر:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قال طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز، والفضيل، وأبو سليمان، وابن المبارك، وغيرهم: إن الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر، وقال الخواص: الصبر دون الرضى، الرضى أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راض بأي ذاك كان، والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر»[(٢)].

---

(١) القول المفيد ٢/ ٢١٣، ومجموع الفتاوى ١٠/ ٦٩١.
(٢) الحلية ٨/ ٢٧٧.

وقال ابن رجب: كلام الخواص هذا عزم على الرضى ليس هو الرضى، فإنه إنما يكون بعد القضاء كما في الحديث: «**وأسألك الرضى بعد القضاء**»[١] لأن العبد قد يعزم على الرضى بالقضاء قبل وقوعه فإذا وقع انفسخت تلك العزيمة، فمن رضي بعد وقوع القضاء فهو الراضي حقيقة»[٢].

وقال ابن القيم مبيناً ضابط الرضا: «وليس من شرط الرضا ألا يحسَّ بالألم والمكاره بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخطه. ولهذا أشكل على بعض الناس الرضا بالمكروه وطعنوا فيه. قالوا: هذا ممتنع على الطبيعة. وإنما هو الصبر. وإلا كيف يجتمع الرضا والكراهة؟ وهما ضدان والصواب أنه لا تناقض بينهما وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضا كرضا المريض بشرب الدواء الكريه ورضا الصائم في اليوم الشديد الحرّ بما يناله من ألم الجوع والظمأ ورضا المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة.٨]: «وهذا دليل على فضيلة الرضى، وهو أن لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه ولا يكرهه، وقد وصى النبي ﷺ رجلا فقال: «لا تتهم الله في شيء قضاه لك»[٤].

فإذا نظر المؤمن بالقضاء والقدر في حكمة الله ورحمته، وأنه غير متهم في قضائه، دعاه ذلك إلى الرضى، قال ابن مسعود: إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[٥].

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٦).

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص٥٢٧.

(٣) المدارج لابن القيم ٢/ ١٨٢.

(٤) مسند الإمام أحمد (٢٣٠٩٤).

(٥) تيسير العزيز الحميد ص٥٢٥.

٧ - أمور تتنافى مع الصبر أو تقدح في كماله:

١ ـ الشكوى إلى المخلوق على سبيل التسخط.

٢ ـ الأنين.

٣ ـ الندب والنياحة[١].

وهذه الأمور تحتاج إلى توضيح وتفصيل حتى يتبين منها ما يتنافى مع الصبر وما يقدح فيه أو يقدح في كماله وما لا يكون كذلك:

١ ـ الشكوى: قال ابن القيم: «الشكوى نوعان:

أحدهما: الشكوى إلى الله، فهذا لا ينافي الصبر، كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف.٨٦]، مع قوله: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف.٨٣] وقال أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء.٨٣]، مع وصف الله له بالصبر، وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، الخ..». وقال موسى ﷺ: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك».

والنوع الثاني: شكوى المبتلى بلسان الحال والمقال، فهذه لا تجامع الصبر بل تضاده وتبطله»[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: «والشكوى نوعان: شكوى بلسان المقال، وشكوى بلسان الحال، ولعلها أعظمها. ولهذا أمر النبي ﷺ من أنعم عليه أن يظهر نعمة الله عليه. وأعظم من ذلك من يشتكي ربه وهو بخير؛ فهذا أمقت الخلق عند ربه. قال الإمام أحمد قال كعب الأحبار: «إن من حسن العمل سبحة الحديث، ومن شر العمل

---

(١) انظر أيضاً الآداب الشرعية ص٣٠.

(٢) عدة الصابرين ص٣١.

التحذيف» قيل لعبد الله: ما سبحة الحديث؟ قال: سبحان الله بحمده في خلال الحديث. قيل: فما التحذيف؟ قال: يصبح الناس بخير، فيسألون، فيزعمون أنهم بشر!»[١].

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: «ومما يقدح في الصبر إظهار المصيبة، والتحدث بها. وكتمانها رأس الصبر. وقال الحسن بن الصباح في مسنده عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة». وذكر أنه: «من بث الصبر فلن يصبر» وروي من وجه آخر عن الحسن يرفعه: من البر كتمان المصائب، وما صبر من بث»[٢].

أما ما كان من إخبار عن الحال وشكوىٰ مما يجده من ألم لا يصحبه تسخط للقدر فقد نقل ابن مفلح عن ابن تيمية قال: «ولا بأس أن يخبر بما يجده من ألم ووجع لغرض صحيح، لا لقصد الشكوىٰ» ا.هـ

وإلىٰ هذا ذهب أحمد وابن المبارك فاحتج أحمد بقول النبي ﷺ لعائشة لما قالت وارأساه قال: «بل أنا وارأساه»[٣]، واحتج ابن المبارك بقول النبي ﷺ لابن مسعود: «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»[٤]»[٥].

قال ابن القيم: «وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلىٰ زوال ضرره لم يقدح ذلك في الصبر كإخبار المريض للطبيب بشكايته»[٦].

---

(١) عدة الصابرين ص٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) عدة الصابرين ص٣٢٦.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٥)، والإمام أحمد (٢٦٤٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٦٠) ومسلم (٢٥٧١).

(٥) الآداب الشرعية ٢/ ١٨٢، ١٨٣.

(٦) عدة الصابرين ٣٢٣، وانظر ص ١٠٤.

وقد نقل ابن حجر كلاماً للقرطبي رحمه الله فقال: «وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر»[١].

وقال ابن حجر رحمه الله: «وأما إخبار المريض الطبيب أو صديقه عن حاله فلا بأس به اتفاقا»[٢].

وقال أيضاً عند شرح حديث عائشة «وارأساه»: «وفيه أن ذكر الوجع ليس بشكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان»[٣].

٢ـ الأنين؛ قال ابن القيم: «وأما الأنين فهل يقدح في الصبر، فيه روايتان عن الإمام أحمد قال أبو الحسين: أصحهما الكراهة لما روي عن طاووس أنه كان يكره الأنين في المرض. وقال مجاهد: كل شيء يكتب على ابن آدم مما يتكلم حتى أنينه في مرضه قال هؤلاء: وإن الأنين شكوى بلسان الحال ينافي الصبر. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: «قال لي أبي في مرضه الذي توفي فيه: أخرج إليّ كتاب عبد الله بن إدريس. فأخرجت الكتاب، فقال أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم، فأخرجت أحاديث ليث، فقال: اقرأ عليّ أحاديث ليث، قال: قلت لطلحة: أن طاوس كان يكره الأنين في المرض، فما سمع له أنين حتى مات. فما سمعت أبي أنّ في مرضه إلى أن توفي.

والرواية الثانية: أنه لا يكره ولا يقدح في الصبر. قال بكر بن محمد عن أبيه سئل أحمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع، فقال: تعرف فيه شيئا عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، حديث عائشة «وارأساه»[٤]، وجعل يستحسنه.

---

(١) فتح الباري ١٠/ ١٢٩.
(٢) فتح الباري ١٠/ ١٢٩.
(٣) الفتح لابن حجر ١٠/ ١٣١.
(٤) سبق تخريجه.

وقال المروزي: دخلت على أبي عبد الله وهو مريض، فسألته، فتغرغرت عيناه، وجعل يخبرني ما مر به في ليلته من العلة.

والتحقيق أن الأنين على قسمين: أنين شكوى فيكره، وأنين استراحة وتفريج فلا يكره، والله أعلم.

وقد روى في أثر: أن المريض إذا بدأ بحمد الله، ثم أخبر بحاله، لم يكن شكوى وقال شقيق البلخي: من شكى من مصيبة نزلت به إلى غير الله، لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله أبدا»[1].

٣ـ الندب والنياحة وشق الثياب ...

الندب: تعداد محاسن الميت وما يلقون بفقده بلفظ النداء[2]. والإتيان بحرف الندبة[3]. مثل قولهم: وارجلاه، واجبلاه، واانقطع ظهراه، وأشباه هذا.

والنوح: قال في التيسير: «أي: رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله لما في ذلك من التسخط على القدر والجزع المنافي للصبر، وذلك كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه ونحو ذلك»[4].

ومن أحاديث النهي عن ذلك حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[5].

وحديث كريمة المزنية قالت: سمعت أبا هريرة وهو في بيت أم الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من الكفر بالله: شق الجيب، والنياحة، والطعن في النسب»[6].

---

(١) عدة الصابرين ٣٢٤.

(٢) المغني لابن قدامة ٢/ ٥٤٧.

(٣) حاشية البجيرمي ١/ ٥٠٢.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٥١٨، وانظر سبل السلام ٢/ ١١٥.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٩٨)(١٢٩٤) ومسلم (١٠٣).

(٦) أخرجه الحاكم في مستدركه في الجنائز ١/ ٣٨٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي عليه.

قال في التيسير: «قوله: ودعى بدعوى الجاهلية قال شيخ الإسلام: «هو ندب الميت» وقال غيره: «هو الدعاء بالويل والثبور».

وقال الحافظ: «أي: من النياحة ونحوها» وكذا الندب به كقولهم: واجبلاه، وكذا الدعاء بالويل والثبور.

وقال ابن القيم: «الدعاء بدعوى الجاهلية، كالدعاء إلى القبائل والعصبية للإنسان، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف، والمشايخ وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية، وكونه منتسبا إليه يدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي ويزن الناس به، فكل هذا من دعوى الجاهلية. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: الصحيح أن دعوى الجاهلية يعم ذلك كله»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «فقوله: «هما بهما» أي: هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفر وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ﷺ: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة» وبين كفر منكر في الإثبات»[(٣)].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥١٩.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧).

(٣) اقتضاء الصراط ١/ ٢٠٧، ٢٠٨.

بالنجوم، والنياحة»، وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قوله «تقام يوم القيامة» أي تقام من قبرها.

قوله: «وعليها سربال من قطران» السربال: الثوب السابغ كالدرع، والقطران معروف. ويسمى «الزفت»، وقيل: وقيل إنه النحاس المذاب.

قوله: «ودرع من جرب» الجرب: مرض معروف يكون في الجلد يؤرق الإنسان، وربما يقتل الحيوان، والمعنى أن كل جلدها يكون جرباً بمنزلة الدرع، وإذا اجتمع قطران وجرب زاد البلاء؛ لأن الجرب أي شيء يمسه يتأثر به، فكيف ومعه قطران؟

والحكمة: أنها لما لم تغط المصيبة بالصبر غطيت بهذا الغطاء: سربال من قطران ودرع من جرب، فكانت العقوبة من جنس العمل»[(٢)].

وفي البخاري: قال أبو بردة بن أبي موسى رضي الله عنه: وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال: «إني بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة»[(٣)].

*** حكم النياحة:**

قال النووي: «فأما النياحة فحرام»[(٤)].

وقال في موضع آخر: «وهو مجمع عليه»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤)، والإمام أحمد (٢٣٣٠٠) (٢٣٢٩١) (٢٣٢٩٢).

(٢) القول المفيد ٢/ ١٢٣، ومن مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٠٤، ٦٠٥.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).

(٤) شرح النووي على مسلم ٢/ ١٣٨.

وقال ابن عبد البر: «وأجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء»[٢].

وقال الصنعاني رحمه الله في سبل السلام بعد أن ذكر حديثين منهما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة»[٣]: «والحديثان دالان على تحريم النياحة وتحريم استماعها إذ لا يكون اللعن إلا على محرم»[٤].

وقال ابن القيم: «ومما ينافي الصبر شق الثياب عند المصيبة ولطم الوجه، والضرب بإحدى اليدين على الأخرى، وحلق الشعر، والدعاء بالويل، ولهذا برئ النبي ﷺ ممن سلق وحلق وخرق. سلق: رفع صوته عند المصيبة وحلق رأسه، وشق ثيابه، ولا ينافيه البكاء والحزن، قال الله تعالى عن يعقوب: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف.٨٤] قال قتادة: «كظيم على الحزن فلم يقل إلا خيراً». وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما كان من العين ومن القلب فمن الله والرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان»»[٥].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقد جاء لعن من فعل ما في هذا الحديث عن ابن ماجه[٦]، وصححه ابن حبان عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ: «لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور» وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، لأنها مشتملة على التسخط على الرب وعدم الصبر الواجب، والإضرار

---

(١) شرح النووي على مسلم ٦/ ٢٣٦

(٢) الاستذكار لابن عبد البر ٨/ ٣١٤.

(٣)أخرجه أبو داود (٣١٢٨). والإمام أحمد (١١٦٤٥).

(٤) سبل السلام ٢/ ١١٥.

(٥) عدة الصابرين ص٣٢٥.

(٦) رقم (١٥٨٥).

بالنفس من لطم الوجه، وإتلاف المال؛ بشق الثياب وتمزيقها وذكر الميت بما ليس فيه، والدعاء بالويل والثبور والتظلم من الله تعالى وبدون هذا يثبت التحريم الشديد، فأما الكلمات اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على النوح والتسخط فلا تحرم، ولا تنافي الصبر الواجب. نص عليه أحمد لما رواه في مسنده [(١)] عن أنس أن أبا بكر ﷺ دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه. وكذلك صح عن فاطمة ﷺ أنها ندبت أباها ﷺ فقالت: «ياأبتاه أجاب ربا دعاه ...الحديث [(٢)]» [(٣)].

مسألة: عذاب الميت بما نيح عليه؟:

في الصحيح عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» [(٤)]. وفي رواية: «من نيح عليه يُعذب بما نيح عليه» [(٥)] وفي رواية عند مسلم: «إن الميت ليُعذب ببكاء الحي» [(٦)]. فقيل أنها متعارضة مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء.١٥].

وقد أنكرت عائشة ﷺ أن يكون النبي ﷺ قال ذلك وإنما قال: «إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه» [(٧)].

وقد تقدم رواية الصحابة لهذا الحديث وقد ثبت ذلك من رواية عمر بن الخطاب كما تقدم، وجاء عن غيره أيضاً وهم جازمون، فلا وجه للنفي مع إمكان

---

(١) رقم (٢٤٥٣٠) عن عائشة.

(٢) المستدرك ١/ ٣٨٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٥١٩.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٨٦) ومسلم (٩٢٧).

(٥) أخرجه البخاري (١٢٩١) وانظر مسلم (٩٢٧).

(٦) أخرجه مسلم (٩٢٧).

(٧) البخاري (١٢٨٨)، والترمذي (١٠٠٤).

حمله على محمل صحيح[١].

قال ابن القيم: «وليس في هذه الأحاديث إشكال ولا مخالفته لظاهر القرآن ولا تتضمن عقوبة الإنسان بذنب غيره؛ فإن النبي ﷺ لم يقل أن الميت يعاقب ببكاء أهله عليه ونوحهم، وإنما قال يعذب بذلك. ولا ريب أن ذلك يؤلمه ويعذبه، والعذاب هو الألم الذي يحصل له، وهو أعم من العقاب، والأعم لا يستلزم الأخص. وقد قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب». وهذا العذاب يحصل للمؤمن والكافر، حتى أن الميت ليتألم بمن يعاقب في قبره في جواره، ويتأذى بذلك كما يتأذى الإنسان في الدنيا بما يشاهده من عقوبة جاره. فإذا بكى أهل الميت عليه البكاء المحرم، وهو البكاء الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، والبكاء على الميت عندهم اسم لذلك وهو معروف في نظمهم ونثرهم تألم الميت بذلك في قبره، فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه، وهذه طريقة شيخنا في هذه الأحاديث ...»[٢].

وللعلماء في ذلك أقوال مبسوطة ذكرها النووي وابن حجر رحمهما الله[٣].

في شرحه لصحيح مسلم (٦/ ٢٢٧-٢٢٩)، وذكرها أيضاً ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٣/ ١٥٨).

قال النووي: «والصحيح من هذه الأقوال ما قدّمناه عن الجمهور وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين»[٤].

---

(١) انظر فتح الباري ٣/ ١٨٥، وعدة الصابرين ص٨٦.

(٢) عدة الصابرين ١٣٩، وانظر أيضا قول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٧٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٢٧ – ٢٢٩، فتح الباري ٣/ ١٥٨.

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ٢٢٩، وذكرت ذلك في فتاوى اللجنة أن المراد بالبكاء هنا النياحة. انظر فتاوى اللجنة الدائمة ٩/ ١٦٠.

قلت: وذكر الإمام الطبري وعياض ومن تبعه أن معنى التعذيب تألم الميت[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الميت يشعر بالألم. كما في الحديث: «السفر قطعة من العذاب»[٢].

ومتى حصل شيء من ذلك فإثمه على فاعله أو قائله ولا يلحق الميت من الإثم شيء إلا إذا كان له فيه مدخل كأن أوصى به[٣]. وقيل أنه محمل قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» فإن لم يمتثل أمره بذلك كان عليه إثم الأمر فقط»[٤].

قال البخاري في صحيحه: «باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببكاء أهله إذا كان النوح من سنته... فإذا لم يكن من سنته، فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»»[٥].

قال ابن حجر رحمه الله: «ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات ينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً: من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ بذلك عُذّب بصنعه، ومن كان ظالماً فنُدب بأفعاله الجائرة عُذّب بما نُدب به، ومن كان يعرف من أهل النياحة فأهمل نهيهم عنها فإن كان راضياً بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ كيف أهمل النهي، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألُّمُه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم، والله تعالى أعلم بالصواب»[٦].

(١) فتح الباري ٣/ ١٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٧٤، ٣٧٥، وانظر ١٨/ ١٤٢.

(٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ٢٢٧-٢٢٩.

(٤) حاشية البجيرمي ١/ ٥٠٢.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ٣/ ١٥٣.

(٦) فتح الباري ٣/ ١٨٥.

٨ – حكم البكاء:

البكاء على الميت جائز لا كراهة فيه إذا لم يصحبه ندب ونياحة. قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[١].

وقد بسط الإمام ابن القيم أدلة المجيزين في كتابه عدة الصابرين[٢] فليراجع هناك.

قال في الوسيط: «أما البكاء فجائز من غير ندبة ونياحة وشق جيب وضرب خد فكل ذلك حرام لأنه يخالف الانقياد لقضاء الله تعالى»[٣].

وفي حاشية البجيرمي: «فالبكاء وحده لا يحرم»[٤].

وقال ابن حزم: «والصبر واجب والبكاء مباح ما لم يكن نوح، فإن النوح حرام والصياح وخمش الوجوه وضربها وضرب الصدر ونتف الشعر وحلقه للميت كل ذلك حرام، وكذلك الكلام المكروه الذي هو تسخط لأقدار الله تعالى وشق الثياب»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٣).

(٢) ص١٣١-١٣٣.

(٣) الوسيط ٢/ ٣٩٢، وانظر مثله قول الفاكهاني في مواهب الجليل ٢/ ٢٣٥.

(٤) حاشية البجيرمي ١/ ٥٠٢.

(٥) المحلى ٥/١٤٦، وانظر القائلين بجوازه أيضا سنن البيهقي ٤/ ٧٠، والنووي ١٥/ ٧٥، فتح الباري ٣/ ١٥٩، سبل السلام ٢/ ١١٧، نيل الأوطار ٤/ ١٩٤.

وقال ابن تيمية: «لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة مستحب، وذلك لا ينافي الرضا بقضاء الله، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال: «إن هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»[١] وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، وأن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت. وأن الفضيل لما مات ابنه ضحك، وقال: رأيت أن الله قد قضى، فأحببت أن أرضى بما قضى الله به. حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع، فأما رحمة الميت والرضا بالقضاء وحمد الله كحال النبي ﷺ فهذا أكمل»[٢].

وقال ابن مفلح: «وذكر الشيخ وجيه الدين من أصحابنا في «شرح الهداية» أنه يجوز البكاء على الميت إذا تجرد عن فعل محرم من ندب ونياحة وتسخط بقضاء الله وقدره المحترم، والجزع الذي يناقض الانقياد والاستسلام له»[٣].

٩ - فائدة في معنى الهلع:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المعارج.١٩-٢٢] قال الشوكاني: «قال في الصحاح: الهلع في اللغة أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه يقال هلِع بالكسر فهو هلع وهلوع على التكثير وقال عكرمة هو الضجور قال الواحدي والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ أي إذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو نحوذلك فهو جزوع أي كثير الجزع وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والإمساك

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٣).

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٣٠، وانظر مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٧.

(٣) الآداب الشرعية ١/ ٣٠.

وقال أبو عبيدة الهلوع هو الذي إذا مسه الخير لم يشكر وإذا مسه الشر لم يصبر»[١].

قال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي أصابه الفقر جزوعا لا يصبر ولا يحتسب ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ أصابه المال منوعا بمنعه من حق الله ﷻ إلا المصلين وهم أهل الإيمان بالله»[٢].

وقال ابن القيم: «وإذا أردت معرفة الهلوع فهو الذي إذا أصابه الجوع مثلاً أظهر الاستجاعة وأسرع بها، وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية وأظهرها، وإذا أصابه القهر أظهر الاستطامة والاستكانة وباء بها سريعاً، وإذا أصابه الجوع أسرع الانطراح على جنبه وأظهر الشكاية، وإذا بدا له مأخذ طمع طار إليه سريعاً، وإذا ظفر به أحله من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا أفضال وهذا كله من صغر النفس ودناءتها وتدسيسها في البدن وإخفائها وتحقيرها. والله المستعان»[٣].

١٨١- الصدق المنافي للكذب

من شروط (لا إله إلا الله)

انظر باب (لا إله إلا الله) (أعمال القلوب).

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٩١.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٦٣.

(٣) عدة الصابرين ص٣٢٨.

١٨٢- الصراط المستقيم*

[الدين ـ الإسلام ـ التوحيد ـ السنة]

قال ابن تيمية: «وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالىٰ وهو السنة والجماعة فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض»[1].

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «ولنذكر في الصراط قولا وجيزا، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه، وترجمتهم بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلا لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة علىٰ الخلق إلا طريقه الذي نصبه علىٰ ألسن رسله، وجعله موصلا لعباده إليه وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة، فلا يشرك به أحد في عبوديته. ولا يشرك برسوله أحد في طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول ﷺ، وهذا معنىٰ قول بعض العارفين: إن السعادة كلها والفلاح كله مجموع في شيئين: صدق محبة، وحسن معاملة. وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فأي شيء فسر به الصراط المستقيم، فهو داخل في هذين الأصلين. ونكتة ذلك أن تحبه بقلبك كله، وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه، ولا يكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته فالأول

---

* مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ١/ ٦٥، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٩. تيسير العزيز الحميد ص٦٠، فتح المجيد ص٥٢، أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٧٠، القول المفيد لابن عثيمين ط١. ١/ ٣٨ ومن المجموع ٩/ ٣٠، مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٣٠٨. مجموع مؤلفات الشيخ ٤/ ١٧.

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٣٦٩. وانظر ١٣/ ٣٣٦.

يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمدا رسول الله وهذا هو الهدىٰ ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسوله والقيام به فقل ما شئت من العبارات التي هذا آخيَّتها[1] وقطب رحاها»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تفسير سورة الفاتحة عن الصراط المستقيم: «المراد بذلك الدين الذي أنزله الله علىٰ رسوله ﷺ وهو صراط الذين أنعمت عليهم وهم رسول الله ﷺ وأصحابه وأنت دائما في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلىٰ طريقهم»[3].

وقال الشيخ السعدي: «هو معرفة الحق والعمل به»[4].

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧]: وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام.١٥٣].

* **الدليل من السنة**: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ فِي وَسَطِ الْخَطِّ خَطًّا وَخَطَّ خَارِجًا مِنْ الْخَطِّ خَطًّا وَحَوْلَ الَّذِي فِي الْوَسَطِ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذَا ابْنُ آدَمَ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ الإِنْسَانُ وَهَذِهِ الْخُطُوطُ عُرُوضُهُ إِنْ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الأَمَلُ»»[5]. وفي رواية قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: «هذا سبيل

---

(١) المراد به الوتد الذي تشد إليه الدابة.

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٤٠.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ القسم الرابع ص١٧.

(٤) تفسير سورة الفاتحة.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٥٤).

الله مستقيما، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام.١٥٣]».

وعن النواس بن سمعان مرفوعا قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله ﷻ، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»[1].

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: «البدع والشبهات»[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذه السبل تعم اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وعباد القبور، وسائر أهل الملل والأوثان، والبدع والضلالات من أهل الشذوذ والأهواء، والتعمق في الجدل، والخوض في الكلام، فاتباع هذه من اتباع السبل التي تذهب بالإنسان عن الصراط المستقيم إلى موافقة أصحاب الجحيم»[3].

وقد بيَّن شارحُ الطحاوية ضلالَ الفرق كالجهمية والقدرية والخوارج والمرجئة والرافضة فقال: «وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم عدولهم عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٧٨٤) (١٧٧٨٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٨/ ٨٨، والدارمي في سننه ١/ ٧٩ برقم (٢٠٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦١ .

الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]. فوحد لفظ «صراطه» و«سبيله» وجمع «السبل» المخالفة له. وقال ابن مسعود ﷺ: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: هذه سبل، علىٰ كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. ومن هاهنا يعلم أن اضطرار العبد إلىٰ سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالىٰ في الصلاة قراءة أمّ القرآن في كل ركعة، إما فرضا أو إيجابا، علىٰ حسب اختلاف العلماء في ذلك، لاحتياج العبد إلىٰ هذا الدعاء العظيم القدر. المشتمل علىٰ أشرف المطالب وأجلها. فقد أمرنا الله تعالىٰ أن نقول ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة٦-٧] وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارىٰ ضالون»[1].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارىٰ؟ قال فمن؟»»[2].

❖ **فائدة:**

قال ابن القيم رحمه الله: «قال الله تعالىٰ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا

---

(١) الترمذي ٢٩٥٤.

(٢) الطحاوية ٤٧٣. تحقيق أحمد شاكر.

تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣] فجمع سبل الباطل ووحد سبيل الحق ولا يناقض هذا قوله تعالىٰ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٦]. فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد وصراطه المستقيم فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلىٰ صراط واحد وسبيل واحد وهو سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها».

١٨٣- صفر*

صَفَر: بفتح الصاد والفاء، وهو الشهر الثاني من الشهور الهجرية.

وقدجاء الشرع بنفيه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا عَدْوَىٰ وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ»[١].

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا عَدْوَىٰ وَلا صَفَرَ ولا غُولَ» قال الراوي عن أبي زبير: وَسَمِعْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ يَذْكُرُ أَنَّ جَابِرًا فَسَّرَ لَهُمْ قَوْلَهُ «ولا صَفَرَ» فَقَالَ أَبُوالزُّبَيْرِ: الصَّفَرُ الْبَطْنُ. فَقِيلَ لِجَابِرٍ: كَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ يُقَالُ إنها دَوَابُّ الْبَطْنِ. قَالَ وَلَمْ يُفَسِّرْ الْغُولَ. قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: هَذِهِ الْغُولُ الَّتِي تَغَوَّلُ»[٢].

*** أقوال العلماء في معنىٰ «صفر»:**

أولاً: قيل إنها: «حية تكون في البطن، تصيب الماشية والناس، وهي أعدىٰ من الجرب عند العرب»[٣]. وجاء الشرع بنفي هذا الزعم . قال النووي في ذكره لمعاني صفر: «أن الصفر دواب في البطن، وهي دود، وكانوا يعتقدون أن في البطن دابة تهيج عند الجوع، وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدىٰ من الجرب. وهذا التفسير هو الصحيح، وبه قال مطرف، وابن وهب، وابن حبيب وأبو عبيد، وخلائق من

---

* التمهيد لابن عبدالبر ٩/ ٢٨٢، ٢٤/ ١٩٩، الاستذكار لابن عبدالبر ٢٧/ ٥٢، شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧١، تيسير العزيز الحميد ص٤٣٩، فتح المجيد ص٣٥٢، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢١٦، القول المفيد لابن عثيمين ط١. ٢/ ٨١، ط٢. ٢/ ٩٩، ومن المجموع ٩/ ٥٦٤، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٦٦.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧)،(٥٧٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٢٢٢٢).

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص٤٣٩.

العلماء[(١)] وقد ذكره مسلم عن جابر بن عبد الله راوي الحديث، فتعين اعتماده»[(٢)].

قال في الفتح: «فعلى هذا، فالمراد بنفي الصفر ما كانوا يعتقدون فيه[(٣)] من العدوى. ورجح الطبري هذا القول واستشهد له بقول الأعشى:

وَلاَ يَعَـضُّ علـى شُرْسُوفِـهِ الصَّفَـرُ

والشُرسوف بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة ثم فاء: الضلع. والصفر: دود يكون في الجوف، فربما عض الضلع أو الكبد فقتل صاحبه. وقيل: المراد بالصفر: الحية، لكن المراد بالنفي نفي ما كانوا يعتقدون أن من أصابه قتله، فرد الشارع ذلك بأن الموت لا يكون إلا إذا فرغ الأجل. وقد جاء هذا التفسير عن جابر، وهو أحد رواة حديث: «لا صفر»، قاله الطبري»[(٤)].

ثانياً: قيل: «المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر، وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه، وبهذا قال مالك وأبو عبيدة». ذكر ذلك النووي ـ رحمه الله تعالى ـ[(٥)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «كانوا في الجاهلية ينسئون، فإذا أرادوا القتال في شهر المحرم استحلوه وأخروا الحرمة إلى شهر صفر، وهذه النسيئة التي ذكرها الله بقوله تعالى: ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] وهذا القول ضعيف، ويضعفه أن الحديث في سياق التطير، وليس في سياق التغيير»[(٦)].

ثالثاً: قيل: «إن صفر هو شهر صفر» ذكره في عون المعبود وقال: «الْمُرَاد الشَّهْر

---

(١) منهم (سفيان بن عيينة وأحمد والبخاري وابن جرير) تيسير العزيز الحميد ٤٣٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ٢١٤، ٢١٥ باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.

(٣) قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فعلى هذا: المراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، ويكون عطفه على العدوى من عطف الخاص على العام» تيسير العزيز الحميد ٤٣٩.

(٤) فتح الباري ١٠/ ١٥٨.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ٢١٤، ٢١٥ باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.

(٦) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥٦٤، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٨٢.

الْمَعْرُوف كَانُوا يَتَشَاءَمُونَ بِدُخُولِهِ»(١) روى أبو داود عن محمد ابن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقيل في الصفر قول آخر، وهو أن المراد به شهر صفر، وذلك أن العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم، فجاء الإسلام برد ما كانوا يفعلونه من ذلك، فلذلك قال ﷺ: لا صفر. قال ابن بطال: وهذا القول مروي عن مالك»(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين: «والأقرب أن صفر يعني الشهر، وأن المراد نفي كونه مشؤوما، أي لا شؤم فيه، وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير، ويقدر فيه الشر»(٤).

وجمع النووي بين القولين الأول والثاني فقال: «ويجوز أن يكون المراد هذا والأول(٥) جميعاً، وأن الصفرين جميعا باطلان، لا أصل لهما ولا تعريج على واحد منهما»(٦). وبالتفسيرين الأول والثاني قال ابن الأثير رحمه الله ولم يجزم بواحد منهما(٧).

* **حكم التشاؤم بصفر**: انظر باب (الشؤم)، وقد تقدم.

١٨٤- الصليب*

انظر باب (الوثن).

---

(١) عون المعبود ١٠/ ٤٠٧.
(٢) سنن أبي داود (٣٩١٥).
(٣) فتح الباري ١٠/ ١٥٨. وانظر الأقوال الثلاثة في شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٢.
(٤) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥٦٤، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٨٢..
(٥) يعني من قال: دواب في البطن، أو قال: تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ٢١٤، ٢١٥ باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.
(٧) النهاية: «ص ف ر».
* الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٨٠.

١٨٥- الصنم *

قال الراغب الأصفهاني: «الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى وجمعه أصنام»[(١)].

وقال ابن الأثير: «قد تكرر ذكر الصنم والأصنام وهو ما اتخذ إلها من دون الله وقيل هو ما كان له جسم أو صورة فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن»[(٢)].

*** الفرق بين الصنم والوثن:**

قال ابن الأثير: «أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين، وقد يطلق الوثن على غير الصورة كما في حديث عدي بن حاتم قال: «قدمت على النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي: ألق هذا الوثن عنك»[(٣)]»[(٤)].

ومن إطلاق الوثن على الصليب قول الأعشى:

تطوف العفاة بأبوابه　　　كطوف النصارى ببيت الوثن

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٤٥. تلبيس إبليس ص٥٣. تيسير العزيز الحميد ص١١٨. فتح المجيد ١٠١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٥٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١١٣، ط٢- ١/ ١٤٤ ومن المجموع ٩/ ١٠٥. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٧/ ٦١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٠١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ المجلد السادس. مجلة الدعوة العدد (١٧٨٧).

(١) المفردات للراغب (ص ن م).

(٢) النهاية (ص ن م).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

(٤) النهاية (و ث ن).

قال الأزهري عن شمر: «أراد بالوثن الصليب»[(١)].

وفي التيسير قال: «قال في عروة المفتاح: «الصنم: هو ما له صورة، والوثن: ما ليس له صورة». قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «هذا هو الصحيح في الفرق بينهما، وقد جاء عن السلف ما يدل على ذلك»»[(٢)].

وقال ابن حجر: «والأصنام جمع صنم قال الجوهري هو الوثن وقال غيره الوثن ماله جثة والصنم ما كان مصورا فبينهما عموم وخصوص وجهي فإن كان مصورا فهو وثن وصنم»[(٣)].

وقد جاء عن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه سمى الصورة صنماً.

وقال الشيخ حمود التويجري ﷺ: «والصور داخلة في مسمى الأصنام عند أهل اللغة فتدخل فيما دعا إبراهيم ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها»[(٤)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والأوثان هي المعبودات التي لا صورة لها، كالقبور والأشجار والعمد والحيطان والأحجار ونحوها، وقد تقدم بيان ذلك، وقيل: الوثن هو الصنم[(٥)]، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر وأما مع الاقتران، فيفسر كل واحد بمعناه»[(٦)].

وبهذا يظهر أن الصنم و الوثن إذا افترقا اتحدا وإذا اجتمعا اختلفا ولعل هذا يوضح قول من قال إن الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ١٤٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٠٠.

(٣) فتح الباري ٤/ ٤٢٤ .

(٤) إعلان النكير على المفتونين بالتصوير ص١٨.

(٥) قال ابن عبد البر: «قال أبو عمر الوثن الصنم وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنما كان أو غير صنم». التمهيد ٥/ ٤٥.

(٦) تيسير العزيز الحميد ص٣٣٨.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في قول الرسول ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»: «ودل الحديث على أن قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثناً، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه»[(١)].

وقال رحمه الله: «الصنم ما كان منحوتاً على صورة، والوثن: ما كان منحوتاً على غير ذلك ذكره الطبري عن مجاهد.

قلت: وقد يسمى الصنم وثناً كما قال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] ويقال: إن الوثن أعمُّ، وهو قوي، فالأصنام: أوثان، كما أن القبور أوثان»[(٢)].

يقول الشيخ السعدي: «إن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع، وهو العبادة فإنها حق الله وحقه، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثناً، وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والأصنام: جمع صنم، وهو ما جعل على صورة إنسان أو غيره يعبد من دون الله. أما الوثن، فهو ما عبد من دون الله على أي وجه كان، وفي الحديث: «لا تجعل قبري وثناً يعبد»فالوثن أعم من الصنم»[(٤)].

وقال أيضاً في شرح باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد

---

(١) فتح المجيد ص٢٧٦.

(٢) فتح المجيد ص١٠١.

(٣) القول السديد ص٧١، ٧٣.

(٤) القول المفيد ١/ ١١٣، ومن مجموع الفتاوى ٩/ ١٠٥.

من دون الله[(١)]: «قوله: «أوثاناً»، جمع وثن، وهو كل ما نصب للعبادة، وقد يقال له: صنم، والصنم: تمثال ممثل، فيكون الوثن أعم.

ولكن ظاهر كلام المؤلف أن كل ما يعبد من دون الله يسمى وثناً، وإن لم يكن على تمثال نصب، لأن القبور قد لا يكون لها تمثال ينصب على القبر فيعبد»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب**: قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

والأصنام كثيرة قديماً وحديثاً فمما ذكره الله في كتابه العزيز: اللات والعزى ومناة ووداً وسواع ويغوث ويعوق ونسراً، وهناك أصنام أخرى منها إساف ونائلة وذو الخلصة، وقد ألَّف الكلبي في ذلك كتاباً سماه الأصنام وذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أصناماً أخر فقال: «وكانت فَلْس لطي ومن يليها بجبل طي بين سلمى وأجا، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه علي بن أبي طالب فهدمه واصطفى منه سيفين الرسوب، والمخذم فنفله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفا علي قال ابن إسحاق وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت قال ابن إسحاق: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام:

---

(١) كتاب التوحيد مع شرح القول المفيد ١/ ٤٢٧.

(٢) القول المفيد١/ ٤٢٨ ومن مجموع الفتاوى ٩/ ٤٢٨.

ولقد شددت على رضاء شدة | فتركتها قفرا بقاع أسمحا

وقال ابن إسحاق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق | والبيت ذو الكعبات في سنداد»[(١)]

وقال هشام بن السائب الكلبي في كتاب الأصنام: «واستهترت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً. ومنهم من اتخذ صنماً. ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام خيمة مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب. فإذا كانت تماثيل سموها الأصنام والأوثان، وسموا طوافهم الدوار. فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاثاً لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عندها كلها ويتقربون إليها. وهم على ذلك عارفون فضل الكعبة عليها يحجُّونها ويعتمرون إليها، وكان الذين يفعلون من ذلك في أسفارهم إنما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها، ولصبابة بها»[(٢)].

*** ذكر بعض الأصنام المشتهرة في الجاهلية:**

١ـ هبل: وهو أعظم أصنام قريش وكان موجوداً في جوف الكعبة [(٣)].

قال ابن هشام: «حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٤.

(٢) كتاب الأصنام نقلاً عن حاشية إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٨.

(٣) انظر مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص١٢.

فتمطرنا. فقال لهم: ألا تعطونني منها صنماً فأسير به إلىٰ أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هُبل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه»[(١)].

وكانت العرب تُعظِّم هذا الصنم وتستقسم عنده بالأزلام وتضرب القداح. يقول الكلبي: «كان علىٰ صورة إنسان مكسور اليد اليمنىٰ أوركته قريش فجعلت له يداً من ذهب»[(٢)].

وفي يوم أُحُد حين لم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً وأصيب منهم سبعون رجلاً أقبل أبو سفيان وأخذ يرتجز: أعل هبل أعل هبل قال النبي ﷺ: «ألا تجيبونه؟» قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلىٰ وأجل»[(٣)].

وأما تحطيم هبل فكان عام الفتح يوم دخل الرسول ﷺ مكة فأمر بكسر الأصنام، روىٰ الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تحطيم الأصنام قال: «وأمر رسول الله ﷺ بهبل فكسر وهو واقف عليه فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان بن حرب: يا أبا سفيان، قد كُسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم عليك، فقال أبوسفيان: دع عنك هذا يا ابن العوام، فقد أرىٰ أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان»[(٤)].

٢ ـ اللات[(٥)]:

قال ابن كثير: «كانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٢. وانظر: أخبار مكة للفاكهي ٥/ ١٥٤ فقد ساق الخبر بشيء من التفصيل.

(٢) الأصنام ص٤٣.

(٣) صحيح البخاري (٣٠٣٩، ٤٠٤٣) مسند الإمام أحمد ١/ ٤٦٣ وانظر الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٤٧، ٤٨.

(٤) أخبار مكة للأزرقي ١/ ١٢٢.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٣. تيسير العزيز الحميد ص١٧٦، ٣٤٣. فتح المجيد ص١٥٥، ٢٧٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٠، ١٦٦. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ١٩٧، ٤٣٣، ط٢-١/ ٢٥٣، ٥٤٨ ومن المجموع ٩/ ١٨٧.

أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

وجاء عن عبد الله بن عباس وغيره أنهم قرءوا «اللاتّ» بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلاً يلتّ للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه

وقال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا «اللات» يعنون مؤنثة منه ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ»[(١)].

وقال صاحب التيسير: «وقال الأعمش: سموا اللات ـ بالتخفيف ـ من الإله والعزّى من العزيز»[(٢)].

وقال ابن عثيمين: ««اللاتّ» تقرأ بتشديد التاء وتخفيفها والتشديد قراءة ابن عباس فعلى قراءة التشديد تكون اسم فاعل من اللت، وكان هذا الصنم أصله رجل يلت السويق للحجاج أي يجعل فيه السمن ويطعمه الحجاج، فلما مات عكفوا على قبره وجعلوه صنماً.

وأما على قراءة التخفيف فإن اللات مشتقة من الله أو من الإله فهم اشتقوا من أسماء الله اسما لهذا الصنم وسموه اللات وهي لأهل الطائف ومن حولهم من العرب»[(٣)].

وذكر الكلبي أن قريشاً وجميع العرب تعظّم اللات وبها كانت تسمي زيد اللات، وتيم اللات»[(٤)].

وقال ابن إسحاق: «وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص١٧٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ١٨٨، وانظر القول المفيد ط١-١/ ١٩٨.

(٤) الأصنام ص٣٠.

مُعَتِّب من ثقيف»(١).

قال ابن كثير: «وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها وجعلا مكانها مسجدا بالطائف»(٢).

٣ ـ مَنَاة(٣):

بفتح الميم والنون الخفيفة اسم صنم كانت على ساحل البحر، قال ابن كثير: «أما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويصلون منها للحج إلى الكعبة»(٤).

وقال ابن عثيمين: «مناة قيل مشتقة من المنّان وقيل من منى لكثرة ما يمنى عنده من الدماء بمعنى يراق ومنه سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء»(٥).

وقد ذكرها الله في كتابه فقال ﷻ: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم.٢٠] وذكر المفسرون في قوله: ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أقوالاً منها: «أن ذلك للتحقير والذم وأن المراد المتأخرة الوضيعة»(٦).

وقد بلغ من تعظيم المشركين إياها أنهم كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة تحرجا وتعظيما لها كما جاء في صحيح مسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أخبرته: «أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا هم وغسّان يهلّون لمناة فتحرّجوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة وكان ذلك سنة في آبائهم من أحرم لمناة لم يطف بين

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢١٠. وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٥.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٣. تيسير العزيز الحميد ص١٧٧. فتح المجيد ص١٥٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩١. القول المفيد لابن عثيمين ط٢ - ١/ ٢٥٤ ومن المجموع ٩/ ١٨٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٢٣.

(٥) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ١٨٨، وانظر القول المفيد ط١-١/ ١٩٨.

(٦) فتح القدير للشوكاني: ٥/ ١٥٤.

الصفا والمروة وإنهم قالوا لرسول الله ﷺ عن ذلك حين أسلموا فأنزل الله ﷻ في ذلك قال تعالىٰ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة.١٥٨][١].

❖ هدم مناة:

قال ابن هشام: «قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقُدَيد قال ابن هشام: فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال: علي بن أبي طالب»[٢].

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن الواقدي أن الذي هدم مناة سعد بن زيد الأشهلي[٣].

وقال ابن سعد الواقدي: «في شهر رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ قالوا: بعث رسلوا لله ﷺ حين فتح مكة سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة وكانت بالمشلل للأوس والخزرج وغسان فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي يهدمها فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن فقال السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة. قال: أنت وذاك. فأقبل سعد يمشي إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن: مناة دونك بعض عصاتك ويضربها سعد بن زيد الأشهلي وقتلها، ويقبل على الصنم معه أصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانتها شيئاً وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٧٧).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٨٥، ٨٦. وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٤٢٢.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٤٦، ١٤٧).

٤ . العزى[١] :

قال ابن كثير: «قال ابن جرير: وكذا العزىٰ من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولىٰ لكم»»[٢]. وقد ذكرها الله في القرآن فقال ﷻ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم ١٩ـ٢٣].

وروىٰ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ وَاللاَّتِ وَالْعُزَّىٰ فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»[٣].

قال ابن كثير: «هذا محمول علىٰ سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية، كما قال النسائي بسنده عن مصعب بن سعد ابن أبي وقاص عن أبيه قال: حلفت باللات والعزىٰ، فقال لي أصحابي: بئس ما قلت هجرا، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير وانفث عن شمالك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد»»[٤].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٣. تيسير العزيز الحميد ص١٧٦. فتح المجيد ص١٥٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٩٠. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٩٧، ط٢- ١/ ٢٥٣ ومن المجموع ٩/ ١٨٨. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٦٠) (٦١٠٧)(٦٣٠١)(٦٦٥٠).

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢٣.

وقال ابن هشام: «فكانت لقريش ولبني كنانة العزىٰ بنخلة، وكان سدنَتها وحجابَها بنو شيبان من سُليم حلفاء بني هاشم»[١] .

وقال ابن كثير: «بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يـا عـزىٰ كفرانـك لا سـبحانك إني رأيـت الله قـد أهانـك»[٢]

قال الكلبي: «وكان الذي اتخذ العُزىٰ ظالم بن أسعد»[٣] .

وعند النسائي عن أبي طفيل قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلىٰ نخلة وكانت بها العزىٰ فأتاها خالد وكانت علىٰ ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الحيل وهم يقولون يا عزىٰ، يا عزىٰ، يا عزىٰ فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب علىٰ رأسها فعمتمها بالسيف حتىٰ قتلها ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره فقال: تلك العزىٰ»[٤] .

قال ابن الكلبي: «ولم تكن قريش ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الأصنام إعظامها العزىٰ ثم اللات ثم مناة»[٥] .

٥ ـ أصنام قوم نوح ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر[٦]:

أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن تعظيم قوم نوح لهذه الأصنام حيث قال ﷻ:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٨٣، ٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣.

(٣) الأصنام للكلبي ص٣٤.

(٤) السنن الكبرىٰ ٦/ ٤٧٤.

(٥) الأصنام ص٤٢.

(٦) تيسير العزيز الحميد ص٣٠٧. فتح المجيد ص٢٤٨. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص ١٤٧. القول المفيد لابن عثيمين ط٢- ١/ ٤٧٢. مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٧/ ١٩.

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح.٢٣].

قال القرطبي: «قال ابن عباس وغيره هي أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور»[١].

قَالَ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «صَارَتْ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لآلِ ذِي الْكَلاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»[٢].

وقال القرطبي: «قال الماوردي فأما وَدٌّ فهو أول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم:

حيــاك ود فإنــا لا يحــل لنــا ... لهـو النسـاء وإن الـدين قـد عزمـا

وأما سواع فكان لهذيل[٣] بساحل البحر في قولهم وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان. الثعلبيّ: وأخذت أعلى وأنعم - وهما من طيء - وأهلُ جَرش من مذحج يَغوثَ فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمانا، ثم إن بني ناجية أرادوا نزعه من أعلى وأنعم ففروا به إلى الحصين أخى بني الحارث بن كعب من خزاعة وقال أبو عثمان النهدي رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أحرد ويسيرون معه ولا

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٣٠٨.
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٧٨.

يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فإذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء ينزلون حوله وأما يعوق فكان لهمدان ببَلْخَع في قول عكرمة وقتادة وعطاء ذكره الماوردي وقال الثعلبي وأما يعوق فكان لكهلان من سبأ ثم توارثه فالأكبر حتى صار إلى همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني:

يَريشُ اللهُ في الدنيا ويبرى ... ولا يبرى يعوق ولا يَريشُ

وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ونحوه عن مقاتل وقال الواقدي كان وَدٌّ على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير، فالله أعلم»[1].

*** كيف صارت أصنام قوم نوح إلى العرب؟**

يقول الكلبي: «إن مبتدع الأوثان للعرب عمرو بن لحي الخزاعي كان له قرين من الجن فأتاه يوما وأخبره أن أصنام قوم نوح المشهورة قد دفعها الطوفان إلى ساحل جدة وطمرتها الرمال.

قال هشام الكلبي: وكان له ـ أي عمرو بن لحي ـ رئي من الجن وكان يكنى أبا ثمامة، فقال له: عجّل بالمسير والظَّعْن من تهامة بالسعد والسلامة. ثم قال: ائت ضَفَّ جُدَّة فيها أصناماً مُعدَّة، فأورِدها تهامةَ ولا تهب، ثم ادع العربَ إلى عبادتها تُجَب.

فأتى شطَّ جُدَّة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامةَ، وحضر الحجُّ فدعا العربَ إلى عبادتها قاطبةً»[2].

وقد أُنكر عليه فعله هذا، قال الأزرقي: «وكان بمكة رجل من جرهم على دين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) الأصنام ص٦٥، ٦٦.

إبراهيم وإسماعيل، وكان شاعراً فقال لعمرو بن لحي حين غيّر الحنيفية:

يـــا عمـــرو لا تظلـــم بمكـــةَ ... إنهـــا بلـــدٌ حـــرام

ســـايل بعـــادٍ أيـــن هـــم ... وكـــذاك تحتـــرم الأنـــام

وبنـــي العمـــاليق الـــذين لـــ ... ـــهم بهـــا كـــان الـــسوام

فزعموا أن عمرو بن لحي أخرج ذلك الجرهمي من مكة...»[1].

وظلت هذه الأوثان تعظمها العرب حتى جاء الإسلام فلم يبقَ لها ذكر، بل دخل الناس في دين الله أفواجاً، وانمحت تلك الشركيات والضلالات فلم يبقَ لها ذكر. ولله الحمد والمنة.

وقد بعث رسول الله ﷺ سرّية بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه لتحطيم سواع ويقول ابن العاص: «فانتهيت إليه وعنده السادن فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه قال: لا تقدر على ذلك قلت: لم؟ قال: تمنع، قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر قال: فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا شيئا ثم قلت: للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله»[2].

٦ ـ إساف ونائلة:

قال ابن إسحاق: «واتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جرهم ـ هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك ـ، فوقع إساف على نائلة في الكعبة، فمسخهما الله حجرين»[3].

وقال السهيلي: «فأُخرجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبرة وموعظة، فلما كان عمرو بن لحي نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زمزم، فطاف

---

(١) أخبار مكة ١/ ١٠٠، ١٠١.

(٢) الطبقات الكبرى ٢/ ١٤٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٨٢.

الناس بالكعبة وبهما، حتى عُبدا من دون الله»[١].

وقال ابن كثير: «قال الشعبي: كان إساف على الصفا وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونها فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية[٢].

قلت ـ أي ابن كثير ـ: ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أن إسافاً ونائلة كانا بشرين، فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس، فلما طال عهدهما عُبدا، ثم حُولا إلى الصفا والمروة، فنُصبا هنالك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وحيـث ينـيخ الأشـعرون ركـابَهم لمفضي السيول من إسـاف ونائـل»[٣]

وأما إزالتهما فقال السهيلي: «ذكر الواقدي: أن نائلة حين كسرها النبي ﷺ عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء ـ أي بيضاء الشعر ـ تخمش وجهها، وتنادي بالويل والثبور»[٤].

٧ ـ ذو الخَلَصة:

بفتح الخاء واللام وهو بيت صنم ببلاد دوس يعبد من دون الله ويتقرب إليه بأنواع من العبادات.

قال ابن إسحاق: «وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيله ومن كان ببلادهم»[١].

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٠٥.

(٢) أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما... [البقرة:١٥٨].

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٣، ١٧٤.

(٤) الروض الأنف ١/ ١٠٥.

بلادهم»[١].

قال ابن كثير: «وكان يقال لها الكعبة «اليمانية» والكعبة التي بمكة الكعبة «الشامية» فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي»[٢].

وروى البخاري عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَةُ أَوْ الْكَعْبَةُ الشَّأْمِيَّةُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ أَنْتَ مُرِيحِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟» قَالَ فَنَفَرْتُ إِلَيْهِ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ قَالَ: فَكَسَرْنَا وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ فَأَتَيْنَاهُ فَأَخْبَرْنَاهُ فَدَعَا لَنَا وَلأَحْمَسَ»[٣].

وروى البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ». وَذو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[٤].

قال في الفتح: «قال ابن التين: فيه الإخبار بأن نساء دوس يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور فهو المراد باضطراب ألياتهن... ويحتمل أن يكون المراد أنهن يتزاحمن بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى عند الطواف حول الصنم المذكور وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: «لا تقوم الساعة حتى تدافع مناكب نساء بني عامر على ذي الخلصة»»[٥].

قال الشيخ حمود التويجري: «وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث، فإن

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٦). ومسلم (٢٩٠٦).

(٥) فتح الباري ١٣/ ٨٢.

قبيلة دوس وما حولها من العرب قد افتتنوا بذي الخلصة عندما عاد الجهل إلىٰ تلك البلاد، فأعادوا سيرتها الأولىٰ، وعبدوها من دون الله، حتىٰ قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بالدعوة إلىٰ التوحيد، وجدّد ما اندرس من الدين، وعاد الإسلام إلىٰ جزيرة العرب، فقام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمه الله، وبعث جماعة من الدعاة إلىٰ ذي الخلصة، فخربوها، وهدموا بعض بنائها، ولما انتهىٰ حكم آل سعود علىٰ الحجاز في تلك الفترة، عاد الجهال إلىٰ عبادتها مرة أخرىٰ، ثم لما استولىٰ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله علىٰ الحجاز، أمر عامله عليها، فأرسل جماعة من جيشه، فهدموها وأزالوا أثرها، ولله الحمد والمنة»[(١)].

❖ **أدلة الكتاب والسنة على هدم الأصنام ووجوب ذلك على كل قادر:**

١ـ قال الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء:٥٧-٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات:٩١-٩٣]، وقام الخليل عليه السلام ـ علىٰ قلة المناصر له ـ بتكسير آلهة قومه وأصنامهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة:٤].

٢ـ وقال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام في العجل الذي اتخذه قومه إلهاً ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧]. مع

(١) انظر: إتحاف الجماعة ١/ ٥٢٢، ٥٣٣. وسراة غامد وزهران ص٣٤٧، ٣٤٩. وأشراط الساعة ص١٦٢.

قوله تعالىٰ عن الأنبياء ومنهم موسىٰ ﷺ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

٣ـ وقال تعالىٰ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١]، روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً ـ وفي رواية صنماً ـ فجعل يطعنها بعود في يده، وجعل يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الآية[(١)].

قال القرطبي ﷺ تعالىٰ: «في هذه الآية دليل علىٰ كسر نصب الأوثان إذا غلب عليهم»[(٢)].

٤ - وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] قال أبوسلمة: والرجز الأوثان[(٣)].

٥ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد»[(٤)].

٦ـ عن عمرو بن عبسة أنه قال للنبي ﷺ: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»[(٥)].

٧ـ عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا

(١) البخاري (٢٤٧٨، ٤٢٨٧، ٤٧٢٠).
(٢) تفسير القرطبي١٠/ ٣١٤.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٩)، ومسلم (٢٣٥).
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٢) (٢٤٧٦) (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).
(٥) أخرجه مسلم (٨٣٢).

سويته»[١]. وقوله هنا: «تمثالاً» نكرة في سياق نفي فيعم جميع التماثيل[٢].

٨ـ قال أسامة ﷺ: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ في الكعبة، ورأىٰ صوراً، فدعا بدلو من ماء فأتيته به فجعل يمحوها، ويقول: «قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون»[٣].

٩- تأمل هدمه ﷺ وإزالته لأصنام الجاهلية بيده، وبعثه الصحابة لكسرها فقد بعث جرير بن عبد الله البجلي مع سرية لكسر صنم (ذي الخلصة) في اليمن، وبعث خالد بن الوليد إلىٰ (نخلة) لهدم (العزىٰ)، وبعث المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب إلىٰ (الطائف) لهدم (اللات)، وبعث علي بن أبي طالب إلىٰ (الفُلس»[٤] ـ صنم لطيء ـ لهدمه. وبعث عمرو بن العاص إلىٰ (سواع) لكسره، وبعث الطفيل بن عمرو الدوسي إلىٰ (ذي الكفين) صنم (دوس) لتحريقه، وبعث سعد بن زيد الأشهلي إلىٰ (المشلل) لهدم (مناة).

وأما ما جاء عن الصحابة ﷺ والسلف في هدم الأصنام وإزالتها فكثير، منها:

١- روىٰ ابن أبي شيبة عن لبابة عن أمها وكانت تخدم عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان ﷺ كان يصلي إلىٰ تابوت فيه تماثيل، فأمر به فحك[٥].

٢- وروىٰ البيهقي في (سننه) عن أبي مسعود ﷺ أن رجلا صنع له طعاماً فدعاه

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

(٢) انظر في هذه القاعدة شرح الكوكب المنير ٣/ ١٤١.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة بنحو هذا اللفظ (٢٥٢١٢)، والطيالسي (٦٥٧)، والطبراني (٤٠٧)، والهيثمي ٥/ ١٧٣، والسيوطي في الجامع الصغير ٥٩٩٦، صحيح الجامع ٤٢٩٢، قال الحافظ: إسناده جيد.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٤٥٨.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١/ ٣٩٩ رقم (٤٥٨٦).

فقال: أفي البيت صورة؟ قال: نعم،فأبى أن يدخل حتى كسر الصورة ثم دخل[١].

٣- وروى ابن أبي شيبة عن محمد بن سيرين أنه كان لا يترك لأهل فارس صنماً إلا كسر ولا ناراً إلا أطفئت[٢].

٤- قال ابن القيم: «وفي مسائل صالح، قال أبي: يقتل الخنزير، ويفسد الخمر، ويكسر الصليب.

وهذا قول أبي يوسف ومحمد بن الحسن وإسحاق بن راهويه وأهل الظاهر، وطائفة من أهل الحديث، وجماعة من السلف، وهو قول قضاة العدل»[٣].

٥- وقال السرخسي: «ولو وجدوا في الغنائم صليبا من ذهب أو فضة أو تماثيل، أو دراهم، أو دنانير فيها التماثيل، فإنه ينبغي للإمام أن يكسر ذلك كله»[٤].

٦- وفي الفتاوى الهندية: «إن وجدوا في الغنيمة قلائد ذهب أو فضة فيها الصليب والتماثيل، فإنه يستحب كسرها قبل القسمة»[٥].

٧- وقال العز بن عبد السلام عن الجهاد: «وفيه الحقوق الثلاثة: أما حق الله فكمحو الكفر وإزالته من قلوب الكافرين، ومن ألسنتهم، وكتخريب كنائسهم، وكسر صلبانهم وأوثانهم»[٦].

٨- وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «المنكرات من الأعيان والصور، يجوز إتلاف محلها تبعا لها، مثل الأصنام المعبودة من دون الله، لما كانت صورها منكرة: جاز إتلاف مادتها، فإذا كانت حجرا أو خشبا ونحو ذلك: جاز تكسيرها

---

(١) رقم (١٤٣٤٢)، ٧/ ٢٦٨.

(٢) المصنف ٦/ ٤٦٨ رقم (٣٢٩٨٨).

(٣) الطرق الحكمية ص٢٧٢.

(٤) شرح السير الكبير ٣/ ١٠٥٢.

(٥) الفتاوى الهندية ٢/ ٢١٦.

(٦) قواعد الأحكام ١/ ١٣١.

وتحريقها»(١).

مسألة: حول بقاء شيء من الأصنام في بعض الأمصار التي فتحها الصحابة رضوان الله عليهم.

هناك أسئلة تدور حول عدم دك بعض حصون الشرك وبقاء بعض الآثار الوثنية التي نراها في عصرنا الحاضر ومنها: الأصنام التي في (مصر) من معبودات الفراعنة، وأصنام (بوذا)(٢) في بلاد الأفغان مع أنها فتحت في أول العهد الإسلامي.

❖ **وللجواب عن ذلك نقول:**

اعلم أن التماثيل والتصاوير التي كانت في الجاهلية وأدركها المسلمون أثناء الفتوحات الإسلامية قد هدموها وأتلفوها قطعاً، فهم خير من نفذ وصية المصطفى ﷺ، وقد بعثهم في حياته لهدم الأوثان ومحقها، بل وأتلفوا الكتب التي هي دون الأصنام كما ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته، قال:

«ولما فُتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد أبن أبي وقاص إلىٰ عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها ونقلها للمسلمين، فكتب إليه عمر: أن اطرحوها في الماء؛ فإن يكن ما فيها هدىٰ فقد هدانا الله بأهدىٰ منه، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله، فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها»(٣).

فإذا كان هذا عملهم في كتب أولئك فما بالك بأصنامهم ومعبوداتهم؟!!!.

فالسبب في بقاء بعض الأصنام والتماثيل والمعبودات في البلدان التي فتحوها

---

(١) الطرق الحكمية ص٢٧١.

(٢) (بوذا) يؤلّهه (البوذيون) في العالم ويصلون له، ويدين بالديانة البوذية أكثر من ستمائة مليون في العالم، وينتشرون في الصين واليابان ونيبال والهند وسيلان وغيرها (الموسوعة الميسرة) ٢/ ٧٧٢.

(٣) ابن خلدون في (مقدمته) ص٤٨٠.

لا يخرج عن ثلاثة:

السبب الأول: أن من هذه التماثيل ما كان داخلاً في كنائسهم ومعابدهم التي صولحوا عليها، فتترك بشرط عدم إظهارها، ففي الشروط العمرية المعروفة على أهل الذمة (وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليباً... وألا نخرج صليباً ولا كتاباً في أسواق المسلمين).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في شرح قوله (ولا نظهر عليها صليباً): «لما كان الصليب من شعائر الكفر الظاهرة كانوا ممنوعين من إظهاره، قال أحمد في رواية حنبل: ولا يرفعوا صليباً، ولا يظهروا خنزيراً، ولا يرفعوا ناراً، ولا يظهروا خمراً، وعلى الإمام منعهم من ذلك.

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن عمرو بن ميمون بن مهران قال: كتب عمر بن عبد العزيز: أن يمنع النصارى في الشام أن يضربوا ناقوساً، ولا يرفعوا صليبهم فوق كنائسهم، فإن قدر على من فعل من ذلك شيئاً بعد التقدم إليه فإن سلبه لمن وجده.

وإظهار الصليب بمنزلة إظهار الأصنام؛ فإنه معبود النصارى كما أن الأصنام معبود أربابها ومن أجل هذا يسمون عباد الصليب، ولا يمكنون من التصليب على أبواب كنائسهم وظواهر حيطانها ولا يتعرض لهم إذا نقشوا ذلك داخلها»[(١)].

وقد كان السلف الصالح حريصين كل الحرص على منع إظهار دينهم فإن رأوا شيئا ظاهرا كسر قال الحطاب: «قال ابن حبيب: وإن أظهروا صلبهم في أعيادهم واستسقائهم كسرت وأدبوا»[(٢)].

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي: «ويمنعون ـ أي أهل الذمة- من إظهار منكر

(١) أحكام أهل الذمة ٢/ ٧١٩.
(٢) التاج والإكليل ٤/ ٦٠٢.

بيننا؛ نحو خمر، وخنزير، وناقوس: وهو ما يضرب به النصارىٰ لأوقات الصلاة... إلىٰ أن قال: ويتلف ناقوس لهم أظهر»[١].

بل جاء المنع ممن هو دون الأصنام والنواقيس. قال ابن مفلح الحنبلي: «ويمنعون وجوباً من إظهار خمر وخنزير، فإن فعلا أتلفناهما»[٢].

وقال السفاريني: «وما أظهروه من المحرمات في شرعنا تعين إنكاره عليهم، فإن كان خمرا جازت إراقته، وإن أظهروا صليباً أو طنبوراً جاز كسره. وإن أظهروا كفرهم أدبوا علىٰ ذلك، ويمنعون من إظهار ما يحرم علىٰ المسلمين»[٣].

السبب الثاني: أن تكون التماثيل من القوة والإحكام بحيث يعجزون عن هدمها وإزالتها، مثل تلك التماثيل الهائلة المنحوتة في الجبال والصخور بحيث لا يستطيعون إزالتها أو تغييرها، وقد ذكر ابن خلدون في (المقدمة) أن الهياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة، بل تتم في أزمنة متعاقبة، حتىٰ تكتمل وتكون ماثلة للعيان، قال «لذلك نجد آثاراً كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخريبها، مع أن الهدم أيسر من البناء»[٤] ثم مثَّل علىٰ ذلك بمثالين:

الأول: أن الرشيد عزم علىٰ هدم (إيوان كسرىٰ) فشرع في ذلك وجمع الأيدي واتخذ الفؤوس وحماه بالنار وصب عليه الخل حتىٰ أدركه العجز.

الثاني: أن المأمون أراد أن يهدم (الأهرام) في (مصر) فجمع الفعلة ولم يقدر[٥].

السبب الثالث: أن تكون التماثيل مطمورة تحت الأرض أو مغمورة بالرمال

---

(١) تحفة المحتاج ٩/ ٣٠٢.

(٢) الفروع ٦/ ٢٧٦.

(٣) غذاء الألباب ١/ ٢٤٠.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٣.

(٥) المرجع السابق.

ولم تظهر إلا بعد انتهاء زمن الفتوحات، وهذا مثل كثير من آثار الفراعنة في (مصر)، فمعبد (أبو سمبل) مثلاً في (مصر)– وهو من أكبر معابد الفراعنة – كان مغموراً بالرمال مع تماثيله وأصنامه إلى ما قبل قرن ونصف القرن تقريباً، وأكثر الأصنام الموجودة في المتاحف المصرية في هذا الوقت لم تكتشف إلا قريباً،وقد ذكر المقريزي (ت٨٤٥) أن أبا الهول مغمور تحت الرمال ـ في وقته ـ لم يظهر منه إلا الرأس والعنق فقط دون الباقي ـ بخلافه اليوم ـ[1]، وسئل الزركلي عن الأهرام وأبي الهول ونحوها: هل رآها الصحابة الذين دخلوا مصر؟! فقال: كان أكثرها مغموراً بالرمال ولا سيما أبا الهول[2].

❖ **تنبيهات:**

١- يجب تبرئة الصحابة أن يقال فيهم أنهم تركوا الأوثان فلم يهدموها فهم أحرص الناس على إقامة التوحيد وشعائره، وإزالة الشرك ومظاهره، وهم الذين حفظوا عن رسول الله ﷺ النصوص المعروفة التي تدل على حرمة التماثيل كلعن المصور. وبيان أنه أشد الناس عذاباً يوم القيامة. وأنه من أظلم الناس... إلخ.

٢-لا يقال بعد هذا أن هذه الأصنام من آثار الجاهلية وقد تركها الصحابة والتابعون فيجب أن تترك.فإن إزالة آثار الشرك مع القدرة عليه من أولويات التوحيد التي حثت الشريعة عليه وأولته اهتمامها دليل ذلك زيادة على ما تقدم أن جبريل امتنع من دخول بيت رسول الله ﷺ بسبب تمثال كان في باب بيته فقد روى الترمذي - وصححه -، وأبو داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال لي: أتيتك البارحة، فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب، فمر برأس

---

(١) الخطط للمقريزي ١/ ١٢٢.

(٢) شبه جزيرة العرب ٤/ ١١٨٨.

التمثال الذي في البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتين توطآن، ومر بالكلب فليخرج ففعل رسول الله ﷺ»[١]، وعنه ﷺ قال: «استأذن جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، فقال: ادخل، فقال: كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير؟ فإما أن تقطع رؤوسها، أو تُجعل بساطاً يوطأ، فإنا معشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيه تصاوير»[٢].

فإن جبريل أمر الرسول ﷺ بقطع رأس التمثال الذي في بيته، وهل يقول قائل: إن هذا التمثال الذي في بيت (سيد ولد آدم ﷺ) كان للعبادة؟!!

٣- من أولويات التوحيد التي حثت الشريعة عليه سد الذرائع والطرق الموصلة إلى الشرك، وهذا أصل من أصول الإسلام ولاسيما في باب التوحيد وحماية جنابه، فتحرم هذه الأصنام للأدلة السابقة ولأنها أيضا من باب سد الذرائع، فوجود الأصنام بين ظهراني المسلمين لاشك أنه مظنة للشرك في القريب أو البعيد، والشريعة جاءت بسد الذرائع المفضية للمفاسد وكذلك الحال في بقاء الأصنام.

٤- لا يقال أن المصلحة تقتضي ترك هذه التماثيل فإن أعظم المصالح على الإطلاق إقامة التوحيد وتشييد أركانه، وهدم الشرك وآثاره، ولا مفسدة أعظم من ترك صروح الشرك والوثنية عند القدرة عليها، وتأمل في قصة إبراهيم عليه السلام المذكورة في القرآن كيف جعل الأصنام جذاذاً ولم ينظر لمثل هذه المصالح الموهومة التي يمليها الشيطان على الرغم من عدم وجود المعين، ومن تسلطهم عليه. وتأمل في قصة وفد ثقيف عندما أسلموا ووفدوا على الرسول ﷺ:

فإنهم لما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية - وهي اللات- لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٨) والترمذي (٢٨٠٦) وقال حسن صحيح وأحمد (٨٠٣٢).

(٢) أخرجه النسائي (٥٣٦٧) وأحمد (٨٠٦٥).

سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها فبعث المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب لهدمها [(١)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في فوائد قصة ثقيف هذه: «ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها وبها. والله المستعان» [(٢)].

وقال أيضاً: «ومنها هدم مواضع الشرك التي تتخذ بيوتا للطواغيت وهدمها أحب إلى الله ورسوله وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التي تعبد من دون الله ويشرك بأربابها مع الله لا يحل إبقاؤها في الإسلام ويجب هدمها ولا يصح وقفها ولا الوقف عليها» [(٣)].

٥- لا يقال أن الممنوع منها ما كان للعبادة فقد تناولت الأحاديث كافة أشكال التماثيل والتصاوير بمعناها ومعقولها، فتشملها بعلة التحريم؛ فإن علة حرمة التصاوير اتخاذها ذريعة لعبادتها من دون الله تعالى، وطريقاً للغلو فيها وتعظيمها، وهو بداية وقوع الشرك في بني آدم، كما تقدم في أسماء الرجال الصالحين من قوم نوح.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقال غير واحد من السلف: «كان هؤلاء قوما

---

(١) انظر (الطبقات) لابن سعد ٥/ ٥٠٥، (تاريخ الطبري) ٢/ ١٨٠.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٥٠٦.

(٣) زاد المعاد ٣/ ٦٠١.

صالحين في قوم نوح ﷺ فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن عائشة ﵂ أن أم سلمة ﵂ ذكرت لرسول الله كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى».

وفي لفظ آخر في الصحيحين: «أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها».

فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور، وهذا كان سبب عبادة اللات، فروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد (أفرأيتم اللات والعزى) قال: «كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره»، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس ﵄: «كان يلت السويق للحاج».

فقد رأيت أن سبب عبادة ود ويغوث ويعوق ونسرا واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار إليه النبي ﷺ»[1].

كما أن فيها مضاهاة لخلق الله تعالى كما يدل عليه قوله ﷺ «الذين يضاهون بخلق الله» قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى: «وقد تظاهرت دلائل الشريعة على المنع من التصوير والصور، ولقد أبعد غاية البعد من قال إن ذلك محمول على الكراهة، وإن هذا التشديد كان في ذلك الزمان لقرب العهد من الأوثان، وهذا الزمان حيث انتشر الإسلام وتمهدت قواعده لا يساويه في هذا المعنى، فلا يساويه في هذا التشديد - هذا أو معناه-، وهذا عندنا باطل قطعا؛ لأنه قد ورد في الأحاديثِ

(١) إغاثة اللهفان١/ ١٨٤.

الإخبارُ عن أمر الآخرة بعذاب المصورين؛ فإنهم يقال لهم «أحيوا ما خلقتم»، وهذه علة مخالفة لما قاله هذا القائل، وقد صرح بذلك في قوله ﷺ: «المشبهون بخلق الله» وهذه علة عامة مستقلة مناسبة لا تخص زمانا دون زمان، وليس لنا أن نتصرف في النصوص المتظاهرة المتظافرة بمعنى خيالي يمكن أن لايكون هو المراد مع اقتضاء اللفظ التعليل بغيره وهو التشبه بخلق الله»[(١)].

كما أن في بقاء الأصنام تشبها بالمشركين وعباد الأوثان، وقد ثبت في السنن عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «من تشبه بقوم فهو منهم».

❖ جهود المسلمين في هدم الأصنام:

لقد كان للمسلمين عموما وللعلماء خصوصًا جهودًا في هدم الأصنام وتخريبها وإزالة ما يستطيعون إزالته منها اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه ولن نستوفي جميع جهودهم لكننا نذكر شيئًا منها على وجه الاختصار ومن ذلك:

١ـ أخذ ذهب الباميان:

قال في الفهرست ذاكراً أسماء مواضع العبادات ببلاد الهند وصفة البيوت... إلخ: «ولهم بيت بالباميان من أوائل الهند مما يلي سجستان وإلى هذا الموضع بلغ يعقوب بن الليث لما قصد لفتح الهند والصور التي أنفذت إلى مدينة السلام من ذلك الموضع من الباميان حملت عند فتحها وهذا بيت عظيم يحله الزهاد والعباد وفيه من الأصنام الذهب المرصعة ما يجاوز القدر ولا يبلغه النعت والصفة، والهند تحجه من أقاصي بلادها براً وبحراً وبفرج بيت الذهب بيت، وقد اختلف فيه فقال قوم إنه بيت من حجارة فيه بددة وإنما سمي بيت الذهب لأن العرب لما فتحت هذا الموضع في أيام الحجاج أخذوا منه مائة بهار ذهباً...»[(٢)].

---

(١) أحكام الأحكام ٢/ ١٧١.

(٢) الفهرست لابن النديم ١/ ٤٨٤-٤٨٧.

٢ ـ الرشيد يحاول هدم إيوان كسرىٰ:

قال ابن خلدون: «وانظر المشاهدة إيوان كسرىٰ وما اقتدر فيه الفرس حتىٰ إنه عزم الرشيد علىٰ هدمه وتخريبه فتكاءد عنه وشرع فيه ثم أدركه العجز»[١].

وقال ابن خلدون أيضاً: «الفصل الرابع في أن الهياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة... وأكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها فإذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في إتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها، ويشهد لذلك أيضاً أنا نجد آثاراً كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخريبها مع أن الهدم أيسر من البناء بكثير؛ لأن الهدم هو رجوع إلىٰ الأصل الذي هو العدم والبناء علىٰ خلاف الأصل، فإذا وجدنا بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا أن القدرة التي أسسته مفرطة القوة ـ وأنها ليست أثر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في إيوان كسرىٰ، لما اعتزم الرشيد علىٰ هدمه وبعث إلىٰ يحيىٰ بن خالد وهو في محبسه يستشيره في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركه ماثلاً يستدل به علىٰ عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لأهل ذلك الهيكل، فاتهمه في النصيحة وقال: أخذته النعرة للعجم والله لأصرعنه وشرع في هدمه وجمع الأيدي عليه واتخذ له الفؤوس وحماه بالنار وصب عليه الخل حتىٰ أدركه العجز بعد ذلك كله... وأقصر عن هدمه»[٢].

٣ـ المأمون يحاول هدم الهرمين بمصر:

قال في معجم البلدان: «ولما وصل المأمون إلىٰ مصر أمر بنقبهما فنقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد في داخله مهاو

---

(١) مقدمة ابن خلدون١/ ١٧٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون١/ ٣٤٦، ٣٤٧.

ومراق يهول أمرها ويعسر السلوك فيها، ووجد في أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية، فأمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه»[١].

قال ابن بطوطة: «فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل، فلج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم»[٢].

وقال ابن خلدون: «وكذلك اتفق للمأمون في هدم الأهرام التي بمصر وجمع الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقبه فانتهوا إلى جو بين الحائط والظاهر وما بعده من الحيطان وهنالك كان منتهى هدمهم وهو إلى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر، ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازاً بين تلك الحيطان والله أعلم»[٣].

٤ـ وقد ذكر المسعودي في تاريخه بيتاً كان بأنطاكية من أرض الشام كانوا يعظمونه، ويقربون فيه القرابين، فخرب عند مجيء الإسلام... وكانت فيه الأصنام والتماثيل من الذهب والفضة وأنواع الجواهر[٤]. وكذلك بيت غمدان بصنعاء خربه عثمان بن عفان ﷺ[٥]، وبيت كاوسان بناه كاوس الملك بناء عظيما بمدينة فرغانة من مدائن خراسان وخربه المعتصم بالله[٦]. و بيت نار على خليج

(١) معجم البلدان٥/ ٤٠٠.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١/ ٥٨

(٣) مقدمة ابن خلدون١/ ٣٤٦، ٣٤٧.

(٤) مروج الذهب ٢/ ٢٥٨.

(٥) مروج الذهب ٢/ ٢٥٦.

(٦) مروج الذهب ٢/ ٢٥٧.

القسطنطينية من بلاد الروم بناه سابور بن أردشير بن بابك ـ وهو ساور الجنود ـ حين نزل على هذا الخليج وحاصر القسطنطينية في عساكره فلم يزل هذا البيت هنالك إلى خلافة المهدي فخرب[1]. وكذلك بنيان كانت تعظمه الفرس في وسط مدينة جور يقال له الطربال أخربه المسلمون[2].

٥ـ محمود بن سبكتكين يقتلع ألف صنم ويكسر الصنم المشهور بسومنات:

ذكر الذهبي أن ابن سبكتكين افتتح عدة مدائن بالهند وقلع أزيد من ألف صنم وذكر أن لهم صنمًا معظمًا يؤرخون مدته بجهالتهم بثلاث مئة ألف سنة[3]. قال رحمه الله: «ثم حارب محمود النواب السامانية وخافته الملوك واستولى على إقليم خراسان ونفذ إليه القادر بالله خلع السلطنة ففرض على نفسه كل سنة غزو الهند فافتتح بلادا شاسعة وكسر الصنم سومنات الذي كان يعتقد كفرة الهند أنه يحيي ويميت ويحجونه ويقربون له النفائس بحيث إن الوقوف عليه بلغت عشرة آلاف قرية وامتلأت خزائنه من صنوف الأموال وفي خدمته من البراهمة ألفا نفس ومئة جوقة مغاني رجال ونساء فكان بين بلاد الإسلام وبين قلعة هذا الصنم مفازة نحو شهر فسار السلطان في ثلاثين ألفا فيسر الله فتح القلعة في ثلاثة أيام واستولى محمود على أموال لا تحصى وقيل كان حجراً شديد الصلابة طوله خمسة أذرع منزل منه في الأساس نحو ذراعين فأحرقه السلطان وأخذ منه قطعة بناها في عتبة باب جامع غزنة ووجدوا في أذن الصنم نيفا وثلاثين حلقة كل حلقة يزعمون أنها عبادته ألف سنة»[4].

(١) مروج الذهب ٢/ ٢٧١.

(٢) مروج الذهب ٢/ ٢٧٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٣٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٨٥.

قال في شذرات الذهب يذكر محمود بن سبكتكين: «وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم... وكسر الصنم المشهور بسومنات وهو عند كفرة الهند يحيى ويميت ويقصدونه لأنواع العلل ومن لم يشف منهم احتج بالذنب وعدم الإخلاص ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على مذهب أهل التناسخ... وبين قلعة الصنم وبلاد المسلمين مسيرة شهر مفازة قليلة الماء صعبة المسلك لا تهتدي طرقها فأنفق محمود ما لا يحصى في طلبها حتى وصلها وفتحها في ثلاثة أيام ودخل بيت الصنم وحوله أصنام كثيرة من الذهب المرصع بالجوهر محيطة بعرشه يزعمون أنها الملائكة فأحرق الصنم ووجد في أذنه نيفا وثلاثين حلقة فسألهم محمود عن تلك الحلق فقالوا كل حلقة عبادة ألف سنة كلما عبدوه ألف سنة علقوا في أذنه حلقة ولهم فيه أخبار طويلة انتهى»[(١)].

وذكر ابن كثير في أخبار سنة ثمان عشرة وأربعمائة عن السلطان محمود أنه: «استخار الله لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده وكثرة الهنود في طريقه والمفاوز المهلكة والأرض الخطرة في تجشم ذلك في جيشه وأن يقطع تلك الأهوال إليه فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ممن اختارهم لذلك سوى المتطوعة فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ونزلوا بساحة عباده فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة قال فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم فقال حتى أستخير الله ﷻ فلما أصبح قال إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت

---

(١) شذرات الذهب ٢/ ١٨٩ وانظر ٢ / ٢٠٩. وانظر البداية والنهايه١٢/ ٨.

يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم أحب إلىٰ من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ثم عزم فكسره رحمه الله فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف علىٰ ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقال دانق منه خير من الدنيا وما فيها مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي فرحمه الله وأكرم مثواه»[(١)].

٦ـ الملك قلاوون يدمر صنماً قبالة أبا الهول:

قال ابن إياس: «أبو الهول كان مدفونا في الرمال ولم يكن يظهر منه إلا رأسه وأنه كان يوجد قبالته صنم آخر قام الملك محمد الناصر قلاوون ٧١١هـ بتدميره وقطعه وجعل منه أعتاباً»[(٢)].

٧ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يهدم بنيانًا في أرض تعظمه العامة. قال في الرسالة السادسة ص (٣٩):

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبدالوهاب إلىٰ العلماء الأعلام في بلد الله الحرام نصر الله بهم سيد الأنام وتابعي الأئمة الأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

جرىٰ علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا علىٰ قبور الصالحين فلما كبر هذا علىٰ العامة لظنهم أنه تنقيص للصالحين ومع هذا نهيناهم عن دعواهم وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله... فنحن ولله الحمد متبعين غير مبتدعين علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل وحتىٰ من البهتان الذي أشاع الأعداء أني أدعي الاجتهاد ولا أتبع الأئمة فإن بان لكم أن هدم البنا علىٰ القبور والأمر بترك دعوة الصالحين لما أظهرناه، وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان

---

(١) البداية والنهايه ١٢/ ٢٢، ٢٣.

(٢) بدائع الزهور.

لو تبين بالعمل بهاتين المسئلتين أنها تكبر على العامة الذين درجوهم وإياهم على ضد ذلك فإن كان الأمر كذلك فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة شرفها الله مثل (الإقناع) (وغاية المنتهى) (والإنصاف) اللاتي عليه اعتماد المتأخرين وهو عند الحنابلة (كالتحفة) (والنهاية) عند الشافعية وهم ذكروا في باب الجنايز هدم البنا على القبور واستدلوا عليه بما في صحيح مسلم عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ بعثه بهدم القبور المشرفة وأنه هدمها، واستدلوا على وجوب إخلاص الدعوة لله والنهى عما اشتهر في زمنهم من دعاء الأموات بأدلة كثيرة، وبعضهم يحكى الإجماع على ذلك فإن كانت المسئلة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه»[1].

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ القسم الخامس ص٤٠، ٤١.

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَات

الموضوع الصفحة

٩٩- الجاهلية.. ٥
إطلاق كلمة (جاهلية القرن العشرين) ٨
فائدة: في قول عمر بن الخطاب ﷺ: (لا تنقض عرى الإسلام عروة عروة
حتى ينشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) ١٠
١٠٠- الجبت ١٢
١٠١- جحود شيءٍ من الأسماء والصفات ١٥
١٠٢- جزيرة العرب ١٦
فائدة: في يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب ١٨
حدود جزيرة العرب ١٩
حكم وجود غير المسلمين في جزيرة العرب ٢٩
إشكالات ينبغي الجواب عنها ٣١
- أن النبي ﷺ رهن درعه عند يهودي ٣١
- أن رسول الله ﷺ قد أقر أهل خيبر بها ٣٢
حرم مكة يمنع الكافر من دخوله بكل حال ٣٥
فإن قيل إن المنع من قربان المسجد الحرام خاص بالمشركين ٣٧

الموضوع	الصفحة
حكم بناء معابد للكفرة في الجزيرة العرب	٣٩
١٠٣- الجفر وعلاقته بالتنجيم	٤٠
١٠٤- الجماعة	٤٠
١٠٥- الجن	٤١
معنى لفظ إبليس	٤١
معنى الشيطان في اللغة	٤٢
هل إبليس من الملائكة؟	٤٢
حكم استخدام الجن	٤٤
١٠٦- الحازر..................................	٥٤
١٠٧- حب الله..................................	٥٤
١٠٨- الحب في الله والبغض فيه..................................	٥٥
حب المؤمنين بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر..................................	٦١
١٠٩- الحجب والحروز..................................	٦٢
١١٠- حق الله على العباد و حق العباد على الله..................................	٦٣
كلام نفيس لابن قيم الجوزية رحمه الله..................................	٦٤
١١١- الحكم بغير ما أنزل الله	٦٩
حكم من حكم بغير ما أنزل الله:..................................	٧٢

الموضوع	الصفحة
للحكم بغير ما أنزل الله أحوال وصور:	٧٢
أولاً: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله	٧٢
ثانياً: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله	٧٢
ثالثاً: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله	٧٣
رابعاً: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله	٧٣
خامساً: التشريع العام والتبديل	٧٥
سادساً: الحكم العام بغير ما أنزل الله	٧٨
متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا أصغر	٨٠
فائدة: الرواية الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيحة	٨٥
حكم دراسة القوانين الوضعية وتدريسها	٨٧
تَنْبيهٌ مهم: إذا كان القانون يوافق الشرع فلا بأس به	٨٩
١١٢ - الحلف	٩١
حكم الحلف بغير الله	٩٤
مسألة: إقسام الله تعالى بمخلوقاته	٩٧
فائدة في ذكر أيمان النبي ﷺ	٩٨
مسألة في قوله ﷺ: «أفلح وأبيه إن صدق»	٩٩
ما يجب على المحلوف له بالله	١٠١

الموضوع | الصفحة

حكم كثرة الحلف ١٠٣
كفارة الحلف بغير الله ١٠٦
١١٣ - الحلقة.. ١٠٧
١١٤ - حماية التوحيد.. ١٠٨
الفرق بين حماية حمى التوحيد وحماية جنابه ١٠٩
منع وسائل الشرك والنهي عنها ١٠٩
تتمثل الوسائل الشركية فيما يلي: ١١٠
١ ـ الغلو في الأنبياء والصالحين ١١٠
٢ ـ الموافقة الظاهرة للكفار ١١١
٣ ـ السؤال بالخلق أو بالجاه ١١٣
٤ ـ اتخاذ الصور ١١٤
٥ ـ تعليق الحروز من القرآن.. ١١٥
١١٥ - الحنيفية ١١٦
١١٦ - الخروج عن الشريعة ١١٩
١١٧ - الخشوع.. ١٢٠
سبب الخشوع ١٢١
خشوع النفاق ١٢٣

الموضوع	الصفحة
١١٨- الخشية	١٢٤
الفرق بين الخشية والخوف	١٢٥
١١٩- الخط	١٢٦
١٢٠- الخُلـة	١٢٧
العلاقة بين الخلة والعبودية	١٢٨
١٢١- الخوارق الشيطانية	١٢٩
١٢٢- الخوف	١٣٠
أقسام الخوف:	١٣١
الأول: خوف السر	١٣١
الثاني: ترك ما يجب عليه خوفا من الناس	١٣٣
الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة	١٣٣
الرابع: الخوف الطبيعي	١٣٣
ويقسم الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ الخوف إلى أربعة أقسام	١٣٤
تنبيه: على العبد أن لا يخاف الناس في الله	١٣٥
كيفية تحصيل أسباب الخوف من الله	١٣٧
حد الخوف الواجب	١٣٧
الفرق بين الخوف والوجل والفزع	١٣٨

الموضوع | الصفحة

المؤمن بين الحب والخوف والرجاء........................ ١٣٩
أهمية الخوف........................ ١٤٠
أهمية الرجاء........................ ١٤٠
هل الأفضل تغليب جانب الخوف أم جانب الرجاء؟........................ ١٤٢
١٢٣ - الخيط........................ ١٥٠
١٢٤ - الدعاء........................ ١٥١
الدعاء نوعان:........................ ١٥٤
الأول: دعاء عبادة........................ ١٥٤
الثاني: دعاء مسألة........................ ١٥٤
التلازم بين دعاء المسألة ودعاء العبادة........................ ١٥٥
أقسام الدعاء........................ ١٥٦
١ ـ ما يقع عبادة........................ ١٥٦
٢ ـ ما لا يقع عبادة........................ ١٥٦
شروط وآداب الدعاء........................ ١٥٦
حكم ترك الدعاء استسلاماً للقضاء........................ ١٥٧
حكم الدعاء للمشركين........................ ١٥٨
حكم دعاء غير الله........................ ١٥٩

الموضوع | الصفحة

الفرق بين الدعاء والاستعانة ١٦١
الفرق بين الدعاء والاستغاثة ١٦١
الفرق بين الدعاء والنداء ١٦١
دعاء أصحاب القبور وطلب الحوائج منهم ١٦٢
أحوال سؤال السائل للميت ١٦٤
الحالة الأولى: من يسأل الميت حاجته ١٦٤
الحالة الثانية: أن يسأل الله تعالى بالميت ١٦٤
الحالة الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند القبور مستجاب ١٦٥
الحالة الرابعة: أن تطلب من الميت أن يدعو لك........................ ١٦٥
حكم الدعاء بجاه النبي ﷺ ١٧٣
مسألة: الدعاء عند قبر النبي ﷺ ١٧٤
١٢٥ - الدهر........................ ١٧٦
سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام ١٧٩
الأول: وصف الدهر بالشدة أو الغلظة ١٧٩
الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل........................ ١٧٩
الثالث: أن يسب الدهر لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده........................ ١٨٠
١٢٦ - الدين ١٨٣

الموضوع | الصفحة

فائدة: كل ما يدين به الناس ويتعبدون به يُسمى ديناً.............. ١٨٦
الفرق بين الدين والملة والمذهب ١٨٧
١٢٧ - الذبح.. ١٨٨
أقسام الذبح من حيث الحكم الشرعي: ١٩١
الذبح لغير الله شرك، وله ثلاث صور ١٩٢
الذبح لله تعالى بمكان يذبح فيه لغير الله ١٩٨
حكم أكل ما ذبح لغير الله ١٩٨
ذبيحة أهل الكتاب.. ١٩٩
حكم ذبيحة الكافر.. ٢٠٠
١٢٨ - ذمة الله وذمة نبيه ﷺ ٢٠١
١٢٩ - ذو الخَلَصة.. ٢٠٣
١٣٠ - الرجاء ٢٠٤
الرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله وصرفه لغير الله شرك... ٢٠٦
استعمال كلمة «أرجوك» ٢٠٧
المؤمن بين الرجاء والخوف ٢٠٧
الفرق بين الرجاء والتمني ٢٠٨
ماذا يستلزم الرجاء ٢٠٨

الموضوع	الصفحة
١٣١ - الردة	٢١٠
أقسام الردة	٢١٣
١ ـ الكفر بالاعتقاد	٢١٣
٢ـ الكفر بالقول	٢١٤
٣ ـ الكفر بالعمل	٢١٥
٤ ـ الكفر بالشك	٢١٦
ما تبطله الردة	٢٢٢
ما يترتب على المرتد من آثار	٢٢٢
شروط الحكم بالردة	٢٢٣
استتابة المرتد	٢٢٤
كيف تكون توبة المرتد؟	٢٢٥
١٣٢ - الرسل عليهم الصلاة والسلام	٢٢٦
١٣٣ - الرضا بقضاء الله وقدره	٢٢٦
١٣٤ - الرغبة	٢٢٧
١٣٥ - الرقى	٢٣٠
حكم الرقية	٢٣٢
شروط جواز الرقية	٢٣٤

الموضوع | الصفحة

حكم رقية أهل الكتاب للمسلمين ٢٣٦
مسائل متنوعة في الرقية:........................ ٢٣٨
١ـ تعريف النفث والتفل في الرقية ٢٣٨
٢ـ متى يكون النفث حال القراءة؟ ٢٣٨
٣ـ الخلاف في كراهية النفث وإباحته ٢٣٩
٤ـ حكم الرقية بدون نفث ٢٤٠
٥ـ حكم شرب الرقية المكتوبة ٢٤١
الرقية في الماء وشربه ٢٤١
استخدام إناء فيه آيات منقوشة ٢٤٣
٦ـ خلط بعض التراب مع الريق ٢٤٤
٧ـ حكم أخذ الأجرة على الرقية ٢٤٦
فائدة: العين حق والأدلة على ذلك........................ ٢٤٦
الطرق المشروعة في علاج إصابة العين بعد وقوعها ٢٥٠
الطرق الشرعية لاتقاء العين قبل وقوعها........................ ٢٥١
أولاً: بالنسبة لمن يخاف العين ٢٥١
حكم تلبيس الصبيان الملابس الرثة خوفاً من العين ٢٥٣
ثانياً: بالنسبة للعائن ٢٥٣

الموضوع	الصفحة

الركوع	٢٥٨
الرمال	٢٥٨
١٣٦ - الـرهـبـة	٢٥٩
١٣٧ - الرياء	٢٦٠
الفرق بين الرياء والسمعة	٢٦٣
الرياء على درجتين	٢٦٦
الدرجة الأولى: رياء المنافقين	٢٦٦
الدرجة الثانية: المسلم المرائي بعمله أو ببعض عمله	٢٦٧
حكم العبادة إذا خالطها الرياء	٢٦٧
الأمور التي يقع فيها الرياء	٢٧٥
الرياء بالبدن	٢٧٥
الرياء بالزِّي والهَيْئَة	٢٧٥
الرياء بالقول	٢٧٥
الرياء بالعمل	٢٧٦
بين المرائي والمعجب	٢٧٧
علاج الرياء	٢٧٨
هل ترك العمل من أجل الناس رياء	٢٧٩

الموضوع	الصفحة
مسألة فيمن حضر عنده ناس يقومون الليل فقام معهم	٢٨١
١٣٨ - الزنديق	٢٨٢
حكم توبة الزنديق	٢٨٤
١٣٩ - زيارة القبور	٢٨٧
زيارة المقابر على ثلاثة أقسام:	٢٨٧
١ - زيارة بدعية	٢٨٧
٢ـ زيارة شركية	٢٨٨
٣ـ زيارة شرعية	٢٨٩
حكم زيارة قبر المشرك	٢٩٢
حكم زيارة النساء للقبور	٢٩٣
أقوال العلماء في حكم زيارة النساء للقبور	٢٩٤
الذي عليه أئمة التحقيق المنع والنهي عن زيارة النساء للقبور	٢٩٧
حكم زيارة المرأة لقبر النبي ﷺ	٢٩٩
١٤٠ - السؤال	٣٠٠
ذم من سأل الخلقَ	٣٠٢
حكم سؤال الغير أن يدعو له	٣٠٤
فائدة: يجب أخذ ما جاءه من مال بلا إشراف نفس ولا مسألة	٣٠٥

الموضوع | الصفحة

فـائـدة: لا بأس بمسألة الماء ٣٠٦
١٤١- السؤال بالله........................ ٣٠٧
أقسام السؤال بالله ٣٠٨
حكم السؤال بالله ٣٠٨
حكم إجابة السؤال بالله ٣٠٨
إجابة من أقسم عليك بالله ٣١٠
١٤٢- السؤال بالجاه أو بالحق........................ ٣١٢
١٤٣- السؤال بوجه الله........................ ٣١٤
١٤٤- سب الأنبياء والملائكة........................ ٣١٨
حكم سب الأنبياء والملائكة ٣١٨
١٤٥- سب أمهات المؤمنين........................ ٣٢١
سب عائشة رضي الله عنها ٣٢١
قذف بقية أمهات المؤمنين ٣٢٢
١٤٦- سب الدين أو الرب........................ ٣٢٤
١٤٧- سب الدهر ٣٢٥
١٤٨- سب الرسول ﷺ ٣٢٦
الفرق بين سب الله وسب رسوله ﷺ ٣٣٠

الموضوع | الصفحة

ساب الرسول ﷺ يتعلق به أمران ٣٣١
مما يلحق بهذا الباب لمز الرسول ﷺ ٣٣٢
ويلحق بهذا الباب إيذاء الرسول ﷺ ٣٣٤
١٤٩- سب الريح........................ ٣٣٧
١٥٠- سب الصحابة........................ ٣٤٠
النهي عن سب الصحابة ٣٤٢
حكم سب الصحابة ٣٤٣
أ- سب عموم الصحابة ٣٤٤
ب- سب بعضهم سباً يطعن في دينهم ٣٤٥
ج- من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم ٣٤٧
سب السلف والعلماء والمؤمنين ٣٤٨
١٥١- السبب........................ ٣٤٩
الأسباب على قسمين ٣٥١
موقف الناس من الأسباب........................ ٣٥٢
حكم التعلق بالأسباب........................ ٣٦٧
١٥٢- السجود........................ ٣٦٩
السجود نوعان: سجود تحية وسجود عبادة ٣٧١

الموضوع	الصفحة
حكم السجود على المقابر	٣٧٥
١٥٣ - السحر	٣٧٦
حقيقة السحر	٣٧٨
الفرق بين السحر والمعجزة	٣٨٠
الفرق بين الساحر والكاهن	٣٨٢
حكم عمل الساحر	٣٨٢
سحر التمويه والتلبيس	٣٨٦
حد الساحر ضربة بالسيف	٣٨٧
حكم تعلم السحر وتعليمه	٣٩١
حكم الذهاب للسحرة وسؤالهم	٣٩٢
إصابة الرسول ﷺ بالسحر	٣٩٣
توضيح معنى كلمة الطب	٣٩٤
الرد على من أنكر إصابة الرسول ﷺ بالسحر	٣٩٥
حل السحر بسحر مثله	٣٩٧
علاقة التميمة والعضه بالسحر	٣٩٧
ضبط كلمة العضه	٣٩٨
حكم النميمة	٣٩٩

الموضوع | الصفحة

علاقة البيان بالسحر ٤٠٠
١٥٤ - السخط من أقدار الله ٤٠١
١٥٥ - السفر إلى بلاد الكفر ٤٠١
١٥٦ - السلام على الله ٤٠٢
حكم قول السلام على الله ٤٠٤
فائدة في معنى السلام المطلوب عند التحية ٤٠٤
١٥٧ - السلف ٤٠٦
١٥٨ - السمعة ٤٠٦
١٥٩ - السنة ٤٠٧
١٦٠ - سوء الظن بالله ٤١٦
١٦١ - سواع ٤١٦
١٦٢ - السيد ٤١٧
حكم تسمية المخلوق بالسيد ٤١٨
حكم تسمية المنفق بالسيد ٤٢٤
الجمع بين حديث «السيد الله» وحديث «أنا سيد ولد آدم» ٤٢٥
عبارة «السيدة عائشة رضي الله عنها» ٤٢٧
١٦٣ - الشؤم ٤٣٠
معنى حديث الشؤم في ثلاث ٤٣٢

الموضوع | الصفحة

١٦٤- شد الرحال إلىٰ القبور والسفر إليها ٤٣٥
ضابط المراد من النهي عن شد الرحال ٤٣٧
حكم شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ ٤٣٨
أدلة المجيزين لاستحباب السفر لزيارة القبر والجواب عنها ٤٤٥
مسألة في حكم شد الرحال لزيارة الأهرامات ٤٤٧
١٦٥- شروط «لا إله إلا الله» ٤٤٧
١٦٦- الشرك ٤٤٨
فائدة: أعظم ما نهىٰ الله عنه الشرك وأعظم ما أوجبه التوحيد ٤٥٠
أقسام الشرك ٤٥١
سبب أول شرك حصل في بني آدم ٤٥٢
الفرق بين الكفر والشرك ٤٥٤
١٦٧- الشرك الأصغر ٤٥٨
يعرف الشرك الأصغر بأمور ٤٥٩
أضرار الشرك الأصغر ٤٦٠
الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر ٤٦١
حكم مرتكب الشرك الأصغر ٤٦٢
أمثلة الشرك الأصغر وصوره ٤٦٨

الموضوع | الصفحة

١٦٨ - الشرك الأكبر ٤٦٩
أقسام الشرك الأكبر ٤٧٠
١٦٩ - الشرك الخفي ٤٧٤
العلاقة بين الشرك الخفي والشرك الأصغر ٤٧٥
١٧٠ - شرك الطاعة والتسمية........ ٤٧٨
قصة آدم وحواء مع إبليس كما ذكرها المفسرون عن ابن عباس ٤٧٨
أدلة من قال ليس المراد من قوله: ﴿جعلا له شركاء﴾ آدم وحواء ٤٨١
إبطال الشيخ ابن عثيمين هذه القصة من وجوه ٤٨٢
حكم تعبيد الاسم لغير الله ٤٨٥
١٧١ - شرك المحبة ٤٨٧
١٧٢ - الشريعة ٤٨٨
الشريعة قسمان: اعتقاديات وعمليات ٤٨٩
١٧٣ - شعب الإيمان........ ٤٩١
معنى البضع ٤٩٢
اختلاف روايات الحديث في تعداد الشعب ٤٩٢
الاجتهاد في حصر شعب الإيمان ومعرفتها ٤٩٣
مسألة: كل طاعة داخلة في الإيمان ٤٩٥

الموضوع	الصفحة
مسألة: الجمع بين أركان الإيمان الستة وأنه بضع وسبعون شعبة	٤٩٦
١٧٤ - الشك في حكم الله ﷻ أو الشك في خبر من أخباره	٤٩٧
١٧٥ - الشعوذة والدجل	٤٩٨
١٧٦ - الشفاعة	٥٠٠
أنواع الشفاعة يوم القيامة	٥٠٣
أسباب الحصول على الشفاعة	٥٠٦
الشفاعة شفاعتان شفاعة منفية وشفاعة مثبتة	٥٠٧
شروط الشفاعة المثبتة	٥٠٨
حكم طلب الشفاعة من الرسول ﷺ في الدنيا	٥١٠
الآية القاطعة لعروق شجرة الشرك	٥١٥
فائدة: الخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر	٥١٦
الشُّبَه التي يتعلق بها المشركون في طلب الشفاعة من غير الله	٥١٨
الفرق بين الشفاعة عند الله والشفاعة عند البشر	٥٢١
حكم الشفاعة في أمور الدنيا	٥٢٢
١٧٧ - الشكر	٥٢٤
العلاقة بين الحمد والشكر والمدح	٥٢٦
الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح	٥٢٨

الموضوع | الصفحة

الشكر أعلىٰ مراتب العبد ٥٣٠
فائدة في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ٥٣٠
١٧٨ - شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ٥٣٢
أركان شهادة أن محمد رسول الله ﷺ ٥٣٥
تتضمن معرفة النبي ﷺ خمسة أمور ٥٣٧
خصائص النبي ﷺ ٥٣٨
١٧٩ - الشهادة لمعين بالجنة أو النار ٥٤٠
١٨٠ - الصبر ٥٤١
أقوال السلف في الصبر ٥٤٣
حكم الصبر ٥٤٥
تفاوت درجات الصبر ٥٤٧
موقف العبد حال المصيبة ٥٤٩
حكم الرضا بقضاء الله جل وعلا ٥٥٠
الفرق بين الرضا والصبر ٥٥٤
أمور تتنافى مع الصبر أو تقدح في كماله ٥٥٦
١ - الشكوىٰ وهي نوعان ٥٥٦
٢ - الأنين وهو قسمان ٥٥٨

الموضوع | الصفحة

٣- الندب والنياحة وشق الثياب ٥٥٩
حكم النياحة ٥٦١
مسألة: عذاب الميت بما نيح عليه؟ ٥٦٣
١٨١ - الصدق المنافي للكذب ٥٦٨
١٨٢ - الصراط المستقيم ٥٦٩
١٨٣ - صفر ٥٧٤
أقوال العلماء في معنىٰ «صفر» ٥٧٤
١٨٤ - الصليب ٥٧٦
١٨٥ - الصنم ٥٧٧
الفرق بين الصنم والوثن ٥٧٧
ذكر بعض الأصنام المشتهرة في الجاهلية ٥٨١
١ - هبل ٥٨١
٢ - اللات ٥٨٢
٣- مناة ٥٨٤
٤ - العزىٰ ٥٨٦
٥ - أصنام قوم نوح ٥٨٧
كيف صارت أصنام قوم نوح إلىٰ العرب؟ ٥٨٩

الموضوع | الصفحة

٦- أساف ونائلة ٥٩٠
٧- ذو الخلصة ٥٩١
أدلة الكتاب والسنة على هدم الأصنام ووجوب ذلك على كل قادر.......... ٥٩٣
مسألة: حول بقاء بعض الأصنام التي لم تهدم ٥٩٧
أسباب بقاء الأصنام والتماثيل دون هدم ٥٩٧
تنبيهات ٦٠٠
جهود المسلمين في هدم الأصنام ٦٠٤
فهرس الموضوعات ٦١١

***



دراسة شرعية لمفردات ألفاظ ومسائل التوحيد
مرتبة على الحروف الهجائية

تأليف
أبي عبد الرحمن
إبراهيم بن سعد أبا حسين حفظه الله

المجلد الثالث
ط - ي

دار القبس للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

صف وتصميم وإخراج

دار القبس للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

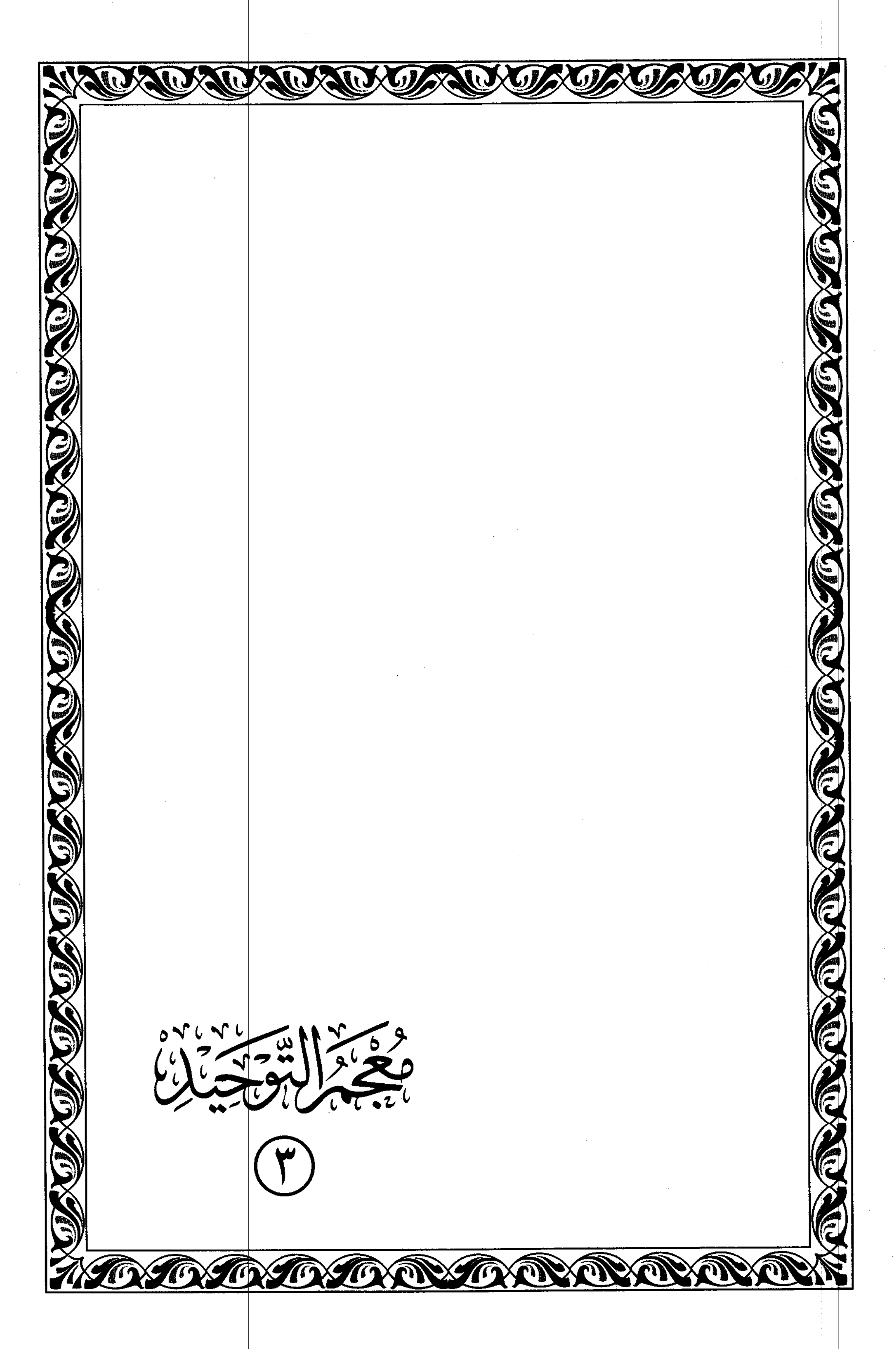
شارع الأمير سطام بن عبدالعزيز

ت: ٢٦٨١٠٤٥ - ف: ٤٣٥١٣٩٥

جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٢٩٣٩٣٨

darulqabas@yahoo.com

الرياض


معجم التوحيد
٣

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٦- طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله *

طاعة العلماء والأمراء والسلاطين والملوك واجبة فيما أباحه الشارع وفيما شرعه وأحله، وممنوعة فيما لم يبحه الشارع وزجر عنه؛ وهذا يبين صلة الباب بالكتاب حيث جاءت النصوص بتحريم طاعة العلماء والأمراء فيما خالف هدي الرسول ﷺ وأنها موجبة للعقوبة وإن كان المخالف مجتهدا فاضلا لأن ذلك شرك في الطاعة يخل بالتوحيد.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «ولا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقا في ذلك غير الرسول ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى، فهو مشرك كما بينه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ [التوبة.٣١]. أي: علماءهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام»(١).

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ

---

* تيسير العزيز الحميد ص٥٤٩. فتح المجيد ص٤٥١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٧٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٣٩٧، ٤١٠. الحكم بغير ما أنزل الله د. المحمود ص٢٠٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢ / ٢٥٥، ط٢-٢/ ٣١٠ ومن المجموع ١٠/ ٧٣١.

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٤٩.

أَوْلِيَآءَ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

* **الدليل من السنة:** عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ» وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»[(١)].

وعن حذيفة أنه سئل عن قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه . وفي رواية أنه قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه، فتلك كانت ربوبيتهم[(٢)].

وهذا الحديث يدل على أن طاعة الرهبان والأحبار في تحريم الحلال، وتحليل الحرام عبادة لهم من دون الله[(٣)]، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لقوله تعالى: ﴿ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي ١٠/ ١١٦.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/ ٢١١ ـ ٢١٣، وعبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧٢، والبيهقي في سننه ١٠/ ١١٦، وفي شعب الإيمان ٧/ ٤٥ ط دار الكتب العلمية.

(٣) انظر توضيح ذلك في كلام شيخ الإسلام في المبحث الآتي (حكم الطاعة في تحريم ما أحل الله).

تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «وهذا قد وقع في كثيرٍ من الناس مع من قلّدهم، لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلَّد، وهو من هذا الشرك»(١).

* أقوال السلف:

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تمتع النبي ﷺ. فقال عروة بن الزبير: نهىٰ أبوبكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما عُرَيَّة؟ قال: يقول: نهىٰ أبوبكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيُهلكون! أقول: قال النبي ﷺ ويقول: نهىٰ أبوبكر وعمر؟(٢)»(٣).

وقال مجاهد والحكم بن عتبة ومالك وغيرهم: «ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ»(٤).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «أجمع العلماء علىٰ أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد، وكلام الأئمة في هذا المكان واسع جداً»(٥).

---

(١) فتح المجيد ص٤٥٩.

(٢) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «هذا القول من ابن عباس رضي الله عنهما جواب لمن قال له: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلىٰ الحج ويريان أن إفراد الحج أفضل، أو ما هو معنىٰ هذا، وكان ابن عباس يرىٰ أن التمتع بالعمرة إلىٰ الحج واجب، ويقول: إذا طاف بالبيت وسعىٰ بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبىٰ، لحديث سراقة بن مالك حين أمرهم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويُحلُّوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة، فقال سراقة: يا رسول الله ألعامنا هذا أم للأبد؟ فقال: بل للأبد والحديث في الصحيحين» فتح المجيد ص٤٥١، ٤٥٢.

(٣) المسند (٣١٢١)، جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ١٦٩، مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٤.

(٤) جامع بيان العلم لابن عبدالبر ٢/ ٣٢، ٩١، إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٥.

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٧١، الرسالة ص٤٢٥، إعلام الموقعين ٢/ ٢٨٢.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلىٰ رأي سفيان والله تعالىٰ يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور: ٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»[(١)].

وفي كلام الإمام أحمد رحمه الله الإشارة إلىٰ أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم وإنما ينكر علىٰ من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة وذلك إنما نشأ من الإعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإقبال علىٰ كتب من تأخر والاستغناء بها عن الوحيين وهذا شبه ما وقع من أهل الكتاب الذين قال الله فيهم ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

وقال ابن تيمية: «وإذا كان الرجل متبعاً لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأىٰ في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوىٰ فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته، بلا نزاع، بل هذا أولىٰ بالحق، وأحب إلىٰ الله ورسوله ﷺ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ كمن يتعصب لمالك أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة، ويرىٰ أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه، فمن فعل هذا كان جاهلاً ضالاً، بل قد يكون كافراً، فإنه متىٰ اعتقد أنه يجب علىٰ الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر، فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، بل غاية ما يقال إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب علىٰ العامي أن يقلد واحداً لا بعينه، من غير تعيين زيد ولا عمرو، وأما أن يقول قائل إنه يجب علىٰ العامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله مسلم»[(٢)].

---

(١) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٩٧) وانظر مسائل عبد الله ٣/ ١٣٥٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢٢/ ٢٤٨.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «بل الفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلم معنى ذلك في أي شيء كان أن يعمل به ولو خالفه من خالفه، فبذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا ﷺ، وأجمع على ذلك العلماء قاطبة إلا جهال المقلدين وجفاتهم، ومثل هؤلاء ليسوا من أهل العلم، كما حكى الإجماع على أنهم ليسوا من أهل العلم أبو عمر بن عبد البر وغيره قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣]»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «فإن الرب، والإله، هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى بحيث تكون الطاعات كلها تبعا لطاعته. فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هي الأصل وطاعة الله ورسوله تبعاً لها فقد اتخذهم أرباباً من دون الله يتألههم ويتحاكم إليهم ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه، فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله»[(٢)].

❖ حكم الطاعة في تحريم ما أحل الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة: «ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتداً كافراً يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٥٢.

(٢) القول السديد ص١١٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٧٢، ٣٧٣.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً - حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله، فيتبعوهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله شرعا - وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم - فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله، مشركا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً[١]، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب... ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل لحرام: إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسول، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه. ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد، مع علمه بأنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه»[٢].

فتبين بهذا أن اتباع المشرعين المبدلين لدين الله وطاعتهم مع العلم بمخالفته كفر بخالق السماوات والأرض إذا اعتقد تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله لأن

---

(١) يكون راجعاً إلى كفر الاستحلال.

(٢) الإيمان ص٦٧، مجموع الفتاوى ٧/ ٧٠.

التشريع حق خالص لله وحده لا شريك له. من نازعه في شيء منه فهو مشرك قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة»[1].

وقال ابن تيمية: «فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه وإن خالف أمر الله ورسوله، فقد جعله ندًّا... وهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة.١٦٥]»[2].

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]. (أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه قول غيره فهذا هو الشرك، كقوله تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾»[3].

وفي تيسير العزيز الحميد قال: «اتباع هذا المحلل للحرام والمحرم للحلال إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول ﷺ، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١١٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٦٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧١.

ربه. ولكن من علم أن هذا الخطأ فيما جاء به رسول الله ﷺ، ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول رسول الله ﷺ، فله نصيب من الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إن اتبعه في ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول ﷺ، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه، وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ ان أخطأ كما في القبلة. وأما إن قلد شخصاً دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أنه الحق معه، فهذا من أهل الجاهلية، فإن كان متبوعه مصيباً لم يكن عمله صالحاً، وإن كان متبوعه مخطأ آثماً كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وفي قول النبي ﷺ لعدي: «ألم يحرموا عليكم ما أحل الله ويحلوا لكم ما حرم الله فتتبعوهم، قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم».

قال الشنقيطي رحمه الله: «وهذا التفسير النبوي يقتضي أن كل من يتبع مشرعا بما أحل وحرم مخالفاً لتشريع الله أنه عابد له متخذه رباً مشرك به كافر بالله، هو تفسير صحيح لا شك في صحته... واعلموا أيها الإخوان: أن الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله وتشريعاً غير تشريع الله، وقانوناً مخالفاً لشرع الله من وضع البشر معرضاً عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله، من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، كلاهما مشرك بالله، هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه، والإشراك

(١) ملخصاً من تيسير العزيز الحميد ص٥٥٨ وربما نقله من شيخ الإسلام ابن تيمية.

به في عبادته والإشراك به في حكمه، كلها سواء، وقد قال الله جل وعلا في الإشراك به في عبادته: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف.١١٠]. وقال تعالى في الإشراك في حكمه أيضاً: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف.٢٦]»[١].

وقال في موضع آخر: «وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله ﷻ على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم: أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «واعلم أن اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يتابعهم في ذلك راضيا بقولهم مقدما له ساخطا لحكم الله، فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر.

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيا في حكم الله وعالمًا بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ولكن لهوى في نفسه اختاره كأن يريد مثلا وظيفة، فهذا لا يكفر ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة.

الثالثة: أن يتابعهم جاهلا فيظن أن ذلك حكم الله فينقسم إلى قسمين:

---

(١) ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].
مستفاد من كتاب الحاكمية في تفسير أضواء البيان جمع الشيخ عبدالرحمن السديس ص٥٢، ٥٣.
(٢) أضواء البيان ٤/ ٩٢. للاستزادة انظر أضواء البيان٧/ ١٦٣، ١٦٩، ١٧٣.

أ ـ أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم، لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب ـ أن لا يكون عالما ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدا ويظن أن هذا هو الحق فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكان معذورا بذلك ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أُفتي بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه». ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره للزم من ذلك الحرج والمشقة، ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه.

فإن قيل: لماذا لا يكفر أهل القسم الثاني؟

أجيب: إننا لو قلنا بكفرهم لزم من ذلك تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاص لله ويعلم أنه حكم الله»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٧٣٩، ٧٤٠، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٢٦٥.

١٨٧- الطاغوت*

الطاغوت مشتق من الطغيان[(١)] وهو مجاوزة الحد[(٢)] وأمرنا باجتنابه والكفر به قال تعالىٰ: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة.٢٥٦].

قال ابن جرير رحمه الله: «وأرىٰ أن أصل الطاغوت الطغووت من قول القائل طغا فلان يطغو إذا عدا قدره فتجاوز حده كالجبروت من التجبر والحلبوت من الحلب ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي علىٰ تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه ـ أعني لام الطغووت ـ فجعلت له عيناً وحُولت عينه فجعلت مكان لامه كما قيل: جذب وجبذ وجابذ وجاذب وصاعقة وصاقعة وما أشبه ذلك من الأسماء التي علىٰ هذا المثال»[(٣)].

وقال ابن فارس: «وكل مجاوز الحد في العصيان طاغ»[(٤)].

---

* أحكام القرآن القرطبي ٥/ ٢٤٨. شرح مسائل الجاهلية ص٩٤، ١٤٩. تيسير العزيز الحميد ص٥٠، ٣٦٨. فتح المجيد ص٤٣، ٢٩٩. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٣، ١٧٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٣،٤٦٩، ٢/ ٨، ط٢- ١/ ٣٠، ٥٨٧ ومن المجموع ٩/ ١٦، ٤٥٦. الدرر السنية ١/ ١٣٦، ١٦١، ٢/ ١٢١، ٢٩٩، ١٠/ ٥٠٢، ٥٠٣، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٥٤. شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ٣/ ٣٩٦. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٥٤٣. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٧٧٣، ٧٨٢. مجموع الفتـاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ١٩٥. حقيقة الكفر بالطاغوت د. علي بن نفيع. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٥٣. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٠٤، ٨٧٧.

(١) ثلاثة الأصول لابن عثيمين ١٥٣.

(٢) مختار الصحاح (ط غ ا).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٣/ ١٩.

(٤) مجمل اللغة ٢/ ٥٨٣.

وقال الراغب: «الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع»[(١)].

* وفي الشرع: قال عمر بن الخطاب ﷺ: الطاغوت: الشيطان وجاء ذلك عن مجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدي[(٢)].

وقال آخرون الطاغوت هو الساحر، وجاء ذلك عن أبي العالية[(٣)].

وقال آخرون: بل الطاغوت هو الكاهن، وجاء ذلك عن سعيد بن جبير ورفيع قال ابن جريج ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ قال: كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم[(٤)].

وقال ابن جرير: «أخبرني أبوالزبير عن جابر بن عبدالله أنه سمعه يقول: وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال: كان في جهينة واحد، وفي أسلم واحد وفي كل حي واحد، وهي كهان ينزل عليها الشيطان»[(٥)].

وقال أيضاً: «والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة ممن عبده له إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء»[(٦)].

وفي قول عمر ﷺ (الجبت: السحر، الطاغوت: الشيطان) قال ابن كثير رحمه الله: «وهو قول قويٌّ جداً، فإنه يتناول كل ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان

---

(١) المفردات ص٣٠٥.
(٢) تفسير ابن جرير ٣/ ١٨.
(٣) تفسير ابن جرير ٣/ ١٩.
(٤) المصدر السابق.
(٥) تفسير ابن جرير ٣/ ١٨.
(٦) تفسير ابن جرير ٣/ ١٩.

والتحاكم إليها والاستنصار بها»[١].

وتفسير العلماء للطاغوت ببعض أنواعه لا يدل على الحصر، وإنما هو من باب التفسير بالمثال أو من باب التنصيص على بعض أفراد العام لمعنى خاص فيه.

وقال ابن القيم: «الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع[٢]، فطاغوت كل قومٍ من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم انصرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم، ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً»[٣].

وجاء في فتاوى اللجنة: «معنى الطاغوت العام هو كل ما عبد من دون الله مطلقاً تقرباً إليه بصلاة أو صيام أو نذر أو ذبيحة أو لجوء إليه فيما هو من شأن الله لكشف ضر أو جلب نفع أو تحكيماً له بدلاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونحو ذلك»[٤].

وفيها أيضاً أن الطاغوت: «من دعا إلى الشرك أو لعبادة نفسه أو ادعى شيئاً من علم الغيب أو حكم بغير ما أنزل الله متعمداً ونحو ذلك»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٥٣.

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن هذا التعريف: «إنه أحسن ما قيل في تعريف الطاغوت». انظر: شرح الأصول الثلاثة من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٥٣.

(٣) إعلام الموقعين ١/ ٥٠.

(٤) فتاوى اللجنة ١/ ٥٤١.

(٥) فتاوى اللجنة ١/ ٥٤٣.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٦-٢٥٧]، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]. وفسرت فتاوى اللجنة آية النساء بأن المراد بالطاغوت فيها: «كل ما عدل عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إلى التحاكم إليه من نظم وقوانين وضعية أو تقاليد وعادات متوارثة أو رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك أو دين يراه زعيم الجماعة أو الكاهن فهذه مضاهاة لتشريع الله داخل في معنى الطاغوت لكن من عبد من دون الله وهو غير راض بذلك كالأنبياء والصالحين لا يسمى طاغوتاً وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعاهم إلى ذلك وزينه لهم من الجن والإنس»(١).

* **الدليل من السنة**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟...وذكر الحديث وفي آخره قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ

---

(١) فتاوى اللجنة ١/ ٥٤٢.

وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا»[١].

وروى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي وَلاَ بِآبَائِكُمْ»[٢]، والمراد بالطواغي: الطواغيت. كما جاء مصرحا بها في رواية عند النسائي: «لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلاَ بِالطَّوَاغِيتِ»[٣].

وروى أحمد عن ميمونة بنت كردم قالت: «كنت ردف أبي فسمعته يسأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني نذرت أن أنحر ببوانة فقال: «أبها وثن أم طاغية» فقال: لا، قال: «أوفِ بنذرك»»[٤].

أما حكم الطاغوت فالكفر به أحد ركني الشهادة فلا يكفي الإتيان بالشهادة إلا بالكفر بالطاغوت ـ فلا إله إلا الله ـ نفي وإثبات وما تنفيه «لا إله إلا الله»، هو عبادة الطاغوت وهو الشرك.

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «اعلم ـ رحمك الله ـ أن أول ما فرض الله على ابن آدم: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفِّر أهلها، وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله: فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص، وتواليهم، وتبغض أهل الشرك، وتعاديهم؛ وهذه ملة إبراهيم التي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٤٨).

(٣) أخرجه النسائي(٣٨٠٥).

(٤) المسند (٢٧٦٠٦) ٦/ ٣٦٦

سَفِهَ نفسَه من رغب عنها، وهذه: هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]. والطاغوت: عام في كل ما عبد من دون الله، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت.

❖ والطواغيت كثير ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله. والدليل قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس:٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء.٦٠] .

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

الرابع: الذي يدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن.٢٧].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام.٥٩].

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء.٢٩]، واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»[١].

❖ فائدة:

جاء في فتاوىٰ اللجنة ما نصه: «ليس كل من عبد من دون الله يعتبر طاغوتا إنما يعتبر طاغوتا من عبد من دون الله وهو راض أو دعىٰ إلىٰ عبادة نفسه وعيسىٰ بن مريم عليه السلام لم يرض أن يكون معبوداً بل أنكر ذلك ودعا إلىٰ عبادة الله وحده...»[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب: «كل من عبد شيئاً دون الله بأي أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فإنما عبد الطاغوت فإن كان المعبود صالحا كانت عبادة العابد له واقعة علىٰ الشيطان الذي أمره بعبادته كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ.٤٠-٤١] وإن كان ممن يدعو إلىٰ عبادة نفسه كالطواغيت أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً كاللات والعزىٰ ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناماً علىٰ صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن

(١) الدرر السنية ١/ ١٦١-١٦٣، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول ـ العقيدة ص٣٣٧.

(٢) فتاوىٰ اللجنة: ١/ ٥٤٤.

يكفروا بعبادته ويتبرءوا منه»[١].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم، فإن حد العالم أن يكون متبعا لما جاء به النبي ﷺ، لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علماً، وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة وتعليماً، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة»[٢].

١٨٨- الطِّب

الطِّب بكسر الطاء، والمطبوب: المسحور. يقال طُبَّ الرجل: إذا سُحِر، فكنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً. انظر باب (السحر).

١٨٩- الطرق

انظر باب (الكهانة).

(١) قرة عيون الموحدين ص٢٣١.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١٥٤.

١٩٠- الطواف بغير الكعبة*

يشرع الطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الأسود. ولا يشرع الطواف بغير الكعبة[(١)].

قال ابن تيمية: «وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف به ولا فيها ما يتمسح به ولا ما يقبل فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغير هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها بل ليس في الأرض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة»[(٢)].

والطواف بالكعبة ركن في الحج وركن في العمرة وفي غيرهما سنة وعبادة يتقرب بها العبد إلى الله.

قال ابن تيمية: «ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة فإن النبي ﷺ لما هجر من مكة إلى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهرا إلى بيت المقدس، فكانت قبلة المسلمين هذه المدة، ثم إن الله حول

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٤/ ١٨٩. شرح السنة للبغوي ٧/ ١١٦، ١٢٩. الباعث لأبي شامة ص٢٨٢. اقتضاء الصراط المستقيم ٢ /٦٣٧. مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ١٠،١٣، ٣٧٢. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٢٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦/ ١٥٥. الإبداع في مضار الابتداع ٩٠، ٣٠٦. أحكام الجنائز للألباني رقم ٧٣٢ ص٢٣٦، ٢٦٦.

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٥٢١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٠، ١١.

القبلة إلى الكعبة وأنزل الله في ذلك القرآن كما ذكر في «سورة البقرة» وصلى النبي ﷺ والمسلمون إلى الكعبة، وصارت هي القبلة، وهي قبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء.

فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلي إليها فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل مع أنها كانت قبلة لكن نسخ ذلك، فكيف بمن يتخذها مكانا يطاف به كما يطاف بالكعبة؟! والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله بحال، وكذلك من قصد أن يسوق إليها غنما أو بقرا ليذبحها هناك ويعتقد أن الأضحية فيها أفضل، وأن يحلق فيها شعره في العيد، وأن يسافر إليها ليعرف بها عشية عرفة، فهذه الأمور التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من البدع والضلالات، ومن فعل شيئا من ذلك معتقدا أن هذا قربة إلى الله فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، كما لو صلى إلى الصخرة معتقدا أن استقبالها في الصلاة قربة كاستقبال الكعبة»[(١)].

وقال ابن تيمية: «ومن ذلك الطواف بغير الكعبة وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي ﷺ ولا بالقبة التي في جبل عرفة ولا غير ذلك»[(٢)].

وقال النووي: «لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ»[(٣)].

حكم الطواف حول القبور:

قال الشيخ ابن باز: «الغالب على عباد القبور هو التقرب إلى أهلها بالطواف بها كما يتقربون اليهم بالذبح لهم والنذر لهم وكل ذلك شرك أكبر، من مات عليه مات كافرا لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٥٢١.

(٣) المجموع ٨/ ٢٧٥.

(٤) فتاوى ابن باز ص٧٨٣.

واستثنىٰ من ذلك من يطوف تقرباً إلىٰ الله جهلا منه فقال: «إلا أن يدَّعي أنه طاف بالقبور بقصد عبادة الله ، كما يطوف بالكعبة يظن أنه يجوز الطواف بالقبور ولم يقصد التقرب بذلك لأصحابها وإنما قصد التقرب إلىٰ الله وحده، فهذا يعتبر مبتدعاً لا كافراً لأن الطواف بالقبور بدعة منكرة»[1].

والطواف بالقبر له حالان:

الحالة الأولىٰ: أن يطوف بالقبر قاصداً التقرب لصاحب القبر فهذا شرك أكبر.

الحالة الثانية: أن يطوف بالقبر قاصداً التقرب إلىٰ الله فهذا بدعة ولا يكون شركاً.

---

(١) فتاوىٰ ابن باز ص٧٨٣. وانظر للاستفادة فتاوىٰ اللجنة ١/ ١١٤.

١٩١- الطيرة *

[الفأل - صفر - العدوى]

الطير في اللغة اسم لجماعة ما يطير[١].

قال في مختار الصحاح: «الطائر: جمعه طير مثل صاحب وصَحْب وجمع الطير طيور وأطيار، مثل فَرْخ وفُرُوخ وأفراخ. وقال قطرب وأبو عبيدة: «الطَّير» أيضاً قد يقع على الواحد وقريء: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[٢]»[٣].

وقال ابن الأثير: «الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكّن وهي: التشاؤم بالشيء وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والضباء وغيرهما.

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٥٢، ٢٢٩. التمهيد لابن عد البر ٢٤/ ١٩٣-١٩٥، ٩/ ٢٨٢، ٢٨٦. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٦٧. أحكام القرآن ٦/ ٦٠. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٥٧. شرح مسائل الجاهلية ١٥١. تيسير العزيز الحميد ٤٢٧. فتح المجيد ٣٤٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢١٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣١، ٧٧، ط٢-٢/ ٩٣ ومن المجموع ٩/ ٥٥٩،٥١٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣١. الدرر السنية ١٠/ ٣٨٣.الدين الخالص ٢/ ١٤٢، ١٥٦. معارج القبول ٢/ ٣٢١. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٤٥١. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٨٢. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٢٤. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٤٧٥. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٦٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٤٨. منهج ابن حجر في العقيدة ١٠٩٢. نواقض الإيمان القولية والعملية ٥٢٣. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ٢٧٣. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٦٦. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ٢٤٦. الطيرة لمحمد الحمد.

(١) لسان العرب (ط ي ر).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٩

(٣) مختار الصحاح ٤٠٢ باب (ط ي ر).

وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهىٰ عنه»[١].

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: «وأصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونهما، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحاً، وما تياسر منها سموه بارحاً، وما استقبلهم فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد. فمن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرىٰ خلاف ذلك. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج: ما السانح؟ قال ما ولاك ميامنه، قال: قلت: فما البارح؟ قال ما ولاك مياسره. قال والذي يجيء من قدامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد.

وقال المفضل الضبي: «البارح ما يأتيك عن اليمين يريد يسارك، والسانح ما يأتيك عن اليسار فيمر علىٰ اليمين، وإنما اختلفوا في مراتبها ومذاهبها لأنها خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها، فمن تبرك بشيء مدحه ومن تشاءم به ذمه»[٢].

ولم تكن العرب قاطبة تعتقد هذا وتقول به، بل كان منهم من أنكره، قال ابن القيم: «ومنهم من أنكرها بعقله، وأبطل تأثيرها بنظره، وذم من اغتر بها واعتمد عليها، وتوهم تأثيرها، فمنهم المرقش حيث يقول:

ولقــــد غــــدوت وكنــــت لا ... أغـــــدو عـــــلىٰ واق وحـــــاتم

فـــــإذا الأشـــــائم كالأيـــــا ... مـــــن والأيـــــامن كالأشـــــايم

وكــــذا فــــلا خيــــر ولا ... شـــــر عـــــلىٰ أحـــــد بـــــدائم

لا يمنعنـــــك مـــــن بغـــــا ... ء الخيـــــر تعقـــــاد التمـــــائم

قـــد خـــط ذلـــك في الـــسطو ... ر الأوليـــــات القـــــدائم

---

(١) النهاية (ط ي ر).

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٢٩.

يعني بالواق الصرد، وبالحاتم الغراب، سموه حاتما لأنه كان عندهم يحتم بالفراق»[١].

وقال الحافظ: «أصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة، تيمن به، واستمر وإن طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك»[٢].

قال البغوي: «فأبطل النبي ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب نفع أو ضر»[٣].

وإنما أضيفت الطيرة إلى الطير، لأن غالب التشاؤم عند العرب بالطير، فعلقت به. وكذلك عرّفه ابن حجر فقال: «الطيرة والتشاؤم بمعنى واحد»[٤].

وقال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: «إنما غلب لفظ الطيرة على التشاؤم؛ لأن للأثر الحاصل من دلالة الطيران على الشؤم دلالةً أشد على النفس؛ لأن توقع الضر أدخل في النفوس من رجاء الخير»[٥].

وقال أيضاً: «الطيرة في الأصل تكلف معرفة دلالة الطير على خير أو شر من تعرُّض نوع الطير، من صفة اندفاعه، أو مجيئه، ثم أطلق على كل حدث يتوهَّم منه أحدٌ أنه كان سبباً في لحاق شرٍّ به، فصار مرادفاً للتشاؤم»[٦].

* **فحدُّ الطيرة الشرعي** هو: التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، والأشخاص، والأزمان أو هو التشاؤم بكل مسموع أو مرئي أو معلوم وهذا تعريف ابن القيم.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٢١٢.

(٣) شرح السنة ١٢/ ٧٠.

(٤) الفتح ٦/ ٦١. وانظر للاستزادة: الدرر السنية ١٠/ ٣٣٩.

(٥) التحرير والتنوير ٥/ ٦٥.

(٦) التحرير والتنوير ١١/ ٣٦٢.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «والطيرة التشاؤم بالمرئيات والسمعيات من عمل الجاهلية»[(١)].

والطيرة الشركية يوضحها حديث ابن عمرو - الآتي -: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» وحديث: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردّك»[(٢)] فحقيقة الطيرة الشركية ما دفعت الإنسان إلى العمل بها أما التي لا تؤثر على عزم الإنسان من التشاؤم فليس بطيرة. فكل طيرة وتشاؤم حمل الإنسان على المضي فيما أراده أو رده عنه اعتمادا عليها فهي شرك. ومفهوم الحديث: أن من لم تثنه الطيرة عن عزمه فإنها لا تضره، فلا تعود عليه بمعصية أو شرك، كما لا تضره فيما يستقبل من عمله وما عزم عليه، قال ابن حجر: «من وقع له ذلك فسلَّم لله ولم يعبأ بالطيرة لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك»[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في قوله: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»: «هذا حد الطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله، فإن ذلك من الطيرة، وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به ورده عن حاجته، فإن ذلك أيضا من الطيرة»[(٤)].

* الدليل من الكتاب: قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] وقال تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩].

---

(١) القوادح في العقيدة ص٥٠، ٥١.

(٢) انظر تخريج الحديث في الأدلة.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢١٣.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٤٤٦.

* **الدليل من السنة**: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوىٰ[١] ولا طيرة، ولا هامة[٢]، ولا صفر[٣]»[٤]. زاد مسلم: «ولا نوء ولا غول[٥]».

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوىٰ ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»[٦].

وعن قَطَن بْن قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنْ الْجِبْتِ» الطَّرْقُ: الزَّجْرُ، وَالْعِيَافَةُ: الْخَطُّ[٧].

وعن بريدة أن النبي ﷺ: «كان لا يتطير من شيء»[٨].

وعن عروة بن عامر ﷺ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأىٰ أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[٩].

وروىٰ الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «أقروا الطير علىٰ مَكِناتها»[١٠].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ. قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ: قُلْتُ كُنَّا نَتَطَيَّرُ. قَالَ: «ذَاكَ

---

(١) انظر: باب العدوىٰ.

(٢) انظر: باب الهامة

(٣) انظر: باب صفر.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر باب الغول.

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٥٦)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٧) سبق تخريجه.

(٨) أبو داود (٣٩٢٠).

(٩) أبو داود (٣٩١٩). وابن أبي شيبة في المصنف (٦٤٤٣).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٦٨٠)، وأبو داود (٢٨٣٥). مكِناتها: بكسر الكاف وضمها. انظر القاموس المحيط (م ك ن)، وسيأتي معنىٰ الحديث.

شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ»»[١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك الطيرة شرك» - ثلاثاً -، قال ابن مسعود: «وما منا إلا[٢]، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[٣]... وفي أحد إسنادي أحمد: «الطيرة شرك، الطيرة شرك ولكن الله عز وجل يذهبه بالتوكل»[٤].

ولأحمد من حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»[٥].

وله من حديث الفضل بن عباس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[٦].

* قول السلف: قال عكرمة: كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) قال الخطابي في معالم السنن ٤/ ٢٣٠: «قوله: «وما منا إلا» معناه إلا من يعتريه التطير وسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصار للكلام واعتمادا على فهم السامع، وقال محمد بن إسماعيل: ان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول: هذا الحرف ليس من قول الرسول ﷺ وكأنه قول ابن مسعود رضي الله عنه). وعلى هذا فيكون مدرجاً، قال ابن القيم: «وهذه اللفظة: «وما منا» إلى آخره مدرجة في الحديث ليست من كلام النبي ﷺ. كذلك قاله بعض الحفّاظ. وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك، كما في أثر موفوع: «من ردته الطيرة فقد قارن الشرك»، وفي أثر آخر: «من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدكم: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك»». مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤.

قال ابن حجر: «وقوله «وما منا إلا» من كلام ابن مسعود أُدرج في الخبر وقد بينه سليمان ابن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه» فتح الباري ١٠/ ٢١٣.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩١٠). والترمذي(١٦١٤). وابن ماجه (٣٥٣٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٤١٩٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٧٠٤٥) ٢/ ٢٢٠، مجمع الزوائد ٥/ ١٠٥.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٨٢٤).

رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: «لا خير ولا شر»[١].

وخرج طاوس مع أصحاب له في سفر فصاح غراب، فقال الرجل: خير، فقال طاووس، وأي خير عند هذا؟! لا تصحبني[٢].

أحكام وفوائد:

١ - حكم الطيرة وهل هي شرك أكبر؟:

قال في التيسير: ««الطيرة شرك» صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من الاعتماد على غير الله تعالى وتعلق القلب بسواه ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:١] ... وقال غير واحد من أصحاب أحمد ـ رحمهم الله ـ: بأن الطيرة مكروهة، قال ابن حمدان في الرعاية: تكره الطيرة، وكذلك قال غير واحد من أصحاب أحمد. قال ابن مفلح رحمه الله: «والأولى القطع بتحريمها ولعل مرادهم بالكراهة التحريم».

قلت[٣]: بل الصواب القطع بتحريمها لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه»[٤].

قال ابن الأثير: «وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عمل بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك»[٥].

قال ابن عثيمين في شرح حديث: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»: «هاتان

---

(١) أخرجه الطبري كما عزاه له ابن حجر في الفتح ١٠/ ٢٢٥. وهو في التمهيد لابن عبدالبر ٢٤/ ١٩٤، كشف الخفاء (٤٦٩١).

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٥.

(٣) القائل: صاحب التسير.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٤٤٣، ٤٤٤.

(٥) النهاية (ط ي ر).

الجملتان يؤكد بعضهما بعضا من باب التوكيد اللفظي.

وقوله: شرك أي: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله وإلا لقال: الطيرة الشرك.

وهل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج من الملة، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟ نقول هي نوع من أنواع الشرك كقوله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر». أي ليس الكفر المخرج عن الملة وإلا لقال: هما بهم الكفر. بل هما نوع من الكفر.

لكن في ترك الصلاة قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة». فقال: «الكفر»، فيجب أن نعرف الفرق بين «أل» المعرفة أو الدالة على الاستغراق، وبين خلو اللفظ منها، فإذا قيل: هذا كفر؛ فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج من الملة، وإذا قيل: هذا الكفر فهو المخرج من الملة.

فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه لا يعد مشركا شركا يخرجه من الملة لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببا، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركا من هذه الناحية والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببا فإنه مشرك شركا أصغر»»[(١)].

٢- كفارة الطيرة:

من تطير الطيرة المنهي عنها فردته عن حاجته فإن كفارته أن يقول الدعاء الوارد في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد: «من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير لا طيرك، ولا إله غيرك»[(٢)].

قال ابن حجر: «وأخرج البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن عمرو

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥٧٤، ٥٧٥، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٩٣.

(٢) تقدم تخريجه.

موقوفاً: «من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك»[١].

كما يلزمه مع هذا الدعاء أن يفوض الأمر لله وحده ويمضي في أمره.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله: «فما كفارة ذلك؟» إلى آخر الحديث هذه كفارة لما يقع من الطيرة ولكن يمضي مع ذلك ويتوكل على الله»[٢].

قال ابن حجر: «وأخرج عبدالرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الطيرة، والظن، والحسد، فإذا تطيرت فلا ترجع؛ وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق» وهذا مرسل أو معضل، لكن له شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في «الشعب»، وأخرج ابن عدي بسند لين عن أبي هريرة رفعه: «إذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا»، وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رفعه: «لن ينال الدرجات العلى من تكهن، أو استقسم، أو رجع من سفر تطيراً» ورجاله ثقات، إلا أنني أظن أن فيه انقطاعاً، وله شاهد عن عمران بن حصين وأخرجه البزار في أثناء حديث بسند جيد»[٣].

٣ - الفرق بين الطيرة والفأل: انظر باب الفأل.

٤ - الفرق بين الطيرة والتطير:

قال ابن علان: «قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الفرق بين التطير والطيرة أن التطير هو الظن السيئ الذي يقع في النفس، والطيرة هي الفعل المرتب على الظن السيئ.»[٤].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢١٣.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٤٥.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٢٤.

(٤) الفتوحات الربانية ٦/ ٢٧٤.

حديث: «الشؤم في ثلاث» تقدم الكلام عنه في باب الشؤم.

حديث: «أقروا الطير علىٰ مَكِناتها»: جاء في مسائل أبي داود ص٢٦٧ قال: سمعت أحمد يقول في حديث: «أقروا الطير علىٰ مكناتها»[1] أي أنها لا تضركم. قال: كان أحدهم ـ يعني في الجاهلية ـ يريد الأمر فيثير الطير. يعني فيقال: إن جاء عن يمينه كان كذا وإن جاء عن يساره كان كذا. فقال النبي ﷺ: «أقروا الطير علىٰ مَكِناتها فإنها لا تضركم»[2].

وقال ابن الأثير: «المكنات في الأصل: بيض الضِّباب[3]، واحدتها: مكنة بكسر الكاف وقد تفتح. يقال: مكنت الضبة وأمكنت. قال أبو عبيدة جائز في الكلام أن يستعار مكن الضباب فيجعل للطير كما قيل مشافر الحبش وإنما المشافر للإبل. وقيل المكنات: بمعنىٰ الأمكنة، يقال الناس علىٰ مكناتهم وسكناتهم أي: علىٰ أمكنتهم ومساكنهم. وقيل المكنة: من التمكن، كالطلبة والتبعة، من التطلب والتتبع. يقال: إن فلانا لذو مكنة من السلطان أي: ذو تمكن. يعني: أقروها علىٰ كل مكنة ترونها عليها ودعوا التطير بها»[4].

قال شمس الدين محمد الصالحي: «وقد رأيت من يكره أخذ أفراخ الطيور من مناطها، وغالبُ الناس يتشاءم من ذلك خوفاً علىٰ النفس والأولاد، حتىٰ إنه بعضهم يقول: إنها ما تعانىٰ[5] بها أحد وأفلح.

---

(١) جاء الحديث بالروايتين (مَكِناتها)، (مكاناتها) واللفظان مرويان عند البيهقي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٣١١.

(٢) نقلا عن مسائل الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ١٢٤.

(٣) قال في المختار (الضبُّ معروف جمعه ضباب)، مختار الصحاح مادة (ض ب ب).

(٤) النهاية (م ك ن) وراجع مفتاح دار السعادة لابن القيم ص٥٨١، ٥٨٢..

(٥) عناه الأمر عناية أهمَّه، واعتنىٰ به: اهتمَّ، والمقصود الانشغال بها وتجشم صيدها. انظر مختار الصحاح، والقاموس المحيط (ع ن ىٰ).

ولكن قال الإمام أحمد بن حنبل واختاره أكثر أصحابه وقطع به أبوالعباس ابن تيمية أنه لا بأس بصيد الليل. فقيل له: قول النبي ﷺ: «أقرُّوا الطير على مكاناتها». فقال: هذا كان أحدهم يريد الأمر فيُثير الطير، يتفاءل إن كان عن يمينه قال كذا، وإن كان عن يساره قال كذا، فقال النبي ﷺ: «أقرُّوا الطيرَ على مكاناتها» يشير إلى أن الحديث... وروده في التفاؤل؛ لأنَّ العربَ كان من عادتها التفاؤل بطيران الطير، إن طار على اليمين فهو خير، وإن طار على اليسار فهو شر»[1].

٥ - كيف يدفع الإنسان الطيرة:

يكون ذلك بالأسباب التالية:

١ ـ الاعتماد على الله والإخلاص له في العبادة والعلم الجازم أن كل شيء بتقدير الله فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٢ ـ ذكر الأدعية الواردة لدفع الطيرة إذا خطرت في نفس المسلم وهي: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك .

٣ ـ المضي فيما قصد إليه، وعدم التأثر بما تطير به، بل يرفض الطيرة رفضا تاما ويتوكل على الله، ولا يفتح على نفسه باب الخوف.

يوضح ذلك مارواه مسلم عن معاوية ابن الحكم السلمي أنه قال: ومنا رجال يتطيرون قال رسول الله ﷺ: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم»[2] قال النووي: «وفي رواية: «فلا يصدنكم» قال العلماء معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة ولاعتب عليكم في ذلك فإنه غير مكتسب لكم فلا تكليف به ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم فهذا هو الذي تقدرون عليه وهو مكتسب

(١) تأييد الإنكار لإتيان الطيور ونحوها في الأوكار ص١٩، ٢٠، تأليف شمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي.

(٢) سبق تخريجه.

لكم فيقع به التكليف فنهاهم ﷺ عن العمل بالطيرة والامتناع من تصرفاتهم بسببها وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في النهي عن التطير، والطيرة وهي محمولة على العمل بها لا على ما يوجد في النفس من غير عمل على مقتضاه عندهم»[١].

قال ابن القيم: «فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده، لا ما رآه وسمعه. فأوضح ﷺ لأمته الأمر، وبين لهم فساد الطيرة، ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى»[٢].

وما يقع في القلب حال المضي والتوكل لا يكاد يسلم منه أحد كما جاء في قول ابن مسعود: «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[٣]. قال الإمام البغوي: «فأما ما يقع في قلبه من محبوب ذلك ومكروهه فليس بطيرة، إذا مضى لحاجته وتوكل على ربه. قال ابن عباس: إن مضيت فمتوكل، وإن نكصت فمتطير»[٤].

٦ - فائدة: أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس رفعه: «لا طيرة، والطيرة على من تطير».

وقال إبراهيم: قال عبد الله: «لا تضر الطيرة إلا من تطير»[٥].

قال ابن تيمية: «وإنما تضر الطيرة من تطير لأنه أضر بنفسه فأما المتوكل على الله فلا»[٦].

---

(١) شرح مسلم ٥/ ٢٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٤.

(٣) انظر كلام الشيخ حمد بن معمر في الدرر السنية ١١/ ٤١.

(٤) شرح السنة ١٢/ ١٧٠.

(٥) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٠.

(٦) مجموع الفتاوى ٤/ ٨٠.

وقال ابن القيم: «اعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة»[١].

وقال ابن عثيمين: «والإنسان إذا فتح على نفسه باب التشاؤم، ضاقت عليه الدنيا، وصار يتخيل كل شيء أنه شؤم، حتى أنه يوجد أناس إذا أصبح وخرج من بيته، ثم قابله رجل ليس له إلا عين واحدة تشاءم وقال: اليوم يوم سوء وأغلق دكانه، ولم يبع ولم يشتر ـ والعياذ بالله ـ وكان بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء ويقول: إنه يوم نحس وشؤم، ومنهم من يتشاءم بشهر شوال، ولا سيما في النكاح، وقد نقضت عائشة ﵂ هذا التشاؤم، بأنه ﷺ عقد عليها في شوال، وبنى بها في شوال، فكانت تقول: «أيكن كان أحظى عنده مني؟» والجواب: لا أحد»[٢].

وقال ابن القيم: «واعلم أن من كان معتنياً بالطيرة قائلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله ﷺ، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك»[٤].

وقال ﵀: «فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها»[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥١٤، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٣٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٠، ٢٣١.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٤٢٧.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص٤٣٤.

١٩٢- الظلم *

قال في تهذيب اللغة: «وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقال كثير من أهل السنة والحديث والنظار بل الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه»[(٢)].

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أوَ لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «وكذا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه فسره بالشرك، فيكون الأمن من تأبيد العذاب. وعن عمر رضي الله عنه أنه فسره بالذنب، فيكون الأمن من كل عذاب. وقال الحسن والكلبي: أولئك لهم الأمن في الآخرة وهم

* التحفة العراقية لابن تيمية ١٢١، فتح الباري لابن رجب ١/ ١٤٤، أحكام القرآن القرطبي ١١/ ٢٤٩ ـ ٥/ ١٥٧ ـ ١/ ٣٠٩، تيسير العزيز الحميد ص٧١، فتح المجيد ص٧١، حاشية كتاب التوحيد ص٢٣، القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٥٦، ط٢-١/ ٧٢ ومن المجموع ٩/ ٤٨، الدرر السنية ١/ ٤٧٠، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٦/ ٧٧.

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ٣٨٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٥٠٧، وانظر ١٨/ ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٦٠).

مهتدون في الدنيا»[١].

وقال ابن القيم: «ولما نزل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قال الصحابة: وأينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال: ذلك الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فلما أشكل عليهم المراد بالظلم وظنوا أن ظلم النفس داخل فيه، وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لا يكون آمنا أجابهم بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك، وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل، فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها والأمن والهدىٰ المطلق هو الأمن في الدنيا والآخرة والهدىٰ إلىٰ الصراط المستقيم، فالظلم المطلق التام مانع من الأمن والهدىٰ المطلق، ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعا من مطلق الأمن ومطلق الهدىٰ فتأمله فالمطلق للمطلق والحصة للحصة»[٢].

قال الإمام ابن رجب معلقاً علىٰ حديث ابن مسعود: «معنىٰ هذا: أن الظلم يختلف: فيه ظلم ينقل عن الملة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]؛ فإن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم ذلك أن يوضع المخلوق في مقام الخالق، ويُجعل شريكاً له في الربوبية وفي الإلهية، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وأكثر ما يرد في القرآن وعيد الظالمين، يراد به الكفار، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص٧١.

(٢) الصواعق المرسلة ١/ ٢٢١.

ﱡﭐ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﱠ الآيات [إبراهيم: ٤٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ الآيات [الشورى: ٤٤] ومثل هذا كثير.

ويراد بالظلم ما لا ينقل عن الملة، كقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقوله: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وحديث ابن مسعود هذا: صريح في أن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾: أن الظلم هو الشرك.

وجاء في بعض رواياته: زيادةٌ. قال: «إنما هو الشرك»»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وهو نوعان:

أحدهما: ظلم النفس، وأعظمه الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ فإن المشرك جعل المخلوقَ في منزلة الخالق فعبده وتألهه، فوضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذُكِر في القرآن من وعيد الظالمين إنما أُريد به المشركون، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ثم يليه المعاصي علىٰ اختلاف أجناسها من كبائر وصغائر.

والثاني: ظلمُ العبد لغيره، وهو المذكور في هذا الحديث[2]، وقد قال النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة

(١) فتح الباري لابن رجب ١/ ١٣٢.

(٢) يعني الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» رواه مسلم (٥٧٧).

يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»، وروي عنه أنه خطب بذلك في يوم عرفة، وفي يوم النحر، وفي اليوم الثاني من أيام التشريق، وفي رواية: ثم قال: «اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحلُّ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه».

وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة»»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الظلم كله حرام مذموم، فأعلاه الشرك، فإن الشرك لظلم عظيم، والله لا يغفر أن يشرك به، وأوسطه ظلم العباد بالبغي والعدوان، وأدناه ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله، فإذا كان الرجل مشركاً كافراً فأسلم باطناً وظاهراً، بحيث صار مؤمناً وهو مع إسلامه يظلم الناس ويظلم نفسه، فهو خير من أن يبقى على كفره ولو كان تاركاً لذلك الظلم.

وأما إذا أسلم ظاهراً فقط، وهو منافق في الباطن، فهذا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وأما في الدنيا فقد يكون أضر على المسلمين منه لو بقي على كفره، وقد لا يكون كذلك، فإن إضرار المنافقين بالمؤمنين يختلف باختلاف الأحوال.

لكن إذا أسلم نفاقاً فقد يرجى له حسن الإسلام فيصير مؤمناً، كمن أسلم تحت السيف، وكذلك من أسلم لرغبة أو لرهبة أو نحو ذلك. فالإسلام والإيمان أصل كل خير وجِماعُه.

وكذلك من كان ظالماً للناس في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، فانتقل عن ذلك إلى ما يظلم به نفسه خاصة: من خمر وزنا، فهذا أخف لإثمه وأقل لعذابه.

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٣٦، ٣٧.

وهكذا النِحَل التي فيها بدعة، وقد يكون الرجل رافضياً فيصير زيدياً، فذلك خير له. وقد يكون جهمياً قدرياً فيصير جهمياً غير قدري، أو قدرياً غير جهمي. أو يكون من الجهمية الكبار، فيتجهم في بعض الصفات دون بعض، ونحو ذلك..

فهذه الذنوب مع صحة التوحيد خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب. ولهذا نجد الناس يفضِّلون من كان من الملوك ونحوهم إنما يظلم نفسه بشرب الخمر والزنا أو الفواحش ويتجنب ظلم الرعية، ويتحرىٰ العدل فيهم، علىٰ من كان يتجنب الفواحش والخمر والزنا وينتصب لظلم الناس في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم»[1].

(١) الاستقامة باختصار ١/ ٤٦٥، ٤٦٦.

١٩٣- الظن بالله*

حسن الظن بالله تعالىٰ من أعلىٰ المقامات الإيمانية، أما إساءة الظن به فقد ذمه الله وذكر أنه من صفات المشركين والمنافقين قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح: ٦] وتقدم أن التسخط من أقدار الله يتنافىٰ مع كمال التوحيد.و كثير من الناس قصروا مقام الظن بالله تعالىٰ، بل إن أغلبهم وقع في ضده من إساءة الظن بربهم ﷻ.

فيجب حسن الظن بالله قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «لأن ذلك من واجبات التوحيد، ولذلك ذم الله من أساء الظن به، لأن مبنىٰ حسن الظن علىٰ العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة المتوكل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله. وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات وبالجملة فمن قام بقلبه حقائق معاني أسماء الله وصفاته، قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة، لأن كل صفة لها عبودية خاصة، وحسن ظن خاص»[١].

* الدليل من الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ

---

* تيسير العزيز الحميد ص٦٨٥. فتح المجيد ص٥٦١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٨٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١٤٣، ط٢-٣/ ١٧٩ ومن المجموع ١٠/ ٩٦٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٥٠. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١٦٧.

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٨٥.

فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح.٦] .

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١) .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ﷻ»(٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ قال ابن القيم: «فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وأنه يسلمه للقتال وقد فُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمه له فيه ففُسِّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يُتِمَّ أمرَ رسوله ويظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون والمشركات به سبحانه وتعالى في (سورة الفتح) حيث يقول: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦]... فمن ظن به أنه لا ينصر رسوله ولا يُتمَّ أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبداً؛ فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته... وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءَه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي ولا يرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملاً كالأنعام فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صِدْقَه وصِدقَ رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصاً لوجهه الكريم على امتثال أمره ويبطله عليه بلا سبب من العبد أو أنه يعاقبه بما لا صنع فيه ولا اختيار له ولا قُدرةَ ولا إرادةَ في حصوله بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به فقد ظن به ظن السوء... ومن ظن به أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان ويحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي ولا يعادي ولا يقرب من أحد من خلقه ولا يقرب منه أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه

المفلحين فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه يسوي بين المتضادين أو يفرق بين المتساويين من كل وجه أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها فيخلد فاعل تلك الطاعات في النار أبد الآبدين بتلك الكبيرة ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لا يؤمن به طرفة عين وقد استنفد ساعات عمره في مساخطه ومعاداة رسله ودينه فقد ظن به ظن السوء. وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسلُه أو عطَّل حقائقَ ما وصف به نفسه ووصفته به رسله فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أن له ولدا أو شريكاً أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته كما يناله بطاعته والتقرب إليه فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته وهو مِن ظن السوء، ومن ظن به أنه إذا ترك لأجله شيئاً لم يعوضه خيرًا منه أو من فعل لأجله شيئاً لم يعطه أفضل منه فقد ظن بن ظن السوء، ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع إليه وسأله واستعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن السوء وظن به خلاف ما هو أهله، ومن ظن أنه يثيبه إذا عصاه بما يثيبه به إذا أطاعه وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله، ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه ولياً ودعا من دونه ملكاً أو بشراً حياً أو ميتاً يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء وذلك

زيادة في بعده من الله وفي عذابه، ومن ظن به أنه يسلط على رسوله محمد ﷺ أعداءه تسليطاً مستقراً دائما في حياته وفي مماته وابتلاه بهم لا يفارقونه فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية وظلموا أهل بيته وسلبوهم حقهم وأذلوهم، وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائماً من غير جرم ولا ذنب لأوليائه وأهل الحق وهو يرى قهرهم لهم وغصبهم إياهم حقهم وتبديلهم دين نبيهم، وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه وجنده ولا ينصرهم ولا يديلهم بل يديل أعداءهم عليهم أبداً، أو أنه لا يقدر على ذلك بل حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم في ذلك:

فإن تنجُ منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فــإني لا إِخالــك ناجــيا

فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء ومنبع كل شر المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأرحم الراحمين الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كذلك كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل وأسماؤه كلها حسنى

فــلا تظــنُنَّ بربــكَ ظــنَّ سَـوْء ... فـــإن الله أولى بالجميــــلِ

ولا تظــنُنَّ بنفــسكَ قــطَّ خيــراً ... وكيــف بظــالمٍ جــان جهــولِ

وقُـلْ يـا نفـس مـأوى كـلِّ سـوءٍ ... أيُرجى الخيرَ مـن مَيْـتٍ بخيـلِ

وظُـنَّ بنفـسكَ الـسُّوآى تجـدها ... كـذاكَ وخيرهـا كالمـستحيلِ
ومـا بـك مـن تُقـىً فيهـا وخيـرٍ ... فتلـكَ مواهـبُ الـربِّ الجليـلِ
ولـيس بهـا ولا منهـا ولكِـن ... من الـرحمنِ فاشـكُر للـدليلِ»[١]

وكلامه المنقول قد ذكر بعضه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد.

قال الشيخ ابن عثيمين معلقا على ذلك: «وخلاصة ما ذكر ابن القيم في تفسير ظن السوء ثلاثة أمور:

الأول: أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق فهذا هو ظن المشركين والمنافقين في سورة الفتح قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح.١٢]

الثاني: أن ينكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره، لأنه يتضمن أن يكون في ملكه سبحانه ما لا يريد، مع أن كل ما يكون في ملكه فهو بإرادته.

الثالث: أن ينكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليه الحمد، لأن هذا يتضمن أن تكون تقديراته لعبا وسفها، ونحن نعلم علم اليقين أن الله لا يقدر شيئا أو يشرعه إلا لحكمة قد تكون معلومة لنا وقد تقصر عقولنا عن إدراكها، ولهذا يختلف الناس في علل الأحكام الشرعية اختلافاً كبيراً بحسب ما عندهم من معرفة حكمة الله، سبحانه وتعالى.

ورأي الجهمية والجبرية أن الله يقدر الأشياء لمجرد المشيئة لا لحكمة، قالوا: لأنه لا يسأل عما يفعل، وهذا من أعظم سوء الظن بالله، لأن المخلوق إذا تصرف لغير حكمة سمي سفيهاً؛ فما بالك بالخالق الحكيم؟. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٢٨ إلى ٢٣٦.

ﭐلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص:٢٧] فالظنُّ بأنها خلقت باطلا لا لحكمة عظيمة ظن الذين كفروا ...»[١].

*** أمثلة لسوء الظن بالله تعالىٰ:**

نقل الشيخ سليمان بن عبد الله أقوال العلماء في ذلك فقال: «قال ابن عقيل في الفنون: «الواحد من العوام إذا رأىٰ مراكب مقلدة بالذهب والفضة، ودارا مشيدة مملوءة بالخدم والزينة ؛ قال: انظر إلىٰ إعطائهم مع سوء أفعالهم، ولا يزال يلعنهم، ويذم معطيهم حتىٰ يقول: فلان يصلي الجماعات والجمع، ولا يؤذي الذر، ولا يأخذ ما ليس له، ويؤدي الزكاة إذا كان له مال، ويحج ويجاهد، ولا ينال خلة بقلبه، ويظهر الإعجاب كأنه ينطق إنه لو كانت الشرائع حقا لكان الأمر بخلاف ما ترىٰ، وكان الصالح غنيا، والفاسق فقيراً».

قال أبو الفرج ابن الجوزي: وهذه حالة قد شملت خلقا كثيرا من العلماء والجهال، أولهم إبليس فإنه نظر بعقله، فقال: كيف يفضل الطين علىٰ جوهر النار؟! وفي ضمن اعتراضه: إن حكمتك قاصرة وأنا أجود. واتبع إبليس في تفضيله واعتراضه خلق كثير، مثل الراوندي والمعري، ومن قوله:

إذا كان لا يحظىٰ برزقــك عاقــل ... وتـرزق مجـنونا وترزق أحمـــقا

ولا ذنب يا رب السماء علىٰ امرئ ... رأىٰ مــــنك ما لا ينتهي فتزنـدقا

قال ابن الجوزي: وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة، كثير الصلاة والصوم فمرض واشتد به المرض، فقال: إن كان يريد أن أموت فيميتني، وأما هذا التعذيب، فما له معنىٰ، والله لو أعطاني الفردوس كان مكفوراً. ورأيت آخر تزيّا بالعلم إذا ضاق عليه رزقه يقول: إيش هذا التدبير؟ وعلىٰ هذا كثير من العوام إذا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٩٧٦، ٩٧٧، وانظر القول المفيد ط١-٣/ ١٥٠، ١٥١.

ضاقت أرزاقهم اعترضوا، وربما قالوا: ما يريد يصلي. وإذا رأوا رجلا صالحا مؤذيا قالوا ما يستحق قدحا في القدر، وكان قد جرىٰ في زماننا تسلط من الظلمة، وقال بعض من تزيا بالدين: هذا حكم بارد. وما فهم ذلك الأحمق، فإن الله علىٰ الظالم [أن يسلط عليه أظلم منه]، وفي الحمقىٰ من يقول: أي فائدة في خلق الحيات والعقارب، وما علم أن ذلك أنموذج لعقوبة المخالف، وهذا أمر قد شاع، ولهذا مددت النفس فيه. واعلم أن المعترض قد ارتفع أن يكون شريكا وعلا الخالق بالحكم عليه، وهؤلاء كلهم كفرة، لأنهم رأوا حكمة الخالق قاصرة، وإذا كان قد توقف القلب عن الرضىٰ بحكم الرسول ﷺ، يخرج عن الإيمان قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله»[1].

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٩٤، ٦٩٦.

١٩٤- عارض الجهل وأثره على التكفير *

الجهل مانع من موانع التكفير المعتبرة، لكن ليس كل جهل يصلح عذراً ومانعاً، ويتضح ذلك بفهم الضوابط والأصول التي بيناها في أثناء هذا الباب.

قال الراغب: «الجهل على ثلاثة أضرب:

١ ـ وهو خلو النفس من العلم.

٢ ـ اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

٣ ـ فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا كمن ترك الصلاة متعمداً، وعلى ذلك قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]. فجعل فعل الهزو جهلا قال تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الحجرات.٦].

قال ابن تيمية: «لفظ الجهل يُعبَّر به عن عدم العلم، ويعبر به عن عدم العمل بموجب العلم»[(١)].

والذي يعنينا من معاني الجهل: الجهل بمعنى عدم العلم وهو بهذا الاعتبار على قسمين:

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ١٢٩. الدرر السنية ١١/ ٧١. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٢٨. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٢٧ ـ ٧/ ٣٥، ٤٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٧١، ٢٠٧، ط٢-١/ ٢١٨ ومن المجموع ٩/ ١٦٣، ١٩٥، ١٩٩. لزوم الجماعة وترك التفرق جمال بن أحمد الشرباوي ١٧٢. ضوابط التكفير للقرني. عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لأبي العلا الراشد. عقيدة الإمام ابن عبد البر الغصن ص٨٨. الجهل بمسائل الاعتقاد ص١٩، ١٩٤، ٢٨١ إلى ٣٢٧.

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٣٩، ٥٤٠، وانظر: في أنواع الجهل مدارج السالكين ١/ ٤٦٩.

١ - الجهل الذي لا يصلح عذراً.

٢ - الجهل الذي يصلح عذرا. والمقصود الذي نحن بصدده هل يعذر المعين بالجهل إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام أم لا؟

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص:٥٩]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك:٨-٩]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة:٦].

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إذا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَ اللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ». وفي رواية قال: «مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ»»[1].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: «قد يستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟

والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨١) (٧٥٠٦).

يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه فعل ذلك من خشية الله»[١].

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «... وأما جهل الرجل المذكور في هذا الحديث بصفة من صفات الله في علمه وقدرته، فليس ذلك بمخرجه من الإيمان...»[٢]، ثم استدل على ذلك بسؤال الصحابة رضي الله عنهم عن القدر ثم قال: «... ومعلوم أنهم إنما سألوه عن ذلك وهم جاهلون به، وغير جائز عند أحد من المسلمين أن يكونوا بسؤالهم عن ذلك كافرين... ولم يضرهم جهلهم به قبل أن يعلموه»[٣].

وقال ابن حزم رحمه الله بعد ذكر الحديث: «... فهذا إنسان جهل إلى أن مات أن الله عز وجل يقدر على جمع رماده وإحيائه، وقد غفر له لإقراره وخوفه وجهله»[٤].

وقال ابن الوزير رحمه الله في تعليقه على الحديث: «... وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد ولذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالى على ما ظنه محالا فلا يكون كفرا إلا لو علم أن الأنبياء جاءوا بذلك وأنه ممكن مقدور ثم كذبهم أو أحدا منهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء.١٥]»[٥].

يقول ابن قتيبة عن هذا الحديث: «وهذا رجل مؤمن بالله، مقر به، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذا أحرق وذري في الريح أن يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته ما بنيته، وبمخافته من عذابه جهله بهذه الصفة من صفاته»[٦].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٥٢٣.

(٢) التمهيد ١٨/ ٤٦، ٤٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الفصل ٣/ ٢٥٢.

(٥) إيثار الحق على الخلق ص٤٣٦.

(٦) تأويل مختلف الحديث ١٣٦.

وقد علق شيخ الإسلام على هذا الحديث فقال: «فهذا رجل شك في قدرة الله تعالى، وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا، لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقا أيضًا على هذا الحديث: «فهذا الرجل ظن أن الله لا يقدر عليه إذا تفرق هذا التفرق، فظن أنه لا يعيده إذا صار كذلك، وكل واحد من إنكار قدرة الله تعالى، وإنكار معاد الأبدان وإن تفرقت كفر، لكنه كان مع إيمانه بالله وإيمانه بأمره وخشيته منه جاهلا بذلك، ضالا في هذا الظن مخطأ، فغفر الله له ذلك، والحديث صريح في أن الرجل طمع أن لا يعيده إذا فعل ذلك، وأدنى هذا أن يكون شاكا في المعاد، وذلك كفر إذا قامت حجة النبوة على منكره حكم بكفره...»[٢].

وقال في موضع آخر: «فهذا الرجل كان قد وقع له الشك، والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم بعدما أحرق وذري، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك..»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن حكم من جحد فرضا من فرائض الإسلام: «... وأما من جحد ذلك جهلا، أو تأويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً»[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٣١.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٩. وانظر أيضاً ٧/ ٦١٩، ٢٣/ ٣٤٨، ٢٨/ ٥٠١. والرد على البكري ص٢٥٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١/ ٤٩١.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧.

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره: «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركا كافراً، فإنه يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين له الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعياً يعرفه كل من المسلمين من غير نظير ولا تأمل»[١].

ومن الأدلة أيضا حديث ذات أنواط وفيه أن بعض المسلمين ممن كانوا حديثي عهد بجاهلية[٢] طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط مشابهة للمشركين الذين كانوا يعلقون سيوفهم بشجرة يتبركون بها فقال لهم النبي ﷺ الله أكبر !! إنها السنن قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨][٣].

❖ تنبيه:

سبق الكلام عن أهل الفترة في باب (أهل الفترة) وهل هم معذورون بالجهل أم غير معذورين، وكلامنا الآن لا يتعلق بهم بل يتعلق بمن يعذر بجهله ممن دان بدين الإسلام وثبت له حكمه ثم وقع في شيء من هذه النواقض جهلاً بها.

والعذر بالجهل فيه كلام لأهل العلم كثير، ولن نستطيع أن نوفيه حقه في هذا المعجم ولكن نضع ضوابط لذلك مع الأدلة، نسأل الله الإعانة والتوفيق، ومن أراد الاستفصال فليراجع ما أحلنا إليه من المراجع، وتحتاج إلى تدقيق ورسوخ في

---

(١) تفسير القاسمي ٢/ ١٥٦.

(٢) هذا سبب كونهم معذورون وفي بعض ألفاظ الحديث «ونحن حدثاء عهد بكفر» قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «أي: قريبو عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم لا يجهل هذا...» تيسير العزيز الحميد ص١٨١.

(٣) يراجع باب التبرك فقد تكلمنا عن فوائد حديث أبي واقد الليثي..

العلم وورع في الدين وخوف من الله وتجرد من العواطف والأهواء، وألا يحكم بشيء إلا بعد معرفة الشروط والضوابط كلها مجتمعة وتحققها وهذه المسألة من أكثر المسائل التي تشتبه فيها الأدلة على الجماعات والأفراد والفرق حتى على بعض أهل العلم.

وعلى ذلك فإنه يجب إحكام أصول هذه المسألة وفروعها على منهج أهل السنة والجماعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية تُرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم»[(١)].

❖ **ضوابط العذر بالجهل في التكفير:**

* **أولا: مجرد النطق بالشهادتين يثبت به إسلام الشخص حكما ولا يزول عنه إسلامه إلا بمقتضى الدليل الشرعي وفي ذلك من الأحاديث ما رواه جابر رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللهُ، فَإِذا قَالُوا لا إِلَهَ إِلا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[(٢)].**

قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة، أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلماً والعدو ولياً، والمباح دمه وماله: معصوم الدم والمال...»[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٩)(١٤٥٧)(٦٩٢٤)(٧٢٨٤) ومسلم (٢١) واللفظ له.

(٣) تيسير العزيز الحميد ١٢٧.

وروىٰ مسلم عن المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «يا رسول الله، أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدىٰ يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله. أفأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قال: فقلت: يا رسول الله إنه قد قطع يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله؟قال رسول الله ﷺ: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»»[١].

وقد ذكر الإمام ابن منده هذا الحديث وبوب عليه في كتابه الإيمان بقوله: «ذكر ما يدل علىٰ أن قول لا إله إلا الله يوجب اسم الإسلام ويحرم مال قائلها ودمه»[٢].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلما»[٣].

ويقول أيضاً: «ومن أقر صار مسلماً حكماً»[٤].

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «... وفي حديث ابن عباس من الفوائد [حديث بعث معاذ إلىٰ اليمن] الاقتصار في الحكم بإسلام الكافر إذا أقر بالشهادتين»[٥].

*** ثانياً: عدم قيام الحجة مانع من تكفير المعين:**

وقد تقدم في أول الباب ذكر الأدلة من القرآن علىٰ أن قيام الحجة شرط في تكفير المعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٥) ومسلم (٩٥) واللفظ له.

(٢) الإيمان لابن منده ١/ ١٩٨. وانظر: مثله قول الإمام ابن الصلاح شرح النووي ١/ ١٤٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ص٧٢.

(٤) المرجع السابق ص٢٣.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٣٦٧.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إذا عرف هذا فتكفير «المعين» من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر.

وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين مع أن بعض هذه البدع أشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك بالشك، بل لا يزال إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: أني من أعظم الناس نهيا عن أن يُنسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية؛ إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقًا أخرى وعاصياً أخرى ... الخ»[(٢)].

ويقول ابن حزم: «... ولا خلاف في أن امرءا لو أسلم ولم يعلم شرائع الإسلام فاعتقد أن الخمر حلال، وأن ليس على الإنسان صلاة، وهو لم يبلغه حكم الله تعالى لم يكن كافرا بلا خلاف يعتد به، حتى إذا قامت عليه الحجة فتمادى حينئذ بإجماع الأمة فهو كافر»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «إن الكتاب والسنة قد دلت على أن الله لا يعذب أحداً، إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة، لم يعذبه رأساً، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩

(٣) المحلى ١٣/ ١٥١

لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء.١٦٥]، قال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِي﴾ [الأنعام.١٣٠][١].

وقال رحمه الله: «فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه، كقوله تعالى: ﴿الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض، قامت الحجة عليه بما بلغه دون ما لم يبلغه»[٢].

وقال رحمه الله: «لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء.١٦٥]، ولهذا لو أسلم رجل، ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه، أو لم يعلم أن الخمر حرام، لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا، وتحريم هذا، بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية»[٣].

ويقول ابن حزم رحمه الله: «وكل ما قلنا فيه أنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة، فهو ما لم تقم الحجة عليه معذور مأجور وإن كان مخطئاً، وصفة قيام الحجة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها وبالله التوفيق»[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: «أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٣.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣١٠. وانظر مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٣، ٤٩٤ والموافقات للشاطبي ٣/ ٣٧٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٦.

(٤) الإحكام لابن حزم ١/ ٧١.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله: «... حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحدا إلا بقيام الحجة عليه»[(٢)].

وعلى ذلك أدلة منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص.٥٩]

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «فلا يأثم أحد إلا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف رءوف بهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ وقد كان سادة الصحابة بالحبشة ينزل الواجب والتحريم على النبي ﷺ فلا يبلغهم النص إلا بعد أشهر فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص والله أعلم»[(٣)].

وقال ابن العربي المالكي: «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها بيانا واضحا ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، مما أجمعوا عليه إجماعاً قطعيا يعرفه كل من المسلمين من غير نظر وتأمل»[(٤)].

---

(١) طريق الهجرتين ٤١٤، وانظر مدارج السالكين ١/ ١٨٨.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٩.

(٣) الكبائر للذهبي ص١٢، تحقيق محي الدين مستو.

(٤) محاسن التأويل ٥/ ١٣٠٧.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «إذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما ؛ لأجل جهلهم وعدم من يفهمهم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل، سبحانك هذا بهتان عظيم»(١).

وحكى الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن عن الإمام المجدد أنه قرر أن: «من قامت عليه الحجة، وتأهل لمعرفتها، يكفر بعبادة القبور ...»(٢).

ويقول العلامة سليمان بن سحمان: «الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة»(٣).

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسؤال الآتي:

*** هل يمكن للرجل أن يقول لصاحبه أنت كافر قبل أن يعلمه بعمله؟**

فأجابت: «الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه.. وبعد: إذا كان صاحبه كافراً فالمشروع أن يعلمه أن عمله كفر وينصحه بتركه بالأسلوب الحسن، فإذا لم يترك عمله الذي أوجب كفره أجريت عليه أحكام الكفار، وهو متوعد بما توعد الله به من مات على كفره من الكفار بالخلود في النار، والواجب التثبت في هذه الأمور وعدم التعجل بالتكفير حتى يتضح الدليل»(٤).

---

(١) صيانة الإنسان من وساوس الشيخ دحلان ص٤٤٩ وللشيخ إسحاق بن عبدالرحمن كلام في الرد على من احتج بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يكفِّر مَنْ عبد قبة الكواز وبيان المراد من ذلك. انظر: فتاوى الأئمة النجدية (٣/ ١٣٣-١٣٤) ط. ابن خزيمة.

(٢) حكم تكفير المعين ص١٨. وانظر منهاج التأسيس والتقديس ص٩٨، ٩٩.

(٣) منهاج الحق والاتباع ص٦٨.

(٤) اللجنة الدائمة، السؤال الخامس من الفتوى رقم ٤٤٤٦ عبد الله بن غديان عضو وعبدالرزاق عفيفي نائب الرئيس وعبد العزيز بن باز الرئيس.

وينبغي أن يُعلم أن هناك فرقاً بين صفة القيام في المسائل الظاهرة والمسائل الخفية، فإن صفة قيام الحجة في المسائل الظاهرة هي: بلوغ الدليل من القرآن والسنة، فمن بلغه الدليل أو سمع به فقد قامت عليه الحجة، ولا يُشترط التعريف من عالم أو غيره، فالحجة التي يرتفع بها الجهل ينقطع العذر بها في المسائل الظاهرة هي كتاب الله وسنة رسوله، والعبرة ببلوغ الحجة والسماع بها، وليست بفهم الحجة.

أما المسائل التي تخفى فيها طرق الأدلة، ويقع فيها التأويل بحيث يصعب على المكلف تحصيلها بنفسه ؛ فصفة قيام الحجة فيها هي: بلوغ الدليل وشرحه، وتفهيم المراد منه، ورد الشبهات التي تعلق به ممن يحسن أن يفعل ذلك من أهل العلم[١].

وبهذا يتبين صفة قيام الحجة.

يقول الإمام البخاري: «كل من يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يعلم ويرد جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به، كان معاندا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة.١١٥] قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء.١١٥]»[٢].

قال ابن حزم رحمه الله: «وكل ما قلنا فيه أنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة، فهو ما لم تقم الحجة عليه معذور مأجور وإن كان مخطأ، وصفة قيام الحجة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها وبالله التوفيق»[٣].

ويقول العلامة سليمان بن سحمان: «الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنها لا تقوم

---

(١) عارض الجهل ص١٣٩، ١٤٠.

(٢) خلق أفعال العباد ص٦١.

(٣) الإحكام لابن حزم ١/ ٧١.

الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة»[1].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في أقسام الردة: «قسم يجحد ما علم بالضرورة فهذا يكفر بمجرد ذلك ولا يحتاج إلىٰ تعريف، ما لم يكن حديث عهد بالإسلام»[2].

* وعلىٰ هذا فيجب التفريق بين بلوغ الحجة وفهم الحجة.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ما ذكرتم من كلام الشيخ (ابن تيمية) كل من جحد كذا وكذا، وإنكم تسألون عن هؤلاء الطواغيت وأتباعهم ؛ هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجاب!! كيف تشُكُّون في هذا وقد أوضحت لكم مراراً أن الذي لم تقم عليه الحجة هو حديث عهد بالإسلام، أو الذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون في مسائل خفية مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتىٰ يُعرَّف، وأما أصول الدين التي وضَّحها الله في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة. ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم».

وقوله: «شر قتلة تحت أديم السماء» مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس: أن الذي أخرجهم من الدين، هو

---

(١) منهاج الحق والاتباع ص٦٨.

(٢) فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم ١٢/ ١٩٠.

التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها.

وكذلك قتلى علي ﷺ الذين اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة، ومع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم، وهم يظنون أنهم على حق.

وكذلك إجماع السلف: على تكفير غلاة القدرية وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا»[١].

ومن المسائل التي قد تخفى بعض مسائل الصفات قال الإمام الشافعي رحمه الله حين سئل عن صفات الله وما يؤمن به: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، ولا يسع أحد من خلق الله قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يقدر بالعقل، ولا بالرؤية والقلب والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدا إلا بعد انتهاء الخبر إليه به»[٢].

أما الكافر فإن قيام الحجة عليه يوضحها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «والحجة قامت بوجود الرسول المبلغ وتمكنهم من الاستماع والتدبر. لا بنفس الاستماع. ففي الكفار من تجنب سماع القرآن ، واختار غيره، كما يتجنب كثير من المسلمين سماع أقوال أهل الكتاب وغيرهم، وإنما ينتفعون إذا ذكروا فتذكروا، كما قال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾»[٣].

---

(١) الدرر السنية ١٠/ ٩٣، ٩٤، ومجموع مؤلفات الشيخ ٧/ ١٥٩.

(٢) مختصر العلو للذهبي ص١٧٧.

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٦٦) والآية ١٠ من سورة الأعلى.

* ثالثاً: الجاهل المتمكن من العلم وتركه تساهلا وإعراضاً لا يعذر[(١)]:

قال ابن تيمية: «والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به. فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه: كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلا، وهذه أوقات الفترات»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «... حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحدا إلا بقيام الحجة عليه»[(٣)].

قال الشيخ علاء الدين البعلي الحنبلي المعروف بابن اللحام في كتابه القواعد: «إذا تقرر هذا، فهاهنا مسائل تتعلق بجاهل الحكم، هل هو معذور أم لا؟ ترتبت على هذه القاعدة، فإذا قلنا يُعذر فإنما محله إذا لم يقصِّر ويفرِّط في تعلم الحكم، أما إذا قصّر أو فرّط فلا يعذر جزماً»[(٤)].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: «واجتهِدْ في معرفة دين الإسلام ومعرفة ما أرسل الله به رسوله، والبحث عما قاله العلماء في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، واجتهد في تعلُّم ما علّمه الله لرسوله، وما علمه الرسول أمته من التوحيد، ومن أعرض عن

(١) انظر: الجهل بمسائل الاعتقاد لمعاش ص٢٩٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٥٩.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٩.

(٤) القواعد والفوائد الأصولية ص٥٢.

هذا فطبع الله على قلبه، وآثر الدنيا على الدين لم يعذره الله بالجهالة»[١].

* وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: هل يعذر المسلم إذا فعل شيئا من الشرك كالذبح والنذر لغير الله جاهلا؟

فأجاب بقوله: «الأمور قسمان:

* قسم يعذر فيه بالجهل، وقسم لا يعذر فيه بالجهل. فإذا كان من أتى ذلك بين المسلمين، وأتى الشرك بالله، وعبد غير الله، فإنه لا يعذر لأنه مقصر لم يسأل، ولم يتبصر في دينه فيكون غير معذور في عبادته غير الله من أموات أو أشجار أو أحجار أو أصنام، لإعراضه وغفلته عن دينه، كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣] ، ولأن النبي ﷺ لما ستأذن ربه أن يستغفر لأمه لأنها ماتت في الجاهلية لم يؤذن له ليستغفر لها ؛ لأنها ماتت على دين قومها عباد الأوثان، ولأنه ﷺ قال لشخص سأله عن أبيه، قال: «هو في النار» فلما رأى ما في وجهه قال: «إن أبي وأباك في النار»؛ لأنه مات على الشرك بالله، وعلى عبادة غيره سبحانه وتعالى، فكيف بالذي بين المسلمين وهو يعبد البدوي، أو يعبد الحسين، أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو يعبد الرسول محمد ﷺ، أو يعبد علياً، أو يعبد غيرهم؟!.

فهؤلاء وأشباههم لا يعذرون من باب أولى ؛ لأنهم أتوا الشرك الأكبر وهم بين المسلمين، والقرآن بين أيديهم، وهكذا سنة رسول الله ﷺ موجودة بينهم، ولكنهم عن ذلك معرضون»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «هذه المسألة تحتاج إلى تفصيل: فنقول: الجهل نوعان:

---

(١) مجموع الفتاوى والرسائل والأجوبة ص١٣٦. ط. التراث.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز ٥٢٨، ٥٢٩. وانظر فتوى مماثلة للشيخ أيضاً في كتاب تحفة الإخوان ٣٧.

جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه، فما كان ناشئاً عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم، فإنه لا يعذر فيه، سواء في الكفر أو المعاصي، وما كان ناشئاً عن خلاف ذلك، أي أنه لم يهمل ولم يفرط، ولم يقم المتقضي للتعلم بأن كان لم يطرأ على باله أن هذا الشيء حرام، فإنه يعذر فيه»[1].

* **رابعاً: قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص:**

ويدل على ذلك حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لاَ يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلاَ صَلاَةٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ فَلاَ يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ مَا صَلاَةٌ وَلا صِيَامٌ وَلا نُسُكٌ وَلَ صَدَقَةٌ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاَثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ: يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنْ النَّارِ ثَلاَثاً»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول، ولهذا جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة» ثم

---

(١) القول المفيد ١/ ٢١٩.

(٢) سنن ابن ماجه (٤٠٤٩).

ذكر بقية الحديث»[١].

وقال رحمه الله في معرض كلامه عن التكفير: «فيختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافراً بل ولا فاسقاً بل ولا عاصياً»[٢].

وقال رحمه الله: «وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية و المغفور له وغير ذلك. فهذا أولى بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجياً وقد لا يكون ناجياً كما يقال: من صمت نجا»[٣].

وقال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»[٤].

وقد بين ابن قدامة في المغني: «أن من كان جاحداً لوجوب الصلاة، نظر فيه، فإن كان جاهلاً به، وهو ممن يجهل ذلك، كالحديث الإسلام، والناشئ ببادية، عرف وجوبها، وعلم ذلك، ولم يحكم بكفره، لأنه معذور»[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٧، ١٣/ ٣٥،٦٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٦٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ١٧٩.

(٤) طريق الهجرتين ٤١٤.

(٥) المغني ٢/ ١٥٦ـ٨/ ١٣٠.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً»[١].

وقال أيضاً ـ: «لا يكفر العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام، أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك»[٢].

ويقول السيوطي: «كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة يخفى فيها مثل ذلك»[٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «إن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام والذي نشأ ببادية، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه فإن حجة الله هي القرآن، فمن بلغه فقد بلغته الحجة»[٤].

أما اختلاف حال الأشخاص واختلاف مداركهم فقد قال ابن تيمية: «والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به. فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه: كان ذلك في حق

(١) المجموع ٣/ ٢٣١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٠١.

(٣) الأشباه والنظائر ص٢٠٠.

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٣/ ١١.

العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً، وهذه أوقات الفترات»(١).

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «يختلف الحكم علىٰ الإنسان بأنه يعذر بالجهل في المسائل الدينية أو لا يعذر، باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحا وخفاء، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفاً»(٢).

* خامساً: ينبغي التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية:

يقول محمد بن جرير في كتابه الدين بعد أن ذكر بعض نصوص الصفات: «فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله بها نفسه، ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، ولا يكفر بالجهل أحد إلا بعد انتهائها إليه»(٣).

وقال شيخ الإسلام: «ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة. وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل، مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته، ويثيبه علىٰ اجتهاداته، ولا يؤاخذه بما أخطأ، تحقيقا لقوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة.٢٨٦]»(٤).

وقال أيضاً رحمه الله: «... وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال: إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، لكن ذلك يقع في طوائف

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٠/ ٥٩.

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد الدويش ٢/ ٩٧.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ١٩٥، وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٨٠.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٢٠/ ١٦٥، ١٦٦. وانظر: ١٣/ ٦٤.

منهم في الأمور الظاهرة التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين أنها من دين المسلمين، بل اليهود والنصارىٰ يعلمون: أن محمداً ﷺ بعث بها، وكفر مخالفها، مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبدة أحد سوىٰ الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب والأصنام وغير ذلك، فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل أمره بالصلوات الخمس، وإيجابه لها وتعظيم شأنها، مثل معاداته لليهود والنصارىٰ والمشركين والصابئين والمجوس، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك...»[١].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «إن الذي لم تقم عليه الحجة، هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتىٰ يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة»[٢].

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين: «وقولك إن الشيخ يقول: إن من فعل شيئا من هذه الأمور الشركية، لا يطلق عليه إنه كافر مشرك حتىٰ تقوم عليه الحجة الإسلامية، فهو لم يقل ذلك في الشرك الأكبر، وعبادة غير الله ونحوه من الكفر، وإنما قال هذا في المقالات الخفية كما قدمنا من قوله، وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال: لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها، فلم يجزم بعدم كفره، وإنما قال: قد يقال»[٣].

فيشترط فهم الحجة في الأمور التي يلحق صاحبه فيها شبهة قوية ومثل ذلك التأويل في بعض الأسماء والصفات أو إنكار شيء منها عن شبهة لأن الشبه في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٥٤.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٩٣.

(٣) رسالة في بيان الشرك، وعدم إعذار جاهله، وثبوت قيام الحجة عليه ص٣٠، ٣٣.

بعض الأسماء والصفات قوية لا يحتاج فيها إلىٰ بلاغ الحجة فقط بل لا بد من فهم الحجة فلا بد أن تزال الشبهة مع اختلاف المسائل والعناية بفهم الحجة في إنكار الصفة واجب لا سيما وقد تقدم حديث الرجل الذي أسرف علىٰ نفسه وقيدها الحافظ ابن عبد البر[١] بجهل صفة من صفاته ﷻ وكذلك قال ابن قتيبة[٢].

وقال أيضاً: «وأما الرجل الذي أوصىٰ أهله أن يحرقوه، وأن الله غفر له، مع شكه في صفة من صفات الرب سبحانه: فإنما غفر له لعدم بلوغ الرسالة له. كذا قال غير واحد من العلماء.

ولهذا قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: «من شك في صفة من صفات الرب ومثله لا يجهلها: كفر، وإن كان مثله يجهلها: لم يكفر.

قال ولهذا لم يكفر النبي ﷺ الرجل الشاك في قدرة الله ؛ لأنه لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة»[٣]. وكذا قال ابن عقيل، وحمله علىٰ أنه لم تبلغه الدعوة.

واختيار الشيخ تقي الدين في الصفات: أنه لا يكفر الجاهل وأما في الشرك ونحوه فلا»[٤].

ويقول رحمه الله في معرِض توضيحه لموقف شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة تكفير المعين: «بل آخر كلامه رحمه الله (يعني ابن تيمية) يدل علىٰ أنه يعتبر فهم الحجة في الأمور التي تخفىٰ علىٰ كثير من الناس، وليس فيها مناقضة للتوحيد والرسالة كالجهل ببعض الصفات، وأما الأمور التي هي مناقضة للتوحيد والإيمان بالرسالة فقد صرح رحمه الله في مواضع كثيرة بكفر أصحابها وقتلهم بعد الاستتابة، ولم يعذرهم بالجهل مع أنا نتحقق

---

(١) التمهيد ص١٨/ ٤٦، ٤٧.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص١٣٦.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٥٣٨.

(٤) الانتصار لحزب الله الموحدين ص٤٦، ٤٧ تحقيق الوليد الفريان.

أن سبب وقوعهم في تلك الأمور إنما هو الجهل بحقيقتها، فلو علموا أنها كفر تخرج عن الإسلام لم يفعلوها، وهذا في كلام الشيخ رحمه الله كثير»[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «مسألة تكفير المعين: من الناس من يقول: لا يكفر المعين أبداً، ويستدل هؤلاء بأشياء من كلام ابن تيمية غلطوا في فهمها وأظنهم لا يكفِّرون إلا من نص القرآن على كفره كفرعون، والنصوص لا تجيء بتعيين كل أحد، يدرس باب (حكم المرتد) ولا يطبق على أحد، هذه ضلالة عمياء وجهالة كبرى، بل يطبق بشرط.

ثم الذين توقفوا في تكفير المعين في الأشياء التي قد يخفى دليلها فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية من حيث الثبوت والدلالة فإذا أُوضحت له الحجة بالبيان الكافي كفر سواء فهم، أو قال: ما فهمت، أو فهم وأنكر، ليس كفر الكفار كله عن عناد.

وأما ما علم بالضرورة أن الرسول جاء به وخالفه فهذا يكفر بمجرد ذلك ولا يحتاج إلى تعريف سواء في الأصول أو الفروع ما لم يكن حديث عهد بالإسلام.

والقسم الثالث أشياء تكون غامضة فهذه لا يكفر الشخص فيها ولو بعدما أُقيمت عليه الأدلة وسواء كانت في الفروع أو الأصول، ومن أمثلة ذلك الرجل الذي أوصى أهله أن يحرقوه إذا مات»[٢].

وقد نبَّه العلماء على أن الجهل لا يكون فيما هو معلوم من الدين[٣] بالضرورة وهذه القاعدة أراد بها العلماء من لا يسعه الجهل قال الإمام الشافعي: «العلم

---

(١) الدرر السنية ٩/ ٢٤٦.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ٧٣، ٧٤.

(٣) قال أبو البقاء صاحب الكليات: «العلم الضروري هو ما يحصل بدون فكر ونظر في دليل» الكليات ٥٧٦. وفي التعريفات الفقهية قال: «هو الذي لا يفتقر إلى نظر واستدلال وتعلمه العامة، وهو مرادف للبديهي» قواعد الفقه محمد عميم الإحسان ص٣٥٨.

علمان: علمٌ عامة لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله، مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل، والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا مما كُلِّف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويُعطوه من أنفسهم وأموالهم وأن يكفُّوا عنه ما حرّم عليهم منهم..»[1].

وقال ابن قدامة: «فإن لم يكن ممن يجهل ذلك كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى، ولم يعذر ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره ؛ لأن أدلة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسنة، والمسلمون يفعلونها على الدوام، فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله، ولا يجحدها إلا تكذيبا لله تعالى، ورسوله وإجماع الأمة، وهو يصير مرتداً عن الإسلام، ولا أعلم في هذا خلافاً»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «إن الشخص المعين إذا قال ما يوجب الكفر فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يعلم من الدين بالضرورة فهذا لا يتوقف في كفر قائله، ولا تجعل هذه الكلمة عكازة تدفع بها في نحر من كفر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجة ووضح المحجة»[3].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله بعد ذكر الاستهزاء بالله ورسوله وأن فاعله مرتد قال: «وكذلك من جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة، أو وجوب صوم رمضان، أو وجوب الحج في حق من استطاع السبيل إليه، أو جحد وجوب بر الوالدين أو نحو

---

(١) الرسالة للشافعي ص٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) المغني ٢/ ٤٤٢.

(٣) الدرر السنية ٨/ ٢٤٤.

ذلك، ومثل ذلك من استحل شرب الخمر أو عقوق الوالدين، أو استحل أموال الناس ودماءهم بغير حق، أو استحل الربا أو نحو ذلك من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة وبإجماع سلف الأمة، فإنه كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدعي الإسلام بإجماع أهل العلم...، ولا يجوز أن يعذر أحد بدعوىٰ الجهل في ذلك ؛ لأن هذه الأمور من المسائل المعلومة بين المسلمين وحكمها ظاهر في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ والله ولي التوفيق»(١).

وقال ﵀ أيضاً: «الأمور التي جاء بها الإسلام وبيَّنها الرسول ﷺ للناس وأوضحها في كتاب الله، وانتشرت بين المسلمين، فإن دعوىٰ الجهل بها لا تُقبَل، ولا سيما ما يتعلَّق بالعقيدة وأصل الدين، فإن الله ﷻ بعث نبيه ﷺ ليوضِّح للناس دينهم ويشرحه لهم وقد بلَّغ البلاغ المبين وأوضح للأمة حقيقة دينه وشرح لها كل شيء، وتركها علىٰ البيضاء ليلها كنهارها، وفي كتاب الله الهدىٰ والنور فإذا ادَّعىٰ بعض الناس الجهل فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، وقد انتشر بين المسلمين، كدعوىٰ الجهل بالشرك وعبادة غير الله ﷻ، أو دعوىٰ أن الصلاة غير واجبة، أو أن صيام رمضان غير واجب أو الزكاة غير واجبة، أو أن الحج مع الاستطاعة غير واجب، هذا كله لا يقبل لأن هذا أمرٌ معلوم بين المسلمين، وقد عُلِم بالضرورة من دين الإسلام، وقد انتشر بين المسلمين، فلا تقبل الدعوىٰ في ذلك، وهكذا إذا ادَّعىٰ أنه يجهل ما يفعله المشركون عند القبور أو عند الأصنام من دعوة الأموات، والاستعانة بهم، والذبح لهم، والنذر لهم، أو الذبح للأصنام أو الكواكب أو الأشجار أو الأحجار أو طلب الشفاء أو النصر علىٰ الأعداء من الأموات، أو الأصنام أو الجن أو الملائكة أو الأنبياء، فكل هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة،

---

(١) الفتاوىٰ لابن باز ص٥٢٧. وانظر: تحفة الإخوان بأجوبة مهمة عن أركان الإسلام ص٤٥-٤٧.

وأنه شرك أكبر قد أوضح الله ذلك في كتابه، وأوضحه رسوله ﷺ»[(١)].

❖ **تنبيه:** ظهور المسألة وخفاؤها وكونها معلومة من الدين بالضرورة أو غير معلومة من الأمور النسبية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فيكون الشيء معلوماً من الدين ضرورة أمر إضافي، فحديث العهد بالإسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية، فضلاً عن كونه يعلمه بالضرورة، وكثير من العلماء يعلم أن النبي ﷺ سجد للسهو، وقضى بالدية على العاقلة، وقضى أن الولد للفراش، وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة، وأكثر الناس لا يعلمه البتة»[(٢)].

وقال رحمه الله: «كون العلم بديهية أو نظرية هو من الأمور النسبية الإضافية وإن كان كثير من الناس يحسب أن كون العلم المعين ضرورياً أو كسبياً أو بديهياً أو نظرياً هو من الأمور اللازمة بحيث يشترك في ذلك جميع الناس وهو مخالف للواقع»[(٣)].

❖ **تنبيه:** معرفة فقه العذر بالجهل يوجب بيان الحكم وبث العلم.

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن بيان الحكم سبب لزوال الشبهة المانعة من لحوق العقاب، فإن العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاءه، بل المطلوب زواله حسب الإمكان، ولولا هذا لما وجب بيان العلم، ولكان ترك الناس على جهلهم خيرا لهم، ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيراً من بيانها»[(٤)].

---

(١) فتاوى وتنبيهات ص٢٣٩-٢٤٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ١١٨ـ١١٩/ ٢١١، منهاج السنة ٥/ ٨٧، ٩٥، مختصر الصواعق المرسلة ص٦١٣.

(٣) الرد على المنطقيين وانظر: مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٤٦، ٣٤٧ ـ ١٣/ ١٢٥، ١٢٦. منهاج السنة ٥/ ٨٧، ٩١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٧٩.

١٩٥- العبادة *

قال الرازي: «أصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل يقال: طريق مُعبَّد، والتعبيد أيضاً الاستعباد وهو اتخاذ الشخص عبداً»[(١)].

وقال ابن سيده: «والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعاني، يقال: تعبد فلان لفلان، أي: تذلل له. وكل خضوع ليس فوقه خضوع: فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة، وكل طاعة لله على وجه الخضوع والتذلل فهي عبادة. والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر»[(٢)].

وفي الشرع قال ابن تيمية: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٣٣. شرح مسائل الجاهلية ص١١٢. تيسير العزيز الحميد ص٤٧. فتح المجيد ص٤١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٢. القول السديد لابن سعدي ٤٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٠، ٢٨، ط٢- ٣/ ١٧٣ ومن المجموع ٩/ ٥، ٢١. الدرر السنية ٢/ ١٠٣، ١٧٤، ٢٤٩، ٣٠٨، ٨/ ٢٢١، ١٢/ ٦١، ٣٧٥، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٣٤١، ٣/ ١١٠. معارج القبول ١/ ٣٢٣. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٢٣٧. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١/ ٨٥ _ ٥/ ٢٦٠ _ ٧/ ٣٣٠، ٣٣٦. دعوة التوحيد محمد خليل هراس ص٤١ إلىٰ ٥٩. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٦١. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٣٥. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٣٤. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٧٤. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٠٥. مسائل الإمام أحمد ص١٧٤. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٢٨٧، ٣٥١. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٢٤٣. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٣٤.

(١) مختار الصحاح (ع ب د).

(٢) المخصص لابن سيده ١٣/ ٩٦.

الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك، هي من العبادات لله»[1].

وقال رحمه الله: «والعبادة أصل معناها الذل أيضا، يقال طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم يقال «تيم الله» أي عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه، ومن خضع لإنسان مع بغضه له فلا يكون عابدا، ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له، كما قد يحب ولده وصديقه. ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله. بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا لله.

فكل ما أُحِبَّ لغير الله فمحبته فاسدة وما عُظِّمَ بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة:٢٤] فجنس المحبة يكون لله ورسوله، كالطاعة تكون

(١) العبودية ص٣. وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ١٤٩، ١٥٣.

لله ورسوله، والإرضاء لله ورسوله قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]. والإيتاء لله ورسوله قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة.٥٩]»[١].

فحقيقة العبودية تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فلا يكتفي بالحب وحده بل يقرن بحبه غاية الذل له.

وفي التيسير: «قال القرطبي: «أصل العبادة: التذلل والخضوع، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات، لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى».قال ابن كثير هي: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[٢].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»[٣].

وقال: «العبادة والعبودية لله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال والتروك فهو عبادة ولهذا كان تارك المعصية لله متعبدا متقربا إلى ربه بذلك»[٤].

وقال ابن عثيمين: «العبادة بمفهومها العام هي التذلل لله محبة وتعظيما بفعل

(١) العبودية ص٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٦، ٤٧. وانظر: كتاب النبوات لابن تيمية ص٨٨. والجواب الصحيح ٦/ ٣١.

(٣) الحق الواضح المبين ٥٩، ٦٠.

(٤) الخلاصة ٢٠١.

أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه أما المفهوم الخاص للعبادة يعني تفصيلها فهو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية»[١].

وقال مبيناً الأشياء التي تعرف أنها عبادة: «وكل محبوب لله من الأعمال فإنه عبادة»[٢].

ويدخل في المحبوب الفعل كالصلاة والزكاة كما يدخل فيه الترك كترك الكذب والغيبة والنميمة.

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات.٥٦] وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف.٥٩] وكذلك قال هود عليه السلام لقومه كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف.٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف.٧٣] وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل.٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء.٢٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء.٩٢] وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر.٩٩]، وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣١.

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٦٣.

تعالىٰ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠ ﴾ [الأنبياء.١٩ـ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦ ﴾ [الأعراف.٢٠٦] .

* أقوال السلف: قال ابن تيمية: «فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم»(١).

❖ أحكام وفوائد:

١ - شـروط قبول العبـادة:

نص علماء أهل السنة علىٰ شرطين لقبول العبادة هما:

١ ـ الإخلاص بها لله تعالىٰ.

٢ ـ متابعة هدي النبي ﷺ فيها، بأن تكون موافقة لسنته.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «إذا عملت هذه الأعمال يعني الإتيان بالأوامر وترك النواهي لا تقبل منك إلا بالإخلاص فلا يقبل قول بلا عمل ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة»(٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعبادة والطاعة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان:

---

(١) العبودية ص١٩.

(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثاني ص ١٠ مستفاد من كتاب الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية للدكتور سعيد القحطاني ص ١٣٤.

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله..

الثانـي : أن يعبده بما أمر وشرع لا بغير ذلك من الأهواء والبدع، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف.١١٠]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة.١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء.١٢٥]»[١].

وقال ابن رجب رحمه الله: «وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية، لكن بكونها خالصة لله عز وجل صواباً على متابعة السنة، وبكثرة معارف القلوب وأعمالها فمن كان بالله أعلم، وبدينه وأحكامه وشرائعه، وله أخوف وأحب وأرجى، فهو أفضل ممن ليس كذلك، وإن كان أكثر منه عملا بالجوارح وإلى هذا المعنى، الإشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي ﷺ: «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل أحدا منكم بعمله الجنة، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»، فأمر بالاقتصاد في العمل، وأن يضم إلى ذلك العلم بأحب الأعمال إلى الله، وبأن العمل وحده لا يدخل الجنة..»[٢].

وهذان الأصلان عبر عنهما ابن القيم بقوله في النونية[٣]:

وعبـــادة الـــرحمن غايـــة حبـــه	مـــع ذل عابـــده همـــا قطبـــان
وعليهمـــا فلـــك العبـــادة دائـــر	مـــا دار حتـــى قامـــت القطبـــان
ومـــداره بـــالأمر أمـــر رســـوله	لا بـــالهوى والـــنفس والـــشيطان

(١) العبودية ص١٧.

(٢) المحجة في سير الدلجة ص٥٢.

(٣) انظر: الكافية الشافية.

٢ - أنواع العبادة :

العبادة لها أنواع كثيرة. فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح كما تشمل الطاعات الباطنة في القلب ومن أنواعها الذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، واخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والرضى بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات المؤمن إذا نوى القربة أو ما يعين عليها حتى العادات إذا قصد بها التقوي على الطاعات، كالنوم والأكل، والشرب والبيع والشراء وطلب الرزق والنكاح فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصير عبادات يثاب عليها.

قال ابن القيم رحمه الله: «ورَحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب اللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح»[١].

وقال أيضاً: «وبنى إياك نعبد على أربع قواعد التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب الجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع فأصحاب إياك نعبد حقا هم أصحابها.

فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

(١) مدارج السالكين ١/ ١٢٣.

وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والذل له والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة .

وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك «فإياك نعبد» التزام لأحكام هذه الأربعة وإقرار بها و إياك نستعين طلب للإعانة عليها والتوفيق لها...»[1].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والانابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن.١٨]

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون.١١٧]»[2].

---

(١) مدارج السالكين ١/ ١١٣، ١١٤

(٢) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص٢٤، ٣٠. وانظر شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين من مجموع الفتاوى ٦/ ٤٩ وما بعدها.

* ومن كلام العلماء عن العبادة نجدها على خمسة أقسام:

١ـ عبادة القلب: وذلك كالإخلاص والتوكل والمحبة والصبر والإنابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم والنية في العبادة[١].

٢ـ عبادة للسان: وذلك كالتلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وكتلاوة القرآن والدعاء، والأذكار النبوية ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وأداء الشهادة المتعينة وصدق الحديث والمذاكرة في العلم النافع إلى غير ذلك من أنواع العبادات اللفظية [٢].

٣ـ عبادة بدنية: وذلك كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، وكالصوم وأعمال الحج والهجرة والجهاد إلى غير ذلك من العبادات البدنية[٣].

٤ـ عبادة مالية: كالزكاة والصدقة ونحو ذلك[٤].

٥ـ عبادة تركية: هي أن يترك المسلم جميع المحرمات والشركيات والبدع امتثالا لشرع الله، فهذه منه عبادة تركية، ويؤجر المسلم على تركه ابتغاء وجه الله. ومن ذلك ترك الرقية والكي فإنه من تحقيق التوحيد[٥] قال الشيخ ابن عثيمين: «الطاعة ترك المنهي عنه، هذا معنى الطاعة إذا جاءت مفردة»[٦].

وقد تجتمع عبادتان بدنية ومالية كالنحر مثلا قال شيخ الإسلام: «وعيد النحر أفضل من عيد الفطر؛ ولهذا كانت العبادة فيه النحر مع الصلاة والعبادة في ذاك الصدقة مع الصلاة والنحر أفضل من الصدقة ؛ لأنه يجتمع فيه العبادتان البدنية

(١) مدارج السالكين ١/ ١٢٤.
(٢) مدارج السالكين ١/ ١٢٨، ١٢٩.
(٣) شرح العدة لابن تيمية ٤/ ٤٨.
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٤/ ٢٢٢.
(٥) انظر كتاب التوحيد من مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٦.
(٦) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٤١.

والمالية، فالذبح عبادة بدنية ومالية، والصدقة والهدية عبادة مالية»[١].

وقد يقال هي منقسمة على القلب واللسان والجوارح[٢].

٣ - كما تنقسم إلى عبادة كونية وشرعية:

قال الشيخ ابن عثيمين: «اعلم أن العبادة نوعان:

الأول: كونية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم:٩٣] فهي شاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

والثاني: عبادة شرعية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣]. فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنه بغير فعله لكن قد يحمد على ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه»[٣].

وكذلك تنقسم إلى عبادة خاصة ومتعدية.

قال الشيخ ابن عثيمين: «فالعبادات الخاصة مثل الصلاة، والصوم، والحج، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك»[٤].

❖ **حكم من عبد الله عند القبر: انظر باب (القبور).**

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٢٢.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٢٣ - ١٣٧.

(٣) شرح ثلاثة الأصول ص٣٣.

(٤) المصدر السابق.

١٩٦- عبدي وأمتي*

ورد النهي عن التلفظ بالألفاظ التي توهم الشرك أوفيها إساءة أدب مع الله كإطلاق ربوبية إنسان لإنسان أو عبودية إنسان لإنسان؛ لأن الله هو الرب المعبود وحده، وجاءت الشريعة بتوخي اللفظ السليم الذي لا إيهام فيه ليكون بديلاً من اللفظ الموهم وهذا منه ﷺ حماية للتوحيد وحفاظاً على العقيدة. قال الشيخ سليمان ابن عبد الله: «لا يقول عبدي وأمتي لما في ذلك من الإيهام في المشاركة في الربوبية، فنهى عن ذلك أدباً مع جناب الربوبية وحماية لجناب التوحيد»[(١)].

* **الدليل من السنة:** عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي. وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي»[(٢)]. والمراد بالسيد هنا الرئيس على من تحت يده.

❖ **فوائد وأحكام:**

١ - حكم التلفظ بعبدي وأمتي:

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «هذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقا للتوحيد وسداً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم،

---

* تيسير العزيز الحميد ص٦٦٣. فتح المجيد ص٥٤١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٤٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٩٧، ط٢-٣/ ١٢٠ ومن المجموع ١٠/ ٩٢٤. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٨. مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ٨٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٤٦٢.

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٦٣.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

فنهى عنه لذلك وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى وإنما المعنى أن هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار فالنهي عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق وتحقيقا للتوحيد وبعدا عن الشرك في اللفظ.

وهذا من أحسن مقاصد الشريعة، لما فيه من تعظيم الرب تعالى وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ وهو قوله: سيدي ومولاي. وكذا قوله: لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم.٩٣] ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبًا وبعدًا عن الشرك وتحقيقًا للتوحيد، وأرشد إلى أن يقول: «فتاي وفتاتي وغلامي».

وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد»[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن قول عبدي وأمتي: «والحكم في ذلك ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يضيفه إلى غيره مثل أن يقول عبد فلان أو أمة فلان فهذا جائز. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور.٣٢].

وقال النبي ﷺ: «ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة»[(٢)].

الثاني: أن يضيفه إلى نفسه، وله صورتان:

الأولى: أن يكون بصيغة الخبر مثل: أطعمت عبدي، كسوت عبدي، أعتقت عبدي، فإن قاله في غيبة العبد أو الأمة فلا بأس فيه، وإن قاله في حضرة العبد أو الأمة فإن ترتب عليه مفسدة تتعلق بالعبد أو السيد منع، وإلا فلا، لأن القائل بذلك

(١) فتح المجيد ص٥٤١، ٥٤٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٣)(١٤٦٤).

لا يقصد العبودية التي هي الذل وإنما يقصد أنه مملوك.

الثانية: أن يكون بصيغة النداء فيقول السيد مثل يا عبدي هات كذا، فهذا منهي عنه وقد اختلف العلماء في النهي هل هو للكراهة أو التحريم والراجح التفصيل في ذلك وأقل أحواله الكراهة»[١].

٢ - حكم إطلاق الرب على المخلوق أو إضافته إليه:

إطلاق كلمة الرب على سيد العبد بلا إضافة حرام لا يجوز لأن الألف واللام في اسم (الرب) يدل على معنى العموم فيدخل فيه عموم المخلوقات فـ (الرب) من أسماء الله تعالى اتفاقاً لا يطلق إلا عليه كما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل»[٢].

وقال ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»[٣]. وغير ذلك من الأحاديث.

قال ابن بطال: «لا يجوز أن يقال لأحد غير الله رب كما لا يجوز أن يقال له إله. قال الحافظ والذي يختص بالله إطلاق الرب بلا إضافة»[٤].

* أما إضافة الرب فهي أقسام:

قال الشيخ ابن عثيمين: «إضافة الرب إلى غير الله تعالى تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب، مثل: أطعم ربك، وضيء ربك، فيكره ذلك للنهي عنه، لأن فيه محذورين:

من جهة الصيغة، لأنه يوهم معنى فاسداً بالنسبة لكلمة رب، لأن الرب من

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٩٢٤،٩٢٥ .وانظر القول المفيد ط١-٣/ ٩٧.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٢) بلفظ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» ورواه الترمذي (٣٥٧٩). وأبو داود (١٢٧٧) وابن ماجه (١٢٥١).

(٤) فتح الباري ٥/ ١٧٨.

أسمائه سبحانه، وهو سبحانه يطعم ولا يطعم، وإن كان بلا شك إن الرب هنا غير رب العالمين الذي يطعم ولا يطعم، ولكن من باب الأدب في اللفظ.

من جهة المعني أنه يشعر العبد أو الأمة بالذل، لأنه إذا كان السيد رباً كان العبد أو الأمة مربوباً.

القسم الثاني: أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب، فهذا لا بأس به، كقوله ﷺ في حديث أشراط الساعة، «أن تلد الأمة ربها»، وأما لفظ «ربتها»، فلا إشكال فيه لوجود تاء التأنيث، فلا اشتراك مع الله في اللفظ، لأن الله لا يقال له إلا رب، وفي حديث الضالة وهو متفق عليه: «حتى يجدها ربها».

وقال بعض أهل العلم أن حديث الضالة في بهيمة لا تتعبد ولا تتذلل، فليست كالإنسان، والصحيح عدم الفارق، لأن البهيمة تعبد الله عبادة خاصة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾، وقال في الناس: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ليس جميعهم: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]، وعلى هذا، فيجوز أن تقول: أطعم الرقيق ربه، ونحوه..

القسم الثالث: أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم، بأن يقول العبد: هذا ربي، فهل يجوز هذا؟

قد يقول قائل: إن هذا جائز، لأن هذا من العبد لسيده، وقد قال تعالى عن صاحب يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣] أي: سيدي، ولأن المحذور من قول ﴿رَبِّيٓ﴾ هو إذلال العبد، وهذا منتف، لأنه هو بنفسه يقول: هذا ربي.

القسم الرابع: أن يضاف إلى الاسم الظاهر، فيقال: هذا رب الغلام، فظاهر الحديث الجواز، وهو كذلك ما لم يوجد محذور فيمنع، كما لو ظن السامع أن

السيد رب حقيقي خالق ونحو ذلك...»[١].

٣ - هل النهي للتحريم أم للتنزيه؟

قال البخاري في الصحيح: «باب كراهية التطاول على الرقيق. وقوله: عبدي أو أمتي، وقال الله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾[٢]، [النور:٣٢]. قال الحافظ: «واتفق العلماء على أن النهي في ذلك للتنزيه حتى أهل الظاهر إلا ما سنذكره عن ابن بطال في لفظ «الرب»»[٣].

وقال ابن مفلح في الفروع: «وظاهر النهي التحريم وقد يحتمل أنه للكراهة وجزم به غير واحد»[٤].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن قول عبدي وأمتي إلى فتاي وفتاتي تحفظا عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحذور ولو على وجه بعيد وليس حراماً وإنما الأدب كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التي لا توهم محذورا بوجه فإن الأدب في الألفاظ دليل على كمال الإخلاص خصوصا هذه الألفاظ التي هي أمس بهذا المقام»[٥].

٤ - الفرق بين الرب والسيد:

انظر باب (السيد).

---

(١) القول المفيد ١٠/ ٩٢٥.

(٢) صحيح البخاري ص٤٨٢ باب رقم ١٧.

(٣) الفتح ٥/ ١٧٨.

(٤) الفروع ٣/ ٤١٣.

(٥) القول السديد ص١٣٧.

١٩٧- العدوى*

قال في النهاية: «العدوىٰ اسم من الإعداء، كالرعوىٰ والبقوىٰ من الإرعاء والإبقاء، يقال أعداه الداء يعديه أعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء»(١).

والمراد بالعدوىٰ: انتقال الداء من شخص إلىٰ آخر بسبب اختلاطهما. وقد أبطل الإسلام العدوىٰ المعروفة في الجاهلية لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدىٰ.

قال الإمام البغوي رحمه الله: «العدوىٰ أن يكون ببعير جرب، أو بإنسان برص، أو جذام، فتتقي مخالطته حذرًا أن يعدو ما به إليك، ويصيبك ما أصابه. فقوله: لا عدوىٰ يريد أن شيئاً لا يعدي شيئاً بطبعه، إنما هو بتقدير الله عز وجل، وسابق قضائه، بدليل قوله للأعرابي: «فمن أعدىٰ الأول». يريد أن أول بعير جرب منها، كان جربه بقضاء الله وقدره. لا بالعدوىٰ، فكذلك ما ظهر بسائر الإبل من بعد»(٢).

* **الدليل من السنة**: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا عَدْوَىٰ وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ. فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا فَقَالَ: فَمَنْ أَعْدَىٰ الأَوَّلَ»(٣).

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٥٢، ٥٤. التمهيد لابن عبد البر ٢٤/ ١٩٠، ١٩٦. مصنف عبد الرزاق ١١/ ٢٠٤ ـ ١٠/ ٤٠٤. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣١٠، ٣١١. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٦٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٦٠. تيسير العزيز الحميد ص٤٣٠. فتح المجيد ص٣٤٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢١٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٨١، ط٢-٢/ ٩٧، ومن المجموع ٩/ ٥٦٣،٥٦٢. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٤٢، ١٦٠. معارج القبول ٢/ ٣١٥، ٣١٦. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٨٦. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٨١.

(١) النهاية: «ع د ا».

(٢) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٦٩.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧١٧) (٥٧٧٠)، ومسلم (٢٢٢٠).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «لا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئاً» فقَامَ أَعْرَابِيٌّ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، النُّقْبَةُ مِنْ الْجَرَبِ تَكُونُ بِمِشْفَرِ الْبَعِيرِ أَوْ بِذَنَبِهِ فِي الإبِلِ الْعَظِيمَةِ فَتَجْرَبُ كُلُّهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَا أَجْرَبَ الأَوَّلَ لاَ عَدْوَىٰ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ خَلَقَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ فَكَتَبَ حَيَاتَهَا وَمُصِيبَاتِهَا وَرِزْقَهَا»(١).

قال الإمام البغوي: «والنقبة، أول الجرب حين يبدو، وجمعها نقب»(٢).

وأخرج البخاري ﷺ عن سعيد بن ميناء قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد»(٣).

* **الجمع بين حديث (لا عدوىٰ) وحديث (فر من المجذوم):**

هناك أحاديث يظن أنها عارضت حديث «لا عدوىٰ» وحديث «ثقة بالله وتوكلاً عليه»(٤). وهي ما جاء في بعض روايات الأحاديث «وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد»(٥) وحديث: «لا يورد ممرض علىٰ مصحّ»(٦) وأرسل ﷺ إلىٰ المجذوم: «إنا قد بايعناك، فارجع»(٧).

قال عياض: «اختلفت الآثار في المجذوم، فجاء عن جابر: أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم، وقال: «ثقة بالله وتوكلاً عليه». قال: فذهب عمر وجماعة من السلف إلىٰ الأكل معه، ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ، وممن قال بذلك عيسىٰ بن دينار من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤١٩٨).

(٢) شرح السنة ١٢/ ١٦٩.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (١٨١٧)، وابن ماجه (٣٥٤٢).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٠٧).

(٦) أخرجه مسلم (٢٢٢١).

(٧) أخرجه مسلم (٢٢٣١).

المالكية، قال: والصحيح الذي عليه الأكثر ويتعين المصير إليه أن لا نسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين، وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه علىٰ الاستحباب والاحتياط، والأكل معه علىٰ بيان الجواز»[١].

وقال الإمام البغوي: «قوله «فرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد». قال الإمام: لعله علىٰ معنىٰ قوله عليه السلام: «لا يوردن ممرض علىٰ مصح».

وقيل هو رخصة لمن أراد أن يجتنب عنه، كقوله عليه السلام في الطاعون: «إذا وقع بأرض فلا تقدموا عليه». فمن لم يحترز عنه متوكلا، فحسن، بدليل أنه عليه السلام: «أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة».

وقيل: إن الجذام علّة لها رائحة تسقم من أطال مجالسة صاحبها، ومؤاكلته لاشتمام تلك الرائحة، وكذلك المرأة تضاجع المجذوم في شعار واحد، فربما تجذم من الأذىٰ الذي يصيبها، وقد يظهر ذلك في النسل، وكذلك البعير الجرب يخالط الإبل ويحاكّها، فيصل إليها بعض ما يسيل من جربه فيظهر عليها أثر، وليس هذا من باب العدوىٰ، بل هذا من باب الطب، كما أن أكل ما يعافه الإنسان، واشتمام ما يكره ريحه، والمقام في بلد لا يوافق هواه طبعه يضره، وما يوافقه ينفعه بإذن الله. قال الإمام: ويروىٰ أن أبا بكر كان يأكل مع الأجذم»[٢].

وأحسن ما يقال في هذا ويوجه إليه: ما قاله البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم ونصره الشيخ سليمان بن عبدالله في التيسير.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «عندي في الحديثين مسلك يتضمن إثبات الأسباب والحكم ونفي ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل ووقوع النفي والإثبات علىٰ وجهه، فإن العوام كانوا يثبتون العدوىٰ علىٰ مذهبهم من

---

(١) فتح الباري ١٠/ ١٥٨.

(٢) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧١ - ١٧٣.

الشرك الباطل كما يقوله المنجّمون من تأثير الكواكب في هذا العالم وسعودها ونحوسها كما تقدم الكلام عليهم، ولو قالوا إنها أسباب أو أجزاء أسباب إذا شاء الله صرف مقتضياتها بمشيئته وإرادته وحكمته، وإنها مسخرة بأمره لما خلقت له، وإنها في ذلك بمنزلة سائر الأسباب التي ربط بها مسبباتها، وجعل لها أسباباً أخر تعارضها وتمانعها، وتمنع اقتضاءها لما جعلت أسباباً له، وإنها لا تقضى مسبباتها إلا بإذنه ومشيئته وإرادته، ليس لها من ذاتها ضر ولا نفع، ولا تأثير البتة، إن هي إلا خلق مسخر مصرف مربوب لا تتحرك إلا بإذن خالقها ومشيئته، وغايتها أنها جزء سبب ليست سبباً تاماً، فسببيتها من جنس سببية وطء الوالد في حصول الولد، فإنه جزء واحد من أجزاء كثيرة من الأسباب التي خلق الله بها الجنين، وكسببية شق الأرض، وإلقاء البذر فإنه جزء يسير من جملة الأسباب التي يكوِّن الله بها النبات، وهكذا جملة أسباب العالم من الغذاء، والرواء، والعافية، والسقم، وغير ذلك، وأن الله سبحانه جعل من ذلك سبباً ما يشاء ويبطل السببية عما يشاء، ويخلق من الأسباب المعارضة له ما يحول بينه وبين مقتضاه، فهم لو أثبتوا العدوىٰ علىٰ هذا الوجه لما أنكر عليهم، وأما قضية المجذوم فلا ريب أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد». وأرسل إلىٰ ذلك المجذوم: «إنا قد بايعناك فارجع». وأخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال: «كل ثقة بالله وتوكلاً عليه» ولا تنافي بين هذه الآثار، ومن أحاط علماً بما قدمناه تبين له وجهها، وأن غاية ذلك أن مخالطة المجذوم من أسباب العدوىٰ، وهذا السبب يعارضه أسباب أخر تمنع اقتضاءه، فمن أقواها التوكل علىٰ الله والثقة به، فإنه يمنع تأثير ذلك السبب المكروه، ولكن لا يقدر كل واحد من الأمة علىٰ هذا، فأرشدهم إلىٰ مجانبة سبب المكروه، والفرار والبعد منه، ولذلك أرسل إلىٰ ذلك المجذوم الآخر بالبيعة تشريعا منه للفرار من أسباب الأذىٰ والمكروه، وأن لا يتعرض العبد لأسباب البلاء، ثم وضع يده معه في القصعة فإنما هو سبب التوكل علىٰ الله والثقة

به الذي هو من أعظم الأسباب التي يدفع بها المكروه والمحذور تعليماً منه للأمة دفع الأسباب المكروهة بما هو أقوىٰ منها، وإعلاماً بأن الضرر والنفع بيد الله ﷻ فإن شاء أن يضر عبده ضرّه، وإن شاء أن يصرف عنه الضرّ صرفه، بل إن شاء أن ينفعه بما هو من أسباب الضرر ويضره بما هو من أسباب النفع فعل، ليتبيّن العباد أنه وحده الضار النافع، وأن أسباب الضر والنفع بيديه، وهو الذي جعلها أسباباً، وإن شاء خلع منها سببيتها، وإن شاء جعل ما تقتضيه بخلاف المعهود منها، ليعلم أنه الفاعل المختار، وانه لا يضر شيء ولا ينفع شيء إلا بإذنه، وأن التوكل عليه والثقة به تحيل الأسباب المكروهة إلىٰ خلاف موجباتها وتبين مراتبها وأنها محال[1] لمجاري مشيئة الله وحكمته وأنه سبحانه هو الذي يضر بها وينفع ليس إليها ولا لها من الأمر شيء، وأن الأمر كله لله، وأنها إنما ينال ضررها من علّق قلبه بها ووقف عندها، وتطير بما يتطير به منها، فذلك الذي يصيبه مكروه الطيرة والطيرة سبب للمكروه علىٰ المتطير، فإذا توكل علىٰ الله ووثق به واستعان به لم يصده التطير عن حاجته»[2].

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله: «فأما نهيه ﷺ عن إيراد الممرض، وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول إلىٰ موضع الطاعون ؛ فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالىٰ وجعلها أسباباً للهلاك والأذىٰ، والعبد مأمور باتقاء أسباب البلاء إذا كان في عافية منها، فكما أنه يُؤمر أن لا يُلقي نفسه في الماء أو في النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بأنه يهلك أو يؤذي فكذلك اجتناب مقاربة المريض، كالمجذوم أو القدوم علىٰ بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، والله تبارك وتعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، لا خالق غيره ولا مقدر غيره.. وأما إذا قوي التوكل علىٰ الله والإيمان بقضائه وقدره فقويت

---

(١) جمع محل، وهو المكان.

(٢) مفتاح دار السعادة: ج ٢/ ٢٦٩، ٢٧٢. بتصرف.

النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لا سيما إذا كان فيه مصلحة عامة أو خاصة، وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذي خرجه أبو داود والترمذي ـ رحمهما الله تعالى ـ أن النبي ﷺ: أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: «كل باسم الله، ثقة بالله وتوكلا عليه». وقد أخذ به الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ وروى ذلك عن عمر وابنه وسلمان رضي الله عنهم ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه من أكل السم ومنه مشي سعد ابن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر، فهذا كله لا يصح إلا لخواص من الناس قوي إيمانهم بالله وقضائه وقدره وتوكلهم عليه وثقتهم به»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله: «لا عدوى». أي على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمراض تُعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك، ولهذا قال: «فرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد». وقال: «لا يورد ممرض على صحيح»، وقال في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه». وكل ذلك بتقدير الله»[(٢)].

١٩٨- العذر بالجهل

انظر باب عارض الجهل.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص٦٧، ٦٩، وانظر للاستزادة: ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٣٢.

١٩٩- العراف *

[الكاهن، المنجم، السحر]

العراف في أصل اللغة فعّال صيغة مبالغة من المعرفة وهو الذي يدَّعي معرفة الأمور الغيبية سواء ما استقبل منها أو ما مضى فهو مدع معرفة الغيب الماضي والحاضر.

قال البغوي: «العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «هذا تفسير حسن وظاهره يقتضي أن العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالمسروق والضالة»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: «العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، كالحازر الذي يدعي الغيب أو يدعي الكشف»[(٣)].

---

* الإبانة لابن بطة العكبري ٧٢٩. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣. المحلى بالآثار لابن حزم ٢/ ٣٧٠. تيسير العزيز الحميد ص٤١٥. فتح المجيد ص٣٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٠٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٤٨، ٦٠، ط٢- ٢/ ٧٤ ومن المجموع ٩/ ٥٣٠. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٣٦. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٦٦٣ ـ٦٨٢. نور على الدرب ص٢٢٠، ٢٥١. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٨٣. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٠٦. أحكام الكهانة للمؤلف.

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤١٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٣.

وفي المغني: «قال أحمد في رواية حنبل: والعرافة طرف من السحر والساحر أخبث لأن السحر شعبة من الكفر»[١].

وقال أبو السعادات: «العراف: المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به»[٢].

وهناك من يجعل الكاهن اسما للعراف، وهناك من يفرق بينهما وسوف يأتي الكلام في ذلك آخر هذا الباب إن شاء الله[٣].

* **الدليل من السنة:** عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٤].

وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن بعض أزواج النبي ﷺ: «من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[٥].

وأخرج أهل السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»[٦].

❖ **أحكام وفوائد:**

١- قال الحافظ بعد أن خرج الحديث: «اتفقت ألفاظهم على الوعيد بلفظ حديث أبي هريرة إلا حديث مسلم فقال فيه: «لم يقبل له صلاة أربعين ليلة». ووقع

(١) المغني ٩/ ٣٧.
(٢) النهاية (ع ر ف).
(٣) للاستزادة انظر: باب الكهانة.
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، (٥٨٢١).
(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٧٥٥)(٢٣٦١٠).
(٦) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) وأحمد (٩٥٣٢) والحاكم ١/ ٨ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وسيأتي الكلام عن هذين الحديثين في باب الكهانة.

عند الطبراني من حديث أنس بسند ليّن مرفوعا بلفظ: «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» والأحاديث الأول مع صحتها وكثرتها أولى من هذا»[1].

٢ - الفرق بين الكاهن والعراف:

قال ابن عثيمين: «في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: أن العراف هو الكاهن فهما مترادفان، فلا فرق بينهما[2].

والقول الثاني: أن العراف هو الذي يستدل على معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها، فهو أعم من الكاهن، لأنه يشمل الكاهن وغيره فهما من باب العام والخاص.

والقول الثالث: أن العراف يخبر عن أمور بمقدمات يستدل عليها، والكاهن هو الذي يخبر عما في الضمير، أو عن المغيبات في المستقبل.

فالعراف أعم، أو أن العراف يختص بالماضي والكاهن بالمستقبل فهما متباينان فالظاهر أنهما متباينان، فالكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل والعراف من يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك»[3].

قال البغوي: «فالكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، والعراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها»[4].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٢٨.

(٢) انظر: كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٣، ١٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩ / ٥٥١، وانظر القول المفيد ط١-٢/ ٦٨.

(٤) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢.

وسواء قلنا إن العراف هو الكاهن أو غيره فإنه يجمع بينهما أنهم يستخدمون الشياطين ويستعينون بهم في ادعاء علم الغيب[١].

٣ - حكم الذهاب للكهان والعرافين:

انظر باب الكهانة.

٤ - واجب ولاة الأمر نحو العرافين والكهان:

يجب على ولاة الأمر السعي في إزالة العرافين والكهان والسحرة والمشعوذين وأمثالهم من الرمالين والمنجمين، وذلك أن يقيموا من يردعهم و يتتبع أماكنهم للقضاء عليهم وينكر على من يأتي إليهم.

قال ابن تيمية رحمه الله: «والقيام في ذلك من أفضل الجهاد في سبيل الله»[٢].

وقال شارح الطحاوية: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين... فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك»[٣].

ونقل الشيخ عبد الرحمن بن حسن عن القرطبي قوله: «يجب على من يقدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئا من ذلك في الأسواق، وينكر عليهم أشد النكير، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم، بل هم من الجهال بما في إتيانهم من المحظور»[٤].

---

(١) انظر: كتاب أحكام الكهانة للمؤلف ص٢١ ـ ٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٧.

(٣) شرح الطحاوية ص٧٦٤ مؤسسة الرسالة.

(٤) فتح المجيد ص٢٨٣.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين ونحوهم، ومنع من يتعاطى شيئاً من ذلك في الأسواق وغيرها، والإنكار عليهم أشد الإنكار»[١].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ويجب على ولاة الأمور استتابة هؤلاء فإن تابوا وإلا قتلوا لإراحة المسلمين من شرهم وفسادهم وتنفيذا لحكم الله فيهم»[٢].

٢٠٠- العروة الوثقى

انظر: باب (لا إله إلا الله) في أول باب من الكتاب.

٢٠١- العزائم

انظر: باب (الرقى).

٢٠٢- العزى

العزى صنم في الجاهلية اشتُق اسمه من العزيز وكانت العزى شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف وقيل ببطن نخلة، وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم وبعث إليها رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد فهدمها وكانت قريش ومن أقام بها من العرب يعظمونها وقد مضى الكلام عليها في باب (صنم).

(١) فتاوى وتنبيهات ص٩٥.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص١٠٢. وللاستزادة حول هذا البحث انظر: باب الكهانة.

٢٠٣- العَضْه

فسرها الرسول ﷺ بقوله: «هي النميمة، القالة بين الناس»[١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كنا نسمي السحر في الجاهلية العِضَه»[٢].

قال ابن الأثير: «ومنه الحديث: «أنه لعن العاضِهة، والمسْتَعضِهة» قيل: هي الساحرة والمستسحرة، وسمي السحر عضها لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له»[٣].

وقال القرطبي: «العِضَهُ عند العرب: شدة البَهْت وتمويه الكذب؛ قال الشاعر:

أعـــوذ بربِّـــي مـــن النافثـــا   ت في عِـضَهِ العاضِـه الـمُعـضِه»[٤]

وقد تقدم الكلام عنه في باب السحر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٤.

(٣) النهاية لابن الأثير (ع ض ه).

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٤.

٢٠٤- العقيدة *

على وزن فعيلة، جمعها: فعائل كصحيفة وصحائف، مأخوذة من العقد وهو ربط الشيء. قال ابن منظور: «العقد: نقيض الحل»[١] وأصل استعمالها من الاعتقاد.

وقال البعلي رحمه الله: «الاعتقاد من أفعال القلوب، وافتعال من عقد القلب على الشيء إذا لم يزل عنه وأصله العقد ربط الشيء بالشيء، فالاعتقاد ارتباط القلب بما انطوى عليه ولزمه»[٢].

والعقيدة: ما يدين به الإنسان، يقال: له عقيدة حسنة أي سالمة من الشك.

والعقيدة: إيمان القلب بالشيء وتصديقه به.

والعقيدة والمعتقد: «الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده»[٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الاعتقاد هو: الإقرار بالتصديق والالتزام»[٤].

* **والعقيدة شرعاً**: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وتسمى هذه أركان الإيمان.

قال ابن تيمية رحمه الله: «إذ الاعتقاد في أصول الدين للأمور الخبرية الثابتة التي لا تتجدد أحكامها مثل: أسماء الله وصفاته نفياً وإثباتاً ليست مما يحدث سبب العلم

---

* معجم المناهي اللفظية تحت موضوع (عقيدة). وانظر بحثاً حول هذه الكلمة للأستاذ عبدالصبور شاهين في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر ٢٢/ ٦٨-٧٤ لعام ١٣٨٧هـ. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ٢٦.

(١) لسان العرب ٣/ ٢٩٦.

(٢) المطلع ص٤٠٨.

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٦١٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/ ١٦.

به، أو سبب وجوبه، بل العلم بها ووجوب ذلك مما يشترك فيه الأولون والآخرون، والأولون أحق بذلك من الآخرين، لقربهم من ينبوع الهدىٰ ومشكاة النور الإلهي، فإن أحق الناس بالهدىٰ هم الذين باشرهم الرسول بالخطاب من خواص أصحابه وعامتهم، وهذه العقائد الأصولية من أعظم الهدىٰ، فهم بها أحق»[١].

ولفظة العقيدة تستعمل عند الإطلاق لتدل علىٰ ما يعقد عليه الإنسان قلبه من حق أو باطل. أما عند التقييد، فقد عرف بعض الباحثين المعاصرين العقيدة الإسلامية بقوله: الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح. والتسليم لله تعالىٰ في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ، بالطاعة والتحكيم والاتباع[٢].

❖ **فائدة:**

العقيدة: كلمة مولَّدة ظهرت بعد القرن الرابع وقد استعمل لفظة «الاعتقاد» كثير من الأئمة كالطبري[٣] واللالكائي[٤] والبيهقي[٥] وغيرهم.

وكان الأئمة السابقون يستعملون ما يدل علىٰ هذه اللفظة: كالسنة[٦]، والإيمان،

---

(١) التسعينية ١/ ٢٠٨.

(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل ص٩، ط دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولىٰ نقلا عن الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ٢٧.

(٣) ت ٣١٠ هـ.

(٤) ت ٤١٨ هـ.

(٥) ت ٤٥٨ هـ.

(٦) ومن ذلك كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧هـ.

والشريعة. ومِن أوائل مَنْ استعمل لفظة العقيدة لكتابه هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ، والإمام أبوعثمان إسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث[١].

٢٠٥- العكوف عند القبر والمجاورة عنده

انظر باب: «الاعتكاف عِنْدَ القبور والمشاهد».

٢٠٦- العلم المنافي للجهل

من شروط لا إله إلا الله.

انظر باب: «لا إله إلا الله».

٢٠٧- عمل القلب

انظر: باب (أعمال القلوب).

(١) الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧.

٢٠٨- العيافة*

قال في النهاية:

«**العيافة**: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها»[(١)].

وزجر الطير: أن يتيمّن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار جهة اليمين تيمّن وإن طار إلىٰ جهة اليسار تشاءم.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «زجر الطير له أقسام:

* **فتارة يزجرها للصيد** كما قال أهل العلم في باب الصيد: إن تعليم الطير بأن ينزجر إذا زجر، فهذا ليس من هذا الباب.

* **وتارة يزجر الطير للتشاؤم أو للتفاؤل** ... وهذا من الجبت»[(٢)].

* **الدليل من السنة**: عن قَطَنِ بْنِ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنْ الْجِبْتِ. الطَّرْقُ: الزَّجْرُ، وَالْعِيَافَةُ: الْخَطُّ»[(٣)].

قال ابن الأثير في النهاية: «العيافة زجر الطير ... وهو من عادة العرب كثيراً، وهو كثير في أشعارهم، يقال عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحدس وظن، وبنو أسد يُذْكَرون بالعيافة ويوصفون بها، قيل عنهم إن قوماً من الجن تذاكروا عيافتهم،

---

* شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٥١. تيسير العزيز الحميد ص٤٠٢. فتح المجيد ص٣٢٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٩٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣٠، ط٢-٢/ ٣٧ ومن المجموع ٩/ ٥١٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٢٨. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٥٥. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٥٢٢.

(١) النهاية: (ع ي ف).

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٥١٣ بتصرف. وانظر القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ٣٠.

(٣) سنن أبي داود (٣٩٠٧) (٣٩٠٨)، وأحمد (١٦٠١٠)(٢٠٧٨٩)(٢٠٨٨٠).

فأتوهم فقالوا: ضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف؟ فقالوا لغُلَيِّم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم، ثم ساروا، فلقيهم عقاب كاسرة إحدىٰ جناحيها، فاقشعر الغلام وبكىٰ، فقالوا: مالك؟ فقال: كسرت جناحاً، ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صُرَاحاً، ما أنت بإنسي ولا تبغي لقاحاً»[١].

قال القرطبي رحمه الله بعد أن عرَّف العراف والمنجم: «وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك، وهذا الفن هو العيافة، وكلها يطلق عليها اسم الكهانة»[٢].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وجه كون العيافة من السحر: أن العيافة يستند فيها الإنسان إلىٰ أمر لا حقيقة له، فماذا يعني كون الطائر يذهب يمينا أو شمالا أو أماماً أو خلفا؟ فهذا لا أصل له، وليس بسبب شرعي ولا حسي، فإذا اعتمد الإنسان علىٰ ذلك، فقد اعتمد علىٰ أمر خفي لا حقيقة له، وهذا سحر كما سبق تعريف السحر في اللغة.

وكذلك الطرق من السحر، لأنهم يستعملونه في السحر، ويتوصلون به إليه، والطيرة كذلك، لأنها مثل العيافة تماما تستند إلىٰ أمر خفي لا يصح الاعتماد عليه وسيأتي في باب الطيرة ما يستثنىٰ منه»[٣].

❖ **فائـدة:**

يطلق علىٰ من يصيب بظنِّه «عائفاً» ولا يدخل في النهي ومن ذلك قول ابن سيرين: «إن شُريحاً كان عائفاً».

قال ابن الأثير معلقاً علىٰ ذلك: «أراد أنه كان صادق الحدس والظن كما يقال

---

(١) النهاية لابن الأثير(ع ي ف).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٥١٦، ٥١٧. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ٣٣.

للذي يصيب بظنِّه: ما هو إلا كاهن، وللبليغ في قوله: ما هو إلا ساحر، لا أنه كان يفعل فعل الجاهلية في العيافة»[١].

* الفرق بين العيافة والتطير:

في الحديث عطف الطيرة على العيافة، والعيافة خاصة بالطير فقط، أما الطيرة فتكون بالطير والوحش والزمان والمكان والأشخاص والأرقام، وتكون بالمسموعات والمعلومات والمرئيات.

(١) النهاية لابن الأثير (ع ي ف).

٢٠٩- العيد*

قال الليث: «العيد: كلُّ يومِ مَجمع؛ وسُميَ عيدا لأنهم قد اعتادوه... واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه»[(١)].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ: «إن اعتياد قصد المكان المعين في وقت معين عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع هو بعينه معنىٰ العيد»[(٢)].

وفي فتاوىٰ اللجنة: «العيد اسم جنس يدخل فيه كل يوم يعود ويتكرر يعظمه الكفار أو مكان للكفار لهم فيه اجتماع ديني، وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة فهو من أعيادهم، فليس النهي عن خصوص أعيادهم، بل كل ما يعظمونه من الأوقات والأمكنة التي لا أصل لها في دين الإسلام، وما يحدثونه فيها من الأعمال يدخل في ذلك وكذلك ما قبله وما بعده من الأيام التي هي كالحريم له

---

* شَرحُ السُنَّةِ للبَغوي ١٢/ ٥١٣ ـ ٥٢٥. أحكام القرآن القرطبي ٦/ ٣٦٨. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٢٥ ـ ٤٨٨. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤١٥. شفاء الصدور ص٦٠، ٦١. تيسير العزيز الحميد ص٢٠٠ ـ ٣٥٢. فتح المجيد ص١٧٧ـ٢٩١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٠٥ ـ١٧١. القول المفيد لابن عثيمين ط١ ـ ١/ ٤٥٧، ط٢ ـ ١ / ٣٠٥، ٤٩١، ٥٨٠ ومن المجموع ٩/ ٤٤٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٥٩ ـ ٣/ ٥٩٥. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٨٣. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ١٩٨، ٢٠٧ . الأعياد وأثرها علىٰ المسلمين د. سليمان السحيمي، عيد الحب عبادة وثنية وعادة نصرانية. إعداد كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة. الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٣٣٦. شرح مسائل الجاهلية ص١٢٩. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦٤٨. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٦. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٣٠.

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ١٣١.

(٢) شفاء الصدور ص٦١. وانظر: الاقتضاء ٢/ ٧٣١.

كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله»[٢].

وقد تقدم تفصيل الكلام عن معنى العيد في باب اتخاذ القبور عيداً. والكلام هنا يتعلق بالأعياد الزمانية كما يتعلق بمشابهة الكفار في أعيادهم وأثر ذلك في الولاء والبراء فمعلوم أن أعياد المسلمين هي عيد الفطر، وعيد الأضحى فهذان عيدا السنة أما عيد الأسبوع فيوم الجمعة ولا يشرع مشابهة الكفار في أعيادهم أو ابتداع أعياد أخرى للمسلمين غير ما شرعه الله لهم قال ابن رجب رحمه الله: «وأصل هذا أنه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدا إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدا وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق وهي أعياد، ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وما عدا ذلك فاتخاذه عيدا وموسما بدعة لا أصل له في الشريعة»[٣].

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى في ذكر صفات عباد الله المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾[الفرقان:٧٢]. فقد فسرها جماعة من السلف كابن سيرين ومجاهد والربيع بن أنس رضي الله عنه: بأن الزور هو أعياد الكفار[٤].

* **الدليل من السنة**: ثبت عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه قَالَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الأَضْحَى

---

(١) انظر: الاقتضاء ١/ ٥١٤.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة رقم البيان ٢١٠٤٩ في ١٢ /٨/ ١٤٢٠هـ برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

(٣) لطائف المعارف ١٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٨، ٣٢٩، وتفسير البغوي ٣/ ٢٧٨.

وَيَوْمَ الْفِطْرِ»(١).

وصح عن ثَابِتِ بْنُ الضَّحَّاكِ أنه قَالَ نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إبلاً بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إبلاً ببُوَانَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لاَ. قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لاَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»(٢).

* **قول السلف**: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم»(٣).

وقال رضي الله عنه أيضاً: «اجتنبوا أعداء الله في عيدهم»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «من بنى ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة»(٥). وقد تقدم في باب التشبه بعض الأدلة في ذلك.

❖ **أحكام وفوائد:**

١ - سبب المنع من إقامة غير هذه الأعياد الشرعية حديث أنس السابق.

قال شيخ الإسلام بعد إيراد هذا الحديث: «فوجه الدلالة أن العيدين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ ولاتركهم يلعبون فيهما على العادة بل قال: «إن الله قد أبدلكم بهما بيومين آخرين» والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه، إذ لا

---

(١) سنن أبي داود (١١٣٤)، ومسند الإمام أحمد (١٢٠٢٩، ١٢٨٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٣٤، مصنف عبدالرزاق ١/ ٤١١ (١٦٠٩).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٣٤.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٣٤.

يجمع بين البدل والمبدل منه ؛ ولهذا لا تستعمل هذه العبارة إلا فيما ترك اجتماعهما كقوله سبحانه: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠][١].

ومن الأسباب أيضاً أن إقامة أعياد أخرىٰ والفرح بها يضعف الفرح والسرور بالأعياد الشرعية. قال ابن تيمية: «ومن شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنىٰ عن طعام آخر حتىٰ لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشم وربما ضرَّه أكله أو لم ينتفع به ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلَّت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلىٰ المشروع، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه ويكمل إسلامه. ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن حتىٰ ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلىٰ زيارات المشاهد ونحوها لا يبقىٰ لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن علىٰ أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقىٰ لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقىٰ لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام ونظير هذا كثير»[٢].

وهناك أسباب كثيرة غير ما ذكرنا بسط الكلام عنها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاقتضاء واختصرها الشيخ ابن عثيمين في كتابه مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم[٣].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٢) الاقتضاء ١/ ٤٨٣.

(٣) انظر مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٧/ ١٩٣ وما بعدها.

٢ - والأعيادُ قسمان: زمانية ومكانية:

قال ابن القيم رحمه الله: «والعيد ما يعتاد مجيئه وقصده: من مكان وزمان.

فأما الزمان، فكقوله ﷺ: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى: عيدنا أهل الإسلام»[١].

وأما المكان، فكما روى أبو داود في سننه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة، فقال: «أبها وثن من أوثان المشركين، أو عيد من أعيادهم؟» قالا: لا. قال: «فأوف بنذرك»[٢]. وكقوله: «لا تجعلوا قبري عيداً»[٣]»[٤].

* والأعيادُ المكانية التي ينهى عنها لها صور منها:

اتخاذ القبور عيداً. انظر هذه المسألة في باب: (اتخاذ القبور عيداً).

اتخاذ الآثار عيداً. انظر هذه المسألة في باب: (تتبع آثار الصالحين المكانية).

اتخاذ الأحجار والأشجار ونحوها أعياداً. انظر هذه المسألة في باب:(التبرك).

* والأعيادُ الزمانية المبتدعة كثيرة وهي التي سأبينها في بقية بحثنا هذا، وهي قسمان:

القسم الأول: أعياد مبتدعة ليس فيها تشبُّه كاتخاذ يوم عاشوراء عيداً، ومولد النبي ﷺ، والإسراء و المعراج، والنصف من شعبان، هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهذه الأعياد المبتدعة لا يجوز فعلها ولا إقرارها ولا إظهار الفرح بها ولا الإعانة

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤١٩)، وأحمد (١٧٥١٤)، والترمذي (٧٧٣) وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٧٩٠).

(٤) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٠، ١٩١.

عليها بشيء، وقد بيَّن ذلك أهل العلم وحذروا منها.

قال الحافظ أبوشامة: «قال أهل التعديل والتجريح: ليس في حديث ليلة النصف من شعبان حديث يصح، فتحفظوا عباد الله من مفترٍ يروي لكم حديثاً [موضوعاً] يسوقه في معرض الخير، فاستعمال الخير ينبغي أن يكون مشروعاً من الرسول ﷺ، فإذا صح أنه كذب خرج من المشروعية وكان مستعمله من خدم الشيطان، لاستعماله حديثاً على رسول الله ﷺ لم ينزل الله به من سلطان. ثم قال: ومما أحدثه المبتدعون، وخرجوا به عما وسمه المتشرعون، وجروا فيه على سنن المجوس، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً: الوقيد ليلة النصف من شعبان، ولم يصح فيها شيء عن رسول الله ﷺ ولا نطق بالصلاة فيها»[1].

وقال الشيخ علي محفوظ في معرض كلامه عما يقع من الناس في يوم عاشوراء: «فمن ذلك اعتبارهم له عيداً كالأعياد المرسومة للمسلمين بالتوسعة واتخاذ الأطعمة الخاصة به: وهذا من تلبيس الشيطان على العامة، فقد ثبت أن يهود خيبر هم الذين اتخذوه عيداً وكانت تصومه»[2].

وقال رحمه الله أيضاً في المواسم التي نسبوها للشرع وليست منه: «منها: ليلة الثاني عشر من ربيع الأول يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى، ويسرفون في الوقود فيها، ويرفع القرّاء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسق والفجور، فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة... ومنها ليلة المعراج التي شرف الله تعالى هذه الأمة بما شرع لهم فيها، وقد تفنن أهل هذا الزمان بما يأتونه في هذه الليلة من المنكرات، وأحدثوا فيها من أنواع البدع ضروباً كثيرة كالاجتماع في المساجد،

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص٥٢.

(٢) الإبداع في مضار الابتداع ص٢٦٩.

وإيقاد الشموع والمصابيح فيها، وعلى المنارات مع الإسراف في ذلك»[١].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو كانت ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب، أو ليلة الإسراء والمعراج، يشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادة لأرشد النبي ﷺ الأمة إليه، أو فعله بنفسه، ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمة، ولم يكتموه عنهم وهم خير الناس، وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم، وقد عرفت آنفاً من كلام العلماء أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب، ولا في ليلة النصف من شعبان، فعلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام وهكذا تخصيصها بشيء من العبادة بدعة منكرة، وهكذا ليلة سبع وعشرين من رجب التي يعتقد بعض الناس أنها ليلة الإسراء والمعراج لا يجوز تخصيصها بشيء من العبادة كما لا يجوز الاحتفال بها للأدلة السابقة، هذا لو عُلمت فكيف والصحيح من أقوال العلماء أنها لا تعرف، وقول من قال أنها ليلة سبع وعشرين من رجب قولٌ باطل لا أساس له في الأحاديث الصحيحة»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أما إظهار الفرح في ليلة السابع والعشرين من رجب، أو ليلة النصف من شعبان، أو في يوم عاشوراء، فإنه لا أصل له وينهى عنه ولا يحضر الإنسان إذا دعي إليه لقول النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»، فأما ليلة السابع والعشرين من رجب فإن الناس يدعون أنها ليلة المعراج التي عرج بالرسول ﷺ فيها إلى الله ﷻ، وهذا لم يثبت من الناحية التاريخية، وكل شيء لم يثبت فهو باطل، والمبني على الباطل باطل، ثم على تقدير

(١) الإبداع ص٢٧٢.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ١٩١.

ثبوت أن ليلة المعراج ليلة السابع والعشرين من رجب، فإنه لا يجوز لنا أن نحدِث فيها شيئاً من شعائر الأعياد أو شيئاً من العبادات»[(١)].

أما بدعة المولد فيجمل فيها الكلام الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بقوله: «وقد رددنا هذه المسألة ـ وهي الاحتفال بالموالد ـ إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مماجاء به الرسول ﷺ فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك أيضاً على سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق، وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يُعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة:١١١]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[الأنعام:١١٦]، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد ـ مع كونها بدعة ـ لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٦/ ١٩٣.

ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم بالأولياء»[١].

القسم الثاني: ما فيه تشبه بالكفرة في جعله عيداً.

جاء فتاوى اللجنة الدائمة: «إن الأعياد في الإسلام اثنان فقط هما: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وما عداهما من الأعياد سواءً كانت متعلقة بشخص أو جماعة أو حدث أو أي معنى من المعاني فهي أعياد مبتدعة، لا يجوز لأهل الإسلام فعلها ولا إقرارها، ولا إظهار الفرح بها، ولا الإعانة عليها بشيء ؛ لأن ذلك من تعدي حدود الله ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]، وإذا انضاف إلى العيد المخترع كونه من أعياد الكفار فهذا إثم إلى إثم؛ لأن في ذلك تشبهاً بهم، ونوع موالاةٍ لهم...»[٢].

ويدخل في هذا القسم أعياد الكفار من يهود ونصارى ومجوس وهندوس وغيرها من الديانات كعيد السبت وعيد رأس السنة، وعيد الفصح، وعيد الغفران، واليوبيل بأنواعه الذهبي والفضي والماسي[٣]، وعيد الحب، وعيد الخميس، وعيد الأحد، وعيد ميلاد المسيح، وعيد الشعانين، وعيد الأم، وعيد الميلاد، وعيد النيروز، وعيد المهرجان، وهذان الأخيران قيل: إنهما اليومان اللذان كانت

---

(١) التحذير من البدع للشيخ ابن باز، ص٥، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ١٨٣.

(٢) فتوى اللجنة الدائمة رقم (١٢٠٣) وتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٤٢٠هـ برئاسة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ.

(٣) يقصد باليوبيل الفضي الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة، وبعد مرور خمسين سنة يسمى العيد الذهبي، وبعد مرور خمس وسبعين سنة يسمى العيد الماسي... وهكذا.

الجاهلية تلعب فيهما فأبدلهم الله بهما بالأضحىٰ والفطر[١].

وقد سبق بيان أحكام التشبه بالكفار عموماً وأدلة ذلك من الكتاب والسنة وأقوال العلماء[٢].

٣ - صور للاحتفال بهذه الأعياد:

١ - حضور أعياد المشركين ومشاركتهم في احتفالاتهم بها.

٢ - نقل احتفالاتهم إلىٰ بلاد المسلمين.

٣- موافقتهم في أفعالهم الخاصة بأعيادهم.

قال ابن التركماني في اللمع: «وقال بعض أصحاب مالك: من كسر يوم النيروز بطيخة فكأنما ذبح خنزيراً»[٣].

٤ - إهداؤهم وإعانتهم علىٰ عيدهم ببيع أو شراء أو نحوه.

٥ - إعانة المسلم المتشبه بهم في عيدهم علىٰ تشبهه.

٦ - تهنئتهم بالعيد.

٧- استعمال تسمياتهم ومصطلحاتهم التعبدية.

وقد كره علي ﷺ أن يقول: (نيروزاً) وسماه (فيروزاً)[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما علي ﷺ فكره موافقتهم في اسم يوم العيد الذي ينفردون به فكيف بموافقتهم في العمل؟!»[٥].

وفيما يلي أذكر أقوال العلماء رحمهم الله في تبيين هذه الصور وتوضيحها:

---

(١) انظر: الفتح الرباني ٦/ ١١٩، عون المعبود ٣/ ٤٨٥، وكتاب عيد اليوبيل لبكر أبو زيد ٢٠، ٢٥، ٥٧.

(٢) انظر في ذلك: كتاب عيد الحب، إعداد كلية الدعوة بجامعة أم القرىٰ ص٢٢-٢٨.

(٣) اللمع في الحوادث والبدعة ١/ ٢٩٤.

(٤) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٩/ ٢٣٥.

(٥) الاقتضاء ١/ ٤٥٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نيران ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار زينة، وبالجملة ليس لهم أن يخصوا عيدهم بشيء من شعائرهم، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم، وأما إذا أصابه المسلمون، قصدا فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء، بل قد ذهب طائفة من العلماء إلى كفر من يفعل هذه الأمور لما فيها من تعظيم شعائر الكفر، وقال طائفة منهم: من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيراً»[1].

وقال رحمه الله: «إن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧]، كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه، أما مبدؤها فأقل أحواله أن يكون معصية»[2].

وقال أيضاً: «إنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس، بل عيداً، حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزاد عليه حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣٢٩، ٣٣٠. وانظر للاستزادة الاقتضاء ٢/ ٥٧٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧١، ٤٧٢.

وحياة الكفر، كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام، فيما يفعلونه في أواخر صوم النصارى، من الهدايا والأفراح، والنفقات وكسوة الأولاد، وغير ذلك مما يصير به مثل عيد المسلمين»(١).

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا كان الذبح بمكان كان فيه عيدهم معصية فكيف بمشاركتهم في نفس العيد... وقد كره جمهور الأئمة إما كراهة تحريم أو كراهة تنزيه أكل ما ذبحوه لأعيادهم وقرابينهم إدخالاً له فيما أُهلَّ به لغير الله وما ذبح على النصب، وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم بإهداء أو مبايعة وقالوا إنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئاً من مصلحة عيدهم لا لحماً ولا دماً ولا ثوباً، ولا يعارون دابة ولا يعاونون على شيء من دينهم، لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢]، ثم إن المسلم لا يحل له أن يعينهم على شرب الخمور بعصرها أو نحو ذلك، فكيف على ما هو من شعائر الكفر؟، وإذا كان لا يحل له أن يعينهم هو فكيف إذا كان هو الفاعل لذلك والله أعلم»(٢).

وقال أبو الحسن الآمدي: «لا يجوز شهود أعياد النصارى واليهود، نص عليه أحمد في رواية مهنا، واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [الفرقان:٧٢] قال: الشعانين وأعيادهم»(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فصل: حكم حضور أعياد أهل الكتاب، وكما أنهم لا يجوز لهم إظهاره فلا يجوز للمسلمين ممالاتهم عليه ولا مساعدتهم ولا الحضور

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٧٣، ٤٧٤

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣٣٢.

(٣) أحكام أهل الذمة ٢/ ٧٢١، ٧٢٤ وانظر للاستزادة مسائل الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٣٣٧.

معهم باتفاق أهل العلم الذين هم أهله، وقد صرح به الفقهاء من أتباع الأئمة الأربعة في كتبهم، فقال أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الفقيه الشافعي: ولا يجوز للمسلمين أن يحضروا أعيادهم؛ لأنهم على منكر وزور، وإذا خالط أهل المعروف أهل المنكر بغير الإنكار عليهم كانوا كالراضين به المؤثرين له، فنخشى من نزول سخط الله على جماعتهم فيعم الجميع نعوذ بالله من سخطه، ثم ساق من طريق ابن أبي حاتم حدثنا الأشج ثنا عبدالله بن أبي بكر عن العلاء بن المسيب عن عمرو ابن مرة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قال: لا يمالئون أهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم ونحوه عن الضحاك...»[1].

٤- ومن فتاوى اللجنة نعرض بعض ما بينوه في حكم الاحتفال بحلول عام ٢٠٠٠م (الإفرنجي) وما يتعلق به من أمور:

فأجابت بما يلي: «لا تخلو هذه المناسبة وأشباهها من لبس الحق بالباطل، والدعوة إلى الكفر والضلال، والإباحية والإلحاد، وظهور ما هو منكر شرعا ومن ذلك:

ـ الدعوة إلى وحدة الأديان، وتسوية الإسلام بغيره من الملل والنحل الباطلة، والتبرك بالصليب، وإظهار شعائر الكفر النصرانية واليهودية ونحو ذلك من الأفعال والأقوال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصولة إلى الله وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الإسلام أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالإسلام بإجماع الأمة، هذا فضلاً عن كونه وسيلة من وسائل تغريب المسلمين عن دينهم، وقد استفاضت الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة والآثار في النهي عن مشابهة الكفار فيما هو من خصائصهم ومن ذلك مشابهتهم في أعيادهم واحتفالاتهم بها... وينهى أيضا عن

---

(١) أحكام أهل الذمة ٢/ ٧٢٢.

أعياد الكفار لاعتبارات كثيرة منها:

ـ أن مشابهتهم في بعض أعيادهم يوجب سرور قلوبهم وانشرح صدورهم بما هم عليه من الباطل.

ـ والمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة من العقائد الفاسدة على وجه المسارقة والتدرج الخفي.

ـ ومن أعظم المفاسد أيضا الحاصلة من ذلك: أن مشابهة الكفار في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١]. وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة:٢٢].

بناءً على ما تقدم فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً أن يقيم احتفالات لأعياد لا أصل لها في دين الإسلام ومنها الألفية المزعومة، ولا يجوز أيضا حضورها ولا المشاركة فيها ولا الإعانة عليها بأي شيء كان، لأنها إثم ومجاوزة لحدود الله والله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة:٢].

ولا يجوز لمسلم التعاون مع الكفار بأي وجه من وجوه التعاون في أعيادهم ومن ذلك: إشهار أعيادهم وإعلانها، ومنها الألفية المذكورة ولا الدعوة إليها بأية وسيلة سواء كانت الدعوة عن طريق وسائل الإعلام، أو نصب الساعات واللوحات الرقمية، أو صناعة الملابس والأغراض التذكارية، أو طبع البطاقات أو الكراسات المدرسية، أو عمل التخفيضات التجارية والجوائز المادية من أجلها أو الأنشطة الرياضية أو نشر شعار خاص بها.

ولا يجوز لمسلم اعتبار أعياد الكفار ومنها الألفية المذكورة ونحوها مناسبات سعيدة وأوقات مباركة فتعطل فيها الأعمال وتجري فيها عقود الزواج أو ابتداء الأعمال التجارية أو افتتاح المشاريع وغيرها، ولا يجوز أن يعتقد في هذه الأيام ميزة على غيرها، لأن هذه الأيام كغيرها من الأيام؛ ولأن هذا من الاعتقاد الفاسد الذي لا يغير من حقيقتها شيئا، بل إن هذا الاعتقاد فيها هو إثم على إثم، نسأل الله العافية والسلامة»[١].

ثم بيَّنت أخيراً أنه «شرف للمسلمين التزامهم بتاريخ هجرة نبيهم محمد ﷺ الذي أجمع الصحابة رضي الله عنهم وأرّخوا به بدون احتفال وتوارثه المسلمون من بعدهم منذ أربعة عشر قرنا إلى يومنا هذا. لذا فلا يجوز لمسلم التولي عن التاريخ الهجري والأخذ بغيره من تواريخ أمم الأرض كالتاريخ الميلادي فإنه من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير هذا ونوصي جميع إخواننا المسلمين بتقوى الله حق التقوى وبالعمل بطاعته والبعد عن معاصيه، والتواصي بذلك والصبر عليه اهـ»[٢].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة رقم البيان ٢١٠٤٩ في ١٢/ ٨/ ١٤٢٠هـ برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

(٢) بتصرف رقم البيان ٢١٠٤٩ في ١٢/ ٨/ ١٤٢٠هـ برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

٥ – حكم عيد الميلاد وعيد الأم:

سئل الشيخ ابن عثيمين عن عيد الميلاد للطفل هل يعتبر تشبهاً بالغربيين الكفار، أم أنه ترويح عن النفس وإدخال السرور في قلب الطفل وأهله؟

فأجاب رحمه الله بقوله: «الاحتفال بميلاد الطفل لا يخلو من حالين:

فإما أن يكون عبادة، وإما أن يكون عادة، فإن كان عبادة فهو من البدع في دين الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ التحذير من البدع، وأنها من الضلال، قال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

وإما أن يكون من العادة، وإذا كان من العادة ففيه محذوران:

أحدهما: اعتبار ما ليس بعيدٍ عيداً، وهذا من التقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، حيث أثبتنا عيداً في الإسلام لم يجعله الله ورسوله عيداً، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد للأنصار يومين يلعبون فيهما ويعتبرونهما عيداً، فقال ﷺ: «إن الله أبدلكم بخير منهما: عيد الفطر وعيد الأضحى».

وأما المحذور الثاني: فإن فيه تشبهاً بأعداء الله، فإن هذه العادة ليست من عادات المسلمين، وإنما ورثت من غيرهم، وقد ثبت عنه ﷺ أن من تشبه بقوم فهو منهم، ثم إن كثرة السنين للمرء ليست محمودة إلا في مرضاة الله عز وجل وطاعته، فخير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله»»[1].

*** وسئل الشيخ ابن عثيمين أيضاً عن حكم الاحتفال بما يسمى عيد الأم؟**

فأجاب قائلاً: «إن كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية كلها أعياد بدع حادثة لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح وربما يكون منشؤها من غير المسلمين أيضا، فيكون فيها مع البدعة مشابهة أعداء الله سبحانه وتعالى، والأعياد الشرعية

(١) فتاوى منار الإسلام ١/ ٤٤-٤٥.

معروفة عند الإسلام ؛ وهي عيد الفطر، وعيد الأضحىٰ، وعيد الأسبوع يوم الجمعة وليس في الإسلام أعياد سوىٰ هذه الأعياد الثلاثة، وكل أعياد أحدثت سوىٰ ذلك فإنها مردودة علىٰ محدثيها وباطلة في شريعة الله ﷻ لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود عليه عليه غير مقبول عند الله وفي لفظ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد». وإذا تبين ذلك فإنه لا يجوز في العيد الذي ذكر في السؤال والمسمىٰ عيد الأم، لا يجوز فيه إحداث شيء من شعائر العيد، كإظهار الفرح والسرور، وتقديم الهدايا وما أشبه ذلك، والواجب علىٰ المسلم أن يعتز بدينه ويفتخر به وأن يقتصر علىٰ ما حده الله تعالىٰ ورسوله ﷺ في هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله تعالىٰ لعباده فلا يزيد فيه ولا ينقص منه، والذي ينبغي للمسلم أيضاً ألا يكون إمّعة يتبع كل ناعق بل ينبغي أن يكون شخصيته بمقتضىٰ شريعة الله تعالىٰ حتىٰ يكون متبوعا لا تابعا، وحتىٰ يكون أسوة لا متأسيا، لأن شريعة الله تعالىٰ والحمد لله كاملة من جميع الوجوه كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] والأم أحق من أن يحتفىٰ بها يوما واحدا في السنة، بل الأم لها الحق علىٰ أولادها أن يرعوها، وأن يعتنوا بها، وأن يقوموا بطاعتها في غير معصية الله ﷻ في كل زمان ومكان»[1].

وفي فتاوىٰ اللجنة التي يرئسها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ما نصه: «لا تجوز إقامة الحفلات وتوزيع الهدايا وغيرها بمناسبة مرور سنين علىٰ ولادة الشخص أو فتح محل من المحلات أو مدرسة من المدارس أو أي مشروع؛ لأن هذا من إحداث الأعياد البدعية في الإسلام، ولأن فيه تشبهاً بالكفار في عمل مثل هذه

(١) مجموع فتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٣٠١، ٣٠٢، ١٦/ ١٩٥-١٩٦.

الأشياء، فالواجب ترك ذلك والتحذير منه»[١].

*** وسئل ابن عثيمين رحمه الله عن حكم إقامة الأسابيع كأسبوع المساجد وأسبوع الشجرة؟.**

فأجاب بقوله: «هذه الأسابيع لا أعلم لها أصلاً من الشرع وإذا اتخذت على سبيل التعبد وخصصت بأيام معلومة تصير كالأعياد، فإنها تلتحق بالبدعة ؛ لأن كل شيء يتعبد به الإنسان لله عز وجل وهو غير وارد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فإنه من البدع، لكن الذين نظموها يقولون إن المقصود بذلك هو تنشيط الناس على هذه الأعمال التي جعلوا لها هذه الأسابيع وتذكيرهم بأهميتها، ويجب أن ينظر في هذا الأمر، وهل هذا مسوغ لهذه الأسابيع أو ليس بمسوغ؟»[٢].

٦ - وسئل رحمه الله عن حكم الاحتفال عند تخريج دفعة من حفظة كتاب الله؟ وهل ذلك من اتخاذ الأعياد؟

فأجاب رحمه الله بقوله: «لا بأس بذلك، ولا تدخل في اتخاذها عيداً؛ لأنها لا تتكرر بالنسبة لهؤلاء الذين احتُفِل بهم، ولأن لها مناسبة حاضرة»[٣].

وسئل رحمه الله عن رجل يوجد عنده مؤسسة وسيمر عليه فترة من الزمن بعد أيام سيحتفل بها لإظهار الأعمال التي قام بها، فما توجيه فضيلتكم له في ذلك، هل يفعل أم لا؟ ولماذا؟ وما حكم تهنئته بذلك؟.

فأجاب فضيلته بقوله: «أرى أن لا يفعل ؛ لأني أخشى أن يتخذ ذلك عيداً، كلما حال الحول أقام احتفالاً، ولم يجعل الله لهذه الأمة عيداً يحتفل فيه إلا الفطر، والأضحى، والجمعة عيد الأسبوع، ولها خصائصها، لكن العيدان الأضحى

---

(١) فتاوى اللجنة رقم ٧٧٧٩ بتاريخ ٢٠/ ٣/ ١٤١٦ هـ.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٣٠٠، ١٦/ ١٩٥.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٦/ ١٩١.

والفطر يجوز فيهما اللعب والدف ما لا يجوز في غيرهما، فهذه الأعياد الثلاثة الإسلامية، ولا ينبغي للإنسان أن يتخذ عيداً سواها، ولكنه لا بأس أن الإنسان إذا تم الحول على تجارته وهي مستقيمة، أن يشكر الله تعالى ويحمده عليها، بل هذا من الأمور المطلوبة، أما اتخاذ احتفال، أو عيد، أو عزائم فلا»(١).

٧ - حكم التهنئة بأعياد الكفار:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنّأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه»(٢).

وقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة أنه:«لا يجوز لمسلم التهنئة بأعياد الكفار، لأن ذلك نوع رضى بما هم عليه من الباطل وإدخال للسرور عليهم»(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «تهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعيادهم الدينية حرام بالاتفاق، كما نقل ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ. وإنما كانت تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية حراماً، وبهذا المثابة التي ذكرها ابن القيم لأن فيها إقراراً لما هم عليه من شعائر الكفر، ورضىً به لهم، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر نفسه، لكن يحرم

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٦/ ١٩٨.

(٢) أحكام أهل الذمة.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة رقم البيان ٢١٠٤٩ في ١٢/ ٨/ ١٤٢٠هـ برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ.

علىٰ المسلم أن يرضىٰ بشعائر الكفر أو يهنيئ بها غيره لأن الله تعالىٰ لا يرضىٰ بذلك كما قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٢] وتهنئتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا.. وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام؛ لأن هذا أعظم من تهنئتهم بها لما في ذلك من مشاركتهم فيها»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر أقوال الإمام أحمد في حكم عيادة أهل الكتاب: «فهذه ثلاث روايات منصوصات عن أحمد: المنع، والإذن، والتفصيل. فإن أمكنه أن يدعوه إلىٰ الإسلام ويرجو ذلك منه عاده»(٢).

وذكر دليلاً علىٰ ذلك عيادة النبي ﷺ للغلام اليهودي الذي كان يخدمه ومجيئه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لعمِّه أبي طالب لما حضرته الوفاة ودعوته إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وعيادته لعبدالله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، ثم عقد رحمه الله فصلاً في تهنئتهم بزوجة أو ولد أو قدوم غائب أو عافية أو سلامة من مكروه ونحو ذلك، فقال: «وقد اختلفت الرواية في ذلك عن أحمد، فأباحها مرة ومنعها أخرىٰ، والكلام فيها كالكلام في التعزية والعيادة ولا فرق بينهما، ولكن ليحذر الوقوع فيما يقع فيه الجهال من الألفاظ التي تدل علىٰ رضاه بدينه كما يقول أحدهم: متَّعك الله بدينك أو نيّحك فيه، أو يقول له: أعزَّك الله وأكرمك...»(٣).

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ٤٥، ٤٦.

(٢) أحكام أهل الذمة ١/ ٢٠١.

(٣) أحكام أهل الذمة ١/ ٢٠٥.

٢١٠- الغرباء*

[أهل السنة والجماعة]

قال الرازي: «الغربة الاغتراب تقول: تغرب و اغترب بمعنى فهو غريب... والجمع الغرباء والغرباء أيضا الأباعد»(١).

جاء وصف الغرباء في حديث عَبْد اللهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»(٢).

قال ابن الأثير: «كان في أول أمره ـ يعني الإسلام ـ كالغريب الوحيد الذي لا أهل له عنده، لقلة المسلمين يومئذ، وسيعود غريبا كما كان: أي يقِلُّ المسلمون في آخر الزمان فيصيروا كالغرباء»(٣).

فالغرباء هم أهل الأثر المستمسكون بالسنة يوم ينفض الناس عنها وهم المصلحون وهم الموحدون وهم أهل السنة والجماعة.

* **الدليل من الكتاب:** قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ۝١١٦﴾ [هود.١١٦].

---

* الغرباء للآجري. كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة. مدارج السالكين ٣/ ١٩٨. الدرر السنية ١/ ٤٩٢، ٨/ ٢٣٠، ٢٣٣، ٩/ ٤٤٠، ١٠/ ٥. نور على الدرب لابن باز ص١٦. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ١٤٥.

(١) مختار الصحاح (غ ر ب).

(٢) المسند (٦٦٥٠).

(٣) النهاية لابن الأثير (غ ر ب).

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ»[(١)].

وفي رواية: قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»[(٢)]. وفي رواية: «قيل من الغرباء قال: النزّاع من القبائل»[(٣)]. ورواه أحمد من حديث سعد ابن أبي وقّاص وفيه: «فطوبىٰ يومئذ للغرباء إذا فسد الناس»[(٤)].

وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَىٰ الْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنْ الْحِجَازِ مَعْقِلَ الأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ، إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيباً، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي»[(٥)].

قال ابن الأثير: ««فطوبىٰ للغرباء» أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره، وإنما خصَّهم بها لصبرهم علىٰ أذىٰ الكفار أولاً وآخراً، ولزومهم دين الإسلام»[(٦)].

وقال الذهبي: «قال حزم بن أبي حزم: مر بنا يونس بن عبيد علىٰ حمار ونحن قعود، علىٰ باب ابن لاحق. فوقف. فقال: أصبح من إذا عرف السنة عرفها غريبا، وأغرب منه الذي يُعَرِّفُها»[(٧)].

---

(١) صحيح مسلم (١٤٥) (١٤٦) وأحمد (١٦٨١٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦٨١٠) والآجري في الغرباء ص ١٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨٣) وابن ماجه (٣٩٨٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٤).

(٥) قال الترمذي حديث حسن صحيح (٢٦٣٠).

(٦) النهاية (غ ر ب).

(٧) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٩٢. وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢١.

وقال أيضاً: «قال ابن المبارك، عن سفيان: استوصوا بأهل السنة خيرا، فإنهم غرباء»[١].

وقال الآجري رحمه الله في تفسير قوله ﷺ: «وسيعود غريباً» معناه والله أعلم أن الأهواء المضلة تكثر فيضل بها كثير من الناس ويبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غرباء في الناس[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقوله ﷺ «ثم يعود غريبا كما بدأ» يحتمل شيئين:

أحدهما: أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريباً بينهم ثم يظهر، كما كان في أول الأمر غريباً ثم ظهر، ولهذا قال: «سيعود غريباً كما بدأ» وهو لما بدأ كان غريباً لا يعرف ثم ظهر وعرف، فكذلك يعود حتى لا يعرف ثم يظهر ويعرف. فيقل من يعرفه في أثناء الأمر كما كان من يعرفه أولاً.

ويحتمل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلماً إلا قليل. وهذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة»[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومعنى قول النبي: «هم النزاع من القبائل» أن الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديان مختلفة فهم بين عباد أوثان ونيران وعباد صور وصلبان ويهود وصابئة وفلاسفة. وكان الإسلام في أول ظهوره غريباً وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله غريباً في حيه وقبيلته وأهله وعشيرته، فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نزاعاً من القبائل بل آحاداً منهم، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقاً حتى ظهر الإسلام

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤٩). سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.

(٢) كتاب الغرباء ص ٢٤، ٢٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٩٦،٢٩٥.

وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجاً فزالت تلك الغربة عنهم، ثم أخذ في الاغتراب والترحل حتى عاد غريبا كما بدأ ؛ بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله وأصحابه،هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جداً وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس»[١].

ومع ابتعاد الناس عن آثار هذه النبوة، وانتشار البدع وفشوها وظهور الجهل، وموت السنن واندثارها يصبح أهل السنة والجماعة هم الغرباء، يقول ابن رجب رحمه الله بعد كلام له عن تفرق أهل القبلة بسبب فتنة الشبهات والأهواء المضلة: «فلم ينج من هذه الفرق إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[٢]، وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يُصلِحون ما أفسد الناس من السنة»[٣].

ويقول ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك: «وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات. ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ ؛ فإن نفس ما جاء به: يضاد أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات، والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإرادتهم»[٤]، وقال قبل ذلك: «فهؤلاء هم

---

(١) مدارج السالكين٣/ ٢٩٨.

(٢) أخرجه البخاري (٧١) (٣١١٦) (٣٦٤١) (٧٣١٢) (٧٤٦٠).

(٣) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب الحنبلي ص٢٥،٢٢.

(٤) مدارج السالكين ٣/ ١٩٨.

الغرباء الممدوحون المغبوطون ولقلتهم في الناس جداً سموا غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم الغرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين: هم أشد هؤلاء غربة»(١).

ثم ذكر صفات هؤلاء الغرباء فقال: «ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي ﷺ التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه، وإن كان هو المعروف عندهم. وتجريد التوحيد، وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله، لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم»(٢).

ثم ذكر صفات الواحد منهم فقال: «فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة، لتمسكهم بالبدع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم، غريب في نسبته لمخالفة نسبهم، غريب في معاشرته لهم لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم، وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته لا يجد من العامة مساعدا ولا معينا فهو عالم بين جهّال، صاحب سنة بين أهل بدع، داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع، آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف»(٣).

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ١٩٥، ١٩٦.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ١٩٧.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ١٩٩، ٢٠٠.

وقريبا من كلام ابن القيم: ما ذكره الآجري رحمه الله في كتابه الغرباء حيث قال: «فإذا أراد المؤمن العاقل الذي قد فقهه الله عز وجل في الدين وبصره عيوب نفسه، وفتح له ما الناس عليه، ورزقه معرفة بالتمييز بين الحق والباطل وبين الحسن والقبيح وبين الضار والنافع، وعلم ماله مما عليه، إذ ألزم نفسه العمل بالحق بين ظهراني من قد جهل الحق بل الغالب عليهم اتباع الهوىٰ، لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم، فإذا نظروا إلىٰ من يخالفهم علىٰ طريقتهم ثقل ذلك عليهم فمقتوه وخالفوه، وطلبوا له العيوب، فأهله به متضجرون، وإخوانه به مثقلون، ومعاملوه به غير راغبين في معاملته، وأهل الأهواء علىٰ غير مذهب الحق مخالفون. فصار غريبا في دينه لفساد دين أكثر الخلق، غريبا في معاملته لكثرة فساد معايش أكثر الخلق، غريباً في مؤاخاته وصحبته لكثرة فساد صحبة الناس ومؤاخاتهم، غريبا في جميع أمور الدنيا والآخرة»[1].

(١) كتاب الغرباء ص ٢٦، ٢٧.

٢١١- الغلــــو*

[الإطراء ـ التنطع – حماية التوحيد- التعظيم]

هو مجاوزة الحد والإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد[١].

قال ابن تيمية الغلو: «مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في مدحه أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك»[٢].

وقيل: «يزاد في حبه أو بغضه أو عيبه أو مدحه أو قبوله أو رفضه أو فعله أو تركه بغير حق أو دليل مأثور»[٣].

وعلى هذا فيدخل فيه الترك أيضا فترك الحلال وتحريمه على سبيل التدين ضرب من الغلو[٤].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وضابطه تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان

* التمهيد لابن عبد البر ١/ ١٩٦. الاعتصام ٣/ ٣٠٤. جامع البيان ٩/ ٤١٦. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٧٦، ٢٨٩. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٨٢. الفتح ١٣/ ٢٧٨. تيسير العزيز الحميد ٣٠٦، ٣٣٩. فتح المجيد ٢٤٧، ٢٧٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١٤٦، ١٦٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٣٦٧، ط٢-١/ ٤٦٥، ٥٣٩ ومن المجموع ٩/ ٣٥٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٦. الدرر السنية ١١/ ٢٢١، ١٢/ ١٤٥، ١٥١،فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٩٧،٢٥٤. مجموع فتاوى بن باز ١/ ٩١٠. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ١٧، ١٥٥ . منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ٢٣٢. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة ٤٦٥ للغفيلي. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص٣١،٧٧. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٢٤٥. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٦٨٣، ٨٩٧. الغلو لابن درع. الغلو للويحق. الغلو لعلي الشبل.

(١) فتح المجيد ٢٤٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٨٩.

(٣) انظر تحقيق ذم الغلو للوليد آل فريان مجلة البحوث ٣٧/ ١٧٩.

(٤) الغلو للويحق ص ٨٤.

الذي نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه.٨١]»(١). والإسلام دين العدل والوسطية فهو وسط بين الغلو والتقصير والإفراط والتفريط.

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [النساء.١٧١].

* الدليل من السنة: وفي الصحيح عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح.٢٣]. قال: «صَارَتْ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ فكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ فكَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ،وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لآلِ ذِي الْكَلاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»(٢).

قال ابن القيم: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»(٣).

وقال الشيخ سليمان: «فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً لقرب الشرك بالصالحين من النفوس فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم»(٤).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٢٠). وعبد الرزاق في تفسيره ٢١/ ٣٢٠.

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٣.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٠٦.

تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[١].

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «..وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[٢].

قال شيخنا عبد العزيز بن باز: «وغالب الأمم كفروا بسبب الغلو».

*** ومن الأحاديث المتعلقة بالغلو ما جاء في تعظيم القبور والصالحين والغلو فيها:**

روىٰ مالك في الموطأ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[٣].

وفي رواية: «لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٤].

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ [النجم: ١٩]. قال: «كان يلتّ لهم السّويق فمات فعكفوا علىٰ قبره»[٥]. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: «كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) وأحمد (١٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٥١)، (٣٢٤٨) والنسائي (٣٠٥٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، (٣٠٦٤) وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ١/ ٢٨٩ ومجموع الفتاوىٰ ٣/ ٣٨٣.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٣٧٦). وأخرجه الإمام أحمد (٧٣٥٢) ولم يذكر كلمة (يعبد). وقد استجاب الله جل وعلا دعاء نبيه ﷺ كما قال ابن القيم:

فأجاب رب العلمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجـــدران

حتىٰ غدت أرجـاؤه بدعائه ... في عزة وحـمايـة وصــيان

والحديث المذكور يدل علىٰ أن قبر النبي ﷺ لو عبد لكان وثناً، لكن حماه الله تعالىٰ بما حال بينه وبين الناس، فلا يوصل إليه.

(٤) أخرجه النسائي (٢٠٤٨).

(٥) جامع البيان عن تأويل القرآن ٢٧/ ٣٥.

(٦) أخرجه البخاري (٤٨٥٩).

وعن ابن عباس ﷺ قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[(١)].

وقال ﷺ: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، ويسروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[(٢)].

أحكام وفوائد:

١ - أقسام الغلو:

١ - ما يكون شركاً أكبر: وهو أن يجعل للمخلوق شيئاً من حقوق الله تعالىٰ مثل الذبح والدعاء ونحو ذلك.

٢ - ما يكون شركاً أصغر: كأن يحلف بالنبي ﷺ معظماً له لا كتعظيم الله.

٣ - ما يكون بدعة شنيعة: وقد يجر ذلك إلىٰ الشرك ـ والعياذ بالله ـ، مثل الصلاة عند القبر، والذبح لله عند القبر، والنذر لله عند القبر.

٢ - مظاهر الغلو:

مظاهر الغلو كثيرة نذكر منها علىٰ سبيل المثال:

١ - الغلو في العقيدة: كغلو أهل الكلام في إثبات الصفات ونفيها حتىٰ أدىٰ بهم إما إلىٰ التمثيل أو التعطيل، والوسط مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

٢ - الغلو في العبادات: وذلك بالزيادة علىٰ المأمور به كمجاوزة حصىٰ الخذف في الرمي.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي (٥٠٣٧).

٣- الغلو في المعاملات: وهو التشدد بتحريم كل شيء، وقابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ينمي المال والاقتصاد حتى الربا والغش وغير ذلك.

والوسط أن يقال تحل المعاملات المبنية على العدل وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة.

٤- الغلو في العادات: وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة وعدم التحول إلى ما هو خير منها.

أما إن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقِّي العادات الوافدة [١].

٥- التعصب للأشخاص سواء علماء أو صالحين، أو تعصب لمذاهب فقهية مع ظهور الدليل بخلافه.

والناس في معاملة الصالحين على ثلاثة أقسام:

أ- أهل جفاء: وهم الذين يهضمون حقوق الصالحين وموالاتهم.

ب- أهل غلو: وهم الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

ج- أهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الصحيحة، ولكنهم يبرأون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

٦- الغلو في القبور، وقد ذكرت الأحاديث الواردة في ذلك.

٧- الغلو في التكفير والتفسيق، كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة، وغلو المعتزلة حيث قالوا: إن فاعل الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وهذا التشدد قابله تساهلٌ من المرجئة حيث قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب.

والوسط مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصية مؤمن ناقص الإيمان بقدر المعصية.

---

(١) انظر في ذلك: مجموع فتاوى ابن عثيمين ٧/ ١٨.

قال ابن رجب رحمه الله: «وقوله ﷺ: «القصدَ القصدَ تبلغوا»[١] حث على الاقتصاد في العبادة، والتوسط فيها بين الغلو والتقصير، ولذلك كرره مرة بعد مرة. وفي مسند البزار من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أحسن القصد في الفقر، وما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في العبادة» وكان لمطرف بن عبدالله بن الشخير ابناً قد اجتهد في العبادة، فقال له أبوه: خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السيئتين، وشر السير الحقحقة. قال أبوعبيدة: يعني أن الغلو في العبادة سيئة، والتقصير سيئة، والاقتصاد بينهما حسنة. قال: والحقحقة أن يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعاً به سفره.. ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق»[٢]، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى. فاعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت إلا هرماً، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً» أخرجه حميد بن زنجويه وغيره[٣].

وفي تكريره أمره بالقصد إشارة إلى المداومة عليه، فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة والانقطاع والقصد أقرب إلى الدوام ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ كما قال: «من أدلج بلغ المنزل»[٤]»[٥].

فالأصل في العبادة الإخلاص والمتابعة، قال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، والإمام أحمد (١٠٦٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٣٠٨٣).

(٣) أخرجه البيهقي ٣/ ١٩، وانظر مجمع الزوائد ١/ ٦٢.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

(٥) المحجة في سير الدلجة ضمن مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب ص١٣٤.

«لأن كل عبادة حدها الشرعي ما أمر به الرسول ﷺ من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي... وما خرج أحد عن شريعته وطريقته إلا سلك إحدى الطريقين:

أ- إما جفاء وإعراض.

ب- وإما غلو وإفراط.

وهذه مصائد الشيطان التي يصطاد بها بني آدم، ولهذا حذر سبحانه عن الغلو قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧]»[1].

---

(١) انظر: رسالة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بتحقيق د. الوليد الفريان في مجلة البحوث، العدد ٣٧، ص١٨٦-١٨٧.

٢١٢- الغـول*

الغُول ـ بفتح الغين المعجمة ـ مصدر معناه: البعد والهلاك. وبضم الغين المعجمة اسم، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

قال ابن دريد: «الغيلان عند العرب سحرة الشياطين. وهذا قول الأصمعي. الواحد غول من الجن»(١).

وقال ابن منظور: «الغول ساحرة الجن والجمع غيلان. وقال أبوالوفاء الأعرابي: الغول: الذكر من الجن. فسئل عن الأنثىٰ فقال: هي السعلاة»(٢).

وقال شمر: «قال ابن شميل: الغول شيطان يأكل الناس»(٣).

والغول: جنس من الجن والشياطين، تزعم العرب أنها تضلهم عن الطريق وتهلكم فجاء الحديث بإبطال ذلك كله.

* الدليل من السنة: عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله ﷺ يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «لا عدوىٰ ولا صفر ولا غول» وسمعت أبا الزبير يذكر أن جابراً فسر لهم قوله: «ولا صفر» فقال أبوالزبير: الصفر: البطن. فقيل لجابر: كيف؟

* التمهيد لابن عبدالبر ١٦/ ٢٦٧، ٢٦٨، ١٨/ ٣١٠. الاستذكار لابن عبدالبر ٤/ ٥١. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٣. تسير العزيز الحميد ص٤٣٩. فتح المجيد ص٣٥٢. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢١٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٨٧، ط٢ – ٢/ ١٠٥. ومن المجموع ٩/ ٥٦٩. الدين الخالص لصديق حسن خان ٢/ ١٦٧. كتاب الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي لمشهور حسن سلمان.

(١) جمهرة اللغة ٣/ ١٥٠.

(٢) لسان العرب (غ و ل).

(٣) تهذيب اللغة ٨/ ١٩٤.

قال: كان يقال إنها دواب البطن. قال: ولم يفسر الغول. قال أبوالزبير: هذه الغول التي تغوَّل»[١].

وقد اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «لا غول» على أربعة أقوال:

الأول: أن الغول شيء يخوف به، ولا وجود له [٢].

كما قال الشاعر:

أيقنتُ أن المستحيل ثلاثــة ... الغــول والعنقاء والخل الوفي

وقال آخر:

الغول والخل والعنقاء ثالثة ... أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

قال أبوالسعادات: «الغول أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا، أي: تتلون تلونا في صور شتى وتغوُلهم، أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله»[٣].

الثاني: أن الغول كان موجوداً، ثم رفعه الله ﷻ، وإلى هذا ذهب الطحاوي فقال بعد أن أورد حديث أبي أيوب[٤]: «يحتمل أن يكون الغول قد كان على ما في حديث أبي أيوب. ثم رفعه الله تعالى عن عباده، على ما في حديث جابر، وذلك أولى ما حملت عليه الآثار المروية عن رسول الله ﷺ في هذا، أو فيما أشبهه، ما وجد

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٢٢).

(٢) ذكر مشهور حسن سلمان: أن الدميري نسب هذا القول إلى محققي العلماء ولكن وقع في كلام الدميري اضطراب. انظر: كتاب الغول ص٧٤ وما بعدها فقد جاء حفظه الله بالأقوال الثلاثة مع تفصيلها.

(٣) النهاية (غ و ل).

(٤) قال أبو أيوب ﷺ أنه كان في سهوة له ـ يعني التمر ـ فكانت الغول تجيء فتأخذ... الحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٩٠).

السبيل إلىٰ ذلك، والله تعالىٰ نسأله التوفيق»[١].

الثالث: ما ذهب إليه جمهور العلماء أن قوله ﷺ: «لا غول» ليس معناه نفي الغول عينا، وإبطالها كوناً، وإنما فيه إبطال ما يتحدثون عنها من تغولها، واختلاف تلونها في الصور المختلفة، وإضلالها الناس عن الطريق، وسائر ما يحكون عنها. ودليل ما ذهب إليه الجمهور أنه لم يثبت شرعاً ولا عقلاً ولا اختباراً أن الغيلان تأكل الناس، ولا أنها تظهر لهم في الفيافي والقفار كما كانت تزعم العرب وغير العرب في طور الجهل والخرافات»[٢] وهو المختار.

قال الإمام البغوي رحمه الله: «قوله: «ولا غول» ليس معناه نفي الغول كوناً، وإنما أراد أن العرب كانت تقول: إن الغيلان تظهر للناس في الفلوات في الصور المختلفة، فتضلهم وتهلكهم، ويقال تغول تغولاً. أي: تلون. فأخبر الشرع أنها لا تقدر علىٰ شيء من الإضلال والإهلاك إلا بإذن الله عز وجل، وقد جاء في الحديث: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»»[٣].

وقال النووي رحمه الله: «قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي من جنس الشياطين، فتتراءىٰ للناس وتتغول تغولا، أي تتلون تلونا، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فأبطل النبي ﷺ ذاك. وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها، وقالوا: ومعنىٰ «لا غول» أي لا تستطيع أن تضل أحداً. ويشهد له حديث آخر: «لا غول ولكن السَّعال». قال العلماء: السعالي بالسين المفتوحة والعين المهملتين، وهم سحرة الجن، أي ولكن في الجن سحرة

---

(١) مشكل الآثار ١/ ٣٤٢ مستفاد من كتاب الغول ص٧٨.

(٢) فتح المجيد ص٣٠٧.

(٣) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٣.

لهم تلبيس وتخييل»[(١)].

وقال ابن حجر: «أما الغول فقال الجمهور: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين تتراءىٰ للناس وتتغول لهم تغولا أي: تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، وقد كثر في كلامهم: غالته الغول أي: أهلكته وأضلته فأبطل ﷺ ذلك.

وقيل ليس المراد إبطال وجود الغيلان، وإنما معناه إبطال ما كانت العرب تزعمه من تلون الغول بالصور المختلفة. قالوا: والمعنىٰ، لا يستطيع الغول أن يضل أحداً، ويؤيده حديث: «إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان»[(٢)]. أي: ادفعوا شرها بذكر الله»[(٣)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «المعنىٰ بقوله: «لا غول» أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه. ويشهد له الحديث الآخر «لا غول ولكن السعالي» سحرة الجن. أي: ولكن في الجن سحرةً لهم تلبيس وتخييل. ومنه الحديث: «إذا تغولت الغيلان، فبادروا بالأذان» أي: ادفعوا شرها بذكر الله. وهذا يدل علىٰ أنه لم يرد بنفيها عدمها»[(٤)].

---

(١) شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٤/ ٢١٦، ٢١٧.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٣٢٨)، (١٥١٥٧).

(٣) فتح الباري ١٠/ ١٥٩.

(٤) فتح المجيد ص٣٥٢، ٣٥٣.

٢١٣- الغيب*

الغيب مصدر يستعمل في كل غائب عن الحواس، علم أو لم يعلم.

والإيمان بالغيب من صفات المؤمن كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:١-٣].

قال ابن الأثير: «قد تكرر ذكر علم الغيب، والإيمان بالغيب، وهو كل ما غاب عن العيون، وسواءً كان محصَّلاً في القلوب أو غير مُحصَّل. تقول: غاب عنه غيباً وغيبةً»[1].

يقول الراغب الأصفهاني: «والغيب في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وإنما يعرف بخبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد»[2].

ويقول ابن تيمية: «وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ والغيب الذي يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه

* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٢، ١٦/ ١٨٠، ١٨١، ١٩/ ٢٨. الدرر السنية ١٢/ ١٦١. فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ١١١. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٤٠٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١/ ٦٧، ٥/ ٢٦٧-٢٧٥. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري عبدالله الغنيمان ١/ ١١١. كفر من ادعى علم الغيب لأبي هارون عيسى بن يحيى شريف. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٢٠٨. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٠٠، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٦٩٥، ٨٩٩، ١٠٤١، الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د/ جمال بن أحمد ٢/ ١٦٨، ٤٩٣.

(١) النهاية (غ ي ب).

(٢) المفردات (غ ي ب).

وصفاته، وملائكته، والجنة والنار، فالإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب...»[١].

ويقول السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: «حقيقة الإيمان هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر إنما الشأن في الإيمان بالغيب الذي لم نره ولم نشاهده وإنما نؤمن لخبر الله وخبر رسوله فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أو لم يهتد إليه عقله وفهمه بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية ؛ لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم»[٢].

* **الدليل من الكتاب:** قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

* **الدليل من السنة:** عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلمُ ما في غدٍ إلا الله،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٤١.

ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[١].

ومن هذه الآيات الكريمات والحديث النبوي الشريف يتبين بطلان ما عليه الكهان والعرافون والمنجمون من الدجل والتضليل.

أحكام وفوائد:

١ - كفر من ادعى الغيب:

قال ابن السماك: «خرجت إلى مكة، فلقيني زرارة بن أعين[٢] بالقادسية فقال: لي إليك حاجة وأرجو أن أبلغها بك وعظمها. فقلت: ما هي؟ فقال: إذا لقيت جعفر بن محمد فاقرئه مني السلام، وسله أن يخبرني من أهل الجنة أنا أم من أهل النار؟ فأنكرت عليه. فقال لي: إنه يعلم ذلك. فلم يزل بي حتى أجبته. فلما لقيت جعفر بن محمد أخبرته بالذي كان منه فقال: هو من أهل النار. فوقع في نفسي شيء مما قال. فقلت: ومن أين علمت ذلك. فقال: مَنْ ادَّعى عليَّ أني أعلم هذا، فهو من أهل النار. فلما رجعت لقيني زرارة فأعلمته بقوله فقال: كالَ لك يا أبا عبدالله من جراب النورة. قلت: وما جراب النورة؟ قال: عمل معك بالتقية»[٣].

وقال القرطبي رحمه الله: «من قال: إنه ينزل الغيث غداً وجزم فهو كافر أخبر عنه بأمارة ادَّعاها أم لا. وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم[٤] فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٩).

(٢) زرارة بن أعين الشيباني بالولاء، أبوالحسن، من غلاة الشيعة ورأس الفرقة الزرارية ونسبتها إليه، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر الفرق بين الفرق ص٥٢، الأنساب ٦/ ٢٦٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) وقوله بكفر من يدّعي علم ما في الرحم يتوجه إذا كان ادّعاء مجرداً على سبيل الجزم واليقين، أما ما يكون بواسطة الأجهزة فهذا يقع على شيء محدود كما وضحه الشيخ ابن عثيمين في النقل الذي بعده.

المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون، فلا ريب في كفره أيضاً»[١].

قال المناوي في من صدق الكاهن: «إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر»[٢].

وقال صديق حسن خان رحمه الله: «فمن اعتقد في نبي أو ولي أو جن أو مَلك أو إمام أو ولد إمام أو شيخ أو شهيد أو منجم أو رمال أو جفار أو فاتح فال أو برهمن أو راهب أو جنية أو خبيث أن له مثل هذا العلم، وهو يعلم الغيب بعلمه ذلك فهو مشرك بالله، وعقيدته هذه من أبطل الباطلات وأكذب المكذوبات وهو منكر لهذه الآية القرآنية وجاحد لها»[٣].

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن رجل يدَّعي مشاهدة اللوح المحفوظ فقال: «اللوح المحفوظ لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، هو الذي جعله وهو الذي يطلع عليه، ومن زعم أنه يعلم ما فيه فهو كافر يُستتاب من ولاة الأمر فإن تاب وإلا وجب قتله حماية للمسلمين من شره وفتنته»[٤].

وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: كيف نوفق بين علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ وما جاء في تفسير ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً سأل النبي ﷺ عما تلد امرأته، فأنزل الله الآية وما جاء عن قتادة رحمه الله؟ وما المخصص لعموم قوله تعالى: ﴿مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾؟

فأجاب بقوله: «قبل أن أتكلم عن هذه المسألة أحب أن أبين أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبداً، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة، فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما أن يكون القرآن

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٢، ٣.

(٢) الفيض ٦/ ٢٣.

(٣) الدين الخالص ١/ ٤٢٥، ٤٢٦.

(٤) فتاوى نور على الدرب ص٢٤١.

الكريم غير صريح في معارضته، لأن صريح القرآن الكريم وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبداً.

فإذا تبين ذلك فقد قيل: إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن كان صدقاً فإنه لا يعارض الآية، حيث إن الآية تدل على أمر غيبي هو متعلق علم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنين هي: مقدار مدته في بطن أمه، وحياته، وعمله، ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكراً أم أنثى، قبل أن يخلَّق، أما بعد أن يخلق، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى. وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك.

وأما ما نقله السائل عن ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً سأل النبي، ﷺ عما تلد امرأته، فأنزل الله الآية. فالمنقول هذا منقطع لأن مجاهداً رحمه الله من التابعين.

وأما تفسير قتادة رحمه الله فيمكن أن يحمل على أن اختصاص الله تعالى بعلمه ذلك إذا كان لم يخلق، أما بعد أن يخلَّق فقد يعلمه غيره.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية لقمان: وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء من خلقه. أ.هـ.

وأما سؤالكم عن المخصص لعموم قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فنقول: إن كانت الآية تتناول الذكورة والأنوثة بعد التخليق فالمخصص الحس والواقع، وقد ذكر علماء الأصول أن المخصصات لعموم الكتاب والسنة إما النص، أو الإجماع،

أو القياس، أو الحس، أو العقل وكلامهم في ذلك معروف.

وإذا كانت الآية لا تتناول ما بعد التخليق وإنما يراد بها ما قبله فليس فيها ما يعارض ما قيل من العلم بذكورة الجنين وأنوثته»(١).

٢- أقسام الغيب:

الغيب قسمان:

* غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وهو الخمس المذكورة في آخر سورة لقمان.

* وغيب إضافي نسبي يعلمه قوم ويجهله قوم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان: واقع، ومستقبل.

فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً.

وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من اطلعه الله عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وإذا كان الله أمر نبيه محمد ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟ فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول كفروا بهذا القول، وإن قالوا: هو أشرف. فنقول: لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال الله عز وجل عن نفسه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/ ٦٨.

رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ، أن يعلن للملأ بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠]»[(١)].

وقال الشيخ الغنيمان: «وأما ما جاء عن الأنبياء من الأخبار ببعض المغيبات، كإخبار الرسول ﷺ بما يقع بعده من الفتن؛ والفتوح على أمته، وبعض أشراط الساعة، وكإخبار عيسى عليه السلام بما يأكله بنو إسرائيل، وما يدخرونه في بيوتهم، ونحو ذلك، فإن هذا مما استثناه الله تعالى بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] وهو من معجزاتهم التي تدل على صدقهم»[(٢)].

وفي الفتح: «قال القرطبي: لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة، لهذا الحديث[(٣)]، وقد فسر النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ بهذه الخمس وهو في الصحيح قال: فمن ادعى علم شيء منها غير مسنده إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه»[(٤)].

وفي شرح حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام

(١) شرح الأصول الثلاثة من مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٧. وانظر أيضاً أقسام الغيب في فتاوى اللجنة ٢/ ١١٣.
(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ١/ ١١١.
(٣) انظر فتح الباري شرح حديث رقم (٥٠).
(٤) فتح الباري ١/ ١٢٣، ١٢٤.

قال الحافظ: «وفيه دليل على أن الأنبياء ومن دونهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله إذ لو كان الخضر يعلم كل غيب لعرف موسى قبل أن يسأله»[١].

٣ - مسألة:

علمُ نزول الغيث خاص بالله فهل ينافيه ما نسمع في الإذاعات عن أحوال الطقس وأنه سينزل غداً مطر في جهات معينة؟

والجواب: أنه لا تعارض بينهم لأنه علمهم مستند إلى محسوس لا إلى غيب وسيأتي مزيد تفصيل عنه في باب (الكهانة).

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٢٠.

٢١٤- الفأل*

الفأل: جمع فُؤول وأفؤل: ضد الشؤم. يقال: تفأل وتفاءل وافتأل به.

قال الفيروزآبادي: «الفأل ضد الطيرة»[(١)].

قال ابن الأثير: «الفأل مهموز وهو فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر. يقال: تفاءلت بكذا وتفألت على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً.. ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته».

ومنه الحديث: قيل يا رسول الله، ما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة» وقد جاءت الطيرة بمعنى الجنس، والفأل بمعنى النوع ومنه الحديث: «أصدق الطيرة الفأل»»[(٢)].

فالفأل إنما هو مبني على حسن الظن بالله.

---

* التمهيد لابن عبدالبر ٢٤/ ٧١، ٧٤، ١٩١. الاستذكار لابن عبدالبر ٢٧/ ٢٣٣. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٦٠. مجموع الفتاوى ٢٣/ ٦٧، ٦٨. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٥٧. تيسير العزيز الحميد ص٤٤٠. فتح المجيد ص٣٥٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢١٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٢/ ٨٩، ط٢ - ٢/ ١٠٦ ومن المجموع ٩/ ٥٧١. الدرر السنية ١٠/ ٣٤٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٥٦. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٤. القول السديد من المجموعة ٣/ ٣١. التوكل على الله وعلاقته بالأسباب ص٢٤١. الطير والطيرة في القرآن والسنة. د. سهام وادي. الطيرة والفأل لمحمود بن خليفة جاسم.

(١) القاموس المحيط (ف أ ل).

(٢) النهاية لابن الأثير (ف أ ل).

* **الدليل من السنة: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:** «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة»[١] وفي رواية قال: «الكلمة الطيبة»[٢].

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل، ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن»[٣].

وأخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمةالصالحة يسمعها أحدكم»[٤].

وفي حديث عروة بن عامر الذي أخرجه أبوداود قال: ذكرت الطيرة عند النبي ﷺ فقال: «أحسنها الفأل ولا تردُّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[٥].

أحكام وفوائد:

١ - الفأل الذي يحبه الرسول ﷺ وسبب ذلك:

قال ابن تيمية رحمه الله: «الفأل الذي يحبه ﷺ هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره مثل أن يسمع: يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك. كما لقي في سفر الهجرة رجلاً فقال: «ما اسمك» قال: يزيد. قال: «يا أبا بكر، يزيدُ أمرُنا».. وأما الطيرة بأن يكون قد فعل أمراً متوكلاً على الله أو يعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: ما يتم أو ما يفلح ونحو ذلك؛ فيتطير ويترك الأمر فهذا منهي عنه»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٢٨)، (٢٧٦٧) (٢٩٢٧)، وابن حبان (١٤٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٥٥)، ومسلم (٢٢٢٣).

(٥) أخرجه أبوداود (٣٩١٩).

(٦) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١/ ٢٠٩.

قال ابن الأثير: «وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالىٰ ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم علىٰ خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر، وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء»(١).

قال الحليمي: «إنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء الظن بالله تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن الظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالىٰ علىٰ كل حال»(٢).

٢ - الفرق بين الفأل والطيرة:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي: أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبرئ من التوكل علىٰ الله وفتح علىٰ نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه ويسمعه وذلك قاطع له من مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة:٥] و﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨] فيصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله ويبقىٰ هدفاً لسهام الطيرة ويُساق إليه من كل أوب ويقيّض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه ـ وكم أهلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة ـ فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث علىٰ الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه. فهذا ضد

(١) النهاية لابن الأثير (ف أ ل). وذكر الدميري كلاماً مشابهاً في حياة الحيوان الكبرىٰ ٢/ ٩٨.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٢١٥، تيسير العزيز الحميد ص٤٤١.

الطيرة. فالفأل يفضي بصاحبه إلىٰ الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلىٰ المعصية والشرك، فلهذا استحب ﷺ الفأل وأبطل الطيرة»[١].

وقال رحمه الله: «الفأل والطيرة ـ وإن كان مأخذهما سواء ومجتناهما واحداً ـ فإنهما يختلفان بالمقاصد ويفترقان بالمذاهب، فما كان محبوباً مستحسناً تفاءلوا به وسموه الفأل وأحبوه ورضوه، وما كان مكروهاً قبيحاً منفراً تشاءموا به وكرهوه وتطيروا منه وسموه طيرة؛ تفرقةً[٢] بين الأمرين، وتفصيلاً بين الوجهين.

وسئل بعض الحكماء فقيل له: ما بالكم تكرهون الطيرة وتحبون الفأل؟! فقال: لنا في الفأل عاجل البشرىٰ وإن قصر عن الأمل، ونكره الطيرة لما يلزم قلوبنا من الوجل.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا الفرقان حسن جداً وأحسن منه ما قاله ابن الرومي في ذلك: الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان»[٣].

* فضابط الفرق بينهما:

أن الطيرة عامل في عقد العزم علىٰ المضي أو الترك.

أما الفأل فإن العزم موجود ولكن التفاؤل زاده سروراً وحسن ظن، ولذلك قال الرسول ﷺ: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» ولم يقل يمضي لأجلها أحدكم ـ والله أعلم ـ.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فكل ما يحدثه الإنسان بحركته من تغيير شيء من الأجسام ليستخرج به علم ما يستقبله فهو من هذا الجنس ـ يعني التطير وما يشابهه

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي ٢/ ٢٥، وفتح الباري ١٠/ ٢٥٥.

(٢) في الأصل «تعرفة» ولعله خطأ في الطباعة.

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٤٥.

ـ قال: بخلاف الفأل الشرعي وهو الذي كان يعجبه ﷺ وهو أن يخرج متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الطيبة. وكان يعجبه الفأل ويكره الطيرة لأن الفأل تقوية لما فعله بإذن الله والتوكل عليه، والطيرة معارضة لذلك، فيكره للإنسان أن يتطير، وإنما تضر الطيرة من تطير لأنه أضر بنفسه، فأما المتوكل على الله فلا»[1].

وقال أيضاً: «فهو في كل واحد من محبته للفأل وكراهته للطيرة إنما يسلك مسلك الاستخارة لله والتوكل عليه والعمل بما شرع له من أسباب، لم يجعل الفأل آمراً له وباعثاً له على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، وإنما يأتمر وينتهي عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام..»[2].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وأما الفأل فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد»[3].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله : «والفرق بينهما أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله وليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة»[4].

٣ - هل الفأل من الطيرة؟:

جاء في حديث عروة السابق قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «خيرها الفأل». وليس المراد بأن الفأل من الطيرة المحرمة قال الحافظ: «وقوله: «وخيرها الفأل» قال الكرماني تبعاً لغيره: هذه الإضافة تشعر بأن الفأل من جملة الطيرة، وليس كذلك، بل هي إضافة توضيح»[5].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٨٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٦٧.

(٣) فتح المجيد ص٥٢٦.

(٤) القول السديد ص٨٨.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٢٥.

وقال ابن القيم رحمه الله: «أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخرة ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك وإذنه في الرقية إن لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة»[1].

٤ - أخذ الفأل من المصحف:

قال الدميري: «جزم الإمام القاضي أبوبكر ابن العربي في الأحكام في سورة المائدة بتحريم أخذ الفأل من المصحف ونقله القرافي عن العلامة أبي الوليد الطرطوشي وأقره وأباحه ابن بطة من الحنابلة قال ومقتضى مذهبنا ـ يقصد مذهب الشافعي ـ كراهته»[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأما استفتاح الفأل في المصحف فلم ينقل عن السلف فيه شيء، وقد تنازع فيه المتأخرون وذكر القاضي أبويعلى فيه نزاعاً، وذكر عن ابن بطة أنه فعله، وذكر عن غيره أنه كرهه، فإن هذا ليس الفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ فإنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة»[3].

قال الشيخ سليمان بن حمدان: «وأما التشاؤم بقراءة سورة أو آية من كتاب الله فحرام أيضاً لما تقدم، وهكذا التشاؤم بالأذكار والأدعية المأثورة»[4].

وقد ذكر الشيخ سيدي عبدالله الشنقيطي الفألَ ضمن أنواع علوم الشر، وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي معقباً على ذلك: «ومراده بالفأل: الفأل المكتسب، كأن يريد إنسان التزوج أو السفر مثلاً فيخرج ليسمع ما يفهم منه الإقدام أو

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٤٥.

(٢) حياة الحيوان الكبرى ١/ ٧٢، ٢/ ٩٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٦٦.

(٤) الدرر السنية ١٠/ ٣٤٤.

الإحجام، ويدخل فيه النظر في المصحف لذلك ولا يخفى أن ذلك من أنواع الاستقسام بالأزلام. أما ما يعرض من غير اكتساب كأن يسمع قائلاً يقول: يا مفلح؛ فليس من هذا القبيل كما جاءت به الأحاديث الصحيحة»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل، فإذا نظر ذكر النار تشاءم، وإذا نظر ذكر الجنة قال: هذا فأل طيب فهذا مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام»[٢].

٥ - مسألة:

حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورُئِيَ بِـشرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رُئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها، ورُئِيَ بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رُئي كراهية ذلك في وجهه»[٣].

هذا الحديث يدل على الفأل الحسن ولا يدل على التشاؤم ولابد أن يعلم أن هناك ارتباطاً بين الاسم والمسمى كما قال ابن القيم: «اعلم أن بين الأسماء ومسمياتها ارتباط قدره العزيز القادر وألهمه نفوس العباد، وجعله في قلوبهم بحيث لا تنصرف عنهم وليس هذا الارتباط هو ارتباط العلة بمعلولها، ولا ارتباط المقتضى الموجب لمقتضاه وموجبه، بل ارتباط تناسب وتشاكل اقتضته حكمة الحكيم، فقل أن ترى اسماً قبيحاً إلا وبين مسماه وبينه رابط من القبح، وكذلك إذا تأملت الاسم الثقيل الذي تنفر عنه الأسماع وتنبو عنه الطباع، فإنك تجد مسماه يقارب أو يُلم أن يطابق ولهذا من المشهور على ألسنة الناس أن الألقاب تنزل من

(١) أضواء البيان ٤/ ٤٩٣.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥٦٧. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ٨٦.

(٣) أخرجه أبوداود (٣٩٢٠)، والإمام أحمد (٢٣٣٣٤).

السماء فلا تكاد تجد الاسم الشنيع القبيح إلا على مسمى يناسبه.. والمقصود أن هذه المناسبة تنضم إلى ما جعل الله في طبائع الناس وغرائزهم من النفرة من الاسم القبيح المكروه وكراهته وتطير أكثرهم به، وذلك يوجب عدم ملابسته ومجاوزته إلى غيره، فهذا أصل هذا الباب»(١).

وأما قول النبي ﷺ: «إذا بعثتم إليَّ بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم»(٢).

وما روي عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال لِلقحةٍ تُحلب: «من يحلب هذه؟» فقام رجل: فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: مرة. فقال ﷺ: «اجلس» ثم قال: من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال: ما اسمك؟ فقال الرجل: حرب. فقال له النبي ﷺ: اجلس. ثم قال: «من يحلب هذه؟» فقام رجل فقال له: «ما اسمك؟» قال: يعيش. فقال النبي ﷺ: «يعيش يحلب الناقة»(٣). زاد ابن وهب في جامعه في هذا الحديث: «فقام عمر بن الخطاب فقال: أتكلم يا رسول الله أم أصمت؟ قال: بل اصمت. وأخبرك بما أردت، ظننت يا عمر أنها طيرة، ولا طير إلا طيره، ولا خير إلا خيره، ولكن أحب الفأل»(٤).

فزيادة ابن وهب في جامعه دلت على أن هذا ليس من التطير وإنما تفاؤلاً وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أنه يمكن أن يكون هذا منه ﷺ على سبيل التأديب لأمته، لئلا يتسمَوا بالأسماء القبيحة، وليبادر من أسلم منهم وله اسم قبيح إلى إبداله بغيره من غير إيجاب له ولا إلزام والنفوس السليمة والفطر السليمة تنفر من الاسم القبيح(٥).

---

(١) باختصار من مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٦.

(٢) كنز العمال (١٤٧٧٧)، وأخرجه البزار وقال الحافظ: صحيح. وكذا قال الهيثمي في الزوائد. وانظر: السلسلة الصحيحة ١١٨٦.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٤٧، وابن عبدالبر في التمهيد ٢٤/ ٧١ وقال الهيثمي: إسناده حسن.

(٤) مفتاح دار السعادة ٣/ ٣١٦.

(٥) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٤٨.

٢١٥- الفترة

انظر: باب (أهل الفترة).

٢١٦- الفرقة الناجية

انظر: باب (أهل السنة والجماعة).

فضل التوحيد

انظر: باب (التوحيد وأقسامه).

٢١٧- الفسق*

الفسق في اللغة: الخروج. قال الفيروزابادي: ««الفسق»: بالكسر الترك لأمر الله تعالىٰ والعصيان والخروج عن طريق الحق أو الفجور كالفسوق فسق كنصر وضرب وكرم فسقاً وفسوقاً ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ خروج عن الحق، وفسق جار وعن أمر ربه خرج، والرطبة عن قشرها خرجت كانفسقت قيل ومنه الفاسق لانسلاخه عن الخير»[(١)].

وقال ابن الأثير: «أصل الفُسق: الخُروج عن الاسْتِقامة، والجَوْرُ، وبه سُمِّيَ العاَصِي فاسِقاً، وإنَّما سُمِّيت هذه الحيوانات فَواسِقَ، علىٰ الاسْتِعارة لخُبْثِهنّ. وقيل لخُروجِهنّ من الحُرْمة في الحِلّ والحرَم: أي لا حُرْمةَ لهنّ بحال. ومنه الحديث أنه سَمَّىٰ الفأرةَ «فُوَيْسِقَة» تصغير فاسِقة؛ لخروجها من جُحْرها علىٰ الناس وإفسادِها»[(٢)].

وقال الرازي: «الفِسِّيق: دائم الفسق»[(٣)].

وشرعاً: يقول ابن عطية: «الفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله ﷻ، فقد يقع علىٰ من خرج بكفر، وعلىٰ من خرج بعصيان»[(٤)].

وقال ابن حجر: «الفسق في الشرع الخروج عن طاعة الله ورسوله وهو في عرف الشرع أشد من العصيان»[(٥)].

---

* تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٥٢٦، فتح الباري ١/ ١٣٤، الدرر السنية ١/ ٤٧٠، ٧/ ٥٥٥، ٨/ ١٩٧، ١٠/ ٣٧٤، ١١/ ٤٦٩، المنتقى من فتاوىٰ الشيخ صالح الفوزان ١/ ٢٦٤.

(١) القاموس المحيط (ف س ق).

(٢) النهاية (ف س ق).

(٣) مختار الصحاح (ف س ق)

(٤) تفسير ابن عطية ١/ ١٥٥.

(٥) فتح الباري ١/ ١١٢.

أحكام وفوائد:

١ - أقسام الفسق وأنواعه:

الفسق قسمان: فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة:

جاء عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنه «كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»[١].

وجاء عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] قال: العاصون[٢].

وذكر القسمين الإمام المروزي فقال: «وكذلك الفسق فاحتطنا فسقٌ ينقل عن الملة وفسقٌ لا ينقل عن الملة فيسمى الكافر فاسقاً والفاسق من المسلمين فاسقاً ذكر الله إبليس فقال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ وكان ذلك الفسق منه كفراً وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يريد الكفار دل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة:٢٠]، وسمي القاذف من المسلمين فاسقا ولم يخرجه من الإسلام قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور:٤]، وقال: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] فقال العلماء في تفسير الفسوق ههنا هي المعاصي فكما كان الظلم ظلمين والفسوق فسقين كذلك الكفر كفران، أحدهما ينقل عن الملة، والآخر لا ينقل عنها»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٣٥)، ص٥٩٨، وابن جرير في تفسيره ٦/ ٢٥٦، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٢١، ٥٢٢. وابن أبي حاتم ٤/ ١١٤٢، ١١٤٦، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٣.

(٢) ابن أبي حاتم ٤/ ١١٤٨.

(٣) تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٥٢٦.

وقال الشيخ صالح الفوزان: «الفسق فسقان: فسق ينقل عن الملة وهو الكفر، فيسمى الكافر فاسقاً فقد ذكر الله إبليس فقال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ وكان ذلك الفسق منه كفراً. وقال الله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يريد الكفار. دل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة:٢٠]، ويسمي العاصي من المسلمين فاسقاً ولم يخرجه فسقه من الإسلام قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور:٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] وقال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي[(١)]»[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧] قال الشيخ صالح الفوزان: «ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنواع المعاصي الثلاثة: المعاصي التي تُخرِجُ من الملَّة؛ كالكفر والشِّرك بالله عز وجل، والمعاصي الكبائر التي هي دون الشِّرك والكفر؛ فلا تخرج من الملَّة، ولكنها تُنقِصُ الإيمان نقصًا ظاهرًا؛ كالزِّنى والسَّرقة وشرب الخمر وغير ذلك من الكبائر، وسُمِّيت فسوقًا، وصاحبُها فاسقًا، لأنَّ الفسق معناه الخروج عن طاعة الله عز وجل، وذكر المعاصي التي هي دون الكبائر، ولا تقتضي الفِسقَ، وهي صغائرُ الذُّنوب.

فأخبر سبحانه أنه كرَّهَ هذه الأنواع الثلاثة إلى أهل الإيمان، وحبَّبَ إليهم أنواع الطاعات والقُرُبات»[(٣)].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ١/ ١٣٤.

(٢) كتاب التوحيد ص٢٥.

(٣) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ١/ ٢٤٤.

٢ - تنبيه:

ارتبط الفسق الذي لا ينقل عن الملة بالكبائر كما جاء في التعريفات السابقة وقال النووي رحمه الله: «وأما الفسق فيحصل بارتكاب الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة»[1].

* وضابط الكبيرة عند العلماء:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب»[2].

وتقدم في باب التكفير تعريف الكبيرة وأقوال العلماء في ذلك والأشهر في تعريفها ما ذكره السفاريني رحمه الله أن: «الكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، وزاد شيخ الإسلام: أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن ونحوهما[3]، وقيل ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة»[4].

تعريف الكبيرة[5]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. قال: الكبائر كل ذنب

---

(١) فتاوى النووي ص٢٦١.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٥/ ٤١.

(٣) أو كالتبرؤ من فاعلها، أو قوله ﷺ: «ليس منا..».

(٤) لوامع الأنوار ص٣٦٥.

(٥) انظر شرح مسلم للنووي ٢/ ٨٤-٨٧، مجموع الفتاوى ١١/ ٦٤٥، ٦٥٥، ١/ ٦٥٧. ومدارج السالكين ١/ ٣٢١، ٣٢٧، الجواب الكافي ص١٦٨-١٧١. وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧، ٤١٨. والإنصاف للمرداوي ٢/ ٤٦، والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي ١/ ٥، ١٠. وفتح الباري لابن حجر ١٠/ ٤١٠، ٤١٢. والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٤٩٨، ٥٠٠. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة ص٥٤٠، ٥٤١.

ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب»[١].

وقال القاضي أبويعلى: «وقدحدّ أحمد ـ رحمه الله ـ الكبائر: بما يوجب حدا في الدنيا أووعيداً في الآخرة»[٢].

وقال الماوردي من الشافعية: «الكبيرة ما وجبت فيه الحدود أو توجه إليها الوعيد»[٣].

وقال السفاريني: «والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، وزاد شيخ الإسلام: أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو لعن ونحوهما، وقيل ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة»[٤].

وقال القرطبي في المفهم: «كل ذنب اطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة عقاب أو علق عليه حد أو شدد النكير عليه من القرآن والأحاديث الصحيحة والحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عدها»[٥]، وسوف يأتي فريد بحث عن الكبيرة في باب (الفسق).

وقد تبين أن مرتكب الكبيرة لا يكفر بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله مقررا عقيدة السلف في هذه المسالة: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن امره إلى الله

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٥/ ٤١.

(٢) العدة ٣/ ٩٤٦.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٤١٠.

(٤) لوامع الأنوار ص٣٦٥.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٤١٠، ٤١١ ط. السلفية.

ﷻ إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الاثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده في النار، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»[١].

وفي لوامع الأنوار قال: «قال الحافظ العلامة شمس الدين محمد بن عبد الهادي الحنبلي من بني قدامة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: «أول خلاف حدث في الملة في الفاسق الملي هل هو كافر أو مؤمن؟

فقالت الخوارج: إنه كافر.

وقالت جماعة: إنه مؤمن.

وقالت طائفة المعتزلة: هو لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين وخلدوه في النار.

واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه فسموا معتزلة.

وأما أهل السنة فلم يخرجوه من الإسلام ولم يحكموا عليه بخلود في النار وإنما هو فاسق بكبيرته مؤمن بإيمانه، وهو تحت مشيئة الله تعالى ولهذا قال:

ويفسق المذنب بالكبيرة ... كذا إذا أصر بالصغيرة

لا يخرج المرء من الإيمان ... بموبقات الذنب والعصيان»[٢]

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «ولهذا شرع الله في حق الزاني الحد بالجلد إذا كان بكراً يجلد مائة جلدة ويغرّب عاماً، وهكذا شارب السكر يجلد ولا يقتل، وهكذا السارق تقطع يده ولا يقتل. فلو كان الزنا وشرب السكر والسرقة توجب الكفر الأكبر لقُتلوا لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٣]»[٤].

---

(١) عقيدة أصحاب أهل الحديث من الرسائل الكمالية ص١٠٣، ١٠٤.

(٢) لوامع الأنوار ص٣٦٤.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١٧)(٦٩٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى لابن باز ص ٥٩١.

٣ - التحذير من التفسيق بغير دليل شرعي ولا علم:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إن الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل. فالكافر من جعله الله ورسوله كافراً، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقاً، كما أن المؤمن من جعله الله ورسوله مؤمناً ومسلماً، والعدل من جعله الله ورسوله عدلاً، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها ... والحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع. وأما الأمور التي يستقل بها العقل فمثل الأمور الطبيعية، مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلاني، فإن مثل هذا يعلم بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بقياس أو تجربة»[١].

وقال أيضاً رحمه الله: «هذا مع أني دائماً، ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى. وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، ما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية»[٢].

وقد تقدم تفصيل ذلك في باب (التكفير).

---

(١) منهاج السنة ٥/ ٩٢، ٩٣.

(٢) الفتاوى ٣/ ٢٢٩.

٢١٨- الفطرة

قال الراغب: «أصل الفطر: الشق طولا ويطلق على الوهي وعلى الاختراع وعلى الإيجاد»[١].

قال أبو شامة: «أصل الفطرة: الخلقة المبتدأة»[٢] ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى.١١]. أي المبتدئ خلقهن وقال: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء.٥١]. قال ابن كثير: «أي خلقكم ولم تكونوا شيئا»[٣] . قال ابن الأثير: «الفطرة: أي الابتداء والاختراع، والفطرة الحالة منه كالجِلسة والرِّكْبة»[٤].

* وفي الاصطلاح الشرعي: المراد بالفطرة الإسلام وهو قول السلف.

قال ابن حجر: «وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام، قال ابن عبد البر[٥]: هو المعروف عند عامة السلف. وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم.٣٠] الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر الباب[٦]: اقرؤوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه : «إني خلقت

(١) المفردات (ف ط ر).

(٢) فتح الباري ١٢/ ٤٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٤.

(٤) النهاية و اللسان (ف ط ر).

(٥) انظر قوله في التمهيد ١٨/ ٧٢.

(٦) يعني حديث «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ».

عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم»[١] وقد رواه غيره فزاد فيه «حنفاء مسلمين» ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالىٰ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فعلم أنها الإسلام»[٢] ولما سئل الإمام أحمد عن الفطرة قال: «هي الدين»[٣].

* الدليل من الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم.٣٠].

* الدليل من السنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَىٰ فِيهَا جَدْعَاءَ»[٤].

وفي رواية أبي داود: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ و يُنَصِّرَانِهِ كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء؟ قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بـما كانوا عاملين»»[٥].

وقيل في معنىٰ الفطرة أقوالاً أخرىٰ منها:

العهد والميثاق الذي أخذه الله علىٰ بني آدم وهم في ظهور أبيهم[٦].

وقال ابن المبارك وهو مروي عن الإمام أحمد أن المراد: «ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة»[٧].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٣٦٠).

(٢) فتح الباري ٣/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١/ ١٨١.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٥).

(٥) أبو داود (٤٧١٤).

(٦) معالم السنن ٤/ ٢٩٩، شرح السنة للبغوي ١/ ١٥٨.

(٧) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٤/ ٢٤٦ .فتح الباري ٣/ ٢٩٤.

وقال في هذا شيخ الإسلام: «هذا القول لا ينافي الأول «الإسلام» فإن الطفل يولد سليماً وقد علم الله أنه سيكفر فلا بد أن يصير إلىٰ ما سبق له في أم الكتاب كما تولد البهيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع ... الخ»(١).

وقيل المراد بالفطرة: «الخلقة: أي يولد سالماً لا يعرف كفراً ولا إيمانا ثم يعتقد إذا بلغ التكليف»(٢).

وقد رد هذا القول شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: «وقولكم خلقوا خالين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدًا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر فهذا القول فاسد جداً وأيضاً فالنبي ﷺ شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدعة الأنف ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمودة ولا مذمومة والله أعلم»(٣).

وقيل المراد به: «البداءة التي ابتدأهم عليها»(٤).

وقيل أن المراد: «تمكن الناس من الهدىٰ في أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر علىٰ لزومها، ولم يفارقها إلىٰ غيرها ؛ لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد»(٥).

* **والصواب أن المراد بالفطرة الإسلام**، كما تقدم في نقل ابن عبدالبر الإجماع علىٰ ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾

(١) مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٢٤٦.

(٢) انظر: فتح الباري ٣/ ٢٩٤.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٢٤٤.

(٤) شفاء العليل ص٤٨٠.

(٥) هذا قول الطيبي. قال الحافظ: وإلىٰ هذا مال القرطبي (فتح ٣/ ٢٩٣).

[الأعراف.١٧٢]، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل فإنها أمر بمعروف ونهي عن منكر وإباحة طيب وتحريم خبيث وأمر بعدل ونهي عن ظلم وهذا كله مركوز في الفطرة وكمال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل وهكذا باب التوحيد وإثبات الصفات فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق»[2].

وقال أيضاً: «سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام ولا حاجة لذلك لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية لأن قوله «فأبواه يهودانه..» إلخ محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث «الله أعلم بما كانوا عاملين»»[3].

---

(١) الفتاوى ٤/ ٢٤٥.

(٢) شفاء العليل ابن القيم ٣٠٢.

(٣) فتح الباري ٣/ ٢٩٤.

٢١٩- قاضي القضاة ونحوه *

[احترام أسماء الله]

لله وحده من الأسماء أحسنها ومن الصفات أكملها ومن تسمى باسم يحمل معنى العظمة والكبرياء التي لا تليق إلا به فإنه عند الله من أوضع الناس كقاضي القضاة وشاهان شاه[1] وكملك الملوك، لأن هذا فيه مضاهاة لله، فلذلك صار المتسمي بهذا الاسم من أبغض الناس إلى الله، وأوضعهم عنده. فالتسمي بقاضي القضاة وشاهان شاه ونحوها منافٍ لكمال التوحيد.

* **الدليل من السنة**: وفي الصحيح عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً قَالَ: «أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ» وَقَالَ سُفْيَانُ غَيْرَ مَرَّةٍ: «أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاكِ» قَالَ سُفْيَانُ: يَقُولُ غَيْرُهُ تَفْسِيرُهُ شَاهَانْ شَاهْ[2].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَلِكَ إِلا اللهُ»[3].

قوله أخنع يعني: أوضع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عز وجل عَلَى رَجُلٍ

---

* تيسر العزيز الحميد ص٦١٩. فتح المجيد ص٥٠٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣١٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ٣، ط٢- ٣ / ٥ ومن المجموع ١٠/ ٨٣٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤ / ٤٦١ .منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٨٩. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٨٠.

(١) هو عبارة عند العجم عن ملك الأملاك، وهذا تمثيل لا حصر ويحمل عليه ما شابهه من الألقاب كحاكم الحكام وسلطان السلاطين وسيد السادات وما أشبه ذلك من الألقاب الفخمة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣) وأبو داود (٤٩٦١) والترمذي (٢٨٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٤٣)، وأحمد (٨١٦١).

قَتَلَهُ نبيُّهُ وَقَالَ رَوْحٌ: قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ لا مُلْكَ إلا لِلَّهِ ﷻ»(١).

قال ابن رجب في ذيل الطبقات في آخر ترجمة رزق الله التميمي:

«وذكر ابن الجوزي في تاريخه: أن جلال الدولة أمره أن يكتب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك وخطب له بذلك فنفر العامة، ورجموا الخطباء، ووقعت فتنة وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة فاستفتى الفقهاء، فكتب الصميري:

أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية.

وكتب أبو الطيب الطبري: أن إطلاق ملك الملوك جائز، ويكون معناه ملك ملوك الأرض. وإذا جاز أن يقال قاضي القضاة، وكافي الكفاة، جاز أن يقال ملك الملوك. وكتب التميمي نحو ذلك. وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني. أن القاضي الماوردي منع من جواز ذلك.

قال ابن الجوزي: والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قصد به ملوك الدنيا، إلا أني لا أرى إلا ما رآه الماوردي(٢)؛ لأنه قد صح في الحديث ما يدل على المنع، لكنهم عن النقل بمعزل. ثم ساق حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين.

وابن الجوزي وافق على جواز التسمية بقاضي القضاة ونحوه.

وقد ذكر شيخنا أبوعبد الله ابن القيم وفي معنى ذلك ـ يعني: ملك الملوك ـ كراهية التسمية بقاضي القضاة، وحاكم الحكام، فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى.

وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٣٨٩).

(٢) قال المناوي: «ومنع الماوردي من جواز تلقيب الملك الذي كان في عصره بملك الملوك» فيض القدير ١/ ٢٢٠.

القضاة، وحاكم الحكام قياساً على ما يبغض الله ورسوله من التسمية بملك الملوك. وهذا محض قياس.

قلت: وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي قاضي الديار المصرية وابن قاضيها، يمنع الناس أن يخاطبوا بقاضي القضاة أو يكتبوا له ذلك وأمرهم أن يبدلوا بقاضي المسلمين. وقال: إن هذا اللفظ مأثور عن علي رضي الله عنه.

يوضح ذلك: أن التلقيب بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم. وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم «موبذ موبذان» يعنون بذلك: قاضي القضاة. فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بها والله أعلم»(١).

أحكام وفوائد:

١ - الصحيح تحريم إطلاق ملك الأملاك أو قاضي القضاة:

والسبب في ذلك أن من تسمى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقه إلا الله لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم أو ملك الأملاك إلا الله سبحانه(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقد ألحق أهل العلم بهذا قاضي القضاة وقالوا: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين الذي إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، ويلي هذا الاسم في القبح والكراهة والكذب سيد الناس وسيد الكل، وليس ذلك إلا لرسول الله ﷺ خاصة كما قال: «أنا سيد ولد آدم»(٣)

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٣/ ٨٤، ٨٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٨٣٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٣/ ٣.

(٣) مسلم (٢٢٧٨)، وأبو داود (٤٦٧٣).

فلا يجوز لأحد قط أن يقول عن غيره: هو سيد الناس. كما لا يجوز له أن يقول: أنا سيد ولد آدم ﷺ.

وقال ابن أبي حمزة: يلتحق بملك الأملاك قاضي القضاة، وإن كان قد اشتهر في بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة، وقد سلم أهل المغرب من هذا فاسم كبير القضاة عندهم قاضي الجماعة.

وقد زعم بعض المتأخرين أن التسمي بقاضي القضاة ونحوها جائز واستدل له بحديث: «أقضاكم علي». قال: فيستفاد منه أن لا حرج على من أطلق على قاض أن يكون أعدل القضاة، وأعلمهم في زمانه أقضى القضاة، أو يريد إقليمه، أو بلده. وتعقبه العالم العراقي، فصوب المنع، ورد ما احتج به بأن التفضيل في ذلك وقع في حق من خوطب به، ومن يلتحق بهم، فليس مساوياً لإطلاق التفضيل بالألف واللام. قال: ولا يخفى ما في ذلك من الجرأة وسوء الأدب، ولا عبرة بقول من وُلِّي القضاة فنعت بذلك، فلذ في سمعه واحتال في الجواز، فإن الحق أحق أن يتبع»[1].

٢ - مسألة: إذا أضيفت إلى طائفة معينة، أو بلد معين، أو فن معين ولم نُطلق مثل قاض قضاة المغرب فهذا جائز لأنه ليس فيه مشاركة لله تعالى وقد جاء في المعجم الأوسط للطبراني أن عمر بن الخطاب قال: «أقضانا علي»[2]. فإن كان يُخشى على النفس من العجب ترك ذلك.

٣ - النهي لا ينحصر في التسمي بملك الأملاك:

قال ابن حجر: «وقد تعجب بعض الشراح من تفسير ابن عيينة اللفظة العربية باللفظة الأعجمية وأنكر ذلك آخرون وهو غفلة منهم عن مراده وذلك أن لفظة

(١) تيسير العزيز الحميد ص٦٢٠، ٦٢١.
(٢) ٧/ ٣٥٧، وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩١.

«شاهان شاه» كان قد كثر التسمية به في ذلك العصر فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدّىٰ معناه بأي لسان كان فهو مراد بالذم»[1].

٤ - مسألة: حكم التسمي بأسماء الله.

انظر باب (احترام أسماء الله) في باب (توحيد الأسماء والصفات).

٥ - التسمي بشيخ الإسلام:

قال شمس الدين محمد السخاوي رحمه الله: «أما شيخ الإسلام: فهو يطلق على ما استقرئ من صنيع المعتبرين على المتبع لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مع المعرفة بقواعد العلم والتبحُّر في الاطلاع على أقوال العلماء، والتمكُّن من تخريج الحوادث على النصوص، ومعرفة المعقول والمنقول على الوضع المرضي..».

ثم قال: «ولم تكن هذه اللفظة مشهورة بين القدماء بعد الشيخين: الصديق والفاروق رضي الله عنهما، الوارد وصفهما بذلك عن علي رضي الله عنه فيما ذكره المحب الطبري في «الرياض النضرة»[2] له بلا إسناد، عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، سمعتك آنفاً تقول على المنبر: اللهم أصلحني بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين، فمن هم؟ قال: فاغرورقت عيناه وأهملهما، ثم قال: أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، إماما الهدى وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اقتدى بهما عُصِم، ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم، مَن تمسك بهما فهو من حزب الله، وحزب الله هم المفلحون»[3].

(١) فتح الباري ١٠ / ٦٠٦.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ١/ ٣٧٩ رقم ٢٧٦.

(٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ١/ ٦٥-٦٦.

ثم ذكر من اشتهر بلقب شيخ الإسلام فقال: «واشتهر بها أبوإسماعيل الهروي، واسمه عبدالله بن محمد الأنصاري صاحب كتاب «منازل السائرين» و«ذم الكلام»، وكان حنبلياً، وأبوعلي حسان بن سعيد المنيعي الشافعي، وأبوالحسن علي الهكّاري، قال ابن السمعاني: كان يقال له: شيخ الإسلام، وكان شافعياً أيضاً.

وكذا لُقِّب بها من الحنفية: أبوسعيد الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل السجزي، المتوفى بعد السبعين والثلاثمائة، وأبوالقاسم يونس بن طاهر بن محمد بن يونس البصري، ذكره ابن منده، ومات سنة إحدى عشرة وأربعمائة، والقاضي أبوالحسن علي بن الحسين بن محمد السعدي المتوفى في سنة إحدى وستين وأربعمائة، وربما لُقِّب ركن الإسلام أيضاً، وأبونصر أحمد بن محمد بن صاعد الصاعدي، قال فيه الذهبي: أحد من يقال له: شيخ الإسلام، مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وعلي بن محمد بن إسماعيل بن علي الإسبيجابي، مات سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وتلميذه صاحب «الهداية» برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرغاني مات في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ومحمد بن محمد بن محمد الحُلمي، والعماد مسعود بن شيبة ابن الحسين السِّندي، وأبوسعد المطهر بن سليمان الزنجاني، وسديد بن محمد الحنّاطي.

واشتهر بها الأستاذ أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني الشافعي، لقبه بها ابن السمعاني في «الذيل»، وتاج الدين ابن الفركاح وهو شافعي، ووصف بها ابن دقيق العيد شيخَه ابن عبدالسلام، فقال: هو شيخ الإسلام، وأبوالفرج بن أبي عمر، وهو حنبلي، أول مَنْ ولي قضاء الحنابلة، وابن دقيق العيد، وابن تيمية.

ولم يكن أبوالحجاج المِزِّي يثبتها في عصره لغير ابن تيمية، وابن أبي عمر، والتقيُّ السبكي، وتزايد ظهورها في أيامه وأيام بنيه، خصوصاً بالشام، ثم لقب

السراج البلقيني بها»[١].

وقد أطلق الذهبي في السير على ابن عمر رضي الله عنهما شيخ الإسلام[٢].

كما لقب بهذا اللقب جماعات من أهل العلم منهم ابن المبارك[٣].

ومنهم أحمد بن عبدالله بن يونس اليربوعي، قال الإمام أحمد بن حنبل لرجل سأله: عمَّن أكتب؟ قال: اخرج إلى أحمد بن يونس اليربوعي فإنه شيخ الإسلام[٤].

ولكن هذا اللقب حصل له من الابتذال ما جعل الجهلة يتلقبون به ويوضح لنا شمس الدين السخاوي ذلك بقوله: «وابتُذلت هذه اللفظة، فوصف بها على رأس المائة الثامنة، وما بعد ذلك من لا يُحصى كثرة، حتى صار لقباً لكل من ولي القضاء الأكبر، ولو كان عارياً عن العلم والسن، وغيرهما، بل صار جهلة الموقعين وغيرهم يجمعون جُلَّ الأوصاف التي لا توجد الآن متفرقة في سائر الناس للشخص الواحد، والعجب ممن يُقرُّهم على ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٥].

وقال الشيخ بكر أبو زيد: «وتكره التسمية بكل اسم، أو مصدر، أو صفة مشبهة مضافة إلى لفظ «الدين» أو لفظ «الإسلام» مثل نور الدين، ضياء الدين، سيف الإسلام، نور الإسلام، وذلك لعظيم منزلة هذين اللفظين: «الدين» و«الإسلام» فالإضافة إليهما على وجه التسمية فيها دعوى فجة تطل على الكذب، ولهذا نص بعض العلماء على التحريم، والأكثر على الكراهة، لأن منها ما يوهم معاني غير

(١) الجواهر والدرر ١/ ٦٦، ٦٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٤.

(٣) انظر الجواهر والدرر ١/ ٦٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٥٧، طبقات الحفاظ ١/ ١٧٨، تهذيب التهذيب ص٤٤.

(٥) الجواهر والدرر ١/ ٦٨.

صحيحة مما لا يجوز إطلاقه، وكانت في أول حدوثها ألقابا زائدة عن الاسم، ثم استعملت أسماء، وقد يكون الاسم من هـذه الأسماء منهياً عنه من جهتين، مثل شهاب الدين، فإن الشهاب الشعلة من النار، ثم إضافةُ ذلك إلى الدين، وقد بلغ الحال في أندنوسيا التسمية بنحو: ذهب الدين، ماس الدين، وكان النووي رحمه الله يكره تلقيبه بمحيي الدين، وشيخ الإسلام ابن تيمية يكره تلقيبه بتقي الدين، ويقول: «لكن أهلي لقبوني بذلك فاشتهر»»[1].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وأما التسمي بشيخ الإسلام مثل أن يقال: شيخ الإسلام ابن تيمية، أو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أي أنه الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام فهذا لا يصح إذ أن أبا بكر رضي الله عنه أحق بهذا الوصف لأنه أفضل الخلق بعد النبيين، ولكن إذا قصد بهذا الوصف أنه جدد في الإسلام وحصل له أثر طيب في الدفاع عنه فلا بأس بإطلاقه.

وأما بالنسبة للتسمي بـ «الإمام» فهو أهون بكثير من التسمي بـ «شيخ الإسلام» لأن النبي ﷺ سمى إمام المسجد إماماً ولو لم يكن عنده إلا اثنان. لكن ينبغي أن ينبه أنه لا يتسامح في إطلاق كلمة إمام إلا على من كان قدوة وله أتباع كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ممن له أثر في الإسلام ؛ لأن وصف الإنسان بما لا يستحق هضم للأمة ؛ لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام وهذا إمام هان الإمام الحق في عينه. قال الشاعر:

ألم تـر أن الـسيف يـنقص قـدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العـصا

ومن ذلك أيضاً «آية الله، حجة الله، حجة الإسلام» فإنها ألقاب حادثة لا تنبغي ؛ لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل.

(١) رسالة تسمية المولود ص٥٣، ٥٤.

وأما آية الله فإن أريد المعنى الأعم فلا مدح فيه، لأن كل شيء آية لله كما قيل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وإن أريد المعنى الأخص أي أن هذا الرجل آية خارقة فهذا في الغالب يكون مبالغاً فيه، والعبارة السليمة أن يقال: عالم، مفتٍ، قاض، حاكم، إمام لمن كان مستحقا لذلك»(١).

قال الجنيد: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة. من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يقتدى به»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٨٣٥، ٨٣٦. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٣/ ٥، ٦.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥. تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٣ الخطيب البغدادي. البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ١١٤. سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٧.

٢٢٠- القبور*

[المشاهد ـ زيارة القبور]

المقبرة: تُضم باؤها وتفتح. قال ابن الأثير: «هي موضع دفن الموتى. تقول: أقبرته إذا جعلت له قبراً، وقبرته إذا دفنته»[(١)].

ويرتبط بباب «القبور» مسائل في الشرك الأكبر والشرك الأصغر كما يرتبط أيضاً ببعض البدع والمحرمات وسوف نتكلم عن أهم الأمور المرتبطة به.

١ـ احترام المقابر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر»[(٢)].

قال الشيخ مرعي الحنبلي: «واعلم أن قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة إذ هو بيت المسلم الميت فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق ولا يوطأ ولا يجلس أو يتكأ عليه عند الجمهور من العلماء ولا يفعل عنده ما يؤذي الأموات من الأقوال والأفعال الخبيثة»[(٣)].

وقال ابن باز رحمه الله: «قد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبي على وجوب احترام الموتى من المسلمين وعدم إيذائهم، ولا شك أن المرور عليها بالسيارات

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٨/ ٢٢٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ٣٨٠، ١٦/ ٣٠٧. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٠٦. الدرر السنية ١/ ٢٣٠، ٢٩٧، ٣٦٥، ٢/ ٤٩، ٢٢٣، ٥/ ٨٧، ١٠٩، ٩/ ٤٢٣، ١٠/ ٦١، ١٢/ ٨٥، شفاء الصدور ص٢٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٣٩٩ ومن المجموع ٩/ ٣٨٨.مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٣٩. نور على الدرب لابن باز ص٣١٢. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٣٧. التبرك د: ناصر الجديع ص٤٠٢.

(١) النهاية (ق ب ر).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧١).

(٣) شفاء الصدور ص٢٢.

والمواشي وإلقاء القمامات عليها كل ذلك من الاستهانة بها وعدم احترامها، وكل ذلك منكر ومعصية لله ولرسوله وظلم للأموات واعتداء عليهم.

وقد ثبت عن النبي ﷺ النهي والتحذير عما هو أقل من هذا كالجلوس على القبر أو الاتكاء عليه ونحوه، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» رواه مسلم في صحيحه. وقال النبي ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه وتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر» خرّجه مسلم أيضاً.

وعن عمرو بن حزم قال: رآني رسول الله متكئاً على قبر فقال: «لا تؤذوا صاحب هذا القبر أو لا تؤذه». رواه أحمد.

فالواجب على جميع المسلمين احترام قبور موتاهم وعدم التعرض لها بشيء من الأذى كالجلوس عليها والمرور عليها بالسيارات ونحوها وإلقاء القمامات عليها وأشباه ذلك من الأذى»[1].

* ومن أعظم ما يحترم به أصحاب القبور ترك الغلو فيهم:

قال ابن القيم: «ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم، صراط أهل نعمته ورحمته وكرامته أن النهي عن اتخاذ القبور أوثانا وأعيادا وأنصابا، والنهي عن اتخاذها مساجد، أو بناء المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، وتعفير الجباه في عرصاتها غضٌّ من أصحابها، ولا تنقيص لهم، ولا تنقص. كما يحسبه أهل الإشراك والضلال بل ذلك من إكرامهم، وتعظيمهم، واحترامهم، ومتابعتهم فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليهم ومحبهم وناصر طريقتهم وسنتهم وعلى هديهم ومناهجهم، وهؤلاء المشركون أعصى الناس لهم، وأبعدهم من هديهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى عليهما السلام، والرافضة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٧٤٠.

مع علي رضي الله عنه، فأهل الحق أولىٰ بأهل الحق من أهل الباطل. فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاعلم أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين علىٰ القبور معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه، وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها أعياداً»[(١)].

*** وينبغي التزام السكينة حال السير مع الجنازة:**

قال النووي رحمه الله: «واعلم أن الصواب والمختار وما كان عليه السلف رضي الله عنهم السكوت في حال السير مع الجنازة، فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك، والحكمة فيه ظاهرة وهي أنه أسكن لخاطره وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة، وهو المطلوب في هذا الحال، فهذا هو الحق، ولا تغتر بكثرة من يخالفه، فقد قال أبو علي الفضيل بن عياض رضي الله عنه ما معناه: «الزم طرق الهدىٰ ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين».

وقد روينا في سنن البيهقي ما يقتضي ما قلته ـ يشير إلىٰ قول قيس بن عباد ـ وأما ما يفعله الجهلة من القراءة علىٰ الجنازة بدمشق وغيرها من القراءة بالتمطيط وإخراج الكلام عن مواضعه فحرام بإجماع العلماء، وقد أوضحت قبحه وغلظ تحريمه وفسق من تمكن من إنكاره فلم ينكره في كتاب آداب القراءة. والله المستعان»[(٢)].

وقال الألباني: «ولا يجوز أن تتبع الجنائز بما يخالف الشريعة وقد جاء النص منها علىٰ أمرين: رفع الصوت بالبكاء واتباعها بالبخور، وذلك في قوله ﷺ: «لا

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٣.

(٢) الأذكار ص٢٠٣.

تتبع الجنازة بصوت ولا نار»[١] ... ويلحق بذلك رفع الصوت بالذكر أمام الجنازة، لأنه بدعة، ولقول قيس بن عباد: «كان أصحاب النبي ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز». أخرجه البيهقي ٤/ ٧٤ بسند رجاله ثقات.

ولأن فيه تشبهاً بالنصارىٰ فإنهم يرفعون أصواتهم بشيء من أناجيلهم وأذكارهم مع التمطيط والتلحين والتحزين.

وأقبح من ذلك تشييعا بالعزف علىٰ الآلات الموسيقية أمامها عزفاً حزيناً كما يفعل في بعض البلاد الإسلامية تقليداً للكفار. والله المستعان»[٢].

٢ ـ زيارة القبور: وتنقسم إلىٰ زيارة بدعية، وزيارة شركية وزيارة شرعية وقد تقدم الكلام عنها وعن حكم زيارة قبر المشرك في باب (زيارة القبور).

٣ ـ زيارة النساء للقبور: تقدم الكلام عن منع ذلك وذكرنا أقوال العلماء في باب (زيارة النساء للقبور).

٤ ـ منشأ وبداية عبادة القبور[٣]:

قال ابن القيم: «ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا

---

(١) أبو داود (٣١٧١).

(٢) أحكام الجنائز ص٧١،٧٠.

(٣) للاستزادة حول منشأ عبادة القبور انظر: مصنف عبدالرزاق ٨/ ٤٦٤، الاستذكار لابن عبدالبر ٢/ ١٦٠، التمهيد لابن عبدالبر ٣/ ٥٠٢، ٢٠/ ١٦٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٥/ ٤١، المحلىٰ بالآثار لابن حزم ٢/ ٣٤٥، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٢٢، ٢/ ٦٣٧-٦٥٣-٦٧٣، الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٨١، تيسير العزيز الحميد ص٣٢٠، فتح المجيد ص ٢٥٩، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٥٣، القول المفيد ١/ ٥٠٥، القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٧، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ١٠٠، معارج القبول ١/ ٣٨٨، فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٢٥٧، مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٧٣١، نور علىٰ الدرب ص٢٧٦-٢٨٢، مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٢٢٧، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص٤٤٥، الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٤٤١، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للأحمدي ٢/ ١٧٠، التبرك د. ناصر الجديع ص٣١٨، عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ص١٧٣.

من لم يرد الله تعالىٰ فتنته ما أوحاه قديماً وحديثاً إلىٰ حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتىٰ آل الأمر فيها إلىٰ أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم، واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها ظل، ثم جعلت أصناماً، وعبدت مع الله تعالىٰ. وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه، حيث يقول تعالىٰ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح.٢١_٢٤].

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسىٰ حدثنا هشام عن ابن جريج قال: قال عطاء عن ابن عباس: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت».

وقال غير واحد من السلف: «كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل. وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله ﷺ في الحديث المتفق علىٰ صحته عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، يقال لها مارية، فذكرت له

ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى». وفي لفظ آخر في الصحيحين: «أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها» .

فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور، وهذا كان سبب عبادة اللات.

فروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾. قال كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره»، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان يلت السويق للحجاج».

فقد رأيت أن سبب عبادة ود ويغوث ويعوق ونسر واللات إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها كما أشار إليه النبي ﷺ.

قال شيخنا: «وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك. فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك. فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا نجد أهل الشرك كثيرا يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المسجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها، لأنها أوقات يقصد المشركون الصلاة فيها للشمس، فنهى أمته عن

الصلاة حينئذ وإن لم يقصد المصلي ما قصده المشركون سداً للذريعة»»[١].

* استمرار عمل المشركين مع قبورهم في أمة محمد ﷺ:

بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد لهذه المسألة وقررها بالأدلة وتولاها شُراح الكتاب بالتوضيح والتبيين فقال الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ: «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان» ثم ذكر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء.٥١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة.٦٠]. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف.٢١]

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟»[٢].

وروى الإمام أحمد عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»[٣].

وفي حديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ أَوْ قَالَ: إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٢-١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)(٧٣٢٠).

(٣)الإمام أحمد (١٧٢٦٥).

مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ وَلا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَلا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا ـ حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ قَالَ ابْنُ عِيسَىٰ ظَاهِرِينَ ثُمَّ اتَّفَقَا لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[1].

وإذا نظرت إلىٰ مبدأ عبادة الأوثان في الخلق وقارنتها بهذه النصوص ثم نظرت إلىٰ حال عباد القبور اليوم تبين لك الخطر العظيم والشرك الوخيم الذي يتقطع له قلوب المؤمنين حسرة وألماً، وأقل ما في هذه النصوص بيان أن الشرك كائن في هذه الأمة فقد أخبر ﷺ أن جماعات من أمته ستعبد الأوثان فالحذر الحذر يا أمة محمد ﷺ.

٥ ـ حكم عبادة الله عند القبور:

أفرد الشيخ محمد بن عبدالوهاب لذلك باباً خصّه بما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده.

قال في التيسير: «أي: عبد القبر أو الرجل الصالح»[2]. وقد تقدم ذكر الأحاديث في النهي عن ذلك[3].

(١) أبو داود (٤٢٥٢) وابن ماجه (٣٩٥٢) وأصله في مسلم (٢٨٨٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٣١٩. ط. المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: باب اتخاذ القبور المساجد.

ومن أنواع العبادات التي يكثر الوقوع فيها هناك:

الصلاة عند القبر والذبح عنده والطواف به أو التمسح أو التوسل إلى الله بأهلها، أو الغلو في أهلها وتعظيمهم، أو ما يكون من العبادات المالية كالصدقة عند وضعه في القبر، أو تحري الدعاء عندها.

وقد يصل بهم الحال إلى الشرك بالميت كالذبح للقبر[١]، أو النذر له[٢]، أو دعاء أهل القبور، و الاستغاثة بهم.

قال ابن القيم رحمه الله: «ومنها أن الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور: إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين على أنفسهم وإلى الميت، ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له»[٣].

وحكم الدعاء عند القبر على قسمين:

الأول: أن يحصل الدعاء في البقعة بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها فهذا لا بأس به.

الثاني: أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا النوع منهي عنه. كما قرر ذلك ابن تيمية[٤].

---

(١) انظر: باب الذبح.

(٢) انظر: باب النذر.

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٩.

(٤) الاقتضاء ٢/ ٦٨٣.

ومن العبادات كذلك عبادة القلب التي تصحب القبوريين حال الزيارة من خوف وخشية ورغبة ورهبة وإذعان وخشوع حتىٰ إن أحدهم ليوجل هناك ويخشع أشد من خشوعه أمام ربه، ومما يصاحب ذلك من اعتقادات فاسدة: اعتقادهم في كثير من أضرحة الأولياء اختصاصات كاختصاصات الأطباء، فمنهم من ينفع في مرض العيون، ومنهم من يشفي من مرض الحمىٰ[1]. حتىٰ قال بعضهم: قبر معروف الترياق المجرب.

ومن المظاهر الشركية اعتقاد بعضهم أن القبر الصالح إذا كان في قرية: أنهم ببركته يرزقون وينصرون، ويقولون: أنه حضر البلد، كما يقولون: السيدة نفيسة خفيرة القاهرة، والشيخ رسلان خفير دمشق، وفلان وفلان خفراء بغداد وغيرها[2].

وكذلك تقديس ما حول القبر من شجر وحجر، واعتقاد أن من قطع شيئاً من ذلك يصاب بأذىٰ[3]، فهذه كلها داخلة في أعمال القلوب التي يجب صرفها لله وحده ولا يشرك معه غيره لا يشرك معه قبر أو صنم أو وثن كما يجب الاعتقاد الجازم بأن البركة من الله وحده والنماء والزيادة والعافية منه سبحانه، لا يدفع الضر والبلاء إلا هو، ولم يشرع اتخاذ القبور أسباباً لعبادته بل حذر منها ولعن فاعليها، نعوذ بالله من الشرك كله دقه وجله، وصغيره وكبيره. وهذه أمثلة فقط لبعض أنواع العبادات التي يجب علىٰ العبد صرفها لله وحده رزقنا الله الإخلاص في التوحيد والديمومة عليه والثبات علىٰ ذلك حتىٰ نلقاه غير مبدلين ولا مبتدعين.

(١) للاستزادة انظر: الرد علىٰ البكري ص٢٣٢-٢٣٣، أحكام الجنائز للألباني ص٢٦١ رقم ١٦٧، معجم البدع ص١٥.

(٢) الرد علىٰ الأخنائي ص٨٢، أحكام الجنائز للألباني ص٢٦١ رقم ١٦٦.

(٣) أحكام الجنائز للألباني ص٢٦١ رقم ١٧٠.

مسألة: الدعاء عند قبر النبي ﷺ:

سبق الكلام عنها في باب الدعاء كما تكلمنا هناك عن هيئة الداعي عند قبر النبي ﷺ.

٦ ـ البدع عند القبور:

أما البدع فكثيرة متنوعة ومنها ما هو بدعة كفرية كفر أكبر ومنها ما هو دون ذلك.

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: «قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس، قال: وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعبّاد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانا وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم، وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه لما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

ورأيت لأبي الوفاء بن عقيل في ذلك فصلاً حسناً، فذكرته بلفظه، قال: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٠٧ وانظر أيضاً للاستزادة زيارة القبور الشرعية والشركية لمحي الدين البركوي الحنفي، ص٧٧.

وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرِّقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يُقبِّل مشهد الكف، ولم يتمسَّح بآجُرَّة مسجد الملموسة يوم الأربعاء، ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبو بكر، أو محمد وعلي، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر، ولم يُخرّق ثيابه إلى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر. انتهى»[١].

* ومن البدع المتعلقة بالقبور:

١ ـ اتخاذ القبور مساجد وقد تقدم في باب (اتخاذ القبور مساجد).

٢ ـ اتخاذ القبور عيدا وقد تقدم في باب (اتخاذ القبور عيداً).

٣ ـ إيقاد السرج على القبور وقد تقدم في باب (إيقاد السرج على القبور).

٤ ـ البناء على القبور وقد تقدم في باب (البناء على القبور).

٥ ـ شد الرحال إلى القبور وقد تقدم في باب (شد الرحال إلى القبور).

٦ ـ الكتابة على القبر: انظر باب (الكتابة على القبر).

٧ ـ وضع الغرس على القبر [٢]:

قال الألباني رحمه الله: «ولا يشرع وضع الآس ونحوها من الرياحين والورود على القبور؛ لأنه لم يكن من فعل السلف ولو كان خيرا لسبقونا إليه، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»[٣].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٥.

(٢) للاستزادة حول هذا الموضوع انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ٢٦٧. معالم السنن الخطابي ١/ ٢٧. الإبداع في مضار الابتداع الشيخ علي محفوظ ١٩٨. أحكام الجنائز الألباني ص٢٠١. فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ٣٢٧. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٤٢. هامش على فتح الباري ابن حجر ٣/ ٢٢٣. تصحيح الأخطاء والأوهام الواقعة في فهم أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام رائد ابن أبي علفة ١/ ٧٥.

(٣) أحكام الجنائز ص ٢٠٠.

وقال معلقا على ذلك: «ولا يعارض ما ذكرنا حديث ابن عباس في وضع النبي ﷺ شقي جريدة النخل على القبرين وقوله: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا». متفق عليه. وقد خرجته في صحيح أبي داود (١٥). فإنه خاص به ﷺ بدليل أنه لم يجر العمل به عند السلف ولأمور أخرى يأتي بيانها. قال الخطابي ـ رحمه الله تعالى ـ في «معالم السنن» (١/ ٢٧) ـ تعليقاً على الحديث: «إنه من التبرك بأثر النبي ﷺ ودعائه بالتخفيف عنهما وكأنه جعل مدة بقاء النداوة فيهما حدا لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنهما، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس، والعامة في كثير من البلدان تغرس الخوص في قبور موتاهم، وأراهم ذهبوا إلى هذا وليس لما تعاطوه من ذلك وجه».

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي (١/ ١٠٣) عقب هذا: «وصدق الخطابي، وقد ازداد العامة إصراراً على هذا العمل الذي لا أصل له، وغلوا فيه، خصوصا في بلاد مصر تقليداً للنصارى حتى صاروا يضعون الزهور على القبور، ويتهادونها بينهم، فيضعها الناس على قبور أقاربهم ومعارفهم تحية لهم، ومجاملة للأحياء، وحتى صارت عادة شبيهة بالرسمية في المجاملات الدولية، فتجد الكبراء من المسلمين إذا نزلوا بلدة من بلاد أوربا ذهبوا إلى قبور عظمائهم أو إلى قبر من يسمونه «الجندي المجهول» ووضعوا عليها الزهور، وبعضهم يضع الزهور الصناعية التي لا نداوة فيها تقليداً للإفرنج، واتباعاً لسنن من قبلهم، ولا ينكر ذلك عليهم العلماء أشباه العامة، بل تراهم أنفسهم يضعون ذلك في قبور موتاهم، ولقد علمت أن أكثر الأوقاف التي تسمى أوقافا خيرية موقوف ريعها على الخوص والريحان الذي يوضع على القبور وكل هذا بدع ومنكرات لا أصل لها في الدين، ولا سند لها من الكتاب والسنة، ويجب على أهل العلم أن ينكروها وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا» .

ثم أورد الألباني الأدلة على اختصاص وضع الجريدة بالرسول ﷺ ودلل عليه بحديث جابر رضي الله عنه الطويل في صحيح مسلم (٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٦) وفيه قال ﷺ: «إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرد عنهما ما دام الغصنان رطبين».

ودلل عليه أيضاً بأن السلف الصالح لم يفعلوه ولم يشتهر عنهم فعله. فوضع الجريد على القبر خاص به ﷺ، وأن السر في تخفيف العذاب عن القبرين لم يكن في نداوة العسيب بل في شفاعته ﷺ ودعائه لهما وهذا مما لا يمكن وقوعه مرة أخرى بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولا لغيره من بعده ﷺ لأن الاطلاع على عذاب القبر من خصوصياته ﷺ، وهو من الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الرسول كما جاء في نص القرآن: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن.٢٦-٢٧]... وأما وصية بريدة فهي ثابتة عنه، قال ابن سعد في الطبقات (ج٧ ق١ ص٤): أخبرنا عفان بن مسلم قال: ثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا عاصم الأحول قال: قال مورق: أوصى بريدة الأسلمي أن توضع في قبره جريدتان فكان أن مات بأدنى خراسان فلم توجد إلا في جوالق حمار. وهذا سند صحيح وعلقه البخاري ٣/ ١٧٣ مجزوما . قال الحافظ في شرحه: «وكأن بريدة حمل الحديث على عمومه، ولم يره خاصا بذينك الرجلين».

قال ابن رشيد: «ويظهر من تصرف البخاري أن ذلك خاص بهما، فلذلك عقبه بقول ابن عمر: إنما يظله عمله» .

قلت[1]: ولا شك أن ما ذهب إليه البخاري هو الصواب لما سبق بيانه، ورأي بريدة لا حجة فيه، لأنه رأي والحديث لا يدل عليه حتى لو كان عاما فإن النبي ﷺ لم يضع الجريدة في القبر، بل عليه كما سبق، وخير الهدي هدي محمد»[2].

---

(١) القائل الشيخ الألباني ـ ـ.

(٢) أحكام الجنائز ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ باختصار.

قال ابن باز رحمه الله: «وأما تنبيت أو غرس الأشجار عليها فلا يجوز، لأن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم لم يفعلوا ذلك، ولأن في ذلك نوعا من الغلو، ويخشى أن يفتن الناس بالأشجار المغروسة عليها، وأما غرس النبي ﷺ الجريدتين على القبرين المعذبين فالصحيح من أقوال العلماء أن هذا خاص به ﷺ وبالقبرين لكونه ﷺ لم يفعل ذلك مع بقية القبور، وهكذا أصحابه رضي الله عنهم فعلم أن ذلك خاص به ﷺ وبأصحاب القبرين، والله سبحانه وتعالى أعلم»[(١)].

وقال ابن باز رحمه الله: «وهكذا لا يشرع غرس الشجر على القبور لا الصبار ولا غيره، ولا زرعها بشعير أو حنطة أو غير ذلك؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك في القبور، ولا الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم. أما ما فعله مع القبرين اللذين أطلعه الله على عذابهما من غرس الجريدة فهذا خاص به ﷺ وبالقبرين لأنه لم يفعل ذلك مع غيرهما»[(٢)].

٨ ـ قراءة القرآن عند القبر:

وينبغي التفريق بين قراءة القرآن حال الاحتضار وقبل خروج الروح وبين قراءته عند القبر بعد الموت.

قال شارح الطحاوية: «اختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟ فمن قال بكراهتها كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية ـ قالوا: لأنه محدث لم ترد السنة والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها فكذلك القراءة، ومن قال: لا بأس بها كمحمد ابن الحسن وأحمد في رواية استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، ونقل أيضا عن بعض

---

(١) فتاوى ابن باز ص٧٤٥.

(٢) فتاوى ابن باز ص٧٤٣.

المهاجرين قراءة سورة البقرة، ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط وهو رواية عن أحمد أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين، وأما بعد ذلك كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه فإنه لم تأت به السنة ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً ...»[١].

وقال ابن تيمية: «فيها ثلاث روايات عن أحمد ...

والثانية: أن ذلك مكروه وهذه الرواية هي التي رواها أكثر أصحابه عنه وعليها قدماء أصحابه الذين صحبوه كعبد الوهاب الوراق وأبي بكر المروزي ونحوهما، وهي مذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وهشيم بن بشير وغيرهم ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام لأن ذلك عنده بدعة. وقال مالك: «ما علمت أحدا يفعل ذلك» فعُلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه»[٢].

وقال الألباني رحمه الله: «وأما قراءة القرآن عند زيارتها، فمما لا أصل له في السنة، بل الأحاديث المذكورة في المسألة السابقة تشعر بعدم مشروعيتها، إذ لو كانت مشروعة، لفعلها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه، لا سيما وقد سألته عائشة رضي الله عنها وهي من أحب الناس إليه ﷺ ـ عما تقول إذا زارت القبور؟ فعلمها السلام والدعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن، فلو أن القراءة كانت مشروعة لما كتم ذلك عنها، كيف وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز كما تقرر في علم الأصول، فكيف بالكتمان، ولو أنه ﷺ علمهم شيئاً من ذلك لنقل إلينا، فإذا لم ينقل بالسند الثابت دل على أنه لم يقع.

ومما يقوي عدم المشروعية قوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان يفر

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٥١٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٣٥، ٧٣٦، وانظر: مجموع الفتاوى ١/ ١٧٤، ٢٤/ ٣١٧، ٣٠١، الاختيارات ٥٣، أحكام الجنائز الألباني ٢٦٢ رقم ١٨١، معجم البدع ١٤٨.

من البيت الذي يقرأ فيه سرة البقرة»[١]. فقد أشار ﷺ إلى أن القبور ليست موضعا للقراءة شرعا، فلذلك حض على قراءة القرآن في البيوت ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها، كما أشار في الحديث الآخر إلى أنها ليست موضعا للصلاة أيضا، وهو قوله: «صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً»[٢] وهذا الحديث أخرجه البخاري بنحوه وترجم له بقوله: باب كراهية الصلاة في المقابر فأشار به إلى أن حديث ابن عمر يفيد كراهة الصلاة في المقابر، فكذلك حديث أبي هريرة يفيد كراهة قراءة القرآن في المقابر، ولا فرق. ولذلك كان مذهب جمهور السلف كأبي حنيفة ومالك وغيرهم كراهة القراءة عند القبور. ثم قال الألباني رحمه الله وقد استدل جماعة من العلماء بالحديث على ما استدل به البخاري، وأيده الحافظ في شرحه»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقراءة على الميت بعد موته بدعة، بخلاف القراءة على المحتضر فإنها تستحب بـ ياسين»[٤].

وقال الألباني ـ معلقاً على كلام ابن تيمية السابق ـ: «لكن حديث قراءة ياسين ضعيف والاستحباب حكم شرعي، ولا يثبت بالحديث الضعيف كما هو معلوم من كلام ابن تيمية نفسه في بعض مصنفاته وغيرها»[٥].

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «لا تشرع قراءة سورة «يس» ولا غيرها من القرآن على القبر بعد الدفن ولا عند الدفن، ولا تشرع القراءة في القبور ؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ولا خلفاؤه الراشدون، كما لا يشرع الأذان ولا الإقامة في القبر، بل كل

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ١٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ١٨٧.

(٣) أحكام الجنائز ص١٩١،١٩٠.

(٤) الاختيارات العلمية ص٥٣.

(٥) أحكام الجنائز ١١،١٩٠،١٩١.

ذلك بدعة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» خرجه الإمام مسلم في صحيحه ... وليس للمسلمين أن يحدثوا شيئاً من القربات لم يشرعه الله للحديث المذكور، ولقوله الله سبحانه ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى.٢١]»[١].

٩- الأذان والإقامة حال وضعه في القبر[٢].

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم الأذان والإقامة في قبر الميت عند وضعه فيه؟

فأجاب ـ قدس الله روحه ـ: «لا ريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ؛ لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم والخير كله في اتباعهم وسلوك سبيلهم»[٣].

ومن البدع أن يبخر القبر، أو أن يفرش فيه ريحان[٤].

١٠- الطواف بالقبر وقد تقدم في باب (الطواف بغير الكعبة).

٢٢١- القبول المنافي للرد

من شروط (لاإله إلا الله) انظر: باب (لاإله إلا الله).

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص٧٤٣.

(٢) انظر الاقتضاء ص١٨٣ كشاف القناع ٢/ ١٣٤ أحكام الجنائز الألباني ص٢٥٣ رقم ٨٣، ٢٤٥ رقم ١٠٢.

(٣) الفتاوىٰ ص٧٥٧.

(٤) المدخل لابن الحاج ٣/ ٢٦٢.

٢٢٢- القدر*

القدر في اللغة: القدر بفتح القاف والدال وسكونها مصدر قدر يقدّر تقديراً، قال ابن سيده: «القَدْر والقَدَر: القضاء والحكم وهو ما يقدِّره الله ﷻ من القضاء

* الشريعة للآجري ص١٤١، ١٦٦، ١٧٨. السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٣٨٤ - ٤٢٨. التمهيد ٣/ ١٣٩، ٦/ ١٢، ٦٢، ١٨/ ١١. الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ٨٣. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ٤٨، ١٤٩. شرح السنة للبغوي ١/ ١٢٢. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام المجلد الثامن. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٤٣، ٢/ ٨٤٨. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن القيم. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٢٩٧. وانظر كتاب القدر للفريابي فإنه أصل من الأصول التي اعتمد عليه كبار العلماء كالآجري وابن بطة وغيرهم وقد خرج في طبعة أنيقة تحقيق أخينا الفاضل عبد الله المنصور حفظه الله. تيسير العزيز الحميد ص٦٩٩. فتح المجيد ص٥٧١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٣٦٤. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١٥٨، ط٢-٣/ ١٩٨ ومن المجموع ١٠/ ٩٨٤. الدرر السنية ١/ ٢١٦، ٥١٢، ٣/ ٢١٣. فتاوىٰ اللجنة ٣/ ٣٧٤. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٤٧٣. معارج القبول ٢/ ٢٦٦، ٣٠٥. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ٤٠، ١٢٠، ٢٣٦. الدرة البهية شرح العقيدة التائية في حل المشكلة القدرية من مجموعة ابن سعدي ٣/ ١٤٥ - ٢٠٤. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٧. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ٥٨. القضاء والقدر لابن عثيمين. العقيدة الصحيحة وما يضادها لابن باز. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٣٦. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٢/ ٧٥، ٣/ ١٨٨، ٢٥٥، ٤/ ٢٩٩،٢٠٤، ٥/ ١٣٧، ٢١٣، ٢١٩، ٧/ ٢٦٥. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ١/ ١٣٥. القضاء والقدر للأشقر. القضاء والقدر للمحمود. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص٣٠٨، ٣٨٤. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦٨. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٨٥. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٣٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٢٦٠. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٥٩٣. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٣٩٩، ٤٢٢. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص ٤٢٠،٤١٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة ص٣٧٥. منهج ابن حجر في العقيدة ص٣٦٩. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٩٣. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص١٦٥. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٣٥٥.

ويحكم به من الأمور»[١].

وقال ابن حجر في الفتح: «قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها أقدِره بالكسر والفتح قَدْراً و قَدَراً إذا أحطت بمقداره»[٢].

والقدر في الشرع: «ما سبق به العلم، وجرىٰ به القلم مما هو كائن إلىٰ الأبد، وأنه ﷻ قدّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالىٰ وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها»[٣].

وقال ابن حجر في تعريفه: «المراد أن الله تعالىٰ علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته»[٤].

وسئل الإمام أحمد عن القدر فقال: «القدر قدرة الله علىٰ العباد»[٥].

وقال النووي في معنىٰ القدر: «أن الله تبارك وتعالىٰ قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالىٰ وعلىٰ صفات مخصوصة فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها سبحانه وتعالىٰ»[٦].

وسئلت اللجنة عن معنىٰ القدر فأجابت: «معناه أن الله سبحانه وتعالىٰ علم الأشياء كلها قبل وجودها وكتبها عنده وشاء ما وجد منها وخلق ما أراد خلقه»[٧].

---

(١) لسان العرب (ق د ر).

(٢) فتح الباري ١/ ١١٨.

(٣) لوامع الأنوار ١/ ٣٤٨.

(٤) فتح الباري ١/ ١١٨.

(٥) مسائل ابن هانئ ٢/ ١٥٥، انظر كتاب المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة - الأحمدي ١/ ١٣٥.

(٦) مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٤، وانظر أيضاً فتح الباري ١١/ ٤٧٧.

(٧) انظر فتوىٰ اللجنة في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٤٠ص١٠٢.

وقال ابن عثيمين: «الإيمان بالقدر: هو أن تؤمن بتقدير الله ﷻ للأشياء كلها سواء ما يتعلق بفعله أو ما يتعلق بفعل غيره، وأن الله ﷻ قدرها وكتبها عنده قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ومعلوم أنه لا كتابة إلا بعد علم، فالعلم سابق على الكتابة، ثم إنه ليس كل معلوم الله ﷻ مكتوب، لأن الذي كتب إلى يوم القيامة، وهناك أشياء بعد يوم القيامة كثيرة أكثر مما في الدنيا هي معلومة عند الله، ﷻ، ولكنه لم يرد في الكتاب والسنة أنها مكتوبة»[1].

* الدليل من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس.١٢]. وقوله جل ذكره: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد.٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس.١٠٧]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق.١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]. وقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة.٥١]. وقوله جل وعلا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب.٣٨]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان.٢]. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات ٩٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر.٤٩]. وقد جاء في سبب نزولها ما رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ١٠٠١. وانظر: القول المفيد ٣/ ١٧٦

﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر.٤٨-٤٩]»[١].

* الدليل من السنة: عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ قَالَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي القَدَرِ مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ قَالَ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيُّ حَتَّىٰ أَتَيْنَا المَدِينَةَ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا أَحْدَثَ هَؤُلاءِ القَوْمُ، قَالَ: فَلَقِينَاهُ ـ يَعْنِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ـ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ المَسْجِدِ، قَالَ: فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الكَلامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ قَوْماً يَقْرَءُونَ القُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ العِلمَ وَيَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَنَّهُمْ مِنِّي بُرَءَاءُ وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، ثم استدل بقول النبي ﷺ في تعريف الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِ اللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»»[٢].

وروىٰ مسلم عن طاوس أنه قال: «أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر»[٣].

وفي رواية: «أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر»[٤]. وقال طاوس: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس، أو الكيس والعجز»»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٦)

(٢) أخرجه مسلم (٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٤/ ٥٨٠، ٦٦١ (ح: ١٠٢٧، ١٢٠٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

وقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ لابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»»(١).

وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة»(٢).

وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله ﷻ بالنار»(٣).

* أقوال السلف: عن ابن مسعود ﷺ قال: «لا يذوق عبد طعم الإيمان حتىٰ يؤمن بالقدر كله، وبأنه مبعوث من بعد الموت»(٤).

وقال ﷺ: «لأن أعض علىٰ جمرة وأقبض عليها حتىٰ تبرد في يدي أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يكن»(٥).

وفي السنن عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ القَدَرِ فَحَدِّثْنِي بشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٠٨١) (٢٣٠٨٣).

(٣) القدر لعبد الله بن وهب ص١٢١.

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة ص٢٠٤، وعبدالرزاق في المصنف ١١/ ١١٨ (ح:٢٠٠٨١/ ٢٠٠٨٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٦٦٧ (ح: ١٢١٧).

خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَدَخلتَ النَّارَ. قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذلِك. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذلِكَ»(١).

وعن أبي الحجاج الأزدي قال: قلت لسلمان(٢): «ما قول الناس حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره»؟ قال: «حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ولا تقول: لو فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو لم أفعل كذا وكذا لم يكن كذا وكذا»(٣).

قال أحمد بن جعفر الإصطخري: قال لي أحمد: «والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله قضاءً قضاه وقدراً قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ﷻ ولا يجاوز قضاءه بل هم كلهم صائرون إلىٰ ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم لا محالة وهو عدل منه عز ربنا وجل»(٤).

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يتحقق إيمان عبد إلا بها. ويجب الإيمان به إيمانا جازما ومن أنكره فإنه كافر مشرك بالربوبية. قال علي

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩).

(٢) هو سلمان الفارسي، الصحابي الجليل ﷺ.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٠٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٦٧٧ (ح: ١٢٤٠)، وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ١١٨ (ح: ٢٠٠٨٣).

(٤) طبقات الحنابلة ١/ ٢٥. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة – الأحمدي ١/ ١٣٩.

بن أبي طالب ﷺ: «إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلىٰ قلبه حتىٰ يستقر يقينا غير ظن أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويقر بالقدر كله»[١].

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «من السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها»[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وقال الإمام أحمد: القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال: هذا يدل علىٰ دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب علىٰ خلق الأعمال وكتابها وتقديرها»[٣].

أحكام وفوائد:

١ - أركان الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر علىٰ أربع مراتب[٤]:

المرتبة الأولىٰ: الإيمان بعلم الله الذي هو صفته الأزلية فهو سبحانه عالم بكل شيء وهو بكل شيء محيط فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيعلم جميع خلقه قبل خلقهم ويعلم ما ستكون عليه أحوالهم كلها سرها وعلانيتها.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «فعلم ما كان وما يكون. فكل شيء معلوم لله سواء كان دقيقا أم جليلا من أفعاله أو أفعال خلقه»[٥].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٦٦٦ (ح: ١٢١٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للآلكائي ١/ ١٥٧.

(٣) شفاء العليل ١/ ٢٨.

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٣/ ١٤٨، ١٥٠.

(٥) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٩٩٠، ٩٩١. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٣/ ١٦٤.

والأدلة على هذا كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق: ١٢]. وقوله سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[الحشر:٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ:٣]. وقوله ﷻ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام:٥٩]. ومن السنة حديث ابن عباس ﷺ قال: «سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»»[١]. وهذا يدل على علم الله وإحاطته بكل شيء وأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

قال شارح الطحاوية: «وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر»[٢].

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير خلقه في اللوح المحفوظ ولم يفرط في ذلك من شيء.

والأدلة على هذا كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحديد:٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج:٧٠].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤) (٦٥٩٨) (٦٦٠٠). مسلم (٢٦٥٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٠٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام.٣٨].

ومن السنة حديث عُبَادَةَ ﷺ قال: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ. فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ دَخَلتَ النَّارَ»[١].

وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [الليل: ٥]»[٢].

وكل هذا يدل على أن الله تبارك وتعالىٰ كتب كل شيء قبل الخلق، ولم يفرط في الكتاب من شيء وذلك يسير على الله.

❖ فائدة:

قوله: «أول ما خلق الله القلم» يعني: بعد خلق العرش ؛ لأن العرش هو أول المخلوقات على الصحيح من قولي العلماء لما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «قدر الله ـ وفي رواية: كتب الله ـ مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»[٣].

فالذي عليه الجمهور أن العرش مخلوق قبل القلم، قال ابن عباس: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن، وأن ما يجري على الناس على أمر قد فرغ منه» وعلى هذا فإن أول شيء

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٠٨١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٥). ومسلم (٢٦٤٧).
(٣) صحيح مسلم (٢٦٥٢).

خلق بعد العرش هو القلم وقد سئل ابن عباس عن قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. علىٰ أي شيء؟ قال: علىٰ متن الريح[١].

وقد رواه البيهقي وروىٰ حديث: «أول شيء خلقه الله القلم» ثم قال البيهقي رحمه الله: وإنما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش»[٢].

المرتبة الثالثة: مرتبة الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله تعالىٰ كونه فهو كائن بقدرته ولا بد وما لم يشأ لم يكن لعدم المشيئة لا لعدم القدرة لأن الله تبارك وتعالىٰ لا يعجزه شيء كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

* **والأدلة علىٰ المشيئة الشاملة كثيرة منها:**

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [النحل: ٩٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ومن السنة قول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن معاوية بن أبي سفيان: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٣].

ودلالة هذه الأدلة علىٰ عموم مشيئة الله تعالىٰ ظاهرة فكل ما يحصل في هذا الكون فهو مراد له سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية فهو الخالق وحده المالك المدبر فلا يجري في ملكه إلا ما يريد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا يعجزه شيء. ولا

---

(١) العرش ص٥٢، السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٥٨، والعظمة ٢/ ٥٧٦.

(٢) للاستزادة انظر: تيسير العزيز الحميد ص٦٩٥، نونية ابن القيم ١/ ٣٧٦.

(٣) أخرجه البخاري (٧١)(٣١١٦)(٣٦٤١)(٧٣١٢)(٧٤٦٠). ومسلم (١٠٣٧).

يعني هذا أن الله ﷻ يرضى عن ما يقع من العباد من الكفر والمعاصي.

الفرق بين المشيئة والإرادة:

الإرادة أعم من المشيئة؛ لأن الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية. أما مشيئة الله فهي في النصوص واحدة فلا تكون إلا كونية ولا يوجد مشيئة شرعية.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «... الإرادة إرادتان: كونية قدرية، وشرعية دينية، وأما المشيئة فلم ترد في النصوص إلا كونية قدرية فلا تنقسم»[1].

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد: «والفرق بين المشيئة والإرادة: أن المشيئة لم تأت في الكتاب والسنة إلا لمعنى كوني قدري، وأما الإرادة فإنها تأتي لمعنى كوني ومعنى ديني شرعي...»[2].

وأما الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية:

قال شارح الطحاوية: «الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات»[3].

وقال ابن باز رحمه الله: «والفرق بين الإرادتين: الأولى لا يتخلف مرادها أبدا بل ما أراده الله كونا فلا بد من وقوعه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

أما الإرادة الشرعية فقد يوجد مرادها من بعض الناس وقد يتخلف، وإيضاح ذلك أن الله سبحانه أخبر أنه يريد البيان للناس والهداية والتوبة، ومع ذلك أكثر

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ٤٩.

(٢) قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ١٢٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٦.

الخلق لم يهتد ولم يوفق للتوبة ولم يتبصر في الحق ؛ لأنه ﷻ قد أوضح الحجة والدليل وبين السبيل وشرع أسباب التوبة وبينها ولكنه لم يشأ لبعض الناس أن يهتدي أو يتوب أو يتبصر فذلك لم يقع منه ما أراده الله شرعا، لما قد سبق في علم الله وإرادته الكونية من أن هذا الشخص المعين لا يكون من المهتدين ولا ممن يوفق للتوبة. وهذا بحث عظيم ينبغي تفهمه وتعقله والتبصر في أدلته، ليسلم المؤمن من إشكالات كثيرة وشبهات مضلة حار فيها الكثير من الناس لعدم تحقيقهم للفرق بين الإرادتين.

ومما يزيد المقام بياناً أن الإرادتين تجتمعان في حق المؤمن فهو إنما آمن بمشيئة الله وإرادته الكونية، وهو في نفس الوقت قد وافق بإيمانه وعمله الإرادة الشرعية وفعل ما أراده الله منه شرعا وأحبه منه، وتنفرد الإرادة الكونية في حق الكافر والعاصي فهو إنما كفر وعصى بمشيئة الله وإرادته الكونية، وقد تخلفت عنه الإرادة الشرعية لكونه لم يأت بمرادها وهو الإسلام والطاعة فتنبه وتأمل، والله الموفق»[١].

ويقول شارح الطحاوية: «ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضى، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ثم اختلفوا فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره فيكون محبوباً مرضياً.

وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية فهي خارجة عن مشيئته وخلقه وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة.

أما أهل السنة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها وينهى عنها وهذا قول السلف قاطبة»[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص٤٧٨، ٤٧٩.

(٢) شرح الطحاوية ص١١٦.

ومع إيماننا بقدرة الله ومشيئته فإننا نؤمن أيضاً أن للعبد قدرة ومشيئة واختيارا بها تتحقق أفعاله وبمقتضاها يكون الثواب والعقاب كما أن قدرة العبد ومشيئته التي بها تحصل أعماله غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته فهو الذي منح الإنسان ذلك وجعله قادرا على التمييز والاختيار فأي الفعلين اختار لم يخرج عن كونه داخلا تحت مشيئة الله وقدرته وخلقه.

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى «الجبرية» بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[آل عمران.١٥٢]. وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[الكهف: ٢٩]. الآية. وقال: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت.٤٦].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية «القدرية» بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالىٰ خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالىٰ في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة.٢٥٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة.١٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالىٰ، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالىٰ، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته»[١].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله تعالىٰ خالق كل شيء لا خالق غيره ولا رب سواه ومما يدل علىٰ هذا ما يلي:

قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر.٦٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان.٢]. وقوله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة.٢]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات.٩٦].

ومن السنة قول الرسول ﷺ: «إن الله خالق كل صانع وصنعته»[٢].

ودلت هذه النصوص علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ هو الذي قدر كل شيء وخلقه وهو الذي أحاط الأشياء بعنايته ورعايته وقد قدر الكائنات وأوجدها لا علىٰ مثال سابق ووهب بعض خلقه القدرة والفعل، والله سبحانه هو الخالق للفاعل وفعله وهو الخلاق العليم.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١١٤، ١١٥.

(٢) المستدرك للحاكم ١/ ٣١، ٣٢. ومجمع الزوائد ٧/ ١٩٧.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بجميع هذه المراتب الأربع وقد جُمعت في بيت:

علــم كتابــة مولانــا مــشيئتـه وخلقـه وهــو إيجــاد وتكويــن

ومنهم من يجعلها مرتبتين وكل مرتبة تتضمن مرتبتين فتكون أربعاً.

قال شيخ الإسلام: «والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف». وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه ما لا يريد وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد. والعبادُ فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد القدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن

﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها»[١].

وقال ابن رجب: «والإيمان بالقدر على درجتين:

أحدهما: الإيمان بأن الله تعالى سبق علمه ما يعلمه العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم.

وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

الثانية: أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وشاءها منهم.

فهذه الدرجة التي يثبتها أهل السنة والجماعة وتنكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره...»[٢].

٢- مسـألـة:

فإن قلت: كيف؟ قال: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» وقد قال في الحديث: «والشر ليس إليك»؟ فالجواب عن هذا أن إثبات الشر في القضاء والقدر إنما هو بالإضافة إلى العبد، والمفعولُ إن كان مقدراً عليه فهو بسبب جهله وظلمه وذنوبه لا إلى الخالق فله في ذلك من الحكم ما تقصر عنه أفهام البشر لأن الشر إنما هو بالذنوب وعقوباتها في الدنيا والآخرة، فهو شر بالإضافة إلى العبد، أما بالإضافة إلى الرب سبحانه وتعالى

(١) العقيدة الواسطية ٣٥ ـ ٣٨.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢٦.

فكله خير وحكمة فإنه صادر عن حكمه وعلمه وما كان كذلك فهو خير محض بالنسبة إلى الرب ﷻ إذ هو موجب أسمائه وصفاته[١].

٣ - أقسام التقديرات وأنواعها:

أولاً: التقدير العام لجميع الأشياء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة عندما خلق الله القلم وأمره بالكتابة لما هو كائن إلى يوم القيامة وهو التقدير الأزلي. ويدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»[٢].

وقد ذكر ابن القيم هذا التقدير في كتابه «شفاء العليل» ثم ذكر في الباب الثاني تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، قال: «وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فقعد وقعدنا حوله .... ثم قال: ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة، ثم قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل.٥ـ١٠]»[٣]. وذكر أحاديث منها ما رواه هشام بن حكيم بن

---

(١) ملخص من كلام ابن القيم ـ ـ مستفاد من تيسير العزيز الحميد ص٦٩١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٢)، (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

حزام أن رجلا قال: يا رسول الله أتبتدأ الأعمال أم قد مضى القضاء؟ فقال: «إن الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بكفيه فقال: هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار»»[١].

فهناك تقديرات أخرى نسبية وكلها ترجع إلى علم الله تعالى الشامل لكل شيء.

ثانياً: لتقدير العمري: كما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين: «منها: تقدير عمري: حين يبلغ الجنين في بطن أمه أربعة أشهر يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[٣].

ثالثاً: التقدير الحولي: قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدخان.٣-٦].

قال ابن القيم: «وهذه ليلة القدر قطعاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾

---

(١) شفاء العليل ١/ ١٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)(٣٣٣٢)(٦٥٩٤)(٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٩٩٢، ٩٩٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٣/ ١٦٦. وقد ذكره ابن القيم في شفاء العليل ١/ ٥١.

[القدر: ١] عن ابن عباس قال: «يكتب من أم الكتاب ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال: حج فلان ويحج فلان»»[(١)].

قال ابن عثيمين: «ومنها: التقدير الحولي وهو الذي يكون في ليلة القدر يكتب فيها ما يقدر في السنة»[(٢)].

رابعاً: التقدير اليومي: قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قال ابن القيم في شفاء العليل: «وقال مجاهد والكلبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل: من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر، ويعز، ويذل، ويفك عانيا، ويشفي مريضا، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويتوب على قوم، ويكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويضع قوما ويرفع آخرين دخل كلام بعضهم في بعض»[(٣)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «ومنها: التقدير اليومي كما ذكره بعض أهل العلم واستدل له بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فهو كل يوم يغني فقيراً، ويفقر غنياً، ويوجد معدوماً، ويعدم موجوداً، ويبسط الرزق ويقدره، وينشئ السحاب والمطر وغير ذلك»[(٤)].

وهذا التقدير وما سبقه من التقدير السنوي والعمري هو تفصيل من القدر الأزلي.

٤ - القدر سر من أسرار الله:

ومما سبق يتبين لنا حرص السلف على ترك التعمق في القدر والاعتماد في معرفته على الكتاب والسنة وكل من خاض في هذه المسألة بعقله ضل وتاه، وما

---

(١) شفاء العليل ١/ ٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٩٩٢، ٩٩٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٣/ ١٦٧.

(٣) شفاء العليل ١/ ٦١.

(٤) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٩٩٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ٣/ ١٦٧، ١٦٨.

ضلت القدرية والجبرية إلا بسبب اعتمادها المحض على العقل وعدم الاعتماد على الكتاب والسنة وقول سلف الأمة، ومعلوم أن بعض جوانب القدر لا يمكن للعقل الإنساني مهما كان نبوغه أن يستوعبها.

قال إبراهيم القرشي : «كنت جالساً عند ابن عمر رضي الله عنهما فسئل عن القدر؟ فقال: شيء أراد الله عز وجل ألا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله عز وجل ما أبى عليكم»[(١)].

وفي شرح النووي قال: «قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار، واختص الله به، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم؛ لما علمه من الحكمة. وواجبنا أن نقف حيث حدَّ لنا، ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وقيل: إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها. والله أعلم»[(٢)].

وقال الآجري: «لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر ؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق قال النبي ﷺ: «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله عز وجل، وما أشركت أمة حتى يكون بدوُّ شركها التكذيب بالقدر»»[(٣)].

ويقول الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٣٥.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٩٦. وراجع فتح الباري ١١/ ٤٧٧.

(٣) الشريعة للآجري ص ١٤١.

يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء.٢٣]»[1].

وقال ابن عثيمين: «وهذا القدر قال بعض العلماء إنه سر من أسرار الله، وهو كذلك لم يُطلع اللهُ عليه أحدا، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، إلا ما أوحاه الله ﷻ إلى رسله، وإلا فإنه سر مكتوم. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان.٣٤]. أو وقع فعلم به الناس. وإلا فإنه سر مكتوم، وإذا قلنا إنه سر مكتوم فإن هذا القول يقطع احتجاج العاصي بالقدر على معصيته...»[2].

٥ - ثمرات الإيمان بالقدر:

قال الشيخ ابن عثيمين: «وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي

---

(١) شرح الطحاوية ٢٧٦. للاستزادة انظر فتاوى الشيخ ابن باز ص٤٧٦، ٤٧٩. القضاء والقدر عمر الأشقر ٢٩/ ٣٦.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ١٠٠١. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٣/ ١٧٦.

ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد:٢٢-٢٣]. ويقول النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[1]»[2].

٦ - مسألة: الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي:

قال الشيخ ابن عثيمين: «والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام.١٤٨]. ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء.١٦٥]. ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده...» الحديث[3]. وفي لفظ لمسلم: «فكل ميسر لما خلق له» فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١١٣، ١١٤.

(٣) سبق تخريجه.

الرابع: أن الله تعالىٰ أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن.١٦]. وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة.٢٨٦]. ولو كان العبد مجبرا علىٰ الفعل لكان مكلفا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالىٰ سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة علىٰ فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية علىٰ علم منه بقدر الله وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرىٰ الإنسان يحرص علىٰ ما يلائمه من أمور دنياه حتىٰ يدركه ولا يعدل عنه إلىٰ ما لا يلائمه ثم يحتج علىٰ عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلىٰ ما يضره ثم يحتج بالقدر؟! أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي يه إلىٰ بلد كلها فوضىٰ، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع، والثاني ينتهي به إلىٰ بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلىٰ بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبدا أن يسلك طريق بلد الفوضىٰ، والخوف، ويحتج بالقدر فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟!

مثال آخر: نرىٰ المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهىٰ عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلبا للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهىٰ الله ورسوله ثم يحتج بالقدر؟!

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي لو اعتدىٰ عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويذكر أن ـ أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ﷺ رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله»[1].

٧ - حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب:

روىٰ مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «احتج آدم وموسىٰ فقال موسىٰ: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسىٰ اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ فحج آدم موسىٰ، فحج آدم موسىٰ»[2].

فالاحتجاج بالقدر على المصيبة جائز فإن آدم ﷺ احتج بالقدر على المصيبة وهي الخروج من الجنة، وقد حاجه موسىٰ ﷺ بذلك حيث قال: «لماذا أخرجتنا من الجنة»؟ فكانت الحجة لآدم على موسىٰ. والله ﷻ قد كتب أن آدم وذريته يعيشون في الأرض وقد خلقهم لذلك كما أخبر تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فكانت الحجة لآدم على موسىٰ ولم تكن محاجة موسىٰ لآدم عليهما السلام على

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٦/ ١١٢.

(٢) أخرجه البخاري(٣٤٠٩)(٤٧٣٦)(٤٧٣٨)(٦٦١٤)(٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢).

المعصية وهي الأكل من الشجرة حيث لم يَلُم على ذلك وموسى عليه السلام أعلم من أن يلومه على ذنب تاب منه وتاب الله عليه، وآدم عليه السلام أعلم من أن يحتج بالقدر على أن المذنب لا ملام عليه والله أعلم.

قال الحافظ ابن رجب: «لمَّا التقى آدم وموسى عليهما السلام عاتبه موسى على إخراجه نفسه وذريته من الجنة، فاحتج آدم بالقدر السابق. والاحتجاج بالقدر على المصائب حسن، كما قال النبي ﷺ: «إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل» كما قيل:

والله لــولا ســابق الأقــدار ... لم تبعــد قــط داركــم عــن داري
مــن قبــل النــأي جريــة المقــدار ... هل يمحو العبد ما قـضاه البـاري»[1]

٨ - مسألة في بعض النصوص التي يتوهم الناظر معارضتها للقدر:

وردت بعض النصوص ظاهرها التعارض مع القدر ومن ذلك:

ـ قول الله تعالى: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٣٩].

ـ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ(٢) فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[3].

ـ وعَنْ سَلمَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ وَلا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلا البِرُّ»[4].

---

(١) لطائف المعارف ١١٧.

(٢) قال في تحفة الأحوذي: «وَالمَعْنَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَأْخِيرِ الأَجَلِ وَمُوجِبٌ لِزِيَادَةِ العُمُرِ، وَقِيلَ بَاعِثُ دَوَامٍ وَاسْتِمْرَارٍ فِي النَّسْلِ» تحفة الأحوذي شرح حديث رقم ١٩٠٢.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، (٥٩٨٦). ومسلم (٢٥٥٧). وأبو داود (١٤٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٣٩).

ـ وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إلا البرُّ ولا يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا»[1].

ـ وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الخُلُقِ وَحُسْنُ الجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ»[2].

ـ وَلأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيث أَنَس رَفَعَهُ «إِنَّ الصَّدَقَة وَصِلَة الرَّحِم يَزِيد اللهُ بِهِمَا فِي العُمُر، وَيَدْفَع بِهِمَا مِيتَة السُّوء»[3].

فهذه النصوص قد يوهم ظاهرها أنها تعارض الآيات والأحاديث السابقة، كما أن ظاهرها يعارض الحديث الذي في مسلم وفيه قَالَتْ أُمّ حَبِيبَة: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُول اللهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَان، وَبِأَخِي مُعَاوِيَة فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «قَدْ سَأَلت اللهَ ﷻ لِآجَالٍ مَضْرُوبَة، وَأَيَّام مَعْدُودَة، وَأَرْزَاق مَقْسُومَة، وَلَنْ يُعَجِّل شَيْئًا قَبْل حِلّه، أَوْ يُؤَخِّر شَيْئًا عَنْ حِلّه، وَلَوْ كُنْت سَأَلت اللهَ أَنْ يُعِيذك مِنْ عَذَابٍ فِي النَّار، أَوْ عَذَابٍ فِي القَبْر، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَل»[4].

* **وللجمع بين هذه النصوص نورد ما ذكره العلماء في ذلك:**

قال ابن كثير: «قال عكرمة عن ابن عباس الكتاب كتابان فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»[5].

قال النووي: «وَأَمَّا التَّأْخِير فِي الأَجَل فَفِيهِ سُؤَال مَشْهُور، وَهُوَ أَنَّ الآجَال

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠) (٤٠٢٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٥٧٧٣).
(٣) أخرجه أبو يعلى وقال ابن حجر: سنده ضعيف انظر: فتح الباري ١٠/ ٤٣٠ عند شرح الحديث رقم (٥٩٨٥) (٥٩٨٦).
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢١.

وَالأَرْزَاق مُقَدَّرَة لا تَزِيد وَلا تَنْقُص ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] وَأَجَابَ العُلَمَاء بِأَجْوِبَةٍ:

الصَّحِيح مِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَة بِالبَرَكَةِ فِي عُمْره، وَالتَّوْفِيق لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَة أَوْقَاته بِمَا يَنْفَعهُ فِي الآخِرَة، وَصِيَانَتهَا عَنْ الضَّيَاع فِي غَيْر ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَا يَظْهَر لِلمَلائِكَةِ وَفِي اللوْح المَحْفُوظ، وَنَحْو ذَلِكَ، فَيَظْهَر لَهُمْ فِي اللوْح أَنَّ عُمْره سِتُّونَ سَنَة إِلا أَنْ يَصِل رَحِمه فَإِنْ وَصَلَهَا زِيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ، وَقَدْ عَلِمَ اللهُ ﷻ مَا سَيَقَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ مَعْنَى قَوْله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ عِلم اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَا سَبَقَ بِهِ قَدَره وَلا زِيَادَة بَل هِيَ مُسْتَحِيلَة، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَا ظَهَرَ لِلمَخْلُوقِينَ تُتَصَوَّر الزِّيَادَة، وَهُوَ مُرَاد الحَدِيث.

وَالثَّالِث: أَنَّ المُرَاد بَقَاء ذِكْره الجَمِيل بَعْده، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ. حَكَاهُ القَاضِي، وَهُوَ ضَعِيف أَوْ بَاطِل وَ اللهُ أَعْلَم»[1].

وقال في تحفة الأحوذي: «وَقَالَ فِي اللُّمَعَاتِ: وَالمُرَادُ بِتَأْخِيرِ الأَجَلِ بِالصِّلَةِ إِمَّا حُصُولُ البَرَكَةِ وَالتَّوْفِيقُ فِي العَمَلِ وَعَدَمِ ضَيَاعِ العُمُرِ فَكَأَنَّهُ زَادَ، أَوْ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ سَبَبٌ لِبَقَاءِ ذِكْرِهِ الجَمِيلِ بَعْدَهُ، أَوْ وُجُودِ الذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهَا سَبَبٌ لِزِيَادَةِ العُمُرِ كَسَائِرِ أَسْبَابِ العَالَمِ. فَمَنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ زِيَادَةَ عُمُرِهِ وَفَّقَهُ لِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَالزِّيَادَةُ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الخَلْقِ، وَأَمَّا فِي عِلمِ اللهِ فَلا زِيَادَةَ وَلا نُقْصَانَ، وَهُوَ وَجْهُ الجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِ ﷺ: «جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ»، وَقَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾»[2].

وفي قول النبي ﷺ: «قَدْ سَأَلت اللهَ ﷻ لآجَالٍ مَضْرُوبَة، وَأَيَّام مَعْدُودَة، وَأَرْزَاق

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٦/ ١١٤.

(٢) تحفة الأحوذي ٦/ ٩٧.

مَقْسُومَة، وَلَنْ يُعَجِّل شَيْئًا قَبْل حِلّه، أَوْ يُؤَخِّر شَيْئًا عَنْ حِلّه». قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الحَدِيث صَرِيح فِي أَنَّ الآجَال وَالأَرْزَاق مُقَدَّرَة لا تَتَغَيَّر عَمَّا قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ فِي الأَزَل، فَيَسْتَحِيل زِيَادَتهَا وَنَقْصهَا حَقِيقَة عَنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيث صِلَة الرَّحِم تَزِيد فِي العُمْر وَنَظَائِره فَقَدْ سَبَقَ تَأْوِيله فِي بَاب صِلَة الأَرْحَام وَاضِحًا. قَالَ المَازِرِيُّ هُنَا: قَدْ تَقَرَّرَ بِالدَّلائِلِ القَطْعِيَّة أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَعْلَم بِالآجَالِ وَالأَرْزَاق وَغَيْرهَا، وَحَقِيقَة العِلم مَعْرِفَة المَعْلُوم عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِذَا عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ زَيْدًا يَمُوت سِنّه خَمْسمِائَةٍ اِسْتَحَالَ أَنْ يَمُوت قَبْلهَا أَوْ بَعْدهَا لِئَلا يَنْقَلِب العِلم جَهْلاً، فَاسْتَحَالَ أَنَّ الآجَال الَّتِي عَلِمَهَا اللهُ تَعَالَىٰ تَزِيد وَتَنْقُص، فَيَتَعَيَّن تَأْوِيل الزِّيَادَة أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَلَك المَوْت أَوْ غَيْره مِمَّنْ وَكَّلَهُ اللهُ بِقَبْضِ الأَرْوَاح، وَأَمَرَهُ فِيهَا بِآجَالٍ مَمْدُودَة فَإِنَّهُ بَعْد أَنْ يَأْمُرهُ بِذَلِكَ أَوْ يُثْبِتهُ فِي اللوْح المَحْفُوظ يَنْقُص مِنْهُ وَيَزِيد عَلَىٰ حَسَب مَا سَبَقَ بِهِ عِلمه فِي الأَزَل، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْله تعالىٰ: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ وَعَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ يُحْمَل قَوْله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾»[1].

وقال ابن حجر: «قَالَ اِبْن التِّين: ظَاهِر الحَدِيث يُعَارِض قَوْله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ وَالجَمْع بَيْنهمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحدهما: أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَة كِنَايَة عَنْ البَرَكَة فِي العُمُر بِسَبَبِ التَّوْفِيق إِلَىٰ الطَّاعَة، وَعُمَارَة وَقْتهُ بِمَا يَنْفَعهُ فِي الآخِرَة، وَصِيَانَته عَنْ تَضْيِيعه فِي غَيْره ذَلِكَ. وَمِثْل هَذَا مَا جَاءَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ تَقَاصَرَ أَعْمَار أُمَّته بِالنِّسْبَةِ لِأَعْمَارِ مَنْ مَضَىٰ مِنْ الأُمَم فَأَعْطَاهُ اللهُ لَيْلَة القَدْر. وَحَاصِله أَنَّ صِلَة الرَّحِم تَكُون سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالصِّيَانَة عَنْ المَعْصِيَة فَيَبْقَىٰ بَعْده الذِّكْر الجَمِيل، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ. وَمِنْ جُمْلَة مَا يَحْصُل لَهُ مِنْ

(١) شرح مسلم للنووي ١٦/ ٢١٣.

التَّوْفِيق العِلم الَّذِي يَنْتَفِع بِهِ مَنْ بَعْده، وَالصَّدَقَة الجَارِيَة عَلَيْهِ، وَالخَلَف الصَّالِح.

ثَانِيهمَا: أَنَّ الزِّيَادَة عَلَى حَقِيقَتهَا، وَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلم المَلَك المُوَكَّل بِالعُمُرِ، وَأَمَّا الأَوَّل الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الآيَة فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلم الله تَعَالَى، كَأَنْ يُقَال لِلمَلَكِ مَثَلًا: إِنَّ عُمْر فُلَان مِائَة مَثَلًا إِنْ وَصَلَ رَحِمه، وَسِتُّونَ إِنْ قَطَعَهَا. وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلم الله أَنَّهُ يَصِل أَوْ يَقْطَع، فَالَّذِي فِي عِلم الله لا يَتَقَدَّم وَلا يَتَأَخَّر، وَالَّذِي فِي عِلم المَلَك هُوَ الَّذِي يُمْكِن فِيهِ الزِّيَادَة وَالنَّقْص وَإِلَيْهِ الإِشَارَة بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ المَحْو وَالإِثْبَات بِالنِّسْبَةِ لِمَا فِي عِلم المَلَك، وَمَا فِي أُمّ الكِتَاب هُوَ الَّذِي فِي عِلم الله تَعَالَى فَلا مَحْو فِيهِ البَتَّة. وَيُقَال لَهُ القَضَاء المُبْرَم، وَيُقَال لِلأَوَّلِ القَضَاء المُعَلَّق. وَالوَجْه الأَوَّل أَلْيَق بِلَفْظِ حَدِيث البَاب، فَإِنَّ الأَثَر مَا يَتْبَع الشَّيْء، فَإِذَا أُخِّرَ حَسُنَ أَنْ يُحْمَل عَلَى الذِّكْر الحَسَن بَعْد فَقْد المَذْكُور.

وَقَدْ وَرَدَ فِي تَفْسِيره وَجْه ثَالِث، فَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الصَّغِير» بِسَنَدٍ ضَعِيف عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء قَالَ: ذُكِرَ عِنْد رَسُول الله ﷺ مَنْ وَصَلَ رَحِمه أُنْسِئَ لَهُ فِي أَجَله، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ زِيَادَة فِي عُمُره، قَالَ الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ الآيَة ؛ وَلَكِنَّ الرَّجُل تَكُون لَهُ الذُّرِّيَّة الصَّالِحَة يَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْده».

وَلَهُ فِي «الكَبِير» مِنْ حَدِيث أَبِي مُشَجِّعَة الجُهَنِيّ رَفَعَهُ «إِنَّ الله لا يُؤَخِّر نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجلهَا، وَإِنَّمَا زِيَادَة العُمُر ذُرِّيَّة صَالِحَة» الحَدِيث.

وَجَزَمَ اِبْن فَوْرَك بِأَنَّ المُرَاد بِزِيَادَةِ العُمُر نَفْي الآفَات عَنْ صَاحِب البِرّ فِي فَهْمه وَعَقْله. وَقَالَ غَيْره فِي أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ وَفِي وُجُود البَرَكَة فِي رِزْقه وَعِلمه وَنَحْو ذَلِكَ»[1].

وفي قول النبي ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه...» الحديث، قال شيخ الإسلام: «وقد قال بعض الناس إن المراد به البركة في العمر بأن يعمل في الزمن

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٣٠ عند شرح الحديث رقم (٥٩٨٥) (٥٩٨٦).

القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير. قالوا: لأن الرزق و الأجل مقدران مكتوبان.

فيقال لهؤلاء: تلك البركة و هي الزيادة في العمل والنفع هي أيضاً مقدرة مكتوبة و تتناول لجميع الأشياء.

والجواب المحقق: أن الله يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، و إن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب. ونظير هذا ما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «إن آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته فأراه إياهم فرأىٰ فيهم رجلاً له بصيص فقال: من هذا يا رب؟ فقال: ابنك داود. قال: فكم عمره؟ قال: أربعون سنة. قال: وكم عمري؟ قال: ألف سنة. قال: فقد وهبت له من عمري ستين سنة، فكتب عليه كتاب، وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال: قد بقي من عمري ستون سنة قالوا: وهبتَها لابنك داود. فأنكر ذلك فأخرجوا الكتاب». قال النبي ﷺ: «فنسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته».

وروي «أنه كمل لآدم عمره ولداود عمره، فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة ثم جعله ستين، وهذا معنىٰ ما روي عن عمر أنه قال: اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً، فانك تمحو ما تشاء وتثبت ، والله سبحانه عالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله ـ والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها ؛ فلهذا قال العلماء إن المحو والإثبات في صحف الملائكة ـ وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالما به فلا محو فيه ولا إثبات ـ وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات علىٰ قولين، والله تعالى أعلم»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢.

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ قال السعدي رحمه الله: «وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير ؛ لأن ذلك محال علىٰ الله أن يقع في علمه نقص، أو خلل، ولهذا قال: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع وشُعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم والليلة، التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسباباً، ولمحوها أسباباً، لا تتعدىٰ تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر، وسعة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب، سبباً للسلامة، وجعل التعرض لذلك سبباً للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه، في اللوح المحفوظ»[1].

وقد سئل الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله عن الدعاء والصدقة هل يردان القضاء والقدر، فذكر الآيات والأحاديث الدالة علىٰ أن قدر الله عز وجل ماضٍ في عباده، ثم قال: «وقد ثبت عنه ﷺ ما يدل علىٰ أن الحوادث معلقة بأسبابها، كما في قوله ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وإن البر يزيد في العمر، ولا يرد القدر إلا الدعاء» ومراده ﷺ أن القدر المعلق بالدعاء يرده الدعاء، وهكذا قوله ﷺ: «من أحب أن يُبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أجله فليصل رحمه». فالأقدار تردها الأقدار التي جعلها الله سبحانه مانعة لها، والأقدار المعلقة علىٰ وجود أشياء كالبر والصلة والصدقة توجد عند وجودها، وكل ذلك داخل في القدر العام المذكور في

(١) تفسير ابن سعدي ص٣٧٤.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقوله ﷺ: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»، ومن هذا قوله ﷺ: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار». وروي عنه ﷺ أنه قال: «إن صدقة السر تطفئ غضب الله وتدفع ميتة السوء»...»[1].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل للدعاء تأثير في تغيير ما كتب للإنسان قبل خلقه؟

فأجاب بقوله: «لا شك أن للدعاء تأثيراً في تغيير ما كتب، لكن هذا التغيير قد كتب أيضاً بسبب الدعاء، فلا تظن أنك إذا دعوت الله فإنك تدعو بشيء غير مكتوب، بل الدعاء مكتوب وما يحصل به مكتوب، ولهذا نجد القارئ يقرأ على المريض فيشفى، وقصة السرية التي بعثها النبي ﷺ فنزلوا ضيوفاً على قوم ولكنهم لم يضيفوهم، وقدر أن لدغت حية سيدهم فطلبوا من يقرأ عليه، فاشترط الصحابة أجرة على ذلك، فأعطوهم قطيعاً من الغنم، فذهب أحدهم فقرأ عليه الفاتحة، فقام اللديغ كأنما نشط من عقال، أي كأنه بعير فك عقاله، فقد أثرت القراءة في شفاء المريض.

فللدعاء تأثير لكنه ليس تغييراً للقدر، بل هو مكتوب بسببه المكتوب، وكل شيء عند الله بقدر، وكذلك جميع الأسباب لها تأثير في مسبباتها بإذن الله، فالأسباب مكتوبة والمسببات مكتوبة»[2].

٩ - حكم سب القدر:

لا يجوز سب القدر أو الاستهزاء به بل ذلك كفر بالله ﷻ وقد سئل الشيخ ابن باز عن كلام ورد في صحيفة محلية وفيه: «منصور البالغ من العمر ١٣ ربيعاً مزدهراً برحيق الصبا، كان على موعد مع الحزن والأسى ولعبة القدر العمياء. ثم:

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٢/ ٤٩٠-٤٩١.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٩٣، ٩٤.

ولكن القدر المترصد لمنصور لم يحكم لعبته الأزلية...» إلخ.

فقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «هذا الكلام وأشباهه من المنكرات العظيمة بل من الكفر البواح اعتراضاً على الله سبحانه وسباً لما سبق به علمه واستهزاء بذلك، فعلى من قال ذلك أن يتوب إلى الله سبحانه توبة صادقة»[1].

٢٢٣- قراءة الفنجان والكف

انظر: باب (الكهانة) (العراف).

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز ص٤٩٨، ٤٩٩.

٢٢٤- القضاء*

القضاء: الفصل والحكم. وهو في اللغة يرد لمعان تختلف باختلاف التركيب فمنها:

١ - الحكم يقال يقضي قضاء بمعنى حكم.

٢- ومنها الأمر كما قال الله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء.٢٣].

أي أمر بعبادته وحده دون سواه.

٣- ومنها الخبر كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر.٦٦].

قال الجوهري: «أي أنهيناه وأبلغناه»[١].

قال ابن الأثير: «قال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقضاء الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أدي، أو أوجب، أو أعلم، أو أُنفذ، أو أُمضي، فقد قُضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث»[٢].

والمقصود هنا القضاء بمعنى: الفصل والحكم. قال الراغب: «القضاء فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلاً»[٣].

---

* لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٣٤٥، ٣٥٧. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ١٥٣. القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ١/ ٢٥، ٤٨٨ ومن المجموع ٩/ ٢٥. القضاء والقدر للأشقر ص ٢٧. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ٤٢٧. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٥٩٥. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ٣٧٩. منهج ابن حجر في العقيدة ٣٧١.

(١) الصحاح ٦/ ٢٤٦٤.

(٢) النهاية لابن الأثير: «ق ض ى».

(٣) المفردات: «ق ض ى».

قال ابن الأثير: «وقد تكرر في الحديث ذكر «القضاء» وأصله القطع والفصل. يقال قَضَىٰ يَقْضِي قضاءً فهو قاض: إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق»(١).

*** الفرق بين القضاء والقدر :**

قال الراغب: «والقضاء من الله تعالىٰ أخص من القَدَر لأنه الفصل بين التقدير، فالقَدَر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعَدِّ للكيل والقضاء بمنزلة الكيل.. ويشهد لذلك قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، وقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي فُصل تنبيهاً أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه»(٢).

وقال ابن الأثير: «ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي خلقهن.

فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القَدَر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه»(٣).

وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني بقوله: «قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله»(٤).

وقال في موضع آخر: (القضاء الحكم بالكليات علىٰ سبيل الإجمال في الأزل،

(١) النهاية لابن الأثير (ق ض ى).

(٢) المفردات (ق ض ى).

(٣) النهاية (ق ض ى).

(٤) فتح الباري ١١/ ٤٧٧.

والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل»[١].

وقال في التعريفات: «القَدر» تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة. فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر. وخروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحداً بعد واحد، مطابقا للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال، والفرق بين القدر والقضاء، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها»[٢].

وقال ابن بطال: «القضاء هو المقضي»[٣].

وقال الخطابي في معالم السنن: «القدر اسم لما صار مقدراً عن فعل القادر، كالهدم والنشر والقبض: أسماء لما صدر من فعل الهادم والناشر والقابض، والقضاء في هذا معناه الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت.١٢] أي خلقهن»[٤].

وقال السفاريني رحمه الله: «القضاء إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال والقدر تقدير الله تعالى لذلك»[٥].

---

(١) فتح الباري ١١/ ١٤٩.

(٢) التعريفات للجرجاني ٢٢٠.

(٣) فتح الباري ١١/ ١٤٩.

(٤) معالم السنن للخطابي ٧/ ٧٠.

(٥) لوامع الأنوار ١/ ٣٤٥. وينبغي التنبيه إلى أن الأشعرية في التفريق بين القضاء والقدر قالوا: إن القضاء إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه وجودها الحادث، كإرادته تعالى الأزلية بخلق الإنسان في الأرض، والقدر هو إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحددة بالقضاء في ذواتها وصفاتها وأفعالها وأطوالها وأزمنتها وأمكنتها وأسبابها كإيجاد الله الإنسان فعلاً على وجه الأرض طبق ما سبق في قضائه سبحانه.

وقال عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمهم الله: «القدر في الأصل، مصدر قدر، ثم استعمل في التقدير، الذي هو التفصيل والتبيين، واستعمل أيضاً بعد الغلبة في تقدير الله للكائنات قبل حدوثها، وأما القضاء فقد استعمل في الحكم الكوني، بجريان الأقدار، وما كتب في الكتب الأولى، وقد يطلق هذا على القدر الذي هو التفصيل والتمييز، ويطلق القدر أيضاً على القضاء الذي هو الحكم الكوني بوقوع المقدرات»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «القضاء إذا أطلق شمل القدر، والقدر إذا أطلق شمل القضاء، ولكن إذا قيل القضاء والقدر صار بينهما فرق، وهذا كثير في اللغة العربية تكون الكلمة لها معنى شامل عند الانفراد، ومعنى خاص عند الاجتماع ويقال في مثال ذلك: «إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا» فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع يعني أن القضاء إذا أفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير، والقدر ما قدره الله تعالى في الأزل، هذا هو الفرق بينهما فيكون القدر سابقاً والقضاء لاحقاً»(٢).

وهذا أحسن فارق أن القضاء اسم لما وقع، وما لم يقع بعد فهو قدر.

انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها لعبدالرحمن حبنكة ص ٦٢٦.

(١) الدرر السنية ١/ ٥١٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٧٩، ٨٠.

٢٢٥- القنوط من رحمة الله*

قال ابن الأثير: «قد تكرر ذكر القنوط في الحديث، وهو أشد اليأس من الشيء»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فعلى هذا يكون الفرق بينه وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء، فيكون القنوط من اليأس، وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه حكم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال»[(٢)].

والقنوط: استبعاد الفرج واليأس منه. وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، وإما بأن يقول نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه، فهو ييأس من توبة نفسه...»[(٣)].

* **الدليل من الكتاب:** قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر.٥٦].

* **الدليل من السنة:** عن فَضَالَة بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ثَلاَثَةٌ لاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِياً، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ

---

* تيسير العزيز الحميد ص٥١٢. فتح المجيد ص٤١٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٥٦. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٠٣، ط٢-٢/ ٢٥٠ ومن المجموع ١٠/ ٦٨١. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٧.

(١) النهاية (ق ن ط).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥١٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/ ٢٠ وقد نقلها ابن قاسم في حاشية كتاب التوحيد ٢٥٦.

فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلاثَةٌ لا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ ﷻ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ»[1].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢] قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، لأن الله قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ﴾ [المائدة: ٧٢] واليأس من روح الله لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧]والأمن من مكر الله لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]»[2].

وعن ابن مسعود قال: «الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله». وفي رواية: «أكبر الكبائر»[3].

وينبغي للعبد أن يوفق بين الرجاء والخوف فلا يقنط من رحمة الله ولا يأمن من مكر الله بل تكون حاله وسط بين الرجاء والخوف.

أحكام وفوائد:

١ - وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران :

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٤٤٤١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٠٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناده حسن (٧/ ١١٦).

(٣) أخرجه معمر في جامعه (١٩٧٠١)، والطبراني في الكبير(٨٧٨٣)، وعبدالرزاق في المصنف ١٠/ ٤٥٩، وقال الهيثمي إسناده صحيح، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: (هذا الأثر رواه ابن جرير بأسانيد صحاح عن ابن مسعود قال ابن كثير: «وهو صحيح إليه بلا شك») تيسير العزيز الحميد ٥١٤.

التي تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفا وخلقا لازما وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد. ومتى وصل إلى هذا الحد لم يُرْج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما عند الله من واسع الرحمة والمغفرة ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب وتضعف إرادته فييأس من الرحمة. وهذا من المعاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وماله من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها(١).

٢ - مسألة: القنوط على قسمين باعتبار محله:

١ـ ما يتعلق بالأشياء الأخروية كأن يستبعد أن يغفر الله له. أو أن يستبعد أن يتوب هو أو يتوب الله عليه.

٢ـ ما يتعلق بالأشياء الدنيوية كأن يستبعد الغنى، أو الشفاء من المرض وكلاهما محرم. والنوع الأول أشد.

٣ - حكم القنوط:

قال الشيخ ابن عثيمين: «القنوط من رحمة الله لا يجوز ؛ لأنه سوء ظن بالله ﷻ، وذلك من وجهين:

الأول: أنه طعن في قدرته سبحانه ؛ لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئا على قدرة الله.

الثاني: أنه طعن في رحمته سبحانه؛ لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالاً»(٢).

(١) القول السديد ١٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٨٢، ٦٨٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٢/ ٢٠٤.

٢٢٦- القيـام تعظيماً*

التعريف: قام قياما أي انتصب واقفاً[١]. والمراد بيان القيام المنهي عنه وهو ما كان على سبيل التعظيم لأنه نوع عبادة يجب ألا تُصرف إلا لله.

* **الأدلة من السنة:** عن أنس قال: «ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك»[٢].

وعن أبي الزبير عن جابر قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يُسمِعُ الناس تكبيره فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعودا فلما سلم قال: «إنْ كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلى قائما فصلوا قياما وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً»[٣].

---

* التمهيد لابن عبد البر ٢٣/ ٢٦٠. الاستذكار لابن عبد البر ٨/ ٩٧، ٣٠٩. شرح السنة للبغوي ٥/ ١١،٣٢٧/ ٩٢، ١٢/ ٢٩٥. مشكل الآثار للطحاوي ٢/ ٢٩،٤٠. الفروق للقرافي ٢/ ١٩٧. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٩٥، ٢٠٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٩/ ٢٦٥. شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٤٤٠، ١٧/ ٢٥٠. المحلى بالآثار لابن حزم ٣/ ٣٧٩. الدرر السنية ٧/ ٢٣٥، ١٥/ ٣٨٧، الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٤/ ٤٤٥. تحفة الأحوذي ٨/ ٣٠. الآداب الشرعية ١/ ٤٠٨، ٤٠٩. الفتح ١١/ ٥٠، ٥٣. عون المعبود ١٤/ ١٤٢. بذل المجهود ٢٠/ ١٥٣. الدرر السنية ٧/ ٢٣٥، ١٥/ ٣٨٧. مجموع الفتاوى لابن باز ١/ ٢٨٤. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص٦٢. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ٢٥٨، ٢٦١. حكم القيام للقادم لمحمد فاضل، تحية السلام في الإسلام د. عبدالله الطريقي. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٦٦، ٣٦٧.

(١) المعجم الوسيط ٧٦٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢٣٧٠) (١٢٣٩٧) (١٢٥٥٤) (١٣٦٥٨). والترمذي (٢٧٥٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم (٤١٣).

وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: «إنما هلك من كان قبلكم بأنهم عظموا ملوكهم بأن قاموا وقعدوا»[(١)].

وروى البخاري في الأدب المفرد أن معاوية ﷺ خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير قعود فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير وكان أوزنهما فقال معاوية قال النبي ﷺ: «من سره أن يمثُل له عباد الله قياماً فليتبوأ بيتاً من النار»[(٢)].

وعن ابن بريدة أن معاوية خرج من حمام حمص فذكر الحديث وفيه: وإني سأحدثكم بخصلتين حفظتهما من رسول الله ﷺ: «ما من رجل يكون على الناس فيقوم على رأسه الرجال يحب أن تكثر الخصوم عنده فيدخل الجنة...»[(٣)].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول الله ﷺ إليه وكان قريباً منه فجاء على حمار فلما دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ... وذكر الحديث[(٤)].

وعن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: «ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وقال الحسن: حديثاً وكلاماً، ولم يذكر الحسن السمت والهدي والدل برسول الله ﷺ من فاطمة ﷺ كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها»[(٥)].

وفي حديث كعب بن مالك حين تخلف في قصة تبوك قال: «فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ

---

(١) مجمع البحرين ٥/ ٢٦٨ رقم ٣٠٤٥.

(٢) أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) وحسنه البغوي في شرح السنة ١٢/ ٢٩٥ رقم ٣٣٣٠ وقال هذا حديث حسن وروايته: «فليتبوأ بيتاً في النار».

(٣) أخرجه الحاكم ١/ ٩٤ في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) وأخرجه الإمام أحمد (٢٥٦١٠) عن أبي سعيد الخدري وفيه زيادة: «فأنزلوه» وهذه إن صحت فلا إشكال هنالك فالمراد من النهي ما كان للتعظيم وقد حسن الحافظ ابن حجر هذه الزيادة في الفتح ١١/ ٥٢.

(٥) أبو داود (٥٢١٧)، والترمذي (٣٨٧٢).

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ... وذكر الحديث»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر في فوائد حديث توبة كعب: «تهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة وسروره بما يسر أتباعه، ومشروعية العارية، ومصافحة القادم والقيام له»[(٢)].

* **ومن فعل السلف وأقوالهم:**

ذكر رجاء بن حيوة عن رجل قال: كنا جلوساً بباب معاوية، فخرج علينا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقمنا له فقال: «لا تقوموا لحيٍّ ولا لميت»[(٣)].

وقال الأوزاعي رحمه الله: حدثني بعض حرس عمر بن عبدالعزيز قال: خرج علينا عمر بن عبدالعزيز ونحن ننتظره يوم الجمعة فلما رأيناه قمنا فقال: «إذا رأيتموني فلا تقوموا ولكن توسعوا»[(٤)].

قال الخطيب البغدادي: «لما حج المهدي دخل مسجد النبي ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين! فقال ابن أبي ذئب: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٩)، (٢٧٥٧)(٧٢٢٥)، ومسلم (٢٧٦٩) واللفظ له، وأبو داود (٢٢٠٢).

(٢) الفتح ٧/ ٧٣١.

(٣) الزهد لهناد السري ص١٨٢، وتهذيب الآثار للطبري ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٤) تاريخ دمشق ٦٨/ ١٨٤.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢/ ٢٩٨، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٢، وانظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٤٣ تذكرة الحافظ ١/ ١٩٢، وقصة مشابهة في البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٣٦٥، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٦١.

وكان أحمد بن المعذل وغيره بدار المتوكل فخرج عليهم المتوكل فلم يقم له أحمد خاصة فسأل عن ذلك وزيره فاعتذر عنه بسوء بصره فرد عليه أحمد ذلك وقال للمتوكل: إنما نزهتك من عذاب النار، وساق له حديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» فجاء المتوكل فجلس إلىٰ جانبه»[(١)].

وخرج المأمون يوماً من عند أبيه فقام له العلماء ما خلا وكيع بن الجراح قال: فالتفت إليه بعض القواد فقال له: ما هذه الجفوة؟ يمر بك ابن الخليفة ولا تقوم له فقال له: يا هذا إذا طلبنا العلم ولم نعمل به فما نرجوا منه، قال النبي ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

وهؤلاء أحق الناس بالشدة في الدين وترك الالتفات فإن الإعراض عنهم موعظة[(٢)].

أحكام وفوائد:

١ - حكم القيام للقادم:

قال ابن رشد: «إن القيام يقع علىٰ أربعة أوجه:

الأول: محظور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعاظما علىٰ القائمين إليه.

الثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم علىٰ القائمين، ولكن يخشىٰ أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر ولما فيه من التشبيه بالجبابرة.

الثالث: جائز، وهو أن يقع علىٰ سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة.

الرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقدومه ليسلم عليه أو إلىٰ من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها، أو مصيبة يعزيه فيها»[(٣)].

---

(١) فتح المغيث ٢/ ٣٢٩، المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢١٣.

(٢) الجليس الصالح والأنيس السوء لسبط الإمام ابن الجوزي ص٢٢٢.

(٣) انظر: الفتح ١١/ ٥٤.

* ومن القيام ما هو جائز، كالقيام على رأس بعض الأمراء خوفاً عليه، فهذا جائز لذلك السبب ؛ وقد ورد مثل ذلك من بعض الصحابة مع النبي ﷺ، وذلك في صلح الحديبية، ففي الحديث الصحيح قال: «والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر...»[(١)].

قال ابن القيم: «وفي قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله بالسيف ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر وتعظيم الإمام وطاعته ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه النبي ﷺ بقوله: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره»[(٢)].

* ومن القيام الجائز القيام إليه للتلقي إذا قدم. قال ابن القيم: «فالمذموم القيام للرجل وأما القيام إليه للتلقي إذا قدم فلا بأس به»[(٣)].

* ويجوز القيام إذا ترتب على تركه مفسدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والذي ينبغي للناس أن يعتادوا السنة في ترك القيام المتكرر للقاء، ولكن إذا اعتاد الناس القيام وقدم من لا يرى كرامته إلا بالقيام له وإذا ترك توهَّم بغضه وإهانته، وتولد من ذلك عداوة وشر، فالقيام له على هذا الوجه لا بأس به و«إنما الأعمال بالنيات»»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) زاد المعاد ٣ / ٣٠٤.

(٣) حاشية ابن القيم مع عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٤/ ٨٥.

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص٥٦٣.

وقال ابن حجر: «وفي الجملة متى صار ترك القيام يشعر بالاستهانة أو يترتب عليه مفسدة امتنع، وإلى ذلك أشار ابن عبدالسلام»[(١)].

أما أن تقيم الرجل ثم يُجلَسُ مكانه فمنهي عنه ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»[(٢)].

* حكم القيام لأهل العلم والفضل: قال ابن مفلح: قال حنبل: «قلت لعمي: ترى للرجل أن يقوم للرجل إذا رآه؟ قال: لا يقوم أحد لأحد إلا الولد لوالده أو لأمه فأما لغير الوالدين فلا»[(٣)].

وللإمام النووي رحمه الله رسالة أسماها الترخيص في القيام، وقد تعقبه ابن الحاج رحمه الله ورد عليه كل ما استدل به، وقد ذكر ابن حجر شيئاً من أقوالهم في الفتح[(٤)].

وقال الإمام أبو بكر بن العربي: «يجوز القيام للرجل الكبير بداءة إذا لم يؤثر ذلك في نفسه كما قال النبي ﷺ لجلسائه حين جاء سعد: «قوموا إلى سيدكم» فإن أثر فيه لم يجز عونه على ذلك، لما روى: «من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار»»[(٥)].

ولكن أخرج الإمام أحمد الحديث وفيه: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» وزيادة (فأنزلوه) حسّنها الحافظ ابن حجر حيث قال: «وسنده حسن، وهذه الزيادة تخدش في الاستدلال بقصة سعد على مشروعية القيام المتنازع فيه»[(٦)].

وقال ابن مفلح: «روى ابن القاسم في المدونة: قيل لمالك: فالرجل يقوم

---

(١) فتح الباري ١١/ ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري (٩١١)، ومسلم (٢١٧٧).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٤٠٩. وانظر: منهاج القاصدين ص ٣٤٤.

(٤) ١١/ ٥٠، ٥٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٣/ ١١٠٦.

(٦) فتح الباري ١١/ ٥١.

للرجل له الفضل والفقه؟ قال: أكره ذلك»[١].

وفي حديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً...» قال ابن قتيبة: «معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين يدي ملوك الأعاجم وليس المراد به نهي الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه»[٢].

و قال ابن كثير: «فأما اتخاذه ديدنا فإنه من شعار الأعاجم»[٣].

وقال ابن حجر: «وأما القيام حتى يجلس فلا. فإن هذا فعل الجبابرة، وقد أنكره عمر بن عبدالعزيز»[٤].

* وقد سئل الشيخ حسين، وعبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ عن القيام في وجوه الأمراء والعلماء، وأهل الفضل..إلخ؟

فأجابا: «لا يجوز القيام للعلماء، ولا الأمراء، بحيث يتخذ ذلك عادة وسنة، بل ذلك من فعل أهل الجاهلية والجبابرة، كملوك فارس والروم وغيرهم، فإنهم كانوا يفعلون ذلك مع عظمائهم»[٥].

وقد تقدم حديث النبي ﷺ: «من سره أن يمثل له عباد الله قياما فليتبوأ بيتا من النار»[٦].

قال الإمام البغوي: «هذا فيمن سلك فيه طريق التكبر»[٧].

وقال ابن قدامه: «ومن خصال المتكبر أنه يحب قيام الناس له»[٨].

---

(١) الآداب الشرعية ١/ ٤٠٨.

(٢) فتح الباري ١١/ ٥٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٢٥.

(٤) فتح الباري ١١/ ٥٣.

(٥) الدرر السنية ٧/ ٢٣٥.

(٦) أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥).

(٧) شرح السنة ١٢/ ٢٩٥.

(٨) مختصر منهاج القاصدين ص٣٤٤.

وقال المناوي: «وذلك لأن ذلك إنما ينشأ عن تعظيم المرء نفسه واعتقاد الكمال وذلك عجب وتكبر وجهل وغرور ولا يناقضه خبر: «قوموا لسيدكم» لأن سعداً لم يحب ذلك والوعيد إنما هو لمن أحب»[١].

وجاء في روضة الطالبين: «وأما الداخل فيحرم عليه أن يحب قيامهم له»[٢].

وقال ابن مفلح: «والنهي قد وقع على السرور بذلك الحال، فإذا لم يسر بالقيام إليه وقاموا له فغير ممنوع منه»[٣].

٢- أثر القيام على التوحيد:

القيام المنهي عنه قد يكون فيه تعظيم غير الله أو تشبه بالأعاجم. وقد تقدم أن اتخاذه عادة من شعار الأعاجم، وقد نهينا عن التشبه بهم، أما التعظيم فهو حق الله وحده.

قال فضل الله الجيلاني: «ومن العجب استدلالهم على جواز القيام للناس بحديث «قوموا إلى سيدكم» ومن المستدلين من يسهو فيذكره بلفظ: «قوموا لسيدكم»، كأنهم لم يعرفوا الفرق بين القيام للرجل والقيام إليه وهو أن القيام له معناه القيام تعظيما له، قال الله ﷻ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة.٢٣٨]. هذا أصل معناه عند الإطلاق وأماالقيام إليه فمعناه أن تقوم عامدا إليه، ولا يفهم منه التعظيم والإكرام إلا بقرينة كما في حديث: «قوموا إلى سيدكم»»[٤].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وبالجملة فالقيام والقعود والركوع والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض، وما كان حقا خالصًا لله لم يكن لغيره فيه نصيب»[٥].

---

(١) فيض القدير ٦/ ٣٢.

(٢) روضة الطالبين ١٠/ ٢٣٦.

(٣) الآداب الشرعية ١/ ١٥٨.

(٤) شرح الأدب المفرد فضل الله الجيلاني ٢/ ٣٩٩.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٩٣.

* ولشيخ الإسلام تفصيل في مسألة القيام يحسن بنا أن نذكره في خاتمة هذا البحث:

سئل الإمام العالم العامل الرباني والحبر النوراني أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالىٰ عن النهوض والقيام الذي يعتاده الناس من الإكرام عند قوم شخص معين معتبر هل يجوز أو لا؟ وإذا كان يغلب علىٰ ظن المتقاعد عن ذلك أن القادم يخجل أو يتأذىٰ باطناً، وربما أدىٰ ذلك إلىٰ بغض وعداوة ومقت، وأيضاً المصادفات في المحافل وغيرها، وتحريك الرقاب إلىٰ جهة الأرض والانخفاض، هل يجوز ذلك أم يحرم؟

فإن فعل ذلك الرجل عادة وطبعاً ليس فيه له قصد هل يحرم عليه أم لا يجوز ذلك في حق الأشراف والعلماء وفيمن يرىٰ مطمئناً بذلك دائماً هل يأثم علىٰ ذلك أم لا؟

وإذا قال: سجدت لله هل يصح ذلك أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله رب العالمين لم تكن عادة السلف علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام كما يفعله كثير من الناس بل قد قال أنس بن مالك لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقياً له، كما روىٰ عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: «قوموا إلىٰ سيدكم» وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة لأنهم نزلوا علىٰ حكمه.

والذي ينبغي للناس أن يعتادوا اتباع السلف علىٰ ما كانوا عليه علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدىٰ هدىٰ محمد ﷺ، فلا يعدل أحد عن هدىٰ خير الورىٰ، وهدىٰ خير القرون إلىٰ ما هو دونه، وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد.

وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له فحسن.

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ: «من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ولهذا فرقوا بين أن يقال: قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعداً في مرضه صلوا قياماً أمرهم بالقعود وقال: «لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً»، وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود.

وجماع ذلك كله الذي يصلح اتباع عادات السلف وأخلاقهم والاجتهاد عليه بحسب الإمكان، فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما»[(١)].

٣- حكم القيام للكافر:

قال العز بن عبدالسلام: «ولا يفعل ـ القيام ـ للكافر لأنا مأمورون بإهانته، وإظهار صغاره، فإن خيف من شره ضرر عظيم جاز؛ لأن التلفظ بكلمة الكفر جائز للإكراه فهذا أولى»[(٢)].

وجاء في حاشية ابن عابدين عن الذخيرة: «لو دخل ذمي على مسلم فقام له ليميل قلبه إلى الإسلام فلا بأس، وإن لم ينوِ شيئاً، أو عظمه لغناه كره.اهـ. قال

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٣٧٤-٣٧٦.
(٢) الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيثمي ٤/ ٢٧٤.

الطرسوسي: وإن قام تعظيماً لذاته وما هو عليه كفر؛ لأن الرضى بالكفر كفر، فكيف بتعظيم الكفر. اهـ.

قلت: وبه علم أنه لو قام له خوفاً من شره فلا بأس أيضاً إذا تحقق الضرر، فقد يجب وقد يستحب على حسب حال ما يتوقعه»[١].

وجاء في الفتوحات الربانية: «ويحرم لنحو كافر لا يخشى من ترك القيام له محذوراً»[٢].

وقال القرافي رحمه الله: «فيتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبل ما نهى عنه في الآية، وغيرها. ويتضح ذلك بالمثل، فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ وبداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها، هذا كله حرام..»[٣].

---

(١) حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٧٥.

(٢) الفتوحات الربانية ٥/ ٤٠٣.

(٣) كتاب الفروق للقرافي ٢/ ٧٠٢. دار السلام.

٢٢٧- الكتابة على القبر*

الكتابة على القبور أمر نهى الشارع عنه. سواء نصب لوحاً على القبر وكتب فيه من آيات القرآن أو غير ذلك مما ورد النهي عنه والتحذير منه فقد ورد عن جابر بن عبد الله أنه قال: نهى رسول الله ﷺ: «أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»(١). وفي بعض الروايات زاد: «أو يزاد عليه أو يكتب عليه»(٢).

قال ابن القيم في بيان مخالفة القبوريين لأوامر الشريعة: «ونهى عن الكتابة عليها، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره»(٣).

وقال رحمه الله: «ولم يكن من هديه ﷺ تعلية القبور ولا بناؤها بآجر، ولا بحجر ولبن، ولا تشييدها، ولا تطيينها... فسنته ﷺ تسوية هذه القبور المشرفة كلها، ونهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه(٤).

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن نقش حصاة (وَسْم) تُبين أن هذا قبر فلان فقال: «هو بمعنى الكتابة، وفيه مزيد الاعتناء الذي ليس شرعياً، وليس عليه الصحابة، فهو ما ينبغي»(٥).

قال ابن باز رحمه الله: «لا يجوز أن يكتب على قبر الميت لا آيات قرآنية ولا غيرها،

---

* المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ٢٣ ـ ٢٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/ ٣٨١. الدرر السنية ٥/ ١٣٦. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٣/ ٦٢٢. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٤١.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٢) النسائي (٢٠٢٩) وينظر كلام أهل العلم في صحتها.

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ١٩٦.

(٤) الزاد ١/ ٥٢٤.

(٥) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ٣/ ٢٠٠.

لا في حديدة ولا في لوح ولا في غيرها ؛ لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر ﷺ: «نهىٰ ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنىٰ عليه». رواه الإمام مسلم في صحيحه. زاد الترمذي والنسائي بإسناد صحيح: وأن يكتب عليه»[(١)].

قال الشيخ ابن قاسم: «وظاهره تحريم الكتابة عليه... ومن ظن أن الأصحاب أرادوا كراهة التنزيه فقد أبعد النجعة»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين في شرح الزاد: «"وتكره الكتابة" أي علىٰ القبر، سواء كتب علىٰ الحصىٰ المنصوب عليه، أو كتب علىٰ نفس القبر، لأن ذلك يؤدي إلىٰ تعظيمه، وتعظيم القبور يخشىٰ أن يوصل صاحبه إلىٰ الشرك، وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الكتابة مكروهة، ولو كانت بقدر الحاجة، أي حاجة بيان صاحب القبر درءاً للمفسدة»[(٣)].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ويحرم البناء علىٰ القبور وتجصيصها والكتابة عليها»[(٤)].

ووضع العلامة لمعرفة القبر جاء فيها ما رواه المطلب قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن فأمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه قال كثير: قال المطلب، قال الذي يخبرني ذلك عن رسول الله ﷺ قال: كأني أنظر إلىٰ بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال: أتعلّم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي[(٥)].

---

(١) فتاوىٰ ابن باز ص ٧٤١ .

(٢) حاشية الروض ٣/ ١٢٨.

(٣) الشرح الممتع ٥/ ٤٥٩.

(٤) الملخص الفقهي ١/ ٢١٤.

(٥) أبو داود ٣٢٠٦.

فإذا علِّم القبر بعلامة غير الكتابة لكي يعرف للزيارة والسلام عليه كأن يخط خطاً أو يضع حجراً على القبر ليس فيه كتابة، من أجل أن يزور القبر ويسلم عليه؛ لا بأس بذلك، أما الكتابة فلا يجوز، لأن الكتابة وسيلة من وسائل الشرك، فقد يأتي جيل من الناس فيما بعد ويقول: إن هذا القبر ما كتب عليه إلا لأن صاحبه فيه خير ونفع للناس، وبهذا حدثت عبادة القبور.

قال الشيخ السعدي فيما نقله الشيخ ابن عثيمين عنه موضحاً معنى الكتابة: «المراد بالكتابة ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من عبارات المدح والثناء لأن هذه هي التي يكون بها المحظور أما التي بقدر الإعلام فلا تكره»[1].

(١) الشرح الممتع ٥/ ٤٦٠.

٢٢٨- الكرامة *

التعريف: «الكرامة ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوىٰ النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما كان مقرونا بدعواها يكون معجزة»(١).

قال ابن عثيمين: «الكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالىٰ علىٰ يد ولي ؛ تأييداً له، أو إعانة، أو تثبيتاً، أو نصراً للدين»(٢).

قال في الكواشف الجلية: «أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوىٰ النبوة يظهر علىٰ يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم المتابعة لنبي كلف بشريعته، مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم»(٣).

---

* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٩٧، ٢٩٨، ٩/ ١٦٩، ١٠/ ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ١١/ ٣٠. التحفة العراقية لابن تيمية ٤٤. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٢، ٣٩٧. الدرر السنية ١/ ٣٢، ٢٣٠، ٢/ ١٩٦، ١٢/ ٢٠١، ٢١٣. قطف الثمر صديق حسن القنوجي ١٠٥. الدين الخالص صديق حسن القنوجي ٣/ ٥٧٨. تيسير العزيز الحميد ٤٠٠. فتح المجيد ٣٢٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١٩٤. فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١/ ٣٨٨. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٦٩٩. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٧/ ٢٠٨. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ٥٦٢. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢٩٨. علم التوحيد د: الربيعة ١١٩. ١٢٢، ١٢٦. التبرك د: ناصر الجديع ٩٧.

(١) التعريفات للجرجاني ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) شرح الواسطية من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٨/ ٦٢٦. وقال ابن عثيمين معلقا علىٰ هذا التعريف: «ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة ؛ لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات ؛ فإن الرسول ﷺ كان بين أظهرهم، وأما التابعون فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييدا لهم وتثبيتا ونصرا للحق الذي هم عليه» من شرح الواسطية ٨/ ٦٣٠.

(٣) الكواشف الجلية ص٧١٧، وانظر أصل التعريف في لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٢.

وقد بيَّن شيخ الإسلام أنه لا يكفي في المعجزة مجرد الدعوىٰ، قال رحمه الله: «فقد تبين أنه ليس من شرط دلائل النبوة لا اقترانه بدعوىٰ النبوة، ولا الاحتجاج به ولا التحدي بالمثل ولا تقريع من يخالفه، بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات، لكن لا يجب أن ما لا يقع معه لا يكون آية بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء لخلوها عن هذا الشرط... وهم ـ أي الأشاعرة ـ إنما شرطوا ذلك لأن كرامات الأولياء عندهم متىٰ اقترن بها دعوىٰ النبوة، كانت آية للنبوة، وجنس السحر والكهانة متىٰ اقترن به دعوىٰ النبوة كان دليلاً علىٰ النبوة عندهم لكن قالوا: الساحر والكاهن لو ادعىٰ النبوة لكان يمتنع من ذلك، أو يعارض بمثله، وأما الصالح فلا يدعىٰ، فكان أصلهم أن ما يأتي به النبي والساحر والكاهن والولي من جنس واحد لا يتميز بعضه عن بعض بوصف، لكن خاصة النبي اقتران الدعوىٰ والاستدلال والتحدي بالمثل بما يأتي به، فلم يجعلوا لآيات الأنبياء خاصة تتميز بها عن السحر والكهانة وعما يكون لآحاد المؤمنين، ولم يجعلوا للنبي مزية علىٰ عموم المؤمنين، ولا علىٰ السحرة والكهان من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد علىٰ صدقه.

وهذا افتراء عظيم علىٰ الأنبياء وعلىٰ آياتهم، وتسوية بين أفضل الخلق وشرار الخلق، بل تسوية بين ما يدل علىٰ النبوة، وما يدل علىٰ نقيضها، فإن ما يأتي به السحرة والكهان لا يكون إلا لكذاب فاجر عدو لله، فهو مناقض للنبوة، فلم يفرقوا بين ما يدل علىٰ النبوة وعلىٰ نقيضها، وبين ما لا يدل عليها، ولا علىٰ نقيضها، فإن آيات الأنبياء تدل علىٰ النبوة، وعجائب السحرة والكهان تدل علىٰ نقيض النبوة، وإن صاحبها ليس ببر ولا عدل، ولا ولي لله فضلاً عن أن يكون نبياً، بل يمتنع أن يكون الساحر والكاهن نبياً بل هو من أعداء الله»[1].

(١) النبوات ١/ ٦٠٤.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والله عز وجل بعث الرسل بالآيات لا بالمعجزات، ولهذا كان التعبير بالآيات أحسن من التعبير بالمعجزات:

أولاً: لأن الآيات هي التي يُعبَّر في الكتاب والسنة.

ثانياً: أن المعجزات قد تقع من ساحر ومشعوذ وما أشبه ذلك تُعجزُ غيره.

ثالثاً: أن كلمة (آيات) أدل على المعنى المقصود من كلمة (معجزات)؛ فآيات الله عز وجل هي العلامات الدالة على الله عز وجل، وحينئذ تكون خاصة به، ولولا أنها خاصة؛ ما صارت آية له»[1].

فوائد وأحكام:

١ - الفرق بين الكرامة والمعجزة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة»[2].

وقال المازري: «إن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقام غالبا اتفاقا وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي»[3].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص١٢٤. ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨/ ١٠٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١١.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٢٣ وانظر للاستزادة حول معنى المعجزة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢/ ١٤٧. ١١/ ٣٠. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٢. قطف الثمر صديق حسن ص١٠٦. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٤٨. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٨٥. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص١٢٤. موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣٧٨. علم التوحيد د الربيعة ص١١٤، ١١٨، ١٢١.

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «كل ما لم تبلغه طاقة البشر ولم يقع في دائرة قدرتهم فهو معجزة، وقد تطلق المعجزة على ما خرج عن طاقة العامة من الخلق دون الخاصة، كبعض المسائل العلمية واختراع بعض الآلات والأجهزة الحديثة وغيرها مما لا يقوى عليه إلا خواص الناس، وكالغوص والسباحة وحمل الأثقال وهذا عجز نسبي يكون في مخلوق دون آخر.

وأما المراد من المعجزة هنا ـ أي في علم التوحيد ـ فهي الأمر الخارق للعادة الخارج عن سنة الله في خلقه، الذي يظهره الله على يد مدّعي النبوة تصديقا له في دعواه، وتأييدا له في رسالته، مقرونا بالتحدي لأمته، ومطالبتهم أن يأتوا بمثله، فإذا عجزوا كان ذلك آية من الله تعالى على اختياره إياه وإرساله إليهم بشريعته»[١].

٢ - أقسام الكرامة:

قال الشيخ ابن عثيمين: «الكرامة تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات، وقسم يتعلق بالقدرة والتأثيرات.

* أما العلوم كأن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره.

* وأما المكاشفات كأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

ـ **مثال الأول العلوم:** ما ذكر عن أبي بكر أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته ـ الحمل ـ أعلمه الله أنه أنثى[٢].

ـ **ومثال الثاني المكاشفات** ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية! الجبل! فتعجبوا من هذا الكلام، ثم سألوه عن ذلك؟ فقال: إنه كشف له عن سارية بن

---

(١) مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٤٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٢٦١. وقد ذكرها ابن القيم في مدارج السالكين ٣/ ٢٢٨.

زنيم وهو أحد قواده في العراق، وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلى الجبل، وقال له: يا سارية! الجبل! فسمع سارية صوت عمر، وانحاز إلى الجبل، وتحصن به[١].

هذه من أمور المكاشفات ؛ لأنه أمر واقع، لكنه بعيد.

أما القدرة والتأثيرات ؛ فمثل ما وقع لمريم من هزها لجذع النخل وتساقط الرطب عليها. ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب ؛ حيث قال لسليمان: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك... ثم ذكر قول شيخ الإسلام في كتاب الفرقان حين قال: «وهذا باب واسع، قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان ؛ فكثير»[٢].

وهناك أنواع تتعلق بالكشف والكرامة أهمها:

١ - الإلهام وهو معنى يُلقى في القلب أو شيء يلقى في القلب تطمئن له النفس، وينشرح له الصدر[٣].

وهذا الشيء الذي يُلقى في القلب يحتاج أن يعرضه صاحبه على ما جاء به النبي ﷺ، قال الإمام ابن تيمية: «ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكون نبياً ؛ بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه إلا أن يكون موافقاً للشرع، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ؛ بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله وإن خالفه لم يقبله وإن لم يعلم أموافق هو أم

---

(١) هذه الكرامة لعمر ﷺ جرت حقيقة ولا عبرة لمن قال إنها جرت أحلاماً ومنامات فهذا تعسف وتحريف بل جرى ذلك يقظة على الحقيقة وقد أخرج قصة سارية البيهقي وأبو نعيم والخطيب عن ابن عمر وقال ابن حجر في الإصابة: إسناده حسن نقلا عن تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١١٧ وانظر القصة في البداية والنهاية ٧/ ١٣١.

(٢) شرح الواسطية في مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨/ ٦٣١، ٦٣٢.

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني، موسوعة مصطلحات أهل الفقه ١/ ٢٤٧.

مخالف؟ توقف فيه»[١].

٢- الهواتف جمع هاتف وهو الصوت المسموع لا يعلم من ألقاه[٢].

وهذا وإن كان يقع للعبد على سبيل الكرامة فإن هناك من استزله الشيطان وخدعه بما يظن أنه كرامة حتى أضله عن الطريق وسار به إلى الاستغاثة بالأموات والإشراك بالله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من هؤلاء يتمثل له الشيطان، ويرى نوراً أو عرشاً أو نوراً على العرش، ويقول: أنا ربك. ومنهم من يقول: أنا نبيك، وهذا قد وقع لغير واحد، ومن هؤلاء من تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية أو غير ذلك، ويكون المخاطب له جنياً، كما قد وقع لغير واحد، لكن بسط الكلام على ما يُرى ويُسمع وما هو في النفس والخارج، وتمييز حقه من باطله ليس هذا موضعه، وقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع»[٣].

٣ - أمثلة لكرامات الأولياء[٤]:

الأولياء جمع ولي: وهو المؤمن المتقي كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس.٦٢-٦٣]. سمي ولياً اشتقاقا من الولاء وهو المحبة والقرب فولي الله من والى الله بموافقته في محبوباته والتقرب إليه بمرضاته[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٠٣.

(٢) انظر في ذلك رسالة ذكر الله بين الاتباع والابتداع ص٣٨٨-٤٢٥.

(٣) منهاج السنة ١/ ٦٢٥.

(٤) للاستزادة حول معنى الولي والولاية انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣٩، ١١/ ٢٨ - ٤٠. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١١٨. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٦٧. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٧٦. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٥٥١. نواقض الإيمان القولية والعملية ٧/ ١٣٥، ١٣٨. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٦١٥.

(٥) شرح الواسطية الفوزان ص٢٠٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من كان مؤمنا تقيا ؛ كان لله وليًّا»[(١)].

قال العلماء: كل كرامة لولي ؛ فهي آية للنبي الذي اتبعه ؛ لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هذا الولي طريق صحيح.

وعلىٰ هذا ما جرىٰ من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها آيات لرسول الله ﷺ[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر وتسبيح الحصا في كفه، وإتيان الشجر إليه وحنين الجذع إليه، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس وإخباره بما كان وما يكون وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص، في حديث أم سليم المشهور وروّىٰ العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفا، ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتىٰ كفىٰ الناس الذي كانوا معه، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألفا وأربعمائة أو خمسمائة وردّه لعين أبي قتادة حين سالت علىٰ خده فرجعت أحسن عينيه.

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته وكانت الملائكة تسلم علىٰ عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وعباد

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٢٢٤، ٢٥/ ٣١٦. وانظر صفات أولياء الله مفصلة في الجزء السابع من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ص١٣٥-١٤٤.

(٢) انظر شرح الواسطية لابن عثيمين ٨/ ٦٢٨.

بن بشر وأسيد بن الحضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما»[(١)].

٤- بقاء الكرامات في أولياء الله إلى يوم القيامة:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الدليل على أنها موجودة إلى يوم القيامة: سمعي، وعقلي.

أما السمعي فإن الرسول ﷺ أخبر في قصة الدجال أنه يدعو رجلا من الناس من الشباب يأتي، ويقول له: كذبت ! إنما أنت المسيح الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله ﷺ، فيأتي الدجال، فيقتله قطعتين، فيجعل واحدة هنا وواحدة هنا رمية الغرض - يعني: بعيدا ما بينهما -، ويمشي بينهما، ثم يدعوه، فيقوم يتهلل، ثم يدعوه ليقر له بالعبودية، فيقول الرجل: ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم ! فيريد الدجال أن يقتله ؛ فلا يسلط عليه»[(٢)].

فهذه أي عدم تمكن الدجال من قتل ذلك الشاب من الكرامات بلا شك.

وأما العقلي فيقال: ما دام سبب الكرامة هي الولاية ؛ فالولاية لا تزال موجودة إلى قيام الساعة»[(٣)].

٥- حال العبد عند حصول الكرامة أو الخارق للعادة:

ينبغي للعبد أن لا يغتر بالكرامة ولا يشتد فرحه بها ؛ لأنها قد تكون سبباً لهلاكه فيصيبه العُجْب والأمْن بل المطلوب أن يستعين بذلك على التقرب إلى الله والتواضع له وازدراء النفس لتصفو نفسه أما أن يعجب بها ويعظم نفسه بسببها فإن في هذا عطبه وهلاكه.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص١٥٥، ١٦٥، ومجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٦، وانظر للاستزادة من الأمثلة شرح الواسطية من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨/ ٦٢٧، ٦٢٨.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

(٣) شرح الواسطية من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨/ ٦٣٢، ٦٣٣.

وفي مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام: «قال أبو علي الجوزجاني: «كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن نفسك منجبلة علىٰ طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة». قال الشيخ السهروردي في عوارفه: وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين وما مُنحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبداً نفوسهم لا تزال تتطلع إلىٰ شيء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئاً من ذلك، ولعل أحدهم يبقىٰ منكسر القلب متهماً لنفسه في صحة عمله حيث لم يُكاشف بشيء من ذلك، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح علىٰ بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرىٰ من خوارق العادات وآثار القدرة تفنناً فيقوىٰ عزمه علىٰ هذا الزهد في الدنيا والخروج عن دواعي الهوىٰ، وقد يكون بعض عباده يكاشف بصدق اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب، ومن كوشف بصدق اليقين أغنىٰ بذلك عن رؤية خرق العادات؛ لأن المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين، فلو كوشف هذا المرزوق صدق اليقين بشيء من ذلك لازداد يقيناً، فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغناء به وتقتضي الحكمة كشف ذلك لآخر لموضع حاجته، وكان هذا الثاني يكون أتم استعداداً وأهلية من الأول، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة، ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة، فتعلّم هذا لأنه أصل كبير للطالبين والعلماء الزاهدين ومشايخ الصوفية»[1].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٣٢٠.

٦ - وجوب الإيمان بكرامات الأولياء وحكم إنكارها:

قرر هذه العقيدة الإمام الطحاوي حيث قال: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم»[١].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات. والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[٢].

جاء في لوامع الأنوار: «وكرامة الأولياء حق وأنكر الإمام أحمد رضي الله عنه على من أنكرها وضلله»[٣].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة، وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم؛ حيث إنهم ينكرون الكرامات ويقولون: إنك لو أثبت الكرامات لاشتبه الساحر بالولي والولي بالنبي؛ لأن كل واحد منهم يأتي بخارق.

فيقال: لا يمكن الالتباس؛ لأن الكرامة على يد ولي، والولي لا يمكن أن يدعي النبوة، ولو ادَّعاها لم يكن وليا. آية النبي تكون على يد نبي، والشعوذة والسحر على يد عدو بعيد من ولاية الله، وتكون بفعله باستعانته بالشياطين، فينالها بكسبه بخلاف الكرامة فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولي بكسبه»[٤].

---

(١) الطحاوية مع الشرح ص٥٨، ٥٩.

(٢) العقيدة الواسطية مع شرح الشيخ صالح الفوزان ص٢٠٧.

(٣) لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٣.

(٤) شرح الواسطية من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٨/ ٦٢٨، ٦٢٩.

٧ - الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الشياطين:

ينبغي للعبد أن يفرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ذلك أن لكل واحد منهما خصائص وسمات تدل عليه.

وقد نقل إمام الحرمين الإجماع علىٰ أن السحر لا يظهر إلا من فاسق وأن الكرامة لا تظهر علىٰ فاسق[(١)].

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن من مسائل أهل الجاهلية: «اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين، ونسبته إلىٰ الأنبياء، كما نسبوه إلىٰ سليمان»[(٢)].

وقد بين ابن تيمية رحمه الله: أن ليس كل خارق يجري علىٰ يدي صاحبه يدل علىٰ أن ذلك كرامة له، أو أنه أكرم الخلق علىٰ الله، فلربما كان ذلك الخارق حالا شيطانية، وذكر أن المخاريق ثلاثة أنواع:

أحدها: ما يكون آية لنبي، و هذه حق لا ريب فيها، ولا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها.

ثانيها: ما يكون كرامة لولي، وهذه حق عند أهل السنة والجماعة، وهذه تكون علىٰ يدي الصالحين، وتدل علىٰ صحة الدين الذي جاء به الرسول لا تدل علىٰ أن الولي معصوم ولا تدل علىٰ وجوب طاعته في كل ما يقوله.

ثالثها: خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان وأمثالهم من الفجرة التي تعينهم خوارقهم علىٰ محرمات مثل الفواحش والظلم والشرك والقول الباطل[(٣)].

---

(١) الفتح ١٠/ ٢٢٣.

(٢) شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١ / ٣٠٠.

(٣) انظر النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤، وقد تكلمت عن هذه المسألة بالتفصيل في كتابي «أحكام الكهانة» ص ٧٨ - ١٠٧.

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «وبين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوىٰ، والأحوال الشيطانية سببها ما نهىٰ الله عنه ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف.٣٣]. فالقول علىٰ الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالىٰ ورسوله ﷺ فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالىٰ بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي فيها، استغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها علىٰ ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية»[1].

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ الأشاعرة ومن قال بقولهم في التفريق بين المعجزات وخوارق السحرة وبيَّن التحقيق في ذلك فقال: «وعندهم لا فرق بين جنس وجنس في اختصاصه بالأنبياء به، فليس في أجناس المعقولات ما يكون آية تختص بالأنبياء، فيستلزم نبوتهم بل ما كان لهم قد يكون عند غيرهم حتىٰ للسحرة والكهان، وهم أعداؤهم، وفرقوا بعدم المعارضة، وهذا فرق غير معلوم وهو مجرد دعوىٰ.

قالوا: لو ادعىٰ الساحر والكاهن النبوة، لكان الله ينسيه الكهانة والسحر، ولكان له من يعارضه لأن السحر والكهانة هي معجزة عندهم، وفي هذه الأقوال من الفساد عقلاً وشرعاً ومن المناقضة لدين الإسلام وللحق ما يطول وصفه، ولا ريب أن قول من أنكر وجود هذه الخوارق أقل فساداً من هذا، ولهذا يشنع عليهم

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٧١. انظر: شرح مسائل الجاهلية ١/ ٣٠٢.

ابن حزم وغيره بالشناعات العظيمة.

ولهذا يقيم أكابر فضلائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر، فلا يجدون فرقاً إذْ لا فرق عندهم في نفس الأمر، والتحقيق أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة ولصدق الخبر بالنبوة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة، وليست من جنس ما يقدر عليه لا الإنس ولا الجن، فإن ما يقدر عليه الإنس والجن يفعلونه فلا يكون مختصاً بالأنبياء.

ومعنى كونها خارقة للعادة: أنها لا توجد إلا للنبوة لا مرة ولا أقل، ولا أكثر، فالعادة هنا تثبت بمرة، والقاضي أبوبكر يقول: إن ما فعل مرات يسيرة لا يكون معتاداً، وفي كلامه في هذا الباب من الاضطراب ما يطول وصفه، وهو رأس هؤلاء الذين اتبعوه كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي والرازي والآمدي وغيرهم.

وما يأتي به السحرة والكهان يمتنع أن يكون آية لنبي بل هو آية على الكفر، فكيف يكون آية للنبوة، وهو مقدور للشياطين، وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها فحيث كانت آية لله تدل على مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإن شئت قلت: هي آيات لله يدل بها على صدق الأنبياء تارة، وعلى غير ذلك تارة، وما يكون للسحرة والكهان لا يكون من آيات الأنبياء، بل آيات الأنبياء مختصة بهم.

وأما كرامات الأولياء فهي أيضاً من آيات الأنبياء فإنها إنما تكون لمن تشهد لهم بالرسالة فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة، وأيضاً فإن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين، ولكن آياتهم صغار وكبار كما قال الله تعالى:

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٢٠]، فلله تعالىٰ آية كبيرة وصغيرة، وقال عن نبيه محمد: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] فالآيات الكبرىٰ مختصة بهم، وأما الآيات الصغرىٰ فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ أنه أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، فهم مختصون إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم كالإتيان بالقرآن وانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير، وأما بقدرها وكيفيتها كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني وغيره وصارت النار عليهم برداً وسلاماً، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشارك للخليل في جنس الآية، كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده، ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبومسلم وأمثاله»[١].

والأحوال الشيطانية تكون علىٰ يدي السحرة والكهان وأمثالهم من الفجرة[٢] فهم أولياء الشيطان وجنوده وأنصاره وينخدع بالأحوال الشيطانية كثير ممن يستغيث بغير الله فيستنجد بالمقبور ويستغيث بالقبور كما ينخدع بها من يصدق الكهان والسحرة والمشعوذين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية، مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدّجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتىٰ تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجّال، لكنه كان من جنس الكهان. قال له النبي ﷺ: قد خبأت لك خبءاً، قال

(١) النبوات ٢/ ٧٩٧.

(٢) النبوات ص٤، وانظر للاستزادة تيسير العزيز الحميد ص٣٩٧-٤٠١.

الدّخ الدّخ وقد كان خبّأ له سورة الدخان، فقال له النبي ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك»[١] يعني إنما أنت من إخوان الكهان، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشيطان يخبره بكثير من المغيبات بما يسرقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلىٰ الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم.

والأسود العنسي الذي ادّعىٰ النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه، حتىٰ أعانتهم عليه امرأته لما تبيّن لها كفره فقتلوه.

وكذلك مسيلمة الكذّاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيّبات ويعينه علىٰ بعض الأمور.

وأمثال هؤلاء كثيرون، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعىٰ النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرّخامة إذا مسحها بيده، وكان يرىٰ الناس رجالا وركبانا علىٰ خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنّا، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه، فقال له عبد الملك: إنك لم تسمّ الله فطعنه فقتله»[٢].

وقال رحمه الله: «ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتىٰ يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالىٰ، طرد شيطانه فيسقط، كما جرىٰ هذا لغير واحد.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٢٤).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص١٦٦، ١٧٣.

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى.

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء، وفوقه نور، ويسمع من يخاطبه ويقول: أنا ربك، فإن كان من أهل المعرفة، علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه، فيزول»[1].

وقال الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز المانع: «وبهذا يتبين أن من ظهر على يديه شيء من الخوارق التي يسمونها كرامات الأولياء، وهو مصر على دعوة غير الله تعالى من الأحياء والأموات، معتقدا أنهم ينفعونه أو يضرونه، فهو من الحيل والشعوذة لا من الكرامات، إذ من شروط حصولها صحة الاعتقاد، وأي اعتقاد أفسد من الإشراك بالله تعالى؟ وكذا يتبين كذب من ادعى الولاية وهو تارك للصلوات مع المسلمين في مساجدهم، ويزعم أنه يصلي بمكة جميع الصلوات ولو كان بينه وبينها مسافة أيام...»[2].

٨ - ما يطرد الأحوال الشيطانية:

سلاح العبد في ذلك كله تعلقه بالله وتوكله عليه وأن يصدق في توجهه إلى الله وقد جاءت الأحاديث مبينة لما يطرد الشيطان فمنها الاستعاذة بالله منه[3] ومنها

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٧٣، وقد ذكر ـ تعالى ـ أمثلة كثيرة اقتصرنا على بعضها، انظر كتابنا أحكام الكهانة ص٩٩ ـ ١٤٤.

(٢) حاشية على لوامع الأنوار ٢/ ٣٩٧.

(٣) أبو داود (١٤٦٢، ١٤٦٣).

الآذان[١] ومنها المحافظة على الأذكار[٢] وقراءة القرآن، فقد ثبت في صحيح مسلم قوله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه، فيقول له النبي ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ فيقول: زعم أنه لا يعود، فيقول: كذبك وأنه سيعود، فلما كان في المرة الثالثة، قال دعني حتى أعلمك ما ينفعك: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة.٢٥٥]. إلى آخرها[٤]، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر النبي ﷺ قال: صدقك وهو كذوب. وأخبره أنه شيطان»[٥].

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها[٦].

٩- فائدة في معجزات الأنبياء وآياتهم:

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: «إن آيات المعجزات التي أيد الله بها رسله قد اختلفت أنواعها، وتباينت مظاهرها وأشكالها، إلا أنها تجتمع في أن كلا منها قد عجز البشر عن أن يأتوا بمثله، منفردين أو مجتمعين، فكانت بذلك شاهد صدق على الرسالة، وحجة قاطعة تخرس الألسنة، وينقطع عندها الخصوم ويجب لها

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨٥)، مسلم (٣٨٨).

(٢) جاء في ذلك أحاديث انظر على سبيل المثال سنن أبي داود (١٣٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٤) سورة البقرة الآية ص٢٥٥.

(٥) أخرجه البخاري (٢٣١١) (٣٢٧٥).

(٦) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٦٩، ١٧٠.

التسليم والقبول.

ويغلب أن تكون معجزة كل رسول مناسبة لما انتشر في عصره، وبرز فيه قومه، وعرفوا بالمهارة فيه، ليكون ذلك أدعى لفهمها، وأعظم لدلالتها على المطلوب، وأمكن في الالتزام بمقتضاها، ففي عهد موسى عليه السلام انتشر السحر، ومهر فيه قومه، حتى أثروا به على النفوس، وسحروا به أعين الناظرين، وأوجس في نفسه خيفة منه من شهده، وإن كان عالي الهمة، قوي العزيمة، فكان ما آتاه الله نبيه موسى فوق ما تبلغه القوى والقدر، وما لا يدرك بالأسباب والوسائل، وقد أوضح الله ذلك في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف.١٢٠ـ١٢٢].

وفي عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام برع بنو إسرائيل في الطب فكان مما آتاه الله أن يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، وإحياء الموتى بإذن الله، إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت بها رسالته، وقامت الحجة على قومه.

وفي عهد محمد ﷺ كان العرب قد بلغوا الغاية في فصاحة اللسان، وقوة البيان، وجرت الحكمة على ألسنتهم حتى اتخذوا ذلك ميداناً للسباق والمباراة، فأنزل الله القرآن على رسوله محمد ﷺ فكانت بلاغته وبيانه وما تضمنه من الحكم والأمثال جانبا من جوانب إعجازه، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «وما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[١][٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٢).

(٢) مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٤٨، ٤٩.

وقال ابن عثيمين: «قال بعض العلماء: ما من آية لنبي من الأنبياء السابقين إلا ولرسول الله ﷺ مثلها.

ـ فأورد عليهم أن الرسول ﷺ لم يلق في النار فيخرج حياً كما حصل ذلك لإبراهيم.

ـ فأجيب بأنه جرىٰ ذلك لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام كما ذكره المؤرخون عن أبي مسلم الخولاني، وإذا أكرم أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام بجنس هذا الأمر الخارق للعادة دل ذلك علىٰ أن دين النبي ﷺ حق؛ لأنه مؤيد بجنس هذه الآية التي حصلت لإبراهيم.

ـ وأورد عليهم أن البحر لم يفلق للنبي ﷺ، وقد فلق لموسىٰ!

ـ فأجيب بأنه حصل لهذه الأمة فيما يتعلق في البحر شيء أعظم مما حصل لموسىٰ، وهو المشي علىٰ الماء؛ كما في قصة العلاء بن الحضرمي حيث مشوا علىٰ ظهر الماء، وهذا أعظم مما حصل لموسىٰ؛ لأن موسىٰ مشىٰ علىٰ أرض يابسة.

ـ وأورد عليهم أن من آيات عيسىٰ إحياء الموتىٰ، ولم يقع ذلك لرسول الله ﷺ.

ـ فأجيب بأنه حصل ووقع لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام كما في قصة الرجل الذي مات حماره في أثناء الطريق، فدعا الله تعالىٰ أن يحييه فأحياه الله تعالىٰ.

ـ وأورد عليهم إبراء الأكمه والأبرص.

ـ فأجيب بأنه حصل من النبي ﷺ أن قتادة بن النعمان لما جرح في أحد ندرت عينه حتىٰ صارت علىٰ خده، فجاء النبي ﷺ، فأخذها بيده، ووضعها في مكانها، فصارت أحسن عينيه.

الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

انظر باب: «النفاق».

٢٢٩- الكفر *

في اللغة: كفر بالفتح: الستر والتغطية وبالضم ضد الإيمان[(١)]. ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض[(٢)].

وفي الشرع: قال الراغب: «والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الواحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتهما، وقد يقال كفر لمن أخل بالشريعة وترك ما لزمه من شكر الله عليه»[(٣)].

وقال ابن حزم: «وهو في الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه[(٤)] ببلوغ الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معا، أو عمل عملا جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان»[(٥)].

ويقول السبكي: «التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية، أو الوحدانية، أو

* التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٥٣، ٤/ ٢٤٠، ٣٠٦، ٩/ ٢٣٦، ١٧/ ١٤-١٦، ٢٣ / ٢٩٥ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٨٣، ١٨٤. المحلى بالآثار لابن حزم ٣/ ١٦٥. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٧٢. فتح الباري لابن رجب ١/ ١٣٧، ١٣٨. الدرر السنية ١/ ١٨٩، ٣٦٧، ٥٢٣، ٨/ ٢٥٣، ١٠/ ١٥١، ١٢/ ٥٣٦. قطف الثمر لصديق حسن ص١٠٧. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٠٣، ٥٣٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٢٥، ٧/ ١٦٨. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٣٤. نواقض الإيمان الاعتقادية د. الوهيبي ٢/ ٣٢. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٤٤٢، ٤٥٠. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د. جمال بن أحمد ٢/ ٥٠٢، ٥١٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٦٤. الجهل بمسائل الاعتقاد لمعاش ص١٠٥-١٢٣. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٨٦.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٨٣.
(٢) المفردات (ك ف ر).
(٣) المفردات (ك ف ر) .
(٤) سبق توضيح أن من لم تقم عليه الحجة قد يطلق عليه أنه كافر وإن كان له في الآخرة حكم خاص.
(٥) الإحكام ١/ ٤٥، وانظر: الفصل ٣/ ٢٥٢، والمحلى ١٣/ ٤٣٧.

الرسالة، أو قول، أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً»[١].

ويقول ابن تيمية: «الكفر: عدم الإيمان، باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم»[٢].

ويقول: «الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة»[٣].

ويعرِّف الشيخ عبد الرحمن السعدي الكفر قائلاً: «فالكافر هو ضد المسلم، والمرتد هو الذي كفر بعد إسلامه بقول أو فعل أو اعتقاد أو شك، وحدُّ الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده هو: جحد ما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان اعتقاده ما جاء به الرسول والتزامه جملة وتفصيلا، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتا كاملاً، انتفى الآخر»[٤].

فالكفر اعتقادات أو أقوال أو أفعال حكم الشارع أنها تناقض الإيمان.

وقد ورد لفظ الكفر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية سوف نسوقها اختصارا ضمن تقسيم أنواع الكفر الأكبر والأصغر.

أحكام وفوائد:

١ - أنواع الكفر:

الكفر أنواع وشعب متعددة، فمن وقع في أصل الكفر، وهو ما يضاد أصل الإيمان وحقيقته، فلا نزاع في كفره. أما من وقع في بعض شعب الكفر التي لا تضاد

---

(١) فتاوى السبكي ٢/ ٥٨٦ دار المعرفة.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٣٥، وانظر: ٣/ ٣١٥.

(٤) الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص٢٠٣، ٢٠٤.

أصل الإيمان وحقيقته، وكان معه أصل الإيمان الذي ثبت له به وصف الإسلام، فإنه لا يكفر بذلك.

* **الكفر نوعان:**

أولاً: كفر أكبر مخرج من الدين يكون صاحبه في الدنيا خارجاً عن الملة، وفي الآخرة من أهل النار الخالدين فيها. كالتكذيب بالله ورسوله والسجود للأصنام. وسيأتي ذكر أنواعه في باب (الكفر الأكبر).

قال ابن القيم: «الكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار»[(١)].

وقد أطلق العلماء على هذا النوع اسم (الكفر الأكبر)، لأنه ينتفي عن صاحبه مطلق الإيمان، ووصف الإسلام، ويحصل بالقول وبالفعل والاعتقاد والشك مع ثبوت الشروط، وانتفاء الموانع. أما إطلاق القول بأن الكفر الاعتقادي هو الكفر الأكبر، وأنه يقابله الكفر العملي، وهو الأصغر فهو قول باطل، بل الكفر العملي قد يكون كفرا أكبر.

قال ابن القيم رحمه الله: «فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، كذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه، كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف»[(٢)].

ثانياً: كفر أصغر: كالاقتتال بين المسلمين والنياحة والتبرؤ من النسب[(٣)]. وهذا لا مناقضة فيه لأصل الإيمان، بل هو مما يتعلق بفروع الإيمان ودرجاته ومكملاته، فلا يخرج به الشخص عن دائرة الملة الإسلامية؛ لأن أصل الإيمان باق معه، طالما لم ينقضه بناقض من قول أو عمل. إنما الذي ينتفي في هذا النوع هو كمال الإيمان الواجب، وهو درجة زائدة على أصل الإيمان أو «مرتبة الإسلام»،

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٦٦.

(٢) كتاب الصلاة ص٣٤.

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٦٤، الفتاوى السعدية ص١٠٣.

وليس مطلق الإيمان.

والكفر الأصغر: كل ما ورد في النصوص تسميته كفراً ولم يصل إلىٰ درجة الكفر الأكبر وله ضوابط يعرف بها. كما أن لأئمة السلف عبارات تدل عليه، كقولهم: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن النفاق: «وبالجملة فأصل هذه المسائل أن تعلم أن الكفر نوعان: كفر ظاهر، وكفر نفاق»[٢].

الفرق بين الكفر والشرك:

انظر باب (الشرك).

٢ - الكفر هو الغاية الكبرىٰ للشيطان:

قال ابن القيم رحمه الله: «فصلٌ: النظر الرابع نظره إلىٰ الآمر له بالمعصية المزين له فعلها، الحاض له عليها وهو شيطانه الموكل به، فيفيده النظر إليه وملاحظته اتخاذه عدواً وكمال الاحتراز منه والتحفظ واليقظة والانتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشعر فإنه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلىٰ ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، **العقبة الأولىٰ** عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية وسلم معه نور الإيمان طلبه علىٰ **العقبة الثانية** وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله ... **العقبة الثالثة** وهي عقبة الكبائر... **العقبة الرابعة** وهي عقبة الصغائر ... **العقبة الخامسة** وهي عقبة المباحات التي لا حرج علىٰ فاعلها

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣٦.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٢٠، ٦٢١.

فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وعن الاجتهاد في التزود لمعاده... **العقبة السادسة** وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات ؛ ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً ... ولكن أين أصحاب هذه العقبة فهم الأفراد في العالم والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأول.. فإذا نجا منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوىٰ واحدة لا بد منها، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه وأكرم الخلق عليه وهي **عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذىٰ** باليد واللسان والقلب علىٰ حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله وظاهر عليه بجنده وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط...»[١].

٣ - ما معنىٰ قول السلف: إن المعاصي تسمىٰ كفراً؟:

قال ابن القيم رحمه الله: «والقصد: أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر. فإنها ضد الشكر، الذي هو العمل بالطاعة. فالسعي: إما شكر، وإما كفر، وإما ثالث، لا من هذا ولا من هذا. والله أعلم»[٢].

وقال ابن العربي رحمه الله: «الطاعات كما تسمىٰ إيماناً كذلك المعاصي تسمىٰ كفراً، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد عليه الكفر المخرج من الملة»[٣].

وإذا كانت الطاعات تسمىٰ إيماناً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]. يعني صلاتكم إلىٰ بيت المقدس، قبل تحويل القبلة إلىٰ الكعبة، فكذلك المعاصي تسمىٰ كفراً، كما تقدم من كلام ابن القيم رحمه الله، لكن لا يراد به الكفر المخرج عن الملة بل يراد الاعتبار اللغوي.

وقد تنسب المعاصي إلىٰ الجاهلية ؛ لشناعتها، ولا يكفّر صاحبها بارتكابها إلا

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨ باختصار.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٥.

(٣) محاسن التأويل ٥/ ٣٠٧.

بالشرك، قال الإمام البخاري رحمه الله: «باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقول النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. ثم أورد حديث أبي ذرّ عندما سابّ رجلاً فعيّره بأمه، فقال له النبي ﷺ تلك المقالة [(١)].

قال الإمام بدر الدين العيني: «أما وجه الاستدلال بما في الحديث، فهو أنه قال له: فيك جاهلية يعني أنك في تعيير أمه على خلق من أخلاق الجاهلية، ولست جاهلاً محضاً... وهو نوع من المعصية، ولو كان مرتكب المعصية يكفر، لبيين النبي ﷺ لأبي ذرّ، ولم يكتف بقوله في الإنكار عليه: «إنك امرؤ فيك جاهلية»» [(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأما قصة أبي ذر فإنما ذكرت ليستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك، لا يخرج عن الإيمان بها، سواء كانت من الصغائر أم الكبائر» [(٣)].

٤ - الفرق بين كفر الاعتقاد وكفر العمل:

قال ابن القيم رحمه الله: (الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه. وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه. وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان. وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر

---

(١) انظر فتح الباري ١/ ١٠٦.

(٢) عمدة القاري ١/ ٢٠٤.

(٣) فتح الباري ١/ ٨٥ وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ١ / ٢٠٨-٢٢٠، الجهل بمسائل الاعتقاد لمعاش ص١١٩-١٢١.

بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه: فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد.

وكذلك قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[١] فهذا كفر عمل، وكذلك قوله: «من أتى كاهناً فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد»[٢]، وقوله: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٣]، وقد سمى الله ﷻ من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به وكافراً بما ترك العمل به... فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي، وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٤] ففرق بين قتاله وسبابه، وجعل أحدهما فسوقاً لا يكفر به والآخر كفراً، ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي، وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية والملة بالكلية، كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم. فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١) (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (١٠١٧٠) (٩٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٣)، ومسلم (٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨) (٦٠٤٤) (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤).

فانقسموا فريقين: فريقاً أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان. فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا. وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل»[(١)].

وهذا المذكور من أنواع الكفر إنما هو لمعرفة الأحكام أما إطلاق ذلك على شخص بعينه فيتبع فيها استكمال الشروط وانتفاء الموانع حسب ما ذكرناه من ضوابط في باب التكفير.

وهناك مباحث تتعلق بالكافر، منها:

استقدام الكافر إلى جزيرة العرب. انظر باب (جزيرة العرب).

زيارة قبر الكافر. انظر باب (زيارة القبور).

الدعاء للكافر. انظر باب (الدعاء).

لعن الكافر المعين، وقد أفردت لذلك باباً فليراجع.

السلام على الكافر والرد عليه إذا سلم.

معرفة أهل الكتاب.

٥ - حكم السلام على الكافر:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه». رواه مسلم في صحيحه.

وقال ﷺ: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم». متفق عليه. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وحكم بقية الكفار حكم اليهود والنصارى في هذا الأمر؛ لعدم الدليل على الفرق فيما نعلم.

---

(١) الصلاة لابن القيم ص٢٦، ٢٧، وانظر: تلخيص ذلك وتوضيحه في كتاب أصول وضوابط في التكفير للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

فلا يبدأ الكافر بالسلام مطلقاً، ومتى بدأ هو بالسلام وجب الرد عليه بقولنا: وعليكم، امتثالاً لأمر الرسول ﷺ، ولا مانع من أن يقال له بعد ذلك: كيف حالك؟ وكيف أولادك؟ كما أجاز ذلك بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولاسيما إذا اقتضت المصلحة الإسلامية ذلك كترغيبه في الإسلام وإيناسه بذلك ليقبل الدعوة ويصغي لها»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا يجوز أن يبدأ غير المسلمين بالسلام ؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، ولأن في هذا إذلالاً للمسلم حيث يبدأ بتعظيم غير المسلم، والمسلم أعلى مرتبة عند الله ﷻ، فلا ينبغي أن يذل نفسه في هذا، أما إذا سلَّموا علينا فإننا نرد عليهم مثل ما سلموا.

وكذلك أيضاً لا يجوز أن نبدأهم بالتحية مثل أهلاً وسهلاً ومرحباً وما أشبه ذلك لما في ذلك من تعظيمهم فهو كابتداء السلام عليهم»[٢].

وسُئل رحمه الله عن الكافر إذا سلَّم على المسلم فهل يرد عليه؟ فأجاب بقوله: «إذا سلم الكافر على المسلم سلاماً بيِّناً واضحاً فقال: السلام عليكم. فإنك تقول: عليك السلام ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦].

أما إذا لم يكن بيِّناً واضحاً فإنك تقول: وعليك. وكذلك لو كان سلامه واضحاً يقول فيه: السام عليكم، يعني الموت فإنه يقال: وعليك.

فالأقسام ثلاثة:

الأول: أن يقول بلفظ صريح «السام عليكم» فيجاب: «وعليكم».

الثاني: أن نشك هل قال: «السام» أو قال: «السلام»، فيجاب: «وعليكم».

الثالث: أن يقول بلفظ صريح «السلام عليكم». فيجاب: «عليكم السلام»

(١) مجموع فتاوى ابن باز ص١٠٤٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ٣٤، ٣٥.

لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «فلو تحقق السامع أن الذي قال له: سلام عليكم لا شك فيه، فهل له أن يقول: وعليك السلام، أو يقتصر علىٰ قوله: وعليك؟ فالذي تقتضيه الأدلة وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام. فإن هذا من باب العدل، والله تعالىٰ يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ فندب إلىٰ الفضل، وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار علىٰ قول الراد «وعليكم» علىٰ السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم»[1].

٦- معرفة أهل الكتاب:

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «أهل الكتاب هم اليهود والنصارىٰ، كما نص علىٰ ذلك علماء التفسير وغيرهم، أما المجوس فليسوا من أهل الكتاب عند الإطلاق ولكنهم يعاملون معاملتهم في أخذ الجزية منهم ؛ لأن الرسول ﷺ أخذها منهم، أما نساؤهم وذبائحهم فحرام علىٰ المسلمين عند الأئمة الأربعة وغيرهم وهو كالإجماع من أهل العلم، وفي حِلِّهما قول شاذ لا يُعوَّل عليه عند أهل العلم، وممن نص عليما ذكرنا من العلماء أبومحمد ابن قدامة رحمه الله في كتابه «المغني» قال ما نصه:

فصل: وأهل الكتاب الذين هذا حكمهم هم أهل التوراة والإنجيل، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ [الأنعام:١٥٦] فأهل التوراة اليهود والسامرة، وأهل الإنجيل النصارىٰ ومن وافقهم في أصل دينهم من الإفرنج والأرمن وغيرهم»[2].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ٣٧، ٣٨.

(٢) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص٥١١.

٢٣٠- كفر الإباء والاستكبار*

قال الرازي: «الإباء: الامتناع»[(١)].

وقال الراغب: «الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء. قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة.٣٢]. وقال: ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾. وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾»[(٢)]. فمن أبى أن يعبد الله فهو مستكبر، ومن عبده وعبد معه غيره فهو مشرك، ومن عبده وحده بغير ما شرع فهو مبتدع ومن عبده وحده بما شرع فهو المؤمن الموحد.

والإباء يقابله الانقياد والقبول قال الشيخ عبدالرحمن البراك: «وأما الانقياد: فإنه يتضمن الاستجابة والمحبة والرضا والقبول، وضد ذلك الإباء والاستكبار والكراهة لما جاء به الرسول ﷺ»[(٣)].

ومن الأمثلة على ذلك كفر إبليس فإن كفره من جهة الإباء والاستكبار كما أخبر الله عنه في أكثر من موضع قال شيخ الإسلام: «وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر، وكان من الكافرين، فكفره بالإباء

---

* التمهيد لابن عبد البر ٤/٢٢٦. مجموع الفتاوى ٢٠/ ٩٧، ٢٨/ ٥٠٢.والعبودية ص١١٠. كتاب الصلاة لابن القيم ص٥٤. مدارج السالكين ١/ ٣٣٧، معارج القبول ٢/ ٢٢، ٢٣. النواقض لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

(١) مختار الصحاح (أ ب ا).

(٢) المفردات للراغب (أ ب ا).

(٣) جواب في الإيمان ونواقضه، ص١٥.

والاستكبار وما يتبع ذلك، لا لأجل تكذيب، وكذلك فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً...»[١].

وقال ابن القيّم رحمه الله: «وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، إنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءاً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل...»[٢].

وقال شيخ الإسلام: «ولو أنهم هدوا لما هدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولا في القلب وعملا في القلب فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته، وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به والتصديق هو من نوع العلم والقول وينقاد لأمره ويستسلم وهذا الانقياد والاستسلام هو نوع من الإرادة والعمل ولا يكون مؤمناً إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين وإن كان مصدقاً، فالكفر أعم من التكذيب يكون تكذيباً وجهلاً ويكون استكباراً وظلماً، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالاً وهو الجهل ألا ترى أن نفراً من اليهود جاؤوا إلى النبي وسألوه عن أشياء فأخبرهم فقالوا نشهد أنك نبي ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره فلم ينفعهم هذا العلم...»[٣].

---

(١) الإيمان الأوسط ص٧٦، وانظر: الفتاوى ٢٠/ ٩٧، والعبودية ص١١٠.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٦.

(٣) الصارم المسلول٣/ ٩٦٧

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله «... وإن انتفى عمل القلب، وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس، وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حُيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب»[(١)].

وقال الشيخ عبدالرحمن البراك حفظه الله: «من كفر الإباء والاستكبار الامتناع عن متابعة الرسول ﷺ والاستجابة لما يدعو إليه ولو مع التصديق بالقلب واللسان، وذلك ككفر أبي طالب، وكفر من أظهر الاعتراف بنبوة النبي ﷺ من اليهود وغيرهم»[(٢)].

فالإيمان هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد ليس مجرد التصديق كما زعمت المرجئة[(٣)].

قال إسحاق بن راهويه: «وقد أجمع العلماء على أن من دفع شيئاً أنزله الله.. وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر»[(٤)].

وقال الجصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء.٦٥] (وفي هذه الآية دلالة على أن من ردّ شيئاً من أوامر الله تعالى، أو أوامر رسوله ﷺ فهو خارج من الإسلام، سواءً ردّه من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في

(١) معارج القبول ٢/ ٢٢، ٢٣.
(٢) أجوبة في الإيمان ونواقضه ص١٦.
(٣) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم ٥٤.
(٤) التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٢٢٦ باختصار.

حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة، وقتلهم وسبي ذراريهم، لأن الله تعالىٰ حكم بأن من لم يسلم للنبي ﷺ قضاءه وحكمه، فليس من أهل الإيمان»[(١)].

ويقول ابن تيمية: «إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرّمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه، فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرّمه، أو أنه حرّمه، لكن امتنع من قبول هذا التحريم،وأبىٰ أن يذعن لله وينقاد، فهو إما جاحد أو معاند، ولهذا قالوا: من عصىٰ الله مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصىٰ مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفره الخوارج، فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقاً بأن الله ربه، فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق، وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال اعتقاد أنها حلال له وذلك يكون تارة باعتقاد أن الله أحلها، وتارة باعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربيوبية، ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحداً محضاً غير مبني علىٰ مقدمة، وتارة يعلم أن الله حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم، فهذا أشد كفراً ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء، إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته، فيعود هذا إلىٰ عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً أو اتباعاً لغرض النفس، وحقيقته كفر، هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٢١٣، ٢١٤.

موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقرّ بذلك، ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر منه، فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع»[(١)].

قال النسفي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب.٣٦]: «فإن كان العصيان عصيان ردّ وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق»[(٢)].

---

(١) الصارم المسلول ص٥٢١، ٥٢٢، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٠/ ٩٧.

(٢) تفسير النسفي ٣/ ٤٦٨ عند تفسيره آخر الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

٢٣١- كفر الاستحلال*

التعريف: قال شيخ الإسلام: «والاستحلال اعتقاد أنها حلال وذلك يكون تارة باعتقاد أن الله أحلها، وتارة اعتقاد أن الله لم يحرمها وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمـــان بالرسالة»[(١)].

وهذا الاستحلال مضبوط بضابط وهو أن يكون المحرم مجمعا على تحريمه، لم يخالف فيه أحد من الأمة، والإجماع أن يجتمع علماء المسلمين في عصر من العصور على حكم من الأحكام[(٢)].

أما إذا كانت المسألة مما فيها خلاف بين الأمة فمن ذهب إلى أحد القولين ولو كان قولاً شاذاً مستحلاً للعمل به، فإنه لا يكون كافرا بذلك، لأنه لم يستحل مجمعا عليه، ولذلك يُعَبِّر عنه بعض العلماء بقولهم: «من استحل معلوما من الدين بالضرورة». وقولُهم: معلوماً من الدين بالضرورة يعنون به: مما لا يحتاج الناس في إثباته إلى برهان مثل وجوب الصلاة وحرمة الخمر والزنا والقتل.

فمن استحل مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة صار كافراً، ويشترط أن يكون الإجماع معلوماً.

---

* المغني ٨/ ١٣١. روضة الطالبين ٥/ ٦٤، ومسلم بشرح النووي ١/ ١٥٠، ٦/ ١٤. مجموع الفتاوى ٣/ ٢٦٧، ٧/ ٣٨، ١٩ / ٢٧٠. الصارم المسلول ٣/ ٩٧١. شرح الطحاوية ٣٥٥. شرح الفقه الأكبر ص٥٨. الضياء الشارق ص٣٤٩. التوضيح عن توحيد الخلاق ص١٣٥، ١٥٠. معارج القبول ٢/ ٥٩٣. مجلة البحوث العدد الأول ص٦٧. المنهاج ١/ ٥٩. الدواء العاجل للشوكاني ص٣٤. الروض المربع ٣/ ٣٣٩. ضوابط التكفير القرني ص٢١٩. منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ١/ ٨٥. الحكم بغير ما أنزل الله د. المحمود ص ١٦٠، ١٧٤.

(١) الصارم المسلول ٣/ ٩٧١ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠.

قال ابن تيمية رحمه الله: «والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه كما يكفر مخالف النص بتركه، لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به. وأما العلم بثبوت الإجماع في مسألة لا نص فيها فهذا لا يقع، وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره، وحينئذ فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب والسنة»[(١)].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وقد أجمع علماء الإسلام على كفر من استحل ما حرم الله، أو حرم ما أحله الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة»[(٢)].

فمن ضوابط الاستحلال أن يكون مما قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وشاعت، ليست خفية ما يعلمها إلا بعض الناس، فلا تكفير باستحلال عمل لا يعلم حكمه إلا طائفة من أهل العلم، بل الاستحلال مقيد بما أُجمع عليه، بما هو معلوم من الدين بالضرورة فمثلاً: العلماء لم يكفروا طائفة من الفقهاء ممن يبيحون النبيذ الذي يسكر كثيره مع أن فيه أدلة كثيرة، وهذا النبيذ الذي يبيحه طائفة من أهل الرأي يستحلونه ويشربونه ويعتقدونه حلالاً، لم يحكم أحد من أهل السنة على تلك الطائفة من الفقهاء بأنهم كفار، لأنهم استحلوا محرماً وهو النبيذ، الذي يسكر كثيره وهذا لا تكفير لمستحله لأن فيه قولاً لطائفة من الفقهاء بإباحته ولو كان ضعيفاً؛ إذ لا تكفير إلا في المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة.

وكذلك الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقال: إنه رجع في آخر عمره أنه لا ربا إلا في النسيئة. قال القرطبي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إنه كان لا يرى الدرهم بدرهمين بأساً حتى صرفه عن ذلك ابن سعيد»[(٣)].

فمن رابى ربا الفضل فهذا جائز عند ابن عباس، فمن ذهب إلى هذا الرأي

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩ / ٢٧٠

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٣/ ٩٨٤، ٩٨٩.

(٣) تفسير القرطبي ص١١٥٨، وانظر المغني ٦/ ٥٢.

وأجاز ربا الفضل، وقال: أنا أعتقد أن ربا الفضل حلال فلا تكفير في حقه لأنه لا يريد الربا المجمع على تحريمه، بل ولا يجوز تأثيمهم بأنهم تبلغهم لعنة آكل الربا، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ثم إن الذين بلغهم قول النبي ﷺ: «إنما الربا في النسيئة» فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يداً بيد: مثل ابن عباس رضي الله عنهما وأصحابه أبي الشعثاء وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وغيرهم من أعيان المكيين الذين هم من صفوة الأمة علماً وعملاً، لا يحل لمسلم أن يعتقد أن أحداً منهم بعينه أو من قلده بحيث يجوز تقليده: تبلغهم لعنة آكل الربا؛ لأنه فعلوا ذلك متأولين تأويلاً سائغاً في الجملة»[1].

فهناك معاصي يكون منها ما هو مجمع على تحريمها، وبعض صورها غير مجمع على تحريمها، كبعض صور الربا والخمر فليس كل أحوالها مجمع على تحريمها.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ذهب الناس من تأويل القرآن والأحاديث أو من ذهب منهم إلى أمور اختلفوا فيها فتباينوا فيها تبايناً شديداً، واستحل فيها بعضهم من بعض ما تطول حكايته، وكان ذلك منهم متقادماً، منه ما كان في عهد السلف وبعدهم إلى اليوم فلم نعلم أن أحداً من سلف هذه الأمة يقتدى به ولا من التابعين بعدهم رد شهادة أحدٍ بتأويل وإن خطّأه وضلّله ورآه استحل فيه ما حرم عليه، ولا رد شهادة أحدٍ بشيءٍ من التأويل كان له وجهٌ يحتمله، وإن بلغ فيه استحلال الدم والمال أو المفرط من القول، وذلك أنا وجدنا الدماء أعظم ما يعصى الله تعالى بها بعد الشرك، ووجدنا متأولين يستحلونها بوجوه، وقد رغب لهم نظراؤهم عنها وخالفوهم فيها، ولم يردوا شهادتهم بما رأوا من خلافهم فكل مستحلٍّ بتأويل من

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٦٣.

قول أو غيره فشهادته ماضيةٌ لا تردُّ من خطأ تأويله، وذلك أنه قد يستحل من خالفه الخطأ إلا أن يكون منهم من يعرف باستحلال الشهادة بالزور.

والمستحل لنكاح المتعة والمفتي بها، والعامل بها ممن لا ترد شهادته وكذلك لو كان موسراً فنكح أَمَةً مستحلاً لنكاحها مسلمة أو مشركة لأنا نجد من مفتي الناس وأعلامهم من يستحل هذا، وهكذا المستحل للدينار بالدينارين، والدرهم بالدرهمين يداً بيد، والعامل به، لأنا نجد من أعلام الناس من يفتي به ويعمل به ويرويه وكذا المستحل لإتيان النساء في أدبارهن، فهذا كله عندنا مكروه محرم، وإن خالفنا الناس فيها فرَغبنا عن قولهم ولم يَدْعُنا هذا إلىٰ أن نجرحهم ونقول لهم: إنكم حللتم ما حرم الله وأخطأتم ؛ لأنهم يدَّعون علينا الخطأ كما ندعيه عليهم وينسبون من قال قولنا إلىٰ أنه حَرَّم ما أحل الله ﷻ»[1].

فالتحليل والتحريم من اختصاص الله تعالىٰ لا يكون لأحد سواه وليس المراد هنا المسائل الاجتهادية التي يخطئ فيها العالم ويصيب ولكن المراد استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة.

والجحد يعتبر من أنواع الكفر وليس نوعاً مستقلاً بذاته، ومن اشترط الجحد والاستحلال فقد حصر الكفر في نوع واحد بينما أنواع الكفر كثيرة. قال ابن تيمية: «والكفر لا يختص بالتكذيب»[2]، فكل مستحل أو جاحد كافر وليس كل كافر مستحل أو جاحد وبهذا نعلم أن بعض الأعمال يكفر المكلف بفعلها ولو لم يستحل، مثل إهانة المصحف والسجود لغير الله.

أقوال للعلماء تتعلق بكفر الاستحلال:

قال ابن قدامة: «ومن اعتقد حل شيء أجمع علىٰ تحريمه، وظهر حكمه بين

---

(١) الأم ٦/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) ٧/ ٢٩٢.

المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه، كأكل لحم الخنزير، وإباحة الزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه كفر لما ذكرنا في تارك الصلاة، وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك...»[١].

قال أحمد: «من قال: الخمر حلال، فهو كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه».

وقال ابن قدامة: «وهذا محمول على من لا يخفى على مثله تحريمه»[٢].

قال أبو يعلى: «ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح، أو من رسوله، أو أجمع المسلمون على تحريمه فهو كافر، كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة، وكذلك من اعتقد تحريم شيء حلله الله وأباحه بالنص الصريح، أو أباحه رسوله أو المسلمون مع العلم بذلك، فهو كافر كمن حرم النكاح والبيع والشراء على الوجه الذي أباحه الله ﷻ، والوجه فيه أن في ذلك تكذيباً لله تعالى ولرسوله في خبره، وتكذيباً للمسلمين في خبرهم، ومن فعل ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين»[٣].

وقد بين شيخ الإسلام في منهاج السنة أن استحلال قتل المسلم المعصوم كفر[٤].

وقال في موضع آخر: «وأما إذا قتله قتلا محرما ؛ لعداوة أو مال، أو خصومة، ونحو ذلك، فهذا من الكبائر، ولا يكفر بمجرد ذلك عند أهل السنة والجماعة»[٥].

---

(١) المغني ٩/ ٢١.

(٢) المغني ٩/ ٢٢.

(٣) المعتمد في أصول الدين ٢٧١، ٢٧٢.

(٤) انظر منهاج السنة ٤/ ٥٠٥.

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٣٤/ ١٣٧، وانظر منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ص١٥٢.

وقال في الفتاوى: «والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال ـ المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافرا مرتدا. باتفاق الفقهاء»[١].

ونقل الإمام البغوي رحمه الله الإجماع على عدم تكفير فاعل الكبائر إذا لم يستحل[٢].

وقال القاضي عياض رحمه الله: «... وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه، كأصحاب الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «.. وأما استحلال المحرمات المجمع على حرمتها أو بالعكس فهو كفر اعتقادي لأنه لا يجحد تحليل ما أحل الله ورسوله أو تحريم ما حرم الله ورسوله إلا معاند للإسلام...»[٤].

ولما ذكر الشيخ ابن باز رحمه الله الناقض الرابع من نواقض الإسلام التي ذكرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وهو «من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر»[٥] قال: «ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة ؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا

(١) الفتاوى ٣/ ٢٦٧.
(٢) شرح السنة ١/ ١٠٣.
(٣) الشفا ٢/ ١٠٧٣.
(٤) توحيد الخلاق ٩٨، وانظر معارج القبول ٢/ ٣٥٧.
(٥) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ١٣١.

والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين»[(١)].

فائدة: في قول النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف»[(٢)].

حيث رد الحافظ الصنعاني على من قال أن الحديث يدل على أن استحلال المحرم لا يخرج فاعله من مسمى الأمة فقال رحمه الله: «ولا يخفى ضعف هذا القول، فإن من استحل محرماً أي اعتقد حله فإنه قد كذب الرسول ﷺ الذي أخبر أنه حرام، فقوله بحله رد لكلامه وتكذيب كفر، فلابد من تأويل الحديث بأنه أراد أنه من الأمة قبل الاستحلال فإذا استحل خرج عن مسمى الأمة ولا يصح أن يراد بالأمة هنا أمة الدعوة لأنهم مستحلون لكل ما حرمه لا لهذا بخصوصه»[(٣)].

وقال الشيخ ابن بسام رحمه الله: «وقوله ﷺ: «من أمتي» يحتمل أحد أمرين:

١- إما أنه سمي من الأمة باعتبار ما سبق قبل استحلاله لهذه الأشياء، وهذا جائز لغةً باعتبار ما كان كقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾.

٢- وإما أنه من أمة الدعوة فقط، وليس من أمة الإجابة»[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١/ ١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٥٥٩٠). وقال ابن حجر: والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح. انظر الفتح ١٠/ ٥٢. وأخرجه أبوداود في السنن (٤٠٣٩).

(٣) سبل السلام ٢/ ١٧١، ١٧٢.

(٤) توضيح الأحكام ٢/ ٤٤٦.

٢٣٢- الكفر الأصغر*

الكفر الأصغر: وهو ما جاء في النصوص تسميته كفراً ولا يصل إلى حد الكفر الأكبر فلا مناقضة فيه لأصل الإيمان، ولا يخرج من الملة، ولا يوجب الخلود في النار ولكن صاحبه على خطر عظيم.

الأدلة من السنة:

عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ الْمُرْجِئَةِ فَقَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما»[(٢)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرِها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ»[(٣)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت»[(٤)].

وقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»»[(٥)].

---

* تقدم ذكر المراجع في باب (الكفر) وللاستزادة انظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٣٨٧. الجهل بمسائل الاعتقاد من ص١١٨ إلى ١٢٥.

(١) أخرجه البخاري (٤٨)(٦٠٤٤)(٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٣). مسلم (٦٠).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٠١٧٠) (٩٢٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٦٧).

(٥) أخرجه البخاري (١٢١)، (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥). وانظر كلام الشيخ ابن باز في مجلة الدعوة العدد (١٥١١) تاريخ ١٢/ ٥/ ١٤١٦هـ.

وقال ابن القيم: «الكفر الأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود. كما في قوله تعالىٰ ـ وكان مما يتلىٰ فنسخ لفظه ـ «لا ترغبوا عن آبائكم. فإنه كفر بكم»، وقوله ﷺ في الحديث: «اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة»، وقوله في السنن: «من أتىٰ امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد»، وفي الحديث الآخر: «من أتىٰ كاهناً أو عرافاً، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل الله علىٰ محمد»[1]، وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة.٤٤]. قال ابن عباس: «ليس بكفر ينقل عن الملة. بل إذا فعله فهو به كفر. وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر» وكذلك قال طاووس. وقال عطاء: «هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٠١٧٠) (٩٢٧٩).

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٤، ٣٦٥، وانظر مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٣٢٧، والصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص٢٦، ٢٧.

٢٣٣- كفر الإعراض

قال المناوي: «الإعراض: الإضراب عن الشيء وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة أي أخذت عرضاً أي جانبا غير الجانب الذي هو فيه»[١].

وقال في اللسان: «والإعراض عن الشيء: الصد عنه، والإعراض: الصدود، أعرض عنه: صدَّ وولَّى»[٢].

وقال الراغب: «وإذا قيل: أعرض عنِّي فمعناه: ولَّى مبدياً عرضه»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها، وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»[٤].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾ [الأحقاف:٣].

---

(١) التعاريف للمناوي ٢/ ٧٦.

(٢) لسان العرب (ع ر ض).

(٣) المفردات (ع ر ض).

(٤) طريق الهجرتين ص٤١٢.

٢٣٤- الكفر الأكبر[١]

الكفر الأكبر: وهو ما يناقض أصل الإيمان وحقيقته.

قال ابن القيم: «الكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار»[٢].

وفي تهذيب اللغة: «قال شمر: قال بعض أهل العلم: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق. ومن لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[٣].

* أنواع الكفر المخرج من الملة:

النوع الأول: كفر التكذيب[٤]، والدليل قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت.٦٨].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار[٥] مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة.٣٤].

النوع الثالث: كفر الشك[٦]، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ٣٨٧. الجهل بمسائل الاعتقاد ١٠٩ إلى ١١٨ .

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٦.

(٣) تهذيب اللغة ١٠/ ١٩٣.

(٤) انظر باب كفر الجحود التكذيب .

(٥) انظر باب كفر الإباء والاستكبار .

(٦) انظر باب كفر الشك .

جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف.٣٥ـ٣٨].

النوع الرابع: كفر الإعراض[١] والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف.٣].

النوع الخامس: كفر النفاق والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون.٣]»[٢].

وهذه الأنواع ذكرها ابن القيم رحمه الله.

وهناك قسمان آخران وهما كفر الاستحلال وكفر الجحود، وقد يدخلان فيما سبق ذكره من الأنواع.

*** الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:**

الكفر الأكبر: هو تكذيب أو استحلال أو استكبار أو عناد أو إعراض أو نفاق أو شك في شيء مما جاء به نبينا محمد ﷺ.

الكفر الأصغر: كل ما أطلق عليه الكتاب والسنة كفرا ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر كإضافة النعم لغير الله والطعن في النسب والنياحة على الميت وإتيان المرأة في الدبر فهذا كله كفر أصغر لا يخرج من الملة، ويقال في الفرق بينهما ما قيل في الفرق بين الشرك الأصغر والأكبر[٣] حيث يفترقان في حد كل منهما وتعريفه،

---

(١) انظر باب كفر الإعراض.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) انظر باب الشرك الأصغر.

وكذلك الكفر الأكبر محكوم علىٰ صاحبه بالخروج من الإسلام والخلود في النار وتحريمه دخول الجنة، أما الكفر الأصغر فيجتمع مع الإيمان ولا يناقضه ولا يوجب الخلود في النار ولا يحكم عليه بتحريم دخول الجنة.

٢٣٥- كفر الإنكار

انظر باب (كفر الجحود والتكذيب).

٢٣٦- كفر الجحود والتكذيب*

الجحد في اللغة: الإنكار مع العلم[١].

وقال العلامة الفيومي: «جحده حقَّه وبحقِّه جحدً وجحوداً: أنكره ولا يكون إلا على علم من الجاحد به»[٢].

وقال ابن القيم: «الجحود: إنكار الحق بعد معرفته وهذا كثير في القرآن فهو إنكار مع العلم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام.٣٣]»[٣].

قال الراغب: «الجحود: نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه»[٤].

والجحود يراد به التكذيب المنافي للتصديق، كما يراد به الامتناع والإباء المنافي للانقياد[٥].

وقال شيخ الإسلام: «ومن أطلق من الفقهاء أنه لا يكفر إلا من يجحد وجوبها أي الصلاة فيكون الجحد عنده متناولا للتكذيب بالإيجاب ومتناولا للإمتناع عن الإقرار والالتزام»[٦].

---

* الشفاء ٢/ ١٠٧٣. مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٥، بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٢٤. الصارم المسلول ص٥٢٤. مدارج السالكين ١/ ٣٦٧. الدرر السنية ١/ ٦٨، ٤٨٠، ١١/ ١٨٣. الحكم بغير ما أنزل الله لعبدالرزاق عفيفي ص٥١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٩١ ومن المجموع ١٠/ ٧٦٥.

(١) مختار الصحاح (ج ح د).

(٢) المصباح المنير (ج ح د).

(٣) شفاء العليل ١٧٢.

(٤) المفردات (ج ح د).

(٥) انظر الفتاوى لابن تيمية ٢٠/ ٩٨، وكتاب الصلاة لابن القيم ص٤٤.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٩٨.

فالجحود أن يكذب وينكر بلسانه أن هذا حكم الله أو أنه من عنده ﷻ مع تصديق قلبه بذلك.

قال الراغب: «وأعظم الكفر جُحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة»(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد.٣٠].

وسبب نزول الآية: أنه حين كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» في صلح الحديبية، قالوا: أما الرحمن فلا نعرفه ولا ندري ما الرحمن، ولا نكتب إلا باسمك اللهم. فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم. فقال: لا، ولكن اكتبوا كما يريدون(٢).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وقيل قالوا ذلك حينما سمعوا الرسول ﷺ يدعو في سجوده ويقول «يا رحمن يا رحيم» فقالوا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ أي يجحدون هذا الاسم لأنهم يجحدون الله فإنهم يقرون به كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف.٨٧]. والمراد بهذا كفار قريش أو طائفة منهم فإنهم جحدوا هذا الاسم عناداً وجهلاً، وأما كثير من أهل الجاهلية فيقرون بهذا الاسم كما قال بعضهم:

وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

قال ابن كثير: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ أي: لا يقرون به، لأنهم يأبون من وصف الله بالرحمن الرحيم»(٣).

قال ابن القيم: «وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

---

(١) المفردات (ج ح د).

(٢) فتح القدير ٣/ ١١٩.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٥٨١.

فالمطلق: أن يجحد جملة ماأنزله الله، وإرساله الرسول.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام أو تحريم محرم من محرماته...»[١].

* تعريف التكذيب:

الكذب ضد الصدق، قال الرازي: «وكذَّبه: أخبر أنه كاذب»[٢].

وقد استعملت العرب الكذبَ في موضع الخطأ، قال ابن الأثير: «ومنه حديث صلاة الوتر «كذب أبومحمد» [٣] أي أخطأ، سماه كذباً ؛ لأنه يشبهه في كونه ضد الصواب، كما أن الكذب ضد الصدق وإن افترقا من حيث النية والقصد ؛ لأن الكاذب يعلم أن ما يقوله كذب، والمخطئ لا يعلم، وهذا الرجل ليس بـمُخْبِر، وإنما قاله باجتهاده أدَّاه إلى أن الوتر واجب، والاجتهاد لا يدخله الكذب، وإنما يدخله الخطأ»[٤].

وقال الشيخ عبدالرحمن البراك: «فأما التصديق: فضده التكذيب والشرك والإعراض»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] قال مجد الدين الفيروزآبادي: «كذَّبهم في اعتقادهم لا في مقالهم، فمقالهم كان صدقاً»[٦].

قال الراغب: «إذا قال الكافر من غير اعتقاد: محمدٌ رسول الله، فإن هذا يصح

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧.

(٢) مختار الصحاح (ك ذ ب).

(٣) أخرجه أبوداود (١٤٢٠).

(٤) النهاية (ك ذ ب) ص٢١١.

(٥) جواب في الإيمان ونواقضه ص١٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز ٤/ ٣٣٩.

أن يقال: صِدقٌ، لكون المُخْبَر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كَذِبٌ لمخالفة قوله ضميرَه، وبالوجه الثاني إكذابُ الله تعالىٰ المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:١]»(١).

*** أقوال السلف:**

قال ابن بطة:: «وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل، من عند الله وبجميع ما قال الله ﷻ، فهو حق لازم، فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً كان برد ذلك الشيء كافراً عند جميع العلماء»(٢).

وقال: «فمن كذب بآية أو بحرف من القرآن أو رد شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر»(٣).

وقال أيضاً: «فكل من ترك شيئاً من الفرائض التي فرضها الله ﷻ في كتابه أو أكدها رسول الله ﷺ في سننه علىٰ سبيل الجحود لها والتكذيب بها فهو كافر بيّن الكفر لا يشك في ذلك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر»(٤).

ويقول القاضي عياض رحمه الله: «وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس أو عدد ركعاتها وسجداتها»(٥).

وقال أيضاً: «وكذلك من أنكر القرآن، أو حرفاً منه، أو غير شيئاً منه، أو زاد

(١) المفردات (ص د ق).

(٢) الشرح والإبانة ص٢١١.

(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ص٢٠١.

(٤) الإبانة ٢/ ٧٦٤.

(٥) الشفا ٢/ ١٠٧٣.

فيه،... وكذلك من أنكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين، ولم يكن جاهلا به، ولا قريب عهد بالإسلام،... وكذلك من أنكر الجنة أو النار، أو البعث أو الحساب أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه، وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا..»[١].

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة: كالفواحش والظلم والخمر والميسر والزنا وغير ذلك، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة: كالخبز واللحم والنكاح فهو كافر مرتد، يستتاب فإن تاب وإلا قتل»[٢].

وقال ابن تيمية: «والناس لهم فيما يجعلونه كفرا طرق متعددة، فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك، ومنهم من يقول الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف، وقد لا يجعلها، وهم مختلفون في الصفات نفياً وإثباتاً، ومنهم من لا يحده بحد، بل كل ما تبين له أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، جعله كفراً، إلى طرق أخرى.

ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر، وبغضه وسبه وعداوته، مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة، والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم، إلا الجهم ومن وافقه كالصالحي، والأشعري، وغيرهم»[٣].

ويقول رحمه الله: «إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به، أو الامتناع

---

(١) الشفاء ٢/ ١٠٧٦، ١٠٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٥.

(٣) منهاج السنة ٥/ ٢٥١.

عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم»[١].

قال ابن القيم: «وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

- فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول.

- والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبراً أخبر الله به، عمداً، أو تقديما لقول من خالف عليه لغرض من الأغراض.

وأما من جحد ذلك جهلا، أو تأويلا يعذر فيه صاحبه: فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه. وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله. إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً»[٢].

وقال السيوطي: «اعلموا - رحمكم الله - أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من يشاء من فرق الكفرة»[٣].

وقال الملاّ علي القاري الحنفي: «وفي جواهر الفقه، من جحد فرضا مجمعا عليه كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة كفر، قلت: وفي معناه من أنكر حرمة محرم مجمع عليه كشرب الخمر والزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم والربا»[٤].

وقال الإمام الشوكاني في الدواء العاجل: «وقد تقرر في القواعد الإسلامية أن منكر القطعيّ أو جاحده، والعامل على خلافه تمردا وعنادا أو استحلالاً أو

---

(١) درء التعارض ١/ ٢٤٢.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧.

(٣) مجموعة الرسائل المنيرية ٤/ ٣٠٢ من رسالة مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة.

(٤) شرح الفقه الأكبر ص١٤٣.

استخفافاً كافر بالله وبالشريعة المطهرة التي اختارها الله تعالى لعباده»[١].

وقال ابن سحمان: «لا خلاف بين العلماء أن الإنسان إذا صدق الرسول ﷺ في شيء وكذبه في شيء لم يدخل الإسلام كمن جحد فريضة أو واجباً ....»[٢].

وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن أقسام النفاق الأكبر المخرج من الملة فقال: «أن يظهر كذب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه»[٣].

*** الفرق بين الجحود والتكذيب:**

التكذيب يقابله التصديق، أما الجحود فيقابله الإقرار قال في اللسان: «الجَحْد والجحودُ: نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة»[٤].

فالجحود يكون مع الاستيقان والتصديق ولكنه ينكر بلسانه ويعرف الفرق بينهما بالتأمل في الآيات وأقوال المفسرين، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل.١٤]. فلا يلزم منه أن القلب يكذبه كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام.٣٣].

فنفى عنهم تكذيب القلب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه الآية: «فنفى عنهم التكذيب وأثبت الجحود ومعلوم أن التكذيب باللسان لم يكن منتفيا عنهم، فعلم أنه نفى عنهم تكذيب القلب، ولو كان المكذب الجاحد علمه يقوم بقلبه خبر نفساني لكانوا مكذبين بقلوبهم، فلما

---

(١) الدواء العاجل ص٣٤ ضمن مجموعة الرسائل السلفية. وانظر حكم منكر السنة في باب السنة.

(٢) الضياء الشارق سليمان بن سحمان ص٣٤٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٣٤، وانظر باب النفاق.

(٤) لسان العرب (ج ح د).

نفى عنهم تكذيب القلوب علم أن الجحود الذي هو ضرب من الكذب والتكذيب بالحق المعلوم ليس هو كذباً في النفس ولا تكذيب فيها...»[(١)].

قال الخفاجي: «الفرق بين التكذيب والجحد أن الأول: مطلق الإنكار، والثاني: الإنكار لما يعلم حقيقته عنادا»[(٢)].

* فـائـدة:

ومما يجدر ذكره هنا ما أطلق عليه بعض العلماء بـ(كفر العناد).

حيث يقول الإمام ابن القيم رحمه الله من أنواع الكفر: «كفر جحود وعناد وقصد مخالفة الحق... وغالب ما يقع هذا النوع فيمن له رياسة علمية في قومه من الكفار أو رياسة سلطانية...»[(٣)].

وقال رحمه الله: «والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالله وبرسوله، اتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم، وإن لم يكن كافرا معانداً فهو كافر جاهل. فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهّال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً، فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إمّا عناداً أو جهلاً وتقليداً لأهل العناد»[(٤)].

قال الراغب: «والمعاند: المباهي بما عنده، قال تعالى: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق.٢٤]،قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر.١٦] والعَنُود قيل مثله قال: لكن بينهما فرق لأن العنيد الذي يُعانِد ويُخالِفُ والعنُودُ الذي يعنُد عن القصد»[(٥)].

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ ٥/ ١٩٨.

(٢) نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٦/ ٤١٨ .

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤، وانظر التوضيح عن توحيد الخلاق ص٨٩.

(١) طريق الهجرتين ص٣٨٢.

(٢) المفردات (ع ن د).

قال في مختار الصحاح: «عَنَدَ: أي خالف ورد الحق وهو يعرفه»[١].

وهذا يشبه قولهم في كفر الجحود أنه «الإنكار مع العلم»[٢].

لكن المعاند ينكره بعدما عرف قلبه وأقر لسانه والجاحد لا يقر بلسانه فيجتمع العناد والجحود في الامتناع عن قبول الحق كما يجتمعان في المعرفة.

قال ابن القيم: «الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه»[٣].

ونجد أن العلماء أيضاً يذكرون العناد مع الجهل وكأنهما نقيضان، فالعناد بعلم بخلاف الجهل قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «ولا فرق بين من يكون كفره عنادا أو جهلا، الكفر منه عناد ومنه جهل»[٤].

وسألتُ الشيخ ابن جبرين عن الفرق بينهما فأجاب ـ حفظه الله ـ: «أن إبليس وفرعون وأهل الكتاب الذين عرفوا الرسول وكذبوه هؤلاء كفرهم كفر عناد قال تعالى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة.١٤٦]. أما كفر الجحود فيظهر أنه قريب من كفر العناد ومعناه معرفة الحق ثم إنكار باللسان فيصدق على آل فرعون ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل.١٤]. وكذلك قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [العنكبوت.٣٨]. فكفرهم

---

(٣) مختار الصحاح (ع ن د)

(٤) مختار الصحاح (ج ح د)

(٣) الصلاة لابن القيم ص٢٦.

(٤) كشف الشبهات ص ١٠١.

جحود للحق وهم ينظرون إليه ويعرفونه.

وللتدقيق في التعريف بينهما يُنظر في قول الأزهري حين قال: «وأما كفر الجحود فأن يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه، فهذا كافر جاحد ككفر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصلت، ومنه قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة.٨٩]. يعني كفر الجحود.

وأما كفر المعاندة فهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه، ويأبى أن يقبل ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حِذارُ مسبَّةٍ ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا»[1]

فهو بهذا مقر بالدين وبأنه خير لكنه غير ملتزم به فهو كفر عناد واستكبار.

قال ابن حجر: «ومما ورد من شعر أبي طالب في ذلك أنه نظير ما حكى الله تعالىٰ عن كفار قريش﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ فكان كفرهم عناداً ومنشؤه من الأنفة والكبر، وإلىٰ ذلك أشار أبو طالب في قوله: لولا أن تعيرني قريش»[2].

* الفرق بين الكفر والتكذيب والإنكار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... والكفر أعم من التكذيب فكل من كذَّب الرسول كافر، وليس كل كافر مكذباً، بل من يعلم صدقه، ويقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر، أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب ...»[3].

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/ ١٩٤. انظر للاستزادة باب (كفر الإعراض).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ٢٣٩.

(٣) الفتاوىٰ الكبرىٰ ٥/ ١٩٩، ٢٠٠.

فالكفر نقيض الإيمان والتكذيب يقابل التصديق أما الإنكار فيقابل المعرفة.

قال في تهذيب اللغة: «فأما كفر الإنكار فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد.

وكذلك رُوي في تفسير قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة.٦]. أي الذين كفروا بتوحيد الله»[(١)].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «الوجه الثامن: إن الإنسان قد يكون مكذبا ومنكرا لأمور لا يعلم أن الرسول أخبر بها وأمر بها، ولو علم ذلك لم يكذب ولم ينكر، بل قلبه جازم بأنه لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بحق، ثم يسمع الآية أو الحديث، أو يتدبر ذلك، أو يفسر له معناه، أو يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به، ويعرف ما كان منكرا، وهذا تصديق جديد وإيمان جديد ازداد به إيمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلاً...»[(٢)].

وبعض العلماء رحمهم الله لم يعتن في الغالب في التفريق بين مفهوم كفر الجحود والتكذيب والاستحلال والإنكار ولعل السبب في ذلك أنها كلها من النواقض الاعتقادية التي يكفر من وقع في واحد منها إجماعاً. والله أعلم.

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/ ١٩٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٣٧.

٢٣٧ - كفر الشك

الشك نقيض اليقين، وهو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا بكذبه، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه[١].

وتقدم في باب (لا إله إلا الله) أن من شروطها (اليقين المنافي للشك) وأنه إذا اختل هذا الشرط فإن إسلام العبد ينتفي إذ لابد من اليقين الذي هو حقيقة العلم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن شك في الله أو في رسوله ﷺ أو شك فيما جاء به عن الله فهو كافر بالله.

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله في معرض كلامه عن أنواع الكفر الأكبر: «أما كفر الشك: فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها، فإنه لا يبقى معه الشك...»[٢].

* **الدليل من الكتاب:** قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

قال الشيخ ابن سحمان رحمه الله: «وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر، والشك هو التردد بين شيئين، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا كذبه لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم

---

(١) الضياء الشارق لسليمان بن سحمان ٢٧٤.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧. نواقض الإيمان الاعتقادية د/ الوهيبي ٧٠، ٧١.

تحريمه وهذا كفر بإجماع العلماء»[١].

وقال الشيخ حافظ الحكمي: «فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات.١٥]، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين ـ والعياذ بالله ـ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة.٤٥]»[٢].

*** الفرق بين الشك والريب:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والريب يكون في علم القلب وفي عمل القلب، بخلاف الشك، فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علما وعملاً»[٣].

٢٣٨- كفر العناد

انظر باب: (كفر الجحود والتكذيب).

---

(١) الضياء الشارق ص٣٤٧.

(٢) معارج القبول ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) الإيمان ص٢٦٧.

٢٣٩- كفر النعمة*

النعم كلها من عِنْد الله تعالىٰ ونكرانها وعدم القيام بطاعة المُنعِمِ بها محرم ويطلق عليه العلماء (كفر دون كفر) أو الكفر الأصغر وهو لا يوجب الخلود في النار بل قد يغفره الله ﷻ كما يغفر سائر المعاصي، لكن صاحبه علىٰ خطر.

قال في التعريفات: «الكفران: ستر نِعمة المُنْعِم بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم»[(١)].

ويطلق علىٰ إضافة النعم لغير الله بالقول كفر لأنه تناسىٰ المنعم الحقيقي ولم يقم بالشكر الذي هو من أجل العبادات.

قال ابن رجب: «فإضافة النعم إلىٰ غير المنعم بها بالقول كفر للمنعم في نعمه وإن كان الاعتقاد يخالف ذلك»[(٢)].

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ

* التمهيد لابن عبد البر١٦/ ٢٨٤، ٢٣/ ٢٦٥. شرح مسلم للنووي ٢/ ٦٠، فتح الباري لابن رجب ٣/ ٣٣٦. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص٦٧، ٥٨٩، ٦٣٣. تيسير العزيز الحميد ص٦٣٣، فتح المجيد ص٤٨٣، ٥١٧، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٩٧، ٣٢٤، القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣١١، ٣/ ٣٩، ط٢-٢/ ٣٧٥، ٣/ ٤٨ ومن المجموع ١٠/ ٧٨٤، ٨٦٥. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤١، ٤٥. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ١/ ٤٨٣.

(١) التعريفات ص٢٣٧.

(٢) شرح البخاري ٦/ ٣٣٧.

إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت.٥٠].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا لِى﴾ قال مجاهد: «أي بعملي، وأنا محقوق بهذا»[١].

وقال ابن جرير: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ عند الله، لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم»[٢].

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] قال ابن كثير: «يقول تبارك وتعالىٰ مخبراً عن الإنسان أنه في حال الضراء يتضرع إلىٰ الله ﷻ وينيب إليه ويدعوه، وإذا خوله نعمة منه بغىٰ وطغىٰ، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي لما يعلم الله تعالىٰ من استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا. قال قتادة: علىٰ علم عندي علىٰ خير عندي»[٣].

وفي تأويل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٤٩]. قال ابن جرير: «يقول تعالىٰ ذكره فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثا بنا من جهة ما أصابه من الضر ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ يقول ثم إذا أعطيناه فرجاً مما كان فيه من الضر بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة وبالسقم صحة وعافية فقال إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة والصحة في البدن والعافية علىٰ علم عندي يعني علىٰ علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي عندي يعني فيما

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢٥/ ٣.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢٥/ ٣.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٨.

عندي ... وقال مجاهد في قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي على شرف أعطانيه»[(١)].

قال ابن عثيمين: «معنى الآية يدور على وجهين:

الوجه الأول: أن هذا إنكار أن يكون ما أصابه من النعمة من فضل الله بل زعم أنها من كسب يده وعلمه ومهارته.

الوجه الثاني: أنه أنكر أن يكون لله الفضل، وكأنه هو الذي له الفضل على الله، لأن الله أعطاه ذلك لكونه أهلا لهذه النعمة.

فيكون على كلا الأمرين غير شاكر لله ﷻ والحقيقة أن كل ما نؤتاه من النعم فهو من الله، فهو الذي يسرها حتى حصلنا عليها، بل كل ما نحصل عليه من علم أو قدرة أو إرادة فمن الله، فالواجب علينا أن نضيف هذه النعم إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] حتى ولو حصلت لك هذه النعمة بعلمك أو مهارتك فالذي أعطاك هذا العلم أو المهارة هو الله ﷻ...»[(٢)].

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأعطي ناقة عشراء. وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك، قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأُعطي شعراً حسنا، فقال: أي المال أحب إليك قال: البقر أو الإبل فأعطي بقرة حاملا

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢٤/ ١٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٨٦٨. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٣/ ٤٢.

قال: بارك الله لك فيها.فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك. قال: أن يردّ الله إليّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه فردّ الله بصره، قال: فأي المال أحب إليك قال الغنم فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولّد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللّون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغ به في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله ﷻ المال، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال: له مثل ما قال لهذا وردّ عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت. فوالله لا أجهدك بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر، فإن الأولين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمته، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله، فحل عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها ، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، (٦٦٥٣)، ومسلم (٢٩٦٤).

المنعم، وبذلها فيما يحب.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها، لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدها كما يجحدها المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ولم يرض به وعنه، لم يشكره أيضاً، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها. فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له»»[1].

وبوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بباب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل.٨٣]. فقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «المراد بهذه الترجمة التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية، كنسبة النعم إلى غير الله ؛ فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر كما في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن جابر مرفوعاً: «من أولي معروفاً فلم يجد له جزاء إلا الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره»... ونقل في معنى قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قول ابن جرير «هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها وسرابيل الثياب، والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم»[2].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٢٧، ٦٢٨، طبع المكتب الإسلامي.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٩، تفسيرابن جرير الطبري ١٤/ ١٥٧.

قال ابن القيم ما معناه: «لما أضافوا النعمة إلىٰ غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلىٰ غيره، فإن الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع اللذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهما فأنكراها وقالا: إنما ورثنا هذا كابراً عن كابر، وكونهما موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم إذ أنعم بها علىٰ آبائهم ثم ورثهم إياها فتمتعوا هم وآباؤهم بنعمه»[(١)].

ففي قول الله تعالىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال عون بن عبدالله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا»، وعلّق علىٰ قوله هذا الشيخ ابن عثيمين فقال: «وهذا القول من قائله فيه تفصيل:

إن أراد به الخبر وكان الخبر صدقاً مطابقاً للواقع، فهذا لا بأس به.

وإن أراد بها السبب، فلذلك ثلاث حالات:

الأولىٰ: أن يكون سبباً خفياً لا تأثير له إطلاقاً، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا؛ فهذا شرك أكبر لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفاً في الكون مع أنه ميت، فهو تصرف سري خفي.

الثانية: أن يضيفه إلىٰ سبب صحيح ثابت شرعاً أو حساً ؛ فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، وأن لا يتناسىٰ المنعم بذلك.

الثالثة: أن يضيفه إلىٰ سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سبباً لا شرعاً ولا حساً ؛ فهذا نوع من الشرك الأصغر، وذلك مثل: التَولة، والقلائد التي يقال: أنها تمنع العين، وما أشبه ذلك؛ لأنه أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً، فكان مشاركاً لله في إثبات الأسباب»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «أما الاعتماد علىٰ السبب الشرعي أو الحسي المعلوم، فقد تقدم أنه لا بأس به وأن النبي ﷺ قال: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» لكن

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٨٩، ٥٩٠.

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ١٠/ ٧٨٧.

قد يقع في قلب الإنسان إذا قال: لولا كذا لحصل كذا أو ما كان كذا، قد يقع في قلبه شيء من الشرك بالاعتماد على السبب بدون نظر إلى المسبب وهو الله ﷻ»[١].

ومنعه في «التيسير» حيث نهى عن إضافة النعم لغير الله ولو كان المنعم سبباً حقيقياً واستدل بالحديث المخرج في الصحيحين عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكافر، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[٢]. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «... فيكون نسبة ذلك إلى طيب الريح وحذق الملاح من جنس نسبة المطر إلى الأنواء وإن كان المتكلم بذلك لم يقصد أن الريح والملاح هو الفاعل لذلك من دون خلق الله وأمره، وإنما أراد أنه سبب لكن لا ينبغي أن يضيف ذلك إلا إلى الله وحده؛ لأن غاية الأمر في ذلك أن يكون الريح والملاح سببا أو جزء وسبب ولو شاء الرب تبارك وتعالى لسلبه سببيته فلم يكن سببا أصلاً فلا يليق بالمنعم عليه المطلوب منه الشكر أن ينسى من بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير ويضيف النعم إلى غيره بل يذكرها مضافة منسوبة إلى مولاها والمنعم بها وهو المنعم على الإطلاق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾، فهو المنعم بجميع النعم في الدنيا والآخرة وحده لا شريك له فإن ذلك من شكرها وضده من إنكارها»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٧٩٥. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣٢٢.

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦)(١٠٣٨)(٤١٤٧)(٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٢.

٢٤٠- كفر النفاق*

من أقسام الكفر الأكبر. قال الأزهري: «وأما كفر النفاق فأن يكفر بقلبه ويقر بلسانه»[(١)].

قال في معارج القبول عند حديثه عن كفر النفاق: «وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة، فكفر نفاق، سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أو شك. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة. ٨]»[(٢)].

وسوف يأتي بحثه في باب (النفاق).

٢٤١- كلمة الإخلاص
٢٤٢- كلمة التوحيد

فيه حديث: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»[(٣)].

انظر باب (لا إله إلا الله).

* الدرر السنية ٨/ ١٦٤.

(١) تهذيب اللغة ١٠/ ١٩٤.

(٢) معارج القبول ٢/ ١٩.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤).

٢٤٣- الكلمة الطيبة

هي كلمة التوحيد وهي الشهادة وهي العروة الوثقى.

قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم. ٢٤-٢٥]

قال ابن رجب: «فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد وهي أساس الإسلام، وهي جاريةٌ على لسان المؤمن وثبوت أصلها هو ثبوت التصديق بها في قلب المؤمن، وارتفاع فرعها في السماء هو علو هذه الكلمة وبسوقها وأنها تخرق الحجب ولا تتناهى دون العرش، وإتيانها أكلها كل حين: هو ما يرفع بسببها للمؤمن كل حين من القول الطيب والعمل الصالح؛ فهو ثمرتها»[1].

وانظر باب (لا إله إلا الله).

٢٤٤- الكنيسة

هي معبد النصارى وعن حكم وجودها في الجزيرة انظر باب جزيرة العرب.

وعن حكم الصلاة فيها انظر باب اتخاذ القبور مساجد.

(١) فتح الباري لابن رجب، ١/ ٢٧، ٢٨.

٢٤٥- الكهانة*

قال الجرجاني «الكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب»[(١)].

فالكاهن: هو من يدعي معرفة الغيب المستقبل[(٢)] ويتنبأ بما سيحصل. قال في التيسير: «الكهانة ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب»[(٣)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «هو الذي يأخذ عن مسترق السمع»[(٤)].

وهذا كله يتم باستخدام الجن والشياطين كما في حديث عائشة رضي الله عنها. قال

---

* التمهيد لابن عبد البر ٣/ ١٢٣. مصنف عبد الرزاق ١١/ ٢٠٩. الإبانة لابن بطة العكبري ٧٢٩. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ٣. المحلى بالآثار لابن حزم ٢/ ٣٧٠. تيسير العزيز الحميد ٤٠٩. فتح المجيد ٣٣٣. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٠٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٣١٤، ٢/ ٤٧، ط٢-٢/ ٥٨ ومن المجموع ٩/ ٣٠٥، ٥٣٠. الدرر السنية ٥/ ٧٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٣٣. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٩٢. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٠. نور على الدرب ص٢١٥، ٢٣٥. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٦٤٣. معارج القبول ١/ ٤٣٥. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ١٨٣. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٥١. كتاب الكهانة للمؤلف. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ١٠٦. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٧٢. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٦٩. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٠٧.

(١) التعريفات ص٢٣٥. وكذلك قال ابن الأثير في النهاية ونصه كالآتي: «الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار) النهاية (ك هـ ن) ٤/ ٢١٤.

(٢) انظر المفهم ٥/ ٦٣٣، وشرح السنة ١٢/ ١٨٢، والنهاية ٤/ ٢١٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٠٩.

(٤) فتح المجيد ٣٣٣.

الخطابي: «الكهان فيما علم بشهادة الامتحان: قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة، وطبائع نارية، فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم ، ويستفتونهم في الحوادث، فيلقون إليهم الكلمات»[١].

وقال بعضهم: إن الكاهن اسم للعراف[٢].

وقيل إن العراف أشمل لأنه يطلق على المنجم والحازي كما ذكره ابن الأثير[٣].

قال ابن تيمية: «والعراف قد قيل إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق»[٤].

فالعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها كالمسروق من الذي سرقها ومعرفة مكان الضالة، وتتهم المرأة بالزنى فيقول من صاحبها[٥] وهذا كله في معرفة أمور سبقت في الماضي ويسمى كاهنا لأنه يدعي معرفة الغيب الآتي.

وبعض العلماء يجعل الكاهن مكان العراف ويجعل هذا تعريفاً للآخر كما قال الراغب الأصفهاني في كتاب المفردات: «الكاهن هو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن، والعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك»[٦].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «والعراف كالكاهن إلا أن العراف يختص بمن يخبر بالأحوال المستقبلة والكاهن بمن يخبر عن الأحوال الماضية»[٧].

---

(١) نقله الحافظ في الفتح ١٠/ ٢١٧. وانظر: تيسير العزيز الحميد ص٤٠٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٣، ١٩٣، حاشية ابن عابدين ٤/ ٤٤٢.

(٣) النهاية (ع ر ف).

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٣.

(٥) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٨٢.

(٦) المفردات في غريب القرآن (ك هـ ن).

(٧) المفردات في غريب القرآن (ع ر ف).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «الكهانة فعالة مأخوذة من التكهن، وهو التخرص والتماس الحقيقة بأمور لا أساس لها وكانت في الجاهلية صنعة لأقوام تتصل بهم الشياطين وتسترق السمع من السماء وتحدثهم به، ثم يأخذون التي نقلت إليهم من السماء بواسطة هؤلاء الشياطين ويضيفون إليها ما يضيفون من القول، ثم يحدثون بها الناس. فإذا وقع الشيء مطابقا لما قالوا اغتر بهم الناس واتخذوهم مرجعا في الحكم بينهم، وفي استنتاج ما يكون في المستقبل، ولهذا نقول الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل»[١]. وقد تقدم في باب (العراف) بحث الفرق بين الكاهن والعراف.

* **الدليل من السنة:** عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ[٢] النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ[٣] أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[٥].

وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن الكهان يحدثوننا بالشيء فنجده حقا قال: «تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه

---

(١) المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ٢/ ١٣٦.

(٢) قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٢٨): «من الرواة من سماها حفصة».

(٣) قال النووي: «وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها..) ومعنى كلام النووي أنها لا تسقط عنه بل يجب الإتيان بها والمداومة عليها مع عدم القبول. النووي ١٤/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) والترمذي: «١٣٥» وابن ماجه (٦٣٩). قال الحافظ في الفتح وله شواهد من حديث جابر وعمران بن حصين أخرجهما البزار بسندين جيدين ولفظهما «من أتى كاهناً» ١٠/ ٢٢٧ قال المناوي في فيض القدير ٦/ ٣٢ وقال الحافظ العراقي في أماليه حديث صحيح ورواه عنه البيهقي في السنن فقال الذهبي: إسناده قوي.

ويزيد فيها مائة كذبة»[١].

وفيه أيضا أن عائشة قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء». قالوا يا رسول الله فإنهم يحدّثون أحيانا الشيء يكون حقا، قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقّرها في أذن وليّه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[٢].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: «قضىٰ في امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرىٰ بحجر فأصاب بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها فاختصموا إلىٰ النبي ﷺ فقضىٰ أن دية ما في بطنها غرّة عبد أو أمة فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل فقال النبي ﷺ: إنما هذا من إخوان الكهان»[٣].

وجاء عند النسائي عن المغيرة بن شعبة نحوه وفيه فقال النبي ﷺ : «أسجع كسجع الأعراب»[٤].

وفي صحيح مسلم عن ابن شهاب قال: حدثني علي بن حسين أن عبد الله بن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢٨)، وقوله: فيقرها أي يصبها، تقول: قررت علىٰ رأسه دلوا: إذا صببته فكأنه صب في أذنه ذلك الكلام، قال القرطبي: ويصح أن يقال: المعنىٰ: ألقاها في أذنه بصوت، يقال: قر الطائر: إذا صوت ا.هـ من الفتح ١٠/ ٢٣٠.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٨) (٥٧٥٩) (٥٧٦٠) (٦٧٤٠) (٦٩٠٤) (٦٩٠٩) (٦٩١٠) ومسلم (١٦٨٢) وقوله: يطل أي يهدر ويلغىٰ.

(٤) أخرجه النسائي (٤٨٢٥) (٤٨٢٦). قال الخطابي لم يعبه بمجرد السجع بل بما تضمنه سجعه من الباطل وإنما ضرب المثل بالكهان لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع ترقق القلوب ليميلوا إليها، حاشية السندي علىٰ سنن النسائي ٨/ ٤٨، وسمعت شيخنا عبدالعزيز بن باز ـ ـ يقول: إنما أنكر الرسول ﷺ سجعه لأنه اعترض علىٰ الشرع أما السجع الذي في الحق فلا بأس به. (التعليق علىٰ النسائي) درس ليلة الخميس ٣٠/ ٥/ ١٤١٨هـ في باب دية جنين المرأة ٨/ ٤٦.

عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمى بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم: فيخبرونهم ماذا قال؟ قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»[١].

وعن أبي مسعود الأنصاري أن رسول الله ﷺ: «نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن»[٢]. وحلوانه: الذي تسميه العامة حلاوته ويدخل في هذا ما يعطاه المنجم وصاحب الأزلام والضارب بالحصى والذي يخط في الرمل.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٩)، ومعنى «يقرفون» أي: يخلطون فيه الكذب. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٣٧)(٢٢٨٢)(٥٣٤٦)، ومسلم (١٥٦٧)، وأبو داود (٣٤٢٨) (٣٤٨١)، والترمذي (١٢٧٦) (٢٠٧١)، وابن ماجه (٢١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٤٢).

وعن عمران بن حصين ﷺ مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن، له أو سحر أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»(١).

أحكام وفوائد:

١ - حكم إتيان الكهّان والعرافين:

يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلىٰ هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين فيسأله عن مستقبل حياته والحظ وما يجري عليه فيه وعن زواجه وعن نجاحه في الامتحان وغير ذلك من الأمور التي اختص الله ﷻ بعلمها.

وقد جاءت الفتوىٰ من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن «من أتاهم وصدقهم فقد كفر بالوحي المنزل علىٰ محمد ﷺ ـ وأما من أتاهم ولم يصدقهم فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يوما عقوبة له؛ لأن إتيانهم حرام ولو لم يصدقهم وبهذا يجمع بين حديث: «لم تقبل له صلاة أربعين يوماً». وحديث: «فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ»»(٢).

وهذا بخلاف من يسأله من القادرين ليظهر خداعه وتمويهه فهذا قد يكون مستحباً وقد يكون واجباً.

قال الشيخ محمد بن عثيمين: «سؤال العرافين ونحوه ينقسم إلىٰ أقسام:

القسم الأول: أن يسأل سؤالا مجردا فهذا حرام لقول النبي ﷺ: «من أتىٰ عرافاً...» فإثبات العقوبة علىٰ سؤاله يدل علىٰ تحريمه، إذ لا عقوبة إلا علىٰ فعل محرم.

---

(١) أخرجه البزار بإسناد جيد وأخرجه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتىٰ» إلىٰ آخره، وقد ذكر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، انظر لمزيد من التخريج النهج السديد ١٥١.

(٢) فتوىٰ رقم ١٠٦٤٨.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه، ويعتبر قوله، فهذا كفر، لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن ...

القسم الثالث: أن يسأله ليختبره، هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث.

وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد فقال: ما خبأت لك؟ قال الدخ فقال: «اخسأ، فلن تعدو قدرك»[١] فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له لأجل أن يختبره، فأخبره به.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجباً.

وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجبا، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه، بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلت عليه الأدلة الشرعية الأخرى»[٢].

وقال الألباني رحمه الله: «فمن استعان بهم على فك سحر ـ زعموا ـ أو معرفة هوية الجني المتلبس بالإنسي أذكر هو أم أنثى؟ مسلم أو كافر. وصدقه المستعين به ثم صدق هذا الحاضرون فقد شملهم جميعاً وعيد قوله صلى الله عليه وسلم «من أتى عرافاً، أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد» وفي حديث آخر «لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»»[٣].

٢- هل إتيان الكهان وتصديقهم كفر أكبر؟:

الجواب: اختلف العلماء في حكم إتيان الكاهن مع تصديقه فمنهم من جعله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥٣٢، ٥٣٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٤٩ وانظر للاستزادة في حكم سؤال الكهان كتاب فتاوى اللجنة المجلد الأول ٣٩٢ إلى ٤١٧.

(٣) السلسلة الصحيحة لشيخنا الألباني (٦/ ٢/ ١٠٠٩ـ١٠١٠).

كفرا أكبر ومنهم من جعله كفرا أصغر ومنهم من توقف.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يتوقف فلا يقال: يخرج عن الملة ولا ما يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله»(١).

وقد قرنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بمن أنكر الإسلام أو سَحَر فقال رحمه الله: «فمن أشرك بالله تعالىٰ كفر بعد إسلامه ... أو سجد لصنم أو شمس أو قمر، أو أتىٰ بقول أو فعل صريح، في الاستهزاء بالدين الذي شرعه الله تعالىٰ، أو وجد منه امتهان القرآن، أو أنكر الإسلام كفر، لأن الدين عند الله الإسلام، أو سحر أو أتىٰ عرافاً فصدقه، أو جحد البعث كفر»(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب، وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفر دون كفر»(٣).

وممن يرىٰ من العلماء أنه كفر أصغر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن رحمه الله حيث قال: «وكذلك قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقوله: «من أتىٰ كاهناً فصدقه، أو أتىٰ امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ» فهذا من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه وإن كان الكل يطلق عليه الكفر...»(٤).

وبعض العلماء يستدل علىٰ أنه كفر أصغر بحديث: «من أتىٰ عرافاً فصدقه بما

---

(١) فتح المجيد ص٣٣٥.

(٢) الدرر السنية ١٠/ ٨٩.

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٥٣٨. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٢/ ٥٥.

(٤) الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ١٥.

يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[١].

فلو كان كفره مخرجاً من الملة لما قُبلت منه الصلاة الدهر كله حتى يرجع إلى الإسلام ولكنه حصرها بأربعين يوماً، كما أن الأمر فيه شبهة بالنظر للغيب النسبي، حيث يُفرّق بين الغيب المطلق والغيب النسبي المعتمد على إخبار الشياطين في الماضي والحاضر لا المستقبل.

*** وأنت ترى من خلال هذه النقول أن الأقوال ثلاثة:**

فقيل: كفر أكبر، وقيل كفر أصغر، والثالث التوقف.

وينبغي أن يعلم أن من ظن أن أحدا يعلم الغيب المطلق غير الله فقد كفر سواء اعتقد ذلك في كاهن أو ساحر أو عالم، أو حتى نبي أو مَلَك فإنهما لا يعلمان من الغيب إلا ما أطلعهما الله عليه كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن.٢٦-٢٧]. وقد علمنا أن ادعاء الغيب كفر[٢].

قال المناوي: «إن مصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة وأنه بإلهام فصدقه من هذه الجهة لا يكفر»[٣].

ونقل الشيخ سليمان صاحب «التيسير» أن بعضهم قال: «لا تعارض بين هذا الخبر، وبين حديث: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» إذ الغرض في هذا الحديث أنه سأله معتقداً صدقه وأنه يعلم الغيب فإنه يكفر، فإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة، أو أنه بإلهام فصدقه من هذه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٦١٠).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة ٢/ ١١٩. وانظر باب (الغيب).

(٣) الفيض ٦/ ٢٣.

الجهة لا يكفر كذا قال، وفيه نظر. وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد بأي وجه كان، لاعتقاده أنه يعلم الغيب، وسواء كان كذلك من قبل الشياطين، أو من قبل الإلهام لا سيما وغالب الكهان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين. وفي حديث رواه الطبراني عن وائلة مرفوعاً: «من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال كفر». قال المنذري: ضعيف. فهذا لو ثبت نص في المسألة لكن ما تقدم من الأحاديث يشهد له، فإن الحديث الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه والأحاديث التي فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصديقه»[(١)].

٣ - حكم الكاهن وعمله:

دخلت الكهانة والعرافة والتنجيم في الشرك من جهتين:

- جهة ادعاء علم الغيب الذي اختص به الله تعالى.

- وجهة استخدام الشياطين بعد التقرب لهم فهو تقرب إلى غير الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادة.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به ومن جهة التقرب إلى غير الله»[(٢)].

وفي حديث «من أتى عرافاً...» الحديث قال شارح الطحاوية: «فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول»[(٣)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤١٣.

(٢) القول السديد ص ٨٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٥٦٧.

وأفتت اللجنة الدائمة بأن الكهان الذين يزعمون علم المغيبات وأمثالهم ممن يخط في الرمل وينظر في الفنجان أو في الكف ومن يفتح الكتاب زعماً منهم أنهم يعرفون بذلك الغيب أنهم كفار ؛ لِزعمهم أنهم شاركوا الله في صفة من صفاته الخاصة به وهي علم الغيب[(١)].

وكذلك أفتت اللجنة الدائمة أن الكاهن والعراف إذا ماتا وهما على حالتهما المعروفة من دعواهما علم الغيب فإنه لا يُصلى عليهما ولو كانا يصليان ؛ لأن دعواهما علم الغيب كفر أكبر يبطل الصلاة وغيرها[(٢)].

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «من يدّعي علم الغيب من العرافين والكهان، بنظره في النجوم أو في كتاب، أو بخط في رمل، أو استخدام جن، أو نحو ذلك، مما ليس من الأسباب العادية فهو كافر بقوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]... وعلى هذا لا يجوز لمن يعلم حال هؤلاء أن يصلي وراءهم، ولا تصح صلاته خلفهم»[(٣)].

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «وأما كفر الكاهن فمن وجوه:

منها: كونه ولياً للشيطان فلم يوحِ إليه الشيطان إلا بعد أن تولاّه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام:١٢١] والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولونه، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، وهذا وجه ثانٍ.

---

(١) فتاوى اللجنة ١/ ٣٩٣.

(٢) فتاوى اللجنة ١/ ٤٠٧. وانظر للاستزادة كتاب إقامة البراهين على حكم من استعان بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين.

(٣) فتوى صادرة من رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برقم ٢٩٤٨.

والثالث: قوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ أي نور الإيمان والهدىٰ ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩] **وهذا وجه رابع**.

والخامس: تسميته طاغوتاً في قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] نزلت في المتحاكمين إلىٰ كاهن جهينة.

وقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بالطاغوت **وهذا وجه سادس**.

والسابع: أن مَنْ هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب ﵁ لم يأته رئيه بعد أن دخل في الإسلام، فدلّ أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه، حتىٰ إنه ﵁ كان يغضب إذا سُئل عنه حتىٰ قال له عمر ﵁: ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم.

الثامن ـ وهو أعظمها ـ: تشبهه بالله ﷻ في صفاته ومنازعته له تعالىٰ في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالىٰ بها دون من سواه فلا سميَّ له ولا مضاهي ولا مشارك ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور:٤١]، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣١] ولسان حال الكاهن وقاله يقول: نعم.

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله.

العاشر: النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول فكيف به هو نفسه فيما ادّعاه؟»[١].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عن حكم الكاهن والمنجم والرمَّال من حيث العقوبة في الدنيا: «إنْ حكمنا بكفرهم فحكمهم في الدنيا أنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قُتلوا كفاراً.

وإنْ حكمنا بعدم كفرهم إما لكون السحر لا يصل إلىٰ الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون لأن المسألة فيها خلاف، فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم حتىٰ وإن قلنا بعدم كفرهم لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة:٣٣]. فكل من أفسد علىٰ الناس أمور دينهم أو دنياهم فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلىٰ الإخراج من الإسلام»[٢].

٤ - لا يجوز تأجير الحوانيت علىٰ الكهان أو مساعدتهم في أعمالهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أخذ الأجرة والهبة والكرامة علىٰ التنجيم والضرب بالحصىٰ حرام علىٰ الدافع والآخذ ويجب علىٰ ولي الأمر منعهم ويجب علىٰ كل قادر السعي في إزالة كل ما يعينهم علىٰ ذلك، ويحرم علىٰ النظار والوكلاء والملاك، إكراء الحوانيت المملوكة، أو الموقوفة، أو غيرها لهؤلاء الكفار والفساد بهذه المنفعة ويجب أن يمنعوا من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو دخولهم

---

(١) معارج القبول ٢/ ٥٧٠، ٥٧١.

(٢) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٥٤٨، ٥٤٩. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٦٥.

علىٰ الناس في منازلهم، والقيام في ذلك من أفضل الجهاد في سبيل الله»[(١)].

٥ - تأثر الكهانة بحراسة السماء:

الكهانة كانت معروفة منذ القدم، وكان استراق الشياطين للسمع في الجاهلية كثيراً جداً، وكان رمي الشياطين في الجاهلية موجوداً ولكن بقلة، قيل للزهري: أكان يرمىٰ في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيت قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩] قال: غلظت وشدّد أمرها حين بعث النبي ﷺ[(٢)].

قال ابن قتيبة: «ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث وكانوا من قبل يسترقون ويرمون في بعض الأحوال فلما بعث محمد ﷺ منعت من ذلك أصلاً»[(٣)].

وحين بعث النبي ﷺ ملئت حرساً شديداً وشهباً وبعد موته ﷺ بقيت السماء محروسة كذلك ولكن ليس كحال بعثة النبي ﷺ فقد كان استراق الشياطين للسمع قليلاً[(٤)]، قال ابن حجر: «وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدا كما جاء في أخبار «شق» و «سطيح» ونحوهما وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدا حتىٰ كاد يضمحل ولله الحمد»[(٥)].

ويوضح هذا ما ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله حين قال: «اعلم أن الكهان الذين يأخذون عن مسترقي السمع موجودون إلىٰ اليوم لكنهم قليل بالنسبة

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ٩٤، ٩٧ وانظر مفتاح دار السعادة ٢/ ١٢٥، ١٢٩.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٨٨٢)، وجامع الأحكام للقرطبي ١٩/ ١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ١٣ في تفسير سورة الجن الآية ٩.

(٤) ويرىٰ القرطبي أن حراسة السماء دامت في حياة النبي ﷺ وبعد أن توفاه الله. انظر: الجامع لأحكام القرآن في تفسيره قوله تعالىٰ: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من سورة الصف.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٢٧.

لما كانوا عليه في الجاهلية، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، ولم يبق من استراقهم إلا ما يتخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب. وأما ما يخبر به الجني مواليه من الإنس بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً فكثير جداً في أناس ينتسبون إلى الولاية والكشف، وهم من الكهان إخوان الشياطين لا من الأولياء»[1].

٦ - الفرق بين الساحر والكاهن:

يختلف الكاهن عن الساحر في أمور، كما يشابهه في أمور، وقد جاء عن الإمام أحمد أن الكاهن من يدّعي علم الغيب والساحر هو الذي يعقد ويفعل[2]، ونقل عنه حنبل بن إسحاق أنه سئل عن الكاهن فقال: «هو نحو العراف، والساحر أخبث؛ لأن السحر شعبة من الكفر»[3].

وقد يجتمع في إنسان أنه ساحر وكاهن فيعقد وينفث كما أنه يستخدم الشياطين ويستعين بهم في ادعاء علم الغيب، وبهذا يفرق بين الكاهن والساحر.

فالكاهن يستعين بالشياطين لمعرفة الأمور الغيبية كما جاء في الحديث أن الجني يخطف ويكذب معها مائة كذبة، أما الساحر فإنه يستخدم الشياطين في تنفيذ عقده وإظهار سحره، والكاهن لا يؤثر بمرض أو تعب بخلاف الساحر الذي يسعى في التأثير بمرض أو غير ذلك.

وحكم إتيان الكاهن يدخل فيه الساحر والمنجم والرمال وأشباههم حيث يجمعهم أنهم يستعينون بالشياطين ويقدمون لهم ما يرضيهم وهم كلهم كذبة

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٠٩.

(٢) المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ١٠٦.

(٣) انظر المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ١٠٦ جمع وتحقيق عبد الإله الأحمدي وقد عزا الأولى إلى كتاب أهل الملل للخلال ص ٢٠٨.

فجار يستغلون حاجة الضعفاء والسذّج[(١)] .

قال ابن باز رحمه الله: «لا يجوز إتيان السحرة ولا الكهنة ولا سؤالهم»[(٢)] .

٧ - الفرق بين معرفة الأمور بالكهانة ومعرفتها بالحساب:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «... وليس من الكهانة في شيء من يخبر عن أمور تدرك بالحساب، فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر، فهذا ليس من الكهانة، لأنه يدرك بالحساب، وكما لو أخبر عن أن الشمس تغرب في ٢٠ من برج الميزان مثلا في الساعة كذا وكذا فهذا ليس من علم الغيب وكما يقولون: إنه سيخرج في أول العام أو العام الذي بعده مذنب «هالي»، وهو نجم له ذنب طويل، فهذا ليس من الكهانة في شيء، لأنه من الأمور التي تدرك بالحساب. فكل شيء يدرك بالحساب، فإن الإخبار عنه ولو كان مستقبلا لا يعتبر من علم الغيب، ولا من الكهانة»[(٣)] .

ويدخل في هذا أيضاً معرفة الخسوف والكسوف فهي من الحساب وليس فيها كهانة، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة، كما لطلوع الهلال وقت مقدر، وذلك ما أجرىٰ الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف»[(٤)] .

وقال أيضاً: «لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام، يشترك فيه جميع الناس، وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب

(١) للاستزادة انظر: كتاب موقف الإسلام من السحر تأليف أ. حياة سعيد عمر باخضر ١/ ٢٣٢، ٢٣٦

(٢) فتاوىٰ نور على الدرب ص٢١٩.

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٥٣٠. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١ - ٢/ ٤٧.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ٢٤ / ٢٥٤

جريانهما، وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب، ولا من باب ما يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه، فإن ذلك قول بلا علم ثابت، وبناء على غير أصل صحيح»[(١)].

وفي حكم العمل بما يقولون وتصديق أهل الحساب في ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما تصديق المخبر بذلك وتكذيبه فلا يجوز أن يصدق إلا أن يعلم صدقه، ولا يكذب إلا أن يعلم كذبه، كما قال النبي ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوهم، وإما يحدثوكم بباطل فتصدقوهم»...

ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطئون، ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك، وإذا جوز الإنسان صدق المخبر بذلك، أو غلب على ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك، واستعد ذلك الوقت لرؤية ذلك كان هذا حثا من باب المسارعة إلى طاعة الله تعالى وعبادته»[(٢)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «وأما الذين يعلنون بقولهم الشمس يكسف بها أو القمر فهم مخطئون في إعلانهم وجزمهم بذلك في الوقت الذي عينوه، وإن كان ذلك يدرك بالحساب لأن له أسباباً معلومة عند علماء الهيئة إلا أن الحساب يخطئ ويصيب»[(٣)].

٨ - الفرق بين الكهانة وأحوال الطقس:

الإخبار عن حالة الطقس أو أحوال الجو من أمطار، أو رياح أو غيوم أو صحو

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٥٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٥٨.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٦٨، ١٧٠.

أو غير ذلك، إنما هي توقعات مبنية على مقدمات مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة وحركة الرياح ونحو ذلك، وقد يكون الأمر على خلاف ما قالوا[(١)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «هل من الكهانة ما يخبر به الآن من أحوال الطقس في أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟.

الجواب: لا، لأنه أيضاً يستند إلى أمور حسية، وهي تكيف الجو، لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم فيكون صالحا لأن يمطر أو لا يمطر ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب، نقول يوشك أن ينزل المطر... إلى أن قال: فالذي يعلم بالحس لا يمكن إنكاره ولو أن أحدا أنكره مستندا بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعنا بالشرع»[(٢)].

يقول المشعبي: «أما في العصر الحاضر فاختلفت العلامات التي يعتمد عليها أرباب الأرصاد في الإخبار عن حالة الجو، فأصبحت أخبارهم مبنية على مقدمات حسية تصل إليهم من المناطق المجاورة لهم»[(٣)].

قلت: ومما يعلم بالحس الآن معرفة أحوال الطقس عن طريق صور الأقمار الصناعية لحركة السحب وسير الرياح وتكاثف الماء ومقدار الرطوبة في الجو وغير ذلك.

٩ - أنواع الكهانة:

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «كانت الكهانة في الجاهلية فاشية

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/ ١١٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٥٣١. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ٤٨.

(٣) التنجيم والمنجمون ص٣١٥، ٣١٧ تأليف عبد المجيد المشعبي.

خصوصا في العرب، لانقطاع النبوة فيهم ...وهي على أصناف: منها ما يتلقونه من الجن فإن الجن كان يصعدون إلى جهة السماء، فيركب بعضهم بعضا، إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام، فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن، فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات.١٠-١١].

ثانيها: ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب لا من بعد.

ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين، وحدس وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وكل ذلك مذموم شرعاً»[١] .

ومما يدخل في الكهانة:

أولا: العرّاف: وقد سبق أن بينا معناه والفرق بينه وبين الكاهن[٢] .

ثانياً: المنجم: وهو من يخبر بالغيب عن طريق النجوم ويستدل على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية وقد سبق الحديث عنه[٣] .

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٢٧.

(٢) انظر: باب (العراف).

(٣) انظر: باب (التنجيم).

ثالثاً: الحازي: وهو الخارص الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله تعالىٰ به.

رابعاً: قارئ الفنجان: وهو فنجان القهوة حيث يعتمد الكاهن علىٰ ما تبقىٰ من القهوة فيه، فيرسم به علىٰ جوانب الفنجان خطوطا، ثم يتنبأ بما يحصل. وربما أمسك الكاهن بالفنجان بعد أن ينتهي الشخص منه ثم يديره عدة مرات ثم يكفيه علىٰ حافته وبعد رفعه يتطلع إلىٰ الصور والقطرات التي ترسمها خطوط القهوة علىٰ جدرانه وقاعه ثم يتنبأ الكاهن بما يحصل.

خامساً: قراءة الكف والكوتشينة[1]: أما «قراءة الكف» فيعتمد مدّعي الغيب علىٰ خطوط الكف، وما فيها من تقاطعات، وتعرجات وانقطاعات، واتصالات، ثم يزعم أنه يكون كذا وكذا.

وأما قراءة «الكوتشينة»، فهي كزهر الطاولة. قال شارح مسائل الجاهلية: «ومما يلحق بها في هذا العصر، ما يسمىٰ بـ «زهر الطاولة» و«الدومينو» وهذان يقومان علىٰ التنبؤ بالشيء عن طريق الأرقام، بحيث توضع دائرة علىٰ الأرض، ثم يلقي بالزهر المرقم داخلها، فإن لم يدخل فيها، فهو يعني أن ثمة شقاقا سيقع، وإن دخل فيها تمت قراءة الأرقام الموجودة علىٰ الزهر، وكل رقم يدل علىٰ حادثة معينة.

ومنها قراءة النار: حيث إنهم يستدلون علىٰ ما يقع بزعمهم من الأحداث في المستقبل بصور الجمر، وتلهب النار»[2].

سادساً: الرمّال[3]: وهو الذي يخط بالرمل، وهو ضرب من ادّعاء علم الغيب،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن باز ٢/ ٦٩٨.

(٢) انظر: كتاب المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية دراسة وتحقيق وشرح يوسف محمد السعيد ص٨٦٣، ٨٦٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤١٥. فتح المجيد ص٣٣٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١٩٥. معارج القبول ١/ ٤٣٦. موقف الإسلام من السحر ١/ ٢١٦.

يقوم على وضع خط أو خطوط على الأرض ثم يحذفُ منه ويُبقي، وتأتيه الشياطين فتقول له إذا بقي واحد فيدل على كذا وإذا بقي اثنان فيدل على كذا، فهو ضرب من الكهانة لأن فيه ادعاء علم الغيب الآتي. ويتخذ في هذا العصر شكلا آخر حيث يقوم الرمال برسم صورة لأشخاص وحيوانات على الأرض باستخدام الرمل الملون، وعن طريق ملاحظة ما يحدث لهذه الصور الرملية من عوامل التعرية يتنبئون بأحداث المستقبل أو علاج المرضى.

والغجر المتجولون في مختلف أنحاء العالم يزعمون لأنفسهم براعة خاصة في قراءة الرمل وضرب الودع، وتسير الواحدة منهم في شوارع القرية أو المدينة حاملة سلة بها رمل وودع وتنادي: «أبيِّن زين... أبيِّن»، فيستدعيها الناس ويسألونها عما يشغل بالهم، نسأل الله العافية.

سابعاً: الطرق[1] وهو بفتح الطاء وسكون الراء ومعناه الخط يخط بالأرض. قال ابن الأثير: «الطرق الضرب بالحصى الذي يفعله النساء وقيل هو الخط في الرمل»[2].

وأصل الطرق: الضرب، ومنه سميت مطرقة الصانع والحداد ؛ لأنه يطرق بها أي يضرب بها [3].

قال الحربي: «وهو ضرب من الكهانة»[4].

ودليله حديث قَبِيصَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ

---

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٧. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٥١. تيسير العزيز الحميد ص٤٠٢. فتح المجيد ص٣٢٦. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٩٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣٠. ط٢-٢/٢٨ ومن المجموع ٩/ ٥١٣. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٨٦٠. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٥٢٣.

(٢) النهاية (ط ر ق).

(٣) مختار الصحاح (ط ر ق)، لسان العرب (ط ر ق).

(٤) النهاية (خ ط ط).

وَالطَّرْقُ مِنْ الْجِبْتِ[١]. الطَّرْقُ: الْخَطُّ، وَالْعِيَافَةُ: الزَّجْرُ»[٢].

ونقل ابن الأثير تفسير الخط عن ابن عباس قال: قال ابن عباس: «الخط هو الذي يخطه الحازي، وهو علم قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً، فيقول له اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطا كثيرة بالعجلة، لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وغلامه يقول للتفاؤل: ابن عيان أسرعا البيان! فإن بقي خطان فهما علامة النجاح، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة»[٣].

وذكر الحربي من صوره أيضاً أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ويقول: يكون كذا وكذا[٤].

وهذا معروف في زماننا بخط الرمل، ويتعيش به كثير من الدجالين وأصحاب الحيل المتكهنين، يوهمون الرعاع الجهلة أنهم يطلعون على المغيبات، وهو في الحقيقة خداع ومكر وحيل ما أنزل الله بها من سلطان، نسأل الله السلامة والعافية من ذلك[٥].

١٠ - مسألة:

جاء في صحيح مسلم عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ

---

(١) انظر: باب الجبت.

(٢) سنن أبي داود (٣٩٠٧) وأحمد (١٦٠١٠) وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ١٣٩.

(٣) النهاية (خ ط ط).

(٤) غريب الحديث ٢/ ٧٢٢، النهاية لابن الأثير (خ ط ط) عون المعبود ١٠/ ٢٨٨.

(٥) انظر: حاشية على كتاب التوحيد ص٦٨.

أُمُوراً كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ قَالَ: «فَلا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ. قَالَ: «ذاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلا يَصُدَّنَّكُمْ». و فِي حَدِيثِ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ»[1].

وقد أزال النووي رحمه الله هذا الإشكال عند شرحه لهذا الحديث فقال: «قوله: ومنا رجال يخطون. قال: «كان نبي من الأنبياء عليهم السلام يخط، فمن وافق خطه فذاك» اختلف العلماء في معناه، فالصحيح أن معناه من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلىٰ العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح، والمقصود أنه حرام لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها؛ وقال النبي ﷺ: «فمن وافق خطه فذاك» ولم يقل هو حرام، بغير تعليق علىٰ الموافقة، لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ علىٰ حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا. فالمعنىٰ أن ذلك النبي لا منع في حقه وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها. وقال الخطابي: هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط، إذا كان علماً لنبوة ذاك النبي، وقد انقطعت ؛ فنهينا عن تعاطي ذلك»[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: «ويحتمل أن المعنىٰ أن سبب إصابة صاحب الخط هو موافقته لخط ذلك النبي، فمن وافق خطه أصاب وإذا كان كذلك وكانت الإصابة نادرة بالنسبة إلىٰ الخط، ولا طريق إلىٰ اليقين بالموافقة صار ذلك بالنسبة إلىٰ من يتعاطاه من أنواع الكهانة لمشاركته لها في المعنىٰ»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) شرح النووي ٥/ ٢٣.

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص٤١٧.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «فإن قيل قد صح عن الرسول ﷺ أنه سئل عن نبي من الأنبياء يخط فقال: «من وافق خطه فذاك» قلنا: يجاب عنه بجوابين:

الأول: أن الرسول ﷺ علقه بأمر لا يتحقق الوصول إليه لأنه قال: فمن وافق خطه فذاك، وما يدرينا هل وافق خطه أم لا.

الثاني: أنه إذا كان الخط بالوحي من الله تعالىٰ كما في حال هذا النبي فلا بأس به لأن الله يجعل له علامة ينزل الوحي بخطوط يعلّمه إياها.

أما هذه الخطوط السحرية فهي من الوحي الشيطاني فإن قيل: طريقة الرسول ﷺ أنه يسدّ الأبواب جميعا خاصة في موضوع الشرك فلماذا لم يقطع ويسد هذا الباب؟

فالجواب: كان هذا ـ والله أعلم أمر معلوم وهو أن فيه نبياً من الأنبياء يخط فلا بد أن يجيب عنه الرسول ﷺ»[1].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٥١٤. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ٣١.

٢٤٦- الكــي*

قال في مختار الصحاح: «كواه يكويه كيّاً فاكتوىٰ هو يقال آخر الدواء الكي ولا يقال آخر الداء الكي و المكواة الميسم»(١).

وقال ابن الأثير: «الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض وقد جاء في أحاديث كثيرة النهي عن الكي»(٢).

وقد وردت الرخصة فيه فدل علىٰ الجواز. وجاء الثناء علىٰ تاركه فدل علىٰ أن تركه أولىٰ وأفضل وأكمل في تحقيق التوحيد.

* **الدليل من السنة:** عن جابر ﷺ قال: «رُمِي سعد بن معاذ في أكحله، قال: فحسمه النبي ﷺ بيده بمِشقص(٣)، ثم ورمت، فحسمه الثانية»(٤).

وعن جابر ﷺ قال: «رُمِي أُبي يوم الأحزاب علىٰ أكحله، قال فكواه رسول الله ﷺ» وفي رواية قال: «بعث رسول الله ﷺ إلىٰ أُبي بن كعب طبيبا، فقطع منه عرقاً، ثم كواه عليه»(٥).

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ: «كوىٰ أسعد بن زرارة من الشوكة»(٦) وروىٰ الإمام

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٢٦٧، ٢٧٣. ٢٣/ ٦٥. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٣٨، ٤٤. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٤٤. تيسير العزيز الحميد ١٠٩. فتح المجيد ٩٤. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٤٥. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٩٨، ط٢- ١/ ١٢٥ ومن المجموع ٩/ ٩٢.

(١) مختار الصحاح (ك و ى).

(٢) النهاية لابن الأثير (ك و ى).

(٣) المِشقص: حديد طويل غير عريض كنصل السهم.

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٠٧).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٠٥١). المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٠٧، ٤/ ٤٦٢.

أحمد أن النبي ﷺ كواه في حلقهِ من الذبحة[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار أن يرقوا من الحمة والأُذُن، قال أنس: كويت من ذات الجنب ورسول الله ﷺ حي، وشهدني أبو طلحة، وأنس بن النضر، وزيد بن ثابت، وأبو طلحة كواني»[٢].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي»[٣].

وعن ابن مسعود قال: جاء نفر إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن صاحبًا لنا اشتكى، أفنكويه؟ قال: فسكت ساعة، ثم قال: «إن شئتم فاكووه، وإن شئتم فَارْضِفُوهُ، ـ يعني بالحجارة»[٤].

قال في النهاية: «اكووه أو ارضفوه» أي كمِّدوه بالرضف.

وقال الطحاوي: «معنى هذا عندنا على الوعيد الذي ظاهره الأمر، وباطنه النهي كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ [الإسراء.٦٤] وكقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت.٤٠]»[٥].

وقال الإمام البغوي: «أما الكي، فقد جاء في الحديث بالنهي عنه، وروي عن عمران بن حصين قال: «نهى النبي ﷺ عن الكي، فابتلينا، فاكتوينا، فما أفلحنا، ولا أنجحنا»[٦]. وقد وردت الرخصة فيه»[٧].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٥٩٤)(١٦٧٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧١٩،٥٧٢٠،٥٧٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠)(٥٦٨١).

(٤) المصنف ١٩٥١٧ شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٤٥.

(٥) معاني الآثار ٢/ ٣٨٥.

(٦) أخرجه أبو داود (٣٨٦٥).

(٦) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٤٤.

وقال ابن القيم: «فقد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع:

أحدها: فعله. والثاني: عدم محبته له. والثالث: الثناء على من تركه. والرابع: النهي عنه. ولا تعارض بينهما بحمد الله، فإن فعله له يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه. وأما الثناء على تاركيه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكراهة أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه بل يفعله خوفاً من حدوث الداء ـ والله أعلم ـ»[(١)].

قال أبو سليمان الخطابي: «الكي داخل في جملة العلاج والتداوي المأذون فيه، والنهي عن الكي يحتمل أن يكون من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره، ويرون أنه يحسم الداء ويبرئه وإذا لم يفعل هلك صاحبه ويقولون آخر الدواء الكي، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، إذا كان على هذا الوجه، وأباح استعماله على معنى طلب الشفاء والترجي للبرء بما يحدث الله من صنعه فيه، فيكون الكي والدواء سبباً لا علة.

وفيه وجه آخر: وهو أن يكون نهيه عن الكي، هو أن يفعله احترازاً عن الداء قبل وقوع الضرورة، ونزول البلية، وذلك مكروه وإنما أبيح العلاج، والتداوي عند وقوع الحاجة، ودعاء الضرورة إليه، وقد يحتمل أن يكون إنما نهى عمران عن الكي في علة بعينها لعلمه أنه لا ينجع، ألا تراه يقول: فما أفلحنا، وقد كان به الباسور، ولعله إنما نهاه عن استعمال الكي في موضعه من البدن، والعلاج إذا كان فيه الخطر العظيم كان محظورا، والكي في بعض الأعضاء يعظم خطره، وليس كذلك في بعضها، فيشبه أن يكون النهي منصرفا إلى النوع المَخُوف ـ والله أعلم ـ وروي عن ابن عمر أنه اكتوى من اللقوة، ورقى من العقرب وكوى ابنه واقداً»[(٢)].

وقال ابن قتيبة: «الكي جنسان: كي الصحيح لئلا يعتل، كما يفعله كثير من أمم

(١) زاد المعاد ٤/ ٦٦.

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٤٦.

العجم، فإنهم يكوون ولدانهم وشبانهم من غير علة، يرون أن ذلك الكي يحفظ لهم الصحة، ويدفع عنهم الأسقام ...، قال وهذا هو الأمر الذي أبطله الرسول ﷺ، وقال فيه: «لم يتوكل من اكتوىٰ»، لأنه ظن أن اكتواءه وإفزاعه الطبيعة بالنار وهو صحيح، يدفع عنه قدر الله تعالىٰ.

وأما الجنس الآخر، فكي الجرح إذا نغل، وإذا سال دمه فلم ينقطع، وكي العضو إذا قطع، أو حسمه... وهذا هو الكي الذي قال النبي ﷺ: «إن فيه الشفاء»»[1].

قال ابن القيم: «وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجع، ويجوز ألا ينجع فإنه إلىٰ الكراهية أقرب»[2].

* **مسألة: هل يقدح الكي في التوكل؟**

انظر: باب (التداوي)، (الرقىٰ).

٢٤٧- اللات

اللات من أصنام الجاهلية وكان لثقيف بالطائف[3]. انظر باب: (صنم).

---

(١) تأويل مختلف الحديث ٣٢٩، ٣٣٢.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٦٥.

(٣) مختار الصحاح (ل ي ه).

٢٤٨- لعن المعين

اللعن في اللغة: الطرد والإبعاد. قال الفيروزآبادي: «لعنه كمنعه: طرده وأبعده فهو لعين وملعون»[١].

واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة أو دُعِيَ عليه بها[٢].

قال الفيروزآبادي: «واللعين من يلعنه كلُّ أحد»[٣].

وفي الشرع: الطرد والإبعاد عن رحمة لله تعالىٰ بطريق العقوبة. قال الراغب الأصفهاني: «اللعن: هو الطرد والإبعاد علىٰ سبيل السخط وذلك من الله تعالىٰ في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء علىٰ غيره»[٤].

وقال القرطبي: «لعنة الله طرده للملعون وإبعاده عن رحمته، ولعنة الملائكة والناس، الإبعاد والدعاء بالإبعاد»[٥].

وقال ابن الأثير: «وأصل اللعن: الطردُ والإبعادُ من الله، ومن الخَلْق السَّبُّ والدعاء»[٦].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «الظاهر أنه من الخلق طلب طرد الملعون وإبعاده من الله بلفظ اللعن لا مطلق السب والشتم»[٧].

---

(١) القاموس المحيط (ل ع ن).

(٢) انظر: فتح المجيد ص١٦٨.

(٣) القاموس المحيط (ل ع ن).

(٤) المفردات (ل ع ن).

(٥) المفهم ٤/ ٣٤١.

(٦) النهاية (ل ع ن).

(٧) تيسير العزيز الحميد ص٢٢٠.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «اللعنة: البعدُ عن مظان الرحمة»(١).

* **الدليل من السنة**: عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله»(٢).

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبدالله وكان يلقب حماراً وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتي به يوماً فأُمر به فجُلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله».

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال بعض القوم: أخزاه الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم»(٣).

❖ **حكم اللعن:**

يمكن أن نتكلم عن هذه المسألة في ثلاثة أقسام:

أولاً: جواز اللعن المطلق سواء على الكفار أو على الفساق.

ثانياً:حكم لعن الكافر المعين.

ثالثاً:حكم لعن الفاسق المعين.

أولاً:جواز اللعن المطلق سواء على الكفار أو على الفساق وسواء بوصف عام أم بوصف أخص: قال الله تعالى ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [المائدة:٧٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤٤]،

---

(١) فتح المجيد ص١٦٨.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٣)(٦٦٥٢)(٤١٧١) ومسلم (١١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨١) وأبو داود (٤٤٧٧).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود:١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦-٨٧].

وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»(١).

وقال ﷺ: «لعن الله السارق؛ يسرق البيضة فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»(٢).

وقال ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوىٰ مُحْدِثاً، لعن الله من غير منار الأرض»(٤).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»(٥).

وثبت أن رسول الله ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال(٦)، وَلَعَنَ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٣) ومسلم (٢١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٣) ومسلم (١٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم ١٩ ـ (٥٢٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٥) سنن أبي داود (٣٢٣٦) و الترمذي (٣٢٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

وَالْمُصَوِّرَ[١]، ولعن ﷺ النائحة والمستمعة[٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدم نساؤكم نساءهم كما خدمتكم نساء الأمم من قبلكم»[٣].

وفي الصحيحين في قنوته عليه الصلاة والسلام للنازلة: «اللهم العن لِحْيَانَ ورِعْلاً وذكوانَ وعُصَيَّةَ»[٤].

قال النووي رحمه الله: «فِيهِ: جَوَاز لَعْن الْكُفَّار وَطَائِفَة مُعَيَّنَة مِنْهُمْ»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لأقربن صلاة النبي ﷺ، فكان أبو هريرة رضي الله عنه يقنت في الركعة الأخرى من صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعد ما يقول: «سمع الله لمن حمده» فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار»[٦].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وقد ثبت عن أبي هريرة أنه كان يقنت ويلعن الكفرة عموماً، ثم ذكر الحديث السابق»[٧].

وكان معاذ بن الحارث الأنصاري إذا انتصف رمضان لعن الكفرة[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٢٨). والإمام أحمد (١١٦٤٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٧٠٨٣)، والطبراني ٩/ ١٣١.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ص١٠٨٢ (٥-١٧٧). وانظر النووي ص٤٥٧٥ (١٦-٧٣).

(٦) أخرجه البخاري (٧٩٧).

(٧) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٩٣.

(٨) مختصر الوتر ص١٤١ رقم (٢٣٣).

وقال الأعرج: «ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان»[١].

وقال القرطبي رحمه الله: «أما لعن الكفار جملة من غير تعيين فلا خلاف في ذلك.... قال علماؤنا: وسواء كانت لهم ذمة أم لم تكن وليس ذلك بواجب ولكنه مباح لمن فعله لجحدهم الحق وعداوتهم للدين وأهله، وكذلك كل من جاهر بالمعاصي كشراب الخمر وأكلة الربا ومن تشبه من النساء بالرجال ومن الرجال بالنساء إلى غير ذلك مما ورد في الأحاديث لعنه»[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: «لا خلاف في جواز لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت»[٣].

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: «قال الشيخ تقي الدين: المنصوصُ عن أحمد الذي قرره الخلال اللعنُ المُطلَقُ العام، لا المُقيَّد المعيَّنُ»[٤].

وقال أيضاً: «ويجوز لعنُ الكفار عامة، وهل يجوز لَعْن كافرٍ مُعَّين؟ على روايتين، قال الشيخ تقي الدين: ولعنُ تارك الصلاةِ على وجهِ العموم جائزٌ، وأما لعنةُ المعين فالأَوْلى تركها، لأنه يمكن أن يتوب»[٥].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فلعنة الفاسق المعين ليست مأمورا بها إنما جاءت السنة بلعنة الأنواع كقول النبي ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده»، وقوله: «لعن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثاً»، وقوله «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»، وقوله: «لعن الله المحلل والمحلل له»، «لعن الله الخمر، وعاصرها

---

(١) الموطأ للإمام مالك ص١١٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٨٩. وانظر أيضا شرح الزرقاني ١/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٢.

(٤) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٦.

(٥) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٥.

ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وشاربها وآكل ثمنها»»[(١)].

وذكر الحافظ العراقي جواز الدعاء على الكفار ولعنتهم ثم قال: «قال صاحب المفهم: ولا خلاف في جواز لعن الكفرة والدعاء عليهم»[(٢)].

وفي حديث «لعن الله من آوى محدثاً...» الحديث قال الشيخ سليمان ابن عبدالله: «وفي الحديث دليل على جواز لعن أنواع الفساق كقوله: لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ونحو ذلك ـ فأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان ذكرهما شيخ الإسلام:

أحدهما: أنه جائز، اختاره ابن الجوزي وغيره.

والثاني: لا يجوز ـ اختاره أبو بكر عبدالعزيز وشيخ الإسلام، قال: والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجَّاج وأمثاله وأن يقول كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]»[(٣)].

ثانياً: حكم لعن الكافر المعين:

يقرر شيخ الإسلام في هذا قاعدة جامعة حيث يقول: «المنصوص عن أحمد الذي قرره الخلاّل اللعن المطلق العام لا المقيَّد المعيَّن، كما قلنا في نصوص الوعد والوعيد وكما نقول في الشهادةِ بالجنة والنار، فإنَّا نشهدُ بأنَّ المؤمنين في الجنة وأن الكافرين في النار، ونشهد بالجنة والنار لمن شهدَ له الكتابُ والسنة، ولا تشهدُ بذلك لمعين إلا لمَنْ شهدَ له النصُّ، أو شهد له الاستفاضة على قول. فالشهادةُ في الخبرِ كاللعن في الطلب، والخبر والطلب نوعا الكلام»[(٤)].

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٦٩.

(٢) طرح التثريب ٢/ ٢٩٢.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص١٥٩.

(٤) نقلاً عن الآداب الشرعية ١/ ٢٨٩.

ويقول شيخ الإسلام فيمن علم أنه مات على الكفر: «وأما لعنة المعين فإن عُلِم أنه مات كافراً جازت لعنته»(١).

والإمساك عن لعن الكافر المعين أولى لأسباب، منها:

أن أكثر اللعن الوارد في النصوص على سبيل العموم.

عموم الأحاديث الناهية عن اللعن.

أن لا يَتَعَوَّد اللسان على السب واللعن.

أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» لأئمة الكفر، فنهاه الله عن ذلك.

أن الكافر المعين إن كان حياً فقد يهديه الله للإسلام.

أن الكافر المعين إن كان ميتاً فقد نهى النبي ﷺ عن سب الأموات بقوله: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا».

وإليك تفصيل أقوال أهل العلم في هذه الأسباب:

١ - أكثر ورود اللعن في الآيات والأحاديث على سبيل العموم:

علق الشيخ ابن عثيمين على قول الله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] فقال: «استدل بعض العلماء بهذه الآية على جواز لعن الكافر المعين؛ ولكن لا دليل فيها؛ لأن اللعن الوارد في الآية على سبيل العموم؛ ثم هو خبر من الله ﷻ، ولا يلزم منه جواز الدعاء به»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] قال ابن عثيمين

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٥١١.

(٢) تفسير سورة البقرة ١/ ٢٩٣.

في ذكر فوائد الآية: «ومنها: جواز الدعاء باللعنة على كاتم العلم؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّٰعِنُونَ﴾؛ لأن من معنى ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّٰعِنُونَ﴾ الدعاء عليهم باللعنة؛ تقول: اللهم العنهم؛ ولا يلعن الشخص المعين؛ بل على سبيل التعميم؛ لأن الصحيح أن لعن المعين لا يجوز - ولو كان من المستحقين للعنة؛ لأنه لا يُدرى ماذا يموت عليه؛ قد يهديه الله، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؛ وأما لعنه بعد موته أيجوز، أم لا يجوز؟ فقد يقال: إنه لا يجوز لقول النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» وهذا عام؛ ثم إنه قد يثير ضغائن، وأحقاد من أقاربه، وأصحابه، وأصدقائه؛ فيكون في ذلك مفسدة؛ ثم إن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»؛ وأيّ خير في كونك تلعن واحداً كافراً قد مات؛ وأما طريقته فالواجب التنفير عنها، والقدح فيها، وذمها؛ أما هو شخصياً فإنه لا يظهر لنا جواز لعنه - وإن كان المعروف عند جمهور أهل العلم أنه يجوز لعنه إذا مات على الكفر»[١].

٢- عموم الأحاديث الناهية عن اللعن:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحّاشاً، ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له تَرِبَ جَبينُه»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً»[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا

(١) تفسير سورة البقرة ٢/ ١٩٣.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣١).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٧).

شهداء يوم القيامة»[١].

وعن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[٣].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعِدَت اللعنةُ إلىٰ السماء فتُغلقُ أبوابُ السماء دونها، ثم تهبط إلىٰ الأرض فتُغلقُ أبوابُها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلىٰ الذي لُعِن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلىٰ قائلها»[٤].

وعن عائشة ﷺ أن يهودَ أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم.قال: مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنفَ والفحشَ. قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ»[٥]. وفي رواية عند مسلم قال: «يا عائشة لا تكوني فاحشةّ»[٦].

وفي لفظ: «مَهْ يا عائشة، فإن الله لا يحبُّ الفُحْشَ والتفحش» وأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة:٨]»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨)، وأبو داود (٤٩٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠٦) والترمذي(١٩٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي(١٩٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥).

(٦) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

(٧) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

٣ - أن لا يَتَعَوَّد اللسان على السب واللعن:

لأن استمراء ذلك واعتياده يجعل الإنسان لا يتعاظم أن يلعن غير الكافر بغير حق وفي قول رَسُول الله ﷺ «مَهْ يَا عَائِشَة فَإِنَّ الله لَا يُحِبّ الْفُحْش وَالتَّفَحُّش» قال النووي: ««مَهْ» كَلِمَة زَجْر عَنْ الشَّيْء. وَأَمَّا الْفُحْش فَهُوَ الْقَبِيح مِنْ الْقَوْل وَالْفِعْل. وَقِيلَ: الْفُحْش مُجَاوَزَة الْحَدّ. وَفِي هَذَا الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب تَغَافُل أَهْل الْفَضْل عَنْ سَفَه الْمُبْطِلِينَ إِذَا لَمْ تَتَرَتَّب عَلَيْهِ مَفْسَدَة»[١].

وقال الحافظ: «وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ النَّبِيّ ﷺ أَرَادَ أَنْ لا يَتَعَوَّد لِسَانهَا بِالْفُحْشِ، أَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهَا الإِفْرَاط فِي السَّبّ»[٢].

٤ - النهي عن ذلك وبيان ما جاء في قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]:

عن أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، فربما قال إذا قال: سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد، اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف، يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» لأحياء من العرب حتى أنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ الآية»[٣].

وروى أنس ﷺ: «أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه فجعل يسلت الدم على وجهه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله ﷻ» فأنزل الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾»[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١٤٧.

(٢) فتح الباري ١١/ ٤٣.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٩١).

قال الطحاوي: «فتأملنا هذه الآثار وكشفناها لِنَقفَ على الأَوْلى منها بما نزلت فيه هذه الآيةُ من المعنيين المذكورين فيها، فاحتملَ أن يكون نزولُها في وقتٍ واحد يُرادُ بها السببان المذكوران في هذه الآثار، فوجدنا ذلك بعيداً في القلوب، لأن غزوة أحد كانت في سنة ثلاثٍ، وفتح مكة كان في سنة ثمانٍ، ودعاء النبي ﷺ كان لمن دَعَا له في صلاته قبلَ فتح مكة، فبعيدٌ في القلوبِ أن يكونَ السببان اللذان قيل إن هذه الآية نزلتْ في كل واحد منهما كانَ نزولُها فيهما جميعاً.

واحتملَ أن يكونَ نزولُها كان مرتين: مرةً في السبب الذي ذَكَرَ عبدُ الله ابن عُمر، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر: أَنَّ نزولَها كان فيه، ومرةً في السبب الذي ذَكَرَ أنسٌ أَنَّ نزولَها فيه، فدخل على ذلك ما نفاهُ لأنه لو كَانَ ذلك كذلك لكانت موجودةً في القرآن في موضعين، كما وُجِدَت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية في موضعين: أحدهما في سورة براءة [٧٣]، والآخر في سورة التحريم [٩]، ولَمَّا لم يكنْ ذلك كذلك في الآية المَتْلُوّة في هذه الآثار، بَطَلَ هذا الاحتمال أيضاً.

واحتملَ أن يكونَ نزلتْ قُرآناً لواحدٍ من السببين المذكورين في هذه الآثار، والله أعلمُ بذلك السبب أَيُّهما هو؟ ثم أُنزلت بعدَ ذلكَ للسببِ الآخر، لا على أَنَّها قُرآن لاحقٌ لما نَزَلَ فيه من القرآن، ولكن على إعلام الله تعالى نبيَّه عليه السَّلامُ بها أنه ليسَ له من الأمر شيء، وأن الأمور إلى الله تعالى وحده، يتوب على من يشاء، ويعذب من يشاء، ولم نجد من الاحتمالات لما في هذه الآثار أحسنَ من هذه الاحتمال، فهو أولاها عندنا بما قيل في احتمال نزول الآية المتلوة فيها بها، والله نسأله التوفيق»[١].

وقال الحافظ في الفتح: «يحتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعاً فإنهما كانا في

---

(١) شرح مشكل الآثار ٢/ ٤٢-٤٤.

قصة واحدة»[١]. وقال: «ووقع في رواية يونس عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة نحو حديث ابن عمر لكن فيه اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية قال ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال: وهذا إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخى عن قصة أحد؛ لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها ـ وفيه بعد والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد والله أعلم»[٢].

وفي معنى الآية: قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال ابن عطية: كان النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش فمالت نفسه إلى أن يستأصلهم الله ويريح منهم فقيل له بسبب ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي عواقب الأمور بيد الله فامض أنت لشأنك ودم على الدعاء لربك. وقال غيره: المعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء وإنما أنت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم فعلى هذا يكون قوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعتراض المعطوف والمعطوف عليه وقال ابن اسحق أي ليس لك من الحكم بشيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم»[٣].

وقال الحافظ المباركفوري: «أي لست تملك إصلاحهم ولا تعذيبهم بل ذلك ملك الله فاصبر أو يتوب عليهم با سلام أو يعذبهم بالقتل والأسر والنهب فإنهم ظالمون بالكفر والمعنى أن الله مالك أمرهم يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو

---

(١) فتح الباري ٧/ ٣٦٥.

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٦٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٢١٨.

الهزيمة أو التوبة إن أسلموا أو العذاب إن أصروا على الكفر»[١].

وروى الإمام أحمد عن سالم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم العن فلاناً، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية**». قال: فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ فتيب عليهم كلهم»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على الحديث السابق: «والثلاثة الذين سماهم قد أسلموا يوم الفتح، ولعل هذا هو السر في نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾»[٣].

وقال الإمام ابن خزيمة بعد أن ذكر الأحاديث في ذلك: «ففي هذه الأخبار دلالة على أن اللعن منسوخ بهذه الآية لا أن الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو لمن كان في أيدي أهل مكة من المسلمين أن ينجيهم الله من أيديهم، إذ غير جائز أن تكون الآية نزلت ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ في قوم مؤمنين في يدي قوم كفار يعذبون، وإنما أنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ فيمن كانوا يدعو النبي ﷺ عليهم باللعن من المنافقين والكفار فأعلمه الله ﷻ أن ليس للنبي ﷺ من الأمر شيء في هؤلاء الذين كان النبي ﷺ يلعنهم في قنوته وأخبر أنه إن تاب عليهم فهداهم للإيمان أو عذبهم على كفرهم ونفاقهم فهم ظالمون وقت كفرهم ونفاقهم لا من كان النبي ﷺ يدعو لهم من المؤمنين أن ينجيهم من أيدي أعدائهم من الكفار، فالوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش

(١) تحفة الأحوذي ٨ / ٢٨٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥٦٧٤).

(٣) فتح الباري ٧/ ٣٦٦.

بن أبي ربيعة والمستضعفون من أهل مكة لم يكونوا ظالمين في وقت دعاء النبي ﷺ بأن ينجيهم من أيدي أعدائهم الكفار ولم يترك النبي ﷺ الدعاء لهم بالنجاة من أيدي كفار أهل مكة إلا بعدما نجوا من أيديهم لا لنزول هذه الآية التي نزلت في الكفار والمنافقين الذين كانوا ظالمين لا مظلومين ألا تسمع خبر يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة فأصبح النبي ﷺ ذات يوم فلم يدع لهم فذكرت ذلك له فقال أوما تراهم قد قدموا فأعلم ﷺ أنه إنما ترك القنوت والدعاء بأن نجاهم الله إذ الله قد استجاب لهم فنجاهم لا لنزول الآية التي نزلت في غيرهم ممن هو ضدهم إذ من دعاء النبي ﷺ بأن ينجيهم مؤمنون مظلومون، ومن كان النبي ﷺ يدعو عليهم باللعن، كفار ومنافقون ظالمون فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يترك لعن من كان يلعنهم وأعلم أنهم ظالمون وأن ليس للنبي ﷺ من أمرهم شيء وأن الله إن شاء عذبهم أو تاب عليهم فتفهموا ما بينته تستيقنوا بتوفيق خالقكم غلط من احتج بهذه الأخبار أن القنوت من صلاة الغداة منسوخ بهذه الآية»[1].

وقال شيخ الإسلام: «وليس لأحد أن يحتج على النسخ (أي نسخ القنوت) بما في الصحيحين عن ابن عمر أنه سمع رسول الله إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ فإن هذا إنما يدل على ترك اللعنة لهم لكونه ليس له من الأمر شيء لجواز توبتهم، وهذا إذا كان نهيا فلا فرق فيه بين الصلاة وخارج الصلاة والكلام إنما هو في الدعاء الجائز خارج الصلاة كالدعاء لمعينين مستضعفين والدعاء على معينين من الكفار بالنصرة عليهم لا باللعنة ونحو ذلك»[2].

---

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/ ١٥٦.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «وأما الدعاء على معينين كما كان النبي ﷺ يلعن فلاناً وفلاناً فهذا قد رُوي أنه منسوخ بقوله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع فيما كتبته في قلعة مصر؛ وذلك لأن المعين لا يعلم أن رضى الله عنه أن يهلك بل قد يكون ممن يتوب الله عليه بخلاف الجنس فإنه إذا دُعي عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه، فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان وعلو أهل الإيمان وذل الكفار، فهذا دعاء بما يحب الله، وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم أن الله يرضاه فغير مأمور به، وقد كان يفعل ثم نُهي عنه لأن الله قد يتوب عليه أو يعذبه»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ويدل على منع لعن المعين أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم العن فلاناً، وفلاناً» لأئمة الكفر، فنهاه الله عن ذلك»[2].

وقد يقال هذا من خواص رسول الله ﷺ. قال الحافظ العراقي في سياق كلامه عن لعن أهل المعاصي مع التعيين: «وقد يقال هذا من خواصه ﷺ لقوله ﷺ: «اللهم إني اتخذت عندك عهداً أي مسلم سببته أو لعنته وليس لها بأهل فاجعلها له صلاة...» الحديث، وهذا ليس لغيره»[3].

٥- أن الكافر المعين إن كان حياً فقد يهديه الله للإسلام:

قال ابن كثير رحمه الله: «فأما الكافر المعين فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يلعن لأنا لا ندري بما يختم الله له واستدل بعضهم بالآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقالت طائفة أخرى: بل يجوز

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) تفسير سورة البقرة ١/ ٢٩٣.

(٣) طرح التثريب ٢/ ٢٩٢.

لعن الكافر المعين، واختاره الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف، واستدل غيره بقوله عليه السلام في قصة الذي كان يُؤتي به سكران فيحده فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يُؤتي به. فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله» فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يُلعن والله أعلم»[١].

٦- أن الكافر المعين إن كان ميتاً فقد نهى النبي ﷺ عن سب الأموات بقوله: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»:

قال ابن تيمية: «ثم الكلام في لعنة الأموات أعظم من لعنة الحي، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» حتى أنه قال: «لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا» لما كان قوم يسبون أبا جهل ونحوه من الكفار الذين أسلم أقاربهم فإذا سبوا ذلك آذوا قرابته»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «لأن الكافر المعين قد يهديه الله للإسلام إن كان حياً؛ وإن كان ميتاً فقد قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»»[٣].

وإذا تقرر هذا فإننا نقول إن للعلماء أقوالاً أخرى في لعن الكافر المعيَّنُ. وتقدم عن الشيخ ابن عثيمين قوله: «المعروف عند جمهور أهل العلم أنه يجوز لعنه إذا مات على الكفر»[٤].

وفي الآداب الشرعية: «وقال الشيخ تقي الدين أيضاً في موضع آخر في لعن المُعَيَّنِ من الكفار ومن أهل القبلةِ وغيرهم ومن الفُسَّاقِ بالاعتقاد أو بالعمل:

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٧٦.

(٢) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٧٢، ٥٧٣.

(٣) تفسير سورة البقرة ١/ ٢٩٣-٢٩٤.

(٤) تفسير سورة البقرة ٢/ ١٩٣.

لأصحابنا فيها أقوال:

أحدها: أنه لا يجوز بحال، وهو قول أبي بكر عبد العزيز. والثاني: يجوز في الكافر دون الفاسق. والثالث: يجوز مطلقاً»[١].

وبعض العلماء جوّز ذلك على وجه الانتصار أو الزجر والإرهاب.

قال ابن مفلح: «وقال «يعني القاضي» في مكان آخر: وقد نُقِلَ عن أحمد لعنهُ أقوام معينين من دُعاةِ أهلِ البدع، ولهذا فَرَّقَ مَنْ فرّق من الأصحاب بين لعنةِ الفاسقِ بالفعل وبين دعاةِ أهلِ الضلال، إما بناء على تكفيرهم، وإما بناء على أن ضررهم أشد، ومَنْ جَوَّزَ لعنة المبتدع المكفر معيناً فإنه يُجوِّز لعنة الكافر المعين بطريق الأوْلى، ومَنْ لم يُجَوِّزْ أن يلعن إلا مَن ثبتَ لعنه بالنصِّ فإنه لا يجوز لعنة الكافر المعين، فَمَنْ لم يُجَوِّزْ إلا لعنَ المنصوص يرى أن لا يجوز ذلك لا على وجه الانتصارِ، ولا على وجهِ الجهادِ وإقامةِ الحدود، كالهجرة والتعزيز والتحذير... وكذلك من لم يلعن المعين من أهل السنة أو من أهل القبلة أو مطلقاً. وأما مَنْ جَوَّزَ لعنةَ الفاسِق المُعَيَّنِ على وجه البغض في الله ﷻ والبراءة منه والتعزير فقد يجوز ذلك على وجه الانتصار أيضاً، ومَنْ يُرَجِّح المنعَ مِنْ لعنِ المعين، فقد يجيبُ عما فعله النبيُّ ﷺ بأحدِ أجوبة ثلاثة:

إما بأن ذلك منسوخ كلعن من لعن في القنوت على ما قاله أبو هريرة.

وإما أنَّ ذلك مما دخلَ في قوله: «اللهم إنما أنا بشرٌ أغضبُ كما يغضب البشر، فأيما مسلم سَبَبْتُه أو لعنته – وليس كذلك – فاجعلْ ذلك له صلاةً وزكاةً ورحمةً تقربه بها إليكَ يومَ القيامة»[٢]. لكن قد يقال: هذا الحديث لا يدلُّ على تحريم اللعنة، وإنما يدل على أنه يفعلها باجتهادِهِ بالتعزيز، فجعلَ هذا الدعاء دافعاً عَمَّنْ ليس لها بأهل.

(١) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٥.

(٢) سبق تخريجه.

وإما أن يقال: اللعن من النبي ﷺ ثابتٌ بالنص، فقد يكون اطلع على عاقبة الملعون»[١].

وفي حديث «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه» قال الحافظ ابن حجر: «وفيه جواز لعن العاصي المسلم إذا كان على وجه الإرهاب عليه لئلا يواقع الفعل، فإذا واقعه فإنما يدعى له بالتوبة والهداية.

قلت[٢]: ليس هذا التقييد مستفاداً من هذا الحديث بل من أدلة أخرى، وقد ارتضى بعض مشايخنا ما ذكره المهلب من الاستدلال بهذا الحديث على جواز لعن العاصي المعين وفيه نظر، والحق أن من منع اللعن أراد به معناه اللغوي وهو الإبعاد من الرحمة، وهذا لا يليق أن يدعى به على المسلم بل يطلب له الهداية والتوبة والرجوع عن المعصية، والذي أجازه أراد به معناه العرفي وهو مطلق السب، ولا يخفي أن محله إذا كان بحيث يرتدع العاصي به وينزجر وأما حديث الباب فليس فيه إلا أن الملائكة تفعل ذلك ولا يلزم منه جوازه على الإطلاق»[٣].

وجاء عن بعض السلف لعن مستحق اللعنة من المعينين خاصة في حق أئمة أهل البدع والضلال.

روى نصر المقدسي عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «دخلت على مالك بن أنس ﷺ وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر، فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام»[٤].

---

(١) الآداب الشرعية ١/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٢) أي الحافظ ابن حجر.

(٣) فتح الباري ٩/ ٢٤٩.

(٤) مختصر الحجة على تارك المحجة لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي تحقيق محمد إبراهيم هارون (رسالة علمية مطبوعة على الآلة الكاتبة بالجامعة الإسلامية) ص٤٥٢.

قال البخاري: وقال وكيع: «على المريسي لعنة الله، يهودي هو أو نصراني؟ قال له رجل: كان أبوه أو جده يهودياً أو نصرانياً قال وكيع: عليه وعلى أصحابه لعنة الله»[١].

وروى عبد الله أيضاً عن عباس العنبري. عن شاذ بن يحيى قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وجعل شاذ بن يحيى يلعن المريسي»[٢].

وجاء عن يزيد بن هارون أنه قال: «لعن الله الجهم ومن قال بقوله»[٣].

وروى اللالكائي عن سعيد بن رحمة أنه قال: «إنما خرج جهم عليه لعنة الله سنة ثلاثين ومائة»[٤].

وجاء عن أبي نعيم الفضل بن دكين أنه قال: «لعن الله بشر المريسي الكافر»[٥].

وروى اللالكائي عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سمعت أبي يقول: أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم وقاله سنة نيف وعشرين ومائة، ثم من بعدهما بشر بن غياث المريسي لعنه الله وكان صباغاً يهودياً[٦].

وجاء في تراجم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: أخبار الجعد بن درهم لعنه الله[٧].

تنبيه: من منع لعن الكافر المعين فإنه لا يمنع الدعاء عليه بالهلاك، وكذلك الدعاء على الكافر أو الظالم وقت النازلة الخالي من اللعن بتعيين جائز.

---

(١) خلق أفعال العباد ضمن مجموعة (عقائد السلف) تحقيق النشار ص١٢٤.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد ١/ ١٧٠، ١٢٢.

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ١/ ١٦٧.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٣٨٠.

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد ١/ ١٧٠.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢ / ٣٨٢.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٢.

قال الإمام ابن تيمية: «مع أنهم - أي الصحابة والتابعين - نقلوا قنوته الذي لا يشرع بعينه وإنما يشرع نظيره فإن دعاءه لأولئك المعينين وعلى أولئك المعينين ليس بمشروع باتفاق المسلمين بل إنما يشرع نظيره فيشرع أن يقنت عند النوازل يدعو للمؤمنين ويدعو على الكفار في الفجر وفي غيرها من الصلوات وهكذا كان عمر يقنت لما حارب النصارى بدعائه الذي فيه اللهم العن كفرة أهل الكتاب إلى آخره وكذلك علي ﷺ لما حارب قوما قنت يدعو عليهم وينبغي للقانت أن يدعو عند كل نازلة بالدعاء المناسب لتلك النازلة وإذا سمى من يدعو لهم من المؤمنين ومن يدعو عليهم من الكافرين المحاربين كان ذلك حسناً»[(١)].

وفي قوله «اللهم العن فلاناً وفلاناً...» قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «قوله فلاناً وفلاناً يعني صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث ابن هشام كما بينه في الرواية التي بعدها وفيه جواز الدعاء على المشركين في الصلاة وتسمية المدعو عليهم ولهم بأسمائهم في الصلاة وأن ذلك لا يضر الصلاة»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «ولا بأس بدعائنا على الكافر بقولنا: اللهم! أرح المسلمين منه، واكفهم شره، واجعل شره في نحره، ونحو ذلك»[(٣)].

ثالثاً: حكم لعن الفاسق المعين:

روى البخاري من حديث عمر ﷺ أنَّ رجلاً كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يُضْحِكُ رسولَ الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يوماً فأمر به فجلده، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إنه يُحبُّ الله ورسوله»[(٤)]. وروى مسلم من

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٢٢٠.

(٣) القول المفيد من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٢٤٩.

(٤) أخرجه البخاري في باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارجٍ عن الملة رقم (٦٧٨٠).

حديث بريدة أنَّ خالد بن الوليد لما رمىٰ المرجومةَ بحجر فنضح الدم علىٰ وجهه، فَسَبَّها، فسمع النبيُّ ﷺ سَبَّهُ إياها، فقال: «مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابتْ توبةً لو تابها صاحبُ مكس[1] لغفر له»[2].

قال القرطبي رحمه الله: «وذكر ابن العربي أن لعن العاصي المعين لا يجوز اتفاقاً»[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقد تنازع الناس في لعنة الفاسق المعين فقيل إنه جائز كما قال ذلك طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الفرج ابن الجوزي وغيره، وقيل إنه لا يجوز كما قال ذلك طائفة أخرىٰ من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي بكر عبد العزيز وغيره، والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجاج بن يوسف وأمثاله وأن يقول كما قال الله تعالىٰ ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم ذكر حديث حمار وقال: فقد نهىٰ النبي ﷺ عن لعنة هذا المعين الذي كان يكثر شرب الخمر معللاً ذلك بأنه يحب الله ورسوله مع أنه ﷺ لعن شارب الخمر مطلقاً؛ فدل ذلك علىٰ أنه يجوز أن يلعن المطلق ولا تجوز لعنة المعين الذي يحب الله ورسوله»[4].

ولا يشكل علىٰ القول بعدم الجواز ورود اللعن في كتاب الله قال ابن تيمية: «فأما قول الله تعالىٰ ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨] فهي آية عامة كآيات الوعيد بمنزلة قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠]، وهذا يقتضي أن هذا الذنب سبب اللعن والعذاب لكن قد يرتفع موجبه لمعارض راجح إما توبة، وإما حسنات ماحية، وإما مصائب مكفرة، فمن أين يعلم الإنسان أن يزيد أو غيره من الظَلَمة لم يتب من

(١) قال ابن الأثير: المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشَّار. النهاية (م ك س).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٥)، وأبو داود (٤٤٤٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٨٩.

(٤) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٦٩-٥٧٠.

هذه، أو لم تكن له حسنات ماحية تمحو ظلمه؟ ولم يُبتل بمصائب تكفر عنه، وأن الله لا يغفر له ذلك مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم» وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد، والجيش عدد معين لا مطلق وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوىٰ من شمول اللعنة لكل واحد واحد من الظالمين فإن هذا أخص والجيش معينون»[1].

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: «قال أبو بكر الخلال في كتاب «السنة»: الذي ذكره أبو عبد الله في التوقف في اللعنة فيه أحاديث كثيرة لا تخفى علىٰ أهل العلم، ويتبع فيه قول الحسن وابن سيرين فهما الإمامان في زمانهما، ويقول: لعنَ اللهُ مَنْ قتلَ الحسين بن علي، لعنَ اللهُ مَنْ قتل عثمانَ، لعن الله من قتل علياً، لعن الله من قتل معاوية بن أبي سفيان، ويقول: لعنةُ الله علىٰ الظالمين إذا ذُكِرَ لنا رجلٌ من أهل الفتن علىٰ ما تقلده أحمد»[2].

وقال رحمه الله أيضاً: «قال القاضي: فأما فُسَّاقُ أهل الملة بالأفعالِ كالزنىٰ والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس ونحو ذلك فهل يجوز لعنهم أم لا؟ فقد تَوَقَّفَ أحمد رضي الله عنه عن ذلك في رواية صالح قلت لأبي: الرجلُ يذكر عنده الحجاجُ أو غيرُه يلعنه؟ فقال: لا يعجبني، لو عَمَّ فقال: ألا لعنةُ الله علىٰ الظالمين»[3].

وقال أيضاً رحمه الله : «وذكر – يعني القاضي – ما نقله من خط أبي حفص العُكْبَري أسنده إلىٰ صالح بن أحمد قلت لأبي: إنَّ قوماً ينسبون إليَّ تولِّي يزيد،

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٧١، ٥٧٢.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٦.

(٣) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٨

فقال: يا بُنَيَّ، وهل يتولَّى يزيد أحدٌ يؤمنُ باللهِ واليوم الآخر؟ فقلت: ولم لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيتني ألعنُ شيئاً؟ لِمَ لا نلعن مَنْ لعنه الله ﷻ في كتابه؟ فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقرأ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾[محمد: ٢٢-٢٣]. فهل يكون في قطع الرحم أعظم من القتل؟

قال القاضي: وهذه الرواية إنْ صَحَّتْ فهي صريحةٌ في معنى لعن يزيد[(١)].

قال الشيخ تقي الدين: الدلالة مبنية على استلزام المطلق للمعين، انتهى كلامه»[(٢)].

وجاء في رواية أبي طالب قال سألت أحمدَ بن حنبل عَمَّنْ قال: لعن الله يزيد بن معاوية. فقال: «لا تكلّمْ في هذا، الإمساكُ أَحَبُّ إليَّ»[(٣)].

قال ابن مفلح: «قال ابن الجوزي: هذه الرواية تدل على اشتغال الإنسان بنفسه عن لَعْنِ غيره. والأولى- على جواز اللعنة- كما قلنا في تقديم التسبيح على لعنه إبليس. وسَلَّمَ ابن الجوزي أن تركَ اللعنِ أَوْلى، وقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قيل يا رسول الله ادعُ الله على المشركينَ، قال: «إني لم أُبْعَث لَعَّاناً وإنما بُعثتُ رحمةً»[(٤)]»[(٥)].

وذكر ابن حجر رحمه الله جواز لعن الفاسق المسلم المجاهر بفسقه المشتهر به

---

(١) لعل هذا وما قبله مأخذ قول العلامة الكيا الهراسي من فقهاء الشافعية إذ سئل عن لعن يزيد فقال: للشافعي فيه قولان تصريح وتلويح، ولأحمد فيه قولان تصريح وتلويح، ولنا قول واحد صريح لا تلويح: لعنة الله عليه.

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٩٠.

(٣) الآداب الشرعية ١ / ٢٨٦.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة.

(٥) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٦.

خاصة إذا كان ضرره بيِّناً وأذاه وظلمه للمسلمين ظاهراً[(١)].

وقال القرطبي: «ومن أقيم عليه حد الله تعالىٰ فلا ينبغي لعنه، ومن لم يقم عليه الحد فلعنته جائزة سواء سُمِّي أو عيِّن أم لا؛ لأن النبي ﷺ لا يلعن إلا من تجب عليه اللعنة مادام علىٰ تلك الحالة الموجبة للعن فإذا تاب منها وأقلع وطهَّره الحد فلا لعنة تتوجه عليه»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «وأما ما نقله عن أحمد فالمنصوص الثابت عنه من رواية صالح أنه قال: ومتىٰ رأيت أباك يلعن أحداً لما قيل له: ألا تلعن يزيد؟ فقال ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟.

وثبت عنه أن الرجل إذا ذكر الحجاج ونحوه من الظلمة وأراد أن يلعن يقول: ألا لعنة الله علىٰ الظالمين وكره أن يلعن المعين باسمه، ونقلت عنه رواية في لعنة يزيد وأنه قال: ألا ألعن من لعنه الله، واستدل بالآية لكنها رواية منقطعة ليست ثابته عنه، والآية لا تدل علىٰ لعن المعين ولو كان كل ذنب لعن فاعله يلعن المعين الذي فعله للعن جمهور الناس وهذا بمنزلة الوعيد المطلق لا يستلزم ثبوته في حق المعين إلا إذا وجدت شروطه وانتفت موانعه، وهكذا اللعن وهذا بتقدير أن يكون يزيد فعل ما يُقطع به الرحم. ثم إن هذا تحقق في كثير من بني هاشم الذين تقاتلوا من العباسيين والطالبيين فهل يلعن هؤلاء كلهم؟ وكذلك من ظَلَم قرابةً له لا سيما وبينه وبينه عدة آباء أيلعنه بعينه ثم إذا لُعن هؤلاء لعن كل من شمله ألفاظه وحينئذ فيلعن جمهور المسلمين.... وأما أبو الفرج ابن الجوزي فله كتاب في إباحة لعنة يزيد رد فيه علىٰ الشيخ عبد المغيث الحربي فإنه كان ينهىٰ عن ذلك، وقد قيل إن الخليفة الناصر لما بلغه نهىٰ الشيخ عبد المغيث عن ذلك قصده وسأله عن ذلك وعرف عبد المغيث

(١) فتح الباري ٩/ ٢٠٧.

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ١٨٩.

أنه الخليفة، ولم يُظهر أنه يعلمه فقال: يا هذا أنا قصدي كف ألسنة الناس عن لعنة خلفاء المسلمين وولاتهم وإلا فلو فتحنا هذا الباب لكان خليفة وقتنا أحق باللعن، فإنه يفعل أموراً منكرة أعظم مما فعله يزيد، فإن هذا يفعل كذا ويفعل كذا وجعل يعدد مظالم الخليفة حتى قال له ادع لي يا شيخ وذهب»(١).

وقال ابن مفلح: «قال الشيخ تقي الدين: فصار للأصحاب في الفساق ثلاثة أقول:

أحدها: المنعُ عموماً وتعييناً إلا برواية النص.

والثاني: إجازتها.

والثالث: التفريقُ وهو المنصوص.

لكن المنع من المعين هل هو: منع كراهة، أو منع تحريم؟ ثم قال في الرد على الرافضي: لا يجوز واحتج بنهيه عليه السلام عن لعنة الرجل الذي يدعى حماراً، وقال: هنا ظاهر كلامه الكراهة، وبذلك فَسَّرَهُ القاضي فيما بَعْدُ لمّا ذكر قول أحمد: لا تعجبني لعنة الحَجَّاج ونحوه، لو عَمَّ فقال: ألا لعنةُ الله على الظالمين»(٢).

والفاسق المعين قد يكون قام به من الأعمال القلبية والبدنية ما يمنع لحوق اللعنة به ـ فقد تكون له مع الله توبة، أو حسنات ماحية، أو يصاب بمصائب مكفرة من عقوبات الدنيا، وقد يحصل له في البرزخ من الشدة أو في عرصات القيامة ما يكون سبب لزوال العقوبة عنه ـ وقد تزول بدعاء المؤمنين كالصلاة عليه وشفاعة الشفيع المطاع.

قال ابن تيمية: «... فإن ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقاً أعظم نفعاً من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة كحب الله ورسوله فإن هذا أعظم الحسنات الفعلية حتى ثبت في الصحيح أنه كان على عهد النبي

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤ / ٥٧٣، ٥٧٥

(٢) الآداب الشرعية ١/ ٢٨٩.

رجل يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما أتي به إلى النبي ﷺ جلده الحد فلما كثر ذلك منه أتي به مرة فأمر بجلده فلعنه رجل فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله» نهى عن لعنه مع إصراره على الشرب لكونه يحب الله ورسوله مع أنه ﷺ لعن في الخمر عشرة: «لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها» ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة له، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق، ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطا بثبوت شروط وانتفاء موانع، فلا يلحق التائب من الذنب باتفاق المسلمين، ولا يلحق من له حسنات تمحو سيئاته، ولا يلحق المشفوع له والمغفور له فإن الذنوب تزول عقوبتها التي هي جهنم بأسباب التوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ـ لكنها من عقوبات الدنيا ـ، وكذلك ما يحصل في البرزخ من الشدة ـ وكذلك ما يحصل في عرصات القيامة، وتزول أيضا بدعاء المؤمنين كالصلاة عليه وشفاعة الشفيع المطاع كمن يشفع فيه سيد الشفعاء محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً»[١].

٢٤٩ - لمز الرسول ﷺ

اللمز: الاغتياب وتتبع المعايب[٢].

قال الفيروزأبادي: «اللمز: العيب والإشارة بالعين ونحوها»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٢٩.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف ٦٢٦.

(٣) القاموس المحيط (ل م ز).

وهذه من خصال المنافقين كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٥٨] وقد تقدم الكلام عنها في باب (سب الرسول ﷺ).

٢٥٠- لمز المؤمنين في الطاعات

وذكر عيوبهم وهذه من صفات المنافقين قال جل ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة.٧٩].

وقد ألمحنا إليها في باب (سب السلف والعلماء).

٢٥١- لــــو*

قال ابن الأثير: «لو» ساكنة الواو وهي حرف من حروف المعاني يمتنع بها الشيء لامتناع غيره»[(١)].

ويسميها النحاة: «حرف امتناع لامتناع» أي امتناع الجواب لامتناع الشرط، وتفيد التعليق في الماضي وهو أكثر استعمالاتها.

والغرض هنا أن نبين ما ورد في لفظ «لو» من النهي عنه عند حصول الأمور المكروهة، كالبلايا والمصائب إذا جرىٰ بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسىٰ علىٰ ما فات مما لا يمكن استدراكه.

قال ابن الأثير: «وفيه الحديث «إياك واللو فإن اللو من الشيطان» يريد قول المتندم علىٰ الفائت: لو كان كذا لقُلتُ وفعلتُ، وكذلك قول المتمني لأن ذلك من الاعتراض علىٰ الأقدار»[(٢)].

فقول «لو» علىٰ وجه الاعتراض علىٰ أقدار الله ينافي التوحيد أو كماله. قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «اعلم أن من كمال التوحيد الاستسلام للقضاء والقدر رضاً بالله رباً فإن هذا من جنس المصائب والعبد مأمور عند المصائب بالصبر والإرجاع والتوبة. وقول «لو» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر مع ما يخاف توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا ـ إلا ما

---

* تيسر العزيز الحميد ص٦٧٣. فتح المجيد ص٥٥١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٥٢. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٣/ ١٢٢، ط٢-٣/ ١٥١ ومن مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٩٤٨. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ١٢٧. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٩.

(١) النهاية (ل و ا).

(٢) النهاية (ل و ا).

شاء اللهُ ـ، فهذا وجه إيراده هذا الباب في التوحيد»[١].

* **الدليل من الكتاب**: قول الله تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا** ﴾ [آل عمران.١٥٤] وقوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ** ﴾ [آل عمران.١٦٨].

* **الدليل من السنة**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِ اللهِ وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ[٢] اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٣].

* **حكم التلفظ بها**:

ينهى عن قول «لو» في الأمور المقدرة في الماضي ؛ لأنها تدل على التسخط على القدر وتجدد الأحزان في النفوس. أما قول «لو» تندما على فوات الطاعة فلا بأس به لأنه يدل على الرغبة في الخير وكذلك قولها على وجه التمني للخير فيما يستقبل فيجوز.

قال ابن القيم: «وسبب النهي ليس لمجرد لفظ لو بل لما كان لها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان. بل أرشد العبد في هذه الحال إلى ما هو أنفع له وهو الإيمان بالقدر والتفويض والتسليم للمشيئة الإلهية..»[٤].

وقال الشيخ السعدي: «اعلم أن استعمال العبد للفظة لو تقع على قسمين: مذموم، ومحمود.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٦٧٣.

(٢) رويت بتشديد الدال وتخفيفها.

(٣)أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) إعلام الموقعين ٣/ ٢٠٥.

* أما المذموم فأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا فهذا من عمل الشيطان لأن فيه محذورين:

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه وليس فيها نفع.

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلابد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: لو كان كذا، أو لو فعلت كذا كان كذا نوعُ اعتراضٍ ونوعُ ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

* أما المحمود من ذلك فأن يقولها العبد تمنيا للخير كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأهللت بالعمرة».

وقوله في الرجل المتمني للخير: «لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل ما عمل فلان»، «ولو صبر أخي موسى لقص الله علينا من نبأهما» أي قصته مع الخضر.

وكما أن «لو» إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم. فاستعمال «لو» تكون بحسب الحال الحامل عليها. إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمني الشر كان مذموما. وإن حمل عليها الخير والإرشاد والتعليم كان محموداً»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين: ««لو» تستعمل على عدة أوجه:

الوجه الأول: أن تستعمل في الاعتراض على الشرع. وهذا محرم قال الله تعالى:

(١) القول السديد ص١٣٩-١٤١.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨] في غزوة أحد حينما تخلف أثناء الطريق عبد الله بن أبيّ في نحو ثلث الجيش فلما استشهد من المسلمين سبعون رجلا اعترض المنافقون على تشريع الرسول ﷺ وقالوا: لو أطاعونا ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا، فرأينا خير من شرع محمد، وهذا محرم وقد يصل إلى الكفر.

الثاني: أن تستعمل في الاعتراض على القدر. وهذا محرم أيضا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٥٦] أي لو أنهم بقوا ما قتلوا؛ فهم يعترضون على قدر الله.

الثالث: أن تستعمل للندم والتحسر. وهذا محرم أيضاً لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهي عنه، لأن الندم يكسب النفس حزناً وانقباضاً والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

مثال ذلك: رجل حرص أن يشتري شيئاً يظن أن فيه ربحاً فخسر، فقال: لو أني ما اشتريته ما حصل لي خسارة فهذا ندم وتحسر، ويقع كثيراً، وقد نهي عنه.

الرابع: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ كقول المشركين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقولهم ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف.٢٠] وهذا باطل.

الخامس: أن تستعمل في التمني، وحكمه حسب المتمني: إن كان خيراً فخيراً وإن كان شرا فشرا، وفي الحديث عن النبي ﷺ في قصه النفر الأربعة قال أحدهم: «لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان». فهذا تمنى خيراً، وقال الثاني: «لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان». فهذا تمنى شرًّا. فقال النبي ﷺ في الأول: «فهو بنيته، فأجرهما

سواء». وقال في الثاني: «فهو بنيته فوزرهما سواء».

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض.

وهذا جائز مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم» فأخبر النبي ﷺ أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة ما ساق الهدي ولأحل، وهذا هو الظاهر لي.

وبعضهم قال: إنه من باب التمني، كأنه قال: ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدي.

لكن الظاهر: أنه خبر لما رأى من أصحابه، والنبي ﷺ لا يتمنى شيئاً قدر الله خلافه»[1].

قال في التيسير: «وقال القاضي: «قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما، وأنه لو فعل ذلك لم يصبه قطعا. فأما من رد ذلك إلى مشيئة الله تعالى، وأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله، فليس من هذا، واستدل بقول أبي بكر الصديق في الغار: لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا. قال القاضي: وهذا ما لا حجة فيه، لأنه أخبر عن مستقبل، وليس فيه دعوى لرد القدر بعد وقوعه. قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري فيما يجوز من «اللو» كحديث «لولا حدثان قومك بالكفر، لأتممت البيت على قواعد إبراهيم» و«لو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذه»، و«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»، وشبه ذلك، وكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه، لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته. فإن قيل: ما تصنعون بقوله ﷺ: «لو

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/٩٤٩، ٩٥٠. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٣/١٢٢، ١٢٤.

استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة»؟ قيل هذا كقوله: «لولا حدثان قومك بالكفر» ونحوه مما هو خبر عن مستقبل لا اعتراض فيه على قدر، بل هو إخبار لهم أنه لو استقبل الإحرام بالحج؛ ما ساق الهدي ولا أحرم بالعمرة بقوله لهم لما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة حثا لهم وتطييبا لقلوبهم لما رآهم توقفوا في أمره، فليس من المنهي عنه، بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل، ولا خلاف في جواز ذلك، وإنما ينهى عن ذلك في معارضة القدر مع اعتقاد أن ذلك المانع لو يقع لوقع خلاف المقدور»[1].

وقال الشيخ بكر أبو زيد: «واستثنى العلماء من ذلك جواز «لو» في الأمور الشرعية التي لم تمكنه، لأنه من باب تمني الخير وفعله، وعليه عقد البخاري في الصحيح: باب ما يجوز من اللو. وجوازها فيما يستقبل مثل: لو اشتريت كذا فأنا شريكك»[2].

(١) تيسير العزيز الحميد ٦٧٨، ٦٧٩.

(٢) معجم الناهي اللفظية ص٦٧٦.

٢٥٢- لـــــولا *

والمنهي فيها عن قولين:

أ ـ لولا الله وفلان.

ب ـ لولا فلان لم يكن كذا.

ا- **لولا الله وفلان**: جاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان[1]. وسيأتي تسمية ابن عباس له شركاً.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وذلك ـ والله أعلم ـ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع ؛ فمنع منها للجمع، لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره، كما منع من جمع اسم الله، واسم رسوله في ضمير واحد. و «ثم» إنما تقتضي الترتيب فقط، فجاز ذلك لعدم المانع»[2]، ويؤيد ذلك حديث: «... ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»[3].

٢ـ **لولا فلان لم يكن كذا ولولا فلان لكان كذا** وهذا من الشرك الخفي لقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة.٢٢].

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد هو الشرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كُلَيْبَةُ هذا أتانا اللصوص، ولولا البطُّ في الدار لأتىٰ اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول: الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا

* الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢٧٣. تيسير العزيز الحميد ص٥٩٠، ٥٩٤، ٦٠١. فتح المجيد ص٤٨٤، ٤٩٠. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٩٨، ٣٠١. القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ٣٢١، ط٢-٢/ ٣٧٨ـ٣٨٨. ومن المجموع ١٠/ ٧٩٥. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ١٢٩.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» رقم (٣٤٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٦٠١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٧٧٣).

هذا كله به شرك»[١] . وهذا محمول على أنه تناسى المنعم[٢] .

وفي قوله: «لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص» قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «والمعنى أن من الشرك نسبة عدم السرقة إلى الكلبة التي إذا رأت السراق نبحتهم، فاستيقظ أهلها وهرب السراق. وربما امتنعوا من إتيان المحل الذي هي فيه خوفاً من نباحها، فيعلم بهم أهلها كما روى ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن ابن عباس قال: «إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول: لولاه لسرقنا الليلة».

وقوله: «ولولا البط في الدار لأتى اللصوص». البط بفتح الموحدة: طائر معروف يتخذ في البيوت وإذا دخلها غريب صاح واستنكره، وهو الإوز بكسر الهمزة وفتح الواو ومعناها كالذي قبله. والواجب نسبة ذلك إلى الله تعالى، فهو الذي يحفظ عباده ويكلؤهم بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء.٤٢]»[٣] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والخلاصة: أن الحادث بسبب معلوم له صور:

الصورة الأولى: أن يضيفه إلى الله وحده.

الثانية: أن يضيفه إلى الله تعالى مقروناً بسببه المعلوم ؛ مثل أن يقول: «لولا أن الله أنجاني بفلان لغرقت».

الثالثة: أن يضيفه إلى السبب المعلوم وحده مع اعتقاد أن الله هو المسبِّب، ومنه قول النبي ﷺ في عمه أبي طالب لما ذكر عذابه: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

الرابعة: أن يضيفه إلى الله مقروناً بالسبب المعلوم بـ «ثم»، كقوله: «لولا الله ثم فلان»، **وهذه الأربع كلها جائزة**.

---

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٣٠).

(٢) وقد ذكرت تفصيل ذلك في باب (كفر النعمة) فليراجع.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٣.

الصورة الخامسة: أن يضيفه إلى الله، وإلى السبب المعلوم مقروناً بالواو؛ فهذا شرك، كقوله: «لولا الله وفلان».

الصورة السادسة: أن يضيفه إلى الله، وإلى السبب المعلوم مقروناً بالفاء، مثل: «لولا الله ففلان»، فهذا محل نظر: يحتمل الجواز، ويحتمل المنع.

الصورة السابعة: أن يضيفه إلى سبب موهوم ليس بثابت شرعاً، ولا حساً، فهذا شرك»[(١)].

ويستفاد من تفسير ابن عباس للآية: «أن السلف يحتجون بما أنزل في الشرك الأكبر على الأصغر»[(٢)].

وجاء عن عون بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل.٨٣] قال: «إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا»[(٣)].

قال ابن القيم ما معناه: «هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عن من لولاه لم تكن، وإضافتها إلى من لم يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلا عن غيره، وغايته أن يكون جزءا من أجزاء السبب أجرى الله نعمته على يده، والسبب لا يستقل بالإيجاد وجعله سبباً هو من نعم الله عليه. فهو المنعم بتلك النعمة، وهو المنعم بما جعله من أسبابها، فالسبب والمسبب من إنعامه، وهو تعالى كما أنه قد ينعم بذلك السبب، فقد ينعم بدونه ولا يكون له أثر، وقد يسلبه سببيته، وقد يجعل لها معارضا يقاومها، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه، فهو وحده المنعم على الحقيقة»[(٤)].

---

(١) تفسير سورة البقرة ١/ ٢١٧، ٢١٨.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٣.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٤/ ١٥٨.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٠. وانظر للاستزادة باب (الند والأنداد).

٢٥٣- ما شاء الله وشئت*

مما جاء فيه النهي عن الرسول ﷺ أن يعطف اسم المخلوق على اسم الخالق بالواو بعد المشيئة ونحوها لأن المعطوف بها يكون مساوياً للمعطوف عليه لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، وتسوية المخلوق بالخالق شرك.

قال ابن الأثير: «وإنما فرّق بين قول «ما شاء الله وشئت» وما شاء الله ثم شئت؛ لأن الواو تفيد الجمع دون الترتيب، وثم تجمع وترتب، فمع الواو يكون قد جمع بين الله وبينه في المشيئة، ومع ثم يكون قد قدّم مشيئة الله على مشيئته»[(١)].

* الدليل من السنة: عَنْ قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»[(٢)].

وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»[(٣)].

---

* تيسير العزيز الحميد ٦٠٥. فتح المجيد ٤٩٧. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٣٠٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٣٣٠، ٣٣٩، ط٢-٢/٤٠٨ومن المجموع ١٠/ ٨٠٢، ٨١١. مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٣/ ٧٦. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٩٥. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٧٧.

(١) النهاية (ش ي أ).

(٢) أخرجه النسائي (٣٧٧٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٧٧٣)، أبو داود (٤٩٨٠).

وله أيضا عن ابن عباس ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده»[(١)].

وعن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزير ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مر برهط من النصارىٰ فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارىٰ. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله.قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وما شاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثم أتىٰ النبي ﷺ فأخبره فقال: «هل أخبرت بها أحداً» قال: نعم، فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «إن طفيلا رأىٰ رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها قال: لا تقولوا ما شاء الله وما شاء محمد»[(٢)].

أحكام وفوائد:

١ - حكم إطلاق ما شاء الله وشئت:

يتبين مما سبق أن هذا الإطلاق له صور ثلاث وهي كالتالي:

١ـ ما شاء الله وحده فهذه أفضلها لحديث ابن عباس ﷺ: «قل ما شاء الله وحده»[(٣)].

٢ـ ما شاء الله ثم شئت فهذه تجوز؛ لأن فيه العطف بثم والعطف بثم يقتضي الترتيب والتراخي ولكونه صار تابعاً. ففيه إثبات المشيئة لله وحده، وإثبات

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص٩٨٨.

(٢) الإمام أحمد (٢٠٩٧٠)(٢٣٧٧٤).

(٣) سبق تخريجه.

المشيئة للعبد وأنها تابعة لمشيئة الله تعالىٰ.

٣ـ ما شاء الله وشاء فلان وهذا شرك لأن في اللفظة مساواة غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله. وجاء الحديث صريحاً في تحريم هذا القول وما أشبهه من الألفاظ مما فيه العطف بالواو لأن العطف بالواو يقتضي الجمع والمساواة بين الخالق والمخلوق وهذا شرك أصغر ينافي كمال التوحيد.

قال في التسير: «قال ابن القيم: ومن ذلك أي من الشرك بالله في الألفاظ قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، وذكر الحديث. ثم قال: هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة. لقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير.٢٨].

فكيف بمن يقول: أنا متوكل علىٰ الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض. والله وحياة فلان أو يقول: نذراً لله ولفلان، وأنا تائب لله وفلان، وأرجو الله وفلاناً.

فوازن بين هذه الألفاظ، وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش. يتبين لك أن قائلها أولىٰ بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله ندا بها، فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من الأشياء، بل لعله أن يكون من أعدائه ندا لرب العالمين. فالسجود، والعبادة، والتوكل، والإنابة، والتقوىٰ، والخشية، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعا وتعبدا، والطواف بالبيت والدعاء، كل ذلك محض حق لله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه، من ملك مقرب ولا نبي مرسل. وفي «مسند» الإمام أحمد أن رجلا أتىٰ به النبي ﷺ، قد

أذنب فلما وقف بين يديه قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلىٰ محمد فقال: «عرف الحق لأهله»»[1].

٢ - مسألـة:

حُكي عن أبي جعفر الداودي ما يقتضي جواز العطف بالواو احتجاجاً بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾[التوبة.٧٤]وقوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب.٣٧] ونحو ذلك. والصواب المنع، لأن النبي ﷺ أنكر ذلك وقال لمن قال له ذلك: «أجعلتني لله نداً».

وأقر اليهودي علىٰ تسميته تنديداً وشركاً، ومن المحال أن يكون هذا أمراً جائزاً.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وأما ما احتج من القرآن، فقد ذكروا عن ذلك جوابين:

أحدهما: أن ذلك لله وحده، لا شريك له، كما أنه تعالىٰ يقسم بما شاء من مخلوقاته فكذلك هذا.

الثاني: أن قوله: ما شاء الله وشئت تشريك في مشيئة الله، وأما الآية فإنما أخبر بها عن فعلين متغايرين، فأخبر تعالىٰ أنه أغناهم وأن رسوله أغناهم. وهو من الله حقيقة، لأنه الذي قدر ذلك، ومن الرسول ﷺ حقيقة باعتبار تعاطي الفعل، وكذلك الإنعام أنعم الله علىٰ زيد بالإسلام، والنبي ﷺ أنعم عليه بالعتق، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد، فالكلام إنما هو فيه، والمنع إنما هو منه. فإن قلت: قد ذكر النحاة أن «ثم» تقتضي اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم كالواو فلم جاز ذلك بثم ومنع منه الواو؟. وغاية ما يقال: إن «ثم» تقتضي الترتيب بخلاف الواو، فإنها تقتضي مطلق الجمع، وهذا لا يغير صورة الاشتراك

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٦٠٨.

قبل النهي عن ذلك، إنما هو إذا أتى بصورة التشريك جميعا، وهذا لا يحصل إلا بالواو بخلاف ثم، فإنها لا تقتضي الجمع، إنما تقتضي الترتيب، فإذا أتى بها زالت صورة التشريك والجمع في اللفظ»[١].

٣ - حكم قول: الله ورسوله أعلم:

جاء في حديث معاذ لما كان رديف رسول الله ﷺ على حمار وفيه أنه قال: «الله ورسوله أعلم». وقد يشكل لأنه جمع بين الله ورسوله بالواو مع أن الرسول ﷺ لما قال له الرجل: ما شاء الله وشئت. قال أجعلتني لله نداً».

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: «فيقال إن الرسول ﷺ عنده من العلوم الشرعية ما ليس عند القائل ولهذا لم ينكر الرسول ﷺ على معاذ. بخلاف العلوم الكونية القدرية فالرسول ﷺ ليس عنده علم منها.

فلو قيل: هل يحرم صوم العيدين؟

جاز أن نقول: الله ورسوله أعلم، ولهذا كان الصحابة إذا أشكلت عليهم المسائل ذهبوا إلى رسول الله ﷺ فيبينها لهم ولو قيل: هل يُتَوَقَّعُ نزول مطر في هذا الشهر؟ لم يجز أن نقول: الله ورسوله أعلم لأنه من العلوم الكونية»[٢].

*** فالخلاصة أن حكم قول: الله ورسوله أعلم له حالات:**

١ـ في حياة رسول الله ﷺ وفي الأمور الشرعية لا مانع من ذلك فقد أطلقه الصحابة كما قال معاذ بن جبل لرسول الله ﷺ: الله ورسوله أعلم حين سأله رسول الله ﷺ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟

٢ـ بعد موته في الأمور الشرعية وهذه جائزة، وقد ذكرها الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية فقال: «قد جرى إطلاقها عند بعض أهل العلم منهم ابن

(١) تيسير العزيز الحميد ص٦٠٦-٦٠٧.

(٢) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٤٥. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ٥٤.

القيم رحمه الله تعالىٰ قال في نونيته:

والله أعلـم بـالمراد بقولـه ورسـوله المبعـوث بالفرقـان

لكن لم يحصل الوقوف علىٰ إطلاق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لها بعد وفاته ﷺ بل الظاهر خلافه...»[1]. والصحيح الجواز كما تقدم.

٣- بعد موته في الأمور الدنيوية لا يجوز فإن قالها مدعياً أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب الذي اختصَّ الله به فهذا شرك أكبر لأن الغيب لا يعلم إلا الله إلا ما أطلع الله ورسوله عليه.

٤ - حكم كتابة الله وكلمة محمد بشكل متداخل:

أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بأن مزج كلمة الله وكلمة محمد بشكل متداخل فيه خطر عظيم أو في مشابهة لعقيدة النصارىٰ الباطلة، وإليك الفتوىٰ كاملة قالت اللجنة الموقرة: «مما جاء في نصوص الشريعة القرن بين الشهادة لله بالتوحيد والشهادة لنبيه محمد ﷺ بالرسالة في مواضع، من ذلك القرن بينهما في الأذان للصلاة وفي الإقامة لها، وفي حديث «بني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وغير ذلك مع بيان ما يجب الإيمان به علىٰ المكلفين بالنسبة لكل منهما مما هو أهله كقول المكلف: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أما مزجها كتابةً فلم يأتِ في كتاب الله ولا في سنة النبي ﷺ ومع ذلك ففيه خطر عظيم؛ إذ فيه مشابهة لعقيدة النصارىٰ الباطلة في التثليث ، وأن الأب والابن وروح القدس إله واحد، وفيه أيضاً رمز للعقيدة الباطلة عقيدة وحدة الوجود، وفيه أيضاً ذريعة إلىٰ الغلو في الرسول ﷺ وعبادته مع الله سبحانه، وعليه يجب أن يمنع كتابة اسم الله تعالىٰ واسم رسوله محمد ﷺ علىٰ هذا الشكل ؛ شكل تداخل حروف اسميهما كتابه، وتقاطع

---

(١) معجم المناهي اللفظية ص١٢٨.

حروف اسم كل منهما بحروف اسم الآخر، بل لا يجوز كتابة (الله ـ محمد) على باب المسجد ولا على غيره لما في ذلك من الإيهام والتلبيس لما ذكر من المحاذير وغيرها. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»(١).

وقال الشيخ بكر أبوزيد حفظه الله: «وفي هذه الأزمان الحاضرة التي فتحت فيها سبل الاتصال: جواً وبحراً وبراً تكاثرت الأعاجم في جزيرة العرب، وانتقلوا بما معهم من مبادئ ومعتقدات، وكان من الظواهر المنتشرة بعد وفادتهم، ولم تكن معهودة من قبل كتابة: لفظ الجلالة «الله» واسم النبي ﷺ «محمد» على جنبتي المحاريب، وفي رقاع، ونحوها في المجالس.

وهي دروشة لا معنى لها شرعاً، ومن يسوّي المخلوق بالخالق سبحانه؟ ويجمل بالمسلم التوقي من هذه وأمثالها.

وانظر كيف نهى النبي ﷺ عن قول الخطيب: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى» ؛ لما يوهم من التسوية.

وما جاء في بيان هدي النبي ﷺ في نقش خاتمه كما في «التراتيب الإدارية» من أنه جاء: محمد: سطر، ورسول: سطر، والله: سطر. هذا لمقتضى النقش، ومجموعهما يكون الشهادة بأن محمداً رسول الله ﷺ فتنبه، بل في هذا مضاهاة للنصارى في قولهم: إن عيسى هو الله أو ثالث ثلاثة، فهنا يوهم بأنه ثاني اثنين؟! انظر «التراتيب الإدارية» [١/ ١٧٨-١٨٠]»(٢).

٥- مسألة: في إنكار الرسول ﷺ على الخطيب قوله: «ومن عصاهما فقد غوى»:

جاء في حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٣٩، ٤٠.

(٢) معجم المناهي اللفظية ص١٢٦-١٢٧.

ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت. قل: ومن يعصِ الله ورسولَه»[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «... وذم الخطيب الذي قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوى.. سداً لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ، وحسماً لمادة الشرك حتى في اللفظ»[٢].

ولكن جاء في حديث آخر تثنية الضمير حيث قال ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وللإجابة عن ذلك قال النووي رحمه الله: قوله «أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت. قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى». قال القاضي وجماعة من العلماء: إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية، وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه، كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان».

والصواب: أن سبب النهي، أن الخطب شأنها البسط والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز، ولهذا ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ليفهم، وأما قول الأوليين فيضعف بأشياء منها: أن مثل هذا الضمير قد تكرر في الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وغيره من الأحاديث، وإنما ثنى الضمير ههنا لأنه ليس خطبة وعظ، وإنما هو تعليم حكم، فكلما قل لفظه كان أقرب إلى حفظه بخلاف خطبة الوعظ، فإنه ليس المراد حفظه، وإنما يراد الاتعاظ بها»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٨٧٠).

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ١٤٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ١٥٩.

وقال الحافظ ابن حجر بعد نقله لكلام النووي: «وثَمَّ أجوبة أخرىٰ، منها: دعوىٰ الترجيح، فكيون حيز المنع أولىٰ لأنه عام، والآخر يحتمل الخصوصية، ولأنه ناقل والآخر مبني علىٰ الأصل، ولأنه قول والآخر فعل، ورد بأن احتمال التخصيص في القول أيضاً حاصل بكل قول، ليس فيه صيغة عموم أصلاً، ومنها دعوىٰ أنه من الخصائص، فيمتنع من غير النبي ﷺ ولا يمتنع منه ؛ لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية، بخلافه هو فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك، وإلىٰ هذا مال ابن عبدالسلام. ومنها دعوىٰ التفرقة بوجه آخر وهو أن كلامه ﷺ هنا جملة واحدة فلا يحسن إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، وكلام الذي خطب جملتان لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر، وتعقب هذا بأنه لا يلزم من كونه لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر أن يكره إقامة المضمر فيهما مقام الظاهر، فما وجه الرد علىٰ الخطيب مع أنه هو ﷺ جمع كما تقدم؟

ويجاب بأن قصة الخطيب ـ كما قلنا ـ ليس فيها صيغة عموم، بل هي واقعة عين، فيحتمل أن يكون في ذلك المجلس من يخشىٰ عليه توهم التسوية كما تقدم.

ومن محاسن الأجوبة في الجمع بين حديث الباب وقصة الخطيب أن تثنية الضمير هنا للإيماء إلىٰ أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرىٰ، فمن يدعي حب الله مثلاً ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك، ويشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ فأوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد ومحبة الله تعالىٰ للعباد.

وأما أمر الخطيب بالإفراد فلأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية، إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير إليه قوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فأعاد

﴿أَطِيعُواْ﴾ في الرسول ولم يعده في أولي الأمر لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول. انتهى ملخصاً من كلام البيضاوي والطيبي»[(١)].

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله أن أحسن ما قيل فيه قولان:

أحدهما: قول البيضاوي السابق أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين... قال: وهو جواب بليغ جداً.

الثاني: يحمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا على الجواز، والله أعلم[(٢)].

٦ - حكم قول «شاءت قدرة الله»:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا يصح أن نقول: «شاءت قدرة الله» ؛ لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع هذه قدرة الله أي مقدوره، كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه، وأما أن نضيف أمراً يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز.

ومثل ذلك قولهم «شاء القدر كذا وكذا» وهذا لا يجوز ؛ لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مقدِّر. والله أعلم»[(٣)].

---

(١) فتح الباري ١/ ٦١.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٨١، ٤٨٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ١١٤.

٢٥٤- متابعة الرسول ﷺ

انظر (باب البدعة)، (باب شهادة أن محمداً رسول اللهﷺ).

*** تحذير الأئمة من تقليد العلماء مع ورود النص[١]:**

الأدلة على هذا الأصل في كتاب الله أكثر من أن تحصر، وفي السنة كذلك. قال الإمام البخاري في صحيحه: «وَكَانَتْ الأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الْأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا فَإِذَا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ»[٢].

قال ابن تيمية: «أما وجوب اتباع القائل في كل ما يقوله، من غير ذكر دليل يدل على صحة ما يقوله، فليس بصحيح، بل هذه المرتبة هي مرتبة الرسول ﷺ التي لا تصلح إلا له»[٣].

وقال رحمه الله: «فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئا مما جاء به الرسول ﷺ أو ترده لأجل هواك، أو انتصارا لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو الدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق، واتبع الرسول ما سأله الله

---

(١) من المراجع في ذلك جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ٣٢، ٩١، أصول الأحكام لابن حزم ٦/ ١١٨ مجموع الفتاوى ٢٠/ ١٠، ٥٨٤، ٢٢/ ٢٤٨. إيقاظ الهمم للفلاني ص٩٣ وما بعدها، إرشاد النقاد للصنعاني ص١٤١. صفة الصلاة للألباني ص٢٧، القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٢٥٩، ط٢ – ٢/ ١٠٨ ومن المجموع ١٠/ ٧٣٤، زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء للدوسري ص٣٣، الجوهر الفريد في نهي الأئمة الأربعة عن التقليد لأبي عبد الرحمن الأثري.

(٢) صحيح البخاري ص ١٢٦٧ بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وبعده الحديث رقم (٧٣٦٩).

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٢١.

عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعا للرسول ﷺ، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ﷺ ما أطيع فاعلم واسمع وأطع واتبع ولا تبتدع، تكن أبتر مردودا عليك عملك بل لا خير في عمل أبتر من الاتباع ولا خير في عامله»[(١)].

* وإليك طرفاً مما ذكره الأئمة الأربعة وغيرهم ـ رحمهم الله ـ في التحذير من تقليدهم في كل ما يقولونه:

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالىٰ وخبر الرسول ﷺ فاتركوا قولي»[(٢)].

وقال أيضاً: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»[(٣)].

وفي رواية: «حرام علىٰ من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي»[(٤)].

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[(٥)].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[(٦)].

وقال أيضاً: «كل مسألة صح فيها الخبر بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي»[(٧)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٦/ ٥٢٨، ٥٢٩.

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني ص٥٠، وصفة الصلاة للألباني ص٤٨.

(٣) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص١٤٥، وإعلام الموقعين لابن القيم ٢/ ٣٠٩، وإيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني ص٥٤.

(٤) الميزان للشعراني ١/ ٥٥، وصفة الصلاة للألباني ص٤٧.

(٥) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ٣٢.

(٦) المجموع للنووي ١/ ٦٣، وانظر صفة الصلاة ص٢٦ .

(٧) توالي التأسيس لابن حجر ص١٠٨، ومناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٧٣.

وقال أيضاً: «كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني»[(١)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «كان أحسن أمر الشافعي عندي أنه كان إذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به، وترك قوله»[(٢)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحاً، فأعلموني كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً»[(٣)].

وقال رحمه الله: «لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا»[(٤)].

وقال أيضاً رحمه الله: «من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة»[(٥)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وهؤلاء الأئمة الأربعة رضي الله عنهم قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم»[(٦)].

وقال أيضاً: «ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين، كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فهذه طرق أهل البدع والأهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أنهم مذمومون، خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن تعصب لواحد

---

(١) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص٩٤.

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ص٢٠٦. تاريخ مدينة دمشق ٥١/ ٣٨٤.

(٣) آداب الشافعي لابن أبي حاتم ص٩٤، والحلية لأبي نعيم ٩/ ١٠٦، ومناقب الإمام أحمد ص٤٩٩.

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم ٢/ ٣٠٢، صفة الصلاة ص٢٨.

(٥) انظر صفة الصلاة للألباني ص٥٣.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢١١.

من الأئمة بعينه ففيه شبه من هؤلاء، سواء تعصبوا لمالك أو الشافعي أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم، ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلا بقدره في العلم والدين، وبقدر الآخرين، فيكون جاهلا ظالما، والله يأمر بالعلم والعدل وينهى عن الجهل والظلم»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه، فهم دائرون بين

الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها لشبهة أنه أعلم بها منك، فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك فهلا وافقته إن كنت صادقاً.

فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم. بل اقتدى بهم، فإنهم كلهم أمروا بذلك فمتبعهم حقا من امتثل ما وصّوا به لا من خالفهم فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم، ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال، وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه، فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة. بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلده به ولذلك سمي تقليدا، بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فإنه يجعلهم بمنزلة الدليل على الدليل الأول. فإذا وصل إليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره، فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٢٥٢.

(٢) الروح لابن القيم ٣٩٠.

٢٥٥- محبة الله *

الحب ضد البغض قال في المختار: «والحب أيضا المحبة وكذا الحب بالكسر والحب أيضا الحبيب ويقال أحبه فهو محب و حبه يحبه بالكسر فهو محبوب و تحبب إليه تودد ...»[(١)].

وفي هذا المقام سوف أُفصِّلُ الكلام عن محبة الله بنقل كلام العلماء عنها.

فمحبة الله تعالىٰ من أعظم مقامات العبودية، وأرفعها شأناً. يقول الإمام ابن القيم في وصفها: «هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلىٰ علمها شمر السابقون، وعليها تفانىٰ المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون. فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون. وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام. وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي

* الإبانة لابن بطة العكبري ٦٥٧. التمهيد لابن عبد البر ٢١/ ٢٣٧. شرح السنة للبغوي ١/ ٤٨. التحفة العراقية لابن تيمية ٣٣/ ٧٣. فتح الباري لابن رجب ١/ ٤٥، ٤٩، ٥٣. تيسير العزيز الحميد ٤٧١. فتح المجيد ٣٨١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢٣٦. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٥١، ٢/ ١٤١، ط٢-٢/ ١٧٣ ومن المجموع ١٠/ ٦٢٣. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٣، ٣٤. الدرر السنية ٢/ ٣٢١. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٦٠. مجموع الفتاوىٰ ١/ ٩٥. شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص١٢١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٣٧١. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٢٥٠. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص١٧٠. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د. جمال بن أحمد ٢/ ١٦٥. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ٢/ ٦١٩.

(١) مختار الصحاح (ح ب ب).

من خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه»(١).

وقال الشيخ السعدي: «أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه»(٢).

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة.٢٤]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

* **الدليل من السنة**: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن توقد له نار فيقذف فيها»(٣). وفي رواية قَالَ ﷺ: «لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٦ـ ٧.

(٢) القول السديد ١١٠، وانظر أيضا الحق الواضح المبين ٥٩، ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري (٢١)(٦٩٤١). ومسلم (٤٣) وحلاوة الإيمان هي: لذة القلب ونعيمه وسروره.

الْكُفْرِ بَعْدَ إِذ أَنْقَذَهُ اللهُ وَحَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»[١].

قال ابن رجب رحمه الله: «فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضىٰ ما يرضي الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضىٰ هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك فإن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك علىٰ نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلىٰ تكميل المحبة الواجبة.

قال أبو يعقوب النهرجوري: «كل من ادعىٰ محبة الله تعالىٰ ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور».

وقال يحيىٰ بن معاذ: «ليس بصادق من ادعىٰ محبة الله ولم يحفظ حدوده».

وسئل رويم عن المحبة فقال: «الموافقة في جميع الأحوال»»[٢].

أحكام وفوائد:

١ - حب الله فرض وواجب:

يجب تقديم محبة الله ومحبة ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال علىٰ محبة ما سواه. يدل علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة.٢٤]. قال الذهبي: قال أبو الفتح عبد الرحيم خادم ابن خفيف: سمعت الشيخ يقول: «سَأَلَنا يوما أبو العباس بن سريج ونحن نحضر مجلسه للفقه، فقال: أمحبة الله فرض أو لا؟ فقلنا: فرض. قال: ما الدليل؟ فما فينا من أجاب بشيء،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤١).

(٢) جامع العلوم والحكم ص٥٧٧.

فسألناه، فقال: قوله تعالىٰ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة.٢٤]. قال فتوعدهم الله علىٰ تفضيل محبتهم لغيره علىٰ محبته، والوعيد لا يقع إلا علىٰ فرض لازم»[١].

قال الشيخ السعدي: «وهذه الآية الكريمة أعظم دليل علىٰ وجوب محبة الله ورسوله وعلىٰ تقديمها علىٰ محبة كل شيء»[٢].

٢ - أقسام المحبة:

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالىٰ:

«واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:

الأول: محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله[٣] وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرها، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

الثالث: محبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر وحجر وبشر، وملك وغيرها وهي أصل الشرك وأساسه.

وهنا قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد، ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها. وهذه إذا كانت مباحة إن أعانت علىٰ محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلىٰ ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات. وإلا بقيت من أقسام المباحات، والله أعلم»[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والمحبة تنقسم إلىٰ قسمين:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) تفسير ابن سعدي ٣/ ٣١٤. ويقصد بذلك آية التوبة ١٢٤ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الآية.

(٣) الكلام عن هذا القسم أفردنا له باب (الحب في الله).

(٤) القول السديد ص٩٧.

القسم الأول: محبة عبادة: وهي التي توجب التذلل والتعظيم وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه، وهذه خاصة بالله فمن أحب مع الله غيره محبة **عبادة** فهو مشرك شركا أكبر، ويعبر العلماء عنها بالمحبة الخاصة.

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها، وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله أي: كون الشخص محبوبا لله تعالى من أشخاص كالأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين.

أو أعمال كالصلاة والزكاة وأعمال الخير أو غير ذلك. وهذا النوع تابع للقسم الأول الذي هو محبة الله.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد والصغار والضعفاء والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا **عبادة** كمحبة الإنسان لوالده ولمعلمه ولكبير من أهل الخير.

النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام والشراب والملبس والمركب والمسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول والبقية من قسم المباح، إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة، فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم ببر والده صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد صارت عبادة»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٢٣،٦٢٤. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١٤١،١٤٢.

٣ - أسباب تحصيل المحبة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن محركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهي مقصودة تُرادُ لذاتها، لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره.

فإن قيل: فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه، فأي شيء يحرك القلوب؟ قلنا: يحركها شيئان:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب، لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به لهذا أمر الله ﷻ بالذكر الكثير، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

الثاني: مطالعة آلائه ونعمائه ...فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره، فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً.

وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد، والزجر، والعرض، والحساب، ونحوه. وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو»[١].

(١) مجموع الفتاوى ١/ ٩٥

٤ - بين المحبة والعبادة:

قال ابن تيمية رحمه الله: «والعبادة تجمع كمال المحبة، وكمال الذل، فالعابد محب خاضع، بخلاف من يحب من لا يخضع له، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم، فإن كلا من هذين ليس عبادة محضة، وإن كل محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوب من العبادة كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار...»[(١)].

وقال السعدي رحمه الله: «أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ....ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده. أما اتخاذ الأنداد من الخلق يحبهم كحب الله، فيقدم طاعتهم على طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله»[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «كلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية وحرية عما سواه، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه»[(٣)].

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وأصل الأعمال كلها هو المحبة، فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب إما لجلب منفعة أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئا فلأنه يحبه إما لذاته كالطعام أو لغيره كالدواء.

وعبادة الله مبنية على المحبة، بل هي حقيقة العبادة إذ لو تعبدت بدون محبة

---

(١) جامع الرسائل ٢/ ٢٨٤.

(٢) القول السديد ص٩٥ ـ ٩٧.

(٣) العبودية ص٢٩.

صارت عبادتك قشراً لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك.

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «إن الخلة والمحبة لله تحقيق عبوديته وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه، وأن المحبة فيها انبساط في الأهواء أو إذلال لا تحتمله الربوبية، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال: أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها، فكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية.

وقال من قال من السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[(٢)] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ[(٣)]. ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري[(٤)]، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»؛ ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله»[(٥)].

فليس الشأن أن تُحِب فقط ولكن الشأن كل الشأن أن تُحَب فاجمع مع الحب

---

(١) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٢٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١٤١.

(٢) الزنديق: هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان. انظر باب (الزنديق).

(٣) المرجئة: قوم يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان.

(٤) الحرورية: هم الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه بسبب التحكيم.

(٥) العبودية ٣٧.

الاتباع. قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران.٣١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلىٰ عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته، فإن دعوىٰ هذه المحبة لله من جنس دعوىٰ اليهود والنصارىٰ المحبة لله. بل قد تكون دعوىٰ هؤلاء شرا من دعوىٰ اليهود والنصارىٰ لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار، كما قد تكون دعوىٰ اليهود والنصارىٰ شراً من دعواهم إذا لم يصلوا إلىٰ مثل كفرهم. وفي التوراة والإنجيل من محبة الله ما هم متفقون عليه حتىٰ أن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس ففي الإنجيل أن المسيح قال: أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك. والنصارىٰ يدعون قيامهم بهذه المحبة، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك، وهم برآء من محبة الله إذا لم يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم، وهو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالىٰ غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالىٰ أنه قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١]»[٢].

---

(١) البخاري (٧٤٠٥) (٧٥٣٦)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) العبودية ص٣٩ ـ ٤٠.

وقال الشيخ السعدي: «وهذه الآية[١] هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة. فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقاً إلى محبته ورضوانه فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال الشيخ السعدي رحمه الله: «ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ، ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله»[٣].

والخلاصة أن وجود المحبة في العبد تستلزم أشياء كثيرة[٤] أهمها أمور ثلاثة:

١ـ فعل المحبوبات لله ﷻ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

٢ـ موالاة أوليائه ومحبتهم وبغض أعدائه.

٣ـ اتباع رسوله ﷺ .

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه، وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها»[٥].

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٣٧٤.

(٣) تفسير السعدي ٢/ ٢٠٧.

(٤) انظر كتب شيخ الإسلام العبودية ١٠٥، ١٠٨ ومجموع الفتاوى ١٠/ ٧٥٤، وكتاب نواقض الإيمان الاعتقادية د/ الوهيبي ٢٠/ ٢٠٧.

(٥) معارج القبول ١/ ٣٨٣.

٥- العلاقة بين المحبة والرجاء والخوف:

سبق الكلام عنها في باب (الخوف).

❖ أثر الذنوب على المحبة:

قال شيخ الإسلام: «والذنوب تنقص من محبة الله تعالىٰ بقدر ذلك، لكن لا تزيل المحبة لله ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب، حديث حمار الذي كان يشرب الخمر وكان النبي ﷺ، يقيم عليه الحد، فلما كثر ذلك منه لعنه رجل فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله..» وفيه دلالة علىٰ أنَّا منهيون عن لعنة أحد بعينه وإن كان مذنباً، إذا كان يحب الله ورسوله، فكما أن المحبة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات، وكمال المحبة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات، والمعاصي تنقص المحبة، وهذا معنىٰ قول الشبلي لما سئل عن المحبة؟ فقال: ما غنت به جارية فلان:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا محال في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن أحب مطيع»[1]

---

(١) جامع الرسائل ٢/ ٢٥٨، ٢٥٩.

٢٥٦- محبة رسول الله ﷺ وما جاء به

[شهادة أن محمداً رسول الله، النبوة]

محبة رسول الله ﷺ واجبة على كل عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهي مقتضى الشهادة ودل على وجوب حب الرسول الله ﷺ.

* **الدليل من الكتاب**: قول الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ الآية [التوبة.٢٤]. وقد تقدم ذكر ذلك في باب محبة الله.

* **الدليل من السنة**: عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: «وأما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول الله ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء.٦٥] قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب.٣٦]»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤). ومعنى الإيمان هنا الإيمان الكامل.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١/ ١٢ والبغوي في شرح السنة رقم ١٠٤ وانظر مشكاة المصابيح رقم ١٦٧ وهو من أحاديث الأربعين النووية انظر جامع العلوم والحكم ٥٧٤.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٥.

أحكام وفوائد:

١ - وجوب معرفة الرسول ﷺ:

معرفة الرسول ﷺ ومتابعته هو الذي يُسأل عنه العبد في قبره وهو الأصل الثالث الذي بنى عليه المجدد الأصول الثلاثة: فالأول: معرفة الله، والثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، والثالث: معرفة نبينا محمد ﷺ.

قال الشيخ ابن قاسم: «وهو أصل عظيم يجب معرفته، فإنه ﷺ هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى، ولا وصول لنا، ولا اطلاع لنا، ولا طريق لنا، ولا نعرف ما ينجينا من غضب الله وعقابه، ويقربنا من رضى الله وثوابه إلا بما جاء به نبينا محمد ﷺ... فإنا لا نعرف الأصل الأول، الذي هو معرفة الرب جل جلاله، ولا الأصل الثاني، الذي هو دين الإسلام، إلا بالواسطة بيننا وبين الله، فتحتمت معرفته ﷺ وصارت أصلا ثالثاً، إذ لا يمكن معرفة المرسل إلا بمعرفة رسوله، فصار من الضروريات معرفة الرسول ﷺ، وبذلك ظهر أن معرفته ﷺ أحد الأصول الثلاثة»[١].

قال شارح العقيدة الطحاوية: «فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً أو نقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان كما نوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره...»[٢].

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص٧٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣١٧.

٢ - مقتضى محبة رسول الله ﷺ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في حقيقة المتابعة للنبي ﷺ «فمحمد ﷺ أرسل إلى كل أحد من الإنس والجن، كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده وحقائقه، وطرائقه وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطنا وظاهرا في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأحزاب.٦]: «ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه»[(٢)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا وأن يكره ما كرهه الله تعالى كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلاً، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين». فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي

---

(١) الفتاوى ١٠/ ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٢) التبوكية ص٣٠. وانظر الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ١٤٢.

المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات»[١].

٣- أقوال العلماء في قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...» الحديث.

قال النووي رحمه الله: «قَوْله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» وفي الرواية الأخرى: «من وَلده ووالده والناس أجمعين»، قال ابن بطال رحمه الله: ومعنى الحديث: «أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأن به ﷺ استنقذنا من النار، وهدينا من الضلال».

وقال القاضي عياض رحمه الله: «ومن محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته؛ فيبذل ماله ونفسه دونه. قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد، وولد، ومُحسن، ومفضَّل، ومن لم يعتقد هذا، واعتقد سواه، فليس بمؤمن». هذا كلام القاضي رحمه الله. والله أعلم»[٢].

وفي قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم ...» الحديث قال ابن عثيمين رحمه الله: «ونفي الشيء له ثلاث حالات:

فالأصل أنه نفي للوجود وذلك مثل: «لا إيمان لعابد صنم».

فإن منع مانع من نفي الوجود فهو نفي للصحة مثل: «لا صلاة بغير وضوء».

فإن منع مانع من نفي الصحة فهو نفي للكمال مثل: «لا صلاة بحضرة طعام». فقوله: «لا يؤمن أحدكم» نفي للكمال الواجب لا المستحب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا ينفي الشيء إلا لانتفاء واجب فيه ما لم يمنع من ذلك مانع»»[٣].

وقال أيضاً رحمه الله: «ومحبة رسول الله ﷺ تكون لأمور:

---

(١) جامع العلوم والحكم ٥٧٦.

(٢) شرح مسلم للنووي ٢/ ١٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ١٠/ ٦٤٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١٦١.

الأول: أنه رسول الله، وإذا كان الله أحب إليك من كل شيء فرسوله أحب إليك من كل مخلوق.

الثاني: لما قام به من عبادة الله وتبليغ رسالته.

الثالث: لما آتاه الله من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

الرابع: أنه سبب هدايتك وتعليمك وتوجيهك.

الخامس: لصبره على الأذى في تبليغ الرسالة.

السادس: لبذل جهده بالمال والنفس لإعلاء كلمة الله»[١].

٢٥٧- المحبة في الله

انظر باب (الحب في الله).

٢٥٨- محمد رسول الله ﷺ

هو الجزء الثاني من الشهادتين ومعناه: اعتقاد أن محمداً رسول الله، ويقتضي اتباع رسول الله وغير رسول الله ﷺ إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل، ولمعرفة تفصيل ذلك انظر الأبواب: (شهادة أن محمداً رسول الله)، (متابعة الرسول ﷺ)، (محبة الرسول ﷺ)، (النبوة).

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ١٠/ ٦٢٩، ٦٣٠. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-٢/ ١٤٨.

٢٥٩- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو الكراهية لانتصار دينه*

وهذا من صفات المنافقين نفاقا أكبر قال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة.٥٠]. قال الشوكاني رحمه الله: «وهذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم، والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، فإن المساءة بالحسنة، والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا الغاية»(١).

ويقول ابن حزم رحمه الله: «... وأما الذي أخبر الله تعالى بأنه إن أصابت رسول الله ﷺ سيئة ومصيبة تولوا وهم فرحون، أو أنه إن أصابته حسنة ساءتهم فهؤلاء كفار بلا شك»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة.٤٨]. يقول الإمام الطبري رحمه الله: «لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدّهم عن دينهم، وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتخذيل عنه... ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأيَ بالتخذيل عنك،

---

* القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٦٣، نواقض الإيمان الاعتقادية د: الوهيبي ٢/ ١٦٩.

(١) فتح القدير ٢/ ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) المحلى ١١/ ٢٠٥، ٢٠٦.

وإنكار ما تأتيهم به، وردّه عليك، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ يقول: حتى جاء نصر الله، ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه، وهو الإسلام ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ يقول: والمنافقون لظهور أمر الله ونصره إياك، كارهون ...»[1].

وقال شيخ الإسلام: «... فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصارى، وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم وغلمان السلطان، وغيرهم من الجند والصبيان، وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور، وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة، وقتل أهل بغداد، ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين وكاتب التتار، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة، ونهى الناس عن قتالهم، وقد عرف العارفون بالإسلام: أن الرافضة تميل مع أعداء الدين ...»[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٦٣٦، ٦٣٧ وانظر ٢٨/ ٤٣٥.

٢٦٠- المشاهد*

تتبع آثار الصالحين/ القبور

قال ابن تيمية رحمه الله: «مقامات الأنبياء والصالحين هي الأمكنة التي ماتوا فيها أو أقاموا بها أو عبدوا الله فيها، لكنهم لم يتخذوها مساجد، والمشاهد هي الأبنية التي تُبنى عليها أو على آثار الأنبياء والصالحين»[(١)].

وتطلق المشاهد ويراد بها المواضع التي تُبنى على القبور والأضرحة، وهي مواطن يحضرها الناس ويجتمعون بها ويكون فيها أمور تخالف ما أمر الله به وهو مرادنا في هذا الباب.

وقال أيضاً: «وأما بناء المساجد على القبور، وتسمى «مشاهد» فهذا غير سائغ بل جميع الأمة ينهون عن ذلك، لما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما فعلوا» قالت عائشة: لولا ذلك لأبرز قبره، ولكنه كره أن يتخذ مسجداً.

وفي الصحيح أيضاً عنه أنه قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»

وفي السنن عنه قال: «لعن الله زوارت القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[(٢)].

---

* اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٢، ٧٤٦، ٧٥١. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٣٨١. المحلى بالآثار لابن حزم ٥/ ٣٨٧. الدرر السنية ١٠/ ٢٠٥، ٢٠٩.فتاوى اللجنة الدائمة ٣/ ٢٠٧. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٧٩٣. نور على الدرب ص١٧٧، ٢٩٥، ٣٢٠. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٢/ ٢٤٨. التبرك د: ناصر الجديع ص٣٩١، ٣٩٣، ٤٥٨.

(١) مستفاد من شفاء الصدور ص٢٩٧ ط. الإفتاء.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣١٨

ونجد شيخ الإسلام رحمه الله يطلق «المشهد» ويريد بها القبور المشتهرة عند القبوريين، قال رحمه الله: «... بل المشاهد المضافة إلىٰ الأنبياء وغيرهم كذب، مثل القبر الذي يُقال له «قبر نوح»...»[1].

وقال رحمه الله: «وعُمَّار المشاهد يخافون غير الله، ويرجون غيره، ويدعون غيره، وهو سبحانه لم يقل إنما يعمر مشاهد الله، فإن المشاهد ليست بيوت الله، إنما هي بيوت الشرك، ولهذا ليس في القرآن آية فيها مدح المشاهد، ولا عن النبي ﷺ في ذلك حديث، وإنما ذكره الله عمن كان قبلنا أنهم بنوا مسجدا علىٰ قبر أهل الكهف، وهؤلاء من الذين نهانا الله أن نتشبه بهم حيث قال ﷺ في الحديث الصحيح: «أن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم من ذلك»، ففي هذا الحديث ذم أهل المشاهد، وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة، كما قال: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا»، وقال: «أولئكِ إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

ثم أهل المشاهد كثير من مشاهدهم أو أكثرها كذب، فإن الشرك مقرون بالكذب في كتاب الله كثيراً قال تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال النبي ﷺ: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله» قالها ثلاثاً»[2].

* الأدلة: انظر الأدلة في باب (البناء علىٰ القبور).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٤/ ٥١٦.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٧/ ٤٩٩، ٥٠٠ وانظر أيضاً ٢٧/ ١٦٩.

فوائد وأحكام:

١ - تاريخ المشاهد:

إن من أعظم الفتن والبلايا التي وقعت عند المسلمين بعد القرون الثلاثة المفضلة تعظيم قبور الأنبياء والأولياء والصالحين والغلو فيها، واتخاذها مزارات ومشاهد، ويحدد ابن تيمية وقت ظهورها بقوله: «وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلىٰ أرض مصر»[(١)].

فأول من أدخل هذه البدع عند المسلمين هم الشيعة الروافض ـ قبّحهم الله ـ علىٰ يد الدولة العبيدية حين ضعفت خلافة بني العباس[(٢)]، ثم تبعهم في ذلك أصحاب الطرق الصوفية فأشاعوها بين المسلمين[(٣)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «فالمقصود أن هذا المشهد إنما أحدث في دولة الملاحدة دولة بني عبيد. وكان فيهم من الجهل والضلال ومعاضدة الملاحدة وأهل البدع من المعتزلة والرافضة أمور كثيرة، ولهذا كان في زمنهم قد تضعضع الإسلام تضعضعا كثيراً، ودخلت النصارىٰ إلىٰ الشام، فإن بني عبيد ملاحدة منافقون ليس لهم غرض في الإيمان بالله ورسوله، ولا في الجهاد في سبيل الله، بل في الكفر والشرك ومعاداة الإسلام بحسب الإمكان، وأتباعهم كلهم أهل بدع وضلال، فاستولت النصارىٰ في دولتهم علىٰ أكثر الشام، ثم قيض الله من ملوك السنة مثل: نور الدين، وصلاح الدين، واخوته وأتباعهم ففتحوا بلاد الإسلام، وجاهدوا

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٧/ ٤٦٦.

(٢) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/ ١٦٧، ٤٦٦. وانظر شفاء الصدور ص١١٢.

(٣) راجع كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص٤٠٢، ٤٠٣ وكتاب التبرك للجديع ص٣٩١.

الكفار والمنافقين»[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله: «ولم يكن في العصور المفضلة «مشاهد» على القبور، وإنما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه، لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار، مقصودهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك، ومن بدع الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، ما هو معروف لأهل العلم، فبنوا المشاهد المكذوبة «كمشهد علي» رضي الله عنه وأمثاله، وصنف أهل الفرية الأحاديث في زيارة المشاهد والصلاة عندها، والدعاء عندها، وما يشبه ذلك، فصار هؤلاء الزنادقة وأهل البدع المتبعون لهم يعظمون المشاهد، ويهينون المساجد، وذلك ضد دين المسلمين»[(٢)].

٢ - قبور الأنبياء:

لا يثبت مكان قبر بعينه لنبي من الأنبياء أبدا إلا قبر النبي محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام في المغارة التي في الشام في محله المعروف هناك، من دون أن يعلم عينه. قال شيخ الإسلام: «وقبر الخليل فيه نزاع لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره»[(٣)].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «جميع قبور الأنبياء لا تعرف ما عدا قبر نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنه معلوم في بيته في المدينة ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهكذا قبر الخليل إبراهيم معروف في المغارة هناك في الخليل في فلسطين، وأما سواهما فقد بين أهل العلم أنها لا تعلم قبورهم، ومن ادعى أن هذا قبر فلان أو قبر فلان فهو كذب لا أصل له ولا صحة له»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٧/ ٥٠١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٦٧، ١٦٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٥٢١.

(٤) نور على الدرب ص١٧٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالأنبياء كثيرون جداً، وما يضاف إليهم من القبور قليل جدا، وليس منها شيء ثابت عرفا، فالقبور المضافة إليهم منها ما يعلم أنه كذب: مثل «قبر نوح» الذي في أسفل جبل لبنان، ومنها ما لا يعلم ثبوته بالإجماع، إلا قبر نبينا والخليل وموسى فإن هذا من كرامة محمد وأمته، فإن الله صان قبور الأنبياء عن أن تكون مساجد صيانة لم يحصل مثلها في الأمم المتقدمة، لأن محمدا وأمته أظهروا التوحيد إظهارا لم يظهره غيرهم، فقهروا عباد الأوثان، وعباد الصلبان، وعباد النيران»[1].

قال شيخ الإسلام: «لكن ليس في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها فائدة شرعية، وليس حفظ ذلك من الدين، ولو كان من الدين لحفظه الله كما حفظ سائر الدين، وذلك أن عامة من يسأل عن ذلك إنما قصده الصلاة عندها والدعاء بها ونحو ذلك من البدع المنهي عنها، ومن كان مقصوده الصلاه والسلام على الأنبياء والإيمان بهم وإحياء ذكرهم فذلك ممكن له، وإن لم يعرف قبورهم صلوات الله عليهم»[2].

٣ - أكثر المشاهد المشهورة مكذوبة:

قال ابن تيمية رحمه الله: «بل عامة القبور التي بنيت عليها المساجد، إما مشكوك فيها، وإما متيقن كذبها، مثل القبر الذي بكرك الذي يقال: إن به نوح، والذي بظاهر دمشق الذي يقال إنه قبر أبي بن كعب، والذي من الناحية الأخرى، والذي يقال: إنه قبر أويس القرني، والقبور التي هناك التي يظن أنها قبر عائشة أو أم سلمة زوج النبي ﷺ أو أم حبيبة، أو قبر علي الذي بباطنة النجف، أو المشهد الذي يقال: إنه على الحسين بالقاهرة، والمشهد الذي بحلب، وأمثال هذه المشاهد، فهذه كلها كذب باتفاق أهل العلم.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/ ٢٧٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧ / ٥٣١.

وأما القبر الذي يقال: إنه «قبر خالد بن الوليد» بحمص، والذي يقال: إنه قبر أبي مسلم الخولاني بداريا، وأمثال ذلك: فهذه مشكوك فيها، وقد نعلم من حيث الجملة أن الميت: قد توفي بأرض ولكن لا يتعين أن تلك البقعة مكان قبره: كقبر بلال ونحوه بظاهر دمشق، وكقبر فاطمة بالمدينة وأمثال ذلك، وعامة من يصدق بذلك يكون علم به: إما مناما، وإما نقلا لا يوثق به، وإما غير ذلك، ومن هذه القبور ما قد يتيقن، لكن لا يترتب على ذلك شيء من هذه الأحكام المبتدعة ولهذا كان السلف يسدون هذا الباب، فإن المسلمين لما فتحوا تُستر وجدوا هناك سرير ميت باق، ذكروا أنه «دانيال» ووجدوا عنده كتابا فيه ذكر الحوادث، وكان أهل تلك الناحية يستسقون به، فكتب في ذلك أبو موسى الأشعري إلى عمر، فكتب إليه عمر أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا، ثم يدفن بالليل في واحد منها ويعفى قبره لئلا يفتتن به الناس»[(١)].

وكذلك نبي الله هود عليه السلام كان في الأحقاف، ولكن لا يعلم قبره ولا يدرى عنه وليس هناك ما يدل على وجوده[(٢)].

٤ - مشهد الحسين في القاهرة[(٣)]:

انتشرت مشاهد ومزارات في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ومن أشهرها في مصر: مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقاهرة.

وقد دفن جسد الحسين بكربلاء في العراق باتفاق المؤرخين[(٤)].

أما مقر رأسه فقد تعددت أسماء المدن التي يقال بوجود الرأس فيها[(٥)]، وهذه

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٧/ ١٧١.

(٢) انظر فتوى الهيئة رقم ١٢٤٤.

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن باز ٢/ ٧٩٣.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/ ٤٩٣، البداية والنهاية ٨/ ٢٠٣.

(٥) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤.

المدن هي: المدينة، القاهرة، دمشق، كربلاء، حلب، عسقلان، مرو، الرّقة[١]. ومع تعدد الأقوال في مقر رأس الحسين فقد تعددت المشاهد المنسوبة للحسين ﷺ.

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية أن رأس الحسين ﷺ دفن بالمدينة. ونفى أن يكون له وجودا في القاهرة فقال رحمه الله: «المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي ﷺ الذي بالقاهرة كذب مختلق، بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم، الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم. ولا يعرف عن عالم مسمى معروف بعلم وصدق أنه قال: أن هذا المشهد صحيح. وإنما يذكره بعض الناس قولا عمن لا يعرف، على عادة من يحكي مقالات الرافضة وأمثالهم من أهل الكذب.

فإنهم ينقلون أحاديث وحكايات، ويذكرون مذاهب ومقالات، وإذا طالبتهم بمن قال ذلك ونقله؟ لم يكن لهم عصمة يرجعون إليها، ولم يسموا أحدا معروفا بالصدق في نقله، ولا بالعلم في قوله، بل غاية ما يعتمدون عليه: أن يقولوا: أجمعت الطائفة الحقة، وهم عند أنفسهم الطائفة الحقة، الذين هم عند أنفسهم المؤمنون، وسائر الأمة سواهم كفار»[٢].

ومن المشاهد المشهورة في مصر أيضاً: مشهد «السيدة زينب» بنت علي ابن أبي طالب ﷺ[٣] بالقاهرة[٤]، ومشهد «السيد البدوي»[١] بطنطا.

---

(١) التبرك ص٣٩١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية:٢٧/ ٤٥١.

(٣) هي زينب بنت علي بن أبي طالب القرشية أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ولدت في حياة النبي ﷺ، وكانت امرأة عاقلة لبيبة، كانت مع أخيها الحسين ﷺ لما قتل فحملت إلى دمشق. انظر أسد الغابة ٦/ ١٣٢، الإصابة ٤/ ٣١٤.

(٤) قال المؤرخ المصري علي باشا مبارك ـ المتوفى سنة ١٣١١هـ في كتابه (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة) ٥/ ٩ عند ذكر مشهد السيدة زينب بالقاهرة: لم أر في كتب التواريخ أن السيدة

ومن أشهرها في الشام: «مشهد خالد بن الوليد ﷺ» بحمص، و«مشهد صلاح الدين الأيوبي» بدمشق بجوار الجامع الأموي، ومحي الدين ابن عربي[٢] بدمشق أيضاً. ومن أشهرها في العراق مشهد الحسين بن علي بكربلاء[٣]، ومشهد عبد القادر الجيلاني ببغداد[٤].

٥ - حكم الصلاة في المشاهد[٥]:

قال الخرقي رحمه الله: «وكذلك إن صلى في المقبرة أو الحش أو الحمام أو في أعطان الإبل أعاد»[٦].

وعلق على كلامه ابن قدامة رحمه الله في المغني فقال: «اختلفت الرواية عن أحمد رحمه الله في الصلاة في هذه المواضع، فروي أن الصلاة لا تصح فيها بحال»[٧]. وذكر

زينب بنت علي رضي الله عنها جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات.

(١) هو أحمد بن علي الحسيني أبو العباس البدوي الصوفي المشهور، عرف بالبدوي للزومه اللثام، وأصله من المغرب، ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس، وقد قدسه أتباعه ونسبوا له مناقب كثيرة مليئة بالخرافات والأباطيل. توفي بطنطا سنة ٦٧٥ هـ. انظر شذرات الذهب ٥/ ٣٤٥. الأعلام ١/ ١٧٥. كتاب السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة للدكتور أحمد صبحي منصور.

(٢) صاحب التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة قال فيها أشياء منكرة. قال الذهبي من أردأ تواليفه كتاب (فصوص الحكم) وقال: قد عظّمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات. توفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٩، شذرات الذهب ٥/ ١٩٠ الأعلام ٦/ ٢٨١.

(٣) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله عن هذا المشهد اتخذه الرافضة وثنا، بل ربا مدبرا وخالقا مسيرا، وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية. انظر الرسائل المفيدة ص٣٩٢.

(٤) كتاب التبرك ٣٩٢، ٣٩٣ د/ ناصر الجديع نشر مكتبة الرشد الرياض.

(٥) للاستزادة انظر باب (اتخاذ القبور مساجد).

(٦) المغني ١/ ٤٦٨.

(٧) المغني ١/ ٤٦٨.

الرواية بصحتها ثم فصل الكلام طويلاً وقال في آخره: «فعلىٰ هذا لا تصح الصلاة إلىٰ القبور للنهي عنها، وتصح إلىٰ غيرها لبقائها في عموم الإباحة وامتناع قياسها علىٰ ما ورد النهي عنه»(١).

والذي عليه أكثر أهل العلم أنه لا تجب الإعادة إذا صلىٰ في المقبرة وهو قول مالك والشافعي وأحمد في رواية عنه والمشهور عن أحمد أن عليه الإعادة لارتكاب النهي بالصلاة فيها(٢). وقد تقدم ذكر ذلك في كلام الخرقي وابن قدامة رحمهما الله، ولأن النهي يدل علىٰ فساد المنهي عنه فقد ذهب بعض العلماء إلىٰ بطلان الصلاة فيها كابن حزم، واختاره شيخ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ، والشوكاني في نيل الأوطار(٣).

وقد قرر شيخ الإسلام بطلان الصلاة في كل مسجد بُني علىٰ قبر سواء صلىٰ خلف القبر أو أمامه(٤).

كما قرر رحمه الله أن الصلاة في المقبرة محرمة ولا تصح. قال رحمه الله: «والمشهور عندنا أنها محرمة لا تصح»(٥).

وذكر في شرح العمدة أن الصلاة في المواضع المنهي عن الصلاة فيها روايتان:

إحداهما: وهي ظاهر المذهب أنها لا تصح ولا تجوز.

والثانية: أنها تكره وتستحب الإعادة.

ثم قال رحمه الله: «والأول أصح؛ لأن قوله ﷺ «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام»: إخراجٌ لها عن أن تكون مسجداً، والصلاة لا تصح إلا في مسجد، أعني فيما جعله الله لنا مسجداً.

---

(١) االمغني ٢/ ٤٧٤.

(٢) فتح الباري لابن رجب ٣/ ١٩٦. التمهيد ٥/ ٢٣٠، المغني ١/ ٤٠٣، نيل الأوطار ٢/ ١٣٦، ١٣٧.

(٣) أحكام الجنائز ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٤) انظر شرح العمدة ٢/ ٤٥٩-٤٦١، ومجموع الفتاوىٰ ٢٢/ ١٩٥.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٦.

وهذا خطاب وضعٍ وإخبارٌ فيه أن المقبرة والحمام، لم يجُعلا مسجداً ومحلاً للسجود، كما بَيَّن أن محلَ السجود، هو الأرض الطيبة.

فإذا لم تكن مسجداً: كان السجود واقعاً فيها في غير موضعه، فلا يكون معتداً به، كما لو وقع في غير وقته، أو إلىٰ غير جهته، أو في أرضٍ خبيثة»[١].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «لا تجوز الصلاة عند القبور ولا اتخاذها مساجد ؛ ولأن ذلك وسيلة للشرك»[٢].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وأما صِحَّة الصلاة في المساجد التي بنيت علىٰ القبور فإن كان القبر سابقا علىٰ المسجد بأن بني المسجد علىٰ القبر فإن الصلاة فيه لا تصح ويجوز هدم المسجد لأن النبي ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» وأما إذا كان المسجد سابقا علىٰ القبر بأن كان المسجد قائما مبنيا ثم دفن فيه أحد فإنه يجب أن ينبش القبر وأن يدفن فيما يدفن فيه الناس.

والصلاة في هذا المسجد السابق [٣] علىٰ القبر صحيحة إلا إذا كان القبر تجاه المصلين فإن الصلاة إلىٰ القبور لا تصح ـ كما في صحيح مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي ـ أن النبي ﷺقال: «لا تجلسوا علىٰ القبور ولا تصلوا إليها»»[٤].

٦ - فائدة:

قال ابن تيمية: «... ولا في الصلاة في المشاهد التي علىٰ القبور ونحوها فضيلة علىٰ سائر البقاع، فضلا عن المساجد، باتفاق أئمة المسلمين، فمن اعتقد أن الصلاة عندها فيها فضل علىٰ الصلاة علىٰ غيرها، أو أنها أفضل من الصلاة في بعض

---

(١) شرح العمدة ص٤٣٤-٤٣٥.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧٩٤.

(٣) الكلام من فضيلته في رد علىٰ سؤال حول الصلاة في داخل مسجد يقال أن فيه قبر النبي يونس.

(٤) مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٢/ ٢٤٨.

المساجد، فقد فارق جماعة المسلمين، ومرق من الدين، بل الذي عليه الأمة أن الصلاة فيها منهي عنه نهي تحريم، وإن كانوا متنازعين في الصلاة في المقبرة: هل هي: محرمة؟ أم مكروهة؟ أو مباحة؟ أو يفرق بين المنبوشة والقديمة، فذلك لأجل تعليل النهي بالنجاسة لاختلاط التراب بصديد الموتى.

وأما هذا فإنه نهى عن ذلك لما فيه من التشبه بالمشركين، وأن ذلك أصل عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح.٢٣]. قال غير واحد من الصحابة والتابعين: هذه أسماء قوم كانوا قوما صالحين، في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ولهذا قال النبي ﷺ ما ذكره مالك في الموطأ: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ؛ ولهذا لا يشرع باتفاق المسلمين أن ينذر للمشاهد التي على القبور، لا زيت، ولا شمع، ولا دراهم، ولا غير ذلك، وللمجاورين عندها، وخدام القبور، فإن النبي ﷺ قد لعن من يتخذ عليها المساجد والسرج، ومن نذر ذلك فقد نذر معصية، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»»[١].

٧ - فائدة:

ما يروى في كتب السير بأن إسماعيل ـ عليه السلام ـ دفن في الحطيم بمكة المكرمة لا يستند على نقل صحيح أو سند ثابت وقد أجابت اللجنة الدائمة بأن: «ما قيل من أن إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مدفون في الحطيم غير صحيح فلا يعول عليه بحال»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٤/ ٣١٨.

(٢) فتاوى اللجنة ٣/ ٢٠٧.

٨ - موقف العلماء من المشاهد والقبور:

لقد اشتد نكير العلماء والفضلاء على ما يحدث في المشاهد والقبور وعلت صيحاتهم وصدقت لهجتهم في التحذير من الشركيات والبدع والمخزيات التي تقوم هناك هذا مع ما يخالطها من اختلاط وإيقاظ شهوات وبذل للأموال في الخزي والعار، قال أبو الوفاء ابن عقيل: «ما كان أحوج الجوامع أن تكون مظلمة من سرجهم منزهة عن معاصيهم وفسقهم»[(١)].

وقال رحمه الله: «أترى بماذا تتحدث عنك سواري المسجد في الظلم، وأفنية القبور والقباب ... غدا يرى أهل الجموع أن المساجد تلعنهم، والمشاهد والمقابر تستغيث منهم»[(٢)].

وقال ابن مفلح: «وإذا كان ذلك في زمنه، فما ظنك بزمننا هذا الذي بينهما نحو ثلاث مئة سنة وما يجري بالشام ومصر والعراق وغيرها من بلاد الإسلام في أيام المواسم من المنكرات؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون»[(٣)].

وأنكر ذلك أئمة الدعوة وعلى رأسهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب كما أنكر العلماء الأجلاء على عباد القبور والمشاهد في شتى أصقاع الأرض.

قال العلامة شكري الألوسي عن عبدة القبور: «ومنهم من يطلب منهم النسل إذا كان عقيماً، والشفاء إذا كان سقيماً، وكثير منهم يطلب منصباً فيه أخذ أموال العباد، والسعي في الأرض بكل فساد، فيجيء إليهم ويلازمهم معتقداً: أن من لازمهم قضيت حاجته، ونجحت سعايته، واقتربت سعادته، وإذا فتحت بيوت قبورهم المذهبة، ورفعت ستور الأبواب المطلية المطروزة، وفاحت تلك الروائح

---

(١) الآداب الشرعية ٣/ ٣٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الآداب الشرعية ٣/ ٣٨٢.

المسكية من الجدران المخلقة، وجد هذا الزائر في فؤاده من الخشية والرهب ما لا يجد أدنى معشار جزء من عشره بين يدي خالق السموات والأرضين وإله جميع العالمين، فيدخل إلى القبر خاشعاً، ذليلاً متواضعاً، لا يخطر في قلبه مثقال ذرة من غير إجلاله، منتظرا فيض كرمه ونواله، فأقسم بالله أنه لم يتصوره بشراً قد وضع بأكفانه في لحده، ولو سلمنا أنه خطرت له وهو عنده تلك الخطرة لتعوذ بالله منها، ووقف عند حده، ويا مصيبة من أنكر عليهم حالهم، ويا شناعة من رد عليهم أمرهم، ويا خسارة من علمهم وأرشدهم، فإن ذلك عندهم قد تنقص حق الأولياء، وهضمهم مرتبتهم من السمو والارتقاء، فبالله عليك أيها الناظر! إلا ما قابلت هذه مع ما ورد عن سيد الأنام ﷺ متأملا كيفية إذنه بعد المنع.

وانظر إلى سبب المنع والإذن، وما علل النبي ﷺ الإذن وجعله في حكم الغاية له والشرط...»[1].

وقال الشمس السلفي: «وقال العلامة الخجندي (١٣٧٩هـ) وشيخ القرآن الفنجفيري (١٤٠٧هـ) والرباطي الملقب بجامع المعقول والمنقول بعد ما ساقوا عدة أحاديث في تحريم بناء القبب والمساجد على القبور ؛ مبينين مفاسد هذا العمل الملعون أهلها: «وكم سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام: ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف: لا عالماً، ولا متعلماً، ولا أميراً، ولا وزيراً، ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه: أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا، وإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ، وأبى واعترف بالحق؛

(١) فتح المنان ص٤٩٢، ٤٩٣.

وهذا من أبين الأدلة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة ؛ فيا علماء الدين ! ويا ملوك المسلمين !

أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟!؟

وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟!؟

وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟!؟

وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا؟ !؟

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في الرماد»[1]

(١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية لشمس الدين السلفي الأفغاني ٣/ ١٦٤. وكلامهم منقول عن المشاهدات المعصومة ص٢٧، ٢٨ والبصائر للفنجفيري ص٤٥٢، ٤٥٣ ط القطرية وعقد اللآليء والدرر للرباطي ص١٠٦، ١٠٧ وأصل هذا الكلام للإمام الشوكاني (١٢٥٥هـ) انظر نيل الأوطار ٤/ ٨٤، ٨٥.

٢٦١- مظاهرة الكفار على المسلمين*

[الولاء والبراء]

قال أبو بكر الرازي: «الظهير: المعين ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤]»(١).

ومظاهرة الكفار على المسلمين يقصد بها أن يكونوا أعوانا لهم وأنصارا على المسلمين ونصرتهم قد تكون بالنفس أو بالمال أو بالقول و البيان أو بميل القلب وحبه لهم ولدينهم وبغضه للمسلمين ويطلق عليها بعض العلماء التولي ويفرقون بينه وبين الموالاة، وسيأتي بيان ذلك في باب (الولاء والبراء).

الأدلة من الكتاب: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣]. وذكر أن المنافقين هم الذين يتولون الكفار قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر:١١]، وقال ﷻ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

* تفسير الطبري ٣/ ١٤٠، تفسير ابن كثير ٢/ ٦٨، ٦٩، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٥٣٠، ٥٣١، مختصر الفتاوى المصرية ص٥٠٨. مجموعة التوحيد ص٣٨، الدرر السنية ص٧/ ٢٠١، ١٠/ ٤٢٣. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ١/ ٤٣، ٤١، ٣٨، ٢/ ١٣٤، ١٣٥، فتاوى ابن باز ١/ ٢٧٢. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٣٥٩. انظر أيضاً المراجع المدرجة في (الولاء والبراء).

(١) مختار الصحاح باب (ظ هـ ر).

قال ابنُ جَريرٍ في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: «ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه، فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمُه حكمَه...»[(١)].

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: «يعاضدهم ويناصرهم على المسلمين فحكمه كحكمهم في الكفر والجزاء وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين»[(٢)].

وقال ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران.٢٨]. قال رحمه الله: «لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ...»[(٣)].

وقال البغوي: «﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، أي معيناً لهم على دينهم، قال مقاتل: وذلك حين دُعي إلى دين آبائه فذكر الله بنعمه، ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه»[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٢١٧
(٣) تفسير الطبري ٦/ ٣١٣.
(٤) تفسير البغوي ٣/ ٤٥٩.

وقال البغوي أيضاً: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ فيوافقهم ويعينهم»[١].

وقال ابن حزم: «فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختارا محاربا لمن يليه من المسلمين، فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها من وجوب القتل عليه، متى قدر عليه، ومن إباحة ماله، وانفساخ نكاحه وغير ذلك لأن رسول الله ﷺ لم يبرأ من مسلم، وأما من فرّ إلى أرض الحرب لظلم خافه، ولم يحارب المسلمين، ولا أعانهم عليه، ولم يجد في المسلمين من يجيره فهذا لا شيء عليه ؛ لأنه مضطر مكره»[٢].

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]، أي عوناً لهم على دينهم، وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه، فأُمر بالاحتراز منهم، والخطاب بهذا وأمثاله له، والمراد أهل دينه لئلا يظاهر الكفار ولا يوافقوهم»[٣].

ويقول ابن تيمية: «فمن قفز منهم إلى التتار كان أحق بالقتال من كثير من التتار، فإن التتار فيهم المكره وغير المكره، وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة»[٤].

ويقول ابن القيم: «إنه سبحانه قد حكم، ولا أحسن من حكمه أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم»[٥].

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مظاهرة الكفار ضد المسلمين ضمن

---

(١) تفسير البغوي ٣/ ٦٨.

(٢) المحلى ١٣/ ١٣٨، ١٣٩.

(٣) زاد المسير ٦/ ٢٥١.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٣٤.

(٥) أحكام أهل الذمة ١/ ٦٧.

نواقض الإسلام فقال:

«الناقض الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة.٥١]»(١).

ومما قاله الشيخ سليمان في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[الحشر.١١] فإذا كان وعد المشركين في السر ـ بالدخول معهم ونصرتهم والخروج معهم إن جَلَوا ـ نفاقا وكفرا وإن كان كذبا، فكيف بمن أظهر لهم ذلك صادقا، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليها، ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفا من الدوائر كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة.٥٢]»(٢).

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ: «التولي كفر يخرج من الملة، وهو كالذب عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي»(٣).

وقال الشيخ حمد بن علي بن عتيق: «إن الأمور التي يصير بها المسلم مرتداً، أمران: الأمر الأول: الشرك. والأمر الثاني: مظاهرة المشركين على دينهم الباطل وطاعتهم في ذلك ولم يستثن من حالات المظاهرة والطاعة إلا حالة واحدة وهي الموافقة لهم في الظاهر ومخالفتهم في الباطن، وذلك إذا كان في سلطانهم مع مباشرة تعذيبهم وتهديدهم له»(٤).

---

(١) مجموعة التوحيد ص٣٨.

(٢) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك ص٥٢.

(٣) الدرر السنية ٧/ ٢٠١.

(٤) مجموعة التوحيد ص٢٨٦.

قال الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري: «والمشايخ رحمهم الله كالشيخ سليمان بن عبدالله، والشيخ عبداللطيف، والشيخ حمد بن عتيق، إذا ذكروا موالاة المشركين فسَّروها بالموافقة والنصرة والمعاونة والرضا بأفعالهم.. هذا هو الذي أوجب كفره، وأما مجرد الاجتماع معهم في المنزل، فإن ذلك بدون إظهار الدين معصية، وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]: «يعني: معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنا معكم»، فهذا هو الذي أوجب كفرهم لا مجرد المخالطة»[١].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة.٩]: «وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما، كان ذلك كفرا مخرجا من دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب، ما هو غليظ، وما هو دونه»[٢].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز عن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام أنهم: «كفار ضلال، أكفر من اليهود والنصارى، لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... وكل من ساعدهم على ضلالهم، وحسّن ما يدعون إليه، وذم دعاة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة التي سار في ركابها وأيدها في طلبها، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم كما قال الله سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

(١) الدرر السنية ٩/ ١٥٨.

(٢) تفسير كلام المنان ٧/ ٣٥٧، وانظر ٢/ ٣٠٤.

نَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة.٥١]»[١].

*** الفرق بين مظاهرة الكفار والاستعانة بهم:**

الفرق في ذلك كبير فالمظاهرة كفر مخرج من الملة وأما الاستعانة بهم ففي النهي عنها خلاف.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الناس قد يظن أن الاستعانة بأهل الشرك تعتبر موالاة لهم، وليس الأمر كذلك، فالاستعانة شيء والموالاة شيء آخر. فلم يكن النبي ﷺ حين استعان بالمطعم بن عدي، أو بعبدالله بن أريقط، أو بيهود خيبر موالياً لأهل الشرك، ولا متخذاً لهم بطانة، وإنما فعل ذلك للحاجة إليهم واستخدامهم في أمور تنفع المسلمين ولا تضرهم. وهكذا بعثه المهاجرين من مكة إلى بلاد الحبشة ليس ذلك موالاة للنصارى، وإنما فعل ذلك لمصلحة المسلمين، وتخفيف الشر عنهم. فيجب على المسلم أن يفرق ما فرق الله بينه، وأن ينزل الأدلة منازلها، والله سبحانه هو الموفق والهادي لا إله غيره ولا رب سواه»[٢].

٢٦٢- الملائكة الكرام*

من أصول الإيمان. انظر باب (الإيمان بالملائكة).

٢٦٣- المعجزة

انظر باب (الكرامة).

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٣/ ٩٩٤، ٩٩٥.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات ٧/ ٣٦٤.

* القول السديد من المجموعة ٣/ ٢٤.

٢٦٤- ملك الأملاك

انظر باب (قاضي القضاة).

٢٦٥- منـاة

اسم صنم كانت على ساحل البحر بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت الأوس والخزرج وخزاعة في الجاهلية يعظمونها انظر باب (صنم).

٢٦٦- الموالاة والمعاداة

انظر باب: «الولاء و البراء».

٢٦٧- الميثاق*

اختلف العلماء حول المقصود بالميثاق فقيل: هو ما أخذ عليهم وهم في ظهور آبائهم من الإقرار بالتوحيد، كما دلت على ذلك الأحاديث.

وقيل: المقصود بالميثاق ما فطرهم الله ﷻ به من التوحيد. قال ابن كثير رحمه الله: «وذهب طائفة من السلف والخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة...»»[(١)].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة.

الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حيث أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين ـ رحمهم الله ـ في هذه الآيات وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

---

* التوحيد لابن منده ص٧٣. تفسير البغوي ٢٥/ ٣٠٧. تفسير الخازن ٢/ ٣١٠، ٣١١. تفسير الشوكاني فتح القدير ٢/ ٢٦٣. لوامع الأنوار ص٤٥. فتح البيان لصديق حسن خان ٣/ ٤٥٣. زاد المسير ٣/ ٨٤. القرطبي ٣/ ٧٥٠. البحر المحيط ٤/ ٤٢٠. تفسير أبوالسعود ٢/ ٤٣٠. أضواء البيان ٢/ ٢١٠. النسفي ٢/ ٨٥. الألوسي ٣/ ١٥٤. شفاء العليل لابن القيم ص٢٦-٢٧. ط. دار التراث. لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٤٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٣٩٤. معارج القبول ١/ ٢٧٧، ٢/ ٤١. دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص٧٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص٢٨٣. عقيدة الإمام ابن عبدالبر للغصن ص٤٣٣، ٤٤٧.

(١) تفسير ابن كثير لسورة الأعراف الآية رقم ١٧٢.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالىٰ فطرهم شادين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٣٠] الآية وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع رضي الله عنهم وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرها.

الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتاب تجديداً للميثاق الأول وتذكيراً به قال تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]»[١].

*الدليل من الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

وفي قوله تعالىٰ ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك وهو سبحانه إنما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم، فلو أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجة عليهم بالرسل لأهلكهم بما فعل المبطلون، أو أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرىٰ بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار»[٢].

---

(١) معارج القبول ١/ ٤٨.

(٢) الروح لابن القيم ص١٦٨.

وبه تعلم أن العذاب لا يكون إلا على من قامت عليه الحجة الرسالية، وقد تقدم في باب أهل الفترة أن الله ﷻ لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل[(١)].

قال شيخنا عبدالرحمن البراك عن الميثاق: «ليس حجة وحده ولا يستوجب من خالفه بمجرده العذاب إنما يستوجب العذاب من جاءته الرسل وبلغته دعوة الحق»[(٢)].

(١) انظر الموافقات ٣/ ٣٧٧، الجواب الصحيح ١/ ٣١٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٩.

٢٦٨- النبوة *

النبي: مشتق من النبأ بمعنى الخبر، فإن كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحى الله إليه فهو فعيل بمعنى فاعل، وإن كان المراد أن الله يخبره بما يوحي إليه، فهو فعيل بمعنى مفعول، وعلى المراد الأول قال ابن الأثير: «النبي: فعيل بمعنى فاعل للمبالغة، من النبأ: الخبر، لأنه أنبأ عن الله أي أخبر ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه»[١].

ويصح أن يكون مأخوذاً من النّبء بالهمزة وسكون الباء، أو النبوة، أو النّباوة بالواو. وكلها بمعنى الارتفاع والظهور، وذلك لرفعة قدر النبي وظهور شأنه وعلو منزلته[٢]. قال ابن الأثير: «وقيل إن النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع»[٣].

---

* الشريعة للآجري ٣٥٥، ٣٦٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١٠، ١١. لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٤٩. تفسير روح المعاني للألوسي ١٧/ ١٧٢، ١٧٣. قطف الثمر صديق حسن ص٩٥. معارج القبول ٢/ ٣٦٤. مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص٣٣. نور على الدرب ص١١١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٦٣، ط٢-١/ ٨٣ ومن المجموع ٩/ ٥٦، ٥٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٥/ ٧٣، ٧/ ٢٥٠. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٢٨٩. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ص٥٦٤. منهج الشافعي في إثبات العقيدة ص٤٠١، ٤٠٨. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٤٦٥. علم التوحيد د الربيعة ص٩١، ٩٣. التبرك د. ناصر الجديع ص٥٥، ٧٠. الجيلاني وآراؤه الاعتقادية ص٢٩٥. نواقض الإيمان القولية والعملية ١٨٤. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٤٠٧. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٢٥٧. الشيخ السعدي وجهوده في توضيح العقيدة للعباد ص٢٠١. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٣٣١.

(١) النهاية (ن ب أ).

(٢) انظر: مذكرة التوحيد ص ٣٣، وفتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي ٢/ ٧٩.

(٣) النهاية (ن ب أ).

أحكام وفوائد:

١ - الفرق بين النبي والرسول:

لأهل العلم في الفرق بين النبي والرسول أقوال أهمها:

القول الأول: أن النبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ والرسول من أوحي إليه وأمر بالبلاغ.

قال السفاريني رحمه الله في تعريف النبي: «هو إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور، فبين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً»[١].

وقال ابن أبي العز: «وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، أحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول»[٢].

وسئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: هل هناك فرق بين الرسول والنبي؟ فقال: «نعم، فأهل العلم يقولون: إن النبي هو من أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه بل يعمل به في نفسه دون إلزام بالتبليغ.

والرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه والعمل به. فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والأنبياء أكثر من الرسل، وقد قص الله بعض الرسل في القرآن ولم يقصص البعض الآخر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [غافر:٧٨].

---

(١) لوامع الأنوار البهية ص٤٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٨.

وبناء على هذه الآية يتبين أن كل من ذكر في القرآن من الأنبياء فهو رسول».

فقيل له: كيف لا يؤمر النبي بتبليغ الشرع وقد أوحي إليه؟

فأجاب بقوله: «أوحى الله إلى النبي بالشرع من أجل إحياء الشرع بمعنى أن من رآه واقتدى به واتبعه دون أن يلزم بإبلاغه، ومن ذلك ما حصل لآدم عليه الصلاة والسلام، فإن آدم كان نبياً مكلَّماً كما جاء ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، ومع هذا فليس من الرسل لأنه قد دلت السنة بل دل القرآن، والسنة، وإجماع الأمة على أن أول رسول أرسله الله هو نوح عليه السلام. وآدم لابد أن يكون متعبداً لله بوحي من الله فيكون قد أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ ولهذا لا يعد من الرسل»[1].

القول الثاني: أن الرسول من بعث لقوم مخالفين، والنبي من بعث لقوم موافقين:

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله وقدس روحه ـ: «فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحج.٥٢].. وقوله: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فذكر إرسالا يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته الى من خالف الله كنوح. وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس ـ عليهما السلام ـ وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح

(١) مجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين ١/ ٣١٣-٣١٤

عشرة قرون كلهم على الإسلام، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول.

وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة وقد يُوحىٰ الىٰ أحدهم وحي خاص في قصة معينة ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالِم الذي يُفهمه الله في قضية معنىً يطابق القرآن كما فهَّم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود. فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فإن أُرسلوا الىٰ كفار يدعونهم إلىٰ توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ولا بد أن يكذب الرسل قوم قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]، وقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]، فإن الرسل ترسل إلىٰ مخالفين فيكذبهم بعضهم. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف:١٠٩-١١٠]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، فقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلىٰ قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعلم ولهذا قال النبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[1] وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فإن يوسف كان

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣).

رسولاً وكان علىٰ ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا علىٰ شريعة التوراة...»[(١)].

القول الثالث: الرسول من أوحي إليه بشرع جديد وأمر بالتبليغ والنبي من بعث مجدداً لشرع من قبله من الرسل.

وقال النسفي رحمه الله : «... وسئل النبي ﷺ عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» فقيل: فكم الرسل منهم؟ فقال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر» والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلىٰ المعجزة الكتاب المنزل عليه ـ والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلىٰ شريعة من قبله. وقيل: الرسول واضع شرعٍ، والنبي حافظ شرع غيره»[(٢)].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية يدل علىٰ أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، وهو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلىٰ شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالىٰ بقوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ الآية»[(٣)].

وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله: «والفرق بين النبي والرسول: أن الرسول من بعثه الله إلىٰ قوم، وأنزل عليه كتابا، أو لم ينزل عليه كتابا لكن أوحىٰ إليه بحكم

---

(١) النبوات ٢/ ٧١٤- ٧٢٢.

(٢) تفسير النسفي ٣/ ١٠٨، وقد نقله عن الزمخشري المناوي في فيض القدير ١/ ١٥.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٧٣٥.

لم يكن في شريعة من قبله ؛ والنبي من أمره الله أن يدعو إلىٰ شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتاباً، أو يوحىٰ إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ، وعلىٰ ذلك، فكل رسول نبي ولا عكس ، وقيل: هما مترادفان، والأول أصح»[١].

*** والمختار في تعريف النبي والرسول:**

أن الرسول من أُوحي إليه، وأرسل إلىٰ قوم مخالفين يدعوهم إلىٰ شريعة جديدة، وقد يتبع شريعة من قبله. وأن النبي من أوحي إليه، وبُعث في قوم مؤمنين يدعوهم إلىٰ شرع من قبله، والله تعالىٰ أعلم[٢].

٢ - التفاضل بين الأنبياء والرسل:

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة.٢٥٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء»[٣].

وقال السفاريني: «الرسول أفضل من النبي إجماعا، لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة»[٤].

وقد ثبت أن أولي العزم من الرسل أفضل من غيرهم[٥]، وهم الذين ذكرهم الله تعالىٰ بقوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب.٧]، وقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

---

(١) فتاوىٰ ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي ٢/ ٧٩، مذكرة التوحيد لعبد الرزاق ص٣٣.

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٤٩. التبرك للجديع ٧١، ٧٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧.

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٤٩، ٥٠.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧، وطريق الوصول للسعدي ص٢٩٩.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

وأفضل هؤلاء وغيرهم هو الرسول محمد ﷺ.

٣ - حكم ادعاء النبوة:

من ادعى النبوة بعد الرسول ﷺ أو صدَّق من ادعاها فقد كفر إذ لا نبوة بعده ﷺ ولا رسول. قال ابن قدامة: «من ادعى النبوة، أو صدَّق من ادعاها فقد ارتد؛ لأن مسيلمة لما ادعى النبوة، فصدقه قومه، صاروا بذلك مرتدين، وكذلك طليحة الأسدي ومصدقوه، وقال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا كلهم يزعم أنه رسول الله»»[(١)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم أن من كذب على الله بأن زعم أنه رسول الله أو نبيه، أو أخبر عن الله خبرا كذب فيه كمسيلمة والعنسي ونحوهما من المتنبئين، فإنه كافر حلال الدم»[(٢)].

وقال رحمه الله: «وإن كان المدعي للنبوة كاذبا فهو من أكفر خلق الله وشرهم كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٤]. وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:٦٠]»[(٣)].

وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[يونس:١٧]، يقول تعالى: لا أحد أظلم، ولا أعتى، ولا أشد إجراما ممن افترى على الله كذبا وتقوّل على الله، وزعم

---

(١) المغني ٨/ ١٥٠.

(٢) الصارم المسلول ص ١٤٨.

(٣) الجواب الصحيح ١/ ١٢٧.

أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، فليس أحد أكبر جرما، ولا أعظم ظلما من هذا»[١].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «الفلاح لا ينفي بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر»[٢].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «إن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟»[٣].

وقال ابن تيمية: «معلوم أن مدّعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي ﷺ لما بلّغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام: والله لا أقول لك كلمة، إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك. فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم، وما أحسن قول حسان:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور، واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٩٢.

(٢) أضواء البيان ٤/ ٤٤٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٤٠.

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية ٨٩، وانظر الجواب الصحيح ١/ ٢٩، ٣٠.

ويقول ملا علي قاري: «ودعوىٰ النبوة بعد نبينا ﷺ كفر بالإجماع»[١].

ويقول الألوسي: «وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه، ويقتل إن أصر»[٢].

٤ - فائدة في عدد الأنبياء:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الأنبياء المذكورون في القرآن الكريم هم المذكورون في الأبيات، وهم خمسة وعشرون نبياً:

حتم علىٰ كلِّ ذي التكليف معرفة ... بأنبياء علىٰ التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقىٰ سبعة وهموا

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتموا

وعدُّ ذا الكفل منهم، فيه خلاف مشهور بين العلماء، فقيل رجل صالح وقيل نبي، وتوقف ابن جرير في ذلك. والله أعلم»[٣].

٥ - كيف يجمع بين كون محمد ﷺ خاتم النبيين وبين ماصح به الحديث من نزول عيسىٰ بن مريم في آخر الزمان؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: «**الجواب أن عيسىٰ عليه السلام لا ينزل علىٰ أنه رسول لأن رسالته التي بعث بها كانت سابقة قبل رسالة النبي ﷺ ولأنه إذا نزل فلا يأتي بشرع من عنده ولكنه يجدد شرع النبي ﷺ وبهذا يزول الإشكال بين كون ﷺ خاتم النبيين وبين نزول عيسىٰ بن مريم آخر الزمان**»[٤].

---

(١) شرح الفقه الأكبر ٢٤٤.

(٢) روح المعاني ٢٢/ ٤١.

(٣) المنتقىٰ من فرائد الفوائد ص٨٢.

(٤) شرح حديث جبريل من مجموع فتاوىٰ ابن عثيمين ٣/ ١٦٧.

٢٦٩- الند والأنداد *

[الشرك الأكبر، الشرك الأصغر، الشرك الخفي]

الند هو الشبيه والنظير والله ليس له شبيه ولا نظير كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى.١١].

وقد نهى الله أن يشرك معه أحد غيره سواء في التعظيم أو غيره لأنه وحْدَهُ الخالق الرزاق والأنداد التي تتخذ من دونه عاجزة فقيرة ليس لها من الأمر شيء.

قال ابن الأثير: «الأنداد جمع ند بالكسر وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده: أي يخالفه ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله»[(١)].

وقال ابن القيم: «الند الشبه يقال: فلان ند فلان ونديده أي مثله وشبيهه»[(٢)].

وقال ابن حجر: «الأنداد جمع ند بكسر النون وهو النظير وروى بن أبي حاتم من طريق أبي العالية قال الند العدل ومن طريق الضحاك عن بن عباس قال: الأنداد: الأشباه»[(٣)].

* الدليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة.٢٢].

وقال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ

---

* تيسير العزيز الحميد ص١٢٠، ٤٧١، ٥٩٣. فتح المجيد ص١٠٣، ٣٨١، ٤٨٧، حاشية كتاب التوحيد ابن قاسم ص٥١، ٢٣٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ١٤٨، ٢/ ١٤٠، ٣١٩، ط٢- ١/ ١٤٨، ٢/ ١٧٣، ٣٨٤ ومن المجموع ١٠/ ٦٢٣، ٧٩٢. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٤٢. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٣٩٨.

(١) النهاية (ن د د).

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٢٩ وانظر فتح المجيد ١٠٣.

(٣) فتح الباري ٨/ ١٦٣.

ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال ﷻ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم:٣٠].

وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ:٣٣].

وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر:٨].

* **الدليل من السنة:** عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال «أن تزاني حليلة جارك»[(١)].

وعن عبد الله قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار، ومن مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة»[(٢)].

وفي حديث ضمام بن ثعلبة الذي وفد إلى رسول الله ﷺ قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللهم نعم...» الحديث»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧) (٤٧٦١)، (٦٠٠١)، ومسلم (٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٨، ٤٤٩٧، ٦٦٨٣)، ومسلم (٩٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٨٠).

واتخاذ الأنداد على قسمين:

قد يكون شركا أكبر وقد يكون شركاً أصغر

قال الشيخ سليمان بن عبد الله : «واعلم أن دعاء الند قسمين: أكبر وأصغر فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو الشرك الأكبر. والأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك»(١).

أولاً: شرك أكبر كما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً».

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢] أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من التوحيد هو الحق الذي لاشك فيه، وهكذا قال قتادة»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾ الآيات[الأعراف: ١٩١] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئاً من الأمر ولا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تنتصر لعبادها، بل هي جماد لا تتحرك، ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم»(٣).

وفي قوله ﷺ : «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «أي: من مات وهو يدعو لله ندا، أي: يجعل لله ندا فيما يختص به تعالى ويستحقه من الربوبية والإلهية دخل النار، لأنه مشرك، فإن الله

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٢٠.

(٢) تفسير الطبري ١/ ١٦٤، تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٦٢، تفسير ابن كثير ١/ ٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٧٧

تعالىٰ هو المستحق للعبادة لذاته، لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه، وتفزع إليه عند الشدائد، وما سواه فهو مفتقر إليه مقهور بالعبودية له تجري عليه أقداره وأحكامه طوعاً وكرهاً، فكيف يصلح أن يكون ندا؟ قال الله تعالىٰ ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾[الزخرف:١٦]وقال: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[مريم:٩٣-٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[فاطر:١٦]فبطل أن يكون له نديد من خلقه، تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[المؤمنون: ٩٣،٩٤]»[١].

ثانياً: وقد يكون شركا أصغر:

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي. وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا. هذا كله به شرك»[٢].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «إن هذه الأمور من الشرك خفية في الناس لا

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٦٢ (٢٢٩). وما ذكره ابن عباس أمثلة لاتخاذ الأنداد لأن لفظ الآية يشملها وإن كانت نازلة في الشرك الأكبر. فالسلف يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

يكاد يتفطن لها ولا يعرفها إلا القليل وضرب المثل لخفائها بما هو أخفى شيء وهو أثر النمل فإنه خفي، فكيف إذا كان على صفاة؟ فكيف إذا كانت سوداء، فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟ وهذا يدل على شدة خفائه على من يدعي الإسلام، وعسر التخلص منه، ولهذا جاء في حديث أبي موسى قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل»، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه» رواه أحمد والطبراني»[(١)].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٩٤.

٢٧٠- النذر *

النذر في اللغة: «التزام خير أو شر»[١].

قال في اللسان: «نذرتُ وأنذِرُ وأنذرُ نذراً إذا أوجبت على نفسك شيئاً تبرعاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك»[٢].

والنذر في الشرع: التزام المكلف شيئاً لم يكن عليه منجزاً أو معلقاً[٣].

وقال في أنيس الفقهاء: «النذر: إيجاب عين الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله تعالى»[٤].

---

* الاستذكار لابن عبد البر ١٥/ ٤٨، ٥٨. التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٦٤، ٦/ ٩٠، ٩٨، ٩/ ٣٠. شرح السنة للبغوي ١٠/ ٢٠، ٣٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٣٢، ١٩/ ١٢٧، ١٢٨. المحلى بالآثار لابن حزم ٤ /٤٢٨، ٦/ ٢٤٧، ٢٧٠. اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٥. مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٥/ ٣٤٥، ١١/ ٥٠٤، ٥٠٥، ٣٣/ ١٢٥، ١٢٦، ٢٧/ ٧٧، ٧٩. تيسير العزيز الحميد ص٢٠٣. فتح المجيد ص١٨١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٠٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٣٦، ط٢-١/ ٣١٦ ومن المجموع ٩/ ٢٣٩،٢٢٩. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٢. الدرر السنية ١/ ٣٠١، ٧/ ٥١٥، ٥٢٥، ١٠/ ٢١، ١٢/ ٩٢. قطف الثمر صديق حسن ص١١٥. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٢٠٦، ٢٦٢. معارج القبول ١/ ٣٣٦. فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ١١٠. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٥٤. نور على الدرب ابن باز ١٧٤، ١٧٥، ٢٩٠. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٢٨. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٨٢، ٢٨٥. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص١٥٤٥، ١٥٦٨. النذر لمصطفى الصياصفة.

(١) عمدة القاري ٢٣/ ٢٠٤.

(٢) لسان العرب (ن ذ ر).

(٣) عمدة القاري ٢٣/ ٢٠٤.

(٤) أنيس الفقهاء ص٣٠١.

وقد ذكر الشيخ ابن جبرين أن أئمة الدعوة عرَّفوا النذر بأنه: «إلزام المكلف نفسه تعظيماً لمن نذر له». وعلق على ذلك بقوله: «وقولهم: تعظيماً لمن نذر له. ظاهر في النذر أنه لا ينذر إلا لمن يعظمه»[1].

* **الدليل من الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة.٢٧٠]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج.٢٩] وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان.٧].

الدليل من السنـة: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[2].

أحكام وفوائد:

١ - النذر عبادة:

النذر عبادة كالحلف والذبح وسائر العبادات يجب إخلاصها لله. قال ابن سعدي رحمه الله: «كل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة»[3].

والنذر لغير الله شرك لكونه متضمنا التعظيم للمنذور له والتقرب إليه بذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ الآية. قال الشيخ ابن باز: «دل ذلك على أن النذر عبادة حيث قرنه بالنفقات والنفقة عبادة إذا كانت لوجه الله كالصدقات على الفقراء والمساكين فإذا نذر وتصدق بشيء للقبر

---

(١) فوائد من دروس الشيخ ابن جبرين على شرح كتاب التوحيد للسدحان ٣٧ وقد ذكر تعريف أئمة الدعوة السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦)(٦٧٠٠).

(٣) القول السديد ص٥٠.

أو لبنائه أو لآلهة معينة صار هذا شركا أكبر بالله»[١].

وقال الشيخ ابن جبرين: «النذر لله تعالى عبادة لكن هل يشرع؟ الصحيح أنه غير مشروع»[٢].

فالنذر فيه تعظيم لمن نذر له فهو عبادة سواء أكان نذر طاعة أم كان نذر معصية، وسواء كان نذراً مطلقاً أم نذراً مقيداً، قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ: «إذا أطلقنا القول بأن: النذرة عبادة، فهل يدخل في هذا الإطلاق النَّذرُ المقيَّد؟.

والجواب: أن النذر المقيد له جهتان: الأولى وفاؤه بالنذر الذي ألزم نفسه به فإنه يكون بذلك قد تعبَّد الله عبادةً من هذه الجهة ـ فيما يظهر ـ.

الجهة الثانية: جهة الكراهة المتعلقة بهذا النذر المقيّد، وهي إنما جاءت لصفة الاعتقاد لا لصفة أصل العبادة، فإنه في النذر المقيد إذا قال: إن كان كذا وكذا فلله عليَّ كذا وكذا، كانت الكراهة راجعة إلى ذلك التقييد، لا إلى أصل النذر، دلَّ على ذلك: التعليل، حيث قال: «فإنما يستخرج به من البخيل». فلا إشكال إذاً، فالنذر عبادة من العبادات العظيمة»[٣].

٢ - حكم الابتداء بالنذر:

عن سَعِيد بْن الْحَارِثِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَوَلَمْ يُنْهَوْا عَنْ النَّذْرِ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّذْرَ لا يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلا يُؤَخِّرُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنْ الْبَخِيلِ»[٤].

(١) من شرح الشيخ على كتاب التوحيد ١٦٠.

(٢) فوائد من دروس الشيخ ابن جبرين على شرح كتاب التوحيد للسدحان ص٣٧.

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص١٦٠.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٩٢)، ومسلم (١٦٣٩).

وفِي رِوَايَة عَبْد اللهِ بْن مُرَّة «لا يَرُدّ شَيْئًا»[١]. قال ابن حجر: «وَهِيَ أَعَمُّ»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى النبي ﷺ عن النذر[٣].

وفي لفظ لمسلم قال أخذ رسول الله ﷺ يوما ينهانا عن النذر ويقول: «إنه لا يرد شيئاً وإنما يستخرج به من الشحيح»[٤].

وَجَاءَ النص بِصِيغَةِ النَّهْي الصَّرِيحَة في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل»[٥].

وفِي حَدِيث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قدرته ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله به من البخيل فيؤتيني عليه ما لم يكن يؤتيني عليه من قبل»[٦].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه الأحاديث وألفاظها، ثم ذكر رحمه الله أن فيها إشارة إلى تعليل النهي عن النذر وأن كثيراً من المالكية وأكثر الشافعية على أن النذر مكروه لثبوت النهي عنه، ثم قال: واحتجوا بأنه ليس طاعة محضة لأنه لم يقصد به خالص القربة وإنما قصد أن ينفع نفسه أو يدفع عنها ضرراً بما التزمه. وجزم الحنابلة بالكراهة، وعندهم رواية في أنها كراهة تحريم وتوقف بعضهم في صحتها»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٢)، ومسلم (١٦٣٩).

(٢) فتح الباري١١/ ٥٧٦.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٤٠).

(٦) أخرجه البخاري (٦٦٩٤).

(٧) فتح الباري ١١/ ٥٧٦-٥٧٨

قال شيخ الإسلام: «وأصل عقد النذر منهي عنه»[١]. وقال في جامع الرسائل: «وأما النذر لها[٢] فينبغي أن يعلم أن أصل النذر مكروه منهي عنه بلا نزاع أعلمه بين الأئمة»[٣].

وبعض العلماء يميل إلىٰ استحباب النذر[٤].

ولعل القائل باستحبابه نظر إلىٰ ما يؤول إليه عند الوفاء به، فقد ذكر الحافظ في الفتح نقلاً عن القاضي حسين المتولي والغزالي أنه مستحب ؛ لأن الله أثنىٰ علىٰ من وفَّىٰ به، ولأنه وسيلة إلىٰ القربة[٥].

وقال الحافظ في الفتح: «وإني لأتعجب ممن انطلق لسانه بأنه ليس بمكروه مع ثبوت الصريح عنه فأقل درجاته أن يكون مكروهاً كراهة تنزيه»[٦].

وقال الصنعاني: «القول بتحريم النذر هو الذي دلّ عليه الحديث، ويزيده تأكيداً تعليله بأنه لا يأتي بخير، فإنه يصير إخراج المال فيه من باب إضاعة المال، وإضاعة المال محرمة»[٧].

قال الشيخ الألباني في حديث: «ولكنه شيء استخرج به من البخيل»: «دل الحديث بمجموع ألفاظه أن النذر لا يشرع عقده بل هو مكروه وظاهر النهي في بعض طرقه أنه حرام، وقد قال به قوم، إلا أن قوله: «استخرج به من البخيل» يشعر أن الكراهة والحرمة خاصة بنذر المجازاة أو المعاوضة دون نذر التبرر فهو قربة

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٥٠٥.

(٢) الكلام كان في سياق القبور وزيارتها الشرعية والبدعية.

(٣) جامع المسائل المجموعة الثالثة ص١٢٨.

(٤) عمدة القاري ١٣/ ٢٠٦، ٢٠٨.

(٥) فتح الباري ١١/ ٥٨٦.

(٦) فتح الباري ١١/ ٥٧٨.

(٧) سبل السلام ٤/ ١١١.

محضة وهو فوق ثواب التطوع وهذا النذر هو المراد، والله أعلم بقوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ دون الأول، قال الحافظ في الفتح (١١/ ٥٠٠): وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ قال: كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة ومما افترض عليهم فسماهم الله أبراراً[1]، وهذا صريح في أن الثناء وقع من غير نذر المجازاة»[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والنذر في الأصل مكروه بل إن بعض أهل العلم يميل إلىٰ تحريمه لأن النَّبي ﷺ نهىٰ عنه وقال: «لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل»، ولأنه إلزام لنفس الإنسان مما جعله الله في حل منه وفي ذلك زيادة تكليف علىٰ نفسه.

ولأن الغالب أن الذي ينذر يندم، وتجده يسأل العلماء يمينا وشمالا يريد الخلاص مما نذر لثقله ومشقته عليه، ولاسيما ما يفعله بعض العامة إذا مرض أو تأخر له حاجة يريدها تجده ينذر كأنه يقول: إن الله لا ينعم عليه بجلب خير أو دفع الضرر إلا بهذا النذر»[3].

وقال بعد ذلك: «وبعض العلماء يحرمه وإليه يميل شيخ الإسلام ابن تيمية للنهي عنه ولأنك تلزم نفسك بأمر أنت في عافية منه ...»[4]. وهذا النهي من رسول الله ﷺ بقوله: «إنما يستخرج به من البخيل»[5] ينصرف إلىٰ النذر المقيد.

---

(١) انظر تفسر الطبري ٢٩/ ١٢٩.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٤٧.

(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٢٢٩، ٢٣٠. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٢٣٦. وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٨٢.

(٤) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٢٤٢. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٢٤٩. وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٣/ ٢٨٢.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٠٨) (٦٦٩٢) (٦٦٩٣).

والنذر المقيد حقيقته: أن يلزم العبد نفسه بطاعة لله جل وعلا مقابل شيء يحدثه الله جل وعلا له ويقدِّره، ويقضيه له، كأن يقول مثلاً: إن شفى الله مريضي فلله عليَّ نذرٌ بأن أتصدق بكذا وكذا، أو إن نجحت فسأصلي ليلة، أو إن عُيِّنت في هذه الوظيفة فسأصوم أسبوعاً، ونحو ذلك، فهذا كأنه يشترط بهذا النذر على الله جل وعلا فيقول: يا رب، إن أعطيتني كذا: صمتُ لك، وإن أنجحتني صليت، أو تصدقتُ، وإن شفيتَ مريضي فعلت كذا وكذا، يعني: مقابلةً للفعل بالفعل، وهذا هو الذي وصفه النبي عليه السلام والسلام بقوله: «إنما يُستخرَجُ به من البخيل»؛ لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يُقاضَى عليها، فصار بما أعطاه الله من النعمة أو بما دفع عنه من النقمة كأنه في حِسِّ ذلك الناذر قد أعطي الأجر، وأعطي ثمن تلك العبادة[1].

قال في شفاء الصدور: «فقد نهى الصادق المصدوق المبلغ عن الله تعالى عن النذر وأخبر أنه لا يأتي بخير وأنه ليس من الأسباب الجالبة لخير أو الدافعة لشر أصلا وإنما يوافق القدر موافقة كما يوافقه سائر الأسباب التي ليست بمشروعة فيخرج البخيل حينئذ ما لم يكن يخرجه من قبل ذلك.

فإذا كان نذر الطاعات لله المعلقة بشرط لا فائدة فيه ولا يأتي بخير فما الظن بالنذر لما لا يضر ولا ينفع.

هذا وقد صار الناذرون يقول أحدهم: مرضت فنذرت ويقول الآخر: ركبت البحر فنذرت، ويقول الآخر: حبست فنذرت، ويقول الآخر: أصابتني فاقة فنذرت، وقد قام بنفوسهم أن هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم وقد أخبر الصادق المصدوق أن نذر الطاعة لله فضلا عن معصية ليس سببا لخير وإنما

(١) التمهيد لشرح الكتاب التوحيد ص١٥٩.

الخير الذي يحصل للناذر موافقة قدر. كموافقة سائر الأسباب»[١].

ومن ظن أنه لا تحصل حاجة من حاجاته إلا بالنذر فإنه اعتقاد محرم لأنه ظن أن الله لا يعطي إلا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله وسوء اعتقاد فيه ﷻ، بل هو المتفضل المنعم على خلقه[٢].

نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي قوله: «وقد ينضمُّ إلى هذا اعتقاد جاهل يظن أن النذر يوجب حصول ذلك الغرض، أو أن الله يفعل معه ذلك الغرض لأجل ذلك النذر، وإليهما الإشارة بقوله في الحديث أيضاً «فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئاً» والحالة الأولى تقارب الكفر، والثانية خطأ صريح.

قلت[٣]: بل تقرب من الكفر أيضاً»[٤].

ونخرج بأقوال أهل العلم أن النذر له تعلقان:

الأول: من جهة صرفه للمنذور له تعظيماً فيطلق عليه من هذه الجهة عبادة يجب أن تصرف لله وحده.

الثاني: من جهة إلزام نفس الإنسان ما جعله الله في حل منه وفي ذلك زيادة تكليف على نفسه فيطلق عليه من هذه الجهة مكروه. ومع ذلك فإنه إذا صاحب هذا النذر اعتقاد أو ظن أن النذر يرد القدر أويمنع من حصول المقدر أو ما شابه ذلك فإنه يزاد على كراهة النذر تحريم ذلك الاعتقاد فيجتمع في حقه الكراهة والتحريم، والله أعلم.

---

(١) شفاء الصدور ٦٦، ٦٧.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص١٦٠.

(٣) القائل هو الحافظ ابن حجر

(٤) فتح الباري ١١/ ٥٧٩.

٣ - فائدة:

قال الشيخ السعدي رحمه الله: «باب النذر مخالف للأصل الذي هو أن الوسائل لها أحكام المقاصد، والنذر عقده مكروه، وهو الوسيلة والوفاء به واجب، وهو المقصود، فالشارع نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير» وأمر بالوفاء به، ومدح الموفين، والسبب ظاهر؛ فإن إيجاب الإنسان على نفسه شيئاً من العبادات التي عافاه الله من وجوبها تعرض للبلاء وتعرض للمعصية، والإنسان ينبغي له أن يسعى في أسباب العافية الدينية والدنيوية من كل وجه، فإذا نذر؛ فقد حمل نفسه شيئاً من العبادات التي عافاه الله من وجوبها تعرض للبلاء وتعرض للمعصية، والإنسان ينبغي له أن يسعى في أسباب العافية الدينية والدنيوية من كل وجه، فإذا نذر فقد حمّل نفسه أمراً لا يدري هل يطيقه أم لا، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن العبادة لله لا تتم ولا تكمل إلا بالإخلاص التام لله والنذر فيه إخلال من الإخلاص ونقص، فإنه إذا قال العبد: لله عليّ نذر إن شفاني أو شفى مريضي أو أعطاني الشيء الفلاني؛ لأفعلن كذا وكذا من العبادات، ثم حصل له، كان ذلك يشبه المعاوضة والمقابلة، وأنه لم يفعل العبادة التي عينها إلا بالشرط الذي علقها عليه، والإخلاص المحض أن يكون الداعي والحامل للعمل وجه الله خالصاً، لا جزاء عاجل.

ومن جهة أخرى أن الناذر جزم على الفعل ولم يعلقه بالمشيئة، وهو من هذا الوجه يشبه المتألّي على الله.

ومن جهة أخرى كثير من الناس يظن أن النذر سبب لحصول الأمر المنذور، وهذا كذب بنص الشارع، حيث قال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»؛ فهو ليس من الأسباب التي نصبها الشارع لحصول مسبباتها، وفي قوله:

«وإنما يستخرج به من البخيل» إشارة إلى ضعف إخلاص الإنسان، فإن البخيل الذي لا داعي قوي عنده من الإيمان يقضي على بخله، وإنما يستخرج منه بمثل النذر ونحوه؛ فكأن خيره الذي فيه خير ناقص ردي.

فبهذه الأسباب صار عقد النذر مكروهاً والوفاء به واجباً»[١].

٤ - أقسام النذر:

ينقسم النذر إلى قسمين: نذر لله، ونذر لغير الله.

القسم الأول: النذر لله وله أقسام:

١ـ **نذر الطاعة** ويجب الوفاء به عند الجمهور لمن قدر عليه لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه»[٢] ومثاله نذر الصلاة والصوم والحج والعمرة وصلة الأرحام.

٢ـ **نذر المعصية** كالزنا وشرب الخمر ونحوه فلا يجوز الوفاء به لقوله ﷺ: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[٣]، وقوله: «لا وفاء لنذر في معصية»[٤]، ولكن يجب عليه أن يكفِّر عن نذره بكفارة يمين لقوله في حديث عائشة رضي الله عنها: «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين»[٥].

وللإمام أحمد في وجوب الكفارة روايتان، أشهرها الوجوب، قال شيخ الإسلام: «وهو ظاهر مذهب أحمد»[٦]. وقال الأئمة الثلاثة بعدم وجوب الكفارة.

وقال النووي رحمه الله: «ولا تلزمه كفارة يمين ولا غيرها وبهذا قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وداود وجمهور العلماء وقال أحمد تجب فيه كفارة اليمين

---

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد ص١٤٩-١٥٠.

(٢) أخرج البخاري (٦٦٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٦٤١).

(٥) أخرجه أبوداود (٣٢٩٢) والترمذي (١٥٢٥).

(٦) جامع المسائل المجموعة الثالثة ص١٢٩.

للحديث المروي عن عمران بن حصين ﷺ وعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين»[(١)].

ورجح شيخنا عبد العزيز بن باز ﷺ وجوب الكفارة فيها[(٢)].

واختاره أيضاً الشيخ ابن عثيمين ﷺ[(٣)]، وابن جبرين[(٤)]. والله أعلم.

٣ ـ **النذر المباح** مثل: لو نذر أن يلبس هذا الثوب فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه وكفّر كفّارة يمين[(٥)].

٤ ـ **النذر الذي لم يسم**، كأن ينذر الإنسان بدون أن يذكر شيئا معيناً، كأن يقول: «علي نذر إن شفى الله مريضي» ولم يُسمّ شيئاً فعليه كفارة يمين، لحديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين»[(٦)].

٥ ـ **نذر اللجاج والغضب** وسمي بهذا الاسم لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالباً وليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب وهو كل نذر يخرج مخرج اليمين للحث على فعل شيء، أو المنع أو التصديق أو التكذيب مثل لو قال: حصل اليوم كذا وكذا فقال الآخر: لم يحصل فقال: وإن كان حاصلا فعلي لله نذر أن أصوم سنة، فالغرض من هذا النذر التكذيب فإذا تبين أنه حاصل فالناذر مخير[(٧)] بين أن يصوم سنة وبين أن يكفر كفارة يمين لأنه إن صام فقد وفّى بنذره

(١) شرح مسلم ٧/ ١١٣، ١١٥. وانظر: مجموع الفتاوى ٢١/ ٥٠٤، الاقتضاء ٣١٥، المغني ١/ ٥، والمجموع شرح المهذب ٨/ ٤٥٧.

(٢) من شرحه على كتاب التوحيد.

(٣) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٢٣٩،٢٣٤. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٢٤١، ٢٤٥.

(٤) فوائد من دروس الشيخ ابن جبرين على شرح كتاب التوحيد للسدحان ٣٦.

(٥) مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٩/ ٢٣٢. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٢٣٩.

(٦) أخرجه الترمذي (١٥٢٨).

(٧) انظر قول النووي في شرحه على مسلم ١١/ ١٠٤ حيث قال في هذه المسألة: «فهو بالخيار، بين كفارة يمين وبين ما التزمه».

وإن لم يصم حنث والحانث في اليمين يكفّر كفارة يمين، فقد جاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين»(١).

قال ابن تيمية رحمه الله: «موجب نذر اللجاج والغضب عندنا أحد شيئين على المشهور، إما التكفير، وإما فعلُ المعلّق، فإذا لم يلتزم الوجوب المعلَّق، ثبت وجوب الكفارة»(٢).

٦ ـ **المكروه**: كأن ينذر طلاق زوجته(٣). أو نذر ترك التطوع(٤).

قال في الروض المربع: «وإن نذر مكروها من طلاق أو غيره استحب له أن يكفر كفارة يمين ولا يفعله»(٥).

القسم الثاني: النذر لغير الله كالنذر للموتى، والقبور، والأشجار وهذا فيه صرف عبادة لغير الله عز وجل ويسمى النذر الشركي فالنذر لغير الله لا ينعقد إطلاقا ولا تجب فيه كفارة بل هو شرك أكبر يجب التوبة منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا يجوز أن ينذر أحد إلا طاعة، ولا يجوز أن ينذرها إلا لله فمن نذر لغير الله فهو مشرك كمن صام لغير الله وسجد لغير الله»(٦).

وقال أيضاً رحمه الله: «وأما ما نذره لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك، فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ولا كفارة، فإن كليهما شرك، والشرك ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ويقول ما قال

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠١٢٩) (٢٠١٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٠٥، وانظر ٢٣/ ٣٦، وشرح مسلم للنووي ١١/ ١٠٤.

(٣) الروض مع الحاشية ٧/ ٤٩٩.

(٤) عمدة القاري ٣/ ٢٠٨.

(٥) الروض مع الحاشية ٧/ ٤٩٩.

(٦) منهاج السنة ٢/ ٤٤٠.

النبي ﷺ حيث قال: «من حلف باللات والعزىٰ فليقل لا إله إلا الله»»[١].

وقال أيضاً: «والنذر للمخلوقات أعظم من الحلف بها، فمن نذر لمخلوق لم ينعقد نذره ولا وفاء عليه باتفاق العلماء: مثل من ينذر لميت من الأنبياء والمشائخ وغيرهم... وإنما يوفىٰ بالنذر إذا كان لله ﷻ، وكان طاعة؛ فإن النذر لا يجوز إلا إذا كان عبادة، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما شرع. فمن نذر لغير الله فهو مشرك أعظم من شرك الحلف بغير الله، وهو كالسجود لغير الله»[٢].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وإن نذر ما ليس بطاعة مثل النذر لبعض المقابر والمشاهد وغيرها زيتا أو شمعا أو نفقة أو غير ذلك فهذا نذر معصية، وهو شبيه من بعض الوجوه النذر للأوثان ؛ كاللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ: فهذا لا يجوز الوفاء به بالاتفاق»[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فما أسرع أهل الشرك إلىٰ اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر، أي: تقبل العبادة من دون الله تعالىٰ، فإن النذر عبادة وقربة، يتقرب بها الناذر إلىٰ المنذور له»[٤].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «إذا ثبت كون النذر عبادة لله فصرفه إلىٰ غيره شرك»[٥].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وهذه قاعدة في توحيد العبادة، فأي فعل كان عبادة فصرفه لغير الله شرك»[٦].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٠٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٣٣/ ١٢٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٣٥/ ٢٥٤.

(٤) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٢.

(٥) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب بشرح الشيخ ابن عثيمين ١/ ٢٥٠.

(٦) مجموع الفتاوىٰ لابن عثيمين ٩/ ٢٤٣. وانظر: القول المفيد لابن عثيمين ط١-١/ ٢٥٠.

وجاء في كتاب الانتصار لأبابطين: «وقال الشيخ صُنع الله الحنفي في الرد على من أجاز النذر والذبح للأولياء، وأثبت الأجر في ذلك: «فهذا الذبح والنذر، إن كان على اسم فلان وفلان، لغير الله فيكون باطلا. وفي التنزيل ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[الأنعام.١٢١]، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام.١٦٢-١٦٣]. أي: صلاتي وذبحي لله، كما فسر به قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر.٢]. قال: والنذر لغير الله إشراك مع الله. إلى أن قال: والنذر لغير الله كالذبح لغيره.

وقال الفقهاء: خمسة لغير الله شرك: الركوع، والسجود، والذبح، والنذر، واليمين.

قال: والحاصل أن النذر لغير الله فجور، فمن أين تحصل لهم الأجور!.

وقال ابن النحاس في كتاب الكبائر: «ومنها إيقاد السرج عند الأحجار والأشجار، والعيون والآبار، ويقولون: إنها تقبل النذر!! وهذه كلها بدع ومنكرات قبيحة، تجب إزالتها ومحو أثرها ؛ فإن أكثر الجهال يعتقدون أنها تنفع وتضر، وتجلب وتدفع، وتشفي المرضى، وترد الغائب إذا نذر لها. وهذا شرك ومحادة لله ورسوله»[1]»[2].

وفي الانتصار أيضاً: «قال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار: «النذر الذي ينذره أكثر العوام، على ما هو مشاهد الآن: كأن يكون لإنسان غائب أو مريض، أو له حاجة ضرورية، فيأتي إلى قبر بعض الصلحاء، ويجعل على رأسه سترة، ويقول: يا سيدي فلان! إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي، أو قضيت

---

(١) تنبيه الغافلين للنحاس ٤٠٣.

(٢) الانتصار لأبابطين ٧٦، وانظر: تيسير العزيز الحميد ٢٠٦.

حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا. فهذا باطل بالإجماع لوجوه منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز ؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك.

ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر. إلى أن قال: إذا علمت ذلك فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليهم، فحرام بإجماع المسلمين»[(١)].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في التيسير: «وقد نص غير واحد من العلماء على أن النذر لغير الله شرك»[(٢)].

وقال أيضاً رحمه الله: «إذا علمت ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور وأشباههم لمن يعتقدون فيه نفعا أو ضرا فيتقرب إليه بالنذر، ليقضي حاجته أو ليشفع له. كل ذلك شرك في العبادة، وهو شبيه بما ذكر الله عن المشركين في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦]».

قالت اللجنة الدائمة للإفتاء: «من اعتقد من المكلفين المسلمين جواز النذر والذبح للمقبورين فاعتقاده هذا شرك أكبر مخرج من الملة يستتاب صاحبه ثلاثة أيام ويضيق عليه فإن تاب وإلا قتل»[(٣)].

---

(١) الانتصار ٧٤، ٧٥، وانظر: تيسير العزيز الحميد ٢٠٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٠٤.

(٣) فتاوىٰ اللجنة ص١١٠.

٢٧١- النسك *

[الذبح، العبادة]

قال ابن الأثير: «المنسِك: المذبح. وقد نسك ينسك نسكا إذا ذبح. والنسيكة الذبيحة، وجمعها نُسُك.

والنُسْك والنُسُك أيضاً: الطاعة والعبادة وكل تُقُرِّب به إلى الله تعالى.

والنُّسْك: ما أمرت به الشريعة، والورع: ما نهت عنه.

والناسِك: العابد. وسئل ثعلب عن الناسك ما هو؟ فقال: هو مأخوذ من النسيكة، وهي سبيكة الفضة المصفاة كأنه صفّى نفسه لله تعالى»(١).

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام.١٦٢].

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: «النسك الذبح في الحج والعمرة»(٢).

وعن سعيد بن جبير قال: ﴿وَنُسُكِي﴾ ذبحي، وكذا قال الضحاك(٣).

وقد ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن النسك:

---

* تيسير العزيز الحميد ص١٨٧، فتح المجيد ص١٦٥. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٩٧. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٢٣٦ ط٢-١/ ٢٧٧. ومن المجموع ٩/ ٢٢٦.

(١) النهاية (ن س ك).

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٤.

(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٢٨٤، تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧٧.

الذبيحة لله تعالىٰ ابتغاء وجهه فإنها أجل ما يتقرب به إلىٰ الله[١].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفي الآية دلائل متعددة علىٰ أن الذبح لغير الله شرك كما هو بين عند التأمل، وفيها بيان العبادة، وأن التوحيد مناف للشرك مضاد له»[٢].

وهذا الباب له تعلق شديد ببابي (الذبح)، (العبادة).

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٨٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص١٨٨.

٢٧٢- النُّشْرَة *

النشرة في اللغة على وزن فُعلة، من النشر بمعنى التفريق والكشف، وتأتي بمعنى البسط خلاف الطي، يقال نشر الثوب ونحوه ينشره نشراً ونشرُّه أي بسطه[١].

قال ابن الأثير: «النُّشْرَة بالضم: ضرب من الرقية والعلاج، يعالج به من كان يظن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة لأنه يُنشَّر بها عنه ما خامره من الداء أي يكشف ويزال»[٢].

وقال ابن القيم: «النشرة حل السحر عن المسحور»[٣].

وقال الحسن: «النُّشْرَة من السحر»[٤].

وقال الخطابي: «النُّشْرَة معروفة وهي ضرب من علاج المصاب بمس الجن

---

* التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٧٢٢، ٦/ ٢٤١، ٢٤٣، ١٣/ ٧٠. مصنف عبد الرزاق ١١/ ١٣. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٥٩، ١٩٠. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٦٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ٣٤٠. تيسير العزيز الحميد ٤٢١. فتح المجيد ص٣٤١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٠٩. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٦٩ ط٢-٢/ ٨٥ ومن المجموع ٩/ ٥٥٢. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٣٠. معارج القبول ١/ ٤٣١. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٦٨٨. نور على الدرب ص٢١٢، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٦. النشرة لعبدالعظيم أبابطين، علاج الأمور السحرية لأبي بكر الحنبلي. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٤٠٣. منهج ابن حجر في العقيدة ص١١٢٢. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٧٥. موقف الإسلام من السحر أ. حياة ص٦٣٩.

(١) لسان العرب (ن ش ر).

(٢) النهاية: «ن ش ر).

(٣) أعلام الموقعين ٤/ ٣٩٦.

(٤) انظر مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٦)، تيسير العزيز الحميد ص٤٢١.

وعمل السحر، ينشر به ذلك القارض تنشيرا وقد يجلّل صاحبه بصَبُوب من مياه مختلفة المواضع ينفث فيه ويرقي وقد كرهه غير واحد من العلماء»[١] .

وليس كل ما يعالج به المريض حلال، بل من العلاج ما هو محرم نهي عنه، ففي الحديث أنه ﷺ نهى عن الدواء الخبيث[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»[٤] وذلك كالخمر والذبح لجني أو ما شابهه.

والنشرة إنما أدخلت في باب التوحيد؛ لأن منها ما هو تداوٍ شركي يخل بالتوحيد.

* **الدليل من الكتاب**: قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء.٨٢]. وقال عن كتابه العزيز ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت.٤٤]. وقال عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء.٨٠].

وفي حديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: سئل النبي ﷺ عن النشرة فقال: «من عمل الشيطان»[٥].

ومن أسماء الله الشافي فالأمراض البدنية والروحية والجسدية والنفسية لا شافي منها إلا الله فقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة وعائشة مرفوعا:

---

(١) أعلام الحديث ٢/ ١٥٠٤.

(٢) مسند الإمام أحمد (٨٠٣٤) (٩٧٥٥)، وأبوداود (٣٨٧٠)، والترمذي (٢٠٤٥).

(٣) مجمع الزوائد ٥/ ٨٩.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٤١٨١)، وأبوداود (٣٨٦٨).

«اللهم رب الناس، أذهب الباس واشفه، وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادِر سَقَماً»(١).

❖ **أقسام النشرة:**

تنقسم النشرة إلىٰ قسمين:

القسم الأول: حل السحر عن المسحور بالرقىٰ، والتعوذات، والدعوات الصحيحة، وبالأدوية المباحة، فهذا جائز بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة وفق الشروط المعتبرة، وقد تقدم ذكر الشروط في باب الرقىٰ.

قال صديق حسن خان: «وكل عمل ودعاء ينشر المرض والداء، وينفع من الأسقام والأدواء، يصدُق أنه نُشرة، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسنة، أو من المأثور من السلف الصلحاء، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته باللسان العربي، وإلا كان حراماً أو شركاً»(٢).

القسم الثاني: حل السحر عن المسحور بسحر مثله سواء في ذلك أن يأتي المسحور إلىٰ الساحر أو يُؤتىٰ به إلىٰ الساحر أو الكاهن ليسأله حل السحر وإطلاقه عنه فيقوم الساحر أو الكاهن بالاستعانة بالشياطين وينتج عنه إخبار المسحور عن مكان السحر أو الذي عمل السحر أو يقوم الساحر بإخراج السحر من موضعه وقد يأمر الساحرُ المسحورَ بذبح شاة أو بقرة أو نحو ذلك، وأن يذكر اسم الساحر أو الجني عليها أو يكون بكتابة عزائم شركية وتعاويذ لا يعرف معناها، كالطلاسم ونحوها فيعلقها المسحور علىٰ بدنه أو في بيته أو علىٰ دابته أو غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٣) (٥٦٧٥)، ومسلم (٢١٩١).

(٢) الدين الخالص ٢/ ٣٤٣.

* حكم النُّشْرَة:

اختلف العلماء في حل السحر عن المسحور بسحر مثله، فأثبته بعضهم وأنكره آخرون؛ لأنه يعتمد على السحر فهو محرم، والنشرة بهذا تكون من قبل الشياطين والسحرة فتكون مضادة للتوحيد[١].

وقد استدل المثبتون بما اشتهر عن سعيد بن المسيب. قال قتادة لسعيد ابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: «لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه»[٢].

وقال سعيد بن المسيب في الرجل يؤخذ عن امرأته: «اتئدوا لم تنهوا عما ينفعكم، إنما نهيتم عما حرم عليكم»[٣].

وعن عطاء قال: «لا بأس أن يأتي المؤخذ عن امرأته، والمسحور من يُطلِقُ عنه»[٤].

وقال ابن حجر: «وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور، فقال: «لا بأس به»»[٥].

وقال القرطبي: «فأجازه سعيد بن المسيب على ما ذكره البخاري، وإليه مال المزني، وكرهه الحسن البصري، وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة...»[٦].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٢١.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الطب باب: هل يستخرج السحر انظر: صحيح البخاري ١٠١٨، الفتح ١٠/ ٢٣٢، ٢٤٣، وقال الحافظ في التغليق: «رواه الأثرم في السنن وساق إسناده، ثم قال: وإسناده صحيح» (التغليق ٥/ ٤٩).

(٣) علقه البخاري ١٠/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٩٠.

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٩.

وقال الحافظ: «وقد تمسك قوم بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه ما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطاً»[(١)].

وحديث عوف هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»»[(٢)].

أما المانعون: فاستدلوا بحديث جابر بن عبد الله، قال سئل رسول الله ﷺ عن النُّشْرَة فقال: «هو من عمل الشيطان»[(٣)].

وروي عن أبي رجاء عن الحسن قال: «سألت أنس بن مالك عن النُّشْرَة فقال: ذكروا عن النبي ﷺ أنها من عمل الشيطان»[(٤)]. وقال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك ويقول: «لا يعلم ذلك إلا ساحر»[(٥)]. وسئل مرة عن النشرة فقال: سحر[(٦)].

وسئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله[(٧)].

وقال ابن الجوزي: «النُّشْرَة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا ساحر»[(٨)].

وللجمع بين هذه الروايات قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والنشرة حل السحر عن المسحور. وهي نوعان حل سحر بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان فإن

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٢٠٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سنن أبي داود (٣٨٦٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٧).

(٥) فتح الباري ١٠/ ٢٤٤.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦٦).

(٧) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٧٧.

(٨) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

السحر من عمله فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيبطل عمله عن المسحور والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهذا جائز بل مستحب وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن لا يحل السحر إلا ساحر»(١) .

وقال ابن حجر: «فيختلف الحكم بالقصد، فمن قصد بها خيرا، كان خيرا وإلا فهو شر ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره لأنه قد يخل بالرقى والأدعية والتعويذ ولكن يحتمل أن تكون النُّشْرَة نوعين»(٢) .

فما كان من الآيات القرآنية، والأسماء والصفات الربانية، والدعوات المأثورة النبوية فهو خير. أما إذا اشتملت على أسماء الشياطين، أو كان بلسان غير معلوم فهو شر(٣) .

قال ابن حجر: «ويوافق قول سعيد بن المسيب ما تقدم في حديث جابر عند مسلم مرفوعاً: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل» ، ويؤيد مشروعية النُّشْرَة، حديث «العين حق» في قصة اغتسال العائن»(٤) .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وهذا الكلام من ابن المسيب يحمل على نوع من النُّشْرَة لا يعلم هل هو نوع من السحر أم لا؟ فأما أن يكون ابن المسيب يفتي بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله ليعمل السحر، فلا يظن به ذلك، حاشاه منه، ويدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح، فأي إصلاح في السحر؟! بل كله فساد وكفر ـ والله أعلم ـ ... وكذلك ما روي عن الإمام أحمد من إجازة النُّشْرَة فإنه محمول على ذلك وغلط من ظن أنه أجاز النُّشْرَة السحرية

(١) إعلام الموقعين ٤/ ٣٩٦.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٢٤٤.
(٣) فتح الباري ١٠/ ٢٠٦.
(٤) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

وليس في كلامه ما يدل على ذلك»[1].

وقال ابن باز رحمه الله عن كلام ابن المسيب على النُّشْرَة: «هذا الكلام محمول على الحل بالرقية والمعوذات والأشياء المباحة لأن هذا من الإصلاح والإصلاح مأمور به والمنكر منهي عنه»[2].

فعلاج السحر بالسحر لا يجوز وعليه الفتوى. قال ابن باز: «لأن النبي ﷺ سئل عن النُّشْرَة فقال: «هي من عمل الشيطان»[3]؛ ولأن حلها بالسحر يتضمن دعوة الجن والاستعانة بهم وهذا من الشرك الأكبر»[4].

وبعض متأخري الحنابلة أجازه للضرورة[5].

والقول بجواز الحل بالسحر مردود لعموم النهي عن إتيان الكهان والعرافين وللنهي عن التداوي بالحرام قال ابن مسعود: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»[6] والسحر مما حرم الله فلا شفاء فيه.

وأيضاً فإن في تجويز النشرة الشركية إقرارٌ بوجود الساحر وجواز الرضى بعمله وهذا مخالف وهادم لما سبق بيانه في باب السحر ولأن فيه استعانة بغير الله.

أما ما ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله في ذلك فإنه ليس صريحاً في جواز النشرة السحرية، قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «بل لما سُئل ـ أي الإمام أحمد ـ عن الرجل يحل السحر قال: قد رخص فيه بعض الناس. قيل: إنه يجعل في الطنجير ماء ويغيب فيه؟ فنفض يده. وقال: لا أدري ما هذا؟ قيل له: أفترى أن يؤتى مثل

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٢٣-٤٢٤.

(٢) من تعليق الشيخ على كتاب التوحيد.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى ابن باز ص٦٩٢.

(٥) الفروع لابن مفلح ٦/ ١٧٨-١٧٩، الروض المربع ص ٤٧٥.

(٦) أخرجه البخاري معلقاً، وانظر مجمع الزوائد ٥/ ٨٩.

هذا؟ قال: لا أدري ما هذا؟ وهذا صريح في النهي عن النشرة على الوجه المكروه، وكيف يجيزه؟ وهو الذي روىٰ الحديث: أنها من عمل الشيطان، ولكن لما كان لفظ النشرة مشتركاً بين الجائزة والتي من عمل الشيطان، ورأوه قد أجاز النشرة ظنوا أنه قد أجاز التي من عمل الشيطان، وحاشاه من ذلك» اهـ[(١)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: «قال بعض الحنابلة يجوز الحل بسحر ضرورة والقول الآخر أنه لا يُحل وهذا الثاني هو الصحيح ثم قال: والسحر حرام وكفر. أفيعمل الكفر لتحيا نفوس مريضة أو مصابة..»[(٢)].

❖ من أنواع النُّشْرَة:

١ـ أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبي قال: «لا بأس بالنُّشْرَة العربية التي إذا وطئت لا تضره، وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل ثمر، يدقه ويقرأ فيه، ثم يغتسل به»[(٣)].

٢ـ وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه: «أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ عليه آية الكرسي والقواقل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله»[(٤)].

٣ـ ومن علاج السحر معرفة موضعه وبذل الجهد في ذلك فإذا عرف واستخرج

---

(١) تسير العزيز الحميد ص٤٢٤-٤٢٥.

(٢) فتاوىٰ الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ١٦٥.

(٣) انظر للاستزادة فتح الباري ١٠/ ٢٤٤، ٢٤٥ وكتاب السحر ٢٤٢، ٢٤٣ ففيه زيادة تفصيل فليراجع.

(٤) فتح الباري ١٠/ ٢٣٣، وانظر تيسير العزيز الحميد ص٤٢٥. وقد ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز وقال: «وقد جُرب هذا كثيراً ونفع الله به، وقد فعلناه مع كثير من الناس فنفعهم الله بذلك» مجمع فتاوىٰ ابن باز ٢/ ٦٩١.

وأتلف بطل السحر[١].

٤ـ قال ابن مفلح: «ومن أعظم ما يتحصن به من السحر ومن أنفع علاج له بعد وقوعه، التوجُّهُ إلىٰ الله ﷻ، وتوكل القلب والاعتماد عليه، والتعوذ والدعاء، وهذا هو السبب الذي لم يَصِحَّ عن النبيﷺ أنه استعمل شيئًا قبلَه، بل قد يقال: لم يصح أنه استعمل شيئا غيره، وهو الغاية القصوىٰ، والنهاية العظمىٰ. ولهذا في الخبر أنه لم يخرجه، وإنما دفنه لئلا يفضي ذلك إلىٰ مفسدة وانتشارها، لا لتوقف الشفاء والعافية عليه، وهذا واضح ـ إن شاء الله ـ»[٢].

وفي الفتح: «قال ابن القيم: من أنفع الأدوية وأقوىٰ ما يوجد من النُّشْرَة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة، فالقلب إذا كان ممتلئا من الله معمورًا بذكره، وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له.

قال: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط علىٰ أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها أهـ ملخصا وتعقب ابن حجر ابن القيم فقال رحمه الله ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر علىٰ النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده، ولكن يمكن الجواب عن ذلك بأن ذكره محمول علىٰ الغالب، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك... والله أعلم»[٣].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن باز ص ٦٨٦.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٨٦.
(٣) الفتح ١٠/ ٢٣٢، ٢٣٥.

٢٧٣- النفـاق *

[الزنديق ـ الاستهزاء]

المنافق هو الذي يسر الشر ويظهر الخير.

قال الرازي: «النفاق بالكسر فعل المنافق»(١).

وهو في اللغة مأخوذ من النفق.

وقال الجوهري: «والنفَقُ: سربٌ في الأرض له مَخْلَصٌ إلىٰ مكان... والنافِقَاء: إحدىٰ جِحَرة اليربوع، يكتُمها ويُظهر غيرها، وهو موضعٌ يرقِّقه، فإذا أُتي من قِبَلِ القاصعاء ضرب النافِقاء برأسه فانتفَقَ، أي خرج. والجمع النَوافقُ.

والنفقةُ أيضاً مثال الهمزة: النافِقَاء. تقول منه: نفَّق اليربوع تنفيقاً ونَافَق، أي أخذ في نافِقائِه. ومنه اشتقاق المنافق في الدين»(٢).

---

* صفة المنافق للإمام جعفر الفريابي تحقيق بدر البدر. القاضي أبو يعلىٰ وكتابه مسائل الإيمان تحقيق سعود الخلف ص٣٦١. التمهيد لابن عبد البر ٢٠/ ٢٦٨، ١٠/ ١٥٤. الإبانة لابن بطة العكبري ٦٨٥، ٧٠٥. شرح السنة للبغوي ١/ ٧١. مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية ٧/ ٣٠٤، ٢٨/ ٤٣٤. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٠٠، ٥/ ٤٢٦. الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٣٣. مدارج السالكين ١/ ٣٤٧. فتح الباري ١/ ١١١، ١١٢. الدرر السنية ٨/ ١٦٤. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ١/ ٩١، ٩٢. معارج القبول ١/ ٣٦٨. أهم المهمات لابن سعدي من المجموعة ٣/ ٦٨. مجموع الفتاوىٰ لابن باز ١/ ٢٦٩. نور علىٰ الدرب ١٦٠. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٤/ ٥٧٥، ٧/ ٥٢. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة الأحمدي ٢/ ٢٦١. ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة للغفيلي ٤٠٥، ٤١٣. نواقض الإيمان الاعتقادية ٢/ ١٥٨. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ١٩٩، ٢٠٢. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٦٨. الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ١/ ١٧٥. مباحث العقيدة في سورة الزمر ٣٨٩. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ٤٤٣، ٤٥٠.

(١) مختار الصحاح (ن ف ق).

(٢) الصحاح للجوهري (ن ف ق).

وفي اللسان: «قال: ابن الأعرابي: «قُصعةُ اليربوع أن يحفر حفيرة ثم يسد بابها بترابها، ويسمى ذلك التراب الدَّامَّاء، ثم يحفر حفراً آخر يقال له النافقاء و النفقة والنفق فلا ينفذها، ولكنه يحفرها حتى ترقّ، فإذا أُخِذ عليه بقاصعائه عدا إلى النافقاء فضربها برأسه ومرق منها» وتراب النَّفَقَة يقال له الراهِطَاء.. وقال أبوعبيد: «سمي المنافقُ منافقاً للنفق وهو السَّرَب في الأرض، وقيل: إنما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه... فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء، فيقال هكذا يفعل المنافق، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه، والنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء اليربوع إسلامية وقد نافق منافقة ونفاقاً»[١].

والنفاق شرعاً: ما أجاب به الصحابي حذيفة ﷺ حيث سئل ما النفاق فقال: «الذي يصف الإسلام ولا يعمل به»[٢].

قال ابن جريج: «المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه»[٣].

قال ابن الأثير: «قد تكرر في الحديث ذكر النفاق وما تصرف منه اسما وفعلا وهو اسم إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفاً»[٤].

الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن

---

(١) لسان العرب (ن ف ق).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٨٤ رقم ٣٧٤١٥، الحلية ١/ ٢٨٢، تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٦٣١، صفة المنافق للفريابي ص٦٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٧.

(٤) النهاية(ن ف ق).

تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء.١٤٥]. وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء.١٣٨-١٣٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [النساء.١٤٢]. وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة.٥٤]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون.٣]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم.٩].

وفي تفسير ابن كثير: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف: سيف للمشركين ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة.٥].

وسيف للكفار أهل الكتاب: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة.٢٩].

وسيف للمنافقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [التوبة.٧٣].

وسيف للبغاة: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات.٩].

ثم عقب ابن كثير على ذلك بقوله: وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير»[١].

(١) تفسير القرآن لابن كثير ٢/ ٣٧١.

الدليل من السنة: عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»[1]. وفي رواية: «ومثل المنافق» بدل الفاجر[2].

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلىٰ هذه مرة، وإلىٰ هذه مرة»[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمتي كل منافق عليم اللسان»[4].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[5].

والأحاديث في المنافق وصفته كثيرة صنّف فيها الإمام جعفر الفريابي كتابا مستقلا وسوف يأتي ذكر مزيد من الأحاديث في القسم الثاني من أقسام النفاق.

* **أقوال السلف:** قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: منافق يقرأ القرآن لا يخطئ فيه واواً ولا ألفاً، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدىٰ، وزلة عالم، وأئمة مضلون»[6].

وعن ابن مسعود قال: «جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا،

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٠) (٥٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٣٠) (١٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٦) صفة المنافق للفريابي ص٥٤، سنن الدارمي ص٢١٨، والذهبي في السير ١١/ ٤٦٤.

فبألسنتكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم، فافعلوا»(١).

وقال عبد الله بن مسعود: «اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر. ثم قرأ: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦]»(٢).

قال طيسلة بن علي البهدلي: «رأيت عبد الله بن عمر في أصول الأراك يوم عرفة، قال: وبين يديه رجل من أهل العراق، فقال: يا ابن عمر ما المنافق؟ قال: المنافق الذي إذا حدث كذب، وإذا وعد لم ينجز، وإذا اؤتمن لم يؤد، وذئب بالليل وذئب بالنهار. قال: يا ابن عمر فما المؤمن؟ قال: الذي إذا حدّث صدق وإذا وعد أنجز وإذا اؤتمن أدىٰ يأمن من أمسىٰ بعقوبته من عارف أو منكر»(٣).

وبوَّب البخاري: «باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي علىٰ عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً. وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه، ما منهم أحد يقول إنه علىٰ إيمان جبريل وميكائيل. ويُذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق، وما يحذر من الإصرار علىٰ النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»(٤).

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: «أنشدك الله هل سمَّاني لك رسول الله

---

(١) الزهد لعبدالله بن المبارك رقم (١٣٧٧)، تاريخ مدينة دمشق ٣٣/ ١٧٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٢٣٧، والفريابي في صفة المنافق ص٤٧، الزهد لابن المبارك (١٠٦٧).

(٣) الإبانة لابن بطة (٩٠٥) ص ٦٨٨، تعظيم قدر الصلاة ٢/ ٦٠٩.

(٤) صحيح البخاري باب رقم ٣٦.

يعني في المنافقين فيقول لا، ولا أزكي بعدك أحدا»[١].

وعن جبير بن نفير، أنه سمع أبا الدرداء، وهو في آخر صلاته، وقد فرغ من التشهد، يتعوذ بالله من النفاق. فأكثر التعوذ منه. فقال جبير: «ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال: دعنا عنك، دعنا عنك. فوالله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه»[٢].

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[٣].

وروى الفريابي عن المعلى بن ريان قال: «سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن»[٤].

وفي رواية أخرى عن أيوب قال: سمعت الحسن يقول: «والله ما أصبح ولا أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه»[٥].

وقال الحسن: «إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج»[٦].

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ قلت لأبي عبد الله: ما تقول فيمن لا يخاف

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٤. وجاء في الجواب الكافي ص٢٦ نقلاً عن شيخ الإسلام يوضح معنى كلام حذيفة ﷺ فيراجع هناك.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٢.

(٣) أخرجه أبو عبيد في الإيمان (٨١)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. من كتاب الشريعة للآجري ص ٦٨٩.

(٤) صفة النفاق (٨٧) ص ٧٣. وانظر فتح الباري ١/ ١١١.

(٥) صفة المنافق ص٧٣.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٣٦، صفة المنافق للفريابي ص٦١، صيانة صحيح مسلم ص٢٣١.

على نفسه النفاق، قال: «ومن لا يأمن على نفسه النفاق؟»[١].

وقال ابن القيم: «تالله لقد قطع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين. لعلمهم بدقه وجله، وتفاصيله وجمله»[٢].

وينبغي أن يعلم أن الذي خافه السلف الصالح هو النفاق في الأعمال[٣].

فوائد وأحكام:

١ - أقسام النفاق:

قسَّم علماء السلف النفاق إلى قسمين كما قال الحسن رضي الله عنه: «النفاق نفاقان: نفاق بالتكذيب، ونفاق بالعمل»[٤].

وقد يقال نفاق قلب، ونفاق عمل. أو نفاق اعتقادي، ونفاق عمل. أو نفاق أكبر، ونفاق أصغر.

القسم الأول: النفاق الاعتقادي ويسمى النفاق الأكبر وهذا ما عناه الإمام أحمد بقوله: «والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ»[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً

---

(١) مسائل ابن هانئ ٢/ ١٧٦.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣٥٨.

(٣) الإيمان لابن تيمية ص٤٠٩. انظر فتح الباري ١/ ١١١.

(٤) الترمذي (٢٦٣٢)، والآجري (٩٣٩) ص٦٩٩، وانظر للاستزادة تفسير ابن كثير حول الآية ٨، ٩ من سورة البقرة ١/ ٤٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٢١٤.

(٥) أصول السنة ص٨٢، اعتقاد أهل السنة ١/ ١٦٢.

الله ورسوله»[١].

وقال رحمه الله: «فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه، فأن لا يرىٰ وجوب تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر ـ علماً وعملاً ـ وأنه يجوز تصديقه وطاعته لكنه يقول: إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا، ويرىٰ أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته، إما بطريق الفلسفة والصبو، أو بطريق التهود والتنصر...»[٢].

وقال الذهبي: «وكذلك شعب النفاق من الكذب والخيانة والفجور والغدر والرياء، وطلب العلم ليُقال، وحب الرئاسة والمشيخة، وموادة الفجار والنصارىٰ فمن ارتكبها كلها، وكان في قلبه غِلٌّ النبي ﷺ أو خرج من قضاياه، أو يصوم رمضان غير محتسب، أو يُجوِّز أن دين النصارىٰ أو اليهود دينٌ مليحٌ ويميل إليهم، فهذا لا ترْتَبْ في أنه كامل النفاق وأنه في الدرك الأسفل من النار، وصفاته الممقوتة عديدة في الكتاب والسنة من قيامه إلىٰ الصلاة كسلان، وأدائه الزكاة وهو كاره، وإن عَامَل الناس فبالمكر والخديعة، قد اتَّخَذَ إسلامه جُنَّة، نعوذ بالله من النفاق، فقد خافه سادة الصحابة علىٰ نفوسهم.

فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال، فله قسط من المقت حتىٰ يدعها ويتوب منها، أما من كان في قلبه شك من الإيمان بالله ورسوله فهذا ليس بمسلم وهو من أصحاب النار»[٣].

وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أنواع النفاق الأكبر فقال: «... فأما

---

(١) الفتاوىٰ ٢٨/ ٤٣٤. وقد ذكر هذه الأقسام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٦٣٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٦٣.

النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع، تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول، أو بعض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار»[١].

وسئل الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الإسلام، هل يقال عنه أنه منافق أم لا؟ فأجاب رحمه الله: «من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو، كالذين قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم، وكونه إذا غلب المشركون التجأ إليهم، ومدحه للمشركين بعض الأحيان، وموالاتهم من دون المؤمنين، وأشباه هذه العلامات التي ذكرها الله أنها علامات للنفاق، وصفات للمنافقين، فإنه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقاً»[٢].

ومن هذه النقول نعلم أن هناك أنواعاً كثيرة من النفاق الأكبر يكون صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، وهي كالتالي:

١ـ تكذيب الرسول ﷺ.

٢ ـ تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.

٣ـ بغض الرسول ﷺ.

٤ ـ بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ[٣].

٥ ـ المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ[٤].

---

(١) مجموعة التوحيد ص٧.

(٢) الدرر السنية ٧/ ٧٩، ٨٠.

(٣) انظر باب: (بغض أو كراهية بعض ما جاء به الرسول ﷺ).

(٤) انظر باب : (المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ).

٦ ـ الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

٧ ـ عدم اعتقاد وجوب تصديقه فيما أخبر به ﷺ.

٨ ـ عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر به ﷺ.

ومن صفاتهم أيضاً:

٩ ـ أذىٰ الرسول ﷺ أو عيبه ولمزه[(١)].

١٠ ـ مظاهرة الكافرين ومناصرتهم علىٰ المؤمنين[(٢)].

١١ ـ الاستهزاء[(٣)] والسخرية بالمؤمنين لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله.

١٢ ـ التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

وهذه الصفات أكثرها متعلق بحق الرسول ﷺ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله «... فالنفاق يقع كثيراً في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته ...»[(٤)].

وقال أيضاً: «ما يتعلق بأصول الإيمان من التصديق والتكذيب والحب والبغض وتوابع ذلك فإن هذه الأمور يحصل فيها الثواب والعقاب وعلو الدرجات وأسفل الدركات بما يكون في القلوب من هذه الأمور وإن لم يظهر علىٰ الجوارح بل المنافقون يظهرون بجوارحهم الأقوال والأعمال الصالحة وإنما عقابهم وكونهم في الدرك الأسفل من النار علىٰ ما في قلوبهم من الأمراض وإن كان ذلك قد يقترن به أحيانا ببغض القول والفعل لكن ليست العقوبة مقصورة علىٰ ذلك البغض اليسير وإنما ذلك البغض دلالة»[(٥)].

---

(١) انظر باب: (سب الرسول ﷺ).

(٢) انظر باب: (مظاهرة الكافرين).

(٣) انظر باب: (الاستهزاء).

(٤) الإيمان ص٢٨٥، وانظر نواقض الإيمان الاعتقادية ٢/ ١٦٠.

(٥) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٧٥٩.

فنفاق الاعتقاد هو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن فأوجب لهم الدرك الأسفل من النار. كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء.١٤٥ـ١٤٦].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «إن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قيل إنهم يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين»[1].

وقيل إن النفاق كالإيمان أصله في القلب والذي يظهر من الأقوال والأفعال فرع له ودليل عليه، فإذا وجدت وظهرت مثل هذه الصفات كان ذلك دليلا على نفاق صاحبها[2].

الثاني: **النفاق العملي ويسمى النفاق الأصغر** قال عنه ابن كثير: «وهو من أكبر الذنوب»[3].

والنفاق العملي له خصال كثيرة جاءت الأحاديث بعدِّها في خمس علامات. والدليل قوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمن خان»[4]. وفي الحديث الآخر: «وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»[5].

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٦٧.

(٢) انظر الصارم المسلول ٣٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري(٣٣)(٢٦٨٢) (٢٧٤٩) (٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٤) (٢٤٥٩) (٣١٧٨)، ومسلم (٥٨).

وهذا النوع من النفاق لا يخرج صاحبه من الإسلام فهو نفاق دون نفاق.

ومن النفاق ما رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»[١].

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يُحدِّث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[٢].

وروى البخاري عن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر قال: قال أناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم. قال: «كنا نعدها نفاقاً»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار»[٤].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأميِّ ﷺ: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[٥].

روى الفريابي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «المنافق الذي إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا غنم غلَّ، وإذا أُمر عصى، وإذا لقي جبن، فمن كن فيه ففيه النفاق كله، ومن كان فيه بعضهن ففيه بعض النفاق»[٦].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٣٣) (٦٦٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٥) أخرجه مسلم (٧٨).

(٦) صفة المنافق للإمام الفريابي (٢٠) ص٥١.

٢- مسألة:

جاء عند مسلم زيادة: «آية المنافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[١].

وفي أول حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٢].

فلا يكون المسلم منافقاً بمجرد اجتماعها، قال أهل العلم: إذا اجتمعت في شخص واستحكمت فقد تجره إلى النفاق الأكبر.

قال ابن القيم: «فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان لكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون إلا منافقاً خالصاً»[٣].

وقد قيل في ذلك أقوال أخرى.

قال النووي في شرح هذا الحديث: «هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث أن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه والذي قاله

(١) أخرجه مسلم (٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤) (٢٤٥٩) (٣١٧٨)، ومسلم (٥٨).
(٣) الصلاة ص٧٧.

المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه: إن هذه خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يُرد النبي ﷺ أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار.

وقوله ﷺ: «كان منافقاً خالصاً» معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث، وقد نقل الإمام أبو عيسى الترمذي ﷺ معناه عن العلماء مطلقاً فقال: «إنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل... وحكى الخطابي رحمه الله قولاً آخر: أن معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه أن تفضي به إلى حقيقة النفاق»[(١)].

وقال ابن حجر بعدما نقل كلام النووي: «ومحصل هذا الجواب: الحمل في التسمية على المجاز أي صاحب هذه الخصال كالمنافق وهو بناء على المراد بالنفاق نفاق الكفر. وقد قيل في الجواب عنه أن المراد بالنفاق نفاق العمل كما قدمناه، وهذا ارتضاه القرطبي واستدل له بقول عمر لحذيفة: هل تعلم فيَّ شيئاً من النفاق فإنه لم يرد بذلك نفاق الكفر، وإنما أراد نفاق العمل ويؤيده وصفه بالخالص في الحديث الثاني بقوله: «كان منافقاً خالصاً».

وقيل المراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال، وهذا ارتضاه الخطابي، وذكر أيضاً أنه يُحتمل أن المتصف بذلك هو من اعتاد ذلك

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٤٦-٤٨.

وصار له ديناً قال: ويدل بـ(إذا) فإنها تدل على تكرر الفعل كذا قال، والأولى ما قاله الكرماني أن حذف المفعول من حدث يدل على العموم أي إذا حدث في كل شيء كذب فيه أو يصير قاصراً أي إذا وجد ماهية التحدث كذب، و قيل: هو محمول على من غلبت عليه هذه الخصال وتهاون بها واستخف بأمرها، فإن من كان كذلك كان فاسد الاعتقاد غالباً وهذه الأجوبة كلها مبنية على أن اللام في المنافق للجنس، ومنهم من ادعى أنها للعهد فقال: إنه ورد في حق شخص معين أو في حق المنافقين في عهد النبي ﷺ، وتمسك هؤلاء بأحاديث ضعيفة جاءت في ذلك لو ثبت شيء منها لتعين المصير إليه وأحسن الأجوبة ما ارتضاه القرطبي. والله أعلم»[1].

وقال الأحوذي: «الأمر كما قال الحافظ من أن أحسن الأجوبة ما ارتضاه القرطبي»[2].

وقال الإمام البغوي: «والنفاق ضربان:

أحدهما: أن يظهر صاحبه الإيمان وهو مسر للكفر كالمنافقين على عهد رسول الله ﷺ.

والثاني: ترك المحافظة على حدود أمور الدين سراً ومراعاتها علنا فهذا يسمى منافقا ولكنه نفاق دون نفاق»[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالإسلام يتناول من أظهر الإسلام وليس معه شيء من الإيمان وهو المنافق المحض، ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا في هذا وهم الفساق يكون في أحدهم شعبة نفاق، ويتناول من أتى بالإسلام الواجب وما يلزمه من

(١) فتح الباري ١/ ٩٠.
(٢) الأحوذي ٧/ ٣٢١.
(٣) شرح السنة ١/ ٧٦.

الإيمان ولم يأت بتمام الإيمان الواجب وهؤلاء ليسوا فساقاً تاركين فريضة ظاهرة ولا مرتكبين محرماً ظاهراً لكن تركوا من حقائق الإيمان الواجبة علماً وعملاً بالقلب يتبعه بعض الجوارح ما كانوا به مذمومين وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم، فإن صاحبه قد يكون فيه شعبة نفاق»(١).

وقال ابن رجب رحمه الله: «... والذي فسره به أهل العلم المعتبرون: أن النفاق في اللغة هو جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه، وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

الثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك.

وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث»(٢).

وقال الذهبي: «ومن النفاق الأصغر الرجل يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً، ولا يظن أنها تبلغ ما بلغت، يهوي بها في النار سبعين خريفاً. وأما النفاق الأكبر، وإن كان الرجل يعلم من نفسه أنه مسلم، فعليه أن يتعوذ بالله من النفاق والشرك، فإنه لا يدري بما يختم له، فربما أصبح مؤمنا وأمسى كافراً، نعوذ بوجه الله الكريم من ذلك»(٣).

---

(١) الإيمان لابن تيمية ص٤٠٩. وانظر أيضاً مجموع الفتاوى ١١/ ١٤٠-١٤٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٢٩، ٤٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٢، ٣٨٣.

وقال الشيخ السعدي: «النفاق العملي ـ وإن كان لا يخرج من الدين بالكلية ـ فإنه دهليز الكفر، ومن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، فإن الصدق، والقيام بالأمانات والوفاء بالعهود، والورع عن حقوق الخلق هي جماع الخير، ومن أخص أوصاف المؤمنين، فمن فقد واحدة منها فقد هدم فرضاً من فروض الإسلام والإيمان، فكيف بجميعها؟

فالكذب في الحديث يشمل الحديث عن الله والحديث عن رسول الله ﷺ الذي من كذب عليه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧].

ويشمل الحديث عما يخبر به من الوقائع الكلية والجزئية، فمن كان هذا شأنه فقد شارك المنافقين في أخص صفاتهم، وهي الكذب الذي قال فيه النبي ﷺ: «إياكم والكذب، فإن الكذب يدعو إلىٰ الفجور، وإن الفجور يدعو إلىٰ النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً» ومن كان إذا ائتمن علىٰ الأموال والحقوق والأسرار خانها، ولم يقم بأمانته، فأين إيمانه؟ وأين حقيقة إسلامه؟ وكذلك من ينكث العهود التي بينه وبين الله، والعهود التي بينه وبين الخلق متصف بصفة خبيثة من صفات المنافقين، وكذلك من لا يتورع عن أموال الخلق وحقوقهم، ويغتنم فرصها، ويخاصم فيها بالباطل ليثبت باطلاً، أو يدفع حقاً، فهذه الصفات لا تكاد تجتمع في شخص ومعه من الإيمان ما يُجزئ أو يكفي، فإنها تنافي الإيمان أشد المنافاة.

واعلم أن من أصول السنة والجماعة: أنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر، وخصال إيمان وخصال كفر أو نفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك وقد دل علىٰ هذا الأصل نصوص كثيرة من

الكتاب والسنة، فيجب العمل بكل النصوص، وتصديقها كلها. وعلينا أن نتبرأ من مذهب الخوارج الذين يدفعون ما جاءت به النصوص: من بقاء الإيمان وبقاء الدين، ولو فعل الإنسان من المعاصي ما فعل، إذا لم يفعل شيئاً من المكفرات التي تخرج صاحبها من الإيمان، فالخوارج يدفعون ذلك كله، ويرون من فعل شيئاً من الكبائر ومن خصال الكفر أو خصال النفاق خارجاً من الدين، مخلداً في النار وهذا مذهب باطل بالكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة»[1].

٣- علامات المنافق وردت في الأحاديث مرة أربع ومرة ثلاث قال ابن حجر: «فإن قيل ظاهره الحصر في الثلاث فكيف جاء في الحديث الآخر بلفظ: «أربع من كن فيه ...» الحديث. أجاب القرطبي باحتمال أنه استجد له ﷺ من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده. وأقول[2]: ليس بين الحديثين تعارض لأنه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على أصل النفاق والخصلة الزائدة إذا أضيفت إلى ذلك كمل بها خلوص النفاق على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبي هريرة ما يدل على إرادة عدم الحصر فإن لفظه: «ومن علامة المنافق ثلاث»... ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث أنها منبهة على ما عداها إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول والفعل والنية، فنبه على فساد القول بالكذب وعلى فساد الفعل بالخيانة وعلى فساد النية بالخلف لأن خلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه مقارناً للوعد أما لو كان عازماً ثم عرض له مانع أو بدأ له رأي فهذا لم توجد منه صورة النفاق. قاله الغزالي في الإحياء»[3].

(١) جوامع الأخبار ص٣٧-٣٩.

(٢) القائل الحافظ ابن حجر.

(٣) فتح الباري ١/ ٩٠.

٤- قال المناوي في فيض القدير: ««أكثر منافقي أمتي قراؤها» أي: الذين يتأولونه علىٰ غير وجهه ويضعونه في غير مواضعه أو يحفظون القرآن تقية للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون خلافه، فكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة. ذكره ابن الأثير.

وقال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كلا منهما إرادة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن ا.هـ.

وبسطه بعضهم فقال: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد، ولأن المنافق أظهر الإيمان بالله وأضمر عصمة دمه وماله. والمرائي أظهر بعمله الآخرة وأضمر ثناء الناس وعَرَضَ الدنيا، والقارئ أظهر أنه يريد الله وحْده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب، ويرىٰ نفسه أهلاً له وينظر إلىٰ عمله بعين الإجلال فأشبه المنافق واستويا في مخالفة الباطن والظاهر.

٥- تنبيه:

قال الغزالي: «احذر من خصال القراء الأربعة: الأمل والعجلة والكبر والحسد، قال: وهي علل تعتري سائر الناس عموماً والقراء خصوصاً. ترىٰ القارئ يُطَوِّل الأمل فيوقعه في الكسل، وتراه يستعجل علىٰ الخير فيقطع عنه، وتراه يحسد نظراءه علىٰ ما آتاهم الله من فضله، فربما يبلغ به مبلغاً يحمله علىٰ فضائح وقبائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر. ولهذا قال النووي: ما أخاف علىٰ ذمِّي إلا القراء والعلماء، فاستنكروا منه ذلك، فقال: أنا ما قلته وإنما قاله إبراهيم النخعي.

وقال عطاء: احذروا القراء واحذروني معهم، فلو خالفت أَوَدَّهُمْ لي في رمانة أقول: إنها حلوة. ويقول: إنها حامضة ما أمنته أن يسعىٰ بدمي إلىٰ سلطان جائر.

وقال الفضيل لابنه: اشتروا داراً بعيدة عن القراء ما لي والقوم؟!! إن ظهرت مني زلة قتلوني، وإن ظهرت عليّ حسنة حسدوني. ولذلك ترىٰ الواحد منهم يتكبر

على الناس ويستخف بهم معبساً وجهه كأنما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين، أو كأنما جاءه من الله منشور بالجنة والبراءة من النار. أو كأنه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لسائر الناس، ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين ويتماوت، وهذا لا يليق بالتكبر والترفع ولا يلائمه بل ينافيه ولكن الأعمى لا يُبصر»[١].

٢٧٤- نفي صفة من صفات الله

احترام أسماء الله ـ توحيد الأسماء والصفات

قال القاضي عياض رحمه الله: «فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية، أو جحدها مستبصراً في ذلك كقوله: ليس بعالم، ولا قادر، ولا مريد، ولا متكلـم، وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة، فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها»[٢].

٢٧٥- النميمة

انظر: باب (السحر).

---

(١) الفيض للمناوي ٢/ ٨٠، ٨١.

(٢) الشفا ٢/ ١٠٨٠، ١٠٨١.

٢٧٦- النوء*

التعريف: جمعها أنواء، والمراد النهي عن الاستسقاء بالأنواء وهو نسبة المطر إليها أو جعلها سبباً لنزول المطر.

والنوء: سقوط نجم من النازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته. قال ابن الأثير: «وإنما يسمى نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناءَ الطالع بالمشرق. وقيل أراد بالنوء الغروب وهو من الأضداد»[١].

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا هامة ولا نوء، ولا صفر»[٢] . انظر باب (الاستسقاء بالأنواء).

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٧/ ١٥٩. التمهيد لابن عبد البر ١٦/ ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩٢. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٤. معارج القبول ٢/ ٣١٣. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٨٢. عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص٢١٣.

(١) النهاية (ن و أ).

(٢) سبق تخريجه.

٢٧٧- نواقض الإسلام *

[الردة ـ التكفير]

النواقض في اللغة: جمع ناقض، والنقض هو إفساد ما أبرم من عقد أو بناء ومنه نقض البناء والحبل والعهد. فالنقض ضد الإبرام(١).

والمراد بالنواقض هنا: المفسدات التي إذا فعلها المسلم أفسدت إسلامه وحبط عمله وانتقض توحيده وصار كافراً من الخالدين في النار.

وتسمى نواقض التوحيد، وتسمى أيضا نواقض الإيمان.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب مبينا أهمية معرفة النواقض: «فإذا عرفت: أن الله خلقك لعبادته، فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة، إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة، إلا مع الطهارة ؛ فإذا دخل الشرك في العبادة، فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [التوبة.١٧]. فإذا عرفت: أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط

---

* رسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، انظر مجموعة التوحيد ١/ ٣٨، ٣٩، الجامع الفريد ص٢٧٧، ٢٨٠. الدرر السنية ٢/ ٣٦١، ١٠/ ٨٤، ٩١. الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ضمن الجامع الفريد ص ٢٨٥. فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٤. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٠٥. كتاب الشهادتان لابن جبرين ص ٨٦. منهج الإمام مالك في العقيدة ص٤١٩. الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة لأبي عبد الرحمن العلوي ص٢٦٣. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٣٨٧. نواقض الإيمان القولية والعملية ص٤٨. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص٣٨٥. شرح نواقض التوحيد تأليف حسين العواجي. منهج ابن حجر في العقيدة ص١٠٥٢.

(١) لسان العرب ٧/ ٢٤٢، القاموس المحيط ٢/ ٣٥٩.

العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النار ؛ عرفت: أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، وذلك بمعرفة أربع قواعد، ذكرها الله في كتابه ... إلخ»[١].

فيجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه النواقض لأن العبد قد يقع فيها وهو لا يشعر، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «وذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجا عن الإسلام»[٢].

وهذه النواقض قد أجملها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في عشرة وهي أكثر من ذلك وسبب اختياره لهذه العشرة إجماع المسلمين عليها في الجملة وقيل إن النواقض الكثيرة مرجعها إلى هذه العشرة وسوف نذكرها كما قررها الشيخ رحمه الله.

«اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢]، ومنه الذبح لغير الله[٣]، كمن يذبح للجن أو القبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً[٤].

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر[٥].

---

(١) الدرر السنية ٢/ ٢٣.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة جمع محمد الشويعر ١/ ١٣٥.

(٣) انظر باب الذبح، وقد تقدم.

(٤) انظر باب (الشفاعة) (التوسل) ففيه زيادة إيضاح.

(٥) انظر باب (الكفر) تحت عنوان: حكم من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم وباب (التكفير).

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر[١].

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر[٢].

السادس: من استهزأ[٣] بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثوابه، أو عقابه، كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة.٦٦].

السابع: السحر[٤] ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة.١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين[٥] والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر[٦].

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به[٧] والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة.٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره

---

(١) انظر باب (التحاكم) (الطاغوت) (تحليل الحرام) (الحكم بغير ما أنزل الله).

(٢) انظر باب (بغض أو كراهية بعض ما جاء به الرسول ﷺ).

(٣) انظر باب (الاستهزاء) (سب الرسول ﷺ).

(٤) انظر باب (السحر).

(٥) انظر باب (مظاهرة الكفار على المسلمين) (الولاء والبراء).

(٦) انظر باب (اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام).

(٧) انظر باب (الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به).

وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه»[١].

وهناك نواقض كثيرة كجحود القرآن أو شيء منه، أو الشك في إعجازه، أو امتهان المصحف أو جزء منه، أو تحليل شيء مجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر. أو الطعن في الدين أو سبه. ولكن كما أسلفنا القول أنها في جملتها ترجع إلى النواقض العشر المذكورة.

وقد تسمى هذه النواقض قوادح العقيدة كما قال الشيخ عبد العزيز بن باز: «العقيدة الإسلامية لها قوادح وهذه القوادح قسمان:

أ ـ قسم: ينقض هذه العقيدة ويبطلها ويكون صاحبه كافرا ـ نعوذ بالله ـ من ذلك.

ب ـ قسم: ينقص هذه العقيدة ويضعفها.

فالقسم الأول: يسمى ناقضاً ونواقض الإسلام هي الموجبة للردة والناقض يكون: قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكاً. قال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٢]. فدل ذلك على أن المرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل ويعجل به إلى النار.

القسم الثاني من القوادح: قوادح دون كفر تضعف الإيمان مثل أكل الربا، وارتكاب المحرمات كالزنا، والبدع، وغير ذلك»[٣].

---

(١) مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام: محمد بن عبد الوهاب والشيخ أحمد بن تيمية ص٢٧، ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧)(٦٩٢٢).

(٣) انتهى ملخصاً. انظر كتاب قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ص٦٦-٧١. وانظر القوادح في العقيدة للشيخ عبدالعزيز ابن باز شريط مسجل من تسجيلات دار طيبة وهي محاضرة ألقاها فضيلته في الجامع الكبير شهر صفر عام ١٤٠٣ هـ.

٢٧٨- الهامَّة *

التعريف: الهامّة: بتشديد الميم. قال ابن الأثير: «هي: كل ذات سم يقتل. فأمّا ما يُسمّ ولا يقتل فهو السَّامة كالعقرب والزنبور. وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان، وإن لم يقتل، كالحشرات، ومنه حديث كعب بن عُجرة ﷺ: «أتؤذيك هوامّ رأسك؟» أراد القمل»[1].

والهامة: بتخفيف الميم البومة[2]، كانوا يتشاءمون بها أو يعتقدون فيها اعتقادات فاسدة وكل هذا مما نهىٰ عنه الشارع وأبطله.

* **الدليل من السنة:** عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوىٰ، ولا هامّة، ولا نوء، ولا صفر»[3].

وفي سنن أبي داود قال: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ قَالَ: قُلْتُ لِمُحَمَّدٍ ـ يَعْنِي ابْنَ رَاشِدٍ ـ قَوْلُهُ «هَامَ» قَالَ: كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ يَمُوتُ فَيُدْفَنُ إِلاَّ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ هَامَةٌ»[4].

وقال البغوي: «وقوله: «ولا هامّة»:فإن العرب كانت تقول: إن عظام الموتىٰ تصير هامة، فتطير، فيقولون: لا يدفن ميت إلا ويخرج من قبره هامة، وكانوا يسمون

---

* الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٥٢، ٥٥. التمهيد لابن عبد البر ٢٤/ ١٩٠، ١٩٧. شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٠. تيسير العزيز الحميد ص٤٣٨. فتح المجيد ص٣٥١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢١٦. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ٨١، ط٢-٢/ ٩٩ ومن المجموع ٩/ ٥٦٣. الدين الخالص لصديق حسن القنوجي ٢/ ١٥٣.

(١) النهاية (هـ م م).

(٢) النهاية (هـ و م).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٢٠).

(٤) سنن أبي داود (٣٩١٦).

ذلك الصدىٰ، ومن ذلك تطير العامة بصوت الهامة، فأبطل الشرع ذلك»[١].

وقال النووي: «قوله ﷺ: «ولا هامة» فيه تأويلان:

أحدهما: أن العرب كانت تتشاءم بالهامة وهي الطائر المعروف من طير الليل وقيل هي البومة قالوا كانت إذا سقطت علىٰ دار أحدهم رآها ناعية له نفسه أو بعض أهله، وهذا تفسير مالك بن أنس.

والثاني: أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة تطير، وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ـ ويجوز أن يكون المراد النوعين فإنهما جميعاً باطلان، فبيَّن النبي ﷺ إبطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك»[٢].

قال ابن حجر في أثناء كلامه علىٰ شرح الحديث عن الهامة: «قال أبوزيد: هي بالتشديد، وخالفه الجميع فخففوها، وهو المحفوظ في الرواية، وكأن من شددها ذهب إلىٰ واحدة الهوام، وهي ذوات السموم. وقيل: دواب الأرض التي تهم بأذىٰ الناس، وهذا لا يصح نفيه إلا إن أريد أنها لا تضر لذواتها، وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته.

وقد ذكر الزبير بن بكار في «الموفقيات»: أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قتل الرجل ولم يؤخذ بثأره، خرجت من رأسه هامة ـ وهي دودة ـ فتدور حول قبره فتقول: اسقوني اسقوني. فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت. وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمرو إن لا تدع شتمي　　　أضربك حتىٰ تقول الهامة: اسقوني

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب. وذكر ابن

---

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٢) شرح مسلم للنووي ١٤/ ٢١٥.

فارس وغيره من اللغويين نحو الأول، إلا أنهم لم يعينوا كونها دودة، بل قال القزاز: الهامة طائر من طير الليل[١] كأنه يعني البومة.

وقال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إليّ نفسي أو أحدا من أهل داري.

وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى. فعلى هذا، فالمعنى في الحديث: لا حياة لهامة الميت. وعلى الأول: لا شؤم بالبومة ونحوها»[٢].

ويتلخص من كلام العلماء أن النهي عن أحد أمور ثلاثة أو عنهم جميعاً:

أولا: أن عظام الميت. وقيل: روحه تنقلب هامة فتطير.

ثانياً: التشاؤم بالبومة لأنها بزعمهم ناعية له نفسه أو أحد أهله.

ثالثاً: بالتشديد واحدة الهوام دودة تمرض البطن يزعمون أنها تضر بذاتها.

وكل هذه المعاني محل نهي وأشهرها الأول على ما ذكره الراواة.

❖ **فائدة:**

يعلق ابن رجب رحمه الله على قولهم: أن الميت إذا مات صارت روحه أو عظامه هامة وهو طائر يطير فيقول: «وهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها. ولكن الذي جاءت به الشريعة «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وترد من أنهار الجنة إلى أن يردها الله تعالى إلى أجسادها يوم القيامة»»[٣].

---

(١) وانظر أيضاً: النهاية (هـ و م).

(٢) فتح الباري ١٠/ ٢٤١.

(٣) لطائف المعارف ص١٤٧.

٢٧٩- الهجر*

الهجر ضد الوصل. قال في اللسان: «وفي الحديث لا هجرة بعد ثلاث يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق، فإنه عليه الصلاة والسلام لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوما وقد هجر نساءه شهراً»[(١)].

قال في العين: «والهجر والهجران ترك ما يلزمك تعهده ومنه اشتقت هجرة المهاجرين؛ لأنهم هجروا عشائرهم فتقطعوهم في الله»[(٢)].

قال في الدرر السنية: «أصل الهجر: الترك والفراق والبغض، وشرعاً: ترك ما نهى الله عنه، ومجانبته والبعد عنه، وهو عام في الأفعال والأشخاص، وهو في المشركين، ومن لاذ بهم، واستحسن ما هم عليه، وخدمهم، وازدراء أهل الإسلام أعظم، لأن قبح الشيء من قبح متعلقه، وهذه الجملة فيها أقسام، ولها تفاصيل:

---

* الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ابن بطة ص١٢٠، ٤٢٩، ٤٧٤، التمهيد لابن عبد البر ٤/ ٨٧ ـ ٦/ ١١٨، ١٢٧، ١٠/ ١٤٥، الاستذكار لابن عبد البر ٢٦/ ٢٤، ١٤٥، شرح السنة للبغوي ١/ ٢١٩، الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٤٧ إلى ٢٧٣، مجموع الفتاوى ٣/ ٢٨٦، ٢٥/ ٨٧، ٢٨/ ٢١٦، ٣٧/ ١٦٠، ١٦١، الدرر السنية ٨/ ٨١، ٣٠٣، ٤٤٣، قطف الثمر صديق حسن ص١٥٧. مجموع الفتاوى لابن باز ٢/ ٥٩٦، ٢١٦، هجر المبتدع بكر أبو زيد. منهج الإمام مالك في العقيدة ١٣٠، منهج الشافعي في إثبات العقيدة ١٣٧، عقيدة الإمام ابن عبد البر للغصن ص١٨٢، الآثار الواردة في سير أعلام النبلاء د: جمال بن أحمد ٢/ ٧١٤.

(١) اللسان (هـ ج ر).

(٢) العين (هـ ج ر).

منها: هجر الكفار والمشركين، والقرآن من أوله إلى آخره ينادي على ذلك، ومصلحته تمييز أوليائه من أعدائه، وقريب من هذا هجر أهل البدع والأهواء، وقد نص الإمام أحمد وغيره من السلف، على البعد عنهم، ومجانبتهم، وترك الصلاة عليهم، وقال: أهل البدع إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، فتجب مفارقتهم بالقلب، واللسان، والبدن، إلا من داع إلى الدين مجاهد عليه، بالحجة مع أمن الفتنة، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾ [النساء.١٤٠]. والآيات والأحاديث، وكلام العلماء في هذا كثير. قال بعض المحققين: ويكفي العاقل قوله تعالى، بعد نهيه عن موالاة المشركين: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران ٣٠]»[(١)].

* الدليل على مشروعية الهجر:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٠].

وعن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر قال: «لا تجالسوا أهل الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله»[(٢)].

وقال الطبري: «وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم»[(٣)].

---

(١) الدرر السنية ٨/ ٣٠٤.

(٢) تفسير الطبري ٧/ ٢٢٩.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ٢٣٠.

* هجر أهل البدع:

جاءت نصوص كثيرة، عن أئمة السنة، في ذم أهل البدع، والأمر بهجرهم ومجانبتهم، والانكار عليهم، وزجرهم وتأديبهم.

فعن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، رحمهما الله، أنهما قالا: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»(١).

وقال بشر بن الحارث في شأن الجهمية: «لا تجالسوهم، ولا تكلموهم، وإن مرضوا فلا تعودهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٢).

وعن الحسن بن محمد بن علي، قال: «لا تجالسوا أهل القدر»(٣).

وعن ميمون بن مهران قال: «لا تجالسوا أهل القدر، ولا تسبُّوا أصحاب محمد ﷺ، ولا تعلموا النجوم»(٤).

وعن مصعب بن سعد، قال: «لا تجالسوا مفتوناً فإنه لن يخطئك منه إحدىٰ خصلتين: إما أن يفتنك فتتابعه، أو يؤذيك قبل أن تفارقه»(٥).

وعن مسلم بن يسار، قال: «لا تمكن صاحب بدعة من سمعك فيصيب فيها ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك»(٦).

وقال يحيىٰ بن أبي كثير: «إذا رأيت المبتدع في طريق، فخذ في غيره»(٧).

وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم، فإني لا آمن أن

---

(١) سنن الدارمي (٤٠٤).

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ح: ٦١.

(٣) المصدر السابق ح: ٨٧٤.

(٤) السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد ٢/ ٤١٦ (٩١٠)، سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٣.

(٥) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ١٥٨.

(٦) أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ح: ٤٣٦.

(٧) الشريعة ٦٤. وحلية الأولياء ٣/ ٦٩. سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩.

يغمروكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[١].

وقال محمد بن مخلد العطار: «سمعت إبراهيم الحربي يقول: لا أعلم عصابة خير من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدهم، ومعه محبرة، فيقول: كيف فعل النبي ﷺ، وكيف صلىٰ، إياكم أن تجالسوا أهل البدع، فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يفلح»[٢].

وموضوع «هجر المبتدع» يجب أن يفهم ضمن منهج أهل السنة والجماعة بمراعاة مقاصده، وأحكامه، وضوابطه الشرعية المبنية علىٰ جلب المصالح ودرء المفاسد.

والناس في هذا الباب بين إفراط وتفريط. فمنهم من يعرض عنه، ولا يعلمه ألبتة، أو يقصّر فيه. ومنهم من يبالغ فيه، ولا يراعي قواعده وأصوله؛ فتنشأ من ذلك وتترتب عليه مفاسد عظيمة، وهو من نقص الفقه والبصيرة في الدين.

* ضوابط مهمة في الهجر[٣]:

الأول: مراعاة المقصود الشرعي للهجر، وإدراك أنه عقوبة شرعية جعلت لزجر المبتدع وتأديبه، ورده عن غيه، ليتوب ويؤوب، ومنع بدعته من الفشو والانتشار في المجتمع المسلم، حتىٰ لا تؤثر علىٰ كيانه وتماسكه، وتحفظ عليه دينه، وعقيدته.

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٢٧٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٨.

(٣) مستفاد من كتاب الآثار الواردة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء ٢/ ٧٤٦-٧٤٨، وقد اعتمد في صياغة هذه الضوابط علىٰ المصادر التالية:
أ ـ مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية، المجلد الثامن والعشرون.
ب ـ الاعتصام للشاطبي.
ج ـ هجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد.
د ـ حقيقة البدعة وأحكامها للباحث سعيد بن ناصر الغامدي.

الثاني: هجر المبتدع قربة إلى الله، فلابد من مراعاة شرطي قبول الأعمال فيها، وهما: الإخلاص والمتابعة، والحذر من متابعة هوى النفس في ذلك.

الثالث: التأكد والتثبت قبل الإقدام على الهجر، من الأمور التالية:

أ ـ أن الأمر الذي وقع فيه مما دلت النصوص والقواعد الشرعية على بدعيته.

ب ـ ثبوته عنه، وعدم أخذ الناس بالتخرص والظن.

ج ـ خلوه من الموانع والأعذار، كالجهل والتأول ونحوهما.

الرابع: مراعاة المصلحة والمفسدة المترتبة على الهجر، ومراعاة قواعد الترجيح عند تعارض المصالح والمفاسد، بتحقيق أكمل المصلحتين، ودرء أعظم المفسدتين.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله: «فإذا كانت المصلحة المبتغاة من الهجر معارضة بمفسدة راجحة من تفويت مصلحة أرجح من المصلحة المترتبة على هذا الهجر، أو حصول مفسدة أعظم هي أسخط لله من مفسدة هذه المخالفة، لم يشرع الهجر في هذه الحالة، وكان التأليف أنفع، وبمقاصد الشريعة أليق»[١].

الخامس: مراعاة اختلاف مراتب البدعة، من جهة كونها كفراً أو غير كفر، ومن جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً لها، ومن جهة كونها حقيقة أو إضافية، ومن جهة اجتهاده فيها أو كونه مقلداً، ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه[٢].

السادس: مراعاة الأماكن التي ظهرت فيها البدعة، وحال أهل تلك البدعة، وحال الهاجرين لهم. ففرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، وبين الأماكن الأخرى التي ليست كذلك. وفرق في حال المهجور بين القوي في الدين وبين الضعيف فيه[٣].

---

(١) المجموع الثمين ١/ ٣١، ٣٢.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي ١/ ١٦٧، ١٧٤.

(٣) فإن القوي في دينه يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف فيه، كما في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. انظر: فتح الباري لابن حجر ٨/ ١٢٣.

ولا بد من مراعاة اختلاف حال الهاجرين أنفسهم، من حيث القوة والضعف، والقلة والكثرة.

فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة، كانت مشروعية «هجر المبتدع» قائمة علىٰ أصلها، وأما إن كانت القوة والكثرة لأهل البدع، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه لا يحصل المقصود الشرعي للهجر، فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بذلك، بل يخشىٰ من زيادة الشر وتفاقمه، وبالتالي لا يشرع الهجر، وإنما يلجأ إلىٰ مسلك التأليف.

وفي كل هذه الأحوال لا بد من الدعوة إلىٰ السنة والحث عليها، والنهي عن البدعة والتحذير منها، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتالي هي أحسن، وتحمل الأذىٰ في ذلك والصبر، باحتساب المثوبة والأجر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: «فإذا لم يكن في هجرانه ـ أي المبتدع ـ انزجار أحد ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها، لم تكن الهجرة مأمورا بها كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك: أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية. فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم، سقط الأمر بفعل هذه الحسنة. وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي. وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم. فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب: كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس. ولهذا كان الكلام في هذه المسألة فيه تفصيل»[(١)].

السابع: التفريق بين من كان داعية إلىٰ بدعته، وبين من ليس كذلك.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٢١٢. وانظر: ٢٠/ ٥٧، ٥٨.

فالداعية إلى البدعة يزجر ويهجر، بخلاف غيره فإنه ينظر في حقه إلى الأمور السالفة الذكر[١].

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن مقاطعة مرتكب الجريمة: ما موقف الداعية منها ولا سيما إن كان من الأقارب؟

الجواب: «هذا فيه تفصيل: يشرع هجره ومقاطعته إذا أعلن المنكر وأصر ولم ينفع فيه النصح شرع لقريبه أو جاره هجره، وعدم إجابة دعوته، وعدم السلام عليه، حتى يتوب لله من هذا المنكر.

هكذا فعل النبي ﷺ والصحابة لما تخلف كعب بن مالك وصاحباه عن غزوة تبوك بغير عذر شرعي، أمر النبي ﷺ بأن لا يُكَلَّمُوا ويُهجروا، فهُجروا جميعاً حتى تابوا وتاب الله عليهم.

أما إن كان هجر الشخص قد يترتب عليه ما هو أنكر من فعله ؛ لأنه ذو شأن في الدولة أو ذو شأن في قبيلته، فيترك هجره ويعامل بالتي هي أحسن ويرفق به حتى لا يترتب على هجره ما هو شر من منكره وما هو أقبح من عمله، والدليل على ذلك أنه ﷺ لم يعامل رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بمثل ما عامل به الثلاثة وهم كعب وصاحباه، بل تلطف به ولم يهجره؛ لأنه رئيس قومه، ويخشى من سجنه وهجره فتنة للجماعة في المدينة، فلهذا كان النبي ﷺ يرفق به حتى مات على نفاقه، نسأل الله العافية.

وهنا مواضع أخرى جرت للرسول ﷺ على بعض الناس، لم يهجرهم بل رفق بهم حتى هداهم الله. فالرفق في الدعوة من ألزم أمورها، وبالله التوفيق»[٢].

وفي آخر هذا الباب يحسن بنا أن نقف مع كلامٍ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(١) الآثار الواردة ص ٧٤٨.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ص٦١٧.

حيث سُئل عمَّن يجب أو يجوز بغضه وهجره، فكان من جوابه: «... وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله.

فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر.

والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذي خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك سادة مطاعون في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين، وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح.

وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل، ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع، كما كثر القدر في البصرة، والتنجيم بخراسان، والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه.

وإذا عرف هذا، فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها رسوله، فالطاعة لابد أن تكون خالصة لله، وأن تكون موافقة لأمره، فتكون خالصة لله صواباً، فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجراً غير مأمور به: كان خارجاً عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه، ظانة أنها تفعله طاعة لله.

والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاث، كما جاء في الصحيحين

عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث؛ يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» فلم يرخص في هذا الهجر أكثر من ثلاث، كما لم يرخص في إحداد غير الزوجة أكثر من ثلاث. وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «تفتح أبواب الجنة كل اثنين وخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظِروا هذين حتىٰ يصطلحا». فهذا الهجر لحق الإنسان حرام، وإنما رخص في بعضه، كما رخص للزوج أن يهجر امرأته في المضجع إذا نشزت، وكما رخص في هجر الثلاث.

فينبغي أن يفرق بين الهجر لحق الله، وبين الهجر لحق نفسه، فالأول مأمور به، والثاني منهي عنه ؛ لأن المؤمنين إخوة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم»، وقال ﷺ في الحديث الذي في السنن: «ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟» قالوا: بلىٰ يا رسول الله! قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين». وقال في الحديث الصحيح: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر».

وهذا لأن الهجر من باب العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، والمؤمن عليه أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ

إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [حجرات: ٩-١٠] فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم.

فليتدبر المؤمن الفرقَ بين هذين النوعين. فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدىٰ عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»[1].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٢٠٦-٢٠٩.

٢٨٠- الهجرة*

الهجرة في اللغة: مأخوذة من الهجر وهو الترك[١].

قال في مختار الصحاح: «الهجر ضد الوصل ... والاسم الهجرة والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية»[٢].

وقال في النهاية: «الهجرة في الأصل الاسم من الهجر ضد الوصل، وقد هجره هجراً وهجراناً، ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى للثانية. يقال منه هاجر مهاجرة»[٣].

وقال في التعريفات: «الهجرة: هي ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام»[٤].

وقال في اللسان: «و الهجرة: الخروج من أرض إلى أرض و المهاجرون الذين ذهبوا مع النبي مشتق منه ... قال الأزهري: وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن، يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك، وكذلك كل مخلٍ بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها ولحقوا بدار ليس لهم بها

* التمهيد لابن عبد البر ٢/ ٢١٨ ـ ٨/ ٣٨٨ ـ ١٢/ ٢٢٤، الدرر السنية ١/ ١٧٥، ٨/ ١٢٠، ١٩٨، ٢٣٨، ٢٧٨، ١٢/ ٣٩٩، نور على الدرب ص١٩٨، شجرة الإيمان للسعدي من المجموعة ص٤١٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/ ١٤، ٢١، الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين حسين عوايشة. التبرك د ناصر الجديع ص٣٧٨.

(١) انظر شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ص١٣٠.

(٢) مختار الصحاح (هـ ج ر).

(٣) النهاية (هـ ج ر).

(٤) التعريفات (هـ ج ر).

أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر والاسم منه الهجرة»[١].

الهجرة في الشرع: قال في المغني : «الهجرة: هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام»[٢].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. وهي باقية إلى أن تقوم الساعة»[٣].

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة:٢١٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٢]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١١٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾

(١) لسان العرب (هـ ج ر).
(٢) المغني ٩/ ٢٣٦.
(٣) الأصول الثلاثة مع حاشية ابن قاسم ص٨٣

﴿فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ۝٩٩ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٠٠﴾ [النساء: ٩٧-١٠٠].

قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ: حدثنا حيوة وغيره قالا: حدثنا محمد بن عبدالرحمن أبو الأسود قال: «قُطِع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثّرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتَل، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ...﴾الآيَةَ»[1].

قال ابن كثير رحمه الله: «قال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بمكة، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأُصيبوا فيمن أُصيب فنزلت هذه الآية الكريمة[2] عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي بترك الهجرة ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ﴾ أي لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ﴾ الآية»[3].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ...﴾ [النساء:٩٧] قال ابن

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩٦) (٧٠٨٥).

(٢) انظر تفسير الطبري ٩/ ١٠٨.

(٣) تفسير ابن كثير عند تفسير الآيات ٩٥-٩٦ من سورة النساء.

قدامة المغني: «وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب؛ ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(١).

وقال البغوي رحمه الله تعالى: «سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ؛ ناداهم باسم الإيمان»(٢).

وقال ابن قاسم رحمه الله: «أمر تعالى عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرضه الواسعة، وأخبر أن الأرض غير ضيقة بل واسعة، تسع جميع الخلائق، فإذا كان الإنسان في أرض لم يتمكن من إظهار دينه فيها، فإن الله قد وسع له الأرض ليعبده فيها كما أمر، وكذلك يجب على كل من كان ببلد يعمل فيها بالمعاصي، ولا يمكنه تغييرها أن يهاجر منها»(٣).

الدليل من السنة: عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»(٤).

وعن بهز بن حكيم يحدث عن أبيه عن جده قال: قلت: يا نبي الله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عددهن لأصابع يديه ألا آتيك ولا آتي دينك، وإني كنت امرأ لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله ورسوله، وإني أسألك بوجه الله عز وجل بما بعثك ربك إلينا قال: «بالإسلام» قال: قلت: وما آيات الإسلام؟ قال: «أن تقول أسلمت وجهي إلى الله عز وجل وتخليت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، كل مسلم على مسلم محرم أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعدما أسلم عملاً، أو يفارق

---

(١) المغني ٩/ ٢٣٦.

(٢) مستفاد من حاشية ثلاثة الأصول ص٨٥.

(٣) حاشية ثلاثة الأصول ٨٥.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧٨٧).

المشركين إلى المسلمين»»[١].

وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى خثعم فاعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، ولِمَ؟ قال: «لا ترايا ناراهما»[٢].

قال ابن قدامة في المغني: «ومعناه: لا يكون بموضع يرى نارهم ويرون ناره إذا أوقدت»[٣].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»[٤].

وروى الإمام أحمد عن أبي الخير أن جنادة بن أبي أمية حدثه أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال: بعضهم إن الهجرة قد انقطعت، فاختلفوا في ذلك قال: فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أناساً يقولون إن الهجرة قد انقطعت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد»[٥]. وفي رواية عند النسائي قَالَ: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»[٦].

وعن ابن السعدي أن النبي ﷺ قال: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل». فقال معاوية وعبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو بن العاص إن النبي ﷺ قال: «إن الهجرة خصلتان إحداهما: أن تهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله،

---

(١) أخرجه النسائي(٢٥٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) والترمذي (١٦٠٤)(١٦٠٥).

(٣) المغني ٩/ ٢٣٦.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٧١٤).

(٦) أخرجه النسائي (٤١٧٧).

ولا تنقطع الهجرة ما تُقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل»[١].

أحكام وفوائد:

١- حكم الهجرة:

قال في المغني: «الناس في الهجرة على ثلاثة أضرب:

أحدها: من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ولا يمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:٩٧] وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب ؛ ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الثاني: من لا هجرة عليه وهو من يعجز عنها، إما لمرض أو إكراه على الإقامة، أو ضعف من النساء والولدان وشبههم فهذا لا هجرة عليه لقول الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٩٨] ولا توصف باستحباب ؛ لأنها غير مقدور عليها.

والثالث: من تستحب له ولا تجب عليه، وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر فاستحب له ليتمكن من جهادهم وتكثير المسلمين ومعونتهم»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٧١).

(٢) المغني ٩/ ٢٣٦.

وقال في المغني : «وحكم الهجرة باق لا ينقطع إلىٰ يوم القيامة في قول عامة أهل العلم»[١].

وفي قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «والهجرة باقية إلىٰ أن تقوم الساعة» قال الشيخ ابن قاسم: «باتفاق من يعتد به من أهل العلم. قال شيخ الإسلام : «لايسلم أحد من الشرك إلا بالمباينة لأهله»»[٢]. وهو الصحيح فإن بقاء الهجرة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام معلوم بالنص، والإجماع.

وسئل شيخ الإسلام رحمه الله عن بلد «ماردين» هل هي بلد حرب أم بلد سلم؟ وهل يجب علىٰ المسلم المقيم بها الهجرة إلىٰ بلاد الإسلام أم لا؟ وإذا وجبت عليه الهجرة ولم يهاجر وساعد أعداء المسلمين بنفسه أو ماله هل يأثم في ذلك؟ وهل يأثم من رماه بالنفاق وسبه به أم لا؟

فأجاب: «الحمد لله، دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها، وإعانة الخارجين عن شريعة دين الإسلام محرمة سواء كانوا أهل ماردين أو غيرهم، والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه وإلا استحبت ولم تجب، ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم، ويجب عليهم الامتناع من ذلك بأي طريق أمكنهم من تغيب أو تعريض أو مصانعة، فإذا لم يمكن إلا بالهجرة تعينت ولا يحل سبهم عموماً ورميهم بالنفاق ؛بل السب والرمي بالنفاق يقع علىٰ الصفات المذكور في الكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم»[٣].

وكلام أهل العلم معروف مشهور في وجوب الهجرة من كل بلد أو موضع لا

(١) المغني ٩/ ٢٣٦.

(٢) حاشية ثلاثة الأصول ص٨٣.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢٨/ ٢٤٠.

يقدر المسلم على إظهار دينه فيها[١].

وانظر باب (الإقامة في بلد الكفار).

٢- التعريف ببلد الكفر وبلد الإسلام:

قال الشوكاني رحمه الله: «الاعتبار بظهور الكلمة، فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره، إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها؛ لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم، كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى، والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية، وإذا كان الأمر بالعكس فالدار بالعكس»[٢].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «قد ذكر أهل العلم الفرق بين بلاد الإسلام وبلاد الكفار، فبلاد الإسلام التي يحكمها المسلمون وتجري فيه الأحكام الإسلامية، ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً، وبلاد الكفر ضدها فهي التي يحكمها الكفار وتجري فيه أحكام الكفر ويكون النفوذ فيها للكفار، وهي على نوعين: بلاد كفار حربيين، وبلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة، فتصير إذا كانت الأحكام للكفار والنفوذ لهم دار كفر ولو كان بها كثير من المسلمين»[٣].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وبلد الشرك هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه

---

(١) انظر الدرر السنية ٨/ ١٦١، ١٦٢، ٤٩٦.

(٢) السيل الجرار ٤/ ٥٧٥.

(٣) المجموعة الكاملة ٧/ ٦٨.

محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل»(١).

٣- معنى قوله ﷺ «لا هجرة بعد الفتح»:

قال الخطابي رحمه الله وغيره: «كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم،لقلة المسلمين بالمدينة، وحاجاتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة، دخل الناس في دين الله أفواجاً، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو»(٢).

وقال ابن حجر في الفتح: «قوله: باب لاهجرة بعد الفتح. أي: فتح مكة، أو المراد ما هو أعم من ذلك، إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة.

الثاني: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أُجر»(٣).

وقال الأمير الصنعاني رحمه الله: «والحديث «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين مشركين» دليل على وجوب الهجرة من ديار المشركين من غير مكة وهو مذهب

---

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ١٣٠.
(٢) نقلاً عن تحفة الأحوذي ٥/ ٢١٤.
(٣) فتح الباري ٦/ ١٩٠.

الجمهور ... وذهب الأقل إلىٰ أنها لا تجب الهجرة، وأن الأحاديث منسوخة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» متفق عليه.

قالوا فإنه عام ناسخ لوجوب الهجرة الدال عليه ما سبق وبأنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم لم يأمر من أسلم من العرب بالمهاجرة إليه، ولم ينكر عليهم مقامهم ببلدهم، ولأنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم كان إذا بعث سرية قال لأميرهم: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خلال، فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلىٰ التحول عن دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما علىٰ المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم، أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالىٰ الذي يجري علىٰ المؤمنين» الحديث... فلم يوجب عليهم الهجرة، والأحاديث غير حديث ابن عباس محمولة علىٰ من لا يأمن علىٰ دينه.

قالوا: وفي هذا جمع بين الأحاديث، وأجاب من أوجب الهجرة بأن حديث «لا هجرة» يراد به نفيها عن مكة كما يدل له قوله «بعد الفتح» فإن الهجرة كانت واجبة من مكة قبله.

وقال ابن العربي: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلىٰ دار الإسلام، وكانت فرضاً علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، واستمرت بعده لمن خاف علىٰ نفسه والتي انقطعت بالأصالة هي القصد إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم حيث كان.

وقوله: «ولكن جهاد ونية» قال الطيبي وغيره: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله، والمعنىٰ: أن الهجرة التي هي مفارقة للوطن التي كانت مطلوبة علىٰ الأعيان إلىٰ المدينة قد انقطعت، إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية،

وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم، والفرار من الفتن والنية في جميع ذلك معتبرة»[١].

٤ - فائــــدة:

قال في النهاية: «والهجرة هجرتان:

إحداهما: التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، فكان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجره، وكان النبي ﷺ يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها فمن ثم قال «لكن البائس سعد بن خولة» يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة، وقال حين قدم مكة: «اللهم لا تجعل منايانا بها» فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى فهو مهاجر وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، وهو المراد بقوله «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة» فهذا وجه الجمع بين الحديثين. وإذا أطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة، ومنه الحديث «ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم» المهاجَر - بفتح الجيم - موضع المهاجرة ويريد به الشام؛ لأن إبراهيم عليه السلام لما خرج من أرض العراق مضى إلى الشام وأقام به»[٢].

---

(١) سبل السلام ٤/ ٤٣.

(٢) النهاية (هـ ج ر).

٢٨١- الهداية *

الهدىٰ لغة: قال الجوهري: «الهدىٰ والرشاد والدلالة»[(١)].

وقال الراغب: «الهداية دلالة بلطف»[(٢)].

وأصل الهدىٰ في كلام العرب: التوفيق[(٣)].

قال الجرجاني: «هي الدلالة علىٰ ما يوصل إلىٰ المطلوب. وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلىٰ المطلوب»[(٤)].

وتأتي الهداية بمعنىٰ الدلالة والإرشاد علىٰ طريق النجاة والسعادة مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ.٥٢]. فهو المبيِّنُ عن الله والدالّ علىٰ دينه وشرعه وهذه تقع من المخلوق، وهي الدعوة إلىٰ الله التي أرسل الله بها نبيه محمد ﷺ.

وتأتي بمعنىٰ التوفيق والتأييد، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص.٥٦]. أي لا تهدي هداية توفيق وتأييد في قلب من

* لوامع الأنوار للسفاريني ١/ ٥١، ٣٣٤. تيسير العزيز الحميد ص٢٩٨. فتح المجيد ص٢٤١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص١٤١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ١/ ٣٥١، ط٢- ١/ ٤٤٧. القول السديد لابن سعدي المجموعة ٣/ ٢٥. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢/ ٤٨٨، ٣/ ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩. منهج الحافظ ابن رجب في العقيدة ص١٦٤. مباحث العقيدة في سورة الزمر ص٥٢٩، ٥٤١.

(١) الصحاح (هـ د ىٰ)

(٢) المفردات (هـ د ىٰ).

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٦٦.

(٤) التعريفات للجرجاني ص ٣١٩.

أضله الله. والهداية الأولى عامة بمعنى أنه يملكها الخلق، والثانية خاصة بالله تعالى كما في الحديث الآتي بعد(١).

* الأدلة من الكتاب: قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦].

فالهداية التي بمعنى التوفيق والتأييد في قلب من أضله الله هذه مما يختص بها الله سبحانه وتعالى ويَمُنُّ بها على من يشاء.

وعن الآية قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى لرسوله ﷺ إنك يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

* سبب نزول الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾:

عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال: «يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣]. وأنزل الله في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي

(١) انظر للاستزادة مفردات القرآن (هـ د ى).

﴿مَن يَشَآءُ﴾ [القصص.٥٦](١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله معلقاً على هذا الحديث: «ففي هذا أعظم البيان، وأوضح البرهان على أنه ﷺ لا يملك ضراً ولا نفعاً، ولا عطاء ولا منعاً، وأن الأمر كله بيد الله، فهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعذب من يشاء، ويرحم من يشاء، ويكشف الضر عمن يشاء، ويصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم. وهو الذي من جوده الدنيا والآخرة، وهو بكل شيء عليم. ولو كان عنده ﷺ من هداية القلوب ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب شيء لكان أحق الناس به، وأولاهم من قام معه أتم القيام ونصره، وأحاطه من بلوغه ثمان سنين وإلى ما بعد النبوة بثمان سنين أو أكثر»(٢).

وفي الحديث يتبين سبب نزول الآية، وفيها النهي عن الاستغفار للمشركين، فلا يجوز الاستغفار لهم؛ لأن الله قد قضى أن لا يغفر لهم أبداً إذا ماتوا على الشرك.

❖ فائـــدة:

أشكل على البعض الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى.٥٢].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «فالجمع بينهما وبين الآية المترجم لها، قيل: الهداية التي تصح نسبتها لغير الله بوجه ما هي هداية الإرشاد والدلالة، كما قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: ترشد وتبين، والهداية المنفية عن غير الله هي هداية التوفيق وخلق القدرة على الطاعة، ذكره بعضهم بمعناه»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٩٨، ٢٩٩.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٣٠٠.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والهداية التي نفاها الله عن رسوله ﷺ هداية التوفيق، و التي أثبتها له هداية الدلالة والإرشاد، ولهذا أتت مطلقة لبيان أن الذي بيده هو هداية الدلالة فقط، لا أن يجعله مهتدياً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]، فلم يخصص سبحانه فلاناً وفلاناً ليبيِّن أن المراد: أنك تهدي هداية دلالة، فأنت تفتح الطريق أمام الناس فقط وتُبيِّن لهم وترشدهم، وأما إدخال الناس في الهداية ؛ فهذا أمر ليس إلى الرسول ﷺ، إنما هو مما تفرد الله به سبحانه، فنحن علينا أن نبيِّن وندعو، وأمَّا هداية التوفيق (أي أن الإنسان يهتدي) ؛ فهذا إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الجمع بين الآيتين»[١].

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٩/ ٣٤٠-٣٤١.

٢٨٢- الهوى

قال في المصباح المنير: «الهوىٰ مقصور، مصدر هويتُهُ إذا أحببته وعلِقت به، ثم أطلق علىٰ ميل النفس وانحرافها نحو الشيء، ثم استعمل في ميل مذموم فيقال: اتبع هواه، وهو من أهل الأهواء»[(١)].

والهوىٰ المذموم: كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد[(٢)].

وقال الراغب: «الهوىٰ سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلىٰ كل داهية وفي الآخرة إلىٰ الهاوية»[(٣)].

وقد ذمَّ اللهُ اليهودَ لاتباعهم أهوائهم، حيث قادهم ذلك إلىٰ تبديل شرع الله والكفر بالرسول ﷺ، وما جاء به من الوحي، قال تعالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

قال القرطبي رحمه الله: «قال الشعبي: إنما سمي الهوىٰ هوىً لأنه يهوي بصاحبه في النار. وقال ابن عباس: ما ذكر الله هوىٰ في القرآن إلا ذمّه الله. قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

(١) المصباح المنير (هـ و ى).
(٢) انظر الهوىٰ وأثره في الخلاف ص١٢.
(٣) المفردات (هـ و ى).

بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقال عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئتُ به». وقال أبو أمامة: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما عُبد تحت السماء إله أبغض إلىٰ الله من الهوىٰ». وقال شداد بن أوس عن النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنىٰ علىٰ الله»، وقال عليه السلام: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنياً مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع أمر العامة». وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، فالمهلكات: شح مطاع، وهوىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه، والمنجيات: خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنىٰ والفقر، والعدل في الرضا والغضب». وقال أبوالدرداء ﷺ: «إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء وإن كان عمله تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح»»[1].

وقال شيخ الإسلام: «ومما يتعلق بالثلاث المهلكات والمنجيات التي ذكر أنه عند المهلكات عليك بخويصة نفسك أنه قال: شح مطاع، وهوىٰ متبع، فجعل هذا مطاعاً وهذا متبعاً، وهذا والله أعلم ؛ لأن الهوىٰ هوىٰ النفس، وهو محبتها للشيء وشهوتها له سواء أريد به المصدر أو المفعول فصاحب الهوىٰ يأمره هواه ويدعوه فيتبعه كما تتبع حركات الجوارح إرادة القلب، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ [المائدة:٧٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠] وهذا يعم الهوىٰ في الدين كالنصارىٰ وأهل البدع في المقال والقدر كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء من الرافضة والخوارج، وهذا الهوىٰ موجود في كثير من الفقراء والفقهاء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٦٧.

إلا من عصمه الله وقد اختلف أصحابنا هل يدخل الفقهاء المختلفون في اسم أهل الأهواء على وجهين أدخلهم في التقسيم القاضي أبويعلى وكذلك قبله الشيخ أبوحامد الإسفرائيني فيما أظن وأنكره ابن عقيل»[١].

واتباع الهوىٰ نوع من الشرك كما قال بعض السلف: «شر إلهٍ عُبد في الأرض الهوىٰ» ! فهو يُضلّ الإنسان عن الحق وإن كان يعرف ذلك، فإذا صار الهوىٰ هو القائد والدافع صار أصحابه شيعاً يتعصّب كل واحد لرأيه ويُعادي من خالفه، ولو كان الحق معه واضحاً لأن الحق ليس مطلوبه ! وبذلك يذلوا وتذهب ريحهم، ويفشلوا أمام كل عمل أرادوه، لأنهم صاروا متفرقين تتحكم فيهم الأهواء.

والهوىٰ منه مذموم وهو ما خالف الحق وقد سبق بيانه ومنه ما كان حقاً فلا يذم، قال القرطبي: «وقد يستعمل في الحق، ومنه قول عمر ﷺ في أسارىٰ بدر فهوىٰ رسول الله ﷺ: «ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت». وقالت عائشة للنبي ﷺ في صحيح الحديث: والله ما أرىٰ ربك إلا يسارع في هواك. أخرجهما مسلم»[٢].

وقد سبق بيان قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئت به». انظر (باب محبة الله)، (محبة الرسول ﷺ).

٢٨٣- الواهنة

انظر باب (التميمة) .

٢٨٤- الوتر

انظر باب (التميمة).

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٨/ ٣٣٢-٣٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٥.

٢٨٥- الوثن*

قال ابن الأثير: «الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد، والصنم الصورة بلا جثة، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين، وقد يطلق الوثن على غير الصورة كما في حديث عدي بن حاتم قال: «قدمت على النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي: ألق هذا الوثن عنك»[(١)]»[(٢)].

وقد تقدم أن الوثن يطلق على الصنم.

قال ابن عبدالبر: «قال أبو عمر: الوثن الصنم وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم»[(٣)].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: «الصنم التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان وهو وثن»[(٤)].

* التمهيد لابن عبدالبر ٥/ ٤٥، تلبيس إبليس ص ٥٣، تيسير العزيز الحميد ص ١١٨، فتح المجيد ١٠١، حاشيةكتاب التوحيد لابن قاسم ص ٥٠، القول المفيد لابن عثيمين ط١ – ١/ ١١٣، ط٢ -١/ ١٤٤، ومن المجموع ٩/ ١٠٥، مجموع فتاوى ابن عثيمين ٧/ ٦١، مباحث العقيدة في سورة الزمر ص ٤٠١، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجلد السادس، مجلة الدعوة العدد (١٧٨٧)..

(١) الترمذي ٣٠٩٥.

(٢) النهاية (و ث ن).

(٣) التمهيد ٥/ ٤٥.

(٤) تفسير ابن جرير ٧/ ٢٤٤.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «وقد يسمى الصنم وثناً كما قال الخليل عليه السلام ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، ويقال: إن الوثن أعمّ، وهو قوي، فالأصنام: أوثان، كما أن القبور أوثان»[١].

يقول الشيخ السعدي: «الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين في هذا الموضع»[٢].

الفرق بين الوثن والصنم:

انظر باب (الصنم).

إطلاق الوثن على الصليب:

تقدم قوله ﷺ: «ألق هذا الوثن عنك».

ومن إطلاق الوثن على الصليب قول الأعشى:

تطوف العفاة بأبوابـــه كطوف النصارى ببيت الوثن

قال الأزهري عن شمر: «أراد بالوثن الصليب»[٣].

والصليب: قال صاحب الكليات : «هو المربع المشهور للنصارى من الخشب يدّعون أن عيسى النبي صلب على خشبة على تلك الصورة»[٤].

قال في تحفة الأحوذي: «الصليب هو كل ما كان على شكل خطين متقاطعين وقال في المجمع هو المربع من الخشب للنصارى يدعون أن عيسى عليه السلام صلب على خشبة على تلك الصورة»[٥] .

(١) فتح المجيد ١٠١.
(٢) القول السديد ص ٧١.
(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ١٤٤.
(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ٥٦٣ .
(٥) تحفة الأحوذي ٨/ ٣٩٠ .

وفي سؤال عن صفة الصليب المنهي عنه أجابت لجنة الإفتاء بما يلي :

«شكل الصليب المدعي الذي هو اليوم شعار النصارىٰ هو وضع خط ونحوه علىٰ خط أطول منه قليلاً بحيث يقع الأعلىٰ القصير علىٰ قرابة ثلث الأسفل الطويل من فوق أن يشكل التقاطع زوايا قائمة»(١) . وجمعها: تصاليب .

وقال ابن عثيمين : «هي الصلبان التي يتخذها النصارىٰ شعارا لدينهم أو يعبدونها والصليب كل ما كان علىٰ شكل خطين متقاطعين هكذا عرّفه صاحب المنجد أن يكون علىٰ شكل خط مستقيم رأسه إلىٰ فوق يعترضه خط رأسه إلىٰ الجانب سواء كان هذا الخط المعترض في وسط الخط المستقيم أو فوق وسطه ، يزعم النصارىٰ أن المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام صلب عليه بعد أن قتل وقد قال الله تعالىٰ في القرآن مكذبا من زعموا أنهم قتلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء.١٥٧] .وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء.١٥٧ـ١٥٨] فكان النصارىٰ يقدسون الصليب يضعونه فوق محاربهم ويتقلدونه في أعناقهم»(٢) .

وفي الصحيح عن عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئاً فِيهِ تَصَالِيبُ إِلاَّ نَقَضَهُ»(٣) .

وروىٰ ابن سيرين عن دفرة عن أم سلمة أنها كانت تكره الثياب المصلبة، يعني : التي صور فيها الصليب(٤) .

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ٧٩ .

(٢) فتاوىٰ العقيدة لابن عثيمين ٢٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٢) .

(٤) الجامع لمعمر بن راشد ١١/ ٧٦، البغوي ١٢/ ١٣٢ . الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٤٨٠ .

والمراد بالكراهة هنا كراهة التحريم، قال شيخ الإسلام : «والكراهية في كلام السلف كثيراً وغالباً يراد بها التحريم»[١] .

وقال ابن القيم رحمه الله : «وقد غلط كثير من المتأخرين من أتباع الأئمة على أئمتهم بسبب ذلك حيث تورع الأئمة عن إطلاق لفظ التحريم وأطلقوا لفظ الكراهة، فنفي المتأخرون التحريم عما أطلق عليه الأئمة، ثم سهل عليهم لفظ الكراهة وخفت مؤنته عليهم فحمله بعهم على التنزيه.. فحصل بسببه غلط عظيم على الشريعة وعلى الأئمة»[٢] .

*** حكم لبس الصليب:**

ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة هذا نصه :

س: اختلفنا في المسلم الذي يلبس الصليب شعار النصارى فبعضنا حكم بكفره بدون مناقشة والبعض الآخر قال: لا نحكم بكفره حتى نناقشه ونبين له تحريم ذلك، وأنه شعار النصارى، فإذا أصر على حمله حكمنا بكفره.

فأجابت اللجنة الموقرة بما يلي :

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . وبعد :

جـ: التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب، فإذا بُيِّن له حكم لبس الصليب وأنه شعار النصارى ودليل على أن لابسه راضٍ بانتسابه إليهم والرضا بما هم عليه وأصر على ذلك حكم بكفره لقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة :٥١] والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر. وفيه أيضاً إظهار لموافقة النصارى على ما زعموا من قتل عيسى عليه الصلاة والسلام والله

(١) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٤١.

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٣٩ .

سبحانه نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم حيث قال ﷻ : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ الآية. وبالله التوفيق . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[1] .

٢٨٦- وسائل الشرك*

انظر باب (حماية التوحيد) .

٢٨٧- وضع الغرس على القبر**

انظر باب (القبور) .

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٧٨ .

* الدرر السنية ١/ ٢٩٣، ٥/ ١٢٦ .

** الدرر السنية ٥/ ٨٧ .

٢٨٨- الـــوقـف*

في اللغة : الحبس .

وفي الشرع : «حبس العين على التمليك مع التصدق بمنفعتها»[١] .

ومقصودنا هنا ما يتعلق بالوقف إذا كان على قبر أو ما يتعلق بشرك أو معصية تكون وسيلة للشرك . وقد نص العلماء ـ رحمهم الله ـ على منع الوقف على المشاهد وإسراج القبور وأشباهه ومن أولئك العلماء الهيتمي رحمه الله فقد نص في «الفتاوى الكبرى» على منع الوقف على إسراج شمع على مشهد صالح ، إذا قصد به الواقف التقرب إلى من في القبر ، والتنوير عليه[٢] .

قال ابن القيم : «وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وطفيه فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ ولا يصح هذا الوقف ولا يحل إثباته وتنفيذه»[٣] .

٢٨٩- الوقـــوف

انظر باب : «القيام».

* شرح السنة للبغوي ٨/ ٢٨٧ . اقتضاء الصراط المستقيم ٢ / ٥٤٢ . مجموع الفوائد واقتناص الأوابد للسعدي ص١٠١ . مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٧/ ٢٠٩ .

(١) التعريفات للجرجاني ٣٢٨ .

(٢) الفتاوى الكبرى ٤ / ٢٧٦ من كتاب النذور .

(٣) إغاثة اللهفان ١ / ٢١٠ .

٢٩٠- الولاء والبراء*

الولاء في اللغة: مصدر ولي الشيء بمعنى قرب منه.

قال الجوهري: «الولي: القرب والدنو، والولي ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة ... والولاية النصرة»(١).

والولي: «التابع المحب»(٢).

فمادة الولاء في معاجم اللغة تدور حول معنى القرب والدنو والنصرة والمحبة والمتابعة والرضى(٣).

---

* التمهيد لابن عبد البر ١٧/ ٤٢٩، ٤٣١، ٢١/ ١٢٤، ١٣٣. الاستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ٩٩. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٢٥٩. مصنف عبد الرزاق ١١/ ٢٠١. الإبانة لابن بطة العكبري ٦٥٧. شرح السنة للبغوي ١٣/ ٤٨، ٥٥. اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٥٧-١٦١. الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٥٣٠.

بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ١٩. تيسير العزيز الحميد ص٤٨٣. فتح المجيد ص٣٩١. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٤١. القول المفيد لابن عثيمين ط١- ٢/ ١٥٣، ط٢-٢/ ١٨٩ ومن المجموع ١٠/ ٦٣٥. الدرر السنية ١/ ٤٧٠، ٤٧٤، ٨/ ٧١، ٧٧، ١٢٢، ١٦٦، ٩/ ٤٢٩، ١٠/ ١٣٩، ١٤٤، ١٥/ ٤٧١، ٤٧٧. فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٤١. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٧. شجرة الإيمان للسعدي المجموعة ٣/ ١٠٠. مجموع الفتاوى لابن باز ٣/ ١٠١٩- ١٠٧٠. نور على الدرب ابن باز ص٣٩٧. مجموع الفتاوى لابن عثيمين ٣/ ١٩-٥٠. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/ ٢٢٩، ٢٩٧. نواقض الإيمان القولية والعملية ٣٥٨. الإمام المروزي وجهوده في توضيح العقيدة للنفيعي ص٢٠٥. شرح مسائل الجاهلية للسعيد ص٣٧٤. الجهل بمسائل الاعتقاد ص٤٤٩ -٤٨٠. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة ، الولاء والبراء بين الغلو والجفاء د. حاتم الشريف ، حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة د. عصام السناني.

(١) الصحاح (و ل ي).

(٢) لسان العرب (و ل ي).

(٣) انظر تاج العروس والمغرب في ترتيب المعرب (و ل ي).

والبراء في اللغة: يطلق على معان منها البعد والتنزه، والتخلص.

قال ابن الأعرابي: «بَرِيءَ إذا تخلَّص، و بَرِيءَ إذا تنزَّه وتباعد»[(١)].

والولاية شرعاً ترجع إلى معنى المحبة وينشأ عنها الموافقة والنصرة.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد،... والوالي: القريب، فيقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه، ومنه قوله ﷺ: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما أبقت فلأولى رجل ذكر» متفق عليه»[(٣)].

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «وأصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال»[(٤)].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «واصل الولاية المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله»[(٥)].

---

(١) لسان العرب (ب ر أ).

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ١٦٠، وانظر منهاج السنة ٥/ ٣٥٢.

(٤) الدرر السنية ٢/ ١٥٧، وانظر الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٩٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٤٤٦.

أما البراءة فقال شيخ الإسلام: «والبراءة ضد الولاية واصل البراءة البغض واصل الولاية الحب»[(١)]. وأهل العلم يعبرون عن الباب حينا بالولاء والبراء وحينا بالموالاة والمعاداة والولي ضد العدو وقد تبين ذلك من بعض النقول السابقة

قال شيخ الإسلام: «والموالاة تقتضي الموافقة والمتابعة كما أن المعاداة تقتضي المخالفة والمجانبة فمن وافقته مطلقا فقد واليته مطلقًا ومن وافقته في غالب الأمور فقد واليته في غالبها ومورد النزاع لم تواله فيه وإن لم تعاده»[(٢)].

قال شيخ الإسلام: «والعداوة تتضمن البغض والمخالفة»[(٣)].

* الدليل من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة.٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة.٥٦]. وقال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة.٥١]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة.١]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال.٧٣].

وقد ذمَّ اللهُ من يتخذ الكفار أولياء ووصفهم بالنفاق وذلك منافٍ للإيمان فقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء.١٣٨-١٣٩].

---

(١)مجموع الفتاوى١٠\٤٦٥..

(٢)مجموع الفتاوى١٠\٤٩٩.

(٣)مجموع الفتاوى١٥\٥١٠، ٥١١.

* الدليل من السنة: عن البراء بن عازب قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال: «أي عرى الإيمان أوثق»؟ قالوا: الصلاة، قال: «حسنة وما هي بها». قالوا: الزكاة، قال: «حسنة وما هي بها». قالوا: الصيام، قال: «حسن وما هو به». قالوا: الحج، قال: «حسن وما هو به». قالوا: الجهاد، قال: «حسن وما هو به». قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله»[1].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: أي عُرى الإيمان أظنه قال: أوثق. قال الله ورسوله أعلم. قال: «الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»[2].

* أقوال السلف:

أخرج ابن جرير ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحبَّ في الله وأبغَض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً»[3].

قال أبو الوفاء بن عقيل: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة»[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٨٧٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٣٧) وانظر شعب الإيمان ١٢/ ٧٦ وشرح السنة للبغوي١٣/ ٥٣.

(٣) حلية الأولياء ص٣١٢، وانظر تعظيم قدر الصلاة ١/ ٤٠٦، وروي أيضاً عن كعب قال: «من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فقد استكمل الإيمان» تعظيم قدر الصلاة ١/ ٤٠٧، وانظر: السلسلة الصحيحة (٣٨٠).

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢٦٨.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة بعثها إلىٰ بعض أنصاره: «واذكروا لهم أن الواجب علىٰ الرجل، أن يعلم عياله، وأهل بيته الحب في الله، والبغض في الله، والموالاة في الله، والمعاداة فيه، مثل تعليم الوضوء والصلاة، لأنه لا صحة لإسلام المرء، إلا بصحة الصلاة، ولا صحة لإسلامه أيضا إلا بصحة الموالاة والمعاداة في الله»[1].

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين علىٰ طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقانا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[2].

وقال الشيخ حمد بن عتيق: «فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتىٰ أنه ليس في كتاب الله تعالىٰ حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده»[3].

❖ **أقسام الموالاة:**

تنقسم الموالاة إلىٰ قسمين:

ما هو كفر وخروج من الدين.

ما هو كبيرة من الكبائر وذنب من الذنوب.

* **القسم الأول: الموالاة التي تخرج صاحبها من الملة،** ويسميها أئمة الدعوة

(١) الرسائل الشخصية ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) رسالة أوثق عرىٰ الإيمان ص ٣٨.

(٣) النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (ضمن مجموعة التوحيد) ص٣٦٣.

التولي، فمن تولاهم مطلقاً فهو كافر إن أظهر ذلك، ومنافق إن أخفاه ، وهي محبتهم بالقلب، وينشأ عنها النُصرة والمساعدة بالمال أو بالسلاح أو بالرأي.

قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: «من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه»[(١)].

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: «فيه قولان:

أحدهما: من يتولهم في الدين فإنه منهم في الكفر.

والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر»[(٢)].

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ عن هذه المسألة: «وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة.٢٢]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧]. فقد فسرته السنة وقيدته بالموالاة المطلقة العامة»[(٣)].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره، عند قوله سبحانه: «﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ - قال: ويفهم من ظواهر الآيات أن من تولى الكفار عامداً اختياراً، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٦٠.

(٢) زاد المسير ٢/ ٣٧٨.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٧، الدرر السنية ١/ ٤٧٤.

(٤) أضواء البيان ٢/ ١١١.

وبهذا تعلم أن الولاء الكفري هو محبة الكفار لأجل دينهم ونصرتهم له والرضا به، وبمظاهرتهم وإعانتهم والذب عنهم.

ويقول الإمام الطبري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٢٨]: «ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهراً وأنصاراً، توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني بذلك، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تُعينوهم على مسلم بفعل»[١].

وقد تقدم مثل ذلك في باب (مظاهرة الكفار على المسلمين).

وسئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن حسن عن الفرق بين الموالاة والتولي. فأجاب: «التولِّي كفر يخرج من الملة وهو كالذب عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب كبلِّ الدواة، وبري القلم، والتبشش لهم ولو رفع السوط لهم»[٢].

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري: «إن الموالاة هي: الموافقة والمناصرة والمعاونة، والرضا بأفعال من يواليهم، وهذه هي الموالاة العامة التي إذا صدرت من مسلم لكافر، اعتبر صاحبها كافرا. أما مجرد الاجتماع مع الكفار بدون إظهار تام للدين مع كراهية كفرهم، فمعصية لا توجب الكفر»[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٢٢٨.

(٢) الدرر السنية ٨/ ٤٢٢.

(٣) الدرر السنية ٧/ ٣٠٩.

* القسم الثاني: الموالاة التي لا تستوجب الكفر لما جاء في صحيح البخاري في قصة حاطب بن أبي بلتعة وفيه قال عمر بن الخطاب: «دعني أضرب عنق هذا ...» الحديث.

فما كان من الموالاة التي ليس فيها الرضا بأفعال من يواليهم، بل لنسب وقربى أو لأسباب ومصالح دنيوية، فإنه لا يستوجب التولي التام فلا يكون كفرا[١].

قال القرطبي رحمه الله: «من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافراً إذا كان فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنباً ينقص به إيمانه ولا يكون به كافراً كما حصل من حاطب ابن أبي بلتعة، لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ ... وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أبيّ في قصة الإفك»[٣].

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - :

«وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعه، وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه: أنه كتب بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ ومسيره لجهادهم، ليتخذ بذلك يداً عندهم، تحمي أهله، وماله بمكة، فنزل الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب: ظعينة، جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ علياً، والزبير، في طلب الظعينة، وأخبرهما، أنهما يجدانها في روضة خاخ، فكان ذلك،

---

(١) انظر في ذلك الدرر السنية ٩/ ٣٢٥.

(٢) التفسير ١٨/ ٥٢.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٢، ٥٢٣.

وتهدداها، حتى أخرجت الكتاب من ضفائرها، فأتي به رسول الله ﷺ. فدعا حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: «ما هذا»؟ فقال: يا رسول الله، إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يد، أحمي بها أهلي، ومالي، فقال ﷺ: «صدقكم، خلوا سبيله» واستأذن عمر، في قتله، فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «وما يدريك، أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» وأنزل الله في ذلك، صدر سورة الممتحنة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآيات.

فدخل حاطب في المخاطبة، باسم الإيمان، ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب، الدال على إرادته، معه أن في الآية الكريمة، ما يشعر: أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك، قد ضل سواء السبيل، لكن قوله: «صدقكم، خلوا سبيله» ظاهر في أنه لا يكفر بذلك، وإذا كان مؤمناً بالله ورسوله، غير شاك، ولا مرتاب ؛ وإنما فعل ذلك، لغرض دنيوي، ولو كفر، لما قال: خلوا سبيله. ولا يقال، قوله ﷺ: «ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» هو المانع من تكفيره، لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته، ما يمنع من لحاق الكفر، وأحكامه ؛ فإن الكفر: يهدم ما قبله، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥] وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] والكفر، محبط للحسنات والإيمان، بالإجماع ؛ فلا يظن هذا.»[١].

قال الشيخ سليمان بن سمحان: «من الموالاة ما يوجب الردة ومنها ما دون ذلك»[٢].

(١) أصول وضوابط في التكفير.
(٢) الدرر السنية ٨/ ٤٦٩.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: «مطلق الإعانة غير مكفر، لأن حاطب ﷺ حصل منه إعانة للمشركين على الرسول ﷺ بنوع من العمل: إعانة بكتابة بسر الرسول ﷺ والمسير إليه، لكن النبي ﷺ استفصل منه، فدل على أن الإعانة تحتاج إلى استفصال والله جل وعلا قال في مطلق العمل هذا: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ولكن ليس بمكفر إلا بقصد، فلما أجاب حاطب بأنه لم يكن قصده ظهور الكفر على الإسلام، «قال: يا رسول الله !والله ما فعلت هذا رغبة في الكفر بعد الإسلام، ولكن ما من أحد من أصحابك إلا وله يد يدفع بها عن أهله وماله، وليس لي يد في مكة، فأردت أن يكون لي بذلك لي يد»، فقال النبي ﷺ: «إن الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وهذا يدل على أن الاستفصال في هذه المسألة ظاهر، فالإعانة فيها استفصال، وأما المظاهرة بأن يكون ظهراً لهم ويدفع عنهم ويدرأ عنهم ما يأتيهم ويدخل معهم ضد المسلمين في حال حربهم لهم هذا من نواقض الإسلام التي بينها أهل العلم»[1].

وعن حدود الموالاة التي يكفر صاحبها جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء: «موالاة الكفار التي يكفر بها من والاهم هي محبتهم ونصرتهم على المسلمين لا مجرد التعامل معهم بالعدل، ولا مخالطتهم لدعوتهم للإسلام ولا غشيان مجالسهم والسفر إليهم للبلاغ ونشر الإسلام»[2].

فالولاء هو الموالاة المقيدة وهي كبيرة وفسق أما التولي فيراد منه الموالاة المطلقة العامة والمناصرة والمظاهرة على المسلمين..

---

(١) فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ١٧٩ - ١٩٤.

(٢) فتاوى اللجنة ٢/ ٤٧.

* وللفائدة:فمن العلماء[(١)] من يطلق الولاء ويريد به التولي كالشيخ السعدي رحمه الله حيث قرر أن التولي مرادف لمعنى الموالاة سواء بسواء يقول عن التولي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة.٢٣] : «إن الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان تولياً تاماً كان ذلك كفراً مخرجاً عن الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ وما هو دونه»[(٢)].

والذي استقر عند أئمة الدعوة رحمهم الله التفريق السابق بين التولي والولاء ، وإذا فهمت المسألة فلا مشاحة في الاصطلاح.

* منزلة الولاء والبراء من التوحيد:

من حقوق التوحيد أن توالي أهله الموحدين وتتبرأ من أعدائه المشركين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾[(٣)]. [المائدة: ٨٠ – ٨١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «فذكر جملةً شرطيّةً تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ، فَدَلَّ على أن الإيمان المذكورَ ينفي اتّخاذَهم أولياءَ ويُضادُّه، ولا يجتمع الإيمان واتخاذَهم أولياءَ في القلب. ودلَّ ذلك أن من اتّخذهم أولياء ما فَعل الإيمانَ الواجبَ من الإيمان بالله والنبيِّ وما أُنزل إليه»[(٤)].

---

(١) انظر أقوال المفسرين: تفسير ابن عطية ٨/ ١٥٢، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٥٦ وتفسير الشوكاني ٥/ ١٩٢ و تفسير الألوسي ٢٨/ ٣٢.

(٢) تفسير ابن سعدي ٧/ ٣٥٧.

(٣) سورة المائدة ٨٠ – ٨١.

(٤) كتاب الإيمان.

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم، قَالَ جَرِيرٌ بن عبد الله البجلي ﷺ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُبَايِعُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُبَايِعَكَ، وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، قَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ»[(١)].

وعن بَهْز بْن حَكِيم عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: وَ اللهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أُولاءِ أَنْ لا آتِيَكَ وَلا آتِيَ دِينَكَ وَجَمَعَ بَهْزٌ بَيْنَ كَفَّيْهِ، وَقَدْ جِئْتُ امْرَأً لا أَعْقِلُ شَيْئًا إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بوَجْهِ اللهِ بِمَ بَعَثَكَ اللهُ إِلَيْنَا. قَالَ «بِالإِسْلامِ» قُلْتُ: وَمَا آيَاتُ الإِسْلامِ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلاً، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ...» الحديث[(٢)].

فالولاء لا يكون إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة.٥٥].

وفي حديث البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله»[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله جميعاً ـ: «على المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان، ونفي

---

(١) أخرجه النسائي (٤١٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٢٩٩) (٢٠٢٥٥) (٢٠٢٧١) واللفظ له والنسائي (٢٥٦٨).

(٣) مسند الإمام أحمد (١٨٧٢٣).

الإيمان عمّن يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب في النسب. وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله أو من لوازمها، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك، وإنما كلّفنا بمعرفة أن الله فرض علينا ذلك وأوجبه وأوجب العمل به، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه. ومن عرف أن ذلك من معناها ولوازمها، فهو حسن وزيادة خير»(١).

* **ولا تصح الموالاة إلا بمعاداة**: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لا تصح الموالاة إلا بمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين إنه قال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ٧٥-٧٧]. فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء إلا بالبراء من كل معبود سواه»(٢).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إلى ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه قال تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة.٤].

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة غير الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه وتكفير من فعله»(٣).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «موالاة من حاد ومدارته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف ؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئا هو عدو لمحبوبه، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم

(١) مجموعة التوحيد ص ٥٠، ٥١.

(٢) الجواب الكافي ٢١٣.

(٣) مجوعة التوحيد ص ٣٣، ٣٤.

فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق»[(١)].

* الدعوة إلى «وحدة الأديان» هدم لعقيدة الولاء والبراء:

تصدت ملة الكفر لتقرير وحدة الأديان عبر إقامة مؤتمرات وندوات وجمعيات ويبث ذلك في وسائل الإعلام المختلفة وتعرض الآراء والمقالات ومرادهم من ذلك إسقاط الخلاف العقدي بين الإسلام ودين اليهودية والنصرانية حتى يكون هناك دين عالمي واحد فيدعون إلى وحدة الأديان دين الإسلام ودين اليهود ودين النصارى. ومقتضى الدعوة إليه الإعراض عن الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله ، ومن آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله[(٢)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقانا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[(٣)].

ولا يشك من لديه ذرة من إيمان أن الرضا بتقرير وحدة الأديان تحت شعار الديانة العالمية مناقض للإيمان بل هو كفر صريح وتكذيب بالقرآن وردة عن الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين

(١) شرح ثلاثة الأصول من مجموع فتاوى ابن عثيمين ٦/ ٣٠.
(٢) انظر فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم ١٩٤٠٢ وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ.
(٣) رسالة أوثق عرى الإيمان ص ٣٨.

وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب»[(١)].

أجابت اللجنة بجواب مفصل اقتطفنا منه ما نصه: «... وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية، فإن هذه الدعوة إلى: وحدة الأديان والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة.. وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله... والدعوة إلى «وحدة الأديان» إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام، لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد فترضى بالكفر بالله ﷻ وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعاً، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع»[(٢)].

* أمور لا تنافي عقيدة الولاء والبراء:

* أوّلاً: أن الواجب مع القدرة دعوة الناس إلى الإسلام فإن أجابوا فالحمد لله ولا يُجبر أحدٌ من الكفار الأصليِّين من أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين على الدخول في الإسلام.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٢٤، وانظر الصفدية ١/ ٢٦٨

(٢) فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم ١٩٤٠٢ وتاريخ ٢٥/١/١٤١٨هـ باختصار مع تصرف يسير.

قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة ٢٥٦].

والمراد بالآية – والله أعلم بالصواب – ما قاله الحافظ ابن كثير: «أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاماً»[(١)].

* ثانياً: يجوز للمسلمين عقد معاهدة مع الكفار إذا كان في ذلك مصلحة راجحة للمسلمين كما هو معلوم من صلح الحديبية حيث صالحهم على وضع القتال عشر سنين.

قال ابن القيم رحمه الله: «فصل في بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية ثم ذكر منها: أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه من ضيمٍ على المسلمين جائزةٌ للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفعُ أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما»[(٢)].

* ثالثاً: حفظ العهد الذي بيننا وبين الكفار، إذا وَفَّوْا هُمْ بعهدهم وذمّتهم.

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

وعن أبي رافع رضي الله عنه (وكان قبطيًّا)، قال: بعثتني قريشٌ إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلقيَ في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد. ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع». قال: فذهبتُ، ثم أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأسلمتُ»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٦٨٢.

(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٠٦.

(٣) أبو داود وأحمد.

يقول ابن حزم «واتفقوا أن الوفاء بالعهود التي نصَّ القرآنُ على جوازها ووجوبها، وذُكرت بصفاتها وأسمائها، وذُكرت في السنة كذلك، وأجمعت الأمّة على وجوبها أو جوازها، فإن الوفاء بها فرضٌ، وإعطاؤها جائز»[١].

* رابعاً: نصرة المستضعفين من المسلمين واجبة لكنها لا تجوز إذا كان ثم عهد بين المسلمين وهؤلاء والكفار وفاءً بالعهد والميثاق لقول الله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ وكما فعل رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية مع أبا جندل وأبا بصير ومن معهما من المستضعفين لمَّا كانوا على سيف البحر و كان كفار قريش لهما محاربين وبالنسبة لأهل المدينة كفارا معاهدين

* خامساً: اتباع الإمام فيما يحكم فيه في ترك نصرة بعض المسلمين في بعض البلدان بسبب الوفاء بالعهود إذ من المعلوم أنه يصح في الاضطرار تعدد الأئمة وقد قرر صحة ذلك علماء الأمة المجتهدين والموالاة الواجبة لأهل الإسلام إذا كان أمرهم على إمام واحد وأمر الأمة مجتمعة عليه وأما مع تعدد الأئمة فكل ولاية أو بلد لها عهود ومواثيق يختلف باختلاف إمامه وسلطانه فإن انتقاض العهد مع كافر لا يلزم منه انتقاض عهد ذلك الكافر مع جميع دول المسلمين.

ومن أقوال الأئمة في تعدد الأئمة قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين، أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق...»[٢].

---

(١)مراتب الإجماع١٢٣

(٢)مجموع الفتاوى، ٣٥/ ١٧٥-١٧٦

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالىٰ -: «الأئمة مجمعون من كل مذهب علىٰ أن من تغلب علىٰ بلد – أو بلدان – له حكم الإمام في جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلىٰ يومنا هذا ما اجتمعوا علىٰ إمام واحد ولا يعرفون أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم»اهـ[1].

* سادساً: حرمة دماء أهل الذمّة والمعاهدين والمستأمنين، إذا وَفَّوْا بذمتهم وعهدهم وأمانهم.

قال ﷺ: «من قَتَل معاهَدًا لم يرَحْ رائحةَ الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»[2].

وقال ﷺ: «أيُّما رجلٍ أمِنَ رجلاً علىٰ دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتولُ كافراً»[3].

* سابعاً: الاستعانة بالكافر أو استئجاره: فهذا قال أهل العلم بجوازه في أحوال مختلفة، يفتي أهل العلم في كل حال، وفي كل واقعة بما يرونه يصح أن يفتىٰ به».

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: «ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الناس قد يظن أن الاستعانة بأهل الشرك تعتبر موالاة لهم، وليس الأمر كذلك، فالاستعانة شيء والموالاة شيء آخر، فلم يكن النبي ﷺ حين استعان بالمطعم بن عدي، أو بعبد الله بن أريقط، أو بيهود خيبر موالياً لأهل الشرك، ولا متخذاً لهم بطانة، وإنما فعل ذلك للحاجة إليهم واستخدامهم في أمور تنفع المسلمين ولا تضرهم، وهكذا

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ٧/ ٢٣٩
(٢) البخاري (٣١٦٦).
(٣) صحيح ابن حبان (٦٠٨٢)، الصحيحة (٤٤٠).

بعثه المهاجرين من مكة إلى بلاد الحبشة ليس ذلك موالاة للنصارى، وإنما فعل ذلك لمصلحة المسلمين وتخفيف الشر عنهم. فيجب على المسلم أن يفرق ما فرق الله بينه، وأن ينزل الأدلة منازلها، والله سبحانه هو الموفق والهادي لا إله غيره ولا رب سواه»[(١)].

* ثامناً: المداراة في حال ضعف المسلمين لا تتنافى مع الولاء والبراء.

والمداراة المقصودة هي: درءُ المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة، أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين خشية شرهم وتأليفا لهم ولغيرهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾.

جاء عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون اللطف ويخالفونهم في الدين، وذلك قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[(٢)].

وقال مجاهد رحمه الله: قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: «إلا مصانعةً في الدنيا ومخالَقةً»[(٣)].

قال ابن كثير: «إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره، لا بباطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الدرداء :أنه قال: إنا

(١)مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ٧- ٣٦٤

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٢٨، وانب جرير في تفسيره ٣/ ٢٢٨.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٣٠، وابن جرير في تفسيره ٣/ ٣٣٨ – ٢٢٩.

لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم»[(١)].

* تاسعاً: الوصيّة بأهل الذمّة، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وحفظ كرامتهم.

قال ﷺ «إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنّ لهم ذِمّةً ورحماً»[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أُوصي الخليفة من بعدي بذمّة الله وذمّة رسوله ﷺ: أن يُوَفَّىٰ لهم بعهدهم، وأن يُقاتَل مِنْ ورائهم، وأن لا يكلَّفُوا فوق طاقتهم»[(٣)].

* والبرّ والإحسان والعَدْلَ وحسن المعاملة مطلوب لهم سواء كان ذميا أومعاهداً أومستأمناً.

قال القرافي رحمه الله: «اعلم أن الله تعالىٰ منع من التودد لأهل الذمة، بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١]. فمنع الموالاة والتودد، وقال في الآية الأخرىٰ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]. فلا بد من الجمع بين هذه النصوص، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما.. وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم ؛ لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا، وذمة الله تعالىٰ وذمة رسوله ﷺ، ودين الإسلام، وقد حكىٰ ابن حزم الإجماع ـ في مراتبه ـ علىٰ أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلىٰ بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح.. فيتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل علىٰ

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) مسلم (٦٤١٤).

(٣) البخاري (١٣٠٥).

مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتىٰ أدىٰ إلىٰ أحد هذين امتنع، وصار من قبل ما نهىٰ عنه في الآية، وغيرها. ويتضح ذلك بالمثل، فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ وبداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادىٰ بها، هذا كله حرام، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق، وأخلينا لهم واسعها ورحبها والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيسها وحزنها وضيقها كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفار، وتحقير شعائر الله تعالىٰ وشعائر دينه، واحتقار أهله، وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادماً ولا أجيراً يؤمر عليه وينهىٰ.

وأما ما أمر به من برهم من غير مودة باطنة: فهو كالرفق بضعيفهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم علىٰ سبيل اللطف لهم[(١)]، والرحمة لا علىٰ سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة علىٰ إزالته لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من آل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم.

فجميع ما نفعله من ذلك فليس علىٰ وجه التعظيم لهم، وتحقير أنفسنا بذلك ولا مصانعة لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا محمد ﷺ، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا، واستولوا علىٰ دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا ﷻ، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالا لأمر ربنا..»[(٢)].

---

(١) جاء في فتاوىٰ اللجنة ٢/ ٤٤: لا يجوز مخالطة الكفار مخالطة تنشأ منها فتنة. أما مؤاكلتهم ومخالطتهم والإحسان لهم بما يرغبهم في الإسلام فلا بأس به مع أمن الفتنة، وعدم المودة.

(٢) كتاب الفروق للقرافي ٣/ ٢٩.

فيجوز البر والإحسان إليهم خصوصاً إذا كانوا جيراناً أو أقارب، ويجوز من أجل الدعوة الضحك في وجهه وزيارته بخلاف الحربي الذي بيننا وبينهم حرب. قال في فتاوىٰ اللجنة: ـ «يعامل الذمي بالإحسان ولكن لا يبدأ بالسلام، ولا يزوج مسلمة ونحو ذلك مما منعت منه النصوص»[١]. وفي موضع آخر: «لا يجوز دخولهم للمسجد الحرام، ولا حرم مكة. ويجوز أن يدخلوا الأماكن الأخرىٰ المعدة للعبادة لسماع المواعظ والمحاضرات الإسلامية عسىٰ الله أن يجعل بيننا وبينهم مودة، ويرقق قلوبهم، وأن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم»[٢].

وأمّا العَدْل فهو فرضٌ واجب لكل أحد، حتىٰ من نُبغضه بحقّ، ممن عادانا وقاتلنا من الكفار.

يقول الله تعالىٰ في ذلك: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

قال الشيخ ابن عثيمين: «يعني لا يحملكم بغضهم علىٰ عدم العدل اعدلوا ولو كنتم تبغضونه، ولهذا لما بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة إلىٰ أهل خيبر ليخرص عليهم ثمر النخل، وكان النبي ﷺ قد عامل أهل خيبر حين فتحها علىٰ أن يكفوه المئونة، ويقوموا بإصلاح النخيل والزرع ولهم النصف. فكان يبعث عليهم من يخرص عليهم الثمرة، فبعث إليهم عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم، ثم قال لهم: يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق إلىٰ، قتلتم أنبياء الله ﷻ، وكذبتم علىٰ الله، وليس يحملني بغضي إياكم علىٰ أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر،

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ٦٢.

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ٢/ ٦٥.

فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السَّمَوَاتِ والأرض»[(١)].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «فمن كف أذاه من الكفار فلم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ولا يحبونه بقلوبهم لأن الله قال: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين الكافرين ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [لقمان.١٥].

وقد جاءت أم أسماء إليها تطلب صلتها وهي كافرة فاستأذنت أسماء رسول الله ﷺ في ذلك فقال لها: «صِلِي أمك» وقد قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [المجادلة.٢٢].

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر. ولأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبا للكافر في الإسلام فهما من وسائل الدعوة بخلاف المودة والموالاة فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضى عنه وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام. وكذلك تحريم موالاة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم.

فالنبي ﷺ استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر واستدان من بعض اليهود.

---

(١) روه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء رقم ١٤٦٩، شرح رياض الصالحين ٣/ ٢٧٥.

وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار وهذا من باب الشراء منهم بالثمن وليس لهم علينا فيه فضل ومنة.

وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم، فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم»(١).

وعلى هذا فإن للمودة حدود وضوابط حتى لا يُقر الكافر على ما هو عليه أويُرضى عنه فلا يجوز الحضور إلى أعيادهم كعيد الاستقلال(٢) أو عيد الكريسمس(٣)، ولا حضور مراسيمهم الدينية(٤). ولا حضور حفلاتهم كحفل ترميد الموتى البوذيين لأن فيه رضا بصنيعهم(٥) ولا يجوز التبرع لمثل هذه الحفلات في حالة عدم الحضور أو زيارة أهل الميت منهم وتقديم العزاء لهم أو تقديم الأزهار لهم(٦). ولا يجوز أن نمكنهم من إلقاء محاضرات وكلمات في مساجد المسلمين لأنهم لا يؤمن منهم أن يُثيروا شكوكاً أو يلحدوا في دين الله. وهذا في مجامعنا ومحافلنا الخاصة بالمسلمين(٧).

فهو إحسان وبر بهم من غير مودة باطنة ، ولطف ورحمة من غير خوف وذلة، ورفق واحتمال أذى للجار من غير تعظيم ، ومخالطة لترغيبهم في الإسلام مع أمن الفتنة، وعدم المودة.

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام للشيخ صالح الفوزان ص٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٥٠.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٥٠.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٦٥

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٤٨.

(٦) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٥١.

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٦٦.

٢٩١- الولي والأولياء

انظر باب: «الكرامة).

٢٩٢- اليأس من روح الله

اليأس من روح الله : أي قطع الرجاء والأمل من الله .

انظر باب : (القنوط).

٢٩٣- اليقين

[شروط لا إله إلا الله]

اليقين لغة: العلم الذي لا تردد معه، قال الرازي: «هو العلم وزوال الشك»[(١)].

وهو في أصل اللغة: الاستقرار.

وفي الاصطلاح: طمأنينة القلب واستقرار العلم فيه.

قال شيخ الإسلام : «وأما اليقين فهو طمأنينة القلب واستقرار العلم فيه وهو معنى ما يقولون ماء يقن إذا استقر عن الحركة وضد اليقين الريب وهو نوع من الحركة والاضطراب يقال رابني يريبني ومنه في الحديث أن النبي ﷺ مر بضبي حاقف فقال لا يريبه أحد ثم اليقين ينتظم منه أمران : علم القلب ، وعمل القلب .فإن العبد قد يعلم علماً جازماً بأمر ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم كعلم العبد أن الله رب كل شيء ومليكه ولا خالق غيره وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهذا قد تصحبه الطمأنينة إلى الله والتوكل عليه وقد لا يصحبه العمل بذلك إما لغفلة القلب عن هذا العلم والغفلة هي ضد العلم التام وإن لم يكن ضدا لأصل العلم ، وإما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات إلى الأسباب وإما لغير ذلك وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبي أنه قال: «سلوا الله اليقين والعافية فما أُعطي أحد بعد اليقين شيئًا خيرًا من العافية فسلوهما الله». فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ

(١) مختار الصحاح [ي ق ن].

لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران :١٧٣] فهذه حال هؤلاء وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ [الأحزاب :٩-١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾ الآيتين [المدثر: ٣١-٣٢].

وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء:

أحدها: تدبر القرآن.

والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق.

والثالث: العمل بموجب العلم...»[١].

انظر باب: «لا إله إلا الله». (أعمال القلوب).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابنِ تَيميَّةَ ٣/ ٣٢٩-٣٣١. وانظر ٥/ ٥٧٠.

٤٢٩- اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الأصل الخامس من أصول الإيمان الستة.

انظر باب (الإيمان باليوم الآخر).

***

هنا انتهى ما قصدت من تأليفه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تبارك اسم الله وحده، وصلواته على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه وحسبي الله وحده لاشريك له.

وأسال الله التوفيق والسداد لنا ولك ولإخواننا المسلمين كما أسأله ﷻ أن يتلقى عملنا بالقبول ويبارك لنا فيه ويجعله حجة لنا لا علينا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَات

الموضوع | الصفحة

١٨٦ - طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله ٥
حكم الطاعة في تحريم ما أحل الله ٩
١٨٧ - الطاغوت ١٥
الكفر بالطاغوت أول ما فرض الله على ابن آدم ١٩
صفة الكفر بالطاغوت ١٩
الطواغيت كثر ورؤوسهم خمسة ٢٠
ليس كل ما عُبد من دون يعتبر طاغوتاً........................ ٢١
١٨٨ - الطِّب........................ ٢٢
١٨٩ - الطرق ٢٢
١٩٠ - الطواف بغير الكعبة........................ ٢٣
حكم الطواف حول القبور ٢٤
١٩١ - الطيـرة........................ ٢٦
حدُّ الطيرة الشرعي ٢٨
الطيرة الشركية........................ ٢٩
حكم الطيرة وهل هي شرك أكبر؟ ٣٢
كفارة الطيرة ٣٣
الفرق بين الطيرة والفأل ٣٤

الموضوع	الصفحة
الفرق بين الطيرة والتطير	٣٤
حديث «أقروا الطير على مكناتها»	٣٥
كيف يدفع الإنسان الطيرة	٣٦
١٩٢ - الظلم	٣٩
١٩٣ - الظن بالله	٤٤
كلام الإمام ابن القيم في تفسير سوء الظن	٤٥
خلاصة ما ذكر ابن القيم في تفسير ظن السوء ثلاثة أمور	٤٩
أمثلة لسوء الظن بالله تعالى	٥٠
١٩٤ - عارض الجهل وأثره على أحكام الاعتقاد	٥٢
ضوابط العذر بالجهل في التكفير	٥٧
أولاً: مجرد النطق بالشهادتين يثبت به الإسلام ولا يزول إلا بدليل شرعي	٥٧
ثانياً: عدم قيام الحجة مانع من تكفير المعين	٥٨
هل يمكن للرجل أن يقول لصاحبه أنت كافر قبل أن يعلمه بعمله؟	٦٢
يجب التفريق بين بلوغ الحجة وفهم الحجة	٦٤
ثالثاً: الجاهل المتمكن من العلم وتركه تساهلاً وإعراضاً لا يعذر	٦٦
رابعاً: قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص	٦٨
خامساً: ينبغي التفريق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية	٧١
الجهل لا يكون فيما هو معلوم من الدين بالضرورة	٧٤
ظهور المسألة وخفاؤها أمر نسبي	٧٧
تنبيه: معرفة فقد العذر بالجهل يوجب بيان العلم	٧٧
١٩٥ - العبـادة	٧٨

الموضوع	الصفحة
شـروط قبول العبـادة	٨٢
أنواع العبادة	٨٤
كما تنقسم إلىٰ عبادة كونية وشرعية	٨٧
وتنقسم إلىٰ عبادة خاصة ومتعدية	٨٧
١٩٦ - عبدي وأمتـي........................	٨٨
حكم التلفظ بعبدي وأمتي........................	٨٩
حكم إطلاق الرب علىٰ المخلوق وإضافته إليه	٩٠
الفرق بين الرب والسيد	٩٢
١٩٧ -العدوىٰ........................	٩٣
الجمع بين حديث «لا عدوىٰ» وحديث «فر من المجذوم»	٩٤
١٩٨ - العذر بالجهل	٩٨
١٩٩ - العراف........................	٩٩
الفرق بين الكاهن والعراف	١٠١
حكم الذهاب للكهان والعرافين........................	١٠٢
واجب ولاة الأمر نحو العرافين والكهان	١٠٢
٢٠٠ - العروة الوثقىٰ	١٠٣
٢٠١ - العزائم	١٠٣
٢٠٢ - العـزىٰ	١٠٣
٢٠٣ - الـعـَضْـه........................	١٠٤
٢٠٤ - العقيدة........................	١٠٥
العقيدة: كلمة مولَّدة ظهرت بعد القرن الرابع	١٠٦

الموضوع	الصفحة
٢٠٥- العكوف عند القبر والمجاورة عنده	١٠٧
٢٠٦- العلم المنافي للجهل	١٠٧
٢٠٧- عمل القلب	١٠٧
٢٠٨- العيافة	١٠٨
زجر الطير له أقسام	١٠٨
العيافة في اللغة: تطلق على من يصيب بظنِّه «عائفاً»	١٠٩
الفرق بين العيافة والتطير	١١٠
٢٠٩- العيد	٢٠٩
سبب المنع من إقامة غير هذه الأعياد الشرعية	١١٣
الأعياد قسمان: زمانية ومكانية	١١٥
الأعيادُ المكانية التي ينهى عنها لها صور منها	١١٥
الأعيادُ الزمانية المبتدعة كثيرة وهي قسمان	١١٥
القسم الأول: أعياد مبتدعة ليس فيها تشبه	١١٥
القسم الثاني: ما فيه تشبه بالكفرة في جعله عيداً	١١٩
صور للاحتفال بهذه الأعياد	١٢٠
حكم الاحتفال بحلول عام ٢٠٠٠م (الإفرنجي)	١٢٣
عيد الأم	١٢٦
حكم التهنئة بأعياد الكفار	١٢٩
٢١٠- الغرباء	١٣١
تفسير قوله ﷺ: «وسيعود غريباً»	١٣٣
صفات الغرباء	١٣٥

الموضوع	الصفحة

٢١١- الغلـو ١٣٧
أقسام الغلو ١٤٠
مظاهر الغلو ١٤٠
٢١٢ - الغول ١٤٤
٢١٣- الغيب ١٤٨
كفر من ادعى علم الغيب ١٥٠
أقسام الغيب ١٥٣
مسألة لا تعارض بين علمُ نزول الغيث وما استند إلى علم محسوس.... ١٥٥
٢١٤- الفأل ١٥٦
الفأل الذي يحبه الرسول ﷺ وسبب ذلك ١٥٧
الفرق بين الفأل والطيرة ١٥٨
هل الفأل من الطيرة؟ ١٦٠
أخذ الفأل من المصحف ١٦١
٢١٥- الفترة ١٦٤
٢١٦- الفرقة الناجية ١٦٤
فضل التوحيد ١٦٤
٢١٧- الفسق ١٦٥
أقسام الفسق وأنواعه ١٦٦
ضابط الكبيرة عند العلماء ١٦٨

الموضوع	الصفحة
التحذير من التفسيق بغير دليل شرعي ولا علم	١٧١
٢١٨- الفطرة	١٧٢
٢١٩- قاضي القضاة ونحوه	١٧٦
تحريم إطلاق ملك الأملاك أو قاضي القضاة	١٧٨
مسألة في إضافتها إلى طائفة معينة، أو بلد معين	١٧٩
مسألة: حكم التسمي بأسماء الله	١٨٠
التسمي بشيخ الإسلام	١٨٠
٢٢٠- القبور	١٨٥
احترام المقابر	١٨٥
من أعظم ما يحترم به أصحاب القبور ترك الغلو فيهم	١٨٦
ينبغي التزام السكينة حال السير مع الجنازة	١٨٧
زيارة القبور	١٨٨
منشأ وبداية عبادة القبور	١٨٨
استمرار عمل المشركين مع قبورهم في أمة محمد ﷺ	١٩١
حكم عبادة الله عند القبور	١٩٢
من أنواع العبادات التي تقع عند القبور	١٩٣
حكم الدعاء عند القبر	١٩٣
البدع عند القبور	١٩٥
وضع الغرس على القبر	١٩٦
قراءة القرآن عند القبر	١٩٩
الأذان والإقامة حال وضعه في القبر	٢٠٢

الموضوع	الصفحة
٢٢١- القبول المنافي للرد..................	٢٠٢
٢٢٢- القـدر	٢٠٣
الإيمان بالقدر أربع مراتب:	٢٠٩
* المرتبة الأولىٰ: الإيمان بعلم الله	٢٠٩
* المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة مقادير الخلق في اللوح المحفوظ	٢١٠
فائدة: العرش أول المخلوقات	٢١١
* المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة	٢١٢
الفرق بين المشيئة والإرادة................	٢١٣
الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية	٢١٣
ضل في القدر طائفتان	٢١٥
* المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله خالق كل شيء	٢١٦
قول: شيخ الإسلام ابن تيمية: (والإيمان بالقدر علىٰ درجتين)	٢١٧
مسـألـة: في قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»	٢١٨
أقسام التقديرات وأنواعها..................	٢١٩
١ـ التقدير العام	٢١٩
٢ـ التقدير العمري	٢٢٠
٣ـ التقدير الحولي	٢٢٠
٤ـ التقدير اليومي	٢٢١
القدر سر من أسرار الله	٢٢٢
ثمرات الإيمان بالقدر......................	٢٢٣
مسألة: الاحتجاج بالقدر علىٰ فعل المعاصي	٢٢٤

الموضوع | الصفحة

حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب ٢٢٦
مسألة في نصوص يتوهم الناظر معارضتها للقدر ٢٢٧
حكم سب القدر ٢٣٤
٢٢٣- قراءة الفنجان والكف ٢٣٥
٢٢٤- القضاء........ ٢٣٦
الفرق بين القضاء والقدر ٢٣٧
٢٢٥- القنوط من رحمة الله........ ٢٤٠
للقنوط من رحمة الله سببان محذوران ٢٤١
مسألة: القنوط على قسمين باعتبار محله ٢٤٢
حكم القنوط ٢٤٣
٢٢٦- القيام تعظيماً........ ٢٤٣
حكم القيام للقادم ٢٤٦
ومن القيام ما هو جائز ٢٤٦
يجوز القيام إذا ترتب على تركه مفسدة ٢٤٧
حكم القيام لأهل العلم والفضل ٢٤٨
أثر القيام المنهي عنه على التوحيد........ ٢٥٠
تفصيل شيخ الإسلام في مسألة القيام ٢٥١
حكم القيام للكافر ٢٥٢
٢٢٧- الكتابة على القبر........ ٢٥٤
٢٢٨- الكرامة........ ٢٥٧
الفرق بين الكرامة والمعجزة ٢٥٩

الموضوع | الصفحة

أقسام الكرامة ٢٦٠
أنواع تتعلق بالكشف والكرامة ٢٦١
الإلهام ٢٦١
الهواتف ٢٦٢
أمثلة لكرامات الأولياء ٢٦٢
بقاء الكرامات في أولياء الله إلىٰ يوم القيامة ٢٦٤
حال العبد عند حصول الكرامة أو الخارق للعادة ٢٦٤
وجوب الإيمان بكرامات الأولياء وحكم إنكارها ٢٦٦
الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق الشياطين ٢٦٧
تعريف الأحوال الشيطانية ٢٦٧
ما يطرد الأحوال الشيطانية ٢٧٢
فائدة في معجزات الأنبياء وآياتهم ٢٧٣
الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ ٢٧٥
٢٢٩- الكفر ٢٧٦
أنواع الكفــر ٢٧٧
الكفر نوعان ٢٧٨
كفر أكبر ٢٧٨
كفر أصغر ٢٧٨
الكفر هو الغاية الكبرىٰ للشيطان ٢٧٩
معنىٰ قول السلف: إن المعاصي تسمىٰ كفراً ٢٨٠
الفرق بين كفر الاعتقاد وكفر العمل ٢٨١

الموضوع	الصفحة
حكم السلام على الكافر	٢٨٣
فائدة في معرفة أهل الكتاب	٢٨٥
٢٣٠- كفر الإباء والاستكبار	٢٨٦
٢٣١- كفر الاستحلال	٢٩١
أقوال للعلماء تتعلق بكفر الاستحلال	٢٩٤
٢٣٢- الكفر الأصغر	٢٩٨
٢٣٣- كفر الإعراض	٣٠٠
٢٣٤- الكفر الأكبر	٣٠١
أنواع الكفر المخرج من الملة	٣٠١
الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر	٣٠٢
٢٣٥- كفر الإنكار	٣٠٣
٢٣٦- كفر الجحود والتكذيب	٣٠٤
الفرق بين الجحود والتكذيب	٣١٠
فائدة في ذكر (كفر العناد)	٣١١
الفرق بين الكفر والتكذيب والإنكار	٣١٣
٢٣٧- كفر الشك	٣١٥
الفرق بين الشك والريب	٣١٦
٢٣٨- كفر العناد	٣١٦
٢٣٩- كفر النعمة	٣١٧
٢٤٠- كفر النفاق	٣٢٤
٢٤١- كلمة الإخلاص	٣٢٤

الموضوع | الصفحة

٢٤٢- كلمة التوحيد ٣٢٤
٢٤٣- الكلمة الطيبة ٣٢٥
٢٤٤- الكنيسة.. ٣٢٥
٢٤٥- الكهانة.. ٣٢٦
حكم إتيان الكهّان والعرافين ٢٣١
هل تصديق الكهان كفر أكبر؟ ٣٣٣
حكم الكاهن وعمله ٣٣٥
وأما كفر الكاهن فمن وجوه ٣٣٦
لا يجوز تأجير الحوانيت على الكهان ٣٣٨
تأثر الكهانة بحراسة السماء ٣٣٩
الفرق بين الساحر والكاهن ٣٤٠
الفرق بين معرفة الأمور بالكهانة ومعرفتها بالحساب ٣٤١
الفرق بين الكهانة وأحوال الطقس ٣٤٣
أنواع الكهانة ٣٤٤
مما يدخل في الكهانة ويأخذ حكمها في ادعاء الغيب ٣٤٤
أولاً: العرّاف.. ٣٤٤
ثانياً: المنجم ٣٤٤
ثالثاً: الحازي ٣٤٤
رابعاً: قارئ الفنجان ٣٤٤
خامساً: قراءة الكف والكوتشينة.. ٣٤٦
سادساً: الرمّال ٣٤٦

الموضوع	الصفحة
سابعاً: الطرق	٣٤٦
مسألة في قول رَسُول اللهِ ﷺ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ...»	٣٤٨
٢٤٦- الكي	٣٥٠
تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع	٣٥٢
هل يقدح الكي في التوكل	٣٥٣
٢٤٧- اللات	٣٥٣
٢٤٨- لعن المعين	٣٥٤
حكم اللعن	٣٥٥
حكم لعن الكافر المعين	٣٥٩
أكثر ورود اللعن في الآيات والأحاديث على سبيل العموم	٣٦٠
حكم لعن الفاسق المعين	٣٧٣
٢٤٩- لمز الرسول ﷺ	٣٧٩
٢٥٠- لمز المؤمنين في الطاعات وذكر عيوبهم	٣٨٠
٢٥١- لـو	٣٨١
حكم التلفظ بها	٣٨٢
٢٥٢- لولا	٢٥٢
٢٥٣- ما شاء الله وشئت	٣٩٠
حكم إطلاق ما شاء الله وشئت	٣٩١
حكم قول: الله ورسوله أعلم	٣٩٤
حكم كتابة الله وكلمة محمد بشكل متداخل	٣٩٥
مسألة: في إنكار الرسول ﷺ على الخطيب قوله: «ومن عصاهما فقد غوى»	٣٩٦

الموضوع | الصفحة

حكم قول «شاءت قدرة الله» ٣٩٩
٢٥٤- متابعة الرسول ﷺ ٤٠٠
٢٥٥- محبة الله ٤٠٤
حب الله فرض واجب ٤٠٦
أقسام المحبة ٤٠٧
أسباب تحصيل المحبة ٤٠٩
بين المحبة والعبادة ٤١٠
العلاقة بين المحبة والرجاء والخوف ٤١٤
أثر الذنوب على المحبة ٤١٤
٢٥٦- محبة رسول الله ﷺ وما جاء به........................ ٤١٥
وجوب معرفة الرسول ﷺ........................ ٤١٦
مقتضى محبة رسول الله ﷺ........................ ٤١٧
أقوال العلماء في قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون...» الحديث..... ٤١٨
٢٥٧- المحبة في الله ٤١٩
٢٥٨- محمد رسول الله ﷺ ٤١٩
٢٥٩- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ أو الكراهية لانتصار دينه ٤٢٠
٢٦٠- المشاهد ٤٢٢
تاريخ المشاهد........................ ٤٢٤
قبور الأنبياء ٤٢٥
أكثر المشاهد المشهورة مكذوبة ٤٢٦
مشهد الحسين في القاهرة ٤٢٧

الموضوع	الصفحة
حكم الصلاة في المشاهد	٤٢٩
موقف العلماء من المشاهد والقبور	٤٣٣
٢٦١- مظاهرة الكفار على المسلمين	٤٣٦
الفرق بين مظاهرة الكفار والاستعانة بهم	٤٤١
٢٦٢- الملائكة الكرام	٤٤١
٢٦٣- المعجزة	٤٤١
٢٦٤- ملك الأملاك	٤٤٢
٢٦٥- مناة	٤٤٢
٢٦٦- الموالاة والمعاداة	٤٤٢
٢٦٧- الميثاق	٤٤٣
٢٦٨- النبوة	٤٤٦
الفرق بين النبي والرسول	٤٤٧
المختار في تعريف النبي والرسول	٤٥١
التفاضل بين الأنبياء والرسل	٤٥١
حكم ادعاء النبوة	٤٥٢
فائدة في عدد الأنبياء	٤٥٤
٢٦٩- الند والأنداد	٤٥٥
اتخاذ الأنداد على قسمين	٤٥٧
أولاً: قد يكون شركا أكبر	٤٥٧
ثانياً: وقد يكون شركا أصغر	٤٥٨
٢٧٠- النذر	٤٦٠

الموضوع | الصفحة

النذر عبادة ٤٦١
حكم ابتداء النذر ٤٦٢
ينقسم النذر إلى قسمين: نذر لله، ونذر لغير الله ٤٦٩
القسم الأول: النذر لله وله أقسام ٤٦٩
القسم الثاني: النذر لغير الله كالنذر للموتى وغيره ٤٧١
٢٧١- النسك ٤٧٥
٢٧٢- النشرة ٤٧٧
أقسام النشرة ٤٧٩
حكم النُّشْرَة ٤٨٠
من أنواع النُّشْرَة ٤٨٤
٢٧٣- النفاق ٤٨٦
أقسام النفاق ٤٩٢
نفاق الاعتقاد ٤٩٢
النفاق العملي ٤٩٦
٢٧٤- نفي صفة من صفات الله ٥٠٥
٢٧٥- النميمة ٥٠٥
٢٧٦- النوء ٥٠٦
٢٧٧- نواقض الإسلام ٥٠٧
٢٧٨- الهامَّة ٥١١
٢٧٩- الهجر ٥١٤

الموضوع | الصفحة

هجر أهل البدع ٥١٦
ضوابط مهمة في الهجر ٥١٧
٢٨٠ - الهجرة ٥٢٤
التعريف ببلد الكفر وبلد الإسلام ٥٣١
معنىٰ قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» ٥٣٢
٢٨١ - الهداية ٥٣٥
إشكال وحله ٥٣٧
٢٨٢ - الهوىٰ ٥٣٩
٢٨٣ - الواهنة ٥٤١
٢٨٤ - الوتر ٥٤١
٢٨٥ - الوثن ٥٤٢
٢٨٦ - وسائل الشرك ٥٤٦
٢٨٧ - وضع الغرس علىٰ القبر ٥٤٦
٢٨٨ - الوقف ٥٤٧
٢٨٩ - الوقوف ٥٤٧
٢٩٠ - الولاء والبراء ٥٤٨
أقسام الموالاة ٥٥٢
منزلة الولاء والبراء من التوحيد ٥٥٨
٢٩١ - الولي والأولياء ٥٧٢
٢٩٢ - اليأس من روح الله ٥٧٢

الموضوع | الصفحة

٢٩٣- اليقين.. ٥٧٣
٢٩٤- اليوم الآخر ٥٧٥
فهرس الموضوعات.. ٥٧٦

***